الجنان

الجزء الاول

في ١ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ٢٩ كانون الثاني جانيوري) ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

لا نرى في اوائل سنة ١٨٧٦ ما يدل على استقبالها اكثر مما رايناه في اوائل السنة الماضية مما دل على الحوادث التي ذكرناها في الجملة الماضية فان الاحوال السياسية في الزمان الحاضر باتت محجوبة عنا بحجابات سميكة وما ذلك الا من نتائج وجود امور باطنية سياسية لا تدل الظواهر عليها وانتقال كفة السياسة الراجحة الى الجهة الشرقية الشمالية من اوربا قد جعل انقلابا في المقاصد والغايات والاحوال وزاد اسباب الخوف عند الدول فزادت اسباب النفور والدفاع ومع التعقل لا تبدو حركة بشرية بدون مقاصد وللانسان غايتان عظيمتان في الدنيا وهما المدافعة عما اقتناه وملكه والاشتغال لتكثيره وتحسينه فالاستغناء عن شيء لا يحمل صاحبه على التسليم بخسارته برضاه وكثرة الموجود في يده لا تبدل الطمع بالقناعة والنادر كالعدم فالعارف بالاحوال الذي يدرك حقيقة الامور لا يبحث في عمل بشري ما لم يجعل تلك القواعد الاساسية ضابطا لبحثه وسندا لتخمينه حال كونه يبحث في اعمال الافراد كما يبحث في اعمال الامم والدول والقبائل والاقوام وحوادث اوربا القريبة تشهد بصحة ذلك ويا حبذا لو امكن ادراك مقاصد دول اوربا القريبة لان سرعة دوران دولاب الاشغال بواسطة سرعة اسباب الاتصالات وشدة تاثير السياسة في الاعمال تجعل الناس لا يكتفون بالتخمينات البعيدة العمومية التي لا تاتي بادلة مفصلة وقد اصابوا في ذلك على ان بلوغ المقصود من الامور الصعبة والاجراءات السياسية بطيئة جدا بالنسبة الى حالة الزمان وذلك من جرى الافتقار الى اركان بعض الدول الى البعض الاخر واعمالها كلها على السبر والتجاهل والتخمين قبل ابراز راي ربما كان مخالفا على خط مستقيم لنواياها ومرغوباتها فشانها شان من يسير غربا قاصدا الشرق بالدوران حول العالم عوضا عن ان يسير شرقا ولذلك ترى في خطب رجال السياسة وكتاباتهم امورا مبهمة فلا يعولون على الابهام لاخفاء مقاصدهم فقط ولكن لانهم يجهلون مقاصد جيرانهم او حلفائهم واعدائهم ولذلك ترى الدول ملتزمة بان تجعل مساندها القوة برا وبحرا لتجعل الخوف منها واسطة لنفوذ كلامها وهذا اعظم دليل على ان البواطن ليست بنظيفة ولاسيما في هذه السنة لان مبادرة المانيا الى زيادة الجيش اللاندستروم اي الجيش الذي فازت به ذلك الفوز العظيم يدل على انها تخاف من ان يلقى على عاتقها حمل حربي عظيم والنمسا وروسيا لا تنقطعان عن التاهب وكذلك سائر الدول وقد دخلنا هذه السنة بدخول تاهبات جديدة حتى ان انكلترا التي كانت مكتفية بقوتها البحرية امست تتاهب برا وتكثر الجنود والسلاح وبالتامل القليل في هذه الاحوال يتقرر في عقل المتامل امران مهمان وهما اولا ان لبعض

I.M.A. BIBLIOTHEQUE مكتبة معهد العالم العربي

الدول غايات لا تدركها الا بالاستناد الى قوة كافية ولدول اخرى صوالح تمنعها عن ان تسمح لها بنوال مآربها فتتناهب تمنعها منعًا اما او غير تام فالاول ظاهر والثاني ربما كان مشروطًا اي انهُ يزول المانع بشروط موافقة. والحصول على تلك الشروط لا بد من الاستناد الى القوة ولا ريب في ان الذين يطالعون هذا الكلام العام يضجرون منهُ ويقولون الاحتياج انما هو الى ايضاح والصعوبة في ذلك لانهُ لا سبيل الى تحديد الازمان بالتخمين ولو اظهرت الحوادث الاستقبالية تخمينًا بنور التاريخ والظروف والاحوال وعدول الدول عن انفاذ امر بعد التصميم عليهِ ولاسيما بعد الاستعداد لهُ ليس باقل من عدول الافراد في الاشغال الخصوصية ولذلك كثيرًا ما يذهب تعب المقدمين سدى والعدول لا يكون طبعًا الا عن اسباب تدعو المصالح اليها او عن موانع داخلية او خارجية ونظرًا ان اكثار الناس يعلمون بمطالعة الجرائد والكتابات الماضية السياسية والتاريخية غايات دول اوربا ولا سيما بعد سقوط الامبراطورية الفرنساوية ونكتفي بذكر اقسامها للاستغنا عن ذكرها بما عند الناس من المعلومات السياسية في هذا الزمان وهي ثلثة الاول الطمع في الازدياد لاسباب اتفاقية وجغرافية وسياسية وتجارية والثاني المحافظة على الحالة الجارية بقطع الامل من زيادة التقدم والخوف ان يكون الانقلاب علة للخسران او الخراب والثالث المحافظة على الحالة الجارية للتمكن من التاهبات والاستعدادات اللازمة لئلا تسنح الفرص الموافقة على غير استعداد فتذهب سدى ولا بد من ان نرى كلاً من دول اوربا في احدى هذه الحالات الثلث فباختلاف الصوالح تختلف الغايات ومن الدول من لا يناسبها ان تساوي دولة اخرى لئلا يكون مركزها واسطة تزيد قوتها وقد دخلت سنة ١٨٧٦ ودول اوربا على تلك الحال فلا يتيسر لها ان تكون ذات سياسة واحدة فهذا الاختلاف في الصوالح مع التظاهر بالاتفاق او الاجتهاد بالمحافظة عليهِ من اسباب وقوع الريب في السياسة فلا نعلم هل يتيسر ثبوتهُ ولو عرضت امور مهمة او يزول بوقوع اسباب قاطعة لدوام الاتحاد بدون اتفاق الصوالح فاين صالح المجر من صالح روسيا واين صالح النمسا من صالح المانيا ومع ذلك نرى تلك الدول متفقة على المحافظة على السلام في اوربا والظاهر ان مصلحتها السلمية اهم من تلك في الحال فاجمعت على تفضيلها وهذا لا يكفينا لان المحافظة على السلام في اوربا لا تصون كل امها من التعب بدون حرب فان الاتفاق يجعل الكلام نافذًا اكثر ما يجعلهُ كذلك السيف مع الانشقاق اما الشرقيون فدخلوا هذه السنة كما دخلها اكثر اهل العالم بل كلهم بمشقات وضيق وكدر وفي سورية حملوا اليها اثار خسائر الوباء ومع انّا نعلم ان علة فقر الشرق خروج الذهب منهُ وذهابهُ الى اوربا كاثمان دين وثمن مصنوعات لا بد من ان نقول ان كساد بضاعة التجارة اي وقوف دولابها هو بالاشتراك مع اهالي اوربا وامركا وكذلك في مصر وليس السبب واحد في كل البلدان وقد اصبحت الدنيا كبلاد واحدة من جهة العلاقات المتنوعة فاجتماع اسباب كثيرة فيها اثر في كل بلاد منها فجاء بالتاخر الجاري في الاعمال والخسائر المالية فقلت الامنية فازداد الشعور بالضيق والحالة السياسية ليست على ثبات وتاثير ذلك عظيم في جميع الاعمال ولاسيما في الشرق واذا نظرنا الى العالم نظرًا اجماليًا نقول انهُ اذا راقت الاحوال وصفا الفلك بعد تعكره او اذا اضطربت وتكدرت السياسة نرجح انهُ يكون لهذه السنة نهاية اوفق لاهلها من بدايتها اما نحن

فننتظر اصلاحات واهم الاصلاحات ما يصون الفلاحة وحقوق التملك من كل الاسباب المضرة لان بلادنا بلاد زراعيـة ولا سبيل الى اتقان الصناعة فيها اتقانا مهمًا الا بعد اتقان الزراعة وقيام عنصر حب الانشاءات الجديدة عند اصحاب الاموال فالزراعة روح لنا ولمصر وكل اصلاح لا يتصل اليها اتصالاً مهمًا لا يعود على البلاد بالمنافع العظيمة ولا يرقي ثروتها ويوسع تجارتها ومن الموافق جدًا ترغيب اصحاب المال في ابتياع الاراضي وصيانتهم من الدعاوي ولا سيما اذا اشتروا من الحكومة ورفع جميع الاثقال التي لا تسمح بها الدولة العلية عن عاتق الفلاح فيتحول ما بقي من الاموال الى الداخلية فتدب روح جديدة في الزراعة فيرتفع شان البلاد وتزداد ثروتها وبالراحة العمومية والامنية تاخذ الصناعة في الدخول واذا جرى ما قد شاع انه سيجرى من ازدياد الاموال الاميرية على المصنوعات الافرنجية يفتح باب جديد للربح ولا سيما اذا لم تجر الزيادة دفعة واحدة لان الصناعة ليست بموجودة في الحال لتعويض الخسائر فاذا تاكد الناس زيادة الرسم يهتم بعضهم بالصناعة فتنمو بازديادها وتكثر الارباح وعندنا ان تحويل افكار الناس الى هذه الجهة تاتي بعظيم فائدة فانهم لا يتركون الفرص تذهب سدى عند سنوحها ولا نقطع الامل من تحسين حالة الفلاح ولو استمر على ما هو عليه من الجهل والضعف المالي والتاخر الادبي فان تقرير امنية التملك بحسب الاوامر العالية الجديدة يجعل الفلاح جار القوي او فلاحة وذلك ما يسهل اسباب اصلاح احواله والظروف الجاريـة ذات وجهين احدهما موافق لابتياع الاملاك لتدني اسعارها في الحال والاخر يبعد صاحب المال عنها ويحملة على الاصطبار الى ان يتم تقرير الحال والمظنون ان التيقظ يحمل الناس على ان يصبروا ولعل الاصابة في قطع السبيل المتوسط فيبذل شيء معجلاً والشيء الاخر موجلاً وقبل ان تتجه احوال اوروبا السياسية الى جهة دون اخرى لا سبيل الى حمل من كان المال عنده ليس بكثير فضامن من خسارة ولو كانت قليلـة على ان يبذل شيئًا في هذا السبيل اما اهالي اوروبا وجرائدها فقد كثرت تخميناتها وقد كثرت الاشاعات بالاستناد الى تلك الجرائد في نفس الشرق على ان الظاهر انه ما من شيء يدل على قرب وقوع تخميناتها فانها قد خرجت عن سبل الصواب خلا اشهرها واعرفها فان ما يسمى البهاخطاسوبة عدمة بين الناس بين الكتابات القطعية والغير القطعية وبين اراء كتاب مراسليها وارائهـا وبالجملة نقول ان جرائد اوروبا قد اجمعت على انها لا تقدر ان تعلم من الاستقبال ما هو كاف لازالة المخاوف او اثباتها على ان المرجح عندنا انه ما من خوف من امر عام ولا سيما بعد ان تقرر الامور قبل الربيع واذا لم تتقرر ~~قبل اول ابريل او اواخره~~ يكون التخمين حينئذ اسهل وفي الحال الخوف في الاشغال يضر كما يضر شدة الاستئمان

تقرير وزير النمسا

قالت جريدة التيمس ان القرار الذي وضعه الكونت اندراسي وزير النمسا والمجر هو العمل الاول الرسمي الناتج عن اتحاد الامبراطوريات الثلث . فلا بد من ان ينظر العالم اليه بالاهتمام الواجب بالنظر الى سببه ومصدره . وفي السنين الثلث الماضية كما تدعى حينًا بعد حين ربما كان نتجا عن بعض الافتخار الى ملاحظة انشاء سطوة جديدة في اواسط اوروبا . وقد جاء الامبراطورون الثلثة بارض مناسبة لاظهار صداقتهم واركان بعضهم الى البعض الاخر وتصميمهم على ان ينفذوا الامور بالاتفاق . ومنذ برهة

وسبرز قال امبراطور روسيا ان هذا الاتفاق هو متصل بالاتحاد الذي قلب دولة الامبراطور نابوليون الاول . وقد اتحد على اظهار ذلك لاوربا اهل السياسة والمؤرخون والجرائد ولا بد من ان نقول ان الامبراطورين الثلاثة لا يقومون بشروع لا ياتي بنتيجة لان ذلك ينسب الى اختلافهم . ولا بد من مراعاة ذلك عند التامل في القرار الاصلاحي الذي قد شرعت النمسا في القيام به . ولا ريب في ان الامبراطورين ورجال سياستهم الحاذقين يعرفون التاثير الذي يكون لذلك القرار بعد مطل طويل . ومنذ الصيف هيجت ثورة في ولاية من ولايات الممالك العثمانية . وقد ظهر من النمسا في اثنائها ما دل على قلقها الناتج عن مرغوبات ومخاوف وعلى استعدادها لان تقوم بما يطلب اليها ان تقوم به مفضلة ذلك على استمرار ثورة عند حدودها . ولا يخفى ان روسيا اهتمت جدًّا بهذا الامر . واهتمت المانيا بالطبع بارات حليفتيها اهتمامين به . واعلن ان الحكومات الثلاث شرعت في المخابرة وان نتيجتها تبلغ الى الدول الغربية لتكون مشروع تسوية واصلاح ذلك وقد سبق ما يحاكي على انه غير اعتيادي والظاهر ان المقصود الاهم منه اعلان اتحاد الامبراطورين الثلاثة واظهار قيام دول جديدة لها النفوذ الاول في الاحوال الشرقية . ولم يتجاوزوا دائرة حقوقهم في ذلك فان دولتين منها تجاوران الممالك المحروسة كل المجاورة والثالثة صالح صحيح في تقرير حالة ثابتة في شرقي اوربا . وظهر للناس ان قرارهم يكون موافقًا للاحوال التي عرفوها ومؤثرًا في غاياتهم كلها ونشرت اشاعات غريبة جدًّا عن تلك المخابرات . فانه مرت اسابيع وشهر بدون ظهور القرار . فشاعت اخبار كثيرة اهمها انه وقع خلاف عظيم بين روسيا والنمسا ثم قال الناس انه لا يصدر قرار فان الفرمان العالي اغنى عنه . وقد ظهر بطلان ذلك فان الدول الثلاث قد اتفقت وقررت نتيجة لاتفاقها وبلغته الى الدول الغربية طالبة اليها الموافقة عليه . وفي هذه الظروف لا يخطر لنا ببال انها قد وضعت قرارًا غير نافع حال كونها عارفة بانه لا يجدي نفعًا . واذا صح ما توهمه البعض من ان حسد الدول الثلث وغاياتها حذف جوهر القرار فماذا يا ترى يحملها على نشره . اما كانت قادرة على ان تمتنع عن القيام بشيء او ما سنحت لها الفرصة بذلك بواسطة الفرمان العالي . ومن المؤكد ان الدول المشار اليها لا تعلق تصميمها على المخابرة وتبلغ الدول الغربية نتيجتها بدون ان تتفق على الامور الاساسية . انتهى

هذا وقد كثرت الاشاعات هنا اي في سورية وعلى الخصوص في بيروت عما يتضمنه ذلك القرار الذي قد ثبت ان فرنسا قبلت به وقد دخلت البلاد بواسطة الجرائد الاوربية اخبار مختلفة بعيدة عن الصواب وعند كتابة هذه الجملة كان القرار لا يزال مجهولاً فللاراحة بال الاهالي قد وجدنا لزومًا لنشر جملة ظهرت في التيمس نقلاً عن جرائد فرنسا النصف الرسمية وهذه ترجمتها .

ان جريدة التيمس قد نشرت رسالة برقية واردة اليها من باريز ملخصها ان حكومة فرنسا قد اخبرت النمسا انها قبلت كل القبول بقرار الكونت اندراسي فهذا الخبر هو سابق لحدوثه فعلاً . فان المخابرات السياسية المتعلقة بقرار الكونت اندراسي يجري اهمها في الاستانة العلية . وفضلاً عن ذلك نقول ان قرار الكونت اندراسي لا يتعلق الا بالولايات الثائرة ولا يذكر مناظرة سفرا الدول الست في الاستانة على انفاذ الاصلاحات ولم يقرر الكونت اندراسي في الحال شيئًا محدودًا عن المناظرة على انفاذ الاصلاحات . انتهى

وبعد ذلك نشر في الجريدة الرسمية ان فرنسا

قبلت بذلك واعلمت النمسا فالمقصود من نشرتلك الترجمة عن جرائد نصف رسمية فرنساوية اشهار ثلثة أمور وهي ان المخابرة السياسية المتعلقة بقرار الكونت اندراسي وزير النمسا تجري في الاستانة العلية وان ذلك القرار متعلق بالاماكن الثائرة فقط وانه ليس في القرار المذكور شي عن مناظرة السفرا على انفاذه . وذلك خلافًا للاشاعات التي نسمع بها ومن الواجب ان نقول ان الدول تقيم المخابرة في الاستانة العلية مخابرة الباب العالي الذي يكون جريان هذه الامور بعد الحصول على قبوله لها بواسطة المخابرات في الاستانة

الثورة

قد ذكرنا في الجنة بالاختصار ملخص خبر فوز حضرة صاحب الدولة راوف باشا بايصال الزاد الى تكسك او نكشخ ومنازل الحراس في مضيق دوكا الحصين وسمعنا البعض يكذبون بالاستناد الى جرائد اجنبية ما قررناهُ بهذا الشان مع اننا طالما اخبرنا قرا جرائدنا اننا نخبرهم بالحوادث بالاختصار في الجنة ليقفوا على الحقيقة مع قطع النظر عن افكار كتاب الجرائد التي تختلف باختلاف الاراء والاغراض وقد نشرنا في الجنة اخبار كل المعارك التي جرت بالاختصار بحسب الاعلانات الرسمية او ادعاآت العصاة ولاظهار صدق ما اوردناهُ عن المعارك التي جرت عند ايصال الزاد الى تكسك قد خالفنا القاعدة ونشرنا التفصيلات الاتية وهي ترجمة رسالة بعث بها مكاتب التيمس النمساوي الى تلك الجريدة وهي

ان النصر خدم الجنود الشاهانية في المرسك في اواخر سنة ١٨٧٥ فان حملة راوف باشا المتعلقة بايصال الزاد الى تكسك وبيوت الحراس الواقعة في مضيق دوكا الحصين قد صادفت فوزًا تامًا . وكانت حملة ذات حركات عظيمة مركبة صادرة من تراتبه وبلك وبلانا وغاكو واقامت بها كل الجنود التي يتيسر انتقالها في تلك الجهات . وقد علم الناس بعشرين فرقة (طابورًا) مجموعهم تسعة الاف نفس . وراوف باشا نفسهُ سار في اثنتي عشرة فرقة (طابورًا) من تراتبه وكانت الفرق الخارجة من الجهات الاخرى تنضم اليهِ شيئًا فشيئًا . وكان مع الجيش ١٢٠٠ حيوان للاحمال حاملة الزاد اللازم للذين امسوا منقطعين عن المرسك بواسطة مضيق دوكا الصعب . اما العصاة فكانوا ينتظرون تلك الحملة منذ برهة ليست بطويلة فاستعدوا لها فحلوا في كرستك وبلانا وهما مكانان واقعان عند مدخل المضيق الذي طالما انتشبت الحروب في اثناء محاولة المرور فيهِ . وجرى في اثناء هذه الحركات ما طالما يجري في الحركات المركبة ولا سيما اذا اقيم بها في الشتاء فان فرقًا كبيرة لم تنضم الى الجيش في الزمان المعين فحمل العثمانيون بقصد المرور فيهِ فردوا حتى ان قومًا من العصاة تمكنوا من الدخول الى قرية بلاد العثمانية واحرقوا بيوتًا وسلبوا افراسًا وماشية . وفي اثناء ذلك وصلت الفرق المتاخرة وفي اليوم الثاني حمل راوف باشا بجيشهِ على المضيق وفاز بالمرور فيهِ وفي اثناء مسيرهِ ادخل زادًا الى بيوت الحراس الموجودة في المضيق وسار الى تكسك واتاها بالزاد اللازم

اما العصاة فيدعون بانهم كبسوا فانهم لم يكونوا ينتظرون تجديد الحملة بعد الرجوع عن المضيق في المرة الاولى الا بعد برهة وان تاكيدهم ذلك حملهم على ان يتفرقوا حتى ان بعضهم كان قد ابتعد عنهُ اميالًا حال كون راوف باشا كان قد شرع في المرور فلا يتيسر ردهُ بجميع الرجال . فهذا يستغنى التامل على انهُ لا يبين كيفية رجوع راوف باشا قاطعًا ذلك

المضيق بعد ايصال الزاد الى المكان المذكور بدون ان يعارضه العصاة لانهم كانوا قد تمكنوا من الزمان الكافي ليجتمعوا ويمنعوه عن الرجوع صد موخرته . وقد اضطرب معسكر العصاة واي اضطراب من جرى ذلك وتذمر الرجال ولا سيما لانهم كانوا قد احتملوا خسائر كثيرة في اليوم الاول . وعوضاً عن ان ينسبوا نجاح الجنود الشاهانية الى التدبير والعدد نسبوه الى اهمال القائد تروباولوفتش العاصي . وظهر منهم هذه المرة ما كان يظهر في مرات اخرى عند الانكسار فانهم كانوا يصرخون قائلين لقد خانونا اي ان قوادهم قد خانوهم مع ان باولوفتش قد اظهر من الغيرة عليهم منذ البداية ما لم يظهره احد غيره . فمهما كانت الاسباب قد انتفعت الجنود العثمانية جداً مادياً وادبياً . والزاد الذي ادخل الى المكان المذكور كاف لتكفيك وبعوث الحراس المحصورة ولا ينفذ في اشهر فلا خوف من ان تلتزم الجنود العثمانية الموجودة فيها ان تسلم من جرى الجوع للعصاة الذين يحصرونها بعد ان كان تقرر في عقول العصاة انهم سيستلمون تلك الاماكن بعد اسابيع قليلة . فهذه الحركة والهمة والفوز تظهر بان ما نسمعه عن سوء حالة الجنود العثمانية ليس بحسب الواقع ولا بد من ان يكون نصرهم واسطة تبين للعصاة ان قوتهم ليست بالفعل كتعديلهم لها

اما ايطاليا فهي الدولة الاولى التي قبلت حالاً بما قرره وزير النمسا وكذلك فرنسا قبلته قبولاً حسناً على انها لم تبلغ ذلك روسيا وانكلترا قد طلبت بضعة ايام للتأمل .

فرنسا

قد نشرت جريدة الجورنال ارفسيال الفرنساوية الرسمية اعلاناً اصدره المرشال مكماهون رئيس الجمهورية الفرنساوية وهذه ترجمته

من الجمهورية الفرنساوية . ايها الفرنساويون . هذه هي المرة الاولى التي طلبت اليكم بان تقوموا بانتخابات عمومية منذ خمس سنوات . ومنذ خمس سنين كنتم في احتياج الى السلام والراحة . فحصلتم عليها بثمن كثير جداً وانتم في ويلات شديدة واليوم لا تزالون في احتياج الى الراحة والسلام . فاعضاء مجلس الشيوخ (سنا) والنواب الذين تنتخبونهم يكونون ملزومين هم ورئيس الجمهورية بان يفرغوا الجهد في سبيل المحافظة عليها . ومن واجباتنا ايضاً ان ننفذ بخلوص النظامات الاساسية . ولا يحق لاحد غيري ان يطلب تغييرها وذلك الى سنة ١٨٨٠ فالراحة لازمة للبلاد بعد ان وقعت في ما وقعت فيه من الاضطرابات والشقاقات والمصائب وعندي انه لا ينبغي ان تتغير نظامات قبل ان يشتغل فيها بامانة وصداقة . على انه لا يتيسر الشغل فيها بحسب احتياجات سلام فرنسا بدون السياسة المحافظة الحرة فعلاً التي طالما اجتهدت في ان اجعل لها النفوذ فلعضدها استند الى اتحاد الرجال الذين يفضلون الدفاع عن نظام الهيئة الاجتماعية واحترام القوانين وحب الوطن على الاغراض التحزبية والامال والتعهدات المتعلقة بها . فادعوهم جميعاً الى ان ينضموا الى حكومتي ولا بد من ان تصان الحقوق المقدسة التي تبقى وان تقلبت الحكومة والصوالح القانونية التي يفرض على كل حكومة ان تحميها وذلك بواسطة سطوة قوية متمتعة بالاحترام . ومن الواجب اخذ سلاح الذين ربما كانوا يكدرون الراحة في الحال وتضعيف عزم الذين يتهددونها بالحال في الاستقبال بتعاليم مضادة لنظام الهيئة الاجتماعية والانالات ثورة . وفرنسا تعلم انني لم اطلب السطوة التي سلمتني اياها ولا رغبت فيها على انه من الواجب ان تعلم انني ساقوم فيها بدون ضعف . واطلب عون الله تعالى للقيام بالمامورية التي

منلمت اني وثق الامل بالحصول على عضد الامة (الافضلة) المرشال دي مكماهون . دوق دي ماجنت

رئيس الجمهورية الفرنساوية

بوفي نائب رئيس مجلس الشورى وناظر الداخلية

مصر

ان الكثيرين الذين في ايديهم اوراق مالية مصرية في سورية يسرون بمطالعة الرسالة الاتية ترجمتها التي نشرتها جريدة التيمس الواردة اخيراً في بريد برندزي التي تظهر حقيقة الاسباب التي سببت هبوط اسعار قراطيس مصر المالية وهذه هي الترجمة المذكورة

في الاسبوع الماضي شاعت اخبار كثيرة في الاسكندرية غير موافقة عن موسيو كيف ومأموريته حتى قيل انه استعفى من مأموريته بسبب خلاف واقع بينه وبين الحضرة الخديوية السنية . فالاشاعات التي لا تضبطها جرائد حرة لا يعتد بها ولذلك لم اذكرها في تحريري الاخير . وقد كثرت تلك الاشاعات حتى اثرت في المالية المصرية في اسواق اسكندرية المالية وقد وردت رسالة برقية من شركة روترو فيها ان ذلك قد وصل الى انكلترا وقد راى مستر روجرز وكيل الحضرة الخديوية في لوندرا وجوب تكذيبها وقد اصاب بما قال من انه لا صحة لها . فانه لم يقع نزاع بين الجناب الخديوي ومستر كايف . غير انه لا يرى دخان بدون ان يكون صادرا عن نار فانه لا ريب في وقوع صعوبة ليس من جرى تمنع الحضرة الخديوية عن تقديم الافادات اللازمة ولكن من جرى ترك حكومة انكلترا توضيح تحديد المقصد من تلك المأمورية قبل وصولها . اما الان فلم يبق شيء من تلك الصعوبة . وقد شرع مستر كايف واعوانه في ان يشتغلوا بجد وكد والظاهر من كل الادلة الحاضرة ان اتعابهم ستاتي بنتائج مرضية . ومن اصح البراهين التي تبين ان الجناب الخديوي المعظم ينتظر المساعدة من انكلترا استمراره على ان يطالب بالحاح ارسال رجلين اخرين من نظارة مالية انكلترا ليسعفاه في تنظيم احوال المالية . لان موسيو كايف لا يقدر ان يقوم بالمساعدة الدائمة المطلوبة لانه مامور مخصوص ولكنه سيشور بماذا ينبغي ان يقام به وترك انفاذ مشورته للذين يبقون . وسيزداد اركان الجمهور اذا سلمت ادارات مالية في نظارة مصر المالية الى رجلين عارفين بالاحوال من الانكليز

ذكر في روضة الاخبار

نشر بالجورنال الفرنساوي المنشور بثغر الاسكندرية باسم (الوفارد الكسندري) بتاريخ يوم الثلاثا الماضي ١١ شهر يناير سنة ١٨٧٦ (١٤ ذي الحجة الحاضر) بناء على ما ورد اليه من طرف مراسليه بمينا مصوع من الاخباريات الخصوصية ما نص ترجمته بعد باللغة العربية

قد كنا اخبرنا في بعض اعداد جريدتنا هذه السابقة بناء على ما ورد الينا من طرف مراسلنا بمينا مصوع انه خلافاً لما كان قد شاع في هذه الايام الاخيرة من الاقاويل المتداولة بين الناس لم تقع ملاقاة حربية بين الجنود المصرية والحبشية لان الامر الصادر من لدن الحكومة المصرية العليا للجنود المصريين المعسكرين الان بضواحي مدينة مصوع ومن اللزوم ان يكونوا هم البادئين بالهجوم على معسكر الملك كاسه يقتضي ان لا يشرعوا في السير المتوجه الى محل مأموريتهم الا من بعد تمام ايام عيد الاضحية وطبقاً لما ذكرناه انفاً ها هو قد ورد الينا الخبر من طرف مراسلنا بمينا مصوع في يوم تاريخه مصرحاً بان الجنود المصرية المعسكرة بضواحي مدينة مصوع قد اخذت في السير

في صبيحة يوم الاثنين امس تاريخهِ متوجهة الى داخل بلاد الحبشة

وفي الجرنال المذكور ايضاً ما ملخصهُ

انهُ في صبيحة يوم تاريخهِ قام من ثغر الاسكندرية سعادة احمد طلعة باشا كاتب سر الحضرة الخديوية متوجهاً الى الاستانة العلية على الباخرة المسماة باسم (الفيوم) لقصد اداء واجب مأمورية خصوصية احيلت لعهدة حضرتهِ من لدن الحضرة الخديوية فيما يتعلق بمصلحة عائلة المرحوم مصطفى فاضل باشا اخي الذات الداورية

خطاب امبراطور المانيا

قد نشرنا في الجنة ملخص الخطاب الذي خطبهُ حضرة امبراطور المانيا في اليوم الاول من السنة الجارية حين قابل القواد الذين جاؤا ليهنئوهُ بدخول العيد وناب عنهم بذلك الفلد مارشال فون رانجل فاجاب الامبراطور بخطاب وهذه هي ترجمتهُ

انني اشكرك بالكلام الذي بلغتني اياهُ بالاصالة عن نفسك وبالوكالة عن جميع القواد الحاضرين هنا للقيام بتهاني السنة الجديدة واري في ذلك تجديد تأكيد عواطف طالما اتيتم بالبرهان عليها بواسطة اعمالكم . فيا ايها الفلد مارشال العزيز انك تمنيت لي طول البقاء ولذلك حرضتني على ان اقتدي بك فاذا وهبني الله سبحانهُ وتعالى ما تمنيتهُ لي وحفظني متمتعاً بالصحة والقوة لانتظر وقوعي في كلال يعوق قيامي بواجباتي . هذا وانني افتخر بما اكدتموهُ من انكم ستعضدوني في الاستقبال كما عضدتموني في الماضي

اوربا

قالت جريدة التيمس ان السنة الجديدة قد دخلت والحال اوربا في راحة تامة حتى انهُ لو امكن قطع النظر عن بعض الحوادث الشرقية لظهر لنا ان اوربا في سلام تام . فاننا لا نرى رسالات مقلقة صادرة من برلين ولا من مدريد ولا من باريز وفض مجلس نواب فرنسا فضاً نهائياً ختام حوادث مهيجة . وقد قال حضرة امبراطور المانيا مجاوباً قوادهُ على تهانيهم انهُ اذا عاش قدر الفلد مارشال رانجل الذي قام بالنيابة عن القواد بتبليغ تلك التهاني يعلق املهُ بالقيام بما تدعوهُ واجباتهُ الى القيام بهِ . ولا ريب في ذلك ولا سيما اذا كان من الامور المتعلقة بالجيش وبالنظر الى بعض امور لا بد من ان يكون ذلك من اهم الاشغال في المانيا مدة ليست بقصيرة . وعادات العائلة الهوهنزلرية والامرا البروسيان ما يضمن عدم وقوع اهمال في ذلك الباب على انهُ ليس بمؤكد بان الاهتمام بواجبات السلام يكون قدر الاهتمام بها . والمانيا في احتياج الى امور كثيرة لتساوي امماً اصغر منها واقل تقدماً في متعلقات الادارة المحلية . اما ما اظهرهُ حضرة ملك اسبانيا في افتتاح السنة الجديدة فهو مرضٍ ولا نظن ان رسالة ملكية تكون اوفق منها في بلاد ظروفها كظروف اسبانيا وقد تقرر ان يصير جمع المجلس العالي و ٢٠ كانون الثاني (جانيوري) قد عين لانتخاب النواب . وربما كان يحق لنا ان نومل بانهُ سيسعف الحكومة في قطع اسباب المناظرات المضرة والمغايرات واسباب الحسد الشخصي فان هذه هي وسائط اطالة زمان الحرب الكارلوسية ولسوء الحظ قد صدر اعلان ملكي اخير يبين ان ما يتمتع من اسبانيا براحة السلام لا يزال بعيداً عن الاتحاد فانهُ قد تقرر الحاق قصاص مخصوص بالجرائد التي تطعن بالملك او العائلة المالكة او نظام الحكومة الاساسي . واذا قلنا ان اسبانيا فازت باخماد نيران الثورة الكارلوسية يبقى فيها الجمهوريون واحزاب الدول الكثيرة التي قامت فيها لالقاء الشقاق الداخلي

وصدر ذلك اصدقا الملك الفونسو والملكة ايزابلا ولا سيما اولئك القواد السياسيون الذين فازوا بالسطوة في حروب اهلية طويلة ولا يرون في السلام اسباب الامتياز

اما باريز فلم يصدر منها اعلان سياسي فات المارشال مكماهون مخلص بحسن الحظ من ذلك الطمع الذي كان يجعل الامبراطور نابوليون الثالث يخصص بالاعتناء اليوم الاول من السنة لاظهار شيء كثيرًا ما كان ذا اهمية لبلاغة لسفرا الدول عند مقابلتهم في ذلك اليوم . وقد اصاب رئيس جمهورية فرنسا بمحافظته على الصمت السياسي لانه لا يقال ان لفرنسا سياسة اجنبية في الحال فانها اخذة في الرجوع شيئًا فشيئًا الى ما كان لها من السطوة والنفوذ قبل الحرب الاخيرة . ولو تكلم المارشال لتكلم عن مجلس نواب فرنسا لانه يكاد يكون غير موجود . وقد زال من الدنيا بعد ان عاش عيشة مهيجة مقلقة وزال بهدو فلم تظهر اهمية لزواله . مع انه بالفعل مهم جدًا . وربما كان لا يحق له ان يحسب من المجالس العالية التي نظمت اعظم الثورات السياسية لانه لم يات بخراب كاف لذلك ولا بعمران عظيم . فان مناظرهُ كانت منشقة فلم يتيسر له ان يترك في تاريخ العالم اثرًا كالاثر الذي تركته مجالس اخرى فرنساوية . وكان انشقاقه مراقًا بالريب فانه كثيرًا ما كان يبيت لا يعلم ماذا يناسب حالته . وكثيرًا ما خافت الاحزاب المتناظرة من ان تبين اراءها بوضوح واختاروا بلوغ مقاصدهم باجراآت لا تدل ظواهرها عليها حتى ان اضدادهم السياسيون سموها بمؤامرات . ومن احزابه من اتهم بالتظاهر بالاعتدال رياء لينخدع الامة ويقوم بكمون اخر بوسائط ظواهرها سلمية . وبالجملة نقول ان كلاً من حزبين في مجلس النواب قد اجهد نفسه في سبيل سبق الحزب الاخر . وعلم فوز الملكيين ليس هو نتيجة تقصيرات احزابها في المجلس او جهلهم بان المحاربات التحزبية لم تجر في مكان بحذق يفوق الحذق الذي اجريت به في فرنسا . ولا نعدل اذا لمنا مجلس النواب لا تكالاً على التصدمات السياسية اكثر من اتكاله على المحاربات الظاهرة لانه كان يشخص انشقاقات الامة . وظهر به تلك الاختلافات والتحزبات والمناظرة الكثيرة التي كانت موجودة في الامبراطورية ومغطاة بسطح ظاهرهُ سكينة وفي السنين التي ظهر الاتحاد في فرنسا لان الشقاق كان ممنوعًا عن التظاهر والتشكي غير مسموح بظهوره كان الملكيون الاورليانيون والجمهوريون يستعدون للتخلص . ولم يكونوا يرضون بان يتفقوا مع الامبراطوريين ولا ان يتفق بعضهم مع البعض الاخر . وكانت قواعدهم ذات ضبط ولما سقطت الامبراطورية تركت احزابًا متحاربة . حال كون كل منها اقلية نشيطة تطمع في الحصول على مطلوبها . وكان اكثر الاهالي مستعدين لان يطيعوا الحزب الذي يظهر من القوة ما يزيد عن قوة الاحزاب الاخرى ويؤسس حكومة قوية ثابتة . ولذلك اخذت الاحزاب في ان تتناظر في طلب القبض على ازمة الامور فانه تقرر عند كل حزب انه اذا فاز ترتضي الامة به . حتى ان الملكيين الغير المعتدلين تقرر في عقولهم ان الامة تبادر بسرور الى ملكها القانوني عندما ترى منافع ملكيته وثبوتها . وكان مجلس النواب يعامل الامة كانها غضار يمكن صنعه اناء بحسب المرغوب فيه فقطع النواب النظر عن ميل منتخبيهم قطعًا لا يتيسر ان يقوم به احد في بلادنا . اما الاجتهادات الكثيرة التي صرفت في سبيل ضم الملكيين الغير المعتدلين الى المعتدلين وفي ارجاع الكونت دي شامبور وعناده الناتج عن ثبات عظيم ووقوع الابتعاد بين حزبي الملكية وازدياد قوة الامبراطوريين وتقربه الجمهورية تقربًا نظاميًا

باراء رجال يكرهونها من اغرب الحوادث التاريخية التي تتعلق بمجالس النواب حتى بمجالس نواب فرنسا

وما من شيء يختلف عن مجالس النواب التي قلبت الملكية القديمة لانشا الجمهورية كهذه المجالس فانها علمت ماذا ينبغي ان تفعل واقامت به بثبات وعزم تخيف وتخيب امال اولئك المتعصبين بالسياسة اذا ثبتت الجمهورية فانها اقيمت باراء مجالس نواب من مقاصدها ترجيع الملكية غير انه لم يقدر على ذلك ٠ وقد خطب الدوق دودفري باسكيه خطابا وداعيا وقال ان شيئا واحدا تغلب على كل اماله وتغير ارائه هو حب الوطن ٠ غير ان من الناس من يرى غير ذلك ويقول ان حب الوطن ليس هو الذي حمل الملكيين الغير المعتدلين والملكيين الاورليانيين او المعتدلين على ان يقيموا حكومة لم يجعلوا هيئتها ولكن اختلافهم هو سبب ذلك فانهم لم يتفقوا على هيئة الحكومة ٠ ومع ذلك ربما كان يحق لمجلس نواب فرنسا بان يكون له مركز اعظم من مراكز جميع مجالس نواب تلك البلاد بعد الثورة ٠ فان عشرين سنة من ادارة ظالمة وبضعة اشهر انقضت بحرب عظيمة جعلت مجلس نواب فرنسا مشغلا بصعوبات لا يقدر الانكليز ان يدركوها بالاختبار وبالجملة نقول انه قد اقام بواجباته حق القيام ٠ فانه التزم بعقد الصلح وبدفع غرامة عظيمة للفاتح ٠ ولا بد من ان يشترك مجلس النواب مع موسيو تيرس بالمدح من جرى القيام بدفع مبلغ لم تدفع امة غرامة قدره وذلك في زمان قصير حتى ان الذي يسمع به يصعب عليه تصديق امكانية القيام بذلك ٠ والتزم بان يسعفه في اخماد نيران ثورة اهلية لو فازت لامست فرنسا خاضعة لاوباشها ٠ والتزم بان ينظم الجيش وقد ظهر فيه ما يدل على نفوذ بعض ذلك النظام بنشاط الضباط وانتظام الجنود

والتزم ذلك المجلس بان يحمل الامة اموالا اميرية لم تحملها امة في زمان السلام ٠ على ان اهم اشغاله هو انشا حكومة قادرة ان تخلص فرنسا من الظلم والثورات ٠ ولم يظهر ذلك الى الان ٠ فاذا كانت قد فازت به ينبغي ان ينسى الفرنساويون اضطرابات مجلس النواب ٠ لا بل من الواجب ان تنسى كل شيء فانها لا تخسر اذا دفعت مهما دفعت لتنجو من الثورات والحكومة العسكرية ولذلك نقول ان الاتراس واللوين والخمسة مايارات ليست بكثيرة اذا فازت بالحكومة الموافقة التي ترغب فيها للفوز بمصالحها ٠ غير انه لا يصيب من يبني امالا كهذه الامال ما دامت فرنسا في احتياج الى عناصر الاتحاد الوطني الاساسية ٠ فاذا طال زمان النظام الجاري او قصر يلزم ان نتذكر مجلس النواب لانه قد حوى قسما عظيما من احذق اهالي فرنسا من اشهر الكتاب والحكما والعارفين بالقوانين والنظامات ورجال السياسة ٠ اما الكتابات فقد لحق ضرر بها لان حوادث مجلس النواب في فرساليا تشغل اهل المعارف غير انه لو كان ذلك هنا الخطر لم يبال ان يخرجوا من مكاتبهم ويتركوا تاليفهم ليشتغلوا بمجلس العموم ٠ ولم يات المجلس الفرنساوي باقتدار سياسي نافذ ٠ وموسيو تيرس ليس له مثيل في اعماله على انه من اهل قرن اخر ولا يقدر ان يخدم غير ايام قليلة ٠ اما تدبيرات الدوق دي بروليي السياسية فقد ظهر فيها فشل مكرر ٠ ومن الذين لا يزالون في الشبوبية موسيو كامبتا وحده هو الذي يظهر منه ما يدل على انه ذو اقتدار اولي ٠ وعند سائر النواب علوم كثيرة وتهذيب وضبط وفصاحة وما من مجلس نواب في العالم اغنى في ذلك من مجلس نواب فرنسا غير ان فرنسا تحتاج الى روساء عظام ولم يات بهم المجلس الذي قد مات في خبر كان

المالية

ان الجملة الاتية مترجمة عن جريدة الفيننسار الانكليزية اي الجريدة المالية وفيها حوادث سنة ١٨٧٥ المالية وهي مهمة ومطالعتها كلها مفيدة لكل من يتعاطى الاشتغال وتظهر بتاريخ الماضي ما ربما كان ينتظر في الاستقبال

اننا اذا نظرنا الى ما جرى من الحوادث المالية والتجارية في السنة الماضية نرى انها تبين ان اصحاب المالية والتجارة قد راوا لزوماً عظيماً للتيقظ والتاني . ونرى ايضاً اثباتاً للناموس العام ان المال يميل الى الانصال الى درجة تفوق درجة استخدامه بامان اي ان المال يبيت اكثر من اسباب الانتفاع به باستئمان . وفضلاً عن ذلك قد قلت اسباب استخدامه بالمخاطرات المالية والتجارية التي حدثت في تلك السنة . اما اشغالنا المالية في بلادنا (اي انكلترا) فاحوالها جيدة خلا اعمال ضيقة الدائرة متعلقة بفحم الحجر والحديد . وقراطيس الحكومة المالية وقراطيس الاخرى المتعلقة بالحكومة قد تقدمت قليلاً ووصلت الى درجة عالية بالنظر الى دخلها السنوي . وتقرير نظام دفع شيء في اوقات معينة من اصل الدين قد اثر بعض التاثير وفي الحال تاثيره قليل غير ان مشترى القراطيس المالية في لازمنة طويلة وبعد تسع سنوات يستحق بعض المعينات فيرتفع سعر القراطيس . وفي هذه السنة قد ازدادت قروض المستعمرات الانكليزية ومع ذلك قد ارتفعت اسعار قراطيسها المالية حتى زادت اسعارها عن الثمن الاصلي ويمكن ان تنتهي بذلك السعر . وقد ظهر فعلاً ان الامنية المالية في مستعمراتنا اخذة في الوصول الى درجة ما من درجة اعلى منها خلا قراطيس الحكومة المركزية

اما اسهم الطرق الحديدة فهي اهم اعمال اسواقنا المالية والذين لهم اموال فيها اجمالاً قد استنتجوا في السنة الماضية ما يحملهم على ان يهنئوا انفسهم بالنجاح والظاهر ان اختبارات السنة السابقة قد غيرت الاراء القلبية التي قررت في عقول الانكليز ان ٥ في المائة في القراطيس الداخلية من حقوق كل من يشتري القراطيس من الانكليز . فانه قد ظهر بهذه السنة بوضوح انه لا يتيسر الان الحصول على ذلك الفائض وان كانت الاوراق من اوراق طرق حديدية اعتيادية ما لم تكن احوالها تبين ان مستقبلها ليس بسليم العاقبة . وما تقرر في عقول الناس من ميل حصصهم الى الارتفاع قد زاد اسعار قراطيس الطرق الحديدية وقد ارتفع بعضها ارتفاعاً غير معتدل بسبب كثرة اشغالها في زمان بردت فيه الاعمال . ولا يتيسر الحصول على اوراق لها فائض يزيد عن الاربعة في المائة الا بعد اتعاب كثيرة . وهذا خلاف ما كان يجري منذ سنة مع ان الناس كانوا يظنون ان اسعارها كانت مرتفعة

اما الاسواق الاجنبية فالاحوال فيها اخفا لنتيجتنا لاحوال اسواقنا الانكليزية وقد جر الزمان مصيبة فوق مصيبة والقاها على الذين في ايديهم قراطيس مالية كتلك القراطيس . وفي بداية السنة ظهر عجز دول عن القيام بدفع المستحق . ولم تكن قليلة غير ان اهميتها ربما كانت دون الاهمية التي توهمها بعض اصحاب الاشغال المالية . واستحسن مجلس انكلترا العالي ان يبحث في اصل بعض قروض عقدت باسم دول مجهولة الاحوال في امركا الجنوبية ونتج عن ذلك تعيين عمدة السار هنري جيمس الباحثة المشهورة . وظهرت بواسطتها امور اجفل الناس بها ولاسيما الذين يجهلون الامور ويصدقون ما يسمعون بسرعة حتى انهم حملوا خسائر عادت بالنفع على الذين اصدروا تلك القروض . ونتج عن ذلك هبوط عظيم في قراطيس تلك الدول . واخذ الناس في ان يتنحى

بعضهم البعض الاخر ووقع خسارة عظيمة عليهم عادت بالفائدة على اصحاب تلك الاشغال لانهم امنوا لا يسرفون اموالهم في سبيل قروض دول مجهولة الاحوال وفي اثناء ذلك انتشر خبر لم يكن منتظرًا . فانه اضرمت نار فتنة في الهرسك كالفتن التي طالما استظهرت عليها الدولة العلية . ولم يهتم الناس بها عظيم اهتمام في الدوائر المالية . وفي اواخر تشرين الاول (اوكتوبر) اخذت تشيع الاخبار المتعلقة بظهور عجز مالي . على ان ذلك كان كسائر الاشاعات التي كانت تشيع عند حلول استحقاقات ولذلك لم تؤثر عظيم تاثير في اسواق المالية . وكان الناس يقولون انه ربما كانت الثورة قوية وامرها لا ينفض ببرهة قصيرة على ان الدولة العلية طالما دفعت الاستحقاقات فلا بد من ان تدفعها هذه المرة كما دفعتها قبلًا . على انه ظهر بغتة اعلان رسمي مالة ان الباب العالي لا يدفع غير نصف الفائض والمستحق ويصدر بالنصف الموجل اوراق مالية ذات فائض ٥ في المائة تدفع عندما يتيسر دفعها ولا يلزم ان نعيد ذكر هذه الحوادث لانها قريبة . ولسوء الحظ لم يتفق كل اصحاب القراطيس العثمانية على امر يطلبوه ونتج عن ذلك الاضطراب الحالي

ولم تتم مصائب الذين لهم اموال في قراطيس اجنبية فان الاتفاق المعقود مع محل دريفوز لقيام قروض بيرو انتهى في تموز (جوليه) الماضي وبعد ذلك بزمان قصير اخذت الاشاعات الكثيرة المتناقضة في ان تشيع وهي متعلقة بالدفع في المستقبل وفي نهاية الامر بعد ان شاع ما حمل الناس على ان يعلقوا املهم بتجديد ذلك الاتفاق بلغ القوم انقطاع المخابرات بهذا الشان وان استحقاقات كانون الثاني (جانيوري) لا تدفع ولذلك لا نتردد عن ان نضم دولة بيرو الى الدول التي لم تدفع المستحق عليها سنة ١٨٧٥ . ولا ينبغي ان نشغل انفسنا في ذكر ملايين اروكواي بذكر مئات ملايين الدولة العلية وبيرو ومع ذلك لا بد من ان يكون لها حساب

وهكذا نرى ان اصحاب القراطيس المالية الاجنبية لم يصادفوا نجاحًا في السنة الماضية خلا اصحاب قراطيس مالية الولايات المتحدة الامركانية . فان حكومتها اقامت بدفع كل استحقاقاتها باوقاتها ودفعت قسمًا من اصل الدين مع ان التجارة فيها بانت في تاخر منذ زمان طويل ولم يظهر ما يدل على زوال تاخرها الا منذ برهة قصيرة . وا ظنون انها تقدر ان تحصل على قروض فائضها ٤٫٥ في المائة او ٤ فنظرًا لنجاح الحكومة المالي ظهر نجاح اكثر اسهم الطرق الحديدية

اما التجار فقليل منهم يقدر ان يرى بار تقضاء ميزانية سنة ١٨٧٥ . فان هبوط الاسعار المالية في السنين السابقة قد جاءت بما ثيرا بوسنة ١٨٧٥ ونتج عن ذلك افلاس عظيم مهم . وتجارتنا الصادرة قد قلت لانه لا توجد اموال للتشغيل في الخارج لان البلدان الاجنبية امست لا تقدر ان تستخدم الكميات الوافرة التي بعثنا بها اليها في السنين السابقة بالتعيم او بالمشروعات . وربما كان الذين في ايديهم قراطيس مالية لا نفع بها يرون بسكية وركود وقوف دولاب الاشغال التي اناموا بدفع مصاريفها . وفضلًا عن ذلك قد راى كثيرون من اصحاب المشروعات عندنا والمعامل ان ابطال اشغالهم اوفق من دوامها بالخسارة لان الفعلة يطلبون على الدوام زيادة في الاجرة ويمتنعون عن الشغل للحصول على المطلوب . فهذه حالة ناتجة عن انتقال في الاشغال سببها هبوط الاسعار هبوطًا غير معتدل . وقد راينا ما يدل على ان الاحوال التجارية آخذة في ان تستقر على حال ثابتة ولو كانت غير متسعة الدائرة كدائرة الاشغال في السنين المتاخرة

مجلس نواب فرنسا

ان جميع قراء جرائدنا يتذكرون شيئاً من تاريخ مجلس نواب فرنسا وانهُ اجتمع ليقرر معاهدة الصلح بين فرنسا والمانيا وبعد اجتماعهِ امتنع عن ان ينفض مع ان الجمهوريين افرغوا جهدهم في سبيل حملهِ على ذلك لان اكثريتهُ ملكية حال كون الظاهر ان اكثرية الامة الفرنساوية جمهورية واستمر مجتمعاً الى اليوم الاخير من السنة الماضية بعد ان قرر بنوداً مهمة قد ذكرنا بعضها بالاختصار متعلقة بنفضهِ بنفسهِ و بانتخاب مجلس الشيوخ (سنا) ومجلس نواب لخلفهِ. والامور التي قررها وهي اولاً ان يجتمع اعضا مجالس البلدية في ١٦ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٦ ليعينوا وكلا لانتخاب اعضاء لمجلس الشيوخ بموجب المادة الثانية وما يتبعها من نظام ٢ اب (اغسطوس) سنة ١٨٧٥. ثانياً ان يجتمع الذين يفوض اليهم انتخاب اعضا مجلس الشيوخ في مركز كل ولاية في ٣٠ كانون الثاني (جانيوري) ثالثاً ان يجتمع الذين ينتخبون نواباً لمجلس نواب فرنسا الجديد بحسب النظام المقرر حديثاً في ٢٠ شباط (ففريه) سنة ١٨٧٦. رابعاً تقرير نظام انتخاب النواب للمجلس الجديد. خامساً تعيين زمان اجتماع مجلس فرنسا الجديد العالي وهو مجلس الشيوخ ومجلس النواب في ٨ اذار (مارس) سنة ١٨٧٦. ومن اهم الاعمال التي قررها هذا المجلس اثبات الحكومة العسكرية في باريز وفرساليا وليون ومرسيليا

نظام الانتخابات

قد نشرنا ملخص هذا النظام في الجنة وقد رايناهُ في الليفانت هرالد مترجماً الى الانكليزية عن ترجمة فرنساوية رسمية فترجمناهُ عنها ونشرناهُ في الجنان ليبقى محفوظاً فيهِ. وهذه هي الترجمة

انهُ بموجب الفرمان العالي الذي صدر موخراً قد فوض رعايا الدولة العلية من جميع الاصناف بان ينتخبوا بارادتهم المطلقة وبدون الخضوع لسطوة ادارية اعضا المجالس في الولايات. فهذا الحق الانتخابي الممنوح لهم في ما يتعلق بانتخاب مجالس الاستئناف في الولايات ومجالس التمييز في السناجق ومجالس الدعاوي والادارة في القضاءات يجرى بموجب المواد الاتية

المادة الاولى. يكون كل من ادرك العشرين من اهالي الولايات من كل الاصناف من المنتخبين. ومن الواجب ان يختار الاهالي رجالاً من اصحاب الاركان لينتخبوا اعضاء للمجالس

المادة الثانية. لا بد من ان يكون المنتخبون حاصلين على الشروط الاتية وهي اولاً ان يكونوا قد ادركوا ٢٥ من السن. ثانياً ان يكونوا من الذين لم يحكم عليهم جنائياً. ثالثاً ان يكونوا من الذين لم يظلموا احداً. رابعاً ان لا تكون لهم علاقة شخصية مع الذين يكونون موضوعاً للانتخاب للعضوية

المادة الثالثة. ان الذين صفاتهم موافقة لما ذكر في المادة السابقة حال كونهم عارفين بالامور وقد بلغوا سن الثلاثين يصلحون لان يكونوا موضوعاً للانتخاب

المادة الرابعة. ان القرى والارباع الواقعة ضمن حدود القضا حال كونها محتوية على مائتي بيت او اكثر تكون دائرة انتخابية في اثناء القيام بالانتخابات. فهذه الدوائر والارباع مراكز القضا ان يعين كل منها منتخبين فيجتمع المنتخبون في الدوائر والارباع في مراكز القضا لينتخبوا اعضاء عددهم ضعف عدد المعين لمجلس دعاوي القضا ومجلس ادارتهِ. فنصف الذين ينتخبون تختارهم الحكومة ليكونوا اعضاء لمجلس الادارة ومجلس الدعاوي

المادة الخامسة. وبعد اتمام الانتخابات في القضاآت يبادر الذين أُنتخبوا لمجالس الادارة والدعاوي في القضا لانهم بالطبع يخصون الاهالي الى الذهاب الى مراكز السناجق التي هم منها لينتخبوا مجالس الادارة والتمييز فيها . واذا شاء البعض ان لا يذهبوا الى الى المركز يقدرون ان يوكلوا من يركنون اليه منهم . على انهُ من المهم ان لا يكون الذين يذهبون الى السنجق للانتخاب واحدًا او اثنين فقط . فكل منتخبي كل قضاء يجتمعون وينتخبون ضعف العدد اللازم لمجلس الادارة ومجلس التمييز مع قطع النظر عن سطوة الحكومة المحلية ومداخلتها . فيختار الوالي نصف الاعضاء الذين انتخبوا ليكونوا اعضا مجالس الالوية

المادة السادسة . فالذين انتخبوا ليكونوا اعضا مجالس السناجق يذهبون الى مراكز الولايات بصفة وكلا الاهالي وياخذون في انتخاب نصف الاعضاء اللازمين لمجلس الاستئناف (الظاهر انهُ مجلس تمييز الولاية) ومجلس الادارة وذلك مع قطع النظر عن سطوة الوالي او مداخلاتهِ او مداخلات مامور من ماموري الولاية . وبحسب النظام المذكور في المواد السابقة يعين الوالي نصف الذين انتخبوا لعضوية مجلسي الولاية وذلك بمصادقة الباب العالي

المادة السابعة . انهُ ليس من المحتوم ان يكون الذين ينتخبون لعضوية مجالس مراكز السناجق والولايات من اعيان تلك المراكز فانهُ يصح ان ينتخب من اهالي القضا اعضا للسناجق ومن اهالي السناجق لمجالس الولايات ويصح ايضًا انتخاب منتخبي القرى اعضاء للقضاآت بشرط ان يكونوا متصفين بكل الصفات اللازمة

المادة الثامنة . انهُ ينبغي ان تبقى المساواة من جهة عدد اعضاء المجالس . وسيضاف عضو واحد الى الاعضا الثلثة في مجلس الدعاوي في القضا . ويكون نصف هولاء الاعضا من الاسلام والنصف الاخر من الغير المسلمين وينتخبون من كل ملة بحسب عددها واذا كانت الملل اكثر من ثلث في مكان واحد تقوم كل منها بتقديم ما يخصها من الاعضاء لسنة واحدة

محبة الوطن

(من قلم ملحم افندي شكور بجروفها)

طالما قرانا هذه الجملة وطالما تفوهنا بها وطالما جعلها كثيرون موضوعًا خصوصيًا والبعض عدها جملة منزلة . وكلٌّ فسرها بحسب ظروف حالهِ ومكانهِ . وكل ذي عقل بصير يعلم بان عليها مركز ما لك وبها تشيدت بلدان وارتفعت امم وترقى اشخاص الى اعلى درجة بالنسبة الى الهيئة الاجتماعية . والعكس بالعكس . ولا يخفى انها مركبة من كلمتين عليهما يتوقف مدار هيئتنا الاجتماعية . فالاولى تظهر صفات الخالق سبحانهُ وتعالى واهتمامهُ بعالمنا هذا كونهُ احب الانسان حتى جعلهُ مميزًا عن باقي مخلوقاتهِ بكامل صفاتهِ البشرية وغرس فيهِ هذه الصفة المركزية والابتدائية لكل فكر وعمل وحركة عناها . ولاهميتها عند الخالق عزَّ وجل جعلها مشتركة ما بين كل مخلوق خلقهُ بعضها ظاهر للعيان وبعضها مستتر وقرينة الاحوال تظهرها . ولا يمكننا ننكر بانها مبدا ضروري لعالمنا هذا باي وجهٍ من الوجوه . والقضية الواضحة لا يلزم لها زيادة ايضاح

والثانية التي هي الوطن كلمة حاوية معنى ثابتًا في ذاتهِ وبدونها ليس موجودًا الان كل موجود لا بد لهُ من اشغال حيز (دعهُ يكون كيف كان) واي موجود لا يحافظ على حيزهِ . وحيث الجنس البشري من الموجود فلزم لهُ حيزٌ وهذا الحيز هو الذي ندعوه وطنًا هنا . فحيث الامر كذلك صار العمل بهذه الجملة من لزوم الضروريات لكل جنس ونوع وعدم الامتثال لها يعد عدمًا والعدم لا يعول عليهِ

فلنضرب الان صفحًا عن العدم لانها اسم بدون مسمى ونتقدم الى العمل نفسهِ الذي هو ضروري لازم لكل موجود وخصوصًا لشرقنا الذي اهمل هذه الواجبات اهمالاً زايدًا . مع اننا اذا رجعنا الى ما وراء من تاريخ سلفائنا لاتضح لنا عظم قدر هذه الجملة عندهم التي اتخذوها مركزًا حقيقيًا لكل مشروعاتهم المادية والادبية . وهكذا اذا اخذنا تعداد الامم والقبائل والممالك والافراد الذين كانت محبة الوطن ديدنهم للزم لنا مجلدات لشرح ما اشتهروا بهِ الذي لم يكن الا نتيجة محبتهم لوطنهم . الا اننا نقتصر ونوجه افكارنا الى حالتنا الراهنة المحزنة . لان اهم شيء للانسان حاضرهُ

وكل من امعن ودقق نظرهُ باحوتة هذه الجملة (التي يجب لكل امة كتابتها باحرف ذهبية) لتراءى لهُ افكار وواجبات ذات اهمية اصبحت عندنا نحن الشرقيين في خبر كان . وكيف يا ترى يقوم دين او سياسة او معارف وآداب او كيف تترتب ممالك بدون محبة الوطن وبالاجمال هي مركز هذه جميعها ، وقد راينا بانها غرست باول انسان خلق على وجه كرتنا الارضية

وكل من طالع تاريخًا عرف الاضرار التي حصلت للممالك التي خالفت قوانين هذه المحبة وكيف اضحت معارفهم وآدابهم . فلناخذ لنا مثلاً امتنا الطورانية والامة الرومانية وما شابهها من الممالك الساقطة التي لم يصبها ما اصابها الا لحيادانها عن شروط محبة الوطن وسقوطها عندهم

وها قد صار يضرب فينا المثل عند الامم والقبائل المتمدنة لرفضنا قوانين ما قد حوته هذه العبارة الجليلة القدر وما ذلك الا من تكاثر محبة الذات فينا افرادًا واعراضنا عن خير العموم لان كل فرد منا يسعى لتثبيت آرائهِ واسعًا لهُ على صوالحهِ الخصوصية ضاربًا صفحًا عما بهِ خير لوطنهِ

وقد اخذ عكسها فينا كل ماخذ حتى صار من فينا يفتخر برفض دين تدينهُ تاركًا وراء ظهرهِ مبدأ علتهِ وسبب وجودهِ . متقلدًا باوباش الغرباء الذين ظواهرهم تكفي عن شرح باطنهم ولا شك بان افكارًا كهذه هي اعظم دمار وخراب لكل من يقتفيها والنتيجة قد ظهرت لنا متاخرًا في بعض ممالك اوربا التي كانت من اعظم الممالك في السطوة والقوة . وكيف يركن لشخص هذه افكارهُ بان يتصور عندهُ ادنى محبة لولاة امورهِ او لاقربائهِ وما ساواهم من الجنس البشري واذا اظهر ادنى محبة فيكون ذلك مواربة منهُ لم ليستحصل على صوالحهِ الخصوصية

وما من شيء اوصلنا الى حالتنا الراهنة حالة الفقر والذل والهوان الا تركنا هذه الواجبات . ويتضح حقيقة ذلك لكل من اخذته الغيرة العربية وتمعن بحالتنا الحاضرة . فاين هي محبتنا الدينية واين محبتنا لولاة امورنا وماذا لنا بان نفتخر بهِ اذا سئلنا من الامم المتمدنة وعن البلدان الفاخرة التي عندنا واين هي المجلدات التي الفناها لخير العموم وارجاع رونق لغتنا والقليل الموجود منها يترك اعوامًا في مكاتب الباعة بدون تصريف لعدم وجود من يطلبهُ ولكن حينما نسمع بكتاب افرنجي محشو من قصص هزلية واحيانًا مجرد عن الآداب نطلبهُ ولو كان في اقصى بلاد من بلاد الافرنج والذين يقتنون هذه الاعمال ليسوا الا ليظهروا للباقين بانهم متمدنون ويعاملون اصحاب البرانيط ويعرفون لغتهم وكثيرون الذين يريدون ثبوت تمدنهم الافرنجي يتزيون بزي اوباش الاوربيين الظاهري ويتركون معها ما يرونهُ مناسبًا من ذوي الاعتبار . فحقًا ان اشارات كهذه مما توقع الرعب في قلوب امة مبتذلة في اخذ رونقها بعد ان كانت ايدي الزمان قد فعلت فيها ما فعلت

بوصقل الشعور الخارجية تقلدنا بالافرنج لا يسلم من بعض اوساخ داخلية ان كانت ادبية او . . . . .
وبالاختصار نقول ان اوربا اخذت هاماينوف عن ستمائة سنة حتى انها وصلت الى ما هي عليه واما نحن للان لم يتم علينا الخمسون سنة فكيف يمكننا ان نصل الى درجتهم بمدة قصيرة كهذه فاذًا اذا تعب شباننا وصرفوا قصوى قوتهم بتبع ملابسهم وصقل شعورهم وخلطهم لغتهم ببعض كليات افرنجية حتى انها تخرج من افواههم كلغة مالطية فلا يقدرون ان يصلوا الى حالة الافرنج بوقت قصير واذا فعلوا فيكون ظاهريًا فقط وتثبيت هذه البراهين ليس لكي نكسر قلوب ابناء وطننا ونجعلهم بدرجة اقل من الاوربيين كلاّ بل لكي نرفع عنا تلك الاشارات الافرنجية الخارجيـــة ونتمسك بما ياول الى تقدمنا وارتقاء امتنا وثبوتنا في الامور التي تاتي وطننا بدرجة تفوق درجة اولئك الذين يشمتون فينا عند ظهور ادنى سقطة تصدر منا وخصوصًا لكي يحولوا فينا شرف النفس والنخوة العربية التي كنا مشهورين فيها بالايام الغابرة ولكي نرفع افتخارنا بحسبنا ونسبنا ونتذكر قول من سلفنا عن ابناء العرب حيث قالوا

ان الفتى من يقول ها اناذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

او لمن قال

لا تقل اصلي وفضلي ابدًا
انما اصل الفتى ما قد حصل

فالى متى لا تتحرك فينا حمية اولائك الافاضل الحمية العربية التي طالما مشاهير كتابنا المتاخرين ارشدونا اليها وحثونا عليها ولكن وا اسفاه كانهم كانوا يضربون في حديد بارد فلم يجن الوقت لردع هذه العوارض عنا ومنا . نعم ان هذه الامور جميعها ليست ناشئة الا من عدم استيطان المحبة الوطنية فينا ولذا قد اصبحنا عرضة لسهام الامم الاخرى وصرنا مثلاً بينهم لعدم الثبوت . . وعوضًا عن ان نكون غرقانين في بحبوبة الاداب والمعارف صرنا نرتضي بحالة لا تجلب علينا الا الذل والهوان . فهذه هي حالتنا الان . وهكذا يكون مستقبلنا ان لم ننتبه وناخذ محبة الوطن قائدنا وسلاحنا القويم وحالتنا الحاضرة تشبه حالة مريض كل علاج وواسطة مهياة له ولكن كبرياءُ وادعاءُ يمنعانه عن الامتثال لاوامر طبيبه بكيفية استعماله ذلك العلاج فياخذهُ بدون قانون مكتفيًا بمعرفته فيكون سببًا لوقوف دورته وهلاكه وهكذا هي حالتنا ان لم نستعمل التمدن بحسب قوانينه فهذه الدورة القليلة التي فينا يبطل سريانها . واذا بقيت الدورة يصيبنا ضلال ويصبح التمدن فينا كسيف بيد مجنون فلتنتبه علماؤنا واكابرنا وليعطونا قوانين وارشادات لكيفية استعمال هذا التمدن ويعملوا لنا وسائط ارفع كل ما ياول لخراب بلادنا وهدم اساسات تقدمنا ولنلتئم جميعنا ايا ابناء العربية ونرفع منا الاغراض الخصوصية قاطعين النظر عن اختلاف مذاهبنا وطوايفنا ونسعى بكل ما يوخير لوطننا واذا داومنا على هذا الالتئام فبمدة قصيرة نصبح امة عظيمة ونكون سدًا وطيدًا لحكومتنا وحينئذٍ هي تاخذنا كبنين حقيقيين لها ونحن نحسبها كام حنونة لنا ولنعرف ان المولى عز وجل جعلنا في بلاد من احسن المراكز بالنسبة للخصوبة والاعتدال وان لنا من القوى العقلية ما ليس لغيرنا من باقي الامم فلا ندع هذه العطية العظيمة تذهب سدى ونستعملها لاتمام شهواتنا الخصوصية بل ناخذ بجلي هذه الجوهرة التي فينا والتي تقلبات الزمان قد ركبت عليها مقدارًا عظيمًا من الصدى الذي لا يتم دفعة الا بنوة اعظم من تلك القوة التي وضعتهُ . وهذه هي محبة الوطن وبها يتم الالتئام وتضاعف القوة ويصفو جونا بعد ان

كان معكراً ابادخال غيوم كثيفة كسفت عنا شمس الالفة والاتحاد. وحينئذٍ ناخذ بمساعدة انفسنا ومساعدة حكومتنا بانشاء معامل صناعية وتشييد جمعيات زراعية وتجارية وادبية وعلمية ونربي شباننا واولادنا لما يو خير لوطننا ونرفع عنا ذل اعدائنا ونكسر شوكة الجهل التي هي متسلطة علينا بخلط عوائدنا بعوائد بلاد مناخها الطبيعي وعوائدها مخالفة مخالفة كلية لمناخنا وعوائدنا . فاذا اخذتنا الغيرة وابتدانا بهذا المبداء العظيم فلا شك باننا نساوي او ربا بظرف مائة سنة او اكثر قليلاً وحينئذٍ نجم تعسنا يضمحل (وان كنت لا اعتقد بنجوم النحس والسعد الا انني اتكلم بحسب اراء البعض للايضاح) وماذكرته واشرت اليه ليس موجهاً فقط لاهالي سورية وطني بل اشير به ايضاً الى المصريين الذين هم جيرتنا وشركاؤنا في اللغة والعوائد . ولا يخفى اننا اذا اردنا ايضاح هذه العبارة ايضاحاً تاماً يلزم لها شرح طويل الا انني اختصر مقالتي هذه الحقيرة راجياً وطالباً بمساعدة ذلك الذي بيده نسمة حياتنا ومساعدة كل ذي محبة حقيقية لوطنه وغيرة ولاة امورنا واقلام علمائنا لزيادة الايضاح واعطاء نصائح من هو مثلي ليس له الجراءة بان يتقدم عليهم لتقديمها وعلى كل حال كل منا يجب ان يطلب ارشاده من من هو علة وجودنا وسبب حركتنا الذي له القدرة الى الابد امين

حل لغز نجيب افندي يوسف المدرج في الجزء ٢٣ من جنان سنة ١٨٧٥

(من قلم سليم افندي عنحوري)

يا اديباً من سما الغازهِ
نجتلي كل هلال وشهاب
واريباً ان جرت اقلامهُ
خلت دراً جاء يهدي به العباب
فضح النثرة نثرٌ جاءنا
مفصحاً في الفصل عن فصل الكتاب
دمت ترقى ذروة العلم التي
تعقب الذكر الى يوم الحساب
ما صبا حبٌّ لخود غادرت
شوقهُ تروي احاديث انتحاب

اصلاح غلط

(من قلم نجيب افندي يوسف)

صح . انهُ بتلاوة لغزنا المدرج في عدد ٢٣ رأينا هذه الجملة (ما هو اصل لجداول الحماء) وصحتهُ (ما هو اصل لجداول الماء) نرجو من فضلكم ان تمنوا علينا بالاعلان عن هذه الغلطة

الفت العلي بالفضل والعلم والحجى
وسدت فلا من مدركٍ لك بالوصف
اتيت لنا اللغز البديع الذي به
اشرت الى مبناه في عدد الالف

صح ايضاً في العدد عينهِ (جعلت لنا من الباري خير دليل) وصحتهُ (جعلت لنا من الباري خير دليل)

اصلاح خطا وقع في طبع لغز سليم افندي عنحوري المدرج في الجزء الاخير من جنان سنة ١٨٧٥

وجه	عمود	سطر	خطا	صواب
٨٤٨	٢	٣	دره	وده
٨٤٨	٢	٧	وسلطنة	وسلطت
٨٤٨	٢	١٠	هتفت	هتنت
٨٤٩	٢	٣	وكان	كان
٨٤٩	٢	٩	جدهما	احدهما
٨٤٩	٢	١٥	فيكون	فيكسوك

حل لغز الياس افندي قدسي المدرج في الجزء الاخير من جنان سنة ٧٥

(من قلم سليم افندي عنحوري)

يا خابط الليل ان غاصت مناكبهُ
في ماء عثراته ظن السلاحف نار
قم لا تخف واتبعني انني رجل
بددت الف ظلام في سلاح فنار

حل لغز حنين افندي شهوده الاسيوطي المدرج في الجزء التاسع عشر من الجنان مع لغز آخر

(من قلم نقولا افندي فعوار)

بالف الغزت نثرًا يا اديب وفقت بالفصاحة كل لبيب تجيب فيا من اضحى راقيًا اوج الكمال وبدا في ابهى حلل الفخر يختال ما اسم رباعي مختلف الانواع والاشكال لا يقبله الا من كانت النباهة تتلالا فوق جبينه كالهلال يحل اقامته مكرم عند العموم وكذا من يرتقيه لديهم معزوز ومحشوم اذا ترك اوله وتصحف ثانيه كان من اثمن الموجودات واغلبها تداولاً بين بعض ارباب الصناعات واذا انضم اليه الف وسين بعد قطع حرفه الاول اضحى دليل لمن كان سائرًا في دجى الليل المدلهم واذا بقي مصحفًا كما مر وانحذف ثالثه وانعكس تبين عن نوع من جنس النبات لا يجد المرء باغصانه ثمرًا بغات منطوق نصفه رب معبود وهو على جانب عظيم من غزارة الكرم والجود واذا حذف اوله وتصحف ثالثه كان الة من الادوات التي تعتني بها ارباب الزراعات وان تبدل اوله بعين فاح منه شذا عنبر بلا مين فهل من حاذق جواد له مقام تقصر عن وصفه السن الاجواد ينعم بحل لغزي ويصفح عن قصوري وعجزي

الزمان والانسان

(من قلم سليم افندي البستاني)

ما اعظم الانسان وما اصغرهُ فانهُ ذو عقل باحث في نفسهِ بل في ما هو اعظم منهُ وذو طبيعة فاسدة تتغلب على ذلك العقل ومع ذلك هو الانسان ملك المخلوقات وانفذ ملوكها والزمان ظرفهُ وهو المدهش المحير لعقول البشر فان ظواهرهُ تدل على انهُ كاضغاث احلام يمر بدون نظام وبدون غايات ومقاصد وفي بواطنه اسرار ما عرفهُ الانسان منها بالنسبة اليها هو كنسبة الذرة الى الجبل. ومع ذلك من المقرر في عقول اصحاب البحث والمعارف انهُ ظرف جارٍ بانتظام لا بد لكل اهلهِ من ان يجروا معهُ فيهِ فيمسون مثلهُ لا ينقطعون عن التحرك فيصادفون في حركاتهم حوادث كثيرة مختلفة الاسباب والنتائج والتاثيرات. والزمان في الظاهر الآن وفي الباطن نحن لهُ يقطعنا ونحن لا نقطع شيئًا منهُ حتى ان ذلك العقل الذي نفتخر بهِ يبحث فيهِ ولكنهُ يعجز عن ادراكهِ فالازلية والابدية معجزتان يعرفها الانسان معرفة ناقصة لا سبيل الى ادراكها فعليًا لان المحدود لا يدرك حقائق غير محدودة ادراكًا حسيًا. فادراك بعض متعلقاتهِ لا يكون بالبحث فيهِ ولكن بالبحث العقلي في تواريخ الامم السياسية وتواريخ الهيئة الاجتماعية في العالم قاطبةً مع اختلافاتها الكثيرة او في قطر او اقطار مخصوصة. ولا تدرك حقيقة الزمان بذلك البحث كما تدرك حقيقة طبيعة الانسان مثلاً ولكن الادراك يكون لمتعلقاتهِ ونحن منها فالنتيجة اننا نتصل بهِ الى معرفة انتظامهِ بالنسبة الينا. ودون الوصول الى هذه الحقيقة صعوبات قائمة لا يكون الا بجمع حوادث كثيرة وادراك اسبابها ونتائجها وتنظيمها وجعل الرجال الذين يستدل بهم على المقصود في مراكزهم وادراك متعلقاتهم وتوضيح احوال الهيئة الاجتماعية في ازمان

مختلفة كثيرة بينها قرون طويلة ۰ ومن المؤكد ان ادراك ابسط الكتابات المتعلقة بهذا الموضوع يصعب على من لم يجمع معارف عمومية في صدره ولاسيا عند كثيرين من اهل الشرق بل اهل الغرب ايضاً الذين لم يخطر لهم ببال ان للزمان ناموساً بل الوفاً من النواميس التي تضبط اعمال الامم والدول والافراد ومتعلقاتها فاستنبطوا السعد والنحس والتوفيق وضده فجعلوها تقوم مقام تلك النواميس التي لاتدرك الا بالمعارف التاريخية السابقة والجارية والمجاورة او بتواريخ اشخاص او مراكز او بضائع او محصولات او غير ذلك فان لكل شيء نظراً وبالتالي له احوال ومراكز ونفع وضرر وقيمة واحتياجات وطلب فبحسب تلك الامور وما لم يذكر مما له تاثير معه جريان الاشغال العمومية والافرادية بنواميس عمومية فعالة تحير العقول لكثرتها ودقتها وتفرعاتها والعموميات تمس الافراد مساً ظاهراً او غير ظاهر معجلاً او موجلاً بالنفس او بالقريب او الجار او ابن الوطن وبالتالي يعود الى النفس لان الهيئة الاجتماعية تقوم بالانسان وتقدم الافراد او تاخرهم دليل تقدم الهيئة الاجتماعية او تاخرها

ولا نحب ان نجعل بحثنا عمومياً لئلا يتعسر حفظه وادراكه عند البسطاء فللتوضيح نقول ان من الحكماء من قال ان الامور البشرية متوقفة كل التوقف على اجراءات الناس الناتجة عن ارادة حرة ۰ ومنهم من قال ان العناية الالهية تقودنا في العالم خطوة فخطوة ومنهم من قال ان كل شيء يتم بحسب القضاء والقدر وقد نتجت عن ذلك امور مبهمة كالسعد والنحس والتوفيق وغير ذلك ۰ فالبحث في هذه الامور ولاسيا لمطالعة امة كالامة الشرقية من اهم ما يصبو الانسان الى البحث فيه للوقوف على حقايقه بامل وجود ضابط للعمل او قوة تدفع عنه الاضرار وتقيه مما يسميه بغدرات الزمان وخياناته وتقلباته بدون ان يعلم سبب تلك التسمية ولا المقصود منها

ومن المؤكد ان حيوة الانسان ليست بمتوقفة على امر واحد فانه يشعر تارة بانه ليس بخاضع الا لارادته المطلقة الحرة وطوراً بانه خاضع لنواميس لا تتغير ۰ ويكون ترجيح مقدار خضوعه لجهة دون اخرى متوقفاً على حالته بالنظر اليها ۰ وكثيراً ما يساق الى الخطا باوهام الشبوبية وتخيلاتها وعند بلوغ درجات التاني والتخلص من دور الاوهام يتغير ذلك فان الحقائق تزيل الستار عن عينيه فيبعد عنه خداع العالم بالادراك اذا لم يبعد بالفعل فيرى عند مغيب شمس حياته بطلان الامال البشرية فانه لم يفز بالحصول على ما علق الامل بالحصول عليه بواسطة احرازه ما تيسر له ان يحرزه ۰ وعند ذلك يرى انه كان في يد قوة مجهولة عنده فادير لغايات يجهلها فانه دخل الدنيا وهو لا يدري بانه دخلها ويخرج منها على غير ارادته او يخرج وهو معلق امله بالثبوت فيها فلا يدري بخروجه في حال الخروج ۰ فمن لا يبيت متحيراً يا ترى عندما يرى سيد المخلوقات وصاحب ذلك العقل العجيب والارادة الحرة على تلك الحال ولا تشتد فيه الرغبة في ادراك حقيقة تلك القوة التي تتسلط عليه وتتركه اطوع من عبد رق ۰ والحيوة الافرادية تشخص حيوة الهيئة الاجتماعية واسباب تقدم الفرد تاتي بتقدم الجمهور

اما الانسان في حالته الطبيعية السابقة لوصوله الى التثقيف والتهذيب والمعارف يكون على غير ما يكون عليه بعد الوصول الى ذلك فلا ينحصر جهله في جهل الامور التي لا تتعلق به ولكنه يجهل ذلك الجهل ويخلق لنفسه معبودات منظورة او غير منظورة اي انه ينقاد بالفطرة او بالنقل الغير الصريح او بهما معاً الى الاعتقاد بمعبود او اكثر وباتصال ارادته

راساً اليه وهو الضابط الوحيد لكل اعماله وحركاته ويبنوع خيره او ضرره قاطعاً النظر عن كل ناموس فتكثر عنده الخرافات وبالتالي المخاوف فيكثر المعبودات لتسعفه على دفع المخاطر التي يجهله جهله على ان يعتقد بانها صادرة عن قوات لا يقدر ان يدفعها بقوته وذلك عوضاً عن ان يبحث في النواميس التي وضعها يد خالق عادل قادر حكيم لضبط احوال مخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى ويجعل السعد مصدر نجاح اعماله والنحس سبب تاخرها عوضاً عن ان يبحث في نفسه او مكانه وزمانه واحواله او ظروف اشغاله واعماله ليرى اسباباً لذلك محلية او غير محلية . واذا اخرج من تلك الحال بقوة التمييز المستندة الى الاختبار وقطع بعض سبيل المعارف ينفي عن نفسه الاوهام المتعلقة بما هو في نفسه او بما هو قريب منه ولكنه لا يتصل الى التخلص التام من فعل الاوهام الناتجة عن جهله عندما لا يرى غير نتائجه او عندما يراه بدون ان يعلم شيئاً عن احواله كالاجرام الفلكية التي طالما جعل لها مركزاً مهماً في ايمانه وحسبها من ضوابط احواله واعتقد بانها ذات تاثير فيه وفي عالمه غير محصور في عنصر النور والحرارة ونتائجه فيقع في عبادة تلك الاجرام والعياذ بالله . هذا خلا ما يعتنده من وجود ما لا ابراه من الارواح التي تقدر ان تضر وتنفع . ولا يقدر ان يخرج من نتائج جهل النواميس التي وضعها الله سبحانه تعالى الا بالمعارف التي تاخذ في اظهارها له شيئاً فشيئاً بالبحث والتدقيق والمقابلة والاختبار وظهور ما يدل على اوهامه . وكما انه يكتشف بها على نواميس سقوط الاجرام وجريان الانهر وحفيف اوراق الاشجار وهطل الامطار وتصادم الاجسام والحركة وغير ذلك ويرى انها موضوعات طبيعية ثابتة الفعل يكتشف على نواميس حركة تلك الاجرام الفلكية وتغييراتها واسباب الخرافات التي طالما اوقعت

الرعب في قلبه وسلبت راحة باله وعيشه وجعلته عبداً لمئات بل الوف من القوات التي لولا الجهل لما بات اسيراً لها وحمل من الاثقال والاتعاب ما حمل وتكبد من المصاريف ما تكبد لدفع اضرارها عنه ولاستجلاب رضاها ويتاد الى الايمان بالله واحد احد ضابط الكل وواضع النواميس التي تجعل الشمس تطلع في الشرق صباحاً وتغيب في الغرب مساء وتقيد امواج البحر وتحفظ الارض في دائرة دوران ربما كان خروجها منها علة هلاك كل من عليها او خراب الكون بوقوع خلل في تفاعيل القوات الجاذبة والدافعة

ومن بها ترى يكتشف بدون معارف على نواميس مفيدة لاعظم الامور واصغرها بل لنفس وجوده في هذا العالم وخروجه منه بل لوجود كل مخارق في عالم الحيوان وعالم الانسان والنبات ولا بد من ان يكون اتساع المعارف واسطة لان يرى الانسان ان كل حادث في العالم لا يتم الا بحسب ناموس فالمشي والقعود والقطع والربط والحفر والغوص والطيران والربح والخسارة والغلي والتجليد والصوت والمطر والرعد والبرق وهبوب الرياح والالتصاق والتمدد والتفرق والدوران والصد والصدم وبالجملة نقول ان كل شيء له ناموس ظاهر او غير ظاهر فعدم ظهوره نتيجة الجهل او جهل الاسباب من جهل وسائط البحث فيها او من جهل المؤثرات لبعدها او لكثرتها او لتعلقها بشيء اخر غير ظاهر او باشياء غير ظاهرة . ولا يستغرب العارف وجود ضوابط ناموسية للامور الكثيرة التي ذكرناها والتي لم نذكرها بعد ان يتاكد بالاكتشافات الفلكية ان كل حركة من حركات ملايين من الاجرام التي قل ما نجد منها ما هو قدر ارضنا او اصغر منها لانها اعظم ونسبة بعضها الى البعض الاخر وغير ذلك انما هي مربوطة بنواميس . ولا يفتقر الانسان

لاثبات ذلك الى ملاحظة اجرام بعيدة عنا فان الارض مملوءة بما يدلّ على ضبط النواميس لكل ما فيها فناموس الحرارة ان يكون فعلها التذويب فلا نرى نارًا تجمد شيئًا والسوائل تنحدر الى اوطى مكان تقدر ان تصل اليهِ فلا نراها صاعدة الا بالحصر بناموس اخر يجعلها وهي محصورة ترتفع الى ما يساوي ينبوعها . وما من شيء يدل على قوة نفوذ الناموس الطبيعي ولو كانت الظواهر مختلفة جدًّا كالهواء فانهُ يهب في محلات ستة اشهر الى جهة واحدة والستة الاخرى من السنة الى جهة معاكسة حال كونه يتغير احيانًا هبوبهُ في يوم واحد فيهب تارةً من الغرب وطورًا من الشرق او الشمال او الجنوب وبالجملة نقول ان التغييرات التي تطرأ عليهِ كثيرة ومختلفة ومع ذلك الناموس الفاعل واحد وهو ان تخف طبقات الهواء السفلى بالحرارة فترتفع فيأتي مكانها هواء ابرد وبالتالي اثقل فهذا هو الناموس العام وقد ذكرناهُ في جمل ماضية وكذلك ذكرنا نواميس المطر والحركات الفلكية والجاذبية والحركة والحرارة وسلبها او البرودة وغير ذلك مما لا بد من ان يكون لا يزال له الاثر في ذاكرة قراء الجنان الذين لم يدرسوا ما يبين لهم تلك النواميس والهواء الذي هو علة حفظ كل حيوة وتخزن الماء وبالتالي ينبوع كل ماء والقوة التي تدبر آلة مهمة جدًّا وتنقل البضايع والحصولات والناس والقوة التي كثيرًا ما تهدم المدن بالزوابع وتستاصل الاشجار خلا نتائجها الاحتكاكية هو اقرب مشابهة الى الحوادث التي تجري بالتعلق بالبشر من سائر الاشياء فالحوادث العظيمة الظاهرة الاسباب والنتائج هي كالزوابع والمتوسطة هي كالمتوسطة والصغيرة هي كالنسيم الذي يشعر برطوبتهِ بدون ان تعرف جهة هبوبهِ الا بوسائط اليهِ فان تلك الحوادث ربما كانت سبب عمران بيت او خرابهِ بدون ان تكون ظاهرة الاسباب فحكمها كحكم ذلك النسيم الذي هو علة حيوة ولئن كانت جهة هبوبهِ غير ظاهرة . فعدم ظهورها حمل الناس على ان يسموها سعدًا ونحسًا بحسب نتائجها فجاوا بما جاء بهِ الانسان قبل ان ادرك من المعارف ما جعله يعلم اسباب تلك الامور التي كانت سبب خوفهِ وبالتالي وقوعهِ في شراك العبودية . وعند العارف فكل حوادث العوالم نتيجة نواميس وكل ما نراهُ من الحركات في الفلك وفي الارض يبين لنا ان العوالم خاضعة لضابط واحد سبحانهُ وتعالى فيضبطها بنواميس لا تتغير فان القوة والحكمة الغير المتناهيتين لا تفعلان ما يحتاج الى التغيير اساسيًّا ولكنهما تجعلان التغييرات نتيجة ثبوت النواميس

ولا ينحصر ذلك في عالم الحيوان الغير الناطق ولا النبات ولا في الجوامد والسوائل والغازيات ولكنهُ يتصل الى ذلك المخلوق العاقل الناطق وهو الانسان . وربما كان يقال كيف تضبط الجوامد والسوائل والغازيات بنواميس كما تضبط الحيوانات والنباتات التي تقوم حياتها بالتوليد والغذاء فالجواب سهل وللتسهيل لا نبحث في احوال العالم قاطبة ولئن كان ناموس حركتيهِ اليومية والسنوية كناموس سائر الاجرام الفلكية والكلام عنهما مهم ولكننا نكتفي بذكر امور يعلمها الجاهل ظاهريًّا كما يعلمها العارف بالظاهر وبالباطن اي بالعلة والنتيجة . فمن نواميس الجوامد السقوط اذا بانت بدون مانع يمنع انحدارها فهل ترى حجرًا يسقط الى فوق او هل ترى حجرًا يتحرك بدون محرك او بدون ثقل او بدون حجم او حيز او اجزاء او جاذبية داخلية تحفظ اجزاءهُ معًا ليبقى مجتمع الاجزاء او بدون تاثير القوات الخارجية فيهِ اما يتكسر اذا ضرب بقوة كافية فهذه كلها نتائج نواميس نافذة في الجامد اذا كان على سطح الارض او تحتهُ او فوقهُ . في الشمال او الجنوب او الشرق او الغرب

فحالتهُ با لنظر اليها واحدة ولو تعددت عليها الاحوال. وهل يصعد السائل حال كونهِ قادرًا على الانحدار او هل يكون ضغطهُ في جهة واحدة او هل يكون شكلهُ غير شكل الاناء الذي يكون فيهِ. وهل يمتنع الغاز عن الميل الى الانتشار فهذا جزءٌ قليل من النواميس الضابطة للمادة وهي على تلك الحالة وهي غير محصورة فيها بل تتصل الى المخلوقات الحية اتصالاً تامًّا او غير تام. والانسان نفسهُ لا يقوم الا بنواميس طبيعية وقد اخطأ من قال انهُ ليس بخاضع للنواميس الطبيعية التي قد خضعت لها سائر المخلوقات هذا مع قطع النظر عما لا نقدر ان ندركهُ من متعلقات نفسهِ الخالدة فان احوالها لا تعرف الا بالوحي وبحثنا بالوجود الانساني المادي. وبعد التوليد الذي لا لزوم الى توضيح احوالهِ وكيفياتهِ بماذا تقوم الحيوة ولماذا تتغذى اليس للقيام بحركة القلب أو ما تتم حركة القلب بواسطة ناموس المائيات ولهُ مراوح واوعية وغيرهـا المناسبة ذلك الناموس. أو ما تنظر العين بناموس قد نقلهُ الانسان واخترع لهُ الة بات يقدر ان يصور بها بفعل النور. ولولا معرفة الناموس العلم لما تيسر لهُ ذلك. او ما يوثر الهواء في الدم تاثيرًا كيماويًا ويشغل الرئتين كما يشغل اموراً اخرى على سطح الارض. ولا بد من الاكتفاء بذكر هذه الامور العظيمة المهمة بالاختصار بسبب ضيق المقام. ولا ريب في ان الذين طالعوا بالتمعن ما كتبناهُ في الجنان عن الهواء والماء وتركيب الجسد والنبات والطبيعيات اجماليًا يدرك المقصود من هذه الامور العمومية ولئن كان من غير ارباب تلك الفنون. وما ذكرناهُ انما هو لنبرهن بانهُ ما من شيء في العالم الا وهو خاضع لناموس والزمان هو ظرف لكل ذلك وبدونهِ لا يتم شيءٌ

ومن يا ترى يرى الانتظام الناموسي في كل ذلك ولا يتاكد بان امور القبائل والامم والعيال والافراد هي ذات نظام ناموسي ظاهر او غير ظاهر ولا نكتفي بذكر ما قد تقدم ولكننا ناتي بشاهد على ذلك انتظام حالة مخلوقات كثيرة حية كالنحل والنمل وغيرها وما لا نرى لهُ انتظامًا نكون غير متوصلين الى انتظامهِ لقلة احتياجاتهِ او لكرههِ للحيوة الاجتماعية. فعمل النمل واحد وكذلك النحل غير ان النملة لا تصادف كل ساعة ما تصادفهُ في التي سبقتها فاذا قصدت رزقًا فربما لا يتيسر لها الحصول عليهِ او يدهمها عدو فتتركهُ بعد الحصول عليهِ او مطر او يخرب الوكر قبل رجوعها اليهِ او تداس بالارجل فتقتل او تحمل ما لا طاقة لها على حملهِ فتعجز او تذل بها القدم فتسقط الى ماءٍ او غير ذلك او ياكلها عدو مفترس فهذه العوارض كلها ليست باخلال بالناموس ولكنها انفاذ لهُ كما لا يخفى. وكذلك الانسان توثر فيهِ ظروف مكانهِ فالفيافي التي يجول فيها البدو توثر في عاداتهم وكذلك المراعي في اصحاب المواشي. وقد تقرر ان نواميس الطبيعة لا تخضع لارادة الانسان وانهُ لا بد من ان تكون الحكومة موافقة للهواء حتى انهُ قد تقرر عند بعض العلماء ان القوة ضابط للامم الشمالية والبرهان للامم في الاماكن المتوسطة والخرافات للجنوبية. وفي كل سنة تتحرك المخلوقات ويعرض عليها ما يعرض في السنين السابقة من النمو في الربيع وانتقال مخلوقات كثيرة من مكان الى مكان وما ذلك الا نتيجة اشتداد الحرارة بدورة ارضية لها علاقة بالشمس. ومن يا ترى يقدر ان يحصي النتائج الصادرة عن تلك الدورة فكانها شرارة نار في مخازن بارود فهي علة انفاذ الناموس بواسطة الحرارة فترى التوليد حيوانيًا ونباتيًا والنمو والانتقال والاعمال كلها تتغير بذلك التغيير وهذا شاهد قاطع يشهد بتاثير النواميس الطبيعية في المخلوقات وفي الانسان ايضًا فان ذلك التغيير يجعلهُ يشرع في الحراثة الربيعية وينقل نفسهُ من حالة الشتاء

الى حالة الربيع وكل عمل بشري ناتج عن ناموس واذا خالفهُ الانسان لا ينجح في عمل فيكون كمن يحاول بناء دار من الماء على سطحهِ . او من يحاول ان يجوع بكثرة الاكل او ان يشبع بدون اكل او ان يموت بقص الشعر او يعيش بعد قطع القلب او ان يكتب بدون ناموس الالتصاق فيبقى حبرهُ على قلمهِ وورقة بدون حبر بل يبقى حبرهُ في دواتهِ وقلمهُ وورقة بدون حبر لانهُ بدون ذلك الناموس لا يلتصق حبر على قلم ولا على ورق . والليل والنهار دخل عظيم في اعمالنا . ومن المؤكد ان وجود الانسان على الارض متوقف على امور مادية . فلا سبيل الى حفظ الحيوة الا في درجات قليلة من الحرارة ولذلك لا بد من ان يكون بعد الارض عن الشمس بعدًا معينًا . وكذلك لو كان حجم الارض اكبر من حجمها الحالي او اصغر منهُ لاختلفت الاثقال فان الثقل نتيجة الجاذبية وهي تكون بحسب الكبر والصغر . واذا تغير شيء ولو كان قليلاً من الامور الجارية الطبيعية تتغير احوال في المخلوقات ولا ريب في ان الوفًا من المخلوقات قد انقرضت ولم يبقَ من نوعها غير آثار تدل عليها بسبب حدوث تغييرات في الطبيعة فامست لا تقدر ان تعيش فيها . فاذا فرضنا ان الشمس تكسف سنين قليلة وتحجب عنا فتنقرض اكثر المخلوقات . ومن المؤكد ان اختلاف الاهوية والاماكن يحدث اختلافًا في الطباع وبالتالي في العادات والسياسة فاذا قلنا ان وحدة النوع او تقاربهُ علة القوة نحكم بان السلطنة التي تمتد من الشرق الى الغرب اقوى من التي تمتد من الشمال الى الجنوب وربما كان ذلك سبب اقتدار المملكة الرومانية وطول زمان ثبوتها

اما الامم فحكمها حكم الافراد في كل شيء وتكون خصائص اعمالها كخصائص اعمال الافراد فما تقوم بهِ في زمان لا تقوم بهِ في زمان اخر كالانسان فان ما يفعلهُ في الصبوة لا يفعلهُ في الشبوبية وما يقوم بهِ فيها لا يقوم بهِ في الشيخوخة . ومن جهة الوجود الحكم واحد ايضًا فان من البشر من يهلك بنفوذ النواميس فيهِ في الطفولية ومنهم من يموت في الشبوبية وقد تطول الحيوة الى سن الانحلال الطبيعي وكذلك الامم . ولجميع الحوادث المتعلقة بالامم وبالافراد ظروف واسباب ونتائج كثيرة مختلفة وهذا هو الذي يجعل الناموس الفاعل غير ظاهر . على انهُ بتدقيق البحث وامعان النظر يتيسر الوصول الى الاسباب الناموسية . وحكم ذلك حكم البحث في حالة عائلة لتقرير تاريخها ومعرفة اسباب نموها ثم تاخرها فنقول مثلاً ان زيدًا منها برد فاصيب بمرض في الصدر وخالدًا اصيب بحرارة الشمس فبلي بالحمى وعمرًا تحفظ فنجا وخرث الارض فجمع مالاً ولكنهُ خسرهُ بمرض اخويهِ ولا سيما الاكبر ولم جميعًا اولاد فاهملت اسباب تعليمهم ولذلك الظاهر انهُ لا يكون لهم مستقبل حسن . وقد راينا بهذا المثل اختلاف في تاريخها غير اننا بالتدقيق وقفنا على الحقائق العمومية والتفصيل يظهر اسباب المصروف من اجرة طبيب وخدمة واكل للعيال . واذا جعلنا المثل سلامة الجميع ونوعنا الاشغال نرى تاريخ تقدم كل واحد غير اننا لا نرى تقدمًا اذا جعلنا من هو اضعف بنية الحراثة والاقوى للمناظرة على فعلهِ في الحراثة وهكذا . وناموس فناء بعض اجزاء من جسد فرد كفناء بعض اعضاء الامة بالموت فلا تتغير الامة بموت بعض افرادها تغيرًا تامًا كما ان الجسم الانساني لا يتغير تغيرًا كاملاً بفناء بعض اجزائهِ . واذا انتقلت امة برمتها من مكان الى مكان يختلف عنهُ في الهواء والظروف فلا بد لها من تغيير عاداتها واحوالها بحيث تصير تلك الظروف مناسبة لها . فاذا نقلنا امة تعيش بصيد السمك مثلاً من السواحل الى الداخلية تلتزم بان تغير عملها وكيفية

معيشتها فتعيش بالزراعة او بصيد الطيور والحيوانات او غير ذلك والعكس بالعكس . ولا يتم ذلك الا بمعاناة مشقات واتعاب كثيرة تعود بالضرر عليهنا بالموت والضعف والفقر وهلم جرًّا حتى انهُ ربما كانت تفقد كل خصائصها وتتغير تغيرا كاملا فتصبح كانها امة اخرى . واذا خلطنا امة قليلة بامة كثيرة تصيران امة واحدة بمرور الزمان مع ان اعضاء الامة القليلة لم يفنوا وذلك كوضع نقطة من سائل في كاس من سائل اخر فنراها في بادي الامر على انها تختلط بمدة قصيرة بالكثير فلا تظهر فيهِ مع انها لا تزال معهُ

فهذه الامور كلها تبين خضوع كل شيء في العالم بل الارض نفسها والاجرام الفلكية التي نراها والتي لا ترى الا بالنظارات المقربة لنواميس قد وضعها الله سبحانهُ وتعالى وان كل ما يتقرر في عقول البشر عن موثرات غير ناموسية هو خطا عظيم ومنها السعد والنحس وبالطبع الخرافات الكثيرة المتعلقة بهما ولا يبقى لها اثر في امة متمدنة الا بواسطة صعوبة ترك امور قد تقررت في العقل وهو في حالة الجهل ومشاهدة حوادث غريبة لا تظهر اسبابها مثلاً اذا خرج فتيان من بيت فقير وسعى احدهما في سبيل طلب الرزق شرقًا والاخر غربًا فالاول خدم وكد وجد بدون ان يصادف نجاحًا والثاني لم يبتعد عن البيت فراسخ كثيرة حتى راى رجلاً غنيًا فطلب الدخول في خدمتهِ فقبلهُ ورقاهُ وبالتالي زوجهُ ابنتهُ وجعلهُ وريثًا لهُ فلما بلغا الاربعين كان الاول لا يزال في فقر وضيق وعناء والثاني في رخاء وثروة ورفاهية . فربما كان البعض يقولون ان الاول يرافقهُ النحس والثاني السعد مع انهُ لا دخل لهما في ذلك لان النواميس النافذة فيهما واحدة من جهة الاهلية والاستعداد والمعارف وما فاز بهِ الثاني نتيجة ناموس ظاهر وهو الحصول عند وجود العطا ووجود العطا نتج عن نواميس منها الملاقاة اذا سار اثنان في طريق واحدة الى جهات متقابله والدخول في الخدمة عن ناموس احتياج اصحاب الاشغال والاموال الذين يشغلون اوقاتهم الى مسعفين لقيام الشغل وللترفه والوصول الى المصاهرة نتيجة الامانة او ايهام الامانة او صدق الخدمة ان كانت صالحة او طالحة والمصاهرة رافقها المطافاتت بالثروة وبالتالي بالرخا والرفاهية والسعادة . والاول لم يصادف غير تاخر لانهُ لم تنفذ فيهِ النواميس التي نفذت في الثاني . فاذا سار من يضرهُ البرد في صحو وتاخر عن الوصول الى المكان المقصود بموت فرسهِ فامطرت واثلجت وارعدت وابرقت فبرد ومرض ومات لا نقول ان نحسهُ اماتهُ لاننا نعلم ان موت فرسهِ عن سبب موافق لناموس فتاخر والمطر والثلج لا يسقطان الا بحسب الناموس الطبيعي ومرض لان البرد يضر بهِ من جرى مرض او ضعف ومرضهُ ناتج عن سبب ناموسي فموتهُ يكون نتيجة تاثير نواميس مختلفة فيهِ . فاذا قلنا ان سعدهُ جعل تلك النواميس نافذة فيهِ دون غيرهِ نخطي لاننا نعلم انها لم تنفذ فيهِ لان اسمهُ زيد ولا لان جنسيتهُ صينية مثلاً ولا لان اسم امهِ هند واسم ابيهِ زيد ولكن لانهُ من مواد العالم فهو مركب من عناصرها ونواميسها تفعل فيها فان اشتد البرد على انسان ونبات في مكان واحد يموت الانسان وييبس النبات فهل يكون النبات منحوسًا . واذا حمل جيش على عدو واصيب زيد برصاصة في راسهِ فمات وعمر في طربوشهِ فنجا فهل يكون ذلك نحسًا وسعدًا . كيف يكون كذلك وموت الاول تم بناموس التصادم وكل من صدمتهُ رصاصة قتالة في مقتل يقتل والاعتقاد بالسعد والنحس يفضي الى الجمع بين الضدين فانهُ كثيرًا ما يشتري التاجر مثلاً قمحًا وشعيرًا فيرسل القمح شرقًا والشعير غربًا فيخسر في جهة ويربح في الاخرى فهل

يكون نحس وسعد في وقت واحد وانسان واحد. واذا فرضنا ان عشرين مركبًا من الحنطة تسير في بحر فتسعة عشر مركبًا لغني ومركب لتاجر يضر بخسارة مركبه فحدث نوء فغرق الواحد وسلمت تلك فهل يكون النحس والسعد فاعلين او نفوذ ناموس في المركب بسبب ضعف بنائهِ او قدميتهِ او جهل رئيسهِ او قلة ملاحيهِ او وقوعهِ عرضة لعاصفة فقلب او غير ذلك. ومن القواعد المقررة في الحكمة ان لا يسلم بوجود سبب مجهول مع ظهور سبب كافٍ فاذا قيل لنا انهُ قتل زيد برصاصة دخلت دماغهُ ورأينا ذلك وعرفنا انهُ كافٍ لقتلهِ هل نفتح جثتهُ لنرى هل مات من مرض في القلب او من ورم في الرئة او وقوف في حركة الدم وهكذا اذا عرفنا سبب حدوث امر لا ينبغي ان نبحث عن سبب اخر فاذا قيل لنا ان فلانًا خسر في هذه السنة الف ليرا بالقراطيس المالية والف ليرا بتجارة الحرير وخمسمائة ليرا بالمنسوجات القطنية ومن شدة نحسهِ خسر الفي ليرا بخطا عميلهِ فانهُ باع بضاعتهُ الجيدة سهوًا لحساب التاجر زيد فهل رايتم من هو اشد نحسًا منهم. نجيب على الفور ان كثرة الخسائر في سنة واحدة ليست بدلالة على النحس واسبابها ظاهرة فان الذي لا يدفع ما عليهِ يوقع الخسارة على الذي لهُ مال عندهُ فهذا سبب خسارة القراطيس واسبابها الاصلية ظاهرة فان تقصير الدخل عن ايفاء الفائض بسبب استخدام الدين في ما لا ياتي بالدخل كتجهيزات او غير ذلك مما ياتي بعجز المديون. وخسارة تجارة الحرير بسبب كثرة الوارد من الشرق الاقصى ورخص المصاريف بتسهيلات ترعة السويس. والمنسوجات القطنيــة بسبب ورود البضائع بكثرة بعد اكتفاء البلاد. والسهو اظهر سبب. فكيف نجتهد في خلق اسباب حال كونها ظاهرة وقد نفذت نفوذًا ناموسيًا. والمصائب قد تقع على من يحكم بانهم من اهل السعد فيقعون بها او ينجون منهــا ليقعوا في غيرها او ليدركهم الموت وهم في رغد وهذه هي المصيبة العظمى والبلوى التي لا ترد. وبدون الزمان لا يتم شيءٌ من ذلك فالزمان هو الذي تجري فيهِ والانسان هو الذي يعلم اسبابها وهو مبدع السعد والنحس ولا نعجب من ان نرى لهما اثرًا عندنا جميعًا حتى ان كثيرين منا يذكرون السعد والنحس بذكر الحوادث على غير قصد فانهما مما قد تقرر في العقول بالنقل. ولا ينبغي ان نغفل عن فساد امر ايجاد سبب بعد وجود السبب فاذا قلنا ان زيدًا خسر بسهو عميلهِ نقول لماذا وقع عميلهُ بالسهو يقال لنحسهِ نقول وما هو سبب نحسهِ الى اخرهِ فيكون قد لزمنا الدور وهذا فاسد وقد اشرنا الى ذلك بقولنا ان الحكمة لا تسلم بالبحث عن سبب بعد وجود السبب وقد اوضحنا الكلام مجاراة للذين يجمعون بين التسليم بفساد الدور المنطقي وبين الاعتقاد بالسعد والنحس. ولولا ضيق المقام لاطلنا الكلام في النواميس الضابطة للامم والحيوانات والنباتات واوضحنا المقال بامثال وتفاصيل غير ان ما تقدم كافٍ فسبحان حافظ تلك النواميس ومخضع مخلوقاتهِ لها فهو عالم بالاسباب والموثرات

تاريخ فرنسا

وكان نابوليون قد صرف ١٥ شهرًا في شواطي النيامن الذي يبعد الف وخمسمائة ميل عن عاصمتهِ. وبعد عقد تلك المعاهدة باتت اواسط اوربا في سلام واصبح نابوليون في اعلى درجات سطوتهِ واقتدارهِ. والتزمت اوربا بان تعترف بامبراطوريتهِ بواسطــة حذقهِ وانتصار جنوده ولم تمتنع دولة غير دولة انكلترا التي كانت بوارجها التي لا تغلب تصونها وتمكنها من ان تتسلط على كل البحار. ولم تنقطع عن العدوان ولا عن بذل الذهب والوسائط السياسية في سبيل

اقامة اتفاقات جديدة لمضادة فرنسا. ومع ان انكلترا كانت متسلطة على البحار تمكن نابوليون بحذقه من ان يجملها في ظروف صعبة. وكان تعظم الحكومة الانكليزية قد جعل الحكومات تكرهها. وقد قال المورخ هازلت ان تشكيات امبراطور الفرنساويين من تعديات انكلترا واهاناتها لغيرها كدولة بحرية كانت عادلة جدًّا. انتهى. وكانت دول اوربا مستعدة لان تلزم انكلترا باعتبار حقوق الدول الاخرى وغمد سيفها الذي كان يقطر دمًا. على ان تلك الدولة العظيمة جمعت بوارجها التي لا تغلب حولها ووقفت غير مبالية بتهديدات العالم

واخذ نابوليون في الرجوع الى فرنسا ولما وصل الى درسدن عاصمة مملكة سكسونيا كتب الى امراته جوزيفين ما ترجمته

اني وصلت الى هذه المدينة امس بعد الظهر بخمس ساعات صحيح الجسم مع انني كنت قد صرفت في الطريق اكثر من مائة ساعة وانا الان مع ملك سكسوني واحبه جدًّا. وقد قطعت نصف المسافة التي تفصلنا. وربما كنت في ليلة من هذه الليالي اهجم بغتة على سان كلو كالزوج الغيور فاحذرك. انني اسر جدًّا بان اراكِ. كلي لكِ (الامضا) نابوليون

وفي صباح اليوم السابع والعشرين من شهر تموز الساعة السادسة قبل الظهر اخذ القوم في قرع جرس الانفاليد مبشرًا الباريزيين برجوع امبراطورهم. ومن المعلوم انه كان من الذين لا ينسالون عن راحتهم ويحتقرون اسباب الافتخار الفارغ فسافر ليلاً ودخل عاصمته بدون ان يعلم احد بدخوله في الصباح. فانتشر خبر رجوعه في المدينة بسرعة تحاكي سرعة البرق فاقام الاهالي بافراح وقتية فانه كان قد خلص فرنسا من درجات الظلم والتعديات والاجتياح ورفعها الى قمة التقدم والمجد وكان يسلم بصحة ذلك الاصدقاء والاعداء. وفي السهرة ظهرت الانوار في كل نافذة وذلك باختيار الاهالي جميعًا. غير ان نابوليون لم يبق في المدينة ليتمتع بهذه الاحتفالات العظيمة فانه سار الى سان كلو بدون ان يستريح ساعة وجمع وزراءه حوله واخذ في ان يشتغل كانه قد عاد من مكان قريب سار اليه للتنزه. اما اركان الناس الى ثبات امبراطورية نابوليون فيعرف من اسعار قراطيس الدولة المالية. فانه لما تبوأ نابوليون كرسي رياسة الحكومة كان سعر المائة ١٢ فلما عاد من فردلاند بلغ ٩٣ في المائة. هذا وقبل ان خرج نابوليون من باريز ليقوم بالحروب التي ذكرناها ولينا انه التزم بان يقوم بها خاطب الوزراء قائلاً انني بري من هذه الحرب انني لم افعل ما ياتي بها ولم احسب بانها ستحدث. فاطلب الكسر اذا كنت قد طلبتها. ومن الاسباب الاولية التي تحملني على ان انتظر سقوط اعدائي ما اراه من وجود العناية الالهية في اعمالهم فانها تريد ان تقاص المذنب فابعدت الحكمة عن تصميماتهم حتى لما ارادوا ان يهاجموني لظنهم انني ضعيف اظلمت ابصارهم لما هاجموني وانا في قوة عظيمة. انتهى

وقبل معركة جينا اقام نابوليون بحركات عسكرية بينت له ان النصر يكون لجنوده بدون ريب فاراد ان يحجب دماء العباد فكتب الى ملك بروسيا ما ترجمته ان فوزي اصح من الامور التي لا ارتاب فيها وجنودك ستنكسر. غير ان ذلك يكلفني دم اولادي. فاذا كان من الممكن ان احجبه بشرط ما لا يمس ناموس تاجي اقوم بكل ما يتوقف على القيام به. فان اعز الاشياء عندي بعد الناموس دم جنودي. انتهى

وبعد انكسار البروسيانيين انكسارًا تامًّا في جينا واورستات نشر اخبارًا ضمنها الكلام الاتي والظاهر انه قد تقرر في قضاء الله ان كل الذين اهاجوا

نار هذه الحرب يبيتون مقطوعين بالضربة الاولى.
انتهى

هذا وكان رجوع نابوليون الى باريز بعد ان فاز بانتصارات ليس لها مثيل في تواريخ العالم . وكانت لوائح السرور تلوح على وجهه ولم يكن كذلك قبل هذا الوقت . وقد قال اننا تاكدنا التمتع بسلام في اواسط اوربا والسلام البحري لا بد من ان نحصل عليه بعد برهة بواسطة اتحاد الدول بارادتهم وبضرورة الاحوال فلنتمتع بعظمتنا ونحول انفسنا نصير اهل صناعة وتجارة وقد اكتفيت من تجارة قيادة الجنود وساجعل تجارتي تجارة وزير اول واشرع في مراجعات الاشغال العظيمة فانهُ قد حان زمان بدل مراجعتي للجيوش العظيمة بها . انتهى . وسار ومعهُ الامبراطورة وجميع وكلاء الدولة الى كنيسة نوتردام حيث اقيمت صلوات وترنيمات شكرًا لله على سلام تلست

الفصل الخامس والثلثون

تدبيرات

واخذ نابوليون في معاطاة الاشغال بكل اجتهاد وجد بدون ان يستريح يومًا واحدًا وذلك لترقية اسباب تقدم فرنسا . وانتخب بتدقيق سفرا ومامورين وارسلهم الى بلدان اجنبية وصدرت اليهم اوامر مفصلة جدًّا ليحملوا الدول على ان يتحدوا مع فرنسا ليلزموا انكلترا بان تعقد الصلح اذا امتنعت عن قبول الشروط التي كانت روسيا ازمعة ان تطلب اليها تقريرها . وهذا امر لم يتيسر للدول ان تحافظ فيه على الحيادة . فان دول اواسط اوربا التي كانت لا تزال فاتحة مرافئها للمراكب الانكليزية كانت تسعف الانكليز حال كونهم محاربين والذين منعوا مراكبهم عن ان يدخلوا فرضهم اتحدوا مع الدول على حملهم على ترك حربهم وتعدياتهم . وبعد ان تخلص نابوليون من حروب اواسط اوربا العظيمة حول كل حدقه واقتداره الى جهة ذلك العدو العظيم القوي . اما حقوق المتحايدين فداسها الفريقان فان انكلترا تعدت على حقوقهم بمنعهم عن القيام بالتجارة مع فرنسا او مع حليفاتها . فبادر نابوليون الى منع كل المتحايدين وكل رعاياه عن ان يشتروا البضائع الانكليزية . وكانت هولاندا بلادًا تجارية . وكان لويس بونابرت شقيق نابوليون حنونًا لطيفًا صادقًا محبًّا لرعاياه الهولنديين ومفضلاً صالحهم على صالح اوربا عمومًا ولذلك تردد عن انفاذ ما طلب اليه انفاذهُ فجرى تهريب البضائع اوسع مجرى في مملكته فكتب اليه نابوليون وعارضهُ بما ترجمتهُ .

انهُ لا يجب ان يجعل الملوك سياستهم مهتمة في الحال فقط لان الاستقبال بما يستحق اهتمامهم . فما هي احوال اوربا الان . هي انكلترا من جهة واحدة حاصلة باجتهادها واوجدها على سطوة التزم العالم كله قبل الان بان يخضع لها ومن جهة اخرى الامبراطورية الفرنساوية ودول اواسط اوربا التي مع اتحادها لا تقدر ان تبقى خاضعة لتسلط انكلترا عليها في البحار وكانت لتلك الدول تجارة بحرية ومستعمرات واملاكها الواقعة عند البحار اوسع من سواحل كل الممالك الانكليزية غير انها انشقت فضادت انكلترا كلا منها على حدته فسادت في البحار وكثرت بوارجها . حتى ان روسيا واسوج وفرنسا واسبانيا امست لا تقدر ان تخرج بوارجها من ثغورها مع ان لها مراكب كثيرة وملاحين قادرين . انني راغب في السلام واحب ان احصل عليه بكل الوسائط التي لا تمس ناموس فرنسا وببذل كل ما يمكننا ناموسنا الوطني من بذله . وفي كل يوم ارى ما يعظم في عيني لزوم تقرير السلام وكذلك دول اواسط اوربا ترغب فيه قدر رغبتي . ولست بمائل الى ان

اضر بانكلترا حبًا بالانتقام ولا ابغضها بغضًا شديدًا وقد اقامت بمضادة دائمة لي وقد اقمت بما يقابل ذلك في اواسط اوربا ليس من حسد وطمع كما يظن البعض ولكن لا لزمها بان تساوي الخلاف الجاري فلا اعارضها اذا نجحت في اعمالها وجمعت ثروة عظيمة فان ذلك لا يعنيني اذا تمتعت فرنسا وحليفاتها بالامتيازات التي تتمتع هي بها . فالتدبيرات التي اقمنا بها في اواسط اوربا لها غاية واحدة وهي تقريب زمان تقرير حقوق اوربا وفرنسا العمومية . فدول الشمال قد انفذت الاتفاق المتعلق بمنع دخول البضائع الانكليزية الى بلادهم وقد انتفعت تجارتهم بذلك انتفاعًا عظيمًا . فالمنسوجات البروسيانية تقدر الان ان تناظر منسوجاتنا . هذا ولا يخفى ان فرنسا وجميع السواحل التي هي الان من الامبراطورية الفرنساوية من جون ليون الى اقصى الادرياتيك تمنع دخول البضائع الاجنبية اليها . وقد صممت على ان اقوم باجراآت متعلقة باسبانيا تكون نتيجتها اخذ البورتوغال من انكلترا وجعل كل السواحل الاسبانيولية في الشاطئين تابعة لسياسة فرنسا وعند ذلك تمسي كل سواحل اوربا تمنع دخول البضائع الانكليزية اليها خلا سواحل الدولة العثمانية وهي لا تهمني لان تلك البلاد ليس لها تجارة اوربية . فهذه التقريرات تبين لك النتائج المضرة التي تنتج من تسهيل هولاندا اسباب دخول البضائع الانكليزية الى اواسط اوربا . فانه يمكنها من ان تجمع المال الذي تعطيه بعد ان تجمعه للدول لتحاربنا . ولجلالتك من الصوالح ما لي في التحفظ من سياسة انكلترا الناتجة عن الاحتيال . فانه بعد سنين قليلة ترغب انكلترا في تقرير السلام كما نرغب نحن فيه فلاحظ احوال مملكتك فترى ان تلك التدبيرات تنفعها اكثر مما تنفع فرنسا فان هولاندا مملكة بحرية تجارية ولها ثغور جميلة ومراكب وملاحون ورؤساء حاذقون ومستعمرات حال كونها لا تكلف البلاد الاصلية شيئًا . واهاليها يعرفون احوال التجارة كالانكليز . فهذا ما يجعل الدفاع عن تلك الامتيازات من اعظم صوالحها . وربما كان السلام يرجع بها الى المركز الذي كانت فيه . واذا سلمنا ان مركزها يكون متعبًا بضع سنين نقول ان التعب افضل من ان يمسي ملك هولاندا كوال عند ملك الانكليز وتبيت هي ومستعمراتها خاضعة لسطوتها كانها تابعة لها . فصيانتك للتجارة الانكليزية تاتي بتلك النتائج . وكفاك برهانًا ما امست فيه سيسيليا والبورتوغال فانتظر نتائج اعمال الزمان . وانت ترغب في ان تبيع بلادك المسكرات المصنوعة فيها التي يرغب الانكليز في ان يشتروها فعين المكان الذي يتمكن الانكليز الذين يهربون البضائع من ان ياتوه ليشتروها على انه لا ينبغي ان تسمح لهم بان يبدلوها ببضائعهم بل الزمهم بان يدفعوا ثمنها نقودًا . فلا بد من تقرير السلام بعد هذا فعند ذلك تعقد معاهدة تجارة مع انكلترا وربما كنت انا ايضًا اعقد معاهدة معها فاجعلها ضمانة لصوالحنا وصوالحكم . فاذا التزمنا بان نسمح لانكلترا بان تكون لها سيادة بحرية لانها اشترتها بدمها ومالها وهي نتيجة طبيعية لمركزها الجغرافي ولاملاكها في قارات العالم الثلاث الاخرى نفوز بان تمكن راياتنا من ان تنشر في البحار بدون ان تكون عرضة للاهانات وتنقطع المخاطر العظيمة عن تجارتنا البحرية . اما في الحال فمن اللازم ان نوجه اجتهاداتنا الى منع انكلترا عن المداخلة في امور اواسط اوربا . انتهى

هذا ولا يخفى ان نابوليون اقام برنسين اسبانيولين على تخت اتروريا وكان الملك كسلان ضعيف العقل فمات في برهة قصيرة فقامت ملكة اتروريا بنت ملك اسبانيا بالوكالة عن ابنها . وكانت امراة ضعيفة

وعلى جانب عظيم من الطياشة . ولم تقدر ان تدرك منافع التدبيرات التي شرع نابوليون فيها في اواسط اوربا فكانت البضائع الانكليزية تدخل ليكورنا كما لو كانت ثغرًا انكليزيًا ومنها كانت تنتشر في جميع اقطار اواسط اوربا فامر بونابرت اوجين بان يسير بجيش قدره اربعة الاف ويقطع جبال الابنين بسرعة وينزل على ليكورنا ويحجز كل البضائع المختصة بالعدو وان يقوي ليكورنا بالتحصين ليحميها من كبرات الانكليز وان ينفذ الاعلان الذي نشره بونابرت وهو في برلين . وكان ذلك ظلمًا على ان نابوليون حامى عن نفسه بقوله ان العالم كان يطلب السلام وان انكلترا صاحبة البحار لم يكن يتيسر غلبها بقوة السلاح وانه ما من شيء يحملها على ان تطلب السلام الا مضادة تجارتها وان اوربا قررت اتحادها للوصول الى تلك النتيجة وانه لا يلزم ان تكون امراة ضعيفة العقل ما لكة الاسم في اوتروريا واسطة لمنع نجاح مشروع عظيم كذلك المشروع

وكان لنابوليون شقيق اسمه جيروم وهو اصغر اخوته وكان على جانب عظيم من الطياشة ومن حب التنزه والحنو وكان قد ادرك من العمر ٢١ سنة وكان نابوليون مكدرًا جدًا من تبذيراته ومغايراته الليلة . وكان قد سلمه رياسة سفينة حربية صغيرة وكان نابوليون يدعوه الشقي الصغير وفي ذات يوم كتب طالبًا نقودًا فاجابه نابوليون قد رايت تحريرك وقد فرغ صبري لانك خارج سفينتك فاريد ان اسمع بانك فيها تدرس عملاً يكون علة مجدك . فاذا مت صغيرًا اتعزى ولكن اذا ادركت الستين بدون ان تخدم بلادك وبدون ان تترك ذكرًا ممدوحًا اقول بالية لم يولد . انتهى

وسار جيروم المذكور الى ان بلغ نيويورك من امركا فراى فتاة اسمها مس اليليزبيات باترسون وكانت جميلة جدًا حال كونها بنت تاجر غني من بالطيمور فتزوجها . هذا وكان نابوليون مهتمًا بتاسيس دولة جديدة . وقد تقرر في قوانين فرنسا ان زواجًا كهذا الزواج بدون رضى الحكومة حال كون المتزوج برنسًا ربما كان يتصل تخت الملك اليه بالارث هو غير صحيح اي انه يعد كانه لم يعقد . وكان قد تقرر في عقول رجال الدولة الفرنساوية ان البرانس الذين ربما كان العرش يتصل اليهم يجب ان يتزوجوا بنانًا يكن واسطة لتقوية مراكزهم ولذلك امتنع نابوليون عن ان يعترف بهذا الزواج وعن ان يسمح لعروس اخوه الفتية بان تاتي فرنسا . فرجعت امه معة حزينة الى بالطيمور . وبعد ذلك تزوج جيروم بنت ملك ورتمبرغ وجعله اخوه نابوليون ملك وستفاليا وابنه هو البرنس نابوليون المشهور الذي كان ولي عهد امبراطور فرنسا الثالث لو مات بدون ولد او لو مات ابنه بدون عقب

هذا ولا يخفى ان الحكومة الفرنساوية كانت ذات ثلثة مجالس وهي مجلس السناو والتريبونا والمجلس القضاءي فصمم نابوليون على ان يقلل ذلك بواسطة جعل التريبونا والقضاءي مجلسًا واحدًا . وقد قال نابوليون بهذا الخصوص ان التريبونا كان بدون نفع مع اننا كنا نصرف عليه نحو نصف مليون في السنة ولذلك الغيته . وكنت عالمًا بان الناس يضجون لانني تعديت النظامات بابطاله على انني كنت قويًا وحاصلاً على اركان الناس وحسبت نفسي مصلحًا . ولا ريب في انني اقمت بذلك مراعاة لما هو احسن . ولو كنت مرائيًا او ذا نوايا بارديه لانشات مجلسًا كذلك المجلس لانه لا ريب في انه يقرر ما ارغب في تقريره . على ان هذا هو الذي كنت استعيض عنه في الاحكام فانني لم اشتر تخويلاً بالوعد باعطاء مال او توجيه وظيفة (ستاتي بقيته)

حلم المصور

(من قلم سليم افندي البستاني ترجمة)

الفصل الاول

كان فنس اور يار ذات يوم في المخدع الذي يصور به بالقلم فصاح قائلاً اين الصباغ الاصفر يا ترى . واخذ يفتش بين الالوان الموضوعة على المائدة بجانبه ويقلب بعضها على غير قصد و يقول من اخذهُ يا ترى يا ترافار هل اخذتهُ . فاجابهُ رجل كان مشغولاً بالتصوير في طرف ذلك المخدع الطويل بعد ان رفع راسهُ ونظر اليه قائلاً يا فنس ماذا تريد . فقال لهُ هل اخذت الصباغ الاصفر الجديد فانني لا اجدهُ هنا . فاجاب انا . . . لا اعلم . . . اجر . . . ربما كنت قد اخذتهُ . فقال لهُ فنس بفروغ صبر ارجوك ان ترجعهُ فانني قد فتشت عليهِ زماناً طويلاً وصرفت من الوقت ما هو اثمن منهُ . فقال لهُ اصبغ بالصباغ الاصفر القديم . فاجاب لا انهُ لا يوافق فلماذا لا تمتنع عن اخذ صباغي . فقال ترافار ماذا يمنعك عن ان تعاملني معاملة صديق وتغمرني بجميلك ثم ضحك . اما الذي يجعلني لا امتنع عن اخذهِ فانهُ اسهل عليَّ ان استعير منك من ان ارسل من يشتريهِ . فانتبه فانني ارمي بهِ اليك . وقبل ان اكمل كلامهُ رمي بالصباغ اليهِ فرفع فنس عينيهِ واذا بقنينة الصباغ تكاد تصدم راسهُ فرفع يديهِ بسرعة وامسكها واخرج الصباغ منها واخذ يزجهُ بلون اخر . وفي اثناء ذلك كان صاحبهُ ترافار ينظر اليهِ ثم كلمهُ قائلاً يا فنس ماذا تصور . فاجابهُ انني اصور تصويرة كبيرة . فقال ما هذا الجواب الا تعلم انك تصور صوراً كثيرة كبيرة وصغيرة . فقال لهُ ان شئت ان تعلم فتعال وانظر . وكان ترافار لسبب مجهول يحب ان يعرف اشغال رفيقهِ فترك قلم التصوير واتاهُ ووقف امام الصورة التي كان فنس مشغولاً بها . فصفر قبل ان تكلم صفرة طويلة ثم قال قد رجعت الى الشغل في هذه الصورة . فاجاب فنس بتانٍ نعم لانني لا اقدر ان امتنع عن تكميلها فانني كلما انقطعت عن الاشتغال بها احلم الحلم الذي قصصتهُ عليك بوضوح يزيد عن المرة السابقة حتى انني امس ليلاً ظننت انني في يقظة تامة . فاضحك عليَّ اذا شئت ان تضحك فانني اعلم ان ذلك من اغرب الامور

فقال ترافار بصدق انني لا اضحك عليك فانني لا اميل ابداً الى الضحك . وعندي انك اذ استمررت على هذه الحال تصير من الذين يرون حال كون الاشياء محجوبة عن اعينهم فتحلم الاحلام وترى ما يرونهُ هم . فلو كنت في ظروفك لامتنعت عن الانقياد الى ذلك الحلم . فقال فنس ماذا يفيد في ذلك وانت تستسهل التكلم بهذا الشان ما دمت لا تشعر بما قد شعرت بهِ ولكن لو شعرت . . . . فقال لهُ قاطعاً حديثهُ لو شعرت بهِ لما حدت عن سبيل التمييز كما حدت انت . فقال كيف حدت انا عنهُ . قال اما ترى ان كل صورك ملقاة منذ شهر بدون ان تشتغل بها شيئاً . فاجاب كيف اقدر ان اتخلص من هذه او من ذاك فانني رايت انني غير قادر على ان اشتغل بها وملزوم بان اشتغل بهذه الصورة . فقال هذا هو مرضك بعينهِ . ثم وضع يدهُ في جيبهِ ونظر الى الصورة كانهُ ينظر الى من قد جنى ذنباً عظيماً وانهُ قاضٍ مستعد لان يحكم عليها بالقتل . فقال ان هذا الكلام لا يليق بك وظاهرهُ لا يوافق فاحلف لك بصدق كلامي . فان الانسان يقدر ان يفعل ما يرغب في فعلهِ ولو كانت تلك الصورة العزيزة عندك لي

لقطعتها اربًا اربًا وطرحتها في النار . فقال هل هي
قبيحة حتى لا تستحق الحفظ . اجاب لا انها ليست بقبيحة
وانت تعلم انها من اجمل الصور التي صورتها واتقنها
وهذا هو سبب كدري . فانك قد جذبت اليها على
غير ارادتك حتى انك قد افرغت كل جهدك في
تصويرها واقول لك انني اظن انك تخطئ اذا
لم تنقطع عن الاشتغال بها . فضحك فنس ورفع عينيه
عن الصباغ الذي كان مشغولاً بمزجه ونظر الى الصورة
نظرة مستحسن ومفتخر . وقال من المؤكد ان منظرها
كمنظر صورة حقيقية الا ترى ذلك فيها . فاجاب
كيف لا فانني اقدر ان احلف بانك نقلت كل شيء
فيها عن صور طبيعية . اتقدر ان تقول بتأكيد انك
لم تر شيئًا كهذه الصورة فانطبع في ذهنك على غير
معرفة منك وظهر الان بواسطة التصوير . فاجاب
انني متأكد كل التأكيد بانني لم ار شيئًا مثلها والاشخاص
الذين صورتهم فيها لم انظر احدًا منهم حياتي بطولها .
فقال ربما كنت قد رايت من هم اقبح منهم منظرًا .
قال ربما كان ذلك صحيحًا فابعد قليلاً فانني اريد
ان اشتغل

فابتعد ثرافار قليلاً على انه لم ينقطع عن النظر
الى الصورة المذكورة نظرة غير مرتض واخذ فنس في
ان يشتغل بها ولم تكن كبيرة جدًا ولا ظهر المقصود
منها كل الظهور على انها كانت من الصور التي لا يمر
بالقرب منها مصور حاذق بدون ان يقف ليتفرج
عليها ويمدح اشياء كثيرة فيها ولئن كان من اشد الناس
تنكيتًا . وكانت مركبة من وادٍ حولها اراض جميلة
جدًا وتلال مكللة بنباتات واشجار خضرا جميلة وفي
احدى جهاتها وادٍ واقعة اشعة الشمس عليها وحولها
نباتات كثيرة وخضرا وفيها الف مكان فيها نور وظل
مختلف المقادير والهيئات . وهي مما يلتذ الانسان
بالنظر اليها لاتقانها والاعتناء باصغر الامور حتى انه
يصعب على الناظر اليها بان يصدق انها ليست بمنقولة
عن مكان موجود . وفي الجهة الامامية منها نهر جار
بسرعة حول الجبال الجميلة وهو آخذ في الاتساع في
مكان وقوع اشعة الشمس فكان كانه بلور لامع وعلى
جانبيه طريقان ضيقان يؤديان الى شاطئ النهر
وبالقرب منها اهم الصورة وهو قارب صغير فيه
فتاة قد وقع ما كانت لابسة اياه على راسها في الماء وعام
على وجه المياه وهو يجري شيئًا فشيئًا بجريها البطيء
في المكان المتسع امامها فكانت لابسة ثيابًا فيها ما يدل
على انها كانت قد اجهدت قواها للتخلص من خطر
حتى انتشر شعرها ولاحت لوائح الخوف والضيق
والكدر على وجهها وكانت تحاول ان تخرج قفزًا من
القارب لتصل الى البر . وكان معها في القارب رجل
آخر واقفًا منتصبًا وماسكًا ظهرها بذراع واحدة من
ذراعيه وبالاخرى كان يحل رباط القارب ليذهب
به الى داخل النهر المتسع المجرى في ذلك المكان .
اما الصورة فكانت متقنة جدًا وطبيعية ولم يظهر فيها
شيء من التكلف او التصنع ولا عيب في وقوفها
وعملها وصورة وجهها متقنة كل الاتقان واللوائح
ظاهرة فيها . اما الفتاة فكانت جميلة جدًا وكانت
رافعة وجهها وشعرها الكثير اللامع الجميل منتشر
ومنسدل على ظهرها ولذلك كان وجهها ظاهرًا وكل
شيء فيه ظاهر حتى معانيه فكانت ذات انف جميل
دقيق لامع متناسب الطول والعرض والارتفاع وفم
كخاتم عطر وعينين كبيرتين لامعتين ولوائح الغيظ
والاستخفاف تلوح عليها . اما ملابسها فكانت بسيطة
جدًا غير انه يظهر من لحظة واحدة انها متهذبة ومن
ذوات المنزلة والاعتبار وكذلك رفيقها كانت اللوائح
تدل على انه من اهل المنزلة وكان طويل القد
معتدل الجسم ولوائح الانفجار تلوح على وجهه ولم
يظهر من وجهه غير جهة واحدة وكان جميلاً جدًا

ولوائح الثبات وقوة العزم تلوح عليهِ . غير ان قوة عزمهِ كانت مخالفة لقوة عزم الفتاة لانهُ كان يظهر انها ذات عزم حار كالنار وعزمهُ بارد كالحديد . وكان في عينيهِ ما يدل على فرح شديد بفوز عظيم حتى ان ترافار قال لرفيقهِ فنس انني ارى شيئاً واحداً لا اقدر ان ادركهُ وهو كيف اصطبرت على تصوير هذا الوبش (اي صورة رجل) بدون ان تطرحهُ في الماء الخارج القارب . فاجاب فنس انني عانيت صعوبة عظيمة بذلك غير انني لم اكن قادراً على تجانبهِ . وانا اعلم انك تستصعب تصديق ذلك فاقول لك حقاً ان قوة غريبة حملتني على تصوير هذه الصورة وهي جاذب عظيم لي على انني انفر منها عندما ارى هذا الوبش . فقال ترافار ان صورة الفتاة جميلة جداً ودفاعها جميل فماذا جرى لها . فاجاب كيف اقدر ان اعلم ذلك فقال صور رجلاً ليخلصها ولا تسمح لذلك الوبش بان يفعل ما يشاء فان لوائح الفوز تلوح على وجههِ حتى انني لا اقدر ان اصبر عنهُ . فقال فنس من اصورهُ وفي اي مكان من الصورة اضعهُ فانني لم ارَ مخلصاً في الحلم . قال صورهُ هنا واشار الى مكان فيهِ نباتات جميلة واشجار . واذا شئت ان تصورني انا فما من مانع . فانني اود جداً ان اكسر راس ذلك الوبش ولو بالتخيل . وانت احمل مني واقوى فصور نفسك . . . .

فاحمر وجه فنس قليلاً فانهُ كان يليق بان يكون في ذلك المركز بالنظر الى طول قدهِ وقوة جسدهِ وعنفوان شبابهِ وجمال وجههِ وكل اعضائهِ فضلاً عما كان يلوح عليهِ من لوائح الشهامة والاقدام والنشاط فتفرس برهة في الصورة وتامل بما قالهُ رفيقهُ من تصويره مخلص ثم هز راسهُ وقال يا ترافار هذا لا يوافق الم تتذكر ما كنا نقولهُ في روسلدورف من انهُ من الواجب ان نحافظ بامانة على خواطرنا فانني لم ارَ نفسي قط في هذه الصورة . فقال الم ترَ غير نفسك . قال لا . فقال لا ريب في ان تلك الفتاة المنكردة الحظ في مركز صعب وضيق ولا اقول اكثر من ذلك وكلامي نتيجة شفقة حقيقية يشعر بها قلبي . ويا حبذا لو احرقنا هذه الصورة كلها لانك بت مسحوراً بها فهلم نترك الشغل برهة ونتنزه قليلاً فان كلاً منا في احتياج الى امور جديدة وهواء طيب . فانني بت مريضاً من مداومة الشغل وانت كذلك . فقال لي كم مرة تحلم هذا الحلم المدهش . هل تحلمهُ كل ليلة . فقال لا فانني لا احلم الا عندما انقطع عن الشغل بهذه الصورة . قال الا تتغير الم ترَ شيئاً سابقاً للحادثة التي صورتها او لاحقاً بها ما . اجاب انني لم ارَ غير ما قد صورت . قال وما هي حاسياتك المتعلقة بهِ . فضحك فنس وقال انني لست من اهل التخيل ولا تؤثر الامور فيَّ بسرعة . على انني اتامل بغرابة الامر واتمنى ان يمسي ذلك الوبش في يدي . قال انني ادرك المقصود . على انك لم تجب سؤالي هل تذهب للتنزه . قال يا صديقي العزيز ان الذهاب هو لذيذ جداً غير انني ظننت اننا قد قررنا ان احوالنا المالية محدودة فلا تسمح لنا بالذهاب . قال لقد اصبت فاننا لا نقدر ان نذهب الى حيث ينبغي ان ندفع نقوداً على انني اعرف ارضاً تفيض لبناً وعسلاً فلا تلزم النقود فيها وهي تكاد تكون غير معروفة فلا تشغل بالك . قال فنس انها من املاك البرستارجون . قال لا يا صديقي وهي ارض اقرب منها الى منزلنا وهي جبال ولاية نورث كارولينا . فان فيها اجمل مناظر قارة امركا والاهالي فيها بسطا محبو لوطنهم كرما ولوازم الحيوة كثيرة حتى ان قيمة المال قليلة وبالجملة نقول انها اركاديا الجديدة فلنذهب ونسافر فيها مشاة . قال فنس هل نمشي من هنا الى نورث كارولينا هل اصبت بجنون . قال لم

اصب بهِ اصابة تامة ياصديقي . مع انني عشيرك فاسمع لكلامي ولنواياي فتفهمها وتدرك المقصود اننا نركب المركبات النارية هنا الى ان تنتهي الطريق الحديدية وانتهاؤها ليس ببعيد عن تلك الجبال ومن ثم نحمل اخراجنا الصغيرة وكتب الرسم ونسير مشاة . ولا بد من ان نعيش عيشة بسيطة ولا توجد منازل للمسافرين بين بادكن والبرواد الفرنساوي ولذلك لا بد من ان نبقى بدون طعام في بعض الاحيان . على اننا اذا فزنا بتصوير جزء واحد من مائة جزء من الاشيا الجميلة التي نراها في تلك الاماكن نجمع ثروة عظيمة وذلك ما يستحق معاناة الاتعاب . فقال فنس ان كلامك يشوقني الى اجابة سؤالك على انني لا اعلم ماذا اصنع بصورتي قال ترافار فلتبت محرقة فانني ارغب في ابعادك عنها لاننا اذا بقينا هنا واشتغلت فيها مدة اخرى التزم بان اتيك بالكهنة والبخور والاجراس والشموع فقل لي هل تذهب معي فنظر فنس يتامل في الصورة لانهُ لم يكن يقدر ان يبعد عنها بسهولة وكان يعلم ان ترافار لا يخرج من المدينة وحده فتامل برهة وبعد ان تنهد صمم على الذهاب وقال اذا كان لا بد من المسير فلا ارى سبيلاً الى التخلص منهُ فساذهب معك على انني اظن اننا لا نرى شيئاً فيهِ من الجمال قدر نصف هذه الصورة واشار الى الفتاة المصورة فيها . فنظر اليها ترافار وهز راسهُ وابتعد قائلاً ان السحر في وجهها وعندي انك قد امسيت مقيد الايدي والارجل بسحرها

الفصل الثاني

في ذات يوم قال مستر رفارز لزوجتهِ انهُ ما من نفع في المفاوضة فان ماريون لا تتزوج ابداً ذلك الرجل . ومن صفات هذا المستر التي كانت معلومة عند عائلتهِ واصدقائهِ ثباتهُ على عزمهِ فلا تتغير ارائهُ بعد ان يقول انهُ قد قرر الامر الفلاني بالصورة الفلانية ولذلك لما سمعت زوجتهُ تلك الجملة منهُ عرفت انهُ ما من نفع في المفاوضات والبراهين فاتكأت على الكرسي الذي كانت جالسة عليهِ ولم تقل شيئاً غير انها تنهدت تنهداً قليلاً متضمناً لوماً . فقال انني لا اعلم ماذا جعل ماريون تعلق املها بالاقتران بهِ ولا ماذا جعلكِ تتوهمين بانني ارتضي بهِ . واخذ في ان يتكلم بصوت يدل على ان الغيظ قد تمكن منهُ وانهُ آخذ في الاشتداد . فقال الظاهر بالفعل انني لا اخرج من البيت بدون ان يقوم اهلهُ بعمل مضر . ففي المرة الاخيرة جرى مشكل جاك وهذه المرة تقولين بتان ان ماريون ترغب في ان تتزوج شاباً بعيداً عن المبادي وما من شاب ابعد منهُ عنها في كل البلاد فهو وبش . فقالت بصوت توسل يا عزيزي . فقاطعها بالحديث وقال بتوبيخ انني اثبت ما قلت فانني لم اعرف رجلاً من عائلة ريفورد ما لم يكن من الخالين من القواعد والمبادي وما سمعتهُ عنهُ يجعلني انتظر انتشار صيت العائلة بذلك ومن المعلوم ان رجال تلك العائلة لا يكذبون ولا يسرقون ولا يفعلون ما هو من هذا القبيل ولكنهم قوم يقامرون ويبارزون وافضل موت ماريون على اقترانها برجل منهم

فاجابت هل تصيب بالحكم على الاخرين بذلك بدون فحص فان الشاب الطالب الاقتران بها لم يرجع من اوربا الا منذ ايام قليلة والظاهر انهُ يختلف في امور كثيرة عن سائر العائلة وانا اعلم صفات عائلة ريفورد . على ان صفاتهِ مختلفة جداً عنها . قال ربما كان ظاهرهُ كملاك ومع ذلك لا اركن اليهِ وقد سمعت اموراً عنهُ ولم اذكرها لانهُ لم يخطر لي ببال ان ذلك يكون من متعلقاتنا وانا لا احب نقل الكلام . على ان هاري امستران كان في المانيا لما كان فيها هذا الفتي ما اسمهُ ياترى . هو الستون ريفورد واخبرني

بحدوث امر غير موافق وكان له اعظم دخل فيه ٠ وربما كنت ترغبين في ان يكون لماريون زوج كذلك الرجل ولكنني لا اقبل به ٠ فتنهدت زوجته تنهدًا شديدًا يدل على وقوعها في الياس فانها كانت تعلم ان محاولة اقناع زوجها العنيد بامر هو كمحاولة كسر صخر صلب براس بشري ٠ وتنهدت لخيبة املها وخيبة امل بنتها ٠ فانها كانت ترغب جدًّا في ان يكون السنيون رينفورد المذكور صهرًا لها فانه كان جميل الظاهر لطيف الحركات والمعاشرة فلم تكن تقدر ان تقطع املها من جرى ذلك بدون اسف ٠ فنظرت الى زوجها ورات في وجهه ما دل على ثبات عزمه ٠ وبعد ان تاملت برهة رات ان اوفق جواب هو الاتي انني لا اعلم ماذا تقول ابنتنا ماريون عن ذلك ٠٠ فقال زوجها ان ذلك ليس بمهم ٠ اما امها فتكون موافقة لارادتي بحيث تمتنع عن ان تقابله عند ما يزورها وعن ان تلاطفه عندما يلاطفها ٠ قالت الظاهر انك قد نسيت انه قد طلب اليها ان تقترن به فلا بد من ان تراه او تكتب اليه بافادة متعلقة بارادتك وليس بارادتها ٠ قال انه لا ينبغي ان تقول لا هذا ولا ذاك فانني ساواجهه واجعل للامر تسوية ٠ قالت اما انا اظن ان الاوفق ٠٠٠٠٠٠ فقاطعها بالحديث وقال بفروغ صبر انني اظن انك قد خسرت قوة التمييز كما خسرتها ماريون فانني قد قلت لك انه مامن ثمن فائدة في البحث في هذا الامر فانني قد قررت الامر بعقلي والمامول انني رئيس البيت فاخبري ماريون بما قلت او ارسليها اليَّ ٠ فقالت الاوفق ان اخبرها انا بذلك ٠ فاجاب فاخبريها ولا ريب في انها ستظن انني ظالم ذو قلب قاس وانني قد الحقت بها اعظم ضرر ولكن من الواجب ان تعلم انها مامن امل باقترانها بذلك الرجل ٠ فلم تجب ولكنها نهضت وخرجت من المخدع بدون ان تجيب بكلمة ولما

وصلت الى فسحة الدار واغلقت الباب اخذت تفرك يديها وكانت امراة نحيفة لا تقدر ان تنفذ غاياتها ولا اراداتها وظهر ضعفها ولطفها بعد خروجها من المخدع ووقوفها في اسفل السلم حزينة ذليلة مضطربة تنظر الى الاراضي من النوافذ خائفة من ان تلاقي بنتها اكثر مما خافت عند ملاقاة زوجها غير انه لم يكن سبيل الى التخلص من ذلك فانه كان لا بد من ان تبلغها كلام ابيها ٠٠ فقالت في نفسها متظلمة ان كل الاثقال تقع عليَّ ٠ ثم اخذت في ان تصعد في السلم وقبل الوصول الى اعلاه سمعت اصواتًا تدل على سرور اصحابها وفرحهم ٠ فلما وصلت الى اعلاه وقفت امام باب مخدع مفتوح بعض الفتح فسمعت صوت فتاتين مسرورتين تتكلمان بدون انقطاع فعرفت ان الزائرة هي نلي فورست ٠ وكانت كانها من اهل البيت ولذلك لم تكتم عنها اسرار اهله ٠ فتقدمت والدة ماريون من ذلك الباب فنظرت الفتاتان اليها وعرفتا من لوائح وجهها ما آل خبرها قبل ان تكلمت بشيء فقالت بنتها يا امي والاخرى يا مسز ريفارز ٠ ثم اخذت ماريون في التكلم فقالت اراك مكدرة فماذا يكدرك يا ترى ٠ فاجابت ان شيئًا مهمًّا يكدرني ٠ قالت هل عاد ابي ٠ اجابت نعم ٠ قالت هل اخبرته عن السنيون ٠ اجابت نعم ٠ قالت ماذا قال ٠ اجابت انه يفضل ان يراك في القبر على ان يراك زوجته ٠ قالت وا حسرتاه ما هذا ٠ قالت انه يرفض كل الرفض الارتضاء بذلك ٠ وبعد ان قالت ذلك جلست على كرسي بالقرب منها ونظرت الى ابنتها نظرة متوسلة وقالت انني لست مذنبة بهذا الامر وانت تعلمين احوال ابيك فلو جثوت على ركبتي وتوسلت اليه بان يغير عزمه لذهب تعبي سدى ٠ وقد قال انك لا تتزوجين بريفورند ٠ فلما سمعت ماريون بذلك نهضت بانتباه وقالت بصوت مرتجف

وبفرائص مرتعدة ووجه مضطرب انه لا يحق له ان يقول ما قاله . فلا تنظري اليّ يا والدتي فلو كان والدي قد وادني مائة مرة لما حق له ان يقول ذلك القول بدون ان يأتي ببرهان واسباب وليس لذلك سبب . فان الجميع يعلمون ان الستون لا يلام على شيء . . فقالت امها وعائلته . قالت ان اقاربه ليسوا بنفسه وما ادرانا ان ما نسمعه عنهم صحيح . على انني لا اصدق شيئًا من ذلك . قالت ان اباكِ قد قال انه قد سمع عنه اخبارًا غير موافقة . قالت انه ربما كان الوشاة واصحاب النميمة يطعنون ويبلغونه اخبارًا كثيرة . والظاهر انه قد جعلك من رأيه وهذا منتظر على انه ينبغي ان تعلمي انني لا اخضع لذلك . فاذا كان يشتكي منه فمن الواجب ان يوضح اسباب التشكي ويمكن الذي يعنيه ذلك من ان يدافع عن نفسه . ومن يسلم بثلم صيت انسان بدون فحص . ولو قال ذلك غير ابي اقلت انه نمام فقالت يا ماريون ما هذا . وكانت امها تهاب جمال بنتها واقدامها ولكنها رات انها قد اخطات بلوم ابيها فقالت لها لقد نسيت واجباتك فان اباكِ لم يكذب حياته بطولها ويحق له ان يستخير لكِ بدلاً انا جاء باسباب او لم يجئ بها . قالت انه لا يحق له ان يفعل ذلك . وكانت واقفة وقد اصفر لونها وخفق قلبها وظهرت لوائح على وجهها تبين انها مكتسبة كثيرًا من عناد ابيها . ثم قالت انه لا يحق لاحد ان ينفذ ارادته في ظروف كهذه الظروف بدون ان يأتي ببراهين واسباب لاثبات مساند اجراآته وبدون ذلك ينفذ الظلم . غير انني سارى الستون و . . . فقاطعتها امها في الحديث وقالت لها انه لا يسمح لك بان تقابليه بعد الان . فقالت ما هذا . قالت ان ما اقوله واضح فان اباكِ قد قال انه لا ينبغي ان تقابليه وانه سيخبره بانه لا يسمح باقترانك به . فنظرت الى امها بتعجب وغيظ فانها لم تقدر ان تخضع لاجراء ظالم كهذه الاجراء وبالتامل برهة رات انه ما من فائدة من اضاعة الزمان باظهار غيظها لامها لانها كانت ترجمان ابيها ولذلك همت ان تخرج من المخدع بدون ان تتلفظ بكلمة . فقالت امها بسرعة يا ماريون الى اين تذهبين . اجابت انني ذاهبة الى ابي فلا بد من ان اكلمه فلا توخريني يا امي فلا بد من ذلك . فامسكتها على انها افلتت منها وبلحظة اصبحت في الطبقة السفلى من الدار . وسمعت امها صوت مشيها بخوف واضطراب . ثم سمعتها تقرع باب مخدع ابيها ودخلته واغلقت الباب فنظرت الى مس فورست بتحير فضحكت وقالت لا بد من حدوث حرب فان عنيدًا امسى ينازع عنيدة . فقالت امها عندي انه لا بد من انكسار ماريون ومهما جرى يقع اللوم عليّ . وبعد نحو نصف ساعة فتح باب ذلك المخدع بعنف وسمع صوت ابي ماريون ينادي امراته . فلما جاءته اشار الى بنته التي كانت واقفة في وسط المخدع مهيبة ولوائح الثبات على العزم تلوح على وجهها وقال هوذا فتاة قد قررت في عقلها انه من حقوق جنسها اختيار ازواج لها وقد امتنعت عن ان تنقاد الى ارادتي من جهة مستر ريفورد وقد قالت انها مصممة على ان تحفظ له عهودًا وتراعي وعودًا . ولا اعلم هل المقصود من ذلك انها مصممة على ان تخرج خفية من بيت ابيها ولا اهتم بها فانني قد قلت انها لا تقترن به بارادتي ولا في بيتي فاذا شاءت ان تحمل عار الهرب اليه فالامر في يدها فانني لست بقاصد لان احجبها فقالت ولست بقاصدة الهرب فانك عالم بصفاتي واذا كان لا بد من الخضوع لاوامرك بهذا الامر فلا سبيل الى المخالفة غير ان الخضوع اجباري وليس باختياري فلا يغير الباطن !!

سيأتي بقيتها

ملحٌ فنّ

(من قلم جرجس افندي مخايل نحاس وغيره)

بليد متغفل

كان اعرابي يرعى غنمهُ في الجبل ثم عاد والعصا بيدهِ من غير غنم فقيل لهُ اين الغنم اجاب لا حول ولا . . . . اتيت وقطعت الطريق وانا اقول في نفسي ماذا نسيت في الجبل ياترى

بخيل

قال بعضهم لبخيل لمَ لا تدعوني في وقت عشائك قال لانك جيد المضغ سريع البلع اذا اكلت لقمة هيأت اخرى قال اتريد مني اذا اكلت لقمة اقوم اصلي واعود الى الاخرى

رجلٌ وامراةٌ

ادعى رجلٌ بتفسير الاحلام فاتتهُ امراة وقالت لهُ رايت الليلة الماضية في منامي بيدي قدوماً فقال لها ان زوجكِ قادمٌ قالت لهُ زوجي توفي فقال لها يا حمقى القدوم ياتي بهِ ولو كان ميتاً منذ الف سنة

نتيجة الكذب

التقى شحاذ باثنين في طريق فلم يحسنا اليهِ فالحّ فلتخلص احدهما منهُ قال لهُ اطلب من مولاي الامير فتحول عنهُ وانكب على قدمي الاخر فلما راى انهُ لا مناص منهُ قال لرفيقهِ ادفع لهُ خمسة غروش وقال للشحاذ قد امرت خادمي بان يدفع لك . فالتزم بان يدفع لهُ وهو يلوم نفسهُ على كذبة جلبت بالخسارة

جواب بارد

اشتد البرد في سنة ١٨٧٢ فكتب رجل بيروتي الى صديق لهُ بان يرسل لهُ فروًا فخاف ان يؤخر دفع الثمن فاجابهُ قائلاً اطلعت على تحريرك وبهِ تطلب فروًا ولا يخفى اننا في فصل شتا ووجود الفري الان قليل . فان شئت ان تصبر الى شهر تموز اشتري لك فروًا جيدًا . فاجابهُ راجع يامولاي التحرير فانني طلبت ارسال فرو لا ثلج

التحرير البارد

كتب رجل لهُ صديق لهُ يطلب منهُ مقدارًا من الثلج فاجابهُ يا صاح مطلوبك الان غالي الثمن فان شئت الاصطبار اربعة اشهر الى نصف الشتا فتتنزل اسعارهُ وحينئذ اتمكن من ارسالهِ اليك رخيصاً . فاجابهُ لا حاجة بعد الى الثلج لانني استغنيت عنهُ بتحريرك

التقيل

ضاف احدهم صاحباً لهُ في شهر كانون فبالغ في اكرامهِ ظاناً انهُ سيذهب في اليوم الثاني غير انهُ بعد ذلك استنتج انهُ سيصرف عندهُ وقتاً طويلاً فلام نفسهُ على اكرامهِ . ثم في الليلة الثانية اخذ الفراش واعطاهُ عوضاً عنهُ عباءة وقال لهُ انني امس استعرتهُ فلا تواخذني فقال لا باس . ثم في الليلة الثالثة اخذ العباة وقال لهُ وهذه عباة استعرتها امس . فقال لا باس انني التف بعباتي . ثم وفي الليلة الرابعة قال لهُ اعذرني فانني احتاج الى هذه الغرفة فان شئت فخذ هذا التورج ونم عليهِ خارجاً فاخذهُ وهو يبكي فسئل لماذا فقال لان بعد ستة اشهر ياتي الحصاد وحينئذٍ تحتاجون الى التورج فاين انام

مغفل

كان احد المغفلين اتياً مع رفقائهِ الى مكان فشعر ببرد في انفهِ وكان قد سمع ان الذي يموت يبرد انفهُ اولاً فصرخ قائلاً ادفنوني لانني مت ووقع على الارض كالميت فاخذت ارفاقهُ في انهاضهِ فدعوهُ للانتباه فلم يجب بشيء فتاكدوا موتهُ وحملوهُ وهم يتاسفون عليهِ ولما وصلوا الى مفارق الطريق اختلفوا في اي يذهبون فنهض الميت وقال سيروا من هذه الطريق فانني قد تعودت المسير فيها

الجنان

الجزء الثاني

في ٥ اكانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ١٦ شباط فافريه) ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

من يجهل الطريق التي يسلكها يجهل المكان الذي يبلغهُ وكذلك السياسة ذات سبل وغايات . وفي اوربا ليست بمستقلة فان الدول على اشتراك في المصالح وبالتالي بالسياسة وهذا الاشتراك سبب مداخلة بعض الدول في سياسة البعض الاخر وكانت هذه المداخلة في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الجاري اوسع من مداخلات هذا الزمان وافعل منها واعم لاشتراك مصالح الدول العامة التي تحالفت على دوس عناصر الحرية التي ظهرت في فرنسا ظهورًا غير مرتب في بادي الامر ثم تحولت الى قنصلية نابوليون ثم الى امبراطوريته الاولى فكانت النمسا مثلاً تداخل في تعيين وزير انكليزي وكذلك انكلترا وروسيا وبروسيا وغيرها فالمصالح العامة تدعو الى اتحاد اصحابها في جهة ومضاديها في جهة اخرى وبعد قلب الامبراطورية الاولى وارجاع ملكية البوربون الى فرنسا ضعفت اسباب تلك المداخلات وفي حرب القرم رجع بعضها ولا يكون لها تاثير في الافراد ما دامت توجيهات المناصب بالانتخاب او بفوز اكثرية او بنظام لا تجاسر الحكومات على مخالفته ولا تزال اثارها في هذه الايام ولم ننسَ ما قراناهُ في كتابات البرنس بسمارك السرية التي نشرت باختلافهِ هو والكونت ارنيم من وجوب عضد موسيو تيرس ليبقى متقلدًا رياسة الجمهورية ولا ما قراناهُ منذ شهر من كلام المانيا المتعلق بسياستها اذا فصل الكونت اندراسي وخلفهُ رئيس الحزب الالماني في النمسا وهذه شواهد كافية على المداخلة ومن المؤكد انها قلت ورفعت عن عواتق رجال السياسة اثقالاً عظيمة كانت تلتزم ان تحملها مراعاة لتلك المداخلات وهي نوعان وقتية ودائمة فالاولى تكون بحسب الحوادث والاحوال وتزول بزوالها والثانية ثابتة لانها مقررة بمعاهدات واهمها المعاهدة التي عقدت بين دول اوربا بعد سقوط الامبراطورية الفرنسوية الاولى وتحددت بها املاكها وجعلت البلجيك مملكة متوسطة متحايدة والمعاهدة الباريزية التي عقدت بعد حرب القرم فالمعاهدتان المذكورتان تفتحان ابوابًا للمداخلة في امور كثيرة يمس بها الصالح العام منها حفظ البلجيك على حالها والاتفاق على المحافظة على الحالة الشرقية فلا يحدث اقل تغيير بدون رضى كل الدول التي عقدت المعاهدة المذكورة فلما رغب حضرة امبراطور روسيا في ان يغير فيها البند المتعلق بالبحر الاسود لم تقبل انكلترا ان تسلم اليهِ بذلك الا بعد عقد مجلس دولي في لوندرا وتقرر لكل الدول حق ادخال بوارجها الى ذلك البحر بدون معارضة وكذلك لم يتقرر نظام لبنان الا برضى كل الدول وكما ان للدول الاوربية حقوقًا عهدية في الشرق للباب العالي حقوق تقابلها ومن

امثال المداخلة الموقتة مداخلات روسيا وانكلترا في الربيع الماضي لمنع المانيا عن فتح حرب على فرنسا وعندنا انها رحمة للعالمين ولولاها لابتلعت الدول القوية في اوربا الدول الضعيفة وامست الصغيرة فريسة للكبيرة فتعود الدنيا الى ما كانت عليهِ في ايام الدولة الرومانية التي بعد قلب دولة قرطجنة اصبحت بدون معارض فملكت اكثر العالم حتى حدود الهند في الشرق والغرب كلهُ خلا البلدان التي باتت ببربرية اهاليها وتاخرها لاتستحق التفاتها ولا ينكر منافع هذه المداخلات الامن لا يعلم حقيقة احوال الدنيا السياسية ونسبة بعض الامم الى البعض الاخر ولم ننسَ المداخلات النافعة التي جاءت بتسوية ثورة اكريت ودفعت اضرار حرب القرم ولا ريب في ان المتعقلين من الشرقيين يشكرون الله سبحانهُ وتعالى والدولة العلية لانها قد قررت بالمعاهدات مداخلات نافعة سياسيًا في القارة الاوربية واصبحت ذات تاثير في القارة الاسية وبهذه المداخلات اصبحنا نعلق الامل بمنع عصاة الهرسك عن مداومة الحرب واذا لم يقتنعوا بها تكون دول اوربا ملتزمة بان تفرغ جهدها السياسي في سبيل مساعدة الدولة العلية سياسيًا للوصول الى المرغوب وما جعلناهُ استهلالاً لهذه الجملة قاعدة مقررة ولم نوضح المقصود منهُ في الكلام الماضي لاننا افرغنا الجهد في اظهار وقائع مثبتة للاراء التي اوردناها فنقول ان الدول الاوربية وان كانت متعاهدة قد امست في احوال تحاكي احوال من يسلك سبيلاً مجهولا عندهُ وهي عالمة بواجباتها وعهودها وصوالحها ولكن بعضها يجهل مقاصد البعض الاخر وغاياتهِ في الحال لان مقاصد كلها الاستقبالية معلومة عند جميع ارباب السياسة فروسيا تطمع في الازدياد وفتوحاتها متواصلة والمانيا في غلب الحزب الديني الكاثوليكي والتخلص من

اثقال جيشها المضرة براحة بالها من جهة فرنسا وهي مترشحة الى ترقية اسباب تجارتها والنمسا ترتاح الى المحافظة على الراحة من كل جانب وفرنسا ترغب في اخذ الثار فلا نرى في العالم ما يريح الافكار من جهة الاستقبال وكل دولة توافق الاخرى مترددة كالنمسا فان ما ظهر منها في بادي الامر مخالف لما ظهر بعد ذلك وظهور ميل المانيا الى فتح حرب على فرنسا هو مخالف لميل روسيا مع انهما تقولان انهما متحدتان ومن الموكد ان سبب ذلك هو ضرورة التظاهر بالاتحاد في الحال مراعاة لصوالح موقتة على ان نفس الصوالح الاستقبالية لاتسمح للدول بان تراعي صوالحها الحالية مع قطع النظر عن المستقبل وهذا سبب تباين نتائج بعض اعمال وتباين بعض الوسائط وسرعة التجهيز لئلا يتم تاهب دولة او دول قبل تاهب القوة المضادة فتفوز ومن المقرر ان اختلاف الصوالح الوقتية كان لمنع الاتحاد على الاستقبالية وبالعكس لانهُ لا يتيسر مراعاة احداها مع قطع النظر بسبب العلاقة الجارية بينهما والعسر المالي في العالم بسبب السياسة وغيرها الجامر لتلك القوات لولاه لجمحت بالعالم والفتنة في ويل وهوان وربما تبعها فرج فيخلص الناس من الضيق الحالي فتاخر ذلك ليس من مصلحتهم لانهُ يطيل زمان ضيق والظواهر لاتدل على ان مرور سنة او سنتين يزيلهُ لانهُ بطول فعل الموثر يزداد التاثير وهذا يدل على ان الانتظار اجباري وقد يكون بسبب مانع خارجي او داخلي او بسببهما جميعًا فمقاومات المانيا خارجية لانها مع قلاقلها الداخلية لاتقدر ان تفتح حربًا على غير رضى دولتين عظيمتين كروسيا وانكلترا ومانع فرنسا في الغالب داخلي وروسيا قد جمعت بينهما بالمالية والمناظرة بينها وبين المانيا وفي ذلك محل متسع للنظر فان الدولتين المشار اليهما اقوى دول العالم ولا بد من ان تكون الحكمة مرافقة لاعمالها حملاً على ان الحكمة لاتنفك عن القوات

الغير المتناهية ومن المقرر انها اذا وقعت عداوة بينهما يعود الضرر على الدولتين والمظنون انها تضعفهما وتحط بشانهما وهذه حقيقة معلومة عندهما وليست ظروفهما من جهة المالية واسباب الانتقال كظروف فرنسا فلا تقدر ان تربح احدهما من الاخرى شيئًا يوازي الخسارة التي تسبق الفوز وقد تقرر عندهما ان ارتفاع شانهما يكون بالاتحاد ولذلك لا يسلم العقل بالحال بان روسيا تفضل الاتحاد مع فرنسا على الاتحاد مع المانيا ما لم تعارضها المانيا معارضة مهمة في مشروعاتها والمظنون ان المانيا تعلم ان ذلك يعود عليها بسوء العاقبة فبعض الدول لا يستامن البعض الاخر ولذلك باتت سالكة طريقًا مجهولة عندها بالنظر الى اختلاف الصوالح والخوف من المضادة المضرة اذا ظهرت النوايا فكل منها يقوم باعباء السياسة بدون ان يكون عالمًا بالاستقبال لجهله نوايا الدول الاخرى والظاهر انها كلها قد اجمعت على ان التجهيز من الامور اللازمة وهذا دليل سوء النوايا والخوف من الاستقبال وعدم اركان بعضها الى البعض الاخر فاستبداد صوالحنا باختلافها ولا سيما اذا انحصر بالسياسة وابتعد عن السيوف

مصر

لو جعل الذين يتعاطون الاشغال في العالم اعمالهم منزهة عن التاثير بما لا يسلم العقل والتمييز بانه موثر صحيح لنجا كثيرون من افات وصعوبات طالما نجمت عن اشاعات كاذبة او اوهام باطلة واعظم شاهد على ذلك ما جرى في اسواق المالية المصرية هذه السنة في اثر التدبيرات المالية في الباب العالي وما تبع هبوط اوراقها من الصعود فالهبوط فالصعود ومن الموكد ان الحملة الحبشية دخلًا في الاحوال التابعة للاولى وان مصر نفسها والاسكندرية هما اعظم ينبوع لتلك الاشاعات وان وقوع الانسان في ضيق يجعل النور في عينيه سوادًا فيرى لكل شيء وجهًا مسودًّا فحالة التجارة والخسائر المالية التي لحقت باهالي مصر كما لحقت بسورية وتحويل اشغال مهمة من تلك الديار الى ترعة السويس قد اجتمعت في هذا الزمان لتضييق صدور الاهالي بل كل اصحاب الثروة الذين يشاهدون نقصانها عوضًا عن ان يشاهدوا زيادتها ومن يشتد الضيق عليه او يقل توفيقه يتوهم ان الارض تكاد تمور به او ان السما تكاد تهبط عليه والحال الان وهيهات فان ضيقات مصر وضيقات سورية الناشئة عن وقوف دولاب التجارة والمالية وبالتالي كل الاعمال وانحطاط اسعار المحصولات ليست الا كقطرة في بحر الضيقات التي المت بالعالم في السنة الماضية وفي هذه السنة في المانيا والنمسا وايطاليا والممالك المحروسة وبلدان اخرى من اواسط اوربا حتى بلغت امركا قاطعة بحر الاتلانتيك وقد ظهر من التعديلات الانكليزية ان انكلترا في تاخر هذه السنة بالنسبة الى ارباحها في السنة الماضية والتي سبقتها فلا ينبغي ان تفرغ جعبة الصبر عندنا ولا ان نزيد ارتباكنا بازدياد ضجرنا ونسود اعمالنا بسواد امالنا فان الزمان قد دخل بنا في ضيق لا بد من الخروج منه والحكومات كلها هذه السنة خلا القليل تلتزم بان تسد نقص ماليتها بقروض لا يتيسر عقدها بشروط قروض ماضية وقد اصابت جريدة التيمس بقولها ان مصر قد استدانت مبلغًا وافرًا من اوربا وتركت منه اثرًا نافعًا بل اثارًا ولسنا من الذين يكتفون بالكتابات بتقرير كلام بدون اسناده الى البراهين فنقول ان لسلامة المالية في مصر اسبابًا كثيرة وهو ان فلاحها قادر على زرع كل اراضيها ومهما حمل من الاموال الاميرية لا يكون موازيًا

لما رتّبته بالطرق الحديدية والترع وترقية اسباب
الزراعة بواسطة الدين الذي قد زاد الاموال
الاميرية عليه للقيام بفائضه فدخل الحكومة امسى
ضعف دخلها منذ عشر سنوات وحالة الفلاح لا
تزال على ما كانت عليه هذا مع قطع النظر عن سني
حرب امركا وارباح القطن وما دام الزارع قادرا
على زرع اراضيه ولا يبلى بالجوع والفنا حتى يلتزم بان
يهاجر تكون حالته قابلة للتحسين وغير موجبة للخوف
من ضعف الحكومة بضعفه بل من خرابها بخرابه
واذا خرجت اسباب زيادة الثروة كالطرق والترع
والمرافي من يد الحكومة لا تنقطع منافعها فتربح البلاد
الفرق بين دخلها المعتدل وفائض المال المصروف
فيها الغير المعتدل وما من بلاد في الدنيا كثر طرقها
الحديدية المصرية لها كمصر فان طرقها الوحيدة
الاجنبية هي الواقعة بين الاسكندرية والرمل ولا
تستحق الذكر وطرق انكلترا للاهالي وليس في مصر
احتياج سياسي الى الطرق الحديدية يستوجب حفظها
وما من احد يشور ببيعها اذا كان دخلها قدر فائض
المال الذي تباع به والمرجح انه ليس قدر ربعه واذا
بيعت بعض الطرق الحالية تقدر الحكومة ان تقيم
غيرها فتكون رغبة الحكومة الخديوية في التخلص
دفعة واحدة من قسم عظيم من دينها بنبوع نفع
للبلاد وثروة الاهالي فانها تصبح قادرة ان تخصص
مبلغا معتدلاً سنويًا لانشاء الطرق بالتاني للتخلص
من اضرار السرعة واذا باعت مصر هذه الطرق او
لم تبعها لا نخاف على ما لينها الان من اسباب سلامتها
قلة مصاريفها البحرية والعسكرية وشدة انقياد اهاليها
ودل من فحص حالتها المالية وقابلها بحالة دول
عظيمة يراها في فرج وما هبوطها الحالي الا كهبوط
مالية المجر عند تقصير النمسا عن دفع كل
فائضها ولم تتخلص المجر من ضيقها الا بالتكفل
بدفع ما قصرت النمسا عن دفعه ومصر ملتزمة
بان ترفع عن نفسها تاثيرات التدبيرات المالية في
الباب العالي بدون الاستناد الى قروض لانها لا تقدر
ان تتكفل بشيء واذا صدقت الاخبار البرقية يكون
نجاح مستر كايف المامور المالي الانكليزي ورجوعه الى
انكلترا وقد اقام بامور بنوه اعظم شاهد على كل ما
اوردناه ومهما كانت حملة الحبش لا يكون لها عظيم
تاثير في المالية ولو صرفت مليونًا او مليونين لان
نصف مصروفها لا بد منه للقيام بمصاريف الجند
الاعتيادية وليس المقصود ضم الحبشة الى مصر لان
حكمة الحضرة الخديوية قد رات ان الاحتياج هو
الى دفع تعديات الحبشة واكمال تمدن دارفور وغيرها
والمحافظة على تغلب الجنسية العربية في بلاده وجمع
قوته العسكرية والمالية في مركز ضيق للانتفاع بها
في مركز حيوة البلاد ولذلك قد نشر رسميًا انه ليس
بقاصد الا رد تعديات الحبشة عن الحدود وياحبذا
لو امكن ضم الحبشة الى مصر ليس لقيام صالح الخديوية
ولكن مراعاة لصالح الحبشة انفسهم والعالم لانه في
الحالة الجارية لا ينتفع منهم وهذه سنة فوز مصر بفتح
مجالس المحاكمات وبحكمة سعادة رياض باشا ناظر
الحقانية واستقامة الرؤساء والاعضاء ومعارفهم ستفوز
مصر بمحاكم عفيفة عادلة متصفة ليس في اوربا احسن
منها وربما كانت تعمم فتحكم في الدعاوي المختلطة
وغيرها وكم من اشاعة قد سمعناها عن حضرة
صاحب الدولة اسمعيل باشا صديق بالنظر الى المالية
مع انه روحها وكل قواه مصروفة في سبيل استبداد
احوالها واشغاله عظيمة جدًا فلا تكل قواه ولا
يفرغ صبره ولا يضيق صدره ومن المقرر ان الحكومة
بالامة ونجاح الامة بحكومتها فرجال حكومة مصر
بالاستناد الى عضدهم الخديوي العظيم وولي عهده
الافخم ليسوا من الذين تتاخر البلدان بادارتهم

جيش روسيا

قالت جريدة الانفاليد الروسية ان السنة الماضية قد رات اسباب قلاقل مهمة ولولم يصر امبراطور روسيا على المحافظة على السلام في اوربا لبانت في ارتباكات عظيمة في الربيع فنشكره على سياسته المصيبة فان السلام ثبت في الربيع وجرت مخابرات حبية بين الدول التي يهمها ثبوت احوال الشرق. ومن الموكد ان القلاقل الكثيرة التي بليت اوربا بها في الماضي تقلل الاركان الى الاستقبال. على ان الصلات الصداقية الجارية بين اقوى دول اواسط اوربا الثالث ضمانة تضمن بذل جهدها للحصول على نتيجة سلمية لكل ما يحدث لازالة اسباب المنازعات المضرة بصوالح كل الامم. وكانت روسيا تحفظ السلام في اوربا وهي ملتزمة بان تجرد السيف في اسيا. لان قليلين من اهل المطامع في خوكند طردوا الخان واشهروا حربا على الروسيين وهجموا بغتة على حدودنا فاجتمعت جنودنا بسرعة تحت قيادة الجنرال فون كوفمان وهزمت الاعداء في مخرم وبينت لاهالي اسيا مرة ثانية انه لاسبيل الى التعدي على املاكنا. لان جنودا كثيرين قد انكسروا بجنود قليلين جدا من الروسيين الذين حملوا على حصون وفتحوها عنوة وظهرت شجاعة رجالنا في كل مكان بانكسار الاعداء وتبدد شملهم. وهذا الاضطراب المحلي لم يعق اكمال تنظيم الجيش. وقد تمكنت وزارتنا الحربية من وضع نظام موثر لزمان الحرب بدون ان تجعل الجيش اكثر من جيش زمان السلام او تحمل خزينتنا اثقالا مالية. وقد اقامت بتنظيم كل اقسام العساكر بنشاط وحسنت سلاحها واقامت بكل ما من شانه تحسين النظام والقوة الحربية. ونقول باصابة اننا قد جمعنا راس المال لتصرفه عند حلول الفرص ومن اهم اصلاحات هذه السنة تنظيم الفرسان ومدافع الافراس. وقد ضعف عدد جيوش الفرسان السبع وهي مع جيش القوساق ١٤ جيشا وفي كل منها فرقة من الدراغون وفرقة من الاوهلان وفرقة من الهوسار وفرقة من الدون قوساق. ومن الفرق الاربع من قوساق الدون التي لم تنتظم في سلك الجيوش المذكورة المتقدم ذكرها اقيم جيش قوساقي مخصوص. وكذلك فرسان الحرس قد نظمت تنظيما يجعلها مستعدة للمسير وهي منقسمة الى ثلاثة جيوش مختلطة والى جيش قوساقي ومنها فرقة وارسو. وقد اتصل هذا النظام الى جيش فرسان قوه قاف فانه قد اضيف اليه فرقتان جديدتان من الفرسان المنظمين وفرقتان من القوساق وقد صار كافيا لبولف جيشين فصار مجموع جيوش الفرسان ٢٠ جيشا. وقد زيدت الفرقة الصغيرة فصارت ٣٢ فارسا بعد ان كانت ١٦ فارسا

ونتج عن تنظيم الفرسان تنظيم افراس المدافع او المدافع التي تحملها الخيول او تجرها. وقد زيدت صفوفها الى ٣٦ صفا بعد ان كانت ١٨ صفا فقط والقوساق صارت ٢٢ بعد ان كانت ١٦ وقد قلل عدد المدافع في كل صف فصار ٦ بعد ان كان ٨ ويكون مع كل جيش من الفرسان صفان من المدافع وفي جيش الحرس يكون مع كل جيش من جيوش المدافع خمسة صفوف منظمة وصف من القوساق. وهذا في النظام يقرب الروابط بين القوساق وجيوش الفرسان فتكون من الان وصاعدا كانها قوة واحدة مولفة من عناصر مختلفة. ولذلك قد تنظمت كل خدمة القوساق العسكرية فانه معلوم ان قوساق الدون لم يكن لهم انتظام عسكري ثابت. فانه كانت تقام فرق جديدة عند القرعة وكان الضباط يوخذون بالنوبة فكانوا جمهورا بدون ارتباط. وقد ابطل ذلك وصار القوساق جيشا منظما في وقت السلام يسهل جمعه وضمه الى جيوش الفرسان في زمان الحرب.

ففي النظام الجديد يؤلف من قوساق الدون ٦٢ فرقة و٢٢ صفاً من جنود صفوف المدافع ففرقتان منها وصفان لجيش الحرس . ويكون لها في زمان السلام ٢١ فرقة و٨ صفوف مدافع . وهكذا قد ربحنا جيوشاً جيدة جداً عددها ٥٠ او ٥٥ الف رجل ورديفاً يزيد عن الثلاثين الفاً

ولا نقدر ان نخصص مبلغاً وافراً من النقود لاسباب الدفاع المتعلقة بدائرة المهندسين في زمان لا بد من ان نسرع جداً فيه لاتمام تنظيم الجنود التي تتعلق بها الخدمة العاملة . فاذا قطعنا النظر عن حصون اوتشاكوف يلزم ان نرتضي باتمام قلع بدون ان نبني قلعاً جديدة . وقد اقيمت الجيوش في مراكز مختلفة في البلاد ووضعت مركباتها ومهماتها في اماكن تمكن الحكومة من جمعها في برهة قصيرة وقد احدثت تغييرات في النظامات المحلية العسكرية . وتبقى مصاريف الجنود واحدة الى نهاية سنة ١٨٧٨ اي ١٧٤ مليون ريال مسكوبي . فاذا جعلنا عدد جيشنا يزيد عن عدده الحالي تزداد مصاريفه فلا تبقى عندنا نقود كافية لصنع الاسلحة اللازمة فيكون عندنا عدد غفير من الرجال بدون ريب بدون السلاح الموافق فيحل بهم ما حل بمليون ومائتين وخمسين الفاً من جنودنا في حرب القرم ولكن اذا تاهبنا لسد احتياجات عدد غفير وحسبنا حالة الجنود المتقلدة السلاح نكون متاهبين فنجمع العدد اللازم ولو كان ضعف العدد الجاري او اكثر بسهولة . انتهى

وقد ظهر من التعديل المذكور انه قد عملت زيادة جيش روسيا في زمان السلام فظهران الزيادة ٥٠ الف جندي واكثرهم من جنود الفرسان والمدافع فانهم قد صاروا من الجنود التي تبقى على الدوام في حالة التجهيز ومراكزهم في الغالب بالقرب من طرق حديدية في الولايات الغربية وهم على استعداد دائم لدخول ميدان الحرب . ومن اصابات روسيا ان القرعة العامة لا تجري قبل مضي ثلث سنوات وانها ستنفذ بحسب التاهب والحصول على قواد . ومن المؤكد ان جيش روسيا ليس من الجيوش الغير النافعة ولو كان السلام متغلباً في الحال فان حضرة الامبراطور الحالي قد وسع دائرة املاكه باضافة ٢٥ الفاً و٢٤٠٧ ميلاً جغرافياً مربعاً وهذه بلاد مساحتها تزيد عن ثلثة اضعاف مساحة المانيا وتحو ستة اضعاف مساحة مملكة انكلترا او ايرلاندا في اوربا

روسيا

قالت جريدة التيمس قد نشرنا في عمود اخر من هذه الجريدة جملة نشرتها جريدة الانفليد وفيها تقرير رسمي عن الجيش الروسي وهو مهم في هذا الزمان الذي ترى فيه اسباباً مكدرة تحمل دول اوربا الحربية على المناظرة في القوة العسكرية . وهذا الخبر مهم مفيد بالنظر الى وجود روسيا في حالة غير ظاهرة مع ان الاخبار تسير بالبرق في هذا الزمان . وقد ظهر لنا ان احوالها كانت معلومة في الزمان الماضي اكثر من هذه الايام مع انها كانت فيه ابعد عنا مما هي الان . وفي زمان حروب نابوليون الاول كنا ننظر اليها كحصن النظام الدولي وسنة ١٨١٢ اخدمت اوربا بهوائها خدمة عظيمة لا تقدر الجيوش ان تقوم بها ولولا حرق موسكو لا هلاك جيش نابوليون الاول لما حصلنا على معركة واترلو التي كانت علة سقوطه . وحصرت ميزانية القوة في ايام الاتحاد المسمى بالمقدس فابغضها اهل الحرية في اواسط اوربا . وكان يظهر للناس انها دولة عظيمة ثابتة العزم تسند الملوك عندما يحتاجون الى عضدها

اما الامبراطور نقولا فجعل سياسته متجهة الى تنشيط عنصر العسكرية وتعليم فنونها للشعب والجنود واسعاف كل ملك بات في صعوبة بعصيان رعاياه

ومما يدل على شدة ميله العسكري وضيق دائرة قواعده العمومية ما جرى بينه وبين المهندسين عند ما اشاروا عليه بانشا طريق حديدية عظيمة وجعلها تحيد عن خط مستقيم لتمر بمراكز تجارية فرسم على الاطلس او رسم البلاد خطاً مستقيماً من نقطة الى نقطة وامر بانشا الطريق مع قطع النظر عن الحسنات التجارية فانه لم يكن لها اعتبار عنده الا من جهة تسهيلها اسباب تكثير الجنود · والحرية العمومية كانت من المجهولات عنده فلا يعجب من يسمع بانه اعار جنوده للنمسا لاخماد ثورة المجر · وهذا برهان معرفتنا الاحوال الروسية في زمانه فكانت تهابها كل الامم الحرة · فهذا يبين حقيقة الاسباب التي حملت الانكليز على ان يدخلوا حرب القرم · وكان قد تقرر في عقول الانكليز ان روسيا كانت عدوة القواعد الحرة ولم يكن يعلم اين يكون حد نفوذها في اوربا لو فازت في حرب القرم ونشرت فيها سطوتها المقاومة للحرية · فاذا قيل ان حرب القرم لم تأت بنتائج نجيب ان نتيجتها العظمى رد السطوة الروسية ونمو المانيا قد اكمل العمل · وروسيا الان في يسر لم نرها فيه قبلاً وامبراطورها الحالي يختلف عن سلفه كاختلاف لويس السادس عشر ملك فرنسا عن لويس الرابع عشر · فان ميله ليس يتجه كل الاتجاه الى ميادين التمرينات العسكرية ويخلف ذكرى تقرر في عقول الناس انه مصلح عظيم في بلاده كالامبراطور بطرس الاول · ودليل امياله تحرير الذين كانوا في رق العبودية في بلاده كما ان دليل اميال ابيه محاربة المجر لمنع حصولهم على الحرية · وكل ميل فيه متجه الى السلام · ولا نرى ما يحملنا على تكذيب ما سمعناه من ان الفتوحات الاخيرة في اواسط اسيا جرت على غير ارادته ومن انه جاء بسطوة معدلة في المفاوضات المتعلقة بالشرق · فهو

اشد الملوك رغبة في المحافظة على السلام وقد تقرر في عقول الناس انه خدم العالم في الربع الماضي خدمة مهمة جداً آلت الى تقرير السلام · ومن المعلوم ان نفس امبراطور روسيا مطلق بالاسم فقط لان ميل الامة يقوده ولا يستخف بقوة ميل امة لانها الا ترى فان ميلاً اقوى من ارادته يدفعه جنوبًا وشرقًا ولذلك رأينا ان اشد الامبراطورين رغبة في المحافظة على السلام قد رفض المعاهدة التي قرر فيها انه لا تكون له بوارج في البحر الاسود · وقد فتح بلاداً متسعة وقد نال مكاتبنا البروسياني ان مساحتها ٣٥ الفاً و٢٤٧ ميلاً مربعاً جغرافياً وهي اكثر من ثلثة اضعاف مساحة المانيا وستة اضعاف مساحة مملكة بريطانيا في اوربا اي الانكليز. فاحب الامبراطورين للسلام فاتح كالاسكندر وقيصر ونابوليون فقد اصبح مناظراً لهم على غير ارادته · ومما يزيد ارتيابنا في سياسة روسيا المستقبلة ما نراه في الزمان المتأخر من ظهور الاميال الروسية القديمة في قسم عظيم من اهل المعارف فيها · وقد حاولوا الاستخفاف بالتمدن الذي استعاروه من الغرب وقد قالوا ان في احوال الهيئة العسكرية العظيمة التي لها نفوذ عظيم في الامبراطورية يزيد ابتعاد روسيا عن اوربا · وفي كل سنة تزداد اهميتها الاسية ولا بد من ان تمس حدودها حدود انكلترا فيها بعد زمان قصير · ولا تمنعان عن ان تتجاورا بالمقاصد الخيرية ولا المعاهدات ولا الود · ولا نغض النظر عما ربما كانت روسيا وغيرها تطالبه اذا زادت الصعوبات المالية في الشرق وجاءت بمشاكل جديدة ومن الحوادث المهمة ازدياد عنصر الهجوم فيها بواسطة كثرة طرقها الحديدية · وفي ايام الامبراطور نابوليون كانت منفصلة عن غربي اوربا بالاراضي الواسعة التي كانت سبباً لهلاك اكثر جيشه والان اصبحت عند ابواب المانيا والنمسا · واذا تصور انسان لزوم اعادة

هجوم برابرة القرون المتوسطة على الامبراطورية الرومانية لابد من ان ياتوا بالطرق الحديدية . على ان الروسيين ليسوا ببرابرة واذا انكسرت شوكة النمسا والمانيا يقدرون ان يستخدموا البحار استخداما عجيبا وهكذا ربما كانت قوتهم الهجومية الان عظيمة كقوتهم الدفاعية . ولا نرى ما يحملنا على القول ان روسيا ترغب في ان تفتح بلدانا في غربي اوربا ولا ما يبين انها تقدر ان تتغلب على القوات المضادة اذا رغبت في ذلك . على انهُ لا يستهان بالانسان اذا قطع النظر عن حكومة متمدنة ذات مركز واحد وهي تحكم تسعين مليونا

ومن الموكد ان روسيا قد اجتهدت تمام اوامر اجتهاد في سبيل مناظرة النظام العسكري في المانيا وقد اوضحت جريدة الانفاليد تقدمها في ذلك . ومنذ سنين قليلة كان جيشها كبيرًا في الدفاتر وحرب القرم اظهر انهُ قليل بالنسبة الى ما قيد في دفاترها وكان قسم عظيم منهُ مولفا من جنود غير منظمة لم تنفع الا بالتعدي على اطراف الجيوش الهاجمة ولا سيما فوساق الدون . وقد قالت تلك الجريدة انهم كانوا بدون نظام ثابت وكانت تتالف فرق منهم عند القيام بالقرعة وكانوا يصرفون بعد ان يخدموا سنتين او ثلث سنوات فكانوا ينسون كل ما كان لهم من العلاقات العسكرية . اما الان فقد تنظموا حتى في نفس زمان السلام وكان الجيش الروسي في احتياج الى ضباط متعلمين وقد ظهر بحرب فرنسا والمانيا فوائد تعلم كل القواد والضباط حتى الذين هم من الدرجة الاخيرة وقد شرعت روسيا في تعليم ضباطها ومن اهم الامور النظر في عدد الجيش وهو ٧٧٥ الف نفر في وقت السلام وهذا عدد عظيم غير معتدل ومن المعلوم ان قوة جيش كهذا الجيش تتوقف على تسهيلات اسباب الانتقال ومن المسلم انها لم تتم بعد .

ولا يمكن ان تصير كافية الا بصرف اموال . قد اقرت جريدة الانفاليد ان الخزينة لا تقدر على احتمالها ولذلك ستبقى المصاريف الحربية ١٧٩ مليون ريال مسكوبي الى نهاية سنة ١٨٧٨ وهذا المصروف العظيم كاف لتقليل المخاوف التي تنتج عن كثرة عدد الجيش فان روسيا ليست بذات ثروة وماليتها في ضيق وهي اقل ثروة من المانيا والنمسا ومع ذلك مصاريفها اكثر من مصاريفهما وهذا المصروف يدل على النتيجة فهي تحارب عن اعداء روسيا اكثر ما يقدرون هم ان يحاربوها واحوالها المالية تقوم مقام محاربة اعدائها لها

فرنسا والمانيا

قالت جريدة التيمس اذا خمنا استقبال فرنسا والمانيا بما نراهُ من احوال ماليتهما نحكم بان استقبال الامة المنكسرة احسن من مستقبل الامة المنتصرة في سيدان . ونظن ان البرنس بسمارك قد نظر بعينهِ الثاقبة بقلق الى الحسابين الدوليين الذين نشرناها يوم الاثنين (في اواخر كانون الثاني جنوبري) . فان مداخيل فرنسا قد جعلت الذين يعرفون احوالها حق المعرفة ينشئون عجبا . وكان الناس يعلمون بانها ذات ثروة ولكنهم كانوا يظنون ان غرامة مجموعها مائتا مليون ليرا انكليزية تقيدها سنين كثيرة ومصاريف الحرب الحقيقية زادت كثيرًا عن ذلك والمظنون انها جعلت فرنسا تصرف اربعمائة مليون ليرا انكليزية ولم تحصر خسائرها في ذلك لان الجيش الهاجم ترك اراضي واسعة جدًّا قاعًا بلقعًا وامست الصنائع في وقوف وتاخر وبات جمهور غفير من اهاليها في خراب عظيم . ولا يغض النظر عن باريز في التعديلات اذا تعلقت بالثروة او بالقوة فانحصرت مرتين انحصارًا اظهر للناس انها تبيت في

فقر سنين كثيرة . وخراب ابنيتها العظيمة العمومية جعل الناس الذين طالما كانت مركز نعيمهم يقطعون الامل من الفوز بلاهيها ومتنزهاتها واسباب السرور فيها . واو اصبح الفلاحون عاجزين عن دفع الاموال الاميرية المطلوبة منهم لما تعجب احد وكذلك لو تضايق الفقراء في المدن الكبيرة حتى جاهروا بالثورات والقلاقل ومن ياترى لم يكن ينتظر ان يرى في تعديلات فرنسا نقصاً في الدخل عن المصروف في كل سنة او ان يسمع ان مجلس نوابها يمتنع عن ان يفوض الى الحكومة صرف شيء يزيد عن ضروريات الحكومة . وكان محبو فرنسا يتوسلون الى وزرائها بان يقطعوا النظر عن تنظيمها للجيش الى ان تخرج البلاد من الضيقات المالية وقالوا بتأكيد ان فرنسا لا تقدر ان تقوم بمصروف جيش يزيد عن احتياجاتها المتعلقة بالمحافظة على الراحة الداخلية . ومع ذلك اخذ مجلس النواب والوزراء في ان ينظموا جيشاً اعظم من الجيش الذي كان لها في نفس الدولة الامبراطورية وامروا ببنا قلع جديدة عظيمة خارج دائرة تلك القلع التي بناها مهندسوا الملك لويس فيليب . وخصص مجلس النواب لنشر المعارف مبالغ تزيد عن المبالغ التي كانت تكتفي الحكومة بها في زمان النجاح والاقبال . وشرعت باريز في ترميم ما خرب فيها بنشاط يحاكي النشاط الذي كانت تستخدمه الامبراطورية لغايات سياسية . ودفعت لقاعاتها لتشخيص معيناتها الاعتيادية ووجدت فضلة من المال لاتمام قاعة التشخيص الجديدة وهي احسن اسباب الملاهي التي انشأتها الدولة الامبراطورية ولم يخطيء الذين صرفوا جميع تلك المصاريف في تعديلهم المتعلق بثروة بلادهم لان تقريرات المداخيل تبين ان الامة تقوم بدفع مبلغ لم تسبقها امة الى دفع قدره بدون ظهور ضيق بل بسهولة

فعدلت الحكومة ان دخل الرسومات ومال الاراضي سنة ١٨٧٥ يكون مليارًا و ٩٥٧ مليونًا و ٧٨ الفًا من الفرنكات فدخل بها ملياران و ٥٠ مليونًا و ٩٩٠ الفًا فزاد الدخل على التعديل ٩٢ مليونًا ٩١٢ الف فرنك . واذا حذفنا الرسومات الجديدة التي وضعت والتغيير الذي حدث في جميع رسومات الطرق الحديدية نرى ان دخل سنة ١٨٧٥ يزيد عن سنة ١٨٦٩ خمسة ملايين وستمائة الف ليرا انكليزية . ولا يظهر بهذا المبلغ العظيم كل الحمل الذي تقدر البلاد ان تحمله . ولا بد من ان نقابل التعديل المالي الامبراطوري سنة ١٨٦٩ بتعديل الجمهورية الفرنسوية سنة ١٨٧٤ . فنرى انه منذ سبع سنوات عدل الدخل الاعتيادي والغير الاعتيادي بمليار و ٨٤٧ مليون فرنك اي ٧٣ مليونًا و ٨٨٠ الف ليرا وقد عدل ان الدخل في السنة المذكورة يكون اكثر من ذلك الدخل بخمسة وثلاثين مليون ليرا انكليزية وهكذا نرى ان الامة الفرنساوية تدفع لخزينة الحكومة في السنة اكثر من مائة مليون ليرا انكليزية بمبلغ يستحق الذكر . ولا نرى علامات ضيقات بمقابلة التعديل بالدخل الفعلي . وفي الغالب يكون بيع المسكرات برهانًا مكدرًا على ما تقدر الامة ان تستغني عنه من النقود وقد زادت مداخيل فرنسا برسومات نحو مليون ليرا . ومن علامات ازدياد الثروة ازدياد مداخيل رسومات التبغ والطرق الحديدية بيع الاملاك . وقد قلت المداخيل في بعض الامور ولكن ذلك لا يدل على تاخر في الثروة ولكنه يدل على ادارة كيفية جمعها . ومن الواجب ان ننظر الى جهة اخرى ونقول ان وزير مالية فرنسا عدل دخل سنة ١٨٧٥ بحسب العادة الفرنسوية بالاستناد الى تعديلات سنة ١٨٧٣ ولذلك لا يكون ازدياد الدخل بحسب الظاهر ولا نعلم هل تزيد المداخيل العظيمة عن

المصروف العظيم ولكننا نعلم بتاكيد ان ثروة الامة اخذت في النمو السريع حال كونها قد احتملت مصاريف الحرب والغرامة . وقد تبين ان الامة الفرنسوية تحمل مصروفاً لم تسبقها امة الى حمل قدره بدون ان يظهرانها في اقل ضيق

اما مكاتبنا البروسياني فقد بعث الينا بافادات متعلقة بالامة المنتصرة تختلف كثيراً عن الافادات المتعلقة بالامة الفرنسوية . ومن المعلوم ان المانيا سارت في سبيل اتحادها بعد الحرب وفي يدها مائتا مليون ليرا انفقا فصرفت اربعة اخماس المبلغ المذكور في سبيل تاهبات حربية لدفع فرنسا اذا حاولت ارجاع ما خسرته . فاخذت بروسيا وحدها من ذلك المبلغ ٢١ مليون ليرا فصرفته كله او اكثره في دفع دين وانشاء طرق حديدية حربية . ومن الامور السهلة ان نرى اسباباً انفع لصرف ذلك المال غير انه موكد ان صرفه في ذلك السبيل نشط التجارة جداً . وكانت المانيا في ظروف جيدة بالنسبة الى فرنسا لانه لم تلحق بها تدميرات الحرب . فلم تلتزم ان تقوم بترميمات واصلاحات زراعية الا في الالزاس واللورين . وما اقامت به من انشاء قلع وازدياد الجيش تم بالغرامة بدون ان تتكبد المصاريف بدفعها من مالها خلافاً لفرنسا التي اقامت بما اقامت به . ومع هذه الظروف الجيدة الممتازة عن ظروف فرنسا نرى مالية بروسيا في تاخر عظيم بالنسبة الى تقدم مالية فرنسا . فانها جعلت تعديلات مصاريف سنة ١٨٧٥ بالتوفير التام وقللتها كثيراً ومع ذلك المظنون انه لا ينفصل شيء عنها . وتعديلات هذه السنة (١٨٧٦) تاتي بنقص الدخل عن المصروف اكثر من مليوني ليرا . وقد قال مكاتبنا البروسياني ان الخسارة ناتجة عن انحطاط اثمان الاراضي والغابات والمعادن والطرق الحديدية المختصة بالحكومة . ولما كانت تتعاطى الاشغال التجارية راساً بادارة اشغال تلك الامور كان لا بد من ان تشعر بالنقص بسرعة مع انها لو تعاطت جمع الاموال الاميرية فقط لما شعرت بذلك . ولازدياد اثمان اسباب المعيشة يلزمها بان ترفع معاشات المامورين والزيادة تكون ٢٥٠ الف ليرا . فيكون مجموع نقص الدخل عن المصروف الذي لا بد من سده مليونين واربعمائة الف ليرا . وقد قال ذلك المكاتب انه قد تقرر في عقله سهولة جعل موازنة بين الدخل والمصروف بابطال مصاريف الطرق الحديدية واصدار اوراق مالية . ولكن لا يتيسر القيام بهذا التوفير في السنة القادمة واذا لم ترجع اسواق التجارة الى رواجها فلا بد للحكومة من ان تستقرض مبلغاً او ان تقلل مصاريفها العسكرية . وهكذا نرى التاخر المالي في البلاد الفائزة والثروة والنجاح في التي فازت عليها ففي الاولى نقص وفي الاخرى زيادة لان فرنسا تحمل احمالها المالية العظيمة جداً بسهولة تفوق سهولة حمل بروسيا لاحمالها الخفيفة بالنسبة الى احمال فرنسا

ولا ريب في ان حالة فرنسا الجيدة ناتجة عن ثروتها الطبيعية التي لا تفرغ . فان خصب اراضيها عجيب واراضي بروسيا في الغالب غير مخصبة . ونظن ان علماء الجغرافية عند البرنس بسمارك يقولون انه لو كان عند الالمان منذ الف سنة رسوم ارضية جيدة لما حلوا في اراض كالاراضي التي حلوا فيها . ومن اسباب نجاح فرنسا العظيم اقتدار اهاليها العجيب على التوفير لانهم يقدرون ان يوفروا اموالاً من اجرة تكاد لا تكفي للقيام بمعاش الفعلة الانكليز . وفلاحو فرنسا اسعفوا الحكومة كثيراً في دفع الغرامة الالمانية وعوضوا خسائرهم وساروا في سبيل جديد من الثروة والنجاح . ومن اسباب ثروتها المهمة الاقبال العظيم المتتابع غير ان كل ذلك ليس بكاف لاظهار اسباب

تقدم بلاد واحدة بسرعة تاخر الاخرى واسباب تاخر الالمان ماليًا . و يظهر ذلك منا البحث عن نظام المانيا العسكري . وقد قلنا انهُ من النظامات التي لا تقوم الا بمصاريف لا يحتاج اليها نظام اخر في العالم. فانهُ يجعل احسن شبانها واقوامهم يذهبون الى ساحات التمرين سنين كثيرة و يخرج اشد فتيانها تعقلًا واعرفهم واكثرهم تهذيبًا من المدارس العالية ومن الاشغال العلمية والمعامل وسائر الاشغال لينتظموا في جيشها وبذلك تاتي موانع في سبل التجارة وتحمل الامة حملًا ثقيلًا تلتزم فرنسا ان تحملهُ للقيام بنظام عسكريتها . ونظام العسكرية في فرنسا ثقيل غير ان ثروتها الطبيعية تزيد كثيرًا عن ثروة مناظرتها الالمانية . وتعتني كل الاعتناء في منع وقوع اضرار على صناعتها وزراعتها بانفاذ نظامها العكسري . والالمان يضحون كل الصوالح لقيام صالح اعظم عسكرية جمعتها دولة . وقد حولت الحكومة قوة الامة العاقلة الى الاشغال العسكرية بجد وضبط فامست الاعمال والاشغال في ضرر عظيم وقد تاخرت التجارة لتغطي البلاد بجنود يتعلمون فن الحرب حتى تصبح حركاتهم مضبوطة كحركات الالات . وقد انشات الحكومة طرقًا حديدية عسكرية قاطعة النظر عن الاحتياجات التجارية . وقد ثقلت تلك الامور العسكرية على الامة حتى ان كثيرين من اشجع الفلاحين واحذق اهل الصناعة يقطعون بحر الاتلانتيك قاصدين امركا مع ان الاشغال فيها في تاخر ووقوف . وعند رجوع النجاح ورواج الاشغال الى امركا يضاعف عدد المهاجرين الالمان الى امركا فهذا هو الثمن الذي دفعتهُ المانيا للحصول على الاسبقية العسكرية في اوربا . وقد حذرها الكونت مولتك قائلًا . انها ربما كانت تلتزم ان تدافع مدة خمسين سنة عن المركز الذي فازت بهِ في اقل من سنة . على ان ذلك حلم جندي . ومن الموكد عندنا ان البرنس بسمارك لا يشترك معهُ في هذا الراي فلا بد من ان يكون عالمًا ان المانيا لا تقدر ان تحتمل النظام العسكري الجاري عندها اليوم خمسين سنة بل لا تقدر ان تحتملهُ عشر سنوات فانهُ ثقيل جدًا فاذا لم يخفف تساق الى فتح حرب لتفوز بسلام ثابت ووسائط صرف جنودها

حل لغز سليم افندي عنحوري

(من قلم سليم افندي مسديه الدمشقي)

ايها الالمعي الاريب واللوذعي الاديب لا زلت متحليًا بحلية الادب ومجتليًا من جنان الارب اخذت تسال عن اسم اولهُ اخرهُ واخرهُ اولهُ وهو نون اما قولك (قد حوى من البديع تمام الجناس ونقل عن البديع ما لا يستحيل بالانعكاس) فقد اردت انهُ يقرا طردًا وعكسًا فان قراتهُ طردًا فهو نون وان قراتهُ عكسًا فهو كذلك واردت بقولك عن البديع ما لا يستحيل بالانعكاس الاشارة الى هذا النوع البديعي وهو من الطف الانواع البديعية ومنهُ قولهم * ارانا الاله هلالاً انارا * وقولهم * سر فلا كبا بك الفرس * وقولهم دام علي العماد * واما قولك (ان حذفت ثلثيهِ ناب عنهما الثلث الاخر) فقد اردت انهُ يقوم ثلثهُ وهو ن مقامهُ وفيهِ ما فيهِ واما قولك (وان حسبت هاميهِ اصبح معتل الاول والاخر) فقد اردت انهُ اذا حذف اولهُ واخرهُ يصير واوًا كما ان هذا صريح مقالك ولا يخفى ما في ذلك ايضًا الآن يجاب بجواب مقبول هذا واذا ظهر المعنى المراد فلا خفاء في التتمة وقد اخذنا من ذلك زهرتهُ واهمهُ والذكي يدرك بالمثال الواحد ما لا يدركهُ الغبي بالف شاهد ولو اوردنا التفصيل لال بنا الامر الى التطويل وفي الاختصار البلاغة ولذلك كان هو الملتزم . لكن بقي علينا ان تبين ما اوردتهُ في ختام

كلامك لانهُ نص على مقصودك ومرامك فاما قولك (تناضل بشانهِ اثنان من علماء هذا العصر الافاضل) فقد اردت بهما العالم العلامة الشهير الشيخ محمد صالح افندي المنير الحسيني الدمشقي وجناب الشيخ عمر افندي الانسي البيروتي ومحاورتهما في ذلك قد نشرها الجنان منذ نحو ثلاث سنين وقد عنونت (بالحق الظاهر) فليرجع اليها من شاء فقد اشتملت على ما تقر بهِ العيون. واما قولك (جدها قضى نحبهُ) فما فهمنا ماذا اردت بهِ وياترى ماذا عنيت بذلك واما قولك (افتتحت بذكرهِ سورة من سور القران الشريف) فهي سورة ن واما قولك (ونوه بامره مرات عديدة) فهو غني عن البيان وفي ذلك كفاية والامر لله تعالى المصير والنهاية

مجلس فرنسا العالي

قالت جريدة التيمس انهُ قد حل الزمان الذي يتمكن فيهِ رجال السياسة في باريز وفرنسا اليامن ان يحكموا بهِ مجلس الشيوخ الفرنسوي الجديد . فان الثالثي القرى قد انتخبوا رجالاً من الذين يحافظون على الحالة الجارية لينتخبوا بالنيابة عنهم اعضا مجلس الشيوخ وهولاء هم الذين ينتخبون في اكثر الاماكن الاعضا لانهم الاكثرية . اما الجمهوريون فقد نجحوا في المدن الكبيرة وفي بعض الولايات . اما في محلات اخرى فلا يوملون بالفوز الا بانقسام اعدائهم . والمحافظون على الحالة الجارية هم مولفون من الملكيين الغير المعتدلين والملكيين المعتدلين وهم الاورليانيون والامبراطوريون والقسمان المذكوران اولاً ينقسمان الى احزاب اخرى . وربما كان بعض المنتخبين يختلفون بسبب انتخاب رجل دون اخر ولو كانوا من حزب واحد محافظ والمرجح ان المحافظين يراعون الظروف فلا يحيدون عن الصواب ويضبطهم النفوذ الرسمي فيعملون على الاتحاد اذا راوا ان اهل الحزبية اقويا قادرون على ان يفوزوا عليهم . ولذلك نقول ان نتيجة الانتخابات انشاء مجلس شيوخ في فرنسا ليا موافق للاراء التي نشرها المرشال ماكماهون في اعلانهِ الاخير (نشرناها في الجنة) . فانهُ طلب الى الامة بان تبعث اليهِ بقوم من المحافظين على الحالة الجارية . ولم تجب بعد الامة كلها غير ان الذين انتخبتهم لينتخبوا الاعضاء هم من اهل المحافظة . وقد تقرر حال عنصر واحد من العنصرين اللذين تحددا في النظام الاساسي الجديد ويكون مجلس الشيوخ موافقاً لمشرب المرشال ماكماهون فيرتضي بهِ . وسيعضد مجلس الشيوخ المحافظ المرشال ماكماهون اذا كان محافظاً مع قطع النظر عن مجلس النواب ولو جاءت الانتخابات بغير ذلك لحكمنا بان المرشال اخطا بتعديل القوة التي تضاد الجمهورية الغير الموسسة على قواعد جمهورية المرشال.

ومن نتائج انتخابات مجلس الشيوخ الاولى ازدياد سطوة المرشال ماكماهون رئيس الجمهورية الفرنسوية بما يكون ضمن حدود النظام الاساسي الجاري . ومن المعلوم انهُ قد تقررت سطوة مهمة جداً لذلك المجلس ويكون اجتماعهُ قريباً ولسان حالهِ يظهر اتحادهُ مع المرشال ماكماهون رئيس الجمهورية . فاذا كان مجلس النواب محافظاً او غير محافظ او غير ذلك فقد تقرر ان مجلس الشيوخ يكون مسعفاً للمرشال وبتلك المساعدة تزول صعوبة القيام بالادارة بحسب الاراء التي طالما اعلنها . وفي اثناء تقرير النظامات الاساسية للحكومة الفرنسوية قد اشغلت افكار اهل السياسة في اهمية انشاء مجلس شيوخ والنظام الذي ينبغي ان يكون لهُ . لانهُ تقرر انهُ لا بد من انتخاب مجلس واحد باراء الامة عموماً ولا بد من ان يكون ذا خطر .

فانهُ ولو افرغ الجهد في الانتخابات العمومية لمحاولة توجيه الاراء وتعيين حكام حاذقين لا بد من ان تكون نتيجة الانتخابات العمومية ذات خطر . فامل الحزب المحافظ على الحالة الجارية متعلق بمجلس الشيوخ . غير انهُ قد ظهر ان ذلك مجلس لم يزد قوة الحكومة الصحيحة في فرنسا ولو كان اعضاوءهُ من اعظم الناس واكثرهم سطوة . لان الامة لا تهتم بهِ كثيرًا ولو كانت متمتعة بالسلام والراحة . لانهُ كثيرًا ما قرر اعمالاً مغايرة مراعاة الملك والامبراطور والرئيس الذي يقوم بها وفي ساعة الخطر لا يقدر ان يدافع عن نفسهِ ولا عن الحاكم الاول . ولا يبرهن بانهُ لا سبيل الى انشاء مجلس شيوخ قادر على ان يضبط اميال الامة المغايرة بسطوتهِ ولا على ضبط احوال الهيئة الاجتماعية بحكمة اعضائهِ وثباتهم . غير ان الاحوال تضاد انشاء مجلس قادر على ذلك . وقد تقرر في عقول كل اهل السياسة والعارفين باحوالها انهُ لا ينتظر من مجلس شيوخ ولو تنظم تنظمًا متقنًا موافقًا الا مساعدة الذين يقومون بادارة فرنسا الصعبة مساعدة محدودة . فلا يقدر ان يقوم الا بامور قليلة من تلقاء نفسهِ واذا اتحد الحاكم ومجلس النواب يظهر ضعف مجلس الشيوخ . وربما كان يفيد اذا كان متعلقًا كل التعلق بصلات جارية بينهُ وبين الحكومة الاجرائية . فهذا هو ما طلب المحافظون الحصول عليهِ . فانهُ ربما كان مجلس النواب يقدر ان يفوز على الحاكم اذا كان ذلك المجلس مستندًا الى انتخابات نشيطة ومائلاً الى الاستخفاف بسطوة يقدر الامة كسطوة المرشال ما كماهون . فاذا التزم بان يدافعهُ وجهًا لوجه يمسي في خطر عظيم و تبيت التسوية واحدة وهي التي تخطر لكل انسان حال كون كل الناس لا يحبون ان يحتملوا فيها . فاذا وجد الحاكم مجلس شيوخ ليستند اليهِ يصون نفسهُ من الاختلاف المضر مع مجلس النواب فانهُ يقدر ان يجعل مجلس الشيوخ يشاركهُ في مضادة نواب الشعب عندما تمس الحاجة الى ذلك . واهم الاعمال التي يقدر ان يقوم بها بالاشتراك معهُ فض مجلس النواب وهذا الاتحاد لازم لمراجعة النظامات الاساسية . فاذا فاز الجمهوريون باكثرية في مجلس الشيوخ ومجلس النواب يمسي رئيس الجمهورية المتحد مع المحافظين ذا سطوة قليلة جدًا ضمن حدود النظامات الاساسية

وربما كان المرشال ما كماهون يتخلص من هذه الصعوبة بالانتخابات لمجلس الشيوخ القادمة . والمرجح ان مجلس الشيوخ يكون من المجالس التي تركن الى المرشال ما كماهون ولا يتردد عن الاتحاد معهُ على مضادة اكثرية مجلس النواب اذا ظهر انها من حزب الحرية وان المرشال بات متعبًا بها . والمنتظر وصول الذين اقاموا مجلس الشيوخ والذين يحاولون جعل اكثريتهِ من حزب المحافظين الى غايتهم من هذه الجهة . ومع ذلك لا تقدر ان تركن الى ثبات ما هو على تلك الحال . ومن الامور الغريبة ان اهل الحرية او الجمهورية الذين ينظر المرشال اليهم كاعداء هم الذين يحبون ان يروهُ رئيسًا للحكومة الى سنة ١٨٨٠ او الى ما بعد ذلك اذا مست الحاجة اليهِ . فما هو المقصود من هولاء المحافظين حال كون لكل منهم غاية يجب ان ينفذها في البلد اذا تيسر ذلك وهي مغايرة لصالح المرشال من جهة ثبوتهِ في الرياسة . فبعض تلك الاحزاب تعلم انهُ لا امل لها بنوال ماربها بالتغيير وان الامل قليل ويفضلون المرشال على رئيس اخر . فالملكيون المعتدلون والغير المعتدلين ربما كانوا يقبلونهُ بقطع الامل او بالاركان او الامل و ينقادون الى الحكومة التي يتيسر لهم ان يتصلوا اليها . غير ان هذا الانقياد المشروط لا ينتظر من الامبراطوريين . وقد شغلوا

انفسهم منذ بداية التقريرات النظامية ونجاحهم لا يقال اركانهم ونشاطهم فلو خاب املهم لحاولوا اخفاء ذلك . واذا زادت قوتهم بالانتخابات الاخيرة فربما كانوا يظهرون في المجلس كحزب منتظم له غاية معلومة . والظاهر ان الاكثرية المحافظة في مجلس الشيوخ تتالف في الاكثر من الامبراطوريين وان المساعدة التي يفوز بها المرشال تكون في الغالب من الامبراطوريين . واذا اداروا قواتهم بحذق فربما كانوا يجعلون الحكومة ترى ضرورة اتحادها معهم ولو كانوا غير اكثرية . فينتفع حزب واحد من الاحزاب التي تالف المحافظون منها باجتهاداتها كلها فيفودون الرئيس في السياسة مع انه كان يحسبهم قسمًا من جسم كبير

فرنسا

قالت جريدة التيمس ان ماظهر من الانتخابات في فرنسا ربما كان يحمل الامة على ان تسال نفسها قائلة كيف يا ترى يتيسر انشاء حكومة ثابتة . وقد رات فرنسا من رجال السياسة من توهم انه جاء ليقفل ابواب ازمنة الثورات . ومنهم موسيو فلال فانه افتخر بذلك منذ زمان طويل وقد افتخر غيره به . ولا سيما الحكومة الامبراطورية فانها ادعت نهي الثورات وقالت ان الامبراطورية هي السلام . ومنذ اشهر قليلة قفلت ابواب الثورة بتقرير نظام امبراطوري غير انه بعد ان شيدت بزمان قصير شرعت ايادي اصحاب الغايات في محاولة هدمها وانتخاب وكلاء الكمون ربما كان يلقيها في خطر . ومن المعلوم عند الجميع انه ما من فائدة في تحريض احزاب فرنسا المتناظرة المهيجة على نهج مناهج الاعتدال . ومع ذلك نرى ان الفرنسويين من اشد امم العالم انقيادًا وهم يطيعون المامورين طاعة لا نراها في قومنا الانكليز الغلاظ الرقاب فيحملون ظلمًا سنين كثيرة مع ان الانكليز واهل اسكوتلاندا لا يحملون ظلمًا مثله شهرًا واحدًا و يكتفي اكثرهم بان يتمكنوا من ان يعيشوا عيشة مرتاحة وان يوفروا مبالغ قليلة . والفلاحون الفرنسويون هم اوفق رعايا الملك ظالم . ومع ذلك نرى في تاريخ هذه الامة الشديدة الانقياد اضطراب سياسة شديد وتهيجات تهدم بنيان الهيئة الاجتماعية . ولا يصدق غير الجاهل بانه قد ذهبت اسباب ذلك الاضطراب . فاننا نرى في الاماكن المجاورة لمبادي النزاع رجالًا ونسمع صراخًا وضجيجًا يحملنا على ان نقول اننا لا نرى ما يجعل فرنسا تستكن داخليًا . واسباب الاضطراب الوقتي قريب وتبين بطلان الوسائط الالية المستخدمة لقفل زمان الثورة . ويخطي موسيو روهر وموسيو كانيا وموسيو دي برولي وموسيو دي لاروشفوكلد بياسيا اذا قرروا في عقولهم في ادوارهم ان شفا فرنسا من مرضها يكون باتباع ارائهم . ولا ريب في ان دوا بعضهم اوفق من دواء البعض الاخر غير انه ربما كان بعض الدوا يزيد المرض بعد سقي المريض علاجات خداعية . وافعل الادوية المذكورة ليست الا مساعدات ضعيفة للصحة وزمان الثورات في فرنسا لا ينتهي ما لم يغير ما تقرر في عقل حزب من الحزبين او في عقل الحزبين حال كونهما القسم الفاعل في الهيئة الاجتماعية الفرنسوية . فلا بد من ان يكون التغيير ادبيًا . ولا بد من ان يمس امورًا مقررة في العقول منذ زمان طويل فاصبحت ثابتة ولا بد من ترك امور كثيرة قد تقرر في عقول الناس انها مقدسة او ناتجة عن قوة بطلية قبل ان يتمكن مجلس عالٍ مولف من فرنسويين من تقرير نظامات وقوانين بدون ان تعقد مؤامرة ثورات سرية . ولا يتم ذلك التقرير في سنة وربما كان لا يتم في قرن . وفي اثناء ذلك لا تقدر

الحكومات الفرنسوية ان تحافظ على السلام الا بوقوع تعدٍّ على الحرية . ومن المقرران في فرنسا امتين ولكل منهما اراء تعتقد بصوابيتها . وخلاف قريب من هذا الخلاف جارٍ في كل بلاد حتى اننا كثيرًا ما رأينا تاثيراته عندنا . ولكن المضادات في فرنسا اشد منها في بلدان اخرى . وقبل ثوراتها العظيمة بقرون كانت الاحوال قد جعلت الملك والامراء وخدمة الدين امة والاهالي الذين يقومون بالاشغال امة اخرى . فاعتنى البلاط بامر ترقية اسباب انعاماته اعتناء لم يسبقه بلاط اليه وارتقى خدمة الدين بوضع الامور المقدسة الكنائسية في خدمة اصحاب الامتياز ارتقاء ليس له مثيل . فاخذت اسباب المقاومات عند المتعلمين من الاهالي والمظلومين من الفلاحين في الاجتماع والتقوى بدون مانع او مضاد وليس لذلك نظير في التواريخ . وكانت الهيئتان الاجتماعيتان سابقتين لزمان الثورة بزمان طويل غير ان الثورة شددت اسباب التعصبات والعدوان بينهما ولا تزال احداهما مقابلة للاخرى . فالواحدة تحب ان ترجع ما تيسر لها ترجيعه من فرنسا القديمة والاخرى تفرغ جهدها في تقرير قواعد الحقوق المنسوبة الى سنة ١٧٨٩ . فالخلاف ليس بناتج عن مجرد متعلقات الحكومة من جهة هيئتها ولكن عما تخصصه . فالجهة الواحدة تطلب اقامة ملك يملك بحق الارث وبلاط فاخر وامرية ذات نظام مناسب وكنيسة قادرة ذات نفوذ لانه تقرر في عقلها ان ذلك يجعل الهيئة الاجتماعية انتظامًا مخصوصًا ويرفع شانها ويقدمها ويجعلها تستامن على نفسها . اما الجهة الاخرى فتعلم الاسباب التي تحملها على مضادة اصغر بقايا الملكية والامرية التي لا تزال موجودة بالقاب برنسية واميرية واخذها هو المكنيسة وجعل التعليم متعلق بالدين وتقليل نفوذ الثروة وزيادة نفوذ العدد . فالجهة الواحدة تركن الى قواعد الطاعة والجهة الاخرى الى قواعد الحرية . فلا يقدران ان يتلاقيا في وسط المسافة الفاصلة بينهما لابتعاد قواعدهما فهذان هما الحزبان المتطرفان ومن حسن الحظ اننا نراهما ياخذان في النقصان . وبغض بعضهما للبعض الاخر يسوقهما الى احوال ذات خطر حتى في فرنسا نفسها . ويا حبذا لو امكن الحزب الذي يدعي لنفسه بالحق بالنعمة الالهية وحزب جمهورية الاشتراك ان ينفرزا في جهة منفصلة عن البلاد بحائط لا يقطع فيقرران اختلافهما بدون ان تبلى بهما البلاد كلها . فيسار مجلس نواب فرنسا ويمينه منفصلان بعدوان اشد كثيرًا من العدوان الذي يفصل الاحزاب في مجلس نواب انكلترا وهو مجلس العموم . وللهيئة الاجتماعية عندهم وجهان فانه لو ادعى كل منهما بانه من المتحزبين بقواعد الثورة تكون غاياتهم مختلفة فان الملكيين يطلبون بذلك ملكية فيها من الحقوق الملكية والامتيازات الاميرية ونفوذ خدمة الدين ما لا يمس قواعد الحرية الاساسية * اما الحزب الاخر فيكره كل ذلك فلا يتيسر الاتفاق على شيء . ولا ريب في ان شقاق حزب الحرية عندنا وحزب المحافظين هو من هذا النوع غير انه ليس بمتعلق بشيء تتوقف عليه حيوة الدولة فانهما لا يحاولان قلب الدولة فانها تحترم الحزبين . اما في فرنسا فكل عمل يظن ان غايته في جهة دون غيرها . وكل من الحزبين يتوهم ان الحزب الاخر يحاول ان ينتصر بواسطة التعدي على النظامات والقوانين . فالمبالغات وعدم اركان حزب الى الحزب الاخر هي اسباب دوام الابتعاد والخلاف

ولا يخفى انه ليس لهذا العدوان الا شاف واحد وهو الزمان . ولا بد من ان يظهر الاختبار للحزبين بانهما عائشان في حلم وان فرنسا التي ينتظرون الوصول اليها هي ما يكرهونه وان حالة البلاد تكون

موافقة ولو خسرت اراءهم . ولا بد من ان تصير غاياتهم خارج دائرة الطالب بالحوادث . والصحيح انهُ قد قل الذين كانوا متطرفين من الملكيين ومن الجمهوريين . فالاحوال التي قللتهم تضعف اسباب العدوان في احزاب اخرى والمأمول ان انشقاقاتهم تقل فتصير قدر انشقاقات مجلسنا العالي . والان كثيرون من الملكيين ومن الجمهوريين المحافظين في فرنسا ليسوا بمنفصلين الا باعتبار وهي لاصول ادارية وليس بسبب مقاصد دينية او هيئة اجتماعية . ويكون اهم العوائق للاتحاد المناظرات المتعلقة بالعيال القديمة بحق الملك التي تقدر ان تجمع حولها اراء ليس لها بها علاقة مهمة وهولاء الورثا الملكيون قد ضعفوا جدًّا وبعد برهة يصبح البرنس امبريال المدعي الوحيد بتخت الامبراطورية فالزمان وحده يقدر ان ياتي بتغيير في الاراء في بعض الجهات ويأس نافع في اخرى وتخفيض اسباب الكره المانعة لعقد الاتحاد . فلا يكون نفوذ حكومة دون اخرى واسطة لقفل ابواب الثورة كما تكون مجاري الاحوال التي تفعل في السياسة كما تفعل في الطبيعة . فهذا مما يجعل الناس يستخفون بتدبيرات الحكومات الوقتية

القصيدة اللغزية

(من قلم سليم افندي عنحوري)

اليكمُ يا ذوي الالباب والفكرِ
رعبوبةً من ذوات الدل والخفرِ
بديعة اللفظ والمعنى اذا نفثت
ابدى لنا نفث فيها السحر في الدررِ
جلت من الفكر الغازًا حلت وخلت
عن شبهة المين والتحريف والهذرِ
قالت سمعت بصقر لا جناح لهُ
ياوي الكوارة لا الاوكار في القفرِ
ورب قوم غدا بعلاً وليس لهُ
كالبعل عرس ولم يحسب من البشرِ
وفتية ياشمون النعل عن شغف
كلاثم ثغر ذات الغنج والحور
ومارد من بقايا الجن تسكنهُ
قوم من الانس منسوبًا الى الحجر
وبرقع حاكهُ الخلاق من قدم
بلا حرير ولا قطن ولا وبر
وزمرة واصلوا بكرًا بها كبرٌ
من بعد ما صارموها حالة الصغر
وجحفل من كماة الحرب دمرهُ
صبيٌّ قوم بحد الصارم الذكر
وغادة قد بدت جرباء ليس ترى
في جسمها جربٌ قد حك في ظفر
ومولع في لحاف روحهُ تلفت
من الهوى فهوى في اضيق الحفر
وظالم قد حوى عذراء ما حبلت
انثى بها لا ولا جاءتك من ذكر
ومعشر اولموا يومًا على جملٍ
لهُ جناح ولا ياوي الى القفر
ومسلمين بهم زهد اذا تبعوا
آكل الجنازة سموهم من الغمر
وعيسويين ان اموا كنيستهم
زنوا بها ليلهم حتى الى السحر
ومدلجين لهم في دينهم ورع
سبوا النبي ولم يخشوا من الخطر
وقاريين وما في مصحف قرأوا
كلا ولا طالعوا الاسفار في سفر
وعاكفين على الفحشاء ليس لهم
ضجيعة غير قرطاس بلا حبر
وعاشقين اماليدًا مثقفة

بيضاً وسمراً ولا كالبيض والسمر
وضاربين بلا كف اضرّ بهم
طي الشواجن بالاصال والبكر
وطاعنين وما في صعدة طعنوا
كلا ولا اعتقلوا رمحاً مدى العمر
وبائع خانة الشـاري فجندلة
وحل ذاك بحكم الاي والسور
هذي الخصاصة قد جاءت مكلمة
عشرين لغزاً صحيح الخبر والخبر
لبستها بعد ما البستها حللاً
جاءت من الحبر في ابهى من الحبر
اودعتها لحن قول لن يخامره
لحن فاغنت عن التلحين بالوتر
نقبتها كعروس زانها خفر
مجدولة الشعر لا محلولة الشعر
فمن نضى عن محياها النقاب مضى
وقد قضى حاجة اعيت على البشر

تهنئة بيروت بالماء

(من قلم عبد السلام افندي الشطي)

باسم الله

الحمد لله الذي جعل من الماء كل شيء حي والصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار من خير قبيلة واشرف حي وعلى آله وصحبه ما قال المؤذن في المنارة حي اما بعد فاني لما انيت للتنزه في بلدتكم بيروت المعمورة التي هي بكمال النعوت والاوصاف مشهورة وذلك في اواخر شهر ربيع الثاني سنة اثنين وتسعين ومائتين والف من هجرة من اوتي السبع المثاني ونزلت في دار جناب حبيبنا الغالي صاحب القدر العالي عزتلو السيد عبد الله افندي ادلبي زاده بلغه المولى من خير الدارين مراده فكنت في اثناء هذه الايام السعيده انزل لزيارة بعض الاحباب الى مدينة هذه البلدة الحميده واتشرف بالصلوة في مساجدها المنيره واشاهد الماء الجاري الذي انعم به المولى وصارت به الاعين قريره فخطر لي ان اقول هذه الابيات وارسلها الى الجنان تهنئة للاهالي بهذه المسرات ثم بعد ان نظمتها توجهت الى الاستانة العليه وبقيت عندي في باطن الكتب مطويه فلما رايتها احببت ان ارد الامانة الى اهلها والغريبة الى محلها وان كانت هي بضاعة قليلة فارجو لها حسن القبول وها انا اسردها بتمامها فاقول

بيروت اني في هواها ارغبُ
من ثغرها البسام طاب المشربُ
ياحسنها من بلدة قد خصها
رب الورى فيها يسر ويطربُ
بين البلاد بديعة فكانها
شمس على افق العلا لا تغربُ
كم افتتنت في قدها من عاشق
كم عذبت في صدها من يخطب
ياطالما قد زرتها فرايتها
ظمآنة من حرها تتلهبُ
حيرانة حار الطبيب بدائها
ودواؤها قد عز فيه المطلب
تشكي وتبكي حسرة وتاسفاً
من فقدها ما تشتهيه وتطلب
من بعد ذاك اتيتها فوجدتها
تختال من عجب وذيلاً تسحب
فسالتها عن حالها فتبسمت
وابهل من فيها فرات اعذب
فاستيقنت نفسي ببرد حميمها
فغدوت في نعمائها اتقلب
واتيت في هذا النظام مهنئاً

اذ جاءهم هذا الطهور الطيب
ورجوت من فضل الاله دوامهُ
في كل حين دائمًا لا يسلب
وشكرت صنع الباذلين بمالهم
مهما يكن مقداره لن يحلبوا
فعلى الديار وما حوت من سادة
مني السلام انا الغريب المذنب
عبد السلام الشطي اعني الشامي من
تاريخهُ بالماء جاء يرغب
١٢١٢ ٥ ٧٥

ماداكسكر

(من قلم سليم افندي بستاني)

من احب الامور عند القراء الوقوف على اخبار جديدة متعلقة باقوام وامم ولا سيما اذا كانوا اصحاب عادات غريبة فماداكسكر من الجزائر المهمة ومن اعظم جزائر افريقية وهي في البحر الكبير الهندي بين ١٢ درجة و٢٥ درجة و٤٠ دقيقة من العرض الجنوبي و٤٢ درجة و١٠ دقايق و٥٠ درجة و٢٠ دقيقة من الطول الشرقي . وبينها وبين افريقية مضيق موزنبيك واضيقهُ ثلثمائة ميل . وطول الجزيرة من راس امبار في الشمال الى راس سانتامار يا في الجنوب ٩٢٧ ميلاً ومعدل عرضها ٢٥٠ ميلاً واعرضها عند وسطها ٣٥٠ ميلاً ومساحتها ٢٤٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ثلثة ملايين نفس والظاهر ان اسمها المذكور هو ما يسميها الاجانب بهِ فانهُ ليس لها اسم عام عند اهلها . وفي السواحل مرافي كثيرة موافقة جدًّا للسفن . وبالقرب منها جزائر كثيرة في الجهة الشمالية واعظمها جزيرة سانتامار يا وطولها ٢١ ميلاً وعرضها ٣ اميال . والساحل في الغالب سهل منخفض ووراءهُ تاخذ الارض في الارتفاع حتى تبلغ ستة الاف قدم فوق سطح البحر . وفيها سلاسل جبال كثيرة ممتدة من الشمال الى الجنوب واعلى قممها انكاراتا ويقال انها ١٢ الف قدم فوق سطح البحر . وفيها انهار كثيرة وطول بعضها من مائة الى مائتي ميل واكثرها يصب في الساحل الغربي ويقال ان السفن الصغيرة تدخل نهر ساماباهو وبتسيبكو مسافة ١٥٠ ميلاً عن البحر على ان الرمال تمنع السفن عن دخول اكثر الانهر ولذلك لا تقدر ان تسير فيها . وفي الساحل الشرقي بحيرات كثيرة لها اتصال بالبحر وطول بعضها مائة ميل . وتكثر الينابيع في داخليتها والمياه المعدنية والحارة والمحية غير ان الاهالي لا ينتفعون بها من جرى خرافاتهم

وهواؤها مختلف الاحوال ففي الهضاب والسواحل الحر شديد جدًّا وفي النجاد الداخلية قد يرتفع الزيبق الى درجة ٨٥ وفي قمم الجبال كثيرًا ما تتجلد المياه . وهواء السواحل خلا اماكن قليلة ردي ويضر اهالي الداخلية واهالي اوربا فكثرة الخضر والمياه المجتمعة المتعفنة تبلي الناس بحمى قتالة وهواء النجاد طيب جدًّا . اما طبقاتها الارضية فاكثرها مجهول وفي الداخلية حديد جيد وتسمى تلة من التلال بجبل الحديد والفحم الحجري في الجهات الشمالية . ويقال ان فيها النحاس ومعادن اخرى غير ان هذا ليس بمؤكد . واكثر الجزيرة مغطى بغابات ملتفة فيها اخشاب جيدة مناسبة جدًّا لبناء السفن ولسائر انواع التجارة وفيها شجر الابنوس وغيره . ونباتاتها كثيرة على انها لم تفحص بعد فحصًا مدققًا ومن الاشجار المخصوصة بتلك الجزيرة شجرة اسمها شجرة المسافر وسبب هذه التسمية خروج ماء لذيذ مفيد بارد منها اذا شقت بسكين وذلك في كل الفصول . وخشبها يصلح لبناء البيوت وغير ذلك ومنها الافوها و يصنع من اوراقها القرطاس الدون . ومن محصولاتها الارز وهو عند

اهاليها كالقمح عند اهالي هذه البلاد والتبغ والسكر والقطن والقهوة وثمر الخبز والموز والبردقان والسنوبر والدراقن والبطاطا والقهوة وغير ذلك . ويقال ان في داخلية الجزيرة الموحشة طيور كبيرة جداً ويظن انها اصل الطيور التي ذكرها صاحب الف ليلة وليلة في قصة السندباد البحري . وفيها حيوانات كثيرة من الدواجن وغيرها وفي بعض مقاطعاتها قليل من الخنزير والغنم ويكثر الخنزير البري في الاحراش والكلاب والهررة والثعالب والقرود والقراقذين وفيها حيوان مخصوص بها اسمهُ الاي اي وقد وصفوهُ بانهُ ذو عينين مدورتين واذنين عريضتين رقيقتين وذنب سميك كثير الشعر ولونهُ اسمر وينظر الاهالي اليهِ بخوف خرافي . ويكثر جداً التمساح في انهارها ومنها ما طولهُ عشرون قدماً وهي كاسرة وتفترس حيوانات كثيرة واناساً . وهي من الحيوانات التي يحترمها الاهالي ولا يتجاسرون على ان يوذوها ولو التزموا بان يدافعوا عن انفسهم . وفيها افاعٍ ضخمة طويلة وقليل منها مسم

وهذه الجزيرة مملكة واحدة منقسمة الى ٢٢ ولاية وكانت كل ولاية مملكة مستقلة واهم الولايات فيها الفوهاريتا في الشمال وتاماتاف وبيتامينا في الساحل الشرقي. وولاية ماتتانانا في الجهة الجنوبية الشرقية واكثر اهاليها من العرب وفيها كثيرون من الذين يدعون معرفة الكهانة والسحر . وولاية انوذي في اقصاها الجنوبي الشرقي وهي مخصبة واهاليها كثيرون وهي اهم الاماكن التي حل الفرنساويون فيها . وولاية بتسيليو في الداخلية وقد اشتهر اهاليها باللطف وبساطة العادات . وميناب في الساحل الغربي واهاليها من جنس اسمهُ سكالافاس . وانكوفا وهي ولاية متوسطة واهم ولايات الجزيرة وفيها العاصمة وهي وطن الهوفاس وهم الشعب السائد في الجزيرة وفيها تاناناريفو عاصمة ماداكسكر والمدينة الوحيدة المهمة وعدد اهاليها ٢٥ الف نفس . واهالي الجزيرة ليسوا من جنس واحد والظاهر انهم من اجناس كثيرة وينقسم الاهالي الى قسمين كبيرين وهما السود وذووا اللون الزيتوني . وينقسمون ايضاً الى اربعة اقسام اخرى جغرافية او سياسية وهم الجنس الهوفاسي والسكالافاسي والبتسليوسي والبيتانيمناسي . وفي نصف قرن استولى الهوفاس على كل الجزيرة وقدودهم قصيرة في الغالب ولونهم زيتوني يضرب الى البياض وشفاههم قلما تكون سميكة بارزة فان الغالب عندهم الشفاه القوقاسية اي الرقيقة وشعرهم اسود ناعم جعد طويل وهم على جانب عظيم من النشاط غير ان قوتهم الجسدية اقل من قوة الاجناس السوداء . وفي القرن الماضي كانت السيادة للسكالافا وكان الهوفاس خاضعين لهم . وبالنظر الى اجسادهم يقال انهم اقوى الاهالي . وقاماتهم طويلة ضخمة واعضا اجسادهم قوية واعينهم سوداء وشعرهم اسود لامع جعد وسوادهم اشد من سواد قبائل الجزيرة وهم شجعان يثبتون في الحروب وفي السلام هم على جانب عظيم من الكسل ويتعاطون السحر واعمالاً خرافية ويحبون الافرنج والتقدم وقد تقرر ان عقولهم قابلة لادراك اعلى درجات المعارف بالعلوم والتهذيب وهم اكثر من الهوفاس ويقطنون الساحل الشمالي والساحل الغربي اما البتسليوسيون فقصير والقامات ضعيفو البنية سريعو الحركة ولونهم داكن وبعضهم من لون نحاسي يضرب الى البياض وشفاههم سميكة وشعرهم اسود جعد طويل . وهم على جانب من الدعة بعيدون عن الادعاء . والهوفاس يفوقونهم في النشاط والهمة . على انهم يحبون السلام ويحرثون الارض . والبيتانيناسيون اطول من البتسليوسيين وهم بعد الهوفاس الجنس [illegible] اشد بياضاً من كل اهالي الجزيرة وشعرهم في الغالب

اسود ويمتازون بنظافة البيوت والملابس غير انهٔ يقال ان ادابهم اقل من سائر الاهالي · وفي الساحل الشرقي بعض الاهالي هم من نسل العرب الذين اقاموا بالتجارة في الجزيرة منذ قرون كثيرة · وفي كتابات وليم اليس كلام طويل عن الاهالي ومنهُ ما ترجمتهُ ان اكثر قواهم العقلية قد ضعفت بالشهوات وبواسطة تاثيرات الخرافات فيها ومع ذلك لا تزال في حالة تسوقنا الى الحكم بانهم ليسوا دون غيرهم من الجنس البشري · فاذا نجوا من القيود التي تقيدهم وفازوا بتهذيب وتثقيف صحيح منور للعقول يصلون الى درجة عالية من المعارف · ومن القبائل السوداء السكلافاس يظهرون من التعقل ما لا يظهر قدرهُ غيرهم من القبائل ومعهُ سرعة الادراك وصحة الحكم والتمييز · والقبائل السوداء ذات عادات لطيفة ناتجة عن البساطة وهي اصدق من القبائل الاخرى حال كون الذين لونهم اشد بياضًا يتصرفون تصرفًا يثلم الصيت ويضاد الدقة والادب ومن اعمالهم في الحروب ما هو قساوة بربرية وربما كان ذلك نتيجة الخرافات الموثرة في عقولهم · والكبريا طبيعية فيهم وكذلك الكسل ما لم يهيجوا بالطمع او الحسد او الانتقام او الشهوات · ومن خصائصهم الطمع وحب السيادة · على انهُ يقال انهم يحفظون عهود الصداقة ويكرمون الضيوف واي اكرام · ويعاملون جيرانهم احسن معاملة فيسعف اصحاب الميسرة المحتاجين منهم بالمال او الارض ويساعدون المتضايقين على الخروج من الضيق · اما المحاباة والاخذ بالوجوه فمن الصفات العامة عندهم والكذب ليس بعيب · وقد اقيمت دعوى على القسوس الذين يعلمون الدين المسيحي للاهالي فيها وهي انهم يعلمون الناس الابتعاد عن الكذب ولو التزموا بان يكذبوا ليخدعوا اعداءهم · وقتل الاطفال كثير ولا سيما الذين يولدون في الايام التي يحكم منجموها بانها نحس · ويسمح للرجال بتكثير الزوجات غير انهُ لا يسمح لاحد بان يتزوج باثنتي عشرة امراة الا الملك · والطلاق سهل جدًّا والختان من عاداتهم لاسباب سياسية اكثر ما هو للقيام بفروض دينية فانهُ عندهم سبيل بلوغ الانسان درجات الرجولية وامتيازاتها وانتقال الفتى من الخضوع للوالدين الى الخضوع للدولة · ويقام بهِ بامر الملك في اوقات معلومة يختتن اولاد كثيرون دفعة واحدة

والعبودية قديمة العهد واسرى الحرب واعضا القبائل التي تكسر يمسون عبيدًا وفي الغالب يبقى نسلهم في عبوديتهم · ومن الناس من يستعبد برضاهُ اي انهم يبيعون انفسهم للتخلص من الفقر · وفي بعض الاحوال يحق للوالد ان يبيع اولادهُ · وكثيرون يمسون عبيدًا بحكم القضاة او اوامر الملوك · والعبودية من اعظم القصاصات بعد القصاص بالقتل · وترافق على الدوام بضبط الارزاق ونعم نساء المحكوم عليهم بالعبودية واولادهم · ولبعض الامراء مئات من العبيد وسيد العبد يتصرف بهِ تصرفًا مطلقًا على انهُ لا يسوغ لهُ ان يقتلهُ الا بامر الملك · وبين الاحرار والعبيد صنف متوسط من الناس في الجزيرة المذكورة وهم الذين يقومون باشغال الحكومة ولا سيما الذين يقطعون الحطب او يصنعون الفحم وبالقرب من العاصمة غابة عظيمة يسمى الذين يشتغلون فيها بالاثنتي عشرة مائة مع انهم الفان فعلاً فيصرفون حياتهم بطولها في قطع الاخشاب وتنظيفها وتهيئتها وذلك للحكومة فيبنون اكواخهم في ساحات في الغابات ويحرثون من الاراضي ما يكفي لمعاشهم فقط واولادهم الذكور يشتغلون منذ الصبا مع ابائهم بدون معاش واذا ترك احدهم الشغل تلقي الحكومة عليهِ القبض كانهُ مجرم · والحدادون وصانعو البنادق والحراب والنجارون والخياطون وكل الذين يشتغلون

للمالك يشتغلون حياتهم بطولها بدون اجرة و يعيشون عيالهم بكدهم . وفي المقاطعات الشرقية قوم قد فرض عليهم نقل البضائع وكل ما يختص بالملك من الساحل الى العاصمة بدون اجرة وهذه المسافة ثلثمائة ميل . اما كرامة الضيف فمن عاداتهم الممدوحة . فاذا دخل مسافر قرية ياتيه اهلها في الحال بهدية من الارز والطيور والاثمار وغير ذلك . فاذا دنا من بيت واهله فيه يدعونه ليدخل و يعتبرونه و يكرمونه والاثمار من جميع الانواع كثيرة والماشية والطيور كثيرة جدًّا ورخيصة الثمن . ومن الماكولات المهمة عندهم الجراد فانه يظهر كثير منه في الربيع فتبادر النساء والاولاد الى جمعه ووضعه في سلال ثم يقطعون ارجله واجنحته و يسلقونه قليلاً ثم يجففونه في الشمس و يذهبون به الى الاسواق و يبيعونه فيها . ومن ماكلهم الغريبة دود الحرير وهو في الحالة المتوسطة بين الدودة والفراشة فان اهالي بعض الولايات يطبخونه و ياكلونه . واهم ماكلهم واعمها الارز . و بعده في الاهمية الذرة وغير ذلك اما قبيلة الهوفاس فتنصرت بواسطة الملكة رازوهيرينا الثانية وابطلوا عادات كثيرة وثنية لا تزال بعض القبائل محافظة عليها

وسنة ١٨٧٢ شرع كثيرون من الانكليز في زرع القطن في الجهات الجنوبية من تلك الجزيرة واتوا بالبزر من جزائر الفيجي واستخدموا فعلة اتوا بهم من مدراس لانه لا يتكل على فعلة ماداكسكر . وقد اتاها اقوام من موريشيوس وزرعوا قصب السكر وانشاوا معامل سكرية فيها . وقد زرع كثيرون من الافرنج قهوة في بعض جهاتها ونجحوا في ذلك . والحكومة تساعد الذين ياتون الجزيرة وتهبهم اراضي واسعة جدًّا مجانًا . ومن مصنوعات الاهالي نسج القطن والحرير بالانوال وقد اتقنوا تلك الصناعة وصناعة نسج الطنافس الجميلة . وقل

ما يشربون غير الماء وعندهم عرق اسمه تواكا وقل ما يشربونه ولا يرى الاهالي سكيرًا الا في الثغور التي ياتيها الاوربيون . و يزرعون التبغ ولا يدخنون به ولكنهم يجعلونه سعوطًا يمزجونه بعقاقير اخرى و يضعونه بالفم وليس بالانف ويدخنون الرنجوبا وهو القنب الحلي . واشهر اسباب التنزه والملاهي صيد السمك وصيد الوحوش البرية ومصارعة الثيران وقتال الديوك . و يحبون الموسيقى والغناء غير انهم لم يتقنوا ذلك وعندهم الطبل الصغير والة موسيقية اسمها الفاليهة والاوكنجا فالاولى قريبة من القانون وصوتها مطرب . والنساء تغني معًا غناء جميلاً مطربًا وكثيرًا ما يجتمع اهل قرية في السهرة و يصرفونها بالغناء والرقص و بيوت الاغنياء مبنية من خشب و الصلون بعضها بالبعض الاخر بدون مسامير فلا يلحق بها ضرر بهذا السبب وهي مستطيلة ممتدة من الشمال الى الجنوب والباب في الغرب . وعندهم اماكن لاخراج نار الاستدفاء بدون ان يكون لها مداخن . و يرفعون سقوفها كثيرًا و يضعون عليها عمدًا مزينة يعرف بها مركز صاحب البيت وللاغنياء بيوت كثيرة ومنازل الفقراء مبنية من اغصان او غضار و يصبغونها بصباغ اصفر او احمر . وحول القرى خنادق عميقة ما لم تكن مبنية على تلال يصعب الوصول اليها . ووسائط السفر تخت يحمله اربعة حمالين

اما ملابسهم فبسيطة وفي الغالب تكون ثوبين او ثلثة اثواب منسوجة في الغالب من القنب او القطن . والفقرا والعبيد يلبسون ملابس رخيصة منسوجة من جذور الموز او اشجار اخرى . والاغنياء يلبسون ايضًا الحرير والكشمير وغير ذلك . و يربط الانسان حول حقويه منسوجًا عرضه نحو ذراع ونصف ذراع وطوله نحو ثلاثة اذرع وغير يدن

الفخذين واطرافهُ تصل الى الركب والنساء تلبس منسوجًا كذلك المنسوج غير انهُ اعرض منهُ فتربطهُ تحت الصدر ويصل الى الارجل . واهم ملابسهم المسمى عندهم باللامبا وهو كالعباة عندنا ويكون من جهة ثمنهِ بحسب اقتدار لابسهِ ويلبسهُ الرجال والنساء والاولاد فما يلبسهُ الراشدون هو في الغالب خمس اذرع طولاً ونحو ٤ عرضًا . والعباة الملكية وهي فاخرة عندهم مصنوعة من منسوج فاخر انكليزي مزين بالذهب ويلبسهُ الملك او الملكة في الاعياد والاحتفالات الدينية ويكون لونهُ احمر مشربًا بياضًا ولا يلبس ثوبًا كلهُ احمر الا الملك وكذلك المظلة الحمراء من خصائصهِ . وتلبس العباة المذكورة وسائر الاعبية بالوضع على الكتفين وترخى الى الاقدام ويميلها الرجال الى الكتف اليساري والنساء الى اليمين

ويسر الاهالي جدًا بالتجارة وبالاتيان الى اسواق البيع والشرا التي تقام كل يوم من الاسبوع في مكان مجاور للمدن الكبيرة عندهم ويجتمع فيها عدد غفير من الناس . ولهم تجارة اجنبية متعلقة بعرب مسقاط وزنجبار وبتجار السواحل الهندية الغربية فياتونها بالحرير الغير المنسوج وبالمنسوجات القطنية والبارود وغيرها . واكثر تجارة السواحل الشرقية في تاتاف ودخلها سنة ١٨٧٣ ستة مراكب بخارية و٩٩ مركبًا شراعيًا مجموع حمولها ٢٥ الفًا و٥٥ طونولاتة فمجموع الوارد ٢٧٧ الفًا و٢٦١ ريالاً اسبانيوليًا والصادر ٢٨٢ الفًا و٦٦ ريالاً . واهم ما ورد اليها المنسوجات القطنية والاحذية والملح والانية الخزفية والحديدية . واهم ما يصدر منها الصمغ الذي لا تخرقهُ المياه والخنزير والجلود وشمع العسل وغير ذلك . اما الرسومات فهي ١٠ في المائة عينًا عن كل وارد و١٠ في المائة بدلاً نقديًا عن كل صادر واكثر النقود فرنساوية فضية قيمتها خمسة فرنكات وهي المعروفة عندنا بالشنكوى

وحكومة الهوفاس مطلقة ظالمة غير انها ماطفة بالعادات النافذة كالقوانين . على انهُ قد زادت القوة العسكرية كثيرًا في المدة المتاخرة حتى انهُ قل ما يضاد الملك . والملك محصور في العائلة المالكة ويكون بانتخاب السالف لخلفهِ ويحق للاناث ان يتبوان عرش الملك . والامراء الذين هم بعد العائلة المالكة هم القضاة وعددهم غير محدود على انهُ يقيم نحو ١٢ رجلاً منهم في العاصمة . وقواد الجيش صف مرتب نشيط ورتبهم من واحد الى ١٣ فالقائمقام عندهم امير من الرتبة التاسعة والفريق من ١١ والفيلد مارشال اي المشير من ١٣ والجيش كثير ومتقلد باسلحة اوربية ومنظم بحسب النظام الاوربي . ومداخيل الحكومة تكون من الاموال الاميرية والرسومات والجزا النقدي والحجز . وهذه المداخيل ليست بكثيرة غير ان الاملاك المختصة بالملك متسعة والعادة الجارية عندهم المتعلقة باستخدام الاهالي بدون اجرة تغنيهم عن دخل عظيم

اما دين الاهالي فليس بمعروف حق المعرفة ومن المعلوم انهم يومنون ايمانًا غير ظاهر بالله عظيم واسمهُ عندهم اندريامانترا اي امير السما ويعتقدون بوجود عنصر شر . ومع ذلك يعبد الاهالي ١٢ او ١٥ صنمًا خلا الاصنام الثانوية وهي تختص بقبائل او اصناف مخصوصة تعتقد بانها تحرسها وتصونها . ويومنون ان ٤ اصنام منها هي اعظم معبوداتهم وهي معبودات عامة . وكان كل من الصنمين العظيمين اسمين راكيليمالازا وراماهفالي موضوعًا في قرية صغيرة تبعد ٧ اميال عن تانانار يفو في بيتين كبيوت الاهالي الفقرا فانهُ ليس للاصنام هياكل ولا كهنة خلا الذين كانوا يحرسونها . وفي ايلول سنة ١٨٦٩ امرت الحكومة بتكسيرها على مراى من الجمهور ليظهر للاهالي الوثنيين

الذين كانوا يطلبون رجوع الملكة الى دينها الاصلي ان معبودانهم ليست بذات قدرة . ومن دينهم عبادة الموتى . ومن خصائصهم كثرة استعمال التنجيم وما يدعون به من السحر وضرب الرمل وغير ذلك بواسطة حبوب وارز وعشب يابس ورمل او غير ذلك ما يسهل عده وقسمته ويميزون بين السعد والنحس والتوفيق وضده والايام السعيدة عن المنحوسة بواسطة القمر وتغيراته . ومنذ برهة قصيرة كانوا يحاكمون المتهم بشرب السم اي انهم كانوا يسقون السم لمن تقع عليه شبهة فان مات تكون صحيحة ويموت بذنبه والا فيكون بريًّا وكان الذين يسقون السم المخصوص بذلك يقتلون من يشاؤا قتله بتكثيره بحيلة او يخلصونه بتقليله

وتاريخ اهالي تلك الجزيرة غير مكتوب والظاهر من اخبارهم وعاداتهم ان اهاليها ليسوا باهلها الاصليين وان قبيلة اسمها الفازريا كانت القبيلة الاصلية وقد انقرضت ولا يعرف شيء عنهم الا انهم كانوا يقطنون الداخلية فساد الحاملون عليهم وانقرضوا بمرور الزمان . ولم يعرف اهالي اوربا بوجود تلك الجزيرة الا بواسطة ماركو بولو في القرن الثالث عشر ولم يأتها ولكنه جمع وهو في اسيا اخبارًا متعلقة بمساحتها ومركزها . وسنة ١٥٠٦ اكتشفها بورنز والميدا ابن والي الهند الاول البرتوغالي . و بعد ذلك ببرهة حل قوم من البرتوغاليين في شاطي نهر فرانشار في ولاية انوزي غير ان الاهالي ذبحوهم بعد ان حلوا ببرهة قصيرة . وسنة ١٦٤٢ حاول الفرنسويون ان يتملكوا تلك الجزيرة فاقاموا مستعمرة انوزي . وسار الى هناك اقوام كثيرون من الفرنسويين واصبح لهم نفوذ في الولايات الجنوبية وادعوا حق السيادة على كل البلاد . غير ان رداءة الهواء والحروب التي فتحها الاهالي عليهم الزمتهم ان يخرجوا

من الجزيرة . وسنة ١٦٤٤ انشا الانكليز قلعة عند خليج سان اوغسطين وجعلوا فيها ٢٠٠ رجل وفي سنتين مات ربعهم بالحمى فخرجوا من ذلك المكان ولم يحمل الاوربيون على ماداكسكار الا بعد ان امست ملجأ للقرصان في اواخر القرن السابع عشر للميلاد فانهم اجتمعوا تحت قيادة رجل فرنسوي اسمه مسون وحلوا في الجزيرة ونظموا مستعمرة في الساحل الشمالي الشرقي وسموها لبرتاليا . فاخذوا في التعدي على المراكب ونهبوا وسلبوا وقتلوا حتى التزمت دول اوربا بان ترسل بوارج كثيرة للحمل عليهم فانكسروا وانقرضوا . ونحو سنة ١٧٤٥ استولت الشركة الهندية الغربية الانكليزية على جزيرة سانتا ماريا وهي قريبة من ساحل ماداكسكر الشرقي وانشات فيها مستعمرة . وسنة ١٧٦٢ انشات مستعمرة اخرى في فورت دوفان في طرف ماداكسكر الجنوبي الشرقي . وسنة ١٧٧٤ حاول الكونت نيبوسكي المجري المشهور فتحها وفاز بنجاح عظيم في بادي امره على انه مات سنة ١٧٨٦ قبل ان فاز بالمرغوب

وفي بداية القرن الجاري كانت منقسمة الى ممالك كثيرة مستقلة . وكانت مملكة اميرنا وهي بلاد الهوفاس من اقواها . وسنة ١٨٠٨ تبوأ تخت الملك راداما ابن الملك المتوفى وهو من نسل ملكي بعيد الاصل . وكان حاذقًا طامعًا فزاره وكلا الانكليز سنة ١٨١٦ فاكرمهم وسر بهم . وسنة ١٨١٧ عقد معاهدة بينه وبينهم وابطل تجارة العبيد بشرط ان تعطيه انكلترا اسلحة ومهمات معينة الكمية كل سنة وبعثت قوادًا اليه ليعلموا جيشه فن الحرب بحسب نظام اوربا فتمكن بسلاحه و بانتظام جيشه من ان يخضع لسطوته كل الجزيرة وتملك عليها قاطبة . وسنة ١٨١٨ بعثت الجمعية التنسوسية قسوسًا ومعهم معلمو صنائع ليعلموها الاهالي فوضعوا الحرف للغة ونظموا قواعد

نحوية وصرفية وترجموا التوراة اليها وطبعوها . وفي عشر سنين تعلم نحو ١٥ الف نفس من اهاليها القراءة وتنصر كثيرون منهم . وكان لوكيل انكلترا فيها سطوة عظيمة . وكان الملك ينقاد الى ارائه كل الانقياد فانها كانت ما يرقي اسباب التمدن وكان ذلك الملك محبًّا للصدق عادلاً لطيفًا مراعيًا لحقوق الانسانية . ونشط القسوس فشرعوا التمدن وابطال قتل الاطفال وغيرها من العادات المخلة بحقوق الانسانية . وانتشرت المعارف والصنائع في الجزيرة في زمان قصير . غير انهُ قضى نحبهُ سنة ١٨٢٨ وهو في الشبوبية فانهُ ولد سنة ١٧٩٢ فوقفت كل اسباب التقدم فان زوجتهُ خلفتهُ واجتهدت نفسها في سبيل ابطال ما كان قد اقام بهِ ففقفلت المدارس وطردت القسوس سنة ١٨٣٥ ورجع نفوذ محافظي الاصنام والمنجمين وغيرهم الى ما كان عليهِ في بادي الامر ومنع الاهالي عن التظاهر بالنصرانية وشرع اضدادها في اضطهاد اهلها حتى قتل كثيرون منهم بشجاعة وكان راداما قد طرد الفرنسويين من مستعمراتهم في الساحل الشرقي سنة ١٨٢٥ فعادوا وطردتهم الملكة سنة ١٨٣١ . وسنة ١٨٤٥ اخذت البوارج الانكليزية والفرنسوية في الاستعداد لاخضاع الهوفاس فشرع الروساني المخابرة بدون الوصول الى المقصود فاطلقوا المدافع على تماتاف وارسلوا رجالاً من بوارجهم ليحملوا على القلعة فهجموا عليها ولكنهم دفعوا بعد ان قتل كثيرون منهم وانقطعت بذلك كل المخابرات بين الانكليز والفرنسويين والجزيرة المذكورة منذ ٨ سنوات . وسنة ١٨٥٣ اتجددت المخابرات التجارية بدفع تضمينات للملكة الجزيرة . وسنة ١٨٤٦ تنصر ابنها ولهُ من السن ١٧ سنة وانتشرت التعاليم المسيحية بمساعداتهِ انتشارًا لم يكن لهُ مثيل . على انهُ شرع في اضطهاد النصارى سنة ١٨٤٩ والقي القبض على اكثر من الفي نفس واضطهدوا حتى انهُ قتل بعضهم وسنة ١٨٥٨ انشا قوم فرنسويون مؤامرة لقلب دولة الملكة فاهاجوا غضبها فشرعت في اضطهاد المسيحيين فقتلت منهم الفي نفس منهم . وماتت تلك الملكة سنة ١٨٦١ وكان اسمها ردنا فالونا فخلفها ابنها راداما الثاني فقرر حرية الاديان واطلق سبيل الاسرى النصارى ومنع التنجيم وشرب السم لاظهار الذنب كما تقدم وعاد القسوس الانكليز وامتدت النصرانية . فقتل سنة ١٨٦٣ وخلفتهُ زوجتهُ رازوهرينا وكانت وثنية وتحب عبادة الاصنام غير انها حافظت على حرية الاديان . وسنة ١٨٦٧ شيدت كنيسة عظيمة لقيام تذكار الشهدا النصارى وماتت الملكة سنة ١٨٦٨ وخلفتها شقيقتها وسمت نفسها رازوهيرينا الثانية فتنصرت جهاريًا سنة ١٨٦٩ واجتهدت نفسها في سبيل نشر المعارف فانشات في عاصمتها ٣ مطابع وطبعت سنة ١٨٦٩ الميلاد ٣٦ الفًا و٢٤٣ كتابًا وفي النصف الاول من سنة ١٨٧٠ طبعت ٨١ الفًا من التوراة والاناجيل والكراريس الدينية . وكان فيها سنة ١٨٧١ نحو ٥٠٠ مدرسة فيها اكثر من ستة الاف تلميذ . وقد عدل عدد المتنصرين بالاسم وبالفعل بثلثمائة الف نفس وهم يزدادون الان بتنشيطات الملكة واكابر البلاد ومنهم نحو ستين الفًا من اعضاء كنائس فهولاء من البروتستانت وعدد الكاثوليك فيها نحو عشرة الاف نفس

تاريخ فرنسا

واعتنى نابوليون عناية عظيمة في انتخاب اعضاء مجلسهِ المخصوص فجمع فيهِ احذق رجال الدولة من العارفين بالامور المختلفة فكان ياتي بهم من كل مكان عرف بوجود رجل حاذق فيهِ وقسمهُ الى اقسام لتقرير تقريرات علمية وقضائية ومدنية وحربية

وبحرية ودينية . وكان كل ما فتح ولاية ينتخب منها احذق رجالها ليستخدمهُ في ادارة الامور بواسطة جعلهم من مجلسهِ المخصوص . فاتى برجال من جنوا وفلورنسا وتورين وهولاندا وكانوا مشتهرين جدًا بالحذق والمعارف حتى انهم حافظوا على مراكزهم بعدهُ وكانوا عند رجوعهم الى بلدانهم يتقلدون اعظم المناصب

اما اجتماعات مجلس المشورة فكانت تجري في الغالب في قصر التوباري وكان يدعوهم الى قصر سان كلو عندما كان يقيم فيهِ . وكان غالبًا يتقلد رياسة بنفسهِ وكان يجلس على كرسي بسيط مرفوع قدمًا عن الارض ويجلس الاعضاء حول موائد كثيرة طويلة . وكان نابوليون احيانًا يحني راسهُ ويلقيهِ على اعلى صدرهِ كانهُ في بحر من الهواجس لا يسمع ما يجرى من المفاوضات القانونية وكان احيانًا يشغل جميع المجتمعين بخطابهِ وارائهِ المصيبة وحذقهِ . وكان يخبرهم تارة بانهُ مصمم على ان يحضر المفاوضات وطورًا يدخل القاعة بغتة . وكان الاعضاء يعلمون بحضورهِ بواسطة الطبول عند وصولهِ الى سلم قصر التوباري اما كرسيهُ فكان مهيئًا على الدوام وفي غيابهِ كان الوزير الاول يجلس في كرسي بالقرب من الكرسي الذي كان يجلس عليهِ . وعند الشروع في المفاوضات كان يغلق الباب فلا يدخل احد غير الاعضاء لئلا يلهيهم عن اشغالهم . ولم تكن تلوح على وجههِ لوائح الضجر ولا التعب ولو طال الاجتماع . وكثيرًا ما كان يبقي المجلس مجتمعًا في سان كلو من قبل الظهر بثلث ساعات الى ما بعدهُ بخمس ساعات بدون ان يكون لهُ فرصة غير ربع ساعة . وكان يترأس على جمعيات العمد في التوباري من قبل نصف الليل بساعتين الى ما بعدهُ بخمس ساعات . وكان يستحم بعد ذلك فيجدد نشاطهُ فيشرع في الشغل بدون راحة الى المساء . وقد قال بهذا الخصوص ان

صرف ربع ساعة بالاستحمام ينفعني قدر النوم اربع ساعات . وكان في بعض الظروف ينتظر ان يكون لغيرهِ من القوة الجسدية والجلد العقلي ما لهُ فكان يامر بتهيئة تقرير بين المساء والصباح اي في اثناء الليل . وكثيرًا ما كان يطلب الى احد الاعضاء العارفين بالقوانين تقرير قانون ليعرض للمجلس وذلك في ساعتين مع الاستعداد ليخطب بشانهِ . وكان يخطب بسرعة عظيمة حتى ان الكتاب كانوا يقصرون فيلتزمون بان يكتبوا اوجهًا كثيرة بعد ان ينتهي من الكلام . هذا ولم يكن اعضاء ذلك المجلس يعتنون بالفصاحة في الخطاب ولكنهم كانوا يخطبون خطبًا بسيطة متقنة وسبب ذلك قصر الزمان وسرعة جري الاشغال . وانتظم في سلك عضويتهِ رجل بعد ان اشتهر خارجه بالفصاحة فلما خطب سخر الاعضاء بهِ لاعتنائهِ بالبديع فالتزم ان يقلع عن ذلك وان يخطب خطبًا بسيطة خالية من كل تكلف وتصنع . وكان فيهِ اعضاء من العارفين بالعلوم كلها ومن احزاب سياسية مختلفة فان نابوليون كان يود ان يتخذ الوسائط التي تجعل الناس مع اختلاف ارائهم من حزب واحد وطني . اما الكلام في ذلك المجلس فلم يكن مقيدًا بشيء . وكان كثيرًا ما يلح على البعض بالتكلم بامل الوقوف على ارائهم والانتفاع بها . وفي ذات يوم دخل المجلس مضطربًا جدًا فانهُ كان قد سمع بان الجيش الفرنسوي تحت قيادة الجنرال دوبون قد سلم الى النمساويين وهذه هي المرة الاولى التي باتت جنود فرنسوية فيها في ذل في ذلك الزمان وكان يخبر الاعضاء بتلك المصيبة وصوتهُ يرتجف واظهر غيظًا شديدًا من الجنرال دوبون واخذ في ان يبين الوسائط التي كان يقدر ان ينجو الجنرال بها ولو باشد في اردا الظروف فقال قد اصاب هوراس الاكبر المذكور في رواية كورنل

لما سالوهُ ما ينبغي ان يفعل ابنك وقال كان اولى لهُ ان يموت او ان يستنجد باساً كريماً يخلصهُ . فالذين ينكتون على كورنل لا يعرفون كثيراً عن احوال الطبع البشري لانهم يقولون انهُ اضعف تاثير الكلام الاول بما تبعهُ

وفي ذات يوم اخذ الجنرال كاسندي وكان رفيق نابوليون في جيش المدافع في ان يحاول اثبات اراء وهمية متعلقة بادارة التوفير. فقال لهُ نابوليون مستهزئاً ياجنرالي العزيز من اين رجحت كل هذه المعارف . فاضطرب الجنرال لما سمع ذلك من الامبراطور ولكنهُ اجابهُ قائلاً يامولاي لقد تعلمت قواعدي منك . فاجاب نابوليون بحدة تعلمتها مني حال كوني قد طالما تقرر في عقلي انهُ اذا وجدت ملكية من بلاط ساقي تسحقها اوهام اصحاب ادارة التوفير السياسية . فالارجح يا ايها الجنرال انك قد نمت وانت تقوم بواجباتك فحلمت بذلك كلهِ . فقال ذلك الجنرال بنشاط هل ننام في اثناء القيام بواجباتنا لا يامولاي اني اراهن كل من يقول انهُ يقدر على ذلك حال كون حضرتك تعذبنا عذاباً غير معتدل بالمشقات والاتعاب فمن يقدر ان ينام . فلما سمع القوم ذلك ضحكوا وضحك نابوليون معهم من كل قلبهِ

ومن الحوادث المشابهة لذلك محاكمة امراة ثلث مرات على قتل. وصدور الحكم ببراءتها . ووقعت تقصيرات في المحاكمة الاخيرة فطلب المدعون محاكمة رابعة . فطلب نابوليون الى المجلس بان لا يجيب طلبهم لان المراة تستحق اطلاق السبيل فاصبح وحدهُ يضاد كل مجلس مشورة الدولة فقيل لهُ ان لك حق العفو على انهُ لابد من انفاذ القوانين التي لا تتغير و بعد ذلك انفذ اذا شئت . فقال لهم يا سادتي ان حكمكم هو بالاكثرية فقد امسيت وحدي ولا بد لي من ان انقاد اليكم على ان ضميري يقول لي انك انقدت مراعاة لاصول فقد اسكتموني بدون ان تقنعوني

وفي اثناء مفاوضة شديدة عارض احد الاعضاء الامبراطور ثلث مرات وهو يبدي اراءهُ فالتفت الى المعارض وقال بتوبيخ ياسيدي ان كلامي لم ينتهِ بعد فارجوك ان تسمح لي بان اتممهُ وعندي انهُ يحق لكل انسان هنا بان يقرر رايهُ. فلما سمع الاعضا هذا الجواب ضحكوا فضحك هو ايضاً معهم

وكان نابوليون يهتم اعظم اهتمام بالجرحى من جنودهِ وكان يعتني باولاد الذين كانوا يقتلون في الحرب كانهم اولادهُ وكان يتامل على الدوام في احوالهم و يتفكر في القيام بما يرضيهم لانهم خدموهُ بامانة واحتملوا مشقات واتعاباً يصعب وصفها . وفي ذات يوم قال لمجلس مشورة الدولة انهُ من الواجب ان تعطى كل المراكز في الرسومات ومراكز جمع الاموال الاميرية للجرحى من الجنود الذين يقدرون ان يقوموا بخدمتها من الجندي الى صاحب ارفع رتبة في الجيش فاظهر الاعضاء عدم الارتضاء بذلك فطلب نابوليون اليهم بان يبدوا اراءهم بحرية . فقال موسيو ما لو يامولاي اخاف من ان تتكدر الامة اذا رات الجيش مفضلاً . فاجاب نابوليون ياسيدي انك وضعت مميزاً بينهم وما من مميز فان الجيش ليس من رتبة منفصلة عن الامة فاننا في ظروف لا يخلص فيها احد من الخدمة العسكرية . فالانتظام في سلك العسكرية لم يبقَ بالاختيار ولكنهُ ضروري واكثر الذين انتظموا في سلكها التزموا بان يتركوا مصالحهم ومن العدل ان ينالوا مكافاة . فقال ما لو اما يفهم الناس بان حضرتك مصمم على ان توجه اكثر المراكز الفارغة الى الجنود . فقال نابوليون وهذا هو قصدي واحب ان اعلم هل يحق لي ان افعل ذلك فان التوجيهات في نظامها بيدي . ومن المقرر عندي ان

التعويض يلزم ان يكون لمن وقعت عليهِ الخسائر العظيمة. ثم رفع صوتهُ وقال يا سادتي ان الحرب ليست هي مهنة راحة وسكينة. فانكم تجلسون براحة في مجالسكم ولا تعرفونها الا بقراءة اخبارنا او بالاستماع بانتصاراتنا فلا تعرفون حراستنا الليلية ومسيرنا السريع ولا نعرف المتاعب والالام والاحتياجات التي نصاب بها وانا اعرفها فانني اراها وقد شاركت الجنود فيها. وكان مجتهداً جداً في تقرير ذلك واوضحهُ باجلى بيان والحّ على القوم بهِ ومع ذلك انقاد الى مضاديهِ وعدل عنهُ

ولا يخفى ان نابوليون تبنى اولاد جميع الجنود الذين قتلوا في معركة اوسترا ليتز وفرضهم بان يضيفوا اسم نابوليون الى اسمهم. وفي ذات يوم اجتمع باحدهم وكان قد بلغ سن الفتوة وسالهُ عن المهنة التي يختارها لنفسهِ واشار الى مهنة قبل ان يجيبهُ. فاجاب ان ما صادفهُ ابوهُ في تلك المهنة العسكرية حملهُ على ان يبتعد عنها. فاجاب نابوليون ان ذلك لا يتعلق بالامر اما انا ابوك ايضاً. وكان نابوليون رحب الصدر والقلب كما كان عظيم العقل وشديد الادراك

وكان نابوليون راغباً في ان ينظم امبراطوريتهُ كلها تنظيماً عسكرياً للقيام بالدفاع عن الوطن وقرر ان يكون الصنف الاول من الشبان وان تكون واجباتهم في اثناء الحرب المسير الى القتال والثاني ان ان يكون مولفاً من المتزوجين والذين بلغوا من العمر السن المتوسط وان تكون واجباتهم محصورة ضمن دائرة الولاية التي هم فيها. والثالث يولف من الذين فاتوا السن المتوسط وتكون واجباتهم محصورة ضمن دائرة بلدتهم او مدينتهم. وفي اثناء مفاوضة متعلقة بذلك تكلم بنشاط مبيناً ضرورة القيام بذلك النظام فان حذقهُ فتح ابواب الاستقبال لهُ فراى المخاطر تحدق قريباً بالامة فرغب ان يقوم بالاحتياطات اللازمة لمنع حلولها. وشرع احد اعضاء مجلس الوزراء في ان يضاد ذلك بكلام مبهم. فقال لهُ يا سيدي تكلم بوضوح وجسارة وابن اراءك بحرية فاننا وحدنا. فقال ان ذلك النظام يوقع الرعب في قلوب الاهالي فان كل رجل يخاف من ان يرى نفسهُ من الجنود الدفاعية لانهُ يتقرر في عقلهِ انهُ بالادعاء بوجوب الدفاع يخرج الجيش الدفاعي من البلاد. فقال الامبراطور لقد احسنت بتوضيح رايك. ثم نظر الى اعضاء المجلس وقال يا سادتي انكم جميعاً اباء عيال وعندكم ثروة عظيمة وفي ايديكم مناصب مهمة ولابد من ان يكون لكل منكم قوم كثيرو واذا كنتم غير قادرين على ان تنفذوا اراداتكم فيهم تكونون من المقصرين ولابد من ان يكون لكم نفوذ عند الناس فكيف تسمحون انتم بان يجهلني الناس حال كونكم تعلمون مقاصدي وغاياتي. فمتى يا ترى رايتم الخداع مسنداً لسياستي فانني لست بجبان فلا انفذ الامور بالخداع. وربما كان خطاءي التقصير في التوضيح فانني اكتفي باصدار الامر واترك التوضيح والتفسير لوكلاءي الذين ينفذون غاياتي. والله يعلم اذا كان يحق لي ان اريح بالي من هذا القبيل. فلو كنت محتاجاً الى الجنود لطلبت الى مجلس الشيوخ بجسارة ان يجمعها لي فلا يمتنع عن انفاذ ارادتي. واذا فرضنا ان ذلك المجلس لم يجب طلبي اطلب الى الاهالي ان يقوموا بذلك فياخذون في ان يسيروا بهمة للانضمام الى جيوشي. والصحيح ان الامة الفرنساوية تحبني وتحترمني ومهما سمعت ما يناقض ذلك فهو غير صحيح. وهي تدرك فلا تنقاد انقياداً اعمى الى قول اعداءي. والامة الفرنساوية لا تعرف غيري مخلصاً لها فانها بواسطتي تتمتع بدون خوف بكل ما قد نازت بالحصول عليهِ فانني علة رفع شان اولادها واخوتها وابائهم وابلاغهم ينابيع الثروة والمجد والفخر. وبواسطتي

لاتنفك عن الشغل واشغالهم تاتي بالنتائج المرغوبة ولم افعل ما يمكنهما ان تاتي على تهمة الظلم . فالامة قد رات ذلك جميعة وادركت حقائقة فتاكدوا ان الامة الفرنساوية تحافظ كل المحافظة على ما تقرر لترقية اسباب رفاهيتها. فلا تخدعوا انفسكم بما سمعتموهُ عن المضادة فانها ليست موجودة الا في قاعات باريز وليس لها اثر بين الامة . وانول اني لست مصمم على ان اخرج جيش الدفاع او الحرس الوطني الى بلاد خارجية فان افكاري في الحال مشغولة في تقرير اسباب الامنية والراحة والرفاهية في فرنسا . فهيا بنا لننظم الحرس الوطني . ليتمكن كل رجل من ان يعلم مركزهُ في ساعة الاحتياج حتى انهُ ينبغي ان يحمل نفس موسيو كامباسز الجالس هناك بندقية اذا مست الحاجة الى ذلك. فتكون الامة مبنية من حجارة وطين فتقدر ان تدفع حملات الزمان والرجال

وشرع نابوليون في تلك الاثناء في القيام بامور عظيمة نافعة جدًّا لا نقدر ان نقوم بحق وصفها كلها . فانهُ مهد طرقًا طولها اكثر من اربعين الف ميل وشرع في اكمال طريق سمبلون ومون سنس ومون جنفر وانشا اربعين جسرًا ومنها ما لا يزال يحسب كاعظم اعمال اوربا وحفر ترعتين عظيمتين حتى صارت فرنسا كلها متصلة بوسائط السفر بالماء . وما انشاه في انتوارب لا يزال يدهش العالم وفحص كل قلع البلاد ورمم ما يحتاج منها الى الترميم وزين باريز بثلاثين ينبوعًا جاريًا ليلاً ونهارًا وتكاتف الوف من الفعلة على انشا قبتي نصر فاقيمتا بسرعة تحاكي سرعة الانشاآت المنسوبة الى الجن وهما قبة كاروسيل وقبة الانوال . ومن انشاآتهِ العمود المعروف بعمود فندوم وهيكل المادلن المشهور وواجهة قاعة المجلس النضاهي وقصر القطع الجديد . ولم ترَ فرنسا زمان نجاح وراحة كذلك الزمان فاشتهر لمروُ واي اشتهار

هذا وانكلترا تمنع كل تجارة البحار ففتح نابوليون بحذقهِ اسبابًا برية جديدة لرواج التجارة فكانت المركبات متواصلة في الطرق والسفن تغطي الترع وهي حاملة البضائع الثمينة . اما السار ارشيبالد السيون الانكليزي فليس من محبي نابوليون وكانت حكومتهُ مضادة لهُ وشهادتهُ لا تكون ذات غرض ولذلك قد نقلناها لنبين ان ما تقرر اعلاهُ ليس بمبالغة وهذه ترجمة كلامهِ فهذه الاشغال التي اقامت بها الحكومة الامبراطورية هي مما يستحق ما اظهرتهُ الامة الفرنساوية بل لو كانت اخرى اقل ميلاً الى الاندهاش لاظهرت ما اظهرتهُ ولا سيما لانها تحب المجد والفخر . وقد ذكرها وزير الداخلية في تقريرهِ المورخ في اب (اوغسطوس) سنة ١٨٠٧ وذلك حين قابل نابوليون المجلس العالي بعد رجوعهِ من تلست . واذا خفضنا ما ذكرهُ ذلك الوزير في خطابهِ خوفًا من المبالغة يبقى ما يدهش عقول اهل القرون القادمة ويبين الاعمال العظيمة التي اقام بها الامبراطور في انشاآتهِ الداخلية . وقد ذكر في ذلك الخطاب انهُ قد اصلح ١٣ الف فرسخ من الطرق العمومية وحفظها في حالة جيدة بالترميمات وغيرها وبعد جد استمر ست سنوات تمت اعظم الاعمال التي اقام الناس فيها منذ قرون وهي الطريق الجارية بين جبل سنس والسمبلون والطريق الواقعة بين اسبانيا وايطاليا لا تزال الاشغال تجري فيها باجتهاد وجبال الابيين امست مركزًا لاعمال كثيرة تجعل اتحادًا بين البيدمون وشواطي البحر المتوسط ويتمم اتحاد ليكوبرا وفرنسا . ومنها تطهير ١٨ نهرًا ومنها ازالة موانع كانت تعوق سفر السفن فيها فطالت مسافة اقتدارها على المسير وذلك بواسطة حواجز واخاديد او غير ذلك . وفي اثناء الحرب الاخيرة صار انشاء اربعة جسور وقد صار الشروع

في تشييد عشرة جسور اخرى · وصار الشروع في حفر عشر ترع في اثناء الدولة الحالية وتم حفرها وجرت الاشغال فيها · والفرض ليست باقل اهمية فان اتوارب التي كانت خالية من كل اهمية قد امست مركزًا لاعظم استعداداتنا البحرية وقد صار القيام بما يحسن احوال القطن وكذلك تحسين احوال معامل الكتان وقد اقيمت مدارس لتعليم فن الحرب وخرج كثيرون من تلامذتها عارفين بالاحوال · وقد صار الشروع في سن نظامات وقوانين تجارية · ومدرسة الصنائع والالات في كوبن في نجاح وقد نقلت الى شالون وقد اخذت الحكومة في انشا مدارس اخرى مثلها · وقد فتحت ابواب واسعة لمصنوعاتنا في ايطاليا وكل فتوحاتنا تغلق الابواب على التجارة الانكليزية وتفتح بابًا لدخول تجارتنا · ولم تهمل عاصمة هذه الامبراطورية العظيمة فانهُ من مرغوبات الامبراطور ان تصبح هذه المدينة المشهورة اعظم مدينة في العالم لتكون عظمتها موافقة لعظمة دولته · وقد شيد في طرف واحد من اطرافها جسرًا وقد سمي باوسترليتز اشارة الى نصر عظيم فازت به الجنود الفرنساوية في المكان المذكور · وقد شرع في جسر اخر في طرف اخر وسمي باسم جينا اشارة الى انتصار فيها · واللوفر يكاد يتم بناؤهُ وفيه ما يدل على قرون ودول كدولة فرنسيس الاول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر وهي الدول التي قد احياها نابوليون باجتهاداته · وقد اقيمت فيها قبة النصر · وقد بني قبر دليزي في قمة جبال الالب التي لم ترَ من عجائب افعالنا شيئًا كجمال الصناعة التي شيد بها القبر المذكور وصعوبات قطعها بنقل مهماتنا ومدافعنا ببسالتنا ونشاطنا · وقد جعل الامبراطور الجهل من اضداده ولذلك قد وضع اساسات لمحاربته بانشاء ١٢ مدرسة عالية لدرس النظامات والقوانين ومدارس مجانية لدرس الطب وما ذلك غير اساس لانشا فروع للدروس في الامبراطورية كلها · فلما رات الامة الامبراطورية اخبار هذه المشروعات العظيمة والاصلاحات المفيدة معاصرة لنشر معاهدة تلست وفتح بروسيا وارجاع دوقية وارسو وانشا مملكة وستفاليا تحيرت عقولها ولا عجب من ذلك

فاين يا ترى يوجد امبراطور كنابوليون ليقطع النظر عن كل تنعماته الشخصية و يوجه كل قواه الى نجاح بلاده ورفاهيتها · وكان الفرنساويون الذين يعرفون احوالهُ وصفاته يحبونهُ ولا ريب في ان العالم سيصبح محبًا لهُ بعد ان يعرف عنهُ ما عرفوهُ

الفصل السادس والثلاثون

اجراات واصلاحات

ان ما ظهر من نابوليون من قوة العقل وحسن التدبير حمل الناس على ان يقولوا ان قواه العقلية غير اعتيادية بل انها كادت تكون فائقة للدرجة التعقل البشري ولم نرَ من رجل اخر في العالم ما يقارب ما رايناهُ منهُ من هذا القبيل فان التحريرات التي اصدرها وهي محفوظة في قيود الحكومة في باريز هي قدر مئات من المجلدات وتعقلهُ وحذقهُ يودعان اراء جديدة في كل ما يكتب عنهُ حتى انهُ كان يظهر للناس انهُ عالم بكل معارف العالم فكان يبحث في فن الحرب والادارة والسياسة والنظامات والقوانين والتعليم والمالية وادارة التوفير واللاهوت والحكمة والهندسة وبالجملة نقول انهُ كان ذا المام عظيم في كل ما يصبو اليهِ العقل البشري من المعارف المفيدة · ومع انهُ كان مشغولاً على الدوام في حروب عظيمة جدًا بواسطة تعديات اعدائهِ المتحدين ومهتمًا بادارة امبراطورية عظيمة كثيرًا ما كانت تدير سياسة اوربا

(للتالي بقية)

حلم المصور

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

اي انني لا ازال اعد نفسي خطيبة له ما لم يرغب هو في ابطال الخطبة . فقال ابوها هل تحافظين على ذلك خلافاً لاوامري . فقالت نعم ما دمت لا تظهر اسباباً موجبة . قال اي انك ستجتمعين به خفية عند سنوح كل فرصة . قالت لا . فانني معلقة الامل بانني لا احيد عن سبل الصواب حتى اقوم بذلك غير انني اذا اجتمعت به في بيوت الاصدقاء اعامله كمعاملتي الماضية . قال من الواجب ان انفيك الى حيث لا يتيسر لك عقد اجتماعات كتلك الاجتماعات . ثم قال لامها من الواجب ان تعتني بتهيئة ثيابها فانني وعدت جورج لما كان هنا بانني سارسلها اليه لتزوره في صيف . فهذا الصيف موافق . فقالت امها يا جون الا تعلم ان الويت سلفار وهو المكان . . . فقاطعها بالحديث وقال بتانٍ ان الويت سلفار ليس بمكان موافق للفتيات اللواتي يمتنعن عن طاعة ابائهن فاذا شئت اذهبي الى هناك بالبنات الصغار على ان ماريون ستذهب الى جورج . فقالت زوجته لها يا ماريون يا بنتي لماذا لا تنقادين الى ارادة والدك انك تموتين في ذلك المكان بين تلك الغابات المخيفة . فاجابت بصوت دل على ثبات عزمها ان ذلك من متعلقات والدي فماذا افعل اذا شاء ان ينفيني ويسجنني لانني لا ارتضي بان اترك رجلاً اميناً يحبني محبة كافية تحملني على ان اثبت في حبه فتهدده اياي بارسالي الى عمي جورج لا يحملني افعل ما لا افعله بدونه . فقال ابوها انني لم اكن منتظراً ان اقدر على تغيير عزمك وكلامي ليس بتهدد ولكنه سيخرج من القوة الى الفعل فلا بد من ان تكملي الاستعدادات في الاسبوع القادم فاذهب بك الى الجبال . وبعد هذا الكلام خرج من المخدع وخرجت بعده تاركة امها في المخدع وصعدت الى ان دخلت مخدعها واستغرقت في البكاء

وبعد برهة انقطعت عن البكاء وسكن هيجانها واضطرابها واخذت في ان تقص الخبر على مس فورست التي كانت تشاركها في كل حاسياتها . ولا يقدر القلم ان يقوم بحق وصف كدر تلك الفتاة عندما سمعت انها بعد ان استعدت للذهاب مع رفيقتها الى منتزهات الويت سلفار امست رفيقتها ملزومة بالذهاب الى دار عمها في الجبال . وكانت كاكثر اهل شرقي ولاية كارولينا تكره الجهات الغربية وتخافها . وما قالته بعد ذلك برهان حبها لماريون وصداقتها الخالصة واشتراكها في الحاسيات معها وهو اذا كان لا بد من سفرك لا ينبغي ان تذهبي وحدك فان امك قد اصابت بقولها انك تموتين هناك واذا كنت لا تذهبين الى الويت سلفار فما من شيء يحملني على الذهاب اليه فاذا عرفت انني اصادف ترحاباً اذهب معك الى المنفى . فنظرت ماريون اليها بتعجب وسرور ودهشة وتبسمت والدموع تذرف من عينيها وقالت يا صديقتي نلي (اسم مس فورست) انك لا تتكلمين بجد . قالت بلى اذا ارتضيت بان اذهب معك . قالت انني الوم نفسي على حب الذات اذا سمحت لك ان تفعلي ذلك . اجابت ان ذبحي على مذابح الصداقة من متعلقاتي والذهاب الى هناك هو تغيير مكان فنبدل جبال ولاية فرجينيا بجبالنا . قالت ماريون والويت سلفار ببيت عمي جورج لا لا بالي انني لا اسمح لك بان

تنفي نفسك لاجلي فانهُ مامن نجاة لي لان قيصر قد تكلم ولا بد لي من ان اطيع وانتِ لستِ في مركزي فلا بد لكِ من ان تذهبي الى الويت سلفار وان تقومي مقامي بالرقص والتنزه وعزي السنون المسكين واكتبي لي كتابات طويلة بكل شيء و . . . . فقالت مس فورست وهي تلي واصرف الزمان بالكدر بذكركِ ٠ لا لا فاليك عن وصف افراح الويت سلفار ومنتزهاته فانني قد صممت على الذهاب الى الجهة الغربية اي ان ارافقكِ الى دار عمك جورج واظن ان اباكِ لا يظن بانني جاسوسة العدو فيمتنع عن ان ياخذني معهُ . قالت لا ماذا ياترى بجملة على ذلك . قالت قد تقرر الامر ومن الواجب ان نرى ماذا ينبغي ان ناخذ من ثيابنا الى المنفى

الفصل الثالث

وبعد ذلك ببرهة قصيرة باتت الفتاتان المذكورتان في اقصى الجهات الغربية من ولاية كارولينا الشمالية في دار مستر جورج ريفار عم ماريون وباتتا ملزمتين بايجاد وسائط الملاهي اللازمة لها وصادفتا كل ما يلزم لها من اسباب الراحة المادية . فان عمها كان قد تقرر في عقلهِ حب السكنى في البرية بدون ان يترك اسباب التنعم والراحة ٠ وكانت امراتهُ من النساء اللواتي تظهر فيهنَّ اثار التمدن حيثما ذهبن واولادها على جانب عظيم من النشاط والهمة وحب اللعب والجولان في البراري ومع ذلك كانوا لطيفي المعاشرة وعارفين باصولها وواجباتها ٠ وبالجملة نقول ان البيت الذي نفيتا اليهِ كان فيهِ جميع اسباب الراحة وصادفتا من اهلهِ كل الترحاب والملاطفة والعناية حتى انهُ خال لماريون انها لم ترَ بيتاً اجمل من ذلك البيت المبني بالخشب الضخم حال كونهِ ذا مخادع كثيرة وحولهُ اشجار ملتفة ونباتات جميلة وامام تلك الدار نهر جارٍ مزبد من جرى سرعة جري الماء في انحدور ليلتقي بماء البرواد الفرنساوي . ومن الامور التي تستحق الذكر انهما سرتا بجمال المكان الطبيعي وبلطف صاحبيهِ وبمدحها لطيب الهواء ونفعهِ للصحة حتى انهما نسيتا الاصدقاء والمعارف الذين تركتاهم وراءها في كدر من جرى فراقهما ولم نعلم هل نسيت ماريون ذلك المحب الذي كان سبب نفيها على انهُ من الموكد انها لم تظهر كدراً شديداً من جرى فراقهِ فانها امست مشغلة بملاهي الحيوة اليومية ٠ وكانت امراة عمها تظن انها تكون من الفتيات اللواتي لا ينقطع تشكيهنَّ من انحراف الصحة ولا يرتضين بشيء ولا ينقطعنَ عن التذمر فسرت سروراً لا مزيد عليهِ لما رات انها نشيطة لطيفة صحيحة الجسم محبة للتنزه والضحك حتى انها تسر بالنظر الى البقر والعجول وكانت تذهب للتنزه مع الاولاد وتعود حاملة زهوراً جميلة بدون ان يخطر لها ببال ان تسمع تذمراً او تشكياً على انها هي ورفيقتها كانتا كسائر الفتيات من جهة ميلها وحبها للمعاشرة والملاهي وكان المنظر الواقع حول تلك الدار جميلاً جداً غير انهما كانتا تقولان انهُ يزداد جمالاً لو كان بالقرب منها بيت اخر او لو كان جارها القريب عارفاً باحوال المعاشرة ٠ وبعد ان صرفتا برهة وقرانا كل الكتب التي كانت معهما وضجرتا من الموسيقى والاشغال شعرتا بالاحتياج الى ما لم تكونا حاصلتين عليهِ ٠ وفي ذات يوم قالت ماريون لرفيقتها بعد ان تمطت خمس مرات متوالية هلمي ندعو الاولاد ونسير معهما للتنزه مشاة فانني اكاد اموت ضجراً والمسير فوق الصخور افضل من البطالة . فقالت رفيقتها ولوائح الكسل تلوح على وجهها انني احب ذلك جداً غير انني ارى غيمة كبيرة قادمة من الجنوب فاخاف ان يدركنا مطر الجبل الشديد فتدفعنا المياه الجارية الى الانهر . فقالت ماريون بتامل انهُ ما من احد يبالي بذلك اي انهُ ما من احد يهتم بنا اذا

متنا ولا اعلم هل يقتل السئون نفسهُ اذا سمع بانني غرقت ظانًا بانني قد طرحت نفسي بالماء من جرى فراقهِ . فيانلي قد ضجرت فاننا اتينا هذا المكان منذ شهر فمن ياترى يصدق ذلك . قالت انا اصدقهُ و بدون ان احط بشان احد قد كنت في اماكن فيها من اسباب الملاهي ما لا نراهُ هنا فماذا يجرى اذا خرجنا وغرقنا ان قومنا يتكدرون ويشتهر امرنا تسعة ايام في البلاد . قالت ماربون انني لست بموكدة باننا نتمتع بالشهرة تسعة ايام ثم دنت من النافذة وقالت انظري كيف يمتد الغيم ففي خمس دقائق يدركنا المطر . وفي اقل من خمس دقائق دخلت امراة عمها مسرعة واشارت عليها بقفل النوافذ وقالت ان عواصف ورعودًا غير اعتيادية مقتربة منا والدليل هذا الغيم وسكون الهواء سكونًا تامًا فلا تقفي ياماربون في الفضاء فانكِ لا تعلمين قدر المخاطر التي تعرضين نفسكِ لها . فقالت انني لست بخائفة واستمرت في مكانها تنظر الى الانواء المقبلة ورات ان الغيمة الصغيرة التي راتها في بادي الامر اصبحت ممتدة حتى انها حجبت نور الشمس وحولت بهاء النهار الى ما يكاد يكون ظلامًا . على ان سكون الهواء كان تامًا فلم تتحرك الاشجار ولم يسمع غير صوت العصافير التي كانت تتطاير وهي تغرد تغريد الخوف وتطلب الالتجاء في ثقوب في جدران الدار او غير ذلك . وكان الهواء قليلاً وثقيلاً ولذلك شعرت بضيق في التنفس وقالت ما هذا السكون المخيف . ولما قالت ذلك رات رجلين غريبين يقطعان النهر الواقع امام البيت طالبين الالتجا من العواصف وهما قويان لابسان ملابس سفر يصعب وصفها وعرفت بالخرجين اللذين كانا يحملانها انهما ماشيان ومع ذلك رات انهما ليسا من اهل تلك الاقطار الجاهلين لاصول المعاشرة والتمدن . فالتفتت لتطلب الى امراة عمها بان تنظر اليهما على انهُ ادركها برق لامع ورعد قاصف زلزل البيت من اساساتهِ وجعل الموجودين داخلهُ يشعرون بان الجبال آخذة في السقوط وهبت عواصف شديدة ودخلت البيت من النافذة وقلبت اكثر الاشياء فسقطت ماربون على الارض . ولم تسمع بعد ذلك غير صوت امراة عمها التي صرخت قائلة لقد سقطت الصاعقة على السنديانة العظيمة . فنهضت ماربون وسارت نلي بسرعة بدون ان تباليا بالمخاطر واخذتا في ان تنظرا من النافذة فراتا مصدر ذلك الصوت المخيف فان سنديانة عظيمة جذبت البرق اليها فانحدرت الصاعقة عليها وشطرتها وقلبت احدى شطريها والاخر استمر واقفًا وكسرت بسقوطها بعض اشجار وقسمًا من سقف قريب منها . وكان المطر يهطل عزيرًا جدًا والرياح تهب بشدة لا مزيد عليها ومع ذلك كانتا تريان رجلاً واحدًا بفرغ الجهد في المسير بأمل الوصول الى البيت وان عمها وخادمين قد خرجا ليلاقياهُ ولما تلاقيا تكلم الغريب بتهيج قليلاً ثم التفت وعاد ووقف في المكان الذي سقطت فيهِ السنديانة الكبيرة . فقالت ماربون وقد ارتعدت فرائصها انني رايت رجلين فاين الثاني هل قتل . وفي اثناء تكلمها رات خادمين يتعاونان على رفع غصن ثقيل من اغصان تلك الشجرة الكبيرة ثم انهضا رجلاً لم ترَ فيهِ ما يدل على انهُ لا يزال في قيد الحيوة وحملاهُ الى البيت والعواصف تهب والامطار تهطل . وعند ذلك انحدرت الفتاتان وامراة عم ماربون الى الطبقة الثانية من الدار فصادفتهم داخلين بهِ في الطبقة السفلى وقد القوا الرجل المصاب على فراش وقد اجتمع الاولاد والخدامون حولهُ وعم ماربون والغريب الاخر وقد جثا على ركبتيهِ بالقرب منهُ ليفحص جسدهُ امارفيقهُ فكان يجس نبضهُ ويدعوهِ باسمهِ قائلاً يافنس يافنس هل يارفيقي العزيز اصبت بضرر عظيم .

اما ماريون ورفيقتها نلي فوقفتا قريبًا منهُ ونظرت كل منهما الى الاخرى نظرة حزن وكدر فقالت ماريون قد ذاب قلبي كدرًا عليهِ الا تنظرين قوة جسمهِ وجمال وجههِ وربما كان قد تالم بسقوط غصن الشجرة بدون ان يلحق بهِ ضرر من الصاعقة فهل استعملوا الوسائط اللازمة لرجوعهِ الى نفسهِ . ثم التفتت الى امراة عمها غير انها لم تراها بجانبها فانها كانت قد انحنت فوق الغريب المصاب وقالت ربما كان ملح الامونيا ينفعهُ فسارت مسرعة وهي تقول ساتيهِ بهِ هلمي يا نلي . وقبل ان اجابتها نلي سارت ثم عادت حالاً وفي يدها قنينة . وكان رفيقهُ منحنيًا فوقهُ مشغل البال بدون ان يرى ماذا كان يجرى ولم ينتبه الا عندما شعر بيد ناعمة قد مست يدهُ ووضعت شيئًا فيها وسمع صوتًا لطيفًا يقول لهُ جرب هذا الدواء لعلهُ يرجع بهِ الى نفسهِ . فنظر اليهِ فوجدهُ دواء للشم فادناهُ من انفهِ وكان قويًا فاثر فيهِ في الحال فتنفس تنفسًا قويًا وفتح جفونهُ فوقع نظرهُ بالتصادف على وجه ماريون فجفل اجفالاً عظيمًا وراى الجميع ذلك على انهُ لم يعرف احد السبب غير رفيقهِ فانهُ صرخ قائلاً الصورة ثم غاب عن الصواب . فاضطرب القوم جدًا غير انهم باتوا مرتاحي البال فانهم تحققوا ان الصاعقة لم تفعل بهِ غير انهم راوا ان سقوط الغصن عليهِ جعل منفصل الكتف في غير محلهِ . فنقلوهُ الى مخدع واخذ عم ماريون في ان يفعل ما يوافق لانهُ كان عارفًا ببعض الطب وقال ان سبب غيابهِ عن الصواب تحريكهُ كتفهُ فلا بد من وضعهِ في محلهِ ومن تركهِ مسيكنًا فتمكن من ذلك بعد معاناة اتعاب ليست بقليلة . على ان تسكين كل شيء كان صعبًا لان اهل البيت باتوا في اضطراب عظيم من جرى الامور الغير الاعتيادية التي كانت تجري فان عواصف شديدة قلما تحدث كانت جارية والمطر كان يهطل بغزارة ومياه النهر تكثر بسرعة وسقف مكان الحيوانات قد هدم بعضهُ وقتل فرس بالصاعقة مع انكسار السنديانة . ولم يكن الاضطراب محصورًا بالاولاد فان ماريون ونلي اضطربتا كثيرًا ولا سيما بوجود الغريبين فانهما كانتا قد رأتا احدهما قريبًا من الموت واظهرت كل منهما حقيقة حالها للاخرى بتبسم .

فقالت نلي وهي مس فورست ان سبب اضطرابنا ما تعودناهُ من المعيشة فاننا طالما تعودنا السرور باقل الاشياء والخوف من اصغرها . وليس المقصود ان ما جرى هو قليل فانني لا انسى وميض ذلك البرق وتلك الاصوات والتزلزلات المخيفة حياتي بطولها . فقالت ماريون انني لا انسى قط وجه ذلك المنكود الحظ وهو غائب عن الصواب ولما فتح جفونهُ نظر اليَّ نظرة غير اعتيادية والظاهر انهُ ظن انني روح وهل سمعتِ ما قال . قالت نعم وهذا مستغرب . قال ذلك وهو ينظر اليَّ كانني انا الصورة التي ذكرها . ولما غاب عن الصواب ثانية ظننت انهُ قد مات . فقالت نلي ما هي يا ترى تلك الصورة التي تكلم عنها . فقالت امراة عم ماريون انهما مصوران وقد خرجا ليصورا الاماكن وقد قال رفيقهُ لزوجي انهما قصدا هذا المكان لما رايا اقتراب الانواء ليلتجئا منها فداهمتهما قبل ان وصلا . قالت ماريون انني رايتهما وكنت قد التفت لاخبرك بهما لما اصيبت بوميض البرق والصاعقة فنسيت كل شيء . على انني اعلم ان المصاب كان يسير بنشاط وبسرعة . فقالت نلي انني اتكدر جدًا اذا مات والظاهر انهُ لم يصب بعظيم ضرر وقد قال مستر ريفار (عم لوريان) انهُ لم يصب بضرر ذي خطر وقد سررت جدًا بذلك

وبعد ان انهت كلامها دخل خادم المخدع واضرم نارًا للاصطلاء فاجتمعت النساء حولها بسرعة فان حدوث تلك الانواء جعلت الهواء باردًا مع ان

الزمان كان صيفًا . واخذن في التكلم بسرور وحظ . وفي اثناء ذلك دخل عم ماريون ومعهُ الرجل الغريب وهو ترافار المصور الذي ذكرناهُ وسرا بما شاهداهُ من سرورهن وعلى الخصوص المصور ترافار فانهُ كان قد فارق كل ما يدل على تمدن منذ زمان طويل فسر بما راهُ من التهذيب والتمدن واللطف والادب فاخذ ينظر الى المخدع واثاثهِ الجميل وصورهِ وكتبهِ والة البيانو فيهِ والى النساء وملابسهن الفاخرة وشعورهن المتقنة الترتيب . فعند ذلك نظر الى عم ماريون وقال لهُ ياحبذا لو كان رفيقي فنس المنكود الحظ صحيح الجسم ليتمتع بهذه الامور فسمعت النساء هذا الكلام ونظر بعضهن الى البعض الاخر يتبسم واصبح كل الموجودين يحبونهُ اكثر من الاول لانهم راوا انهُ لم يكن محبًا لنفسهِ محبة تجعلهُ يخل على الاخرين بما يسر بهِ وانهُ تذكر صديقهُ في الحال مع انهُ طالما نسي الذين اصبحوا في ظروفهِ اعز اصدقائهم . فلما دنا منهن وعرف بهن ترحبن بهِ ترحابًا يظن اهالي كارولينا انهُ ما من احد يقدر أن يقوم بمثلهِ الا هم . وفي برهة قصيرة وجدوهُ من المتضلعين بالمعارف والمهذبين حق التهذيب . وبعد ان زالت اسباب الابتعاد القليل الذي يتبع التعرف الجديد سررن بمعاشرتهِ قدر سرورهِ بمعاشرتهن بل اكثر . وكان جليسًا انيسًا فصرفوا جميعًا السهرة بحظ لا مزيد عليهِ . وسررن جدًا باخبار اسفارهِ وصعوباتهِ ولا سيا لانهُ كان يجعل الفضل الاعظم لرفيقهِ المنكود الحظ فطلبن اليهِ ان ياتيهن بكتاب الصور فاتاهن بهِ واخذن ينفرجن على ما فيهِ ويظهرن الاستحسان حتى مضت السهرة كلها وفات زمان النوم . فودع بعضهم البعض الاخر بتشكرات كثيرة وتجيلات وتمنيات متعلقة بسرعة شفا صديقهِ واظهارات تدل على سرورهن وسرور

الاب والاولاد بعواصف دفعت اليهن ضيفًا كهذا الضيف . ولما دخلت ماريون ونلي مخدعها اظهرتا سرورهما بما جرى وقالتا من اصعب الامور جرى شيء اوفق . فلو كانتا في مدينتهما لما احتفلا بذلك على ان وجود رجل متهذب متمدن بين تلك الغابات على تلك الجبال من الامور التي لا يستخف بها . ثم تكلمتا عن رفيقهِ واخذتا في ان تخمنا زمان شفائهِ وتمنيا ان يشفى ويقص عليهما خبرهُ المتعلق بقولهِ الصورة . ويا ليتهما كانتا حاصلتين على قبع الاخفى لتلبساهُ وتدخلا مخدع الغريبين المذكورين وتسمعا حديثهما . وكان فنس مستيقظا فدخل عم ماريون مخدعهُ مع رفيقهِ ترافار وامر الخدام بامور كثيرة مريحة ثم خرج من المخدع وهو يتمنى لهما الراحة . فقال فنس لرفيقهِ بن تشبهها . قال انني دهشت واي دهشة لما رايت انها كالصورة غير انها لا تشبهها حتى تجعلك تغيب عن الصواب . قال انني لم اغب عن الصواب الا من الم كتفي فانهُ كان شديدًا جدًا غير انني لم اتعجب حياتي بطولها قدر تعجبي لما فتحت جفني ورايت وجهها فانهُ كوجه الفتاة التي اراها بالحلم بدون فرق فلما رايتها ارتعدت فرائصي كما لو رايت جنًا . فقال صديقهُ انني رايت في اللوائح التي لاحت على وجهك انك كنت كمن ينظر الى جنة . قال فنس هل لاحظ احد ذلك وهل سالوك عنهُ . قال لا بد من ان يكونوا قد لاحظوهُ غير ان تهذيبهم لا يسمح لهم بان يسالوا عنهُ . فانني لم ارَ احدًا متهذبًا اكثر منهم ومع ذلك قد دفنوا هنا في الشقوق بين الافاعي والوحوش اما هذا امر غريب . فقال فنس انهم يحبون الانسان اقل من حبهم للطبيعة غير ان ذلك الوجه لا يزول من امام عيني ولا اقدر ان ازيل تاثيرات النظرة الاولى هل تظن انني بت مسوقًا الى هنا لاراها . اجاب اظن انك ارسلت

لتصاب بكتفك واراك تتكلم كمن يهذي فانها تشابه صورتك ولكن المشابهة ليست بعظيمة فان الهيئة واحدة والعينين والشعر ولا توجد مشابهة في امراخر والباقي نتيجة تصوراتك. فقال فنس بثبات عزم ان تصوراتي لم تات بشي واقول لك انهُ نفس الوجه الذي اراهُ في الحلم وما من اختلاف الا في اللوائح التي رايتها ولا تقدر ان تتصور شدة تاثيرهِ فيَّ . فاجاب انني اخاف من ان تكون تخيلاتك سببًا لان تصاب بالحمى فيا ليت الصورة باتت في النار فاصمت ونم وقد قال لي صاحب البيت ان اسقيك دواء اذا لم تنم واحقق لك بانك عند ما تقابل الفتاة ترى ان المشابهة بعيدة ومع ذلك هي جميلة جدًّا والاخرى اجمل منها فالاوفق ان تعجل لتتعرف بها ولا تشفى ما لم تنقطع عن التكلم. فقال فنس هي هي بعينها ولم يرفع صوتهُ بل تكلم كمن يكلم نفسهُ واستكن بعد ذلك والظاهر ان كلام رفيقهِ اثر فيهِ فانهُ انقطع عن الحديث واستغرق في النوم وبعد ذلك بساعتين استيقظ مجفلاً واي اجفال فانهُ حلم ذلك الحلم بوضوح لم يسبق لهُ مثيل .

الفصل الرابع

وفي الصباح دخل مخدعهما مستر ترافار عم ماريون ووجد فنسًا محمومًا وفي حالة غير جيدة فان الم كتفهِ ازداد وجروحاتهِ اشتدت اوجاعها وكان نبضهُ سريع الضرب فصمم على ان يجعلهُ منقطعًا عن مواجهة الناس وان يعالجهُ معالجة اصولية فحاول ان يعصي اوامرهُ في بادي الامر غير ان زوجتهُ اي زوجة عم ماريون قادتهُ الى ربقة الطاعة فان جمال وجهها ولطف مودتها وحنوها اثرت فيهِ كالسحر فبات منقادًا الى كل اوامرها فبات اسيرًا لا يطلب النجاة . ولم تكن سيادتها صعبة فانها كانت تلزمهُ بان يستكن وتركت المعالجة لزوجها وكانت تاتيهِ بالملاهي الموافقة لهُ وبطعام لا يضرهُ. فسر جدًّا ولولا ذلك الوجه الجميل الذي راهُ وهو كوجه الفتاة التي كان يراها في الحلم لتمنى ان يطيل زمان مرضهِ في ذلك المخدع الجميل وامامهُ منظر جبال جميل جدًّا كان يراهُ من النافذة القريبة من فراشهِ والتي كانت تعتني بهِ امراة جليلة لطيفة محبة تجعلهُ مسرورًا امينًا ولئن كان جليسها مريضًا ولم تطل عليهِ تلك الحال فانهُ خرج من فراشهِ في اليوم الثالث وجلس مع القوم الذين كانوا قد ذهبوا بكتبهم الى مكان قريب من المكان الذي سقطت الشجرة فيهِ عليهِ وكتبهم في ايديهم . وكان ترافار قد فاز في الايام الثلثة المذكورة من ان يجعل نفسهُ كواحد من اهل ذلك البيت . وكان فنس يعلم اقتدارهُ على المداخلات فلم يتعجب بل خرج في اخرها الى المكان المذكور مع امراة عم ماريون الى ذلك المكان وراهُ يقرا على تينك الفتاتين كانهُ عرفها منذ اشهر وليس منذ ثلثة ايام . ولم يكن فنس قادرًا على ذلك . ولكنهُ كان اكثر تهذيبًا من رفيقهِ والطف بالحركات والكلام وعرف باحوال الهيئة الاجتماعية على انهُ كان دون رفيقهِ في الهزليات واظهار الباطن بسرعة ولذلك كان كثيرون من الرجال والنساء لا يبادرون الى مصاحبتهِ فقالت لهُ زوجة عم ماريون يا فنس اننا قد سررنا جدًّا من رفيقك فاجابها بالتبسم فقط . ثم قالت انني لا اتعجب من ذلك فان رفيقك ترافار لطيف يسلي جليسهُ وقد سررت بهِ . ثم قالت ناظرة الى الذين كانوا جالسين في الظل ما اجمل هذا الجلوس اننا كثيرًا ما نجلس هنا ولما دنت منهم قالت لماريون التي كانت اقرب الجميع اليها هوذا مستر فنس وقد سررت بخروجهِ بواسطة الشفا فانهُ قادر على ان يجتمع معنا الان والمامول . . . .

(ستاتي بقيتها)

ملح

(من قلم جرجس افندي ميخائيل نحاس)

رجل وابنه

قال رجل يوماً لابنه بغضب انصرف عني فلا اريد ان ارى وجهك حتى ولا يوم القيامة . اجابهُ لقد اصبت يا ابي لان الذين في النار لا يرون الذين في الجنة

ارناوطي و بليد

قال يوماً رجل بليد لارناوطي وكانا جالسين في قهوة ليلاً اظن اذا مسست زجاجة هذا المصباح امرض خمسة ايام من جرى الحرق اجابهُ نعم ووجهه اليهِ غدارته ثم قال لهُ يا بليد اظن انك قد غلطت والصواب انك تمرض اربعة ايام و٢٣ ساعة وفي الرابعة والعشرين تشفى باذن الله بهذا الحرق الاخر واطلق عليهِ الرصاص فمات

الوزير وابن الجصص

امر الوزير يوماً ابن الجصص ان يأتيهُ باكراً في الغد فأتاهُ في نصف النهار فقال لهُ ما اخرك يا ابا عبد الله . فقال اطال الله عمرك ايها الوزير ان بمحلتي كلاب لا تدعني انام الليل من كثرة نباحها فلما كان السحر سكن نباحها فنمت فغلبتني عيني الى الان . فقال لهُ يا ابا عبد الله ولِمَ لا تقتلها قال ومن يستطيع الدنو منها ايها الوزير وكل كلب منها بقدر ابيك رحمة الله فضحك منهُ واستتابهُ

ابن الجصص ويده

قيل خرجت يد ابن الجصص يوماً من الفراش في ليلة باردة فاعادها في ثقل النوم فايقظتهُ رطوبتها فقبض عليها بيدهِ الاخرى فصاح اللصوص اللصوص هذا لصٌّ جاءني وقد قبضت على يدهِ فادركوني لئلا يكون في يدهِ سلاح يضربني بهِ فاتوهُ بالسراج ورأوهُ قابضاً على يد ذاتهِ فقيل لهُ انها يدك فقال لماذا خالفت مزاج بدني؟

الفشل

نظر رئيس الى ابي هفان وهو يتحدث مع رجل فتقدم منهما وقال بماذا تكذبون . اجابهُ بمدحك

وريثان

تخاصم رجلان الى قاضٍ احدهما يدعي حقاً على الاخر يزعم انهُ ميراث ابيهِ فقال اطال الله عمر مولانا القاضي انا رجل من بعض اقاربهِ . قال فمن اي وجهٍ قرابتك لنعرف نصيبك من الميراث . اجاب كانت امراة ابي ام جدها اخو عمة خالة اخو اختي بنت ابن خالي . فقال القاضي يا احمق هذا اخلاط شربة ادفعها الى الحكماء ليميزوها خلطاً

محبة القريب

تخاصم ارناوطي ورجل اخر مدعياً بحق الميراث فافضى بهما الامر الى المحاكمة فحكم القاضي للرجل فاغتاظ الارناوطي وفي اليوم الثاني اتيا المجلس ليتسلم الرجل المضبطة . ولم يجد الارناوطي وسيلة الى قتل خصمهِ سرّاً . فتقدم على مرأى الجمهور وعانقهُ قائلاً يا اخي قد صفحت الآن عن كل ما اضمرت لك من الشر في صدري وها ذمتي تدعوني الى القيام بواجب المحبة وقد قيل احب قريبك كنفسك واتماماً لهذه الوصية اضع رصاصة في صدرك واخرى في صدري وللحال قتل نفسهُ بعد ان قتل رفيقهُ

القصد في الغلط

قيل جلس ملك ذات يوم في محل يشرف على ساقية ماء وابن الجصص بين يديهِ وكان مع ابن الجصص باقة عنبر يريد ان يخص بها الملك فتقدم وبصق في وجههِ ورمى باقة العنبر في الساقية فاغتاظ الملك من ذلك فقال لا تواخذني يا ايها المولى اردت ان ابصق بالساقية وارمي باقة العنبر في وجهك فغلطت فضحك واجازهُ

الجنان

الجزء الثالث

في ١ شباط (فافريه) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ٤ اذار (مارس) ١٨٧٦)

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

ما اشد احتياجنا الى راحة البال فان قلاقل السياسة قد سلبت امنية الاشغال وتركتنا نجهر في فيافي الحال والاستقبال امامنا ظلام مدلهم وقبل ان ضعف الامل بانقطاع الثورة بقرار الكونت اندراسي كان كلام وزير خارجية انكلترا تشاءماً واما الان فهو باب للفرج لا نرى غيره ومعناهُ ان لم تخمد نيران الثورة بالقرار المذكور يكون واسطة لجعلها بدون اهمية اوربية ففي بادي الامر لم نفرض استخفاف عدد قليل من العصاة بذلك لانهم لولا المساعدات الخارجية والصعوبات المالية والامدادات الجيرانية لما اثبتوا في العصيان ورغبنا في ابعاد هذا الخاطر عنا وصبونا الى تعليق الامل بانطفا نيران القتال عند نشر ذلك القرار وقد انقلبت الاراء بتغيير الظروف فان ما بلغنا بالبرق من اجتماع روساء العصيان وتقرير رفضهم للقرار وانهُ حيلة سياسية واصرارهم على طلب استقلال لم ترَ دولتنا العلية بل اوربا كلها انهُ من الموافق منحهم اياهُ جعل املنا متعلقاً بما كان ينبوع خوفنا وهو كلام ذلك اللورد غير انهُ مبهم والاقرب انهُ لا تنشا عنهُ حروب بين دول اوربا فتحافظ على الحيادة التامة الى ان يزول الثلج وتصبح الجنود المظفرة قادرة على ان تجول وتحمل وتدفع فترجعهم بالقوة الى ربقة الطاعة والانقياد وربما كان ذلك اوفق لنا ما دامت محصورة في دائرتها والمرجح انها لا تنفك عن ان تكون ذات اهمية اوربية ما لم تصبح غير قادرة على الامتداد وتنقطع الامدادات الخارجية باجراءات الدول ولا يتم ذلك الا بقوة مانعة مادية او ادبية ويا حبذا اذا وردت اخبار تكذب الاخبار التي نشرناها وتعلن انقطاع القتال او اذا تاكدنا بان اسباب الخوف التي اباناها الكونت اندراسي في قراره الذي نشر في الجنة وهي اتساع دائرة القتال في الربيع قد زالت بمداخلة الدول التي لا بد من ان يغتاظ اكثرها من امتناع العصاة عن قبول قرار قد اجمعت عليهِ وما دامت الحال مجهولة لا تخلص من الضيقات المالية ووقوف الاشغال بعد احتمال خسائر باهظة ونقص دخل برخص اسعار المحصولات وانقطاع الامدادات بانقطاع حبال الامنية فاذا ثبت بعد شهر او اقل ان مقالة وزير خارجية انكلترا ثابتة ترجع الامنية بعض الرجوع وتقل الضيقات وترجع بعض الاموال المحجوزة من الخوف الى الاسواق

وقد نشرنا خطاب البرنس بسمارك في هذا الجزء وكلام جريدة التيمس عنهُ ولما كان قد تقرر في عقول الاهالي بالجرائد انهُ لولا مداخلات حضرة امبراطور روسيا والحكومة الانكليزية لبات السلام في خطر مبين في الربيع الماضي بحمل المانيا على فرنسا وقد جاءت جريدة التيمس ببراهين في مراجعتها تغني عن تكرار ذكرها والمقصود منها تبرئة البرنس بسمارك من التهمة التي القاها عليهِ البعض

والقاوها على عاتق القواد الالمانيين الذين قد قال كبيرهم وهو الكونت مولتك ان ما فزنا بالحصول عليهِ باقل من سنة لابد من ان نذافع عنهُ خمسين سنة اي ان تكون المانيا متاهبة للدفاع لان الحرب قد اوغرت صدور الفرنسويين على الالمان وكثرت الاكدار في جسوحهما فلا تسمط الا بدماء قد سخنت بنيران حرب الثار وقد تركت التيمس ذكر بعض البراهين وذكرها واجب لبلوغ الحقيقة ونفي الوهم ووضوحها يخرج المتكلم عنها من صف الراجمين بالغيب والمخمنين وهي مما ترتاح الانفس اليهِ في هذا الزمان واهمها ما قالهُ وزير انكلترا بعد ان قال ان فلك السياسة ليس بصافٍ مع ان الحكومة الانكليزية قد اقامت بما آل الى حفظ السلام وكان ذلك عند ما خرج حضرة امبراطور روسيا من برلين وقال ان السلام ثابت هذا والدول والجرائد في قلق واضطراب منتظرة قيام الحرب بدون ان يعتني البرنس بسمارك بالقاء الراحة بسطرين في احدى الجرائد ولا يقال انهُ لم يرغب في ان يعتني بامر غير صحيح لان الصحيح هو بالنسبة الى الناس ينتجيهِ فاذا جاء الوهم بنتيجة كالحقيقة يكون حكمها حكمها ولم تقع الامم في ذلك الاسبوع الا بما تقع فيهِ عند تاهب الدول للحرب فعلاً ولا نقول ان البرنس بسمارك قد كذب في خطابهِ ولكننا نقول ان المرجح بالنظر الى تلك الظروف والبراهين انهُ كان يميل الى حفظ السلام وان الذي منعهُ عن تكذيب الخبر في وقتهِ هو وجود عنصر عسكري قوي راغب في فتحها فخاف من وقوع المناقضة ولذلك سبقتهُ روسيا وانكلترا الى نشر ما يريح افكار الناس وافتخرتا بما اوقع المانيا تحت طائلة اللوم والتنديد فنهض البرنس الان لينتقم من الجرائد وخطب ذلك الخطاب ولكنهُ لم يفز فان المجلس اختار صدهُ على تقييد الجرائد التي تضر اذا

كانت في يد متعصبة دينيًا وسياسيًا وجاهلة لقواعد الحكمة والهيئة الاجتماعية وتنفع جدًّا بل في دولاب التجارة والمالية اذا سارت في سبل معتدلة صحيحة القواعد بعيدة عن التعصبات العمياء فظهر شاهد في وسط مجلس المانيا العالي يشهد بان لتلك الاخبار الحربية اسبابًا كافية اي ان المانيا كانت راغبة في الحرب بل انها كانت تحاول فتحها فاجابهُ البرنس بانهُ لا يصدق كل ما يقولهُ وهذا كلام بدون برهان وما نشرتهُ فرنسا من الثناء على روسيا وانكلترا وانشا جيش اللاندسترم وحالة المانيا التي لا تمكنها من احتمال اثقال جيشها زمانًا طويلاً براهين لا يلبث العارف بالامور ان يحكم بانها تكاد تكون قاطعة ولسان حال تجهيزات اوربا التي تكاد تخرب خزائن وبالتالي اسمًا بمصاريفها يقول انهُ لا راحة للعالم ثابتة الا بعد حرب عظيمة واجماع الدول على المحافظة على السلام مع اختلاف صوالحها وتباين مقاصدها نتيجة حالة واحدة وهي احتياج كل الدول الى راحة موقتة اما خوفًا من التغيير واما للحصول على الزمان الكافي للتاهب ولتقريب وسائط الاتصالية وما من حالة اكثر ضررًا من الحالة الجارية واضرارها ظاهرة فاسواق التجارة في كساد في كل مكان وبالتالي الصناعة والتجارة اما فوز الجمهوريين في فرنسا والملك الفونسو في اسبانيا فيكون لهُ تاثير في العالم بالنظر الى الحالة الدينية ولكنهُ لا يظهر دفعة واحدة ولا في زمان قصير فهذه كلها امور قليلة الاهمية بالنسبة الى الاحوال المتعلقة بنا وباوربا عمومًا ونود ان ترد الينا اخبار صحيحة لنستدل بها على الاستقبال وبدون ذلك لا تستقر لنا حال وتبقى الاشغال مائلة الى الخراب حتى تبلغ الدرجة التي تزيد في انحطاط اسعار الاملاك على ان الدول ترغب في قطع القلاقل والحروب في الاماكن الثائرة في الحال وقد اتخذت

الوسائل اللازمة ولا تلبث ان تاتي بالنتيجة المريحة للافكار لان العصاة قد باتوا منقطعين عن المساعدات كما يظهر من مراجعة الجنة الاخيرة

خطاب ملكة انكلترا

قد نشرنا خطاب ملكة الانكليز في الجنة وما ياتي هو ترجمة ما قالته جريدة التيمس عنه . قد صح الظن من جهة جعل الاهمية في خطاب حضرة الملكة لامور متعلقة بالسياسة الخارجية وليس سبب ذلك كله كثرة الكلام المتعلق به فان مستر دزرايلي وزير انكلترا الاول قد اختصر كثيرًا الكلام عن الامور الداخلية . فانه لا يسلم باصابة جعل الملكة تشور بتقرير كل النظامات التي ربما كان يخطر للحكومة ببال ان تطلب تقريرها . والخطاب تصير وكله خلا ثلث جمل في اخره عن امور واقعة خارج الجزائر الانكليزية . وهي قرار الكونت اندراسي وترعة السويس والتعدي في الصين وسفر ولي عهد الملكة في الهند وواجبات روساء البوارج الانكليزية عند هرب عبيد وقصاص تجار العبيد الهنود ومجلس مشورة مستعمرات جنوبي افريقية وحرب مالاي وبعد ذلك جملة لاعضاء مجلس العموم عن تعديلات المصاريف والدخل

اما الجملة الاولى فللكلام عن الامور العثمانية ليس قبلها غير الجملة الاعتيادية عن حسن الصلات الاجنبية . والظاهر ان اراء الحكومة عن تلك الحوادث ومتعلقاتها قد اظهرت بالخطاب وهذا ما قيل فيه ان دول اوربا الكبيرة قد اعتنت واهتمت بالثورة التي جرت منذ ستة اشهر في ولاية بوسنه والهرسك العثمانيتين ولم تخمدها بعد الجنود العثمانية . فما قيل في الخطاب من ان الثورة لم تخمد مهما كانت الاسباب التي تجعلها هايجة وتاول الى امتدادها يظهر صوابية السياسة التي عولت الحكومة الانكليزية عليها . ومن الموكد انه لا يلوم الحكومة على المداخلة الا الذين قد تجاوزوا حدود الاعتدال في مضادة المداخلات بعد ان يكونوا قد تاكدوا انه بدون مداخلة لابد من ان تصير الاحوال ذات خطر وتتهدد العالم بالاتيان بانقلاب تام في شرقي اوربا . وقد قالت الملكة في خطابها وقد رايت انه من واجباتي ان لا اتجنب الاجتهادات التي اقامت بها الدول المتحالفة والمتحابة لتقرير تسوية سلمية ولذلك قد وافقت الدول على الالحاح على الباب العالي بوجوب انفاذ اصلاحات ادارية من شانها ازالة كل اسباب التذمر الصحيحة التي كانت رعاياه المسيحيون يقومون بها . ونظن ان هذا الكلام يريح افكار الذين ربما كانوا قد توهموا انه باتحادنا مع الدول التي تسمى بالشمالية نعرض انفسنا للوقوع في حيلة مظلمة فذهبت ضحية اركاننا الاعمى . والوزراء قد تمكنوا من الزمان الكافي للتامل في الامر وعندنا انهم قد حصلوا على الافادات اللازمة وقد اعتنوا بان يسالوا الدول الاخرى عن ارائها ونواياها ومقاصدها . فاللورد دربي وزير الخارجية من اعظم المتانين . ومستر دزرايلي وزير انكلترا الاول محب للاجراء ولكنه بعيد عن الطيش . وقد فاز الوزيران المشار اليهما بالحصول على الافادات اللازمة وتبليغها السائر وزرا انكلترا وبعد التروي والتامل قرروها ملخصًا في جملة من خطاب الملكة بصراحة ووضوح . ولو لم يكونوا قد تاكدوا ان النوايا خالصة عند الامبراطوريات الثلث وان النتيجة تكون جيدة لما نشروا ذلك في الخطاب ومن المقرر انه عندما تتكلم الملكة في خطابها عن الاجتهادات التي اقامت بها الدول المتحابة والمتحالفة لتقرير تسوية سلمية في الاماكن العاصية لابد من ان تفرض ان مشيريها قد ادركوا الامر وقرروا الصدق وان البلاد ليست بسوقة لتكون ضحية حيل

دول اجنبية

وقد جاء اللورد دربي بما تقتضيه الاحوال بخطابهِ المطول المستوفي المتعلق بسياسة حكومة المملكة الذي خطبهُ في مجلس الامراء. فان اللورد كرانفيل ذكر الامر بدون ان يبين مضادة واكتفى بقولهِ ان المامول ان كيفية تبليغ قرار الكونت اندراسي لا يكون واسطة لوقوع الخلل في معاهدة سنة ١٨٥٦. وقال ان اللورد بارلمستون (وزير انكلترا المتوفى المشهور) واللورد كلارندون قد قالا انهُ مقرر عندهما ان المعاهدة المذكورة لا تمنعنا عن ان نطلب الى الباب العالي انفاذ الامور المقررة فيها. وبعد ان اتم اللورد كرانفيل (وزير خارجية انكلترا السابق) كلامهُ اخذ اللورد دربي وزير الخارجية الحالي في اظهار ثبات الثورة وقال انهُ كان يستخف بها الى تشرين الماضي الثاني وان ذلك خطا وان الحكومة العثمانية لم تتمكن بعد من اخمادها وانهُ ربما كانت السرب والجبل الاسود تجران اليها فينشا عن ذلك اضطراب عام في تلك الاقطار يفضي الى فتح المسئلة الشرقية برمتها فتتعاظم الامور وتكاثر الحروب وانهُ بالنظر الى ذلك لا يعجب اذا رأى حكومات النمسا وروسيا والمانيا تفرغ الجهد لايجاد وسيلة للتسوية السلمية. والظاهر ان وزير خارجيتنا لم يرَ انهُ قد تكاتف على القيام بمشروع مضر. وقد اطال الكلام لاظهار الاسباب التي حملتهُ على عضد قرار النمسا. وقال ان المامول الوصول الى الدرجة الاولى من التسوية السلمية بمنع دخول المساعدين الاجانب الى الاماكن الثائرة وقد قال اذا قامت حكومة النمسا حق القيام بالواجبات الدولية التي تعهدت بالقيام بها انضيق كثيرًا دائرة العصيان. وقد ابان بالاختصار براهين صوابية سياسة الحكومة بقولهِ ربما كنا نمتنع عن المداخلة غير ان امتناعنا لا يحمل الدول على الامتناع وعندي ان حربًا متسعة جنسية تضر جدًا بالعالم وربما كانت توقعنا في خطر فاذا تمكنا من ابعاد ذلك ننفع التمدن في الممالك المحروسة الشاهانية وندفع صوالحنا

ولي عهد مملكة انكلترا في الهند

قد نشرت جريدة التيمس رسالة وما ياتي هو ترجمة بعضها. قد عرف الان بالاستناد الى تقريرات صحيحة ان الهدايا التي صدرت من ولي العهد تكاد تكون قدر الهدايا التي وردت اليهِ فان ما ورد اليهِ لا يكون ثمنهُ اكثر من اربعين الف ليرا انكليزية والتي صدرت منهُ تكاد تكون قيمتها قدرها على انهُ ربما كان يلتزم ان يطلب الى المجلس العالي ان يزيد على ما عينهُ عشرين الف ليرا فيكون المبلغ الذي عين لمصاريفهِ الشخصية ٨٠ الف ليرا فان المعين الاصلي ٦٠ الف ليرا وقد تبين بالتعديل المدقق ان امراء الهند اشتروا من لوندرا وحدها اشياء كثيرة من اثاث وغيرهِ ليوثثوا منازلهم لمقابلة البرنس وان ثمنها ٢٥٠ الف ليرا والمظنون ان زيارتهُ تكون واسطة لتوسيع دائرة استعمال المصنوعات الانكليزية واعلم الناس باحوال الهند يقولون انها قد جاءت بمنافع كثيرة سياسية وقد حصل على اعتبار كل الناس وحبهم

المملكة السكاندينافية

قد نشرت جريدة البال مال كازت رسالة واردة اليها من مكاتبها في كوبنهاكن عاصمة الدانمرك. فيها افادات عن انشا مملكة اسكاندينافية وهي اسوج والدانمرك وفي تلك الرسالة ان الجريدة الاسوجية المسماة نياد كلالتو قد نشرت موخرًا جملًا سياسية كثيرة معنونة بصورة الاستقبال وقد اصاب الذين نسبوها الى ملك اسوج اي ان ذلك الملك هو كاتب تلك الجمل وما لها وجوب تقوية جيش اسوج والاشارة

الى انشاء مملكة اسكاندينافية مع ضم الدنمرك اليها وقد كتب الى جريدة ايسنلبوستن العارفة بالاحوال من استوكهولم عاصمة اسوج ان اهاليها يقولون ان الملك تكلم بهذا الشان عندما جاء برلين عاصمة المانيا . وانهُ قد ظهر جليًّا بكلام تنوه به ملك اسوج ان تلك الزيادة قد اثرت فيهِ عظيم تاثير . وقد ابتدا بذلك المشروع بانشا عرض اسكندينافي في كريستيانا سنة ١٨٨٠

خطاب ملك اسبانيا

منذ برهة قصيرة فتح حضرة الملك الفونسو مجلس اسبانيا العالي الجديد وخطب على اعضائهِ خطابًا من العرش وهذه ترجمته

ان البرنس السالك سبل المشورة المعوجة والقايم بالحرب الاهلية قد بات بدون قوة فلا يقدر ان يحصل على نفع . وساسير الى الشمال بعد برهة قصيرة لاشتغل في سبيل ارجاع السلام

ان الصلات الجارية بيني و بين الدول الاجنبية هي صلات صداقة . ولا تزال المخابرات الحبية جارية بيننا و بين دولة الولايات المتحدة الامركانية لتسوية الخلاف وعندي ان امانة الحكومتين وحبهما للعدل والانصاف يأتيان بتسوية موافقة لكل خلاف جارٍ بينهما . اما المخابرات بيننا و بين الكرسي المقدس فسفيرا اسبانيا والفاتيكان شارعان في تقرير الامور الجارية تقريرًا موافقًا لصوالح الكنيسة والدولة

وستقدم حكومتي اليكم تقريرًا عن الحالة المالية التي باتت في ضياع والسلام الذي قربهُ حسن الحظ منا هو وحدهُ قادر على ان يمكننا من الحصول على اسباب الدخل التي تقدر ان تصلح الاضرار الحالية ويجبكم لوطنكم يكون الدخل قدر المصروف ويدفع لاصحاب الدين مايتيسر دفعهُ لهم بدون اهمال ينابيع الدخل في الامة . وناموسنا وحقوقنا باتا متهددين في جزيرة كوبا مع انني قد ارسلت منذ تبوأت العرش ٣٢ الف مقاتل والحرب فيها لم تمنعنا عن ان نمنح الحرية الى ٦ الف عبد وسنحافظ على استقلال جزيرة كوبا و يكون ذلك واسطة للمحافظة على امبراطورية التمدن والعدل .

ومن المعلوم ان ولاية بسكاي والافا واكثر نافار قد دخلت ربقة الطاعة لان الكارلوسيين قد حصروا في جبال البرينه وان الثورة في كوبا اخذة في ان تضعف كل يوم ولذلك اقول ان دواتي القصيرة الصعبة لم تكن بدون نفع للعموم واجتهادات اسبانيا المصروفة في سبيل محافظتها على مركزها في العالم تبين ما تجيء بهِ بعد ان تنقطع عن بذل قوتها في تهييجات باطلة فنسال الله ان يمنحنا الوسائط اللازمة لنحضر قريبًا مكافاة ضحيتنا المكدرة . انتهى

قد استحسن الاعضاء والناس هذا الخطاب وضجوا مرات كثيرة علامة لاستحسانهِ

البرنس بسمارك

ان البرنس بسمارك طلب الى مجلس المانيا العالي ان يقرر نظامًا من شانهِ تنقيص حرية الجرائد في المانيا وخطب خطابًا بهذا الشان ضمنهُ افادات كثيرة سياسية مهمة تتعلق بالماضي وتشير الى الاستقبال وفي مراجعة الجملة السياسية توضح افكارهُ ومتعلقاتها بالنظر الى هذا الخطاب وما ياتي ترجمة ما نشرتهُ منهُ جريدة التيمس

قد تقرر عندي ان من اعظم اسباب الخلاف بين ملكية مقيدة وجمهورية ان وزير الملكية يقدر ان يطلب تقرير نظام ولو كان عالمًا ان المجلس لا يقررهُ ومن اللازم ان يكون مديرو الجرائد مسئولين في الاخبار الغير الصحيحة التي تنشر في جرائدهم لان حرية التكلم في المدة المتاخرة باتت في حالة غير نظامية فامست الاراجيف المتعلقة بفتح الحروب مبتدا والتعجاب

الضرر على المانيا . فانهُ منذ سنة ١٨٦٢ اشرعت الجرائد البلجيكية في ان تقول ان بروسيا مصممة على ان تضم اليها كل المانيا وهولاندا وان تكافي فرنسا بالحصول على البلجيك والرين وغير ذلك ولم ينقطع الكلام المتعلق بذلك مع ان الصلات التي كانت جارية بين هولاندا والمانيا كانت جيدة جدًّا ومصونة بالاراء السلمية في جهتيها . وكان الزمان بين سنة ١٨٦٦ و ١٨٧٠ مملوءا بتهمات الجرائد الاجنبية التي كانت تقول ان المانيا قد اضمرت السوء لفرنسا الى ان تمت تلك الحرب وهي التي شهرتها فرنسا واقامت المانيا باسباب الدفاع فاخذ الناس في نشر اشاعات جديدة وفي خلق الاخبار خارج المانيا وداخلها . فهذا الكذب المنظم في المانيا في السنة الماضية بالقول بتاكيد بانها مصممة على فتح حرب على فرنسا ولتقرير ذلك في عقول الناس قيل ان جريدة متعلقة بحكومة المانيا نفخت بوق الحرب ومن المسلم ان الحكومة الالمانية كانت حينًا بعد حين تنشر جملا في جريدة النور دوتش زيتونك عن سياستها الاجنبية واستمر ذلك الى زمان قصير غير انهُ لم يكن للحكومة علاقة في امور اخرى كانت تنشرها الجريدة المذكورة . اما الجمل التي كتبتها انا فكانت قليلة واكثر تلك الجمل كتبها غيري ولم تكن لي علاقة بالاخبار الاخرى التي كانت تبلغ الى تلك الجريدة بماموري النظارة الخارجية . ومع ان علاقتي بالجريدة المذكورة كانت قليلة جدًّا كان الناس ينسبون اليَّ كل سطر نشر فيها وكل راي صدر منها . فرايت انهُ لا بد من ان اقول مرة بعد مرة انهُ لم تبقَ علاقة بين نظارة خارجية المانيا والجرائد خلا الجريدة الرسمية وجريدة البروفنسيال كورسبونداس . فكل من يقول ان لجرائد اخرى علاقة بالحكومة الالمانية يكذب . فاذا توصلت اخبار سياسية اجنبية الى الجرائد بانتظام يكون ذلك

بواسطة السفارات الاجنبية الموجودة في المانيا . ومن المؤكد انهُ من الموافق للقراء الاجانب ان ينشروا حينًا بعد حين اخبارا في الجرائد وهذا هو الذي يجعل كتاب الجرائد يخدمون السفرا للحصول على خدمة منهم مقابلة لخدمتهم . لان المكاتب الذي يفوز بربح عظيم بالكتابة الى ٥ او ٦ جرايد يرغب في ان يخدم الذين يخبرونهُ بالامور لان ذلك يعود عليهِ بالربح . فهذا ظاهر ومناسب غير ان السفرا لم يخبروا المكاتبين الا بما يناسبهم ان يخبروهم بهِ او ما كانوا يرغبون في ان يقرروهُ في عقول الناس . فهذه هي نتيجة الخطا والاشاعات والاراجيف المقلقة التي جاءت بتاثيرات محزنة ومنعت رجوع الامنية الى الاشغال وعودها الى رواجها . ومن المؤكد ان شدة ميل الناس الى تصديق الاخبار المقلقة يستحق اللوم اكثر من الوسائط التي تاتي بالقلق . لان الناس في هذه الايام يهتمون بالاخبار المتعلقة بالامور الاجنبية اكثر من اهتمامهم بامور اخرى فيحبون ان يسمعوا كلام نايب فرنساوي في مجلس نواب فرنسا ولكنهم يتاخرون عن قراة الامور المتعلقة بالادارة الداخلية ولو كانت مهمة لهم . فهذا الشوق الى الاخبار المهمة المقلقة هو الذي جعل الناس يفسرون كلام جريدة برلينية تفسيرا غير معتدل . ومن المؤكد ان الحرب لا تشهر بجملة منشورة في جريدة فان الاقليات تاتي بالحروب وفي البلدان التي حكومتها مطلقة تشهر بارادة الملك والوزارات . فان الاكثرية هي غالبا مضادة للحروب وخوف الناس من الحروب بدون داع يوقعهم في خسائر مالية . ولم تكن لي يد في كتابة الجملة المقلقة التي نشرتها جريدة البوست البرلينية في الربيع الماضي ولا اتذكر بانني كتبت جملة ونشرتها فيها . ومن الواجب ان تعلموا انهُ لو كان احد الوزراء يحب فتح الحرب لما فاز بمرغوبهِ بدون ان يرضى بذلك حضرة الامبراطور

وهو محب للسلام طاعن في السن قد انتصر انتصارات عظيمة في الحروب الماضية فلا يرغب في الحرب . ولو كنت راغباً فعلاً في محاربة فرنسا في الربيع الماضي لان فرنسا شرعت في تنظيم جيشها وطلبت الى المجلس العالي ان يقرر المال اللازم ربما كان يرسلني الى مارستان قبل ان يعطيني المال اللازم للقيام بعمل لا يقوم به غير المجانين . والمانيا لا تربح شيئاً بمحاربة فرنسا . وقد اصبحت في امان وسعادة ضمن حدودها فلا ترغب في ان تحصل على اكثر من ذلك . ومن اسباب جعل اهمية عظيمة للامور في الربيع الماضي خدع بعض السفرا بواسطة رجال في مناصب عالية غير انه لا يحق لهم ان ينوبوا رسمياً عن الحكومة الالمانية وبالجملة اقول ان الرسالات السياسية تصدر في الغالب من اماكن قل ما تعلم شيئاً عن السياسة وكانت ترسل الى شركة روترو هافاس مرضعة اصحاب الفلاقل وبواسطتها نشرت في الجرائد فاصحاب السياسة المذكورة اتفقوا هم واصحاب المالية على ان يضلوا الجمهور فمن اللازم والمهم البحث عن لزوم القاء المسئولية على الذين ينشرون تلك الاخبار او لا

اما الجرائد السوسيالية (الاشتراك) فقد جاءت في المدة المتاخرة باضرار كثيرة بدون مانع او عائق . لان المساكين الذين يشتركون في جريدة سوسيالية كانوا يطالعون تلك الجريدة دون غيرها فتضلهم . فانه تقرر في عقولهم تقريراً غير واضح ان احوالهم غير جيدة وهذا صحيح ولذلك يميلون الى تصديق الوعود الخالية من الاصابة والتعقل التي تعدهم بها الجرائد السوسيالية . فبات الفعلة الالمان لا يشتغلون كما يشتغل الفعلة الانكليز والفرنسويين . فباتت المصنوعات الالمانية لا تقدر ان تناظر غيرها في اسواق العالم . وهكذا قد باتت على تلك الحال انه كانت ثابتة نشيطة بتحريكات الجرائد السوسيالية . والمامول الوصول الى نتيجة مرضية عند اجتماع المجلس العالي في السنة القادمة اذا اصر على الامتناع عن تقرير ما طلبت الحكومة تقريرهُ لضبط احوال الجرائد فان قطع النظر عن اقوال السوسيال مضر جداً وخارج عن دائرة الحكمة . وان الاحوال وصلت الى درجة غير معتدلة حتى ان احد اعضاء مجلس المانيا العالي مدح القتلة من الكومون في باريز والذين اضرموا النار واحرقوا الابنية في ذلك المجلس بدون ان يرد احد عليهِ

وقد ظهر من الجرائد الالمانية في المدات المتاخرة ما لا يوافق التهذيب واصول الادب وميل شديد الى الطعن الشخصي ولذلك لا بد من القيام بعمل يقطع هذه الاعمال المخلة التي تمس الناموس . وقد اهتم الوزراء بمراعاة صوالحهم الشخصية حال كونهم يقومون بما يعود بالنفع على الامة . وقد نشرت جريدة برلينية هذه التهمات بحذق خاصها من طائلة القانون مع انها نشرت افكارها . ولا بد من ان اقول ان كل الذين يشتركون بجريدة كتلك الجريدة يشعف اصحابها في نشر الاكاذيب المعيبة . فلو اتخذ الناس على الطعن في امور كهذه متجاوزة حدود الاعتدال لتمت امور كثيرة كالمرغوب بدون الاحتياج الى المجالس . انتهى

فنهض عضوان ليردا احدهما من حزب خدمة الدين والاخر سوسيالي فقام الاول المارونت هورست فقال انهُ عالم بما يحملهُ على ان يقول ان الحرب كانت قريبة من الحدوث في الربيع الماضي ليس لان الجرائد نشرتها ولكن بسبب ظهور علامة اخرى تبين قرب وقوعها . فاجاب البرنس انهُ لا يصدق كل ما يقولهُ المارونت هورست غير ان مراعاة اصول اللطف منعتهُ عن ذلك قبل الان فيرجع الى الانكار . وبعد

ذلك شرع العضو السوسيالي في ان يدافع عن قومهِ وتجاوز حدود الاعتدال بالطعن في البرنس حتى انهُ استحق اللوم غير انهُ لم يلم وختمت الجلسة برفض تقريرما طلب البرنس بسمارك تقريره لان الناس يعلمون ان تقييد الجرائد تقييدًا غير معتدل ياتي باضرار تزيد عن اضرار عدم التقييد

فرنسا

قد ذكرنا في الجنة ان الفوز في الانتخابات الفرنسوية كان لحزب الجمهورية وموسيوغامبتامن روساءِ الديموكراتيين اي الذين يرغبون في ان يكون لكل عضو من الامة حق انتخاب اهل المناصب واعضا المجالس ولما كانت الاكثرية من ذلك الحزب كان لا بد من اعتبار ارائهِ المتعلقة بالاستقبال وقد خطب ذلك الموسيو خطابًا بهذا الشان وهذه ترجمتهُ

يا ابناء وطني الاعزاء . قد سمعتم قراة ورقة لم تأتِ بمثلها ديموكراتية سابقة . وعندما تنفذ السياسة المقررة فيها تنتهي الثورة الفرنسوية . وقد عولنا على سياسة اراء ولدت في بلفيل سنة ١٨٦٩ عند عقد اتفاق بيني وبينكم . فماذا جرى بعد ذلك للكمون والدائرة والمقاطعة ومجلس الادارة ومجلس الشيوخ . فقلعة رد الفعل فيها حراس جمهوريون . ولا ريب في ان الانتخابات القضائية تاتي باكثرية جمهورية . ففي السنين الخمس الاخيرة طردت الاقليات الملكية من الملاجئ التي كانت تخنق فيها حرية الامم (ضجيج استحسان) فلا بد من ان نبرهن باننا حزب حكومة . ولا بد من اظهار المؤامرات الناشئة عن الاتفاقات . فلا ينبغي ان نرجع القهقرى ولكن لابد من التقدم غير تاركين المراكز التي فتحناها ولا ينبغي ان يكون التعلم العام بعد الان قولاً فارغًا ولا بد من ان تكون الاصلاحات نافذة . ولا ينبغي ان يشرع في شيء بدون ان نعلم اين تكون نهايتهُ . فلا بد من ان ننير العامة فلا تبقى آلة العبودية ومن اللازم ان نعلم الفلاح بان نصيب بلاده في يده وعظمتها تكون بالجمهورية والديموكراتية فلا بد من ان تكون السياسة وطنية عامة وليس حزبية وان تكون صادرة من الانتخابات العامة . وقد اقمنا بعمل نشر الاراء واكتسابها فانظروا الى نتيجة اجتهاداتنا في الانتخابات التي جرت في السنين الخمس الماضية للمجالس البلدية والمجالس الادارة والمجلس الشيوخ الذي كان معدًا لان يكون حصن رد فعل حراسة اكثرية جمهورية وساعدكم بان البلاد تعطيكم في ٣٠ شباط (ففريه) (هذا قد تم) اكثرية جمهورية ثابتة وانا لا اتكلم قبل ان اكون متاكدًا باني ساصيب غير اننا سنصادف صعوبات كثيرة مختلفة وسيطلب الينا ان نبرهن باننا نعلم ان ندبر الاعمال السياسية . فاليوم لا بد من ان نتقدم بتان بدون ان نكون متاكدين ان الارض امينة وماوانا لا خطر فيه . فسياسة التحصيل هي وحدها موافقة لصوالح الديموكرات . ومن مرغوباتي ان لا يشرع الحزب الجمهوري في شيء اصلاحي بدون ان يتممهُ وان يطلب القيام بغيره قبل ادراكهِ حتى لا يقال ان الحزب الجمهوري يبتدي بكل شيء بدون ان ينهي شيئًا فانا من الذين ينكرون الامور المطلقة في هذا الباب واعتقد بالنسبية فقط وفي سياستي الاحظ ما لا بد من ملاحظتهِ من السطوات والاراء فلا بد من ان تصنع بسياستك كما تصنع بشغلك اي ان ينقل من يد الى يد قبل ان يبلغ الكمال فلا تكون السياسة واحدة دائمًا فسياسة سنة ١٨٧٥ لا تكون كالسياسة التي تقوم بها سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٧٨ و١٨٨٠ فانها تتغير بتغيير صوالحنا وحالة اوربا . فكل شيء موضوع بحث ودرس . وما يعضد صاحب

السياسة في اجتهاداتهِ هو اركان ابناء وطنهِ اليهِ فهذا الاركان يكون قويًا وينشر الثبات ويمنع مخاطر الحكومات المطلقة المدنية والعسكرية . فانا الذي ارغب في ان اجرب الاستقبال احب ان تبقى بلفيل منبري (صحيح استحسان)

نظام تملك

قد نشرت جريدة الليفانت هرالد ما ياتي الظاهران الافادة الاتية الرسمية هي نظام جديد او بعض نظام جديد وقد ارسلتها الينا نظارة المطبوعات لتنشر هنا

البند الاول . انهُ يحق للرعايا العثمانيين المسلمين وغير المسلمين بدون تمييز ان يشتروا اراضي شمسية او اراضي مخصصة بمزارع او قرى اذا كانت من املاك الحكومة او الوقف وبيعت بالمزاد او اذا كانت للافراد وبيعت بعقد بيع مخصوص . واذا كانت بعض اراضي الدولة او الوقف مما لا يباع للتبعة الغير المسلمة مراعاة لعادة قديمة ينبغي ان يقطع النظر عن تلك العادة وان يفرماً آل هذا النظام دون غيره

البند الثاني . ان انتقال الاراضي او العقارات من ملكية الاسلام الى ملكية التبعة غير المسلمة وبالعكس يجرى بالمساواة التامة بحسب منطوق النظام المتعلق بذلك

البند الثالث . ان الفلاحين الذين يقومون في اماكن الزرع يكون لهم حق الاستنكاف عند بيع الاراضي التي تباع بالمزاد او بعقد بيع مخصوص اذا كانوا من التبعة المسلمة او غير المسلمة

روسيا

في الجنان الماضي نشرنا جملاً ترجمناها عن جريدة التيمس عن المالية الروسية وضيقاتها وقد راينا رسالات برقية فيها ذكر رد الجرائد الروسية على ذلك ونسبت الخطا الى تعديلات جريدة التيمس وارائها وابانت تقريرات رسمية عن حسن حالة المالية الروسية ولابد من ان تنشر تلك الجمل بجملتها فعند ما نعثر بها نترجمها لاظهار الوجهين

وقد ذكر في رسالة برقية ان روسيا اطلقت المدافع على مدينة ناشيان ومدينة اندبجان واحرقتهما لان اهاليها وهم من الخوكنديين جاهروا عليها بالعصيان وقد نشرنا في الجنة خبر اخماد ثورتهم

وقد كذب ما شاع من ان حضرة البابا كتب الى حضرة امبراطور روسيا عن انضمام الروم الكاثوليك الى الكنيسة الارثوذكسية

الفاتيكان

منذ برهة قابل حضرة البابا رسميًا ماموري الفاتيكان المدنيين الذين كانوا في مناصب املاك حضرة البابا الزمنية قبل ان استولت عليها ايطاليا فقال لهم ما ترجمتهُ

انهُ سمح لقوات الظلمة بان يحملوا على ايطاليا المنكودة الحظ فاستولى الفاتحون على المناصب التي كنتم فيها . فهذا الاختلاس مهما اعلنهُ منذ زمان طويل فانهُ منذ اكثر من عشرين سنة كان احد الملوك الكاثوليك جالسًا عند مائدة في مدينة من مدن ايطاليا العظيمة فقال انهُ لا يقدر ان يفهم لماذا يهتم وكيل المسيح على الارض بالملك الزمني وجاء ببرهان قائلاً انهُ لم يكن للقديس بطرس ملك . غير ان هذا الملك لم يتامل في الامر وربما كان لم يتعلم قط انهُ لم يكن حينئذ لبطرس امير الرسل ملك زمني ولكن الله سبحانهُ وهبهُ قدرةً ان يقاص بالحال بالموت الكذابين والمرائين . اما انتم فقد خدمتم بامانة فلم يتركم الله المجد والشكر والاكرام لاسوة . وليس كمامورين اخرين وغيرهم من اصحاب المراكز والمناصب الرفيعة او غير الرفيعة الذين حملوا على ايطاليا المنكودة الحظ ليستولوا على ما هو لغيرهم دائسين

كل قواعد العدل وبذلوا في سبيل الربح ناموسهم الذي لا يعرفه كثيرون منهم وضميرهم . انتهى

يقال ان الجنرال غاريبالدي قد فوض جمعية حرق جثث الموتى في ايطاليا ان تحرق جثته بعد موته وقد قالت جريدة الفاتيكان عن ذلك ان الحرق بعد الموت من علامات التمدن عند وثنيي هذا العصر

مصر

في الجنان الماضي نشرنا جملة لاظهار حالة مصر المالية واقتدارها على ايفاء مبلغ جسيم من دينها ببيع الطرق الحديدية بدون ان يمس ناموسها او ان تلحق اضرار بالاهالي وسبب ذلك رسالات برقية مالها جرى مخابرات بين مصر وشركات انكليزية لبيع بعض الطرق الحديدية وفي الرسالات البرقية الاخيرة خبر الشروع في عقد قرض جديد لايفاء الاستحقاقات والدين الجاري (فلوتن) فجميع هذه الاخبار برهان على صحة ما اوردناه عند هبوط اسعار الاوراق المالية من جهة سلامة عاقبة المالية المصرية وان الضيقة التي بانت فيها موقتة وناشئة عن استحقاقات قريبة ومصاريف موقتة غير اعتيادية ومع ذلك لم تتاخر يوماً واحداً عن الدفع وظاهر الامر ان مامورية مستر كايف ستاتي بتقريرات موافقة جداً لانهُ لولا ذلك لما بادر قوم فرنسويون الى الشروع في عقد قرض جديد ولا بد من ان يكون قد ظهر لهُ امر مهم وهو ان مصر قد التزمت بان تدفع سبعة ملايين ونصف مليون في سبيل ترعة السويس وان ذلك المبلغ مع فائضهِ يزيد عن العشرين مليون ليرا وقد عللناهُ سنة ١٨٧٤ في الجنان بنحو خمسة وعشرين مليون ليرا وان باقي الدين مصروف في سبيل تحسينات قد زادت اثمانها وجعلت التجارة في مصر اكثر من ضعف تجارة السنين السابقة للخديوية الحالية مع انهُ قد تحولت اشغال الشرق الاقصى عنها بواسطة فتح ترعة السويس . فالبلاد التي لا تبذر واصبحت لا تهتم الا بمشروعات لا بد من ان تاتي بفوائد عمومية لا يخشى عليها من سوء العاقبة وقد راينا في الجرائد الافرنجية ان الجناب الخديوي المعظم هو الذي طلب الى حكومة انكلترا ارسال مامورين لترتيب ماليتهِ بحسب ترتيبات مالية انكلترا تحت مناظرة حضرة صاحب الدولة اسمعيل صديق باشا ناظر المالية المشهور بالحذق والتدبير ولا صحة لما شاع من ان الانكليز قد طلبوا ذلك بالنظر الى خوفهم من سوء العاقبة وقد تقرر في مجلس انكلترا العالي منذ اقل من عشرين يوماً بان الضيقة المالية في مصر ناشئة عما دفع لانشا ترعة السويس ولم نسر بشيء قدر رجوع الامنية من جهة تلك الاوراق في هذه البلاد التي فيها مبالغ وافرة من الاوراق المصرية حتى ان كثيرين من التجار الذين يجهلون معرفتهم لاحوال البلدان ومراكزها وحالتها الزراعية والتجارية قاعدة اعمالهم قد اشتروا مبالغ ليست بقليلة عند هبوط قراطيس مصر . والمامول ان حالة الحبشة لا تكون في الحال طويلة ولئن كانت تعود عليها بالنفع . وفي كل يوم تزداد حالة مصر ثبوتاً من جهة المالية وغيرها

فرنسا والمانيا

قد نشرنا الخطاب الذي خطبهُ البرنس بسمارك وقلنا اننا سنبحث عنهُ في الجملة السياسية وقد راينا جملة في التيمس بهذا الشان فترجمناها وما خطر لنا ببال قد نشرناهُ في الجملة السياسية وهذه ترجمة كلام التيمس ان اهم خطاب البرنس بسمارك هو ما يتعلق بالقا تهمة افشا الاخبار السرية على سفراء الدول في المانيا وبالقول انهم خدعوا بكلام ذوات المانيين في مناصب عالية غير انهُ لا يحق لهم ان ينوبوا

رسمياً عن الحكومة الالمانية . فالظاهر ان بعض عظماء امور البلاد او قواد الجيش قد اخبروا السفرا ان فرنسا تكون بعد برهة قصيرة متمتعة بقوة قدر قوتها الماضية وعند اتمام تجهيزاتها تحمل على المانيا فلا بد لها من ان تدافع عن نفسها قبل ان تصير فرنسا قادرة ان تحمل عليها . غير ان ذلك لا يناسب كل الظروف فان التشكي والتهمة صدرا من باريز وليس من برلين فبادرت جرائد برلين الى اثبات الخوف من الحرب . فمصدر ذلك هو غير جرائد بلاده . فطلبة من باب الصرامة وما قاله من انه لم يشيع الاخبار الحربية قريب من التصديق ولم يكن لزوم لايضاح ما اوضحه عن زمان قطع المخابرات بينه وبين الجرائد . فانه لم يهتم بنشر تلك الاخبار ووضع الامر بصدور ذلك من اشخاص عظما تخالف اراؤهم اراءه . وقيل ان الحزب العسكري هو الذي يجب ان يحارب فرنسا ليضعفها . وفي خطاب البرنس بسمارك ما يثبت ذلك . على انه قد قال ان الحكومة الالمانية لم تكن قاصدة محاربة فرنسا في الربيع الماضي . وقد صدقناه كل التصديق . فانه لا ينتظر من رجل حكيم حاذق القيام بما يجعل كل اوربا ضده ومشاركة لفرنسا بالحاسيات . على انه قد اخطأ في فهم التهمة فانها القيت على الجيش والصف الذي لا يهدا بل شانه الحرب . وتقرر عند الناس انه يضاد ذلك على انه قد تقرر انه لو انفذ ارادته لحصلت فرنسا على شروط صلح اسهل من الشروط التي حصلت عليها وهذا دليل عدم نجاحه فلا نعجب من وقوع الخلاف وانفاذ ما يضاده . وقد قال في خطابه ان حضرة امبراطور المانيا محب للسلام وطاعن في السن وفائز في الماضي فلا يرغب في الحرب . فهذا الكلام لا يعزي الذين يتذكرون بان ذلك الامبراطور المحب للسلام هو فاتح الدانمرك والنمسا وفرنسا . وقد قال البرنس ان المجلس العالي الالماني برسالة الى مارستان اذا طلب اليه مصاريف حرب كتلك الحرب ومن الواجب ان لا يتعجب اذا قلنا ان الفرنسويين لا يركنون الى حكمة النواب الالمان اركاناً عظيماً ويخافون من ان يثبت قواد الجيش بان الحرب ضرورية لصيانة الامة فيصدقهم الامبراطور فانه جندي ويقطع النظر عن اعتراضات البرنس بسمارك . فيهيج المجلس العالي فيبتعد عن الحكمة . ولا يخفى ان نفس اهالي برلين صدقوا تلك الاشاعة ولم ترتح الخواطر وتسكن الافكار الا بعد ان عرف الناس ان امبراطور روسيا ابان ميله الى السلام . فلو اراد البرنس بسمارك ان يقطع اسباب الخوف لتمكن من ذلك في ٢٤ ساعة بنشره اعلاناً باسم الامبراطور لتكذيب ما شاع من ميل المانيا الى الحرب . وسبب الخوف ما تقرر في عقول الناس من ان وراء البرنس بسمارك سطوة عسكرية حربية ربما كان لا يقدر على مضادتها . ولا بد من استمرار تلك السطوة ما دامت الامة تحمل اموالاً ثقيلة والخدمة العسكرية واقعة على احسن شبانها للقيام بقوة عسكرية ليس مثلها في العالم . وما من امة تقدر ان تحول نفسها الى معسكر متقلد سلاحاً ومتاهب للحرب بدون ان تعرض نفسها لخطر نفوذ سطوة حربية في مجلسها العالي ولا ان يكون عندها امراء كثيرون في احتياج وقد تقرر في عقولهم ان العسكرية هي الخدمة اللائقة بهم بدون ان ينفذوا سطوة مشوراتهم في الامبراطور

التحسينات في مصر

ان اظهار الحقائق فرض والجرائد الواسطة الكبرى لاعلان اهل الفضل ولما كان قد تيسر لنا ان نزور البلاد المصرية منذ برهة قصيرة وان ندقق النظر في ما يستحق الالتفات والنشر في الجرائد

المشهورة ليبقى ذكرًا ابديًا في بطون التواريخ جئت قيامًا بالواجبات بهذه الجملة لاظهار اعمال الجناب الخديوي اسمعيل المعظم وهي التي قد طالما شهد بفضلها القريب والبعيد من اهل المشرق والمغرب فانهُ جعل اليابسة بحارًا والخراب عمارًا وبدل الجهل بالحكمة ومهد من المصاعب والمشاكل ما يعجز القلم عن القيام بوصفهِ فمالت الى جنابهِ اكثر القلوب لانها رات همة مصروفة في مايزيل الكروب وقد جمع حول ذاتهِ العلية رجالاً من افضل ذوات هذا العصر لمساعدتهِ وانفاذ مقاصدهِ واوامره ولا احب التطويل ولا حاجة اليهِ بعد ان نشر ما قد نشر في الجنان بهذا الشان فاقتصرت على ذكر الاصلاحات الداخلية في الديار المصرية المحمية التي اقامها اعضا العائلة العلوية وزاد عليها وحسنها جناب الخديوي الحالي حتى صار لاسمهِ ذكرًا مخلدًا ومن بعض اصلاحاتهِ التي تستحق الذكر الوسائط الكثيرة لاحياء دولاب الاعمال المالية والتجارية والاستخدامية في دوائر الاعمال الكثيرة من طرق وترع وبناء جسور تدهش ابناء بلادنا الذين لم يشاهدوا مثلها ومن الامور التي تستحق كل الاعتبار تمهيد الطرق والشوارع المتعددة المتسعة داخل المدن وعلى الخصوص في مصر القاهرة والاسكندرية وتكثير وسائط الراحة للقاطنين والمسافرين وعرض الطرق العمومية اكثر من ١٢ مترًا وللتوضيح اقول ان ست مركبات متلاصقة تقدر ان تمر في الشارع معا خلا الماشي في جانبي الطريق وعرض كل منها نحو عرض طريق ضيقة من طرق المركبات في بعض انحاء بيروت وهذه المماشي مختصة بالمشاة فقط لانها مرتفعة قليلاً عن طريق المركبات وعلى جانبيها من الاشجار وبين كل شجرتين مصباحًا من الغاز المتلالي حتى ان الانسان يقدر ان يقرا وهو في وسط الطريق وان يعرف صاحبهُ او عدوهُ في الطرف الواحد وهو في الطرف المقابل فهذه محسنات تتمنى كل امة الحصول عليها ولهذه الانوار والاشجار والطرق رجال كثيرون ينتفعون باجرة خدمتهم ومن اهتماماتهِ ترغيب البعيد والقريب في الاتيان الى تلك الاقطار لانها مفضلة على اماكن اخرى لحسناتها وحرية الاديان تامة فانهُ لا يُسمع بنزاع ناشيء عن تعصب فان كلاً من الاهالي يقوم بفروض دينهِ بالسكون والراحة

اما المتنزهات فكثيرة وعلى الخصوص جنة الازبكية التي اقامتها يد حضرة الخديوي اسمعيل وهي من الجنات التي لايتم وصفها بكلام قليل بل تحتاج الى التطويل نظرا لما فيها من اسباب الراحة والتنزه والزينة وبجانبها قاعة التشخيص العظيمة فالوصف يبس كالنظر وفيها نحو خمساية مشخص ومشخصة منقسمين الى اجواق لاجل التشخيص وقد تاكدت بانهُ قلما ترى اوربا اتقن مما تراه مصر والبناية العظيمة المعطاة للمشخصين هي للحكومة ويعطى لهم نحو مائة الف ليرا فرنساوية سنويًا ومدخول القاعة وذلك كالجاري في مدن اوربا فان الحكومات او البلديات تدفع مبالغًا للمشخصين للاتقان فهذه امور تعجب عند سماعها الشرقي ومن المعلوم ان هذه مصاريف كلية غيرانها تجذب كثيرين الى البلاد وعلى الخصوص من الافرنج المسافرين الذين ينفقون اموالاً جزيلة مدة اقامتهم هنالك فتعود هذه الدراهم على اهل البلاد وهم يقومون بالرسوم الاميرية فيدور دولاب الاعمال على محور قانوني وتحفظ الميزانية في درجة الاعتدال

هذا ومن المفروض اظهار فضل حضرة صاحب الدولة اسمعيل صديق باشا ناظر المالية المصرية الافخم فان راي دولتهِ الصايب في ابرام الاعمال المالية يدهش اكبر حاسب واعظم كاتب وهو متعود فن السياسة التوفيرية ولدولتهِ ذاكرة متقدة وفطنة غريزية طبيعية

غريبة يتعجب منها كل من راه ومن الامور التي يتعجب منها الانسان كثرة الاعمال التي يقوم بها حضرة الوزير المشار اليهِ فانهُ لا يرتاح ليلاً ولا نهاراً وهو مشغول بمقابلة الذين ياتونهُ للقيام باعمال عظيمة مالية وغيرها لية فيبرم الامور بسرعة غريبة ويفض اعظم المشاكل بحذقهِ العجيب ولطفهِ الطبيعي فانهُ مع كثرة اعمالهِ المهمة يقابل كل انسان ببشاشة وتان ولدولتهِ شهرة في الديار المصرية وفي بلادنا ايضاً فانكم طالما ابنتم مناقبهُ وذكرتم اعمالهُ الخيرية والمساعدات الكثيرة التي يقوم بها من مالهِ الخاص فجزاهُ الله خيراً وزادهُ مجداً وفخراً وبالحقيقة انهُ معزز مكرم جداً عند الحضرة الخديوية

ومن رجال الدولة المصرية الذين قد تفردوا في المعارف والذكاء ولهج بفضلهم لسان الكتاب والشعراء واقر بحذقهم والطافهم وادراكهم البعيد والقريب حضرة صاحب الفضل والسعادة رياض باشا ناظر الحقانية الذي لا يزال يرتقي درجة فدرجة من المجد وتتوجه اليهِ المناصب السامية بحسب اهليتهِ فكان ناظراً للمعارف لانهُ من اكابر اصحابها ثم للخارجية لانهُ مدبر سياسي حاذق وبحسب الاهمية نقلتهُ اليد الخديوية البيضا الى رياض الحقانية فجاء الاسم طبق المعنى ولو اردت تعداد مناقب سعادتهِ وفضلهِ وكرم اخلاقهِ ومحبتهِ للحق ومساعدة الضعفاء وغير ذلك من مآثره واعمالهِ الخيرية لضاق بي المقام . هذا ولما كان المقام لا يسمح بذكر مناقب اهل الفضل كلهم عموماً من ذوي المناصب الاولية وغيرها في الديار المصرية كحضرة صاحب السعادة شريف باشا ناظر الخارجية وسعادتلو خيري باشا مهردار الحضرة الخديوية الاكرم وغيرهم من اهل اللياقة والاعتبار وذوي الشهرة والاقتدار الذين لم يتيسر للعاجز التشرف بمقابلة ذاتهم الكريمة قد اكتفيت بهذا القدر تاركاً ما تبقى من الكثير والقليل الى فرصة اخرى وزيارةٍ اطول في بلادهم الجميلة المزينة بذات حضرة خديويها المعظم ولطف اهلها وسكانها زادهم الله من كرمهِ كرماً ومن محبتهِ محبة ومن غناهُ غناء

مكاتبكم

الصيداوي

الجيوش

(من قلم سليم افندي البستاني)

هذا زمان جيوش جرارة ووقوع امم في ضيق من جرى مصاريف الجنود ولم ترَ ايام الامبراطور نابوليون الاول جيوشاً عظيمة متاهبة كالتي نراها فاصبحت اهم شيء عندنا فان حركاتها ميزان الاشغال وثباتها ضيقات الامم وانحلالها فرج عظيم وحروبها الحد الذي يفصل زماناً قد طالت ايامهُ عن زمان جديد لا يقدر ان يخمن احوالهُ احذق رجال السياسة ولذلك يهتم كل منا في الوقوف على احوال الجيوش بالاطلاع على تاريخها ونظاماتها وحالها الجارية ولذلك نقول

ان الجيش في عرف المتفننين بالحروب رجال منظمون مسلحون تجمعهم الدول للقيام بالحروب وهم في هذا الزمان غير الضابطين الذين يقومون بضبط احوال الهيئة الاجتماعية . ولا نعرف شيئاً محققاً عن جيوش الدول القديمة الا ما نعلمهُ عن جيش مصر وزمان مجدها في ايام رعمسيس الثاني وقد وقف المورخون على اخبارهِ وفتوحاتهِ وبالتالي على متعلقات جيشهِ بالكتابات والصور الموجودة في آثاره . وقد قال هيرودوتوس المورخ المشهور ان رجال الحرب المصريين القدماء كانوا منقسمين الى صفين فالاول كان يسمى هرموتيبي ونهاية ما بلغهُ من العدد ١٦٠ الف جندي والثاني كالازيري ونهاية ما بلغهُ من العدد

٠ ٣٥ الفا٠ وكان يمتاز احدها عن الاخر بمجرد سن الجنود وزمان الخدمة وكان جنود الكالازيري ينضمون الى جنود الهرموتيبي او الرديف بعد ان يخدموا سنين معينة ٠ وكان كل الجيش كانه مستعمرة عسكرية فان الحكومة كانت تهب كل رجل قطعة ارض مخصوصة مقابلة لخدمته وهذا مكن البلاد من ان تقوم بجيش جرار بدون ان تثقل على نفسها بمصاريفه وكان اكثر الجنود في مصر السفلى لان الدول الاسية المجاورة كانت تهجم عليها وكان في الصعيد عدد ليس بغفير منهم لان الحبشة لم يكونوا اعداء الداء ٠ وقد تبين بالاثار ان المشاة كانوا اهم الجيش ولاسيما الرماة وكان عندهم مشاة متقلدون اسلحة مختلفة الانواع وكانوا منقسمين الى فرق بحسب سلاحهم كفرقة الحراب وفرقة السيوف وفرقة العصي وفرقة المقالع وغيرها ٠ وكانت مركبات حديدية كثيرة تعضد المشاة ولكل مركبة جنديان احدها ليسوق الفرسين والاخر ليرمي النبال ٠ وليس في الاثار صور فرسان ٠ وقد راى الباحثون صورة فارس واحد وقالوا انه من زمان الدولة الرومانية ٠ والظاهر انه محقق ان استخدام الافراس للركوب دخل مصر بواسطة جيرانها اهالي اسيا وقد تحقق انه بعد زمانها القديم المذكور انشات جيش فرسان غفير وانه كان يحارب كسائر فرسان القدماء على جانبي المشاة ٠ اما اسباب التحفظ عندهم فكانت المجان والخوذ والدروع ٠ اما الهجوم على الحصون فكان يشابه في امور كثيرة هجوم اليونان والرومان وقيل انهم كانوا يستخدمون المجانق ومركبات الصدم والسلالم والابراج المنتقلة ٠ وكانوا يحفرون تحت الجدران والاسوار غير ان السارجورج ولكنسون قد قال ان ذلك تخمين ٠ ومن ايام ابساماتيكوس اقامت مصر جيشًا يونانيًا وجعلته في مصر السفلى

اما مملكة الاشوريين فقد مكنتنا من الحصول على وصف الجيوش الاسية التي افرغت جهدها في اكثر من الف سنة في سبيل الاستيلاء على البلدان التي بين البحر المتوسط ونهر الاندوس في الهند وقد بلغتنا اخبار جيوش اشور باثارها كما بلغتنا اخبار جيوش مصر ٠ والظاهر ان سلاح المشاة كان كسلاح مشاة المصريين ولكن قسيهم كانت اقل تحديبًا واسلحتهم وملابسهم الحربية اتقن ٠ واهمها الحراب والقسي والسيوف والخناجر وقد صور الاشوريون في جيش اكزركسس وفي ايديهم عمد خشبية وفي راسها جارحة حديدية ٠ وكانت ملابسهم الحربية خوذ اكثرها جميلة جدًا ودروع من فولاذ او جلود ومجان ٠ وكانت المركبات الحربية عندهم قسمًا مهمًا من الجيش وكان لكل مركبة جنديان والسائق كان يستر الرامي فيها بمجنه وقد ظهر من الصور ان كثيرين من الذين كانوا يحاربون بالمركبات كانوا يلبسون دروعًا فولاذية طويلة ٠ وقد تبين بالاثار انه لم تسبقهم امة الى تنظيم جيش فرسان هذا بالنظر الى ما نعلمه عن احوالهم ٠ ففي اقدم الصور الفارس راكب بدون سرج ٠ وفي صور الزمان التابع له السروج تشبه سروج الخيل في بلادنا في هذا الزمان وربما كانت حركاتهم غير منظمة فلا يقدرون ان يثبتوا اذا دفعهم مشاة منظمون حق التنظيم غير انهم يلحقون اضرارًا بليغة بالجيش المنكسر بسرعة الحركة او بالجيوش الغير المنتظمة وكان الفرسان عندهم دون جنود المركبات وكانوا اهم المحاربين ٠ والظاهر انهم جعلوا لجيش المشاة نظامًا ورتبوه صفوفًا ٠ وكان الرماة اي الذين يحاربون بالقسي والنبال يقاتلون امام صفوف المشاة ولكل منهم حامل مجن ليستره به او كانوا يقاتلون وراء صفوفهم وامامهم صف اول وكان متقلد الحراب فكانت جنودها تجثي و تركع في القتال ليتمكن الرماة وهم خلفهم من رمي الاعداء

بنبالهم . ومن الموكد انهم كانوا يستخدمون الابراج المنتقلة والحفر تحت الاسوار عند حصر الحصون . وفي نبوة حزقيال ما يدل على انهم كانوا يبنون الحواجز المرتفعة قبالة اسوار المدن او القلع ليتمكنوا من مقاتلة الاعداء . وكانوا يجعلون بعض ابراجهم المنتقلة اعلى من الاسوار ليتمكنوا من ان يضربوا بالمدافعين ويخرجوا اليهم . ومن اسباب الحصر عندهم المجانق ومركبات الصدم . وكانوا كثيرًا ما يغيرون مجارى الانهر ليتصلوا الى عورة في الاسوار او يجعلوا المجرى الاول طريقًا مودية الى داخل المدن او القلاع والظاهر ان جيوش البابليين كانت كجيوش الاشوريين غير انهُ لم يفز المورخون بالحصول على اوصاف مفصلة

وعظمة مملكة الفرس من موسسيها وهم بدو الفرس وكانوا على جانب عظيم من الشجاعة وحب شن الغارات . وكانت الفرسان اهم جيوشهم واستمرت كذلك عند الشرقيين الى ان ادخلوا النظام الاوربي في هذا القرن . ودارا استاسهوس انشا جيشًا عاملاً لضبط الولايات التي فتحها ولمنع عصيان الولاة الذين كثيرًا ما جاهروا بالعصيان على الحكومة المركزية فكان في كل ولاية جيش حارس تحت قيادة قائد مخصوص . وكانت فرق من الجيوش تحل في مراكز حصينة . وكانت الولايات تقوم بمصاريفها وجيش الملك كان من هذا الجيش وعددهُ عشرة الاف جندي منتخبين من كل الجنود وكانوا يسمونهم الغير الفانين . وكانوا يلبسون الحلى الذهبية وتسير في اثرهم مركبات كثيرة فيها نساؤهم وخدمهم وجمال حاملة زادًا . وكان يضم اليهم الف جندي من معتقلي الرماح والف من حراس الافراس ومركبات حربية كثيرة في جوانب بعضها الات قاطعة . ولم تكن الحكومة تكتفي بتلك الجنود للقيام بالفتوحات العظيمة فكانت تجمع جنودًا من كل المملكة . وكان يولف منهم جيش شرقي مختلف الاعضا والتنظيم والعادات ومعهُ زاد كثير وتبعة كانت تكثر عددهم وهذا هو الذي كان يجعل اليونان يقررون لجيوش الفرس الاعداد الغفيرة التي كانوا يقررونها . وكانت اسلحة الجنود تختلف باختلاف اجناسها بسبب اختلاف العادات فمنها من كان يتنكب القسي ومنها من كان يعتقل الرماح او يتقلد السيوف او يحمل العمد وغير ذلك . وكان لكل جنود ولاية قائد مخصوص . وقد ظهر من تاليفات هيرودونوس المورخ ان قوادهم كانوا قواد عشرات وقواد مئات والوف وهلم جرًّا اما قيادة الجيوش الجرارة المذكورة فكانت غالبًا في يد رجال من العائلة المالكة . اما نخبة الجيش فكانت رجال فارس ومادي وغيرهم من رجال الامم الايرانية . وكانوا يتنكبون القسي و يعتقلون الذوابل والسيوف وكانوا يعممون و يسترون اجسادهم بالدروع الحديدية . ومع انهم كانوا يحسبون نخبة الجيش الفارسي كانوا ينكسرون عند مقابلة جيش قليل من اليونان . وتبين بالتجارب ان كثرتهم كانت تاتي بتشويش في انتظامهم وتجعلهم غير قادرين على دفع هجمات جنود اثينا واسبرطة الفانكس . وكانوا يقفون باقل الموانع واقل الحوادث تحمل افراسهم على الاجفال والجموح فتدوس المشاة . وقد راينا في التواريخ ما يدل على ضعف جيش الفرسان عندهم فان عشرة الاف فارس منهم لم يقدروا ان يخرقوا صفوف اثينا مع انهم كانوا في سهول ماراثون . غير انهُ ظهر من فعلها في ازمان تابعة ما يبين تحسين احوالها فانها تمكنت من صد طليعة جيش الاسكندر وكان بطليموس قائدها وفازت بمنع تقدمها الى ان وصل قلب الجيش وهجمت الجنود السريعة الجري على جناحيها فالتزمت بان تنقهر لانهُ لم يكن لها صنف اخر ولا جنود احتياطية . غير انهُ كان قد تقوى

الجيش الفارسي بالعناصر اليونانية بواسطة الجيش اليوناني المستاجر الذي انتظم في خدمة فارس العسكرية بعد موت اكسركسس بزمان قصير

وجنود اليونان القدماء هم الذين عندنا وصف مفصل لاحوالهم وانتظامهم . ويقال ان فنون الحرب تنظمت عندهم ولا سيما فن حرب المشاة . وكان كل حر ملزوم بان يخدم في جيش اثينا . ولم يعفَ منها الا الذين كانوا يتقلدون مناصب سياسية معينة والفقرا جدًّا وكان ذلك في بادي الامر . وكان من المفروض على كل فتى بعد ان يبلغ سن ١٨ ان يخدم سنتين ولاسيا في جيش الحرس عند الحدود وكانت تلك المدة كافية لتعليم فنون الحرب . وكان يستمر بعد ذلك من اصحاب اسنان العسكرية الى سن الستين . وكان الاهالي المجتمعون يعينون العدد اللازم للقيام بالقتال عند انتشاب الحروب . ولم تسع الحكومة بجمع كل اصحاب الاسنان العسكرية الا عند الوقوع في ضيق وكان الاهالي ينتخبون عشرة رجال يولفون منهم عمدة لجمع الجنود وتنظيمهم وكانت رجال كل قبيلة تنتظم في فرقة واحدة فقوادها وقواد الفرق الصغيرة كان الاهالي ينتخبونهم وكانوا كلهم من جيش المشاة المتقلد السلاح الثقيل . وكان في بادي الامر كل الجيش الاثيني من الصفوف الكثيرة التي كانت تتقلد الحراب وبعده تألف الجيش المتقلد السلاح الخفيف ليكون سريع الحركة ثم جيش الفرسان . وكان الجيش تحت قيادة قائد اسمه استراتجوس وكان يولف من صفوف كثيرة بعضها امام البعض الاخر فمن الجيوش ما كان عدد صفوفها المذكورة ٨ ومنها ١٠ ومنها ١٢ ومنها ٢٥ وقد ذكرت في تاريخ اليونانيين

وكانت الجيوش اليونانية المذكورة اولاً تتقلد درعًا قصيرًا وخوذة وذابلاً وسيفًا . وكان حصنهم الحمل عليهم وحملتهم مشهورة بالشرق ولا سيا بعد ان علم ملتيادوس الجيش في ماراثون اسراع المشي عند الحمل فكانوا يسيرون بطيئًا ثم يسرعون فيبلغون العدو ركضًا وعند الدفاع كانت صفوف اسبرطه اثبت وبعضها اقرب من البعض الاخر . وكان مجموع جيش اثينا في ماراثون عشرة الاف جندي من جنود السلاح الثقيل وثمانية الاف جندي من جنود الجيوش الكثيرة الصفوف و١٨ الاف جندي من السريعي الحركة . والتزم اهالي اثينا ان يجمعوا جنودهم من الفقراء ايضًا بسبب تواصل الحملات الفارسية . فانتظموا في سلك الجيوش الخفيفة . ولم يكونوا يلبسون دروعًا بل كان بعضهم يلبس الخوذ وكانوا يعتقلون الذوابل ويحملون الخناجر . وبامتداد املاك اثينا ضمت جيوش المتحدين معهم الى جيوشهم الخفيفة وضموا اليها جنودًا مستاجرة وضموا اليها ايضًا جيش اكريت واتوليا وغيرهم فانهم اشتهروا بالرماية . ونظموا جيشًا اخر متوسطًا بين الجنود الخفيفة وجنود الجيش الكثير الصفوف وسلحوهم بسلاح الجنود الخفيفة وكانوا قادرين على الثبات في القتال وحفظ المركز . ولم يكن ذا اهمية عظيمة الا بعد حرب المورة فان الفيكراتس جدد تنظيمهم . واشتهر امر الجنود الخفيفة الاثينية بالحذق وسرعة الامر والتصميم ونجحوا في مقاتلة جنود اسبرطة الكثيرة الصفوف في معارك كثيرة حتى انه يقال انهم استظهروا عليهم ومراكزهم غير موافقة . ونظمت اثينا جيش الفرسان بعد ان كثرت ثروة الجمهورية واشتدت قواها . وكانت اثينا الكثيرة الجبال غير موافقة للفرسان خلافًا للاماكن المجاورة لفيسا ليا وبوسيا وكانت فيها افراس كثيرة وكان ذلك سببًا لتنظيم جيوش فرسان في سائر الممالك اليونانية . فكان عدد فرسان اثينا في بادي الامر ثلاثمائة ثم ستمائة ثم الفًا وكان مولفًا من اغنى

الاهالي وفي حالة التنظيم في زمان الحرب والسلام . وكان جيشًا نافعًا جدًّا حاذقًا متيقظًا نشيطًا وكان مركزهُ في الحرب غالبًا على جناحي الجيش الكثير الصفوف . وفي زمان متاخر عن ذلك الزمان انشات اثينا جيشًا منظمًا من الفرسان المستاجرين . ولم تكن تدفع اجرة لجنودها الى ايام بركليس . وبعدها كان يدفع للجندي او بوليان (الاوبولي ١٢ بارة) اجرة واربوليان ثمن اكل كان يلتزم ان يشتريهُ لنفسهِ وكان احيانًا يدفع للجندي من الجيش الكثير الصفوف درخمتان (الدرخمة نحو ٤٧ غرش او ٩٠ سنتيمًا) وكان معاش الضباط مزدوجًا والفرسان ثلثة اضعاف والقواد اربعة اضعاف وكانت مصاريف الجيش الكثير الصفوف نحو مائتي الف فرنك سنويًا في زمان السلام واكثر من ذلك كثيرًا في زمان الحرب . اما نظام الجنود في الحرب فكان بسيطًا جدًّا وكذلك القتال فالجيش الكثير الصفوف كان القلب فكانت جنودهُ تعلق ذوابلها وتغطي كل جهتها الامامية بصف من المجان وكانوا يحملون على صفوف العدو يقابلونهُ وجهًا لوجه فاذا لم يفز باخلال نظامهِ بالحملة الاولى كان يقام بالقتال بالضرب والطعن الى ان يفز احد الفريقين . وفي اثناء ذلك كانت الجنود الخفيفة والفرسان تحمل على جنود العدو الخفيفة وفرسانهِ او تحمل على جناح جيشهِ الكثير الصفوف وموخرتهِ وتستغنم سنوح كل فرصة للفتك عندما يخل النظام واذا فاز الجيش كانوا يطاردون العدو واذا انكسر كانوا يفرغون جهدهم في الدفاع لتقليل ويلات التقهقر وكانوا متعودين تجسس اراضي الاعداء والحمل عليهم في المسير ولا سيما اذا كان مارًّا في مضيق . وكانوا يفرغون جهدهم في سبيل القاء القبض على رجال المهمات والزاد والمتاخرين من الجيش وكان الجنود الكثيرو الصفوف يحاربون

دائمًا معًا وانقسامهم الى فرق كان بدون نفع ولم يكن يتعلق بضباط الفرق غير محاولة منع وقوع الخلل في نظام فرقهم وارجاعهم الى الانتظام عند وقوع الخلل وكان عدد جيش اثينا في بداية حرب المورة كما ياتي ١٣ الف جندي من الجيش الكثير الصفوف للمحاربة في ميادين القتال و١٦ الفًا للحراسة في الحصون والقلع والمدن وكانوا من اكبر الجنود سنًّا واصغرهم و١٢٠٠ فارس و١٦٠٠ رامٍ . وقد قال بعض المورخين ان اثينا ارسلت الى سراقوست ٣٨ الفًا و٥٦٠ رجلاً ثم ارسلت ٢٦ الفًا نجدة . فانكسار هذه الجيوش كان سببًا لفراغ قوة اثينا

وكانت اسبرطة المملكة اليونانية التي كانت تحافظ على الدوام على قوتها الحربية وقد امتازت بذلك عن سائر الممالك اليونانية . وكان الاسبرطيون يعتنون بتقوية الجسم وبتعوده احتمال المشاق والاتعاب . واهم الامور عندهم الثبات في الصفوف والمحافظة على ناموس الجندي حتى انهم كانوا يفضلون ذلك على الحذق والنباهة . ومن المؤكد ان النصر كان متوقفًا على قتال الجيوش الكثيرة الصفوف والثبات كان لهم ولو طال القتال . وكان كل رجل حر منهم جندي من سن العشرين الى الستين . وكان قضاتهم الذين كانوا ينتخبونهم يعينون العدد الذي ينبغي ان يجمع . وكانوا في الغالب يطلبون المتوسطي السن اي من سن ٣٠ الى ٤٠ . وكانوا كاثينا يجعلون جنود كل قبيلة في فرقة واحدة . وكان جيشهم منقسمًا الى فرق صغيرة وكل فرقتين منها تولفان فرقة اكبر وكل ثمانية منها تولف فرقة كبيرة كانوا يسمونها مورا فهذا هو نظام ايام آكسنفون ولم يكن نافذًا قبل ايامهِ . وكان عدد الفرق الكبيرة المساة بورا من اربعماية الى تسعماية رجل وقد قيل انهُ كان سمائة في ذات مرة . فالجيش الكثير الصفوف كان يولف من هذه الفرق . وكان

سلاحهُ الذوابل والسيوف وكان يحمل مجان معلقة بالاعناق . وبعد ذلك الزمان سلّم كايومينيوس الجنود مجان كبيرة كانت تعلق بخيط بالذراع اليسرى وهكذا كانت يد الجندي غير مشغولة بشيء ومن العيب عندهم ان يرجع الجنود من القتال بعد انكسار بدون مجانهم . وكانت محافظة الجندي على مجنهِ دليلاً على رجوعهِ بترتيب وانتظام وطرحهُ عنهُ دليلاً على انهُ اركن الى الفرار بدون انتظام ودفاع فالتزم ان يطرح عنهُ مجنهُ الثقيل . وكان جيشهم في الغالب يؤلف من ثمانية صفوف بعضها امام البعض الاخر وكانوا يضاعفون ذلك احياناً بجعل صفوف احد الجناحين وراء صفوف الجناح الاخر والظاهر ان الجنود كانوا يسيرون بانتظام وكانوا يتعلمون حركات عسكرية ابتدائية كتغيير توجيه الجيش بدوران الصفوف وغير ذلك . والظاهر انهم لم يتعلموا هذه الحركات الا في زمان متاخر . وفي زمان عز جيش اسبرطة الكثير الصفوف لم يكن يعرف غير حملة واحدة امامية كجيش اثينا . وكان كل صف بعيداً عن الصف الاخر عند المسير ست اقدام وفي القتال ثلث اقدام فقط . ولم يكن بينهما غير قدم واحدة ونصف قدم عند دفع الحملات . وكان احد ملوكهم يقود الجيش ويقف هو واركان حربهِ في وسط الصفوف . ولما قل عدد الاضرار من الاسبرطيين استعاضوا عنهم برجال قبيلة كانوا قد فتحوا بلادها . ولم يكن عندهم اكثر من ستمائة فارس منقسمين فرقاً عدد كل منها ٥٠ فارساً . وكانوا يدافعون عن جناحي الجيش . وكان عندهم فضلاً عن ذلك ثلثمائة فارس من نخبة فتيانهم غير انهم كانوا يحاربون مشاة ويحيطون بالملك فكانوا حراسهُ . وكانت جنودهم الخفيفة مؤلفة من رجال جبال بالقرب من اركاديا وكانوا في الغالب يدافعون عن الجناح اليساري . وكان للجيش الكثير الصفوف رجال ليقوموا بالمهاوش في الحرب . ففي حرب كان عند الجيش الكثير الصفوف خمسة الاف رجل وعدد رجاله الذين يقومون بالمهاوش ٣٥ الفاً وكانوا من الجنود الخفيفة ولكن لا ذكر لحروبهم في التاريخ

وبعد حرب المورة تغيرت فنون الحرب عند اليونانيين القدماء فانها كانت بسيطة جداً فابامينونداس التزم في معركة لوسترا ان يقاتل بجيش قليل من اثينا جيشاً جراراً من الاسبرطيين فيهِ صفوف كانت لا تغلب فلو حمل بحسب العادة مواجهة لانكسر بدون ريب فان صفوف الاعداء كانت اطول كثيراً من صفوفهِ فتقدر ان تحيط بجناحيهِ فعوضاً عن ان يحمل والجيش صفوف طويلة جعل الصفوف قصيرة وكثر عددها وحمل على جناح واحد من جيش اسبرطة الكثير الصفوف وكان الملك فيهِ ففاز بخرقهِ وايقاع الخلل فيهِ ثم ادار جنودهُ وامتد بهم الى الجهتين فاحاط بالجناح المضطرب الذي بات لا يقدر ان يرجع الى الانتظام الا بضياع نظام الجيش . وفي معركة مانتنيا كثر الاسبرطيون صفوف جيشهم غير ان جنود طيوة او ثيبز خرقتها ومن الذين اتوا بتغيير في نظام الجنود اليونانية اجسيلوس في اسبرطة وتيموثيوس وافيكراتس وشابرياس في اثينا وحسن افيكراتس الجيش الذي كانوا يسمونهُ بلتسته وكانوا يحملون مجناً صغيراً مستديراً ودرعاً صغيراً ورمحاً . وشابرياس سبق الجميع الى جعل الصف الاول من الجيش بركع عند دفع حملة العدو وفي اثناء ذلك وجهت غاية مخصوصة الى جميع المشاة من الجيوش الخفيفة واقتبسوا من جيرانهم البرابرة او الذين كانوا في حالة قريبة من البربرية كالرماة الفرسان والمشاة ورماة المقالع وغير ذلك وكانت اكثر الجنود في ذلك الزمان من المستاجرة الكثيرة الاجناس فان

الاغنياء من الاهالي كانوا يفضلون استئجار البدلات العسكرية على القيام بالخدمة فلحق ضرر بالجيش الكثير الصفوف لانهُ كان مولفًا من احرار الاهالي من اهل الجنسية ٠ فامسى مركبًا من رجال ليس لهم حق الجنسية وعند اقتراب الدولة المكدونية كانت بلاد اليونان ومستعمراتها سوقًا لاستئجار الجنود كما كانت سويسرا في القرن الثامن عشر والملوك المصريون انشاوا جيشًا من الجنود اليونانية في زمان متوغل في القدم ٠ وبعد ذلك ثبت ملك الفرس جيشهُ بانشاء جيش يوناني وفي الزمان المذكور دخلت بلاد اليونان المجانق وغيرها ولاسيما اثينا واستخدمها جركليس في حصر ساوس وكانوا يحصرون المكان باشا حواجز او حفر اخاديد حول المكان المحصور وبمحاولة وضع الالات الحربية في مكان مناسب قريب من الاسوار وكانوا يحفرون تحت الاسوار لهدمها وعند الحمل على الاسوار كان الصف الاول يغطي نفسهُ بمجانه ويجعلها كانها سور واحد والصف الثاني كان يضع مجانة فوق راسهِ وراس الصف الاول وكان ذلك كسور صغير ذي سقف يصون اجساد الحاملين من مدفوعات المحصورين

وظهرت مملكة جديدة واقتبست كل الاصلاحات الحربية الصحيحة في اثناء اشتغال اليونان في تنظيم جيوشهم المستاجرة الكثيرة الاجناس ومحاولة جعلها ثابتة مع عدم ثباتها واختراع وسائط كثيرة للوصول الى المرغوب وتكثير الجنود الخفيفة بتضعيف جنود الجيوش الكثيرة الصفوف التي كانت قادرة على ان تستظهر . فانشات تلك المملكة جيشًا من الجنود الثقيلة السلاح وجعلته كثير العدد حتى انهُ لم يتمكن جيش من الاستظهار عليهِ وكان ملكها فيليب المكدوني وكان عدد جيشهِ المذكور ٣٠ الفًا من المشاة وثلثة الاف فارس . وكان قلبهُ ونخبتهُ جيشًا عظيمًا كثير

الصفوف مولفًا من ١٦ او ١٨ الف رجل ونظامهُ كنظام اسبرطة وقادهُ سلاحًا اتقن . وبدلوا المجن اليوناني الصغير المستدير بمجن كبير يعلق في الذراع والذابل المكدوني القصير برمح طولهُ ٢٤ قدمًا وكانت صفوفهُ في ايام فيليب المكدوني تختلف في العدد باختلاف الظروف من ٨ صفوف الى ٢٤ صفًا . وكان طول الرماح يمكن كلاً من الصفوف الستة الاولى من ان تفوت الصف الاول بسنانها . ولا يتم انتظام صف طويل مولف من الف الى الفي رجل من جهة الطول فقط الا بتعب جزيل وتمرينات دائمة ولذلك لم يكن ينقطع جيشهُ عنها . اما الاسكندر فاكمل هذا النظام فان جيشهُ كان مولفًا طوليًا من الف و٢٤ رجلاً ومن ١٦ صفًا في كل منها ١٠٢٤ رجلاً فيكون مجموع جيشهِ ذي الصفوف الكثيرة ١٦ الفًا و٣٨٤ جنديًا . وكان ضابط الصف العرضي وهو مولف من ١٦ رجلاً يقف في الصف الاول ٠ وكان يسمى ضابط هذا الصف لوخاغوس . قصفان مثلهُ كانا يسميان ديلوخي وكانوا يسمون كل ديلوخيين تترارخي . وكل تترارخيين تاكسيارخي والاثنان منهُ اكزناغي وهو عبارة عن صف مربع مولف من ١٦ رجلاً عرضيًا و١٦ طوليًا . وكان ذلك فرقة تسير معًا ٠ وكل ١٦ فرقة كانت تولف جيشًا صغيرًا ذا صفوف كثيرة . وكان لكل قسم من هذه الاقسام الصغيرة ضابط . وكان الجيش الصغير من الجناح الايمن الطليعة واليساري الموخرة . وعندما كانت تمس الحاجة الى تقوية الجيش كان الجناح الايسر يقف وراء الجناح الايمن فيكون عدد رجال كل صف ٥١٢ جنديًا وفيهِ ٣٢ صفًا عرضيًا وبعكس ذلك يضاعف الطول وينقص العرض فيصير مولفًا من ٨ صفوف . اما ابعاد بعض الصفوف عن البعض الاخر فكابعاد صفوف الاسبرطيين

وكانت قديمة جدًّا حتى ان الجندي في الوسط كان لا يقدر ان يدور . ولم يكن بعض اقسام الجيش الكثير الصفوف بعيدًا عن البعض الاخر ولكنها كانت كلها جيشًا واحدًا كانها بنيان مرصوص تحمل حملة واحدة . وكان مولفًا من الطوعيين المكدونيين دون غيرهم وبعد فتح بلاد اليونان كان اليونانيون ينتظمون فيهِ ايضًا . وكانت الجنود كلهم فيهِ يتقلدون سلاحًا ثقيلاً . فكانوا يلبسون الخوذ ويحملون الرماح ويتقلدون السيوف ومع انهُ ربما كانوا لم يحتاجوا مرات كثيرة الى السيف بعد ان عملوا تلك الرماح الطويلة . غير انهُ عند محاربة تلك الجيوش لجيوش رومانية كانت تختلف احوالهم وكان هذا النظام منذ بدايتهِ الى سقوط المملكة المكدونية منتصرًا من جهة واحدة وهي احتياجهُ الى سهولة الحركة . فان تلك الصفوف الكثيرة لم تكن تقدر ان تتحرك بانتظام الا في السهول فان كل الموانع كانت تجعلها تتحول الى صف ولا تحارب على تلك الحال . ولم يكن لها رديف . فكانت عندما تلتقي عدوًّا جيشهُ مولف من فرق اصغر قادرة ان تمر بالعشرات بدون ان تغير انتظامها وتسير صفوفًا بعضها ورا البعض الاخر تلزمهُ بان يدخل ارضًا غير مستوية فيختل انتظامهُ فتفتك بهِ . غير ان الذين ضادوا الاسكندر في اربلا راوا انهُ لا سبيل الى كسر جنودهِ بالنظر الى نظام جنودهم . وكان للاسكندر جيش اخر فضلاً عن ذلك الجيش وهو حرس مولف من ستة الاف رجل وسلاحهُ اثقل من سلاح الجيش الكثير الصفوف فان رماحهُ اطول ومجانهُ اكبر وجيشهُ الخفيف كان لهُ مجان صغيرة مصفحة بالفضة ونظامهُ كان كانهُ نصف جيش ذي صفوف كثيرة وعددهُ ٨ الاف و٢٤ رجلاً وكانوا يقدرون ان يقاتلوا وهم ممتدون صفًّا او غير ذلك وكثيرًا ما فازوا بالنجاح

وكان جيش الفرسان مولفًا من امرا شبان من مكدونية وتسا ليا وضم اليهِ جيش من فرسان اليونان وكانوا منقسمين الى اجواق صغيرة وكان عدد كل جوق مكدوني ٨ فرسان وكان سلاحهم ثقيلاً . فكانوا يلبسون خوذة ودرعًا الى الاقدام ويعتقلون رماحًا ويتقلدون سيوفًا وكذلك افراسهم كانوا يلبسونها دروعًا حديدية . وكان فيليب وابنهُ الاسكندر يعتنون كل الاعتناء بهذا الجيش . وهو الذي حمل بهِ الاسكندر الحملة الاخيرة القاطعة في اربلا وذلك عندما كسر جناحًا من جيش الفرس وتاثرهُ الى ان فات قلبهُ وهجم بهِ على موخرة الجناح الاخر . وكانوا يحملون وهم على هيئات مختلفة بحسب الظروف صفوفًا بسيطة او اسفينية او غير ذلك . ولم يكن للفرسان من الجيش الخفيف خوذ ودروع وكان يتقلد الخناجر ويعتقل الذوابل . وكان عندهُ جيش رماة من الفرسان . وكانوا يخدمون في التجسس والحروب الغير المنتظمة والحراسة . وكانوا من قبائل ثراقة والبرية وكان منها ايضًا بضعة الوف من المشاة الغير المنتظمين . وقد انشا الاسكندر جيشًا جديدًا من الواجب ان نخصصهُ بالذكر لان اهل هذا الزمان قد اقتدوا بهِ وهو الجيش الذي كان يسميريا ماخوي وهو فرسان يقاتلون راكبين ومشاة . فمثلهُ الجيش المسمى بالدراغون الذي ظهر في القرن السادس عشر وما بعدهُ . وكذلك جيوش الفرسان الخفيفة والمشاة الراكبين في هذه الايام وليس في التاريخ ما يدل على فوز هذا الجيش الاسكندري او على فشلهِ . فهذه الاوصاف تظهر حالة الجيش الذي فتح الاسكندر بهِ البلاد الواقعة بين البحر المتوسط وجيحون والستلج اما عددهُ في معركة اربلا فكان جيشان من الجيوش الكثيرة الصفوف فمجموع جنودهما ثلثون الف جندي

وجيشان صغيران مجموع جنودها ١٦ الف جندي و٤ الاف فارس . و٦ الاف جندي من الجيوش الغير المنتظمة .فجموعهم ٥٦ الف رجل وكان معهٔ في معركة غرانيكوس ٢٥ القائمهم ٥ الاف من الفرسان

اما جنود خلفاء الاسكندر فلم ياتوا باصلاحات واستخدام الافيال الى الجيوش لم يستمر غير برهة قصيرة لانهم كانوا يخافون النار ويرتدون على جيوشهم فيضرونها اكثر مما كانوا يضرون الاعداء . والجيوش التابعة لذلك في بلاد اليونان كانت منظمة بنظام مختلط بعضهٔ يوناني وبعضهٔ روماني . وجيوش قرطجنة غير معلومة الاحوال

والجيش الروماني هو انظم جيش مشاة رجد قبل اختراع البارود وجمع بين ثقل سلاح المشاة واجتماع الجنود فشابه بذلك اليونانيين ولكنهٔ اضاف الى نظامهم بسهولة الحركة التي سميناها بمرونة الجيوش فكانت تقاتل في اراض غير مستوية وتجعل صفوفًا وراء صفوف للعضد والنجدة في تلك الظروف والحصول على قوة دفاعية ووسائط لتعلم الجندي وحدهُ حتى فاق الاسبرطيين وهكذا تغلبوا على كل مضاديهم فلم يبالوا بجيش مكدونية الكثير الصفوف ولا بفرسان نوميديا . ومن نظامهم ان يكون كل ذكر عرضة للخدمة العسكرية من سن ١٧ الى ٤٥ او ٥٠ مالم يكن من سفلة الناس او يكون قد قاتل في ٢٠ معركة ماشيًا او في ١٠ معارك راكبًا . وكانوا ينتخبون الشبان في الغالب . وكان تعليم الجندي متقنًا جدًّا وصعبًا ويقوي كل اعضاء جسده ويجعلها متعودة الحركات كلها . فكانوا يركضون ويقفزون ويتعلقون ويصعدون على الاشجار والجدران ويصارعون ويسبحون فكل ذلك وهم عراة في بادي الامر ثم وهم لابسون كل ملابس الحرب وحاملون كل اسلحتهم . وفضلاً عن ذلك كانوا يتمرنون بالتمرينات الحربية الاعتيادية . فكانوا يجعلونهم يسيرون مسافات طويلة وكل جندي حامل من ٣٥ الى ٦٠ ليبرا ويقطعون اربعة اميال في الساعة وكانوا يستخدمون الات دفع الحواجز وانشائها وكان ذلك من التعاليم العسكرية . ولم ينحصر ذلك في الشبان من الجنود للتعلم فان الذين بلغوا الكهولة كانوا يقومون بجميع التمرينات المذكورة لتبقى اجسادهم متعودة التعب وقادرة على القيام بالواجبات الحربية واحتمال المشقات والجوع والعطش . وكان عندهم في ايام عز الجمهورية جيشان قنصليان (القنصل هنا معناهُ رئيس الجمهورية الرومانية العظيمة) وكل منها مركب من جيشين ثانويين او من فرقتين وكانوا يسمون كل فرقة ليجيون مع جنود الخلفاء وكان عدد المشاة منهم قدر عدد الرومان والفرسان ضعف عددهم . وكان جمع الجنود يجري عند اجتماع الاهالي كلهم في الكابتول (هو محل في رومية) او في الكامبوس مارتيوس . وكانوا يجمعون من كل قبيلة عددًا متساويًا ثم كانوا يقسمونهٔ على الفرق الاربع الى ان يتم عددها . وكان كثيرون من الاهالي يخلصون من الخدمة بمجاوزة السن الموافق او بحضورهم في مقاتلات كثيرة ثم يتطوعون . فكان يحلف الذين انتخبوا للعسكرية يمين الطاعة ثم يصرفون الى وقت الاجتماع لان تطوع الذين انتهت مدتهم جعلت العسكرية في غنى عنهم . وكانت كل فرقة مولفة من اربعة الاف وخمسمائة جندي منهم ثلثمائة فارس ومنقسمة الى فرق صغيرة ذات اسماء مخصوصة وهي الفليت وعدد جنودها ١٢٠٠ والبرنسيبس وعددهم كعدد الاول والهستاتي كذلك والترياري ستمائة والفرسان ثلثمائة وكان كل من هذه الاقسام الثانية منقسمًا الى عشرة اقسام وفي كل قسم من جنود

الفليت قدر الاقسام الاخرى فالفليت الجنود المتقلدة السلاح الخفيف وكانت تقف عند جناحي الجيش مع الفرسان . والمستاتي اسم جنود الصف الاول اي الامامي والبرنسيب الصف الثاني اي الذي يقف وراء الامامي وكانوا في بادي الامر يعتقلون الذوابل . والترياري جنود الرديف وهم من الجنود العاملة ولكنهم لا يقاتلون الا عند ما يحتاج الجيش الى نجدتهم وكانوا يحملون حرابًا ثقيلة ذات خطر وكانوا يرمون العدو بها قبل ان يقاتلوهُ بالسيوف . وكان لكل فرقة من الفرق العشر المذكورة المساة مانيبسبولي قائد مائة ونائب قائد مائة وكانت درجاتهم بحسب مراكزهم من قائد المائة للمانيبولوسي الاخير الى قائد مائة الفرقة الصغيرة الاولى الذي كان يتقلد قيادة كل الفرقة او الجيوش (لجيون) عند غياب القائد العام وكان اسمهُ بريميوس بيليوس . وكان قائد المائة الاول يقود كل التريباري وقائد المائة الاول للفرقة الاولى من البرنسيب يقود كل البرنسيب وهكذا . وكان للجيش في بادي الامر ستة وكلاء عسكريين فكان كل منهم يتقلد القيادة مدة شهرين وبعد الحرب الاولى الاهلية اقيم قواد لقيادة كل فرقة (لجيون) من الجنود العاملة واصبح الوكلاء (تريبون) يتعاطون الامور الادارية وقبل زمان ماريوس صارت كل اسلحة الصفوف واحدة وهي الحراب القصيرة الثقيلة وابطلت الامتيازات بينها من جهة السن ومدة الخدمة

اما اسلحة المشاة من جنود الرومانيين فكانت مجنًا طولهُ ٤ اقدام وعرضهُ قدمين ونصف قدم وكانوا يصنعونهُ من خشب ويغطونهُ بجلد ويقوونهُ برباطات حديدية وكان في وسطهِ شيءٌ لدفع الحراب وكانت خوذهم من نحاس تغطي النحر وتربطهُ برباطات جلدية مغطاة بنحاس والدرع كان نحو قدم مربعة . اما الرجل اليمنى فكانت تبيت عرضة لسلاح العدو عند تقدم الجنود للضرب بالسيف ولذلك ستروها بدرع نحاسي . وكانوا يتقلدون سيفًا قصيرًا كانوا يطعنون بهِ اكثر مما كانوا يضربون بهِ ويعتقلون الحربة المذكورة الثقيلة وكانوا يصنعونها من خشب طولهُ ٤ اقدام ونصف قدم وفي طرفهِ سنان طولها قدم ونصف قدم وطولها كلها نحو ست اقدام ومحيطها اكثر من ٣ قرار يط وثقلها ١٠ او ١١ ليبرا . وكانت ترمى عن بعد ١٠ او ١٥ خطوة وكثيرًا ما تخرق المجن والدرع . اما جيش الفليت فكان يعتقل ذوابل خفيفة قصيرة . وفي ايام الامبراطورية الاخيرة تحولت تلك الخدمة الى حلفاء رومية البرابرة وابطل جيش الفليت . وكان الفرسان يلبسون الخوذ ويتدرعون كالمشاة ويعتقلون رماحًا ويتقلدون سيوفًا طويلة غير ان فرسانهم لم يكونوا عارفين حق المعرفة بالحرب ركوبًا فكانوا يفضلون القتال مشاة . وبعد زمان بدلوا بفرسان من نوميديا واسبانيا والمانيا . وكانت تنظيماتهم تمكنهم من التحرك بسهولة

هذا ولا بد من ترك التكلم عن امور اخرى كثيرة متعلقة بهجوم الجيش الروماني وانكساره وحركاتهِ وعن جيوش القرون المتوسطة ودخول البارود وتنظيم الجيوش المتاخرة وكل ذلك مما يلتذ بهِ اهل هذا العصر اكثر مما يلتذون بالاخبار القديمة

المكافاة

من الاخبار اللذيذة جدًا ما قررهُ رفقاء الامبراطور نابوليون الاول عما صادفهُ وما فعلهُ وفي كل عمل من اعمالهِ شاهد على قواعدهِ الصحيحة فكان شفوقًا وعالمًا بان من اسباب توطيد اركان الدول مكافاة الذين يخدمون بامانة وصداقة فعلاً وليس بالادعا فقط والذين يصابون بضرر بخدمة

البلاد وفي معركة دورستايد كان معهُ الدوق دي روفيكو فكتب عنهُ الخبر الآتية ترجمتهُ

انهُ بعد نهاية القتال في دورستايد اخذ نابوليون في ان يدنو من برلين بجيشهِ في طريق بوتسدام ليمنع العدو عن الاستيلاء على طريق اسبري . وكان الجيش قد سبقهُ مسافة طويلة عندما خرج من وتمبرغ راكبًا فرسًا . وبعد الظهر بساعة اشتدت الانواء وتكاثف الغيم وكنا نسير في ظاهر وتمبرغ والبرد يسقط فنزل الامبراطور عن فرسهِ لمجانبة المطر ودخل بيت ناظر غابات المنتخب في تلك الولاية . فظن انهُ لم يعرفهُ احد وما راهُ من اهتمام امرأتين صبيتين بهِ نسبة الى لطفهما واكرامها للضيف . على انهُ قد راى ان الحياء قد صبغ بياض وجهيها ثم التفتت اجملهما واكبرها سنًا الى رفيقتها وقالت لها بصوت منخفض بالالمانية انني متأكدة ان هذا هو الامبراطور نابوليون فلم يسمعها الامبراطور على انني سمعت كلامها وفهمتهُ لانني عارف باللغة الالمانية فاخبرتهُ بما قالت . فقال لها هل انت متزوجة ياسيدتي فاجابت بلغة فرنسوية فصيحة انني لست بمتزوجة ولكنني ارملة فاظهر التعجب وقال كيف مات زوجك . قالت في الحرب في خدمة حضرتك . قال انت تعرفينني . قالت نعم ياٰمولاي ان منظر حضرتك لم يتغير منذ فزت ببرويك وقد عرفت كل اعوانك فهذا هو الجنرال برتران وذاك هو الجنرال سافاري . قال اين رايتني اجابت في مصر . فتعجب الامبراطور وقال هل كنت معنا في مصر فارجوك ان تقصي علي خبرك

قالت ياٰمولاي انني ولدت في سويسرا وسنة ١٧٩٧ تزوجت موسيو دي ونزل طبيب في جيشك فمات بالطاعون في الاسكندرية . فامسيت بدون ولد فتزوجت باميرجيش فقتل في معركة ابي قير تاركًا لي ولدًا ذكرًا ارنيو وهذا هو . وبعد عقد معاهدة تسليم مصر رجعت الى فرنسا مع الجيش فلم افز بالحصول على معاش فتعبت من الطلب والصد فرجعت الى سويسرا فدعتني هذه المدام الى وتمبرغ لاربي ولدها وهذا هو . قال هل كنت متزوجة زواجًا اصوليًا باميرالجيش . قالت يا مولاي ان كتاب الزواج هو في الطبقة العليا من هذه الدار في مخدعي . قال ارجوك ان تاتي بهِ فاتت بهِ ووضعتهُ في يدهِ وهي تقول هذا يبين لحضرتك ان ولدي هو ثمرة زواج صحيح . فقراهُ نابوليون وارجعهُ الى تلك المراة المهذبة وقال بسرور حقًا انني لم اصادف امرًا كهذا قبل الان . فامر كاتبهُ برتران بان يقيد اسم المراة وابنها . فقال لها بعد ان انقطع سقوط البرد بربع ساعة ياسيدتي انني احب ان اذكرك بهذا اليوم السعيد عندي بتعيين معاش لابنك قدرهُ الف ومائتا فرنك في السنة . ثم ركب فرسهُ وسار وفي ذلك المساء امضى الامر بتعيين المعاش المذكور

الراية والنسر

ومن الاخبار الجميلة التي تبين حذق الامبراطور نابوليون واقتدارهُ على الادارة ما ترجمتهُ

انهُ في ذات يوم دنا الامبراطور نابوليون من فرقة عددها اقل من الف جندي بعد ان كانت قد صدت فرقة من فرسان الحرس الامبراطوري الروسي التي حملت عليها وضايقتها . فبعد ان دنا منها ابعد فرسهُ قليلاً واخذ ينظر الى الفرقة باضطراب وغضب ثم قال بصوت مرتفع فيهِ توبيخ . يا ايها الجنود ماذا فعلتم بالنسر (هو مثال نسر كالراية) الذي اعطيتكم اياهُ وحلفتم بانكم تدافعون عنهُ ولو فنيتم عن اخركم فارتفع صوت تذمر ثم تبعهُ صمت تام فعند ذلك خرج قائد الفرقة من الصف ودنا من نابوليون حاملاً سيفهُ وراسهُ منحنٍ الى اسفل وقال مترددًا قليلاً

يامولاي ان حامل الراية قتل عند الحملة الاولى ولم تقدر الفرقة ان ترجع الى انتظامها الا بعد الحملة الثانية وعند ذلك عرفنا بفقد رايتنا او نسرنا . فقال نابوليون بتوبيخ ماذا فعلتم وانتم بدون راية . قال يامولاي انا حملنا واتينا بهاتين الرايتين من وسط الجيوش الروسية المدرعة وذلك لتشفع بنا وتحمل حضرتك على اعطائنا راية اخرى . وعند ذلك خرج ضابطان ثانويان من الصفوف وفي يد كل منهما راية روسية غنماهما في الحملة المذكورة . فنظر اليهما الامبراطور برهة وظهرت لوائح التردد على وجهه ثم قال يا ايها الجنود هل تحلفون بانه لم يعلم احد منكم بفقدان رايتكم . فاجابوا جميعًا بصوت واحد انا نحلف . قال هل تحلفون جميعًا بانكم لو عرفتم بان العدو قد استولى عليها لبذلتم انفسكم كلها في سبيل ردها . قالوا نعم نعم . وهل تحلفون بانكم تحفظون بنشاط الراية التي اعطيكم اياها لانكم تعلمون ان الجندي الذي يخسر رايته قد خسر نفسه . فاجابوا بضجيج شديد . قال وقد مد يده اني اقبل الرايتين منكم وارد رايتكم ثم نظر الى قائدهم وقال له بصوت الطف من الصوت الاول يا ايها القائد بعد مراجعة الجيش تعال اليّ فانني ارغب في ان اكلمك

وبعد نهاية هذا الكلام بزمان ليس بطويل جاءه القائد فقال له بعد رد التحية يا ايها القائد قد سررت بالاجتماع بك ثم انفرد به وقال ان فرقتك كانت ضعيفة امس . فاجاب يامولاي كان الروسيون قريبين جدًا منا حتى انه لم يكن يتيسر لنا ان نطلق بنادقنا باصابة . قال لابد من الاعتذار فقال القائد يامولاي ان عدم هلاكي في القتال لا يعد ذنبًا . قال يا ايها القائد ماذا تقول انك لم تفهم كلامي . ثم دنا منه بلطف ونظر الى خرق في ثوبه بالقرب من العنق وكان لونه كلون الراية المفقودة

فقال له نابوليون ما هذا ثم وضع اصبعه في الخرق وقال هو ذا زر ليس من الزي الرسمي لبسه في هذا الزمان . فقال القائد انني لا اعلم ربما كان ذلك خرقًا . قال نابوليون وما هذه العلامة الرسمية على كتفك فانها عتيقة فلا بد من تغييرها . وكانت قد اصيبت برصاصة بندقية فمزقتها فلم يبق منها غير شيء قليل قال يامولاي ربما كانت قد مزقت برصاصة وكان كلامه خاليًا من الادعاء فانه لم يرغب في ان يجعل ذلك شاهدًا على شجاعته . قال الامبراطور هل فعلت الرصاصة هذا الخرق الظاهر انكم بتم في ضيق . ولذلك لا بد من ان ابلغك امورًا اخرى ثم وضع اصبعه في الخرق وقال ياسيدي القائد بعد ان تعد رجالك وتفحص احوالهم اذهب الى القائد العام وقل له عن امري ان يسد لك هذا الثقب بعلامة ارفع من علامة رتبتك . فاضطرب القائد وارتبك فقال له لا تضطرب فاذهب وقاتل بدون ان تعرض نفسك للقتل ولا تنس ما قلت لي من ان عدم هلاكك في القتال ليس بناشىء عن ذنب . ثم وضع يده على شاربيه ملاعبًا وسار عنه ليوفر عليه اثقال ارتباك الشكر واظهار الممنونية

تاريخ فرنسا

كلها في اثناء ٣٠ سنة من ملكه وتمكن في تلك المدة من ان يكتب او يملي اكثر مما كتبه لوب دي فيجا وفولتيار والسار والتار سكوت اذا جمعنا كتاباتهم مع انهم كانوا من الذين كتبوا كثيرًا ولم يكتب احد قدرهم في اسبانيا وفرنسا وانكلترا . اما الكتابات الخصوصية السرية التي بعث بها الى حكومة الداركتوار في سنتين وهما ١٧٩٦ و ١٧٩٨ فنشرت في باريز سنة ١٨١٩ فملات ٧ مجلدات كبيرة احرفها صغيرة ولا ريب في ان الذين يطالعون تاريخه يحبون ان يقرأوا شيئًا يظهر لهم المخابرات التي كانت تجري بينه

وبين وزرائه فيرون سمو افكاره وصفاء بواطنه وخلوه من كل تصنع وتكلف وما ياتي هو ترجمة تحرير من فونتينبلو في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٠٧

الى موسيو كرتيي وزير الداخلية . قد ورد اليك الامر الامبراطوري الذي فوضت به دائرة الافتداء المالي بان تقرض مدينة باريز ثمانية ملايين فرنك . واظن انك شارع في اتخاذ الوسائل اللازمة التي من شانها نهي تلك الاشغال بسرعة ليزداد دخل المدينة . ومن تلك الاشغال او المشروعات ما لا ياتي بمنافع كثيرة بل يكون للتزيين . ومنها ما ياتي بدخل عظيم كالمجازر وغيرها . غير انها لا تاتي بعظيم نفع ما لم يفرغ الجهد في سبيل القيام بما يجعلها مفيدة . اما الدكاكين التي خصصت مالاً لانشائها فلم تشرع بها . واظن انك قد استخدمت المال المعين للينابيع في انشاء الالة في مارلي . فاقم بذلك جميعه بنشاط واقدام . اما تسليف المال لباريز لزيادة اسباب مداخيلها فهو لتزيينها وتحسينها ومن مقاصدي ان اقوم بذلك في ولايات اخرى . ومن مقاصدي انشاء ترع كثيرة منها ترعة بين ديجون وباريز . وترعة بين الرين وساوون وترعة من الرين الى مشلدت . ومن الممكن ان يقام بانشاء هذه الترع الثلث بنشاط وسرعة ومن مقاصدي ايضاً ان اجد مالاً من مصدر غير اعتيادي لانشاء هذه الترع فضلاً عن المال الذي عين لها من خزينة الحكومة . ولذلك ارغب في بيع ترعة سان كانتين وان ابذل ثمنها في سبيل اتمام ترعة بركندي . حتى انني لا اتاخر عن بيع ترعة لانكيدوك لاصرف ثمنها في انشا ترعة بين الرين وساوون . واظن انه يتيسر بيع ترعة سان كانتين بثمانية ملايين فرنك وكذلك ترعة لوان وترعة لنكيدوك باكثر وهذا يمكننا من الحصول على ثلثين مليون فرنك في الحال فاصرفها في سبيل انشاء الترع الثالث المذكورة بسرعة . فالمال عندي فلا يضيع شيء على الحكومة بل يكون الربح لها فان خسرت مداخيل ترعة لوان وسان كنتين تربح مداخيل ترع شلدت ونابوليون وبركندي . واذا ساعدتني الاحوال اتم هذه الترع لاقوم بحفر ترع اخرى فان مقاصدي هي في صرف جهدي في سبيل القيام بعكس ما تقوم به انكلترا فانه لو ارادت ان تحفر ترعة سان كانتين لاصدرت رخصة بحفرها وتركت العمل لاعمال الرساميل . اما انا فقد اقمت بعكس ما تقوم به فانني ابتدات بانشاء ترعة سان كنتين واظن انني صرفت ثمانية ملايين فرنك في سبيل انشائها ودخلها هو خمسمائة الف فرنك في السنة فلا اخسر شيئاً ببيعها لشركة بما صرفت عليها وبثمنها احفر ترعاً اخرى . فارجوك ان تبعث الي بتقرير عن ذلك والا فنموت بدون ان نتم تلك الترع . ولا يخفى انه منذ ست سنوات صار الشروع في حفر ترعة سان كنتين ولم تتم بعد . فهذه الترع اهم منها وقد عدل مصروف ترعة بركندي بثلثين مليوناً ولا نقدر ان نصرف من مال الخزينة غير مليون ونصف مليون في السنة ولا يرد من الولايات اكثر من نصف مليون فرنك فلا تتم تلك الترعة بمال الحكومة الا في عشرين سنة . وما ادرانا ماذا يجري في المدة المذكورة . فانه ربما كانت تنتشب حروب ويتقلد زمام الاحكام رجال ليسوا بكفو لاعمال كهذه فلا تتم الترع . وكذلك لا بد من صرف مبلغ كبير لانشا الترعة بين الرين وشلدت فمال الحكومة ليس بكاف لانشائها بالسرعة التي نرغب فيها وكذلك ترعة نابوليون . فاخبرني بالمبلغ الذي يمكن صرفه سنوياً لانشا تلك الترع . واظن اننا نقدر ان نصرف في سبيل انشا كل منها خمسة او ستة ملايين بدون ان نضر بانشاءات اخرى ففي خمس او ست سنين ترى السفن

تسير فيها . فاخبرني عن المبالغ التي يمكن جمعها بالاموال الموضوعة لصرفها في ذلك السبيل وما هو المبلغ الذي خصصته لسنة ١٨٠٨ والزيادة التي عينتها سنة ١٨٠٦ للشغل في ذلك بالسرعة . واطلب اليَّ بيع الترع الثلث المذكورة واخبرني بالثمن الموافق وانا ساجد من يشتري فنحصل على نقود كافية . واخبرني ايضاً بتقريرك بالمصاريف التي تلزم لانشاء الترع الثلث التي ارغب في ان تتم بسرعة واجعل مقابلة بين مصاريفها والمصاريف التي بذلت لحفر الترع التي ارغب في بيعها . هذا ولا بد من ان تكون قد فهمت المقصود وهو ان اقوم بما يزيد عما ذكرته في تقريرك وربما كان ذلك يسوق الى تقرير مبلغ مخصوص للنافعة فتنضم اليه مداخيل الترع وربما كان يتيسر لنا ان نضيف الى ذلك ثمن الترع التي نبيعها وثمن ترع اخرى اذا تيسر بيعها وبذلك نغير وجه البلاد . وقد صممت على ان اجعل مجد دولتي في تغيير سطح امبراطوريتي . والقيام بهذه الاعمال العظيمة لازم لصوالح شعبي كما هو لازم لارضائي . ومن الامور المهمة عندي كاهمية تلك المشروعات ابطال الشحاذة . فالمال ليس بقليل غير انني ارى الايام تمضي بسرعة والاعمال جارية ببطء . فلا ينبغي ان نقطع سبل الحيوة في هذا العالم بدون ترك اثار تجعل ذكرنا طيباً عند الاجيال الاتية هذا وانني ساغيب شهراً فاستعد للمجاوبة على جميع هذه السوالات في ٥ كانون الاول (ديسمبر) بعد ان تبحث في تفصيلاتها لاتمكن من قطع اسباب الشحاذة بامر واحد . ولا بد من ان تجد قبل الزمان المذكور في المال المحفوظ ومال الدوائر الوسائط اللازمة للقيام بمعاش ستين الف بيت او مائة الف لمنع الشحاذة ويلزم ان نعين اماكن بنائها وان نقرر نظاماتها ولا تطلب اليَّ منح ثلثة او اربعة اشهر للحصول على اوامر جديدة وعندك شبانًا للقيام بالمحاسبات وولاة عارفون حاذقون ومهندسون علماء فاشغلهم جميعاً ولاتهتم في اشغال الوزارة الاعتيادية . ومن اللازم ايضاً ان يتم كل ما يتعلق بادارة الاعمال العمومية حتى تصبح فرنسا في بداية الفصل الجميل بدون ان يكون فيها شحاذ واحد فيكون الاهالي جميعاً مشغولين في تزيين بلادنا المتسعة وجعلها ذات محاصيل عمومية . ومن اللازم ان تهيي لي كل ما يلزم من الاسباب التي تمكننا من الحصول على نقود من نزح الماء من اجام كوتنتن وروشيفور لتضاف الى الاموال المخصصة للاعمال النافعة ولاكمال النزح والشروع في غيره . فسهرات الشتاء طويلة فاملأ اكياس الاوراق لتشغل السهرات في البحث عن الوصول الى نتائج عظيمة (الامضا) نابوليون

وفي اثناء اجتماع مجلس المشورة الخاص اظهر نابوليون من الغيظ ما لا مزيد عليه فانه كان مكدراً من احد القواد . فطعن فيه طعناً شديداً وقال ان قواعده واراءه تاول الى خراب الدولة . فاخذ احد اعضاء المجلس وهو صديق القائد الغائب في ان يدافع عنه وقال انه كان يعيش مستكناً في املاكه بدون ان يلزم الاخرين باتباع ارائه ولذلك لاتاتي باضرار . فاخذ الامبراطور في ان يرد عليه . غير انه انقطع بغتة عن الكلام ونظر الى ذلك العضو وقال له ياسيدي انه صديقك وقد اصبت بالدفاع عنه وقد برح ذلك من بالي فلنتكلم عن امر اخر

وكان موسيو دارو وزير خارجية فرنسا واشتهر بثباته في الاشغال فقال نابوليون عنه ان يشتغل كالثور حال كونه جسوراً كالاسد . ولم يظهر منه ضعف غير مرة واحدة فان الامبراطور دعاه اليه في نصف الليل ليكتب من املائه وكان قد تغلب عليه التعب حتى انه كاد لا يقدر ان يمسك قلمه وفي النهاية تغلب عليه النعاس ونام والورق تحت يده وبعد ان نام برهة كافية وارتاح استيقظ وتعجب جداً لما

راى نابوليون جالساً بجانبهِ بسكون فجلس لحظة وقد اخذ منهُ الحياء كل ماخذ فوقعت عيناه على عيني الامبراطور وهو مضطرب . فتبسم نابوليون وقال لهُ ياسيدي اما ترى انني اقمت بشغلك لانك لم تقم انت بهِ . واظن انك اكثرت من الاكل وصرفت سهرة بالحظ غير انهُ لا يمكن اهمال الاشغال . فقال لهُ دارو انني صرفت مساء جميلاً وقد صرفت ليالي كثيرة بالاشغال بدون ان انام وما رايتهُ الان هو نتيجة ذلك وقد تكدرت جداً مما جرى . فقال نابوليون لماذا لم تخبرني بذلك انني لا ارغب في ان اقتلك بالشغل فاذهب الى فراشك . استودعك الله

وكان نابوليون يعلم السطوة الناشئة عن اهل المعارف ولذلك كان يلاحظ بدقة اجتماعات جمعيتهم وكان من قوانينها ان كل من انتظم في سلك عضويتها يخطب مادحاً سلفهُ في العضوية . وفي ذات مرة خالف موسيو شاتو بريان المتحزب للبوربون موسيو شانيه احد الذين حاكموا لويس السادس عشر فلم يراعِ اصول اللطف في تلك الظروف فطعن في قواعد سلفهِ السياسية وقال انهُ من قتلة الملوك فحدث عند ذلك اضطراب في الجمعية وجرت مفاوضة مهيجة وامتد النزاع الى باريز وتهيجت الرجال واشعلت نيران العدوان الشديد فامر نابوليون بان ياتوهُ بالخطاب وقال انهُ غير معتدل ومنع نشره . وكان احد اعضاء تلك الجمعية من اكابر مولفي البلاط فتداخل في الامر بالكلام وعضد اراء موسيو شاتو بريان . وبعد ذلك اجتمع حول الامبراطور قوم من اشهر رجال فرنسا واجتمع معهم ذلك الرجل فنظر اليهِ الامبراطور وقال لهُ بتوبيخ ياسيدي منذ اي زمان صارت الجمعية تدعي باتخاذات صفات سياسية حال كون من متعلقاتها النظم والتنكيت على الاغلاط اللغوية فلتحذر من الخروج عن دائرة المعارف والا فاتخذ الوسائل اللازمة لترجيعها الى حدودها . وهل من الممكن ان تكون تدقبلت بالكلام الغير المعتدل الذي جرى فيها فاذا كان موسيو شاتو بريان مجنوناً او مائلاً الى الشر يعالج بالمارستان او بالقصاص . ومع ذلك ربما كانت الاراء التي ابداها الاراء المقبولة عندهُ فعلاً فلا يكلف بالعدول عنها مراعاة لسياستي المجهولة عندهُ اما انت فحالك هي على غير ما هي عليهِ حالهُ فانك قريب مني على الدوام وانت تعلم كل اعمالي وتعرف ارادتي فربما كنا نعذر ذلك الموسيو . اما انت فما من باب لنعذرك بهِ . فيا موسيو عندي انك مذنب وان عملك جناية فانهُ يرجع بنا الى ايام الاضطراب والارتباك وهرق الدماء . فهل نحن لصوص وهل انا مختلس حال كونني لم اتبوا التخت بقلب غيري عنهُ ولكنني وجدت التاج فانهُ كان ساقطاً فامسكتهُ فوضعتهُ الامة على راسي فاعتبروا فعلة الامة . وجعل الحوادث التي جرت موخراً موضوعاً لمفاوضات الجمهور في الظروف الجارية هو عبارة عن احداث اضطرابات وتهيجات جديدة مضادة الراحة العمومية فرجوع الملكية مجهول الاحوال ولا بد من ان يبقى على ما هو عليهِ فلماذا الطعن في الاعضاء والكلام عن قتل الملوك لماذا يا ترى نرجع الى التكلم عن امور ذات خطر كهذه الامور . فالله وحدهُ يحكم على الذين قد باتوا خارج دائرة سطوة البشر . فهل اضعت جميع ثمار اعتنائي هل امست اجتهاداتي كلها ذات نتائج قليلة حتى اذا غبت عنكم ورفعت سطوتي المانعة تظهرون الاستعداد لان ينتقم بعضكم في دماء البعض الاخر (ثم صمت برهة وقال) واحسرتاه يا فرنسا المنكودة الحظ انك محتاجين الى عناية وصي زماناً طويلاً فانني قد افرغت كل جهدي في سبيل اخماد انشقاقاتكم وطالما اعتنيت

بجعل الجميع على اتفاق واتحاد . وقد جعلت الجميع يجتمعون تحت سقف واحد ويجلسون على مجلس واحد وياكلون ويشربون معًا ويحق لي ان انتظر منكم اسعافي في ذلك ومنذ قبضت على ازمة الامور هل فحصت في احوال عيشة احد او اعماله او اداراته او كتاباته فاقتدوا بحالي . ولم يكن لي غير مقصد واحد ولم اسال غير سوال واحد وهو هل تساعدوني فعلاً في ترقية اسباب صوالح فرنسا الحقيقية فكل الذين تعبوا بذلك انحازوا اليّ وجعل العجز ظرفا لهم فلا يخرجون من جهة الى جهة وقد الحجت عليهم بالذهاب الى جهة اخرى اشارت اليها اصبعي وفيها ناموس فرنسا ومجدها وعظمتها . انتهى

وكان هذا التوبيخ للرجل المذكور حال كونه من اهل الناموس واللطف وسريع الشعور بالتوبيخ فصمم على ان يطلب الى الامبراطور بان يواجهه في اليوم الثاني ليستعفي فادخل اليه فقال له ياسيدي العزيز انك اتيت بسبب الحديث الذي جرى في الامس فانك استثقلته وكذلك انا غير انني قصدت به جعله افادة لاكثر من رجل واحد فاذا اتي بالنتيجة المرغوبة المفيدة عموميًا لا ينبغي ان تتكدر منها لا انا ولا انت فلا ينبغي ان يخطر لك ذلك ببال بعد الان

وفي هذه السنة ادخل نابوليون نظامًا جديدًا للتغييرات في المالية بتقييد الامور تقييدًا مزدوجًا ولا يزال ذلك جاريًا في فرنسا الى هذا اليوم فاصبحت المحاسبات الفرنساوية اصح محاسبات دول اوربا واوضحها . وفي احدى اجتماعات مجلس المشورة طلب نابوليون انشا شوارع طويلة مغطاة بالزجاج للمشاة فقط صيانة للمشترين والباعة من الهواء والبرد وهذا هو اصل تلك الشوارع العظيمة البهجة التي يصرف فيها كل غريب ساعات كثيرة . وكان في

باريز ٤٠ مجزرة تفسد الهواء وتجعل على مرأى من الناس ما تقشعر منه الابدان فنقلها كلها وانشا خارج المدينة اربعة مراكز كبيرة لذبح الغنم وذلك بقارب من ابوابها الاربعة الكبيرة

اما القواد والجنود الذين احتملوا من المشقات ما يعجز القلم عن وصفه واقاموا بما تقوم به الزوابع والصواعق لو كانت جنودًا لتقر بر صالح فرنسا فنالوا احسن مكافأة فان معاشاتهم كانت تدفع بانتظام ووزع نحو عشرين مليون فرنك هبات عليهم وعين معاشًا كافيًا لكل جريح ولم يكن يضجر من الاعتناء بمكافاة الذين خاضوا بحار المنايا ليدافعوا عن استقلال فرنسا وناموسها . وكان يبذل المال بكرم لنفع الناس اما هو فكان يفضل العيشة البسيطة ويجتهد في سبيل التوفير وكان يناظر باجتهاد لمنع صرف اموال الخزينة في ما لا ينبغي ان يصرف فيه . وكانت جوسفين قد اتخذت لنفسها املا فماتت في مارتنك فامر بتحرير العبيد الذين كانوا في خدمتها وعين لهم ما يريحهم حياتهم بطولها . وامر بزيادة الكنائس المسيحية في امبراطوريته الى ان يصير ٣٠ الفا لتتمكن كل قرية من منافعها . وعين اموالاً كثيرة لتعليم رجال ليصيروا اهلاً للانتظام في سلك خدمة الدين . وفي اثناء ذلك اصرت الامة الفرنسوية على ان نسبي النظامات والقوانين التي اصبحت مجد فرنسا بسنن نابولون . وقد قال موسيو تيرس في تاريخه ما ياتي بهذا الشان لا ريب في انه اذا حكم الناس بان احدهم استحق ان ينسب شيء اليه من الواجب ان يحكموا بانه يحق ان تنسب تلك السنن الى نابوليون فانها شغلة كما ان النصر في استراليتز وجينا كان له فانه استند الى جنوده في المعارك والى معارف العلماء في التاليف على ان العلة التي اخرجت العمل من القوة الى الفعل فهو نشاطه واصابة حكمه . انتهى

ولا ريب في ان تلك السنن ستبقى الى ماشاء الله ذكرًا يشهد بحذق نابوليون ومعارفهِ وحبهِ لخير الناس٠ وكتب نابوليون الى جميع الملوك التي كانت سطوتهُ نافذة عندهم وطلب اليهم ان يجعلوا تلك السنن جارية في بلدانهم لانها عادلة منصفة فجرت في اماكن كثيرة من اوربا وقطعت تعديات اصحاب الامتيازات٠ وكان يرغب جدًّا في تعظيم فرنسا وكان يعلم قدر المجد الذي ينتج عن المعارف والعلوم ولذلك كان ينشطها بكل الوسائط التي كان يتيسر لهُ ان يستخدمها في سبيلها وهو القائد الاول الذي جعل في جيشهِ جمعية علمية لتوسيع دائرة معارف البشر فبعنايتهِ قرر لاكرانج ماقرر من اسباب المعارف وفات لابلاس الحدود التي بلغها العالم غاليلو وكبلار ونيوتون وجعل اسمهُ مقررًا في الاستقبال كاسماء الاجرام السموية التي عرف حركاتها بدقة وضبط وكويفار بحث عن تاريخ العالم واظهر تاريخ كرتنا العجيب حينما كانت الارض بدون هيئة خالية خاوية والظلام يغطي وجه الغمر

هذا ولا ريب في ان العالم يدهش بكتابات نابوليون كما يدهش باجرااتهِ ولم يرتض البوربون ولا الاورليان بان يعدلوا في الحكم بما يتعلق بهِ مع انهُ في تحريراتهِ واعلاناتهِ وجملهِ من الفصاحة والحذق وكرامة الاخلاق ما لا مزيد عليهِ ولا ريب في انها ستظهر قريبًا وتنتشر في العالم وتكون واسطة لازالة اوهام كثيرة تقررت في عقول الناس بطعن اعدائهِ تنفيذًا لغاياتهم ومصالحهم فلا يقدر احد ان يقراها بدون ان يتحير بما يراهُ من حذقهِ وشدة ادراكهِ وسمو ارائهِ وصحة افكارهِ واصابة مشوراتهِ ووضوح تقريراتهِ وما فيها من الحمية والغيرة والبساطة الناشئة عن صفاء الباطن وخلو الغرض والغايات حتى انهُ يحق لهُ ان يكون بين اصحاب الرتبة الاولى من اهل المعارف والفصاحة والعلوم وقد قال موسيو تيرس في تاريخهِ بعد ان قرا مجلدات من الكتابات التي كتبها ما اعجب افعال النصيب فانهُ جعل ذلك الرجل العظيم اعظم كتاب زمانهِ واعظم قوادهِ واعظم واضعي سننهِ واعظم اهل الادارة فيهِ٠ انتهى٠ ولا يخفى ان كل الذين عرفوا شيئًا من اداب المعارف يلتذون بكتابات تلامذة اليونان والرومان وكان نابوليون يحبها بالطبع فحاول ان ينهض غيرة الطلبة ليدرسوها في المدارس العالية٠ ولا يخفى ان عنصر حزن يظهر في اعمال كل ذي عقل سليم وكان ينتظر اهل المعارف والتدقيق ويشغلهم ليلهيهم عما لا يوافقهم فنظم صنوفًا من الجمعية العلمية لتقرر تقريرًا خاليًا من الغرض عن تقدم العلوم والفنون والمعارف٠ وكانت تقرا على الامبراطور وهو في مجلس الشورى وكان يهب مكافاة عظيمة لاصحاب الاهلية٠ وبعد قراءة التقرير الاول قال لنواب الجمعية ياسادتي اذا كانت اللغة الفرنسوية قد اصبحت لغة عمومية يكون السبب اهل الحذق الذين جلسوا بينكم ولا يزالون يجلسون معكم وعندي ان نجاح اجتهاداتكم ذو قيمة فانها تنور عقول الناس وهي ضرورية لمجد تاجي وقد سمعت التقرير الذي قررتموهُ بحظ وسرور فاتكلوا عليَّ مساعدًا لي٠ ومن المعلوم ان ارتضا نابوليون بامر علمهِ كان اعظم مكافاة للتعقل٠ وكان يحب ان ينشط الصنائع اللطيفة ولذلك سار هو وامراتهُ جوسفين وقوم من ماموري بلاطهِ وزار المصور دافيد وكان من المصورين المشهورين وكان قد اكمل صورة تتويج نابوليون والصورة كانت تشخص وضع الامبراطور التاج على راس الامبراطورة ونكث عليهِ بالقول ان ذلك صورة تتويج جوسفين وليس نابوليون كما هو المقصود٠ فنظر صامتًا برهة

(ستاتي بقيتهُ)

حلم المصور

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

هذا ولم يظهر ما مولها لانها عندما تكلمتا التفتت ماريون فراى فنس وجهها بغتة فاجفل ورجع بدون ان يتفوه بكلمة واحدة وجلس في كرسي قريب منهُ . وجرى ذلك غصبًا عنهُ حال كونهِ كان يعلم انهُ لابد من ان تكثث النساء عليهِ وان سنًا من الاعين كانت تنظر اليهِ بتعجب وتحير وانهُ كان قد استعد لهذه المقابلة عارفًا بانهُ لابد من حلول زمانها اذ غلب الطابع عليهِ فامسى مربوط اللسان ووجه صورتهِ الحلمية ينظر اليهِ . فبادر ترافار الى الكلام والى مساعدتهِ بسرعة لا مزيد عليها وقال لهُ يا فنس قد نسيت بانك مريض هل اتيك بماء فانهُ قد اصفر وجهك . فنظر فنس اليهِ نظرة شاكر وقال اشكرك ثم نظر الى ماريون وقال لزوجة عمها ارجوك ان تعذريني فان الضعف قد تغلب عليَّ ولم اكن اظن انني لا اقدر ان اطيل الوقوف من جراهُ . فقالت ماريون اننا لا نستغرب ما نراهُ من الضعف ولكننا نستغرب ما نراهُ من اثار رجوع القوة اليك بسرعة . ثم قالت بشفقة ارجوك ان تستكن في مكانك فهل ترغب في ان اعطيك ورقة . فاخذ ورقة من يدها وهو يضحك في نفسهِ على ما جرى . اما زوجة عم ماريون فارسلت ترافار لياتي بماء وطلبت الى مس فورست ان تاتي بدواء منعش و بهذه المعالجة شفي ورجع حتى الرجوع الى نفسهِ . و بعد انتهاء هذا الاضطراب رجع ترافار الى القراءة واكمل قصيدة كان قد شرع في قراءتها . وكان فنس جالسًا بكل صحة . اما ماريون فقالت في نفسها انهُ جميل جدًّا ورات حينئذ من جمالهِ ما رات وهو ملقى على الفراش غائبًا عن الصواب يوم سقوط الشجرة عليهِ . وكانت ترى ان منظرها وحركاتها وصوتها كانت تؤثر فيهِ تاثيرًا غير اعتيادي ولو كانت فتاة غيرها في مركزها للاحظت ذلك ولو كانت اقل حذقًا منها . وكانت تعلم ان ذلك التاثير لم يكن نتيجة دهشة من جرى جمالها لانها كانت قد تعودت روية تاثير ذلك في كثيرين فتحيرت وامست تحب ان تعلم الاسباب . ورات عينيهِ الزرقاوين الجميلتين تنظران اليها نظرة غريبة تعجبت منها وزاد تحيرها حتى انها قالت في نفسها انني لا اعلم ما قد اصابني فانني لم ارَ الناس ينظرون اليَّ كمن اصيبت بقطع الانف او بشيء اخر فلا بد من ان اسال نلي (هي مس فورست) عن سبب ذلك . ولما دخلوا البيت سالتها فاجابتها بقص خبر صورة الحلم فان ترافار اخبرها بهِ . فاثر ذلك في ماريون تاثيرًا طبيعيًا فانهُ اوقعها في قلق ورغبت في الوقوف على كل التفصيلات ولاسيما بعد ان عرفت سبب ما سمعتهُ من فنس عندما اغمي عليهِ اذ قال الصورة حين نظر الى وجهها . فقالت انهُ لا يمكن ان تكون صورتي و بيني و بينها مشابهة لا غير فانني لا احب ان اتخيل انها صورتي فعلًا . فقالت نلي قد قال لي ترافار انها تصلح لان تكون صورة فعلية لكِ فكل شيء فيها مثل كل شيء فيكِ والخلاف في اللوائح بالنظر الى الظروف . و ياحبذا لو سمعت ترافار يصف تاثير تلك الصورة في فنس فانها سحرتهُ ولم ياتيا هذا المكان الا ليبتعدا عنها . فقالت ماريون فابتعدا عنها ليصادفا المصورة فهذا مضحك ومخيف فانهُ كالاعمال التي يدعي بها الروحيون والذين يدعون

بانهم يرون الاشياء الغائبة . فهذا وهم لا اصدقه يا عزيزتي نلي . قالت نلي انني لا اعلم غير ما اخبرني به ترافار واحب ان ارى الصورة واحكم بالامر بنفسي . قالت ماريون بتامل انا كذلك . وانقطعنا عن التحدث عن تلك الصورة

وشرع ترافار ونلي في التكلم عن ذلك في السهرة والجميع في قاعة الجلوس ففشيا السر وطلب القوم الى فنس بان يقص عليهم خبر الحلم بالتفصيل وكيفية عوده واجباره على تصويره وتعلقه بالصورة ورجوع الحلم بالنظر الى ماريون وغير ذلك فقصه بعد ان تردد برهة فسروا به جداً واجمعوا على رغبتهم في النظر اليها . فقال عم ماريون لو اتيت بها اليَّ لدفعت ما طلبت لاراها . فقال ترافار يا فنس انني رايت اصل الصورة اي مسودتها بين اوراق صورك الموجودة معك واظن انني رايته منذ يومين . فاحمر وجه فنس ونظر الى ماريون وقال اظن ان الاصل موجود معي وما هو غير تصوير اساسي بقلم الرصاص فانني لم اقدر ان اتغلب على حاسياتي وابتعد عن الصورة وكل ما يتعلق بها فاتت باصلها . فقالت زوجة عم ماريون نرجوك يا فنس ان ترينا اياها . فقال الجميع ونحن نرجوك ايضاً فتردد فان شيئاً غير معلوم حذره من ذلك على انه لم يكن يقدر ان يصدم فان ثلثة او اربعة انفس من الذين كان لا يقدر ان يصد طلبهم كانوا ينظرون اليه نظرة متوسلين ويرجونه بان يريهم اياها . فقال لهم بعد ان تردد برهة ساذهب وابحث عنها فسار ورجع بعد برهة قصيرة فان الخرج كان قريباً منه وفي يده الصورة واعطاها لزوجة عم ماريون وقال لها انني لم اعتن بهذه فانها مسودة واظن انك لا ترين مشابهة فيها . وكان فيها كل شيء ظاهر واضح ولئن كانت الصورة التي تركها اوضح بالون ولم تكن تلك المراة مستعدة لان ترى شيئاً كهذه فلما نظرت الى الصورة صرخت صراخ متعجبة ومتحيرة وقالت انها صورة ماريون بنفسها فيا فنس هل صورتها قبل ان رايتها فاشار الى كتابة في زاوية الصورة فيها تاريخ تصويرها وكان ذلك قبل هذا اليوم بشهرين وقال انني صورتها في اليوم المذكور . قالت انه يصعب تصديق ذلك بل لا يصدق ثم مدت يدها بالصورة وطلبت الى الحاضرين ان يفحصوها وقالت هل رايتم صورة اقرب الى صاحبتها من هذه . فقال زوجها انها تامة ولو لم ارَ الصورة لما صدقت بان هذا ممكن ولا ريب في انني قد رايت الرجل المصوَّر . فقال فنس انني لم اره غير انني اصدق كل شيء بعد ان رايت ما رايت . فقالت نلي اعطني الصورة لاراها فاخذتها وفي لحظة قالت صارخة يا الهي ما هذا فان صورة الرجل هي صورة النستون ريفورد (هو الذي تحبه ماريون ونفيت لاجله) فقال زوج عمها ما هذا ونظرت امراته بسرعة الى فنس وتقدمت ماريون وقد اصفر لونها وقالت اعطني هذه الصورة فاخذتها وشرعت تنظر اليها حال كون الجميع صامتين لا يتحركون . فراى الغريبان اي فنس ورفيقه انه قد حدث شيء مقلق وكان الجميع ينفرسون في وجه ماريون وهم يكادون ينقطعون عن التنفس ولم يروا فيه ما اراح بالهم فان اصفراره اشتد وظهرت فيه عبوسة تشابه عبوسة وجه ابيها و بعد ان نظرت الى الصورة بدقيقة او دقيقتين نظرت الى فنس وقالت اظن ان مستر فنس يجب ان يقرر في عقولنا ان هذا هو قسم من الحلم . فعرف غيظها من كلامها فاحمر وجهه ووقف قائلاً لها بدون ريب هو قسم من الحلم وظهر على وجهه من لوائح الغيظ ما يقابل ما كان قد ظهر على وجهها وهذه هي الصورة الاولى التي صنعتها وصورتها كما رايتها وقد ظهرت لي على هذه الحال مرات كثيرة . قالت الم

ترني أو لم ترَ مستر ريفورد قبل تصويرها. قال انني لم ارك قط ولا سمعت بمستر ريفورد فاذا كانت صورة ذلك الرجل تشابهة فما هي الا صورة الرجل الذي رأيته في الحلم مع تلك الفتاة. وكان يتكلم بانخبار لانهُ رأى لوائح عدم تصديق خبره تظهر على وجهها بازدياد عوضاً عن ان تزول بكلامهِ. ثم نظرت الى الصورة ثم نظرت اليهِ نظرة معانيها ظاهرة جداً وهي غيظ وكدر مع تكذيب الخبر. فقالت زوجة عمها انني متأكدة ان ماريون لا تقصد ان . . .

فقاطعتها ماريون في الحديث وقالت بغيظ اعذر بني يا امرأة عمي غير انني اظن ان مستر فنس يعلم معنى كلامي فهذا يوم عجائب ومعجزات كثيرة (نظرت اليهِ) على انني لم اسمع بشيء يشابه الخبر الذي تطلب الينا ان نصدقهُ فانا من الناس وارجوك ان تعذرني اذا قلت انني لا اصدق بانك قد صورت صورة مستر ريفورد وصورتي بالضبط والاتقان بدون ان ترى احدنا فاذا مكنتني من ان اراها غير انني اظن انك قد اصبت في ان تختارني لتريني اياها لانهُ ابعد مني عن تصديق خبرك. ثم خرجت من القاعة بدون ان تتفوه بكلمة اخرى

اما الذين بقوا فيها فاخذ كل منهم ينظر الى الآخر بتحير ودهشة ولم يعلم عمها ولا امرأتهُ ولا رفيقتها ماذا ينبغي ان يقولوا وترافار اندهش وتعجب وفنس اغتاظ جداً وقال بعد ان سار وامسك الصورة ونظر الى عمها انني مكدر لان ماريون قد الفت علي هذه التهمة وخرجت قبل ان تسمع جوابي فارجوك يا سيدي ان تعدل وتصدق بانني لم ارها قبل ان دخلت هذا المكان وانني لم ارَ الرجل الذي قد ذكرتهُ ولا يخفاك انهُ لا يتيسر لي ذلك فانني ولدت في ولاية جورجيا على انني صرفت سنين كثيرة في المانيا ومنذ رجعت الى امركا لم اقطن غير بالطيمور فلا اعرف ولاية كارولينا ولا اهلها ولا اقدر ان اوضح الحلم فانهُ من الامور التي حيرتني ولا يلزم ان اقول ان حيرتي قد زادت واشتدت دهشتي منذ رأيت ابنة اخيك. ولما كانت لا تحب ان يبقى عندي شيء مشابه لها امزق الصورة (مزقها) وارجوك ان تخبرها بانني سامزق الصورة الموجودة عندي حال وصولي الى بالطيمور

فاجاب قائلاً يا عزيزي فنس. فقاطعتهُ زوجتهُ في الحديث وقالت انني الوم ماريون كل اللوم على ما قالت ولا بد من ان تندم وعذرها في انك وضعت مستر ريفورد في مركز ردي فانها خطيبتهُ بل انها تحب ان تكون خطيبتهُ ولكن ابوها لم يسلم لها بذلك ووجودها هنا هو بهذا السبب ولذلك تتكدر من كل ما يقال عنهُ. فاعترضت نلي على هذا التوضيح بقولها ان هذه الامور عائلية. فاجابتها قائلة لقد اصبت على انني اظن انهُ من المفروض علينا ان نوضح الامر لمستر فنس لتقرير عذر لما قالتهُ ماريون. فاستغنم عمها فرصة انقطاع الحديث وقال بسرعة يا مستر فنس قد تكدرت لان بنت اخي قد حادت عن سبيل اصول المعاشرة واذا كانت هذه الصورة كمستر ريفورد. قالت نلي انها مثلهُ وقد حيرني ذلك. فقال انني لم ارهُ غير مرة واحدة وامرأتي لم ترهُ واذا كانت الصورة مثلهُ لا تعذر ماريون فيما قد قالت فلا يرى فيها غير ما يزيد تعجبنا من الحلم فانهُ يعجز عن تفسيرهِ كل مفسر. فقال فنس انني لست بمفسر احلام وقد حيرني حلمي ولم يخطر لي ببال غير امرين منذ حلمت بهِ وهو انه يكون مصدر سعد او نحس لي وقد حصلت على الامرين بالتعرف بكم مع كرامة اخلاقكم وشهامتكم وبتكدير بنت اخيك على غير قصد ويا حبذا لو مكنتني من ان اوضح الامر لها غير انهُ ربما كانت التوضيحات المستندة الى التأكيدات غير نافعة. فقال

عنها انها لا تنفع عند فتاة مغتاظة عاشقة فاطلب اليك امرًا واحدًا وهو ان لا تجعل هذه الحادثة واسطة لتقصير اقامتك عندنا . فنظر فنس الى ترافار رفيقهِ ورأى تصميمهُ على الذهاب فقال ياسيدي العزيز لابد من ان نقصر مدتها فانها قد طالت ولا بد من ان نذهب غدًا صباحًا بعد ان نشكرك شكرًا جزيلاً على عنايتك وكرامة اخلاقك وشهامتك و بعد ان نودعك . فاخذت امراتهُ ونلي في ان تحاولا اقناعهما باطالة اقامتهما غير انهما لم يغيرا عزمهما فخرجا في اليوم الثاني صباحًا بعد ان ودعا بشكر ولطف وثناء كل اعضاء العائلة خلا ماريون فانها لم تخرج من مخدعها

الفصل الخامس

ومضت ثلثة اسابيع بعد ذلك وكان فصل الصيف قد قارب النهاية وماريون ونلي باتتا في ضجر شديد تنتظران ورود البريد الاسبوعي بفروغ صبر بامل ورود تحرير من وطنها بطلب رجوعها الى البيت . غير انهُ لم يرد شيء منهُ وبعد ذلك ببرهة ورد تحرير باسم ماريون من محبها مستر ريفورد وفتح كيس البريد بيد نلي فرأت التحرير وعرفت الخط واعطتهُ الى ماريون واخذت تنظر اليها بفروغ صبر لترى هل تظهر لوائح في وجهها تدل على ما في التحرير . غير ان ماريون كانت من النساء اللواتي يقدرن على حفظ حاسياتهن فلم يظهر شيء من ذلك على وجهها فوضعت التحرير بتان في جيبها و بعد ذلك ببرهة سارت الى خدرها فتبعتها رفيقتها نلي فوجدتها في اضطراب جالسة والتحرير في يدها وهي غائصة في بحر من التامل . فاخذت في ان تسالها سؤالات مختلفة لتقف على حقيقة الخبر فقالت لها ماذا جرى . هل ارتضى ابوك باقترانكِ بمحبك . فنظرت اليها وقد اصفر لون وجهها عوضًا عن ان يحمر وقالت هل يرضى ابي . ان جري ماء النهر في عكس مجراهُ اقرب من ذلك . وعوضًا ان يرتضي باقتراني بهِ قد صدهُ مرة ثانية باهانة عظيمة . قالت هل كرر مستر ريفورد طلب اقترانكِ بهِ . اجابت نعم فانهُ فرغ صبرهُ من طول الزمان وحبل صبر الرجال قصير فسار الى ابي وكرر الطلب فصدهُ باهانة عظيمة فقالت نلي انني اقدر ان اتصور ذلك . قالت ماريون نعم قد صدهُ ولذلك قد اتاني . قالت نلي اتاكِ انهُ لم يات الى هنا . اجابت نعم قد اتى هذا المكان وانا اكره المواجهات السرية على انهُ قد اتى ولا اقدر ان امتنع عن اجابة طلبهِ . قالت نلي ان عمك لا يسمح لهُ بذلك فانني اعلم انهُ لا يسلم باجتماعكِ بهِ في بيتهِ . قالت ماريون بافتخار انني لست بقاصدة طلب سماحهِ فانني لا اواجههُ في هذا البيت فانهُ يكون قريبًا في بيت فلاح قريب من هذه الدار وقد كتب من موركنتون فاجتمع بهِ في الغابة . فقالت نلي ما هذا ياماريون . قالت ما بالكِ . اجابت هذا اجتماع معيب ولا يليق بك . فقالت وقد احمر وجهها انني مجبورة على القيام بهِ فانهُ قد قطع مئات من الاميال ليراني فهل امتنع عن ذلك وارجعهُ بدون ان اكلمهُ كلمة واحدة واين ياترى اقدر ان اجتمع بهِ اذا لم يتم اجتماعنا في الغابات فجوانب الجبال لنا وله . فقالت اظن ان هذا لا يوافق فاذا كان لابد منهُ اخبريني عن الزمان المعين . اجابت انني لا اعلم الزمان فان السفر في الجبال لا يضبط فربما كان يصل الى ما يجاورنا الان او بعد ايام وقد جاء هذا المكان قبلاً فعين مكانًا للاجتماع . قالت احب ان يكون من الاماكن التي نعرفها . اجابت نعم هو الاولد فري ويسهل علينا ان نمشي الى هناك فياتي بواسطة النهر والمكان بعيد عن الناس فلا نخاف من مصادفة احد . فقالت انهُ مامن خطر من ذلك في هذا المكان

فهل ترغبين في ان ارافقك . فقالت وقد احمر وجهها لا ريب في ذلك . هل تظنين انني اذهب وحدي . وانا اعلم انك لا ترتضين بذلك وانا لا ارتضي به على انني لا اقدر ان امتنع عن اجابة طلبه هذه المرة دون غيرها . فقالت يا حبذا اذا كانت مرة واحدة فقط فهل نذهب اليوم بعد الظهر . قالت الاوفق ان نذهب

وبعد الظهر لبستا ثيابها وسارتا كجاري عادتهما غير انهما امتنعتا عن ان تسمحا للاولاد بان يذهبوا للتنزه معهما فسارتا حول التل ووصلتا في زمان قصير الى المكان المعين وهو عند طريق مودية الى النهر وقد بطل استعمالها فجلستا قاصدتين الراحة وامل الاجتماع بريفورد قليل جدًّا . وبعد المفاوضة اجمعتا على انه لا ياتي في ذلك اليوم . فاخذتا في التكلم عن المناظر الجميلة التي كانت تحيط بهما واذا بصوت تجذيف قد طرق اذنيهما وظهر قارب صغير في النهر وفي برهة قصيرة خرج مستر ريفورد منه ووقف معهما وكان منظرهُ جميلاً ولوائح الاقدام تلوح على وجهه كما تلوح على اوجه الذين يكونون مشغولين بامر متعلق بالغرام غير انه دنا منهما وسلم عليهما كانه يسلم على قوم في قاعة جلوس ولا ريب في انه كان رجلاً جميلاً نشيطاً قادرًا لطيفاً . ومن المستغرب ان ماربون لم تكن ترى منه ما كانت تنتظر ان تراهُ وهذا شان فتيات كثيرات عند ما يجتمعن بمحبيهن بعد فراق طويل . ومع انها لم ترَ شيئاً متغيرًا فيه وكان هو نفس الذي وعدته بالاقتران به ونفيت لاجله كانت تشعر بتغيير في حاسياتها ولو سالت عن السبب لعجزت عن الجواب

وبعد حضوره ببرهة قصيرة تظاهرت نلي وهي مس فورست بانها راغبة في ان تجمع زهورًا والمقصود من ذلك ان تترك المحب والمحبوبة وحدهما برهة قصيرة .

وجرى بينهما حديث مهم حتى انه كان يوقعها في اضطراب حيناً بعد حين . وكانت نلي قد وصلت الى مكان يبعد قليلاً عنهما ووقفت فيه تلعب بزهرة بواسطة مظلتها وتنظر اليهما وترى حركاتهما بدون ان تسمع حديثهما . ولم تكن تميل الى هذه الامور وكانت تتمنى التخلص من المركز الذي باتت فيه هي ورفيقتها وتقول في نفسها ياليت ريفورد لم يات ويلزمنا بالقيام بعمل لا يليق ابدًا بنا وضجرت من الجلوس على مرج بدون ان تكون حاصلة على اسباب التسلية . وكانت ترى ريفورد يتكلم بدون انقطاع وباجتهاد عظيم كانه يطلب الى ماربون بالحاح بان تقوم بعمل كانت تمتنع كل الامتناع عن القيام به . فكانت تتمعن وتقول الى متى يا ترى انتظر هنا وحدي . ثم رات وجه ريفورد فتذكرت صورة فنس وقالت انه يشبهها كل المشابهة وتذكرت ما جرى بين ماربون وفنس . ثم تذكرت الغريبين اي فنس ورفيقه وتاملت في اجتماعها بهما ثم انفصالها عنهما بسرعة واخذت تتامل في صوت ترافار وكيف انه كان يقرا عليها ويسليها . وعند ذلك سمعت صوت سلسلة حديدية فاجفلت ونظرت الى امامها فرات ريفورد وقد دخل القارب واخذ في ان يسير . فقالت في نفسها قد فات زمان ذهابه فنظرت الى ساعتها فرات ان الشمس تكاد تغيب فوقفت ولاحت يدها جوابًا على وداعه فاخذ في ان يسير في القارب فسارت الى جهة ماربون التي كانت تسير ايضاً الى جهتها . وكانت تظهر على وجه ماربون لوائح الكدر والغم مع انه كان من الواجب ان تسر بالاجتماع بمحبها ولم يظهر في كدرها شيء يدل على تحرك العواطف ولا على اسف من جرى فراق ولكنه كان ناشئًا عن غيظ فرات نلي ذلك وقالت لها ما بالك يا ماربون ان لوائح القلق والغم تلوح على وجهك . فقالت لقد اصبت . قالت لسبب تصرفات ابيك .

قالت لامن المستون وهو ريفورد محبها . قالت ماذا افعل قالت قد حملته الحماقة على ان يطلب اليَّ بان اهرب معه وقد الحَّ عليَّ بذلك . قالت اف غير انني لا ارى ذلك كافياً لكدرك وغمك وقلقك فان طلبه من الامور التي ينبغي ان تنتظر بها . فاحمر وجه ماريون وقالت هل تقولين ان ذلك ما ينتظر انني لا افهم المقصود من كلامك وعندي ان طلبه اهانة وكنت انتظر معاملة اخرى منه . فقالت نلي عندي انك قد ابعدت نفسك عن الانصاف فان ريفورد يرغب في ان يجعل حدًّا لهذه الحال الغير المحدودة فلا الومه فارجوك ان تخبريني بما تنتظرين منه بعد ان راى ان اباك قد رفض بان يسلم باقترانك بوانت تقولين انه يهينك بطلب ذهابك معه فما هي الطريقة المتوسطة ياترى . قالت الا يقدر ان يصطبر فاني قادرة على ذلك ومن صبر ظفر . قالت يسهل عليك ان تطلبي اليه ان يصطبر فان الصعوبة عليه وانت امراة فالحمل الخفيف يقع على عاتقك ولا يجب ان يكون خاطباً ومقيداً بدون ان يرى ما يعلق به الامل في الماضي او الحاضر او المستقبل . فقالت ما هذا يا نلي هل تلحين عليَّ بان اهرب معه . قالت لا على انني اتذرع بستر ريفورد في طلبه وقد اخبرتك بما يطلبه كل رجل . قالت كان من الواجب ان يراعي حاسياتي اكثر مما راعاها . قالت ان الرجال يحبون انفسهم وهو يحب صالحه . فسارت ماريون برهة مقطبة وجهها صامتة والظاهر انها كانت تتامل في ماذا ينبغي ان تفعل ومتى صممت على شيء يصعب تغيير عزمها فانها كانت كابيها وفي النهاية نظرت الى وجه نلي قائلة لقد اصبت فلا تلومي الرجال على حبهم لانفسهم فانه لم يحب احدهم نفسه قدر حبي انا لنفسي فانني نسيت ان كل اثقال الصبر تقع على ريفورد وقد قيدته بعهوده مع انه كان من الواجب ان اطلق سبيله فلا بد من ان اصلح الامر حالاً . ففالت نلي باضطراب بالهرب . قالت لا ولكن بقطع عهودنا فلماذا تتعجبين انك قد ابنت لي الصواب . قالت ياماريون اما انت عاشقة . قالت بنان ان عشقي ليس بشديد فلا يذوب قلبي اذا اطلقت سبيله ولو كان سبباً لذوبان قلبي وكان الصواب لوجب فعله . فكيف تقومين بذلك بدون ان تجتمعي به . قالت انني اجتمع به نهار غد بعد الظهر فانه قد اصر على ذلك فرفضت على انني موكدة انه سياتي وكنت مصممة على ان لا اخرج للاقاته اما الان فساذهب . قالت يظن انك خرجت للهرب معه . اجابت انه لا يصيب بظنه

فانتهى الحديث فان الاولاد دنوا منها واخذوا في ان يركضوا الى ان وصلوا الى البيت . وفي اليوم الثاني اصيبت نلي بوجع في راسها وقالت انه نتيجة التعب الذي وقع عليها في اليوم السابق وقالت لماريون انني امسيت وحدي في جانب الجبل مشغولة بالتفكر ولست بمتعودة التفكر طويلاً فاصبت بوجع راس فامست ماريون لا تقدر ان تطلب اليها بان ترافقها وتحتمل ثانية ما احتملته فالتزمت ان تصمم على ان تقابل محبها وحدها في المكان الذي قابلته فيه . وعند العصر اخذت كتاباً وسارت طالبة مكان الملتقى ولم يكن بعيداً فوصلت في برهة قصيرة ووجدت قارب ريفورد مربوطاً بالشاطي ورأته يتمشى عند حافة النهر وقد فرغ صبره فلما راى ثوبها الابيض سار مسرعاً ليلاقيها واخذ في ان يشكرها ويثني عليها واطال الحديث حتى انها التزمت ان تعارضه فيه وقالت لا تشكرني الا بعد ان تعلم سبب حضوري فانك ربما كنت ترتضي بذلك او لا . فقال انني ارتضي بكل ما يمكنني من ان اري وجهك ولو

(ستاتي بقيتها)

ملح

(من قلم المعلم نعوم المغبغب)

حسن التخلص

حضر مرة هاريقانوس بن يوسف الاسرائيلي بالنيابة عن ابيهِ الى الاسكندرية ليهني الملك بطليموس بمولود وكان قد اصحبهُ والدهُ بورقة لعميلهِ في الاسكندرية ليعطيهُ كل ما يحتاج اليهِ من الدراهم ولما وصل طلب الى الصراف وهو العميل المذكور الف وزنة فلم يعطهِ منها الا عشرة فلم يرتضِ بذلك فامر بحبس الصراف فنمى خبرهُ الى الملك بطليموس فغضب على هاريقانوس المذكور وارسل ليحضرهُ ليحتج عن نفسهِ فيما عملهُ مع الصراف لانهُ كان من عملاء الملك واصدقائهِ فلم يحضر ولكنهُ اجاب مع المرسلين بما ياتي ايها الملك انهُ في ناموسنا لا يجوز لابن ان ياكل من الذبائح التي تقدم في الهيكل ما لم يحضر هو نفسهُ الى الهيكل ويقدم لله ذبائح وقرابين وعلى هذا الناموس الذي لا اقدر ان اخالفهُ لم احضر بين يديك ما لم اخذ شيئًا مما يليق بحضرتك لانهُ لا يحق لي بان اشترك بذبائحك ما لم اقم بما هو مفروض عليَّ فقد سجنت الصراف لانهُ لم يطع امر والدي وقد اعاقني عن مقابلتك فسجنتهُ عدلاً فاذا لم يقاص الذين يخالفون الاوامر تبيت في خطر من يخالفهُ خدامك فسر بذلك الملك

فلما عرف العميل المذكور بانهُ لا مناص لهُ الا بدفع المطلوب دفع لهُ الف وزنة فحضر امام الملك والملكة وقدم ما يليق بهما من الهدايا فاكرماهُ ورفعا منزلتهُ لان اباهُ من اخص اصدقائهما فدعاهُ لياكل معهُ في وليمة اعدها لميلاد ابنهِ فجلس على المائدة وعليها من الخمر واللحوم والماكل فاغتاظ جميع الحاضرين من اكرام هريقانوس وحسدوهُ فاخذ كل منهم يضع عظام اللحم الذي ياكلهُ امام هاريقانوس استهزاءً بهِ فقال نديم الملك اذ اوما اليهِ القوم بان يطرب الملك ويضحكهُ واشاروا الى العظام الكثيرة الموضوعة امام هاريقانوس الا ترى ايها المولى هذه العظام امام هاريقانوس فهذه اشارة الى ما يعملهُ ابوهُ في سورية وفلسطين والبقاع فانهُ ياكل خيرها فتمسي جرداً كهذه العظام فضحك الملك جداً والتفت الى هاريقانوس وسالهُ عن سبب ذلك فاجاب بجسارة ايها المولى ان بني ادم ياكلون اللحم ويبقون العظام كما ترى امامي وامامك ولكن الحيوانات المعلومة عندك تاكل اللحم والعظام معاً كما ترى فسر الملك جداً بجوابهِ واكرمهُ ورفع منزلتهُ فكانوا يريدون ان يضحكوا عليهِ فضحك عليهم

شدة الجهل

جتمع شيوخ بلدة ليتفاوضوا في تبليغ اميرهم اخباراً فقالوا انهُ لا يناسب ان نكتب لهُ لانهُ ربما وقعت الكتابة في يد احد وبعد ان تشاوروا اجمع رايهم على ان يستحضروا جرة وكل منهم يتكلم ما يريد ان يعرضهُ للامير ويسد على كلامهِ بالجرة ففعلوا كذلك وارسلوها مع رسول الى الامير وحين ان وصل قال عندي كلام سري ايها الامير فقال ما سرك بعد ان اخرج الجميع من محلهِ فاتى بالجرة وقال هذه الجرة فيها كلام مشايخ القرية الفلانية فافتحها واسمعهُ وجاوبهم اذا امرت فقال لهُ غداً تعال وخذ الجواب فاستدعى الامير احد خدمهِ وامرهُ بان يضع في الجرة قليلاً من العسل ويضعها بقرب محل فيهِ كثير من الزنابير ففعل كذلك واجتمع فيها مئات منها فسد عليها واحضرها الى الامير فسلمها الى الرسول وقال لهُ هذا الجواب فاجمع الذين ارسلوا كلامهم في الجرة في محل ضابط ليس فيهِ نافذة واقفل الباب عليهم خوفاً من هرب الكلام لانهُ كلام امير فاجتمعوا وفعلوا كذلك وفتحوا الجرة فخرجت الزنابير ولسعت اكثرهم

الجنان

الجزء الرابع
في ١٥ شباط (فافريه) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ١٧ اذار (مارس) ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

قد اصبحت لفلاحنا وسائر سكان النواحي والقضاات الباع الطولى في ادارة الامور بالنظام الانتخابي الجديد ولولا الشك في اقتدار الجاهل للامور على ان يقوم باعمال العارفين وفي قطع سبلهِ بالاستبداد النظامي والاستقلال القانوني لقلنا ان اهل هذه السنة يجنون منافع الانتخابات بالحصول على اعضاء لايبيعون ذمتهم ببخس الاثمان ولا ناموسهم بثمن الحق فلا يرجون غير ما يرشون بهِ مع لعنات الناس ولومهم فالاشارة اليهم بالاصابع وكل بداية صعبة وبالاختبار تتقن الاعمال فلا ننتظر في هذه الانتخابات ما يحق لنا ان ننتظره بعد زمان قصير او طويل بعد ان تكون المعارف واسباب اختلاط بعض الاهالي بالبعض الاخر قد بينت للعامة حقوقها وان الكاذب لاينفع ولو وعد بالنفع قبل الانتخاب وان الدين والناموس والنظام والقانون لاتسا بمراعاة اسباب التعصب بدوس الحق وان المال لايكبر العقل ولا يثقفهُ ومع الجهل يجعل الطباع فظة والادعاء طويلاً عريضاً والكلام كثيراً والافتخار واسطة لاستهزاء المتعقلين وان حقوق الناس مقدسة فلا ينجو من يتعدى عليها من قصاص القانون وعقاب الاخرة وان الكذب والرشوة والتعصب وحدة الطباع والدناءة والارتباكات السابقة صفات معيبة لا يستأمن الانسان اذا كانت صفات من يفوض اليهِ القضا وان الحقوق واحدة بموجب الشرع الشريف والقانون المنيف فلا ينجو دينياً من العقاب من يستحل مال الاخرين او يتعدى على حقوقهم لانهم من غير دينهِ فهذه نصوص كتب اهم امم الشرق عدداً اي الاسلام والنصارى ومن انفع اسباب تقدم العامة تمكنها من معرفة حالة الدنيا الجارية وروح السياسة والاشغال ونسبة بعض اممها الى البعض الاخر ونسبة الحاكم الى المحكوم وشيخ القرية او مختارها الى اهاليها وانفتاح سبل التشكي الصحيح وسوء عواقب الذين يتكاتفون على مضادة تعدياتهم فهذه حقائق قد فرض على ذمة الروساء الروحيين كافة وكل من خطب او كتب بان يبلغها الى الناس فاذا لم تأت انتخاباتهم في سنة بحسب المطلوب تأتي في سنة اخرى هذا ومن واجبات المنتخبين ان يراعوا اصحاب الصيت الحسن ويبتعدوا عن الذين قد اشتهرت اعمالهم بالمغايرات. ولو كانوا حاصلين على اختبار العضوية بالانخراط في سلكها في الزمان الماضي والذين يقبلون مداخلات الحكام يجارونهم وينقادون اليهم يخالفون الفرمان العالي وظهور اقل مداخلة في قضاء او متصرفية او ولاية توقع المتداخل تحت اشد اللوم واجتماع رجال غير عالمين بالنظامات والقوانين واللغة التركية ما دامت اكثر النظامات مجهولة يكون سبباً للتعب في بادي الامر غير انهُ يزول في زمان قصير فهذا امل الاصلاح الوحيد في الامور الحقوقية

وجري الانتخابات احيانًا في مكان كبيروت جريًا تظهر فيهِ مراعاة الخواطر او مضادات حزبية او غير ذلك اكثر من اهلية الاشخاص يجعل القلوب تخفق خوفًا من ان يكون لها عظيم نفوذ في كل مكان من الشرق ولم ينحصر ذلك في بيروت في انتخابات سابقة تجارية ولكنهُ اتصل الى الامور الطائفية فهذا يجعل صالح الذين يراعى خاطرهم علة الانتخاب وليس اهلية الذين يساعدونهم على الفوز بهِ ولا نبرم حكمًا من جهة الانتخابات الا بعد ظهورها بتعيين الاعضاء وقد ظهر من كيفية القيام بها في الشام ان لمراكز الولايات وبالتالي الالوية والقضاآت دخلاً عظيمًا بالاشتراك مع نواب القضاآت ولم نشغل بهذا الكلام عن امور اوربا بسبب قلة اهمية حوادثها السياسية او التجارية او المالية في زمان باتت فيهِ اكثر الاهمية بل كلها ولكن ايفاء لبعض المفروض على الجرائد لتنبيه افكار الاهالي الى بعض حقوقهم وواجباتهم والفرنسويون قد اقاموا بانتخاباتهم وجاؤوا بما يخالف صالح الحكومة وسياستها فاجبر وزيرهم الاول بالظروف بان يستعفي والتزم المرشال ماكماهون بان يقبل استعفاءهُ وقد اصبحت فرنسا بالفعل جمهورية وشرعت في ان تجعل الحكومة تعين المتحزبين للجمهورية للوظائف ولا بد من ان يخسر الملكيون واحزابهم خسارة عظيمة بهذا الانقلاب وهذا هو الذي يجعلهم يقولون ان الجمهوريين الغير المعتدلين سيسوقون فرنسا الى الويل والهوان بالثورات وبالقيام بالقواعد الاشتراكية وبمضادة سيادة الامور الدينية في المدارس والسياسة بل في كل مكان والظاهر ان ذلك جميعهُ يتم بعد زمان ليس طويل على انهُ ما من شيء يدل على ان الجمهورية ستسوق الفرنسويين الى القتل والنهب والحرق والتعدي على حقوق مقررة وعادات ونظامات وقوانين انسب في الحالة الجارية من كل نظام وقانون طالما سمعنا الغير المعتدلي الاراء يلهجون قائلين ان سعادة الجنس البشري انما تكون بها وما دام في رياسة الاحزاب الجمهورية قوم كموسيو تيرس وموسيو كربني حتى موسيو غامبتا بعد الحرب الاخيرة لا يخشى من خروج الفرنسويين عن دائرة الصواب فلا ينتظر ظهور ثورة في فرنسا ما دامت الاحوال على ما هي عليهِ وما يقع من التضييق على الحزب الملكي لا يكون الا لمقابلة ما وقع على الحزب الجمهوري عند ما كانت السيادة في يدهِ وقد اصاب المرشال ماكماهون في جعل كل المسئولية على وزرائهِ فسقطت بدون ان يسقط وسقوط موسيو تيرس سبق انقلاب وزرائهِ واخماد الثورة الكارلوسية في اسبانيا مما يوافق مشرب جمهورية فرنسا لان الدون الفونسو معتدل الاراء حال كون الدون كارلوس كالكونت دي شامبور فالحزب الملكي الغير المعتدل قد اصيب بآفتين في شهر واحد وهما فوز الجمهورية في فرنسا والحكومة الالفونسية في اسبانيا وما فازت بحلهِ من مشاكلها ليس هو الا واحد من مشاكل كثيرة فتدبير المالية واخماد الثورة في كوبا من الصعوبات العظيمة التي لا تستبد بدونها الحال للحكومة الالفونسية . والانكليز لا يزالون في نجاحهم بعد ان اعترض على حكومتهم باعتراضات مهمة بسبب ابتياع ترعة السويس فتقرر الفوز لها ولا نزال نتوق الى الوقوف على تفصيلات توضح الاسباب الجوهرية التي حملت الانكليز على ابتياع تلك الاسهم لان سد الترعة لا يكون الا بالقوة وفتحها لا يكون الا بالغلبة على تلك القوة وقد راينا ما بين ذلك منذ برهة قصيرة عندما اراد موسيو دولسبس ان يبطل الاشغال في الترعة فينقطع مرور المراكب فطلب الى مصر بان تحافظ عليها بالقوة لاستمرار مرور

المراكب فيها فاقامت بذلك بالبوارج والجنود .
وهذا برهان على انهُ ليست ادارة الترعة حرة لانها طريق عام متحايد باجماع الدول فلا تطمع انكلترا في ان يكون لها عشرة اراء في ادارتها لا تجعل لها نفوذاً اول في تدبيراتها فهذه اراء لم نرها في الجرائد ولا راينا ما يظهر بطلانها ولعل الجرائد القادمة تبحث في هذه الامور فضلاً عما بحثت عنهُ مما يتعلق باستقراض المال من محل مستر روتشيلد وغير ذلك من الامور الثانوية وما من شيء يحمل الباحثين عن الامور على التامل في اعمال الوزارات واقوالها للتمييز بين الغث والسمين منها بحسب راي المتامل كظهور خطا عظيم في سياسة اللورد بارلمستون الذي كان اعظم رجال سياسة انكلترا ووزيرها الاول فانهُ ضاد فتح ترعة السويس خوفاً من ان يلحق بانكلترا ضرر من جرى ذلك مع ان فتحها جاء باعظم المنافع ولا تزال نسبة بعض الدول الى البعض الاخر واحدة فان كلاً منها متسلح خوفاً من جارة في اوربا او في غيرها ولا تستكن الافكار ولا تزول اسباب القلق الا بتقليل الجيوش وما قراناهُ موخراً عن عدول السرب عن جميع الجنود يبين ان الدول مجتهدة في اخماد ثورة الهرسك وبعد شهر تنجلي الاحوال ر ياحبذا اذا وردت الينا اخبار جديدة من جهة تقليل الجنود النمساوية وتجابرتها للدول لصرف العساكر فان ذلك يريح الافكار والمرجح استمرار الثورة الى ان تفوز الجنود الشاهانية باخمادها و بقطع الامدادات الخارجية عنها تضعف قواها

روسيا

في ٣ الجاري اقيم في روسيا تذكار جلوس حضرة الامبراطور اسكندر الروسي على عرش روسيا وهو اليوم الاول من السنة الحادية والعشرين من ملكهِ وقد ذكر في رسالة برقية واردة الى جريدة التيمس من بطرسبرج عاصمة روسيا انهُ عند ما تبوأ العرش حضرة الامبراطور المشار اليهِ وجد خزينة الحكومة مديونة بمملياري ريال مسكوبي وكان دخلها السنوي ٢٠٠ مليون ريال فقط . وكان في البلاد ٩٠٧٤ كيلومتراً من الطرق الحديدية و١٤٤ مركباً تجارياً من سفن الانهر . وكانت عامة الاهالي في عبودية ولم يكن لهم حق التملك والتعليم العام كان غير موجود والحقوق في يد الحكومة الادارية . اما الآن فقد اصلحت اسباب تحصيل الحقوق اصلاحاً مبنياً على قواعد الحرية وجعل القضا في يد اعضاء منتخبين لكل دعوى (جوري) وعين للمرافعات وكلا عالمين وقد اصبح في روسيا ٢٢ الف مدرسة ابتدائية وقد خلص الاهالي من عبوديتهم وتقرر لهم حق التملك والانتخاب . وقد مدت طرق حديدية طولها ١٨٤٢٤ كيلومتراً وقد شرع في مد طرق اخرى طولها ٧٩٠٣ كيلومتراً . ودخل الخزينة السنوي ٥٢٠ مليون ريال مسكوبي . وقد صرفت الحكومة في ابتياع الاراضي التي اعطيت للفلاحين الذي تحرروا خمسمائة مليون ريال وفي انشا الطرق الحديدية ٥٥٠ مليون ريال . فمجموع المصاريف الجديدة ملياران فاذا اضفنا اليها مجموع الدين الذي كان على الخزينة عند وفاة والد الامبراطور نقولا يكون المجموع اربعة مليارات ريال مع ان دينها هو ثلثة مليارات فقط ؛ فهذه هي بركات ملك الامبراطور اسكندر الثاني الذي ينفذ وصية ابيهِ الاخيرة مهتماً يومياً بتوطيد السلام وجاعلاً سعادة الامة الروسية غاية حياتهِ العظمى

وقد ذكر في تلك الجريدة ان اخضاع خوكند لروسيا يجعل المسافة بين املاك روسيا في اواسط اسيا واملاك انكلترا فيها ٣٢٥ ميلاً

امركا

ان اخبار امركا خالية من الاهمية بالنظر الى الشرق ولكننا قد قرانا في التيمس خبرًا نستغربه نحن وهو في هذا اليوم استعفى بغتة الجنرال بلكناب وزير حرب دولة الولايات المتحدة الامركانية . فان عمدة مصاريف نظارة الحربية الامركانية كانت تبحث عن امر فدعت مستر مارش من نيو يورك ليشهد بامور فجاء وقال انه دفع لمسز بلكناب زوجة ناظر الحربية عشرة الاف ريال امركاني (كالريال الاسبانيولي المعروف بالعمود) لانه عين للمورية في بورت سل وغيرها وانه قبل بان يدفع لها ستة الاف ريال كل سنة واقام بذلك . فأُخبر زوجها بهذا الامر غير انه قبل ان جاء الى العمدة حضرت زوجته المذكورة اليها واقرت بصحة ذلك وقالت ان الذنب ذنبها فان زوجها الوزير لم يكن عارفًا بهذا الامر . ثم قال زوجها ان التقرير صحيح وانه يجب ان يحمل كل المسئولية ليرفعها عن زوجته . ثم استعفى من الوزارة وقد صمم مجلس امركا العالي على محاكمته

اسبانيا

قالت جريدة التيمس اذا كان للملك اسبانيا الشاب مشيرون حكماء يقولون له انه بانتهاء حرب الكارلوسيين تبتدي صعوبات كثيرة من الصعوبات التي تقع في ايامه . فانه قد قُطع النظر عن امور كثيرة في الزمان الماضي بسبب تلك الحرب المضرة . وكان الوزراء يعتذرون بالقتال الكارلوسي عن تأخير جمع المجلس العالي واخماد ثورة كوبا وارتباكات المالية . وهكذا قد سترت تقصيرات كثيرة ادارية بالاعتذار به . اما الان فقد اصبح الدون كارلوس خارج اسبانيا وقد اجتمع المجلس العالي الاسبانيولي فسيكون حضرة الملك الفونسو ووزراؤه غرضًا لتكليفات جديدة . وسيشعرون بشدة مضادات حزب اسبانيولي مضاد لهم في المجلس العالي . ولا بد من ان يفرغوا الجهد في سبيل دفع دين الحكومة الداخلي والخارجي . ومن اخماد الثورة في كوبا وعتق العبيد فيها . ومن القيام بادارة في ولاية الباسك تمنع اهاجة الثورة فيها حينًا بعد حين بدون ان يخسر اهاليها كل حريتهم المحلية . ومن افراغ الجهد لابقاء الكنيسة في المركز المناسب لها بدون تكدير حاسيات الاهالي الدينية . واهم الاعمال واصعبها ضبط احوال الجيش الاسبانيولي . فالملك الاسبانيولي الذي يفوز بمنع الجنود عن ان يصيروا حلفا مضاديه بدون ان يجعلهم الة ظلم يقطع قسمًا عظيمًا من السبيل الذي يصل بالبلاد الى السلام الدائم . ولا نعجب اذا سمعنا ان عظم هذه الصعوبات قد اوقع الملك الفونسو في ضعف الامل او انه يميل الى التاسف من جرى انقطاع الحرب الاهلية التي كانت تجعله ملكًا مطلقًا سائدًا على كل اسبانيا خلا المحلات الثائرة

ولا يخفى ان فيها امورًا كثيرة موافقة له منها عدم وجود مناظرات دينية ومعاشية كما في فرنسا وهي التي تطرحها حينًا بعد حين في الثورات . غير ان فيها كارلوسيين كما فيها الفونسيين . ولكن رئيس الحزب الكارلوسي قد خرج من البلاد الاسبانيولية والمامول رجوع اصحابه الى تعليق املهم بمن يؤملون بفوزه عوضًا عن تعليقه برجوع حكومة كارلوسية لا سبيل الى رجوعها وسيقومون بذلك لانه ما من متحزبين للدون كارلوس خارج ولايات البيرنه . فبالنظر الى كل الامة التحزب الكارلوسي مرض محلي . وقد سلم الاسبانيوليون من قلاقل كثيرة بنفس الاسباب التي اخرتهم عن مرافقة اوربا في تقدمها . لان الفلاح الجاهل المتعصب دينيًا لا

بعض اوربا ولا يعتني بها . ومن المحقق ان الفعلة في المدن الكبيرة يشاركون الفعلة البار يزين في اراء كثيرة من الاراء التي طالما حملتهم على اثارة الفتن . والقسوس يفرغون جهدهم في منع اسباب انتشار تلك الاراء و يقيمون الحجة عليها ومع ذلك تباع الكتب الفولتارية الكفرية وغيرها جهارًا وقد امست كنائس كثيرة فارغة . وكثيرون من اهل المعارف الاسبانيول يظهرون ميلاً الى تعاليم الثورات يحاكي ميل الرجال عند نجاتهم من القيود العقلية وما هم غير اقلية ضعيفة ومن اكبر صعوبات الملك الفونسو اجتهاد خدمة الدين في الرجوع الى بعض سطوتهم القديمة . ولا يقدر ان يسلم لهم بان يكونوا اصحاب السيادة على الادبيات والمعارف فان الفاتكان قد قال ان ذلك من حقوقهم . واصحاب الاراء الحرة في المدن الكبيرة يضادون ذلك كل المضادة و بعض الكاثوليك الاتقياء يضادون رجوع مجالس الفحص الديني . على ان اصحاب الاراء الحرة من رجال السياسة لا يقدرون ان يقطعوا النظر عن حالة البلاد الصحيحة وهي شدة الميل الى الكثلكة . ولا سبيل الى دخول غير المذهب الكاثوليكي الى البلاد الاسبانيولية . وقد مرت ازمان قطع النظر فيها عن ذلك وهي زمان فوز الراديكال الذين يرغبون في قلب الامور الجارية فان سوء الادارة والظلم ضايقا اهل السياسة فسلموا ازمة الامور الى رجال كمندبزابال فنشا عن ذلك تغييرات سريعة كثيرة . ومنها حجز اوقاف الكنيسة . غير انه اقام بذلك بمساعدة حزب وليس بمساعدة الامة كلها والذين اقاموا به لم يكونوا يدركون الحاسيات الدينية فقلبت اعمالهم برد الفعل . ولا يشدد اللوم على وزراء الملك الفونسو اذا لم يبادروا في الحال الى اجراء ما يستحسن بالاحتمال الديني . فانهم يعرف غير قليل عن اراء الثورات التي تقلق سيصادفون صعوبات كثيرة اذا حاولوا صد خدمة دين اقويا فائزين بدون ان يكدروا حاسيات الامة الدينية

هذا ونكرر ما قلناه من ان اصعب مشاكل الملك الفونسو ضبط الجنود فانه منذ خسرت الملكية البوربونية في اسبانيا سطوتها النافذة بدون ان تكون مطلقة وامسى الجيش الالة الاخيرة في يد حزب مضاد للملكيـة . فبسبب ذلك الاستبداد المكدر الى القوة مكتوب على وجه التاريخ الاسبانيولي . فاكثر الاسبانيوليين لا يزالون في جهل ولم يتمتعوا بادارة انفسهم . فان الانتخابات الاخيرة كانت تقام بواسطة الوزراء او القواد المتنصرين . ولذلك ليس لقرار المجلس العالي الاسبانيولي نفوذ قرار مجلس حر وللان لم يفز بجمل الاهالي اصحاب راي عام نافذ لان البلاد محتاجة الى مدارس وكتب وجرائد . ولذلك لم يتيسر للوزراء ولا المضادين للحكومة بان يستندوا الى الامة بعد الغلبة في المجلس العالي . ولا بد من ان يكونوا قد راوا انه لا يتيسر تعليم البلاد بحيث تصبح قادرة على ادراك ما ينفعها في اقل من قرن حال كونهم لا يقدرون ان ينتظروا . وكانوا حاصلين في كل حال على قواد قادرين من اصحاب المطامع جامعين بين الفنون الحربية والسياسية ولكنهم لا يقدرون ان يصبروا لنوال الغايات بالاجراآت الحلية البطيئة فكانوا يدركونها بالقوة بسرعة . ولا ننتظر ان نرى اسبانيا مستامنة من اجراآت العسكرية زمانا طويلاً فمن واجبات الملك الفونسو ووزرائه ان يشركوا الامة نفسها بشوراتهم و بالقيام بحقوقها من تلقاء انفسهم فيجعلونها متحزبة لهم وراغبة في تقرير الامور الجارية . وقد طالما برح من بال البلاط الاسبانيولي ووزرائه ان للامة اهمية في ادارة اشغالها فاذا تبين

بلامة الاسبانيولية ان الملك والوزراء هم خدام البلاد لا تمكن قائداً غير مرتضى من ان يخرجهم من مركزهم بدون ارادتها

الدون كارلوس

قد ذكرنا في الجنة منذ بضعة ايام خبر خروج الدون كارلوس المدعي بحق الملكية في اسبانيا من البلاد الاسبانيولية وانقطاعه عن القتال الذي اقامه منذ سنين باملِ الوصول الى الملكية وقد وقفنا على رسالات برقية فيها بعض تفصيلات متعلقة به فترجمناها وهي اولاً رسالة من باريز مورخة في اوائل الجاري وترجمتها

قد نشر اعلان رسمي كارلوسي مآله ان الدون كارلوس قد غُلب ولكنه لم يسقط شيئاً من حقوقه وانه لم يغلب حتى بات لا يقدر ان يقاتل ولا التزم بان يخرج من اسبانيا ولكنه دخل فرنسا من تلقاء نفسه فحقوق الملك كارلوس لا تزال كما كانت وخرج من اسبانيا بدون اجبار ولم يسلم سلاحه لا الى الالفونسيين ولا الى فرنسا ولكنه تركه بعد ان حارب حرب الابطال حافظاً لنفسه الاستقبال فانه له

ثانياً رسالة اخرى من باريز ومآلها ان الدون كارلوس خرج في نهاية شباط (ففرية) قاصداً انكلترا وانه بعد ان يقيم فيها بضعة اسابيع يسير الى المجر ليسكن في الاراضي التي تركها له الدوق اوف مورينا

ولا يخفى ان جريدة الاونيفر متحزبة جداً للكارلوسيين وهي من حزب خدمة الدين ومحررها موسيو لويس فوليو المشهور جداً فقد قال عن ذلك ما ترجمته قد اندثر الكارلوسيون ولكن الكاثوليك لا يزالون احياء فذلك الدم المسيحي يجرى تحت الارض فلا يفنى . فان الله سيظهره في زمان موافق . فمن ذلك الدم الكارلوسي الذي ربما كان يمحا اسمه يخلق رجال لرفع راية الله . فاباونا المسيحيون الذين قد اخذوا اسماء حربية كثيرة وخسروا كثيراً منها الا يعيشون بنا نحن المسيحيين . فاذا الغي الاسم المسيحي فما الفائدة من عيشة اولادنا . وعند انقطاع المسيحيين وفقدان الامم المسيحية من العالم يقصر زمان وجود الدنيا . فلا بد من ان نقوم بالثار . ولا تشفق على الكارلوسيين لانهم قتلوا في سبيل الحق والعدل . وقد نالوا الخلود . اما نحن الفرنساويين الذين نغرق ونحن نجتهد ذلك الاجتهاد فنصيبنا ليس بسعيد كنصيبهم . وكان الكارلوسيون حواجز حدودنا والاراضي التي كانوا فيها سبيل عدو فيها فالويل للذين يبيعون الشعوب

فرنسا

قالت جريدة التيمس ان حكماً قاطعاً صادراً من امة برمتها كحكم الامة الفرنساوية الصادر بانتخاب اعضاء لمجلس نواب فرنسا لا يكون له غير نتيجة واحدة والوزير الذي حاول ان يخضع الامة لرائه ولصالح حزبه قد بات مفصولاً . وظهر منذ البداية انه لا بد من سقوط موسيو بوفي وزير فرنسا الاول . وقد تقرر انه استعفى وعين خلفه . ولم تغلب حكومة غلباً اظهر واتم من انغلاب حكومة فرنسا هذه المرة فان البلاد رفضت موسيو بوفي شخصياً وحزبياً . ولم ينتخب عضواً لمجلس الشيوخ باراء مجلس النواب وجعل نفسه بعد ذلك موضوعاً للانتخاب لعضوية مجلس الشيوخ في مكانين ولم يفز بوقوع الانتخاب عليه فيها . ولا يزال بدون عضوية والمرجح انه لن يفوز بها . ولا ريب في ان العادلين يتاسفون من جرى ذلك ولكنه هو الواقع وفيه اهمية لانه يظهر حال الاراء في البلاد . فما اغرب ذلك فان رجلاً سياسياً في رياسة حكومة قوية متمتعاً باركان رئيس الحكومة الجمهورية كما هو

معلوم عند الناس وقائماً بالاشغال باسمهِ وقادراً على ان يحملهُ على عضد الوزارة عضداً ليس لهُ مثيل وفي يدهِ ايضاً آلة ادارة الحكومة التي يستخدمها بجسارة واقدام لم يقدر ان يجد لنفسهِ عضوية لا في مجلس الشيوخ ولا في مجلس نواب الامة الفرنسوية . وفي اسابيع قليلة يتم انتخاب اكثر من ثمانمائة رجل ولا يظهر اسم موسيو بوفي وزير فرنسا الاول بين اسمائهم . فهذه اعظم من غلبة وهو حكم على رجل سياسي بتصرف مغاير لارادة الامة ويعسر على الرجل السياسي ان يتخلص منهُ . وهو برهان على ان قواعد الوزير اغاظت الامة كل الغيظ . واذا عُدِل بالنظر الى استحقاقاتهِ ومركزهِ يقال انهُ من الواجب ان يكون قادراً على ايجاد منتخبين في جميع انحاء فرنسا بل على ايجاد من يسر بالحصول عليهِ . ولكن الواقع يخالف ذلك لانهُ لم يفز في نفس ميركور من ولاية الفوج مولدهِ بالانتخاب فان الاكثرية انتخبت جمهوريّاً ففاز عليهِ بثمانية الاف و٥٠٦ رأياً حال كونهِ انتخب بستة الاف و٩٥٨ رأياً فما هذا الكره الذي يكاد يكون كبغض طبيعي . فانهُ كان محبوباً عند الاهالي منذ برهة قصيرة وما كانت سوابقهُ ما يحمل الناس على الابتعاد عنهُ فانهُ كان من اهل الحرية في ايام الامبراطورية ودخولهُ في هذه الايام في سلك الذين يدعون بالمحافظين الميل الى الملكية المقيدة لا يجعل الناس اعداء لهُ فان ذلك رأي سياسي معتبر . وفي المدة المتاخرة اظهر شدة تحزبهِ واهاج غضب الجمهوريين عليهِ ومع ذلك كان لا يزال ذا صيتٍ حسن . وعند وصولهِ الى الوزارة ليتمم النظام الاساسي الجديد ويدبرهُ ظن الناس ان نشاط طبعهِ الخشن يتلطف باصابة الحكم فيصير من المحافظين بدون ان يفعل ما يجعل الناس اعداء لهُ

ومن المعلوم ان صيت موسيو بوفي بات مثلوماً وقد زالت سطوتهُ ولا بد من ان يقول المرشال ماكماهون انني قد خدعت واي خداع وقد تكاتف المحافظون وهم لفيف من احزاب مختلفة بخوف ليتشاوروا بالاستقبال . وقد نشا عن الانتخابات ما طرحهم في ضيق لانهم ظنوا منذ اسابيع ليست بطويلة ان الفوز يكون لهم . ولا ريب في ان النتيجة قد اعجبت كل الاحزاب . فان رياسة موسيو بوفي لحزب المحافظين وقيادتهُ لهم بجسارة ونشاط جعلتا كل الاحزاب المضادة للجمهورية تتحد وتتقوى فضعفت حتى ولا امال الجمهوريين وباتوا لا يعلقون املهم بالحصول على اولية في مجلس الشيوخ . وعند تقرير نظام الانتخاب خافوا على قوتهم في مجلس النواب الجديد . وراوا انهُ لا بد من ان يكون للحكومة نفوذ عظيم في انتخاب اعضا المجلسين وان الوزير الاول لا يكون كسلفائهِ اذا امتنع عن انفاذ ارادة الحكومة لقيام صالحها . ويكون لمجلس النواب حرس مجلس الشيوخ مولف من ٧٥ عضواً لا ينفكون عن العضوية حياتهم بطولها . وهم الذين انتخبهم . ويكون لحكام الدوائر نفوذ عظيم في انتخاب سائر اعضاء مجلس الشيوخ وتقرر في العقول ان الحكام كانوا متحزبين للحكومة . وان نظام انتخاب اعضاء مجلس النواب يسهل سبل العضوية لاضداد الجمهورية . وكان موسيو بوفي متاكداً اكثر من الجميع بان الفوز يكون للمحافظين على الحالة الجارية وليس للجمهوريين . فتنشط واشتدت وحزبهِ وجسارتهُ واظهر ما عند حزبهِ من التضييق على المخالفين لهُ فجاء ذلك بخرابها اي بخراب موسيو بوفي وحزبهِ ومن المعلوم ان اعظم الحكام الذين كانوا نافذي السطوة كانوا ينطون الاعمال العظيمة الشديدة باستار لطيفة حتى ان نابوليون الثالث القريب العهد لم يكن من الذين يسعون لوزيرا ولتفسهم بان يتفوهوا

بما تفوه به موسيو بوفي ولا ان يمهل اعماله . وقد قيل باصوات منخفضة ان روحًا غير موافقة سطت على عقل ذلك الوزير فامسى منقادا الى ارادة ثابت من ارادته وروح اشد عزمًا . فقد وقع ضرر عليه من جرى ذلك

واذا نظرنا الى سياسة الوزير المشار اليه واعماله بنور الحوادث الاخيرة نعجب بما نراه من خطإ رجال تمكنوا من ان يتأملوا في الاحوال ويقرروا الصواب في عقولهم . ففي بادى الامر انشا هو وقومه امرًا عجيبًا وهو الحزب المحافظ على الحالة الجارية العام لينخرط في سلكه كل الذين لم يكونوا من الجمهورية . وقرروا انه من واجبات الولاة والمتصرفين ان يفرغوا جهدهم في اسعاف الملكيين الغير المعتدلين او المعتدلين او الامبراطوريين عندما يبيت احدهم ضد الجمهورية ولو كان معتدل الاراء . فظن موسيو بوفي الوزير ان ذلك سياسة اصابة قد مكنته من الحصول على مساعدة كل الذين هم من حزب ملكية او امبراطورية مع ان ابعده عن اكثرية الامة . فان اداب الامة الفرنساوية اي ناموسها لم يخضع لذلك ولئن كان ابتعادهم عن سبل الحكومة لا يكون لاسباب طفيفة ، فان هذا الاتحاد لم يطفئ نفس الذين عاشوا في ملكية تموز (جوليه) والامبراطورية الثانية : اما اعتباره للامبراطوريين فنتج عن وهم متعلق بكثرة عددهم وشدة نفوذهم : والمحبون للنظام المقيد يكرهونهم ويخافونهم ولم يجهل اراء اصحاب الرتبة الاولى من حزبه المتعلقة بمهيجي الامور الامبراطورية . ولما راوا ان الوزير مصمم على الحصول على اكثرية لترقية اسباب صوالح حزب ظالما طعن فيهم اشد الطعن واهينوا اعظم الاهانات في نفس الدوائر التي كان فيها الوزير واصدقاؤه . وتم ابتعاد الامة عنه بعصر فاته بعد ان انتخب مجلس النواب ٧٥ عضوًا من اعضاء مجلس الشيوخ . ولم يصد الحزب الوزيري الابتضييقه على الذين ضادوه ولكنه ظن ان مقاومتهم ناشئة عن عصيان وجعل المارشال يظن كظنه ولا يصدق الانسان ان ما جرى بعد ذلك قد جرى في بلاد تدعي بخضوعها لنظامات اساسية ، فانه تهدد الحزب الحر بل تهدد الامة الفرنسوية بانه من الواجب ان تحسب حسابًا للمرشال ماكماهون والجيش . ومع ان الاسبانيول يستخدمون الجيش احيانًا في ظروف كتلك الظروف لا يتهدد دون مجالسهم العالي بقوته . ولو قرات الامة الفرنسوية اعلانات الحكومة بدون غيظ وغضب لقلنا انها قد خسرت حميتها وناموسها وفخرها . وخطا سياسة وزارة فرنسا عظيم فان استخدام القوة العسكرية للحصول على نتيجة ليس مما يشار اليه قبل انفاذه . وقد سمعنا كثيرين من رجال سياستهم يقولون ان الجيش هو الحكم الاخير وقد سمعته الامة وهي غالة بانه مهين غير انها عندما تسمعه رسميًا بالتصريح لابد من ان ترد عليه اذا كانت عزيزة وربما كان قد تقرر في عقول الناس ان الذين قالوا ان الفلاحين الفرنسويين يشترون الراحة مهما احتملوا لاجلها وكذلك اصحاب الدكاكين قد اخطاوا واي خطا ولا سيما الذين قالوا انهم لا يهتمون بنظامات حكومتهم ولا بما يقوله الناس عنهم من جهة حبهم الحرية لانهم قد شعروا بتاثيرات تعديات ماضية وقد ظهر انهم يدافعون حتى الدفاع عندما يسمعون كلامًا تهديديًا من احد رجال سياستهم

مصر

ان مطالعة الكلام الاتي بالتمعن واجب على كل الذين يهتمون باحوال مصر ويحبون ان يطالعوا كلامًا جميلًا يدل على التضلع في السياسة وفي احوال المالية والمشروعات النافعة وهو كلام

جرى بين الجناب الخديوي اسمعيل المعظم ومكاتب جريدة الذيلي تلغراف المخصوص في مصر وقد قال ذلك المكاتب في اول رسالتهِ ان ما رايتهُ من الخديوي اسمعيل هو مما لا يزول من فكري بمرور الزمان . ولا ريب في انهُ صاحب مركز عالٍ بين مشاهير رجال الزمان وعظائهم . وربما كان قليلون من ملوك هذا العصر بل من رجال السياسة فيهِ قادرين على مناظرتهِ في اتساع دائرة معارفهِ والاقتدار على البحث عن الامور وسرعة الخاطر . وما عندهُ من اظهار بواطنهِ ان كان طبيعيًا او مكلفًا يكاد يكون كاظهار البرنس بسمرك لها حال كون الجلال يرى في حركاتهِ ظاهرًا جدًا وكلامهُ ومنظرهُ ينهض القلوب وفيهِ ما يجذبها اليهِ . وكلامهُ الفرنسوي موثر ومطابق لاصول اللغة واصطلاحاتها مع خلوهِ من التكلف لاظهار المعرفة . الى ان قال الكاتب المومأ اليهِ

فاجابت الحضرة الخديوية على سؤالي بعد ان صمتت برهة بقولها لقد سررت جدًا لانك راغب في الوقوف على الحقيقة وساظهر لك الواقع فاخبرك بما اقدر ان اخبرك بهِ . فاسال عما بدا لك فاذا اجبت تسمع الحق واذا لم اجب يكون سكوتي ناشئًا عن واجباتي المختلفة التي لا تسمح لي بان اظهر كل شيء . فلا بد مثلاً من كتم امور لا تزال المخابرات جارية بشانها . وقد تقرر عندي ان نواياك ونوايا ابناء وطنك هي نوايا صداقة خالصة بالنظر الى مصر ولا ارغب في شيء قدر اخبارك بالتفصيل بالمركز الذي نحن فيهِ وبمشروعاتنا وآمالنا

وبعد ان اظهر بعض ملاحظات اولية تمهيدية متعلقة بما راى انهُ لا بد لهُ مراعاة لامور ادبية من ان يفحي امورًا لتقرير قواعد صالح مصر فيها نسبي فقط شرع في الكلام عن ارسال جنود الى زنجبار وقال انهُ لا ريب في ان مصر قد احتملت ما احتملت من الخسائر المالية والتجارية بسبب الحملة الزنجبارية المذكورة وقد حملتها بالشكر ولاسيما لانني ارغب في ان ابين لانكلترا الاستعداد التام للاتحاد معها في اجتهاداتها المدنية الناشئة عن مراعاة حقوق الانسانية المصروفة في سبيل ابطال تجارة العبيد وليس لي رغبة في الحصول على بلاد بالفتح . اما مصب نهر الجوبا فهو بالحق لمصر (ثم ابان بالتطويل براهين ذلك الحق وقال ان وزارة خارجية انكلترا عالمة بهِ .) ولم ابادر الى تحصيل حقي الا بالاستناد في الاكثر الى مشورة الكولونل غوردون الذي قرر بثبات انهُ من الواجب ان تكون في يد مصر البلاد الواقعة بين البحيرات والبحر وان يكون في يدها مراكز صدور تجارتها في ذلك الخط الطويل . وقد قلت لماكيلوب انهُ اذا وجد جنودًا زنجبارية نازلة هناك ان لا يتداخل بامرها وان ينزل بهدو بجانبها او في ضفة النهر . وربما كان قد تجاوز حدود الاوامر التي صدرت اليهِ قليلاً غير انهُ يسهل تسوية ذلك جميعهِ . ولم افعل ما فعلت الا في خدمة صالح الحكم وقد تكبدت مصاريف كثيرة من جرى ذلك بدفع نقود خلا اربعة ملايين ليرا وهي خسائر الشغل ومعاش الجنود التي ارسلت الى السودان ونقص التجارة فيها بنحو سبعمائة الف ليرا وغير ذلك فما هو التعويض يا ترى الذي حصلتهُ . انني مثلكم اراعي حقوق الانسانية فارغب في ان يتوفق كل الناس ولا سيما الرعايا المصريين وارغب في ان اصادق الهنود ولكنني اقول بالتصريح ان مصريًا واحدًا عندي خير من عشرة هنود ولا يسوغ ان اوبخ على هذا التفضيل . وكل ما وضعت يدي على شيء احسنهُ . وقد شرعت في تهيئة منارة كبيرة . وقد انشات حاجزًا حجريًا لرفع الماء في النهر وانشات ١٫٢٠٠ مقدار من اقنية الماء

الحديدية . فالتجارة الانكليزية تنتفع بهذا وبامور اخرى كثيرة قد صممت على ان اقوم بها

ونجاح مصر بل القيام باشغال البلاد بحسب قواعدها لايناسبها الا الفائض المعتدل الذي لا يثقل على ماليتنا. فاننا ندفع فائضاً غير معتدل عن المال الذي يلزم لنا لنقوم باحتياجات العصر النامية والترقي اسباب محاصيل البلاد العظيمة الطبيعية .

واقد بتنا موضوعاً للمشروعات ولسوء الحظ احتياجاتنا ليست بكثيرة ولذلك لانزال عرضة للمشروعات اصحاب المصالح . وقد صممت على ان لا انقاد الى الالحاح الذي يقع عليّ عند محاولتي تخليص البلاد من ارتباكاتها . مثلاً انه منذ ايام قليلة اقيمت مخابرات لعقد قرض لدفع اوراق مالية جارية مستحقة في الاسابيع الستة القادمة فطلب الي بعض رجال المالية الفرنسويين ان اقبل منهم قرضاً فايضة ٢٢ في المائة . ومن المعلوم انني لا اسمح بمثل ذلك فابنت الحال لوكيل فرنسا فاغتاظ وتعجب . وقلت لاولئك الرجال انهم اذا رغبوا في ان يلزموني بقبول تلك الشروط التزم بان اضع شروطي الاخيرة . فاذا قررت كل ديون الحكومة المقررة والجارية بفائض معتدل اتمكن من ان اجعل موازنة بين الدخل والمصروف بسهولة بدون ان الحق ضرراً باحد واصبح غير ملتزم بان استقرض مالاً بشروط غير معتدلة مضرة لا يتبعها غير التاخر المالي

وقد اضبنت بما قلت من انه من صالح مصر ان يعقد قرض بشروط معتدلة بين رجال مالية انكليز عوضاً عن ان اعود الى الاستناد الى ايتي قد شددت عليّ شروطها الماضية . وهذا هو رايي ولكن كيف اقدر ان انفذ هذا الراي فان حكومتكم لا تعضد رجال ماليتها كما تعضدهم دول اخرى . وقد كانت سيئاً لتجعل عملية مالية ذات صفات سياسية فلا تسعفني في تلك النهاية ولكن الامر بالعكس . وبامور بفرنسا كايف التي قد تقرر عندي بانها ساعاتي بعد في بمنافع في بعض الامور لم تاتي بفائضدني في امور اخرى . فانها ساقت الفرنسويين عليّ ومن المعلوم انهم يتظاهرون بطلب امور اخرى وقد اضر ذلك جداً بصعوباتي الحالية . واذا كانت تقريراته ما اومل بانها تكون وقد رايت ما يحملني على ان اعلق الامل بانها كذلك . تكون كلمة واحدة من حكومتكم كافية لتقرير اشغالي تقريراً عادلاً مناسباً هذا بالنظر الى استقبال مصر . والشك الجاري من جهة تقريراته ينشط الذين يحبون ان يستغنموا فرصة احتياجي ولا يخطر لي ببال بان يقام بشيء كضمانة من حكومة ترافقها مداخلات باشغالي فانني ارغب في مجانبة ذلك فهذه الامور مما لا رغبة لي فيه . على انني ارغب في عضد ادبي لا يلقي المسؤولية على احد وهو يكفي لتسهيل كل طريق وتوضيحه . فهذا العضد واكثر منه بنا له رجال المالية الفرنسويون بحكومتهم ومن المؤكد انني افضل مشروع اليوت على كل المشروعات التي طرحت امامي . وكان مشروعاً جيداً جداً ومناسباً لنا من اوجه كثيرة وقبوله يلزمني بان اضحي بعض حقوقي وان افتح باباً للمداخلات كثيرة اجنبية في اشغالي احب ان اتجنبها ومع ذلك كنت مصمماً على ان اقبل بالرضى التام بكل شروطه للحصول على منافع ثابتة لبلادي . غير انه لم يكن في يد اليوت المال اللازم لي ولم يقدر ان يحصل عليه مع انه افرغ جهده في ذلك السبيل . وكان قادراً على امر واحد وراغباً فيه وهو ان يحمل امضاءي بالطلب الى لوندرا ليقرر القرض مع اصحاب اموال اخرين . غير ان الاحوال لم تسمح بالفرصة اللازمة لاتمام ذلك لانني ملزوم بان احصل على المال لدفع الاستحقاقات القريبة ولا ريب في ان الذين يقدمون لي المال

للاسعاف الموقت يجعلون لانفسهم علاقة بالمشروع الاعظم . واظن ان الفرنسويين يسبقونكم في ذلك فانني شارع في عقد الشروط الابتدائية معهم . وفي كل يوم يقولون لي انهم نواب رجال المالية عموماً وليس الفرنسويون فقط فان منهم من هم المان وانكليز وفرنسويون فهذا ما اسمعه منهم . فاذا لم يقرر الامر اليوم يقرر في الغد فيلزم للتقرير ٢٤ ساعة او ٤٨ ساعة في الاكثر فاكد ذلك

هذا واكرر ما قلت من ان مامورية مستر كايف ربما كانت تعود بنفع عظيم على مصر فانها تمكن انكلترا من ان تحقق حالتنا . والذي يحملني على تعليق املي بالانتفاع منها عدم وجود شيء من ضمائري سترة . وقد اقام بمامورية الصعبة بالاجتهاد والتدقيق التام وقد سهلت له الامر بقدر امكاني . ولم امنع عنه شيئاً . وقد راى كل حساب وكل ورقة تبين احوالنا . وقد فحص وحقق كل تقرير سمعه وهو يعلم احوالنا كما اعلمها انا . ولا بد من ان تحتوي تقريراته على وصف صحيح صادق لمصر فلا يبيضه كالمتفائلين ولا يسوده كالمتشائمين . وقد شكرته جداً على اعتنائه وانما نتوقع انكلترا التي انتفعت جداً بما جلب الضرر علينا واوقعنا في ارتباكاتنا الحالية وهو ما دفعته لفتح ترعة السويس ستري باجتهادات ذلك المستر الاموال الكثيرة التي بذلناها في سبيل القيام بمشروعات كثيرة قد اغنت غيرنا اكثر كثيراً مما اغنتنا . وانكلترا طالما كانت تلاطفنا اذا لم نقل انها كانت تعاملنا على الدوام بما يدل على اهتمام واعتناء . وقد شكرنا ملاطفاتها الدائمة كما تقدر البلدان الصغيرة ان تشكر الدول العظيمة على مثل ذلك . فما يجرى بين المتساوين بدون ان تظهر له اهمية يكون مهماً عندما يجرى بين مختلفي الرتب . ومذ وقعت فرنسا في خسرانها الاخير كانت توثر امور فيها لم تكن تعتني بها وفي في عزها وعظمتها . حتى انها توثر في سياستها المالية . فترى تظاهرات سياسية في الاشغال المجردة تلسر النجاح المالي بنصر سياسي .

اما انا فافضل الواحد عن الاخر كل الفصل . لانه لم يخطر لي ببال قط بان انكلترا ترغب في جعل مصر تابعة لها لانها قد اشترت اسهم ترعة السويس وارسلت ماموراً عظيماً يبحث في حساباتي . فانا اعرف الانكليز حق المعرفة وما من احد يستحسن احوالهم اكثر مني وياحبذا لو كانوا اثبت . فاذا كان قد تبين لهم ان من مصلحتهم السياسية والتجارية عضد مصر ومساعدة تتقدمها فلماذا لا يقومون بذلك قياماً موثراً فالذي يقول ا لا بد من ان يقول ب الى النهاية فبينا نتقدم خطوتين ثم التاخر خطوة يتقدم الانسان بطيئاً الى المقصد . فتنشيط قليل يفعل فينا فعل العجايب وانكرر اذ ارى انه من اللازم ان اطلبه من جهة اخرى

وقد اصبت بقولك ان الذين يطعنون في بقصد ثلم الصيت هم كثيرون وانهم بالميل الى فرنسا فهذه التهم الاجمالية غير صحيحة وغير عادلة . فلو عرفني الناس اكثر مما يعرفونني لتاخروا عن ان يطعنوا في هذا الطعن . وقليلون هم الذين يعلمون الارتباكات التي تحيط بي والصعوبات التي لا بد من ان ابارزها . ومن حقوق الانسان الاساسية الغريزية الحصول على العدل بعد الحرية . وربما كنت تمتنع عن ان تحمي الانسان او ان تساعده او ان تعطيه خبزاً ولكنك لا تمتنع عن ان تعدل بمعاملته . ولم اقر بانشا المجالس الجديدة التي فتحت منذ برهة قصيرة الا بعد ان صرفت غاية الجهد مدة ثمان سنوات وقليلون هم الذين يعلمون تمنعات فرنسا المتعلقة بذلك . وقد يحمل الناس على تغيير ارائهم كثيراً وقد غيرت ارائي ومن لا يغير رائه فهو احمق غير انني لم اغير قط قواعدي

وكثيراً ما بت مخدوعاً ولكنني قد اشتريت الاختبار بثمن غالٍ وقد حصلت عليه . ومن الناس من يلومني على سرعة مشروعاتي فاقبل هذا اللوم وهو صحيح من جهة فانني اسرعت اي انني رغبت في القيام بامور كثيرة في وقت واحد وفي زمان قصير ولولا ذلك من كان يا ترى يعتني بعصر وبهم بامرها

الجيش الشاهاني

ان مستر فنسنت الانكليزي هو من اهل المعارف والبحث والتدقيق وقد نشرت جريدة الليفانت هرالد ملخص خطاب خطبة في لوندرا عن الاحوال العثمانية والجيش العثماني على جمهور غفير من اكابر رجال الانكليز وامرائهم وسفراء بعض الدول ومامور بها وعلى الخصوص سفير الدولة العلية وسفير دولة ايران البهية وقد قال في خطابه من الموكد ان حضرة مولانا الاعظم هو مصلح عسكري عارف متروض ولا ريب في ان الشرقيين يرغبون في الوقوف على نظام الجيش العثماني وتوضيح متعلقاته فما ياتي هو ما نشرته جريدة الليفانت هرالد من ذلك الخطاب

ان الممالك المحروسة الشاهانية منقسمة الى ١٢٠ دائرة عسكرية والاوردويات (الجيوش) السبعة التي تولف القوة العسكرية العثمانية متفرقة في تلك الدوائر تفرقاً يكاد يكون متساوياً . ونظام الجيش العام من جهة اقسامه كنظام جيوش الدول الشمالية فانه منقسم الى اربعة اقسام وهي اولاً النظام وهو الجنود العاملون . ثانياً الاحتياطي . ثالثاً الرديف . رابعاً المستحفظ وهو كالحرس الوطني عند بعض الدول او كاللاند ستورم عند المانيا . فعدد هذه الاقسام بموجب الدفاتر خلا القسم الاخير هو ٧٥٠ الف رجل

اما جنود النظام وهو الجيش العامل فيجمعون بالقرعة من الرعايا المسلمين . فكل من ادرك اسنان العسكرية يلتزم بان يقوم بسحب القرعة ست مرات قبل ان يتخلص من اسنان العسكرية العاملة . فاذا لم تصبه القرعة يصير في الحال من جيش الرديف . غير ان الاكثرية لا تفوز بذلك فاذا اصيب بالقرعة تكون مدة خدمته عاملاً وغير عامل عشرين سنة منها اربع سنوات في جيش النظام وسنتان في الجيش الاحتياطي . و٣ في الرديف من النوع الاول و٣ في الرديف من النوع الثاني و٨ في المستحفظ . وفي الغالب تقلل مدة خدمة الجندي في النظام فعوضاً عن ان تكون ٤ سنوات تكون ٣ او ٢ مراعاة لامور معاشية او توفيرية وهذا يقلل عدد الطوابير

وقد قلت ان الاوردويات (الجيوش) هي سبعة ثلثة منها مقيم في اوربا و٤ في اسيا فالاول في الاستانة العلية والثاني في شملا والثالث في مونستار فهذه اوردويات اوربا . والرابع في ارضروم . والخامس في الشام والسادس في بغداد والسابع في صنعاء . وهذه اوردويات اسيا

وكل اردوي (جيش) مولف من ٧ الايات و٢٨ طابوراً من المشاة و٥ الايات او ٣٠ بلوكاً من الفرسان والاي واحد من جنود المدافع ومعهم ٨٤ مدفعاً . وعدد الاوردوي الاسمي ٢٧ الف رجل و يضاف اليه في زمان الحرب ٢٤ طابوراً من الرديف فالاوردوي الاول يسمى بالاوردوي الخاص ومشيره حضرة صاحب الدولة والنجابة يوسف عز الدين افندي نجل حضرة مولانا الاعظم . وجنود هذا الاوردوي ينتخبون غالباً من كل السلطنة لان اهالي العاصمة اي الاستانة العلية لا يكلفون بالخدمة العسكرية

ولا يخطئ من يقول ان جيش المشاة العثماني ما من جيش في اوربا ذي سلاح اتقن من سلاحه وهو مولف من ٤٩ الاياً وكل الاي يولف من ٤ طوابير

والطابور من ٨ بلوكات. وقد اخترع اسباب التمرين حضرة صاحب الدولة والابهة حسين عوني باشا والي بروسه. فان في ايام نظارته الحربية وصدارته فتحت ابواب التقدم للجيش العثماني فحركة الجنود العثمانية ليس لها مثيل من جهة السرعة وهي عجيبة وتسهل لها ذلك ملابسها فهي طربوش وثوب قصير ازرق تحته ثوب صغير صدري مزين بحواشي حمرا وسراويلات قصيرة لا تتجاوز الركبة وملابس ساق متصلة الى حذاء لين. فهذه ملابس جنود المدافع والفرسان والمشاة. وسلاح المشاة تام ومن اتقن السلاح المخترع حديثاً. غير ان البنادق وحدها لا تهلك ولا يناسب اهلها ولا تنفع بدون بارود ورصاص وما من الات لصنع ذلك ليناسبها. وقد امرت الحكومة بصنع بنادق جديدة فتصير الاسلحة متقاربة الانواع اكثر من الحاضر

اما جيش الفرسان فمولف من ٢٠٥ طابوراً وكل طابور ست بلوكات. وكل منها مولف من مائة فارس وسلاح اكثرهم من بنادق ونشسنار ذات الطلقات الكثيرة ويحملون غدارات ويتقلدون السيوف. وجيش الفرسان يميل قليلاً الى صفات جيش غير منتظم. والفرسان من الشرقيين الذين يتقنون ركوب الخيل والجنود يحتاجون الى تمرين والى اكتساب قوة الحمل بنشاط وهمة. وفي البلاد افراس كثيرة صغيرة نشيطة ولكن قد ينقص عددها عن عدد فرسانها. وجنود المدافع كثيرون فانه يحق للعثمانيين ان يفتخروا بوجود سبعة طوابير منهم خلا طابور الاحتياط وكل طابور مولف من ثلثة صفوف من مدافع الافراس و ٩ صفوف من مدافع ميدان الحرب وفي كل صف ست بنادق. وكل المدافع من اختراع كروب وصنعه خلا ستة مدافع للجبال من صنع معمل السار جوزف ويتورث وستة مدافع راشة (مترايوز) في كل طابور. وكل الطوابير حاصلة على مدافع حسنة وفي مخازن الحكومة احتياطياً قدرها غير انها في احتياج قليل الى المهمات والمركبات المدفعية. واعظم نقص في خدمة المدافع هو من جهة الافراس فان الخيول الحلية غير موافقة لها فيوتى بكل افراسها من المجر فترسل كل سنة عهدة لابتياع الافراس وتدفع ثمن كل فرس من ٢٥ الى ٤٠ ليرا. والافراس المجرية ليست بموافقة جداً. وللتخلص من هذا النقص المأمول ان احد وزراء الحرب يتمكن من زمان كاف لانشاء محلات لتربية الافراس لئلا يلحق ضرر بالخدمة بالاحتياج اليها واذا جاءت باكثر من المطلوب تباع باسعار مناسبة. ولا توجد فرقة منظمة من المهندسين كما يظهر من الحصون وغير ذلك .

اما الدائرة الطبية العسكرية فهي منظمة حق التنظيم ويتخرج من مدرسة الطب في بلك اوغلي اطباء ماهرون. ولا يزالون في الحال دون الاحتياج ولكن بعد زمان قصير يبدل الالمان الموجودون في الخدمة الطبية باطباء عثمانيين. والمستشفيات العسكرية كثيرة مرتبة نظيفة جداً. اما المدارس الحربية فهي جيدة وكثيرة ولم ارَ في اوربا مدارس انظم منها فاذا راينا تقصيراً في بعض الضباط لا يكون من المدارس فانها نوعان ابتدائية ويدخلها اولاد بين ٨ و١٢ ويصرفون فيها ٤ سنوات. والتكميلية يدخلها الذين لم يبلغوا سن ١٦ وبعد ان يصرفوا ٤ سنوات فيها يرسلون الى الجيش

والجنود الاحتياطية هم اولاً الذين خدموا في النظام اربع سنوات. ثانياً الذين صرفوا من الجيش قبل ان خدموا ٤ سنوات. ويستمرون في الجيش الاحتياطي الى ان يكونوا قد خدموا فيه وفي النظام ٦ سنوات. ويكون لهم سلاح وثياب ومهمات في مراكز الاوردويات. وفي النظام ان الاحتياطيين

يرجعون الى طوابيرهم عند فتح حرب غير ان ذلك لا يجري بالضبط التام بسبب صعوبة وسائط الانتقال. وظهر ذلك في الخريف الماضي فان الاحتياطيين كانوا يدخلون الطابور الذي كانوا يصادفونه ولولا ذلك لتعسر وصولهم الى ميدان الحرب وينتج عنه دخول طابور الى الحرب وليس فيه اكثر من ثلثمائة جندي حال كون طابوراً آخر يكون مؤلفاً من ستمائة جندي.

اما الرديف فهو مؤلف اولاً من الذين لم تصب القرعة اسماءهم. ثانياً الذين اكملوا زمان الخدمة في النظام. والاحتياطي ومدته ٦ اسنة فالسنين الاولى الثلث تكون خدمته نظاماً وليس فعلاً في طابور اقدم منه والثلث سنوات الثانية في طابور تنظم بعد دخوله العسكرية. ولا يوجد الطابور الثاني المذكور الا في النادر. وضباط الرديف موجودون على الدوام فلكل بلوك ضابطان وضابط حربي للطابور ومعاشاتهم كمعاشات ضباط النظام. فلا تكون معارفهم اقل من معارف الضباط العاملين وفي كل سنة يدعى الرديف شهراً للقيام بالتمرينات العسكرية. وفي ذات يوم رأيت بالقرب من الاستانة العلية جيشاً من الرديف وكان مؤلفاً من طابورين وهو من رديف الاناضول الذي كان متأهباً للسفر الى الهرسك وكان منظرهم جميلاً جداً ومع انهم من بلاد قد بليت بالجوع وذاهبون لامر محزن لا يهمهم امره كانوا يضجون بالدعاء للحضرة الشاهانية بفرح لا مزيد عليه حتى ان الناظر اليهم يرى ان رجالاً مثلهم يقدر الانسان ان يتغلب على كل الصعوبات غير ان سلاحهم ليس من جنس واحد وحالته ليست جيدة

انتهى ملخصاً

الجيوش

(من قلم سليم افندي بستاني)

اما المانيبولي من الجيش الروماني وهو الفرق الصغيرة فكانت بعض صفوفها تقف بعيدة عن البعض الآخر بحسب طول صف مقدمتها ومانيبولي الصف الثاني كانت تقف وراء فسحة المانيبولي الاول. والترياري ابعد عنه في الجهة الخلفية غير انه كان صفاً واحداً. وكانت جنود المانيبولي في كل صف تقدر ان ينضم بعضها الى البعض الآخر بدون ترك فسحات اي ان الصف الثاني كان يقدر ان يدنو من الصف الاول ليملأ فسحته. وكانت تلك الفرق تنتظم صفوفاً عند صدام جنود معها افيال بينها فسحات فكانت الفيلة تمر فيها بدون ان تضر بالرجال وكان ذلك مسهلاً لحركة الجيوش الكثيرة الصفوف فان الجيش (ليجيون) كان يتحرك بدون ان يخل بنظامه في الاراضي التي لا يقدر الجيش الكثير الصفوف ان يأتيها بدون ان يلقي نفسه في خطر مبين واذا وصلت فرقة الى مانع يمنع مرورها بالانتظام الاعتيادي كانت تضيق صفها العرضي وبعد المرور تعود الى انتظامها بسرعة. وكان الجيش (ليجيون) يقدر ان يهمل امامه جيوشاً خفيفة لانها تقدر ان ترجع بتلك الفسحات عند تقدم الصف. ومن منافع هذا النظام كثرة الصفوف التي كانت تقاتل بالتتابع اذا مست الحاجة الى ذلك مع ان حملة واحدة على الجيش الكثير الصفوف كانت كافية لظهور ثباته او انكساره ولم يكونوا يحفظون جنوداً احتياطية لتقاتل عند تضايق الجيش. الذي كان يقدر ان يقاتل العدو بجنوده الخفيفة وفرسانه في صفوفه كلها ويصد تقدم جيشه الكثير الصفوف بصفه الاول الذي لم يكن يكسر بسهولة لانه لم يكن يتصل القتال اليه بعد انكسار ستة صفوف من الفرق المسماة بالمانيبولي بالتتابع اي صفاً بعد صف. فيفرغ قوة العدو بتقدم جيش المستاتي ويحمل حملة الانتصار بجيش التورياري. وهكذا نرى ان الجنود وحركات

القتال كانت في ايدي القواد مع ان الجيش الكثير الصفوف كان لا يقدر ان يرجع عن القتال بعد الابتداء به فيلتزم بان يفرغ جهده في سبيله الى بلوغ نهاية موافقة له او غير موافقة . ونظام الرومانيين المذكور كان يمكن القائد الروماني من الانقطاع عن القتال بالوقوف بالجيش الاحتياطي حال كون الجنود التي كانت تقاتل تمر في الفتحات بين الصفوف وفي كل حال كان بعض الجنود في نظام جيد فلو دفع التريادي وتقهقر ينظم الصفان الاولان وراءه . ولا يخفى انه عند جري القتال بين فلامينينوس الروماني وفيليب بجيشه الكثير الصفوف في سهول ثيساليا ارتدت الجنود الرومانية عند الحملة الاولى غير انها رجعت الى الحمل مرة بعد مرة فضجر المكدونيون مع فيليب وتعبوا ووقع الخلل في انتظامهم وكانت الفرق الرومانية تحمل على كل مكان ترى فيه اقل خال معلقة املها بفتح طريق للدخول الى وسط تلك الصفوف الضخمة التي كانت كبنيان مرصوص . وفي نهاية الامر اخذت عشرون فرقة من نوع المانيبولي في ان تهجم على جناحي المكدونيين وموخرتهم حتى انهم راوا انه لا سبيل الى ثباتهم على انتظامهم فانتثرت الصفوف الكثيرة وامست جنودها رجالاً بدون انتظام طالبين النجاة فدارت الدائرة عليهم . وكان جيش الرومان وهو اللجيون يقوم بنظام اسمه الاوربيس عند هجوم الفرسان عليه وهو المعروف في هذه الايام بالقلعة اي انه كان يصف على شكل مربع والمهمات والامتعة في الوسط . واذا سار وهو منتظر حملة كان يعرض المقدمة ويطيل ما وراءها والمهمات في الوسط . ولم يقم بذلك الا في السهل

وكانت اكثر الجنود في ايطاليا في ايام قيصر من المتطوعين وكانت اجرة الجندي قدر اجرة الفاعل فكثر المتطوعون واستغنى عن القرعة . ولم يدخل جنود من الولايات الا في ظروف غير اعتيادية فكان جيوش قيصر الخامس من الغلية اي فرنسا القديمة ولم يكن عدد الجيش ٥٠٠٠ نفس فان كل جيش من جيوش قيصر لم يبلغ عدده الثلثة الاف جندي . وكانوا ينظمون جيوشاً جديدة من الشبان لئلا يخلطوهم بالجنود القديمة المجربة . وكانوا في بادئ الامر لا يستخدمون في المقاتلات العظيمة بل يقومون بواجبات حراسة المعسكر . وكان ينقسم الجيش الى عشر فرق كبيرة وكل فرقة مولفة من ثلث فرق صغيرة (مانيبولي) والاسماء التي ذكرناها لم تحفظ الا لاظهار رتب القواد والضباط فان مدلولها في الجيش يتغير بتغيير النظام . وكان قواد المائة الستة من الفرقة الكبيرة الاولى يحضرون مجالس المشورات الحربية . وكان قائد المائة عندهم على الغالب من الجنود انفسهم وقلما كانت ترفع رتبته . اما مدرسة الذين كانوا يرتقون الدرجات العالية من القيادة فكانت اركان حرب القائد العام ولم يغيروا اسلحة جنودهم . وكانوا يحملون كلاً منهم من ٣٥ الى ٦٠ ليبرا خلا سلاحه واخترعوا لحمله وسائط غير مناسبة حتى ان الجندي كان يلتزم بان ينزل حملة قبل القتال . وكانوا يحملون احتياجات الجيش على بغال وافراس فكل جيش (لجيون) كان يحتاج الى خمسمائة بغل او فرس . وكان لكل لجيون تمثال نسر وهو العلامة الرومانية ومع كل فرقة كبيرة راية . وخصص قيصر بعض جنود جيوشه للخدمة الخفيفة وللقتال القريب بالصفوف . وكان عنده جنود الولايات فضلاً عن تلك الجنود وهم رماة الحراب واصحاب المقاليع وجنود غلية ونوميديا وجرمانيا . وكانت فرسانه من فرسان الغلية وجنود الجرمان فان الفرسان الرومان باتوا غير موجودين قبل ذلك بزمان ليس بقصير

وتالف اركان حرب الجيش من وكلاء مجلس

الشيوخ ونواب القائد الذين كان يستخدمهم لقيادة فرق وسبق قيصر الجميع الى ان يجعل لكل جيش (ليجيون) قائدًا من نواب مجلس الشيوخ . واذا لم يكن منهم كفاة كان يجعل القيادة بيد محاسبهِ ورئيس وكالتهِ . ومن ملحقات اركان الحرب المتطوعون المذكورون وغيرهم وفي القتال كانوا يحاربون في الصفوف . وكان للقائد حراس مخصوصون من ابطال الجيش الذين تطوعوا في الخدمة بعد انتهاء مدتهم وكانوا يسيرون راكبين ويقاتلون مشاة وكانوا نخبة الجيش ويحملون الراية العامة

واكمل اوغسطوس تنظيم الجيش حتى صار جيشًا عاملاً منظمًا . فكان عنده ٢٥ جيشًا (ليجيون) مفرقة في كل الامبراطورية منها ٨ جيوش في الرين . وكانت عمدة الجيش ٣ في اسبانيا و٢ في افريقية و٢ في مصر و٤ في سورية واسيا الصغرى و٦ في بلدان الدانوب اي الطونة . وحراس ايطاليا نخبة من رجالها وهم الحرس الامبراطوري . وكان مولفًا من ١٣ او ١٤ فرقة كبيرة وكان لرومية ٧ منها اكثرها من العبيد المعتوقين . وفضلاً عن ذلك كانت الولايات تقوم بجيوشها الخفيفة وامست اكثرها كحراس . وفي الحدود التي كان يحمل عليها كانت تستخدم مع جنود مستاجرة . وزاد عدد الجيوش في ايام تراجانوس فصار ٣٠ و٣٢ في ايام سبتيموس سفروس . وكان للجيوش اعداد واسماء من مراكزها كجيش المانيا وجيش ايطاليا ومن امبراطوريها كجيش اوغسطوس او من المعبودات كجيش ابوليفارس او بالنظر الى صفة كجيش الامانة . وفي ايامهِ احدث تغيير في الجيش الروماني فانهُ ضعف عدد جنود الفرقة الاولى الكبيرة وصار عدد كل جيش ٦١٠٠ جندي و٧٢٦ فارسًا . وتقرر ان ذلك قابل للزيادة . وكان يدخل فيهِ عبيد معتوقون او غير معتوقين من الولايات ومن كل الاجناس . ولم ينحصر في الجنس الروماني غير جنود ايطاليا وفي الازمان الاخيرة عدل عن ذلك . اما القواد فكانوا من الرومان واثر ذلك بسرعة في سلاح الجيش ونظامهِ فترك الدرع الثقيل وانقطع عن التمرينات الطويلة المتعبة التي مكنت الرومان من فتح اكثر بلدان العالم وادخلت في الجيش اسباب التنعمات وكثرت حيوانات الاحمال بضعف قوة الجنود واضطرارهم على الاتعاب والمشقات . وجرى في جيش رومية ما كان قد جرى في جيش اليونان عند دخول الفساد اليهِ فانهم اهملوا جيش المشاة المتقلد السلاح الثقيل واقتبسوا اسلحة البرابرة الخفيفة ونظامهم السهل فكثرت الجيوش الخفيفة عندهم التي كانت تحمل الاسلحة التي يحارب بها بالرمي وفي نهاية الامر لم تبقَ الامور التي كان يمتاز بها الجيش الروماني عن الجيش البربري . حال كون الجرمان كانوا اقوى من رجال الرومان ماديًا وادبيًا فداسوا الجيوش الرومانية بعد ان امست مولفة من رجال غير رومانيين ولم يصدوا فاتحي البلاد الغربية الرومانية الا ببقايا قليلة من نظام الجيش الروماني الاول . وفي القرون المتوسطة لم يبقَ شيء منها

وتلك القرون المتوسطة كانت خالية من اسباب تقدم الفنون الحربية كما كانت خالية من جميع اسباب تقدم العلوم والمعارف في الغرب . وكانت الاقطاع العسكرية في الاصل من انتظام العسكرية ولكنها كانت تضر بالانتظام والانقياد فكثر في اصحاب العصيان وامتناع اصحاب الاقطاع الكبيرة وقومهم عن الخضوع وكان صدور الاوامر الى الروساء غالبًا سببًا لمشاورات حربية مضطربة قطعت جميع اسباب الاجراآت الحربية العظيمة . فقلت الحروب التي

تقام في طلب امر معلوم . وكثرت المحاربات لتملك مكان واحد . وانحصرت الاجراآت الحربية المتسعة الدائرة من القرن ٦ الى ١٢ في حملات امبراطور المانيا على ايطاليا وحروب الصليبية

وكانت الجنود المشاة في القرون المتوسطة مولفة من اصحاب الاقطاع وبعض الفلاحين وكان اكثرهم يحملون الرماح حال كونهم من ادنيا الناس . وكان يلذ الابطال المدرعون بان يحملوا راكبين على اولئك الرجال الذين كانوا بدون ستر وبفتكوا بهم . وكان بعض المشاة في اواسط اوربا يتنكبون القسي القصيرة حال كون الانكليز كانوا يتنكبون القسي الطويلة وهي افعل من الاولى وفاز الانكليز بها على الفرنسويين في كريسي وبواتيه واغينيكور . فانه كان يسهل عليهم ان يصونوها من المطر الذي كان يعطل احيانًا القسي القصيرة وكانت تدفع سهمها الى مسافة اطول من ثلثماية ذراع اي انها كانت قريبة من فعل كرات البنادق القديمة وكانت سهامها تدخل خشبًا سمكه قيراط وكثيرًا ما كانت تخرق الدرع وهذا الفعل هو الذي اطال زمان استعمالها حتى في بداية استعمال الاسلحة النارية البسيطة ولا سيما لان الرامي كان يرمي ست سهام قبل ان يتمكن الانسان من ان يحشو بندقيته ويطلقها مرة واحدة . وفي نهاية القرن السادس عشر للميلاد حاولت الملكة اليصابات الانكليزية ان ترجع القسي المذكورة لتكون سلاح الجيش العام . وكانت تفعل كثيرًا في الفرسان فانها كانت تضربهم بدون ان تخرق دروعهم باصابة افراسهم وقتلها فيمسي البطل المدرع غير قادر على ان يتحرك فيبيت غالبًا ماسورًا . وكان الرماة يحاربون صفوفًا او بدون انتظام

وكان الفرسان الجيش الفاعل في القرون المتوسطة . وكان الفرسان اللابسون الدروع والخوذ الثقيلة افعل صفوف الفرسان وكانوا يحملون بانتظام ولم تات القرون المتوسطة هذه الايام الا بتنوع عسكري واحد وهو انشاء جيش فرسان جيوش الفرسان الحالية خليفة له . غير انها كانت ضخمة بطيئة لا تقدر ان تقوم الا بما يلزم له ثبات دون حركة سريعة وكان المشاة يقومون بكل خدمة سريعة ولم يحاربوا اولئك الابطال دائمًا بانتظام ولكنهم كانوا يفضلون مبارزة الابطال اي ان يبرز بطل لبطل من الصفوف فيتقاتلان الى ان يفوز احدهما عن الاخر وحمل الفارس على المشاة وهكذا رجع اهل تلك القرون بانفسهم الى الفنون الحربية التي كانت جارية في زمان اوميروس . وعند الحمل بانتظام كانوا يهجمون صفًا واحدًا وراءه صف من الاعيان اسلحتهم اخف او كانوا يحملون بصف طويل . ولم تحمل هذه الحملات الا على الفرسان فان الحمل على المشاة لا يجدي نفعًا لان الافراس باتت لا تقدر ان تركض غير مسافة قصيرة جدًا من جرى ثقل حديدها وحديد فارسها وكان ركضها غير سريع . ففي الحروب الصليبية والمغولية في بولونيا وسيليسيا كان الفرسان المذكورون يعجزون عن قتال الفرسان الشرقيين السريعي الحركة فالتزمت الدول ان تبطلهم . وفي الحروب النمساوية والبركندية على سويسرا كان الفرسان ينزلون عن افراسهم في الاراضي الوعرة ويصطفون كجيش كثير الصفوف وكانوا اثبت من جيش مكدونية واقل حركة منه وكانت تطرح الصخور واصول الاشجار عليهم وهم في الاودية فيختل انتظامهم ويلتزم بان يتفرق عند الحمل عليه بثبات . ونحو القرن الرابع عشر اقيم جيش فرسان اخف من الجيش المذكور حتى ان بعض الرماة كانوا يركبون الافراس لتسهيل حركتهم . غير ان هذه التغييرات وغيرها امست لا تنفع بادخال مادة البارود الجديدة وهي

التي غيرت كيفيات الحروب وانتظام الجيوش . فالعرب ادخلوهُ الى اسبانيا وتعلم الافرنج منهم صنعة واستعماله فدخل فرنسا ثم انتشر في سائر اوربا . والعرب اقتبسوهُ عن امم شرقية اخذته عن الصينيين الذين اخترعوهُ . ففي النصف الاول من القرن الرابع عشر ادخلت المدافع الى الجيوش الاوربية وكانت من حديد غير منتظم ثقيلة تدفع كرات حجرية ولا تصلح الا للحصر . واخترعت الاسلحة النارية بعد ذلك بزمان قصير . فصنعت بروغيا سنة ١٣٦٤ خمسماية بندقية حديدها ليس اطول من ٨ قراريط ثم اخترعت الغدارات المساة عند الافرنج بستوله نسبة الى بستويا من تسقانيا في ايطاليا . وبعد ذلك بزمان ليس بطويل صنعت بنادق اطول واثقل وهي قدر البنادق الموجودة في هذه الايام غير ان حديدها كان ثقيلاً قصيراً وكانت مسافة دفع كراتها قصيرة ومكان نارها يعيق احكام تصويبها . وفي القرن الرابع عشر لم تبق دولة في اوربا بدون مدافع وبنادق غير انهُ لم يظهر لها عظيم تاثير في انتظام الجنود وسائر فنون الحرب فانها لم تكن افعل من القسي الطويلة سنة ١٤٥٠ بسبب طول زمان حشوها واطلاقها وضخامتها ومصاريفها

وفي اثناء ذلك بطلت الاقطاعات العسكرية ونشأت المدن فتغير ذلك نظام الجنود . فان اصحاب الاقطاع الكبيرة كانوا اما يخضعون للسطوة المركزية كما في فرنسا او يصبحون مستقلين بعض الاستقلال كما في المانيا وايطاليا . فالامراء الذين كانوا دونهم زالت سطوتهم بالحكومة المركزية في المدن . فامست الجيوش الاقطاعية في خبر كان فنظمت جيوش جديدة من الجنود المختلفة الاجناس الذين تخلصوا من الخدمة الاقطاعية واصبحوا يرغبون في خدمة الذين يدفعون لهم اجرة . فنشأ شيء اقرب من الجيوش العاملة . ولكنهُ كان يصعب ضبط نظام اولئك الجنود الكثيري الاجناس ولم تكن تدفع معاشاتهم لهم باوقاتها فتعدوا وافسدوا في الارض فانشأ الملك شارل السابع الفرنسوي جوقاً عاملاً من عناصر وطنية اي من الفرنسويين دون غيرهم . ففي سنة ١٤٤٥ اجمع ١٥ فرقة عدد كل منها ٦٠٠ رجل مجموعها كلها تسعة الاف فارس واقامها في مدن المملكة ودفع معاشاتها في اوقاتها . وقسم كل فرقة الى مائة جوق والجوق كان مولفاً من رجل متقلد السلاح و٣ رجال متنكبين القسي رجل من الاعيان وخادم وهذا عبارة عن اجتماع الفرسان الثقيلي السلاح مع المتنكبين القسي الراكبين وكل قسم منها كان يحمل وحدهُ في الحرب . و١٤٤٨ اضاف الى ذلك العدد ١٦ الف جندي متنكبين القسي وجعل عليهم اربعة رؤساء عامين وتحت قيادة كل منهم ٨ فرق عددها خمسمائة رجل . اما الرماة فكانت متنكبة قسياً قصيرة وكانت تجمع الجنود من الدوائر الكنائسية ويعفون من الاموال الاميرية . فهذا هو الجيش الاول العامل في الازمنة المتاخرة . وبعد هذا الزمان الذي تاسست فيه بعض النظامات العسكرية اخذت الفنون الحربية وكل متعلقاتها في التقدم وما ياتي هو ملخص تاريخها . ان اكثر المشاة كانوا مستاجرين وكانوا يعتقلون الرماح ويتقلدون السيوف ويلبسون الخوذ ويتدرعون وكانوا يحاربون جماهير كثيرة بعضها قريب من البعض الاخر وصفوفها متتابعة ومتلاصقة وكان سلاحها اتقن من سلاح جنود اصحاب الاقطاع وانظم منها في الحرب واثبت . ولا ريب في ان الجنود العاملة والمستاجرة كانت الحروب مهنتها ولذلك كانت اعلم بفنونها واقدر على القيام بها من الجنود التي كانت تجمع اجابة لدعوات اصحاب الاقطاع فتبين انهُ كثيراً ما يلتزم الفرسان المتقلدون السلاح

الثقيل ان يحملوا على المشاة وهم في صف بعضهم في قريب من البعض الاخر . وكانت جيوش المشاة الخفيفة في الغالب من الرماة غير ان استخدام البندقية القصيرة في القتال عن قرب امتد . ومع ذلك كان جيش الفرسان لا يزال اهم الجيش حال كونهم لابسين الزرد على انهم لم يكونوا جميعًا من الامراء واهل الشهامة والكرامة فانهم باتوا جيشًا يلتزم في الحرب ان يحمل بانتظام بدون ان يكون متفرقًا . على ان صعوبة ادارة الافراس جعلت الفرسان يهتمون بوجود افراس اخف من افراسهم والتزم الرماة الراكبون ايضًا بان يجثوا عن ذلك . فوجدوا المطلوب في البشناق وكان منظمًا تنظيمًا عثمانيًا وهم المعروفون عندنا بالباش بزوق فانتظموا في سلك خدمة دول اوربا وبات الناس يخافونهم جدًا ولا سيما عند المطاردة . وكانت بولونيا والمجر قد اقتبستا الفرسان الثقيلة اللابس والسلاح وحافظتا على فرسانهما الخفيفة الملابس . وكانت المدافع في طفوليتها وكانوا يحملون مدافعهم الثقيلة الى ميادين الحرب غير انهم لم يكونوا يقدرون ان ينقلوها بعد ان يضعوها في مركز . وكان البارود غير جيد وحشوها بطيئًا وصعبًا ومسافة اندفاع الكرات قصيرة

وبهاية القرن الخامس عشر للميلاد وبداية السادس عشر اتيا بنجاح مزدوج لان الفرنسويين اصلحوا المدافع والاسبانيوليين وضعوا نظامًا جديدًا للمشاة . فان شارل الثامن ملك فرنسا جعل مدافعه قابلة للانتقال في اثناء القتال وتتبع الجنود الاخرى في حركاتها . ولكنها لم تكن سريعة جدًا وهكذا قد تقرر انه موسس مدافع ميادين الحرب . وكانت موضوعة على دواليب ولها افراس لتجرها وكانت احسن كثيرًا من المدافع الضخمة الثقيلة الايطاليانية التي كانت الثيران تجرها وفعلت فعلًا عجيبًا في صفوف المشاة الايطاليان حتى ان ماشيافلي كتب كتابة المتون بفن الحرب لاختراع اعمال لمنع تاثير مدافع كتلك المدافع في المشاة . وفي معركة ماريغنانو تمكن الملك فرنسيس الاول الفرنسوي من ان يكسر جنود سويسرا بحركات مدافعه لانها اوقعت الخلل في نظام الجيش بواسطة اطلاقها على جوانبه . غير ان المشاة كادوا يبطلون استخدام الرماح . فاصلح الاسبانيول البندقية الاعتيادية وسلحت بها مشاته وكانت طويلة الحديد ثقيلة تدخل فيها الكرة اذا كان ثقلها اوقيتان وكانوا يطلقونها باسنادها الى عمود خشبي . وكانت كراتها تخرق اقوى الدروع ولذلك كانت تفعل في الفرسان المتدرعين الدروع القوية فان جيشهم بات في اضطراب وخلل عندما راى ان بعضه بات يتجندل . وكانوا يجعلون مع كل فرقة من معتقلي الرماح ١٠ او ١٥ حامل بندقية من تلك البنادق وتعجب الحلفاء والاعداء بفعلها في يفلة وقد قال فرندسبرغ ان طلقًا واحدًا من تلك البندقية كان يقتل رجالًا وافراسًا . وهذه هي بداية سيادة المشاة الاسبانيول واستمرت تفوق سائر المشاة مائة سنة

وقد جاءت حرب الثورة الهولاندية بتغييرات عظيمة في نظام الجيوش فان الهولانديين والاسبانيول اخترعوا امورًا كثيرة حسنت جيوشهما . وكان من عاداتهم ان ياتي طالب الانتظام في سلك العسكرية بسلاحه حال كونه عارفًا باستعماله . ولكن تلك الحرب الطويلة التي استمرت ٤٠ سنة في بلاد ضيقة قللت عددا اولئك المتطوعين . فالتزمت هولاندا ان ترتضي بالمتطوعين الذين كانت تقدر ان تحصل عليهم من الاصحاء والتزمت بان تعلمهم وتمرنهم فموريس من ناسو هو الذي وضع القوانين الجديدة للتمرينات العسكرية في الزمان المتاخر وهو موسس نظام تعليم كل الجيش فرجع المشاة الى المسير بانتظام

واكتسبت كثيرًا بالثبات وجعلت فرقًا صغيرة . فالفرقة التي كان عددها ٤٠٠ او ٥٠٠ جندي صارت ١٥٠ جنديًا او ٢٠٠ وكان كل عشر فرق صغيرة فرقة كبيرة . وظهر ان البندقية المخترعة افضل من الحراب فبات ثلث المشاة من حاملي البنادق وكانوا يخلطونهم فان الحراب كانت تلزم عند انتشاب الحرب عن قرب ولم يخلعوا عنهم الخوذ والدروع حال كون حاملي البنادق خلعوا كل السترة . وكانت الصفوف في الغالب كثيرة لاتناسب معتقلي الرماح وكانت صفوف جنود البنادق من ٥ الى ٨ فكان يطلق الصف الاول بنادقه ويبتعد ليحشوها .

وتغيرت جيوش الفرسان تغيرًا اهم وعلة ذلك مورسس من ناسو . فراى انه لايناسب ان يقيم جيش فرسان ثقيل السلاح والدروع والخوذ فاقام جيشًا خفيفًا في المانيا والبسهم خوذة ودرعًا وغير ذلك . ولما راى انهم لا يقدرون ان يثبتوا في قتال جيش فرسان اسبانيا الثقيل قلدهم سيوفًا وحملهم غدارات . فهولاء الفرسان يقاربون الفرسان المدرعة في هذه الايام وظهر انهم اقدر من جيش فرسان اسبانيا الثقيل لسرعة الحركة وكثارة العدد وكان يمرنهم ويمرن المشاة ايضًا ونجح حتى انه اصبح قادرًا على ان يحرك الجيش في وسط القتال بتغيير طلبته كلها او بعضها . والافا ايضًا راى انه لا بد له من اصلاح حالة فرسانه فانهم لم يكونوا يصلحون الا للقتال عن قرب والمبارزات الافرادية . فبادارته تعلموا حال كونهم بدون سلاح ثقيل بان يحملوا كفرسان السلاح الثقيل واستمرت صفوفهم من ٥ الى ٨ صفوف متتابعة . وبالقرب من ذلك الزمان انشا هنري الرابع الفرنسوي جيش فرسان جديد سماه الدراغون وكانوا في الاصل مشاة ركبوا الخيول لاسراع الحركة فقط . وبعد انشائهم بسنتين اصبحوا كالفرسان وسلاحهم يصلح للفرسان والمشاة ولم يتدرعوا ولا لبسوا الخوذ ولكنهم تقلدوا سيفًا او اعتقلوا فابلاً وحملوا بندقية المشاة او بندقية الفرسان المسماة بالقرابينة . ولم تات منه الجنود الابماظن القوم بانها تاتي به فصاروا في برهة قصيرة قسمًا من جيش الفرسان وانقطعوا عن المقاتلة مع المشاة

وحافظ الفرنسويون على اسبقيتهم في المدافع فاخترعوا اختراعات جديدة . وكذلك الاسبانيول والهولانديون خففوا مدافعهم وجعلوها بسيطة ومع ذلك كانت لاتزال ثقيلة ضخمة والمدافع الصغيرة الخفيفة كانت معروفة عندهم وبالحرب التي استمرت ٣٠ سنة بداية زمان غوستافوس ادولفوس مصلح الامور العسكرية في القرن السابع عشر وكان جيش المشاة عنده ثلثاه من حملة البنادق والثلث من معتقلي الرماح وكانت بعض فرقة من حملة البنادق فقط . واخترعت بنادق خفيفة فامست الجنود لاتحتاج الى ماتسندها اليه قبل اطلاقها . واخترع ايضًا الحشو المعروف بالفشك وهذا سهل حشوها جدًا وابطلوا الصفوف المتتابعة فامسى جيش البنادق عنده ٣ صفوف فقط وجيش الحراب ٦ وعلمهم اطلاق البنادق وهم صفوف وفرق مربعة وابطل الفرق الكبيرة المولفة من الفي جندي او من ٣ الاف لصعوبة حركتها وجعلها ٣٠٠ او ٤٠٠ وقسمها الى ٨ فرق صغيرة والى فرقتين كبيرتين . فهذا النظام كسر صفوف اعدائه وكانت ٣ بعضها وراء البعض الاخر لان كرات مدافعه فعلت فيها فعلاً عظيمًا . ونظم الفرسان نظامًا قريبًا من ذلك . وابطل الجنود الثقيلة السلاح وصغر دروع الجنود فصحت حركتها خفيفة . وكان جيش الدراغون يحارب كالفرسان الاعتياديين . وصفوف الدارغون والجنود المدرعة جعلها ثلثة فقط وامروا بان لا يضيعوا الزمان باطلاق البنادق بل ان يحملوا حالاً بالسيوف فقسموا الى فرق عدد كل منها ١٢٥

رجلاً واصلح حالة المدافع وصنع مدافع خفيفة. اما مدافع غوسطافوس ادولفوس الجلدية فاشتهر امرها ولكنه لم يطل استعمالها . و بدلت بمدافع من الحديد المصبوب الخفيفة التي كانت تجر بفرسين وكان يتيسر اطلاقها ست مرات في اثناء اطلاق البنادق مرتين. وخصص مدفعان منها لكل فرقة كبيرة من المشاة . وهكذا تاسس نظام مدافع ميدان الحروب الخفيفة والثقيلة فكانت تحمل الخفيفة مع الجيش والثقيلة تبقى للاحتياط او تقام في اماكن لا تنقل منها في المعركة كلها . وظهر في ذلك الزمان ان المشاة انفع من الفرسان في الحرب . ففي معركة لبسك كان مع غوسطافوس ادولفوس المذكور ٢٠ الفاً من المشاة و١١ الفاً من الفرسان . وكان مع تيلي ٢١ الفاً من المشاة و١٣ الفاً من الفرسان . وفي معركة لوزن كان مع والنستين ٢٤ الفاً من المشاة و١٦ الفاً من الفرسان وكثرت المدافع بعد صنع الخفيفة منها . حتى ان الاسوجيين كانوا غالباً يجعلون بين ٥ و١٢ مدفعاً مع كل الف جندي . وفي معركة لخ عبر غوسطافوس ادولفوس نهراً بالاستناد الى نيران ٧٢ مدفعاً

وفي النصف الاخير من القرن السابع عشر والاول من القرن الثامن عشر للميلاد ابطلت كل الرماح وخوذ المشاة ودروعهم وقامت مقامها البنادق ذات الحراب . ففرنسا اخترعتها نحو سنة ١٦٤٠ واستمرت ثمانين سنة والرماح بيد الدول الاخر. ثم اقتبسها النمساويون وسلحوا بها كل مشاتهم ثم البروسيانيون . وبقي في جيش فرنسا جنود مستقلون رماحاً الى سنة ١٧٠٣ وفي روسيا الى سنة ١٧٢١ وفي ذلك الزمان اخترع الصوان لاطلاق نار البنادق مع الفولاذ في فرنسا واقتبسته اكثر الدول قبل سنة ١٧٠٠ . فقصر ذلك الزمان اللازم لاطلاق البنادق وحشوها وصان البارود من المطر وكان ذلك من اعظم اسباب ابطال الرماح. غير ان اطلاق المدافع كان بطيئاً جداً حتى انه لم يكن يطلق الرجل اكثر من ٢٤ او ٣٦ طلقاً في معركة . ولم تنتظم الحال ويصير الجنود قادرين على اطلاقها بسرعة الا في النصف الاخير من الزمان المذكور بعد وضع نظامات حربية جديدة والقيام بتمرينات كثيرة بوضع بنادق اخف من القديمة واختراع المدك في بروسيا لحشوها به ونشا عن ذلك لزوم تقليل الصفوف فجعلت اربعة في جيش المشاة وانشات فرق صغيرة منتخبة لرمي كراة صغيرة محشوة بارودا الى صفوف الاعداء فباصلاح البنادق بطل ذلك وصارت تلك الجنود كسائر العساكر المتقلدة الاسلحة النارية

واستعملت البنادق المضلعة من داخل في معارك حرب الثلاثين سنة . واخترعت في ابسك سنة ١٤٩٨ فادخلت بين اسلحة الجنود الاعتيادية وحملها اعرفهم باطلاق الرصاص . غير ان جيوش دول اخرى لم تحفل بها . وكان عند النمسا في الايام المذكورة جنود مشاة على جانب عظيم من الخفة من اهل كرواسيا والسرب وكانوا غير منظمين وكانوا ينفعون الدولة في مطاردة الجيوش وشن الغارات على انهم لم يكونوا يقدرون ان يقابلوا الجنود المنظمة في المعارك الاصولية . وانشا الفرنسويون والهولانديون جنوداً مشاة مثلهم للقيام بتلك الاعمال وخففت كل الدول سلاح الفرسان . ولم يحافظ المدرعون الا على الخوذ ودرع الصدر وابطل الفرنسويون والاسوجيون هذه الدرع ايضاً . واخرت تنظيمات المشاة وسرعة اطلاقهم للاسلحة بالفرسان وظهر انه لا نفع بحملهم على المشاة بالسيوف وتقرر في العقول انه لا سبيل الى مقابلة صفوف مشاة وهي تطلق النار بالسيوف فعلم الفرسان بان يقاتلوا بسلاحهم الناري المعروف بالقربينات حتى انه كثيراً

ما كان صفان من الفرسان يتقاتلان باطلاق النار كانهم مشاة . ومن اعمال ابطال الفرسان عندهم ان يحمل الفارس على العدو فلا يبقى بينهما غير نحو ثلاثين ذراعًا و يطلق سلاحهُ ثم يعود . اما شارل الثاني عشر فحافظ على قاعدة سلفهِ فان فرسانهُ لم يقفوا ليطلقوا سلاحهم بل كانوا يحملون بالسيوف على صفوف المشاة والفرسان والمدافع والحواجز وكانوا يفوزون على الدوام . وحذا الفرنسويون حذوهُ وعند ذلك جعلت صفوف الفرسان ثلاثة بعد ان كانت اربعة وعول الجميع على تخفيف المدافع واستخدام الحشو المعروف بالفشك لها واطلاق قطع صغيرة كثيرة منها دفعة واحدة . وحدث تغيير جديد مهم بضم جنود المدافع الى سائر الجنود . فان جنود المدافع لم يكونوا قبل ذلك جنودًا مع ان المدافع كانت للحكومة فان الناس كانوا يعتبرون اطلاقها من صنائع اليد . ولم يكن للضباط رتب في الجيش ولكنهم كانوا كاصحاب الحرف وكان مسعفوهم كالمستخدمين عندهم . وفي الزمان المذكور قسمت جنود المدافع الى فرق كسائر جنود الجيش وضباطهم كضباطهِ . فهذا الاصلاح فتح ابواب فن المدافع

وثم بدل الصفوف الكثيرة بصفوف قليلة والرماح بالبنادق واهمية الفرسان باهمية المشاة عند شروع الملك فردريك الكبير البروسياني في حروبهِ فوضع فن القتال بالصف وجعل جنود المشاة عندهُ مولفة من ٣ صفوف اي انهُ عند القتال تقف ثلثة صفوف الواحد وراء الاخر وعلمها بان تطلق بنادقها ٥ دفعات في الدقيقة . ففي معاركهِ الاولى في مولوتز امتد جيش المشاة صفًا ودفع بسرعة اطلاق مدافعهِ حملات الفرسان النمساويين الذين كانوا قد كسروا فرسانهُ وشتتوا شملهُ . و بعد ان تم دفع الفرسان حمل المشاة على مشاة النمساويين وكسروهم

فاصبح النصر لفردريك . ولم يكونوا يولفون مربعات اي قلعًا لدفع حملات الفرسان في المعارك الكبيرة وحصروا ذلك في دفع الفرسان الكابسين والجيش يسير . وانشا فردريك المذكور جيشًا غير منتظم لمحاربة جيش النمسا الغير المنتظم وكانوا مشاة وفرسانًا . ولكنهُ لم يكن يتكل عليهم في المعارك وقد استخدمهم فيها . وكان ينتصر ببطء تقدم الصفوف المطلقة البنادق والفرسان الذين اهملهم سلفاؤُهُ قلب نظامهم وجعلهم صفين فقط ومنعهم كل المنع عن اطلاق البنادق الا عند مطاردة العدو المنكسر . فالفرسان الذين كانت قد قلت اهميتهم نظموا احسن تنظيم في زمانهِ وكانت كل حركاتهم تجري ركضًا بصف . وباجتهادات سولتز اصبحت فرسانهُ اقوى فرسان زمانهِ بل اقوى الفرسان التي سبقتها . ولم تفز الدول الى الان بان تجعل فرسانها ممتازة عن فرسانهِ بجسارتها في الركوب وانتظامها مع قرب بعضها من البعض الاخر وحملاتها السريعة ورجوعها السريع الى الانتظام . وخففت المدافع كثيرًا . وكانت الكبيرة لا تزال ضخمة غير منتظمة لا تحرك الا بصعوبة . اما المدافع الخفيفة التي كانت مع الفرق فكانت تقام امام صفوف المشاة على مسافة ٥٠ خطوة وكانت تتقدم بتقدم المشاة بجر الرجال لها وكانت كثيرة فانهم جعلوا من ٣ الى ٦ مدافع مع كل الف رجل . ونظمت المشاة والفرسان بتقسيم جيوشها الى فرق صغيرة وفرق كبيرة . ولم يكن لهم عظيم نفع في القتال لان كل صف كان يقاتل وهو في مكانهِ . اما الفرسان فكان كل قائد فرقة يلتزم حينًا بعد حين ان يدير جنودهُ بحسب رايهِ وذلك عند الحمل ولكن قواد فرق المشاة لم يلتزموا بالقيام بذلك فان القائد العام كان ينظم الصفوف و يعين مراكزها فتبقى فيها . واصبحت الاحوال القديمة كثيرة بتنظيم الجيش للقتال بوضع المشاة في القلب صفين

والفرسان على الجناحين بصفين او ثلثة صفوف . وهذا انسب من نظام الجيش الكثير الصفوف القديم وكان الجيش كله يقدر ان يقاتل غير ان ذلك حصر الجيش في مراكز معينة . فتغيير نظام فرقة او مدفع يوثر في الكل . وفي المسير كانوا يرتبون كل شيء بحيث تقدر كل فرقة ان تحل في مركزها للقيام القتال اولان تحل بدون قتال . ولذلك كانت لا تقام حركة الا بتحرك الجيش كله . لان ابعاد جناح واحد منه للهجوم على جناح جيش العدو واذا كان قليلاً ما لم يكن يتيسر مع بطء حركة الجيش الذي لم يكن يصلح الا للقتال بصفوف . وكانت الخيم تتبع الجيش على الدوام وتضرب كل ليلة وكانت تطعم من مخازن وبالجملة نقول ان مهماتها وزادها كانت كثيرة جداً تعوق حركات عاقة ليست بمعروفة في هذه الايام . ومع ذلك كان نظام فردريك الحربي انظم من كل نظامات ايامه وكانت تجمع الجنود في اكثر البلدان بالتطوع وبسرقة الفتيان ولم يجمع جيشاً من الولايات بالقوة الا بعد ان هلك كثيرون من جيشه والتزم بان يقوم بذلك

ويتبع هذا الكلام وصف حالة الجيوش بعد الثورة الفرنسوية الى يومنا هذا فتركناه لجملة اخرى

نبذة تاريخية في الحراثة

(من قلم الخواجا عزيز خلاط)

ان من اسباب التقدم والنجاح والثروة والعظمة والفلاح صناعة الحراثة التي طالما وجدنا التهاون فيها مع انها غنى للبلاد وحيوة للعباد وقد عرفها العلماء بانها علم او صناعة موضوعها تكثير النبات والحيوان الضروري لسد الاحتياجات الطبيعية على نوع توفيري للحيوة الانسانية ولما كانت الفلاحة ينبوع الثروة كما عرفها احد المشاهير كان من اللازم التفحص والتفتيش على تاريخ ينبئنا عن اصلها بديئاً لانها تزين صحفه بما حوته من المنافع العمومية لانها تاتي البلاد بالعمران ومن جد في سبيل الفحص في ذلك الينبوع الاصلي يسقط سهمه دون الغرض اذ ان من المعلوم هلاك اصل الحراثة بحبوش القرون المظلمة فبات مفقوداً في الازمنة الماضية بنعاب دجى الاعصر المدلهمة كما تقدم . اما الاولون فكانوا رعاة وقوماً رحّلاً لا يبالون بحراثة وطنهم وبلادهم ومازالوا كذلك حتى تكاثر عددهم فاصبحوا في احتياج عظيم اليها فتداركوا الامر بحراثتهم الارض وسلكهم في الهيئة الاجتماعية فتعاظم حينئذ امر الحراثة حتى اقيمت مذابح لمكتشفي ذلك العمل المفيد كاوزيرس ومارات وتربتولام وجانيس ونيا الذين نظموا في سلك المعبودات عما اظهروه من الخدامة الحارة لحراثة وطنهم وبلادهم . اما المصريون فكانوا الاولين باكرام هذا العمل المفيد حتى توجه على الفضائل باسرها وكان يبقى عندهم من الماء الجاري من طوفان النيل حيث كانت حراثتهم على شاطئيه فيا لها من شهرة قد اكتسبتها تلك السقاية عندهم ثم ان معرفة الحراثة اخذت من المصريين اولاً ومنهم امتدت معرفتها الى بلاد اليونان منذ هاجر اليونانيون بلادهم قديماً وذلك بعد ان هاجر المصريون بلادهم عدة امرار في اماكن مختلفة وحينئذ دخلت تلك الصناعة اسيا وافريقيا والصين ومن اليونانيين والفينيقيين ظهرت في ايطاليا وعلى حدود غاليا حيث ان الرومانيين اخضعت تلك البلاد وادخلت الى تلك الامم البربرية تمدن شعوبها السامية وهكذا اخذت تلك المعرفة بالانتشار رويداً رويداً بحسب ما تنبئنا الرواية التاريخية المحفوظة والمعتبرة هذا ومن المعلوم بان ظروف مناسبة واحتياجات جمة جعلت الناس تحرث بزمان ووقت واحد في محلات عديدة من الكرة دفعة واحدة حيث

ساترنوس علم بدئياً لاهل المغرب الحراثة واذا كنا نصدق التاريخيين الصينيين يلزم ان نحكم حسب تقريرهم بان الحنطة حرثت في بلادهم سنة ٣٨٢٢ ق م . اما دخول الحراثة الى بلاد الرومانيين فكان باجتهاد كانون وفادون وكوليمال وفيرجيل وبلاين وبلاديوس اذ انهم اتوا باعظم تفصيل عن كل اقسام هذا العمل الجليل ومن زمان روميلوس ما كانت الرومانيون تعرف قبلاً ما هية الخبز وتعلموا بعد ذلك من نيا ان يطبخوا الحب وان ياكلوه برغلاً اما الحراثة فقد تكرمت واستعملت باكثر كثيراً من سكان رومية الاولين وكانت تفلح الاراضي عندهم بالحراث المجرور بالثيران حتى ظهر في بلاد غاليا عمل سهل وذلك كانوا يضعون الحراث على الدواليب فيسهل عملهم اما الاراضي فكانت تزرع عاماً واحداً وتبقى في الراحة في العام التالي وكان انفع شي لها السواد حتى انهم كانوا يجدون في طلبه وكانوا يدفنون النبات الاخضر في الارض ليتخمر ويقوم مقامه وقد تعاظم امر الفلاحة حتى صار الينبوع الاصلي لثروة الرومان وفي عصرنا هذا اذا طفنا في فرنسا وبريطانيا والمانيا نجد في كل صقع منها بقايا الحراثة الرومانية القديمة التي هي محفوظة رغماً عن التقلبات العديدة من الزمان الذي آلت به تلك الدولة للاضمحلال ومن المعلوم ان من تاريخ تسلط البرابرة صار اهمال الحراثة من المحلات العمومية من القارة الاوروبية الا من الكهنة التي كانت تحفظ ما يصنع قديماً بالتقليد ومع ذلك ما تعاظمت الا من القرن الرابع عشر الى الخامس عشر حيث اخذ طريقها في الافتتاح بغيرة الامراء والاهالي اجمالياً فمن ثم فتحت مدارس في اكثر اوربا للتعليم تلك الصناعة المهمة فلنا الرجاء نحن ايضاً بان نجد في بلادنا السورية مدرسة زراعية بغيرة وحمية محبي الوطن اذ اننا في انور زمان وبظل دولة اعظم سلطان ادام الحي الموجود شوكته مدى الدوران ما اشرق نجم في الزرقاء وازهر زهر في الخضراء

حب الوطن من الايمان

(من قلم المعلم سليمان غزالة البغدادي)

لو سالنا التاريخ عن سابق احوال وطننا هذا لاطلعنا على شيء من الجمال الذي كان عليه اذ كان قد حصل على جمهور من اولي الفضل الفلاسفة الذين باجتهادهم جعلوه سامياً في الفضل والعلى على الاقصى والادنى مما سواهُ . حيث ان فيه صار ينبوع العلوم والاختراعات والاكتشافات ثم فاض هذا الينبوع سارياً فعم الاوطان كافة . واذا تصورنا وطننا على هذه الحال حق لنا الافتخار به ولكن هل يمكننا ذلك وقد قال من قال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما
فخار الذي يبغي الفخار بنفسهِ

فالحق يوجب ان لا نذكر من ذلك شيئاً لاننا قد سلبنا ونضينا عن وطننا جماله ولم نبق عليه شيئاً ثم كيف لا نخجل اذا اجبنا عن ذلك بقولهم

ان الفتى من يقول ها انا ذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

فلا اظن انهُ يوجد من اولي الفطنة من ابناء الوطن من لا يقر بانا في تاخر وانا متقاعسون غاية عما يتعلق بتقدم وطننا . فلهذا قد حركني حبي وطني امرارًا لنشر خطاب بهذا الخصوص وعلمي بمنزلتي يصدني عن ذلك ويثبطني عما هنالك . اما الان فقد اطلقت عنان براعتي قاحماً اعظم الامور رجاء النصرة من فرسان ارباب هذا الميدان ومحبي التقدم فاني اقول . ليس من شيء يعمله الانسان الا ويبتغي به التقدم والنجاح والخير والصلاح . ولا يبتغي ما لا يومل منهُ خيرًا ومن لم يكن كذلك كان خليقاً بان

لا يسمى انسانًا. فلهذا يجب علينا دائمًا ان ننظر في امرنا ونقلع كل ما من شانهِ منع نمو اعمالنا خصوصية كانت ام عمومية اما الخصوصية (اي الذاتية) فقد اعتنينا بها اعتناء زائدًا حتى لقد اهملنا العمومية (اي الوطنية) وهي الان في تاخر كلي. فلنلاحظنها اذًا بعين العدل متفكرين بان التقدم الوطني هو الذاتي عينهُ حتى لا نبقى قليلي المروة

ونقول ان التقدم الوطني هو متوقف على ثلثة امور. وهي المحبة والعلم والصناعة. فالمحبة بحمده تعالى قد حصلنا على شيء منها فلا نعترض عليها. واما العلم فتقدمهُ الطلبة والمدارس والمطابع. اما الطلبة فيلزم ان تكون غاية همهم مجردة لان يتنوروا بالعلم لا لغاية ما غير تلك فيقدمون ويوخرون حسب غاياتهم ويهملون ما بهِ الفائدة. وانا نرى ان طالبي العلم منهم اثنان. الاول وهو من اراد بمدة يسيرة ان يحصر المعارف باسرها. فيكتفي من العلم باسمهِ وبمعرفة اشهر اصطلاحاتهِ لان غاية مرادهِ وجل مقصدهِ اما الترأس او ليكون معلمًا ثم انهُ ان نال مقصدهُ اخذ حينئذٍ يدرس ويطالع فيحصل على المقصود من العلم والا تركهُ ولم يعد يتعرض لهُ لانهُ لم يعلمهُ. اما الثاني وهو من اقتصر على القراة والكتابة ام تعلم لغة ما غريبة فغاية اربهِ بينة وهي اما ان يكون ما تعلمهُ حرفة لهُ او وسيلة لقضاء اشغالهِ وهذا اذا لم يرَ نفسهُ انهُ يحسن كتابة اسمهِ او قراة شيء من الكتاب ولو كان عن ظهر قلب او التلفظ باللغة الغريبة اسرع موشرا اباهُ فاخذ هذا المربي المنتظر المساعدة او سعادة من ابنهِ يجول مفتخرا بهِ بين اخوانهِ واقاربهِ ومن يرجو المنزلة لهُ عندهم. ثم انهُ ان وجد لهُ شغلاً اولاً اخرجهُ من المدرسة وذلك اولاً لئلا يودي مصاريفها عبثًا وثانيًا ليلا يقال عن ابنهِ انهُ لم يكمل العلم بعد فيخجل ذلك بشرف عليتهِ. اما الولد فانهُ اذا راى ان دائرة عقلهِ قد احاطت بنقطة المعارف في زعمهِ وتاكد لهُ ذلك من امتحانهِ نفسهُ بنفسهِ وشهادة ابيهِ لهُ خلع عنهُ ثياب الجهل اي ثياب الشرقيين ولبس حلة التمدن اي اللبس الافرنجي (وذلك بدون داعٍ) واخذ بيدهِ قضيبًا يحيي بهِ من حياهُ. وهذا ايضًا يفقد ما اكتسبهُ اذا اصاب بهِ رزقًا والا تركهُ لانهُ لم يعلمهُ. فاذ راى ان ما تعلم لم ينفعهُ في المعاش سلك سبيل اكتساب الصناعة واقبل مسرعًا على احتراف الحرفة حتى اذ دخل حانوتًا لابيهِ او معلمًا ما صار يكره مطالعة كتاب او جريدة ليزداد ما كان قد كسبهُ فانهُ لا يريد ان يجمع بين الصناعة والعلم. فترى ان هذا الذي يرجى تقدم دائرة الصناعة على يدهِ قد هدم أس المعارف الذي شيدهُ في المدارس بصرف اوقاتهِ في الطرب واللهو واللعب وقضاء لياليهِ في القمار وما اشبهه واذا دعاهُ احد للتعليم اجاب ان الجمل لا يصير قزازًا. وهو اذ ذاك بالسن الذي قد خص بالتعليم. وان الصناعة تقدمها متعلق بتنور عقول اربابها وقد علمنا حالهم مما سبق. وعدا ذلك انا نرى ان اكثر الصناع مهارةً عندنا هو من بخست قيمة معمولاتهِ. واشهرهم هو من اخترع حيلة ما لغشها. واجراهم من خسر تعبهُ كي لا ينتفع غيرهُ ولا يمر يوم الا ونرى كثيرًا من الاساتذة الذين يفتحون الدكاكين ولا ندري اين ومتى تعلموا. وهولاء تقوم بالشهادة في حقهم السن من راعوهُ وسامحوهُ ببيع سلفهم. ونرى ان كلا من الجميع قد استعمل صناعتهُ وسيلة للتوصل الى خيرها الاعلى لانهُ اذا ما راى نفسهُ اقتدر على شيء وتمكن من البيع والشراء ترك مهنتهُ ولحق بالتجارة

فاذ قد تقرر ذلك فلننظرن اذًا سبب هذا الانقلاب والتاخر. فنقول لا يقع شيء في يد الكساد

الا لكساد سوقهِ ولا تنفق السوق الا بدخول اصحاب الرغبة المقتدرين فيها فاذا عرفت ماذكرنا فانت اذاً تعلم بان هذا الانحطاط في اسعار بضاعة علمنا وصناعتنا ليس لهُ داعٍ الا رقة حال طالبيها وتقاصر اصحاب اليد الطولى عنها . فلماذا هذا التجنب لعمرك وانا لا نراهم مقتدين بالغربيين في جميع امورهم ولكن لم ياخذوا عنهم المعاطاة في المدارس والمطابع والمعامل وهي التي اغنت الاوربيين وغيرهم والبستهم وطنهم حلل الفخر . فلا ندري ان قلنا ان ذلك يخل بشرف من انتزع عنهُ اسم المتاجرة ولقب بمدير معمل او مدرسة . فالاقتداء بالغربيين لا يسمح لنا بذلك لانهم يكرهون التجارة طبعاً ولا اشرف من الصناعة والزراعة عندهم . وان قلنا انا مكتفون بما عندنا . فنكذب . فان العلم قد سبق القول عنهُ . واما الصناعة فان الفقراء منا لا يرغد لديهم العيش اذا لم يكتسبوا بمصنوعات الافرنج . واما اغنياؤنا فمن المحال ان نجد في بيوتهم شيئاً من مصنوعاتنا لا بل اعظم اطعمتهم هي افرنجية . وان قلنا انهم اضربوا عن ذلك طمعاً بارباح حاصلات ارضنا التي يرسلونها الى الغرب من المصنوعات الظريفة التي ياتوننا بها . لكان مثلنا في ذلك مثل الكردي الذي ياتينا ليبيع ما عندهُ من الشهد فنراهُ لا يختار من عندنا الا الدبس لاجتماع اللذيذين فيهِ اي الحلاوة والحمرة التي تبهج نظرهُ فلا يمكننا الا ان نقول ان المحبة الذاتية قد اخذت بمجامع قلوبهم وتغلبت عليهم فحذراً من تقصير يقع فيهِ اهملوا المحبة الوطنية وتركوها لعهدة الفقراء . لا نناك نراهم يصرفون ما يقيم معملاً او مدرسة على تزيين مساكنهم وتشييدها ولا يسمحون بدفع مساعدة ما حباً في التقدم فيا ابنا الوطن العزيز كيف نرجو الحصول على ما حصل عليهِ اسلافنا واي تقدم نومل وانا كما تشاهدون فلعمر الله ان كانت هذه الحال حالنا فاحرى بنا

ان نقطع الرجا وندع وطننا يتباهى باثر من سوانا ولكن رهيناً لافضال الغير اذ لولا هم لما استرحنا الى الان من مشقة استنساخ الكتب فضلاً عن التاليف الحديثة التي قد شحنوا بها مكاتبنا وكتاتيبنا . ولنعللنَّ انفسنا الان بوجود من قد ذاق حلاوة العلم بيننا فانهُ لربما يكون النجاح على يدهِ

هذا واني ارغب من ابناء وطني ان ينظروا الى خطابي هذا بعين المحبة ويسدلوا حجاب الصفح على ما وقفوا عليهِ من الزلل . ويقيموا ويسددوا ما راوا فيهِ من الاود والخلل وليعلموا اني لست انكر وجود بعض العلماء في بلدتنا ومن لهم الغيرة السامية والحمية الوافية بيد اني ارى ان اجتهادنا هذا ليس بكافٍ لا لدفع اندثار العلوم بالكلية (اي لنبقى على حالنا) ويتضح ذلك جلياً لمن قابل اهتمامنا تنامع الغير . فلينصف حينئذ منا الاديب وليبشر من احب العلم والتهذيب

تاريخ فرنسا

الى الصورة المؤثرة ثم نظر الى المصور وقال لهُ يا سيدي دافيد هذا متقن انهُ متقن جداً . فانك قد اصبت بوضع الامبراطورة وامي والامبراطور وقد جعلتني طالاً فرنساوياً وقد سررت لانك صورت ما يبلغ اهل القرون القادمة من رغبتي في اظهار حبي للامبراطورة . ثم تقدم اليهِ خطوتين وكشف راسهُ واحنى جسمهُ كثيراً وقال يا سيدي دافيد اني اسلم عليك . فلما سمع المصور ذلك حملهُ حذقهُ على ان يقول يا مولاي اني اقبل مدح حضرتك بالنيابة عن كل اهل الصناعة في الامبراطورية وقد سررت لانك قد تنازلت وجعلتني مشرفاً بان اكون الواسطة التي بلغت ذلك اليهم . انتهى . وبعد ذلك علقت هذه الصورة في معرض اللوفر وزارهُ مرة ثانية معيناً زمان الزيارة واجتمع عندهُ بكل تلاميذهِ . ومنح الذين امتازوا نيشان اللوجيون دونور وجعل موسيو دافيد من حاملي النيشان المذكور من رتبة قائد

هذا ولا يخفى ان الثورة الفرنسوية قلبت تخت مملكة البوربون التي كانت موسسة على اساسات الامتيازات وانشات تختاً عمومياً مجده اعظم من مجده . والظاهر ان من ضروريات المملكية او الامبراطورية ان تكون محاطة بقوم من اهل الامتياز اما نابوليون فكان امبراطوراً عاماً فان الامة النخبة فاشغل نفسهُ في ترقية اسباب صوالحها وبعد ذلك اظهر حذقة وتدبيراتو في سبيل وضع امتيازات عامة وربما كان الفوز بالمرغوب متوقفاً على مجانبة جعل الامتيازات ارثية . وكان نابوليون يرغب في ان يجعل عرشهُ محاطاً بعيال كريمة عظيمة لازدياد عظمة الهيئة الاجتماعية الفرنسوية بدون ان تلحق ضرر بقواعد المساواة الجمهورية . وظن انهُ يقدر ان يفوز بالمرغوب بالسماح لاهل الحذق والنشاط والدراية والمعارف والاهلية بالوصول الى امتيازات مكافاة على خدمتهم ونفعهم بدون ان تكون لهم امتيازات مهمة ارثية . وكان يقدر ان يلقب الذين اقاموا باعمال ثابتة الذكر بالقاب لا يمحى ذكرها . وهكذا كان اهل الامتياز الذين نالوه بواسطتهِ يفتخرون بالقاب منسوبة الى اعمال عظيمة في ميادين الحرب في ريفولي وكاستلون ومونتيبلو واورستاد وايلو على ان القدماء من اصحاب الامتياز كانوا يحتقرونهم لانهم كانوا من نسل امراء قدماء . وكان كثيرون من الذين هم محتقرون في الاصل يكدون ويجتهدون في سبل المعارف والعلوم ويسهرون الليالي و يفوزون بالنجاح والشهرة ويبلغون اعلى المناصب ويحصلون على ثروة عظيمة ومع ذلك كان الامراء يحتقرونهم ويضادونهم ولو كانوا في حالة دون حالتهم بدرجات كثيرة وقد قال نابوليون عن ذلك ان الامتيازات هي فعلاً عضد المملكية وبدونها المملكة كمركب بدون دفة او هي مركبة هوائية في الهواء . اما الامتيازات القديمة فهي الاصح عضد . فقوتها في قدميها ولم اقدر ان اقوم بذلك وهو وحدهُ ما عجزت عن انشائهِ . فالمساواة المعتدلة لا تطلب اكثر من تقرير سلطان واحد للجميع ومن اصابة هذه الازمان ان تستخدم بقايا اهل الامتيازات القديمة مع هيئات المساواة وروحها وكان من الاصابة استخدام الاسماء القديمة التاريخية وبذلك نلبس جسمنا الجديد ثياب سلفائنا . وكنت قد قررت هذه الامور في افكاري غير انني لم اتمكن من سنوح الفرص المناسبة لانفاذ ذلك وهو هذا ان يكون كل من هو من نسل مرشال قديم او شيخ متهكناً من ان يسمى دوقاً بقرار الحكومة اذا اثبت بانهُ حاصل على ثروة كافية لذلك وان يلقب بكونت الذين هم من نسل قائد او والٍ . فهذا يقدم البعض ويحرك امال الاخرين والغيرة بالجميع بدون ان تلحق ضرر باحد . فهذه كلها القاب جميلة ولكنها لازمة لسياسة الناس . فالامم القديمة المتسعة لا تساس كالامم البسيطة الفاضلة . فاذا وجد في هذه الايام رجلاً واحداً يضحي صوالحهُ لقيام الخير العام نجد الوفاً بل ملايين الذين لا يهتمون الا بصوالحهم وكبريائهم ولذاتهم . فالمجنون يحاول اصلاح امة كتلك الامة في يوم . وحذق الصانع الصحيح هو في ان يستخدم جفلاً لاستخدام المواد التي يشتغل بها وان ينتفع بالمواد التي يظهر لهُ في بادي الامر انها اعظم ضد لهُ . فهذا هو سر الرتب والنياشين والالقاب ولا يرافقها غير تعب قليل مع ان صعوباتها كثيرة . ففي التمدن الجاري في ايامنا تصلح للحصول على اعتبار الناس وتنفع نفس حامليها فانها ربما كانت تجعلهم يبتعدون عما يرونهُ لا يليق بهم بها رضى كبريا الضعفا المغلوبين بدون ان تكدر الاقويا العقول . انتهى

هذا ولا يخفى انهُ لا سبيل الى جعل اتحاد بين المساواة الجمهورية والعظمة الامبراطورية على ان نابوليون بات في ظروف لا تقدر حكمة بشرية

ان تخرج منها . وكان قد تأكد ان فرنسا لم تكن قادرة ان تخضع لحكومة جمهورية صحيحة والشاهد الاضطرابات والمظالم التي جرت فيها في عشر سنين . غير ان نابوليون اخذ في ان يجمع كل السلطان في يده وان يجعل عرشهُ محاطاً باصحاب امتياز بالارث . ومع انهُ كان يفرغ كل جهده في سبيل تقرير راحة الاهالي وسعادتهم كان قد شرع في وضع اساس لحكومة مطلقة . والظاهر انهُ كان قد تقرر في عقلهِ انهُ لا يوافق انشاء اصحاب امتياز بالارث . وفي ذات يوم قال اوميارا لنابوليون ان الناس متعجبون لانهُ لم يقم دوقاً في فرنسا مع انهُ كان قد اقام كثيرين في الخارج . فاجاب لو اقمت بذلك في البلاد الفرنسوية لتذمر الاهالي كل التذمر فلو جعلت احد المارشالية دوق بوركون لاضطرب اهالي بوركون وتذمروا لان ذلك يجعلهم يتوهمون ان صاحب هذا اللقب قد فاز بحقوق امتيازية وحصل على اراض في وطنهم والامة تكره الامراء وكل ذي امتياز حتى انني لو جعلت احداً ممتازاً امتيازهم لتذمر الناس قاطبةً ولم اكن اتجاسر على فعل ذلك ولئن كنت قوياً جداً اما اصحاب الامتيازات الجديدة فاقمتهم لاهدم بهم اركان تلك الامتيازات الفعلية المهمة القديمة . وكان اكثرهم من عامة الناس فان الجنود كانوا يرون انهُ يحق لهم ان يعلقوا الامل بالوصول الى منصب الدوقية اللقبية وعندي انني اخطأت في ذلك لانهُ اضعف مباني المساواة التي كان الاهالي يسرون جداً بها ولو اقمت امراء او دوقيين باسماء فرنسوية اي جعلتهم مضافين الى اسماء اماكن لظن القوم انني راغب في ارجاع الامتيازات الفعلية القديمة التي تجعل اصحاب الامتيازات السادة والاهالي العبيد مع ان ذلك سخط طالما وقع على الامة . انتهى

ما سطوة نابوليون فكانت مطلقة وقيد الى ذلك بالضرورة مراعاة لاحوال لم يكن يقدر ان يتغلب عليها . وكان في احتياج الى سطوة مطلقة ليتمكن من دفع الاعداء الكثيرين الذين كانوا يحيطون بفرنسا ليسلبوا استقلاليتها . وكان كل من عرف الاحوال في فرنسا يدرك ذلك وما من احد يقدر ان يقول انهُ استخدم تلك القوة المطلقة لترقية اسباب مجد فرنسا وسعادتها وليس لنفع صوالحهِ الخصوصية وما يأتي هو ما قد قالهُ عن نفسهِ

كنت قد انشأت حكومة متحدة كل الاتحاد تقوم باشغالها بسرعة لا مزيد عليها حال كونها قادرة على القيام بمهام عظيمة . وكان ذلك وحدةُ الامر اللازم للتغلب على الصعوبات العظيمة التي كانت تحيط بنا وللاتيان بما يكاد يكون من المعجزات . وكان نظام الولاية واجراآتهم ونشاطهم ونتائج اعمالهم من الامور المدهشة وسرى نشاطهم وحميتهم الى اكثر من اربعين مليوناً من الناس وبمساعدة تلك المراكز الاقدامية كانت حركة الاشغال سريعة في جميع اطراف الامبراطورية كما كانت سريعة في مركزها . وكان الغرباء الذين يزوروننا يتعجبون من نظامنا وكانوا يقولون ان سبب النتائج العظيمة هو وحدة الاجراآت الجارية في مكان متسع جداً . وكان كل والٍ مع سلطانهِ ومتعلقاتهِ المحلية كامبراطور صغير . وكانت كل قوتهِ من الحكومة المركزية وكل عظمتهِ من مركزهِ السياسي لانهُ لم يكن لهُ علاقة طبيعية ولا ارثية في المكان الذي كان يحكمهُ ولذلك كان لنظامنا كل المنافع التي تكون في حكومة امتيازية بدون ان يكون فيها شيء من مغايرتها . وكان من اللازم ان يمنحوا تلك السطوة فانني وجدت نفسي حاكماً مطلقاً بواسطة الظروف وضرورة الاحوال فكان لا بد من ان تكون كل الينابيع الصغيرة مستندة الى القوة العظيمة المركزية المحركة لتكون

اعمالها موافقة لها . انتهى

ولا يقدر احد ان ينكر على حكومة فرنسا في ايام نابوليون الضبط والاهلية وقد تقرر عند الجميع ان فرنسا التزمت ان تقوم بها بواسطة هجمات الاعداء الغير المنقطعة . ولا ريب في ان ذلك هو الذي مكن نابوليون من ان يفوز على اعدائهِ المتحدين عشرين سنة . فلما رات فرنسا المخاطر التي كانت تحدق بها سلمت نفسها الى حاكم مطلق تركن اليهِ ووضعت في يدهِ سطوة غير محدودة

فاقام نابوليون بذلك بنشاط وصداقة وافرغ جهدهُ ماديًا وعقليًا في سبيل ترقية اسباب صوالح فرنسا وكان خطاؤهُ احيانًا نتيجة الطمع في الحصول على ما يعود عليها بالنفع والمجد . وكانت سطوتهُ مطلقة كسطوة الاسكندر وكان امبراطور روسيا مالك الامراء ونابوليون مالك الاهالي المنتخب بارائهم . وحصر في نفسهِ كل سلطان فانهُ انتخب اعضاء مجالس الشورى ومجالس النواب والمجلس القضائي وعين كل القواد والضباط في الجيش والبوارج وكان يعين اما راسًا واما بواسطة مامور بهِ جميع الضابطين والقضاة وماموري الرسومات والاموال الاميرية وخدمة الدين والاساتيذ في المدارس الابتدائية والعالية والعمومية وماموري البُرد والطرق والابنية والترع والقلع وغيرها . وفي ذات يوم اخذ يقرا ما قررهُ غولدسمث من الطعن فيهِ في تاريخهِ فوجد انهُ متهم بكل شر وارتكاب واثم فالقى الكتاب بجانبهِ وقال بتانٍ وهدوٍ فليجدفوا وليلتقوا فانهم سيجدون صعوبة عظيمة في حمل العالم على قطع النظر عن اعمالي فان المورخين الفرنساويين لا يقدرون ان يقطعوا النظر عن الامبراطورية فاذا كانوا ذوي صدق قليل فلابد من ان يعدلوا في الكلام عني فان لسان حال الحوادث والاعمال يتكلم عني وهي ظاهرة كالشمس

فانني اغلقت ابواب الظلم والاضطراب والتعدي وقطعت الارتباك واظهرت الثروة ورفعت شان الامم وانشات ما لك ورقيت اسباب كل فضل واجزت كل مستحق ووسعت دوائر المجد فهذا مما يستحق الذكر . فماذا فعلت يا ترى حتى لا يقدر المورخ ان يدافع عني هل تعجز عن المدافعة عن نواياي حال كوني اقدر ان ابين لها مسوغات مع انها لم تخرج من القوة الى الفعل . هل يطعن في ظلمي حال كوني اثبت ان الحكومة المطلقة لازمة جدًا . هل يقال انني قيدت الحرية ولسان حال الامة يشهد بان الفساد والظلم والاضطراب كانت لا تزال تفعل في ميادين الحرية . هل اتهم بمحبة الحرب ومن الموكد ان العدو كان يشرع فيها في كل زمان . هل اتهم بانني كنت قاصدًا الوصول الى الملك العام حال كون الحوادث تشهد بان الاحوال سهلت لي السبل الى ذلك فان الاعداء قادوني اليهِ شيئًا فشيئًا . وهل الام لانني كنت اطمع وانا اقول انهُ لابد من ان يسمح لي بان اكون من الذين يطمعون في الكثير غير انني كنت اطمع في ما يفتخر الانسان اذا طمع فيهِ فانني طمعت في انشاء قواعد الادراك والتمييز والتمتع بكل القوة البشرية . فلا ريب في ان المورخ يتاسف اذ يرى انني لم اتمكن من الحصول على كل ما طمعت فيهِ من ذلك فانهُ نافع للعالم . فهذا هو تاريخي بكلمات قليلة . انتهى

ومن الامور التي قد اجمع اكثر المورخين عليها وقالوا انها من معجزات نابوليون قيامهُ بكل الحروب العظيمة التي اقام بها حال كونها عظيمة جدًا بدون ان يعقد قرضًا ولا ان يستقرض بارة ولا ان يقطع حوالة وفي نهاية دولتهِ ترك في مخازن النقود في قصرهِ مبلغًا وافرًا كان قد وفرهُ لصرفهِ في سبيل الخدمة العمومية من المعين للاحتفالات العائلية

مع ان انكلترا كانت قد استقرضت ثمانماية مليون ليرا وصرفت نصفها في مضادته لقلب دولته . وكانت مصاريف حكومة فرنسا في دولته حال كونه كان يملك على خمسين مليون نفس تزيد قليلاً عن نصف مصاريف حكومة الملك لويس فيليب لما كان ملكاً على ٣٦ مليون نفس . وكانت فرنسا مديونة في ايام الجمهورية فانها ورثت الدين من الملوك الذين سبقوهُ فاقام بوفائها . هذا ومن المعلوم انهُ كان ياتي فرنسا بمال كثير بالفتوحات التي كانت انكلترا تسوقهُ اليها على ان سر الامر في ضبط ادارة المالية ونظامها وذلك بدون ان يكون في ذلك الزمان عندهُ شيء من الفن المعروف بسياسة التوفير وبدون نقود ورقية وبدون دين فهذه معجزات ليست معجزة تقرير النظام المنسوب اليهِ اعظم منها

الفصل السابع والثلاثون

حوادث في باريز

وفي ١٥ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٠٧ بلغ نابوليون سن ٣٨ فاجتمع جمهور لطيف فاخر في قصر التويلري وصرف اهالي باريز سهرة جميلة جداً فانهم كانوا في سرور وسعادة فاتوا جنات القصر افواجاً وملاوها واخذوا يضجون باصوات مرتفعة طالبين حضور امبراطورهم فخرج الى شرفة القصر مرات كثيرة وهو ماسك الامبراطورة بيدها وحولهُ قوم لطفاء وكان اكثر من مائة الف نفس يضجون داعين لهُ كل ما خرج اليهم . فوضع يدهُ في يد صديقهِ دوروك الامين بعد ان غير ملابسهُ وسارا الى وسط الجماهير التي كانت مجتمعة في الجنة وكان يسمع القوم يذكرون اسمهُ في كل مكان بحب وثناء فصادف ولداً صغيراً يصرخ بفرح شديد فليعش الامبراطور . فامسكهُ نابوليون وقال لهُ لماذا تصيح هكذا . قال ان ابي وامي علماني ان احب الامبراطور واطلب الى الله ان يباركهُ . فشرع نابوليون في ان يكلم والديهِ فوجد انهما كانا قد هربا من الحروب الاهلية في بريتاني ووجدا شغلاً يقوم بمعاشهما في باريز واخبراهُ على غير معرفة بالنجاح الذي فازت فرنسا بهِ في ايام نابوليون وبسعادتهما . وفي الغد بعث اليهما بهدية وابان لهما بانهما اظهرا شكرهما لنفس الامبراطور بدون ان يعرفاهُ . وفي ذلك اليوم سار نابوليون ومعهُ المارشالية وجمهور غفير من الاهالي للاجتماع بمجلس الشورى والنواب والقضاء وخطب الخطاب الاتية ترجمتهُ وهي

يا سادتي . منذ اجتماعكم الاخير جرت حروب ومعاهدات وانتصارات جديدة جاءت بتغيير اوربا سياسياً وقد اجمعت الامم على السرور بما راته من سقوط سطوة انكلترا في اواسط اوربا الى الابد . وكنت انظر في اجرا اتي كلها الى نجاح امتي فانهُ مفضل عندي على مجدي وانا راغب في السلام فلا اسمح لشيء ان يوخر انفاذ هذه الرغبة . ومهما كانت النتائج التي قد خصصتها العناية للحرب البحرية لا تغير وامتي تبقى على حالها من جهتي . وتصرفكم عندما كان امبراطوركم بعيداً عنكم مسافة الف وخمسمائة ميل قد عظم شانكم عندي وما رايت من براهين حبكم لي قد هيج حاسياتي وقد لاحت لي امور جديدة لبساطة احوالنا وتحسينها وقد وضعت القاباً كثيرة لتكون مكافاة للاهالي الذين يمتازون بالاعمال ولمنع رجوع القاب امتيازية لا توافق نظامنا وناظر الداخلية يخبركم بالاعمال النافعة التي قد تمت والتي قد صار الشروع فيها . غير ان ما لا نزال نرغب في انشائهِ هو اهم . فانني مصمم على ان ارقي سعادة اهالي امبراطوريتي وان ارفع اثمان الاراضي في كل مكان بواسطة الاصلاحات التي قد تقررت في عقلي فيحق لي ان اتكل كل الاتكال عليكم

(ستاتي بقيتهُ)

حلم المصور

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

تمنعني عن ان تهربي معي . فقالت بسرعة انني لست بصممة على ان اتكلم بهذا الشان فانني قد اجبتك وجوابي اليوم هو كجوابي امس لا بل قد صممت على ان اقوم بعمل يدل على حبي اكثر مما دل عليه وجودي في هذا المنفى وهو اطلاق سبيلك اي تكسير قيودك الحديدية الحبية فتصير حرًّا بعد ان كنت مقيدًا بالغرام. قال ماذا تقولين . قالت لاخلصك من الاسر وحاولت التبسم والتظاهر بعدم المبالاة وكان من الواجب ان اقوم بذلك قبل الان على انه لم يخطر لي ذلك ببال الا بعد ان فارقتك نهار امس وقد فضلت خير صالحي على حبك وانا متاكدة ان ابي لا يسلم باقتراني بك ابدًا وانا لا اقدر ان اهرب فيا ريفورد العزيز الاوفق ان نفترق. فنظرت اليه نظرة من يلح بطلب شيء على ان قلبه يفضل عدم حصوله عليه ونظر هو اليها نظرة تعجب وعدم تصديق وقال لها انني لا اصدق ان هذا الكلام هو كلامك وبعض النساء يتكلمن كهذا الكلام دلالاً ولكنك لست منهن اما تعلمين بانه لا يمكن ان نفترق افتراقًا لا يعقبه لقا . فقالت لقد اخطات فان المشكل عظيم ولا يحل بسهولة بل ربما كان لا يحل ابدًا فماذا نربح بالمحافظة على عهود الغرام وماذا نجني يا ترى في سبيل الحب . قال اننا نربح امل السعادة ونقدر ان نفوز بالحقيقة بانقيادك اليّ . قالت المقصود ان اهرب معك . قال المقصود ان تتزوجي بي بدون انتظار رضى ابيك فانه مامن امل في الحصول عليه . قالت هل ترتضي ان تقترن بفتاة ترتضي بان تفعل ذلك . الا يقل اركانك اليها في ما يتعلق بك فانا لا اقدر على ذلك فلا سبيل الى التخلص من مشاكلنا الحالية الا بالافتراق وقطع الصلات الحبية . قال انك تتكلمين عن قطعها بتان وبدون اضطراب فهل اثر البعد فيك وابعد قلبك عني . اجابت لو كان ذلك كذلك لما امسيت واقفة الآن هنا انني احبك كما احببتك غير انني تقدمت بالسن قليلاً وزادت حكمتي عن الوقت الذي وعدتك فيه بانني اثبت في حبك حياتي بطولها واظن ان ذلك لا يدل على حنوي وحبي لانه نتيجة تفضيل صالح ومراعاة عواطفي فيا ليتك تعلم . . . . فقاطعها في الحديث وقال انني اعلم شيئًا واحدًا وهو انك انت تتكلمين وانا اشعر فلا اتركك ولو امرني بتركك الف والد ولو امرت انت فانني لم اترك بعدك شيئًا كان لي وانت لي فكيف اتركك . قالت انا لك ما دمت لا اطلب حريتي . قال انك لي الى ان يفرقنا الموت وعند ذلك لاحت على وجهه اللوائح المخصوصة بعائلته وهي نتيجة تهيج الدم والعزم على القيام بامر مهم بدون مبالاة بخطر ولم يكن ذلك مناسبًا للذين يعارضونهم او يخالفونهم . وقال انت لي فلا اسلمك الى احد ولا اتركك . فرجعت عنه بافتخار وكانت ترتاب في حبها له غير انها كانت متاكدة انها لم تكن محبة محبة كافية لان ترتضي بان تسمع كلامًا كهذا الكلام منه وقالت له انك قد نسيت حقوقك فاذا شئت ان اقطع رباطات الحب بيننا تلتزم بان تقبل

قال هل ترغبين في ذلك . قال هذه الجملة بتان وسكون. فلو عرفت احوال تلك العائلة لعلمت ان السكون والصبر والتاني في هذه الظروف ليست ممهدة لا عتدال الاعمال فقالت بتان ايضاً نعم قد صممت على ذلك. ثم اخذت في ان تلاطفه وتبين له موافقة ذلك للاثنين . فتبسم قليلاً واحنى راسة الى ان اصبح قبالة وجهها وقال لها اصدقيني بخبر واحد وهو هل تحبينني اجابت انت عالم بمحبتي لك . قال فارفعي عنك هذه الامور الثانوية وسلمي نفسك اليّ فلا ينبغي ان تفعلي اكثر من ركوب هذا القارب وفي يدي شهادة عزوبيتي وفي مكان يبعد ستة اميال عن هذا المكان قاض فيعقد عقد الزواج قبل ان تغيب الشمس فلا يفصلنا كل الاباء في العالم . فقالت ولوائح الغيظ واللوم تلوح على وجهها الاوفق ان لا تحملني هذه الاثقال فيا الستون اذا صرفت حياتك بالاتيان بالبراهين لا تقدر ان تحملني على الانقياد اليك في ذلك . قال لا بد من ان احاول الحصول على المرغوب بغير البراهين فاعذريني ياماريون ولا تلومي غير عنادك وقد حلفت بانني لا اتركك . فرات في عينيه وسمعت من صوته ما جعل الدم يجري باردًا في عروقها خوفًا من سوء العواقب فتذكرت وجودها وحدها والاعمال العظيمة التي طالما نسبت الى عائلة ريفورد ولم تكن تعلم ماذا يحل بها فابتعدت عنه خوفًا وقالت له لم افهم كلامك فاوضح مقالك . قال انني التزم بان الزم نفسي بان تاخذك اذا تمنعت انت عن ان تذهبي معي . فقالت ان تاخذني هل بليت بداء الجنون . قال لا على انني صممت بان لا اجعل نفسي موضوعًا للاستهزاء فان حصولي على وعد منك كان متوقفًا على ارادتك فوعدتني واتمام الوعد متوقف عليّ وكان يتكلم بسكون وتان غير انه انتقل بسرعة تحاكي وميض البرق من موقفه ووقف في الطريق التي تودي الى بيت عمها . فنظرت الى وجهه وفي لحظة رات انه عازم على انفاذ قوله وان التضرعات والبراهين لا تفيد وفي تلك اللحظة زال كل حب من فوادها فنمت خطر مركزها ولم تشعر الا بغيظها وشدة هيجانها فقالت انك نذل وغير النذل لا يحاول غصب فتاة على التزوج به بالتهديد والقوة فلا اظن انك تقدر ان تغتصبني وساطرح نفسي في هذا النهر قبل ان اقترن بك بعد ان ظهر منك ما قد ظهر وقد اصاب ابي بالامتناع عن ان يقبل باقتراني بك وكنت اظن بانك مهذب كريم ولكنه علم بانك وبش

فلم يجب بكلمة واحدة وربما كان يعلم انه لا يقدر ان يضبط حاسياته غير ان شفتيه انطبقتا كانطباق الفولاذ ولاحت في عينيه لوائح جعلت قلب ماريون الشجاعة يخفق . فانحنى بدون ان يتكلم وحملها فحاولت التخلص بكل قدرتها غير ان قوتها كانت كقوة الولد بالنسبة الى قوته فذهب بها الى القارب ثم دفعها بيد واحدة ليمنع خروجها الى ان حل رباط القارب وسار . ولما ابتعد بضع اذرع عن الشاطي قال لها ياماريون لا بد من التسليم فانك لا تعودين الى هناك ما لم تكوني امراة لي . فاجابت بافتخار وثبات بدون ان يظهر على وجهها اثر خوفها واضطرابها سترى ماذا يكون . ثم جمعت ثيابها وطرحت بنفسها في النهر

الفصل السادس

فطرح ريفورد نفسة وراءها فيه في الحال وكان تموج الماء مانعًا له عن ان يري ان رجلاً اخر كان ينظر الى تلك الحوادث وهو جالس على مكان قريب من النهر وانه قفز اليه قبل ان وصلت ماريون الى سطح مائه . وبسبب سرعة ريفورد واضطرابه طرح نفسة في النهر حيث كان

واقفاً وذلك عند طرف القارب المقابلة لطرفهِ الذي طرحت منهُ نفسها . فتحرك القارب سريعاً و بات بينهما فلم يصل اليها بسهولة . وفي اثناء ذلك غرقت ولما صعدت حملها مجرى الماء الى يدي الغريب الذي كان يدنو منها بسرعة عجيبة فظنت انهُ ريغورد ومع ذلك لم تمتنع عن ان ترغب في النجاة بواسطتهِ فان الوصول الى قرب الموت بالغرق يبدل شجاعة النساء الباسلات بالجبن فانها شعرت بدخول الماء في اذنيها وتحققت عظم الخطر فلم تمتنع عن ان تقبل مساعدتهُ عندما عضدها بيد واحدة واخذ في ان يدنو بسرعة من القارب بالاخرى فانهُ كان يسير مع مجرى الماء شيئاً فشيئاً الى ان وصل اليهِ . و بعد وصولهِ اليهِ وضعها فيهِ وصعد اليهِ وتركها بدون اعتناء برهة وامسك مجذافاً و بلحظة بات بينهُ و بين ريغورد بضع اذرع فانهُ كان يحاول الوصول اليها سباحة فلما راى ذلك صرخ قائلاً قف ماذا تفعل الا ترى انني احاول الوصول الى القارب . فاجابهُ الاخر بثبات بعد ان اشار الى الشاطئ وقال الاوفق ان تحاول الوصول الى هناك فلا تدخل هذا المكان فارجع . ثم حلف لهُ بانهُ يكسر المجذاف على راسهِ اذا مس القارب بيدهِ ورفع المجذاف فوق راس ريغورد فراى انهُ لا نجاة لهُ الا بالطاعة فرجع وقد اخذ التعجب والغيظ منهُ كل ماخذ . فقال يا ايها الوبش الكثير القحة الا تعلم انك في قاربي فماذا تعني بهذا الفعل . فاجابهُ ذلك الرجل بثبات عزم ان لفعلي معنى واحداً وهو اذا دخلت هذا القارب يكون دخولك واسطة لارضائي بطرحك منهُ لتعرف بانني لا اسمح لرجل بان يهين امراة بحضوري فارجع الى الشاطئ واعلم انك اذا ظهرت في هذا المكان يحل بك ويل عظيم . فاجاب يا ايها الوبش الجهنمي انني ساظهر في هذا المكان الى ان انتقم منك . ولم يصطلح كلام ريغورد بازدياد هيجانهِ فقال فمن انت وماذا يعنيك لتتداخل في امر لا يعنيك . فاجاب ذلك الرجل لا يعنيك ان تسال عن اسمي وحقي هو حق كل انسان كريم يحاول ان يدافع عن امراة ليخلصها من تعدي وبش فاذهب فانني لا اضيع كلامي بالجدال . واخذ في ان يجذف ويبتعد عن ريغورد الذي راى انهُ غير قادر على القيام بشيء فقال لهُ تذكر بانك ستحاسب على هذا الفعل فرفع يدهُ ومدها اليهِ علامة لعدم مبالاتهِ بهِ وقال احب ان اجيب على ذلك بجلدك

و بعد ذلك نظر الرجل المذكور الى ماريون بتعجب وسرٍ عندما راها جالسة والماء يقطر منها غير انهُ لم يرَ ما يدل على لحوق الضرر بها من جرى البلل او الخوف فان وجهها لم يصفر كما يصفر وجه من يبيت في الظروف التي باتت فيها ولكنهُ احمر ولا سيما حينما وقعت عيناها على الرجل الذي كان قد خلصها وقبل ان تكلمت مدت اليهِ يدها وقالت لهُ يا مستر فنس لقد خدمتني خدمة لا اقدر ان اكافيك عليها واحسن مكافاة هي ان اعتذر اليك عما مضى . فقال لها انني سررت جداً بوجودي بالقرب منكِ وسابين لك الظروف لئلا تظنين انني رقيب او عذول غير ان الالزم ان تاخذي دواء ومد يدهُ الى جيبهِ واخرج قنينة فيها براندي فرنسوي وهو مسكر وقال لها لا اظن انك تحبين البراندي الفرنسوي على انهُ لابد من شرب شيء منهُ اوفق من ان تبلي بزكام وسعال . فقالت وقد لاحت على وجهها لوائح انقياد غير اعتيادي انني افضل ان اشرب منهُ على ذلك فشربت فضحك فنس لما ارجعت اليهِ الكاس بدون ان تشرب منهُ شيئاً يستحق الذكر غير انهُ لم يطلب اليها ان تشرب اكثر مما شربت ولكنهُ ادار القارب واخذ يجذف مضاداً لمجرى المياه . و بعد برهة قصيرة سالها هل تعرفين ان

تجذف اجابت نعم فاشار الى مجذاف موجود في قعر القارب وطلب اليها ان تستعملهُ فيصل بها الى بيت عمها في برهة قصيرة . فاجفلت عندما سمعت ذلك وقالت هل نذهب الى هناك . قال الى اين نذهب وهو غير بعيد اتعلمين المسافة . قالت اظن انهُ نحو ميل بالقارب واقل من ذلك برًّا . فقال سنصل اليهِ ببرهة قصيرة واذا جذفت تحمين نفسك من البرد . قالت اجرب ذلك وجربتهُ فنفعت قليلاً . وكان فنس من احذق الجذفين فكان تجذيفهُ السريع المحكم يجعل القارب يجري بسرعة فمرا بالقرب من المكان الذي كان قد اجتمع ريفورد بها ونظرا اليهِ ليروا هل اتاهُ فلم يرياهُ بل رايا شخصًا ضعيفًا لطيفًا جالسًا على شجرة ساقطة وهو يصور و يصغي بتامل فقالت ماربون هوذا مستر ترافار رفيقك فضحك وقال هل ناخذهُ معنا . فاجاب نفسهُ قائلاً لا بد من ان اخبرك عن امور كثيرة وهو يقدر ان يسير ماشيًا بدون ان يتعب وصاح قائلاً يا ترافار العزيز الملتقى في فيلبي فاجفل ترافار ونظر اليهِ متعجبًا جدًّا حتى انهما مرا بهِ وغابا عن نظرهِ قبل ان تكلم . وقال فنس لها لا بد من ان اوضح لك الامر بسرعة غير انهُ لا بد من ان اسالك ياسيدتي سوالاً واحدًا وارجوك بان تجيبي بحسب فكرك وهو هل ترتابين الان بصدق حلمي . فاجفلت واشتد احمرار وجهها ومع ذلك نظرت اليهِ واجابت ظننت بانك فهمت مقصودي عندما طلبت اليك ان تعذرني فانني اعتذرت عن تكذيبي لك ومعاملتك بما يخالف اصول التهذيب فهل نظرت اتمام الحلم . قال نعم ولذلك تصدقيني اذا قلت انك خطرت لي ببالي في اللحظة التي امسكك فيها ذلك الرجل وتذكرت حلمك وصورتك ولا اقدر ان اصف ما شعرت بهِ حينئذٍ . قال انني اعلم بما شعرت انا واقول لك انني كنت جالسًا في مكان قريب منكما قد غمرتهُ النباتات والزهور الجميلة . وقد ذهبت انا وترافار الى ولاية تنسي بعد ان خرجنا من بيت عمك وكنا قد صممنا على ان نرجع الى وطننا بواسطة المرور في ولاية كارولينا الجنوبية ولكنهُ لم يتيسر ذلك فانهُ كان يرغب جدًّا في ان يعود مارًّا بهذه الطريق ولا اعلم السبب غير انني آكاد اوكد بانهُ نتيجة تاثيرات الصورة وهذه التاثيرات هي التي حملتني على غير ارادتي بان آتي هذا المكان فانني حلمت ذلك الحلم كل ليلة منذ فارقتكم . ولم نكن قاصدين ان نعود الى بيت عمك على اننا وجدنا انفسنا بالقرب منهُ في هذا اليوم فساقتنا التقادير الى هذا المكان فاثر فيَّ ذلك تاثيرًا لا يوصف لانني وجدت ان المكان هو كالذي صورتهُ في تلك الصورة . قالت ماربون انني رايت فيهِ ما يراهُ الانسان عندما يرى مكانًا قد شاهد صورتهُ او ما يشابهها . فيا فنس ان هذه الامور مخيفة و يصعب علينا ان نفسرها . فقال فنس ثم صعدت على المكان الذي كنت جالسًا فيهِ وبعد برهة تركني ترافار وسار فاقمت برهة ونمت باشتداد الحر واستيقظت بصراخك وعرفت بالكلمات الاولى معنى الحديث الذي كان يجري بينكما فنظرت الى النهر ورايت الرجل والقارب فجعلني ذلك اصمت ولو رايت ما يمنعني لما صرخت لئلا ينقطع حديثكما فاطلب اليك بان تعذريني لانني سمعت ما لا ينبغي ان يسمعهُ رجل غريب والمامول انك تصدقين ان شيئًا غريبًا عجيبًا حملني على ان اقوم بما اقمت بهِ فلم اقدر ان اخالف ذلك الشيء وهو قوة عجيبة فانني كنت ارى مكان حلمي والشخصين اللذين طالما رايتهما فيهِ . قالت باضطراب هذا صحيح فلو صبرت لحظة لتخلصت من البلل فانني كنت قد عزمت على ان اسبح الى القارب لاخلصك واظن انني كنت قادرًا على ذلك وقد تكدرت لانني خسرت اسباب استخدام القوة في نجاتك بامساك ذلك الوحش بعنقهِ

و تغريقو . فقالت انك قد الحقت بو قصاصاً كافياً
فان اعظم قصاص لمن كان مثلهُ الفشل وخيبة الامل
وقد الحقت بو عاراً رُبما كان لا يقدر ان يحتملهُ . قال
اظن انهُ لا يحاول ان يتعدى عليك بعد الان .
قالت لا لانهُ لم يتمكن من ان يتعدى عليَّ الا بواسطة
حماقتي فلا امكنهُ من ذلك بعد الان غير انني لا اقدر ان
أكافيك فان خلاصي بك . . فقاطعها في الحديث وقال
متبسماً لا ينبغي ان تفتكري بذلك ولا ريب في ان قصتي
غريبة فيعذر من لا يصدقها وانا لا اقدر ان اوضح
اسبابها ما لم . . . . اي ان اكون قد انتخبت لاقوم
بسعادة خدمتك . قال ذلك بصوت منخفض مرتجف .
قالت لا اقدر ان اقوم بحق الشكر لوقوع الانتخاب
عليك ونظرت اليهِ بعينيها اللامعتين الجميلتين . ثم
قالت وهذا أكيد وقد وصلنا الى البيت وهو داعي
فماذا يا ترى ينبغي ان نقول لهُ . قال انني اقول لهُ
ان عدم الاعتناء اوقعك في الماء فقفزت انا بتخليصك
فاتركي الامر لي ولا تظهري شيئاً . ثم قال لعمها
ياسيدي العزيز انني سررت جدًّا بالاجتماع بك
ثانية اما انتِ يا مس ماريون فمن الواجب ان تذهبي
في الحال وتغيري اثوابك . فقال عمها لها ما هذا
ياماريون انني متعجب ماذا اصابك . فقد سررت جدًّا
بمقابلتك ان ثيابك . مبللة ايضاً فما هذا . فقالت ماريون
ضاحكة يامستر فنس اخبر عمي بكل ما جرى فانني
لا اقدر ان اصطبر خوفاً من البرد ثم سارت نحو
البيت مسرعة . وفي برهة قصيرة اجتمعت برفيقتها
نلي واخبرتها بكل ما جرى فعلاً قبل حلول وقت
مناولة الطعام مساءً فتعجبت وتحيرت واخذت في ان
تلوم ربفورد لوماً شديداً وتمدح فنس مدحاً كثيراً
حتى انها شفيت من الم راسها ولما عرفت باصوات
الاولاد ان ترافار قد اتى نهضت واخذت تلبس
اثوابها وترتب شعرها وقالت اذا لم ارَها ينسبانني
الى التقصير في اكرامها وفضلاً عن ذلك انا راغبة
جدًّا في ان أكلم مستر فنس فاذا لم اخرج اليوم لا
افوز بذلك فانهما يذهبان في الغد بدون ريب

واخطات في تخمينها فانهما لم يخرجا في الغد ولا
في غدهِ فان اكرام عم ماريون لهما ودعوات امراتهِ
حملتهما على ان يطيلا الاقامة ويصرفا الوقت في
التنزه والمشي والسرور فكانت تمر الايام بسرعة لا مزيد
عليها حتى ابتدا فصل الشتاء وشعر اهل تلك
الاماكن ببردهِ وعند ذلك سمع ابو ماريون بسفر
ربفورد الى اوربا فسار الى بيت اخيهِ ليرجع بابنتهِ
الى بيتهِ على انهُ تحير وتعجب وتكدر لما راى رجلاً اخر
يطلب اليهِ بان يزوجهُ بها واشتدت الصعوبة عليهِ
لانهُ لم يرَ سبباً لامتناعهِ عن القبول فان فنس كان
من اكرم عيال تلك البلاد ومع انهُ لم يكن يعتبر
كثيراً المصورين الاعتياديين راى في فنس ما حملهُ على
ان يقرّ في عقلهِ بانهُ سيسلك سبل التقدم ويفوز بالشهرة
والنجاح فارتضى بذلك بعد ان تردد برهة وهو يقول انهُ
اذا سُجنت المراة في سجن تحت الارض او في اعلى
صنوبرة لا بد من ان تجد الوسائط اللازمة للقيام
بامر الحب

وكانت قد اتفقت ماريون ونلي بان التي يتاخر
زواجها عن رفيقتها تكون معينة لها عند عقد الزواج
(شبينة) على ان الظروف منعتهما عن اجراء ذلك
الاتفاق فان عقد زواجهما جرى في وقت واحد وقد
اجمع الناس على ان اجمل عرائس الدنيا ماريون
عروس فنس ونلي عروس رفيقهِ ترافار . ولم ينفذ
فنس ما قالهُ من انهُ سيمزق الصورة فانها معلقة في
مخدعهِ الخاص فلا يراها الغرباء غير انهُ يريها احياناً بعد
حين لصديق ويقص عليهِ خبرها وينهي كلامهُ بقولهِ
ان في السماء والارض اشياء لا ندركها بل لا نعرفها
ولا خطرت لخلائق ببال

ملح

(من قلم جرجس افندي ميخائيل نحاس وغيره)

ظريف

حضر رجل الى حجام ظريف لكي يقلع لهُ ضرسهُ وهو ابخر الفم فلما فتح فاهُ تركهُ الحجام فقال لهُ ولم لا تقلع ضرسي قال هذا ليس من عملي فادع الذي ينظف الكنيف

الحكم المنصف

تخاصم رجلان فاحضرا الى قاضٍ فلم يحسن ان يقضي بينهما فامر بضربهما جميعًا فقيل له ما هذا قال لكي لا يفوتني المحقوق منهما

المكافاة الكاذبة

ماتت لبعضهم جارية فجعل يقول لها خدمتني حق الخدمة في حياتك وها انا الان اجازيكِ على ذلك فانك معتوقة حرة مني لوجه الله الكريم

الاشتهاء المرغوب بالصدقة

وقع حجي فانكسر ضلعهُ فاتاهُ عمهُ بالمجبر وكان بخيلاً فقال المجبر ليس علاج هذا الضلع كسائر الاضلاع انما علاجهُ ان يملأ جوف صاحبهِ بالطعام فقال لهُ جحي ارفع صوتك ليسمع عمي

سكران

حكي ان رجلاً سكر عند صديق لهُ وانصرف فغلب عليهِ السكر وهو في الطريق فسقط الى الارض واخذ يتمرغ بثيابهِ فجاءهُ كلب واخذ يلحس فمهُ ففتح عينيهِ وقال لهُ خدمك بنوك وبنو بنيك ثم فعل الكلب شيئًا آخر فقال اسعدك دهرك واطال الله عمرك وترش عليَّ ماء ورد ايضًا فوقف عليهِ من عرفهُ وذهب بهِ الى بيتهِ

بخيل وظريف

قال رجل بخيل لضيف كان يأكل معهُ ارفق بيدك في الطعام فقال لهُ وانت اغضض نظرك قليلاً عني

بخيل

سقى بخيل ضيفًا لهُ نبيذًا عتيقًا على الريق فتاوه الرجل فقيل لهُ ولمَ لا تتكلم فقال ان صمتُّ متُّ وان تكلمت مات صاحب البيت

القطن وابن الجصص

كتب ابن الجصص الى وكيلهِ ان يحمل مائتي رطل قطن فحملت فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب الى الوكيل لم يحصل من القطن الا مائة وخمسون رطلاً فلا تزرع بعد الان الا قطنًا محلوجًا

معلم وتلميذ

قيل كان معلم اولاد يضرب صبيًا ويقول لهُ قل لي من حفر البحر فقال كيف ادري وانت معلمي قال الا تعلم ان البحر حفرهُ كروم اخو ادم عليهِ السلام

كثرة البساطة والجهل

خرج مرة صياد ليصطاد طيورًا بالدبق وبعد ان امسك عددًا غفيرًا من العصافير هياها وطبخ معها ارزًا وذلك قرب بستانهِ وكان لهُ ولد جاهل لهُ اصدقاء كثيرون جهلا فلما عرف بطبخة ابيهِ ذهب الى مكان الشراك الدبقية وامسك عددًا غفيرًا من العصافير واحضرها حية واتى الى البستان وكان والدهُ قد خرج لقضاء حاجة فانزل الولد القدر عن النار وصب الاكل في وعاء واطفا النار ووضع العصافير الحية في القدر وغطاها وذهب بتلك الاكلة ليلتذ بها مع ارفاقهِ فلما حضر الاب ولم يكن يعلم ما فعلهُ ابنهُ ذهب حالاً الى القدر لينظر ان كانت انتهت آكلتهُ وعندما رفع الغطاء طارت العصافير وهربت فقال تبارك اسمك يا ربي تحيي العظام وهي رميمة وتقيم العصافير بعد ان تطبخ فماذا فعلت بالارز اين ذهبت بهِ

الجنان

الجزء الخامس

في ٢٩ شباط (فافريه) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ٣٠ اذار (مارس) ١٨٧٦)

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

الانسان كالمخلوقات الاجتماعية فهو كالنمل لا يعيش منفردًا وكالنحل وبعض الطيور وبدون الاجتماع لا تحفر بيوت النمل ولا تشيد مدن البشر ولا تصنع الاتهم ولا تنسج اثوابهم ولا تمد اسلاكهم البرقية ولا تسير مركباتهم النارية ولا مراكبهم البحرية فلا يقدر انسان واحد ان يزرع القطن ويحصده ويغزله وينسجه ويبيضه ويصبغه ويقطعه اثوابًا ويصدره ويبيعه لانه اذا افرغ وقته لذلك لا يتيسر له ان يزرع حنطة ولا ان يربي المواشي فيموت جوعًا ولا ان يدبر مركبًا ولا مركبة ولا ان يخابر بالسلك البرقي فالانسان خلق للاجتماع هيئات اجتماعية للتكاتف في الاعمال والاتحاد للتغلب على صعابها ودفع المخاطر والتعديات ولا ينتظم قوم ما لم يجتمعوا اجتماعًا مرتبًا مستوفيًا للشروط ولا يرتاحون ونحن لا نرتاح لان هيئتنا الاجتماعية غير مستوفية الشروط بل الخلل في قواعدها فان اجتماع الناس كالنمل للتكاتف والتقدم وجمع الثروة بالاتحاد والاتفاق واجتماعنا للانشقاق والبغض والمناظرة وحجب اسباب الانتفاع عن الاخرين ما لم نفز نحن ببعضه وندوس اعظم صالح عام ينتفع به الوف من المساكين لاصغر صالح خاص فكاننا ذئاب لا يركن بعضنا الى البعض الاخر لان شان كل منا الاعمال على الحاق الضرر بالاخرين لئلا ينتفعوا بدون ان ننتفع نحن ايضًا فلانفاذ هذه الغايات المفسودة نكذب ونخدع ونحتال ونتم ونوشي ونخون ولا نقول ان هذا شاننا دون غيرنا من الامم ولا هو امر عندنا ما هو عند الاخرين ولكنه كبير فيظهر وحده لعدم وجود ستر التقدم والمعارف والاتقان والترتيب والاختراعات والاهمية قليلة ولكنها كبيرة بالنسبة الى قلة اهميتنا لصغرنا وسوء حالنا وفقرنا وتاخرنا بالنظر الى تقدم جيراننا الاوربيين وسلفائنا ولا نرى اصلاحًا فانه بازدياد وقوفنا على احوال العالم يزداد شقاقنا واختلافنا وابتعادنا عن سبل الصواب فبعد ان كان الشقاق طائفيًا اتسع فصار في الطوائف نفسها بين افرادها والحقت الاضرار بها فاهملت مصالحها ووقفت اسباب نشر الاداب فيها وخرجت من يدنا ماموريات مهمة ولا نزال ننتظر خروج غيرها لاننا نسهل السبل لذلك وبعض الحكام لا يصدوننا وهذا الفساد قد سهل المغايرات الادبية فانحطت الاداب وقلت قيمة الصدق والصداقة والحمية والغيرة وحب الوطن وكثر القلق وابتعد امنية المعاشرة في خبر كان حتى كاد يبيت الصديق والعدو سيين في الظواهر وصبت الويلات على البلاد واصبحت المنزلة الاولى للمتمول ورفيعة الشان لصاحب

المنصب ولو كان منافقًا لان المناظرة وتباين الصوالح جعل رواجًا لاجرات الحكام لانفاذ غايات ومراعاة خاطر ليس في المتناظرين واصحاب الصوالح فقط ولكن في كل من انتمى اليهم بعلاقة نسبية او حسبية او عملية او ودادية وسرى سم ذلك الى التجارة وسائر الاعمال و بات من يدعي بعزة النفس ورفعة الشان ورياسة الحزب انفق الناس وابعدهم عن الشهامة وكرامة الاخلاق ولين العريكة ورقة الجانب وليس اجهل منهُ غير الذين يقتفون اثرهُ ويلقون على عواتقهم اثقالهُ و يضعون في ارجلهم قيودهُ واغلالهُ وهم الخاسرون ولو بتنا على تلك الحال واشغالنا في توفيق واسواقنا في رواج ومزروعاتنا في اقبال وسياسة زماننا في ثبات لما فعلت فينا مخالب الردى فعلها الحالي ولا تركتنا بنات الدهر في امور حبال التاخر ليس تحتها غير دركات الذل والهوان فاشتاقت النفوس الى زمان قد مضى واثارهُ فينا تدل عليهِ وهو ظلام بالنسبة الى نور هذه الايام وما الفائدة من النور اذا كان لا يكشف الا عن خراب ودمار فبتنا نتاسف على الظلام المنهزم فان الذين عاشوا فيهِ تعودوهُ فاسبوا لا يسيرون بدون ان يسبروا طريقهم فيستامنون من زلة القدم وسوء العاقبة حال كوننا ابنا النور فنركب الغرور ونسير في الطريق الظاهر مستامنين فتغور الارض تحت ارجلنا فنغوص في الويلات والحساد بل والاصدقاء يضحكون قائلين الم تر القبوهة فلم سلكت هذا السبيل اي اننا بتنا لا نعرف الصديق من العدو ولا البطل من الحق وبالجملة لا نميز الغث من السمين لا في حقوقنا ولا واجباتنا وكل منا يتضجر من الحال ويتاسف على الماضي ويومل بل ينخدع بالاستقبال حتى يخال لنا اننا في عالم من الوهم بل كثيرون منا يجهلون جهلهم وبعضهم يجهل ان الناس يعلمون انهم يشيدون قصورًا بالرشوة بالنفاق ببيع الحق بدوس الفقير بمال

اليتيم بقوت الارملة بعرق جبين المسكين و بسند العاجز ويلبسون الجوخ والحرير ويزينون نساءهم بالجواهر والحلى حتى اصبح شانهن الزيف والقصف وجرذيول الغنج والدلال وخشخشة اثواب الحرير صدى صراخ المظلوم المسكين الفقير وكبارنا عالمون بهِ ومحققون احوالهُ وثقافةٌ ويعذرونهُ بل يعضدونهُ لانهُ ينفذ غاياتهم ويخدمهم بالراس والعين لانهُ بدون ذلك لا ينال من الضعيف ما هو زينة الراس وانسان العين فالذي يحيد عن الصراط المستقيم لا يعذر والحق ان يكون اللوم والتنديد نصيب الكبار الذين يساعدونهُ ويسعون بوصولهِ الى درجة رسمية او غير رسمية تمكنهُ من ان يضر بالناس فاين حقوق العامة الادبية والغير الادبية في الهيئات المجتمعة الغير المنظمة واين شهامة الذي يشير الى فساد عظيم منصب في اوربا ويستر بالصمت فضيلة مائة عظيم ولا نرى بابًا للفرج ولا املًا للنجاة من اسوإ الحالات غير التضجر العام الناشئ عن هذه الحال عند الرفيع والوضيع فلعل الزمان يطيحهُ ليخرج من القوة الى الفعل وفي هذه الاحوال الظلم يلحق بالمتوسط فان نفسهُ تصبو الى سلوك سبيل من هو اقدر منهُ ويلتزم ان يتبعهُ فيخسر مالهُ وزمامهُ في يد غيره فاذا تعقل اهل الدرجة المتوسطة يقلعون عن تجاوز حدود اقتدارهم للاقتداء بالذين هم اقدر منهم ويرفعون ازمة امورهم من يد الذين لا يبالون بامورهم الا عند تنفيذ غاياتهم ويجعلون لانفسهم هيئة مرتبة خاضعة لمشورات اعقلهم واعرفهم والذي لا يطعن فيهِ الناس ولا يعيبون بغض اعمالهِ وهو صفر سيان فقدهُ ووجودهُ واضداد الانسان دليل اهميتهِ فلو كان اهل الثروة عندنا اصفارًا لما جعلنا شاننا الاهتمام بهم ولكنهم اصحاب نفوذ عند اولياء الامور والرؤساء الروحيين والناس فان اعتنوا بالصالح العام مع التجرد عن الغايات يجعلون المجالس واكثر الوظائف في ايدي اصحاب

الاهلية فتصلح الاحوال بنفوذ اعدل القوانين والنظامات فيكونون هم الرقبا وحراس العدل بمجرد المناظرة فينالون ثناء الحكومة السنية وشكر الاهالي ودعاءهم فهذه الاحوال تستحق التامل ويتوقف عليها انتظام احوال الهيئة الاجتماعية ونحن في افتقار الى ذلك بسبب فقرنا وقلة اشغالنا فان دهمنا باسباب الشقاق والمضادات يزداد ضعفنا وتاول اشغالنا الى الخراب وقد آلت اليه لان كثرة المناظرة قد جعلت التجارة في كساد فالعمل الذي يكفي لمعاش رجل لا يقدر ان يعيش به رجلان فعوضاً عن ان نبحث في اشغال جديدة نتعاطى اشغال ابناء بلادنا فنخرب شغلنا وشغلهم وهذه آفة في الشرق في بلاد قد انقسم اهاليها الى طوائف كثيرة وقد انحصرت الاداب في قسم قليل منهم ومن اهم الامور الاعتناء بفتح ابواب الداخلية ليشتغل فيها الاهالي بالمزروعات غير ان ذلك لا ياتي بنفع كاف الا بانشاء الطرق بحيث لا يلتزم ساكن الداخلية بان يبذل نصف محصوله لنقله الى مراكز التجارة وبالجملة نقول اننا في افتقار شديد الى التفات السياسة وعناية الذين تنفع عنايتهم ولا ينبغي ان نخدع انفسنا بما عند البعض من الثروة فانها ليست من بلادنا

مصر

ذكر في روضة الاخبار ما نصه

والله لقد انشرح صدرنا وتيسر امرنا بما ادرجناه على سبيل العجالة بعنوان (اخبار اخيرة) في ضمن سطور (روضة الاخبار) السالفة من تعريب صورة رسالة تلغرافية خصوصية وردت من مصوع الى الجرنال الرسمي الفرنسوي المنشور بالاسكندرية باسم (لوموينيتور ايجيبسيان) فيما يتعلق بالتبشر بذكر الوقائع الحربية الكبيرة التي وقعت في اثناء هذه الايام الاخيرة بقرية (الغوراء) بين الجيوش المصرية والحبشية حيث تتضمن انه من بعد وقوع عدة ملتقيات عسكرية كانت قد وقعت ملحمة جسيمة ومقتلة عظيمة ظفر فيها جنودنا المصريون بابهج الظفر واروج النصر على الاقوام الاحباش حتى هزموهم اتم هزيمة وانه في هذه الوقايع الحربية الشديدة وان كان قد حصل لجانب المصريين بعض خسائر هي بالنسبة لما اعترى جانب الاعداء غير عديدة لداعي ضرورة الحرب والنزال تصديقاً لقول الشاعر الحكيم وهو احمد ابن الحسين المتنبي المعلوم حيث قال

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

فقد اعترى القوم الاحباش من ذلك ما هو اشد واضر وادهى وامر من قتلى وجرحى واسرى سقطوا في حومة الميدان حتى اضطر الملك (كاسه يوحانس) الان للاذعان وطلب الامان وحصل الشروع في المداولة لقصد ربط شروط الصلح وانه من اوثق المامول ان ذلك سيتتوج باقرب وقت بأتم تاج النجاح الى اخر ما يفهم من فحوى تلك الرسالة التلغرافية المنشورة والعجالة المذكورة

ولم نطلع لغاية الان على اخبار رسمية اكثر اعتماداً واقوى استناداً من تلك الرسالة السابقة الاعلان حتى كان يتيسر لنا ان نعطي منها زيادة ايضاح وبيان لمثل هذه الصفحة الجميلة من تاريخ الحوادث العسكرية للجيوش المصرية في هذه الحقبة العصرية الاهلية

وغاية ما بلغنا من ذلك لغاية الان ولا باس بتقديمه هنا على قدر الامكان هو انه في يوم الاثنين (١٧ صفر الجاري) كانت قد توجهت من مينا السويس الباخرة الشهيرة باسم (المحروسة) الى جهة مصوع وفيها كما بلغنا تحريرات من لدن الحضرة الخديوية العلية خطاباً الى دولتلو الامير حسن باشا وسعادة راتب باشا سر عسكر الجيوش المصرية ببلاد الحبشة تتعلق

بالشروط اللازم ربطها لعقد الصلح المطلوب من طرف النجاشي المغلوب

وليس بمتيسر لنا ان نتكلم على وجه الضبط والدقة ولا ان نذكر هنا الان بقوة الاسناد المستحقة بيان ما وقع في حومة ميدان المقتلة الكبيرة من هذه الملحمة القطيعة الخطيرة التي وقعت في هذه الايام الاخيرة بقرية (القوراه) فيما بين الجنود المصرية والحبشة والذي يفهم من فحوى الرسالة التلغرافية المذكورة هو ان تلك الواقعة العسكرية المصرية الشهيرة قد كانت اشد واجد واجهد واشرف وامجد من سائر الوقايع الحربية التي وقعت من بعض الامم الاجنبية بالاقطار الحبشية حيث بدئت من اول ليلة الثلاثا فما انتهت الا في ليلة الجمعة التالية بعد ان مضت حصة من الليل كبيرة ولقد ورد من ذلك الطارف بعض اخبار تدل على ان حملة الجنود الحبشيين على المصريين قد كانت من اشد ما يكون اذ كان قد تخيل لهم انهم يمكنهم ان يفاجئوا العسكر المصري الا كما فعلوا سابقًا بفرقة الجنرال (هارنج وارندروب) (واراكيل بك) بجهة السماسين وكان جند الاحباش مركبًا كما قيل في هذه الواقعة العظيمة من نحو ٦٠ ستين الف حبشي يقدمهم نجاشيهم هذا الملك (كاسة) ومعه وزيره الاكبر وسائر وزراء دولته وقواد عسكره واهل قرابته اجمعين

وقد كان امر الغلبة في اوايل الحال مترددًا بين الطرفين غير ظاهر الانحياز لاي الجانبين ثم اشتدت حمية القوم المصريين وغلبت قوة النظام ومزية الضبط والربط النظامية وقوة التربية الجهادية وجودة القيادة العسكرية وعلو درجة كمال الاسلحة الجهادية التي بيد جنودنا المصريين على غشامة حملة الجنود الحبشيين وان كانوا اكثر بثلاثة اضعاف من الجنود المصريين وكانت عاقبة هذا القتال والخصام ان انهزم العدو اتم الانهزام بل يصح ان يقال انه نتج عن تلاقي الصفوف في هذه الواقعة الحربية اتلاف الجيوش النجاشية بالكلية ولذلك اضطر النجاشي الان للاذعان وطلب الامان كما ورد بنص الرسالة التلغرافية السالفة الذكر والبيان

وقد وردت به الاخبار الصحيحة ايضًا من طرف بعض الضباط الامريكانيين المستخدمين بالجيش المصري الان ان الامير الشهم والذخير المعد لمثل هذا الامر المهم جناب (دولتلو حسن باشا) ثالث انجال الجناب الخديوي المعظم قد ابدى في هذه المعركة من الشجاعة العجيبة والجراة الغريبة ما دل على ان دسيسة عروقه المقدونية منطوية من اصل جده المرحوم ابراهيم باشا السر عسكر المشهور على انقى دم واصفى نسب مكرم وانه سيخلفه في هذا المجال ان شا الله تعالى احسن خلف واتم وذلك انه بوقت المعمعة كان قد حمل وهو يقدم الايامن السوارى (الفرسان) حملة دفع بها (قولا) اي صفًا كاملا من جنود الاعداء وقد هلك في هذه الواقعة وزير الملك (كاسه) الاول وسائر وزرائه وعدة روس من اقاربه واصدقائه

وما بلغنا ايضًا من الاخبار التي ثبتت لدينا وتقررت عندنا ما يتعلق بآثار الغزوة المصرية بالاقطار الحبشية في هذه الاونة العصرية انه قد تحرر من طرف الاعتاب الخديوية العلية رسالة تلغرافية الى مدينة (برلين) خطابًا الى جناب الضابط الجهادي البروسياني المعلم لجناب عنترة مصر وحيدرة هذا القطر وجوهرة العائلة الخديوية المصرية في هذا العصر (دولتلو الامير حسن باشا) تتضمن تبليغ غاية الشكر لحضرته على ما ابداه حضرة الامير المومأ اليه في اول تجربة حصلت من فتوته الغضنفرية في هذه الواقعة العسكرية من غرائب الفعل وعجائب

الجراءة والحمل على الاعدا مع قوة الجاش وما صدر منهُ باول وهلة لهول موقف الحرب من عدم الهيبة والاستيحاش فورد الجواب من بلاد اوروبة بطريق الاشارة التلغرافية في الحال من طرف جناب الضابط العسكري الالماني المشار اليهِ يذكر بهِ انهُ بادر بعمل مجلس (توَاست) يعني مجلس شرب كاس مدام على ذكر سلامة هذا البطل الهمام واوضح عما في ضمائره من انهُ متشوق لان يراهُ في اسرع وقت يعود ان شاء الله الى مدينة (برلين) بالثاني لنقصد ان يتمم بها تربيته العسكرية على مقتضى الاصول الجهادية البروسيانية

الثورة

قالت جريدة المورنن بوست الانكليزية لا تلام الدولة العلية اذا لم تنهِ الثورة في الهرسك حالاً وقد قبل الباب العالي بصفا البواطن ما تقرر في لائحة الكونت اندراسي وقد قبل باكثر من ذلك بمشورات الدول ومنح العصاة العفو. وقد قرر انهُ يسمح للمهاجرين الموجودين في البلاد المجاورة بالرجوع الى اوطانهم بدون معارضة وتعطى لهم البذور لزرع اراضيهم ومساعدات لترميم بيوتهم وانهُ يتركهم العشر سنة وسائر الاموال الاميرية سنتين . ولا ريب في ان الدولة قد اقامت بكل ما يأول الى تسوية الامر ويقال لنا ان النمسا والمجر قد شرعت في الاستعداد لتسهيل اسباب رجوع المهاجرين المذكورين . وياحبذا اذا صح ذلك لان اصرار النمسا على رجوع المهاجرين الى اوطانهم يقوم باهم الوسائل الموصلة الى نهاية الحرب . واذا لم تهم النمسا ولا روسيا باجتهادات جدية لحمل العصاة على الانقطاع عن الحرب نرى ما يحملنا على ان نقول ان المنتظر انتهاء الثورة بعد زمان قصير. واذا منع السرب والجبل الاسود عن مساعدة العصاة لا ارتياب في الانتيجة ولا ريب في ان النمسا وروسيا تقدران ان تمنعاهما في كل حال اذا رغبتا في منعهما ومن ادلة صفا بواطنهما امتناع الجبل الاسود والسرب عن المداخلة واذا بادرت النمسا فضلاً عن ذلك الى ارجاع كل المهاجرين الهرسكيين الى بلادهم ربما كان العصيان يمسي في خبر كان كحرب اسبانيا الاهلية قبل مضي شهرين او ثلاثة اشهر

وقد نشرت جريدة الليفانت هرالد ما ترجمتهُ طلب اللورد استراتيدن اند كامبل في مجلس الامرا في انكلترا صورة الفرمان العالي الاصلاحي ولائحة الكونت اندراسي وقال انهُ عالم ان الحكومة الانكليزية لابد من ان تكون راغبة في ان ترى نهاية الثورة في الولايتين العثمانيتين ولذلك قد تقرر في عقلهِ انهُ من الموافق ان تحرض المانيا على انفاذ سطوتها في النمسا وروسيا لسد الابواب التي تستقي الثورة منها . وانهُ لا يتعجب مما يراه من الاشتراك بالحاسيات مع العصاة في الخارج غير انهُ ما من مسوغ لذلك كمسوغ الاشتراك بالحاسيات مع اليونان وبولونيا وولايات امركا الجنوبية . فان اوربا لا تكتسب شيئاً عمومياً باطالة زمان الثورة في الهرسك وبوسنة ودوامها لا يوافق صوالح اصحاب الدين العثماني فان الدولة العلية تصرف كل يوم خمسة الاف ليرا في سبيل الثورة (لعلهُ خطا ارقام) . ثم تكلم الارل اوف مورلي وقال انهُ من الواجب تحسين احوال المسيحيين في الولايات الشمالية الغربية . اما الارل اوف دربي وزير خارجية انكلترا فقال ان صديقي الكريم اللورد كامبل قد اعتنى كل الاعتناء في المسئلة الشرقية وقد بحث عنها في الاستانة العلية وعواصم اخرى اوربية وقد استغنم سنوح هذه الفرصة ليخبر حضرة الامرا بالامور التي اكتسبها المتعلقة بذلك وبارائهِ المتعلقة

بالثورة . وقد اصاب بما قال من ان الذين يرون ان صوالحهم قد وقعت في ضرر لانهم اصحاب دين يخطئون اذا رغبوا في ان ينتقموا بالميل الى العصاة لان ذلك يضر بصوالحهم فيصح المثل السائر وهو قطع الانف نكاية الوجه . ولا يلزم ان آتي ببراهين لابين انهُ من صوالح انكلترا بل من صوالح اوربا ان لا تقطع اضطرابات في الممالك العثمانية . ثم تكلم عن قرار الكونت اندراسي والاصلاحات العثمانية وارتضى بان يأتي بالصور المطلوبة .

المالية الانكليزية

قالت جريدة البال مال كازت ان نشر تعديلات مصاريف البحرية تمكننا من ان نعيد بعض التعديلات التي نشرناها في الاسبوع الماضي . فان مصاريف السنة المالية التي تبتدي‌ء سنة ١٨٧٦ باتت موكدة . وقد انتشرت كل تعديلات هذه السنة ولذلك يمكن تقرير المبالغ اللازمة بضبط . فمصاريف العسكرية قد زادت ٦٠٤ الاف ليرا ومصاريف البحرية ٤٦٣ الف ليرا ومصاريف الملكية ٤٢٣ الف ليرا . وتعديل المشترأوات وحدهُ قد نقص ١٢٣ الف ليرا . فيكون مجموع زيادة مصاريف هذه السنة عن السنة الماضية مليونًا و ٣٠٢ الف ليرا . وقد عين مالاً ليدفع من اصل الدين سنويًا قدرهُ ثلثمائة الف ليرا وربما كان يلزم ٥٠٠ الف ليرا لدفع فائض اموال استقرضت لاعمال محلية . فاذا جمعنا ذلك الى المجموع الاول نقول ان مصاريف سنة ١٨٧٦ المالية تزيد عن مصاريف سنة ١٨٧٥ نحو مليون و ٦٧٠ الف ليرا . وقد تقرر ان مجموع مصاريف السنة المالية الماضية ٧٥ مليونًا و ١٨٩٧ الف ليرا والسنة الجارية ٧٧ مليونًا و ٥٥٠ الف ليرا .

فهذا مصروف عظيم وقد نما بسرعة ومع ذلك لا نرى ان مصاريف الحكومة قد زادت بسرعة غير اعتيادية . ومن المعلوم ان وزير البحرية قد طلب ان يصرف على القوة البحرية مبلغًا لم يطلبهُ بعد وزير بحرية في زمان السلام . غير ان تعديلات مستر هاردي المتعلقة بجيش البرليست قدر تعديلات الجنرال بيل سنة ١٨٦٨ ولا تعديلات اللورد كاردول سنة ١٨٧١ . فالزيادة بالمصاريف في السنين المتاخرة آكثرها في الخدمة الملكية . فان مجموع مصاريف الخدمة الملكية سنة ١٨٦٨ كان ١٥ مليونًا و ١٧٤ الفًا و ٤٥٢ ليرا . وتقررت هذه المصاريف في السنة الماضية بعشرين مليونًا و ٧١٥ الفًا و ٦١ ليرا وقد زادت في هذه السنة حتى بلغت واحد وعشرين مليونًا و ١٢٩ الفًا و ٧٢ ليرا . ومع ذلك لا نرى ان مصاريف الخدمة الملكية هي بالفعل اكثر من مصاريف السنة الماضية . والزيادة الظاهرة في التعديل ناشية عن المبالغ التي قد صممت الحكومة على دفعها لحكام محليين لنشر المعارف ولازدياد مصاريف البرد والاسلاك البرقية . وقد ظهر من التعديلات ان مصاريفها كانت ١١ مليونًا و ٦٧٧ الفًا و ٩٩٩ ليرا وهي الان ١٢ مليونًا و ١٢٢ الفًا و ٨٩٧ ليرا فتكون الزيادة ٤٥٥ الفًا و ٢٨٨ ليرا ولولا هذا الامر الذي لابد منهُ وربما كان ما يرغب فيهِ لنقصت مصاريف الخدمة الملكية هذه السنة ٢٣ الف ليرا عن السنة الماضية عوضًا عن ان تزيد ٤٢٣ الف ليرا . ويظهر منع التبذير باجتهاد الحكومات اذا قابلنا مصاريف سنة ١٨٦٦ بمصاريف سنة ١٨٦٨ . وقد عينا هذه السنة لانها نهاية زمان الوزارة المحافظة . وفي اثناء المدة المذكورة زادت المصاريف من ١٥ مليونًا و ١٧٤ الفًا و ٤٥٢ ليرا الى ٢١ مليونًا و ١٢٩ الفًا و ١٧٣ ليرا اي نحو ستة ملايين ليرا . غير انهُ منذ سنة ١٨٦٨ بلغت مصاريف التخطيط والسبر في ممالك انكلترا ١٢٢ الفًا

و ٥٠٠ ليرا .وقد اضيفت الى دفتر المصاريف الملكية .وقد عين ٣٢٢ الف ليرا لمساعدة بيوت الفقرا .وكذلك مصاريف المجالس العالية وكانت ٥١٢ الفا و٧٠٨ ليرات فصارت مليونا و٨٠٥ الفا ٤٠٨ ليرات . وكانت مصاريف المعارف مليونا و١٣١ الفا و٥١٩ ليرا فصارت مليونين و٩١ الفا و٢٢١ ليرا وكانت مصاريف البرد ٣ ملايين و٤٥٠ الف ليرا فصارت نحو اربعة ملايين ليرا . وقد اشترت الحكومة اسلاك برقية مصاريفها مليون و١٢٨ الفا و١٤٨ وغير ذلك فمجموع هذه الزيادات اكثر من خمسة اسداس الزيادة التي زادتها مصاريف الملكية منذ سنة ١٨٦٨ وهي تبين ازدياد الشغل بازدياد المصاريف . وربما كان من الواجب ان ينقل بعضها من دفتر مصاريف الملكية الى دفتر اخر ومن المؤكد ان هذه المصاريف ليست محتوية على مصاريف تبذيرية . ومع ان مصاريف السنة الجارية اكثر من التي سبقتها ليست الوزارة مسئولة باكثر تلك الزيادة . وستلتزم البلاد بان تدفع ٧٧ مليونا و٥٥٠ الف ليرا لسد المصاريف غير ان اشغالها اكثر من العادة

امركا

قالت جريدة التيمس ان رجال السياسة في الولايات المتحدة الامركانية باتوا في حيرة مدهشة بدون ان تكون ذات اهمية عظيمة . فانه من اللازم ان يقوموا بعمل ولا يعلمون ماذا يليق بهم ان يعملوا . ومن اللازم ان ينتخبوا رجلاً ليجعلوه موضوعاً للانتخاب للرياسة ولا يعلمون من ينبغي ان ينتخبوا . هذا ونحن نعلم ان وصف السياسة الامركانية بهذا الكلام ربما كان لا يفهم المقصود منه . فاننا نتكلم كان الحزب المضاد بات في اضطراب وارتباك فلا يعلم الطريق التي تدعوه واجباته العمومية الى سلوكها . فاخذوا في ان يبحثوا عن بطلهم ووسائط ترقية لاسباب صوالح بلادهم فهذا بعيد عن مفاوضاتهم لانه ما من دخل للواجبات في هذا الامر . فان الخلاف ليس هو من جهة الحزب الجمهوري او الدموكراتي لان روساء كل من الحزبين لا يهتمون بصوالح جمهوريتهم ووطنهم ولكنهم يفرغون جهدهم في سبيل الفوز وفي نهاية هذه السنة لابد من القيام بالحرب الانتخابية التي يتوقف عليها الفوز والتقدم مدة اربع سنوات فللحصول على ذلك يفرغ الجهد في توجيهات الانتخابات . والامر في يد ملايين من الاهالي ساكنين في البلاد فمن اهم الامور ايجاد الوسائل اللازمة لتقرير ما فيه صالحهم في عقول اولئك الملايين الامنا فمن الاحزاب من يقول انهم يهتمون بامر النقود الورقية اذا ارجعت الى قيمتها الذهبية الاسمية فاخذ رجال سياسة احد الحزبين او كليهما في ان يقرروا في عقول الناس اجتهادهم في هذا السبيل بامل حصولهم على ارائهم عند الانتخاب لتكون الاكثرية لهم بدون ان يبذلوا شيئاً من مالهم . وهذا هو سبب ما نسمعه عن اجتهادات الدموكراتيين المصروفة منذ مدة في سبيل تقرير نظام مالي يرضي الجميع

والجمهورية الامركانية كصبي قوي الجسم اخذ في النمو ولا بد له من ان يصاب بالجدري والحميرا والجدري المائية وغيرها من الامراض غير ان العاقبة سليمة على الدوام ولولا اركاننا الى سلامة استقبال الجمهورية لساقتنا الظروف الى النظر الى الاحوال الجارية بخوف واضطراب . ومن المعلوم ان اكثرية الاهالي الامركانيين لمنا ولم يتعلموا ليحكموا بكل مسئلة متعلقة بالذمة في دقيقة وبعدهم عن اسباب الشر يحملهم على ان يقطعوا النظر عما ينافي الاستقامة في التجارة والسياسة وعند الفلاحين الانكليز لا يتلم

صيت عالم القوانين اذا تقرر انه مخجل وهولا الفلاحون هم ملح الاهالي عندنا واكثر المذكور وقد تقرر في عقولهم انه من الواجب ان تكون ذمة اهل المالية والسياسة ذات اتساع غير ان للسائح بالتنزه وبرحدود ا لا يسمح بتجاوزها . فانه ربما كان يغض النظر عن الانسان اذا بلغ الدرجات العالية بالطرق المعوجة وبعد بلوغها تنتظر منه الاستقامة فيكفر عما مضى . وفي الاسابيع الماضية ظهر انه لا يحق الاركان في نفس الظروف المذكورة . وظهور التزويرات والرشوة في واشنطون عاصمة امركا جعل ابدان الامركان تقشعر . وكانوا مستعدين لان يعفوا عن مغايرات كثيرة غير انها تجاوزت حدود الاعتدال ففرغت جعبة العفو وقد اضطربوا واغتاظوا لانهم راوا ان القصاص لا يقع على الذين يستحقونه ولا يعرفون ان يجدوا الامناء فهذه هي حالة اكثر الاهالي في الولايات المتحدة الامركانية . واذا قطعنا النظر عنهم ونظرنا الى رجال السياسة عندهم نرى اصحاب الغايات لا يزالون ينصبون شراكهم كالعادة كانه لم يجر شيء فكل من يتصور تلك الحال ينثني عجبا . فاننا نرى ما يشابه النظام وهو يتغلب على ارادة جماهير من الاحرار وعلى تقريراتهم فيمسون عبيدا لسياسة الهيئة الاجتماعية التي هم منها . ولا يتم اندهاشنا الا بعد ان نرى ان هذه السياسة التي تثقل على الاهالي موجودة وهي خاضعة لارادتهم . ولم تنشا بارائهم ويقدرون ان يتخلصوا منها اذا تدرعوا بالجسارة . ولا نرى ما يدل على انهم قادرون على ذلك لانهم يظنون ان الالة التي تقيد حريتهم هي مساعدة لقوتهم . فيرتضون في ان يبقوا على ما كانوا عليه لانه ليس لهم من النشاط ما يكفي لنهوضهم لتخليص انفسهم ولا يخطر لسادتهم ببال بان سطوتهم اخذة في الزوال فالعهد القديمة اخذة في ان تستعد لانتخاب نواب . وبعد اشهر قليلة يجتمع بضع مئات من الرجال لينتخبوا اولياء امور امركا في السنين الاربع القادمة . واتفاق حزيران (جون) ليس لتحديد اسباب قيادة البلاد ولكن لتعيين الذين سيفوزون بالحصول على المناصب والمراتب . وقد قلنا ان الدموكرات يحاولون تقرير مشروع مالي ليرضوا الجميع به بل قد اخذوا في تقرير مشروع لا معنى له حتى ان الذين يرغبون في الرجوع الى النقود الفضية والذهبية يرتضون به وغيرهم . والحزب الجمهوري لا يقصر عن مناظريه فيجتهد في ان يرضي الجميع . ويرتكبون خطر تحديد السياسة العامة ويحاولون ان يتفوقوا باظهار اقوام للوظائف يناسبون كل الاحزاب ويلقون املهم باتحاد قومهم بابقاء بضعة رجال امامهم من الذين يرغبون في الحصول على رياسة الجمهورية . فمنهم مستر كنوكان وهو متابع لسياسة الجنرال غرانت . وربما كان كثيرون من المأمورين في الولايات المتحدة راغبين في ان يقوموا بما يوافق اصدقا الجنرال غرانت اذا راوا ان لا سبيل الى فوزه . ومنهم مستر بين ومستر موروتون ومستر برستو ومستر فش ومستر واشبورن والجنرال شرمان ومن المقرر انه لا يطلب الى من يتعين منهم الا ان يعيش معيشة مرتبة ويوزع المناصب والوظائف توزيعا يرضي اعضاء مجلس الشيوخ واصحاب النفوذ

ولا نرى في الاستقبال القريب ما يدل على نجاح الاعمال في الولايات المتحدة من هذا القبيل . فان اكثرية الاهالي وهم امنا يحملون اثقال السياسة التي ورثوها ولا يتجاسرون على قلبها . وربما كان يصح ان نقول ان السياسة المذكورة انما هي للتثقيل على الاهالي ولتوجيه الماموريات الى الذين تعلموا ان ينتفعوا بها بالحيل للحصول على النقود ولا نعجب اذ نسمع البعض يقولون هل وضعت النظامات لضبط

سياسة الشعب او لمكافاة رجال السياسة الذين يتقهقرون عندما يرون اثقال المسئولية بدون ان يروا نفعًا خصوصيًّا

روسيا في اسيا

قد ذكرنا في الجنة ملخص الخبر الاتي المنقول عن رسالة برقية واردة الى التيمس من مكاتبها الباريزي وترجمتها قد شاع انهٔ قد انتشبت الحرب بين اليابان وكوريا ومصدر الاشاعة رسالات برقية واردة من بطرسبرج عاصمة روسيا وكان ذلك سببًا لسوال ساله احد اعضاء مجلس النواب في انكلترا وقد اثر ذلك في عقول الناس في فرنسا . وقد عرف الناس انهٔ غير صحيح ومع ذلك اعتنى بهِ القوم لانهم علموا انهٔ اخترع لتحويل الافكار الى امر كوريا وبالتالي الى اعمال روسيا في شرقي اسيا . وقد بلغنا ان ١٢ الفًا من الجنود الروسية قد دخلت الاراضي الكورية عند الحدود الشمالية مدعين بانهم يطاردون اللصوص فاذا صح ان اليابان سبقت الى محاربة كوريا في السواحل الجنوبية تكون روسيا مستعدة لان تساعدها في الشمال . وحلول روسيا في كوريا او في ثغر من ثغورها من نتائج تلك الاحوال المنتظرة. فان روسيا ترى انها في احتياج شديد الى مينا موافقة في ساحل بحر المحيط فتستغنم الفرص عند سنوحها للحصول على واحدة . وسنة ١٨٦١ لم تكن روسيا في احتياج شديد الى ذلك كما هي الان ومع ذلك كانت تميل الى الاستيلا على جزيرة تزوزيما اليابانية بدون ان تبدي ما يوجه الافكار اليها وهي جزيرة واقعة بين يابان وكوريا وفيها مرفا من اوسع المرافئ في الدنيا واوفقها للمراكب . وتداخل الانكليز في ذلك الزمان لمنع استيلائها عليها وربما كنا نسمع بعد زمان قصير اخبارًا جديدة عن اعمال روسيا في كوريا لانها موافقة من جهة موقعها لتوسيع الاملاك الروسية الى جهة الصين . وقد اتخذت الحكومة الروسية الوسائل اللازمة للانتفاع من الاستيلاء على النصف الجنوبي من ساغليان . وقد نظم في بطرسبرج عاصمة روسيا دائرة مخصوصة لادارة تلك الجزيرة وتجهيزها وستجري قريبًا المراكب التجارية بينها وبين سانغاي . ويقال انها تكون من البوارج الصغيرة

انكلترا في البحر الاحمر

قالت جريدة التيمس الهندية قد تاكد ما شاع من ان الحكومة الانكليزية مصممة على ابتياع جزيرة سوقطرة . ومصدر الاشاعة رسالة برقية من شركة روتر صادرة من عدن . وهذه الجزيرة تابعة بالاسم لامامية مسقاط اذا لم تكن تابعة لها بالفعل ومساحتها نحو الف ميل مربع وعدد اهاليها نحو خمسة الاف نفس . ولها اهمية بحرية لانها مركز جيد عند اهم مداخل البحر الاحمر . وهي قريبة من خليج عدن واكثر اهاليها من العرب والهنود وقليلون منهم يدعون بانهم من اصل بورتوغالي . وليست لها اهمية زراعية لان اكثر اراضيها من الصخر الكلسي والسماقي فلا تاتي بمحصول . وفي داخليتها جبال كثيرة وعلو قمة من قممها الكلسية خمسة الاف وخمسماية قدم . وعاصمتها تمرهندة في الساحل الشمالي الشرقي واهاليها قليلون غير ان ميناها كبيرة جيدة نافعة عند ما تصبح الجزيرة مركزًا بحريًا . واكثر تجارتها مع مسقاط ومن صادراتها التمر الهندي والتبغ والتمر

خطاب وزارة فرنسا

بعد فتح مجلس الشيوخ ومجلس نواب الفرنسويين قرأت الوزارة الفرنسوية عليهما تقريرًا طويلاً وهو

عبارة عن القواعد السياسية التي عولت على انفاذها فقراتة تبين السياسة الفرنساوية الاستقبالية فترجمنا اهمة وهو

ان الحكومة الجمهورية الموسسة قد تقررت احوالها بانتخاب المجلسين العظيمين اللذين تتالف الحكومة منها ومن الحكومة المذكورة. فالانتخاب العام قد قرر النتائج النظامية العظيمة التي اقام بها مجلس النواب السابق ولا يتيسر لقوة حكومة ان تكون ذات اساس امتن من اساس الحكومة الفرنساوية الجارية فنقول انة لم تقم حكومة في العالم قيامًا اثبت منها بالنظر الى تاسيسها على النظامات والقوانين

ثم ذكر بعض الوزراء ما نشر في رسالة رئيس الجمهورية الفرنسوية في ١٣ كانون الثاني (جانيوري) وتقرر فيها انة لاينبغي ان تغير النظامات الجارية الا بعد ان تجرب

وقالوا ان تلك الكلمات الموسسة على الحكمة تكون قاعدة عملنا على الدوام . فعظمة بلادنا واستقبالها يتوقفان على اجرا النظامات الاساسية بامانة ففي الصلات التي تجري بيننا وبينكم وتقرير القوانين نحافظ على مبادي الحرية المحافظة التي جاءت بها وتجعل مرؤوسينا امنا . وسيسعفنا المامورون كلهم بايضاح الجمهورية وحمل الناس على ادراك احوالها . وسنقول لهم ان الجمهورية تحتاج الى التاسيس على نواميس الدين المقدسة والاداب والحقوق العائلية ومراعاة حقوق التملك والشغل اكثر من سائر الحكومات . واننا نرفض الاعمال الحربية التي طالما اقامت بها الحكومات

ثم وصفت احوال المالية وانة سيكون المصروف هذه السنة قدر الدخل بدون زيادة في الرسومات مع دفع المستحق للبنك الفرنسوي وما ياتي ترجمة ما ذكر فيه عن الامور الاجنبية

ان الصلات الجارية بيننا وبين دول اجنبية لاتزال حبية سلمية . وقد اشتركت فرنسا مع الدول الاخرى في قطع اسباب الاضطرابات الجارية في ولايتين عثمانيتين غربيتين . ولا نزال نومل بان اتفاق الدول العظيمة واحترامها كلها لنصوص المعاهدات وميلها الى المحافظة على السلام ستاتي باثمار وقد لحقت بنا اضرار لم تلحق بدول اخرى من جرى الحرب الاهلية التي اضرت باسبانيا ولذلك لم يسر احد بنهايتها قدر سرورنا . فاراحة الافكار العامة في غابتي اوربا ورغبة كل الشعوب والحكومات الشديدة في المحافظة على السلام تنفع المخابرات التجارية الجارية. فقرب نهاية المعاهدات التجارية تلزمنا بوضع نظام جديد توفيري لتخضع لة تجارتنا مع امم اجنبية . وسنفرغ جهدنا في سبيل صيانة الصناعة من التغييرات المضرة التي طرات عليها وتخلص من تغيير التعريفات التجارية بالقيام بالتجارة الحرة الناتجة عن الحكمة . اما تنظيم عسكريتنا فجار بالتتابع وسيطلب اليكم ان تقرروا نظامات لادارة الجيش والضباط

وبعد ذلك كلام لتنبيه المجلسين المشار اليهما الى قلة المخازن البحرية وان الاختراعات الجديدة المتعلقة بالبوارج وغيرها قد حملت الدول البحرية على احتمال اثقال جديدة للقيام بما يجعلها مرافقة للاصلاحات البحرية . وان فرنسا ملزومة بان تقوم بذلك . وان الحكومة تسلك سبل الثبات والحكمة في اجرا المنافع العامة . وتفرغ الجهد في جعل وفق بين الحرية المهمة العادلة المطلوبة وحقوق الحكومة وستطلب تقرير قوانين لمنح شهادات للتعليم الاكالي وانشا البلديات . وما ياتي ترجمة ختام ذلك التقرير

اننا نقترب من الاجتماع الاول في جمهورية نظامية باضطراب لاننا راينا الصعوبات التي ربما كانت

تنشأ عنها ولكن المأمول التغلب عليها. باركانكم الى امانة رئيس الجمهورية وحكمتهِ وباتفاق المجلسين المائلين على الدوام والشوق الشديد الى ان نرى فرنسا ترجع الى النهوض العظيم بالحرية والنظام والسلام

فرنسا

قالت جريدة التيمس انهُ جرى امر مهم عام في مجلسي الشيوخ والنواب في فرنسا . فان موسيو دوفور الوزير قرا قراراً وزارياً على اعضاء مجلس الشيوخ والدوق ديكاز على اعضاء مجلس النواب . وقد راينا بالملخص الوارد الينا بالبرق ان ذلك القرار هو كخطاب صادر من رئيس الجمهورية . فلم يخاطب المرشال ماكماهون المجلسين بنفسهِ مراعاة لامور دقيقة ولكن الوزارة الجديدة قد خاطبتها برضاهُ وربما كان ذلك بالنيابة عنهُ . فاذا نظرنا الى قرارها من هذا الوجه نقول انهُ بليغ . وقد حوى قواعد حكومات وتفصيلات قضائية وفيها كلام يبين بالوضوح ان كاتبيهِ قد ادركوا التغيير العظيم الذي جاءت الانتخابات بهِ وانهم يرغبون في ان يظهروا ان وزارتهم تختلف كثيراً عن وزارة موسيو بوفي . ومن المعلوم ان اكثر ارفاق الوزير بوفي البعيد عن التوفيق لا يزالون في مناصب واللذان قرا القرار الوزاري المذكور هما منهما وقد تقلدا منصبين من اهم المناصب . وما جرى في ٢٠ شباط (فبرايه) قد جاء بتغيير مهم . فانهم قد استاصلوا روح العدوان الذي كان يحملهم على ان يضادوا الجمهورية ووقع في اضطراب الذين كانوا يحرضون ذلك الوزير على القيام بتلك السياسة الردية حتى انهم كادوا يوقعون رئيس الجمهورية في سوء العواقب . ولا بد من ان يقرر الجميع من المرشال مكماهون الى اصغر واحد من الحزب الذي كان يسمي نفسهُ بالحزب الامبراطوري بانهم قد اقاموا بسياسة ذات خطا عظيم حتى اننا راينا الوزرا الذين هم من اهل الحرية والذين ضموا اليهم مجدداً لم يصادفوا ممانعة عندما ضمنوا على الابتداء بسياسة جديدة .

ولا بد من ان يرى اعضا المجلسين من الفقرات الاولى من ذلك القرار انهُ قد اقيم في فرنسا حكومة جديدة بل سياسة جديدة . فانهُ يفهم منها ان الوزارة ترغب في ان تصرح بقبولها التام للنظامات الجمهورية وانها مصممة على ان تنفذها وربما كان كثيرون من الوزراء لم يسلموا بذلك بدون تردد وكان حدوث تغيير في اراء الامة ما يرجعهم بسرعة الى ارائهم القديمة . وقد اقاموا بذلك بطاعة ارادة فرنسا . وقد راوا النظام الذي تقلدوا بهِ المناصب وهو جار ولا سبيل الى اجراء غيره وقد قالوا انهم يحافظون عليهِ بامانة . فالعادة والمعاشرة تفعلان كالعجائب ومن ياترى يقول ان ابعد الوزرا عن الجمهورية يقترب شيئاً فشيئاً الى ان يصير جمهورياً فعلياً وبالجملة نقول ان ما التزموا بان يقوموا بهِ دليل على اهمية التغيير الذي جرى منذ صد الاضداد المغتاظون تهديدات موسيو بوفي الوزير المذكور السابق . فالمعول عليهِ الان هو الاعتدال والمسالمة ونرى في كل جملة من قرار الوزارة اراء صادرة عن الجمهورية المحافظة واهمها ما قيل بجسارة من انهم قد قبلوا الجمهورية وصمموا على عضدها . فهذه الكلمة التي كانت الحكومة تتجنب ذكرها منذ ايام قليلة بالموارباة قد اصبحت مركز العمل . فانتخاب المجلسين قد جاء باتمام الحكومة الجمهورية . وقد سمع المضادون لها ما لا يرضيهم ولا سيما الفقرة الاتية وهي فالانتخاب العام قد قرر النتائج النظامية العظيمة التي اقام بها مجلس النواب السابق ولا ينحصر لقوة حكومة ان تكون

ذات اساس امتن من اساس الحكومة الفرنسوية انتهى . (راجع الجملة المعنونة بخطاب وزارة فرنسا) فاذا ظن الملكيون بعد ان باتوا ثلاثل ومتروكين ان الوزارة تميل اليهم لانهامن حزبهم المحافظة يخطئون وقد ظهر ذلك بذكر مبادي تحزباتهم المحبوبة عندهم في القرار المذكور . وقد وبخت الحكومة حزبًا اخر نشيطًا وهو الامبراطوري ومنه ٩٢ نائبًا في مجلس النواب . وقد فشلوا واي فشل في الانتخابات الاخيرة ومع ذلك قد قالوا ان رياسة الحزب المحافظ المضاد للحكومة هي بالطبع لهم وقد شرعوا في ان يتكلموا بالنيابة عنه . ولو بقي موسيو بوفي في رياسة الوزارة لاستصعبت حكومة المرشال ما كانوا هون ان تبعد عنها الامبراطوريين . والوزارة التي اصبح موسيو دوفور رئيسًا لها ليست مقيدة بالكلام الخالي من الحكمة والاتفاقات المكدرة التي كانت جارية في ايام سياسة سابقة . وقد عرفت الحكومة الحالية ان الانتخابات المتاخرة كانت لاظهار ميل الامة الفرنسوية الى الجمهورية او الى الامبراطورية . وفي البلاد احزاب اخرى وهي ملكية بوربونية وملكية اورليانية مختلفة الاراء غير ان المناظرة المهمة كانت جارية بين الجمهورية والامبراطورية وهما الحكومتان الوحيدتان اللتان عرفهما الجيل الفرنسوي الحاضر . وقد اظهرت الامة ميلها الى الجمهورية باكثرية عظيمة حتى ان الحكومة تلتزم بان تنفذ ارادتها ولو كانت تميل الى جهة اخرى . على ان حب الوزارة الحالية للامبراطوريين قليل جدًا . ولا يخفى ان رئيس الجمهورية ووزير الحربية كانا قائدين في الدولة الامبراطورية ولكن اكثر ميل الوزارة انما هو الى الحكومة المقيدة النظامية والذين كانوا يميلون الى الملكية كانوا يحاولون اقامة ملك وليس امبراطور رابع . فنقول انهم يميلون الى ابانة ابتعادهم عن الامبراطوريين الطامعين المقلقين . وقد راوا شدة تكدير حزب الحرية من وجود بعض المتحزبين للامبراطورية في المناصب العالية وما خلق من الاخبار المتعلقة بعقد مؤامرة امبراطورية . ومن الامور التي اصر الجمهوريون كل الاصرار على طلبها وانفاذها فصل كل الولاة الذين هم من الحزب الامبراطوري وهذا هو الذي حمل الحكومة على ان تقرر في قرارها المذكور ما ترجمته وسنجعل مروسينا امناء وسيسعفنا المامورون كلهم في ايضاح الجمهورية وحمل الناس على ادراك احوالها . انتهى . ثم وصفت الجمهورية فيه وصفًا يريح الافكار بما ترجمته ان الجمهورية تحتاج الى التاسيس على نواميس الدين المقدسة والاداب والحقوق العائلية ومراعاة حقوق التملك والشغل اكثر من كل الحكومات . انتهى . فهذه الارا الجميلة ارضت الامة عمومًا ولكنها لا تاتي بالسرور الذي جاءت به الفقرة الاتية ترجمتها وهي واننا نرفض الاعمال الحربية التي طالما اقامت بها الحكومات . انتهى . فهذه اشارة صريحة الى الامبراطورية . ولا بد من ان يرى المتحزبون لها ان الحكومة ترفضهم ولا بد من ان يصيروا من الداعدائها فهذا الابتعاد عنهم واظهار التصميم على الاستمرار على الابتعاد يجعلان الوزارة مقبولة عند الاكثرية الجمهورية في المجلسين وهي ترغب في الحال في تقرير قواعد اكثر مما ترغب في الاجراءات . فاذا كان ميل الوزارة صحيحًا لا يلزم ان تبين ميلها حالاً باعمال عظيمة . ومن المقرر ان الجمهوريين قد فازوا بتقرير ما يرضيهم ويعتنون بصيانته من الاعداء واشدهم باسًا موسيو روهر واصحابه الامبراطوريون .

وربما كانت الحكومة الفرنسوية ترى ذلك عند التكلم عن القواعد التي تقوم بها والمنافع التي جاءت بها سياسة المرشال حال كونها لم تتكلم غير كلام

قليل عن الامور القضائية . وقد حدثت امور ربما كانت الحكومة لاتقدر ان تقطع النظر عنها الان الاراء العامة الفرنساوية قد باتت مشغولة بها وقد جعلت موضوعاً للخطب مهيجة في اجتماعات ازدحمت بها الاقدام فان اعدل روساء الجمهوريين قد قالوا انه من اللازم ان يعتني بهم . ومن ذلك ما نشا عن خطاب خطبة موسيو غامبتا وهو تقرير برلزوم فصل الولاة الذين قد ضادوا بثبات الجمهورية مع انها اقيمت براي الامة . فما فائدة الحكومة عن طاعة المروسين ونظام البلديات ناشي لاعن ذلك

تعليمات الولايات

قد نشرت جريدة لاتوركي الترجمة الفرنسوية الرسمية للتعليمات المتعلقة بادارة الولايات وقد ترجمناها وهي الاتية

الفصل الاول

واجبات الولاة

البند الاول . ان السلطنة السنية تنقسم الى اقسام اسمها ولايات وتسلم ادارة كل ولاية الى والٍ

البند الثاني . كل الرعايا العثمانيين مهما كانت رتبهم هم جميعاً متساوون في القوانين والنظامات . والمقصد الوحيد من تنظيم الممالك صيانة حقوق الجميع . فمن واجبات الولاة الاولية المهمة صيانة حقوق كل الرعايا العثمانيين اجماليًا وافراديًا وان يصونوهم من طائلة المظالم الناشئة عن التصرفات الغير القانونية ومن المكدرات .

البند الثالث . ان الولاة احرار في القيام بامور ياتهم ولكنهم مسئولون الى الحكومة في اجراء واجباتهم

البند الرابع . ان واجبات الولاة بالنظر الى هذه التعليمات منقسمة الى قسمين . الاول اجرا الاصلاحات الثاني اجرا واجباتهم في حدود وظائفهم

البند الخامس . ان واجبات الولاة المتعلقة باجرا الاصلاحات في انفاذ الوسائل المقررة بالاستناد الى الفرمان العالي الذي صدر موخراً انفاذاً صريحاً تاماً ; ووظائفهم المخصوصة انما في المناظرة على عقد الاصلاحات وتجيعها بالترتيب بعد اجرائها وعلى الادارة العامة في ما يوافق صوالح الدولة والبلاد

الفصل الثاني

واجبات الولاة المتعلقة باجراء الاصلاحات

البند السادس . ان ما ياتي هو الواجبات المتعلقة باجراء الاصلاحات

اولاً . كيفية الانتخابات الجديدة للاعضا وتنظيم المجالس

ثانيًا . تقسيم كيفية تنظيم الضابطة وجامعي الاموال الاميرية ورسل المحاكم والمجالس (اوالمباشرين) ومستخدميها والحراس مع كيفية انتخابهم

ثالثًا . تنظيم ادارة السجون

رابعاً تحسين تقييدات حجج الاملاك وتسليمها والمحافظة التامة على السنن عند نقل الاملاك

خامسًا . تغيير بدل العسكرية وجمعه بعد توزيع متساو

سادسًا . اجرا كيفية عادلة لدفع النقود عند انشا الطرق وغيرها

سابعًا . تشجيع الزراعة وترقية اسبابها والمناظرة على اموال صناديق الزراعة المقامة لنفعها بحيث تستخدم استخدامًا موافقًا وتضبط حساباتها

ثامنًا . تنظيم الاموال المخصصة وتعيين ينابيع الاموال المحلية واتخاذ الوسائل اللازمة لتاكيد جمعها

البند السابع . ان اهم الامور المتعلقة بتنظيم المجالس وهي قسم مهم من الاصلاحات في حرية الانتخاب الممنوحة الى جميع اصناف الاهالي فيجب ان تجرى وهي

محمية من كل تداخل ولذلك من واجبات الولاة
اولاً . ان يناظروا بحيث يتم انتخاب المنتخبين الذين يرسلهم اهالي القرى والذين ينتخبونهم هم بدون الخضوع لسطوة مأموري الحكومة وسطوة الاعيان

ثانياً . ان يوتى الى المحاكمة لانفاذ القصاص القانوني بكل الاشخاص الذين يحاولون تخويف المنتخبين سرًا وجهارًا لمنع انتخاب لبعض شخص او لابطال توجيه الانتخاب اليهم

ثالثاً . ان ينتخب بآراء الاهالي ضعف العدد اللازم بحسب التعليمات الخصوصية من اشخاص يركن اليهم الناس

ومن الواجب ان يناظر الولاة بانفسهم على انفاذ كيفية الانتخاب بالضبط بحسب الكيفية المذكورة وان يروا ان المتصرفين والقائمقامين يحافظون على ذلك

البند الثامن . عند تنظيم الضابطة وجامعي الاموال الاميرية ومستخدمي المجالس والحراس من اللازم ان يحافظ على التعليمات المخصوصة المذكورة في البند المتعلق باجراء الاصلاحات

فواجبات اولئك هي من جهة قسم من واجبات الولاة الذين يشخصون القوة الاجرائية واولئك المامورون هم واسطة الاجراء ولذلك من المفروض ان يناظر الولاة عليهم ليقوموا بواجباتهم ضمن حدود التعليمات المخصوصة

البند التاسع . عند انتخاب الضابطة او غيرها من الواجب ابعاد الذين هم اصحاب سلوك قبيح بحيث لا يوخذ غير الخلص من اهل الناموس الذين يحق الاركان اليهم مهما كانوا من الاهالي

ومن الواجب ان يكتب الولاة رسمياً الى محل الاقتضاء بالاعتناء التام ليكون انتخابهم بالكيفية المذكورة ويكونون مسئولين اذا انتخب اناس يستعملون افعالاً مغايرة ومضادة للتعليمات المخصوصة ولم يرسلوهم الى المحاكمة

البند العاشر . لتنظيم السجون وادارتها غايتان الاولى تخليص من الذين يكونون للاستنطاق من التوقيف مع الذين يحكم عليهم بقصاصات قانونية

الثانية منع التوقيف في السجن بدون لزوم وبدون حكم

فمناظرة السجون العمومية في الولايات مفوضة الى الولاة والى المتصرفين في المتصرفيات والى القائمقامين في القضاءات فتعين الحكومة كاتباً ويكون مديراً للسجن ايضاً ليفوض اليه تقييد اسماء الموقفين وكتابة التقريرات

البند الحادي عشر . ان الولاة يتخذون الوسائل اللازمة لتنظيم المجالس التنظيم المطلوب قبل كل شيء و يعينون مديري السجون وحراسها . وينشئون في مراكز الولايات والالوية عمد تفتيش ابتدائية مؤلفة من رئيس وعضوين من المسلمين وغيرهم

البند الثاني عشر . ومن واجبات تلك العمد البحث عن اسباب القاء الضابطة القبض على الناس قبل المحاكمة وان تامر بتبيينهم واستنطاقهم اذا كان العمل المنسوب اليهم مستوجب القصاص القانوني وان يطلقوا حالاً سبيل الذين لا يستوجب تصرفهم قصاص القانون بعد اخذ كفالة . وان تناظر بحيث لا يسجن احد بدون وجوب

وفي كل يوم ترسل العمد الى الولاة تقريرات تبين فيها الذين سجنوا من الذين اتي بهم الى مركز الضابطة والذين اطلق سبيلهم

البند الثالث عشر . يحق لكل الرعايا العثمانيين بدون امتياز ان يشتروا اراضي من الافراد او المحلولات من الحكومة التي تباع بالمزايدة او الاراضي الشمسية

وستقرر تعليمات مخصوصة عن كيفية تقييد الحجج

وتسليمها والبدلات العسكرية وتوزيعهما وانشاء الطرق وغير اشياء نافعة وترقية اسباب الزراعة وادارة صناديق الزراعة وتحسين حال الاموال الاميرية وينابيع الاموال المحلية وتكون هذه التعليمات واضحة جدًا من جهة واجبات الولاة المتعلقة بذلك فينبغي ان يقوموا بها بكل ضبط

وقد فوض الولاة بان يجروا كل الوسائل المقررة في تعليمات مخصوصة ويكونون مسئولين شخصيًا في عدم اجرائها والمغايرات التي ربما كانت تحدث

الفصل الثالث

واجبات الولاة العمومية او متعلقاتهم

البند الخامس عشر . ان واجبات الولاة هي كما تقرر في الفصل الاول اي تاكيد المحافظة على الاصلاحات الجراة وتنجيها

البند السادس عشر . ان الواجبات المقررة في هذا الفصل هي عبارة عن مامورية الولاة فانه يطلب اليهم ان يناظروا على الدوام على المامورين في فروع الادارة المختلفة في الولاية ليتمموا واجباتهم ولذلك قد فوض اليهم فصل المامورين الخاضعين راسًا لهم اذا قصروا في القيام بواجباتهم او اقاموا باعمال غير قانونية او خالفوا الاوامر المتعلقة بهم غير انه لا يمكن اجرا ذلك الا بعد تفحص سابق وصدور حكم موافق للظروف وللقوانين المخصوصة . فالمامورون الذين لا ينبغي ان يستاذن بشانهم من الباب العالي على الولاة ان يقرروا عن اسباب الفصل اما الذين لا يفصلون الا بالاستئذان فمن الواجب ان يقرر الولاة قبلاً الى الباب العالي عن دواعي فصلهم . والمامورون الذين لا يتعلقون راسًا بالولاة بل بنظارة او ادارة يقررون عنهم الى النظارة التي لهم علاقة بها اذا ارتكبوا مغايرات

ويكون الولاة مسئولين باهمالهم المناظرة الواجبة على اعمال الموظفين . فالمامورون الذين هم تحت اوامر الولاة راسًا مسئولون ضمن حدود واجباتهم

البند السابع عشر . قد فوض الولاة باتخاذ كل الوسائل الضابطية التي يرون لها لزومًا . ولكن عند حدوث امور غير اعتيادية ربما كانت سببًا لتكدير الراحة العمومية من الواجب ان يقرروا عنها الى الباب العالي مع اخذ التدابير اللازمة . وكذلك المتصرفون يستاذنون الولاة في تلك الظروف فمع اتخاذ الوسائل التي تقتضيها الاحوال يقدرون ان يقرروا بالامر الى الباب العالي بحسب مقتضيات المكان والحادثة

البند الثامن عشر . لا يسوغ للولاة ان يستخدموا الضابطين وضباطهم في خدمة خصوصية لهم مهما كانت الاسباب والدواعي وكذلك المتصرفون والقائمقاميون وسائر مأموري الحكومة

البند التاسع عشر . اذا جعل الضابطون او جامعو الاموال الاميرية او رسل المجالس اهالي القرى يعطونهم مجانًا ماكلاً لهم او عليقًا يفوضون بان يعرضوا في الحال تشكيهم للولاة ومن واجباتهم ان يناظروا على الدوام لمنع مغايرات كهذه واجرا قصاص المذنبين

البند العشرون . انه لا يجوز مطلقًا ان تجمع بوسائط جبرية او مكدرة الحيوانات اللازمة لنقل المواد العسكرية والمهمات

البند الحادي والعشرون . من واجبات الولاة ان يفتشوا على الدوام عن حالة المسجونين وان يناظروا على حالة المسجونين الصحية . وان يروا ان اماكنهم كافية لهم وانه لا يبقى في السجن من قد انتهت مدته وان لا يبقى احد موقفًا مدة طويلة بدون محاكمة واذا طالت محاكمة الذين يوقفون تحت الاستنطاق

من واجبات الولاة تعجيلها وانفاذ الحكم الذي يصدر

البند الثاني والعشرون . يستخدم الولاة روسا المجالس المدنية للمناظرة على السجون وللبحث عن حالة الموقفين

البند الثالث والعشرون . على الولاة ان يعتنوا كل الاعتناء بمخابرات مديري السجون وملاحظاتهم عن حالة المسجونين العمومية وتحسين السجون وفي نهاية كل ثلثة اشهر يرسلون الى نظارة العدلية الجليلة قائمة عامة فيها عدد الاشخاص الذين سجنوا في تلك المدة والذين اطلق سبيلهم منهم والذين استمروا في التوقيف . ومن واجبات المتصرفين والقايمقامية ان يقوموا بذلك ايضًا في السناجق والقايمقاميات

البند الرابع والعشرون . ان الولاة لايتداخلون مطلقًا في انتخاب الاعضاء كما انه لا يسوغ ان يتداخلوا في مفاوضات المجالس . ولكن اذ طال امر دعوى جنائية في مجلس او اذا تشكى من تهمة يخابر الولاة روسا المجالس واذا مست الحاجة يفررون بالواقع الى نظارة العدلية لترويج امر الدعاوي ومن واجباتهم اجرا الحكم بدون ان يضيفوا شيئًا بدون مسوغ الى دعوى قد حكم بها

البند الخامس والعشرون . بموجب النظام لايجوز للولاة ان ينفذوا اقل السطوة في المجالس او ان يسمحوا بان يفرض في اثناء المحاكمة انهم يحمون احد الفريقين المتداعيين

البند السادس والعشرون . ان مضابط المجالس النظامية في الامور المدنية والجنائية ينبغي ان تكون باللغة التركية وان تكون تحتها الترجمة عربيًا او يونانيًا او بلغاريًا او بوسنيا او ارمنيا بحسب المقتضي

البند السابع والعشرون . يفوض الى الولاة المناظرة العمومية في الولايات على جمع الاموال الاميرية والمحافظة عليها وارسالها واستخدامها . ومن الواجب ان يعتنوا بانفاذ مآل النظامات والتعليمات الخصوصية التي تعين حدود اوامرهم والمسؤولية المتعلقة بهم بالاشتراك مع الدفتر دارية

البند الثامن والعشرون . انه لايسوغ للولاة ان يضعوا على الاهالي بدون اوامر عالية مبنية على ارادة سنية مالاً جديدًا ولا ان يقللوا مالا مربوطًا وواجباتهم هي ادارة الامور المالية وان يجمعوا الاموال الاميرية المقررة في الاوقات المناسبة وان يوفروا في المصاريف اي ان يصونوا صوالح المالية في المصاريف المعينة والغير المعينة وان يصونوا من الخسائر كل مداخيل الدولة . وان يعدلوا في جمع الاموال الاميرية وان يفرغوا الجهد في منع اجتماع البقايا من جرى اهمال المستخدمين . واذا راى الولاة مغايرة في توزيع المالية او في كمية الاموال الاميرية من واجباتهم ان يبحثوا عن الاسباب والحسنات ويعرضوها للباب العالي . ومن الواجب ايضًا ان يروا ان الدفتر دارية يجعلون اعمالهم موافقة للتعليمات المتعلقة بمامور ياتهم

البند التاسع والعشرون . سترسل تعليمات جديدة مخصوصة بشان تمهيد الطرق وانشا امور نافعة اخرى موسسة على منع السخرة التي لاتزال ممنوعة

البند الثلثون . لاتزال وصايا المسيحيين المتعلقة بالارث جارية

ولا تمس املاك ومقتنيات القاصرين من المسلمين والغير المسلمين الذين لم اوصيا ومن الواجب ان يجري ذلك بحسب السنن والعادة المقررة . فاذا صدرت شكوى من تصرف الاوصيا بالنظر الى

القاصرين تبادر الحكومة الى صيانتهم مع الفحص بتدقيق عن التشكيات الصادرة

البند الحادي والثلثون . من واجبات الولاة ان يروجوا الامور المدنية والمالية والضابطة في ولاياتهم . ويرسلوا الاوامر المتعلقة بذلك راسًا الى المتصرفين والولاة وينفذون قرار الحكومة . والماموروں الثانويون في الولايات ملزومون ان يخاطبوا الولاة دائمًا . اما الامور العدلية فيخابر بها المتصرفون نظارة العدلية الجليلة عندما تمس الحاجة وينفذون الاوامر والقرارات التي تبلغ اليهم ويقررون عنها للولاة

البند الثاني والثلثون . من واجبات الولاة ان يجولوا للملاحظة بانفسهم في داخلية ولاياتهم ليناظروا على سريان الامور عمومًا في مجاريها

الفصل الرابع

واجبات المتصرفين والقائمقامية

البند الثالث والثلثون . ان المتصرفين في السناجق هم وكلاء الولاة وواجباتهم في كواجبات الولاة المذكورة في هذه التعليمات . وكما ان مناظرة الولاة تمتد في السناجق مناظرة المتصرفين تمتد الى القائمقاميات الملحقة بها حال كونهم في رياستها

البند الرابع والثلثون . ان المتصرفين يبلغون القائمقامين كل الاجراآت ضمن الحدود المسلمة اليهم ويسلمونها اليهم . والامور الخارجة عن تلك الحدود يخابرون قبلًا الولاة ويجرون بما ينتج

البند الخامس والثلثون . ان امور الضابطة المهمة جدًا يراجعها المتصرفون الولاة طالبين اوامرهم ويفوضون ايضًا بان يعرضوا بها للباب العالي اذا مست الحاجة الى ذلك وفي الامور القضائية يسمح لهم ايضًا ان يخابروا نظارة العدلية الجليلة

البند السادس والثلثون . القائمقامون في القضاآت هم وكلاء المتصرفين وواجباتهم في ان ينفذوا هذه التعليمات المتعلقة بادارة القضاآت وان يناظروا على ترويج الامور المدنية والمالية والقضائية

الفصل الخامس

واجبات المجالس

البند السابع والثلثون . من واجبات اعضاء المجالس النظامية ان يجعلوا اعمالهم موافقة للسنن المقررة وان لا يبتعدوا مطلقًا عن قواعد العدل والانصاف . وبسبب انصاف المجالس يكون لاعضائها حرية تامة واستقلال في ارائهم واعضاء المجالس اجمالًا هم في تبعية نظارة العدلية

البند الثامن والثلثون . ان رياسة مجالس الادارة في مركز الولايات للولاة والمتصرفيات للمتصرفين وللقائمقامين في القائمقاميات وهي للامور الادارية المتعلقة بالدولة والبلاد . ومن واجباتهم ان يبرزوا اراءهم بحرية في الاعمال التي تطرح امامهم للمفاوضة بحسب السنن والعادة

البند التاسع والثلثون . ان اعضاء مجالس الادارة ليسوا بمسئولين بما يجري مضادًا لضابطهم . ومن واجباتهم الامتناع في كل حال عن كل مغايرة في القيام بواجباتهم اما المسئولية الناشئة عن الاجراآت المخالفة لما تقرره مجالس الادارة او المضابط التي تلغى او تؤخر بدون مسوغ فتقع على المامور الذي في يده القوة الاجرائية

البند الاربعون . اذا راى اعضاء مجالس الادارة مغايرات او مظالم في الادارة يقتدرون ان يعرضوا ذلك بضبطة للباب العالي مع المحافظة التامة على حدود العدالة ان كل من وقعت على شخصه تكديرات او مظالم او وقعت مظالم على مصالحه باجراء مامور او رجل اخر يحق له ان يعرض ذلك راسًا للباب العالي . ولكن اذا ظهر

ان التشكي هو نتيجة بغض شخصي يقع المشكي تحت طائلة القصاص القانوني

خاتمة

قد فوض الى عمدة المناظرة من المجلس الاجرامي المناظرة على اجراء هذه التعليمات بالضبط والمغايرة تجلب المسئولية القانونية . انتهى

(قد كاثرت الالغاز فلابد من تاخير نشرها)

الغاز

حل القصيدة اللغزية المدرجة في الجزء الثاني من جنان ٧٦ لسليم افندي عنحوري

من قلم فايق جبرايل افندي عرغور في الاستانة

وهي تنطوي على لغز اخر

وافت تجر ذيول الدل والخفر
صبوحة الوجه تبدي طلعة القمر

ربيبة من بنات العرب مائسة
كانها من بنات البدو لا الحضر

لقد شنفت اذني في حسن منطقها
فنطقها يزدري بالعقد والدرر

خرعوبة خطرت كالغصن مايلة
فظل قلبي بها في يد الخطر

رققت ورقت وراقت بالذي نظمت
عليه الغازها حسنا لمفتخر

قالت سمعت بصقر لا جناح له
فهو الرحيق وهي ان ترد باري

ورب قوم غدا بعلا اراد به
باعال معبود اقوام من البشر

وفتية يلبسون النعل عن شغف
تلك الجليلة ذات الغنج والحور

ومارد من بقايا الجن تسكنه
شامخ الدور مبنيا من الحجر

ويرقع حاكة الخلائق من قدم
تلك السماء بلا قطن ولا وبر

وزمرة واصلوا بكرا بها كبر
فالراح في كبر احلى من الصغر

وجحفل من كماة الحرب دمره
صبي قوم حسام عد للظفر

وغادة قد بدت جربا يريد بها
بديعة الحسن تسبي الصب بالنظر

ومولع في لحاف في حليلته
فهام حتى هوى في اضيق الحفر

وظالم قد حوى عذراء ما حبلت
انثى بها درة تعلو على الدرر

ومعشر اولوا بوحا على جمل
له جناح فحوت عام في البحر

ومسلمين بهم زهد اذا تبعوا
جنازة زق خمر هم من الشمر

وعيسويين ان اموا كنيستهم
خودا رداحا زنوا حتى الى السحر

وملحدين لهم في دينهم ورع
سبوا النبي بطريق الخوف والخطر

وقارئين وما في مصحف قراوا
نار القرى اضرموا فاقدم من السفر

وعاكفين على الفحشاء ليس لهم
ضجيعة غير حسناء بلا حجر

وعاشقين اماليدا مثقفة
تلك الرماح خلاف البيض والسمر

ونضار يين بلا كف اضر بهم
مسافرون بوادي زايد الشجر

وطاعنين وما في صعدة طعنوا
شاخوا وما اعتقلوا رمحا مدى العمر

والبايع الخشف والشاري بجندلة

من عصبة الكفر حكم الاي والسور
وهاك عشرين لغزاً قد حوت عجباً
منها الضباع باوج الافق كالزهر
والعين في الابل فوق الظهر قايمة
والخال للترب امرٌ غير مبتكر
والثور بالناس ذو حكم له شرف
كذا القرود لها نور كما الشرر
والظبي في البدر ماكول له ودكٌ
والطفل فيه السرى بالخوف والحذر
كذا الجراد الى الاطفال ينفذهم
من الطوى وكذاك الام من حجر
والوقف في الغيد محصور له ثمن
والجند تسكن لكن من بني الحضر
ودولة تبلع المحصول عاجلة
وبلدة دون قيراط لدى البصر
والضرب حلو لقد تحلو مذاقته
والبرد للقرد قوت ناب عن سهر
وابرص وجهة يبدي السنا لنا
وقادر يختشي من حملة السمر
وفرقة حولة الصياد مجتهد
والكلب تحمله الفرسان بالقفر
والدبر منه اجتنا الشهد مطلبه
وكل ذلك باد غير مستتر
فاكشف لنا سر ذي الالغاز حيث حكت
في نشرها نفحة الريحان والعطر
رقيقة اللفظ والمعنى لقد نسجت
نسجاً بديعاً وحفت في ندى الزهر
ودمت ترقى سماء العلم مفتخراً
تزهو بثوب الصفا زهواً مدى العمر

الجيوش

من قلم سليم افندي البستاني

وعند اتحاد الدول على محاربة فرنسا الجمهورية وقع خلل في جيشها بخروج قواده حال كونه لم يكن اكثر من ١٠٥ الف جندي وكانت جيوش الاعدا اكثر فالتزمت بان تجمع جنوداً كثيرة من الاهالي وجعلتهم متطوعين وطنيين وكان منهم سنة ١٧٩٣ اكثر من خمسمائة فرقة (طابور) . ولم يتمكن الفرنساويون من تعليم هولا المتطوعين الحركات الكثيرة الصعبة التي كانوا يتعلمونها لاتمام نظام الصفوف الطويلة . وكانت تدور الدوائر عليهم كلما قاتلوا الاعدا قتالاً منظماً صفوفاً طويلة ولو كانوا اكثر منه عدداً فالتزموا بان يخترعوا نظاماً حربياً جديداً وكان قد ظهر بحروب الثورة الامركانية الاولى المنافع الناشئة عن المحاربة بجيوش غير منظمة فاقتبس الفرنسويون ذلك عنهم وجعلوا جيوشاً غير منظمة في الطليعة تعضدها جنود كثيرة الصفوف لاتنكسر بوقوع خلل قليل في نظامها ما دامت الجنود مجتمعة . وكانوا يحملون على العدو بعددا وفر من عدده ويفوزون في الغالب . فهذا النظام الجديد وجهل جنودهم لفنون الحرب حملهم على ان يقاتلوا في الاراضي الوعرة وفي القرى والاحراش ليستتروا من فعل سلاح العدو الذي بات ملتزماً بان يحاربهم بصفوف غير منظمة . ولم يكن لهم خيام ولا مدافع منظمة فكانوا ينزلون في البرية او الحقول . ويعيشون بما يفوزون بالحصول عليه من البلاد فاصبحوا سريعي الحركة فلم يقدر الاعداء ان يناظروهم في ذلك لانّ خيامهم وزادهم ومهماتهم كانت تعيق مسيرهم وتوقعهم في ارتباك . وبحروب الثورة ظهر نابوليون الاول فجعل تلك الكيفية نظاماً حربياً وضم اليه ما كان مفيداً من النظام القديم واوصله الى الكمال الذي اوصل وردربك الكبير النظام الصفي اليه فاصبح الفرنسويون

لا يغلبون الى ان تعلم اعداؤهم منهم فانهم اقتبسوا نظامهم وعلموه جنودهم . فاهم النظام الجديد هو الرجوع الى القاعدة الاولى وهي ان كلاًّ من الاهالي ملزوم بان يخرج للدفاع عن وطنه اذا مست الحاجة الى ذلك فنشا عن ذلك جمع جيوش بقرعة جبرية وان يزاد عدد الجيوش بحيث يصير ثلثة اضعاف الجنود في ايام فردريك واكثر من ذلك اذا مست الحاجة. وان يستغنى عن آنية الطبخ ووضع الزاد في مخازن وجعل نزول الجنود في البراري او الحقول بدون خيم او منازل فزاد ذلك استقلال الجيوش وسرعتها كما زاد عددها بالخدمة الجبرية . وان تكون فرق الجيش مختلطة بحيث يكون في فرقة واحدة مشاة وفرسان وجنود مدافع . فاصبحت كل فرقة جيشًا صغيرًا قادرًا ان يحارب وحده وان يطيل الدفاع ويثبت في القتال ولو كان عدد العدو اكثر . فاصبح الصف ينبوع الجنود الذي يصدر المحاربون منه ثم يعودون اليه فكان كاسفين يحاول الدخول في صفوف الاعداء في مكان مخصوص فيكون للجيش ثلاثة اجنحة كل منها منظم كل التنظيم فيستند بعضها الى البعض الاخر ويكون القتال على ثلثة انواع وهو النفير المنظم والصف العرضي والصف الطولي فاجتماع كل ذلك في جيوش الزمان الجاري يجعلها اقدر جنود العالم وانظمها فتحارب في السهل والوعر والجبال والاودية . فاصبح القواد ملزومين بان يدركوا ظروف الاراضي واحوالها ليجعلوا الجنود [illegible] للقتال فيها تقوم به ولا ينحصر ذلك في القائد العام فانه من اللازم ان يكون كل قائد عالم بالاحوال وقادر على ادراك الظروف ليتمكن من ان يكون قائدًا مستقلاً لفرقة منتقلة اذا مست الحاجة الى ذلك فانه كثيرًا ما كانت تقام الجيوش والفرق الكبيرة والفرق الصغيرة في مراكز يصبح قوادها ملزومين بان يديروها وهي فيها بحسب معرفتهم . وتغيرت حالة ميدان الحرب فان الجنود فيها لا تكون صفوفًا طويلة متصلة في سهول واسعة والفرسان على جناحيها . فان فرقًا كبيرة او صغيرة تقف مختبئة وراء غابات او قرى او تلال بعضها بعيد عن البعض الاخر بمسافات يظهر انها بعيدة حال كون قسم قليل من الجنود يشتغل في اطلاق المدافع والقتال الى حلول الساعة الفاصلة وميدان الحرب يكون ممتدًا بحسب امتداد هذا النظام . وليس من اللازم ان تقام جنود في كل مكان يراه العدو ولكن كانت تقام في اماكن يتيسر لها ان تقوم فيها بالقتال عند اللزوم ومن الحركات العامة في الحروب الجارية ان يتمكن الجيش من ان يهاجم موخرة جيش اخر اضعف منه ويحول بينه وبين مهماته واسباب اتصالاته حتى ان انكسارًا واحدًا يفني الجيش ويجعل النصر في يد الذي اقام بتلك الحركة . ومن التدبيرات النافعة خرق صفوف العدو بجنود جديدة مستريحة عندما يظهر بالظروف انه قد استخدم كل جنوده الاحتياطية . وهكذا امست الجنود الاحتياطية اي الجنود التي يبقيها القائد في ميدان الحرب بدون قتال الى ان يرى لزومًا لاستخدامها من اعظم اسباب الفوز مع انها لا تنفع اذا كان النظام نظام صفوف فقط كما في الماضي بل توقع الجيش في ارتباك . والان يكون نظام الجيش عرضيًا وطوليًا ايضًا فيمتد من صف المقاتلين في الطليعة الى اخر صف من الجنود الاحتياطية في الموخرة . وبالجملة نقول انه لا يلزم للنظام الجاري تمرينات كنظام الصفوف الذي سبقه غير انه يحتاج الى سرعة حركة لا مزيد عليها والى اجتهاد وجد وادراك فالجندي لا يقدر ان يحارب اذا كان غير مدرك كما ان قائد الجيش لا يقدر ان يديره اذا لم يكن ذا ادراك ومعارف وحذق ولم تتم اصلاحات بعد

ايام نابوليون الا من هذه الجهة اي من جهة تحسين معارف الجنود

ولم تحدث تغييرات مهمة في تلك المدة في الاسلحة والمدافع فان الحروب المتصلة لم تمكن الدول من ان تلتفت الى التحسينات والاصلاحات العسكرية التي لا تتم الا بصرف وقت كافٍ وهذا لا يتيسر الا في زمان السلام . واهم التغيير جرى قبل الثورة الفرنسوية بزمان قصير وهو تضييق جديدة البندقية فصار محيطها الداخلي ضيقاً بحيث تكاد تكون الكرة قدر الفراغ وبدلوا خشبها المستقيم بخشب معوج فهذا الاصلاح نفع الجنود الفرنسوية وجعلهم يمتازون عن جنود سائر الدول حتى اقتبسته عنهم . واستمرت الاسلحة المعول عليها الى ان اخترعت البنادق المعروفة ببنادق الكبسول . ومن اصلاحات ذلك الزمان اختراع كريبا وفال في المدافع . وكانت المدافع الفرنسوية مهملة جدًّا في دولة الملك لويس الخامس عشر حال كونها مختلفة الحجوم ومركباتها من الاختراع القديم . وكان الرجل المذكور من الذين خدموا في الحرب التي استمرت سبع سنوات مع النمسا فراى مدافع اتقن من مدافع دولته فاصلحها وصغر حجمها والمدافع التي كان يحارب نابوليون الاول بها هي من اختراعه . وكانت المدافع الانكليزية اردا مدافع ذلك الزمان عند فتح الحرب على فرنسا غير انهم اصلحوها شيئًا فشيئًا حتى بلغت درجة متقنة جدًّا اما مدافع الافراس التي اخترعت في زمان فردريك الكبير فاصلحت كثيرًا في زمان نابوليون ولا سيما في وقته . وعند انتها الحرب ظهر ان الانكليز اتقنوها اكثر من الجميع . وما من جيش اوربي كبير الا النمسا يجعل صفوف المدافع عوضًا عن مدافع الافراس

اما الجيوش الالمانية فحافظت على المشاة الذين كانوا متقلدين البنادق وجعلوا صفوفًا طويلة ولذلك اصبح لبنادقهم اهمية وهي المضلعة داخلاً فاتقنوها وسنة ١٨٣٠ اقتبسها الفرنسويون اذ راوا انهم في احتياج الى مدافع تنقل كراتها عن بعد ونظموا جنود الصيادين المشاة وبلغوا درجة من الاتقان ليس لها مثيل . وكان ذلك لازمًا من جرى الاصلاحات العظيمة التي ظهرت في الاسلحة الصغيرة ولا سيما البنادق المضلعة فانها كانت تدفع كراتها الى بعد عجيب وبضبط غريب واشهرت باصلاحاتها اسما دليفن وتوفينو ومنيه . وادخلت بنادق الكبسول الى جيوش المشاة عند كل الدول بين سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٤٠ . وتاخر الانكليز والروسيون في اقتباسها مجاراة لعادتهما . وفي اثناء ذلك افرغ الجهد في سبيل اصلاح السلاح الصغير في اماكن مختلفة بحيث تصير البنادق قادرة على دفع كراتها مسافة طويلة . فاخترع البروسيانيون بندقية الابرة المضلعة التي تحشى من اسفلها وتطلق بسرعة وتدفع كراتها الى بعد . واصل الاختراع في البلجيك فاصلحه البروسيانيون وحسنوه . ومع انها ليست اتقن البنادق من جهة الضبط ودفع الكرة وبساطة التركيب وتاكيد التاثير عولوا على جعلها بندقية جنودهم واستخدموها بنجاح عظيم في حرب الشلسويك والهولستين ثم في حروب بروسيا العظيمة في النمسا وفرنسا . وقد قال كثيرون من الكتاب العسكريين ان نجاح البروسيانيين في حروبهم المتاخرة ناشئ عن اتقان مدافعهم واسلحتهم الصغيرة . غير ان هذا لا يصح في كل حال فان سلاحهم كان اتقن من سلاح النمساويين ولكنه لم يكن اتقن من سلاح الفرنسويين فان بندقية الشاسبو الفرنسوية اتقن من بندقية الابرة وانظم منها . وقد سبق الانكليز الجميع الى صنع بنادق متقنة جدًّا للجنود وهي بندقية انفليد وقد ظهر في حرب القرم انها اتقن البنادق التي كانت موجودة

في ذلك الزمان ونجحوا بواسطتها في قتال انكلترا من. غير ان الامركان قد فاقوا كل الدول في اختراع البنادق والقربينات واستخدامها. وقد قرر المخترعون ان البنادق التي صنعتها امركا في اسبرنغيلد وبنادق اسبانسر وهنري ورمنكتون وغيرها اتقن من كل البنادق والقربينات التي اخترعها الانكليز والفرنسويون والالمان وافعل منها ولذلك قد صنعت منها دول كثيرة

اما نظام الجنود الحربي فلم تحدث تغييرات جديدة مهمة في جيش الفرسان ولا في جيش المشاة خلا ما اقامت فرنسا به بجيش الصيادة ونظام بروسيا الجديد الذي تتألف به فرق طولية اي انها ليست بذات صف عرضي وقد عولت عليه كل الدول. اما صفوف الجنود فهي بالاسم ثلثة واحد وراء الاخر وبالفعل صفان فان الانكليز عولوا على ذلك بعد ايام نابليون الاول. ولا تزال دول اوربا تحافظ على نظام فرسان فردريك مع احداث تغييرات قليلة جدًا. واصلح الامركان في حروبهم الاهلية الاخيرة نظام فرسانهم. فالجنود الاولى التي دعيت الى ميدان الحرب كانت من الفرسان الخفيفة. غير انهم اصلحوا القربينات والغدارات الكثيرة الطلقات وكان ذلك بالنظر الى كثرة الغابات في البلاد التي كانوا يحاربون فيها واسطة لادخال تدبيرات جديدة فانهم كانوا يلتزمون غالبًا بان ينزلوا عن افراسهم ويحاربوا مشاة واتقنوا ذلك وكانوا تحت قيادة الجنرال شريدان في الشرق والجنرال ولسون في الغرب وهي من الوسائط الاولية التي جاءت بنهاية الحرب وجعل الفرسان في ولاية فرجينيا جيشًا منفصلاً عدده من عشرة الاف فارس الى ١٥ الفًا واسمة فرسان جيش البوتوماك. ولذلك سمي بجيش المسيسبي الفرسان الذي كانوا في كانتوكي وتنسي ومسيسبي والاباما وعدده ٢٠٥ الفًا وكانت هذه الجنود الجرارة فرسانًا قادرة ان تقوم بالحرب وحدها لمضادة اسباب الاتصال والتعدي على مخازن العدو وان تحارب مع المشاة بالحمل على جناحي جيوش الاعداء ومؤخرتهم. وقد طالما ظهرت منافعهم واقتدارهم بسرعة الحركة وقطع المسافات الطويلة والقيام بالحرب بثبات وحملات مؤثرة عند الهجوم على المشاة والاستيلا على الحواجز وغير ذلك. ولا ريب في ان من اسباب نجاحهم نظامهم المستقل وترتيبهم الثابت واسلحتهم المتقنة فان اكثرها كانت في نهاية الحرب من بنادق اسبنسار وقربينات ولم يكن لها نظير في ذلك الزمان وقد تقرر عند كثيرين من اصحاب المعارف والاختبار بانة لا تهجم جنود حاملة تلك الاسلحة هجومًا مرتبًا منظمًا صحيحًا على فرسان او مشاة او حواجز بدون الفوز بالمرغوب

اما المدافع فقد اصلحت كثيرًا باتقان حديدها ومركباتها وغير ذلك وقد اتقن فنها اوفى اتقان فمع كل جنود الدول مدافع مضلعة للقتال وللحصر. ويصنعون مدافع ميادين الحرب من فولاذ او من حديد مصبوب او مطروق. وكلها تدفع كرات من حديد محشوة او غير محشوة مستطيلة وهي قادرة على دفع قطع صغيرة من الحديد والفولاذ والرصاص وغيرها حتى ان المدافع النحاسية المسقولة الداخل يكاد ينقطع استخدامها

وترتيب جيوش هذا الزمان يكاد يكون واحدًا وهي تجمع بالقرعة فيخدم الرجل مدة وينصرف او يخدم مدة قصيرة ويكون موضوعًا لان يدعى عندما تمس الحاجة غير ان انكلترا وامركا لا تجمعان جنودهما بالقرعة ولا بوسائط اخرى جبرية ففرنسا من الدول التي تصرف جنودها بعد اتمام المدة وبروسيا تصرفهم بعد ان يخدموا مدة قصيرة

ثم تدعوهم اذا مست الحاجة. وليس في سويسرا جيش عامل فان الجنود هم من الحرس الوطني الذي يمرن برهة قصيرة . ولا تزال بعض الدول تنظم جنوداً اجانب ففي فرنسا جيش اجنبي . واذا حاربت انكلترا تلتزم بان تقوم بذلك . وتختلف اوقات الخدمة الفعلية ففي سويسرا يقومون بها اسبوعين وكذلك في دول المانية صغيرة و٣ سنوات في بروسيا و٥ او ٦ سنوات في فرنسا و١٢ سنة في انكلترا و١٥ في روسيا . اما الضباط فيجمعون بطرق مختلفة وفي اكثر الجيوش لا يمنع الجندي عن ان يرتقي الوظائف السامية غير انه يعاق عن ذلك باسباب اخرى . ففي فرنسا والنمسا لا بد من ان يكون بعض الضباط من الملازمين وهذا لازم في روسيا بسبب قلة المتعلمين . وفي بروسيا يعاق الذين ليسوا من اهل المعارف عن بلوغ المناصب في الجيش فيخص الذين يطلبون الترقي علمياً . وقل ما يرتقي الجندي الانكليزي المراتب العالية . وللضباط والقواد مدارس يتعلمون بها قبل ان يتقلدوا المناصب وهي المسماة بالمدارس الحربية وفي فرنسا يقدر الانسان ان يرتقي في العسكر بدون ان يتعلم فيها . والقواد والضباط البروسيانيون يمتازون عن كل الضباط والقواد بالفنون الحربية والمعارف . واكثر اسلحة الدول وتجهيزاتها واحدة ولو اختلفت كيفيات الصنع والمواد التي تصنع منها واتقن المصنوعات الحربية في انكلترا وامركا فانهما اتقن الامم صناعة. وكل الجنود تنقسم الى ثقيلة وخفيفة فالاولى هي الغالبة واكثر جيوش المشاة منها والخفيفة قد كثرت منذ الحرب الامركانية الاهلية والحروب بين المانيا والنمسا وفرنسا وكل الدول تميل الى تكثيرها وتنقسم جيوش الفرسان الى قسمين خفيفة وثقيلة خلا امركا فان فرسانها كلها من الخفيفة فالثقيلة هي المدرعة وبعض الدراعون في بعض الجيوش من الثقيلة والبعض الاخر خفيفة وكذلك الذين يحتملون الذوابل. ولولا فرسان القوساق لكانت روسيا بدون فرسان من الخفيفة. ولا ريب في ان اتقن الفرسان من الجيوش الخفيفة فرسان النمسا والمجر ومن بولونيا . والمدافع تنقسم ايضاً الى قسمين وتنقسم المدافع الخفيفة الى مدافع فرسان ومدافع مشاة فمدافع الفرسان تكون غالباً مع الفرسان وليس للنمساويين مدافع افراس ولا للفرنسويين والانكليز مدافع مشاة متقنة غير ركب الرجال مركبات المهمات

وتنقسم جيوش المشاة الى فرق صغيرة وفرق كبيرة (طوابير) وجيوش . فالطابور وهو فرقة كبيرة هو القسم المستقل اي ان الجيوش تحارب وهي منقسمة الى طوابير الا في النادر . ولا ينبغي ان يكون كثيراً فلا يقدر قائده ان يديره بصوته وعينيه ولا ان يكون كثيراً فلا يقدر ان يقوم بالحرب وحده فيولف من ستمائة جندي الى ٠٠ ٤ ٫ ١ والاغلب ٨٠٠ او ٠٠ ٠ ٫ ١ . ويقسمون الطابور الى فرق صغيرة لضبط حركاته العسكرية وتسهيل تعليمها وغير ذلك . فالطابور الانكليزي يولف من ١٠ فرق صغيرة في كل منها من ٩٠ الى ١٢٠ رجلاً والروسي والبروسياني ٤ فيه ٢٥٠ رجلاً والفرنسوي والنمساوي ستة اعدادها مختلفة . وتولف الجيوش من طوابير اي ان الطوابير تصير جيوشاً لاسباب نظامية وادارية وترتيبية ولجعل التمرينات واحدة وليس لمقاصد متعلقة بالحركات الحربية . ولذلك كثيراً ما تتفرق طوابير جيش عند تنظيمه للهجوم او الصد . وكل جيش في روسيا والنمسا مولف من ٤ طوابير وفي بروسيا ثلثة طوابير وفي فرنسا طابوران خلا جنود الاحتياط واكثر الجيوش في انكلترا في وقت السلام تولف من طابور واحد

والفرسان كذلك ينقسمون الى فرق صغيرة

وفرق كبيرة وهي طوابير. فالفرقة الصغيرة تولف من مئة الى مائتي رجل وللانكليز وحدهم يقسمون الفرقة الصغيرة من الفرسان الى قسمين مراعاة لامور ادارية . وفي كل طابور من ٢ الى ١٠ فرق . وليس للانكليز في وقت السلام في الطابور غير ثلاث فرق صغيرة عدد كل منها ١٢٠ فارسًا وللبروسيانيين ٤ عدد كل منها ١٥٠ فارسًا . وللفرنساويين ٥ عدد كل منها من ١٨٠ الى ٢٠٠ . وللنمساويين ٦ او ٨ عدد كل منها ٢٠٠ فارس . وللروسيين من ٦ الى ١٠ وعدد كل منها من ١٥٠ الى ١٧٠

وفي جيش الفرسان للطابور اهمية بالنظر الى الحركات الحربية لان الطابور واسطة لحملة . وكل فرقة صغيرة منه تعضد الفرقة الاخرى ولذلك يكون عدده كافيًا اي من خمسماية الى ٦٠٠ فارس. وللانكليز وحدهم طوابير قليلة العدد فيجمعون ٤ او ٥ منها في جيش واحد . وطوابير النمساويين والروسيين قوية جدًّا . وللفرنساويين بالاسم طوابير كثيرة العدد غير انه قد ظهر في القتال انها قليلة جدًّا بسبب الافتقار الى الافراس

وتنظم المدافع صفوفًا وتقسيمها الى فرق صغيرة وطوابير انما هو مراعاة لامور تجري في زمان السلام خلا في امركا فان تقسيمها يكون في زمان الحرب فقط . واصغر الصفوف يكون مركبًا من اربعة مدافع . وللنمساويين ٨ و٦ لفرنسا وبروسيا وانكلترا وامركا . اما الجنود الخفيفة ففي الغالب تنظم فرقًا صغيرة وطوابير بدون ان تصير جيوشًا فان سلاحها يمنع اجتماع كثيرين منها جيشًا واحدًا . وكذلك فعلة الحفر وغيرهم فانهم قليلون جدًّا بالنسبة الى الجيش . ويختلف نظام الفرنساويين فقط . وعند اكثر الدول يتم القسم النظامي بالطابور في زمان السلام ولا تولف الجيوش والجيوش العامة الا في زمان الحرب . غير ان البروسيانيين والروسيين قد قسموا جنودهم الى كل الاقسام الصغيرة والكبيرة وفيها قوادها فكأنها في حرب

وفي الحرب يزاد الجيش من ٤ الى ٨ طوابير في المشاة ومن ٦ الى ٢٠ فرقة صغيرة من الفرسان ويمكن تاليف جيش من جنود خفيفة وجنود صفية وهذا نافع غير انه لا يستفاد من خلط الفرسان المدرعين باصحاب الاسلحة الخفيفة . وكثيرًا ما يضيف النمساويون صفًّا من المدافع الى كل جيش . واجتماع جيوش يتالف منه جيش عام . وفي الغالب يولف من جيشين من المشاة ومن ٤ او ٦ فرق صغيرة من الفرسان وصف واحد او ثلثة صفوف من المدافع وهذا هو الجيش المسمى قائده بالفريق وبالاصطلاح هو الفرقة . وليس للفرق او الجيش العام الفرنساوي والروسي فرسان وعند الانكليز هم جميعًا من المشاة . فتلتزم هذه الدول ان تضيف فرسانًا ومدافع الى جيوشها عند القتال وكثيرًا ما ينقطع النظر عن ذلك او يتعسر القيام به . وفرقتان او ٣ فرق او اكثر تصير جيشًا عامًّا وهو المعروف بالاوردوي ويكون له عند كل الدول فرسان ومدافع ولو كانت الفرق ليس لها شيء منها . واذ كان لها شيء منها يكون لقائد الاوردوي منها فضلًا عما يختص بالفرق . وقد وجدت حكومة امركا ان الاوفق فصل الفرسان عن المشاة وجعلهم فرقًا او طوابيرًا خصوصية ذات قواد مخصوصين . وقد سبق نابوليون الاول الجميع الى تخصيص فرسان لطوابيره ولم يكتف بذلك فنظم كل ما بقي من الفرسان طوابيرًا احتياطية وجعلها فرقتين وخمس فرق كبيرة والحق بها فرسان مدافع . ولا يزال الروسيون محافظين على فرسانهم الاحتياطيين وربما كانت دول اخرى تقوم بذلك عند فتح حرب مهمة

فهذا نظام الجيوش المحاربة في هذا الزمان ·
وقد قلنا ان الدول قد ابطلت الخيم والافران العسكرية ومركبات الخبز ومع ذلك لا يزال كثيرون من الرجال مخصوصين بنقل المهمات والاسلحة والزاد وغير ذلك مما لا يتيسر قيام الحرب بدونه · وقد نظموا ما يسمى باركان حرب ليمكنوا قواد الجيوش العامة والفرق الكبيرة والفرق الصغيرة من ان يحسنوا قيادة جنودهم وعند الانكليز يولف اركان الحرب من القواد والضباط فقط · ومن واجباتهم تجسس البلاد التي يمر بها الجيش ورسمها وتخطيط المقاتلات وترتيب الفرق بالتفصيل لمنع وقوع الارتباك فلا تحمل الجنود اتعابًا غير لازمة · ولا يخفى ان مراكزهم مهمة جدًّا ولذلك لا بد من ان يكونوا متعلمين العلوم ومتضلعين بفنون الحرب وعارفين باقتدار الجيوش ويكونون في كل بلاد من احذق الاهالي وانشطهم ويعلمون في اتقن المدارس وقد تفرد الانكليز بما تقرر في عقولهم أن كل قائد او ضابط اولي من قواد الجيش او ضباطه قادر على ان يقوم بذلك فامسى اركان حربهم متاخرًا عن كل اركان فلا يقدر جيشهم ان يقوم الا بحركات بسيطة بطيئة حتى ان القائد اذا كان نشيطًا غيورًا يلتزم بان يعتني بكل الاشغال المتعلقة باركان الحرب من تلقاء نفسه · وقلما يكون للفرقة الكبيرة اكثر من ضابط واحد من اركان الحرب . اما الجيش فله اركان حرب مخصوص تحت ادارة قائد وللجيش العام اركان حرب تام نحو قواد كثيرون تحت رياسة قائد اذا مست الحاجة يصدر اوامره باسم القائد العام . ويعين عدد كاف من ضباط اركان الحرب ليسيروا مع الطليعة ويتجسسوا الارض ويهيئوا تعيينات القتال للدفاع او للحمل · وله قائد عام لجنود المدافع ومهندس اول وبعض نواب

لينوبوا عن رئيس اركان الحرب في مراكز مختلفة من ميدان الحرب وضباط كثيرون لتبليغ الاوامر وحمل التحريرات · ومع الطليعة او مركز قيادة الجيش رئيس دائرة الادارة وكتابة وصراف الجيش ورئيس الدائرة الطبية وقاضي العسكرية · واركان حرب الفرق منظم كهذا النظام لكن مامورية اقل وكذلك اركان حرب الطوابير غير انهم ربما كانوا مولفين من ضابطه ونائبه وضابط اخر وصراف وجراح وهو كاتب و بواق

ولا يتم تنظيم الجيوش بذلك فقط لانه لا بد من دواير اخرى كثيرة منها دوائر جمع الجنود ودوائر ادارة الافراس ومدارس عسكرية ومدارس تعليم الركوب والجراحة ومعامل لصنع الاسلحة والبارود ومنازل الجنود ومخازنها ومحلات مداخلها والقلع مع اسلحتها ومهاتها وضباطها · ووكالة الجيش العمومية واثقالها اكثر من اثقال اركان الحرب الخصوصية في الجيوش والوكالات · واركان الحرب العمومية ذات واجبات مهمة فينقسم في الغالب الى دائرة تاريخية لجمع التواريخ المتعلقة بالحرب وتنظيم الجيوش وغير ذلك في الماضي والحال · ودائرة رسم وطبع لجمع الرسوم وتخطيط كل البلاد ودائرة افادات خصوصية وغير ذلك · وفي رياسة كل هذه الدوائر ورياسة الجيوش نظارة الحربية وترتيبها يختلف باختلاف البلدان · وهذا هو نظام الجيوش في هذه الايام · اما جيش نابوليون الاول العظيم سنة ١٨١٢ لما كان عنده ٣٠٠ الف مقاتل في اسبانيا و ٢٠٠ الف رجل في فرنسا وايطاليا والمانيا وبولونيا وحمل على روسيا بار بعماية وخمسين الفًا والف وثلثمائة مدفع فكان جيش بروسيا عندما حملت على فرنسا سنة ١٨٧٠ قدر ذلك الجيش وكان تحت قيادة حضرة الملك غليوم

بمساعدة الجنرال فون مولتك وجمهور من القواد والضباط العارفين . ولم يقتل كثيرون في تلك المعارك لا من الفرنساويين ولا من الالمانيين غير ان تلك الحرب العظيمة جاءت بتبديد شمل الجيش الفرنسوي واسر اكثره وفتح البلاد الفرنسوية . فاشتهر امر هذا الجيش وتقرر انه اتقن الجيوش من كل الوجوه غير ان فرسانه دون اقوى فرسان الجيوش المتقدمة

تاريخ فرنسا

فسمع الناس هذا الخطاب بفرح شديد وضجوا مادحينه واي ضجيج وبعد خروج نابوليون خطب رئيس المجلس القضاءي خطابا يحق لنا ان نقول انه لسان حال الامة الفرنساوية وهذه ترجمة خطابه

ان الوصف الذي معناه هو كوصف ملك من الملوك السلميين الذين لم يعتنوا الا في الادارة الداخلية مع ان كل هذه الاعمال النافعة والمشروعات العظيمة صدر الامر بها بعد ان تقررت في عقل الامبراطور في وسط ضوضاء الحرب في ابعد حدود بروسيا المفتوحة وحدود روسيا التي باتت عرضة لتهديداته . فاذا كان ذلك البطل قد اقام ما اقام به من الانشاءات والمنافع وهو بعيد عنا مسافة الف وخمسمائة ميل يدبر حروبا عظيمة ويحمل مشاقها ومخاطرها فماذا يا ترى يفعل وهو متمتع في وطننا بالسلام فلا ريب في انه يفرغ كل جهده في سبيل المنافع العمومية فيكون مجده انفع . فهذا هو الرجل الذي ارتفع عن كل الرجال وقلب وانشا ووسع حدود الممالك فهذا الرجل الذي قد حصل على ما قد حصل عليه من المجد قد وعدنا بالقيام بما يزيد عما قد اقام به . فبنا لنتمتع بالسلام وبالراحة بخلع السلاح سيظهر ان قوته التي لا تغلب بل تسير قابتة دولا وامبراطوريات هي ناشئة عن تلك الحكمة الملكية الصحيحة التي تحفظ الدول بالسلام وتغني الامم بالزراعة والصناعة وتزينها بمصنوعات الفنون وتوسس قواعدها تاسيسا ثابتا على اساس الاداب والنظامات والقوانين . انتهى

وكان قد انشا مدرسة للبنات في اوكون وكان يهتم بها عظيم اهتمام فكان كثيرا ما يهدي الفتيات اللواتي يمتزن بالتقدم ما ينشطهن . وفي ذات يوم زار المدرسة فوجد التلميذات جميعا يشتغلن بالخياطة وبعد ان تكلم منشطا كل صف سال فتاة كانت تلوح على وجهها لوائح حسن المزاج قائلا كم خيط ابرة يلزم لكل خياطة قميص . فاجابت على الفور قائلة يا مولاي لا يلزم لي غير خيط واحد اذا كان ذا طول كاف فسر نابوليون جدا بالجواب الارتجالي فوهب الفتاة في الحال سلسلة ذهبية . وكان جميع تلاميذ المدارس يحبون الامبراطور محبة شديدة

وبعد رجوع الدولة البوربونية صدر الامر بان يزال من المدرسة كل ما يذكر تلامذتها بنابوليون المختلس . فاخذت الحكومة من التلامذة الهبات التي وهبها لهم الامبراطور اما مادام وازل بروار فحفظت السلسلة المذكورة وقالت انها لا تسلمها ولو قتلوها . وفي ذات يوم راها خادم فاخبر رئيس المدرسة فطلبها فامتنعت عن تسليمها فتقرر الامر لاولياء الامور فطلبوا السلسلة فامتنعت عن تسليمها وقالت انها هبة الامبراطور ولا بد من حفظها ولو جاءت بارد العواقب اي ولو قتلت . فسجنت وبقيت وحدها اياما كثيرة ولكنها لم تغير عزمها . فجمع التلميذات وطردت على مراى منهن مع انها كانت محبوبة من الجميع . وبعد ذلك ببرهة قصيرة زارت الدوقة دي انغولم تلك المدرسة وهي من العائلة البوربونية . فامر كل الاولاد بان يضجوا قائلين فليعش الملك اي البوربوني عند دخول تلك الدوقة الى المدرسة فدخلت واقشعر بدنها لما سمعت التلميذات

وقد صحن قائلات فليعش الامبراطور

وكان الكونت دي ليل الذي صار بعد ذلك الملك لويس الثامن عشر ساكناً في روسيا فاقام بحركة تبين انشا مؤامرة لارجاع البوربون الى تخت فرنسا وكان الامبراطور اسكندر الروسي يحب ان يبين انه لا علاقة له بذلك فاخبر به سفير فرنسا وطلب اليه ان يبلغه الى الامبراطور فاجاب نابوليون بما ترجمته اشكر الامبراطور اسكندر على التبليغ الذي طلب اليك ان تقوم به وبخطيئة اذا ظن انني اهتم اقل الاهتمام بما يقدر الكونت دي ليل ان يفعله فاذا كان قد تعب من السكنى في روسيا فليات الى فرسايليا فاقوم بكل ما يلزم له

وكانت ترد تقريرات مفصلة الى نابوليون عن كل ما كان يجري في بلاط امبراطور روسيا وكان اسكندر امبراطورها قد اشغل بحب امراة جميلة حتى انه بات اسير غرامها وصرف اكثر زمانه في الاعتناء بها وحبا لسنها. فكتب نابوليون الى سفيره في بطرسبرج في نهاية تحرير فيه اوامر سياسية انني اهتم بلا حظة صفات ذلك الرجل الذي ولد امبراطوراً فكيف ياترى تقدر امراة ان توثر في عقل امبراطور كل الروسيين. فكل نساء العالم لا يحملنني على ان اضيع ساعة لاجلهن. فلا تنقطع عن اخباري بكل شيء بالتفصيل التام فان اعمال الانسان الخصوصية مرآة نرى فيها اموراً كثيرة مفيدة

وبعد ان تزوج جيروم شقيق نابوليون بنت ملك ورغمبرج بعث نابوليون بالتعليمات الاتية الى اخيه وهو خارج من باريز وهي

يا اخي اظن انه من الواجب ان تذهب الى استتكارد لان ملك ورغمبرج قد دعاك اليها واذهب منها الى كاسل بكل الاحتفال الذي تساق امتك الى القيام به بواسطة اماثلها واجمع نواب المدن وخدمة كل الاديان ونواب الولايات الموجودة واعتن بان يكون النصف من الامرا والنصف الاخر من الاهالي وبعد ان تعين هذا المجلس تحلف امامه بالمحافظة على النظام الاساسي. وعين في بادي الامر نصف المشيرين فان ذلك كاف للابتدا بالاشغال. واعتن بان تكون الاكثرية من غير الامرا بدون ان تمكن احداً من ان يرى انك معتن بان تكون الاكثرية منهم. هذا خلا بعض وظائف في البلاط فلاتنفذ القاعدة نفسها من الواجب ان يدعى اليها اعظم اهل الرتبة والشان. ولكن من الواجب ان تجهد نفسك ليكون اكثر الوزرا اعضا في مجالس الادارة والمحاكمات من غير الامراء فهذا العمل يدخل قلب المانيا ويخجل الاصناف الاخرى. وكما انك ان لا تتكلف اجراء ذلك. واحذر من ان تقوم بمفاوضات ومن ان يعلم الناس انك تهتم جداً في تنشيط الاهالي. ويلزم ان تجعل قاعدتك اختيار اصحاب الاهلية للقيام بالاعمال ومن الامور المهمة عندي ان لا توخر ابداً ادخال نظامات نابوليون وقوانينه الى بلادك. فسعادة امتك مما يهمني من جهة تاثير ذلك في مجدك ومجدي ومن جهة السياسة العمومية في اوربا. فلا تسمع للذين يقولون ان امتك متعودة العبودية فلا تشكرك على منحك. فان عرشك لا يكون ثابت الاساس ما لم يكن موسساً على اركان الاهالي اليك وحبهم لك. فان اهالي المانيا ينتظرون بفروغ صبر ان يفوز اصحاب الصيت الحسن والمعارف بعنايتك وبالمناصب. واهالي وستفاليا احذق مما يريد البعض ان يبين لك. ومن الواجب ابطال كل انواع العبودية واسباب التحجب الجارية بين الملك وادنى الاهالي. فمنافع نظام نابوليون وفتح المجالس وانشا الاعضا الموقتين للنظر في كل دعوى هي امتيازات تمتاز دولتك بها عن الدول التي سبقتها

واذا ابنت لك كل افكاري اقول انني اتكل عليها لتثبيت تلك المملكة واتساع دائرتها اكثر من اتكالي على نتائج اعظم القوات . ومن اللازم ان يتمتع اهالي مملكتك بحرية ومساواة ونجاح لا يتمتع بها سائر شعوب المانيا . فهذه الحكومة الحرة توثر تاثيرات حسنة في نظام الاتحاد وقوة المملكة . فهذه السياسة امنع حاجز يفصلك عن بروسيا فهو امنع من الالب والقلع وحماية فرنسا . فاية امة يا ترى ترغب في ان تعود الى الخضوع لحكومة بروسيا المطلقة بعد ان تذوق طعم ادارة حكيمة حرة وتتمتع بمنافعها . فاهالي المانيا وفرنسا وايطاليا واسبانيا يرغبون في المساواة ويحتاجون الى اراء حرة . وقد ادرت احوال اوربا سنين كثيرة وقد رايت ما قرر في عقلي ان تذمرات اهل الامتياز هي مضادة للراي العام . فكن ملكًا نظاميًا . فاذا كان التعقل والادراك والمعرفة غير كافية في مركزك فالسياسة الجيدة تسد النقص . انتهى

وقد قال نابوليون قد طالما وجهت اهتماماتي الى جعل باريز عاصمة اوربا كلها فكنت اتمنى مثلاً ان يصير عدد اهلها مليونين او ثلاثة او اربعة ملايين اي ان تصير مركزًا عظيمًا غير اعتيادي لم يرَ سلفاؤنا مثله ولو مخني الله عشر بن سنة مع راحة البال لطلب الناس باريز القديمة بدون ان يجدوها ولغيرت وجه فرنسا . والحكيم ارخيميدس وعد بالقيام بكل شيء بشرط وجود مكان لوضع عتلته فيه . ولاقمت بوعده اينما وجدت مكانًا لعضد جدي وثباتي والمصاريف فبالمصروف ربما كان الانسان يقدر ان يوجد عالمًا جديدًا ولا بنت الفرق بين امبراطور نظامي وملك فرنساوي ولم يكن للملوك فرنسا انشاآت ادارية او بلدية فانهم ابانوا انهم ملوك عظما اخربوا الذين يقومون باشغالهم

فليس في صفات الامة الا ما يفنى ويتغير فكل شيء يجرى لارضاء مقتضيات الحال وليس للثبات فهذه قاعدتنا . وهي تحاكي عاداتنا الفرنسوية . فكل يصرف حياته في الانشا والخرب فلا يترك شي بعد الانسان . اما هو عار على باريز ان لا يكون فيها قاعة تشخيص او قاعة تشخيص بالغنا تستحق ان تنسب اليها . هذا وطالما ضاذدت الاحتفالات التي كانت باريز ترغب في ان تقوم بها اكرامًا لي . فانها كانت ولائم ومآدب ورقص والعاب نارية لا تقام الا بصرف مليون اومليون ونصف مليون من الفرنكات فضلاً عن العوائق التي تنتج عنها للجمهور ومصاريف نقلها بعد الخلاص منها التي تكون قدر مصاريف انشائها . وابنت انه عوضًا عن صرف ذلك في القيام بتلك الاحتفالات يمكن صرفها في سبل اخرى مفيدة . ولا يقدر الانسان ان يعرف ما عرفته من صعوبات القيام بالامور النافعة الجيدة الا بعد ان يرى ما قد رايناه فالاشغال تتم بسهولة اذا كان انشا حواجز في بيت احد ماموري البلاط او صنع اثاث له . غير ان توسيع جنات القصر لتحسين حالة الهواء في احدى جنات المدينة وتنظيف الاماكن القذرة او غير ذلك من الامور العامة النافعة التي ليس لشخص مخصوص صالح فيها فكانت تسير على قدم بطيئة بالاهمال حتى انني كنت التزم ان اكتب ٦ او ١٠ تحريرات في يوم واحد للقيام بعمل كذلك العمل فصرفت في التنظيمات ٣٠ مليون فرنك بدون ان انتظر من احد الشكر على صرفها وصرفت ٣٠ مليونًا لهدم بيوت قريبة من التويلري لانشا الفسحة وفتح اللوفر . فاقمت باعمال عظيمة وكنت قد صممت على ان اقوم بما هو اعظم من ذلك

هذا وربما كان يتوهم البعض ان ما قد تقرر في هذا

التاريخ هو ناتج عن صداقة وحب للامبراطور فاقرا ما قررهُ المورخ الانكليزي لوكهرث حال كونهِ يظهر في كل صحيفة من كتابهِ انهُ عدو لذلك الامبراطور العظيم الذي اقامت انكلترا عليهِ حرباً عظيمة ومع ذلك التزم بان يشهد بالحوادث الاتية وهي حينما كان الامبراطور كان يفحص تفاصيل الادارة المتعلقة بفرنسا ولو كان في وسط قتال عظيم وذلك ربما كان بتدقيق يزيد عن تدقيق ملوك اخرين ممالكهم قدر نصف مملكتهِ وهم في سلام واطمئنان . ومن احب الملاهي عندهُ في اوقات الفراغ حل مشاكل هندسية وجبرية . وكان يدخل هذا الميل الى كل دائرة من دوائر الادارة في بلادهِ وتمكن من اظهار غلطهم في حسابات الدولة بفحصها بنفسهِ بعد شروعهِ في الادارة بزمان قصير ولذلك اصبحت حسابات الدولة ظاهرة ومضبوطة ضبطاً لا يرى في حسابات اهل الثروة . ولم يكن يستخف بفحص شيء ولو كان غير مهم . وكان يجد الفرصة اللازمة للقيام بكل شيء . وكان اصغر المامورين يقوم بواجباتهِ وهو مقرر عندهُ ان الامبراطور يلاحظ اعمالهُ بنفسهِ . وكان تيقظهُ الذي جعلهُ كانهُ موجود في كل مكان يغني عن حرية الجرائد وحرية مجلس النواب ومفاعيل الراي العام . وكان يحق لكل من كان تبعة فرنسوية ان يحاكم امام مجلس مخصوص لاستماع دعواهُ ما لم تكن التهمة سياسية . اما كتاب النظامات والقوانين المنسوب الى نابوليون فهو من اعظم الكتب في ذلك الباب وكان الامبراطور يشتغل بهِ بنفسهِ هو واشهر علماء النظامات والقوانين في ذلك العصر فاتى فرنسا بمنافع لا تقدر . وقد اصاب بما افتخر بهِ اذ قال ان ذكري سيخلد مادام هذا الكتاب في يدي . وهو الدستور الاول المنظم الذي فازت فرنسا بالحصول عليهِ والف بحذق وحكمة لا مزيد عليها وليس بمحصور الان في فرنسا فان دولاً كثيرة قد جعلتهُ دستورها . اما المحاكمات بين مدعٍ ومدعى عليهِ فكانت ترى بضبط بموجب قواعد صحيحة بواسطة مجالس صادقة عادلة . ووجدت الامة الفرنسوية بعظمة انتصاراتهِ وطرقهِ وجسورهِ ومجاري المياه والترع وغيرها مع ارتفاع شانها بتعقلهِ وسياستهِ وحذقهِ وتدبيراتهِ تعزية عن كل الاثقال المالية وكل المصائب العائلية وما يعوض عليها الحرية التي تمكن ذلك البطل من توطيد مجدهِ الاول في سبيلها . ولا ينبغي ان نغفل عن امر مهم وهو ان نابوليون اعتنى كل الاعتناء بان يستخدم اكثر الرجال اهلية ليشرفوا لخدمته بمعارفهم ونشاطهم . وارضى الامة الفرنسوية بتزيين العاصمة وبانشاء بلاط في قصر التويلري فاخر عظيم كبلاط الملك لويس الرابع عشر وكان الامراء القدماء يرجعون من المنفى ويختلطون في تلك القاعات الفاخرة بابطال حروب الثورة وجوزفين تسود على جميع تلك الاحتفالات والاجتماعات بلطف وجلال واتقان لا تقدر ان تقوم بها الا من قد ولدت لتكون ملكة . ففي عظمة ذلك البلاط واحتفالاتهِ وشانهِ وفي قاعاتهِ الداخلية التي كثيراً ما ازدحمت اقدام الملوك فيها كان نابوليون محافظاً على بساطة ملابسهِ وعاداتهِ الاصلية . وكان ذلك الامبراطور العظيم يشتغل باجتهاد وكد يفوق كد اصغر الضباط ولم يكن عندهُ من زمان الفراغ ما يمكنهُ من التمتع بالمادب والولائم . اما اصدقاؤهُ الشخصيون فكانوا قليلين فكان يشتغل في النهار ويطالع في الليل . فاذا كان خارج ميدان الحرب كان يجول في الولايات ويفحص بعينيهِ كل الامور حتى اصغرها وكان لا ينقطع وهو في معسكرهِ عن اصدار اوامر تبين صحة ملاحظاتهِ وشدة رغبتهِ في ان يبذل كل الوسائط الموافقة لمقاصدهِ

سيأتي بقيتهُ

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الفصل الاول

في ذات ليلة مظلمة كثيفة الغيم غزيرة المطر شديدة البرد من ليالي ايلول (سبتمبر) وصلت المركبة التجارية الى محطة الطريق في فيرميد من انكلترا . ولم يكن فيها غير اربعة ركاب قاصدين فيرميد المذكورة وهم امراة نحيفة الجسم لطيفة القد لابسة ثوباً كبيراً وحاملة ولداً ووراءها خادم بنغالي من الهنود اسود حامل ولداً اخر . وبعد ان امست تلك المراة واقفة على جانب المحطة والمطر يهطل والظلام حالك كانت تلتفت يمناً و يساراً كمن يخاف الظلام ولا يعلم ماذا ينبغي ان يفعل . وعند ذلك دنا منهم جامع الاوراق الموذنة بالسفر وقال بسرعة اين اوراقكم وذلك ليتخلص من المطر . فاجفلت المراة ثم اعطته الاوراق واخذت في ان تسير غير انها وقفت وقالت لجامعها بصوت منخفض مرتجف الا نقدر ان نجد مركبة افراس . وفي اثناء ذلك وصلت مركبة نارية اخرى ولم يكن فيها بضائع فدخل كل مأموري المحطة الى مخادعهم ليصطلوا واغلقوا ابوابها فلم يبق في الخارج احد غير تلك المراة والذين معها وجامع الاوراق والامطار والمياه . فقال لها انه لا سبيل الى وجود مركبة هنا في هذا الليل المظلم الحالك الممطر فان المركبات كلها مع افراسها في اماكنها . ولا ينبغي ان تنتظري مركبة . فقالت مضطربة ماذا ينبغي ان افعل ثم نظرت الى الخادم الذي كان واقفاً وراءها وقالت لجامع الاوراق اما ترى الولدين الصغيرين فلا يقدران على المشي الى هناك ولا اقدر انا عليه فان المسافة بعيدة. فقال لها الى اين تذهبين . قالت الى اش كروف الى منزل مستر بيال . فقال الى اش كروف فلا بد من ان تحصلي على مركبة فان ذلك المكان يبعد عن هذا اكثر من ثلثة اميال . قال الاوفق ياسيدتي ان تدخلي بالاولاد الى قاعة الانتظار فارسل من ياتيك بمركبة فياتي بها في نصف ساعة . فنظرت المراة المذكورة الى خادمها وقالت متنهدة هل ننتظر مدة نصف ساعة فيا الحيلة فرات انها قد اخطأت فكلمته باللغة الهندية فاجابها بالاختصار . اما جامع الاوراق فنادى رجلاً وقال له اذهب في الحال الى الجوربج وقل للقوم ان يرسلوا مركبة يجرها فرس لتذهب باربعة انفس الى اش كروف فاسرع . ثم نظر الى المراة وطلب اليها ان تتبعه فسار بها الى قاعة انتظار اهل الرتبة الاولى . وهي قاعة صغيرة ليس فيها اسباب الراحة فان محطة فيرميد لم تكن مهمة وقال جامع الاوراق بلطف اعتذر اليك فاننا لم نضرم ناراً فانه قل ما يحضر ركاب في المركبات التي تحضر هذا الوقت فدخلت اليها هي وولداها وخادمها مرتجفين ثم قال لها انه لم يخطر لك ببال ان تطلبي الى صاحبات اش كروف ان يرسلن اليك مركبة . فقالت مترددة لا فان مستر بيال لا تنتظر وصولي اليها . وفي اثناء ذلك صار الخادم يهتم بلفائف الولد التي كانت حاملته فانقطعت عن الحديث . فقال جامع الاوراق وقد هم على الخروج المامول وصول المركبة حالاً فان نصف ساعة تكفي لوصولها الينا فهل اذهب بخادمك الى القاعة الاخرى او ابقيه معك . فقالت بسرعة لا لا ابقه هنا فان الولدين لا يستغنيان عنه . فخرج واغلق الباب فامسوا

وحدهم . وعند ذلك قالت بنتها الصغيرة المحمولة اني استغني عنهُ ولا احب ان يبقى معنا فانني أكرههُ ويا ليتهُ لم يات معنا . فقالت لها امها صه صه ووضعت يدها على وجهها فالقتهُ على كتفها . ثم قالت ان دون مون (اسم الخادم الهندي) يحبك ويحب اخاك فاغتاظ الخادم مما سمعهُ من البنت واوقف الولد الذي كان بين يديهِ على الارض فصرخ قائلاً احملني احملني . غير ان الخادم لم يلتفت اليهِ . فقالت البنت الصغيرة هوذا افعال دون مون فكيف تقولين انهُ يحبني ويحب اخي الا تنظرين لوائح الغيظ تلوح على وجههِ وكيف انهُ ترك اخي الصغير على الارض وحدهُ في هذا البرد اني ابغض دون مون . فلما سمع الهندي هذا الكلام اشتد غيظهُ واشتد سواد وجههِ حتى ان امها تكدرت جدًّا . وقالت لابنتها انني لا اسمح لك ان تتكلمي بمثل هذا الكلام . فانك كنودة فاذا سمعت ذلك منك مرة اخرى اقاصصك . ثم اجلست بنتها على كرسي وكلمت الخادم بما يبين عدم ارتضائها بتركهِ الولد . ومع ذلك لم يرق وجههُ وكان الولد الصغير يصرخ طالبًا ان يحملهُ . فقالت لهُ انا احملك يا ابني وانهضتهُ متنهدة وضمتهُ الى صدرها وصارت ترتل ترنيمة لطيفة فنام . وكان ضخم الجسم بالنظر الى صغر سنهِ وهي ضعيفة متعبة ومع ذلك حملتهُ واخذت تمشي في المخدع وهي ترتل . فقال لها انني لا اقدر ان انام فانني اشعر بجوع وباحتياج الى شرب الشاي حسب العادة . فغلب النوم عليهِ في برهة قصيرة . وكانت امهُ ترتل والدموع تذرف من عينيها . وكان الخادم الاسود واقفًا لا يتحرك في زاوية من البيت وكذلك البنت الصغيرة كانت تنظر اليهِ شزرًا وهي جالسة حيث اجلستها امها ولم يسمع صوت غير صوت سقوط المطر على النوافذ وترتيل تلك الوالدة المنقطع

وبعد ذلك بمدة قالت هذا بيت مقفر . والظاهر ان حاسياتها تغلبت عليها مع انهُ لم يكن من يصغي لها غير ولد وخادم فما هذا الترحاب الذي تصادفهُ في انكلترا وطننا هذه هي الساعة التي طالما تمنيت الوصول اليها وطالما طلبت الى الله ان يريني اياها . فقالت لها بنتها لا تبكي يا اماه والا فابكي انا ايضًا . فلما سمعت امها ذلك مسحت دموعها وتكلفت البشاشة وقالت هذه هي صعوبة موقتة فانني قد ادركت ما طالما حلمت بهِ وتصورت الساعة التي اجتمع فيها بامي العزيزة وشقيقتي المحبوبة آه يا هنري . فانقطعت عن الحديث وغطت وجهها بشعر ابنها الذي كانت حاملتهُ . فقالت البنت انك تقابليها بعد برهة قصيرة جدًّا . وعند ذلك تكلم الخادم الهندي كلمتين او ثلث كلمات بلغتهِ فرفعت سيدتهُ وجهها ولاحت لوائح التعزية عليهِ . فقالت البنت الصغيرة من قال لك ان تكلم امي يا اماه ماذا يقول لماذا يقطع حديثنا بكلامهِ . فقالت يا عزيزتي انهُ يتكلم عن الثياب والاثاث التي لحقتنا في القطار من لوندرا . واحمر وجهها قبل ان فرغت من الكلام وعند ذلك دخل حمال واخبرها بان المركبة قد وصلت لتذهب بهم الى اشكروف . فقالت اشكر الله ثم اعطت الولد النائم للخادم وحملت البنت وسارت وراء الرجل الذي اخبرها بوصول المركبة وفتح باب المركبة ليدخلوها فدخلت المرأة ثم نظر باحتقار الى الخادم وتفرس بعمامتهِ الحمراء واثوابهِ الطويلة وقال لها يا سيدتي هل يركب خارجًا ام داخل المركبة فقالت داخلها فدخل الخادم وجلس فاغلق الحمال الباب بعنف لانهُ اغتاظ جدًّا وبعد ان سارت المركبة الى جهة المكان المقصود قفل الحمال النوافذ وجلس مع رفيقهِ قائلاً كيف تقدر امرأة من بنات المنزلة تجلس في مركبة واحدة مع خادم نجس قذر كذلك الخادم . والظاهر انها تحتفل بهِ فالمأمول انهُ لا يسمح

له بان تجلس المائدة في مطبخ اش كروف . فاقول لماري آن ان تحذرهم فلا اسمح لها بان تجالسة . فقال رفيقة من هي هذه المراة . قال لا اعلم غير انني قرات اسم ارشار على كيس كان في يد ذلك الوحش . وقد سمعت ان لمسز بايل صاحبة اش كروف بنتاً متوطنة في جهات الهند واظن ان اسمها مقارب لذلك الاسم . وربما كانت هذه هي بنتها على انني لم اسمع شيئاً من ماري آن عن رجوعها . وعلى كل حال لا احب ان تطيل الاقامة فيها فانهُ مكان جيد ولا احب ان تخرج ماري آن منهُ واموت قبل ان اسمح لها بان تعيش هي وهذا الاسود في بيت واحد فان هولاء السودان هم كالقرود ولا يليق بالبنات المهذبات ان يجالسنهم فلا ارتضي بان ارى خطيبتي جليسة لاحدهم

هذا وقد اصاب ذلك الحمال بقولهِ ان تلك المركبة كانت تحمل مسز ارشار الى بيت امها غير ان مسيرها كان بطيئاً وكانت تشعر بانها تسير ببطء مقلق ولا سيما وهي صاعدة على التلال لتنحدر الى جوانبها من جهة المكان المقصود . وكان المطر لا يزال يهطل غزيراً والظلام شديداً والصمت عاماً . اما الولد الصغير فنام في برهة قصيرة في حضن امهِ وكانت ترغب في ان تنام البنت . على انها كانت من اللواتي لا يفعلن ما يطلب اليهن فعلهُ ولا يغفلن عن امر . ففي النصف الاول من الطريق لم تتفوه بكلمة لا لتسلية والديها مع امها . كانت ترتجف من جرى انتظار الاجتماع بامها وشقيقتها . غير انها لما قربت وكانت ترى شيئاً من الاشياء التي ذكرتها بصغرها بواسطة شدة التفرس ونور قليل امست لا تقدر ان تضبط حاسياتها فصرخت قائلة هذا بيت برون وهذا هو البيت الذي كان مدرسة ودخلتها قبل كل المدارس و بعد هذا ورلاندز و بعدهُ بربع ميل اش كروف . اه هل غبت ست سنوات عن هذا المكان وهل مضى كل ذلك الزمان منذ رايت امي وشقيقتي ماريون العزيزة . اه ما هذه المركبة اما تسرع في المسير . واذا لم نجدها في البيت فماذا نفعل . قالت هذا باضطراب . ما ادرانا ما ذا جرى هل ينبغي ان ننتظر منهم ترحاباً وقد اتينا بغتة بدون ان نرسل تحريراً يعلمهم بتصميمنا على الحضور . فماذا افعل الى اين اذهب ياترى . ياهنري لماذا عرضتني لهذا كلهِ ورفعت عينيها لمسح دموعها الغزيرة . فقالت البنت الصغيرة لماذا تنادين ابي انهُ ليس معنا ولكنهُ بعيد في كلكوتا فكيف يقدر ان يسمع كلامك . فعند استماع هذا الكلام تذكرت بانها اظهرت امام بنتها حاسيات من واجباتها كتمها . فقالت وقد انشفت دموعها لقد اصبت ياعزيزتي ان اباكِ المسكين بعيد عنا جداً وقد ناديتهُ لانني ارغب في ان يكون معنا واذا احسنت السلوك ياتي ابوك ومعهُ لعبة جميلة فقالت البنت انني احب ان احصل على اللعبة . فسكتت امها واخذت تنتظر الوصول الى المكان المقصود بفروغ صبر . و بعد ذلك ببرهة قصيرة وصلوا اليهِ ولما دنت من الدار اشتد اضطراب مسز ارشار فارتجفت اعضاؤُها كلها وامست لا تقدر ان تتكلم . غير انها لم تطل الانتظار فان وصول مركبة الى اش كروف في الليل من الامور الغير الاعتيادية فقبل ان سكنت حركة المركبة انفتح باب الدار وظهرت فيهِ انوار واشخاص . وسمعت مسز ارشار صوتاً يقول من هذا ياترى . فانعقد لسانها فوضعت ابنها على ذراعي الخادم المندي وانحدرت من المركبة بسرعة وسارت مسرعة الى امها وشقيقتها وهي تقول باضطراب وقلق هذا انا هذا انا انا ابنتكم اوجينا قد عدت اليكم فيا امي الا تترحبين بي . ثم وقفت ونظرت اليها نظرة مشتاقة متحيرة . ومن ياترى

يقدر ان يصف دهشتها وحيرتها وتعجبها فانهما كانتا تظنان ان بنتها في الجهة المقابلة لجهتها من الدنيا فلما سمعتا بوصولها بغتة وراتاها باتتا كالاصنام تحيرًا وتعجبًا وصمتتا لحظة ولم تتكلما الا بعد ان صرخت مسز ارشار بتنهد شديد . فقالت شقيقتها يا اماه يا اماه هذه هي اوجينا بعينها هذه اوجينتنا قد عادت الينا ثم صرخت صراخ الفرح وهجمت عليها واعتنقتها وهي تقول يا شقيقتي يا اختي العزيزة واخذت تقبلها قبلات كثيرة وهي تنظر الى وجهها المصفر وقالت لقد ضعفت فما هذا الضعف فلا تعجبين من جرى عدم معرفتنا لك . اما امها فلم ترحب بها هذا الترحاب مع انها كانت تحبها بحسب عادتها على انها لم تقدر ان تتخلص من اثر التعجب الذي وقعت فيه من جرى وصول بنتها بغتة اليها . فقالت يا اوجينا العزيزة انك قد اوقعتني في حيرة بهذا المجيء فلا ادري ماذا ينبغي ان اقول . وكانت امها امراة متقدمة في السن قليلاً ذات منظر جميل ونشاط عظيم غير انها لم تكن خالية من التكلف والتصنع فكان يظهر ذلك في كل وقت حتى في زمان كزمان اجتماعها بابنتها بعد ان غابت عنها ست سنوات . ولم يكن ذلك يليق بها حال كونها في ذلك السن . فقالت مسز ارشار جوابًا يا امي انني اعلم كل ما تريدين ان تقولي وكان من الواجب ان اكتب اليك بحضوري عوضًا عن ان احضر بغتة غير انني خرجت بغتة فان صحتي وصحة الاولاد محتاجة الى تغيير الهواء . قالت هذا براسي مخن وصوت مرتجف قليلاً . فلم اقدر ان اكتب لاحد وهذا من سوء حظي . فقالت امها اين زوجك اما هو معك . قالت وقد صبغ الحياء بياضها زوجي هنري لم يات معي كيف يقدر ان ياتي فان ذلك غير ممكن ربما كان يتبعنا فانا والولدان . فقالت اختها قاطعة حديثها اين الاولاد قد تركتها وحدها في المركبة كل هذا الزمان فاسمحي لي بان اخرجها . ثم خرجت من القاعة لتاتي بها . فقالت اوجينا لم اتركها وحدها فان معها خادمًا . قالت امها اظن انها خادمة فاومل ان لا تكون من الخادمات الهنديات القذرات السود فانهن يقلقن البيوت التي يدخلنها . فلما سمعت مسز ارشار ذلك اضطربت وقالت انه ليس بامراة ولكنه من الهنود الذين يحملون الاولاد فانا نستخدم هولاء الرجال عوضًا عن النساء واظن انه لا يضر باحد ابدًا . قالت امها هل هو رجل . هل هو رجل اسود يا عزيزتي غير ان رجوع مس اليوت وهي شقيقة مسز ارشار ام الولدين وسيدة الخادم الهندي ومعها الولدان قطع حديثها واوقفها عن اظهار تعجبها وكدرها من ذلك الخادم . وكان كل من الولدين المذكورين محمولاً على يد من يديها وهو يبكي طالبًا امه . اما البنت فدخلت وهي تقول يا اماه لماذا تركتنا في الظلام مع الخادم دون ورنجيا وقد ابعدنا البرد ولما بكينا صفعنا . فلما سمعت امها ذلك احمر وجهها غير انها لم تجب الا بقولها صه ومدت يديها لتحملها . اما ابنها الصغير فكان يصرخ قائلاً يا امي اعطوني لها . فتناولته وضمته اليها . فقالت مس اليوت وهي شقيقة اوجينا وهي تنظر الى وجه البنت الصغيرة المضطرب هذه هي بنتك تايني والظاهر ان جسمها لا يدل على عمرها لانها طويلة وقد شفقت عليها فلا بد من ان يكون الجوع قد فعل فيها فتامرين باحضار الشاي يا امي . فقالت امها لا ريب في انها في احتياج الى الاكل وكانت تتكلم وهي تنظر الى جهة الباب حينًا بعد حين كانها تفتش على احد . فقالت لها اختها ما بالك فمن تطلبين . قالت انني لا اطلب احدًا غير انني احب ان اعلم هل خرج خادمي من المركبة ودخل البيت . فقالت يا عزيزتي لا يشتغل بالك

من جهته فانه داخل البيت فاحب ان يمكنني ابنك الصغير من ان ارى وجهه واظن انه لا يخاف منا في الغد فيقترب منا فما اجمل شعره الجعد . اما امها فقالت ان شعره كثير وقد ظهر لي انه ضعيف واصفر اللون والذين في سنه يكون منظرهم اصح في الغالب والاوفق ان تنقص من شعره لئلا تضعفه كثرته . فقالت شقيقته انني لا اشور بذلك فانه جميل . فقالت امه بصوت ضعيف انه كان مريضاً . قالت امها هذا سبب كاف لازالة كل ما يمنع رجوعه الى الصحة فهل سفينة زيت السمك . قالت مسز اليوث شقيقة اوجينا يا امي لا تذكري اسم ذلك الزيت القذر هوذا الشاي قد حضر فساقتربي يا اوجينا من المائدة واطعمي ابنك لبناً وسمناً انكليزيين فانهما ينفعانه ويقويانه . وبسبب التعب لم ياكل الولدان ما يكفي حال كون عيني امهما كانت لا تنقطع عن الالتفات الى جهة الباب . وبعد برهة قصيرة قالت ارغب في ان اكلم الخادم دون مونن ومن الموكد عندي انه قد جاع جداً وارغب في . . . وكانت امها وشقيقتها تنتظران نهاية الحديث غير انها انقطعت غنة فنظرتا اليها لترياالسبب فشاهدتا وجهها قد علاه اصفرار كاصفرار الموت حال كون راسها قد انحنى فصرخت اليوث قائلة لقد أُغمي عليها فبادرتا الى ابعاد الولدين عنها والقتاها على المقعد واخذتا تهتمان بما يرجع بهـا الى نفسها لان الحزن والتعب وانشغال البال كانت قد اضعفتها حتى انها باتت على ما كانت عليه برهة غائبة عن متاعب هذا العالم كانها لا تشعر باثقالها

الفصل الثاني

لا يخفى ان ماريون اليوث وهي مسز اليوث واوجينا ارشار وهي ام الولدين وسيدة الخادم الهندي هما بنتا مسز بيال من زواج ثان بضابط انكليزي لا شهرة له ولا مال . والذي حملها على الاقتران به جمال وجهه الذي ورثته بنتاه وذلك بعد ان كانت زوجة رجل اسمه تلياش من اهل الشهرة والثروة. وهكذا غضت النظر عن المفروض عليها من جهة المحافظة على مركز زوجها المتوفي بالاقتران برجل حط شانها . هذا ولم تكن مسز بيال المذكورة تمكن معاشريها من ان ينسوا شانها الماضي وكانت تبين لبنتيها انها قد ضحت شيئاً عظيماً اكراماً لها . ولما ضعف بمرور السنين وتقدمها في السن حبها المبني على جاذب الجمال الزائد ورات حقيقة احوال ذلك الضابط الذي كان اصغر سناً منها واذنى منزلة ظهر منها الندم وعادت محبتها الى حالتها الاولى واستقرت هناك . وربما كان ذلك ما طالما حملها على ان تخص بالالتفات بنتها من زوجها الاول وكانت متزوجة واسمها انتوانت لنوكس حتى انها كانت تستحسن كل ما كانت تقول وتفعل وتلبس وتقول انه يدل على ذوق سليم وتربية حسنة . ومن الموكد ان القبطان بيال وهو زوجها الثاني لم يجتهد في ان ينسيها الماضي بالحال فانه كان محباً لنفسه ومبذراً . واقترن بها حال كونها ذات ثروة عظيمة وتوفي بدون ان يترك لها من الاراضي غير اشكروف رتي قرية صغيرة وبضعة الاف من الليرات التي لم يتمكن من الوصول اليها ومعاش عسكري اسمه المعين العسكري البنغالي وذلك لمعاش بنتيه . وهذا المعاش لم يدفع للاناث اذا اقمن في انكلترا فان من شروطه اذا لم يخلف المتوفي غير بنات ان يذهبن الى كلكوتا ليحصلن عليه قبل ادراك سن البلوغ والا فيضيع وعند الاقتران لابد من قطعه . اما ماريون بيال وهي البكر فاحبت رجلاً قد ماتت زوجته واقترنت به قبل ان ادركت سن ١٨ سنة وهي اكبر من اوجينا بخمس سنوات . وبعد اقتران ماريون المذكورة بخمس سنوات سمح

الجيران بان شقيقتها اوجينا الجميلة اللطيفة الفتية الغضة مزمعة على ان تذهب الى كلكوتا الى اصدقاء ابيها وحدها مع ان المسافة بعيدة للحصول على ذلك المعين العسكري فقالوا ان هذا يجلب العار على امها التي تسمح بذهابها وهي على تلك الحال فان عندها من الثروة ما يغنيها عن ذلك المعين الذي لا سبيل اليه الا بتغريب فتاة جميلة كتلك الفتاة . فلم تصغ لكلامهم فانها كانت تعلم انها ملتزمة بان تقوم بمصاريف دائمة سرية تجعلها في احتياج الى ذلك المعين ولذلك دفعت اجرة السفر وامرت بنتها بان تتاهب للذهاب وكانت تخاف ان تسافر وتستصعب فراق شقيقتها ماريون وهي ممز البوت المحبوبة التي صرفت في بيتها من الزمان قدر ما صرفت في اش كروف . وكانت تخجل من كلام الناس ولما ودعت اقاربها وقومها حزنت جدًا . فوصلت الى كلكتا براحة . وقبل ان صرفت مدة تستحق الذكر اخذ الذين كانت عندهم وهم عائلة كريمة في ان يكتبوا الى امها واختها ويظهروا شهرتها وحسن تصرفها وكثرت الشبان الذين كانوا يدنون منها بامل الاقتران بها . فعلمت امها واختها الامل بانها ستقترن برجل ذي شهرة فتكدرتا لما سمعتا بانها اختارت رجلًا اسمه هنري ولوكبي ارشار وكان كاتبًا في محل تجار لاندر وز وكاردن من تجار كلكتا . والواقع انها لم تختره اختيارًا ولكنها قبلت به حالًا وهو الذي سبق الجميع الى ان يطلب اليها ان تقترن به حال كونها كانت في حيرة من جرى كثرة الذين كانوا يظهرون ميلًا لسبقهم بالطلب فاجابته وهذا من قلة الاختبار ومع ذلك كان مستر ارشار قادرًا على ان يعيشها عيشة مريحة فلم يكن سبيل قاطع لمنع اقترانهما فتزوجا وانحصرت مواصلاتها بالتحريرات واخبرت امها واختها بولادة ولديها واجابتاها بالتهاني وعزتاها عند ورود خبر وفاة ولد بعد ولادته بمدة قصيرة غير ان المكاتبة لا توثر في القلوب كالمقابلة ولا تذكر كل الامور بها . ولم تكن تكتب لهما عن احوال زوجها الا ما قل. فلم يقدر احد حتى شقيقتها ان يعلم هل هي سعيدة او غير سعيدة . ولم تكن تحاول الوقوف على ذلك لانها اشغلت عنه بمصائبها فان زوجها مات قبل ذلك بثلث سنوات تاركًا لها بنتًا من امرأته الاولى لتعتني بها . على انها لما رات ما رات من ضعف اوجينا واصفرار وجهها واضطرابها تاكدت بانها لم تكن متمتعة بالراحة الواجبة واشتدت فيها الرغبة في معرفة الواقع باركان اختها اليها كما في الماضي . وبعد ان اغمي عليها ادخلت الى مخدع لتنام فاتت شقيقتها ماريون المذكورة ونظرت خفية الى داخله فاندهشت لما راتها جالسة عند النار تنظر اليها بحزن وكرب . فقالت لها يا عزيزتي لماذا خرجت من الفراش الذي وضعناك عليه لترتاحي بعد ان اغمي عليك وكنت معلقة الامل بانك قد نمت فانت ضعيفة ومريضة وتحتاجين الى راحة طويلة لترجعي الى ما كنت عليه من النشاط والقوة والجمال . فقالت يا عزيزتي انني في احتياج الى راحة طويلة جدًا غير انني لا اقدر ان اتمتع بها الان فانني قد انتظرت قدومك منذ نصف ساعة فانني عرفت بانك ستاتين لتريني . فاخبريني عن البيت وعن كل ما يتعلق بي فانني التذ جدًا باستماع صوتك بعد هذا الفراق الطويل . فقالت يا حبذا لو امكنني ان اقول انني التذ الان بالنظر الى وجهك كما كنت التذ في الماضي ووجودك هنا سعادة بل اكثر من سعادة فاين شعرك الطويل الذي كنت افتخر بتضفيره واين بهاء وجهك وسمن جسمك وقد قالت امي انها لو صادفتك في طريق لما عرفتك. فقالت اظن ان هذا هو الواقع وقد ذهب

سعادتي بقيتها

ملح

من قلم الخواجه جرجس مخائل نحاس وغيره

تقلب الدهر

حكي عن رجل كان فقيرًا فايسر واصبح غنيًا فاشترى املاكًا وعقارات شتى وحسنت حاله جدًا فقال لابنه يومًا كيف يفعل الذين ليس عندهم اموال ولا بيوت واملاك فقال له ابنه كيف كنت تفعل انت منذ اربعين سنة

مبالغة

قال مصري لكوفي ان لطمتك لطمة بلغت بك الى المدينة فقال احب ان تزودني اخرى لعل الله يرزقني الحج عن يدك

الفصاحة

قيل لبعض البلغاء من اشرف العرب او العجم يقال ان العرب احلى واحلم . واحكى واحكم . واعلى واعلم . واقوى واقوم . وانكى وانكر . واذكى واذكر . واعطى واعطف . واشرى واشرف واسى واسخ .

ولنا من ملح

بخيل وطفيلي

حضر طفيلي دعوة فطار به فاجلسوه في مكان منفرد الى ان فرغ الطعام فقدم له صاحب المنزل خبزًا يابسًا وملحًا فلما فرغ من طعامه سأله الرجل هل شبعت قال لا اجابه لكونك ما سميت باسم الله على الطعام فلذلك ما شبعت فقال الطفيلي الذكر اسم الله الطيب على خبزك اليابس الخبيث

آخر

اجتمع طفيلي باخر فساله هل حضرت دعوة فلان اجابه استحييت قال لا يجتمع التطفل والحياء اما سمعت قول الشاعر

لا تجزعن من القريب ولا تهاب من البعيد
ودع الحياء فانما وجه الطفيلي من حديد

براعة التصوير

صنع احد المصورين عصفورًا و بجانبه صحن فيه طعام واراه لمعلمه فظنه حقيقيًا فمد يده ليأخذ الصحن و يقدمه للعصفور فاذا هو مثال فاخذ الصانع يضحك عليه فاغتاظ جدًا ووعده باخذ الثار و بعد مضي شهرين من ذلك الوقت دعا المعلم تلميذه ولما حضر قال له قد صنعت صورة لايمكنك ان تصنع نظيرها فاذهب بنا لكي اريك اياها فسارا نحو ذلك المخدع ولما وصلا اخذ المعلم يطلب الى الصانع ويلح عليه ليدخل فاراد الدخول فلطم راسه الحائط وهو مكان مصور عليه باب وستائر كانها طبيعية فرجع الى الوراء مخجولًا فنظر اليه معلمه وقال له باستهزاء اين ضحكك و براعتك بعصفورك فاذعنا لك انك بباسم الجبينك

الديونة

سرق رجل اسمه جاك حمار ارملة اسمها مسز جونز وكان من الاوباش فاخبرت القسيس فجاءه جاك مبانيا موبخًا وقال له اما سرقت حمار مسز جونز فقال بلى قال الا تعلم بان الموت قريب . قال بلى . قال اتعلم بيوم القيامة قال بلى . فقال و بعدها الديونة فتحضر مسز جونز يوم الحشر وتطلب رز قها منك فماذا تفعل والنار نصيب السارقين . قال هل تكون انت يوم الحشر . قال نعم . قال اما تكون مسز جونز . قال كيف لا . قال او ما يحضر الحمار قال بلى قال فاقول يامسز جونز هذا حمارك فخذيه

هل يباع لحم الطير بالقبان

اشترى شاب ساعة من فضة صغيرة وفي المساء اراها الوالده فسأله عن ثمنها فقال انني اشتريتها بمائتين وخمسين غرشًا فلامه اشد اللوم وقال له امس رايت ساعة بيد الدلال بسبعين غرشًا اكبر من هذه مرارًا واوكد انها قدر قصعة صغيرة فانتبه

الجنان

الجزء السادس

في ٥ اذار (مارس) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ٨ نيسان (افريل) ١٨٧٦

تنبيه

بالنظر الى تحويل البرد كلها في الديار المصرية الى يد الحكومة بعقد معاهدة برن والتسهيلات الاتصالية الكثيرة الجارية قد استصوبنا اقامة جناب الاديب كليانتس افندي فيليبيذيس المشهور بكتاباته الصيداوية في الجنة مكاتباً مخصوصاً هذه المدة ليقوم مقامنا في الديار المصرية كلها اي في مصر القاهرة والاسكندرية والارياف وملحقاتها وقد فوضنا اليه تدبير الجرائد بحسب معرفته والقيام بالمكاتبة وهو مدرك للاحوال السياسية فضلاً عن معارفه الكثيرة واختباره النافع

جملة سياسة

(من قلم سليم افندي بستاني)

لسان حال الدنيا يقول ليس لدولها مراكز ثابتة فمنها ما يتشاءم بالشر او الخسائر الارضية والنفسية والمالية ومنها ما يعلق الامل بالاتساع والعظمة والمجد غير انه ما من دولة متيقنة بان نصيبها لا يكون الا الفوز والنجاح فهذا ما يجعل اوربا تئن من اثقال الاحمال الملقاة على عواتقها ولا تجرأ ان تطرح عنها شيئاً منها وقد تركت الناس واعالهم في حيرة يسمعون بالسلام ولا يرون ما يدل عليه ولكنهم يرون في المعسكرات كل ما يحملهم على التشاؤم بالحروب والخسائر ولا تكون اسباب الحروب اسباباً لتوطيد سلام دائم فانها معلولات الضغائن والمطامع وحفظ السلام يكون بالحب والاتفاق والقناعة ومن يا ترى يجرح بدون جارحة وكم من غضب يزول بدون ضرب وطعن لبعد السيف او الرمح والدول الكثيرة الجنود المتاهبة للحروب تزحف لعلة صغيرة او موهومة فشانها شان الرجل العاتي القوي الشديد الباس وما سمعناه من كلام الدول الكبيرة اقرار صريح بانها راغبة في الابتعاد عن اسباب الحروب وقد اجهدت نفسها في ذلك السبيل ولكنها لا تنفك عن التاهب والتجهيز وجمع الجنود وتعليمها وبناء البوارج وصب المدافع لانها لا تركن الى ظواهر الاحوال وكاننا بالدنيا قد رجعت الى ما سبق سنة ١٨٧٠ من الزمان فانها كانت تسمع صاحب الامبراطورية الثانية يبشر الناس بالسلام وهو يخترع المدافع الراشة ويجمع الجنود ويبني البوارج الحان ظهر الصحيح بتلك الحرب التي غيرت احوال السياسة في اوربا ونقلت ميزانيتها من الغرب الى الشرق وحسبنا ما راينا من رغبة دولة عظيمة في الوقوف على اسرار دولة اخرى كبيرة فان ذلك يدل على الارتياب في صحة الظواهر وفي الصداقة الجارية وقد تقرر ان البارون ارتل فون كرهاو النمساوي خان دولته وباع اسرار نظارة حربيتها الى دولتين اجنبيتين وهما فرنسا وروسيا ونشر ذلك في جريدة اندوتش زيتونك فبادرت الحكومة النمساوية الى مناقضته بقولها ان الحكومة الفرنسوية لم تشترِ اوراقاً سرية من نظارة الحربية النمساوية ولكنها لم تقل ان روسيا لم توافق ذلك البارون على ابتياع اوراق منه لا يجوز له ان يبيعها فتقرر في عقول الناس ان فرنسا فضحته عند ما طلب اليها ان تشتريها وروسيا هي التي وافقته على ذلك وحكومة النمسا تود ان تقلل اهمية هذا العمل والدولتان المشار اليهما متحدتان ومتوادتان ومتكاتفتان ولكن

اين ذلك العمل اذا كان صحيحًا من الوداد الصحيح والحب الصافي والاتحاد الوطيد فاتحاد الدول في الحال ناشئ عن اهمية اسباب الخلاف فلا يفض الا بالسلاح وكل منها تخشى بطش الاخرى وتخاف خيانة الدهر وطوارق الحدثان فانهُ قد تعرض في الحروب امور لم يحسب لها حساب لتجعل النصر لفيئة ضعيفة وكم من فيئة قليلة غلبت فيئة اكبر منها واعرف فالخطا في حركة او التاخر ساعة او الغلط في تعديل بعد او تقرير جاسوس قد يجعل من يخمن النصر لهُ مكسورًا فترى الدول مترقبة سنوح فرص موافقة للحصول على نجاح لفئة دولة او اكثر لفتح الحروب ونوال المآرب ورجال السياسة قد حنكهم الدهر وعلمتهم احوالهُ التيقظ وانقلاب الدولة النابوليونية ابان لهم سوء عاقبة الطيش والحدة فلا يلقون انفسهم في مهلكة بل لا يعرضونها للخطر قليل فلا تتعدى دولة فتفتح الحرب او تجعل الدولة التي تتعدى عليها تشهرها الا بعد ان تعاير القوات وترى ان غلبة واحدة بل غلبتين لا تمكن العدو من الفوز التام فهذه الاحوال الغير الثابتة والغايات الظاهرة والتاكيدات المخالفة لها تجعل اوربا معسكرًا واحدًا فيهِ ملايين من الجنود ومصاريفهُ قد طرحت الناس في ضيقات وارتباكات فلو كان الباطن كالظاهر عند كل الدول لما مست الحاجة الى جمع تلك الجيوش الجرارة والحاق الضرر بكل عمل حال كون ربعها كافيًا لحفظ الراحة في داخلية المالك ولا ريب في ان المانيا تود ان تتخلص من هذه الحال لتنجو من سوء حالها المالي وهي كسائر الدول في ضعف يئن لانهُ ما من دولة في اوربا تقدر ان تقوم بحرب بدون استقراض مبالغ وافرة واذا دارت الدوائر عليها وغرمت تنحط واي انحطاط فهذا برهان على ان اكثرها يرتاح الى الصلح ويصبو الى صرف الجنود وتخفيف الاحمال المالية الملقاة على عواتق الرعية فتخرج التجارة من خوفها والمالية من اضطرابها وما دامت اوربا على ما هي عليهِ لا ينبغي ان يرتاح لنا بال فانهُ اذا ضمد جرح في اليد يظهر جرح اخر في الرجل وهكذا الى ان يصاب الراس او عضو اخر رئيسي فيمسي بلسم السياسة غير نافع وتتقاضى الدول الى قاضي البرابرة والمتمدنين وهو السيف المخصص للقوة التي جعلها الله سبحانهُ وتعالى ضدًا لمطامع الانسان الغريزية فلا تنتظم هيئة اجتماعية ولا تنفذ سنن في رعية الا بالاستناد اليها بل هي سلاح في الدين لان خوف العقاب علة طلب الثواب فالقوة في الهيئة الاجتماعية كالهواء في العالم الحيواني والنباتي وقبل ان اشتركت انكلترا في التجهيزات كنا نقول انها لا ترى خطرًا قريبًا منها فمن الناس من كان يقول لعدم وجوده ومنهم من قال لو هم منها وقد زال كل الريب بالتاهبات العظيمة وهذا دليل وجود خطر عام لا بد للبعيد وللقريب من ان يستعد لهُ ويعمل على تجنبهِ او دفعهِ وقد سمعنا ان حضرة امبراطور روسيا مصمم على الاجتماع بحضرة امبراطور المانيا وان ذلك على غير قصد فانهُ سيصرف زمانًا ليس بقصير في اماكن جنوبية فالاجتماع مهم ان كان مقصودًا او غير مقصود وقد تدعو السياسة الى جعل المقصود غير مقصود وبالعكس فاجتهاد روسيا في كشف اسرار النمسا ولا سيما بعد لائحة الكونت اندراسي يدل على انها مرتابة في الصداقة ولعلها لم ترَ اصدق من المانيا فانها مديونة لها كثيرًا ولولاها لما فازت على فرنسا ولا اجتمعت امبراطورية واحدة ولا قبضت الغرامة وهي اقدم حليفاتها واصدقها واذا اتحدتا فعلًا ووجدتا سبيلًا الى جعل صوالحهما على اتفاق تقدران ان تنفذا ما ربهما وتجعلان اوربا تميل معهما على غير رضاها فما راهُ

نابوليون الاول من الصالح في اتحاده مع روسيا تراه المانيا الان في اتحادها معها وكذلك روسيا غير ان بينها اختلافاً طبيعياً فان مصلحة روسيا اطالة الزمان الجاري لاكمال تجهيزاتها واسباب مواصلاتها واهباتها براً وبحراً والمانيا قد بلغت التام من هذا القبيل فترغب في ان تتمكن من فض جيشها وان ترتاح متفرغة للقتال الجاري بينها وبين خدمة الدين ومن المقرر عند كل الذين لاحظوا احوال شرقي اوربا في المدة المتاخرة ان النمسا غيرت سياستها وكذلك روسيا والداعي الى ذلك غير جلي ولكنه ناشئ عن اختلاف في المقاصد والغايات والصوالح وفي اوربا ميل جديد الى النظامات الحرة عند الدول ففرنسا اصبحت جمهورية وقد اخذت في نهج مناهج الحرية الصحيحة ودولة اسبانيا قد وعدت بتغيير السياسة الماضية ووزارة ايطاليا الحالية حرة جداً فهذه هي دول لاتينية الجنس وكلها ذات ميل واحد وتصارى المرغوب ان تبقى معتدلة فانها تجاوزت حدود الاعتدال في الماضي ووقعت ورطات قد سودت صفحات تواريخها ولا سيما في فرنسا وبالجملة نقول ان حالة اوربا على غير قرار فهي عرض للتغيير في شهر او سنة وتقدر ان تستمر على حالها عشر سنوات

لغز

(من قلم مصباح افندي رمضان)

ايا من طوى من كل علم فضيلة
وام لايات المعارف بالنشر
واظهر معنى مستطاب حديثه
ثمار المزايا دانيات من الشكر
افدني عن اسم مشكل تفرح الورى
به مع هذا جاء للنفس بالقهر
هو اسم خماسي وان زال قلبه
بدا ثمر منه الذ من القطر
به انزل القران والله خصه
بفضل على الاقران في ليلة القدر
باوله يبدو هلال وانما
باخره شيء تخصص بالبحر
ورابعه وصف لقامة اهيف
تثنت وثانيه تشبه بالشعر
واخره حرفان والنصب فيهما
وثانيه مع ذيل ها عامل الجر
تولد من اثنى وعشر وتاسع
لهم ذا الخماسي المخصص بالبر
مواقد جمر بحضه وبقلبها
بدا مرض ثناه يظهر من مصر
على راسه شعب وشعب تزاحما
وما ذهب الا تظاهر بالبشر
وكم من بخيل راح يشكر فضله
ولو مات جوعاً حيث ياذن بالوفر
فذا ذيله بالنصب والراس منه في
حلا الرفع او في منتهى حالة الكسر
فيا من معانيه البديعة اظهرت
بياناً نحاه صاحب النظم والنثر
تكرم علينا بالجواب الذي به
ترى هدى المصباح فوق هدى البدر

بوارج انكلترا المدرعة

ذكر في الليفانت هرالد ان مستر ريد تكلم في مجلس العموم العالي في انكلترا عن حالة البوارج الانكليزية المدرعة وعددها وابان مضادتها للقيام بمصاريف غير اعتيادية عند حدوث خوف وقال انه اذا انتشبت حرب لا يستند الى تاثيرات التربيد و والرام (من الات الحرب بحراً) ولكن لا بد من الاستناد الى قوة البوارج المدرعة ، والمقرر في عقله انه ليس عندنا نحن الانكليز منها ما يكفي اذا اتحدت

دولتان او ربيتان او اكثر على محاربتنا فان محمول بوارج فرنسا المدرعة ٨٤ الف طونولاتة و بوارج المانيا المدرعة ٥٣ الف طونولاتة وايطاليا ٣٧ الفا و٥٠٠ طونولاتة وروسيا ٣٩ الف طونولاتة والدولة العلية ٥٩ الفا وتسعمائة طونولاتة والنمساه ٣ الف طونولاتة ولانكلترا ١٢١ الف طونولاتة ثم ذكر ذلك المستر غرق البارجة الانكليزية المسماة فان كارد وقال انة مقرر عنده ان سبب غرقها هو تصيرات المهندس الاول فانة صعد على ظهر المركب ليخبر القبطان بانة يظن ان البارجة اخذة في الغرق عوضاً عن ان يغلق باب المخدع

اما مستر هفت فقال للمجلس انة تقلد المنصب منذ سنتين وانة كان عند الانكليز ١٤ بارجة مدرعة في حالة جيدة فعلاً خلا المسماة با لديفستيشون . اما الان فعندنا عشرون بارجة ومنها الديفستيشون والثاندرار وكلها قادرة ان تلقى مراكب قوتها قدر قوتها . وانة ينتهي بناء بارجة اخرى في اب (اوغسطوس) وقد شرع في بناء ثلث بوارج اخرى عند مستر كوشن وتنتهي في اثناء هذه السنة وقد ابتدي ببناء اربع بوارج اخرى منها ثنتان قد قاربتا النهاية . وانة عالم بان الدول العظيمة معتنية كل الاعتناء بتقوية قواتها البحرية بتكثير بوارجها الحديدية ولكنة لا يظن انة من الواجب ان تكون بوارجنا زائدة كثيراً عن بوارج امم اخرى او عن بوارج دولتين اذا اتحدتا . والبوارج الفرنساوية هي هي بعد بوارجنا في القوة فهي الثانية في العالم " ولكن اذا قابلناقوتها نرى ان البوارج المدرعة الانكليزية يكون كل ٧٥ في المائة منها في الحرب قدر المائة من البوارج الفرنسوية فلا نخاف ولو اتحدت دولة اخرى مع فرنسا ضدنا . ثم تكلم مستر كوشن با لتطويل عن تقريرات مستر ريد وقال ان القوة لا تقابل بالعدد و بالمحمول بل با لقوة و بالمناسبة للحرب وبا لنظر الى ذلك قد تقرر عندهُ اننا قادرون على ان نصون انفسنا

اسبانيا

قالت جريدة التيمس قد دخل الملك الفونسو الثاني عشر مدريد عاصمة اسبانيا فائزاً منتصراً في ٢٥ الف جندي ساروا في الشوارع والناس يضجون . وستقام احتفالات وتزيينات ومادب وغير ذلك وستوجه الرتب والجوائز على اهم عاضدي الملكية والنياشين على الذين هم دونهم في الاهمية وحاربوا بالامانة والشجاعة . ولا ريب في ان اسبانيا كلها ستتذكر هذه الحادثة وكذلك ملكها الشاب سيتذكرها فانة موضوع كل عناية . ولا يكدر المنتصرون الا بامر واحد وهو انهم انتصروا على ابناء وطنهم ومع ذلك لابد من ان يسر كثيرون لانهم قد خلصوا البلاد من لعنة كانت معلقة فوقها منذ زمان طويل وانهم اماتوا العناصر الكارلوسية والمامول انها لا تحيا حيوة مضرة في الاستقبال . ولم يبتدي ملكها في الملك الا بعد اخماد الثورة . وقد رجعت البلاد الى الحيوة . ولا ريب في انها تشعر بتاثيرات الحرب الاهلية سنين ليست بقليلة غير انة قد اندثرت اقوى عناصر الاضطراب في سياسة اسبانيا واهمها والذين قد اجلسوا الملك الفونسو على العرش يهنئون انفسهم بنجاحهم . ولا يخفى ان سياسة اواسط اوربا في تغيير دائم فيصعب على الانسان ان يعلم ما هي النظامات التي تصبح نافذة والقواعد التي يميل الشعب الى المحافظة عليها . والاسبانيول يتاثرون الفرنساويين في امور كثيرة وقد جاؤا بالاراء السياسية من البلاد الفرنساوية . وانشات جمهورية في مدريد لان حكومة فرنسا كانت جمهورية فخسرت

نفوذها عند الجمهورية الفرنساوية فانقرضت قبل ان تحسنت احوال جمهورية باريز وبعد قلب دولة الملكة ايزابلا اخذ الديموكراتيون وهم من الحكماء واهل المعارف في اسبانيا في ان يظهروا ميلهم الى انشا حكومة جمهورية و بعد ان تنحى الملك اميدي الايطالياني عن عرش اسبانيا كانت اكثرية اهل الدوائر السياسية تميل الى الجمهورية حتى ظهر ما نشا عن ذلك في قرطجنة ومدن اخرى في الجنوب فانها طلبت الاستقلال المحلي والارتباط في العموميات فقط فانعصت وانتشبت الحرب بينها و بين جمهورية مدريد عاصمة اسبانيا فضلاً عن حرب الكارلوسيين وكان للجمهورية بعض نفوذ في اسبانيا وربما كانت ترجع الى ذلك غير انهُ لابد من ان نقول انهُ قد ظهر بالاختبار ان الامة الاسبانيولية لا تميل الى الجمهورية وهذا حكم مبني على الاختبار فقط . وعندهم ميل ليس بقليل الى حرية الافكار الصحيحة واهل الصف المتعلم قد ادركوا انهم كانوا في درجة غير معتدلة من العبودية السياسية والدينية وهي التي خرجوا منها في القرن الجاري و يبغضون كل البغض سيادة المحبوبين او خدمة الدين ولكن الميل الجمهوري في الحال هو في الغالب من تصورات اهل البلاغة او حماقة اوباش المدن وليس يميل قسم قوي من الهيئة الاجتماعية الاسبانيولية ولذلك نقول ان ارجاع الملكية بارجاع نجل الملكة ايزابلا من الاعمال الموافقة المصيبة وهو الواسطة الاولى التي جاءت بنهي الثورة والحكومة التي ختمتها ومما لا يستبعد تقوي الجمهورية الاسبانيولية بالقوة التي حازتها جمهورية فرنسا الان لو ثبتت على انها لم تتمكن من ان تفتخر بحصولها على عضد الذين تقدر الدولة ان تثبت بعضدهم وانقرضت بدون ان تفوز بذلك وكثر عدد الكارلوسيين واشتدت عزائمهم بعجز الجمهورية عن جمع جيش حال كونها كانت بدون جيش لان الروساء الجمهوريين حسدوا القوة العسكرية فصرفوا بعض الفرق و بعضها صرف نفسهُ بدون ان يقدر قوادها ان يمنعوهُ بل لم يظهروا له ممانعة. فاغتاظت جدًّا العسكرية ونال ضباطهم لا يجردون سيوفهم الا في خدمة ملك واحد. والقليلة التي جمعت في الشمال بقيت في حالة تعبية ردية خالية من النظام وقوادهم غير عالمين باصول القيادة . واصطلحت الاحوال في دولة المرشال سيرانو لانهُ كان مشهورًا وعالمًا بالقيادة غير انهُ كانت قد مالت الافكار الى ارجاع الملك الفونسو ولم يصر الجيش كافيًا ومنظمًا و بالتالي قادرًا على القيام بالواجبات المفروضة عليهِ الا بعد ان جاء ابن الملكة السابقة من ساندهورست . وانتفع بكل ما جرى قبل مجيئهِ فان الحكومة السابقة كانت قد جمعت جيشًا جرارًا ومرتبة واوجدت المال اللازم لتجهيزه فخرجت الجنود الى ميدان الحرب في حالة موافقة للقيام بالواجبات الصعبة التي دعيت الى القيام بها . وربما كانت الجنود التي دخل بها الملك مدريد العاصمة في حالة جيدة . وقواد الجيش المتاخرون قد انتفعوا بفشل سلفائهم فان طرق الفوز ظهرت بخيبة امال الذين سلكوا طرقًا اخرى

هذا ولا ندعي باننا نستحسن كل الاستحسان الملكية البوربونية لا في فرع اسبانيا ولا فرع فرنسا ولكننا نعلق الامل بان الامة الاسبانيولية قد فازت بالسلام والاتحاد الوطني في دولة الملك الفونسو الثاني عشر وانها لا تهيج ثورة اخرى ولا تقع على اعناقها نتائج حرب اهلية جديدة . ولا نرى ما يمنعنا عن ان نخمن فوز اسبانيا بالحصول على التقدم والتمدن الموافقين لروح العصر في دولتهِ فالبلاد لا تسلم الا باقامة الملكية فاذا كان لا بد من ملك فالمظنون ان الفونسو موافق كسائر الذين يتيسر الحصول عليهم

ولا يزال فتى ومن الواجب ان يجعله عظماء رجال البلاد صاحب اراء سياسية موافقة لاحتياجات هذا الزمان وقد اجتمع المجلس العالي وهو مجلس حرّ في البلدان التي لها مجالس حرة يتيسر وجود رجال للدفاع عن النظام ولاجرائهِ في البلاط . وفي الحال المواعيد الناشئة عن الحرية كثيرة وقد قال الوزير ان حق الملك الفونسو هو من ايزابلا وقد اخذ العرش ولم ينتخب ومع ذلك لا تكون سياستهُ كسياستها ولا تتمسك الحكومة بامور مضرة ولو كانت مهما كان يجري ومن الواجب ان يوجه وزراؤهُ ومشيروهُ خطواتهِ بامانة وحكمة الى طريق تبعد عن الطريق التي سلكتها امهُ والسبيل الذي قطعهُ جدهُ والاحوال تسعفهم على ان يسوسوا بحكمة لان للملك شهرة غير محدودة والناس يميلون دائمًا الى الملوك الصغار والملك الفونسو فتى وقد وقع في مشاكل يحق لمحبيهِ ان يسهوها تجاربهُ فانهُ نفي وهو صبي وقد فصل عن عائلتهِ وقد اعترض على ملكيتهِ اهل الثورة بل عدو من نفس عائلتهِ وقد تقرر في عقول امتهِ انهُ قد اعاد السلام والجلال للامة وقد حمل ذلك الناس على ان يبدوا من ميلهم اليوم ما استغربهُ العالم وقد ترحب الناس في كل مكان وبادرت المدن الكبيرة الى التزيين فرحًا بنهاية الحرب ولا يتغير هذا الحب والاركان ما لم يرتكب متن الغرور والحماقة ويتجاوز حدود الاعتدال في ذلك فيبدل بالاحتقار والبغض وعدم الاركان كما راى ملوك سلفوهُ

فاظهار الميل الشديد في الحال ناشئ عن قلب الكارلوسيين ومما يستحق الذكر ان الكارلوسيين ممقوتون عند اكثر الامة الاسبانيولية وقد سر الناس بقلب الدون كارلوس فيها لان البلاد قد ارتاحت وقد خاب املهُ وامل سياستهِ فبغض الكارلوسيين من تاثيرات حربهم الاولى فان الناس لا يزالون يتذكرون ان تلك الحرب اقيمت بقساوة تقشعر منها الابدان حتى في اسبانيا وخربت ولايات كثيرة لم يخرب مثلها عند حمل فرنسا عليها فكره الكارلوسيين غير متعلق باراء دينية ولا سياسية وهو موكد حتى اننا كنا نستغرب ما نسمعهُ من بعض الذين يعرفون اسبانيا عن امكانية فوز الدون كارلوس وبالحقيقة لم يخرج قط من جبالهِ فحوادث الحرب وما ننتظرهُ من سياسة الدولة الحالية ضمانة تضمن انتهاء الدولة الكارلوسية الى الابد ولذلك قد سرت اسبانيا

انكلترا

لايخفى ان الوزارة الانكليزية افرغت جهدها في سبيل تبيين الاسباب التي تحملها على طلب زيادة القاب حضرة الملكة وكان الحزب المضاد ورئيسهُ مستر كلادستون الوزير الاول السابق يضاد ذلك كل المضادة فجرت خطب كثيرة ومباحثات طويلة لا لزوم لذكرها واهمها بالنظر الى نسبة انكلترا الى روسيا في اسياخطاب مستر ديزرائلي وزير انكلترا الاول وما ياتي ترجمة بعضهِ

قد قيل ان الامة الانكليزية لا ترتضي بان تزيد على لقب الملكة لقب امبراطورة الهند فمن الواجب ان يبرهن ذلك ليظهر الراي العام . وفي ذات مرة سالت رجلاً من احذق الرجال الذين انتظموا في عضوية هذا المجلس العالي وهو مستر والتاروالد احد اعضاء مجلس العموم الان عن كيفية تمكنهِ من الوقوف على حقيقة الراي العام اي معرفة ميل الامة فانهُ كان حاذقًا في ادارة الجرائد وعالمًا باحوال الراي العام فاجاب ان تحققي لذلك لا يكون بالاجتماعات ولا بالعرضحالات لانهُ ربما كان يصير اقامة الاجتماعات وتحصيل العرضحالات او ان تميل الامة الى امر بدون اظهار ميلها بها او بالجمعيات

ولكنهُ يكون ببرهان صادق وهو البريد وكان مستر والتار حينئذٍ مدير جريدة من انفذ جرائد البلاد وهي من الجرائد التي اصبحنا نستشهد بها في المجلس العالي العام . فقال مستر والتار المذكور انهُ يرد اليَّ مائة تحرير في النهار واكثر عند جري شيءٍ يهم الامة فيظهر لي بها الراي العام قبل ورود العرضحالات او عقد الاجتماعات العمومية فتتبع الامة ذلك الراي (قال المجلس اسمعوا اسمعوا) ثم قال مستر ديزرائلي وزير انكلترا اظن ان وزير دولة ترد اليهِ تحريرات قدرا التي ترد الى مدير جريدة فانهُ يرد الي في بعض الايام مائة تحرير وفي المدة المتاخرة وردت الي تحريرات كثيرة وثلثاها متعلق بلقب الملكة الذي اصبحنا نتفاوض بشانهِ في هذا المجلس فمن تلك التحريرات ما يتضمن اراء غير مصيبة ومنها ما فيهِ مشورات نافعة وتنكيتات مفيدة جدًّا وثلثها كتابات تستحق بان تسمى كتابات مجانين (ضحك) واول امس ورد الي تحرير استصوب تبيين مآلهِ للمجلس لان فيهِ حكمة وقد ظهر فيهِ اننا كنا نجهل عن ذلك بالدقة وبالاستناد الى المعارف والبراهين والابتعاد عن التخزبات (ضحك) والناس يتعجبون من جهلنا ما كانوا يظنون ان كل انسان عالم بهِ فالتحرير من فتاة (ضحك) ولم تتجاوز ١٢ سنة فما في ذكر تحريرها شيءٌ يضر بمركزها ولا مركزي (ضحك شديد) فان اباها حضر مباحثاتنا في مجلس العموم عن لقب الملكة فلما عاد سالتهُ عن موضوع مباحثاتنا فقال لها ان اعضاء المجلس كانوا يتكلمون عن جعل الملكة امبراطورة الهند. فقالت لابد من ان يكونوا حمقا (ضحك شديد) فانني عرفت ذلك منذ ثلث سنوات . فقال كيف عرفتهِ قالت انهُ مكتوب في الجغرافية التي اتعلم فيها (ضحك) وعند ذلك جاءت بالكتاب فارسلهُ ابوها الي .

فهذا كتاب لا نقدر ان نحتقرهُ لانهُ قد طبع ٨٩ مرة وقد اخبرني الذين طبعوهُ انهُ في ايدي الناس منهُ ٢٥٠ الف نسخة او اكثر لتعليم الصغار وغيرهم . فنظرت الى ذلك الكتاب ووجدت فيهِ فصلاً عن الهند فلا اقراهُ . وتاريخ الكتاب سنة ٨٧٣ ولذلك لا يخطر لاحد ببال انهُ كتب تمهيدًا لما نطلب الحكم تقريره (ضحك) وقد قرات في الفقرة السادسة من ذلك الفصل ان الهند الانكليزية خاضعة لبريطانيا العظمى (اي انكلترا) وتلقب الملكة فيكتوريا فيها بامبراطورة الهند (ضجيج استحسان) . فمن يا ترى يقدر ان يقول بعد الوقوف على ذلك ان الامة الانكليزية تميل الى رفض تلقيب الملكة بامبراطورة الهند لانهُ لقب جديد غريب . وقد ورد الي تحرير اخر مورخ نهار امس وهو تحرير جميل من جهة الخط والانشاء وغير ذلك ولا اقدر ان اذكر اسم كاتبهِ وقد قال ان رجال السياسة قد اشتغلوا بجد في المفاوضة عن ذلك مع انهُ قد تقرر منذ برهة طويلة بكتاب قد قبلتهُ الامة بدون تردد وهو متاخ وتيكار وفي طبعة سنة ١٨٦١ قد تقرر ما ياتي فكتوريا بنعمة الله ملكة المملكة المتحدة وبريطانيا العظمى وايرلاندا والمستعمرات وملحقاتها وامبراطورة الهند والمدافعة عن الايمان (ضحك شديد) ولا يخفى انهُ في اثناء اشتغالنا بهذه الامور قد حدثت تغييرات عظيمة في قلب اسيا (اسمعوا اسمعوا) وهي اعظم من فتح الهند فان بلادًا متسعة جدًّا لم تعرف قبل الان الا بخروج قبائل كثيرة منها لشن الغارة على العالم . وفي النهاية قد دارت الدوائر على تلك البلاد وباتت مفتوحة ولم يبقَ بين حدود روسيا وحدود جلالة ملكتنا في الهند غير مسافة ايام قليلة (اسمعوا اسمعوا) ولا اقول ان روسيا دولة مناظرة لنا ولست من الذين ينظرون الى تقدم روسيا في اسيا باضطراب .

شديد فانني اظن ان اسيا كافية لاكفا الدولتين (اسمعوا اسمعوا) وشدة اركاني الى حصن مستقبل انكلترا لايجعلني استخف بالامر فانني اعلم ان الدول لا تثبت الا بالنشاط والشجاعة ومعرفة احوال الازمان وبملاحظة الادلة التي ترى بسهولة (ضجيج استحسان) فاهالي الهند الان ليسوا كاهاليها سنة ١٨٥٨ فان عاداتهم قد تغيرت تغيرًا عظيمًا وما قصرت بعض الوسائل عن القيام به قد اقامت به الطرق الحديدية فاصبحوا على مالم يكن منتظرًا واراوهم الحاضرة من الاراء التي لم تصل اليهم ولا عولوا عليها قبلاً (ضجيج استحسان) وما كان من احاديث الاسواق صار من احاديث القرى فهل تظنون انهم يجهلون الامور الجارية في اواسط اسيا هل تظنون انهم لا يعلمون ان البلاد التترية التي طالما فتحت البلدان امست مفتوحة (اسمعوا) انهم يعلمون مايجري بل يعرفون احوال الدولة الفاتحة ولقب الامبراطور العظيم الذي جاء بذلك التغيير العجيب (اسمعوا اسمعوا) وقد سمعت بتعجب ليلة بعد ليلة كلام ذوات محترمين من جهة المجلس يترجون لقب امبراطورة الى لغات كثيرة ليظهروا اللغة التي يناسبها استعمالها (ضجيج استحسان) فالامم التي تقدر ان تلفظ كلمة امبراطور وقد تعودتها لا تتاخر عن قبول لقب امبراطورة فهذه هي الكلمة التي يستعملها اهالي الهند واسمها وتتقوى سطوتنا في تلك الجهات اذا اعلنت جلالة ملكتنا انها قد اختارت ذلك اللقب فيتبين بوضوح ان مجلس انكلترا مصمم على ان يحفظ امبراطورية الهند (ضجيج استحسان شديد مستطيل)

النمسا

من قلم سليم افندي بستاني

ان اسم الامبراطورية النمساوية في الالمانية اوستريخ او اوستاريخ ومعناه المملكة الشرقية ومنه الاسم الجاري عندنا ايضًا وهو اوستريا . وهو اسم امبراطورية مولفة من بلدان فيها امم من اكثر من اربع جنسيات مختلفة وهي كلها تحت ملكية الدولة الهابسبرجية وقد دخلت تلك البلدان في حوزتها في ازمان مختلفة وكان كل منها محافظًا على استقلال داخلي مدني وسياسي الى ان شرع حضرة الامبراطور فرانسوا جوزف في ان يجمعها ويجعلها معلقة بمركز واحد والظاهر انه قد فاز بالمقصود بنجاح يستحق المدح

العائلة المالكة

ان حضرة الامبراطور فرانز جوزف الاول او فرانسوا جوزف الاول هو امبراطور النمسا اى اوستريا وملك المجر او هنكاريا ولد في ١٨ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٣٠ وهو ابن الارشيدوق فرانز كارل والارشيدوقة صوفيا برنسس بافاريا . وتعلم تحت مناظرة والدته بواسطة الكونت هنري بومبل من نسل عائلة قديمة من العيال التي هاجرت فرنسا وعين واليًا لبوهيميا في ٥ نيسان (افريل) سنة ١٨٤٨ وحضر معركة سانتالوسيا بالقرب من فيرونا في ٦ ايار (مايس) سنة ١٨٤٨ . وبلغ سن الرشاد في اول كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ واقيم امبراطورًا للنمسا بسبب اعتزال عمه الامبراطور فرديناند الاول وتخلي والده في ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ وتوج ملكًا للمجر وحلف يمين المحافظة على نظام المملكة المجرية الاساسي في ٨ حزيران (جون) سنة ١٨٦٧ . وتزوج في ٢٤ نيسان (افريل) سنة ١٨٥٤.

واسم زوجته اليزابت امبراطورة النمسا وملكة المجر ولدت في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٣٧ وهي كريمة الدوق ماكسيميليان البافاري ولها

ثلثة اولاد وهم الارشيدوقة جزيلا ولدت في ١٢ تموز (جوليه) سنة ١٨٥٦ وهي الان زوجة برنس بافاري والارشيدوق رودولف وهو ولي العهد ولد في ٢١ آب (اوغسطوس) سنة ١٨٥٨ والارشيدوقة ماريا ولدت في ٢٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٦٨

اما شقيقا الامبراطور فهما الارشيدوق كارل لودوك فيلد مارشال في الجيش الامبراطوري ولد في ٣٠ تموز (جوليه) سنة ١٨٣٣ وتزوج في ٢١ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٦٢ بزوجته البرنسس انتسياتا ولدت في ٢٤ اذار (مايس) سنة ١٨٤٣ وهي كريمة فرنيناند والثاني ملك نابولي السابق وترمل في ٤ ايار (مايس) سنة ١٨٧١ بعد ان ولدت له ثلثة بنين وبنتاً وهم فرانز ولد في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦٣ واوتو ولد في ٢١ نيسان (افريل) سنة ١٨٦٥ وفرديناند ولد في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦٨ ومارغريتا ولدت في ١٣ ايار (مايس) سنة ١٨٧٠ وشقيق الامبراطور الثاني هو الارشيدوق لودوك وهو جنرال في الجيش الامبراطوري ولد في ١٥ ايار (مايس) سنة ١٨٤٢

ووالد حضرة الامبراطور هو الارشيدوق فرانز كارل ولد في ٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٠٢ وهو ابن الامبراطور فرانز الاول من زواجه الثاني بكريمة الملك فرنيناند الاول ملك نابولي السابق ورفض قبول الملك ليتبوا تخته ابنه البكر وذلك في ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ وتزوج في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٢٤ بالبرنسس صوفيا كريمة المرحوم ماكسيمليان الاول ملك بافاريا ولدت في ٢٧ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٠٥ وترمل في ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٧٢

وعم الامبراطور هو الامبراطور فرديناند الاول ولد في ١٩ نيسان (افريل) سنة ١٧٩٣ وهو اكبر بني الامبراطور فرانز الاول وخلف اباه في ٢ اذار (مارس) سنة ١٨٣٥ وتوج ملكاً على المجر وبوهيميا في ٧ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٣٦ واعتزل عن الملك لابن اخيه بعد ان رفضه اخاه في ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ وتزوج في ٢٧ شباط (فبريه) سنة ١٨٣١ بالامبراطورة انا التي ولدت في ٩ ايلول سنة ١٨٠٣ وزوجة جده الامبراطورة كارولينا ولدت في ٨ شباط (فبريه) سنة ١٧٩٢ وهي كريمة ماكسمليان ملك بافاريا السابق وتزوجت المرة الرابعة بالامبراطور فرانز الاول في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨١٦ وتوجت ملكة للمجر في ٢٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٢٥ وترملت في ٢ اذار سنة ١٨٣٥

ولحضرة الامبراطور المشار اليه اقارب كثيرون من ارشيدوقيين وارشيدوقات وعددهم ٣٦ نفساً منهم ١٦ من اعضاء العائلتين اللتين كانتا مالكتين في تسكانيا ومودينا فكبير عائلة تسكانيا الارشيدوق فرديناند ولد في ١٠ حزيران (جون) سنة ١٨٣٥ وكان بالاسم كراندوق تسكانيا من ٢١ تموز سنة ١٨٥٩ الى ٢٢ اذار سنة ١٨٦٠ وهو مقيم الان في سالسبرج وكبير عائلة مودينا الارشيدوق فرانسسكو ولد في اول حزيران سنة ١٨١٩ وكان دوق مودينا في سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٦٠ وهو مقيم الان في فينا

والعايلة النمساوية الامبراطورية هي من نسل رودلف فون هابسبرج وكان كونتاً المانياً ولد سنة ١٢١٨ وانتخب قيصراً او امبراطوراً للامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٢٧٣ وانقطع نسله من جهة الذكور سنة ١٧٤٠ بموت الامبراطور كارل السادس وكانت له بنت واحدة اسمها ماريا تريزا

فتزوجت بالدوق فرانز من تسكانيا وصار بعد ذلك القيصر فرانز الاول وهو من المانيا من عائلة لورن فاصبح اول عائلة هابسبرج لوران . وخلف ماريا تريزا ابنها جوزف الثاني سنة ١٧٨٠ فمات سنة ١٧٩٠ فخلفه في الملك اخوه ليوبولد الثاني . فمات سنة ١٧٩٢ فخلفه ابنه فرنز الاول وملك الى سنة ١٨٣٥ وتزوج اربع مرات فخلف اولادًا كثيرين فهم واولادهم العائلة الحالية المالكة في النمسا والمجر . وفرانز هو الملك الاول الذي سمى نفسه بالامبراطور او بقيصر النمسا وذلك قبل ان الزمه نابوليون الاول بان يترك امبراطورية المانيا وجرى ذلك مدة خمسة قرون في عائلة هابسبرج وسمي بقيصر النمسا في ١١ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٤٠ وخلف فرانز الاول ابنه الامبراطور فرديناند الرابع فعند اعتزاله في ٢ كانون الاول سنة ١٨٤٨ خلفه ابن اخيه فرانز جوزف الاول او فرانسوا جوزف وهو الامبراطور الخامس من عائلة هابسبرج لورن وما ياتي هو اسماء امبراطوري النمسا من نسل رودولف هابسبورغ مع تاريخ تبوا تخت الامبراطورية

سنة ميلادية	عائلة هبسبرج
١٢٧٨	رودولف الاول
١٢٩١	البرت الاول
١٣٠٨	فردريك الثالث *
١٣١٣	البرت الثاني *
١٣٥٨	رودولف الثاني *
١٣٦٥	البرت الثالث *
١٣٩٥	البرت الرابع *
١٤٠٤	البرت الخامس (وهو الثاني لالمانيا)
١٤٣٩	فردريك الرابع (وهو الثالث لالمانيا)
١٤٩٣	ماكسيمليان الاول
١٥١٩	كارل الاول (وهو الخامس لالمانيا)
١٥٥٦	فرديناند الاول
١٥٦٤	مكسيمليان الثاني
١٥٧٦	رودولف الثالث (وهو الثاني لالمانيا)
١٦١١	ماتياس
١٦١٩	فرديناند الثاني
١٦٣٧	فرديناند الثالث
١٦٥٧	ليوبلد
١٧٠٥	جوزف الاول
١٧١١	كارل الثاني

١٧٤٠	ماريا تريزيا	*
	عائلة هابسبرج لورن	
١٧٨٠	جوزف الثاني	
١٧٩٠	ليوبلد الثاني	
١٧٩٢	فرانز الاول (الثاني لالمانيا)	
١٨٣٥	فرديناند الرابع	*
١٨٤٨	فرانز جوزف الاول	*

فهولاء الامبراطورون ملكوا النمسا نحو ستة قرون ومعدل ملكهم ٢٢ سنة فالذين قباله اسمهم نجمة لم يملكوا على المانيا ولكنهم تبوأوا تخت اوستريا فقط والذين بدون نجمة تبوأوا تخت الامبراطورية الالمانية مع تخت النمسا وملحقاتها

حكومتها

انهُ منذ سنة ١٨٦٧ اصبحت الامبراطورية النمساوية المجرية مركبة من قسمين وهما امبراطورية اوستريا او النمسا ومملكة المجر او هنكاريا ولكل منهما مجلس عال ووزراء وحكام والروابط الجارية بينهما هي وجود الملكية بالارث في عائلة هابسبرج لورن وليس لهما غير جيش واحد عام وبوارج عامة وسياسة خارجية واحدة ومجلس عال واحد لضبط ذلك يسمى بما معناهُ الوكلاء وهم ١٢٠ وكيلاً وينا لف منهم مجلس عال عام وينتخب نصفهم مجلس النمسا القضاءي ومجلس النواب والنصف الاخر مجلس المجر القضاءي ومجلس النواب فالقضاءي في كل منهما ينتخب ٢٠ عضواً والنواب ٤٠ وهم من اعضاء تلك المجالس ولتقريراتهم في هيئتهم المجلسية نفوذ قاطع فلا تفتقر الى رضى المجالس التي هم منها • ومن نظام مجلس الوكلاء ان ينقسم الى مجلسين احدهما يتالف من نواب النمسا والاخر من نواب المجر فالامور التي يلزم تقريرها تمر فيهما فاذا اتفق تصير نافذة والا فيجتمعان مجلساً واحداً وبدون مناوضة يقرر الاعضا اراءهم فبالاكثرية يتم الامر وينفذ في جميع الامبراطورية واحكامهم نافذة في الامور الخارجية والحربية ولكل منها عمدة اجرائية واحوال ماليتها بيد عمدة ثالثة اجرائية . اما النظارات العامة اي النافذة الاحكام في النمسا والمجر فهي الاتية وهي

اولاً . نظارة الخارجية . وفيها الوزير الاول وهو الكونت جولا اندراسي ولد في ٨ اذار (مارس) سنة ١٨٢٣ . وكان نائب زمبلن في مجلس نواب المجر من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٤٩ . وسار سفير المجر في الاستانة العلية سنة ١٨٤٩ . ونفي من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٦٠ . وجدد انتخابه نائباً عن ولاية زمبلن في مجلس نواب المجر سنة ١٨٦١ وصار رئيس مجلس وزراء المجر في ٧ اشباط (فافريه) سنة ١٨٦٧ واستمر كذلك الى سنة ١٨٧١ وصار ناظر خارجية كل الامبراطورية في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧١

ثانياً . نظارة الحربية لكل الامبراطورية والمملكة

ثالثاً نظارة المالية لكل الامبراطورية والمملكة

فنظار الوزارة الثلاث المذكورة يقومون بالمهام وهم مسئولون الى مجلس الوكلاء

النمسا

ان نظام النمسا قرر في ٤ اذار (مارس) سنة ١٨٤٩ على انهُ تبدل بواسطة ارادة امبراطورية صادرة في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١

بنظام غير مطلق قدر النظام الاول وبعد ذلك صدرت ارادات جديدة لتغيير نظامات قديمة . وصدرت ارادة مورخة في عشرين تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٦٠ ثم ارادة اخرى مورخة في ٢٦ شباط (ففريه) سنة ١٨٦١ وهما اساس النظام الاساسي الجاري الان الذي اعيق من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٦٧ ‧ وقرر مع التغييرات التي بانت لازمة بواسطة الاعتراف باستقلال المجر . واهم هذا النظام ان يكون للبلاد مجلسان فالاول هو مجالس الولايات والثاني المجلس المركزي وهو مجلس المشورة اما مجالس الولايات فهي ١٧ وهي لبوهيميا ولدلماسيا ولغاليسيا ولاوستريا العليا ولاوستريا السفلى ولسالزبورج ولاستريا ولكارنثيا ولكارنيولا ولبوكوينا ولمورافيا وسليزيا وتيرول وفيرارلبرج وكوريزيا واسترا وتريسته . ومجالس كل هذه الولايات مولفة تاليفاً يكاد يكون كتاليف الولايات الاخرى والاختلاف في عدد النواب . ولكل منها مجلس واحد واعضاوه اولا روسا الاساقفة واساقفة الكاثوليك الرومان والروم الشرقيون وروساء المدارس العالية . ثانيًا اصحاب الاملاك الواسعة الذين لا يدفعون اقل من مائة فلورينة من الاموال الاميرية . ثالثًا نواب مدن ينتخبون باراء الاهالي الذين لهم حقوق بالمدينة . رابعًا نواب جمعيات تجارية بانتخاب الاعضاء . خامسًا نواب دوائر القرى وينتخبهم نواب ينتخبهم الاهالي الذين يدفعون شيئًا قليلا من الاموال الاميرية فمجالس الولايات تسن قوانين للادارة المحلية ولا سيما المتعلقة بالاموال الاميرية والزراعة والتعليم والكنائس والانشاآت الخيرية والاعمال النافعة

اما المجلس العالي في النمسا فينقسم الى مجلسين وهما المجلس العالي والذي دونه فاعضاء المجلس العالي هم اولاً الراشدون من رجال العائلة الامبراطورية وكانوا ١٢ سنة ١٨٧٠ ثانيًا الامراء وعددهم ٥٢ ولهم املاك متسعة جدًّا وامريتهم بالارث ثالثًا روسا الاساقفة وعددهم ٩ و ٧ اساقفة ولهم القاب كالقاب البرنس فيحصلون عليها بالوصول الى منصبهم الكنائسي . رابعًا الذين يعينهم الامبراطور بعضوية دائمة وسبب تعيينهم امتيازهم بالمعارف والصنائع او قيامهم بخدمة مهمة في الدولة او الكنيسة وفي المجلس الحالي ٩٤ عضوًا منهم . والمجلس الثاني مولف من ٢٠٣ اعضاء ينتخبهم مجالس الولايات السبع عشرة فمجلس بوهيميا ينتخب ٥٤ عضوًا ودالماسيا ٥ وغاليسيا ٣٨ واوستريا العليا ١٠ واوستريا السفلى ١٨ وسالزبورج ٣ واستريا ١٣ وكارنثيا ٥ وكارنيولا ٦ وبوكوينا ٥ ومورافيا ٢٢ وسليزيا ٦ وتيرول ١٠ وفيرارلبرج ٢ وكوريزيا ٢ واسترا ٢ وتريسته ٣ ويقام بالانتخاب في مجالس الولايات ويلزم ان يكون المنتخبون من اعضاء مجالس الولايات على انه يحق للامبراطور ان يامر بالقيام بالانتخابات بواسطة الاهالي اي بدون واسطة مجالس الولايات اذا تمنعت عن الانتخاب واهملته ويعين الامبراطور رئيسي المجلس الاول والثاني ونوابهما والاعضاء ينتخبون سائر المتوظفين فيهما . ومن المفروض على الامبراطور ان يجمع المجلس الاول والثاني كل سنة وقد تقرر في الارادة المورخة في ٢٠ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٦٨٠ والارادة الثانية الصادرة في ٢٦ شباط ففريه سنة ١٨٦١ ان للمجلس الاول والثاني وهما المجلس العالي الحقوق الاتية وهي اولا ان يقرر كل القوانين المتعلقة بالواجبات العسكرية . ثانيًا تقرير كل القوانين والامور المتعلقة بالتجارة والرسومات والصيارفة والبرد والاسلاك البرقية والطرق الحديدية . ثالثًا ان يفحص تعديلات دخل

الدولة ومصروفها ونظامات الاموال الاميرية والقروض العمومية وادارة الدين . ولا تنفذ نظامات وتقريرات ما لم يقررهما ذلك المجلس جميعة اي الاول والثاني مع الامبراطور . ومن حقوق الاعضاء فيهما ان يطلبوا تقرير نظامات وقوانين اذا كانت مما يتعلق بالمجلسين . اما في امور اخرى فالطلب محصور في الحكومة

اما حكومة النمسا الاجرائية دون المجر فهي منقسمة الى ثماني نظارات وهي . اولاً رياسة المجلس الخصوصي . ثانياً نظارة الداخلية . ثالثاً نظارة المعارف والاديان . رابعاً نظارة المالية . خامساً نظارة التجارة . سادساً نظارة الزراعة . سابعاً نظارة الدفاع عن الوطن . ثامناً العدلية . وتقرر في نظام سنة ١٨٦٧ بان النظار مسئولون وقرر الامبراطور ذلك في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٠

المجر

ان نظام المملكة المجرية الاساسي تقرر منذ تاسيس المملكة اي نحو سنة ٨٩٥ للميلاد وهي القسم الشرقي من الامبراطورية النمساوية ومحتوية على المجر وكرواسيا وسلافونيا وترانسلفانيا . وليس لها ادارة لتقرير نظامها ولكنة مقرر بسنن اساسية واهم تلك السنن هي المسماة بولا اوريا من الملك اندرو الثاني وصدرت سنة ١٢٢٢ وتقرر فيها ان هيئة الحكومة ملكية اميرية . وقد طالما ابطلت نظاماتها وداستها القوة بارجلها حتى انة في نهاية ثورة المجر على النمسا سنة ١٨٤٩ تقرر ان المجر قد خسروا نظامهم بعصيانهم . وعدلت الامبراطورية النمساوية عن ذلك لنساوتو سنة ١٨٦٠ غير ان قوانين سنة ١٨٤٨ التي جعلت نظامات المجر موافقة لاراء هذا الزمان لم يقبلها حضرة امبراطور النمسا الحالي الا سنة ١٨٦٧ فانة حلف في السنة بان المذكورة يحافظ على نظامات المجر الاساسية فتوج ملك المجر

اما السطوة القضائية فهي في يد الملك والمجلس العالي . وهذا المجلس منقسم الى مجلس اول ومجلس ثان فالمجلس الاول للامراء والثاني للنواب . ويتالف المجلس الاول من ٤١٠ اعضاء وهم ٣ برنسات من العائلة المالكة و ٣١ رئيس اسقف واسقف من الكاثوليك الرومان والروم الارثوذكس و ٣٧١ اميرًا من المجر ونائبين من كرواسيا وسلافونيا و ٣ من ترانسلفانيا . والمجلس الثاني مولف من نواب الامة المجرية ويكون انتخابهم باراء كل الراشدين من الاهالي الذين يدفعون اموالاً اميرية قدرها ١٦ شلينًا والشلين ٦ غروش او اكثر قليلاً ولا تختلف حقوق الانتخاب او العضوية باختلاف الجنس او الدين ولا بد من انتخابات جديدة مرة كل ٣ سنوات وقد تقرر في نظام الانتخاب الجاري ان يكون عدد النواب ٤٣٨ منهم ١٨ نائبًا ينوبون عن مدن مجرية و ٢٨٩ عن قرى مجرية و ٢٩ عن كرواسيا وسلافونيا و ٣٢ عن خدمة الدين وجمعيات اخرى

اما الحكومة الاجرائية فمسئولة وهي مركبة من رياسة وتسع نظارات فالرياسة هي رياسة مجلس الوزراء والنظارات هي اولاً نظارة الدفاع عن الوطن . ثانيًا النظارة بالقرب من الملك . ثالثًا نظارة المالية . رابعًا الداخلية . خامسًا المعارف والاديان . سادسًا العدلية . سابعًا النافعة . ثامنًا الزراعة والصناعة والتجارة . تاسعًا نظارة كرواسيا وسلافونيا . هذا ومع ان امبراطور النمسا يلقب بامبراطور لا يلقبة المجريون في الاعمال الرسمية غير ملك فانة امبراطور النمسا ولكنة ملك المجر

الاديان والمعارف

ان دين الدولة هو الكاثوليكي الروماني غير انة يسمح لمن اراد ان يخرج منة بدون معارضة البتة

او ان يدخلهُ . وقد تقرر في العد الاخير ان ٦٦ في المائة من اهالي الامبراطورية هم من الكاثوليك الرومان و١١ في المائة من الباقي هم من الروم الكاثوليك و١٠ في المائة منهُ من البروتستانت الانجيليين و٩ من الروم الارثوذكس

اما اهل المناصب الدينية في النمسا فهم ١١ رئيس اساقفة من الكاثوليك الرومانيين وهم رئيس اساقفة فينا وسالزبورج وكورز وبراك واولمتز ولمبرج وزارا وكران وارلو وكالوكسا واكرام . ورئيسا اساقفة من الروم الكاثوليك وهما في لمبرج و بالسندورف . ورئيس اساقفة روم ارثوذكس . ورئيس اساقفة ارمن كاثوليك . وللكاثوليك الرومانيين ٧٥ اسقفًا ولهم مجالس و٤٣ رئيس دير لها معينات وللمجر ٢٢ رئيس دير بمعين وغير ذلك مما هو في رتب اقل . اما الروم الكاثوليك فلهم رئيس اساقفة في غاليسيا وخمسة اساقفة في المجر . وللارمن الكاثوليك رئيس اساقفة في لمبرج . ورئيس اساقفة كارلوتزهو رئيس الكنيسة الارثوذكسية وعندهُ ١٠ اساقفة . هذا وكان لخدمة الدين في اوستريا اي القسم النمساوي حقوق عظيمة مهمة بموجب اتفاق معقود بين الدولة والفاتيكان غير انهُ تغير ذلك سنة ١٨٦٧ وسنة ١٨٦٨ بنظامات قررها المجلس العالي وأهمها تقرر في نيسان سنة ١٨٦٨ وفيهِ تقرر عقد الزواج مدنيا ومساواة كل الاديان . وفي المجر وترانسلفانيا فقد تمتع الذين ليسوا بكاثوليك بحقوق الكاثوليك منذ زمان طويل

ولخدمة الدين الكاثوليك املاك متسعة جدًا في اوستريا وقد قلت في النصف القرن الاخير ومع ذلك لا تزال كثيرة فهي نحو ثلثمائة مركز ديني ونحو خمسماية دير . وليس للبروتستانت كنائس ذات معينات من الحكومة فان الاهالي ينتخبون قسوسهم ويقومون بمعاشهم

اما المعارف في النمسا فكانت متاخرة جدًا بالنسبة الى العامة فان اكثر اهل الزراعة وهم نحو ثلثي الاهالي كانوا يجهلون القراة . ولم ينتبه اليهم الا في الازمان المتاخرة فان الحكومة قد صرفت اجتهادات جديدة في العشرين سنة المتاخرة في سبيل انشا المدارس وتعيين المعلمين من مالها او من مال دواير الاهالي وهذا هو الاغلب . وقد تقرر في اوامر كثيرة امبراطورية صادرة سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٤٩ بانهُ من الواجب ان يكون التعليم عموميًا واجباريًا ولم ينفذ ذلك في البلدان النمساوية التي فيها سلافيون على انهُ نفذ حتى النفوذ بين الجنس الالماني في النمسا فانهُ قد تقرر انهُ من الواجب ان يدخل المدارس الوطنية كل الاولاد الذين هم بين سن ٦ و١٢ واذا اهمل والدوهم ذلك يقع عليهم القصاص . والاهال نادر جدًا . وفي السنين المتاخرة قد زادت الحكومة مساعدتها للاهالي على التعلم

وفي الامبراطورية دون المملكة المجرية سبع مدارس عالية في فينا وبراك وبست وكراز وانسبروك وكراكو ولمبرج . واربع منها وهي مدرسة فينا وبراك وكراز وانسبروك هي من المدارس العالية الالمانية المتقنة وكان فيها معلمون وتلاميذ كثيرون في صيف سنة ١٨٧٢ كما يظهر من القايمة الاتية

انسبروك	كراز	براك	فينا	اساتيذ
٤١	٤٠	٤٨	٦٨	اساتيذ اعتياديون
٧	١٠	٢٢	٣٨	اساتيذ غير اعتياديين
٩	١٢	٢١	٣٦	مسعفو اساتيذ

١	٣	٦	٨	اساتيذ لغات وغيرها
٥٨	٧٠	٩٧	٢٠٠	المجموع
				التلاميذ
١٩٧	١٠٣	٢٠٧	١٩٨	طلبة لاهوت
١٠٤	٣١٣	٦٤٠	١,٣٠٤	طلبة النظامات والقوانين
١٤٨	١٤٣	٢٦٥	٦٧٩	طلبة الفلسفة
٧٩	٢٩٣	٥٠٠	١,٣٨٣	طلبة الطب
٥٢٨	٨٥٠	١٦١٢	٣٥٦٤	مجموع الطلبة القانونيين
٨٤	٧٦	٩٧	٣١٧	طلبة غير قانونيين
٦١٢	٩٢٦	١٧٠٩	٣٨٨١	مجموع الكل

وكان في مدرسة بست العالية سنة ١٨٧٣ نحو ٥٢ استاذاً و ١٧٠٠ تلميذ وفي كراكو ولمبرج وغاليسيا وغيرها ٧٠ استاذاً و ١٨٠٠ تلميذ

الدخل والمصروف

ان للامبراطورية النمساوية ٣ مجالس مالية ولها ايضاً ثلثة تعديلات مالية. الاول اوكلا الامبراطورية والمملكة. والثاني لمجلس النمسا العالي والثالث لمجلس المجر العالي. فالذي يقررهُ مجلس الوكلاء من الدخل والمصروف متعلق بالامبراطورية والمملكة. والثاني للامبراطورية وحدها والثالث للمملكة وحدها. وقد عقد اتفاق بين النمسا والمجر سنة ١٨٦٨ مآلهُ ان النمسا تدفع سبعين في المائة من المصاريف سنوياً والمجر ٣٠ فيها خلا فائض الدين العام فان لهُ اتفاقاً مخصوصاً بهِ. وما ياتي هو التعديل المالي العام للامبراطورية والمملكة وهو لسنة ١٨٧١. وقد زاد عن ذلك في السنين التابعة ولا سيما سنة ١٨٧٥ غير انهُ كافٍ لاظهار المصاريف بالتقريب

مصاريف اعتيادية		مصاريف غير اعتيادية	
ليرات انكليزية		ليرات انكليزية	
٤١١,٦٤٧	نظارة الخارجية	١٤,٧٧١	نظارة الخارجية
٩٠٦١,٦٦٦	نظارة الحربية والبحرية	٢,٥٦٣,٤٥٠	نظارة الحربية والبحرية
١٨٨,٠٦٩	نظارة الداخلية	٥١١	نظارة المالية
٩,٦٧١,٣٨٣	المجموع	٢,٥٧٨,٧٣٣	المجموع

فيكون مجموع المصاريف العامة في الامبراطورية والمملكة سنة ١٨٧١ اثني عشر مليوناً و ٢٥٠ الفاً و ١٥ ليرا انكليزية هذا خلا المصاريف الخصوصية للنمسا وللمجر وسياتي بيانها. واهم اسباب الدخل التي تصرف في سبيل المصاريف العامة الرسومات وقد عدلت في السنة المذكورة بمليون و ٢١٩ الفاً و ٧٠ ٩٧ ليرا انكليزية وعدلت كل المداخيل الاخرى للمصاريف العمومية بخمسمائة واربعة وستين الفاً و ٨١٥ ليرا فيكون نقص دخل الامور المخصصة للمصاريف العامة عن المداخيل العامة عشرة ملايين و ٤٨٣ الفاً و ٤٣١ ليرا .

فالتزمت النمسا ان تدفع ٧٠ في المائة من ذلك النقص والمجر ٣٠ في المائة منه كما تقدم . اما تعديلات سنة ١٨٧٣ المالية فتقرر فيها ان المصاريف العمومية فيها تكون ١٠ مليونًا و٦٤ الفًا و٧٤٩ ليرا وان دخلها يكون مليونًا و٧٢٠ الفًا و٨٨٨ ليرا فالنقص ٩ ملايين و٣٤٣ الفًا و٨٦١ ليرا فدفعت النمسا لسد النقص ٦ ملايين و٥٤٠ الفًا و١٣٢ ليرا والمجر مليونين و٨٠٣ الاف و٥٨ ليرا

مداخيل النمسا ومصاريفها

قد تقرر في تعديل مداخيل النمسا الخصوصية ومصاريفها سنة ١٨٧١ ان الدخل يكون ٣٢ مليونًا و٨٠٨ الاف و٤٦٠ ليرا انكليزية وان المصروف يكون ٣٤ مليونًا و٩٨١ الفًا و١٦٤ ليرا فيكون نقص الدخل عن المصروف مليونًا و١٧٢ الفًا و٧٠٤ ليرات وما ياتي هو تفصيل الدخل

المداخيل	فلورينات	ليرات انكليزية
اموال الاراضي	٨٠,٢٠٠,٠٠٠	٨,٠٢٠,٠٠٠
اموال اميرية على المصنوعات وغيرها	٤٨,٠٠٠,٠٠٠	٤,٨٠٠,٠٠٠
رسومات	١٨,٤٦١,٠٠٠	١,٨٤٦,١٠٠
حصر الملح	١٧,٩٠٠,٠٠٠	١,٧٩٠,٠٠٠
حصر التبغ	٥٠,٧٠٠,٠٠٠	٥,٠٧٠,٠٠٠
اوراق صحيحة	١٢,٣٠٠,٠٠٠	١,٢٣٠,٠٠٠
مداخيل محاكم	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣,٢٠٠,٠٠٠
جوائز قرعة	١٣,٨٢٧,٩٥٨	١,٣٨٢,٧٩٦
مرتبات مخصوصة	٣,٦٦٩,٦٨١	٣٦٦,٩٦٨
املاك الحكومة	٤,٠٩٥,٧٥٨	٤٠٩,٥٧٥
المعادن	٤,٦٥٤,٥٠٠	٤٦٥,٤٥٠
البرد والاسلاك البرقية	١٤,٤٥٠,٨٠٠	١,٤٤٥,٠٨٠
من مبيع املاك حكومة	٩,٣٠٠,٠٠٠	٩٣٠,٠٠٠
نقود الحكومة في البنك المركزي	٦,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠
مداخيل نظارة المالية	١٠,٧٠٩,٦٦٠	١,٠٧٠,٩٦٦
مداخيل مختلفة	٧,٧٨٥,٣٥٢	٧٧٨,٥٣٥
زيادات قروض سابقة	١٤,٠٠٠,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠
المجموع	٣٢٨,٠٧٤,٦٠٩	٣٢,٨٠٨,٤٦٠

فهذا هو مجموع الدخل عن السنة المذكورة ومع ان تجارة النمسا قد تقدمت كثيرًا في السنين التابعة لها لم يتوازن الدخل والمصروف وقد ابنا ذلك في اوقاته وتفصيلات المصروف مفصلة في القائمة الاتية عن تلك السنة ولا بد من ان نذكر لقراء الجرائد ان النمسا قد زادت تعديلها المالي عن سنة ١٨٧٦ نحو ستة ملايين للقيام بتجهيزات حربية على ان ذلك لا يكون دائمًا . وهذا هو تعديل المصروف المذكور

ليرات انكليزية	المصاريف
٢٦٥,٠٠٠	مصاريف البلاط الامبراطوري
٦٠,١٢٢	مصاريف الوزارة الاولى الامبراطورية
٥٦,٠٧١	مصاريف المجلس العالي النمساوي
٤٢,٠٠٠	مصاريف مجلس الوزراء
١,٥٤٦,١٣٠	نظارة الداخلية
١,١٨٢,١٦٧	نظارة المعارف
٢٢,٤٠٥	نظارة الزراعة
٩,٦٥٦,٤١٣	نظارة المالية
١,٤٦٥,٠٨٥	نظارة العدلية
١,٦٦٣,٠٦٣	نظارة التجارة والمنافع
١٥,٨٠٠	مجلس المحاسبة
٩,٩٩٨,٤٧١	فائض الدين العام
١,١٠٥,٤٠٠	معاشات تقاعد وهبات
٧,٣٣٨,٣٢٣	ما تدفعهُ النمسا للخزينة العامة لسد نقصها
٣٤,٩٨١,١٦٤	

وقد ظهر من هذا التعديل ان المصاريف الكثيرة تبذل في سبيل الدين العام واكثرها تدفع من خزينة الامبراطورية وقد اخذ هذا الدين في النمو شيئاً فشيئاً منذ نصف القرن الماضي فانهُ في نهاية الحرب التي انتشبت مدة سبع سنين سنة ١٧٦٣ كان دين النمسا ١٥ مليون ليرا انكليزية وزاد حتى بلغ ٢٨ مليوناً وثلثمائة الف ليرا سنة ١٧٨١ وفي بداية الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ بلغ ٣٤ مليوناً وتسعماية الف ليرا. واخذ الدين في ان يكثر بسرعة فبلغ ٨٢ مليوناً وخمسماية الف ليرا سنة ١٨١٥ و٩٨ مليوناً وسبعمائة الف ليرا سنة ١٨٣٠ و١٠٨ ملايين سنة ١٨٤٠ و١٢٥ مليوناً سنة ١٨٤٨ و٣٠٠ مليون و٩٨٠ الفاً و٣١٢ ليرا سنة ١٨٦٨ . اما حرب بروسيا وايطاليا في صيف سنة ١٨٦٦ فزاد دين النمسا نحو ثلثين مليوناً غير انهُ خلصها من الدين الذي كان يخص لومبارديا وفينيسيا فانهُ تقرر في معاهدة صلح براك في ٢٣ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٦٦ بانهُ قد انتقل الى ايطاليا ومن سنة ١٧٨٩ الى هذه السنة لم يتوازن الدخل والمصروف سنة واحدة. وكان دينها في اول تموز (جوليه) سنة ١٨٧١ كما ياتي

ليرات انكليزية	
١٣١,٩٠٠	الدين القديم المقرر
٢٥٧,١٤١,٤٣٩	الدين الجديد المقرر
٤٩,٢٥٣,٥٦٧	الدين الجاري (فلوتن)
٣٠٦,٥٢٦,٩٠٦	المجموع

وكان لهذا الدين فائض سنوي في الزمان المذكور ١٢ مليوناً و٤٥٠ ليرا انكليزية . وكانت المملكة المجرية ملزومة بان تدفع ٤ ملايين و٣٠٥ الف ليرا في السنة بحسب الاتفاق الذي عقد بين النمسا والمجر بمعرفة مجلس الوكلا في ايار (مايس) سنة ١٨٦٨ وهو ان تدفع خزينة المجر ٣٠ في المائة من مصاريف دين النمسا بحسب درجته المعلومة . اما بعد ذلك فيكون كل من القسمين ملزوماً بان يعقد قروضه وحده

مداخيل المجر ومصاريفها

انه قد تقرر في تعديل مالية المجر سنة ١٨٧١ بان دخل الحكومة ١٥ مليوناً و٩١٢ الفاً و٦٥٢ ليرا انكليزية ومصاريفها الاعتيادية والغير الاعتيادية ١٩ مليوناً و٧١٢ الفاً و٦٥٢ ليرا فيكون النقص ٣ ملايين و٧٩٨ الفاً و٩٩٩ ليرا . وما ياتي هو تفصيل الدخل في السنة المذكورة

ليرات انكليزية	
٥,٧٥٧,٨٠٠	اموال الاراضي الاميرية
٦,٩٣٠,٢٠٠	اموال اميرية اخرى ومداخيل الامور المحصورة
٢,٤٥٦,٤٤٧	املاك الحكومة والمعادن وصك النقود
٧٦٢,٨٣٤	البرد والاسلاك البرقية
١٦,٣٧٣	مداخيل مختلفة
١٥,٩١٢,٦٥٢	مجموع الدخل

اما تعديلات مصاريف السنة المذكورة التفصيلية فتظهر مما ياتي

ليرات انكليزية	المصاريف
٣٦٥,٠٠٠	مصاريف البلاط الملكي
٦,١٣٢	وزارة الملكية الاولى
١٠٤,٩٦٨	مجلس النواب ومجلس الوزراء
٧,١٨٢	وزارة قرب البلاط الملكي
٦,١٩٤,٣٠٣	نظارة المالية
١,٠٨٤,٨٤٨	نظارة الداخلية
٣٩٣,٤١٩	نظارة المعارف والاديان .
٩٠٥,٤٧٩	نظارة النافعة
٩٤٦,٠٣٩	نظارة الفلاحة والتجارة
٥,٧٣٧,٤٦٨	مصاريف الدين العام ومعاشات تقاعد
٣,١٤٤,٩٩٩	ما تدفعه خزينة المجر للقيام بالمصاريف العمومية
١٩,٧١٢,٦٥٢	المجموع

وللدولة المجرية دين خاص بها وكان مجموعه في غاية تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٣ نحو ١٢

مليونا و٠٠٤ الف ليرا · وهو مركب من ثلثة قروض فالاول قدره ستة ملايين ليرا عقد في حزيران سنة ١٨٦٨ في باريز وامستردام والثاني مليونان واربعماية الف ليرا وصدر في نيسان (افريل) سنة ١٨٧٠ في فينا وفرنكفور والثالث قيمته الاسمية اربعة ملايين ليرا وعقد في فينا سنة ١٨٧٣ في تشرين الثاني (نوفمبر)

الجيش والبوارج

قد تقرر في التقريرات الرسمية النمساوية انه كان للنمسا في بداية سنة ١٨٧٢ جيش عامل عدده ٢٧٨ الفا و٤٧٠ رجلاً في وقت السلام و٨٣٨ الفا و٧٠ رجل في وقت الحرب · فعدد المشاة في زمان السلام ١٥٥ الفا و٥٧٨ رجلاً وفي زمان الحرب ٥٩٧ الفا و٦٠٢ · وعدد الفرسان في زمان السلام ٣٥ الفا و٧٩٣ فارساً وفي زمان الحرب ٥٨ الفا و٧٩٤ فارساً · وجنود المدافع في زمان السلام ٢٥ الفا و٦٥٨ رجلاً وفي زمان الحرب ٦٣ الفا و٧٧٤ رجلاً · والمهندسون وجنود المهمات في وقت السلام ٩ الاف و٨٦٦ رجلاً وفي زمان الحرب ٤٥ الفا و١٢٤ رجلاً · وجنود التعليم والسبر وصنع الملابس والصحة ومعامل الاسلحة والضابطة العسكرية وغيرهم ٢٢ الفا و٨٠٨ رجلاً في زمان السلام و٣٣ الفا و٧٦٢ رجلاً في زمان الحرب

اما القواد سنة ١٨٧٠ فكانوا قايدين عموميين اسم منصبهما فيلد ماريشال و١٩ قائداً عاماً اي جنرالاً للمشاة والفرسان و٥٤ فريقاً و١١١ امرا لواء · وفضلاً عنهم في دفتر القواد الذين ليسوا بمتعاطين الخدمة الفعلية ٢٨ جنرالاً و١٤٥ فريقا و٢٠٤ امرا لوا

وقد تقرر في الاتفاق الذي عقد بين النمسا والمجر لتنظيم احوال الجيش سنة ١٨٦٩ ان تنقسم الجيوش النمساوية والمجرية كلها الى جيش عامل ورديف واحتياطي · فالجيش العامل يديره وزير حرب الامبراطورية والرديف تحت ادارة ناظرين احدهما نمساوي والاخر مجري · ولا بد من ان يكون الامبراطور الملك مصدر كل الاوامر المتعلقة بحركات عسكرية مهمة فانه الرئيس الاول لقوات المملكة العسكرية والبحرية · والجيش العام يجمع بالقرعة فان كل من ادرك العشرين يكون معرضا لها · فمدة الخدمة عشر سنوات ٣ منها في الخدمة العاملة و٧ في الاحتياطي والرديف ١٢ سنة غير ان واجباته محصورة في الاماكن الذي هو منها · وفي التيرول والحدود الحربية الدخول في الجيش الاحتياطي العام اجباري وفي محلات اخرى بالتطوع

وللنمسا ٢٥ قلعة من الرتبة الاولى والرتبة الثانية وهي كومورن وكارلسبورج وتمسفار وبيتار واردن وازكرام وبرود وكارلستاد وكاستلنوفو وراد ومونكاكس وكاركو وكرادسكا وأولموتز وليوبولدستاد وبرالك وبركسن وثيردزنستاد وفوستان ولنز وسالزبورج وبودا وراكوزا وزارا وكاتارو وبولا وهذه الاخيرة اهم قلعة بحرية في الامبراطورية

وقد تقرر في الدفاتر الرسمية في نيسان (افريل) سنة ١٨٧٣ ان البوارج النمساوية ٤٥ بارجة تجارية و١٠ شراعيات وفي القايمة الاتية اسما البوارج وقوة الاتها التجارية بالنسبة الى قوة الافراس وعدد مدافعها وحمولها

اسماء البوارج التجارية	قوة الاتها التجارية	عدد مدافعها	محمولها طونولاتات
بوارج مدرعة كبيرة			
ليسا	١٠٠٠	١٢	٥٧١١

قيصر	٨٠٠	١٠	٥٬٤٣٧
بوارج مدرعة من نوع الفرقاطة			
فرديناند ماكس	٨٠٠	١٦	٤٬٧٥٧
هابسبورج	٨٠٠	١٦	٤٬٧٥٧
جوان دو ستريا	٦٥٠	٢١	٣٬٣٣٠
قيصر ماكس	٦٥٠	١٢	٣٬٣٣٠
برنس اوجن	٦٥٠	١٢	٣٬٣٣٠
دراخ	٥٠٠	١٠	٢٬٨٢٤
سالامندر	٥٠٠	١٠	٢٬٨٢٤
بوارج من نوع الفرقاطة بالدفاش			
نوفارا	٥٠٠	٤٥	٢٬٤٩٧
اشخوارزنبرغ	٤٠٠	٤٦	٢٬٥١٤
ادريا	٣٠٠	٢٩	٢٬١٩٨
دونو	٣٠٠	٢٩	٢٬١٩٨
بوارج من نوع الكورفت الدفاش			
داندلو	٢٣٠	٢٢	١٬٥٩٤
ارزهرزوك فردريك	٢٣٠	٢٣	١ ٤٧٤
هلكولاند	٤٠٠	٦	١ ٦٣٥
سفن حربية من النوع الاول			
ذالمات	٢٣٠	٤	٨٦٩
هوم	٢٣٠	٤	٨٦٩
فليج	٢٣٠	٤	٨٦٩
سيهوند	٢٣٠	٤	٨٥٢
استريشار	٢٣٠	٤	٨٥٢
ريكا	٢٣٠	٤	٨٥٢
وال	٢٣٠	٤	٨٥٢
سفن حربية من النوع الثاني			
سانسيجو	٩٠	٣	٣٢٣
جمس	٩٠	٣	٣٢٣

كرل	٩٠	٣	٣٢٢
سفن صغيرة حربية			
كركا	٩٠	٢	٥٠١
نارنتا	٩٠	٣	٥٠١
موف	٤٥	٢	٣٤٨
سفن اخرى بخارية			
اليزابت	٣٥٠	٦	١٤٧٣
كريف	٣٠٠	٣	١٢٦٠
لوسيا	٣٠٠	٣	١٣٥٣
تريست	٢٣٠	٣	١١٠٣
اندرياس هوفار	١٦٠	٤	٧٧٠
كورتانون	١٦٠	٤	٧٥١
فانتازي	١٢٠	٤	٤٢٧
فيوم	١٢٠	٢	٤١٠
فولكان	١٢٠	٤	٤٠٣
طوروس	١٠٠	٥	٦٥٧
كارنانتي	٢٧٠	٣	٣٧٧
هنتزي	٤٥	٤	١٣٩
النوخ	٤٠	٤	١١٠
تورن وتاكسس	٤٠	٢	١١٨
مساجر	٣٠	٢	٥١
كروزكوسكي	١٦	٢	٤٣

وما ياتي هو من البوارج الشراعية

بوارج شراعية	عدد مدافعها	محمولها طونولاتات
بوارج من نوع الفرقاطة		
بيلونا	٣٥	١٫٥٤٣
فسوف (بارجة تعليم)	—	١٫٤٩٠
بوارج من نوع الكورفت		
كارلولينا	١٨	٨٦٠
ميزفا	١٢	٥٥٦
سفن حربية شراعية:		

٥٨٦	١٦	مونتيكوكولي
١٥٤	١٠	ارثيوزا
١٦٧	٨	ارثيميزا
٣٦٩	٦	صيدا
		سفن لنقل الجنود والمهمات
١٤٣	—	كاما ليون
١٤٠	٤	بيلادس

وعند النمسا خلا البوارج المذكورة اعلاه ١٢ مركبًا بخاريًا وشراعيًا وهي في الفرض واكثرها في مينا بولا والمقصود منها القيام بخدمة مخصوصة منهـا التمرينات الحربية باطلاق المدافع وغيرها وتعليم الاولاد لينتظموا في سلك الخدمة البحرية فان الحكومة قد اعتنت جدًّا بذلك في السنين المتاخرة . وكانت البوارج النمساوية سنة ١٨٧٢ في وقت سلام تحت رياسة قائدين من رتبة فيس اميرال اي نائب امير بحر و٥ ريار اميرال اي وكيل امير بحر و١٥ قبطان (رئيس) بارجة كبيرة و١٧ قبطان (رئيس) بارجة من نوع الفرقاطة و١٨ رئيس بارجة من نوع الكورفت و٤٠٩ ضباط و٢٠٧٠٥ من الملاحين و٨٢٤ ضابطًا غير المذكورين . اما في وقت الحرب فيكون عدد الرجال ١٣ الفًا و٣٢ رجلاً . والانتظام في الخدمة البحرية كالانتظام بالخدمة البرية بواسطة القرعة من الاهالي القاطنين عند الشطوط العارفين بامور البحر . على ان كثيرين منهم ينتظمون فيها بالتطوع ولا سيما في ولاية دالماسيا التي لها امتيازات لان كثيرين من رجالها في الخدمة البحرية . ومدة الخدمة ٨ سنوات وبعدها ربما كان يبقى الملاح مدة سنتين في الجيش الاحتياطي

وللنمسا فرضتان حربيتان وهما بولا وتريستة . واهمها بولا وهي محصنة جدًّا برًّا وبحرًا وقد وسعت بحيث تقدر البوارج كلها ان تدخل المينا وفي تريستة مركز صنع المواد المختصة بالبوارج ومخازن مهماتها

مساحتها واهاليها

ان مساحة الامبراطورية النمساوية ٢٢٦ الفًا و٤٠٦ اميال انكليزية مربعة او ١٠ الاف و٧٨٠ ميلاً نمساويًا وقد تقرر في العد الاخير الذي جرى في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦٩ ان الذين يقطنونها هم ٣٥ مليونًا و٩٠٤ الاف و٤٣٥ نفسًا اي ١٥٩ نفسًا في كل ميل مربع انكليزي . وقد تقرر بواسطة ذلك العد ان الاهالي هم ٣٥ مليونًا و٦٣٤ الفًا و٨٥٨ نفسًا فيكون عدد الجنود العاملة التي لم تعد مع الاهالي ٢٦٩ الفًا و٥٧٧ نفسًا اما القائمة الاتية ففيها مساحة الولايات وعدد اهاليها ومجموعهم مع عدد الجنود مع تبيين ما يختص بالنمسا وما يختص بمملكة المجر لتبيين الحدود المسماة عندهم بالحربية وهما في الامبراطورية والمملكة تحت ادارة نظارة الحربية العامة . وذلك بالاستناد الى التقرير الرسمي الذي صدر في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦٩

اسماء الولايات	مساحاتها باميال نمساوية	عدد اهاليها	عدد الاهالي مع الجنود
اسماء ولايات الامبراطورية النمساوية			
اوستريا السفلى (انتاردرانس)	٣٤٤،٤٩	١٩٥٤٢٥١	١٩٩٠٧٠٨

اوستريا العليا (او باردرانس)	٣٠٨:٤٧	٧٣١،٥٧٩	٣٧٦،٥٥٧
سالزبورج	١٢٤:٥٢	١٥١،٤١٠	١٥٣،١٥٩
استيريا (استيارمارك)	٣٩٠:١٩	١،١٣١،٣٠٩	١،١٣٧،٩٩٠
كارنيثيا (كارنتن)	١٨٠:٣٦	٣٣٦،٤٠٠	٣٣٧،٦٩٤
كارنيولا (كرن)	١٧٣:٥٧	٤٦٣،٢٧٣	٤٤٦،٣٣٤
كوستلاند (قوستنلاند)	١٣٨:٨٢	٥٨٢،٠٧٩	٦٠٠،٥٢٥
تيرول وفورارلبرج	٥٠٩:٦٣	٨٧٨،٩٠٧	٨٨٥،٧٨٩
بوهيميا (بوهمن)	٩٠٢:٨٥	٥،١٠٦،٠٦٩	٥،١٤٠،٥٤٤
مورافيا (ماهرن)	٣٨٦:٢٩	١،٩٩٧،٨٩٧	٢،٠١٧،٢٧٤
سيليزيا (اشيجليزن)	٨٩:٤٥	٥١١،٥٨١	٥١٣،٣٥٢
غاليسيا (غاليزن)	١،٣٦٤:٠٦	٥،٤١٨،٠١٦	٥،٤٤٤،٦٨٩
بوكوينا	١٨١:٦١	٥١١،٩٦٤	٥١٣،٤٠٤
دالماسيا (دالماتين)	٢٢٢:٣٠	٤٤٢٧٩٦	٤٥٦٩٦١
مجموع اهالي النمسا دون المجر	٥،٢١٦:٥٠	٢٠،٢١٧،٥٣١	٢٠،٣٩٤،٩٨٠
مملكة المجر			
هنكاريا	٣،٧٢٧:٦٢	١١،١١٧،٦٢٣	١١،١٨٨،٥٠٢
كرواسيا وسلافونيا	٣٩٩:٢٤	١،١٦٠،٠٨٥	١،١٦٤،٨٠٦
ترانسلفانيا	٩٥٤:٨٥	٢،١٠١،٧٢٧	٢،١١٥،٠٢٤
الحدود الحربية	٥١٨:٥٨	١،٠٣٧،٨٩٢	١،٠٤١،١٢٣
مجموع المملكة المجرية	٥،٦٠٠:٤٤	١٥،٤١٧،٣٢٧	١٥،٥٠٩،٤٥٥
مجموع الامبراطورية النمساوية والمملكة المجرية	١٠،٨١٦:٩٤	٣٥،٦٣٤،٨٥٨	٣٥،٩٠٤،٤٣٥

وقد تقرر في دفاتر عدد نفوس البلاد النمساوية والمجرية في ٣١ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٥٧ وهو العد الاخير الذي جرى قبل عد سنة ١٨٦٩ ان عدد الانفس في الامبراطورية والمملكة ٣٧ مليونا و٣٤٩ الفا و٩١٣ نفسا في بلاد مساحتها ١١ الفا و٦٠٦ اميال نمساوية او ٢٤٣ الفا و٧٢٧ ميلا انكليزيا مربعا . وقد خسرت النمسا بواسطة ترك ولاياتها الايطاليانية والحاقها بايطاليا سنة ١٨٥٩ و١٨٦٦ اربعة ملايين و٧٦٦ الفا و٩١٠ انفس وارض مساحتها ٧٩٠ ميلا مربعا نمساويا وهي بلاد اوسع ارضا واكثر اهلا من هولاندا . واذا قابلنا مساحة الامبراطورية المقررة سنة ١٨٦٩ بمساحتها نفسها سنة ١٨٧٥ نرى ان الاهالي في السنة المذكورة اخيرا كانوا ٣٢ مليونا و٥٠٣ الفا ونفسين فتكون الزيادة ٣ ملايين و٣٧٤ الفا و٤٢٣ نفسا في ١٣ سنة اي اكثر من واحد في المائة في السنة واكثر من ثلثي الاهالي يشتغلون بالفلاحة . اما في بوهيميا وفي

اوستريا السفلى ومورافيا فقد افرغ الجهد في سبيل نشر الصنائع وترقية اسبابها فاصبح نصف الاهالي فقط يشتغلون بالزراعة . وقد تقرر رسميا ان الاهالي ينقسمون الى الجنسيات واللغات الآتية

انفس		انفس	
٩٬٠٠٠٬٠٠٠	المان	١٬٤٧٠٬٠٠٠	سربيون
٦٬٦٦٠٬٠٠٠	بوهيميون ومورافيون وسلوفاكيون	٢٥٬٠٠٠	بلغاريون
٢٬٣٠٠٬٠٠٠	بولونيون	٥٬٤٥٠٬٠٠٠	مجر
٢٬٨٠٠٬٠٠٠	دوشيون	١٬٠٥٠٬٠٠٠	ايطاليانيون
١٬٢١٠٬٠٠٠	سلوفينيون	٢٬٧٠٠٬٠٠٠	روم كاثوليك
١٬٣٦٠٬٠٠٠	كرواسيون	١٬٤٣٠٬٠٠٠	اجناس اخرى

وقد ذكر في التقريرات الاخيرة الرسمية العددية ان جنس الالمان هو ٣٨ في المائة من القسم النمساوي الامبراطوري و١٨ في المائة من القسم المجري ونحو ٥ في المائة من اهالي الحدود الحربية . وان الاجناس السلافية ٤٩ في المائة من اهالي النمسا و١٦ فيها من اهالي المجر . والمجر ٣٨ في المائة من مملكة المجر ونصف في المائة من الحدود الحربية وواحد في العشرة من المائة من النمسا

التجارة والصناعة

ان التعديل الآتي هو مجموع تجارة النمسا داخلا وصادرًا مع الفضة والذهب بدون صك سنة ١٨٧٠ و١٨٧١ خلا ولاية دالماسيا

واردات

فضة وذهب ونقود		بضائع		
ليرات انكليزية	فلورينات	ليرات انكليزية	فلورينات	سنون
٤٬١٠٥٬٦٤٤	٤١٬٠٥٦٬٤٤٧	٤٢٬١٥٨٬٨٦٥	٤٢١٬٥٨٨٬٦٥١	١٨٧٠
٥٬٩٨٠٬٣٠٥	٥٩٬٨٠٣٬٠٥٣	٥٣٬٥٧٣٬٧٣٠	٥٣٥٬٧٣٧٬٣٠١	١٨٧١

صادرات

فضة وذهب ونقود		بضائع		
ليرات انكليزية	فلورينات	ليرات انكليزية	فلورينات	سنون
٣٬٤٠٦٬١٠٣	٣٤٬٠٦١٬٠٢٦	٣٩٬١٤٧٬٧٦٤	٣٩١٬٤٧٧٬٦٤٥	١٨٧٠
٦٬٣١٠٬٧٨٣	٦٣٬١٠٧٨٣٣	٤٩٬٨٥٦.١٢	٤٩٨٬٥٦٠٬١٢٣	١٨٧١

من اهم الواردات الى الامبراطورية النمساوية القطن الغير المنسوج فانهُ ورد منهُ سنة ١٧٨٠ بثلثة ملايين و٥٠٨ الفًا و٦٩٣ ليرا انكليزية وثانيهِ في الاهمية الحديد ودخل منهُ في السنة المذكورة ماقيمتهُ مليونان و٧٤٠ الفًا و١٨٣ ليرا والمنسوجات الحريرية وقيمتها مليونان و١٧ الفًا و٢٤٠ ليرا انكليزية اما الصادرات فاهمها الذره والطحين فصدر منها في السنة المذكورة ما قيمتهُ خمسة ملايين و٣٩ الفًا و٤١٥ ليرا وسنة ١٨٧١ ما قيمتهُ ٨ ملايين و٦٨١

الفا و٥٥٨ ليرا انكليزية وبعد ذلك في الاهمية بين الصادرات الالات الحديدية فانهُ صدر منها سنة ١٨٧٠ ما قيمتهُ ٤ ملايين و٦٧٤ الفا و٤٧ ليرا انكليزية وسنة ١٨٧١ ستة ملايين و٢٧٣ الفا و٢٠٦ ليرات وقد ازدادت صادراتها وارداتها في السنين التابعة زيادة مهمة ستذكر في اوقاتها

هذا ونحو ثلثي تجارة الامبراطورية النمساوية يجري بينها وبين المانيا وبعدها في الاهمية بالنظر الى تجارة النمسا الممالك المحروسة الشاهانية فانهُ ورد منها الى الامبراطورية النمساوية ما قيمتهُ ٣ ملايين ليرا انكليزية وصدر اليها اكثر من ٥ ملايين ليرا وبعدها في الاهمية ايطاليا وروسيا اما مع انكلترا فصلاتها التجارية قليلة بالنسبة الى الصلات الجارية بينها وبين الدول المشار اليها غير ان كثيرًا من بضائع البلدين تدخل البلد الاخرى بواسطة بلدان متوسطة فلا تظهر قيودها في الدفاتر

اما طول الطرق الحديدية الموجودة في الامبراطورية النمساوية بحسب تعديل سنة ١٨٦٩ مع الطرق التي قد شرع فيها والتي قد صدر الاذن بانشائها فهي المبينة بالتعديل الآتي

طول الطرق التي اذن بها	طول الطرق التي شرع في انشائها	طول الطرق الجاري النقل فيها والقياس اميال نمساوية	
٢٣٨:٧	٢١١:٧	٦١٩:٨	النمسا
١٢٤:٠	١٤٦:٥	٣٣١:٥	مملكة المجر
٣٦٢:٧	٣٥٢:٨	٩٥١:٣	مجموع كل الامبراطورية والمملكة
عنها اميال انكليزية	عنها اميال انكليزية	عنها اميال انكليزية	
١٬٧١٩	١٬١٩٦	٤٬٥١٧	

اما قوة المراكب التجارية النمساوية فتظهر من التعديل الآتي وهو تقرير نهاية سنة ١٨٦٨

عدد ملاحيها	محمولها	عدد المراكب	المراكب الشراعية
٥٬٦٨٩	٢٣٦٬٢٣٥	٥٢٣	مراكب شراعية
٨٬٢٧٧	٤٩٬٩٧٨	٢٬٦٧٨	مراكب ساحلية
١١٬٩٤٠	١٣٬٨٣٩	٤٬٥٥٥	مراكب صيد سمك
٢٬٠٧٣	٢٤٬٣٦٣		٧٤ مراكب بخارية (مجموع قوة آلاتها) ١٤ الفا و٣٥٩ فرسًا
٢٧٬٩٧٩	٣٢٤٬٤١٥	٧٬٨٣٠	

ومن اهم المراكب لقيام تجارة تلك البلاد شركة المراكب التجارية المسماة باللويد ومنها المراكب النمساوية التي تحضر الى هذه المدينة وتاسست في ترياستة سنة ١٨٣٣ وسنة ١٨٣٦ اخذت في ان ترسل مراكبها بترتيب الى اهم الثغور العثمانية والمصرية واليونانية وكان لتلك الشركة سبعون مركبًا بخاريًا سنة ١٨٦٩ قوة آلاتها قدر قوة ١٢ الفا وخمسمائة فرس

هذا وبنشر هذه الافادات عن الامبراطورية النمساوية والمملكة المجرية قد تم تقرير اخبار الامبراطوريات الثلث المتحدة في هذه الايام واقرب الدول اليها ايطاليا ولذلك من الموافق ان ننشر فيما ياتي اخبار ايطاليا

تاريخ فرنسا

العظيمة ليرقى اسباب كل مقاطعة فرنسوية بل كل بلدة وكل قرية . انتهى

فهذا كلام اعداء نابوليون ولا يخفى انهُ افرغ كل الجهد في سبيل حمل انكلترا على عقد الصلح فافرغ جعب السياسة والملاطفة . ومن اعظم الاغلاط التاريخية الحكم بان نابوليون هو سبب الحروب العظيمة التي انتشبت نيرانها بعد الثورة الفرنسوية وقد احسن مستر تراشاردكو بدن وعدل اذ قال ما ترجمتهُ انهُ قد تقرر في عقول اكثرنا ان سبب الحرب هجوم واقع علينا بدون سبب جال كوننا نرغب في عقد الصلح فالتزمنا ان نحارب مع ان مقاصدنا السلمية وشرع الفرنسويون في ان يتهددوا سواحلنا . فهذا بعيد عن الواقع وباسف اقول عكس الصحيح فلا اتردد عن ان اقول انهُ لم يثبت امر في المجالس بوضوح قطعي كما ثبت باوراق تاريخية واعمال رسمية ان انكلترا هي المتعدية في الحرب الاخيرة الفرنسوية . وليس بكاف ان نقول ان فرنسا لم تحمل انكلترا على ان تجاهر بالحرب فانها فعلت كل شيء خلا الجثو على ركبتيها (لا اعلم هل يسوغ ان اتكلم هكذا عن امة لتمنع وقوع حرب بينها وبين هذه البلاد (اي انكلترا) وبالحق نقول ان الذين اقاموا بالحرب لم يدعوا بانهم كانوا يحامون عن حرية امة ولكنهم كانوا يدعون بانهم يحاربون للمحافظة على حكومات اوربا القديمة واحزاب الحرب لم يكونوا اصدقا الحرية العمومية لا خارج البلاد ولا داخلها . فحزب الحرية كان متحزبًا للصلح ومن رؤسائهم في مجلس الامراء لاندسون وبدفورد ولودرديل وفي مجلس العموم فوكس وشريدن وكري فكلهم ضادوا الحرب بكل قوتهم وكانت اقلية صغيرة من اهل المعارف تعضدهم بين الامة وهم الذين كانوا قد عرفوا التصنع الذي جعل الامة ترغب في الحرب . ومن الامور المحزنة الطعن الذي لحق بهم ووقوع اشخاصهم واموالهم عرضة للتعدي حتى ان عيالهم باتت معرضة لاهانات الاوباش . ولا بد من ان نقر بالواقع وان نبين الصحيح لنصون انفسنا من الوقوع في الخطا مرة اخرى وكانت عامة الامة بدون معارف بل كانت جاهلة فاهيجوا فصرخوا طالبين محاربة فرنسا . ومن الامور المحققة لتلك الحوادث ولا بد من ذكرها انهُ بعد ان انتشبت الحرب بسنتين فقط وشعر بها الناس بارتفاع اسعار الماكل وقلة الاشغال وبالتالي ضيقات الفعلة اجتمع جمهور غفير حول مركبة الملك وهو ذاهب الى المجلس الدالي واخذ يصرخ قائلاً الخبز الخبز الصلح الصلح

ومن الامور التاريخية الكاذبة الادعاء باننا نحن الانكليز كنا نقوم بحرب دفاعية والبراهين قاطعة وتظهر كل الظهور بفحص القيود الرسمية التي لا تتغير . ومن اللازم ان لا ننسى ان تاريخنا سيحال الى مجلس الرأي العام للحكم بهِ فلا يكون لنا نفوذ في اعضائهِ ولا يحكم لنا الا بالعدل والانصاف ويتم ذلك بمحكمة اهالي الازمان المستقبلة ولا يكتفي باقرارنا باننا اقمنا بحرب هجومية عدوانية فان البراهين قاطعة على ان الذين اقاموا بها انما ارادوا ان يتغلبوا على اراء الناس بالقوة المادية وذلك من ضعف اسباب فتح حرب

الفصل الثامن والثلاثون

حرب ومخابرات

قد كثر الكلام عن بنود سرية تقررت في معاهدة تلست . ومن المعلوم ان نابوليون واسكندر اتفقا على الاتحاد على محاربة الانكليز اذا رفضت حكومتها الاصغا لتوسط روسيا واصرت على ان تبقي اواسط اوربا في حرب قد الفت البلدان التي اقامت بها في وبل ودمار . واتفقا ايضاً على ان

يطالبا الى اسوج والدانمرك والبورتغال وانمسا ان تمنع دخول المراكب الانكليزية الى بلدانها اذا امتنعت عن ذلك . فهذه كلها من الشروط التي قررت في المعاهدة المذكورة وكان نابوليون قد وجه كل اجتهاداته الى ترقية اسباب نجاح فرنسا فاعتصم بالصبر الجميل منتظرًا الوقوف على نتيجة مخابرات روسيا وتوسطها وارسل سفيرًا مخصوصًا الى الباب العالي ليعقد الصلح بينه وبين روسيا فنجح لان الباب العالي قبل توسطه واغمد السيف . فلما رات انكلترا ان كل حلفائها قد تركوها بادرت الى اتخاذ التدبيرات اللازمة لعقد محالفة مع الباب العالي وحاولت مضادة سياسة فرنسا السلمية بقولها للباب العالي ان الامبراطور اسكندر الروسي كان يتمنى ان يتملك ولاياته فاهاجته الى الرجوع الى المحاربة بعد عقد الصلح بزمان قصير . ولم تنجح روسيا في توسطها لان الحكومة الانكليزية لم تقبل بعقد الصلح فحاولت في بادي الامر ثم رفضت قبول المداخلات بافتخار واستخفاف ونشاط اعجب العالم وشرعت في القيام بعدوان جديد فان حكومة الدانمرك كانت قد حافظت على الحيادة التام تخافت من امتداد سطوة فرنسا واقامت جيشها عند الحدود غير مبالية بسواحلها لانها كانت مستامنة من جهة الانكليز . وكان نابوليون قد بلغ الدانمرك بلطف وثبات انه اذا رفضت انكلترا توسط روسيا لعقد الصلح لابد لكل الدول من ان تميل الى جهة دون اخرى وكانت الصلات الجارية بين الدانمرك وانكلترا ودادية وجيبة خالية من كل كدر . فخمنت انكلترا ان نابوليون يقدر ان يجذب اليه الدانمرك لمضادة سلطانة البحار فصممت على ان تستولي على البوارج الدانمركية غدرًا وكانت في مدينة كوبنهاغن مستامنة فانها كانت مسالمة العالم كلها ولم يكن لها غير خمسة الاف جندي في القلع بالقرب من العاصمة المذكورة

فجهزت انكلترا بوارج سرًّا وكانت ٢٥ بارجة كبيرة و ٤٠ بارجة من نوع الفرقاطة و٣٧٧ مركب نقل . وركب تلك البوارج ٢٠ الف رجل . فظهرت هذه القوة العظيمة بغتة في مينا المدينة المذكورة ونزل منها الى البر ٢٠ الف رجل تحت قيادة الدوق اوف ولنكتون وكان اسمه السابق ارثور ولسلي فهاجم المدينة برًا وبحرًا وارسل رسولاً حالاً الى برنس دالمرن الملكي الذي كان نائب الملك ليطلب اليه تسليم البوارج والقلع والرسول مستر جاكسون وكان على جانب عظيم من القحة . وقال للبرنس ان سبب هذا الفعل هو الجاء الضرورة اليه لانه تقرر عند وزارة انكلترا انه من اللازم ان تستولي على المينا والبوارج لئلا تستولي فرنسا عليها . فطلب في الحال تسليم القلعة ومينا المدينة والبوارج الى الانكليز والا فتطلق المدافع على العاصمة ووعده بارجاع كل شيء عند زوال الخطر وان الانكليز يتصرفون تصرف اصدقا ويدفعون ثمن كل ما ياخذون . فقال البرنس بغيظ واذا تعوضون ناموسنا الساقط اذا قبلنا بهذه الشروط المهينة المذلة . فقال الرسول الحرب حرب فلا بد من الخضوع لضروريتها فالضعيف يخضع للقوي وكان الاجتماع قصيرًا وجرى فيه كلام مهين . فانفصلا . ولم يكن البرنس يقدر ان يضاد انكلترا فارتضى بالياس . فرجع الرسول الى البوارج الانكليزية فاشار القايد بانفاذ العدوان . وكان معه مدافع كبيرة وكان معه الكولونل كونكريف مخترع اسهم نارية شديدة الفعل وكان مجيئه ليجرب سهامه . ولم يرتض الانكليز ان يهجموا على المدينة لان الدانمرك كانت قد وضعت بضعة الوف وراء الحواجز فنزل الانكليز في مكان بعيد عن الخطر واقاموا حواجزهم وحفروا

حنادقهم واحموا كراتهم واقاموا بكل الاستعدادات المهلكة بتانٍ وتيقظ وبدون شفقة. وامتنعوا عن اطلاق المدافع الا بعد ان فرغوا من اضرام الاماكن اللازمة لاحماء الكرات . ومن المعلوم ان من اعظم الاعمال البربرية اطلاق المدافع على مدينة فيها سكان كثيرون فان الكرات القاتلة لا ترحم ولا تسمع صراخ الامهات ولا نوح الفتيات ولا تميل عن سرير الطفل ولا عن فراش العاجز وكان في تلك العاصمة مائة الف نفس متمتعين بكل الراحة والهدو والسلام والنجاح . وفي مساء اليوم الثاني من ايلول (سبتمبر) ابتدات انواع الحرب والويل وكانت مئات من المدافع تطلق الكرات المحشوة والمشتعلة والرصاص والسهام النارية على تلك المدينة حتى تزلزلت الارض من اساساتها في كل ذلك الليل الطويل حتى الظهر من اليوم الثاني بدون قطع اسباب الخراب والهلاك . فاضرمت النيران في جهات كثيرة من المدينة وامست مئات من البيوت مهدومة واحمرت الشوارع بدم الرجال والنساء والاولاد وكان دخان كثيف يتصاعد من اماكن مختلفة . ثم انتظر الانكليز ساعات ظانين ان ذلك كافٍ ليحمل الاهالي على ان يسلموا . وكان الجنرال بيمان قد تسلم الدفاع عن العاصمة فنظر الى الويل الذي كان يحيط به بكدر حتى ان قلبه كاد ينشق من الحزن والغيظ . ومع ذلك صمت صمت الثبات والحزن واشتد الخصام في صدره بين حب مراعاة حقوق الانسانية والناموس . ورجع الانكليز في المساء الى اطلاق المدافع واستمروا يطلقونها الليل بطوله واليوم الثاني وليلة بطولهِ وكان قد قتل الفان من الاهالي واحترق ثلثماية بيت حتى الارض وهدم الفا منزل بالكرات وامسى نصف المدينة في نيران مضطرمة . واحترقت كنائس كثيرة جميلة ومعمل الاسلحة . وكانت الوف من الكرات تندفع على كل مكان قاتلة الكبار والصغار الاصحا والمرضى بدون ان تشفق على العاجز وكثيرًا ما كانت تنحدر الى بيوت تحت الارض وتدفن عيالاً ملتجئة اليها بخراب بيوتها . وحسد الذين قتلوا حالاً الجرحى الذين كانوا يئنون ويصرخون ويتوجعون تحت الخراب وكثيرون منهم كانوا يحترقون شيئًا فشيئًا بالنيران المجاورة لهم . وكانت قطع الكرات المحشوة تتطاير وتنزل الويل في البيوت والاجسام فكانت الامهات الخائفات المرتجفات تراها تقطع اعضاء اجساد اطفالهن واولادهن . وكانت اصوات المدافع وسقوط الكرات وانفجارها واشتعال النار وانهدام البيوت وصراخ الجرحى والمصابين تشهد بصوت مرتفع بغدر الذين امروا بذلك . ففرغ صبر الجنرال بيمان وهو جلده فسلم المدينة الى الانكليز . فهجم المنتصرون عليها فوجدوا ان الضرر قد لحق بكل منزل وان ثمن المدينة بات رمادًا ولم يتمكن الناس من اطفاء النيران الا باجتهاد الاصدقاء والاعداء فوجدوا نحو خمسين بارجة ومركبًا سلموها واحرقوا بارجتين عظيمتين وكسروا بارجتين من نوع الفرقاطة وغنموا كل الاخشاب والمواد التي وجدوها في مكان بناء المراكب واخذوا من الحصون وغيرها ثلثة الاف وخمسمائة مدفع . والغنيمة المالية التي اقتسمها الملاحون كانت ٢٤ مليون فرنك وانتقل نصف ملاحي البوارج الانكليزية الى البوارج الدانمركية ثم سارت البوارج كلها والجنود بالغنائم تاركين عاصمة الدانمركيين المنكودة الحظ مخضبة بالدماء في خراب عظيم . ودخلت البوارج نهر التيمز رافعة علامات الانتصار ومطلقة مدافع التبشير ومعها تلك الغنيمة العظيمة فهذا هو الجواب الصريح الذي سمعه نابوليون من الانكليز عندما توسطت روسيا عقد الصلح بينه وبينها

وكان قد رجع الدوق اوف ولنكتون من الهند بعد ان فتح فتوحات لاحدود لها وفي كوبنهاكن عاصمة الدانمرك ابتدا في اعماله في اوربا التي تكللت بالنصر العظيم · وعند رجوع الحملة الى لوندرا قرر مجلس انكلترا العالي شكر الدوق المشار اليهِ على ما اظهره من الحذق والنشاط عند اطلاق المدافع على العاصمة المذكورة · ولا ريب في ان انكلترا تحب ان تنسى كوبنهاكن وواترلو · فهذا العمل اغاظ اوربا حتى نفس الانكليز الذين لاموا كل اللوم الذين انفذوهُ فكثيرون من مشاهير رجال المجلس العالي الاميري ومجلس العموم والاهالي صرخوا بغيظ لاثمين الحكومة واخذ اللورد كرنفيل وونكتون وشريدان وكري وغيرهم في الطعن والتنديد وابعد الناس عن افكارهم عقد الصلح · واخذت انكلترا في جهة واحدة ونابوليون في جهة اخرى في الاستعداد لتجديد حرب شديدة جدًّا · اما روسيا فكانت ترغب جدًّا في الحصول على الفلاخ والبغدان لان ذلك يقربها من القسطنطينية وكان العثمانيون في احتياج الى مساعدة لدفعها عن تلك الاماكن البعيدة عن مركزهم ولم يكن نابوليون يرغب في ان يمكّن روسيا من الحصول على ذلك والشروع في انشا امبراطورية شرقية · على انهُ كان احيانًا يميل الى السماح بذلك لتوطيد المحالفة بينهُ وبين اسكندر امبراطور روسيا · فارسلت الوزارة الانكليزية رسولاً في الحال الى امبراطور روسيا وقالت لهُ انها مستعدة لان تساعدهُ على الحصول على هذه الولايات وارسلت رسولاً مخصوصًا الى النمسا لترضيها بان ترى بدون مضادة الفلاخ والبغدان في ملكية روسيا · وحاول سفير انكلترا في بطرسبرج ان يعتذر عما جرى في عاصمة الدانمرك وقال ان وزارة انكلترا حاولت ان تبعد عن عدو اوربا العام اسباب الحاق الضرر فالاوفق ان تسر روسيا بذلك وليس ان تضطرب وان انكلترا ترجو روسيا ان تقرر عند الدانمرك حقيقة الحال وان الانكليز يرجعون البوارج الى الدانمرك اذا ارتضت بان تحارب نابوليون وكان اسكندر مغتاظًا فاجاب بافتخار وغيظ فانقطعت المخابرات السياسية في الحال بين الدولتين

فدعا اسكندر امبراطور روسيا الجنرال سافاري سفير فرنسا وقال لهُ ما ترجمتهُ انك عالم ان اجتهاداتنا المصروفة في سبيل تقرير السلام قد انتهت بالحرب وكنت انتظر ذلك · ولكنني اقرانني لم اكن انتظر لا حملة كوبنهاكن ولا افتخار الوزارة الانكليزية فقد صممت على القيام بتعهداتي فاميل الى القيام بما يكون اوفق لمولاك · وقد رايت نابوليون وافتخر بانني قد ادخلت في قلبهِ بعض العواطف التي ادخلها في قلبي · ولا ريب عندي في خلوصهِ · فياليتني اقدر ان اراه كما كنت اراه في تلست كل يوم كل ساعة فانهُ ذو استعداد عظيم للتكلم فما اشد فهمهُ واعظم عقلهُ فنواندي تكون عظيمة اذا عشت بالقرب منهُ فكم امر نعلمتهُ منهُ في ايام قليلة · غير ان بعضنا بعيد جدًّا عن البعض الاخر ولكنني اعلق الامل بزيارتهِ قريبًا · انتهى · واستاذن اسكندر نابوليون بابتياع بنادق فرنسوية وقال انني راغب ان يكون سلاح الجيشين اللذين يقومان بامر واحد واحدًا وطلب اليهِ ان يقبل الذين يستعدون للخدمة في البوارج الروسية في المدارس الحربية الفرنسوية وعندما طلب ذلك ارسل هدية فاخرة من الفرو لنابوليون وقال انني راغب في ان اكون لهُ صانع الفرو

فوقع نابوليون في ارتباك عظيم بملاطفات اسكندر وصداقتهِ وعرف ان ذلك الامبراطور العظيم يطمع كثيرًا في انشا امبراطورية عظيمة جدًّا

(ستاتي بقيتهُ)

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

صباءي فان الانسان يضيع كل شيء في الهند. قالت هل تذكرين صباك ولم تتجاوزي بعد سن ٣٤ . قالت لم اتجاوز ذلك السن ولكنني في الهمة والحماسيات كمن تجاوز الاربع والخمسين سنة ثم امالت وجهها عن شقيقتها كانها تروم ان تسترهُ . وكانتا امراتين جميلتين واصغرها وهي اوجينا كانت اجملها . وكانت ماريون شقيقتها بيضا تضرب الى السمرة قليلاً غيران الهموم لم تزل رونق وجهها الاحمر ولاماء عينيها الجميلتين .وكانت اوجينا اشد بياضاً وذات عينين زرقاوين كبيرتين ينفتح تين الى راحة صحيحة ليصر فعلها فعل السيف الماضي . وكانت الهموم او الامراض قد جعلتهما محاطتين بحلقتين تضربان الى السمرة تزيدان كبرها وتقلل ماء ها . وكان قد قل شعرها وضعف وجهها كسائر جسمها الذي بات للضعف فيه اثر ظاهر. ولما تذكرت ماريون ما كان لشقيقتها من الجمال حزنت حتى ظهرت الدموع في عينيها . ثم قالت باسمة تقولين انك كالواتي تجاوزن سن ٥٤ فهذا خطا مبين ولا بد من ان تحسن احوالك بعد ان تصرفي مدة قصيرة في انكلترا . فبماذا اخبرك يا ترى .قالت بلغيني اخبارك واخبار اما بنت زوجك المتوفى انني لم ارها .قالت قد ذهبت لتزور بعض اقارب المرحوم ابيها والمنتظر رجوعها في الاسبوع القادم وانا افتخر بها فانها لطيفة محبة ولو كنت امها فعلاً لما احببني اكثر ما تحبني الان قالت اوجينا هذا غير المنتظر فان من يظن انك تسرين بان تعتني ببنت عمرها ١٧ سنة قبل ان تدركي الثلاثين وربما كنت تتزوجين برجل اخر . قالت اليك عن مثل هذا الحديث فانني بعيدة عن ذلك وكنت احب اباها من كل قلبي واحبها كانها بنتي اه يا اوجينا كم من مرة حسدتك على ولديك اللطيفين .قالت متعهدة ما من شيء اعز منهما حتى ان شدة حبهما تقلقني وتسلب راحتي ولا سيما انني ارى من ضعفهما ما ارى ولا سيما الصغير فانه كاد يموت في فصل الحر في كالكوتا .قالت انني اشفق عليه فان الظاهر انه نحيف الجسم وولد انتوانت الصغير قدر اثنين منه. قالت كيف حال انتوانت . قالت كالعادة تهمل اولادها وزوجها لا يعارضها في شيء وهي تحب الملاهي والافتخار وعندها ان الكمال محصور فيها وعند اما انها هي المحبة دون غيرها . قالت اوجينا هل لا تزال اما موهومة من جهتها .قالت كيف لا وهي لا تنفك عن ذلك الا عند ظهور حقيقة صفاتها ونحن لا نروم ذلك وهي ولدها . قالت هل تحبك انتوانت وتحب بنتك قالت انها تدعي محبتها غير انني اركن الى الافعى اكثر من اركاني اليها فانها صاحبة دهاء طويل عريض تحب نفسها محبة غير معتدلة وتعرض للثلم صيتها وصيت كل الذين لهم علاقة معها . ومع ذلك نرى اما التي لا تمذر المخالفين لاصول التهذيب والادب تتغاضى عنها وعن معاشرتها للشبان بدون اعتدال في تصرفاتها حتى انها ربما كانت تفتخر في اقتدارها على

اسر القلوب ولا تسلم بان احوالها محتاجة الى الاصلاح ولا تلوم الا زوجها المسكين السليم القلب . قالت الا تهمة صيانة صيته الحسن . قالت لا واذا شرع في لوم اتتوانت على ذلك بعد ان اطلق لها العنان مدة طويلة تقاومة وتسود عليه فانها امست قابضة على زمامه تحيلها وحذقها فتفرده بها كما تريد ولو تظاهر بالمضادة فان الفوز في النهاية لها ولو كان على غير معرفته فما لنا ولها فلننقطع عن التكلم عنها فان ذكر حالها يغيظني وبعد برهة قصيرة ترين ما يمكنك من ان تحكمي باتزهامن نفسك فتخبريني بالحكم المتعلق بتصبيغها وتبرجها ورياءها . قالت اوجينا هل تتصبغ وتتبرج . قالت انك طاهرة بسيطة القلب . انني عرفت لما رايت ما رايته من دوائر وجهك على حالته الطبيعية وبساطة ترتيب شعرك انك قد اتيت بلادًا تنفتح عيناك فيها فتشاهدين امورًا بعد امور . فيا عزيزتي قد وصلت الى معمل الكذب فلا ترين امراة على حقيقة حالها ولا تسمعين من رجل ما يدل على حقيقة رائه ونواياه . وقد تغيرت احوال انكلترا كثيرًا منذ خرجت منها . فنظرت اوجينا الى وجه شقيقتها وقالت لها انك لا تتصبغين . قالت لا يا عزيزتي لان لوني كاف ولا لزوم لذلك ولا احب ان اراك كسائر النساء تتصبغين.

وفي اثناء هذا الحديث فتح الباب بهدو ودخلت مسز بيال امها فانقطعتا عنه . فقالت امها الا تزال اوجينا مستيقظة يا ابنتي عرفت ذلك فانني رغبت في ان اكلمك منذ نصف ساعة لاسالك ماذا ينبغي ان نفعل بخادمك فلما سمعت ذلك نهضت واقفة واحمر وجهها وقالت باضطراب ماذا افعل يا ترى فانني قد نسيته بما اصابني . قالت اما لا ينبغي ان تلومي نفسك ان السيدة لا تقدر ان تجعل خادمها موضوع افتكارها على الدوام واظن انني اعتنيت به كما اعتني بكل حيوان يسلم امره الي . فقلت للخادمة ان يضع على المائدة خبزًا ولحمًا وبيرا وان يشير اليها فقالت لي انه فهم مقصودها وجلس واكل كانه في بيته وشرب بيرا وقد عجبت من ذلك فانني كثيرًا ما سمعت ان هولاء الخدام البنغاليين يرسمون دوائر حولهم ويجلسون في وسطها وياكلون ارزًا بايديهم على ان الحشية قد قالت انه كان ياكل اللحم ويشرب البيرا كسائر اهالي هذه البلاد . فماذا ينبغي ان نفعل به . قالت اوجينا المقصود من جهة نومه ورفعت راسها فانها كانت تسمع حديث امها السابق براس منحنٍ ووجهها يحمر تارة ويصفر اخرى وفرائصها ترتعد . قالت امها نعم من جهة نومه يا عزيزتي . قالت اظن . . . ربما . . . لا يتيسر ان يكون له فراش . قالت امها لا لا يا مهجتي . . . اذا اعطيناه فراشًا يكون له وحده فانه اقبح المخلوقات صورة . قالت يا اماه لا تظلميه فانه خادم صادق امين ولا يقدر ان يكون جميلاً فان الله خلقه قبيحًا ومن المؤكد انه لا يتعبنا ما دام هنا ولا يكون ذلك طويلاً . قالت امها يا ابنتي المحبوبة ماذا نفعل من جهة نومه فلا تطلبي الي ان امكنه من النوم على فراش فاننا لا نقدر ان ننام عليه بعده . قالت اذا كنت لا ترتضين بان ينام على فراش فاعطوه فراش مقعد فينام على الارض في المخدع الاخر بالقرب من سرير ابني الصغير فيرتضي بذلك . قالت كيف يا بنتي هل اسمح له بان ينام في مخدع بينه وبين مخدعك باب انني لم اسمع بشيء مثل هذا ولا اسمح به . فاحنت اوجينا راسها واحمر لونها وقالت اننا لا نبالي بذلك في بنغال فان الذين يحملون الاولاد ينامون على الدوام بالقرب من اسرتهم . قالت امها انني لا ابالي بما يجري في بنغال فتلك العادة تليق ببلاد وثنية ولا يقبلها اهل انكلترا فان الخدام ياخذون في التكلم

عنها . اما مسز ارشار وهي اوجينا فاضطربت جدًّا وارتبكت كمن ياتي بنبل ولا يعلم صاحب البيت اين يضعهُ . فصمتت برهة ثم قالت بهدو انا لا نخالف لك امرًا فاذا سمحت للخادم بفراش مقعد في مخدع اللبس اغلق الباب الموجود بينهُ وبين مخدعي واجعل بنتي الصغيرة تنام في فراشي فان هذا المخدع كافٍ لجميعنا . قالت امها ان وجودها معك يقلقك الا تقدرين ان تتركيها مع الخادم في المخدع الثاني . قالت انها لا تستكن ما لم تكن في مخدعي . فقالت امها يا بنتي ان الخادمة انفع لك من الخادم فلم تجب بشيء . وبعد مجادلات طويلة ومنع الامر عن ادخال الخادم الى مخدع اللبس تمكنت اوجينا من مآربها . وبعد ذلك كلمتهُ بالاختصار وهو واقف عند باب مخدعها ثم اغلقت الباب المفتوح بين المخدعين ثم ودعتها امها وشقيقتها وخرجتا لتمكناها من الراحة التي كانت في احتياج اليها . على انها القت بنفسها على فراشها بالقرب من والديها النائمين غير انها لم تنم بل فتحت عينيها واذنيها لتسمع صوت كل حركة وبعد ان استكنت الحركة وعرفت اوجينا بان اهلها قد دخلوا مخادعهم خرجت من فراشها بهدو وفتحت الباب المقفول فان مفتاحهُ كان لا يزال معها وقالت بصوت منخفض هنري هل انت مرتاح . فقال ذلك الرجل المتظاهر بانهُ خادم بعد ان تقلب على ذلك الفراش الذي حصل عليهِ بكرامة حماتهِ كيف ارتاح وليس عندي وسادة ولا غطاء كافٍ واظن الاوفق ان ادخل مخدعك وانام بالقرب من النار . فقالت لا لا تفعل فان دون ذلك خطرًا هل نسيت الوالدين . فسبهما وقال انهما يحولان دائمًا دون المرغوب . ثم قال انني الحق ضررًا بالبنت اذا تركتها معي اكثر مما بتركيها الان فان ظهور الواقع لا يكون الا بلسانها الذي لا يستكن . فاضطربت وشعرت بخوف واحتقار غير انها ضبطت حاسياتها وقالت يا هنري انها طفلة وانت تنسى ذلك واتعابي اياك بها ليس هو للتخلص من ثقلها ولكن خوفًا من ان تظهر حقيقة امرك اذا لم تقم بالخدمة الواجبة . فاجابها بغيظ انني لا اظن ان ذلك يظهر وانت تحبين ان تريني في حالتي الحاضرة وتلزميني بان افعل ما تعلمين انني لا اقدر ان امتنع عن فعلهِ بالنظر الى الحالة الحاضرة . فلم ترَ ان هذه التهمة تستحق المجاوبة . على انها قالت اذا حملنا ثقلة بالاعتناء بالوالدين فمن الواجب ان نتذكر الدين الذي يطالب لها منا . فماذا يا ترى نقدر ان نفعل بدونهما في هذا الضيق . قال لها انهُ يسهل عليك ان تبقي هناك وتحظي فانك لا تعرضين نفسك لخطر فتاكلين وتنامين مع اكابر الناس ولا تهتمين بما اقاسيهِ حال كونني انام على فراش مقعد واكل ما كل الخدم . فتحرك فيها الحنو النسائي وتغلب عليها وقالت اه انني اهتم كثيرًا بذلك واحب ان اجعلك مكاني لاريحك من اثقالك باحتمالها ويا حبذا لو كان ذلك موافقًا اما تصدقني ثم سارت وركعت على الارض بجانب فراشهِ . فقال لا اقدر ان اقول انني اصدق فهل عندكِ وسادات تقدرين ان تستغني عنها . قالت كيف لا وعندي غطا كيف غفلت عن ذلك يا ترى . فنهضت ودخلت مخدعها ورجعت اليهِ ورتبت فراشهُ حتى صار مريحًا جدًّا وقفلت الابواب لئلا يدخل احد مخدعها قبل ان يرد اليها ما استعارهُ منها ثم جثت بجانبهِ وقالت لهُ هل تستامن هنا فقال كيف لا وهذا المكان بعيد جدًّا عن الاماكن المطروقة . فقالت لا اعلم هل في ذلك اصابة فان الظاهر ان امي قد قويت فيها قوة الملاحظة بتقدمها في السن فانها استغربت اكلك اللحم وشربك البيرا فهل اصبت بشربها . قال

هل اموت جوعاً فانني لم آكل شيئاً من المآكل الجيدة في السفر بطوله . فقالت كيف احب ان تموت جوعاً غير انني قلت في نفسي عند استماعي كلام امي يا ليتة آكل في اليوم الاول . قال انني لست بمصمم على الامتناع عن الاكل فماذا ياترى تعلم امك عن احوال البنغا ليين . فقولي لها انني خدمت الاوربيين زماناً طويلاً فاقتبست عاداتهم . قالت انني اخبرها بذلك نهار غد على انة لا ينبغي ان تطيل الاقامة هنا ياهنري فالظاهر ان امي لا تحب ان يكون في البيت خادم ذكر . قال انة لا يهمني ما يناسب امك وما لا يناسبها فسابقى هنا ما دمت مرتاحاً والاقامة تناسبني . ولا اخاف الا من ملاقاة انتوانت اما شقيقتك ماريون وامك فلا يهمني امرهما فهذا من متعلقاتي فاذهبي الى فراشك واحفظي ولديك بسكون لانام فانني اكاد اموت من التعب . فودعتة وسارت ثم رجعت ولاطفتة لان المراة تفرغ جهدها لصيانة اولادها وقالت بتوسل ياهنري لا تصفع الولدين المسكينين . فقال كلا . لم تهمة فارتضت بو فاغلقت الباب والدموع تذرف من عينيها غزيرة

الفصل الثالث

وكان النساء في اش كروف قد راوا ان رجوع مسز ارشار وهي اوجينا الى العافية لا يتم الا بمرور الزمان غير انهن ظنن ان منظرها بعد ان ترتاح في الليل يكون احسن من منظرها في المسا . فخاب املهم في اليوم الثاني عندما دخلت قاعة الاكل . وقبل دخولها اطلت بنتها الصغيرة من الباب بجسارة وقالت كيف حالك ياسيدتي الجدة . فاجابتها قائلة انني في صحة شاكرة ياسيدتي الحفيدة . فسرت البنت الصغيرة بهذا الجواب وسارت ركضاً لتجلس بجانب جدتها ثم دخلت امها وهي تقول هل تسمحين لي بان ادخلها معي هذه المرة فانني اعلم ان قاعة الاكل ليست مكان اجتماع الاولاد غير انها لم يستانسا بعد . فقالت امها كيف لا (ثم وضعت يدها بيد البنت الصغيرة) فانة لا ريب في انها يتصرفان تصرفاً لائقاً . ثم قالت لبنتها الاخرى ياماريون الا تقدرين ان تجدي كتاباً فيو صور لتتفرج هذه البنت الصغيرة عليها وقولي للماري لقد آن الوقت للاتيان بالكرسي المرتفع الذي اشتريناهُ لما كانت انتوانت العزيزة هنا المرة الاخيرة ومن عادة مسز بيال وهي ام ماريون واوجينا ان تامر بنتها ماريون وهي مسز اليوت بالقيام باشغال في البيت كانها لا تزال عزباء فيو مع انها كانت قد تزوجت وترملت وكانت قادرة ان تفتح بيتاً فاخراً لنفسها . وكانت ذات صفات لطيفة وهمة عالية وحب خالص فكانت تظهر الممنونية لامها عند انفاذ هذه الخدمات كانها لا تزال تحت امرها مع انة كان من الواجب ان تتردد لتصلح خطا امها . اما اوجينا فلما راتها تسير في البيت للخدمة ولديها تكدرت جداً ولما عادت بالاشياء المطلوبة اخذت في ان تعتذر وتظهر كدرها وخجلها فقالت لها لا تذكري ذلك فابتعدي عن التكلف ثم انهضت البنت لتجلسها في الكرسي وقالت ان سروري بمشاهدتها لا يوصف واحب ان اختبر احوال الصغار فيا امي الا تستغربين ما نراهُ عندما تنظرين الى هذين الولدين وتعرفين انهما ولدا اوجينا حال كوننا لم نرَ ابيهما انة يصعب عليَّ ان اصدق ذلك . قالت امها واغرب من ذلك انة كان يعرف انتوانت العزيزة قبل ان ذهب الى الهند وعرف اسماءنا كلنا بدون ان نكون قد اجتمعنا بو ان هذا غريب . فقالت ماريون ياشقيقتي اخبرينا عن احوال زوجك ومنظرو وكل متعلقاتو فانك لم تكتبي عنة ما يكفي والصور المصنوعة في الهند ليست

بتفنية فلم نقدر ان نعرف شيئًا واضحًا عنهُ . اما هو اسمر . وكان قد احمرَّ وجه اوجينا منذ بداية الحديث فقالت لا هو ابيض اللون . فترددت في الكلام عند ذلك حتى ان امها نظرت اليها . فقالت البنت الصغيرة رافعة عينيها عن كتابها ان عيني ابي كعيني . فقالت عمتها لها ان عينيك يكادان يكونان سوداوين وكنت اتصورهُ اسمر فان انتِ وصفتهِ كذلك . قالت مسز ارشار وهي اوجينا انها لم ترهُ منذ ١٢ سنة . قالت الم يذكرها لكِ فانني احب ان اسمع اراءهُ المتعلقة بها غير انهُ لا تختلف الاراءُ بهذا الشان فان الناس قد اجمعوا على مدح محاسنها والطافها . فقالت ماربون انني اصدق ذلك . وكان ابن اوجينا على جانب عظيم من الدلال فامتنع عن ان يبقى في كرسيهِ العالي واتى امهُ وجلس في حضنها ووضع يدهُ في صحنها حتى انهُ كاد يقلب كاس الشاي ويكب الاكل الموضوع امامها . فقالت لها امها يا بهجتي انك لا تقدرين ان تتناولي الطعام ما دام ذلك الولد في حضنك . فقالت شقيقتها الا يرتضي بان يذهب الى الخادمة فانها بنت نشيطة تحب الاولاد . فقالت البنت الصغيرة بامر اطلبي دون مون لحمل الولد عنك . فاحمرّ وجهها احمرارًا لم يعرف سببهُ وقالت بتردد اظن . . . الاوفق ان ابقيهُ معي هذا اذا كانت امي توافق على ذلك فانهُ قد استغرب البيت فلا يحب ان يفارقني . قالت ماربون ياعزيزتي انهُ يعرف حاملهُ الخادم فاسمحي لهُ بان يبقى بهِ هنا فان ذلك لايكدرنا هل يكدرك يا امي . فقالت امها ان كل شيء مفضل على تعب اختك ولا سيما عند مناولة الطعام . فقالت اوجينا ربما كان يتناول الطعام فقالت بنتها الصغيرة وهي تابيني ان امي تخاف دون مون . فقالت امها يا تابيني كيف تقدرين ان تتكلمي هذا الكلام الخالي من المعنى فصبغ الحياه بياضها ثم قالت فماذا تعرفين عن امك وعن دون مون وما انت غير بنت حمقا تتكلم بسرعة ولتبيين عدم صحة كلام بنتها قرعت الجرس فأتاها خادم فطلبت اليهِ ان يرسل اليها الخادم الهندي . فدخل في الحال وسلم على كل من الحاضرين بحسب عادة الهنود قبل ان اخذ الولد من حضن اوجينا التي كلمتهُ بالهندية ونظرت اليهِ نظرة متوسلة لاحظتها امها واختها

فعند ذلك ذهب بهِ الى جانب شقيقتهِ وجلس بهِ على الارض . وبعد بضع دقائق قالت مسز بيال لبنتها اوجينا بعد ان نظرت برهة الى الخادم ان الذوق يختلف باختلاف الناس والعادات على انني لا اقدر ان افهم كيف يقدر احد ان يعيش في بيت مع رجل كهذا الرجل . فقالت ماربون لاتتكلمي يا امي انهُ يعرف الانكليزية ثم سالت اختها قائلة الا يفهمها فكانت تكاد تقول نعم غير انها نظرت اليهِ فرات ما حملها على ان تقول انني اكلمهُ على الدوام بالّلغة الهندية . قالت هذا تجد واسطة للتخلص من المشكل بدون ان تكذب . وكانت البنت الصغيرة تسمع الحديث فقالت حالاً بصوت مرتفع ان دون مون يعرف الانكليزية ويفهم ما اقولهُ ويتكلم ايضًا فكثيرًا ما يقول لاتفعل ويسب ونظرت اليهِ غير انهُ كان ينظر الى البنت الصغيرة كانهُ لم يفهم شيئًا من حديث الكبار . فتكدرت امها جدًّا وظهرت لوائح الغيظ على وجهها وقالت ان تابيني متعبة فانها تقول ما لا اقدر ان اوضحهُ فاوكد لك انها قد اخطات فمها قلت على مسمع منهُ بالانكليزية لايفهمهُ وانا اعرف منها وقد عرفتهُ منذ سنين . فقالت البنت تابيني يا امي ما هذا الخبر انهُ لم يات الا عند ما ركبنا المركب البخاري في كالكوتا وكان حمالنا رام شوند وكنت احبهُ اكثر مما احب دون مون لماذا لم يات رام شوند معنا . فقالت

امها بغيظ صه والا فارسلك الى مخدع النوم فان هذا الرجل بقي في مركز اشغال زوجي مدة تكاد تكون طول مدة اقامتهِ هو فيهِ . فقالت امها التي لم تكن تحب ان تشغل افكارها في ادراك الحقيقة ما من شيء مهم واذا كان لا بد من جلب خادم هندي فهذا يناسبنا كما يناسبنا غيرهُ وقد سررت بجهلهِ اللغة الانكليزية لانني لا احب ان يجرى حديث عائلي على مسمع من الخدم . فقالت ماريون ان الخادمة جين لم تستصعب تفهيمهُ فنظرت اوجينا بسرعة الى اختها وقالت في نفسها قد ظننت بانني اخدعها . فقالت مسز بيال انها اكتفت بان تشير الى ما وضعت على المائدة من الطعام فلا تقطعوا حديثنا فانني احب ان اكلم اوجينا عن ويلوكبي . فقالت اوجينا عن زوجي . فقالت عمن نتكلم اذا لم نتكلم عنهُ ألم ارسل كل التحريرات الى كلكوتا باسم مسز ويلوكبي ارشار . فقالت اوجينا ضاحكة انني اعلم انك كنت تعنونين التحريرات بذلك الاسم ولم تكن تصل الى يدنا تلك التحريرات الا بعد ان تدار في اسواق كلكوتا فانهم لا يعرفون زوجي هناك الا باسم هنري ارشار . فقالت امها لقد اخطات ومن الواجب اصلاح الخطا لمنع وقوع الخسائر فان اسم ويلوكبي من اسماء الامرا مع ان اسم ارشار ليس من اسمائهم . قالت ماريون وليس الاسم الذي ذكرتهِ من اسمائهم واظن ان اوجينا لم تتعب نفسها في طلبهِ . فقالت امها بافتخار وتوبيخ هل تظنين انني اطلب اليك ان تذكريني بما خسرت عند ما ساقني ضعفي الى التزوج بابيك خسرت بتغيير اسمي كل الامتيازات المتعلقة باسمي الاول الذي هو اسم عائلة اميرية . فقالت ماريون باستهزاء هل كان زوجك الاول من عائلة اميرية فلم تجبها بشيء ثم قالت الام كانها تحسب ان ابنتيها دخلا في زواجها الثاني اذا كنت قد تركت تلك المنافع اكرامًا لكما فهل يسوغ لكما ان توبخاني . وذلك لا يجعلني ان اقطع النظر عن المنافع التي تقدر حياتي ان تتمتع بها بتلك الوسائط . اما اسمك فهو جيد فان كثيرين من امراء يورك قد تسموا باسم اليوت وانتوانت الغالية غيرت اسم ابيها باسم اخر كريم . فقالت ماريون يا اماه يا اماه انهُ لا يحق لك ان تجعلي مقابلة بين اقتران انتوانت برجل كسلان لا يفعل خيرًا كوليم لينوكس ولو كان اسمهُ كاسم بعض الامرا باقتران اوجينا العزيزة فانهُ ربما كانت عائلة زوجها غير كريمة غير انهُ يشتغل بجد واجتهاد ليعيش الوالدين اللذين وهبها الله لهُ وعندي ان احدهما لا يقابل بالاخر . فكانت تتكلم بجدة ومن قلبها الكريم وتعجبت لما رات ان شقيقتها امست جالسة في كرسيها اصفر اكالموتى واعضاء جسدها كلها ترتجف حال كونها كانت تنتظر ان تسمع منها كلامًا يعضد كلامها وبعد ان صمتت برهة قالت بصوت ضعيف ارجوك ان تقطعي عن هذا الحديث فان امي لا تعلم ان هذه الامور الخارجية لا تؤثر فيَّ فاذا كانت ترغب في ان ادعو نفس مسز ويلوكبي ارشار ابتدي بذلك من هذا اليوم . فقالت ماريون بحسب انك لا تزالين ضعيفة فلا تقدرين ان تسمعي هذا الحديث ثم وضعت يدها على يد شقيقتها المرتجفة . ولما رات امها ان بنتها قطعت حديثها بالطاعة قالت لقد سررت بما رايت فيك من الانقياد . الم يخبرك زوجك بالزمان الذي يجب ان ياتي اليك فيهِ . قالت انهُ لم يذكر ذلك ولا اظن ان اصحاب الاشغال يتمكنون من ان يخرجوا من مراكزهم في الهند ليأتوا انكلترا . قالت اظن ان الحل التجاري الذي هو فيهِ لا يعجز عن ان يستخدم من يقوم مقامهُ اذا طلب اليوان يسمح لهُ بالذهاب هل تركتهِ متمتعًا بالصحة . قالت نعم هنا انتهت

ملح

الهبة الوطنية

كان نابوليون الاول في عرض الجيوش الفرنسوية في ١٤ ايار (مايس) فحدث ما يأتي . عند مرور نابوليون امام الصفوف خرجت امراة من الجمهور وفي يدها ورق ملفوف فدنا منها واخذ الورق من يدها ظانًّا انها عرضحال فحفظها ليقراها بعد الرجوع الى مركزهِ . فبعد نهاية العرض سلم الورقة الى وزير الداخلية ففتحها ووجد فيها ٢٥ ورقة بنك وقيمة كل منها الف فرنك . ولم يرَ شيئًا يدل على اسم هذه المراة الكريمة فاخذ في البحث بدون ان يفوز بالمطلوب فصرف المال لابتياع ملابس لجنود الحرس الوطني

الامبراطورة والرسول

من الاخبار الفكاهية ما تقرر في تاريخ الامبراطور نابوليون الاول وهو انهُ في مساء يوم انتصارهِ في اوسترليتز ذلك النصر العظيم المشهور بعث الى الامبراطورة جوزفين برسول من رجالهِ اسمهُ موستاش ليبشرها وكانت في قصر التويلري فبعد نصف الليل بساعة سمعت صوت مسير وتكلم وغير ذلك ما يدل على قدوم رسول . فقالت هوذا رسول قد ارسلهُ اليَّ نابوليون وذهبت بسرعة متقدمة الى النافذة فسمعت ضجيج وفهمت ان الخدم كانوا يقولون نصر او سترليتز ففرغ صبرها وتقدمت الى ان بلغت المدخل وحدها واذا بالرسول موستاش قادم مبيض بالثلج وقد اثر البرد في وجههِ عظيم تاثير فاعطاها تحريرًا بعث بهِ اليها نابوليون . فاشتد فرحها وطلبت اليهِ ان يقص الخبر عليها

فقال بكلام صريح نعم ياسيدتي قد انتهى كل شيء فان جلالة الامبراطور والملك قد كسر كل امبراطورين الدنيا وقد فتح كل قلعهم وغنم راياتهم ومدافعهم واسلحتهم ومهماتهم وغير ذلك . فكانت جوزفين تسمعهُ وهي تتبسم فنزعت من اصبعها خاتمًا من الماس واعطتهُ اياهُ وقالت انبسر ورخذ هذا لك وفرنسا سعيدة فاذهب واسترح فانك محتاج جدًّا الى الراحة . فقال لها يا مولاتي لا يمكن ان استريح فان الامبراطور قد امرني بان اعود اليهِ الى فينا وقد قال لي بلسانهِ يا موستاش اركض ولا تقف الى ان تصل الى قصر التويلري وارجع بالسرعة نفسها . فانني احب ان ارسلك الى القسطنطينية فلا تلتهِ وستري زوجتك مرة اخرى فضحكت جوزفين واحنت راسها شكرًا لهُ وقالت اذهب فان طاعة الامبراطور اولى

وكان موستاش من الجنود القدماء فكان مع نابوليون في ايطاليا ومصر وقطع بدون راحة ٢٦٠ مرحلة ولم ينقطع عن البرد منذ المعركة المذكورة . وكان يغير فرسهُ بد نوار بعة رجال منهُ فينهضونهُ عن عن ظهرهِ مع السرج ويضعونهُ على فرس مستريح .

فولتير وبوالو

كان فولتير اشهر الكفرة في عصرهِ وكتب كثيرًا ضد الكتب المقدسة وكان بوالو من المسيحيين الافاضل الذين قاوموهُ في جدالات طويلة ففي ذات يوم دعي فولتير الى وليمة ودعا صاحب الوليمة بوالو ايضًا الا انهُ اشترط عليهِ بان لا يتكلم شيئًا ضد فولتير فابى ولم يقبل الدعوة . وبعد كلام طويل سمح بانهُ اذا تكلم فولتير بشيءٍ يجيبهُ بثلاث كلمات فقط وبعد ان تناولوا الطعام قال فولتير اكلت طيورًا من هذه المايدة قدر الذين قتلهم شمشون من الفلسطينيين بالفك (وذلك استهزاء) فاجاب بوالو بذاك الفك نفسهِ (يشير بهِ الى فك الحمار الذي قتل شمشون بهِ عدد غفير الفلسطينيين اي انهُ اكل الطيور بفك نفسهِ الذي هو كفك الحمار)

الجنان

الجزء السابع

في ١ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ١٥ نيسان (افريل) ١٨٧٦

تنبيه

بالنظر الى تحويل البرد كلها في الديار المصرية الى يد الحكومة بعقد معاهدة برن والتسهيلات الاتصالية الكثيرة الجارية قد استصوبنا اقامة جناب الاديب كليانتس افندي فيليبيذيس المشهور بكتاباتهِ الصيداوية في الجنة مكاتباً مخصوصاً هذه المدة ليقوم مقامنا في الديار المصرية كلها اي في مصر القاهرة والاسكندرية والارياف وملحقاتها وقد فوضنا اليهِ تدبير الجرائد بحسب معرفتهِ والقيام بالمكاتبة وهو مدرك للاحوال السياسية فضلاً عن معارفهِ الكثيرة واختبارهِ النافع

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

لا يعجب كل الذين لم يطالعوا تاريخ انكلترا ما قالتهُ جريدة التيمس في جملة قد نشرناها في هذا الجزء من الجنان وعنوانها الرشوة عن البلية العظيمة التي كانت مبلية بها تلك الامة العظيمة حتى القرن الماضي وتركت العقلاء لا ما يندبون سوء حالهم قاطعين الامل من التخلص من آفة دخلت مجالسهم ووزاراتهم واكثر ماموررياتهم ومن لا ينثني تعجباً بعد التامل في احوالها الجارية وعظمتها المدهشة وثروتها العظيمة وصناعتها المتقنة واحكامها المضبوطة وامانة رجالها واستقامتهم وابتعادهم عن كل ما يشين ويعيب اذا تذكر ان هذه امة اعيتها الرشوة ومراعاة الخواطر حتى كادت تقع في الياس منذ اقل من تسعين سنة ومعرفة ذلك لا يكون سلوة لاهالي الولايات المتحدة الامركانية فقط ولكن لكل امة وبلاد تشكو مما كانت تتذمر انكلترا منهُ في الزمان الماضي وقد كشفت لنا تلك الجرائد عن حقائق اخرى لها عظيم علاقة بالرشوة وهي ان نظام امركا علة جري الرشوة في الاحكام والماموريات التي باتت كمركز تجاري يفرغ من اصبح فيهِ كل الجد والجهد في احراز ما يتيسر لهُ احرازهُ من المال لعلمهِ بانهُ غير ثابت فيهِ وان زمان خروجهِ منهُ قريب فلا بد من جمع ما يتيسر لهُ جمعهُ ببيع الحق والعدل ليقوم بمعاشهِ بعد انفصالهِ او ليكون لهُ راس مال كافٍ لمعاطاة اشغال اخرى وان الآفة العظمى جعل توجيه الماموريات في يد رجال لا يبلغون المناصب الا بالانتخابات ولا يحصلون عليها الا بالوعود فلا بد لهم بعد بلوغها من مكافاة الذين انتخبوهم والذين افرغوا جهدهم في حمل الناس على انتخابهم وهكذا قد باتت دوائر الاحكام الكبيرة والصغيرة سلسلة حلقاتها في اتصال فيستدين الكبير من الصغير وينتظر المكافاة مع قطع النظر عن اهليتهِ واستقامتهِ ومعارفهِ وتاريخ حياتهِ ولا ريب في ان ذلك ينبوع الفساد واذا اقترن بعدم ثبات المامورين في ماموررياتهم تنشا عنهُ اعظم الاضرار ولو كانت الامة عزيزة قوية متعلمة متثقفة متمدنة فان الامة الامركانية قد بلغت درجة عالية من ذلك جميعهِ واهاليها ليسوا بمتاخرين

قدر ذرة عن اكثر اهالي اوربا تمدنًا ومع ذلك بلايام الناشئة عن الرشوة كثيرة من المتزران الذين هم في المامور يات الثانوية والصغيرة عدهم من المتعيشين الذين لا يعدون من الرتبة الاولى ولا يعتبرون كذلك وكثيرون منهم يرتقون الدرجات الاولى بدون ان يصلحوا الفساد الذي كان مرافقًا لهم في الدرجات الثانوية والصغيرة فتسري العدوى الى اهم المراكز ويسهل على الامركان ان يصلحوا احوالهم بتغيير نظاماتهم اذا تمكنوا من تغيرنا ولا تزال بعض الامم الاوربية تئن من الرشوة التي تلقي على عاتق الامة اضرارًا اشد من اضرار الاموال الاميرية الغير المعتدلة وسكان المدن لا يدركون تاثيرها لانها اقل فيهم منها في الفلاحين المنكودي الحظ الذين يبعدهم عن الملاجي لاصغر الضابطين نفوذ فيهم كنفوذ مامور كبير في المدن وهم يجهلون حقوقهم فيساقون الى الخراب والويل وهم لا يدرون وتشكياتهم جاءت باخراج التحصيلات من ايدي الضابطين وتسليمها في بلادنسا الى من ينتخبها الاهالي فالنسا والطاليا ذكرناه في جمل سياسية في السنين السبع الماضية عن حالة الرشوة والمرتشين ودناءتهم واضرارهم والتدبيرات اللازمة لجعلهم يسيرون بين الناس كانهم عراة والناس يعيرونهم على غير مراهم ومسمعهم لخوفهم باسمهم او بخجلهم منهم ويشيرون اليهم قائلين هو ذا الانسان العاري من اثواب الناموس والتقوى وعزة النفس والعدل فهو دني مدنس كذاب خداع يسير ظانًا بان ستر المنصب والمال والخلق مسدولة عليه وعوراته ظاهرة يشار اليها بالبنان لكثرتها وعظمتها وبئس الحال ولو سمنوا بالمال فان الصيت الحسن افضل من المال المجموع وفي الغالب لا يتيسر لمن كان منهم وخرج من مامورية القيام باعمال اخرى لخوف الناس منه لانه من يا ترى يعامل لصًا بل سارقًا يسلب مال زيد بل يسلبه ليضيع حق عمرو

والاوفق بالنظر الى الاحوال تبيين الوسائل التي تاول الى تقليل عدد امثال اولئك في البلدان التي بليت بكثيرين منهم لانه لا ينبغي قطع الامل من الاصلاح وقد راينا ان الانكليز قطعوه منذ زمان ليس بطويل ثم فازوا باصلاح عظيم بتوجيه الماموريات الى اصحاب الاهلية بعد الفحص والتدقيق وتامينهم عليها ما لم يجنوا ذنبًا يستوجب العقاب بالفصل والابعاد عن المكافاة بالماموريات على خدمة مخصوصية واطلاق العنان لاقلام الكتاب في الجرائد لاظهار فضل اصحاب الغيرة والاستقامة بحيث يتمكن المنتخبون من معرفة الذين يحق الاركان اليهم وحرم من ينفصل للذنب من الرجوع الى الخدمة ووضع مسئولية كل مغايرة على من اقام بها فهذه امور يسهل القيام بها اذا ضبطت الامور في المناصب الاولية وتمكن الذين يقومون بالانتخابات من الحرية التامة والذين يدعون بوقوع خلل فيها من الاتيان بشهاداتهم وبراهينهم وربط المجالس بنظامات مشهورة تجعل في يد المدعي والمدعى عليه كل اوراق الدعوى مثبتة لاستخدامها عند ما تمس الحاجة لصيانة حق عند الاستئناف او قبل ذلك فاذا جرت هذه الامور في مجاريها تخزر ينابيع الاصلاح بالتتابع فما كان غير موافق يرسب في مجاريها فلا يبقى غير الماء الزلال ولا تتم امور كهذه في سنة او عشر سنين فلا بد لها من عشرين سنة او خمسين والتشكي منها دليل بداية زوالها ولو طالت ومن واجبات الاهالي ان يستيقظوا في هذه الظروف ولا ينبغي ان يكتفوا بالتذمر ولا بالتشكي ولا بوصف الحال ولكن من الواجب ان يفرغوا الجهد في ابعاد الذين يعرفون انهم على غير هدى من هذا القبيل عن كل خدمة عمومية لانهم اعلم الناس بهم اذا كانوا موجودين بينهم ورؤساء الاهالي واعيانهم مسئولون بذلك اكثر من

الجميع في كل مكان لان اكثر المامورين في العالم تكون بداخلاتهم وتوصياتهم واضاداتهم عظيم تاثير عند المامورين ولا سيما لان العامة تنقاد اليهم وآنه نفوذ الاهالي نفوذاً عادلاً تسريه الحكومات انشقاقهم بالمناظرات الحسدية والتعصبات بالآراء والتحزبات الدينية التي لا طائل تحتها في البلدان الكثيرة الاديان ونعجب من اناس يضعفون انفسهم بتصرفاتهم وهم عقلا وقد حنكهم الدهر وعلموا ان نفوذ الاضداد يكون بانقسام الذين يضادونهم فهذه التحريضات تستحق التامل وعلى الخصوص بعد ان يتقرر في العقول انه لا ينبغي ان تكون الاختلافات الخصوصية علة الانشقاق في الامور العمومية ولو عرف الاعيان ان كثيرين من الذين هم في تبعيتهم يجعلون اختلافهم سبباً لنفعهم الخاص بل يلقون الفساد بينهم لنوال ماربهم فهذه احوال لا بد من ان تعقبها اخرى فان الزمان لا يسلم باستمرارها فاذا لم يغيرها اصحابها يغيرها الناس على غير ارادتهم

انكلترا

من الامور التي تستحق الذكر والمدح التام الحرية التي بلغتها البلاد الانكليزية بدون ان تكون جمهورية ولكنها ملكية مقيدة فان كل عضو من اعضاء مجلسها العالي يعترض على اعمال وزير بل اعمال نفس الملكة كانه يعترض على اصغر المامورين هذا مع المحافظة على الاحترام الواجب بذكر الالقاب القانونية ولا يخفى ان حضرة الملكة المشار اليها ذهبت الى المانيا في اواخر الشهر الماضي اعترض مستر اندرسون احد اعضاء المجلس العالي العام على ذلك بهذا السوال الموجه الى وزير انكلترا الاول وهو مستر ديزرائلي وهذا هو الحديث الذي جرى في المجلس بهذا الشان

قال مستر اندرسون . انني راغب في ان اسال حضرة الوزير الاول هل يقدر ان يخبر المجلس بوجود سوابق لما جرى الان وهو خروج الملك او الملكة من البلاد في اثناء اجتماع المجلس العالي . او بوجود اسباب سياسية مهمة تدعو الى عمل غير اعتيادي كهذا العمل وما هي التدابير التي اقيم بها لمنع تاخر اشغال الامة بسبب غياب الملكة ووزير الخارجية

اجاب مستر ديزرائلي الوزير الاول . ان السبب الاخير المتعلق بخروج الملكة من البلاد في اثناء اجتماعات المجلس العالي جرى سنة ١٨٧٣ (ضحك) اما الاسباب التي حملت جلالة الملكة على الخروج فهي شخصية بسبب تكلل اقرب الاقربا واعزهم . وقد اتخذت كل الوسائل اللازمة لمنع تاخر اشغال الامة بسبب غياب وزير الخارجية

قال مستر اندرسون . ربما كان الوزير المحترم يرتضي بان يبين لنا مقدار غياب الملكة في السنة المذكورة فهل كان اكثر من يومين وهل جرى في غير فرصة العيد ولو كان ذهاب جلالتها سابقاً لنض المجلس للفرصة بيومين (قال المجلس اسمعوا اسمعوا)

اجاب الوزير الاول . لا ريب في ان العضو المحترم السائل يحافظ على قوانين المجلس بالاعلام بانه مصمم على ان يسال هذا السوال (ضحك)

قال مستر اندرسون . ارجوك ان يكون هذا العلم الان (ضجيج استحسان)

قال مستر سوليفان . كنت اظن ان حضرة الوزير المحترم يجيب في اثناء ذلك الكلام على سوالي ايضاً فانني اعلمته بانني ساساله اياه . وهو هل راعت الحكومة امتيازات المجلس العالي القديمة عندما اشارت على الملكة بان تخرج من المملكة في اثنا اجتماع المجلس حال كون المحافظة عليه مهما يوعد به كلما فتح المجلس وهو ان يتوصل الاعضاء اليها بحرية عندما يرون انه من المقتضى ان يقابلوا الملكة في اثناء مفاوضاتهم

اجاب الوزير الاول انني لم امتنع عن مجاوبة العضو المحترم لعدم احترام ولكنني غفلت عن ان الاحظ انه سال بعد ان سال نائب كلاسكو فاوكد له ان امتيازات هذا المجلس القديمة لا تمس ابدًا بغياب جلالة الملكة وانها تواجه بدون معارضة كل من اراد مواجهتها من اعضاء المجلس في بادن لانها موكدة بانه لا تطلب مواجهتها الامور لا اهمية لها

فمن يا ترى يسمع بذلك ولا يقول لا اعجب من ادراك الانكليز ما ادركوهُ من العظمة والثروة

ولي عهد ملكة الانكليز وقبل امبراطور روسيا

ذكر في الوقائع المصرية ما نصة

سبق التنبيه على قدوم حضرة البرنس (دوغال) ولي عهد حضرة قرالجة انكلترة المحتشمة وكيفية استقباله وفي يوم الثلاثا ثاني هذا الشهر صنعت بسراية عابدين العامرة ضيافة فاخرة دعي اليها نسعون من ذوي الشان فكان هو فيها عن يمين حضرة الجناب الخديوى السامي وحضرة القران دوق (الكسيس) عن يسارهِ وحضرة دولتلو محمد توفيق باشا تجاههُ وجلس الباقون على حسب مراتبهم وفيهم من كان بمعية ذينك البرنسين وبعد الطعام اجتمعت جمعية انس رائقة حضر فيها نحو السبعاية من ذوات الاوربويين وتجارهم المعتبرين واستمرت الى الساعة الثامنة بحالة يضيق عنها نطاق البيان الالمن عاينها وليس الخبر كالعيان

وفي الساعة الخامسة من امس توجه حضرتا البرنس دوغال والبرنس الكسيس الى سراية عابدين البهية لاداء رسم وداع الحضرة الفخيمة الخديوية ثم قصدا محطة السكة الحديد للسفر فشرف حضرة الجناب الخديوي الافخم وحضرات انجاله الكرام وبعض الذوات العظام المحطة لتوديعهما وكان قدر من العساكر مصطفًا هناك لاداء رسوم التعظيم من ميدان المحطة الى الرصيف وفي الساعة التاسعة توجها بطريق السكة الجديد الى جهة الاسكندرية فوصلا اليها بعد الغروب بنصف ساعة وعلى ما بلغنا ان جناب البرنس دوغال هياضيانة في وابور (سرابس) المخصص لركوبه اكرامًا للبرنس الكسيس حضرها خمسة وثلاثون نفسًا من حضرات ماموري الحكومة الخديوية ومعتبري الاوروباويين وفي غازيتة القارد الكساندري ان جناب البرنس الكسيس سيصنع في الليلة القابلة مثل هذه الضيافة الى جناب البرنس دوغال فيتوجه الى مالطه وهناك اخوه البرنس (ارنور) منتظره هناك و بعد اقامته ايامًا للاستراحة يتوجه الى جهة البورتقال ثم الى لندرة واما البرنس الكسيس فيتوجه الى جهة اليونان

مصر

ان الاخبار الاتية مترجمة عن جرائد كثيرة اوربية

قالت جريدة الفيكارو الفرنساوية ما ترجمتهُ قد طلب الينا ان نعلن ان القرض الذي يعقد لتقرير الدين المصري يكون صدورهُ في اوائل شهر نيسان (افريل) . ومن مرغوبات الجناب الخديوي ان تنشر حكومتهُ تقرير مستركايف ليتمكن الناس من الوقوف على الحالة الجارية بصراحة لان ما تقرر فيهِ نافع لمصر ماليًا. ولذلك قد اخبر الحكومة الانكليزية بانهُ يحتفظ لنفسهِ حق نشرهِ (قد نشر)

وقد قالت جريدة المونيتور الفرنساوية ما ترجمتهُ ان الجرائد الانكليزية قد اضطربت جدًا بسبب امتناع الحضرة الخديوية السنية عن السماح بنشر تقرير مستركايف الانكليزي المتعلق بالمالية المصرية في الحال . وقد كتبت جريدة التيمس جملاً سياسية وطلبت باصرار نشرهُ

وقد ذكر في رسالة برقية من شركة روتر وقد صدرت من مصر القاهرة في اواخر الماضي ما ترجمتهُ انهُ قد تهيات الاموال اللازمة لدفع ما يستحق من القرض المصري عن سنة ١٨٧٣ في ١٥ نيسان (افريل) وقد دفع المبلغ للبنك السلطاني العثماني. فاذا اضيف هذا المبلغ الى ما دفع لمحل الخواجات كايف وملزوكوري وشركائهم لدفع استحقاقات اول الشهر المذكور يكون قد تم دفع كل ما يستحق في نيسان (افريل)

اما ما قالهُ مستر ديزرائيلي عن امتناع مصر عن السماح بنشر تقرير مستر كايف فقد وضح في القاهرة والمقصود ان الجناب الخديوي لا يرغب في ان تنشر الملاحظات المتعلقة بسياستهِ وسياسة المرحوم سلفهِ وهي متضمنة في القسم الاول من ذلك التقرير والمظنون ان القسم التالي ينشر بعد اسبوع او اسبوعين بشرط ان يكون نشره بامر الجناب الخديوي وليس بامر حكومة انكلترا فانها لم تتداخل الا للمشورة

وفي رسالة اخرى من الشركة المذكورة يقال ان الحضرة الخديوية السنية قالت لمستر ريفارز ولسون فضلاً عما ذكر اعلاه انهُ لا يمتنع عن ان ينشر تقرير مستر كايف كلهُ اذا ارتضت الحكومة الانكليزية بان تعين ماموراً للبنك الوطني المصري الذي طلب انشاؤهُ

وقد ذكر في رسالة اخرى من تلك الشركة انهُ لا صحة لما شاع من ان الحكومة المصرية لا تقدر ان تدفع استحقاقات نيسان. فان كل المبلغ اللازم لدفعهِ قد دفع للبنك السلطاني العثماني في الاسكندرية

قد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من الاسكندرية وفيها تفصيلات مهمة متعلقة بالحرب في الحبشة وما ياتي ترجمة بعضها. ان مصر قد فازت فوزاً عظيماً وقد شرع في مخابرات لعقد الصلح اجابة لطلب الملك يوحنا الحبشي. والظاهر انهُ ابتدي في القتال في بداية شهر اذار (مارس). وليس للجيش الحبشي دائرة ادارة وزادهُ بنهب القرى المجاورة. وكان ذلك سبباً لانضمام رؤساء كثيرين الى مصر ولنفود الزاد. ويقال ان الماء نفد من معسكرهم. وفي بادي الامر هجم الحبشة تكراراً على حراس الجيش المصري. فهذا التعدي جاء بالمرغوب فانهُ حمل المصريين على الخروج من مراكزهم الحصينة وشرعوا في مقاتلة العدو في السهل يوم الثلاثا في ٧ اذار (مارس) فاشتد القتال ولم ينشا عنهُ ما هو موافق كل الموافقة للمصريين فانهم مسلحون ببنادق وامنغتون الجيدة ومعهم مدافع راشة ومدافع كروب ونظامهم تام وضباطهم عارفون غير انهُ يقال ان عدد الحبشة ستون الف مقاتل مع ان عدد المصريين اقل من عشرين الفاً. ومن الموكد ان جنود الحبش يقاتلون بشجاعة عظيمة تحاكي شجاعة اهل الجبال وبعد ان طال القتال رجع المصريون الى مراكزهم بعد ان قتل وجرح كثيرون منهم. فلما راى الحبشيون هذا النجاح الغير التام تشجعوا وعادوا الى القتال في اليوم الثاني اي يوم الاربعا فهجموا على المصريين وهم في مراكزهم الحصينة. وعند ذلك كان الفوز للنظام والاسلحة المتقنة بالاستناد الى شجاعة ليست باقل من شجاعة الحبشيين فحملوا الحملة الاولى بحسب عاداتهم في الليل بشجاعة وبسالة لا مزيد عليهما حتى ان المصريين اضطربوا في بادي الامر غير انهم رجعوا الى نظامهم في الحال واستمر القتال بشدة الى اليوم الثاني وهو الخميس فانكسر الحبشيون وطاردهم المصريون وشتتوا شمل جيشهم وجمع وقتل كثيرون ولاسيما من الحبشة. ويقال في القاهرة انهم عشرون الفاً. غير ان هذه البلاد لا تخلو من المبالغات.

اما الامير الجليل حضرة صاحب الدولة حسن باشا نجل الجناب الخديوي الذي تعلم في اوكسفورد من انكلترا وانضم الى معسكر المانيا بعد ذلك فقد قاتل قتال الابطال الصناديد . ومن الامور الموكدة الخالية من كل مبالغة طلب الملك يوحنا عقد الصلح . فخرجت المحروسة وهي اسرع البوارج المصرية من السويس قاصدة مسوع حاملة تحريرات فيها الشروط . والمظنون انها تكون معتدلة . ان هذه الحرب التي استمرت الشتا بطوله وانفذت مالاً كثيرًا قد بلغت النهاية . ولا ريب في ان الجناب الخديوي العالي اظهر بواطنه بقوله انه بعث بتلك الحملة للقيام بحق الثار ولو غض النظر عن ذلك لما استامنت مصر . وبعد نوال المرغوب وتبيين اقتداره الحربي يرغب في نهي حرب كثيرة المصاريف . والذين يعرفون جنابه يعلمون بانه يعلم ان العفو من شيم الكرام وهو حكيم فلا يقوم بما نسب اليه من ضم بلاد الحبشة الى مصر . وقد ارتاح بال الذين يهمهم مستقبل مصر بورود هذه الاخبار وقد اخذ الفلك في الرجوع الى الصفا . وقد ارجعت حملة زنجبار واخضعت قبائل السمولي في هاراس والمنتظر رجوع العشرين او الثلثين الف جندي الذين اخذوا من حقول مصر للمحاربة . وينشا عن ذلك توفير عظيم في المصاريف واهم من ذلك التوفير رجوع اولئك الرجال الى اعمالهم الزراعية التي تاتي بنتائج عظيمة في اراضي مصر المخصبة . وهذه الحوادث منعت حدوث تغيير في الاراء في اوربا من جهة حسن احوال مصر . وقد اصبحت الافكار مطمئنة بما قاله الجناب الخديوي من انه مرتضٍ بان يسلم بعض الدخل الى عمدة اجنبية لتدفع الاستحقاقات فان ذلك يبين ان احوال البلاد جيدة . وقد جرت توفيرات في مصاريف كثيرة

وقد ذكر في التيمس انه وردت رسالة برقية الى جريدة انكليزية في ٢٠ اذار (مارس) وفيها انه تجدد القتال بين المصريين والحبشة بعد ان كان الملك يوحنا قد طلب عقد الصلح فدارت الدائرة على الحبشة فرجع الملك متوسلاً عقد الصلح فهذا من الممكن لانه لا ريب في ان الحبشة يعولون على الحيل والخداع في حروبهم . ويحق لنا ان نقول ان تجديدات الحرب لا تغير النتيجة

سال مستر سامولسون وهو عضو في مجلس انكلترا العالي العام وزير مالية انكلترا السوال الاتية ترجمته . ان خطاب مستر كايف المحترم سيبقى مكتومًا في الحال فهل يرتضي بان يبين تاثير الافادات الموضحة التي فاز بالحصول عليها وهل حملته على ان يغير الراي الذي ابداه قبلاً عن حالة مصر المالية (كان موافقًا لمصر)

فاجاب وزير المالية بما ترجمته ان العضو السائل المحترم لم يقدر ان يقرر سواله في ورقة السوالات كما سالهُ مراعاة لنظام المجلس ومع ذلك قد فهمت انه متعلق بما قلته في خطابي منذ ستة اسابيع وذكرت فيه رائي عن حالة مصر المالية . واسندت ذلك الراي الى الافادات التي حصلت عليها شخصيًا من صديقي المحترم نائب شورهام . وبعد ان رايت تقريره كله لم ارَ ما يحملني على تغييره . ومن المعلوم انه قد مضت ستة اسابيع وهذه المدة تجعل تغييرًا في مركز البلدان المالي حيث تجدد الاوراق المالية . وبالنظر الى امور اخرى لا ارى ما يحملني على تغيير رائي . هذا وانني انتهز هذه الفرصة لاذكر شيئًا متعلقًا بما قاله صديقي المحترم الوزير الاول في الليل الماضي فانه اجاب على سوال بكلام اساء القوم فهمه . فانه قال ان احوال المالية المصرية غير مقررة . ولم يقصد بذلك انه ظهر شيء لا يتقرير مستر كايف ولكنه ذكر ما يعلمه الناس اجمع

اي ان الجناب الخديوي مجتهد في ان يصلح احوال المالية المصرية . ومن المقرر عندي ان نشر تقرير مستر كايف لا يضر بالحضرة الخديوية . غير اننا ملزومون بان نقوم بما يرغب فيه

وقد ذكر في الليفانت هرالد انهُ بعد ان شرف المصريون على عدوة عاصمة الحبشة ونزلوا بالقرب منها وتحصنوا جمع المالك يوحنا جيشهُ واخذ ينتظر هجوم المصريين فابطاوا فنفد الزاد الذي كان بجمعهِ من القرى المجاورة فراى انهُ لابد لهم من الهجوم اولاً فجاءوا باولاد ورجال ونساء من الاسلام ووضعوهم امام جيشهم ليمتنع المصريون عن اطلاق السلاح عليهم

تجارة العبيد

حرض احد اعضاء مجلس امرا انكلترا الحكومة الانكليزية على اتخاذ الوسائل الفعالة لابطال تجارة العبيد في العالم وعلى الخصوص في افريقية وقرر بانها لاتزال جارية واشار الى لزوم مخابرة الحكومة الخديوية بهذا الشان فاجاب اللورد دربي وزير خارجية انكلترا على ذلك بما ترجمتهُ

ان الحكومة لاتقدر ان توافق اللورد المعترض على تقرير ما طلب تقريرهُ بشان ابطال تجارة العبيد غيرانهُ ربما كان يقدر ان يرد عليهِ بقولهِ انهُ في اثناء الاشهر الاربعة المتاخرة اقامت الحكومة الانكليزية بمخابرة الحضرة الخديوية بابطال تجارة العبيد والمامول ان المخابرة المذكورة تاتي بالنتيجة المطلوبة اي بابطال تلك التجارة فعلاً . ولا يقدر ان يوضح التفصيلات ولكن كل الذين اختبروا المخابرات يعرفون انهُ يتعلق بها صعوبات على الدوام لا تقرر في زمان قصير ولو كان المتخابرون راغبين في تقريرها وقد جرت المخابرات بهذا الشان من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي وقد رات الحكومة الانكليزية ان الجناب الخديوي راغب جدًّا في ان يخابرها بالصداقة وان يتحد معها في العمل . ولا يوافق ان نتكلم عن نتائج مخابرات قبل انتهائها غير انهُ قد علق املهُ بانها ترضي الحكومة الانكليزية ومجلس الامرا (قال الاعضا اسمعوا اسمعوا) وبالنظر الى هذه الامور لا يظن ان المجلس يطلب اليهِ ان يفاوض عموميًّا بشان تجارة العبيد . ومن المقرر ان تلك التجارة في الجهة الشرقية من افريقية الجارية بحرًا قد ابطلت او قد ابطل اكثرها . اما في الداخلية فلم نتمكن من انفاذ سطوتنا كما انفذناها في البحار ولا ريب في انهُ لو ابطلت في البلاد المصرية كلها يقرب انقطاعها كلها . وقال انهُ يكتفي بان يقول انهُ مهما كانت قوة الجناب الخديوي المتعلقة بابطال التجارة في بلادهِ لا نرى شيئًا يحملنا على ان نرتاب في انهُ راغب كل الرغبة في ابطالها وفي حسن نواياه . والكل يعلمون انهُ ليس من السهل عليهِ انفاذ ذلك في الاقطار البعيدة ولذلك ربما كانت تحدث فيها امور كثيرة غير موافقة للقوانين الانكليزية . وقد اظهر الجناب الخديوي من الرغبة في ابطالها ما لا مزيد عليهِ وذلك بادخال التجارة القانونية . وقد تقرر عندهُ كل التقرير انهُ لم يقم خديوي في مصر بما اقام بهِ حضرة الخديوي اسمعيل المعظم بنية صافية ومساعدة ثابتة لابطال التجارة المذكورة . (اسمعوا اسمعوا) فمن المقرر عندهُ انهُ لا ينبغي ان يصر اللورد المعترض على تقرير طلبهِ . انتهى

فقال ذلك اللورد واسمهُ اللورد دي مولي انهُ يعدل عن طلبهِ بعد التوضيحات المرضية التي سمعها

الرشوة

قالت جريدة التيمس لم يفل خجل اكثر الامركان عند استماعهم بتهمات الرشوة التي وقعت

على وزارتهم لان الجميع كانوا يعلمون ان بيع المأموريات كان جاريًا جريًا يثلم الصيت . فانهُ كان معلومًا ان اكثر تلك المامورية اعطيت مكافاة على خدمات تحزبية وان اهلية المنتخب للمامورية من الامور الثانية لا بل ربما كانت مما لا يلتفت اليهِ والظاهر انهُ كان يتقرر احيانًا في عقول الامركان ان بيع المأموريات الصغيرة من الامور المكدرة التي لا يستغنى عنها حتى ان الناس باتوا لا يرون كثرة الفساد الجاري ما لم يسمعوا بان مامورية عمومية ذات نفع مالي قد باعها وزير وامرأته . فهذه التهمة الواحدة قد شددت غيظهم اكثر مما شددهُ ما كان مقررًا عندهم من جري الرشوة كجري امور اعتيادية . فهذه مشابهة غريبة لما كتب في التاريخ عن الملكية الفرنساوية المقيدة عند سقوطها فانهُ كان مشهورًا ان الناس كانوا يفوزون بالحصول على اكثرية انتخابية للمجلس العالي الفرنساوي بارشا الذين كانوا يقومون بالانتخاب وان مأموريات كثيرة صغيرة كانت تباع باراء انتخابية . وكان الناس يعلمون ان الوزرا كانوا مسئولين بذلك . غير انهُ لم يظهر غيظ الناس الا عندما التزم كيزو المستقيم الشديد الضبط بان يحمل اثقال المدافعة عن نفسهِ لانهُ اتهم بالسماح ببيع وشرا مامورية . فهذه الحادثة الغير المهمة في الظاهر عجلت سقوط ملكية تورا التي كانت تهتز ضعفًا . ولا يوتى بالنتيجة المطلوبة اذا جاء سقوط الجنرال بلكناب وزير حرب امركا وغيرهِ من المامورين الاولين بفوز حزب ويا حبذا اذا جعل ذلك واسطة لتغيير قواعد توجيه المأموريات

ومن الامور المكدرة الجلية الاسباب التي تجعل الرشوة من الامور الممكنة في الجمهورية الامركانية هذا وأكثر الناس في امركا امنا كسائر امم العالم غير ان ادبيات السياسة ضعيفة . ومن اسباب ذلك السماح للذين ياتون البلاد جددًا بان يشتركوا في الانتخاب مع انهم جهلا وعدم اقتدار الذين من الناس على مناظرة اصحاب المهنة السياسية او امتناعهم عن مناظرتهم وافعل الاسباب واهمها تغيير المامورين مرة كل اربع سنوات . فانهُ عند انتهاء مدة رياسة رئيس الجمهورية يبيت كل المامورين من السفير في باريز او لوندرا الى اصغر جامعي الاموال الاميرية في كنساس عرضة للعزل معهُ . فالاضرار التي تنشا عن ذلك واضحة . فان كثيرين من اهل المطامع يرغبون جدًّا في الحصول على المناصب المهمة وكثيرين من المحتاجين يضجون طالبين المامورية الصغيرة . فلا يقررون اراءهم وقت الانتخاب ما لم يوعدوا بمامورية وكثيرون منهم ينتخبون بشرط واضح وهو انهم يفوزون بالمكافاة اذا انتخب الرئيس من حزبهم او حصلوا على اكثرية في المجلس العالي . وهكذا يتبوأ الرئيس كرسي الرياسة وقد تعهد بان يتصرف بماموريات الحكومة كانها بضاعة دفع ثمنها سلفًا . وربما كان يكره ذلك كل الكره غير انهُ لا يقدر ان يغيرهُ . فان حزبهُ يقول لهُ انهُ يبيت في خراب اذا شرع في اختيار اصحاب الاهلية للماموريات عوضًا عن ان يختار رجال حزبهِ الذين صرفوا اكثر المال في انتخابهِ واجهدوا انفسهم في تحصيل الاراء وتحصيل الوعود بالانتخاب الموافق لهُ . وكان مستر لنكون الرئيس الاسبق يظهر احتقاره للذين كانوا يسعون في طلب الماموريات باحدى قصصهِ ولكنهُ التزم بان يفعل ما فعلهُ مستر بيوكانان الرئيس الذي سبقهُ وما فعلهُ الجنرال غرانت بعد انتخابهِ . ولا يقدر رئيس الجمهورية ان يراعي حقوق الاهلية الا بتوجيه اهم ماموريات الدولة الى اكثر رجال حزبهِ اهلية بل قلما يتمكن من ذلك . فان صوت النظام التحزبي يحذرهُ على الدوام ويقول لهُ ان السفارة الفلانية او نظارة الرسومات الفلانية لا بد من ان تكون لفلان وفلان

لانه اقام بالخدمة الفلانية او بوعد معلوم . والمجلس العالي الذي يثبت الذين يوجه الرئيس الماموريات اليهم او يرفضهم لا يسير في سبيل اخر . وكانه مقرر في عقل اكثرية اعضائه ان الاهلية محصورة في اهل حزبهم . والظاهر انه يقل بيع الماموريات عندما ينتخب الرئيس مرة ثانية لانه يسمح لاكثر المامورين بان يبقوا في مامورياتهم . غير ان ذلك عبارة عن بدل مغايرة عظيمة بمغايرة اخرى . فان المامورين يعلمون في اثناء الانتخاب ان ثباتهم متوقف على تجديد انتخاب الرئيس فيفرغون الجهد في سبيل التحزب له فيختلط شان الخدمة الادارية بالتحزبات السياسية . ولا نقول ان ذلك يكون واسطة للرشوة الظاهرة . فان المامورين بجمع الاموال الاميرية مثلاً لا يومرون بمراعاة الاغنياء من اصحاب المعامل والتجارة من حزبهم . وتهمة مهمة كهذه التهمة لا ينبغي ان تلقى على احد بدون برهان واضح غير انه يسهل على روسا الدوائر الذين لا يراعون حقوق الذمة على القيام به . ومن المستصعب منع شبه ذي التحزب عن القيام برشوة تعود عليهم بالنفع في اثناء القيام بانتخابات تهيج الافكار . ولا تنحصر اضرار ذلك في استخدام الوسائط المغايرة ولا في انتخاب مامورين غير موافقين ولا ببيع الماموريات ولكنه يحط شان اداب السياسة . ومامن نفع اذا اجبنا ان احسن اهالي امركا يرون اضرار نظامهم وقد دعي المجلس العالي تكراراً في السنين الماضية الى تقرير نظام يجعل المامورين مستامنين من جهة ثبات مامورياتهم فانه ما من حزب يحاول تقرير ذلك لانه لا يرغب في ان يخسر سطوة عظيمة ربما كانت تغير حال الانتخابات . وربما كانت المحاكمة الجارية واسطة لاظهار عظم الاضرار وتاثيرات ذلك السم ما لم تضعف بالتقصير او بالاشتراك مع الذين يحاكمون بالمحاسبات

هذا ولم نقرر اراءنا بتحزب ومقاومة . ومن المعلوم ان ماموري الانكليز قد اصبحوا منزهين عن كل تهمة من جهة الرشوة ولم يكونوا كذلك في الزمان الماضي ولا نزال نعلم وسائط الرشوة في الانتخابات فان الرشوة في المجلس العالي ودوائر الحكومة في انكلترا كانت تجرى بدون خجل ومن الصفحات السودا في تاريخنا ذكر ما كان يجرى حتى في القرن الماضي من بيع الاراء في مجلس العموم وبيع العضويات في المجلس العالي جهاراً او بيع الماموريات . وقد ذكرناها لنبين للامركانيين الوسايط التي جعلت مجالسنا وحكومتنا اضبط مجالس العالم وابعدها عن الرشوة بعد ان طال القتال وبات الناس يظنون انه لا امل في الاصلاح . وكان محبو الاصلاح يلتزمون بان يضادوا المجالس والوزارة واكثريات في المجلس العالي لانهم كانوا يفوزون بالحصول على المناصب بالرشوة وبالتدريج واخرجوا المامورين الذين كانت لهم معاشات من المجلس العالي ما لم يجدد انتخابهم ومنعوا الوزرا عن ان يرشوا وكان الراي العام يخرج من المناصب الذين يرتشون بل الذين كانت تقع عليهم التهمات فقط ومحونا اثارها من بلادنا بجعل الماموريات متوقفة على فحص طالبيها وما من شيء يمنع الولايات المتحدة الامركانية عن تطهير حكومتها كما طهرنا نحن حكومتنا . ولا بد من ان يبتدأ بذلك بالتقرير بان الماموريات لا تباع بالاراء الانتخابية فان ذلك يظهر انتخابات روسا الجمهورية ويرقي اسباب اداب السياسة ويصبح الناس غير قادرين على ان يلقوا التهمات على الوزرا ببيع الماموريات . ولا ريب في انه سيلحق خسارة بالحزب الذي يشرع في هذا الاصلاح ولكن في مجاري السياسة الطويلة لا بد من ان يربح ذلك الحزب وربح الاداب العمومية يزيد عن فوز حزب ان كان جمهوريًا او دموكراتيًا

ايطاليا

قالت جريدة التيمس قد قدم السنيور منجتي لمجلس نواب ايطاليا تقريراً مسراً عن المالية الايطاليانية وبعد ذلك بمدة قصيرة غلب بالمجلس هو والوزارة كلها بقرار مضاديهم فاستعفوا . فهذه نتيجة غريبة بالنظر الى النجاح المالي بتدبيراتهم . ولا يخفى انه منذ انشا المملكة الايطاليانية لم يأت وزير بتقرير موازنة بين المصروف والدخل الا في هذه المرة . وكانت كل سنة تكرر الاخبار المكدرة المتعلقة بخيبة الامل المالي مع الوعد بانه بعد سنتين تقرر موازنة بين المصروف والدخل وكثيراً ما كان يتجنب الوزرا الوعد بالموازنة بعد سنين . وفي ايام وزارة السنيور سلا التزم بان يقر كما اقر سلفه بان دين البلاد اخذ في الازدياد غير انه قال ان الدخل اخذ في النمو ايضاً وانه ما دامت زيادة الدخل كافية لدفع فايض زيادة الدين لا خوف من سوء العواقب فاذا عولنا على هذا الراي نقول انه ما من داع الى الخوف ولو نقص الدخل ٣٠ مليوناً اذا زاد الدخل مليوناً لانه يكون كافياً لدفع فايض العشرين مليوناً وفي هذه السنة نجح السنيور منجتي نجاحاً عظيماً لا يشابهه في شيء نجاح سلا الذي قرر ذلك الراي فانه قال ان مداخيل سنة ١٨٧٦ الجارية تمكنه من ان يقول ان الدخل يزيد عن المصروف عشرة ملايين فرنك ومن المحقق انه لم يكن في يده اكثر مما كان في يد سلفايه من النقود اي انه لم تكن النقود في يده ولكنه لم يوخر الحصول عليها اي على الزيادة سنين كما كانوا يوخرونها بل قال انه اخذ في الحصول عليها وقد قال ان السنة القادمة تاتي بزيادة اعظم من زيادة هذه السنة غير ان ما نعهده من الاحوال في ايطاليا يحملنا على ان نرتاب في صحة الوعود المتعلقة بالامور البعيدة ولكن اذا سمعنا من وزير ان السنة الجارية تاتي بزيادة نحكم بانه مستند الى شيء موكد فنصدقه . فشاركنا السنيور منجتي بسروره وصدقناه وفرحنا بوصولها الى الميناء الامينة المالية ونعزيه الان لانه قد بات ذا مركب مكسور بواسطة الانواء التي صادمته

وقد قلبت وزارة السنيور منجتي بسبب وضع رسم على المطاحن فانه رسم مكروه جداً . اما السنيور سلا الوزير الاسبق فبحث يميناً ويساراً عن الوسائط التي تمكنه من وضع رسم اخر بدون ان يفوز بالمرغوب ولم يطلب الى المجلس العالي ان يقرره الا بعد ان عجز ورأى انه لا يقدر ان يستغني عنه وبالحقيقة انه ذكره قبل ان طلب تقريره والقيام بوبل قبل ان طلب ارجاعه الى البلاد فان ولايات كثيرة ايطاليانية عرفته قبل انشاء المملكة الايطاليانية وكانت ايطاليا في احتياج شديد . فان كل سنة كانت تاتي بنقص قدره ١٠ و١٢ او١٦ او ٢٠ مليون ليرا انكليزية فباعت الطرق الحديدية وتجزت اراضي الاديرة وباعتها ومع ذلك كان النقص يزداد ولما ضاقت السبل وضعت الرسم على المطاحن وقد جاء بزيادة عظيمة ولولاه لما توازن الدخل والمصروف ولو كانت اسباب اخرى قد جعلت الموازنة قريبة وقد زادت المراكب التي تدخل الثغور الايطاليانية بسبب ترعة السويس وقد نمت تجارة ايطاليا حال كون تجارة امم اخرى لا تزال على حالها ولم يسد ذلك الرسم كل النقص ولكنه قد ساعد الحكومة على سده فهل دنا الزمان الموافق لابطاله . او هل نحكم بان تقرير المجلس العالي ما يضاد السنيور منجتي ووزارة ايطاليا كلها انما هو ناشئ عن مجرد اتحاد الاحزاب المضادة للوزير وحاربوه بما ينشا من التذمر والضجر بدون تبصر في العواقب من جرى وضع اموال اميرية ويكون ذلك في ايطاليا كما في بلدان اخرى والاعتراضات المتعلقة بذلك الرسم مهمة وظاهرة

فانهُ موضوع على صناعة متعلقة باسباب المعيشة الاولية . ويجمع بمراقبة طحن القمح لتعرف الكمية التي تطحن بالضبط بحيث لا يتمكن الناس من ان يطحنوا شيئًا بدون دفعهِ فهذا الرسم يضر بصناعة الطحن ويجعلها كالصنائع المحصورة. فكل هذه الاضرار صحيحة غير انهُ من الواجب ان نعيد ما قيل من قديم الزمان ان كل رسم مضر بنفسهِ وابطالهُ ينفع الامة التي تنوء بدفعهِ . واذا فرضنا ان ثروة الخزينة الايطاليانية مكنت وزير المالية من ان يستغني عن قسم مهم من دخلهِ من الواجب ان يخص كل اموال ايطاليا الاميرية ليبطل اشدها ضررًا . وفي كل سنة تجمع الخزينة الايطاليانية بالقرعة مليونين وثمانمائة الف ليرا او ما يقاربها واذا اشرنا على الاخرين بما نشور بهِ على انفسنا لابنا لايطاليا وجوب ابطال القرعة قبل ابطال غيرها . وربما كان يقال لنا ان الايطاليان يحبون اشغال القرعة والالعاب المشابهة فاذا ابطلت قرعة الحكومة لا تبطل غيرها فالاوفق ان تنتفع الخزينة من الربح لئلا ينتفع الناس بهِ . فاذا سلمنا بهذا العذر نجد رسومًا اخرى من الواجب ابطالها قبل ابطال رسم الطحن لانها اشد ضررًا منهُ وربما كان رسم الملح اشد ضررًا فانهُ يوثر في رفاهية الامة الايطاليانية . فحصر الملح بربح الحكومة في السنة اكثر من ثلثة ملايين ليرا انكليزية . والملح يكاد يكون من ضروريات المعاش كالحنطة ويجمع رسمهُ جمعًا اشد تاثيرًا من جمع رسم الطحن فلو زادت مداخيل ايطاليا ثلثة ملايين ليرا لاصابت بابطال رسم الملح اكثر من اصابتها اذا ابطلت رسم الطحن غير انهُ ليس عندها زيادة في المداخيل عن المصروف . فربما كانت تظهر غير انها لم تتبين بعد . والسنة الماضية كانت كالسنوات التي سبقتها ذات نقص في الدخل عن المصروف . ومن المحقق صحة ما قالهُ السنيور منجتي في الاسبوع الماضي من جهة النقص وهو انهُ كان قد تعدل بثلثة ملايين وثمانين الف ليرا فظهر انهُ مليون واحد و١٢٠ الف ليرا غير ان هذا مبلغ ليس بقليل ولا نزال نجهل اسباب تنقص النقص . وقد زاد الدخل والمصروف قل وقد يكون تقليل المصروف عبارة عن تاخيرهِ الى سنة قادمة عند ما تبيت مجانبتهُ غير ممكنة . ومن الاصابة ان يصبح الدخل اكثر من المصروف قبل تنقيص اسباب الدخل بابطال رسومات ولم يحدث ذلك بعد في ايطاليا .

وقد غلب السنيور منجتي باكثرية عظيمة فان في مجلس نواب ايطاليا ٥٠٨ اعضاء فقرر ٤٣٢ عضوًا اراءهم ضدهُ فلم يبقَ معهُ غير ٦١ رايًا . فبالنظر الى هذه المضادة القوية امسى ملزومًا بان يستعفي مع كل وزارتهِ وقد قبل حضرة الملك استعفاءهم وقد سلم انشا الوزارة الى السنيور البرتيس وهو من اليسار اي من الذين كانوا يضادون الحكومة . ولا اهمية سياسية لتقرير مضادة الحكومة اذا كانت متعلقة برسم المطاحن فقط اما حقوق الانتخاب في ايطاليا فمحصورة جدًا ومع ذلك لا يظن ان الوزارة الجديدة الحرة تقبل بتغييرهم في هذا الباب . والظاهر انهُ ليس المقصود من القرار الذي اخرج تلك الوزارة من المناصب مجرد اخراج رجال ليخلفهم غيرهم في مناصبهم . ولا تربح ايطاليا اذا نشأ عن ذلك ارتباك في ماليتها فتلك البلاد المجددة قد تقدمت بثبات سنين كثيرة حتى اصبحت كدولة عظيمة . ومركزها الجغرافي جعل لسفرائها صوتًا في تدبيرات المرسلك ومع انها ربما كانت قد وصلت الى ذلك وعلى الخصوص الى الاشتراك بالتدبيرات المذكورة بظروف مخصوصة قد فعلت حكومتها ما جعلها تستحق الامتياز . ويحق للسنيور منجتي ان يفتخر بقولهِ ان الوزارة التي تخفت قد تركت البلاد مرتاحة في

الداخل ومعتبرة في الخارج ومع ان في الوسائط التي جاءت بخلفائها نظرًا المأمول انها لا تقوم بما يلقي في الخطر الدرجة التي بلغتها

الكمون في فرنسا

قالت جريدة التيمس لا نستغرب طلب موسيو راسبايل وموسيو فيكتور هيكو اطلاق سبيل كل الذين باتوا في السجن والمنفى من اهل الكمون كما اننا لا نستغرب امتناع الحكومة الفرنساوية عن ان تسلم بمداخلة كتلك المداخلة في امور عدليتها . فموسيو راسبايل هو من اهل الثورة ولا بد من ان يشفق على الحزب الذي حاول قلب الهيئة الاجتماعية وتغيير احوالها كلها . ولا نعلم هل تقرر في عقله انه من حقوق كمون باريز ان يضاد ارادة اكثرية الامة الفرنساوية او لا . ولكن قواعده تقرر في عقله ان ما فعلوه من الخطا يستحق العفو . وقد امسى موسيو هيكو محبًا للعفو في هذه الظروف ايضًا بقواعده السياسية الموسعة على العفو والسماح . وقد اجتمع قوم من اهل الرتبة الاولى في المجلس العالي ليسمعوا محاماته عن المحبوسين والمنفيين من الكمون غير انه اجل خطابة الى يوم المفاوضة القائمة بهذا الشان . ولا يخفى انه قد ابان اراءه للعالم بقصائد اودعها من حماسياته وتصوراته ولغتة الغير المعتاد له اكثر مما اودع قصائده الاخرى . ومن عاداته خلط المفاوضات السياسية بالكره المخصوص برسو وتابعي ارائه فيضاد القصاص بالقتل عوضًا عن ان يظهر كرهه المصيب للطمع المضر الذي يقوم مقام حب الوطن ويضيع المميز بين الخطا والصواب او الحق والبطل بعذورات شعرية متضمنة عذر النساد والشر ولذلك لا يلوم احدًا على حرق قصر التويلري ولا قتل الاسرى ولكنه يلقي تهاته على شيء يسميه التعس وعلى لص او بربري وهو الماضي . حتى انه يتيسر لكل الهيئة الاجتماعية وبالتالي على اقدم القرون . غير ان القضاة لا يتعبون انفسهم بهذه الاوهام متى وقف امامهم المتهم بالقتل . ومن المؤكد ان مجلس نواب فرنسا لا يسمح بان يوسس حكمه بذنوب اهل الكمون على تلك الحكمة الخادعة . ومن واجباتها ان تحكم باحد امرين وهما هل يجب ان يطلق سبيل رجال قد حكمت المجالس عليهم بالقصاص لانهم يدعون بمعتدين سياسيين او لا . اما موسيو فيكتور هيكو فيرغب في ان يطلق سبيلهم جميعًا . اما الوزرا فيقولون ان رئيس الجمهورية سيختار الذين ذنوبهم طفيفة بالنسبة الى ذنوب غيرهم ويامر باطلاق سبيلهم . ولا ريب في ان مجلس النواب والبلاد يثبتون ذلك باكثرية عظيمة .

اما انكلترا فبعدها عن فرنسا كاف لان يحملها على ان تشور على فرنسا بالحلم لانها بعيدة عن الخطر حتى ان بعض علمائنا لاموا موسيو تيرس وعملة العفو ومجلس نواب فرنسا لانهم سعوا بقتل بعض اهل الكمون وبنفي بعضهم وبعذيب البعض الاخر بانتظار قصاص مجهول عندهم فهذه الشفقة كثيرة في بلاد تكاد لا تخاف من قيام كمون في لوندرا . ولو عرفنا الفرنساويون عن الذين اقاموا بحرب اهلية ما من حرب اشد ضررًا منها ولا اكثر خطرًا لاقاموا بما يدعو الى التعجب والاستغراب . ولا نحكم باصابة اعمال الحكومة الفرنساوية ما لم نتذكر اهم حوادث كمون باريز . فنقول انه عند عقد الصلح بين فرنسا والمانيا صمم اوباش باريز بان يلزموا كل الامة بان تنقاد الى اراداتهم والا فيضرمون نيران الحرب الاهلية وكانوا مصممين على انشاء جمهورية حمرا قاعدتها الاشتراك بالاملاك وقسم البلاد الى دوائر . وقد ضادهم الراديكال انفسهم كموسيو لويس بلان وقالوا ان ذلك يخرب البلاد . فامست السلطة القانونية في خطر مبين

مذنب اذا كان شاعراً حكيماً ان يلقى اللوم على نظام وكانت قد عقدت حكومة فرنسا اتفاقاً مع البرنس بسمارك بان يكون عدد جنود باريز قليلاً . وعند بداية الثورة اضطرب موسيو تيرس خوفاً من ان يتحد الجنود مع الثائرين حتى انه اخرجهم حالاً من باريز مع انه كان عالماً بانه ربما كان يلتزم ان يرجع الى فتح المدينة عنوةً ولم يطمئن بمجيء الجنود الى فرسايليا لانه خشي ان الكمون يسوقونهم الى الخيانة او يحملونهم على الفرار منها واستعدت مدن اخرى لقيام الكمون عند نجاح كمون باريز فجا وفد من الولايات موسيو تيرس وكان من الراديكال وقال له انه لا يعضد حكومته مالم يعدهم بانه يمنع الاكثرية الملكية في مجلس النواب عن الغاء الجمهورية فوعدهم بذلك ونشات عن وعده امور مهمة . والتزم بان يذل نفسه للبرنس بسمارك و يطالب اليه ان يساعده فاجاب البرنس بسمح لكثيرين من الجنود الفرنساويين الذين كانوا في الاسر بان يعودوا الى بلادهم . وبعد استعدادات استمرت اشهراً وتكبد مصاريف كبيرة التزموا بان يدخلوا المدينة عنوة وانتشب قتال شديد تقشعر الابدان منه في الاسواق ولم ترَ باريز مثله . ولوكان ذلك الحصر منزهاً عن حوادث غير حربية اعتيادية لحق الحكومة بان تقاص العصاة بصرامة لانهم لو نجحوا لقسموا فرنسا الى اقسام وجعلوا الظلم والتعدي يسودان فيها وجعلوا ختام حروبهم ارتكابات تجعل لحزبهم اسماً مدنساً الى الابد

هذا وننقطع النظر عن قلب عمود فندوم لانه نشا عن حماقة وطياشة ولكن بماذا يعتذرون عن حرق قصر التويلري و بعض اللوفر ونظارة المالية وقصر اللوجيون دونور والكوردي كونت والهوتل دي فيل . ولم يكتفوا بذلك ولكنهم اقاموا بشرور اعظم من هذه الشرور بالف مرة فانهم نجحوا المونسنيور دار بوي رئيس اساقفة باريز والرئيس بونجيان والرئيس دبكوري والكهنة اليسوعيين في جن لادوكت والرهبان الدومنيكانية في شارع هاكسو . فهذه هي الارتكابات التي جعلت ابدان اهل الرتبة الغير الدنية من الفرنساويين الفقرا والاغنيا تقشعر واهاجت غضبهم فبماذا يعتذر عن اهل الكمون . ويقال ان الابنية العظيمة احترقت بالتصادف او بالقيام بالدفاع . غير ان التصادف لا ينتخب اعظم الابنية التاريخية في باريز ولا تنتخب لتكون مكاناً للدفاع . وقد قال موسيو راسبايل الصغير في مجلس النواب ان الذنب ذنب الامبراطوريين غير انه لاريب في انهم لم يقوموا بذلك . وما اوهى الاعتذار عن قتل اولئك الرجال فانه يقال انهم قتلوا قياماً بالثار لان الجنود اقاموا باعمال بربرية وكانوا يقتلون كل من صادفوه مسلحاً ان كان رجلاً او امراة او ولداً . ولا ينبغي ان يعتذر عن الجنود لانهم دخلوا العاصمة بغيظ وانتقام فان نفس الذين احرقوا تلك الابنية قالوا انهم باتوا كالمجانين غيظاً عندما راوا لهيب خربات القصور التي كانت فخر فرنسا . ولا تلوم الحكومة بما اقام به اهل الكمون الا بقتل بلانكي الذي كان ماسوراً في يدها . وقد قيل انه قبل قتل الذين قتلهم الكمون كان قد مات اكثر قواد الكمون او كانوا قد باتوا في المنفى وان اقواماً لا مسئولية عليهم قد اقاموا بذلك وهذا هو الواقع . والجواب ان اعضاء الكمون اوقعوا مسئولية هذه الامور على انفسهم عندما القوا القبض على اولئك المنكودي الحظ قاصدين قتلهم اذا قتلت الحكومة احداً من الذين اسرتهم منهم . ولا يحق لهم ان يشتكوا بعد ان قتلوا رجالاً ابراراً . فالذين امضوا الامر بالقاء القبض عليهم اي على رئيس الاساقفة وارفاقه هلك بعضهم في الحرب

و بعضهم بعد المحاكمة ونفي بعضهم الى نيوكالدونيا و بعضهم مستامن في لوندرا و بروسل مع انهٔ قد حكم عليهم بالقتل . واذا عومل اولئك الرجال كما يعامل المذنبون السياسيون الاعتياديون يمسي الحق مدوسًا ولا صحة لما ادعي بهِ من انهٔ لم يفز اعضاء الكمون والذين دافعوا عنهم بالحصول على محاكمة عادلة . فانهٔ قد تقرر بشهادة الذين لاغرض لهم ان المجالس الحربية كانت تسمع للمدعى عليهم بصبر وتان لامزيد عليهما حتى انهم كثيرا ما كانت تاتي بحكم معجب . ولم يقاص بالقتل الا الذين ارتكبوا اعظم الذنوب وبعضهم نجا من القتل . ولا نظن ان المجالس المدنية تحكم بحلم كالمجالس الحربية التي اقيمت في فرسايليا . ولا ينبغي ان يبرح من بالنا انهٔ بعد ان اظهرت حكومة فرنسا الصرامة في بادي الامر امتنعت عن القاء القبض على الذين انحصر ذنبهم في المحاربة مع الكمون ولم تقاصهم . ولا يزال الوف من المدافعين عن الكمون واعضائهِ في باريز بدون سجن ولا قصاص والضابطة تعرف كثيرين منهم

ولا ريب في انهٔ يعتذر كل الاعتذار عن الذين كانوا كالجنود بين الكمون اي الذين لم يكونوا من الروساء ولا المهيجين . وقد قال موسيو تيرس ان كثيرين منهم كانوا يحاربون لانهم كانوا يعلمون ان مجلس النواب كان قاصدًا ان يبدل الجمهورية بملكية واكثرهم كانوا على جانب عظيم من الجهل وخدعوا باقوال كاذبة . وكان كثيرون منهم من الجياع وراغبين جدًا في ان يفوزوا بالراحة التامة بسهولة بابطال كل امتيازات الهيئة الاجتماعية وفي ايام القتال الاخيرة بات اكثر الرجال والنسا في الحواجز سكارى وقد اشتد غيظهم بهلاك اقاربهم وخوفهم . وقد لاحظت عمدة العفو هذه الظروف في ايام محاكمتهم في المجالس الحربية . وقد تقرر في النظامات انهٔ يحق لرئيس الجمهورية ان يفحصها ثانيةً وربما كان يرى ان كثيرين من المحكوم عليهم قد وقع عليهم قصاص كاف او قد اظهروا من حسن السلوك ما يستوجب اطلاق السبيل . وربما كان يطلق سبيل كثيرين باعطائهم اوراق رخصة ولا نظن انهٔ يخسر تعهدًا سنوح هذه الفرصة الموافقة لارضاء اهل الصناعة في باريز . اما وزير الداخلية فقد قال ما يكاد يكون تعهدًا وهو ان رئيس الجمهورية لايجعل حق العفو يذهب سدى في هذه الظروف غير ان واجباتهِ تدعوهُ الى اجرا ما يصون فرنسا من حرب اخرى وهذا مفضل كثيرًا على الحلم . وينبغي ان نذكر الفعلة في باريز ان الثورة من اعظم الذنوب ما لم تكن من الضروريات

نبذة في تاريخ ترواده

من قلم الخواجا عزيز خلاط

طالما الهجت السن اقلام المورخين بذكر حرب ترواده الشهيرة وطالما تمنيت ان ارسم نبذة وجيزة حاوية على بدايتها ونهايتها وكنت افحص وابحث لنوال المرام فعثرت بنبذة مستوفية الشروح والتفاصيل ولما كانت جريدة الجنان قد فاحت ازهار فواغي فوائدها وتضوعت ريا رياحين عوائدها بنشر كل عرف يود المطالع استنشاقهُ رمت ان اترجمها وارسلها اليها لعلها تحظى بالقبول لديها فتغرس بين رياضها فاقول . ذكر في خرافات اليونان ان المعبودات دعوا الى افراح زيجة تانيس فبينما جالسون ياكلون ما طاب من الماكولات ويشربون ما راق من الرحيق والصهبا والسلافات واذ سقطت على المائدة تفاحة ذهبية علة هياج الامم اليونانية فتخاصم عليها جونون وفانوس معبودتا الجمال ومينارفه او بالاس معبودة العقل والحكمة والكمال فنهض على الفور المعبود الاكبر ومن بعد ما سالهن امران يكون القاضي

يبتهرن والصارف مشكلهن ابن ملك ترواده باريس الشاب النذل الخسيس فهذا اثر فانوس معبودة الجمال الرائق على جنون معبودة الولاده وبالاس معبودة العقل الفائق فحينئذٍ اضطرمت في جنون نار الحقد والضغينة ومينارفه راقبت حلول الفرص لاذلالها وقتلوا شر قتلة مبينة . فباريس ما اكتفى بهذه المؤاثرة التي عاقبتها ستكون صرم حياته ودك مدينته وتشتيت رعيته وتلاشي ذريته بل عند ما كان سائحًا في بلاد اليونان بكل امان واطمئنان مضافًا عند منلاس اخي ملك ميثان اجترح ذنبًا فظيعًا واثمًا مريعًا وذلك باستباحة ابنته واهانته وفضيحته فراقت حينئذ كوس الوقت لمينارفه وجونون وشرعتا في اخذ ثارها وكشف عارها وطفقتا تسيران من ولاية الى اخرى جائلتين المدن والقرى محرضتين اليونان على اسعاف منلاس وموازرته واعانته ومساعدته فاجاب طلبها الجميع من الوضيع الى الرفيع وها اسما قواد هذه الحرب قواد اليونانيين اغاممنون (ملك ميثان اخو منلاس وهو الرئيس العام) ومنلاس واشيل وباتروكل وعولوس) ملك ايطاك) والاجاكسان ونستور وايدومينادس (ملك اكريت) وبيرهوس بن اشيل . وقواد التروادين هكتور مقدامهم وباريس ودانيوب وهيلانوس (اولاد بريام ملك ترواده) وانه وممنون وسربدون ملك الامازون بانثليزة . فها امامك ايها القاري اسما اشجع قواد اليونان واجلادهم للضرب والطعان فها اشيل البطل الضرغام الصنديد وباتروكل الشاب الباسل القوي الشديد وعولوس ذو الراي المصيب السديد فهولا هجروا اوطانهم واقاربهم وانسابهم ونساهم وخلانهم وساروا بعسكر جرار يعج كالخوار قاصدين ترواده وانحاءها فعند وصولهم نصبوا خيامهم من وراءها وانتظروا هناك المتخلفين من اليونانيين ولما اجتمعوا

ثم باوا الحصار وهيأوا الات الدك والدمار متسربلين اجمعهم بالزرد النضيد ولابسين الدرع الحديد اما الترواديون فبذلوا جدهم في سبيل الصد والمدافعة وافرغوا كنانة جهدهم بتشييد اسوارهم المنيعة المانعة فقاوموهم اشد مقاومة وصادموهم اشد مصادمة ولما راى اليونان ان لا نهاية لهذه البلية طلبوا البراز املاً بصرم هذه الرزية فاجابوا الى طلبهم واستعدوا للحرب فللحال برز الى ساحة الميدان اشيل البطل العالي الشان واخذ يلعب ويتفنن بانواع الضرب والطعان طالبًا شخصًا من التروادين لبرازه فما اتم كلامه حتى برز له واحد يعد من طرازه وهو هكتور شجاعهم الوحيد وبطلهم الفريد فتقاتلا وتضاربا وتباعدا وتقاربا وما زالا يتطاعنان باسنة الرماح ويتضاربان بالسيوف الرداح ويتراشقان بنبال اسهمها الخطافة الارواح حتى خيم الغسق فاخذا راحة الى بزوغ الفلق ثم عادا الى لعب امس حتى شروق الشمس فكلت ايديهما من التعب وملّ جواداهما من النصب ولما شعر اشيل بشدة عنا خصمه انقض عليه كالغمام وضربه بحد الحسام فاتى له بالموت الزؤام واسقاه كاس الحمام فللحال ضج الفلك بتهليلات اليونانيين ووقعت الخيبة والسكتة على التروادين وعند ما كان اشيل متمتعًا بثمرة نصرته . واذ بنبلة اصابت قلبه فقضت بمنيته فهذا الانكساف اعاق الحرب عشر سنين حتى هجر اكثر اليونانيين اما عولوس ذو العقل الثاقب والفكر الصائب فما راى انقسام هذه التجربة استعمل قريحته الفريدة فصنع حصانًا عظيمًا من خشب وطلاه من خارج بالذهب ودخل به مع بعض اعوانه بعد ما امر الجيش بان يذهب . فلما راى الترواديون تقهقر اليونانيين فرحوا جدًا وقضوا ذلك النهار ضاحكين مسرورين وادخلوا الى المدينة هذا الحصان المبني بناية متينة

والمكثوب عليه تقدمة الى معبودات التروادبين فوضعوه على هامة السور واحدقوه بالزهور جاهلين المكيدة غير عالمين ما تكون عاقبة هذه التقدمة النهائية السديدة وبينما هم غارقون في لجج في بحار النوم واذ فتحت ابواب المدينة وادخل القوم فدكوا المدينة واخربوها من بعد ما قتلوا رجالها وسبوا نساها ونهبوها

حل لغز سليم افندي عنحوري المدرج في جزء ٢٤ من جنان سنة ١٨٧٥ ولغز اخر

من قلم علي افندي الزين

يا بارعًا قد فاق بالمعاني
ورقى من الاداب اسنى مكان
ابرزت من در الكلام جواهرًا
جاءت كعقد في نحور حسان
الغزت يا ذا الفضل في شيء غدا
ثاني الجنان واخر التبيان
حرف واسم بات يسبح دائمًا
في البحر بل حوت من الحيتان
قبر لقد طاف البحار بمن به
والثاوي حي ذاكر الرحمن
وهو الروي لذا القصيد واول
بل اخر في سورة القران
يا عالمًا نال الفضايل والعلا
من علمه جاز البليغ معاني
ما اسم حواه صادق في نطقه
فعل اتاك مثلث البنيان
هو فعل ماض بات فاعله تخض
لجج البحار وبالقفار يعاني
عجبًا له اذ كان حرفًا واحدًا
وبه تسمى سورة القران
هو مبتداها قد حوى اياتها
بالعد لا تنقص سوى اثنان
الثلث منه ينوب عن مجموعه
ان كنت تحذف منه للثلثان
واذا الاخير جعلته متوسطًا
اضحى لهيب حشاشتي وجناني
وبهذه الحالات صحفه يكن
عدوًا وقاك الله شر الشاني
واذا جمعت حروفه وضربتها
بثلاثة وبواحد وثمان
واضفت بعد الضرب تسع وعشرة
وضربتها في واحد واثنان
كان الحساب مورخًا ما قد عدى
من هجرة المختار من عدنان
يا من حوى درر المفاخر والعلى
اكرم بنشر جواهر التبيان

حل لغز سليم افندي عنحوري المدرج في الجزء الرابع والعشرين من الجنان من اجزاء جنان سنة ٧٥

(من قلم جرجس افندي ميخائيل نحاس)

اهديتنا اللغز بالسحر الحلال وقد
ابدى لنا كم سر السحر بالنون
بديع لفظ لقد اهدى لنا دررًا
من معنى لغز بديع جاء بالنون

تغييرات في الكرة الارضية

(من قلم سليم افندي بستاني)

من انفع العلوم التي اتقنها اهل هذا العصر وبلغوا درجة مهمة فيها علم الطبقات الارضية وهو المعروف بالجيولوجية وهذه الجملة هي للتكلم عنها

يعرض على وجه الارض من الارتفاع والانخفاض والتزلزل وليس للكلام عن ذلك العلم المتسع بوجه الاجمال ولكن لما كان بعض مطالعي الجنان لا يعرفون شيئاً عنه كان لابد من تقرير تمهيد مختصر للتوضيح فنقول

ان هذا العلم هو بحث عن الارض وهو متسع جداً وينقسم الى ثلثة اقسام اولية فالاول الكلام في بنية الارض وحالتها الاصلية . الثاني التغييرات التي حدثت فيها منذ خلقت بفعل المياه والزلازل والمدفوعات من الجبال النارية والاسباب التي جاءت بذلك. والثالث حالتها الحاضرة والاسباب التي تاتي بالتغييرات وهي على هذه الحال

ولا يتيسر ادراك التركيبات الارضية وحالتها الاصلية ما لم نجعل علم طبقات الارض المذكورة فرعاً من العلوم الطبيعية التي يعلق بها ويجلي بقواعدها ويوضح ببراهينها واوصافها ونواميسها . وقد قررنا جملاً كثيرة متعلقة بحالة الارض اجمالاً وابنا انها من السيارات المتعلقة بعالم الشمس وانها كسائر السيارات المذكورة خاضعة للنواميس التي تحفظها في دائرتها وتجعلها تدور على محورها . فالارض جزء واحد من كلٍ مركب من اجزاء كثيرة

واذا نظرنا الى حالة الارض الماضية والحاضرة نرى ان في صخورها وطبقاتها حجارة وتراباً ورمالاً ووحولاً بعضها مختلط بالبعض الاخر . ونرى ان هذه المواد ناشئة عن قوات فاعلة بحسب نواميس الطبيعة لتحل وتكسر وتنقل او لتقرر وتطبخ الطبقات المعدنية وهذا برهان تعلق هذا العلم بالكيميا وفن الخصائص الهوائية او الجلدية فضلاً عن تعلقه بالفلك للبحث عن مركز الارض ونسبتها الى الاجرام الفلكية وغير ذلك

ولا نكتفي بهذا القدر فان ذكرنا لطبقات الارض يفتح باباً جديداً للبحث فنقول ان كرة الارض لم تكن في القديم على ما هي عليه الان كما يظهر بحفر الارض او التامل بما كشف من اعماقها بحفر المعادن او غير ذلك والتامل لا يكفي ان يكون اجمالياً فانه بالبحث عن وضع اجزاء المادة التي نتامل فيها نرى انما قد توصلنا الى البحث عنه من قشرة الارض انما هو محتوٍ على بقايا اجسام عضوية اي حيوانية او نباتية تختلف طبيعتها باختلاف عمق الطبقات فقشرة الارض هي ما نسكن عليه وهي سميكة جداً لم يتوصل احد بعد الى نهايتها غير انه يقال ان لها حداً فكانها ليمونة خارجها قشرتها وداخلها مواد سائلة او بخارية او غير ذلك فهذه هي القشرة . فلنرجع الى الكلام عن الطبقات المتكونة هذه القشرة منها وللتبيين نقول ان الطبقة السطحية اي الظاهرة لنا تظهر بالتامل انها مولفة من نباتات وحيوانات كالنباتات والحيوانات التي نراها حية على سطحها ولا نراها حية بل نرى اثارها وبقاياها . واذا تعمقنا نرى انه لا وجود للنباتات ذوات الفلقتين في الطبقات العتيقة وهذا دليل على انها لم تكن موجودة يوم تكوين تلك الطبقة اي عندما كانت تلك الطبقة القشرة السطحية قبل ان علتها الطبقة الجديدة . وفي اعماق الارض لا اثر للحيوانات الثديية كالانسان والبقر والخيل والجمال وغيرها ولكن فيها اثار حيوانات من الزواحف والاسماك البحرية وتحتها لا اثر لتلك. ولكن الاثار الحيوانات الرخوة كالبزاق العاري وما اشبهه . واذا تعمقنا جداً في الارض حتى بلغنا ما تحت ذلك نرى طبقات سميكة ليس فيها اثر لمخلوق عضوي اي لحيوان او نبات وذلك دليل واضح على ان الارض كانت على غير ما هي عليه الان وانها خلقت قبل خلق النباتات والحيوانات بزمان طويل جداً

وقد قلنا ان المخلوقات عضوية وغير عضوية

فينبغي توضيح ذلك فنقول ان الطبيعيين قسموا الاجسام الى ثلثة اقسام اولية سموها بالممالك وهي المملكة المعدنية والمملكة النباتية والمملكة الحيوانية فالمعادن اجسام نامية فقط . والنباتات اجسام نامية حية وقيل اجسام نامية حية غير متحققة الحس . والحيوانات اجسام نامية حية حساسة او متحققة الحس . وقد جعلت هذه الاقسام الثلثة قسمين للتعميم وهما المملكة العضوية والمملكة الغير العضوية . فمن الاولى النباتات والحيوانات وهي مكونة من اجزا يمتاز بعضها عن البعض الاخر وتسمى بالاعضا ووظيفتها حفظ الحيوة . وتندرج في المملكة الغير العضوية الجواهر المعدنية والما والهوا والغازات الطبيعية وهي مكونة من اجزاء متشابهة بعضها منضم الى البعض الاخر بقوة الجذب الداخلي وهي التي تمنع الحجر عن ان يصير هباء منثورًا أو سحقه يكون بالتغلب على تلك القوة وكذلك كسره . وقد قلنا انها نامية فنموها اي نمو المكونات الغير العضوية يكون باضافة مادة من الخارج . واذا انفصل بعضها اي اذا كسرنا حجرًا الى حجرين يكون كل منهما جسمًا تامًا . بخلاف الاجسام العضوية المكونة من اجزاء غير متشابهة فلا ينضم بعضها الى البعض الاخر ولا تزداد الا بتاثير باطني يسمى بالنمو الباطني فلا تقدر ان تضم يدًا الى جسم انسان ولا غصنًا او ثمرة الى شجرة واذا انفصل بعضها لا يعيش المنفصل غالبًا فاليد المقطوعة لا تبقى حية وكذلك الغصن . وهي تتولد من اجسام مثلها سبقتها ولا تبقى الى ما لا نهاية له فانها متى بلغت نهاية النمو تاخذ في الضعف الى ان تنحل وتنقطع الحيوة .

ونمو المكونات الغير العضوية ظاهر وله اسباب كثيرة ولا سيما ما ينمو من الماء المشبع بحامض الكربونيك المحتوي على كربونات الجير فمتى رسب تلاصقت اجزاؤه وتستمر تتلاصق وتنمو الى ما لا نهاية له ما دام السبب موجودًا ونرى من النمو في مغارات كثيرة كمغارة جعيتا وغيرها فان املاح الماء ترسب وتصير صخورًا ذات هيئات متنوعة واشكال مختلفة لا يتصورها الا من يراها وكثيرًا ما تعجب الناس من تحول الماء الى صخر مع ان ما في الماء يرسب اي يركد على ارض كما يركد الثفل او الغبار في قعر الجرة وهو مائل الى الالتصاق كالوحل فيلتصق بعضه بالبعض الاخر ويتصلب وما يقطر مع الماء منه يضاف الى ذلك فتتكون تلك الصخور من اجزاء كانت ذائبة في الماء واجتمعت عند موافقة الظروف لاجتماعها وتنمو برسب المياه الجيرية التي تسقط نقطة فنقطة وما يكون من النقطة غير جيري يجري الى جهة اخرى

اما تكوين الاجسام العضوية كالنباتات فهو من اجزاء غير متشابهة تتكون من الارض او من الهوا وهي الما وحامض الكربونيك والاوكسجين والازوت وبعض اكاسيد واملاح والحيوانات كلها وهي من الاجسام العضوية تتركب من العناصر المذكورة ومن جواهر تاخذها من كائنات عضوية باكل النبات واللحوم . والمكونات الغير العضوية تتكون باجتماع العناصر والتصاق بعضها بالبعض الاخر مع الاجتماع البسيط ولا يتكون عنه شيء عضوي اي انه لا يخلق حيوان ولا ينبت نبات باجتماع المواد ولا بد لهما من اجتماع ذكر وانثى لايجاد الجنين وتكون له بقوة الخالق سبحانه وتعالى قوة حيوية تجعل فيه خاصة الجذب والامتصاص او اتحاد العناصر التي ياخذها من الخارج فالحيوان بالاكل يتكون دمه ومنه يتكون كل اعضاء جسمه من عظم ولحم واوردة وشريانات واظافر وشعر ودموع وريق وجلد وغير ذلك كما رايت في الكلام عن ذلك في السنين الماضية في الجنان . والنبات بالامتصاص باصوله يتكون ماؤه

ومنهُ المادة الخشبية فيو والصمغ والمادة الملونة الخضراء في الاوراق والازهار والثمار وغير ذلك وللمكونات العضوية نمو محدود فلا تتجاوز ارتفاعاً وضخامة يختلفان باختلاف الانواع والغير العضوية لاحد لنموها . وكذلك للعضوية عيشة محدودة بخلاف الغير العضوية فان عيشتها غير محدودة . ومتى بلغت العضوية حدها من السن اذا كانت نباتاً او حيواناً تنحل عناصرها اي الموادّ المركبة منها وتصير من المكونات غير العضوية كالنبات بعد ان ييبس والحيوان بعد ان يموت

والمواد في النباتات والحيوانات تتجدد بدون انقطاع بما تتخذهُ من الهواء ومن الارض او مما ياخذهُ بعضها من البعض الآخر فيتغذى الحيوان والنبات بغذاء يتحول الى دم في الحيوان وماء في النبات فهذا الدم يعوض ما يخسرهُ الجسم كل دقيقة وكذلك الماء يعوض ما يخسرهُ النبات واذا انقطع الحيوان عن الغذاء يهزل ويضعف ثم يموت لانهُ يخسر بالحيوة الموادّ التي تقوم بها الحيوة بدون تعويض وبالتالي يموت وكذلك النبات . وهكذا تتغير كل موادّ الحيوان والنبات وتتبدل بموادّ اخرى . ومن الامور الفارقة بين المكونات العضوية والغير العضوية نتيجة التجزي الآلي فاذا كسرنا حجراً تبقى كل كسرة منهُ مركبة مما كان يتركب كلهُ منهُ قبل التجزي فلا تختلف طبيعتهُ وهذا شان كل المكونات الغير العضوية مع اننا اذا قطعنا يد انسان او غصن شجرة لا يبقى المقطوع من طبيعة الجسم الاصلي بل يتحلل

والنباتات غالباً ذات تركيب ابسط من تركيب الحيوانات وليست بمتحققة الحس ولا قادرة على الانتقال فلا تقدر ان تسعى طالبة اغذيتها فجعلها الله قادرة على التغذي بعناصر كثيرة الانتشار في الكون كالماء والهواء وما فيهما من الاجسام وليس لها تجاويف لا يعلها الاغذية ولكنها تمتصها بكل جزء من اسطحتها ولذلك يمكن تكثيرها بالتجزي اي بقسم نبات واخذه الى نباتات كثيرة . اما الحيوانات فمتحققة الحس وقادرة على الانتقال والتحرك بمجرد ارادتها فاغذيتها اكثر اختلافاً من اغذية النباتات واقل انتشاراً منها وجعلها الله تسعى في طلب الغذا ويعسر عليها الفوز به كل حين فخلق الله لكل منها تجويفاً لجمع الغذاء فيه وهو المعدة فكانها مخزن لوضع الغذاء وفيها الاوعية الماصة التي تمتص ما يناسب من الغذا لتوصلهُ الى اوعية الدم . والمعدة واحدة لكل حيوان فلا يتجزي الحيوان ليكثر كالنبات خلا بعض حيوانات من رتبة دنية لها مراكز كثيرة للتغذي او انها مكونة من حيوانات كثيرة دقيقة بعضها منضم الى البعض الآخر

فهذه هي المبادي العمومية لادراك القسمين اللذين يتالف العالم منهما وهو القسم العضوي والغير العضوي فلا بد من ان يكون كل شيء نراهُ او نعرف بوجوده تابعاً لاحدهما

وعلم طبقات الارض قد جاء بافادات كثيرة وبنتائج مهمة وحل مشاكل وابان حقائق لا بد من ان نذكر شيئاً منها حيناً بعد حين . وهو من العلوم التي قد برهنت بان من شان تعلمهِ ترقية اسباب الصوالح البشرية المادية فضلاً عن الادبية . وهو علم صحيح مبني على حقائق وقد اكتشفت نواميسهُ فاصبح دليلاً صادقاً يقود الانسان الى افادات مؤكدة ونتائج جلية فالذين يشتغلون في المعادن يحملونهُ مصباحهم فيستنيرون بهِ في الانحدار الى بطن الارض المظلم فيوديهم الى الطبقة التي يكون فيها الفحم الحجري او الحديد او غير ذلك وبهِ يجدون ما يضيع من الشريانات المعدنية . وهو مسند المهندس في تخطيط الطرق وفتح الترع فيعرف بهِ اتبعا طبقة لانشا

الطارق عليها والبها الحفر النزع والاخاديد ويبين له المواد الموافقة للبناء في الاماكن المختلفة والاماكن التي يتيسر له ان يحصل عليها فيها . والزارع يعلم تأثير الطبقات المعدنية في النبات والحيوان وصاحب السياسة يرى فيه الموثرات التي تزيد عدد الناس او تنقصه . وكذلك الجندي يرى افادات كثيرة به في الهجوم والدفاع . فهو علم متسع فيه حكمة وحقائق ولولاه لجهل الناس اموراً كثيرة قد انتهم بافادات جمة . فهو مفتاح ما لم يفرز في تاريخ العالم الطبيعي فيبين القرون ويبين الخلائق المختلفة التي عاشت في ادوار العالم بل هو مفتاح تلك الادوار بالمواد العضوية والغير العضوية التي لا تزال اثارها محفوظة كما مر بك . وهو يبحث في خصائص كل مادة الارض من صخر وتربة واثر ورمل ومعدن وغير ذلك . فالمطالع الذي لم يتعلمه لا يلتذ بالتقريرات الخصوصية الباحثة عن كل صخر ومعدن عليها ولكنه يفهم العموميات ويلتذ بها ولذلك قد قررنا هذا التمهيد وسنتكلم عما اشرنا اليه في صدر هذه الجملة لانه من الامور المالوفة ولا سيما الزلازل التي قد كتبنا عنها جملة مطولة منذ ثلث سنوات عند حدوث زلزلة انطاكية الاخيرة المشهورة ومع ذلك نقرر شيئاً عنها

وما يستحق الذكر ما قاله قدماء العرب بهذا الشان فهنه ما تقرر في كتاب جامع الفنون وسلوة المحزون وهو زعموا ان الابخرة والادخنة اذا اجتمعت تحت الارض لا يقاومها برودة وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحلل باقل حرارة ويكون وجه الارض صلباً لا منفذ فيه ولا مسام اذا قصدت البخارات الارتفاع لا تجد منافذ ولا مسام فتهتز منها بقاع الارض وتضطرب كما يضطرب المحموم عند شدة الحمى فلا تزال تهتز الى ان تخرج تلك المواد منها فتسكن انتهى ملخصاً

وقد قال علماء هذا الزمان ان في باطن الارض سائلاً مضطرماً والقشرة الارضية غلاف صلب محيط بذلك السائل وهو نار مضطرمة فاذا اضطربت السوائل باسباب يوثر اضطرابها في القشرة فتهتز وقال ليريه ان لجذب القمر تاثيراً في السوائل في بطن الارض كما يوثر في البحار فينشأ عنه المد والجزر

وقد قيل غير ذلك وللتوضيح نذكر خمسة اقوال بالاختصار تاركين الكلام المطول بهذا الشان الى جملة مخصوصة اكثر تفصيلاً من الجملة التي نشرناها قبلاً

اولاً كان مقرراً عند العلماء القدماء ان سبب الزلازل انفجار يحدث بغتة في بواطن الارض

ثانياً . قد قال اخرون ان سبب ذلك انما هو شيء في الهواء . وقد قال ارسطاطاليس وبيليني وسنيسا ان السكون في الهواء يسبق الزلازل

ثالثاً قد قال ميشل في كلامه عن علل الزلازل سنة ١٧٦٠ ان سببها نيران طبيعية موجودة في بطن الارض وان له ادلة على وجود تلك النيران وعلى انها قادرة ان تاتي بذلك الاهتزاز الغير الاعتيادي فاذا صببنا كمية وافرة من الماء بغتة على تلك النيران ينشا بخار عظيم مرن جداً كافٍ لاحداث الاهتزاز المذكور . وقد قال عن الحركة التزلزلية المشابهة لحركة الموجة اذا فرضنا اننا بسطنا سجادة على الارض ورفعنا طرفها ثم تركناه بغتة فسقطت على الارض فيندفع الهواء الذي يكون تحتها ويخرج من الجهة المقابلة للجهة الاخرى التي كانت مرفوعة ويرفعها كلها بالتتابع الى ان يخرج . وكذلك البخار الكثير يرفع الارض بتموج وهو مار بين طبقاتها افقياً لان الالتصاق قليل بين طبقة وطبقة وربما كان غير موجود

رابعًا . قد قال مستر مالر ان الزلازل ناشئة عن تمدد في الصخور بسبب الجزة محصورة ضمن قشرة الارض .

خامسًا . قد قرر البعض ان الزلازل ناشئة عن تموجات السوائل المحترقة الموجودة في بطن الارض . وهذا لا يتم الا بفرض رقة قشرة الارض ووجود سوائل يمكنها سيلانها الشديد من التموج

وبالجملة نقول ان كل هذه الارا موسسة على وجود حرارة شديدة في بطن الارض تجعل موجوداتها الباطنية سوائل او تحول الما الذي يدخلها من الامطار والبحار والانهار بشقوقها الى بخار او تجعل سوائلها قابلة لجاذبية القمر مع انها مستترة بقشرة صلبة او قادرة على التموج فراى العرب والمتاخرين من اهل هذا العصر واحد بالنظر الى وجود الحرارة التي تبرهن باشتداد الحرارة في المعادن بتعميقها وبخروج مياه غالية من بعض الينابيع ومن الابار الارتوازية التي يكون عمقها مئات كثيرة من الاقدام وبمقذوفات جبال النار السائلة واللهيب الذي يخرج منها وغير ذلك .

اما الاهتزاز الناشئ عن الزلازل فاربعة انواع

الاول . الاهتزاز العمودي الذي يجعل الارض تعلو وتهبط . وفي سنة ١٧٩٧ حدثت زلزلة في ريوبامبا من هذا النوع فاندفعت اجساد بعض الاهالي الى مكان ارتفاعه مائة قدم

الثاني التزلزل الافقي او الارتجاجي . فهذا الاهتزاز يجعل ارتفاعًا وهبوطًا في الارض متجهين الى جهة التزلزل . وسنة ١٦٨٧ حدثت زلزلة في جاميكا فكانت الارض ترتفع كانها امواج بحر مائرة ورأى الناس ذلك مسافة اميال بحركة . وروس الاشجار وقيل عن زلزلة حدثت سنة ١٦٩٢ ان الارض كانت ترتفع ويعظم ارتفاعها اكثر فاكثر بحيث ان الناس كانوا يكادون يسقطون

الثالث الاهتزاز الدوراني فان التزلزل يحدث في جهات كثيرة متعاكسة فينشأ عنه حركة دورانية فتدار الابنية . وقلما تحدث وهي اشد الزلازل ضررًا وكانت زلزلة لسبون سنة ١٧٥٥ وزلزلة كالابريا سنة ١٧٨٣ من هذا النوع

الرابع . الترجرج ويحدث في امركا الجنوبية ولا يثبت غير ثوانٍ قليلة . وهي اقل الزلازل ضررًا .

اما سريان الزلازل فيكون في الغالب في خط مستقيم قاطعة من ٢٠ الى ٣٠ ميلاً في الدقيقة . فالزلزلة التي حدثت في غوارد الوب سنة ١٨٤٢ شعر بها الناس في عرض ٦٠ او ٧٠ ميلاً وطول ثلاثة الاف ميل . ومن الزلازل ما تصدر من مركز شديدة وتمتد وتضعف باتساع دائرتها . وسنة ١٧٨٣ حدثت زلزلة كالابريا فهدمت كل القرى في دائرة قدرها ٢٢ ميلاً

وينشا عنها شقوق كبيرة او غير كبيرة في الارض وارتفاعات وانخفاضات في اماكن متسعة وقد تجفف بحيرات وينابيع وانهار وتقلب صخورًا وتهلك انفسًا برًا وبحرًا وتنشا عنها امواج عظيمة في البحار

اما الزلازل التي تحدث في البحار فاذا كانت لها قوة تموج في قعر البحر تنشا عنها امواج شديدة ومنها ما يكون ذو ارتفاع عظيم . وسنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في لسبون فارتفع البحر ٤٠ قدمًا في ناجوس و ٦٠ في قادس

وقد ظهر بالملاحظة والمراقبة بالتدقيق ان الزلازل تكثر في الخريف والشتا بحيث ان ٢١٧ زلزلة في بريطانيا منها ٨ : ١ في هذا القرن فمائة وثلثة زلازل حدثت في الشتاء و ٤٦ زلزلة في

الصيف ومن مائتي زلزلة وزلزلة واحدة في اسبانيا حدث ١١٤ في الشتا و٨٧ في الصيف . ومن الفين وعشرين زلزلة حدثت في كل اوربا ١١٦٢ في الشتا و٨٥٧ في الصيف وقد قرر موسيو الكسس بري ما يبين ان اكثر الزلازل حدثت عند ولادة القمر وعند تمامه واقلها في ارباعه فنسبة الحوادث الاولى الى الثانية كنسبة ٤٧ الى ٣٩

وكان قد تقرر في عقول البعض انه يسبق الزلازل اضطراب الهواء وهبوب رياح عاصفة واضطراب الابرة المغناطيسية اضطرابا غير اعتيادي وهذا خطأ لانه ما من علاقة بين الجو واسباب الزلازل لا تاتي بما ذكر وقد ظهر بالملاحظات حدوثها عند سكون الهواء والصحو وقد تحدث في الزمان الممطر ايضا وفي اثناء هبوب الرياح . وقد قال همبولد انه راقب الابرة المغناطيسية في جنوبي امركا عند حدوث الزلازل فلم يرَ فيها اضطرابا . وفي الغالب يسبقها ويصحبها دوي مزعج خارج من احشا الارض وسببه تمزق جسم عظيم من طبقاتها بفعل النيران . وقد يحدث هذا الدوي بدون ان تتبعه زلزلة او تصحبه كالدوي العظيم الذي يشبه تدمدمة الرعود الذي حدث تحت الارض في مدينة جنكساتو من مكسيكو سنة ١٧٨٤ واستمر اكثر من شهر وكان منقطعا ذا فرقعة عظيمة وبرهان صدوره من تحت الارض انه كان في المعادن اشد منه على سطح الارض . وسنة ١٨٢٢ للميلاد جرى في جزيرة ميلدا من بحر الادرياتيك دوي تحت الارض واستمر اربع سنين متواليات وكان يتعاقب بسرعة ففي ليلة واحدة سمع اكثر من مائة مرة . وظن القوم في بادي الامر انه ناشئ عن حرب بحرية . ولما تحققوا العيب خافوا جدا وطلبوا الخروج فسكن بعض العلما خواطرهم وتبع ذلك الدوي اهتزاز خفيف جدا لم يضر بشيء وانقطع كل الانقطاع سنة ١٨٢٦

وليس المقصود استيفا الكلام عن الزلازل فانها قسم من الموضوع وقد سبق ذكرها وذكر الجبال النارية في الجنان وفي فرصة اخرى نكتب شيئا اخر بهذا الشان ان شاء الله

ومن الامور المهمة المحققة في علم طبقات الارض ان ما هو يابس من الدنيا في هذا الزمان كان في زمان ماض مغطى بالماء ثم ارتفع الى ان صار على ما هو عليه وعليه براهين واضحة موكدة . فان ما نراه من الصخور الرملية المتسعة والحصى المائية التي يتالف منها قسم عظيم من سطح الارض الصخري برهان جري . احتكاكات عظيمة ورسوبات مهمة ناشئة عن احتكاك الما بالحصى بالصخور ورسب حجارة في اماكن حملتها المياه اليها ويرى مثلها في مجتمعات الرمال الصرفة او الممتزجة بالحصى الصغيرة التي تتركب منها في الحال السواحل تحت الماء . فلو امكنا ان نبحث عن الحالة الداخلية لتلك السواحل لما تعجبنا لو راينا في بعضها اشجارا قد حملتها المياه او اثمارا يابسة ولكن اذا وجدنا طبقات كثيرة من الاخشاب المتحولة الى مواد معدنية نحكم بانه لابد من احد امرين وهما اما ان الاماكن التي وجدت فيها كانت معرضة للهوا وكان عليها اشجار ونباتات ارضية واما انها تكونت في مكان كان يدخله شيء من ماء البحر في القديم حال كونه قريبا من انهار على فرضها غابات كثيرة . وكذلك اذا راينا قطعا من الفحم الحجري الشديد الحرارة اللامع في صخور قديمة فربما كنا نحكم بان اقساما اخرى من الارض كانت ذات اشجار ونباتات عند تكون تلك القطع الفحمية وهذا لا يبرهن بان تلك الصخور كانت ظاهرة ولكن اذا راينا طبقات كثيرة من المواد الخشبية المتحولة الى الفحم نحكم بان تلك الصخور او الرسوبات كانت مغطاة بالاشجار او

النباتات او قريبة من اماكن كانت نابتة فيها. فهذا برهان على ان بعض سطح الارض كان في ازمان متوغلة في القدم خارجاً من تحت المياه لانهُ لولا ذلك لما تيسر تكون طبقات معدنية كالمذكورة في صخور مغطاة بها . ومن البراهين القاطعة على ما يشير الى ذلك وجود صخور في اليابسة في هذه الايام فيها اثار لمصادمة المياه لها ناشئة عن الاحتكاك الذي نشا عن تلك المصادمة وهي كالصخور الماسة للمياه في السواحل ووجود اماكن رملية او ذات حصى في اليابسة كرمال السواحل وحصاها وهي اثار اخرى لاحتكاك مياه في اماكن لم يبق لها اثر فيها . وهذا من الادلة القاطعة على حدوث تغييرات مهمة على سطح الكرة . ولا يلزم ان نتكلم في هذه الجملة عن الصخور المكونة بالرسوبات اي باجتماع مواد كانت بالمياه والتصاق بعضها بالبعض الاخر واكثر اليابسة مركب منها ولا عن ارتفاعها الى مركزها الحالي فان ذلك لا يوضح الا بكلام طويل فنكتفي بالتكلم عن تكون بعض المرتفعات منذ ازمنة ليست بطويلة . ففي السواحل الانكليزية وغيرها ترى اماكن قد ارتفعت عن سطح الارض من ١٥ الى ٣٠ بل الى ٤٠ قدماً حال كونها مركبة من حصى ورمال واصداف بحرية كالتي نراها الان في الشاطئ مماسة للمياه . وقد وجد في مكان كان يدخله البحر عند كلاسكو من انكلترا بقايا حيتان عظيمة وحيوانات اخرى بحرية وقوارب قديمة وغيرها من مصنوعات الانسان في مكان يرتفع ٢٠ او ٣٠ قدماً عن المياه في المد . وفي الدنيا اماكن كثيرة كهذه تدل على انها كانت مماسة لسطح المياه فارتفعت الان عنها . اما القوارب التي اخرجت فكانت مدفونة في ذلك المكان في مراكز معدل ارتفاعها عن سطح الماء في زمان المد سبع اقدام . فهذا برهان على ان الارض ارتفعت ٢٠ او ٢٥ قدماً في الزمان

الانساني . وفي انكلترا مينا انشاها الرومان نامست بعيدة عن الماء حتى في زمان المد في هذه الايام وغير ذلك مما حمل القوم على ان يتررو في عقولهم ان ذلك الارتفاع تم منذ استيلاء الرومان على انكلترا . وفي مغارة اوريفالا من اسوج قد ظهرت ادلة واضحة على ارتفاع الارض وذلك بوجود صدف في جدرانها في مكان مرتفع عن سطح البحر كالصدف الموجود في الاماكن المساوية له . وفي كل سواحل نروج من الرواسب البحرية المرتفعة ما يبين ان الارض قد ارتفعت وعند الراس الشمالي ترتفع ستمائة قدم عن سطح البحر ومنها ما سمكه ١٦٠ قدماً وهي في الغالب على صخور صلدة وفيها صدف كثير لا يزال منظره كالصدف الذي يخرج من البحر . وفي اسوج ايضاً ما يشابه ذلك . وقد اجتهد الناس في البحث عن ذلك ومعرفة مقدار الارتفاع في ام السواحل السكندينافية . وقد وجدوا صخراً اسمهُ غودماندز اخارن في جون جليالك في مكان واقع في ٥٨ درجة و ٢٥ دقيقة مناسباً لمعرفة مقادير ارتفاع الارض ففي سنة ١٥٢٢ كانت مياه البحر تعلوه بقدمين وسنة ١٦٦٣ ارتفع فوقها ٧ او ٨ قراريط وسنة ١٧٤٢ صار ارتفاعهُ قدمين وسنة ١٨٤٤ اربع اقدام فيكون قد ارتفع ٨ اقدام في ثلثماية سنة اي ٢ ١/٤ في القرن . وسنة ١٨٢١ حفرت خطوط في الصخور على مساواة مياه البحر في زمان سكونه في شمالي استوكهلم وحفر تاريخ السنة فيها وفحصت بعد ١٤ سنة فظهر انها ارتفعت ٤ او ٥ قراريط فيكون معدل الارتفاع ٤ اقدام في القرن ويقل هذا الارتفاع كلما سرت جنوباً وينقطع في جنوبي جليالك ولا ينحصر ذلك في اوربا فان سواحل اميركا الشمالية والجنوبية عرضة لتغييرات كالتغييرات المذكورة ولاسيما في سواحل المحيط . ففي كواسكو

ارتفاع في الوادي يبعد عن الساحل ٢٧ ميلاً . ويوجد الصدف في اماكن مرتفعة عن موازاة البحر ٢٥٠ قدماً ومنهُ ما هو مدفون في صخور كلسية سمك بعضها من ٢٠ الى ٣٠ قدماً . ولا ريب في ان سبب ذلك هو ارتفاع كل القسم الجنوبي من اليابسة منذ زمان طويل جدًّا وقد قال احد الباحثين المدققين في تلك الاراضي ان بعض الاراضي قد ارتفعت من الف الى الف وثلثمائة قدم . وهذه الارتفاعات هي طبقات كدرج السلم وقد قرر ان سبب ذلك حدوث تغيير فعوضاً عن استمرار ارتفاع المكان باخذ البحر في ان يفني الارض تكونت سهول كدرج السلم بثمانية ازمان طويلة وتفت فيها المياه عن فعلها

هذا ومن المعلوم ان الاماكن التي فيها جبال نارية هي اقطار تحدث تحتها في بطن الارض اضطرابات فتكثر فيها الزلازل وقد حدثت فيها ارتفاعات وانخفاضات كثيرة وتم ذلك بغتة . واهم التغييرات المتاخرة تغييرات نابولي وشيلي ونيوزلند وكوتش وهذه تفصيلات بهذا الشان

اولاً سنة ١٨٦١ اضطرب فيسفوس وهو جبل نار مشهور في ايطاليا فارتفع الشاطي على جانبي التوردل كركو ٣ اقدام و٨ قراريط وظهر خط ابيض طويل مولف من مخلوقات مائية

ثانياً . سنة ١٨٥٥ حدثت زلزلة في نيوزلند فارتفعت الارض ٩ اقدام مسافة ٩٠ ميلاً . غير ان الجهة الشمالية من مضيق كوك ارتفعت ٥ اقدام والجهة الجنوبية انخفضت ٥ اقدام

ثالثاً . حدثت زلزلة شديدة مضرة في شيلي من امركا سنة ١٨٢٢ فارتفعت الارض مسافة من الساحل من قدمين الى ٤ اقدام وزاد ارتفاعها في الداخلية حتى بلغت سبع اقدام في بعض الاماكن وقد عدل انهُ ارتفعت ارض مساحتها مائة الف ميل مربع ثلث اقدام

رابعاً سنة ١٨١٩ حدثت زلزلة شديدة في الدلتا في الاندوس في ارض اسمها الاه بند طولها ٥٠ ميلاً وعرض بعضها ١٦ ميلاً ارتفعت وكان ارتفاع بعضها ١٠ اقدام وتحول مكان مساحتهُ الف ميل مربع الى بحر داخلي اسمهُ الان دون كونش وانخفضت القلعة والقرية المسماة سندري فلم يظهر فوق الماء غير سطوح البيوت

اما انخفاض اليابسة في بعض الاماكن فهو ايضاً من الامور المثبتة فان في اماكن مختلفة من سواحل بريطانيا العظمى وشمالي فرنسا بقايا اشجار ونباتات قديمة في اماكن اوطا من سطح البحر وهي من انواع لا تزال موجودة فتظهر احياناً بتقدم البحر على البر او بالجزر وهي في مركزها الحالي بسبب انخفاض الارض وقد ظهر بالملاحظة ان الساحل الغربي من كرينلاند اخذ في الانخفاض في مسافة تزيد عن ستمائة ميل من الجهة الشمالية الى الجنوبية . وقد غاصت في المياه بسبب ذلك الانخفاض ابنية قديمة مبنية على جزر واطية قريبة من البر وعلى الساحل حتى ان الاهالي انقطعوا عن بنا بيوتهم في الشاطي . واهالي موافيا التزموا بان يرحلوا الى الداخلية اكثر من مرة ليخلصوا من المياه التي تعلو بانخفاض الارض . وفي كل سواحل اسكانيا من اسوج شوارع في كل الثغور اوطا من سطح البحر وهو في حالة الجزر مع انها كانت اعلى منهُ عند انشائها

فهذه الامور كلها من افعال الله سبحانهُ وتعالى في خليقته وتدل على ان العالم كان على غير ما هو عليهِ وان المياه كانت تغطي ما هو يابس منها وان بعضها بات مغموراً بالمياه ولا يزال التغيير جارياً بالرسوبات والقوات النارية المشتعلة في بطن الارض وغير ذلك وهذا كلام عام مختصر لاظهار الحقائق لان ضيق المقام لا يسمح الان باكثر من ذلك

تاريخ فرنسا

في الشرق في يدها ام المراكز واقواها واخصها فتمنو روسيا جدًّا فتصير دول اوربا صغيرة جدًّا بالنسبة اليها ويمسي العالم في خطر من فتوحاتها فتجمع بين الشمال والجنوب وتطالب السيادة العامة . وكان يعلم انهُ لا يرتضي الا بالسماح لهُ بان يحمل على الشرق وكان نابوليون يحب جدًّا ان يصادقهُ ولكنهُ كان يخشى ان يمكنهُ من اجراء ما يعود على اوربا بالضرر وسلب الراحة . فارسل كاولنكور الى بطرسبرج سفيرًا مخصوصًا وامرهُ بان يفرغ جهدهُ في سبيل المحافظة على الاتحاد بدون ان ينشط الامبراطور اسكندر على انفاذ مقاصده في الشرق وعين لهُ نابوليون ثمانماية الف فرنك سنويًا ليتمكن من ان يشخص بلاده بما يليق بها وجعل من اعوانهِ كثيرين من شبان عيال فرنسا الكريمة وكتب الى الامبراطور اسكندر وشكرهُ على هداياه واهداه ما هو اثمن منها . وجعلت الدانمرك نفسها في يد فرنسا في الحال فارسلت جيشًا فرنساويًا لصيانتها اجابة لطلب بلاطها . وكان قد بات الاسكندر مسحورًا بتعقل نابوليون وحذقهِ وما راه منهُ في تلست فاخذ في ان يثني عليهِ ويمدحهُ ولكن الامراء الروسيون لم يسحروا بذلك لانهم لم يشاهدوهُ فكانت ترتعد فرائصهم خوفًا من امتداد قواعد المساواة والحرية فان مساواة فرنسا تمحو اثر الامارة الروسية وترفع شان الاهالي المستعبدين . اما الامبراطور الروسي فكان يحب ان يخسر الامراء المفتخرين في بلاده شيئًا من عظمتهم ونفوذهم وان يرفع شان الاهالي فنجم عن ذلك حزبان احدهما تحت رياسة ام الامبراطور المفتخرة وفيها اكثر الامراء وسياستها محاربة فرنسا وكان الامبراطور رئيس الحزب الاقل والاضعف الذي كان يرغب في ترقية اسباب السلام وكان كاولنكور المذكور يعلم بالمضادة التي كان لا يزال الامراء يرغبون في انفاذها فارسل احد المستخدمين الى دوائر الامرا في موسكو ليقرر لهُ عما يقال فيها عن نابوليون . فاظهروا لهُ بوضوح وبحرية انهم يخطئون الامبراطور الشاب بما عملهُ في تلست وبانحيازهِ الى سياسة فرنسا . وان محاربة انكلترا تضر تجارة روسيا كثيرًا ولا يعوض ذلك الا باستيلائها على الفلاخ والبغدان غير ان نابوليون لا يسمح قط لروسيا بان تستولي على الولايتين المذكورتين الجميلتين

فبلغ السفير هذه الامور الى نابوليون وقال لهُ بتأكيد ان الامبراطور صديق صادق ولكن بلاط روسيا في ذل مهاجرى ولذلك لا سبيل الى الاركان الى صداقة روسيا . فتأمل نابوليون طويلاً بذلك وراى ان اتحادهُ مع روسيا من الامور الضرورية لهُ على ان شدة ميلها الى الاستيلاء على البلدان وادارتها المطلقة تضر جدًّا بفرنسا . اما العثمانيون فخلعوا السلطان سليم ثم حبسوهُ ثم قتلوهُ وكان صديق الامبراطور نابوليون واخذوا في مضادة كل الذين كانوا يميلون الى الاتحاد مع فرنسا وكانت سفرا انكلترا تفرغ جهدها في كل ساعة في ان تهيج الدولة العلية على محاربة فرنسا ولم يكن نابوليون يخاف من توبيخات الضمير ان سلم الفلاخ والبغدان الى روسيا لان الدولة العلية فتحتها بالسيف فلم يرد ان يسلم لروسيا بذلك لانهُ كان يظن انهُ يخطئ بالتسليم بهِ . وكان العثمانيون قد شرعوا في محاربة نابوليون بالاتحاد مع انكلترا الد اعدائهِ واثبتهم وقطع الباب العالي النظر عن توسط فرنسا وجدد الحرب على روسيا فالتزمت فرنسا انفاذًا لمعاهدة تلست ان تجعل جيوشها متحدة مع جيوش روسيا . فبالنظر الى هذه الامور طلب نابوليون الاجتماع بامبراطور روسيا وامبراطور النمسا ايضًا وضع

في متعلقات الشرق . واشار بشروع عظيم جدًّا وهو اتحاد الدول الثلث اي روسيا والنمسا وفرنسا على ارسال جنودهم برًّا الى الهند للحمل على الانكليز فيها وطردهم من الاراضي التي فتحوها . وكانت هذه الامور مهمة جدًّا عند النمسا لان امبراطور يةروسيا كانت قد قللت اهميتها وكانت تود ان تخرج مصب نهر الدانوب وهو الطونه من يد العثمانيين وكانت ترغب في ان تضاد كل المضادة انتقال ملكية ذالك المصب الى يد دولة روسية قوية حال كونها مناظرة لها . فسر الامبراطور اسكندر سرورًا لامزيد عليه بالاجتماع بنابوليون فانهُ كان يعلم ان ضم الولايتين المذكورتين يزيد مجدهُ ويعظم روسيا كثيرًا ويلزم الامرا بان يقبلوا باتحاده مع فرنسا . واشتد اضطرابهُ حتى انهُ قرا تحرير نابوليون المتعلق بذلك وهو يرتجف حبورًا وكان السفير المذكور حاضرًا فانهُ سلمهُ التحرير بذا بيده فقال الامبراطور ما احسن ذلك ثم قرا عبارات اخرى وقال ما اعظم ذلك الرجل ما اعظمهُ قل لهُ انني خصصت نفسي لهُ حياتي بطولها فامبراطور يتي وجيوشي هي مخصصة ايضًا به . واذا طلبت اليه ان يمنح شيئًا لارضا الامة الروسية فلا اطلب ذلك عن طمع لكنني احب ان اخصص به تلك الامة ومولاك قد عرض لي ان يجعل للنمسا صالحًا في اخذ بعض البلاد العثمانية . وقد اصاب وهذه هي الحكمة بعينها فاشترك معهُ بها بحب . وقد تكلم عن الحمل على الهند فاقبل بذلك ايضًا وقد ابنت لهُ في الكلام في تلمست الصعوبات التي تحول دون المرغوب ولكنهُ قد تعود عدم المبالاة بالصعوبات ومع ذلك المهول هناك والمسافات مما لا يقدر ان يدركهُ فينبغي ان يرتاح فانني ساتاهب تاهبًا مناسبًا للصعوبات . ولا بد من الاتفاق على البلاد التي سناخذها من العثمانيين ولا سبيل الى المفاوضة بهذا الخصوص مفاوضة نافعة الا بالاجتماع بنابوليون . وعند وصول ارائنا الى بداية التقرير اخرج من بطرسبرج لالاقي امبراطوركم حيث يريد ولا امتنع عن ان اذهب الى نفس باريز مع انها بعيدة جدًّا . ولكنني لا اقدر على ذلك وان اجتماعنا يكون للاشغال وليس للسرور وربما كنا نختار ويمار حيث تكون مع اعضاء عائلتنا على ان الف شيء يكدرنا هناك ففي ارفور نتمتع بحرية لانتمتع بها هناك فاخبر مولاك بذلك وعند وصول جوابه اخرج حالاً قاصدًا المكان المعين وسافر كالبريد

فهذا هو اصل الاجتماع المذكور الذي اقيم في ارفور وبعد مفاوضات كثيرة طويلة بين سفير فرنسا ووزير روسيا قر القرار على تبليغ نابوليون امرين احدهما متعلق باخذ بعض الاملاك العثمانية وترك البوسفور والدردنيل وكل اسيا واخذ روسيا الفلاخ والبغدان والبلغار والتعويض على النمسا ببوسنه والهرسك وتخرج بلاد اليونان من السلطنة السنية وتدخل تحت حماية فرنسا والوجه الاخر عظيم جدًّا وهو قلب احوال شرقي اوربا واسيا الصغرى وهي الاناضول . فهذه هي الاوهام التي خطر المطامع الروسية بانها تفوز بالحصول عليها وكان نابوليون لا يسلم بها الا رغبة في استمرار اتحاد روسيا لمقابلة عدوان الانكليز ولولا ذلك لما قبل بان يسمع كلمة بهذا الشان ولم يكتف الوزير الروسي في ذلك الزمان بهذه الامور ولكنهُ قرر انقلاب الشرق وحصول روسيا على البلاد العثمانية الاوربية وكل ما هو مجاور لها وان تعطي النمسا قسمًا مهمًّا من تلك البلاد وكل اليونان وجزائر الارخبيل وبوغاز الدردنيل وقبرص وسورية ومصر لفرنسا فهذه هي القسمة الخالية من كل حق وكل عدل والعارية عن مراعاة مشارب الاهالي والمستندة الى مجرد الطمع وقيام صالح بدوس صوالح

التي لم يمكن الله تلك الدول قبل ان تغيرت سياستها واصبحت تظهر رغبتها التامة في المحافظة على الحالة الجارية من الفوز بها فانه القى الشقاق بين اولئك الاعدا الذين اصبحوا اصدق الاحبا واشد المحافظين على الحالة الجارية . فهذه هي الاراء التي ارسلت من روسيا الى فرنسا ليتامل نابوليون بها. غير ان روسيا كانت تعلم ان العمل يجلب اللوم عليها والتنديد وكذلك سفير فرنسا فتقرر كتابة تلك الارا العدوانية في ورقة بدون امضاء . واشتدت عناصر الطمع في احشاء الامبراطور اسكندر الروسي ونظر بافتخار وسرور الى ذلك المجد فسلم الورقة الى سفير فرنسا ليبلغها الى الامبراطور نابوليون وهو يقول قل لنابوليون انني مرتض كل الارتضاء بهذه الورقة وهي ناتجة عن اراء الوزارة الروسية الصحيحة . فلما وصل التحرير الى نابوليون وقرا القرار امتنع حالاً عن قبول احداث انقلاب تام فانه لم يكن يرتضي بان يعظم روسيا ذلك التعظيم بالحصول على احسن مراكز الدنيا وكان يفضل انقطاع الاتحاد الذي كان جارياً بينه وبين روسيا والرجوع الى محاربتها على ان يلقي اوربا في عبوديتها . وقد قال الامبراطور اسكندر ان القسطنطينية مفتاح بيتي وقال نابوليون انما هي سلطنة العالم . ومن المعلوم ان انضمام الاملاك الاوربية الشرقية الى روسيا يمكنها من الاستخفاف بكل عدو ويصبح البحر الاسود خليجاً روسياً لا يقدر احد ان يدخله

واصبحت النمسا في اضطراب عظيم لانها كانت تخاف الاراء الحرة التي كانت فرنسا تذيعها في كل مكان وكانت لا تتعزى بعد ان خسرت ايطاليا بسيف فرنسا وامست في خجل من جرى انكسارها في الولم واوسترليتز وكانت تخاف جداً تعديات الامبراطور اسكندر الروسي مناظرها العظيم حال كونها لم تكن قادرة على ان تحارب فرنسا ولو كانت روسيا معها فكيف تقدر ان تصد روسيا وفرنسا . وكانت دول اوربا تكره انكلترا بعد تصرفاتها في عاصمة الدانيمرك ومع ذلك لم يكن للنمسا امل بارجاع ايطاليا وتاخير نمو روسيا الا بمساعدات انكلترا . وخابر نابوليون النمسا بوضوح لانه لم يكن سبيل الى الحيل . وكان يحب فعلاً ان يعقد اتحاداً بين النمسا وفرنسا وروسيا بالمساواة التامة ليلزم انكلترا بان تصالحه . فانه كان يرغب في ان يتمكن من الزمان اللازم ليرقي اسباب التقدم في فرنسا ويجعل امبراطوريته العظيمة جنة الدنيا . وكان قد ضجر من المحاربة وكل اوربا ضده فكان يرغب في تضحية اعز الامور لاستمرار السلام . وقد قال ان انكلترا الد عدوة للسلام فالعالم لم يطلب الراحة ولا تقدر تلك الدولة ان تثبت في مضادة اجماع اواسط اوربا . ولم تكن حكومة النمسا حينئذ سليمة الباطن فاتحدت معها بعد تردد عظيم . وبعثت الى انكلترا رسولاً وفوضت اليه امرين احدهما لتسمعه اوربا والاخر سري . فالاول ان فرنسا قد قررت شروطاً موافقة للسلام بتوسط روسيا واذا امتنعت عن قبول السلام لا بد لكل الدول من ان تضادها . والاخر ان النمسا امست وحدها في اواسط اوربا فلا تقدر ان تضاد روسيا وفرنسا وانها اذا اصرت على الحرب لا بد من ان تخسر اعظم اصدقائها . وفوض ايضاً الى ذلك الرسول بان يقول ان ما جرى في عاصمة الدانيمرك هو تعد كدر جداً كل دولة متحايدة

الفصل الثامن والثلثون

ايطاليا واسبانيا

وفي تلك الاثناء خرج نابوليون من باريز ليسافر في ايطاليا وكان يسير من مدينة الى مدينة

بسرعته الاعتيادية بدون ان يتمتع بالراحة . وكان يقرر اعظم الامور النافعة بلحظة يصر وذلك بالاصابة. وخرج من باريز في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٠٧ وسارت زوجته جوزيفين معه وفي نصف الليل من ١٥ الشهر المذكور قال نابوليون لاحد اعوانه بعد ان انتهت مادبة جميلة اقيمت في القصر اعد مركبات الساعة السادسة صباحاً لنذهب بها الى ايطاليا . ولم يخبر احد بسفره قبل ذلك حتى ولا جوزيفين امرأته لم تسمع به قبل صدور ذلك الامر . وفي صباح ٢١ من الشهر المذكور دخلت مركبته اسواق ميلان من ايطاليا فتعجبت اوجيين لما رأته ومجال وصوله في الصباح دخل كنيستة ميلان واقيمت صلوات شكر . وكان يسر على الدوام بدق الاجراس وانغام الارغن وغير ذلك من الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في اعظم الكنائس واشدها تأثيراً في الذين يحضرون فيها وكان جدياً لا يسر بالملاهي واسباب الطرب وكان تبسمه قليلاً جداً . وانواع ما يحاكي الحزن تلوح على الدوام على وجهه واعماله كلها خالية من التصنع والتكلف . وبعد الظهر زار نائبة الملكة وهي عروس اوجيين الجميلة الكريمة وفي المساء سار الى قاعة التشخيص ليراه الايطاليان ولم يكن يلتذ بالتشخيصات المضحكة ولكنه كان يسر جداً ويلتذ بالتشخيص الجدي المؤثر . وجمع اعضاء المجلس القضائي وخاطبهم بما ترجمته

يا سادتي انني اراكم بسرور وحول عرشي . وقد فرحت جداً بما رأيت من تقدم شعبي بعد ان غبت عنه ثلث سنوات . ولا بد من القيام بامور كثيرة قبل ان نمحو اغلاط سلفائنا فتصبح ايطاليا اهلاً للمستقبل العظيم المحفوظ لها . فانشقاقات اجدادنا الكثيرة الناشئة عن مضاداتهم الدينية وحبهم للخصوصيات المحلية ساقتهم الى خسارة كل حقوقهم . فسلبت مركز البلاد الموروث منها مع انه اتصل اليها من الذين عاشوا في القرون البعيدة واذاعوا شهرتهم الحربية وفضائلهم فمجدي ملكي ارجاع ذلك المجد وتلك الشهرة . انتهى. ولم يسمع الايطاليان كلاماً جميلاً كهذا الكلام منذ قرون كثيرة . . . . .

والايام الثلثة التابعة صرفها في معاطاة الاشغال واصدار اوامر لا تحصى . ولما قطع جبل سنس بالطريق الجديدة التي انشاها رأى انه ليس في تلك الجبال الثلجية المجرد اسباب الراحة للمسافر فامر ببنا ثلثة مراكز . احدها على قمة الجبل والاخر عند بداية مكان الصعود في كل من الجانبين وامر ببناء كنيسة في القمة وخان ومستشفى ومحل لنزول الجنود . وامر باعفاء كل فلاح ينزل في تلك المراكز من الرسومات وكل الاموال الاميرية وشرع في انشاء قرى فيها بوضع جنود في كل منها وسلم اليهم ترميم تلك الطرق الصعبة والاجتماع لمساعدة المركبات عند حدوث ما تلزم له مساعدة . وفي ايام قليلة قام باعمال لا تقدر اكثر العقول ان تقوم بها الا في اشهر فقي ١٠ كانون الاول (ديسمبر) خرج قاصداً فينيسيا وهي البندقية وكان الاهالي يكرمونه ويضجون مفرحين به في كل مكان . وقابل في الطريق ملك البافاريا وزوجته وهو حموا وجين بيت جوزيفين زوجة نابوليون وصادف شقيقته ايليزا واخاه جوزف وكان نابوليون يحبهما حباً شديداً فساروا معاً بعظمتهم واحتفالاتهم قاطعين جبال ايطاليا العظيمة الجميلة واوديتها . ولما وصل الى البندقية رأى ان الحكومة والاهالي قد اقاموا باستعدادات عظيمة لاستقباله وقد نشروا الرايات واقاموا بجميع اسباب التزيينات فسار الجمهور به في شوارعها وهم يضجون متهللين والموسيقات الجميلة تصدح بانغام ايطاليانية مطربة وكان مع

الامبراطور نابوليون نائب ملك ايطاليا وعروسة الكريمة وملك بافاريا وزوجته وملك نابولي واليزا برنسس لوكا وامراة كراندوق برج وبرثيه كراندوق نوف شاتل. وكانت البندقية تفتخر بخلاصها من قوانين ظالمة وتتمنى ان يضمها نابوليون الى مملكة ايطاليا المحبوبة عنده . وفي وسط تلك الاسفار والولائم العظيمة كان نابوليون موجهاً كل قواه الى الانشاءات العظيمة النافعة وزار اماكن بناء المراكب وصنع الاسلحة والترع ومعه مهندسون مشهورون . وشرع في الحال بانشاء عظيم وهو ان تصير مياه البندقية كافية لعوم المراكب فيها ولو كانت كبيرة جداً واقام عمدة للمحافظة على الترع اي لترميمها واقام مكاناً لاربعة وسبعين بارجة غير كبيرة وحفر ترعة عظيمة وعمل اعمالاً مائية عظيمة. وانشا فرضة حرة

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

وهو على جانب عظيم من الصحة والقوة. قالت هل غبتم زماناً لاقامتك في انكلترا . قالت لا لانني سافرت بغتة . قالت ذلك ونظرت الى ابنها فانه كان قد نام في حضن الخادم . قالت اختها ان تعيين الزمان بالكتابة سهل وعندي انك قد اتيت لتبديل الهواء بسبب ضعف جسمك فالاوفق ان لا تعودي الا بعد ان تتقوي وترجعي الى ما كنت عليه . ثم قالت امها لا ريب في ان ويلوكبي يعطيك معيناً كثيراً فانكم كنتم تعيشون عيشة فاخرة فان بيتكم فيها كان كقصر اما هذا الواقع . ان امها كانت تحب ان تعرف هذه الامور. فاجابت اوجينا بصوت ضعيف ان بيتنا كان كبيراً جداً . قالت امها ان القبطان اوسوالد اخبر انتوانت بذلك لما قابلته في سوثمبر واظن انك تعلمين ان عائلة لنيوكس لا تزال تعيش في سوثمبر وقد افرغت جهدي في حملها على ان تاتي الى هنا لتعيش معي غير ان فايرمباد ليس فيها من اسباب الحظ ما ترتضي انتوانت به فاذا انتها تبيت كانها خارج الدنيا . فقالت اختها هل عرفت القبطان اوسوالد في كالكوتا . فقالت بصوت منخفض جداً غريب هل هو هنا. قالت امها ما بالك يا بنتي هل تشعرين بانه سيغمى عليك . فبادرت ماريون الى عضدها بذراعها فقالت اظن ان مقصودك انه في سوثمبر . قالت لا اعلم غير انني اظن انه ذهب الى هناك ليزور بعض الاقارب . وقد عرفنا من اخبار انتوانت انه كان يعرفك حق المعرفة غير انه ربما كان يفتخر بذلك . قالت هذا صحيح فانه عرفنا جميعاً وتناول الطعام في بيتنا . فهل تظنين انني ارى في انكلترا كثيرين من الذين كنت اعرفهم في الهند . قالت هذا هو المرجح فان الناس ياتون من الهند ويذهبون اليها كل يوم في هذه الايام الا ترغبين في ان تريهم . قالت انني ضعيفة ولا اقدر ان اطيق اجتماع الناس بل اطلب الراحة التامة . فقالت شقيقتها بتبسم ان عندك من الراحة بالانقطاع عن الناس اكثر مما تطلبين في هذا المكان ومن المؤكد عندي انك لا ترين هنا احداً من الذين كانوا

يعرفونك في كالكوتا ما لم تطلبي اليهم ان ياتوا اليك فاننا نكاد لا نسمع اسم الهند . ولم نر من الجرائد والتحريرات الاماكان يرد الينا منك . فقالت اوجينا بصوت منخفض نشكر الله غير ان شقيقتها لم تسمع ذلك فانها كانت تكلم امها قائلة اذا كانت اوجينا ترغب في الهدو والراحة فالاوفق ان تبقى عندنا الى ان تتقوى هل تسمحين بذلك . فاجابت بافتخار ان المامول ان اوجينا وكلاًّ من ولديها يعرف ان بيتها هو له مادام لها بيت فتقرر ان تبقى اوجينا وولداها في اش كروف عند امها الى ان ترجع صحتها الى ما كانت عليه قبلاً . فسرت مسزاليوت وهي شقيقتها ماريون بهذه البشرى سرورًا لا مزيد عليه وقالت ان بنتي اما تعود في الاسبوع القادم فتعتني بولديك فتصبحين لا تهتمين بهما فانها تحب الاولاد جدًّا فعند ذلك تصبحين خالية من الهم والتعب فيزول الضعف عنك . ولما رات ان اوجينا تكلفت التبسم ارضاء لها عرفت ان المرض ليس في الجسم فقط فقالت وفي هذه الفرصة نجتمع دائمًا ونتكلم فيعود الاركان الى ما كان عليه فتقرا كل منا قلب الاخرى ونحاول معالجة مرضه . فتكلفت التبسم مرة اخرى وشدت بيدها على يدها بدون ان تجيب بشي

الفصل الرابع

فمضت ايام بعد ذلك بدون حدوث ما يستحق الذكر ولم يظهر تقدم في صحة اوجينا غير انها استانست بمعاشرة امها وشقيقتها فان الفراق ولو كان قصيرًا يبعد قلوب الاصحاب . وفي ذات يوم صباحًا قالت ماريون لاختها اوجينا بعد ان تناولن الطعام صباحًا وامها صامتة على غير عادة يا اوجينا لا تخرجي لانني ارغب في ان اكلمك بشيء . ثم امسكتها بيدها وذهبت بها الى ظل نافذة وقالت يا مهجتي اظن انك تحتاجين الى خادمة بعد زمان قصير وانا اعرف فتاة تناسبك كل المناسبة واسمها سوزان وليمز وقد خدمت في هذا المكان منذ برهة عندما زارتنا انتوانت وجاءت بستة اولاد بدون ان تاتي باحد ليعتني بهم . ولا ريب في ان ولديك يسران بها ويتعلمان امورًا مفيدة من الالعاب وغيرها وهي الان في بيتها فهل ادعوها اليك . فقالت انني احب ان اراها غير انه ربما كان ذلك من باب وضع الشيء في غير محله فانني اظن ان امي لا تحب ان يكون معي خادمان في البيت في وقت واحد . فقالت الا ترغبين في صرف ذلك الرجل . قالت لا اعلم اي متى اقدر ان اصرفه فاننا لم نقرر شيئًا وقد رايت ان الولدين قد تعودا معاملته و . . . . قالت ماريون قاطعة حديثها يا عزيزتي ان صرف هذا الرجل خلاص لولديك فانه لا يفيدك فالولدان ينامان في فراشك وانت تعتنين بتلبيسهما ثيابهما في الصباح وبملاحظتهما النهار بطوله وذلك الكسلان لا يفعل شيئًا ولكنه ياكل ويملا المطبخ بدخان التبغ . قالت اوجينا بئس العادة وقد تعلم التدخين من الملاحين . قالت فيا عزيزتي قد ظهر لك انه لا يفيدك فسوزان المذكورة تعرف واجباتها فتقوم بها وانا لا احب ان اراك كالخادمة ولا ريب عندي في ان زوجك لا يرتضي بذلك الم يعين زمانًا لرجوع الخادم دون مون الى كالكوتا . قالت لا غير انني اقدر ان اصرفه . ثم اظهرت اقتدارها على صرفه بسرعة خوفًا من ان يتداخل احد باشغالها . ثم قالت من العاده الجارية ان يبقى هولا الخدم الى ان يرجعوا بخدمة احد.

فقالت ماريون من الواجب ان تعلني في الجرائد ان خادمك الهندي راغب في الرجوع الى الهند بخدمة احدى العيال الذاهبة اليها . قالت ولوائح الاضطراب

تلوح على وجهها ماذا افعل هل فعل دون مون ياترى ما يكدرك انت او يكدر امي. قالت لابد من ان اجيب سوالك باظهار الواقع . قالت ماهو ياترى اجابت ان امي قد تكدرت منهُ جدًّا على انها لا ترغب في ان تخالفي الاتفاق الذي عقدتهِ بينك وبينهُ ولا ان تصرفهِ قبل ان يحصل على خدمة في مكان اخر وعندي ان الاوفق ان توبخيهِ . فقالت باهتمام ماذا فعل ياترى . قالت انهُ قد فعل ما لا يعذر فيهِ وقد تعدى على الخادمتين ولا سيما الخادمة الجميلة المسماة ماري آن وهي التي تخدمنا عند ما نتناول الطعام . ففي هذا الصباح قد اتت والدتي باكية وطلبت ان تعفى من الخدمة في الحال وهذا لا يوافقنا واظن انهُ قد خدعك لانهُ يفهم اللغة الانكليزية وقد قالت الخادمات انهُ قد كلمهن بها . فقالت يا الهي ماهذا الخطا . قالت اختها اظن انهُ لا يقال ان ذلك خطا بل انهُ جهل وفساد . قالت ماذا فعل ارجوك ان توضحي المقال . اجابت انهُ صادف ماري آن المذكورة في الظلام وهي ذاهبة الى فراشها فامسكها بيدها ووضع يدهُ على وجهها ملاعبًا فنفرت منهُ وبكت لانها فتاة عفيفة انكليزية لا تطيق ان يعاملها هذه المعاملة وقد تكدرت لكدرها فماذا ياترى نقول لخطيبها . فقالت اوجينا وقد احمر وجهها ثم اصفر ثم احمر لا بد من ان يصرف اه يا شقيقتي قد كدرتني جدًّا بخبرك فانني ارى ان مجيئي قد اوقعكم في كدر بسبب ذلك الرجل . قالت لم تاثري بهذه الاتعاب والذنب ذنبهُ غير انني متحيرة من احضارك رجلاً كسلانًا قبيح الخلق والاخلاق لا ينفعك في شيء وسترين الفرق عندما تستخدمين سوزان وعلى كل حال لا بد من الثاني . الا تقدرين ان ترسليهِ الى احد المعارف في لوندرا الى ان يجد مكانًا يتخدم فيهِ فاستحي لي بان اكتب الى عمي جورجي بذلك . فاجابت بسرعة لا لا انني ادبر الامر فلا تشغلي نفسك بهِ فانني لست بمحتاجة الى المساعدة ولا اقبل بهِ غير انني اطلب اليك ان تعتني بولديَّ بومبن فاذهب بهِ الى المدينة وادبر لهُ اسباب الرجوع الى كالكوتا . قالت انني لا ارى لزومًا لهذه المشقة . فقالت انني راغبة في ذلك وقد وعدت هنري بهِ . فتعجبت شقيقتها من كلامها ومما راتهُ من التغيير في لون وجهها على انها تركتها وشانها وسارتا الى مخدعيهما

اما ماربون ففتحت نافذة مخدعها ووقفت فيها واخذت تنظر بلذة الى الخضرة التي زينت الجنة بها وصرفت نصف ساعة على تلك الحال واذا بشقيقتها اوجينا قد خرجت من باب الدار ووراءها الخادم الهندي حاملاً ابنها الصغير وسارت نحو اشجار ملتفة فنظرت اليها نحو دقيقة بدون ان تلاحظ شيئًا مخصوصًا من امرها غير انها رات ان البنت الصغيرة لم تكن معها وعند وصولها الى الطريق بين تلك الاشجار اعطى الخادم الصبي لامهِ فاخذتهُ منهُ بهدوء . فعند ذلك تذكرت ماربون تصرفات الخادم المذكور فجرى الدم باردًا في عروقها وعلى الخصوص بعد ان رات من كسلهِ ومن انقياد شقيقتها اليهِ ما رات فخرجت من مخدعها وصممت على تتبعها وهي تقول في نفسها انني لا اسمح لهُ بان يعامل شقيقتي كانهُ سيدها فاذا لم يخجل مني ويقوم بخدمتهِ تخجل هي وتجعلهُ يقوم بها ثم سارت الى مخدعها وقالت لتابني البنت الصغيرة البسي ثوبك وبرنيطتك وهيا بنا الى الجنة انمشي فيها الا ترغبين في مرافقة عمتك . فقالت البنت الصغيرة ان امي لم تفطن بي فذهبت هي والخادم واخي وتركتني وحدي هنا . فقالت اننا نركض الى ان ندركهم ونسالهم عما حملهم على ان يعاملونا هذه المعاملة . فسرت جدًّا البنت الصغيرة بذلك واتت بثوبها وبرنيطتها ووقفت قبالة عمتها

منتظرة الخروج بفروغ صبر

وفي اثناء ذلك كانت اوجينا المضطربة بسبب الخوف من سوء العاقبة وخيانة ذلك الرجل المتخفي بلباس خادم قد دخلت معهُ بين الاشجار الملتفة . فقال لها ماذا حملك على ان تاتي بي الى هنا يا ترى . قالت بغيظ واضطراب قد اتيت بك لابعدك عن الناس لاكلمك بامر مهم لا اقدر ان اوضحهُ باللغة الهندية فياهنري لابد من ان تخرج حالاً من اش كروف فانهُ ليس بملجاء لك . فقال ومن هو الذي يامر بذلك . قالت انا وامي وكل الذين فيهِ وقد اوصيتك بان تكون على حذر وتيقظ وتعقل فلم تحفل بوصيتي وقد جعلت الخادمين اعداءك وكل يوم يزيد خطرك فان تصرفك المتعلق بماري آن خالٍ من كل حكمة . فقال بصوت منخفض انها لحمقا صغيرة . قالت انني قاطعة النظر عما يتعلق بي من خيانتك لا جهة حاسياتي ويحق لي ان اضف عملك بجملة اخرى على انني اوبخك بتصرفك الخالي من الحكمة والناموس وقد نشا عن غلطك وخطائك العظيم ضرورة خروجك من هذا المكان قال واذا فرضنا انني لا احب ان اخرج منهُ . قالت لابد من ذلك فان الخطر محدق بك . فان اهلهُ قد شكوا في امانتي وامسى امرك في خطر بين من الظهور وامي ترغب في خروجك منهُ . فاذا امتنعت عن اجابة طلبها تتسبب الي اموراً تعود علينا بالضرر فلا بد من ذهابك في الحال . فقال لاوجينا وهي زوجتهُ باستهزاء قد اغظتني بكلامك وبقولك لابد من الذهاب فمن علمك هذا الكلام واظن انني اقدر ان اقابلهُ بكلام اخر مثلهُ . فقالت تلك المراة المنكودة الحظ اه ياهنري لاتسمعني هذا الكلام وانت عالم بانني اشور عليك بما فيهِ صالحك . وفعلك مخالف للكلام الذي قلت لي ان ابلغهُ لامي فكيف

لا ترتاب في امرك . الم تقل لي انهُ ينبغي ان اتظاهر بجهل اللغة الانكليزية ومع ذلك قد نسيت صالحك وتكلمت بها في المطبخ . فماذا يقول الناس عني عندما يرون انني اكذب الا ينسبون ذلك الى غايات . فهذا يخجلني . قال انني لا اريد ان اسمع تبكيتاتك ثم قال بغيظ ان كل ما جرى هو انني حاولت تقبيل تلك الخادمة الحمقا فتشكت الى سيدتها فلتنشلك وفي المرة الآتية لا تهتم بهذا الامر قدر اهتمامها بهِ هذه المرة وقد رايت انها سرت بذلك ولا اعبا بمضادتها ونفورها . فنظرت اليهِ باستخفاف واحتقار وقالت لهُ كيف تقدر ان تحط شانك وتدني قدرك بهذه الاعمال . ولم تكن تحفل بزوجها لانهُ فعل ما حملها على احتقارهِ والاستخفاف بهِ فماتت عواطفها الحبية ومع ذلك كانت تفضل كل اهانة على هذه الاهانة والنسا تحتمل من ازواجهن اهانات كثيرة ومنهن من يشعرن بالم الضرب بالاعتصام بالصبر الجميل غير انهن لا يسمحن بشيء من حقوقهن ولو كن لا يطلبن الحصول عليها لا بل لو بتن يكرهنها بسبب بغض ازواجهن . فقالت الا تخجل ثم بكت من الكدر والغيظ وقالت الا تكتفي بان تلقي على عاتقي اتعاباً لم تحتملها امراة وتزيد هي باهاناتك . وقد صممت على ان اقطع هذه الاسباب بخروجك من هذا المكان حالاً فان لم تخرج مراعاة لصالحك اخرج مراعاة لصالحي . فاجاب بحدة انني لا اخرج فاعتذري الى امك بما يناسب ولا اخرج الا بعد ان يزول الخطر الاول ما لم ارَ شيئاً موجباً لتغيير عزمي . فاغتاظت واحمر وجهها ولاحت لوائح ثبات العزم عليهِ وقالت لا بد من ذلك واذا لم تخرج ساتخذ الوسائل اللازمة لاخراجك فامسك يدها بغيظ وقال لها انك ستقومين بذلك غير انهُ ينبغي ان تتذكري ان يوم محاولتك ذلك يكون اردا الايام التي راها اولادك

وعند ذلك صرخت اوجينا فسمعت صوتها ابنتها تابني وهي في بداية طريق الاشجار الملتفة فلما راتها على تلك الحال خافت ورجعت الى عمتها التي كانت اتية وراءها وقالت ياعمتي ياعمتي اسرعي ان امي تبكي ودون مون قد اضر بها فلما سمعا ذلك منها ابتعد احدهما عن الاخر بسرعة بعد ان اجفلا واخذت اوجينا في ان تسير الى جهة شقيقتها فتلاقتا في بداية الطريق . فقالت اوجينا ماذا تقول ياترى هذه البنت الحمقا وتبسمت لتستر الحقيقة فنظرت شقيقتها الى عينيها الحمراوين ورات اضطرابها . فقالت البنت الصغيرة يا امي راينه يشد على يدك ليوجعك لماذا اوجع يدك اللطيفة هل تالمت كثيرًا وهل بكيت بهذا السبب . فقالت امها لا لا يابنتي العزيزة واحنت ظهرها لتقبلها وتخفي اضطرابها . ثم قالت انه عند ما احمل اخاك يبقى يدًا من يديه في يد دون مون فكيف يقدر دون مون المسكين ان يضر بامك . فسمعت اختها هذا التوضيح ولكنها لم تصدقه فقالت لها بجد يا اوجينا ما هو سبب تسلط ذلك الرجل عليك ماذا ياترى جعلك تسمحين له بان يتصرف التصرف المغاير الذي نرى اثاره . ولم تخطر الحقيقة لماريون ببال اي انه لم يخطر لها انه زوجها ولكنها تذكرت اخبار عصيان الهنود على الانكليز والقبائح التي ارتكبوها فهذا هو كل ما خطر لها ببال . على ان ضمير اختها جعلها تفهم من كلامها غير المقصود منه فقالت باضطراب وقلق ما هو تسلطه اوضحي المقال كيف يكون له تسلط عليَّ انه رجل مسكين من بنغال فكيف يقدر ان يضربني او ان ينفذ امرهُ ماذا يحملكم جميعًا على ان تكلموني بما لا افهم معناهُ . ثم اخذت تبكي على غير ارادتها بسبب ضيق حالها وكدرها . فقالت ماريون لها انك تنكرين تسلطهُ واراهُ قادرًا ان يجعلك تبكين فكيف يتجاسر على ذلك بالتهديد او بعصيان امرك قالت انه لا يبكيني ولكن ضعفي وحماقتي يبكياني وقد كلمته عما كلمتني عنه . قالت ماريون وعن وجوب خروجه من هذا المكان فهل قلت له انه لا بد من ذهابه وعند ما التقينا سار الخادم المذكور الى جهة اخرى فتكلمنا عنه بحرية . ثم قالت ماريون بثبات عزم هل قلت له انه لا بد من خروجه . فاجابت بتردد ياماريون انت تعلمين انه ليس من العادة ان يفعل الناس هكذا وقد اتيت هذا المكان منذ ١٥ يومًا فقط و . . . و . . . . فقالت بكدر الظاهر انك لم تبلغيه ذلك . قالت كيف لا وقد بلغته اياهُ ووبخته على ما فعله عند ما امسك ماري آن واظن انه لا يعود الى ذلك . هذا هو المأمول فهل تكرمين بتبليغ ذلك الى امي . قالت ماريون انه لا ينبغي ان نمكنه من ان يعود الى قبيح فعله فماذا ياترى غير عزمك فانك قلت في هذا الصباح انه لابد له من الخروج . قالت هذا هو الواقع ولا ازال مصممة على انفاذه غير انني فهمت منك ان امي لا تريد ان اصرفه بسرعة بسببها ولما آتِ هذا المكان الا منذ برهة قصيرة ودون مون يحب الاولاد (اشارت ماريون بانها لا تصدق ذلك) وهو خادم قديم خدم عند زوجي وظننت ان هنري لا . . اي انه ربما كان . . . . وعند ذلك القت بنفسها على اختها واستخرطت في البكاء وهي تقول لها لا تنظري اليَّ باحتقار ياعزيزتي ولا تسخري بضعفي وحماقتي فانك لا تعلمين صعوبة التصميم على ما هو اوفق . قد قلنا ان ماريون كانت على جانب عظيم من الحنو والحب والخلوص وكانت تحب اختها محبة شديدة فانتصرت عليها بدموعها وما ظهر من ذلها وارتباكها فقبلتها وضمتها اليها وصممت على ان لا تتعبها بعد ذلك بشان خادمها الهندي لانه ظهر لها ان الذي حملها

على احتمالهِ الخوف من تكدير زوجها الغائب الذي جعلها تبقي خادمها عندها مدة وسارت باختها الى البيت . واجتمعت ماريون بامها وجعلتها تقلع عن المداخلة في هذا الامر وعندما التقين في قاعة الاكل في المساء لم يبق في ذهنها من تكديرات الصباح غير شيء قليل وسالت بنتها بحنو عن سبب ورم جفونها وقلة قابليتها . وبعد ذلك ببرهة قصيرة ورد اليها تحرير سرت جدًّا بوجولت كل افكارها اليه وقالت بفرح لبنتيها ياعزيزتي قد ورد اليَّ تحرير قصير من بنتي انتوانت العزيزة وفيهِ انها تكون هنا غدًا بعد الظهر بثلث ساعات في المركبات النارية فقالت ماريون بتعجب وكدر ماذا ياترى ياتي بها الى هنا الان في هذا الزمان وكانت لا ترغب في ان تجعل انتوانت ترى شقيقتها اوجينا وهي ضعيفة الجسم قليلة الصبر خوفًا من ان يكون ذلك سببًا لتنكيتها وكانت شقيقتها من الام فقط . واثر الخبر في اوجينا بسبب زوجها لانهُ كان يخاف ان تعرفهُ ولو كان لابسًا كخادم هندي لانهُ كان قد اجتمع بها قبل اقترانهِ بشقيقتها وظنت ان حضورها ربما كان يؤثر في حركاتهِ . فقالت ماريون بعبوسة اين كانت والظاهر انها تصمم على الحضور بغتة وفي اقل الاوقات موافقة لحضورها . قالت لا ارى شيئًا خارقًا للعادة في رغبتها في الاجتماع باختها بعد ان غابت عنها ست سنوات طويلة ولم تخبرني عن المكان الذي كانت فيهِ ولكنها تقول انها تاتينا غدًا . فقالت اوجينا بتردد هل تطيل الاقامة هنا . قالت امها ياحبذا اذا اطالتها . اما ماريون فقالت ياحبذا اذا رجعت يوم وصولها . ولم تتفق ماريون وامها . وكانت انتوانت من النساء اللواتي يحببن الجولان فكانت تقصر الاقامة في كل مكان . واخبرت اوجينا زوجها بذلك . فقال في الحال انهُ لا بد من ان يذهب الى لوندرا في المركبة التي تسافر صباحًا ومن ذهاب اوجينا امرأتهِ معهُ . فقالت كيف تذهب غدًا بعد ان جعلتني اخبر امي وشقيقتي بما اخبرتهما بهِ عن وجوب اقامتك مدة عندي ان ذلك غير ممكن وقد فات الزمان فان السهرة قد مضت وذهابي يجعلها تقولان انني مجنونة ومن يعتني بالوالدين . قال انني لا اقدر ان احفل بما تقولانهِ عنكِ فساذهب نهار غد بمركبة الصباح فاخلقي لها خبرًا موافقًا فانني افضل الالتقاء بذلك الرجل الشيخ على الالتقا بانتوانت . قالت من المؤكد انها لا تقدر ان تعرفك بهذه الثياب ولا سيما حال كونها تظن انك في الهند . قال انني لا احب ان اعرض نفسي لذلك وعندي انها تعرفني ولو مسخت قردًا وهذا كافٍ ولا بد من ذهابك معي لقطع اسباب الشكوك . وفضلاً عن ذلك انني انتظر ان تاتي بالمهمات اللازمة لقيام الحرب الى ان يقرر السلام . قالت هل تشهر حرب لاجلنا ثم تنهدت . قال كيف لا تشهر اذا امتنعت عن التردد وافرغت جهدك في اكتساب جيوفري كاردن . فاحمر وجه زوجتهِ المصفر وقالت انني لست بقادرة على ذلك فلم يسمعها لانها تكلمت بصوت منخفض وكان قد غلب النعاس عليهِ . وفي الصباح سمعت ماريون صوت حركة في مخدع اختها قبل الظهر بست ساعات فانحدرت اليها وانثنت متعجبة لما راتها تضع بعض امتعة في صندوق صغير قالت لها اه ياماريون هل تطلبين الى سوزان وليمزبان تاتي وتعتني بولدي بضعة ايام انني ذاهبة الى لوندرا في المركبة التي تسافر قبل الظهر بثلث ساعات . قالت كيف هل تذهبين اليوم الى لوندرا ان هذا الخبر لعجيب الا تعلمين ان اختك انتوانت تكون هنا اليوم فماذا تقول امك ياترى . فقالت تشنعين

بي اليها واظن انني اعود قبل ذهاب انتوانت وساخذ دون مون معي وسارجع بعد ان اقرر احواله. قالت ماذا يا ترى يقول زوجك اذا عرف بذلك اما قلت لي امس ان . . . . فاحمر وجهها وقالت انني تاملت في هذا الامر والاوفق ان اذهب به حالاً اليوم وقد صممت على ذلك . قالت اظن ان امي ستقول ان هذا غير المنتظر وغريب . فقالت لا بد من ذهابي وبعد ذلك اجتمعتا بامها فاجتهدت في منعها والحت عليها وبينت غرابة اعمالها ولم ينقطع الجدال الا عند وصول مركبة لنقلها الى المحطة الاولى

الفصل الخامس

وبعد ذهابها اطالت اختها التفكر في غرابة تصرفها فاهملت واجباتها ودخلت امها تلك مرات الى قاعة الاكل لتبين ان بنتها فعلت ما يضاد الحنو بالذهاب يوم حضور اختها انتوانت لتقوم باشغالها في المدينة وانها لا تعلم ماذا يحل بالولد بن المنكودي الحظ اذا امتنعت لوزان وليمز عن ان تعتني بهما . وقالت مرتين بصوت مرتفع انها لا تجد معيناً ليعينها على الواجبات التي باتت لا تقدر ان تقوم بها من جرى الكبر قبل ان انتبهت ماريون اليها وقالت لها انها تحب ان تساعدها . ولم تكن تفتكر في اثناء القيام بالشغل لا به ولا بالولدين ولكنها كانت تعيد التامل في ما راته من اضطراب شقيقتها اوجينا وقلقها وما سمعته من اخبارها المتناقضة فحكمت بانها ليست على استواء في التصرف غير انها لم تكن تقدر ان تعرف حقيقة السبب . فكانت تقول تارة ربما كانت شقيقتي قد صادفت في عيشتها البعيدة عنا من المضادات والصعوبات والذل ما لا نعلم شيئاً عنه حتى باتت ضعيفة العزم كثيرة التقلب بعد ان كانت مشهورة بالاقدام والثبات والجسارة . وطوراً ان الاختلاط بالناس والابتعاد عن المعارف والاهل غير احوالها فصارت ذات تصنع وتكلف بعد ان كانت سليمة القلب ثم تنفي عنها كل هذه الافكار بقولها انها من المستحيل فان شقيقتها ولو اخطات يكون خطاؤها ناشئاً عن التمسك بعرى الصدق . وانها اذا كتمت شيئاً عنها لا يكون الا خيبة املها من سعادة الحيوة وكدرها . فقالت بتنهد هي عزيزتي المنكودة الحظ ثم خرجت من قاعة الاكل لتعتني بولديها الى ان تحضر الخادمة لوزان . ثم قالت كنت اظن انها في حالة اسعد فيا حبذا اذا اخطات بتخميناتي . وظهر كدرها حتى ان تابني كانت تسالها عن سبب انقطاعها عن ان تلعب معها وتضحك

وبعد الظهر وصلت انتوانت وامست ماريون في صعوبات كثيرة لان انتوانت اخذت في ان تجعل لغياب اوجينا اختها تاويلات وتفسيرات وان تتهمها بامور التزمت ماريون ان تدفعها كلها وحدها لان امها لم تسعفها في شيء ولكنها كانت جالسة قبالتها وهي تنظر اليها باستحسان وتظن ان كل كلمة من كلامها نبوة . وكانت قد سافرت وحدها بحسب عادتها لان مرافقة زوجها كانت تمنعها عن ان تفوز بكل اسباب حظها وكانت تقول ان الاولاد ثقل لا يحتمل . اما الذي كان يراها في بادئ امرها فكان يرى فيها ما يحق لامها ان تفتخر به فانها كانت جميلة ولابسة الملابس بحسب الزي الاخير غير انه كان يظهر بتدقيق النظر ان اكثر محاسنها صناعية فيخطشابها عنده ويضعف فعل شعرها الذهبي وخديها الحمراوين وشفتيها المرجانيتين . فيراها على ما هي عليه فعلاً وهي امراة متوسطة الحال حاذقة قد ادركت من السن ٣٥ سنة تتكدر من الفتيات اللواتي هن اجمل منها . فلما قابلت ماريون المقابلة الاولى

(ستاتي بقيتها)

ملح

لحية ومرآة

مما ينسب الى ابي عبد الله بن الجصاص الجوهري وورد خطا في الجنان ابن الحصص انهُ نظر يوماً في المراة فقال لرجل اخر واقف بجانبهِ انظر لحيتي واخبرني هل كبرت او صغرت . فقال لهُ ان المرآة في يدك فانظر انت. قال صدقت ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب

التعزية بالفرح

ومن الاخبار المنسوبة اليهِ انهُ ماتت زوجة ابي اسحق الزجاج فحزن عليها فاجتمع الناس عندهُ للعزا فاقبل (اي ابن الجصاص) وهو يضحك ويقول يا ابا اسحق لقد سرَّني هذا وحلف لهُ بذلك فدهش ابو اسحق والناس. وقال لهُ بعضهم يا ابن الجصاص كيف سرك غمهُ وغمنا . اجاب بلغنا انهُ هو الذي مات فلما صح عندي انها امراتهُ سرني ذلك

فرار اللوزة

ومن اخبارهِ انهُ كان يكسر يوماً لوزاً فطفرت لوزة وابعدت . وقال لاحول ولا قوة كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز

صلوة الجهل

ومن اخبارهِ انهُ قال يوماً في دعائهِ اللهم انك تجد من تعزبهِ سواي وانا اجد من يرحمني سواك فاغفر لي .

طلب مغفل وعذر ابله

ومما يحكى عنهُ انهُ قال يوماً اللهم امسخني واجعلني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب رضى الله عنهُ فقالت لهُ زوجتهُ سل الله ان يزوجك من النبي صلى الله عليهِ وسلم ان كان لابد لك ان تبقى حورية. فقال ما احب ان اكون ضرة لعائشة رضى الله عنها

سوال مغفل

وحكي عنهُ ايضاً ان غلامهُ اتاه يوماً بفرخ وقال انظر هذا الفرخ ما اشبههُ بامهِ فقال امهُ ذكر او انثى

البصل والخل

وحكي عنهُ انهُ طلب يوماً من بستاني لهُ بصلاً بخل فاحضر اليهِ بصلاً بدون خل . فقال لماذا لا تزرعهُ بخل

الدار الجديدة

وقيل ان ابنهُ بنى داراً واتقنها ثم ادخل اباهُ ليراها وقال لهُ انظر يا ابت هل فيها عيب فطاف فيها ودخل المستراح فاستحسنهُ وقال فيهِ عيب وهو ان بابهُ ضيق لا تدخل منهُ المائدة

الغذا

وقد قيل عنهُ انهُ انشق لهُ كنيف فقال لغلامهِ بادر احضر من يصلحهُ لنتغذى بهِ قبل ان يتعشى بنا

التنبيه

وقد حكي عنهُ انهُ دخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال ياسيدي عندنا في الحويرة كلاب لا يتركونا ننام من الصياح. فقال لهُ الوزير احسبهم جزاء فقال ايها الوزير لا يظن ذلك على كلب مثلي ومثلك

وقد قيل ان الصحيح انهُ كان يتظاهر بذلك ليري الوزرا منهُ هذا التغفل فيامنوهُ على انفسهم اذا خلا بالخلفا

ابيات فيها غلو

يا امام الهدى علوت عن الجو دبمال وفضة ونضار
فوهبت الاعمار والمدن والبلدان في ساعة مضت من نهار
فبماذا اثني عليك وقد جاوزت فعل البحور والامطار
انما انت معجز مستقل خارق العقول والابصار

الجنان
الجزء الثامن
في ٥ انيسان (افريل) سنة ١٨٧٦ صدوره في ٣٠ نيسان (افريل) سنة ١٧٨٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

طالما صبونا الى مطالعة تقرير مستر كايف المامور الذي بعثته حكومة انكلترا الى مصر ليبحث عن احوال المالية ووقف عالم المالية مضطرباً ينتظر كشف القناع عن وجه تلك الغادة المحجبة ورسلت البرق تقلقه تارة وتسكن بلباله اخرى وطال الزمان علينا ونحن على تلك الحال حتى خال لنا ان في التقريرات الكايفية روحاً لمالية مصر تنتعش بها او سماً ناقعاً يميتها وكانت تقريرات وزارة الانكليز تظهر في اثناء ذلك مشيرة الى القرار تارةً بما ينفع المالية وطوراً بما يضرها ثم تلافى الحال بتوضيحات وتفسيرات لم نتاخر عن ذكرها في اوقاتها في الجنان او في الجنة وبعد ان فرغت جعبة صبر الناس جاءنا ذلك التقرير يجر ذيولاً ويرفل باثواب الغنج والدلال كأنه قد جاء بما لم يسبقه اليه احد من العجم والعرب ولما فتحنا الجملة الاولى منه تاهبنا لمطالعة تقرير مالي يحتوي على اربعة اقسام فالاول حالة مالية البلاد المصرية والثاني مداخيل الحكومة ومصاريفها والثالث دينها ومصاريفها والرابع المقابلة لتحقيق الحال من جهة اقتدار حكومة مصر وبلادها على دفع فائض ذلك الدين ثم الخاتمة فخاب الامل لاننا التزمنا بان نصرف من اذهاننا الامور المالية وندخل اليها السياسيات بالنظر الى البلاد المصرية بل بالنظر الى رجال الشرق اجمع ومدات المامورين ونفع الاوربيين حتى الافراد من الانكليز وحروب الحبشة ودرفور وغير ذلك وقد راينا بهذه الامور تعلقات مالية جعلها ذلك المستر المذكور محوراً لدوران دولاب تلهيه السياسي او لستر المقصود من مامورية او غير ذلك وبحث عن دوافي السياسة وقواصيها تحت برقع المباحث المالية حتى خال لنا ان للمقاصد السياسية عنده المحل الاول والثاني للمالية وقد تمكن ذلك في عقولنا بما نقلنا عن تلك المامورية في فرنسا من الغيرة والحمية بل بنفس مشورات مستر كايف الذي حصر تخليص مصر من صعوباتها بمداخلات اجنبية مهمة لانرى سبيلاً الى التسليم بها بل اشار بتكثير الانكليز في الماموريات المصرية فضلاً عما اشارت اليه التيمس من وجوب وضع كل المالية في ايدي قوم من ماموري حكومة انكلترا او افراز مبلغ مخصوص لمصاريف مصر عوضاً عن ان تكون المالية في يد الحكومة الخديوية وهي التي تفرز قسماً منها كافياً لدفع الفائض المعتدل وقسماً من اصل المال فماذا يا ترى يستدل من ذلك ومما ذكر من خروج مستر كايف عن الدائرة المالية ودخوله في السياسيات دخولاً غير معتدل وكان اولى به ان يكون ماموراً سرياً بحيث يتمكن من ان يبحث باذن الجناب الخديوي ويقرر بدون ان يجهل الناس ولا سيما اصحاب القراطيس المالية المصرية ينتظرون نشر تقريره وينسبون الامتناع عن نشره الى سوء حال بلاد قد اقر لها بتقدم في ١٢ سنة ليس مثله في اعظم البلاد الاوربية حتى تنازلت اسعار اوراقها المالية بمجرد حبس التقرير عن النشر مع ان الكلام السياسي هو الذي حمل الجناب الخديوي على ان يمتنع عن نشره وعلى الخصوص بعد ان رأى انه طالب باحثاً مالياً ليشهد للعالم بحسن الحال فجاءه باحث

سياسي والظاهر انه فضل ظهور تقريرات سياسية ربما كانت صوابية او غير صوابية على ان يلحق عظيم ضرر باصحاب الاسهم المالية لانه عالم بان البحث عن احوال اعظم دول الدنيا سياسيًا يظهر عورات ربما كانت عورات السياسة عنده بالنظر الى ظروف البلاد بالنسبة اليها الاهالي طفيفة وعلى انه قد ضاع الزمان بالباطل وذهب التعب سدى فان حكومة انكلترا وضعت التقرير في قيودها ونشرته وجلست تتفرج على ما نشا عن ذلك اجمع غير قادرة على ان تصلح الاحوال والدين الجاري اخذ في الاستحقاق لفائضه الفاحش واجاله القريبة ولا ننكر فضل مستر كايف من جهة واحدة بل فضل حسن حال البلاد المصرية فلنها مكنته من ان يقول ان مصر قادرة على القيام بوفاء دينها مع فائض معتدل بالنسبة الى فائضه الجاري وفاحش بالنسبة الى فائض دين اوربا حتى فائض دين اسبانيا التي قد قالت جريدة التيمس فيها ما قررناه في هذا الجزء ولا تقدر الحكومة ان تدفع اكثر من فائض مائتي مليون ليرا قدره ثلثة في المائة وان البلاد المصرية قادرة ان تقوم بجعل اموالها الاميرية واراضيها المزدرعة قد زادت كثيرًا ومداخيلها هي اربعة اضعاف مداخيلها قبل زمان الحضرة الخديوية الاسماعيلية واهاليها قد زادوا نحو مليون فهذه كلها حقائق كنا نعلمها وقد نشرناها مع تقريرات عن حالة المعارف وتقرير مستر كايف شهادة جديدة قد ثبتت ما طالما ابناه بالتطويل وسنرجع الى التكلم عن هذه الامور بعد البحث عن تقرير المستر المومأ اليه لانه قد تقرر وصار قسمًا من تاريخ مصر عند الاوربيين وعند الشرقيين وهو متعلق بهم كل التعلق وفي بدايته كلام لا نقدر ان نقول الا انه طعن فيهم باسلوب بجملة خصوصًا بهم من جهة التبذير والانتفاع ماديًا من المناصب ولا نشغل المقام بانكار ما قاله ولا نظن اننا نقدر على ان ننكره ولا نثبته بدون اثباتات راهنة صريحة على انه من المفروض علينا ان نقول ان ذلك كلام غير متعلق بالمالية وان ما قيل عن مصر يقال عن اكثر بلدان العالم فاذا كان الدين نتيجة التبذير فالاولى ان نقول ان اعظم دول الدنيا اشد تبذيرًا من حكومة مصر لان دينها اذا وزع على افرادها يزيد عن دين مصر مع ان وسائط المداخيل ليست باكثر فان وادي النيل طبعًا معدن الذهب غير ان قذى الشرق جسر وجسر الغرب قذى فالدورلة في هذا الزمان فيجعل الافعال نتيجة للاقوال واما نحن فضعفنا بالنسبة الى قوتهم قد حصرت قوتنا في الكلام فينبغي ان ننفذها لتبرير بعض ما عندنا فهل نسينا ما قالته جريدة التيمس عن حالة امركا وعن نفس انكلترا منذ اقل من قرن فهل بلغت كل دول اوربا درجة انكلترا اما نسمع بخيانات في السياسة والبنكات والشركات مع اننا بعيدون ولا يبلغنا الا ما يكون لها صوت شديد وهل تقدر امم كثيرة ان تخلص من بحث كبحث مستر كايف بدون ان يقال عنها اكثر مما قيل عن مصر اما نعلم ان الناس ناس فما نندب ظهور الواقع اذا كان واقعًا ولكننا نتاسف لانه قد جرى في بلدان شرقية ما لم يجر في بلدان اخرى رسميًا ونشر عن سياستها في اثر تقرير رسمي ما لم ينشر عن بلدان اخرى ولذلك ينبغي ان نجعل نور العقل والتاريخ والامور التي تدل على امور عمومية واسطة المقابلة ذلك التقرير الرسمي ولو اكتفى مستر كايف بالقول بان من اضرار مصر المالية ما ينشا عن الانتقال من حال الى حال لجاء بما يلزم كما لو قال ان دين الولايات المتحدة ناشئ عن حرب اهلية ودين اسبانيا عن انقلابات وحروب وثورات فمن يقول ان ما نقراه في جرائد امركا عن ارتكابات كثيرين من

المامورين هو سبب دينها او ان الفساد الذي وصفهُ جول بلاس الاسبانيولي في رواياتهِ هو علة دين اسبانيا وهلم جرًّا ومن يا ترى لا يعلم ان اوربا هي اصل دين مصر فان سطوة الامبراطور نابوليون الثالث التي كانت نافذة في الشرق والغرب جعلت الحكومة المصرية تدفع مبلغًا وافرًا لانشاء ترعة السويس التي جاءت العالم اجمع بنفع حال كونها لم تنفع الشرق وقد قال مستر كايف ان القروض التي عقدت للقيام بمصاريفها هي اصل الدين المصري وبالنظر الى ديون الدول الاوربية لا نرى كيف يسوغ ان يقال ان دين مصر يطرحها في خراب مالي حال كونها قادرة ان تقوم بدفع فائض لا تقدر دول اخرى ان تقوم بهِ وان تدفع اصل المال في خمسين سنة واعظم الدول لا تقدر ان تدفعهُ ابدًا ولا يزال نقص دخل بعضها عن مصروفها يجر نقصًا ولكن الظاهر ان الحكومة التي تظهر من لين الجانب والاجتهاد في سبيل القيام بتعهداتها المالية حتى تسمع لاجنبي بان يفحص احوالها ما اظهرتهُ مصر لا تعامل بالعدل والانصاف فلو قطع النظر الجناب الخديوي عن تقولات اوربا وارائها وبادر الى القيام بتدبير مالي منقطعًا عن دفع فائض غير معتدل وابعد اجال الدين الجاري لما سمعنا ما سمعناهُ ولا ضاع من الزمان ما قد ضاع سُدى فالنمسا اقامت بذلك ودول اخرى واسبانيا ستقوم بهِ ولا نسمع عنها نصف ما نسمعهُ عن الشرقيين واين اهمية دين الشرق بالنسبة الى اهمية ديون تلك الدول ولا سيما بعد ان قبضوا اضعاف راس المال بالفائض الفاحش وغزارة مداخيل مصر معلومة عند الناس كلهم وقد اظهرها مستر كايف وهي اعظم ضمانة على القيام بالتعهدات وارتضاء الحكومة الخديوية بدفع الفوائض الغير المعتدلة اقطع برهان على انها مصممة على القيام

بتعهداتها وبعد ان راينا من التغيير في الوظائف ما راينا في نفس فرنسا بتغيير حكوماتها وغير ذلك لا يصح ان نتهم مصر بكثرة التغيير وعلى الخصوص بعد ان نرى ان التغيير هو عبارة عن تبديل مناصب المامورين لاسباب جوهرية وذلك ليس بكثير وقد قال مستر كايف ان حيل الغير الامناء تاتي بسقوط الامناء ولم يات على ذلك ببرهان ولكنهُ اوردهُ مع طعن اخر وخرج عن دائرتها المالية ليبين لزوم تحويل الوظائف الى رجال انكليز ينهضون ادبيات الديار المصرية كما في الهند واذا سلمنا بانهُ من الموافق استخدام بعضهم في مامورياتٍ لا يقدر الشرقيون الان ان يقوموا بها حق القيام لانهم لم يتعودوها لا يسلم احد بان الامة وهي في حالة الانتقال ينبغي ان تجعل زمام امورها في ايدي اقوام اجانب بل من اللازم ان تتقلد المناصب وتتعود السياسة وبالتتابع تستقيم احوالها وماذا يا ترى يقول الانكليز لو قلنا لهم ان اباءكم الذين عاشوا منذ اقل من ثمانين سنة اخطاوا فانهم استمروا بمناصبهم حال كونهم كانوا يرتكبون المغايرات عوضًا عن ان يعتزلوا عنها ويأتوا بالهولانديين والبورتوغاليين ليسوسوهم وماذا تقول الامة الامركانية اذا قلنا لها ان جرائدك تئنّ من المغايرات في المناصب فالاوفق ان تاتي برجال انكليزيين ليضبطوا اداراتك والاولى ان نشبه بالشرق اوربا في القرون المتوسطة وفي الزمان المظلم عند الافرنج والمنور عند العرب فلو قال ملك المانيا او فرنسا لامتهِ ان العرب اصحاب المعارف والفنون والسياسة والصناعة والتمدن والتجارة فمرادي ان ادعوهم ليسوسوا البلاد لطردهم اهلهُ الزمان الذي تمكنت رومية من ابعاد الناس عن الامبراطور فردريك بتهمة معرفته حكمة العرب وعلومهم والظاهر ان رغبة مستر كايف في ان يبرهن على صحة رايهِ جعلتهُ يغفل عن كون

الهند مفتوحة بالسيف وان مصر بلاد يرغب حاكمها في تمرين اهلها واصلاح احوالهم بالتتابع وما عنده من المامورين الاجانب كاف وما يلزمه اصلاح يصلح بقوانينه ونظاماته وليس بتسليمها الى رجال انكليز وقد ذكر رجلاً انكليزياً مادحاً اياه ولعله استند الى تقريراته فانه يصعب على اعقل الناس ان يفهم حالة بلاد غريبة اللغة والجنسية والعادات بشهر او شهرين فكافاه بذكر اسمه واثنى عليه ولو فرضنا انه سلمت الادارة الى الاجانب اي انهم انفذوا اراءهم هل يوافق ذلك البلاد وقد عدل عند الكلام عن تقدم البلاد والطرق الحديدية والاصلاحات وغير ذلك ولكنه لام المصريين والشرقيين عموماً على اشيا يعلم انها لا تستحق التخصيص باللوم اذا كانت صحيحة ولم يلم اصحاب الدين على طلب ثلاثين في المائة وذكر اصلاحات مشبوهة بالتعميم وبدون برهان ولم يذكر المشروعات الكثيرة وذكر الطرق الحديدية التي هي اساس صيرورة مداخيل مصر اربعة اضعاف مداخيلها منذ ٢٠ سنة كانه لم يرَ شيئاً يستحق الذكر وكذلك المواني والاسلاك البرقية والترع وغير ذلك وقال انه لا ريح من درفور في الحال ولكنه لم يقل المامول انها تكون كالسودان اي ان تكثر ارباحها قريباً وراى ان من نقائص ناظر المالية عدم وجود افرنجي في دائرته مع انه استند الى تقريراته وربما كانت التقييدات المفصلة اولى ونظن انها جارية في مصر لانه لا يعين احد في مامورية بدون ارادة خديوية ولكل دائرة تقييدات مفصلة ولعل بعضها اجمالي في المالية ومفصل في دائرته الخصوصية ولا نلقي تهمة الغرض على ذلك المستر ولا غير ذلك ولكننا نظن انه كان ذا مامورية لها توجيهات معلومة فجعل كل تقريراته موافقة لها فجاء تقريره على هذا المنوال وللشرق معاملات مخصوصة في اوربا لانه لا يخفى ان اهلها جذبوا اليه بثروته في الايام القديمة وسعوا في سبيل تحصيلها وقد مضى زمان جمع الدراهم منه بدون تجارة وصناعة ونطلب الى الله ان يمضي هذا الزمان ايضاً فاننا نعلم ان مصر قادرة على ان تقوم بدفع دينها مع دفع فائض غير معتدل بالنسبة الى فوائض اوربا وانه لا لزوم لضمانة لانه معلوم ان مصر اوقعت نفسها تحت هذه الاثقال في الاكثر لارضاء اوربا بالفائض وصاحب الدين الحكيم يجب ان يطلب تقريرما تقدر مصر ان تقوم به ليسلم ماله وفي اوربا مبالغ جسيمة من مال مصر واهلها يرغبون تقرير الحال بالعدل والشرق مكان المبالغات فما اتهمت مصر بتبذيره هو بالفعل قليل بالنسبة الى التهمة فالتهمة الاولى متعلقة بقاعات التشخيص والمدن التي هي اصغر من مصر بكثير تدفع لقاعاتها اكثر من مصر وقد ظهر ذلك بالحساب الذي ظهرت به عظمة المشروعات ومصاريف الدين وانقطاع مصر عن دفع الدين الجاري يكون ذا عاقبة سليمة فانه يجدد قواها وعلى الخصوص اذا قطعت النظر عن القيل والقال وقررت ما يوافق صالحها وصالح اصحاب الدين وهي مغبونة ومن المؤكد انه لولا نفوذ فرنسا لما جرى ما قد جرى والفرنسويون امة ذات حمية وغيرة فلا تحملهم محبة انفسهم المفرطة على ان يضموا كل صالح الى صوالحهم فنظن ان الشهامة تحملهم على القيام بمساعدة مهمة فيعود النفع عليهم وبعد ظهور اقتدار مصر على ايفاء دينها كما قلنا ينبغي ان يكتفى بالاتكال عليها لان الضيقات المالية العامة جاءت بضيق مصر ومنعت عقد قرض عام لايفاء الدين الجاري ووافق ذلك حرب الحبشة ولا نغير ما قلناه في اجزاء ماضية من الجنان وهو انه لا خوف على مالية مصر واصح البراهين شهادة رجل عارف قد راينا من كتاباته حسن الحال مع انه لم يجهد نفسه لتقرير ما يوافق مصر

دين اسبانيا

قد نشرت جريدة التيمس جملة عن مالية اسبانيا وابانت حالتها بالاستناد الى تقريرات رسمية وقد قالت ان مجموع الدين المقرر قروضاً منظمة هو ٤٢٦ مليونا و٧٣٢ الفا و١٩٥ ليرا انكليزية وان فائضة ٣ في المائة فيكون مجموع الفائض السنوي ١٢ مليونا وسبعمائة الف ليرا وان دينها الجاري (فلوتن) وهو الغير المنظم قروضاً مرتبة ٥١ مليونا و٩٥٨ الف ليرا انكليزية وفائضة مختلف وغير معتدل . وفضلاً عن ذلك عليها دين صغير عقد بعد سنة ١٨٧٤ فاذا انتظم الدين الجاري قروضاً باسعاره الحالية وهي ١٧ بفائض ٣ في المائة يصبح مجموع دين اسبانيا سبعمائة مليون ليرا انكليزية ولا يقام بوفاء فائضه ومصاريفه الا بدفع كل دخل الحكومة الاسبانيولية . ولما كان لا سبيل الى دفع فائضه كله كان لا بد من ان تقرر تدبيرات جديدة . وربما كان لا يتيسر للحكومة ان تقوم بتدبير اذا كان اكثر من ٦ شلينات وكسور عن كل ليرا من الدين المنظم المرتب و ١٠ شلينات عن كل ليرا من الدين الجاري . فيخفض الدين اي انه يصير اقل من مائتي مليون ليرا فاذا دفع فائضه ٣ في المائة يكون مجموع مصاريفه السنوية ستة ملايين ليرا وهذا مما تقدر اسبانيا ان تدفعه . وقد قالت جريدة السبكتيتور الانكليزية بهذا الشان اذا دفع ذلك بترتيب لا يخرب اصحاب الدين الذين لا بد لهم من القبول بذلك اذا خربوا اولم يخربوا . فان اسبانيا لا تقدر ان تدفع اكثر من ذلك وانتظار وضع رسومات جديدة ياتي بخسارة جديدة

مستر دزرائيلي

ان مطالعي الجنان والجنة قد قراوا هذا الاسم مرات كثيرة في اثناء مطالعة اهم الاخبار السياسية وهو اسم وزير انكلترا الاول ولا ريب في انهم يحبون ان يطالعوا ترجمة اي تاريخ حياته الذي ترجمناه عن جريدة البرتش ميل

قد تاكد انه ليس في مجلس انكلترا الحالي العالي اكثر من عشرة رجال من الذين كانوا اعضاءه فيه عند استواء حضرة الملكة فيكتوريا المالكة على عرش الملك وليس مستر دزرائيلي من العشرة المذكورين . اما مستر كلادستون وزير انكلترا الاول السابق فهو منهم . ومع ذلك نرى مستر دزرائيلي في اعلى منصب في المملكة الانكليزية بعد الملكة . ولم يتصل اليه الا بعد التغلب على صعوبات كثيرة

ان جده هو مستر بنجيمان دزرائيلي اتى لوندرا من ايطاليا سنة ١٧٤٨ وكان اسرائيليا غير انه لم يكن يذهب كثيرا الى المجمع مع انه كان من اعضائه اما ابنه وهو والد الوزير الاول فاقام بفروض الدين الاسرائيلي في شبوبيته وتزوج فتاة اسرائيلية فولدت الوزير بروختن بحسب ناموس النبي موسى عليه السلام وسمي بنجمان دزرائيلي وخاتنه هو داود ابار بانيل لندو احد اعضا المجمع المهمين . غير ان والده اخذ في ان يقصر بالقيام بفروض دينه بتقدمه في السن وانقطع عن الاجتماعات الا يوم راس السنة ويوم التكفير . وسنة ١٨١٧ حمل صاموئيل روجرز الشاعر صديق تلك العائلة اباه وامه على ان يسمحا له بان يذهب بابنهما الى كنيسة سنت اندروز هولبورن ليعمده وينصره وكان عمره حينئذ ١٣ سنة فانه ولد سنة ١٨٠٤ . اما تعليمه فجرى اكثره في بيته وادخل مركز احد المحامين المعروفين بالافوكاتية . ولما بلغ سن ٢١

اخذ في ان يكتب جملاً لجريدة يومية و بعد ذلك بسنتين طبع الرواية الاولى ا لتي الفهـا واسمها فيفيان كري . وبعد ذلك بـبرهة قصيرة ذهب الى فلسطين واقام فيها سنتين . وعاد الى انكلترا سنة ١٨٣٢ في اثناء الهيجان الذي كان ناشئاً عن الاصلاحات المجلسية فحاول وقوع الانتخاب عليهِ لينتظم في سالك عضوية المجلس العالي فعرض نفسهُ لمنتخبي ويكوم وجعل نفسهُ من الراديكال اي الذين كانوا يرغبون في ان يغيروا النظامات الجارية ولكنهُ لم ينجح . ثم عرض نفسهُ لمنتخبي ماربلبون وجعل نفسهُ من الراديكال ومن الذين يميلون الى ان تكون مدة العضوية ثلث سنوات وان يكون الانتخاب بالقرعة ولكنهُ خاب املهُ مرة ثانية . وبعد ذلك بسنتين اي سنة ١٨٣٥ حاول وقوع الانتخاب عليهِ في قونتون وجعل نفسهُ من حزب التوري فعاد خائباً المرة الثالثة . على انهُ لم يضعف عزمهُ فسار سنة ١٨٣٧ الى ميداستون واصبح في طليعة جنود الانتخاب وفاز بالنجاح الذى حصل عليهِ باهليتهِ وحذقهِ . وشجاعتهِ في الانتخابات لم يجعلهُ ناجحاً في المجلس العالي . فانهُ هيا خطابهُ الاول باعتناءٍ وكان طويلاً مبنياً على الافتخار مدققاً فلم يصغِ المجلس لهُ واخذ الاعضاءُ يسخرون بهِ ويضحكون فالتزم ان يرجع الى كرسيهِ قبل ان اتم قراءة اصفهِ . ولو كان قليل الصبر والثبات لوقع في اليأس ولكنهُ عاد الى كرسيهِ وجلس وهو يقول انني اجلس الآن ولكنهُ سياتي زمان تصغون فيهِ اليَّ . وقد تم ذلك فان المجلس اصبح يصغي لهُ بعد ذلك بمدة قصيرة وقد تقرر عندهُ بانهُ المنكت الاول فيهِ واصبح رئيس الحزب المسمى بحزب انكلترا الفتية والواسطة التي كانت تبين كدر الامراء اصحاب الاملاك واهالي القرى من اجراءات السار روبارت بيل . وطعن في ذلك الوزير الاول الحافظ على الحالة الجارية وقال انهُ رئيس هيئة مرائية وانهُ رجل يخدع حزباً و يسلب مال الحزب الاخر وانهُ سياسي وجد حزب الوكز يستحم فسرق ثيابهُ

وسنة ١٨٥٢ انشا اللورد دربي وزارة فجعل مستر ديزرائيلي ناظراً للمالية وقد تقلد ذلك المنصب ثلث مرات . وكان الرئيس في مجلس النواب فادخل نظام الاصلاح سنة ١٨٥٩ بعد ان خابت امال سلفهِ قبلهُ . وبعد ذلك فض المجلس العالي فرجع مستر كلادستون الى رياسة الوزارة ولكنهُ استعفى هو ورفقاؤهُ في الوزارة بعد فض المجلس في كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٤ . فعند ذلك اقام مستر ديزرائيلي الوزارة الحالية وهو في رياستها . وبعد تقلبات كثيرة اصبح الوزير الاول ورئيس اكثرية عظيمة في المجلس العالي في يدهِ زمام الامور في الداخل وسطوتهُ نافذة في المستعمرات المتسعة وليس كالوزراء الاولين في مدات اخرى فانهُ في زمان تقدم المستعمرات كثيرا فهو رئيس حكومة امبراطوريتها اعظم من كل امبراطورية راها العالم واعظم منها . انتهى .

وهذا المستر هو الذي ارسل مستر كايف الى مصر وهو الذى اشترى اسهم ترعة السويس وباتت سياستهُ بعد ذلك غير ظاهرة الا وهي مرافقة بتردد بينهُ وبين الابرام الاول بون عظيم

روسيا

قالت جريدة الليفانت هرالد قد شاعت اخبار كثيرة عن تصميم حضرة امبراطور روسيا على ان يتخلى عن الانتقال الامبراطورية ليقوم بها نجلهُ وولي عهدهِ وسبب ذلك اطالة زمان الفرصة الاعتيادية الصيفية التي يصرفها في البلاد الالمانية . ولا ريب في ان سبب تقرير هذه الاشاعة في العقول ما

بمعرفة الناس من ان حضرة الامبراطور المشار اليهِ قد احتمل منذ سنين كدراً طالما ثقل على عقلهِ وهو من انحراف صحتهِ . وقد تصور الناس في هذه الايام ان الوزارة الروسية مصممة على ان تقوم باظهارات جديدة ناشئة عن جسارة عظيمة انفاذاً للسياسة التي يقال انها مفروضة على كل من خلف الامبراطور بطرس الروسي وان حضرة الامبراطور الحالي يرى انهُ لا يقدر ان يحتمل الاتعاب التي تلقى على قواهُ الادبية والجسدية بانفاذ تلك السياسة . والجواب على ذلك هو ان امبراطور روسيا وجده يقوم باعباء السياسة المتعلقة بحكومتهِ المطلقة . ولا نصدق ان حضرتهُ يحب ان يلقي على عاتق ابنهِ ووريثهِ صعوبات مركز قد رغب في ان ياتي بهِ او رغب في ان يجعل ولي عهدهِ ياتي بهِ . وفضلاً عن ذلك لم يقم احد من سلفائهِ الا القليل بما يدل على عزم ثابت جسور ومنذ برهة قصيرة ابان حضرتهُ من قوة العزم ما مكنهُ في اوائل حكمهِ من ان ينفذ على غير ارادة امرائهِ عملاً مهماً عظيماً كتحرير الذين كانوا في العبودية . ثم محا آثار استقلال الجنسية البولونية واوربا تقيم الحجة على ذلك . وما اقام بهِ شخصياً في المدة المتاخرة مما يؤول الى جعل ولايات البالطيك الالمانية روسية يبين انهُ لم يبت ضعيف العزم وانهُ ينفذ ارادتهُ بدون ان يخاف عواقب ابعاد قسم امين مهم من رعاياه وجارة قوية من الدول العظيمة . ولذلك لا بد من ان نصدق تكذيب الاشاعات التي انتشرت في بطرسبرج بهذا الشان

الطاعون

قالت جريدة التيمس لو نشرنا الخبر الذي نشرناه منذ برهة منذ قرنين لاضطرب الناس اضطراباً اشد من اضطرابهم من جري فتح حرب عظيمة جداً او انكسار شديد . وهو خبر الطاعون الذي لا ريب في انهُ بات يتهدد حدود اوربا . وامتداده في السنة الماضية في وادي الفرات السفلي اوقع بعض الرعب في قلوب الناس غير انهُ تقرر في عقولهم انهُ ليس الا اثر قليل لمرض قديم بات يدون قوة بل بات منقطعاً من العالم . غير انهُ منذ برهة اخذ في الامتداد في ما بين النهرين وفي اول اذار (مارس) دخل بغداد فمدينة هرون الرشيد طالما سمعت بشدائد الطاعون حتى انها كانت تنتظر دخوله اليها مرة كل عشر سنين . ولا يزال اهالي بغداد يتذكرون بخوف فعلهُ سنة ١٨٣١ فانهُ كان يموت بهِ فيها كل يوم اربعة الاف نفس واستمر ذلك اياماً متوالية . ويقال انهُ مات بهِ في نيسان (افريل) ستون الف نفس من ١٥٠٠٠٠ الف نفس . غير انهُ قد مضى جيل تام بدون ان يظهر ذلك المرض لا في مصر ولا في سورية ولا في ضفاف الفرات والدجلة . واذا قيل انهُ لم ينقطع اثره من المدن الشرقية نقول ان ذلك الاثر بات ضعيفاً لا يدل على عظمتهِ الماضية . وظهوره الان يدل على شيء من ذلك ولا نرى ما يحملنا على ان نحكم بانهُ سينحصر في البلاد العثمانية في اسيا . فان الحالات التي يظهر فيها لا تزال موجودة في مصر وفي البلاد العثمانية الاوربية غير انها قد ضعفت ولحسن الحظ لا نرى ما يحملنا على ان نحكم بان ما يوافق ظروفهُ لا يزال موجوداً في غربي اوربا . ولذلك نقول ان نسبتنا اليهِ انما هي نسبة علمية فقط . وخطر دخول الطاعون الى انكلترا قدر بخطر انهدامها بزلزلة كالزلزلة التي هدمت لسبون .

غير انهُ ما من مصيبة في تاريخ العالم موثرة في عقول الناس قدر المصائب التي نشات عن الطاعون عند اشتداده . وفي التواريخ القديمة ذكر موضح للاوبئة العظيمة غير انهُ يرتاب في هل ان وبا اثينا المشهور

هو كاوبية هذا الزمان او لافان صور ثيوسيديدس تبين انهُ وباء اخر قد انقطع ولكنهُ شديد كالطاعون. غير ان الطاعون الذي امتد في ايام يوستنيانوس امبراطور الرومان في كل الامبراطورية الشرقية واهلك اكثر اهالي القسطنطينية قد وصف بتدقيق وقد ظهر من وصفهِ انهُ نفس الطاعون الذي امسى يتهدد شرقي اوربا . ومن ذلك الزمان لم ينقطع خوف الناس من الطاعون في الجهة الجنوبية الشرقية من اواسط اوربا وكان يفعل فعلاً عجيباً حيناً بعد حين في الغرب حتى في الشمال . وفي القرون المتوسطة دخل ايطاليا مرات كثيرة واضر بها جدًّا . وفي القرن السابع عشر لم يتم باعمال عظيمة لقطعهِ فظهر ٤٥ مرة في قرن واحد ولم تنج بلادنا منهُ . فان في اوائل القرن المذكور اتت بهِ مراكب هولاندية مرات كثيرة فانها كانت تقوم بالتجارة الشرقية وامتدت في الثغور الانكليزية وهلك بهِ مرة بعد مرة خمس اهالي لوندرا . غير ان الظاهر انهُ انقطع في بداية الحرب الاهلية الى صيف سنة ١٦٦٥ الكثير الامراض . وفي اسبوع واحد هلك بهِ سبعة الاف و١٦٥ نفساً في لوندرا وتقيد في دفاتر الموتى في تلك السنة ٦٨ الف نفس من نصف مليون . ومنذ السنة المذكورة لم يدخل الطاعون عموماً انكلترا ولا البلدان الغربية المجاورة لها . غير انهُ دخل كوبنهاغن عاصمة الدانمرك سنة ١٧١٢ ودخل مرسيليا سنة ١٧٢٠ وهلك بهِ فيها اكثر من نصف الاهالي ودخل موسكو سنة ١٧٧١ . ومالطة سنة ١٨١٣ . وكلابريا سنة ١٨١٦ وكورفو سنة ١٨١٨ وسيلزيا سنة ١٨١٩ . فهذه هي تواريخ ظهور الطاعون خارج الممالك العثمانية ومصر في الزمان المتاخر

والظاهر ان قوتهُ في الزمان الجاري قد ضعفت جدًّا بالتمدن والنظافة . ولم تختلف كثيراً احوال المدن التي لا تزال تخاف الطاعون من جهة التمدن والنظافة وغير ذلك من المؤثرات في الاجسام . وقد ظهر ان الحميات التي تظهر في الشرق وترافقها الدمامل تصيب ضعيفي الاجسام الذين يسكنون الاماكن الكثيرة الرطوبة القذرة ويعيشون معيشة دنية . ففي المدن الغربية قد انقطعت الظروف الموافقة لهُ . انتهى ملخصاً .

قد ذكرت هذه الجريدة الاسباب التي تحمل الانكليز على ان لا يخافوا من الطاعون الظاهر في بغداد وما يجاورها وذلك بالترجيح ومن المفروض علينا ان نرجح اننا لا نخاف منهُ لان معيشتنا قد تغيرت والظاهر ان الطاعون في هذا الزمان بات بدون قوة البتة فانهُ ظهر في افريقية منذ اكثر من سنتين وانقطع بدون ان يقدر على ان يمتد فيها وفي ما بين النهرين ظهر منذ سنتين وهذه السنة بدون ان يمتد امتداداً يستحق الذكر فالظاهر ان الظروف ناسبتهُ فظهر فيهما ولم يجدها يناسبهُ في غيرهما فالحصر ولاسباب التحفظ عظيم تاثير ولا سيما في الطاعون فان امتدادهُ يكون باللمس فالمفروض على الشرقيين ان يعتنوا بامر النظافة قياماً بحق واجبات التمدن والراحة وان لا يخافوا ضرراً فانهُ بحولهِ تعالى لا يقدر ان يدخل ربوعهم لضعفهِ وانتشار اسباب التمدن في المعيشة .

المدن العظيمة

قد نشرت جريدة البريتش ميل الجملة الآتية وهي قد تقرر في دفتر القيود العمومية انهُ في اواسط السنة الجارية وهي سنة ١٨٧٦ ميلادية يكون عدد سكان لوندرا عاصمة انكلترا ثلثة ملايين و٤٨٩ الفاً و٤٣٨ نفساً . ويكون في مدينة كلاسكو ٥٤٥ الفاً و١٤٤ نفساً . وليفربول ٥٢١ الفاً و٥٤٤ نفساً . ومانشستر ٣٥٧ الفاً و٩١٧ نفساً . وسالفورد

٢٤٤ الفا و٦٦٦ نفسا . وليدز ٢٩١ الفا و٥٨٠ نفسا . وشفيلد ٢٧٤ الفا و٩١٤ نفسا . وادنبورغ ٢١٥ الفا و١٤٦ نفسا . وبرستول ١٩٩ الفا و٥٢٩ نفسا . وبرادفورد ١٧٢ الفا و٧٤٣ نفسا . ونيوكاسل ابون تاين ١٣٩ الفا و٩٢٩ نفسا . وهل ١٣٦ الفا و٩٣٢ نفسا . وبوتسموث ١٢٤ الفا و٨٦٧ نفسا . ولويستار ١١٢ الفا و٥٨١ نفسا . وسوندرلاند ١٠٨ الاف و٣٤٣ نفسا . وبريتون مائة الف نفس و٦٤٣ نفسا . ونوتنكهام ٩٢ الفا و٦٣٧ نفسا . واولدهام ٨٨ الفا و٦٠٩ انفس . ونوروش ٨٣ الفا و٤٣٠ نفسا . وولفار هامبتون ٧٣ الفا و٥٤٩ نفسا . وبليموث ٧٢ الفا و٢٤٠ نفسا فهذه الاعداد هي بحسب قيود الدفاتر البلدية في كل من المدن المذكورة . فبعضها لا يحتوي اعدادا بنفس بعض ضواحي المدن فيكون عددها اقل من العدد الصحيح اذا اضفنا اليها ضواحيها . وقد تقرر في الدفتر المذكور ان عدد كالكوتا من الهند ٤٤٧ الفا و٦٠٠ نفسا . وبمباي ٦٤٤ الفا و٤٠٥ انفس . ومدراس ٣٩٧ الفا و٥٥٢ نفسا . والظاهر من هذا التعديل ان ضواحي كالكوتا لم تعد . فان دفتر الاعداد الذي خرج في السنة الماضية وهي سنة ١٨٧٥ من نظارة الهند يقول ان المدينة الاولى في الهند والثانية في الممالك الانكليزية هي كالكوتا واعدادها غير مضبوطة كل الضبط ومع ذلك قد تقرر ان عدد اهاليها ٧٩٥ الف نفس خلا نحو مائة الف نفس اخرى في حورة وهو ظاهر المدينة الجنوبي . وفي الهند الانكليزية ١٢ مدينة في كل منها مائة الف نفس . وفي ذلك الدفتر ذكر اعداد مدن اخرى اجنبية فان المذكورة اعلاه انكليزية وهي الاتية . . . .

باريز فيها مليون و١٨٥١ الفا و٧٩٢ نفسا ونيويورك من امركا مليون و٤٦ الفا . وبرلين ٩٨٠ الفا . وفيلدلفيا ثمانماية الف . وفينا ٦٧٦ الفا و٧٩١ نفسا ونابولي ٤٥١ الفا . وبروكلين ٤٥٠ الفا وهامبورغ ٣٧٠ الفا واثنان وبوربوسمت ثلثمائة الف . وامستردام ٢٨٦ الفا و٩٣٣ نفسا . ورومية ٢٥٦ الفا و١٥٣ نفسا . وبرسلو ٢٣٥ الفا . وتورين ٢١٧ الفا و٨٠٦ انفس . والاسكندرية ٢١٢ الفا و٣٤ نفسا . وكوبنهاغن عاصمة الدانمرك ١٩٩ الفا . وبروسل عاصمة البلجيك ١٨٨ الفا و٢٦٤ نفسا . ومونيخ عاصمة بافاريا ١٨٥ الفا . وفلورنس ١٧٦ الفا وروتردام ١٩٣ الفا و٣٤٩ نفسا . ولاهاي ٩٧ الفا و٥٦٥ نفسا . وكرستيانا ٧٥ الفا . هذا ولا ينبغي ان يظن ان هذه هي كل المدن العظيمة في العالم فان مدنا اخرى كثيرة هي قدرها في انكلترا وفي سائر العالم ولكنها هي المدن التي يعرف ناظر دفتر النفوس في انكلترا احوالها الاسبوعية من جهة امراضها ووفياتها وولاداتها

حل لغز مصباح افندي رمضان

من قلم مكرمتلو الشيخ صالح افندي المنير

اباقاضلاً اهدى عقودا من الدر
فرائدها تسمو على الكوكب الدري
ويا من يحاجينا بلغز بديعة
حلا وزكى للناس بالطي والنشر
هو اسم لشهر الصوم يرغب فيه من
احب رضا المولى ويرغب بالبر
وان قهر النفس الابية للتقى
ففي قهرها فيه لها اعظم الخير
ويصبح رمانا اذا زال قلبه
وفي فصله قد جاءنا اشرف الذكر
وحسبك هذا يا صفي فضيلة
ولا زلت مصباحا منيرا مدى الدهر

لغز من تلميذ

يامعشر النحاة قد حاجيتكم
فاي فعل دخلت عليه أل
ولم تكن موصولة قط وما
فيه شذوذ او سبيل الجدل

حل لغز نقولا افندي قعوار المدرج في الجزء الاول من جنان سنة ١٨٧٦

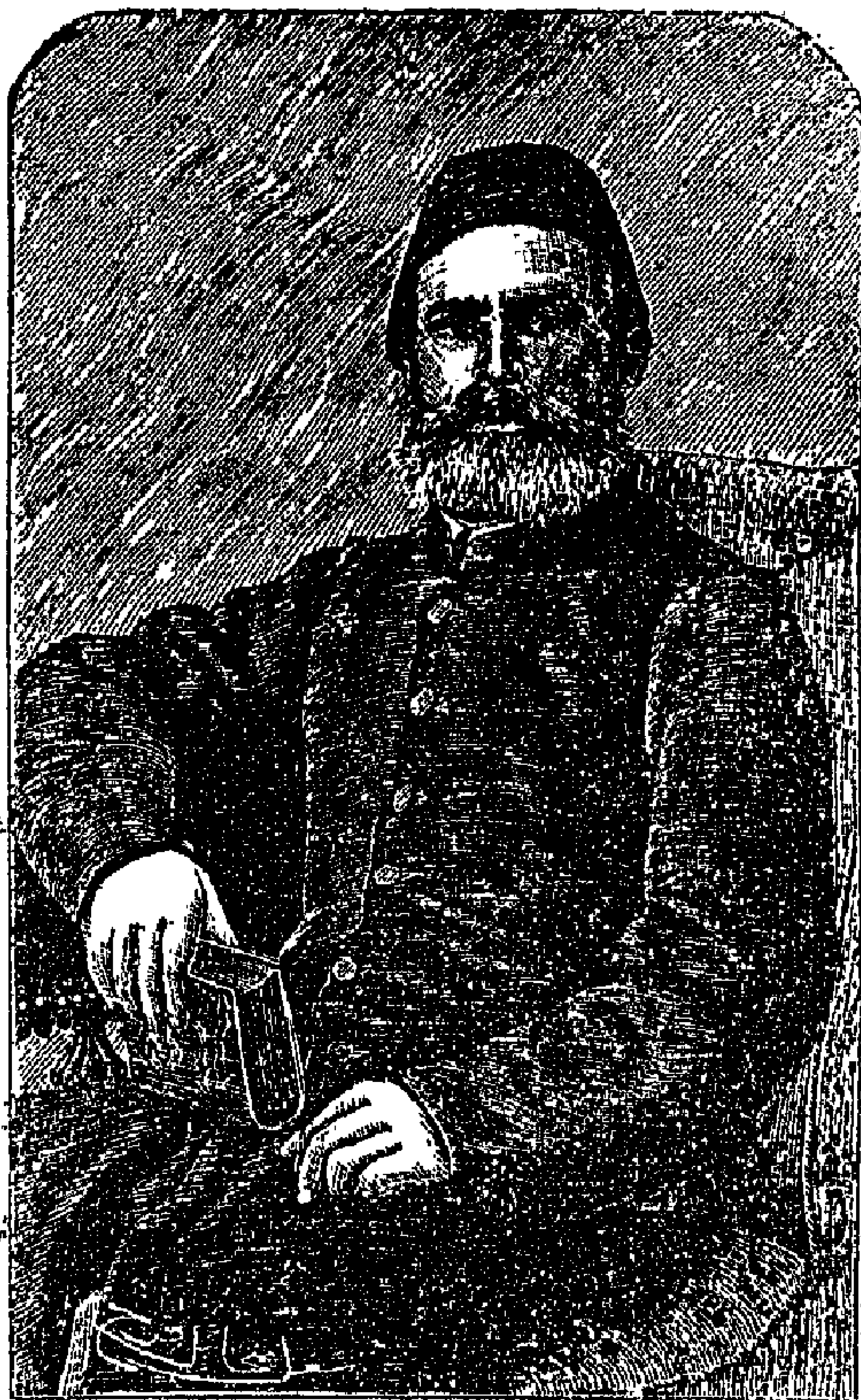
(من قلم سليم افندي مخوري)

سقيا للغز سقانا ... من ورد معناه كوثر
منه ارتوى كل لسنٍ ... يعلو على كل منبر
لازال جاليه روضاً ... من زهره العرف ينشر
ما افتر ثغر صباح ... وضاء بدر وانور

لغز لديمتري افندي خلاط

ما اسم رباعي البنيان معروف من قديم الزمان معزوز من الشجاع مكروه لدى الجبان مهاب يخشى غيظه كل انسان ولا يرافق الا قوي الجنان مجنون لا يبالي بالمنية ولا يرتاع من رزية بطل يخوض بحر المنايا بقلب شديد وفارس يقطع قفر المخاوف بجنان اقوى من الحديد وهو طائع لذويه وخاضع لمشتريه ان قطعت راسه يافخر العلما اصبح اسماً لاحد اجدادنا القدما وان نقطته وهو على هذه الحال فهو اسم لبلدة سورية مشهورة بالنزاهة والجمال وان حسمت ثانيه اضحى اسماً لاخيه وان نقطه ايضاً وهو على هذه الهيئة نتج اسم صنف من اصناف الاقمشة فارجو من ذوي الالباب ان يكرموا علي بكشف الحجاب ولهم الثنا والمنة والثواب

جودت باشا



لا تزين المطبوعات المشهورة بتاريخ ذات الا عند الفوز بالحصول على ترجمة قد جد صاحبها وكد واجتهد في سبيل ادراك المعالي بالاداب والعلوم والحذق والدراية والتدبير والتقرير ولا يدرك ذلك الشأو الا من هذبه الدهر وحنكه الزمان. وعلمته طوارق الحدثان. فكم من عظم كسرت ومن قلب جرحت؛

فتركت في ميادين خيبة الامل وقطع الرجا ابطالاً ولم ينجُ منها الا من تدرع بالحكمة والتاني وتمنطق بالصبر على صعاب الامور ونكبات الدهور ولبس خوذة شدة العزم والثبات فيصبح طودًا راسخًا بين الناس يقلقل النوات ويس قبناتالك بقمتو وحضيضة ياس التراب فيجمع بين الرفعة والتواضع ولولا جود الزمان لما فاز اهل الدنيا بارهاط كهولاء فان الفطرة مقاومة لذلك فلا تترك الانسان ينهج مناهج الصواب والحق ويصبر على مشقات العالم ومقاوماته فيسقط السهم دون الغرض وفي الشرق الزمان بخيل لان نكبات بنات الدهر علمته الحرص خوفًا على جواهره من الضياع فقل فيه جوده وبالتالي عزما قد جاد به فالحصول على جودته فوز عظيم كيف لا واخباره تشهد له باعظم الفضل وفرط العدل وجمع معارف الزمان في فسيح صدره وتعلم وعمل وافاض من ينابيع معارفه انهارًا بل ابحارًا فشاع في الشرق والغرب صيته وفضله وحسن عند ابنا الزمان قوله وفعله وقد ارتقى فوق السهى بجمال جلاله بل علا السماكين بمجده وغزير افضاله واعلى العدل ارتقاوه مساند العدل ليقضي بين الرعية بالحكمة والعدل. وليس من الذين لا برهان على فضلهم ولا شواهد على علو شانهم وقدرهم فان نتاج يديه افضل من نتاج يدي سيبويه ونفطويه وقد سال براعة مبيضًا الوفا من الصفحات بابكار المعاني وانواع البديع والافادات فراس اقلامه ينبوع يجري منه زلال يطفي ظما العقول بانواع المنقول والمعقول فان قلت تاريخ جودت النفيس افهمت كالوقلت حكمة ارسطاطاليس وقد بيض افعاله بالعدل والاحسان وفازت اقلامه بالسبق في كل مكان واراح الناس براوح راحته وساح الفضل في افضال ساحته واصلح باصلاحاته ما يحتاج الى الاصلاح وزغب في ابكار المعاني عن الابكار الملاح واحيا الليالي السوداء في سبيل احياء العلوم واشغل سواد براعته بمجلات المنثور والمنظوم وانار حندس الجهل ببذل نور العقل وابراز الراي السديد بعد ان صرف في سبيل جمعه كل طارف وتليد ويملا المقام قبل وصف جزء من مناقبه وقبل استيفا وصف بعض اجرا اثره في مناصبه وفي ذكر ترجمته غنى عن الاسهاب والتطويل ولو كانت قد حوت من فضله دون القليل فنقول

انه ولد في قصبة لوفجه من بلغارستان واسم ابيه الحاج اسمعيل اغا من اعيانها ومن اعضاء مجلسها من نسل عائلة كريمة قديمة ولم يصرف صغره في اللعب واللاهي والكسل والتواني ولكنه سيق بالحمية الفطرية والنخوة الغريزية الى الكد والجد في سبل العلوم والمعارف واضعًا نصب عينيه ارتقا المعالي بالاهلية والاستحقاق وبعد ان جمع في صدره المعارف الابتدائية والقواعد الاساسية جاء الاستانة العلية في اوائل سنة ١٢٥٥ في اواخر ايام السلطان محمود خان عدلي ولم يكن يقتصر على تحصيل العلوم بل كان يقاد باعثة الغيرة وحب الوطن الى ابراز اثار لما يجمعه لينفع ابنا الوطن به فالف حاشية مختصرة على رسالة لابن الحاجب الشافية في اثناء درس العلوم العربية والحكمية وسماها غاية البيان وقرا العلوم العربية على اساتيذ كثيرين مشهورين واستمر يطلبها الى ان ادرك دانيها وقاصيها وقرا اللغة الفارسية على حضرة الشيخ مراد شيخ تكية الملا ولم يكتف بل رغب بقوة التصور وتوقد الذهن في ادراك المنظوم فبلغ المسن بالسهر والاجتهاد واخذ النظم الفارسي عن الشاعر المشهور فهيم افندي البارع ولم يبرح حتى اتقن اللغات الثلاث وهي العربية والفارسية والتركية نظمًا ونثرًا فضلاً عما تعلمه من المعقولات

والرياضيات والطبيعيات والسياسيات وسنة ١٢٦١ وجهت اليهِ رتبة مدرس اول للعلوم ·وكان قد شرع فهيم افندي في شرح ديوان الصائب فانتقل الى رحمتهِ تعالى قبل ان يتممهُ فاخذ صاحب الترجمة في اتمامهِ فجاء بكل شرح نفيس فصدرت الارادة السنية بان ترفع رتبتهُ في طريقتهِ مجازاة على ذلك

وسنة ١٢٦٦ صار من اعضا مجلس المعارف العمومي · وفي زمان المرحوم عباس باشا ذهب المرحوم فواد باشا الى مصر فسار معهُ ·و بعد عودها بزمان قصير توجهت عليهِ عضوية مجلس المعارف الداخلية الذي انشي في دار السعادة ويوم فتحهِ تقدمت الى الحضرة الشاهانية القواعد العثمانيـة وهي التي الفاها فرفعت رتبتهُ · ثم الف الرسالة المساة مدخل القواعد و بعد ذلك ببرهة قصيرة اختصرها وكتب الرسالة المساة با لقواعد التركية · وفي اثناء تاليف ذلك كتب رسالات مختصرة كبيان العنوان ومعلومات نافعة

وفي اوائل سنة ١٢٨٠ قرر مجلس المعارف ان يولف تاريخاً محتوياً على وقائع الدولة العلية وتوجهت عليهِ فضلاً عن ذلك مامورية كتابة وقائع الدولة وذلك التاريخ من اشهر تواريخ هذا العصر وهو المشهور بتاريخ جودت كما ابنا اعلاه · وقد نشر منهُ تسعة مجلدات كبيرة اخرها نشر في هذه السنة · ورفعت رتبتهُ بعد نشر مجلدين من ذلك التاريخ النفيس المفيد الجامع من الوقائع والافادات ما لا يحتويهِ شهيرٌ من مولفات اهل هذا الزمان

وسنة ١٢٧١ وجهت عليهِ مولوية غلطة وبعد سنة توجهت عليهِ باية مكة المشرفة ثم عضوية مجلس النظامات العالي · وفي غضون ذلك احيلت اليهِ رياسة العمدة (القومسيون) المقامة في الباب العالي لتنظيم القانون المتعلق بالاراضي ·وكان المرحوم تحسين افندي كيسه دار قلم الديوان والمكاتب وسعدا افندي القانونجي وعارفي افندي امين الدفتر الخاقاني والمرحوم رشدي باشا شرواني زاده فكل ما حواه الدستور من القوانين ونظامات الطابو نتيجة اتعاب هذه العمدة واكثر نظامات الدولة العلية وقوانينها الموجودة خرجت من دائرة اقلامها · وهو الذي رتب مجموع قوانين الدولة العلية في ابتداء الامر تحت اسم الدستور

وكان من اعضاء القومسيون الذي شكل ليذهب مع حضرة الصدر الاعظم محمد باشا القبرصلي في اواخر سلطنة حضرة السلطان عبد المجيد خان لاجل التفتيش في الروم ايلي وعند رجوعهِ الى دار السعادة توجهت عليهِ مامورية فوق العادة وسار الى اشقودره لاصلاح الخلل الذي وقع بعد الجلوس الهمايوني وتحولت اليهِ كل الامور الملكيـة والعسكرية · وفي شهرين اصلح الاحوال واي اصلاح وفي اثناء رجوعه الى الاستانة العلية توجه مسند الصدارة العظمى الى حضرة فواد باشا وهو في سورية و بعد ذلك توجهت على جودت باشا المشار اليهِ رياسة القومسيون الذي شكله المرحوم فواد باشا لترويج الاجراات بموجب الانهاات التي كانت ترد الى الباب العالي من المفتشين الذين عينوا ليفتشوا اناطولي والروم ايلي · ثم سار مفتشاً في بوسنه وتوجهت عليهِ باية صدارة اناطولي · فاقام في بوسنه سنة ونصف سنة مدبراً الامور بالضبط ومفتشاً بالتدقيق · وكانت بوسنة مستثناة ولم يكن يجمع جنود منها فاسس فيها اصول القرعة ونظم الايات · وفي السنة الماضية جاء طابور من تلك الجنود دار السعادة واقام بضعة اشهر في طاش قشلة الهمايونية ثم عاد الى بوسنه بدون ان تنشر الجرائد شيئاً يظهر مغايرة ارتكبها فاستحقت التحسين والتقريظ · وقد اتاها طابور اخر من ذلك العسكر

الجديد واقام في دار السعادة بضعة اشهر ولم يظهر خلل في اعماله وفي عودته اوجب التعجب وكان ذلك دليلاً على حسن اخلاقه

وبعد ان عاد من بوسنه اقام نحو ستة اشهر في الاستانة العلية ثم سار بمأمورية مخصوصة في الفرقة الاصلاحية المامورة باصلاحات جبل قوزان وقبوداره وجبل الاكراد وجبل كاور. وفي اوائل سنة ١٢٨١ ذهب الى الاسكندرونة واقام هو ودرويش باشا قومندان الفرقة المذكورة ومشير الاوردوي الرابع الهمايوني باصلاحات الجبال المذكورة وضبطا قوزان وجعلا تلك النواحي تحت الانتظام والضبط . وتم ذلك كله بسرعة لا مزيد عليها فذلك بنصف سنة .

وبسبب قرب حلول فصل الشتاء عادا الى دار السعادة وصرفا في الاستانة العلية . وفي الربيع بدل الطريقة ورتبة القاضي عسكرية تحولت الى رتبة الوزارة السامية وتوجهت عليه الولاية التي أُلفت بضم الويه اطنه وقوزان و بياس وحلب وزور واورفه . وهو الوحيد في الدولة العلية الذي انتقل من القاضي عسكرية الى الوزارة وسار الى ولاية حلب واسس فيها نظامات الولاية وعندذلك ادخل سنجاق قوزان في اصول الولاية . وفي اثناء اكمال الاصلاحات في جبل قوزان وجبل كاور ادخل في دوائر الانتظام والضبط جبل ريتون الواقع ضمن سنجاق مرعش وكان في حالة مستثناة وفي خلال فجعله قضاء مستقلاً

وبعد ان اقام سنتين في ولاية حلب توجهت عليه رياسة ديوان احكام العدلية الذي شكل حديثًا فاتى دار السعادة ثم تحول عنوان تلك الرياسة الى النظارة واستمر في تلك المامورية العالية سنتين . ونظم دوائر ديوان احكام العدلية وتحولت اليه رياسة جمعية العلماء التي تشكلت في الباب العالي لترتيب مجلة الاحكام العدلية . وقد بذل جهده هو والعلماء وارفاقه في سبيل تاليف ١٦ كتابًا وترتيبها فطبعت ونشرت من المجلة الى الان ولا يزال باذلاً جهده في ذلك

وبعد انفصاله عن نظارة ديوان احكام العدلية اقام في بيته مدة ثم صار مامورًا في عضوية شورى الدولة في رياسة دائرة العدلية . وصار عضوًا في قومسيون الاصلاحات في صدارة فخامة محمود نديم باشا . ثم صار مامورًا في الولاية التي تشكلت لاجل ترتيب سناجق بياس وقوزان ومرعش . وفي صدارة صاحب الابهة مدحت باشا دعي الى دار السعادة وارجع الى رياسة قومسيون المجلة

وفي صدارة المرحوم اسعد باشا صار ناظرًا على الاوقاف الهمايونية . ثم خلفه في الصدارة المرحوم رشدي باشا شرواني زاده فوجهت اليه نظارة المعارف العمومية عوضا عن نظارة الاوقاف

وفي مدة وجود حضرة صاحب الدولة يوسف كامل باشا رئيس شورى الدولة في مصر كان حضرة صاحب الابهة حسين عوني باشا في الصدارة فجعل صاحب الترجمة معاون شورى الدولة . ثم توجهت عليه ولاية يانيه وفي اثناء وجوده فيها اعيدت الصدارة الى المرحوم اسعد باشا فارجعت نظارة المعارف العمومية اليه ثم عاد الى الصدارة فخامة محمود باشا فوجهت نظارة العدلية الجليلة اليه

ومن اثاره المشهورة النافعة نشر الرسالة المسماة بتقويم الادوار ورسالة قصص الانبياء . وبعد مدة ظهرت مسئلة البحث عن جواز طبع القرآن الشريف او حرمة ذلك وهو في نظارة المعارف وقد شرع في طبع القرآن الشريف بحسب اصول الفوتوليد

وهكذا قد رأينا ذلك الفرد العالم العامل في ميادين المعارف والسنن والسياسة والادارة والتاليف وقد فاز بالحصول على قصبات السبق في ذلك اجمع وادرك بالاهلية منصباً من اهم مناصب الدولة العلية فانه ناظر نظارة في يدها كل الحقوق المدنية والتجارية فيحق لنا ان نفتخر بمعارفه وباثاره العلمية التي يعجز عنها من تفرغ لها فكيف من اقام بها وهو متقلد المناصب المهمة ومشتغل بادارة الاحكام واصلاح الاحوال فنسال الله ان يطيل بقاءه فخراً فانه من الذين قلما يجود الزمان بمثلهم

تقرير مستر كايف

ان مستر كايف هو المامور الذي بعثت به حكومة انكلترا الى مصر مع معاونين ليقف على احوال مالية مصر فاراودنا المتعلقة بالمامورية وبالتقرير منشورة في الجملة السياسية . وقد وضعه ضمن تحرير مورخ في ٢٣ اذار (مارس) الماضي باسم وزير خارجية انكلترا ولم نترجمه وهو يتضمن بلايغ التقرير والثناء على معاونيه وغيره وما ياتي هو ترجمة ذلك التقرير

ان ضيقات مصر المالية ناشئة عن اجتماع سببين متضادين . ويصح ان يقال ان مصر في حالة انتقالية فتتوفر فيها نقائص الحالة التي كانت عليها والحالة التي تحاول بلوغها . لان جهل الشرق وعدم امانته وتبذيراته تضربها في التي جعلتها قريبة من الخراب وتضربها ايضاً المصاريف الكثيرة الناشئة عن اجتهادات سريعة غير مراعية للظروف مصروفة في سبيل اقتباس تمدن الغرب . وقد صرفت مبالغ كثيرة على اعمال لم تات بدخل بحسب عادة الشرقيين وعلى اعمال قد جاءت بدخل ولكنها اقيمت بطريقة غير موافقة او بسرعة غير معتدلة . فبهذا الاخير خطاً تشترك مصر مع بلدان اخرى جديدة (فانها بلاد جديدة بالنظر الى ذلك) وهذا الخطا قد اوقع الولايات المتحدة الامركانية وكاندا في اضطراب عظيم . غير انه ربما كانت مصر لم تقترب بمصاريفها درجة الاسراف التي بلغتها انكلترا في بداية انشا الطرق الحديدية

والظاهر ان الحضرة الخديوية قد حاولت ان تقوم بمشروعات من الواجب ان تقام في زمان اطول وذلك بدخل محدود وفي اثناء سنين قليلة مع ان ذلك كاف لان يثقل على مداخيل اغزر من مداخيل مصر

وقد قيل لنا ان من الاسباب التي تضاد قواعد الامانة والاهلية عند بعض المامورين الحاليين هو عدم ثبات المامور يات . فان الباشاوات حتى اصغر المامورين لا يثبتون الان بارادة شخصية . وقد ظهر بالاختبار ان عدم الامانة لا تقاص في الغالب ولا يجازى مرتكبها الا بعض الجزاء وان الاستقلال في الاراء والاجراءات والثبات في القيام بالواجبات وفي مضادة الخيانات المالية والاهمال الجاري في كل دائرة تاتي بوشايات وحيل تاول الى سقوط المامورين الامناء بعد زمان طويل او قصير . وقد يحذو المامور في مصر حذو الولاة الرومانيين الذين كانوا يحاولون ان ينتفعوا بماموريا تهم قدر امكانهم ما داموا ثابتين فيها . وهذه المغايرات تقوم مقام التنخي في سنين قليلة بثروة رجال عظيمة ربما كانت معاشاتهم ٤٠ ليرا في الشهر فيتهبون الخزينة من جهة والفلاح من جهة اخرى

اما المامورون الاوربيون الذين هم في خدمة الجناب الخديوي فيعتنون كل الاعتناء طبعاً في سبيل تحديد مامورياتهم وحفظها . فهذا يجعلهم احراراً من جهة ابراز ارائهم واعمالهم وكلامهم وقد جاء ذلك بمنافع كثيرة . ومستر اكتون المرسل من مجمع التجارة الانكليزية من انفع المامورين الاجانب في خدمة

حكومة مصر وقد جاء بمنافع كثيرة . فاذا عين رجال كهولاء في المناصب العليا يأتون بنتائج عظيمة جدًّا فانهم يقطعون اعمال الذين يهاجرون في طلب الثروة وطالما كانوا آفة لمصر . و يعتنون بان يكون الذي يشير بانشاء المشروعات النافعة غير الذي ينتفع بالقيام بها . ومن المعلوم ان شروط الاتفاقيات ينبغي ان تفحص برجال امنا وعارفين . وقد قال الذين يعقدون الاتفاقيات انهم يأخذون اكثر مما تستحق اعمالهم لان الشروط ثقيلة بدون لزوم فيلتزمون بان يهدوا مصاريف غير اعتيادية ليصونوا انفسهم من الخسارة . فعلى كل حال يلحق الضرر بمصر . وقد قال لنا احد المامورين الكبار ان مصر في احتياج شديد الى رجال اوربيين من الرتبة الاولى وليس من الرتبة التي يناظر بعضها البعض الاخر لتربح المال وتثقل ولكن كمامورينا في الهند الذين قد رفعوا درجة الاهالي .

ان الاراضي اعظم اسباب مداخيل مصر حتى ان الزراعة فيها تكاد تكون بدون مراعاة للفصول السنة ولكنها متوقفة على ترع كثيرة ذات مصاريف وبدونها تتحول الارض الى صحرا . وحيث توجد كما في الصعيد بحر يوسف وبحر ابراهيم وشرقًا بترعة الاسماعيلية والسويس تصبح بلدان بزمتها ذات ارض مزروعة . فمن اللازم ان تكمل اسباب السقي وتتقن مع التوفير وان ترافقها ترع المياه لغسل الملح من الاراضي الواطية ولتوزيع المياه بانتظام وعدل . فهذه امور كثيرة محتاجة الى الاصلاح . ومع ذلك قد زاد دخل الاراضي كثيرًا في ايام الخديوي الحالي

وتختلف اصول التملك و بفرض ان الارض كلها للحكومة كما في الايلم الاقطاعية في اوربا . وكذلك كانت الاراضي المتسعة تقسم بين القبائل الفاتحة وعليها مال مربوط اسنة العشر . و باقي الاراضي تتملكها الاقوام او الافراد بدفع رسم اسنة الخراج وكان قابلاً للزيادة والنقصان بحسب ارادة الحكومة . فهذه الاراضي لم تكن توجر ولا توهب ولكنها تنتقل الى الحكومة عند نهاية اجرتها . اما الخديوي الحالي فقد وضع قوانين اسبب واصرح من هذه القوانين ويمكن نقل التملك في مصر في ايامه كنقل حق التملك في انكلترا . اما الاراضي التي تختص بالاقوام فيوزعها الشيخ على عيال لتتصرف بها سنة واحدة فقط وهذا مانع عظيم للنجاح . وقد اخبرنا حضرة صاحب الدولة نوبار باشا انه ياجر بعض ارضه و يعطي بعضها للفلاحين بالشراكة فيعطونه قسمًا من المحصول والبذار والالات وغيرها من ماله

ومن المستصعب الحصول على فعلة بالاجرة في اماكن كثيرة . لان لكل رجل خلا النادر قطعة ارض ليزرعها . فالبعض يتفقون على ان يقوموا بعمل باجرة يتفقون عليها فياتون بالفعلة من اماكن مختلفة . و يتفقون مع صاحب الارض الذي لا يعرف غير الذي يتفق معه . وكثيرا ما يقوم المتفق بما يعود على الفعلة بالظلم والجوع حتى انه يخدعهم و يسلب مالهم مع انه يقبض المعين في اوقاته . و يسون في تعس وظلم شديدين اذا كانوا من الرتبة الاولى من الفعلة الذين يأكلون من اموالهم و يحصلون خمسة غروش في النهار بدون ان يقبضوا الاجرة بالترتيب او من الرتبة الاخيرة وهي الفلاحون الفقراء جدًّا الذين يجمعون بمساعدة المدير او رئيس قسم ويشتغلون من طلوع الشمس الى غيابها باكلهم فقط و يهربون كل ما سنحت الفرصة لهم . فهذا التغيير المتعلق بالشغل و باموال الاراضي و باجرة الفلاح ومركزه قد حط ثمن الاراضي حتى انه بلغنا ان الاراضي الجيدة في الارياف تشتري بخمس سنوات . ومنذ برهة اقام الجناب الخديوي صندوقًا لاعانة الفلاحين بقرضهم مالاً بفائض قليل وخسر

مبلغًا وافرًا بذلك . ولا ريب في حسن مقاصده المتعلقة بذلك غير ان الظاهر انهُ لم يبتدي بالمركز الموافق فحاول تخفيض اضرار امركان من الواجب ان يصلحهُ . وقد شرع البعض في ان يخابروه ليأتوا بالصينيين الى مصر وقد اشار قوم عليهِ بان يرسل اقوامًا الى الصين لينظموا عمدة مهاجرة لترسل الصينيين الى مصر غير انهُ قد قال ان ذلك يجعلهُ مصروفًا كثيرًا وانهُ تنشا اتعاب كثيرة عن اجراء اتفاقياتهم . فاذا جاؤوا من تلقاء انفسهم يسر بان يستخدمهم وان يقيمهم في ارض غير مزروعة وقد بلغنا ان كل الفعلة الذين يستخدمون في معامل السكر يقبضون اجرتهم نقدًا بالضبط وان العساكر المنظمة في مستعمرات عسكرية او الحالة بالقرب من اراضي قصب السكر يقبض كل منهم نحو شلين واحد في اليوم فضلاً عن معاشهم العسكري او يقومون بالاشغال بالمقاطعة . ويشتغلون تحت مناظرة ضباطهم فكل ٣٥ رجلاً منهم يشتغلون قدر ستين رجلاً من الفعلة الاعتياديين . ولا ريب في وجود السخرة ووجود اناس يشتغلون والجناب الخديوي يدفع عنهم مال الارض

اما الدائرة السنية وهي املاك الحضرة الخديوية السنية فمؤلفة من ٣٥٠ الف فدان من ارض جيدة اكثرها في الصعيد وفضلاً عنها مائة الف فدان من الغير الجيدة ولا تزرع . ويؤجرون الاراضي الجيدة المذكورة نحو نصفها ويبقى بيده النصف الآخر وقد عدل دخلها كلها بار بمائة واثنين وعشرين الف ليرا وفي يده نحو ١٥ الف فدان لزرع القطن و ١٢٠ الف فدان للمزروعات الشتوية اي الحبوب والخضرة المختلفة . واهم المزروعات قصب السكر واهم الصنائع عمل السكر . فيزرع ٤٠ الف فدان بالسكر وعنده ١٢ معملاً عظيمًا فيها اتقن الآلات . والخطا في

هذا كما في امور اخرى ناشئ عن القيام بهذا العمل بدون مراعاة الظروف حق المراعاة . فبنيت معامل عظيمة جدًا قبل ان اصبحت الارض قادرة ان تقدم لها كفايتها من القصب ولم تبنَ في وسط الاراضي بل بنيت بالقرب من الطرق الحديدية ولذلك لا بد من نقل القصب اليها بالآلات بخارية امياً لا كثيرة . فتصرف مبلغاً وافرًا من الفحم الحجري والمناظرة صعبة وقد اهملت بعض المعامل بعد ان اقيمت فيها الآلات الكثيرة الثمينة وبعضها لم يكمل بناؤه ولا تم ايجابها وقد شيدت آلات بخارية للسقي بدون ان تستعمل

اما حسابات المعامل فيمكن ضبطها . اما مصاريف الزرع فمشوشة فان منها يشغل بالسخرة او بالخيول او بأناس مديونيين لوفاء الدين . وقد بلغنا ان مصاريف الزرع مع قطع القصب في خمس ليرات عن كل فدان . وقد تقرر عندنا ان دخل اراضي قصب السكر يزيد عن مصاريف شغلها وسيزداد دخلها باتقان زراعتها وتوسيع دائرتها واستخدام كل قوة الآلات . وقد انتفعت زراعة القصب كثيرًا باستخدام ما يخرج من المعامل من المواد لتحسين التربة وبحسن ادارة عود القصب فانهُ يحرق لتشغيل الآلات ويكاد يستغنى بهِ عن الفحم في ذلك وفي تقطير السكر . ولا نشير بترك هذه الاراضي غير انهُ يصعب تعويض الاغلاط الاصلية وربما كان لا يتيسر الحصول على دخل كاف يقابل راس المال لان كثيرًا منهُ جمع باستقراض مبلغ بفائض غير معتدل . ولذلك تشغل افكارنا عندما نسمع ان حساب راس مال الدائرة السنية لا يزال مفتوحًا وانهُ يتامل بمشروعات عظيمة السعاية تكون مصاريفها ملايين من الليرات . وقد بلغنا قبل الخروج من انكلترا ان السكر المصري كان يباع في انكلترا باقل من المال الذي يصرف لايجاده . وربما كان ذلك ناشئًا

عن خطا مكن التاجر من ان يحصل على السكر باسعار دنية بخسارة صاحبه او ان ديونا مستحقة وفيت بسكر بسعر اقل من اسعار السوق او انه بيع لتجار توافقوا على ان يشتروا الموجود كله ثم التزموا بان يبيعوه للحصول على النقود ولو خسروا وتدني اسم السكر المصري بجعل الامثلة التي كانت تباع كميات وافرة منه بموجبها ادنى من الكمية التي تسلم الى المشتري . اما الان فقد تغير ذلك وسياتي بنتائج موافقة فالامثلة جيدة . و يباع السكر بالمزاد وقد شرع في ان يناظر به والمنتظر ان تحسن مداخيله فانه جيد جدًّا . وقد قال لنا احد العقلاء هنا اثباتًا لرايه وهو ان عمل السكر لا ياتي بربح فمن الواجب ان يعدل عنه وان السكر الفرنساوي المكرر يناظر في الاسكندرية السكر المحلي مع انه يدفع رسمًا قدره ٨ في المائة . غير ان العارفين بهذه الامور قد قالوا ان لذلك سببين اولاً انه لا يرسل سكر مكرر اي رووس الى الاسكندرية للبيع الا قليلاً فانه لا يصنع منه غير التي طونولاته في منية وعلى الانواع الثلثة التي تصنع للتجارة السكر الابيض المبلور ثانيًا ان الحكومة تمنح شيئًا للتاجر الذي يصدر السكر وهذا يجعل تاجر السكر في مصر كما في انكلترا يناظر سكر بلدان اخرى غير ان في مصر سببًا لصيانته وهو ان السكر المصري يصان برسم موضوع على سكر اخر بدون ان يدفع رسمًا على المواد التي يصنع منها

وقد قيل ان حسابات الحكومة وحسابات الدائرة السنية قد تقررت لخدع الناس . والظاهر انه من الممكن ان يكون قد اظهر تقريرهم لحفظ زمام الامور في يد ناظر مالية لم يستخدم بعد في ما ليته ما مورًا اوربيًا حتى انه لا يسمح لاوربي بان يدخلها غير اننا لا نقدر ان نتصور ان تقريرًا غير صحيح ينشر سنة بعد سنة ومع ذلك يطلب ان يصير فحص الحسابات بامور عارف يبقى هنا خمس سنوات على الاقل ويسمح له بمطالعة الدفاتر ومن الجلي ان الحسابات غير مضبوطة كل الضبط . فاذا اخذنا مثلاً تعديلات الدخل والمصروف عن سنة ١٨٧٦ وحسابات سنة ١٨٧٥ نرى حسابات مختلطة اختلاطًا غير اعتيادي حتى انه تقيد ترعة في مصر وطريق حديدية في السودان نقدة واحدة . واذا فحصنا حسابات الرسومات المتعلقة بالمالية لا نجد تقريرًا رسميًا منفصلاً عن الصادرات والواردات من كل مديريات الرسومات في مصر لاظهار نوعية البضائع وكميتها وقيمتها ومكان صدورها وورودها . وليس لتقرير الكميات قاعدة واحدة فبعضها يقيد ثقلاً والبعض الاخر عددًا وغير ذلك والازمنة تقيد احيانًا بالحساب القبطي واحيانًا بالغربي

والذيل عدد ٨ يظهر الاصلاحات الكثيرة اللازمة في هذا الفرع حال كونه مهمًا من جهة الدخل وقد عدل احد العارفين بالاحوال الذين ليست لهم علاقة بالحكومة بواسطة التقريرات الغير التامة التي يقدر الناس ان يدركوها انه من الواجب ان يكون دخل رسومات الاسكندرية وحدها ٥٥٨ الفًا و٧٢٧ ليرا مع ان دخل رسومات كل الثغور كان ٥٤١ الفًا و٢١٥ ليرا اي ان كل رسومات مصر نقصت عن الرسم الذي كان ينبغي ان يدخل من الاسكندرية وحدها ١٧ الفًا وخمساية وعشر ليرات

اما مداخيل الطرق الحديدية ومصاريفها عن سنة ١٥٩١ قبطية وهي من سنة ١٨٧٤ و١٨٧٥ ميلادية فتقريرات مداخيل المحطات المختلفة دقيقة جدًّا حتى ان فيها تقييد غروش . غير ان المعاشات والاجور نقدة واحدة قدرها ١٩٥ الفًا و٢٩٧ ليرا بدون ان تكون مفصلة لتظهر لمن دفعت

ويدون اظهار عدد المامورين والمستخدمين فيها . وكذلك فيد دفعة واحدة ١٢٧٠٠٠ الفا وعشر ليرات لاصلاح الات ومركبات . ولذلك يسهل علينا ان نفهم ما يقال من ان مداخيل الطرق الحديدية تنقص الخمس عن مداخيلها لو اديرت حق الادارة

ومن اللازم ان نقول انهُ قد صار توقيف انشا كل الطرق الحديدية الجديدة خلا طريق السودان وهذه الطريق المسماة طريق نوبار محصورة في شط النيل الواقع بين وادي حلفا وهانك وهي نحو مائتي ميل ومصاريفها بعد اكمالها والاتيان بالاتها سبعة الاف ليرا كل ميل . وقد عدل عن انشا بقية الطريق من صنك الى شندي قاطعة بلادًا صعبة المسالك وهي طريق فولا بروطولها ٢٥٠ ميلاً . فان الشلالات في هذه الجهة تسلك تسعة اشهر من السنة فقط غير ان الشلالات عند الطريق التي قد شرع فيها لا تسلك في الغالب

وقد بلغنا ان بلاد السودان بلاد غنية فيها سكان كثيرون يزرعون حبوبًا كثيرة . وبعد ان دفعت مصاريف درفور والمامورية التي ارسلت الى البحيرات العظيمة ارسلت الى الخزينة ٥٠٠ الف ليرا كما تقرر في الحسابات العمومية

اما الاستيلاء على درفور ومامورية بحيرات خط الاستواء فلا يحسب نجاحًا بالنظر الى المداخيل وابطال تجارة العبيد ما حمل الجناب الخديوي على ان يقوم بها وتدسيق الى حرب الحبشة على غير ارادته . والمظنون انهُ يعود بعد برهة ليست بطويلة من الحبشة وخط الاستواء . والجناب الخديوي ربما كان يسر بتوسيع الاراضي والتجارة غير انهُ لا يبهر بصره بمجد الحروب الخالي من النفع

قد قررنا التعديلات المالية الاتية بموجب اوراق استلمناها من الجناب الخديوي وافادات شفاهية حصلناها منهُ واثبتناها بالوسائط التي فزنا بالحصول عليها وهي

كان دخل مصر سنة ١٨٠٤ خمسة وخمسين الف ليرا في السنة وسنة ١٨٣٠ ثلثة ملايين وثلثمائة الف ليرا وسنة ١٨٦٤ اربعة ملايين و٩٣٧ الفا و٤٠٥ ليرات وهي السنة الثانية من الخديوية الحالية وسنة ١٨٧١ سبعة ملايين و٣٧٧ الفا و٩١٢ ليرا وهي السنة السابقة للتغييرات التي نشات عن مال المقابلة . وهذا المال يمكن جميع اصحاب الاملاك من ان يخلصوا املاكهم من دفع نصف المال الاميري عن الاملاك بدفع مال ست سنوات سلفًا او مقسطًا على سنين . فالذين دفعوا المبلغ كلهُ نقدًا عفيت املاكهم في الحال من نصف مالها . والذين يدفعون اقساطا ينزل مالهم ٨ ٪ في المائة عن سلفيتهم وينزل المال عند اكمال الدفع . وفي بادي الامر جعل نهاية الاقساط في نهاية ست سنوات . غير انهُ ربما كان لم يفهم هذا الترتيب او ان اصحاب الاراضي القابلة لم يكونوا قادرين ان يدفعوا مبلغا سنويا عن الاراضي وهو ضعف المرتب الاعتيادي خلا ٨ ٪ في المائة فاطيلت المدة فصارت ١٢ سنة وذلك بعد وضع النظام الاول بسنتين فيستمر بعد الان عشر سنوات فيدفع صاحب الملك نصف ضعف المال الاصلي بعد طرح ٨ ٪ في المائة منهُ

اما الذيل عدد ٤ فيظهر حالة هذا المال منذ وضعهِ والمبلغ الذي يدخل في السنين العشر القادمة وهي غاية سنة ١٨٨٥ . وهذا مناسب جدًّا لصاحب الارض الذي يقدر ان يدفع الزيادة في الحال فانهُ يفوز بالتخلص من نصف ما لو الى الابد بدفع خمسة اضعاف ونصف ضعف قدرهِ الاصلي فان الاسقاط وهو ٨ ٪ يقال حتى يبلغ ذلك المقدار ويصير ذا

مالك حر ليس كالمالك الحالي المشبوه

وهذا الترتيب المالي مضر بالحكومة ماليًا لان الحضرة الخديوية قد تعهدت كل التعهد بان لا يرجع ما يخفض باي وجه كان ولهذا قد خسر على الدوام ٥٠ في المائة من هذا المال ليحصل على ١١ ضعف المبلغ السنوي في ١٢ سنة. اما المقصود الاصلي من هذا المال فهو جمع مال كاف حالاً او في سنين قليلة لدفع الدين الجاري (فلوتن) ، غير ان تطويل المدة جعل المجموع كافيًا لدفع فائضه فقط

ان الدخل السنوي في الحالة الجارية هو عشرة ملايين و٦٨٩ الفًا و٧٠ ليرا غير انه سيقل عند نهاية المال الاميري المسمى بالمقابلة بعد عشر سنوات اي سنة ١٨٨٦ وقدره مليون و٥٢٠ الفًا و١١٨ ليرا وكذلك ينقص مال الاراضي الاعتيادي بالغاء رسم فيصير مليونين و٦٣٤ الفًا و٨٢٤ ليرا مع انه في الحال اربعة ملايين و٢٠٥ الاف و١٢١ الفًا

اما مصاريف الحكومة الخديوية فهي تسعة ملايين و٨٠ الفًا و٦٨١ ليرا منها خمسة ملايين و٢٠٦ الفًا و٦٧٥ ليرا لدفع فائض القروض المختلفة ، وسياتي حسابها . اما قروض الجناب الخديوي الخصوصية فلا تقوم الحكومة بدفع شيء منها خلا قرضين وهما قرض مصطفى باشا الذي عقد سنة ١٨٦٧ والقرض المصري الانكليزي للدائرة الذي عقد سنة ١٨٦٥ ، فهذان القرضان مع قسم من دين الدائرة السنية الجاري ومجموعها كلها ثلثة ملايين ليرا قد ضما الى الدولة بعد دفعها المبلغ ، والدخل قابل للاتساع ولكن المظنون ان اتساعه لا يكون عظيمًا ، واهم المداخيل اموال الاراضي والمنتظر انه ينمو بعد ان يطرح منه رسم المقابلة باتساع دائرة الاراضي المزروعة وربما كان يزداد نموًا بالغاء ذلك الرسم ، اما في الحال فيزرع في مصر اربعة ملايين و٨٠٥ الاف و١٠٧ فدادين وهي تدفع الرسم فاذا قابلناها بالاربعة ملايين و١٠٥ الفًا و٩٧٦ فدانًا التي كانت تزرع في ايام سعيد باشا نرى ان الزيادة في الحال ١٨½ في المائة ، وقد اضيف ٢٥٢ الفًا و٣٥٠ فدانًا الى الاراضي المزدرعة وسيوضع الرسم عليها قريبًا ، وسيتم هذا شيئًا فشيئًا فلا تنشا عنه زيادة حالية في الدخل ولكن المنتظر ان يزداد ١٨٠ الف ليرا في السنين الخمس بواسطة وضع الرسم على هذه الفدادين ، وبعد تخطيط ٢٦٧ الفًا و٦٥٠ فدانًا اخرى تضاف الى الاراضي المزدرعة فالمنتظر ان يزداد الدخل بها ١٤٠ الف ليرا ، فيكون مجموع الزيادتين المذكورتين ٦٢٠ الف فدان اي ١٥ في المائة من الاراضي التي كانت تزرع عند قبض الجناب الخديوي على زمام الاحكام ، فاذا جمعنا هذه الزيادة الى الزيادة المذكورة اعلاه نرى انه في ١٢ سنة من حكمه زادت اراضي مصر المزدرعة ٣٣½ في المائة ، ولا يزال في مصر مليون و٩٨ الف فدان من الاراضي القابلة للزراعة وقد قيدت ولكن لم يشرع في العمل فيها

اما مداخيل الطرق الحديدية فقد زادت من ٧٥٠ الف ليرا في السنة كما كانت سنة ١٨٧٣ الى ٩٩٠ الف وثمانمائة ليرا سنة ١٨٧٥ ، غير انه لا ينتظر ان تستمر هذه الزيادة على ازدياد لانه لا بد من صرف اموال اكثر من التي تصرف في الحال للترميم والتجديد واذا قل المحصول احيانًا يقل الدخل واذا طرحنا ذلك نرى ان دخل الطرق يمكن ان يزداد بحسن الادارة والتيقظ . وكان طول الطرق الحديدية سنة ١٨٧٣ الف ومائة وعشرة اميال واضيف اليها سنة ١٨٧٤ و١٨٧٥ مائة ميل فيكون المجموع ١٢١٠ اميال ، وقد صرف في انشا كل

ميل منها اذا تعدلت ١١ الف ليرا وقد صار تخطيط طرق اخرى وما من طريق اهم من طريق السودان وقد شرع فيها فعلاً . وليست طريق السودان الاصلية ولكنها قسم منها لقطع اردا الشلالات

والمنتظر ايضاً تحسين احوال الرسوم فان صادرات القطن لم تنقطع عن الازدياد وكانت سنة ١٨٦٧ مليوناً و٢٠٥٢ الفاً و٥٩٢ قنطاراً فاصبحت سنة ١٨٧٤ مليونين و٦١٥ الفاً و١٢٠ قنطاراً وفي سني الحضرة الخديوية الاسماعيلية وهي ١٢ سنة صدر من القطن ٣/٦ اضعاف القطن الذي صدر في السنين الثلث عشرة السابقة اي اكثر من ثلثة اضعاف الكمية التي صدرت اي ان الزيادة ٢٥٧ في المائة . وقد خابت امال كثيرة بنزول الاسعار وربما كان يقلل محصول القطن فانهُ يقال ان محصول القمح باتي بربح اعظم . غير ان تحسين الآت الحلج ياتي بقطن نظيف باخراج البزر الذي يشتعل منهُ الزيت

والزيادة ظاهرة في سائر الصادرات والواردات فان مجموع الواردات من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٥ هو ١٦١ مليوناً و٩٢٩ الفاً و٧٢٦ ليرا مع ان مجموع الواردات من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٦٢ ٢٩ مليوناً و٦٤١ الفاً و١٥٥ ليرا انكليزية فتكون الزيادة في ١٢ سنة مائة في المائة اي ان البضائع الواردة الى البلاد المصرية في السنين المذكورة اولاً هي ضعف البضائع التي وردت اليها في السنين المذكورة ثانياً (وهذه الزيادة العظيمة جرت في ١٣ سنة منذ قبضت الحضرة الخديوية على زمام الاحكام)

اما المحصولات الصادرة فقد اصبحت في المدة المتاخرة المذكورة اربعة اضعاف محصولات المدة السابقة المذكورة ايضاً فاضحت ١٤٥ مليوناً و٩٢٩ الفاً و٧٢٦ ليرا بعد ان كانت ٣٦ مليوناً و٩٢٩ الفاً و٥٤٣ ليرا

وفي السنين الثلث عشرة المذكورة قد زاد عدد اهالي مصر زيادة عظيمة فان الولادات زادت عن الوفيات فيها ٦٢٦ الفاً و٨٠٩ نسمات

والمعارف قد اصبحت موضوع عناية عظيمة فان المدارس المنظمة نظاماً اوربياً اصبحت سنة ١٨٧٥ اربعة الاف و٨١٧ مدرسة بعد ان كانت سنة ١٨٦٣ اماثة وخمسة وثمانين مدرسة . وفي السنة الماضية كان في مصر ٤٨١٧ مدرسة فيها ٦٠٤٨ استاذاً و١٤٠٠ الفاً و٩٧٧ تلميذاً وفي ذلك زيادة عن السنة السابقة الف و٧٢مدرسة فيها ١٦١٥ مدرساً و٢٧ الفاً و٧٣٢ تلميذاً . والتعليم مختلف ولكنهُ قد تحسن وبعضهُ من اتقن التعليم واعلاه

فهذا مما يبين ان البلاد قد نجحت نجاحاً عظيماً في كل امر في ايام خديويها الحالي ومع ذلك التقدم احوالها المالية امست في ضيق شديد من جرى الاسباب التي ذكرناها . ومع ان المصروف كثير لاياتي وحدهُ بالضيقات الحالية الناشئة بالاكثر عن عقد قروض بشروط غير عادلة لسد احتياجات موقتة منها كان منها لم يكن الجناب الخديوي قادراً ان يمنعهُ .

قد عقدت قروض مصر كما ياتي

سنة ١٨٦٢ عقد المرحوم سعيد باشا القرض الاول وقدرهُ بالاسم ثلثة ملايين و٢٩٢ الفاً وثماثة ليرا وعين اجل دفعهِ ٣٠ سنة وفائضهُ ٧ في المائة . و يدفع سنوياً من اصلهِ ١ في المائة . ولا نعلم المبلغ الذي دفع فعلاً من هذا القرض لعدم وجود التفصيلات اللازمة للوقوف على ذلك

وسنة ١٨٦٤ عقد القرض الاول الذي اقام بهِ الجناب الخديوي اسماعيل وقدرهُ بالاسم خمسة ملايين و٧٠٤ الاف

و ٠٠ ٣ ليرا ولم يقبض منهُ غير اربعة ملايين و٨٦٤ الفاو٦٢ ليرا . وفايض المبلغ الاسمي ٧ في المائة وعين ٨٧ ٣ في المائة ليدفع من اصلهِ سنويًا غير ان الفائض على المبلغ الذي دفع فعلاً ٣ ٨ في المائة وما يدفع من الاصل ٥ ٤ فيكون مجموع ما يدفع سنويًا عن ذلك القرض ٧ ٢ في المائة عوضًا عن ٨٧ ١٠ واجل هذا القرض ١٥ سنة فيتم دفعهُ سنة ١٨٧٩

اما قرض سنة ١٨٦٨ فجعل لهُ اجل حتى سنة ١٨٩٨ وقدره بالاسم ١١ مليونًا و ٨٩٠ الف ليرا ولكنهُ لم يقبض منهُ غير سبعة ملايين و١٩٣ الفا و٣٢٤ ليرا . ففائضهُ الظاهر ٧ في المائة ويدفع من اصلهِ سنويًا ١ في المائة غير ان فائضهُ الفعلي ٥٦ ١١ في المائة و يدفع منهُ سنويًا ٦٨ ١ في المائة فمجموع مصروفهِ في السنة ١/٤ ١٣ في المائة

وسنة ١٨٧٣ عقد قرض اخر قدرهُ الاسمي ٣٢ مليون ليرا وفائضهُ ٧ في المائة سنويًا ويدفع من اصلهِ واحد في المائة في كل سنة . على انهُ لم تقبض مصر منهُ غير ٢٠ مليون ليرا و٦٢ الفا و٦٥٨ ليرا وذلك بالاسم فاسى الفائض السنوي ١١ في المائة وما يدفع منهُ ٦٣ ١ في المائة فمجموع ما يدفع من مصر عليهِ سنويًا ٦٣ ١٢ في المائة . ومن هذا المبلغ الذي يزيد قليلاً عن العشرين مليونًا دفع تسعة ملايين على الاقل ورقًا سعرهُ ٩٣ في المائة ولذلك نقول ان خزينة مصر قبضت ٢٠ مليونًا و ٧٤٠ الفًا و٧٧ ليرا ويصرف على هذا المبلغ سنويًا ٣ ١٢ في المائة

وسنة ١٨٦٦ اعقد قرض لانشا طرق حديدية وكانت قيمتهُ الاسمية ثلثة ملايين وفائضهُ ٧ بالمائة . وقبضت الخزينة من ذلك المبلغ الاسمي مليونين و ٦٤٠ الف ليرا فاسى الفائض ٨ في المائة . فرد المبلغ كلهُ اي ثلثة ملايين ليرا في ستة اقساط سنوية كل منها خمسماية الف ليرا من اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٦٩ الى اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٤ وهذا يساوي دفع ٩ ١٨ في المائة من اصل المبلغ كل سنة . حتى انهُ في ست سنوات تكبدت مصر مصروفًا قدره ٩ ٢٦ في المائة من المبلغ الذي قبضتهُ فعلاً

وللدائرة السنية قرضان فضلاً عن هذه القروض العمومية وهذان القرضان قد صارا للخزينة العمومية التي دفعت قيمتهما وهما قرض الانكليزي المصري المعقود سنة ١٨٦٥ وقدره ثلثة ملايين ليرا وفائضهُ السنوي ٩ في المائة ويدفع من اصلهِ في السنة ٢٧ ٣ في المائة ومجموع ما تدفعهُ مصر عليهِ ٢٧ ١٢ في المائة . والقرض الثاني المنسوب الى مصطفى باشا المعقود سنة ١٨٦٧ وقدره مليونان وثمانون الف ليرا وفائضهُ ٩ في المائة ويدفع من اصلهِ سنويًا ٤ ٣ في المائة فمجموع ما تدفعهُ خزينة مصر عنهُ ٤ ١٢ في المائة سنويًا . وسنة ١٨٨١ ينتهي القرضان المذكوران

اما قرض الجناب الخديوي الخصوصي وهو الذي عقدهُ بالاستناد الى املاكهِ الخصوصية سنة ١٨٧٠ فعقد بشروط اثقل قليلاً من قروض الحكومة خلا قرض الطرق الحديدية فللحصول على خمسة ملايين تعهد بان يرد ٧ ملايين و١٤٢ الفا و ٨٦٠ ليرا في عشرين سنة فائضهُ ٧ في المائة على المبلغ الاسمي فيكون الفائض الصحيح ١٠ في المائة و٣٦ ٣ في المائة من اصل المال فيكون مجموع ما تدفعهُ الحضرة الخديوية عن هذا القرض ٣٦ ١٣ في المائة سنويًا

وقد ظهر بهذا التعديل انهُ ما من قرض مصري يدفع عليهِ اقل من ١٢ في المائة في السنة مع ان بعضها يصرف عليها ١/٤ ١٣ في المائة وقرض الطرق الحديدية ٩ ٢٦ في المائة هذا مع المال

الذي يدفع من اصل المال

وقد قرر ناظر المالية المصرية ان المبلغ الذي دفع فائضاً ومن اصل المال عن قروض الخزينة الى نهاية سنة ١٨٧٥ هو ٢٩ مليونًا و٠٥٧ الفًا و٩٩٤ ليرا، وان الدخل من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٧٥ هو ٩٤ مليونًا و٢٨١ الفًا و٤٠١ من الليرات وان مصاريف الادارة في المدة نفسها مع مال البلاد السنوي ٥٦ مليونًا و٤٦١ الفًا و٣٦٢ ليرا. وصرفت الحكومة على ترعة السويس واعمال اخرى مبينة في الحساب الآتي وغير ذلك ٥٦ مليونًا و٦٥٤ الفًا و٧٢٣ ليرا. فما ياتي هو حساب الداخل الى خزينة مصر والخارج منها من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٧٥

الداخل

ليرات	
٩٤٫٢٨١٫٤٠١	من اموال البلاد الاميرية والرسومات
٣١٫٧١٣٫٩٨٧	قروض
٠٣٫٩٧٦٫٥٨٣	بيع اسهم ترعة السويس
١٨٫٢٤٣٫٠٧٦	الدين الجاري (فلوتن)
١٤٨٫٢١٥٫٠٤٧	

الخارج

٤٨٫٨٦٨٫٤٩١	مصاريف ادارة البلاد
٠٧٫٥٩٣٫٨٧٢	مال مصر المدفوع للباب العالي
٣٠٫٣٤٠٫٠٥٨	مصاريف مشروعات نافعة وغيرها
١٠٫٥٣٩٫٥٤٥	مصاريف فوق العادة منها ذات نفع مشبوه ومنها اجابة لطلب اقوام واصحاب صوالح
٣٤٫٨٩٨٫٩٦٣	فائض ومن اصل المال
١٦٫٠٧٥٫١١٩	مصاريف ترعة السويس
١٤٨٫٢١٥٫٠٤٧	

(ستاتي بقيته)

حرارة الارض

(من قلم سليم البستاني)

قد تقرر عند علماء الفلك ترجيح ان الارض كانت في بادي امرها كتلة ملتهبة في الفراغ وقد جاؤوا ببراهين تدل على ذلك ناشئة عن البحث عن حالة الارض في الحاضر. وان سطحها اليابس الذي تعيش عليه كل الكائنات العضوية اي الحيوانات والنباتات انما هو قشرة متكونة بالتبارد فوق المواد الذائبة الملتهبة التي لا تزال في بطن الارض وذلك كما تتكون قشرة رقيقة على سطح رصاص مذوب متروك ليبرد بالتدريج فانهُ يتصلب سطحهُ حال كون باطنهِ ذائبًا الى ان يبيت كلهُ صلبًا. ولا يتم ذلك في برهة قصيرة لان المواد الضخمة المجتمعة الذائبة بالحرارة لا تبرد ببرهة قصيرة كالصابون مثلاً اذا طبخت منهُ كمية وافرة وغير ذلك من الكرات ومن المصنوعات الزجاجية . وشكل الارض كروي بيضي اي انها مدورة مفرطحة في شمالها وجنوبها وهذا الشكل ينشا

عن دوران جسم رخو على محور مثلاً لو اتينا بكتلة من العجين كبيرة كانت او صغيرة وكانت الجاذبية الداخلية بين اجزاء العجين كافية لان تحفظها معاً اذا وضعنا في وسطها قضيباً وادرناها يصير شكلها الارض اي شبيهاً بالشكل البيضي . وقد تقرر عند اهل المعارف وكل ذي فطنة ان الدنيا كساير الاجرام التي نراها كروية وانها تدور لانها في فراغ بدون ركز ولا تعليق فلا تمتكن فدورانها علة شكلها الحالي

والجبال النارية التي تقذف دخاناً ولهيباً ومواد ذائبة وبخاراً تشهد بوجود مواد كثيرة جداً في عمق غير معلوم ملتهبة ذائبة لشدة الحرارة . وتصاعد الغازات والابخرة واللهيب من بعض شقوق تتكون عنه زلزلة

والبرهان الثالث على وجود تلك الحرارة في بطن الارض ازدياد حرارة الارض بالتعمق فيها فانه كلما حفر الانسان في قشرتها وتعمق تشتد الحرارة . وهذا يدل على انه في عمق كثير حرارة شديدة جداً تمتد الى ما فوق ذلك وقد تعدل انه كل ما نزل الانسان تحت الارض ستين قدماً تشتد الحرارة درجة واحدة من ميزان فهرنهيت للحرارة . وليس هذا باضطراد ولكنه تعديل قريب فانه في بعض الاماكن تزداد الحرارة درجة واحدة كل ما تعمق الانسان ٣٢ متراً في الارض والمتر ذراع ونصف ذراع . وفي بعض الاماكن كل ٣٦ متراً وفي بعضها ١٩ متراً وقد يكون ١٥ متراً فقط . وقد تزداد الدرجة في ١٣ متراً . والحد المتوسط ٢٥ متراً ولهذا الاختلاف سببان وهما اختلاف القوة الموصلة في مواد القشرة والاختلاف في سمك قشرة الارض . وللتوضيح نقول ان من الاجسام ما لا يبلغ الحرارة تبليغاً شديداً كالحطب مثلاً فانك تقدر ان تشعل عوداً في طرف وتمسكه من الطرف الاخر وهذا لا يتيسر اذا احمينا طرف قضيب من حديد لان الحديد موصل جيد الحرارة بخلاف الخشب . وهذا التفاوت في الصخور ايضاً فان بعضها يبلغ الحرارة اكثر من البعض الاخر فاذا كانت الصخور والمواد الواقعة بين سطح الارض ومركز الحرارة شديدة التبليغ تشتد الحرارة اذا حفرنا ١٣ متراً او ١٥ والا فلا تزداد درجة ما لم يحفر ٣٢ متراً . اما الاختلاف في سمك القشرة فربما كان عن وجود اخاديد متسعة في باطن القشرة او عن مواد لا تبرد بسرعة تبارد مواد اخرى ولو فرضنا ان ازدياد الدرجة يكون متساوياً لوجدنا في عمق ستين الف قدم حرارة درجتها الف وهي درجة الحديد الذي يحمر بالحرارة . وبالحفر الى ادراك ماهو اوطا من ذلك قليلاً تكون المواد المعدنية ذائبة من الحرارة . ولا ينبغي ان نفرض لمركز الصخور الذائبة التي تقذفها الجبال النارية عند هيجانها عمقاً عظيماً جداً اي ان لا تكون المواد الذائبة التي تقذفها الجبال النارية تحت الارض اكثر كثيراً من ستين الف قدم وتبرد بعد ان تصل الى سطح الارض برهة

والبرهان الرابع يستدل عليه بكثافة الارض فان الثقل النوعي لبعض صخور معروفة هو بين ٢,٥ و ٣,٠ ولكن ثقل الارض كلها نحو ٥,٥ . ولا سبيل الى توضيح هذه الامور للذين لم يتعلموا العلوم الطبيعية الا بشرح طويل فنكتفي بالقول بان الثقل النوعي هو نسبة مادة الى مادة بالثقل والميزان الماء الصافي بالنسبة فما ثقله ثقله في درجة معلومة من الحرارة يكون ثقله النوعي واحداً وما ثقله ضعف ثقله يكون ثقله النوعي اثنين وتزداد الكثافة بازدياد العمق حتى ان الماء يصير في عمق ٣٦٠ ميلاً ثقل الزيبق فلو كانت الارض كلها مركبة من مواد كالمواد الموجودة على سطحها لكان

ثقلها النوعي ٥ او ٦ و يستدل من ذلك على ان داخلها قوة دافعة اي معاكسة للقوة الضاغطة في داخلها وانها تقاوم الضغط الذي ينشا عن الجاذبية والمعروف ان قوة الحرارة وحدها قادرة على ذلك ولا ريب في ان كثيرين لا يفهمون المقصود من هذه العبارة فالاوفق الاكتفاء بالبراهين الثلثة لان توضيح هذه الجملة لا يتم الا بشرح مطول لبضعة نواميس طبيعية

وقد قرر العلماء اراء متعلقة بالحرارة الباطنية وذوبان باطن الارض وقد قررناها في الاقسام الاتية

اولاً . قد تقرر ان للارض حرارة داخلية لا تعلق لها بالحرارة الشمسية وانها تزداد كثيرًا بازدياد العمق

ثانيًا . ان ازدياد الحرارة يختلف باختلاف الاماكن فربما كان في بلد ضعف مقدار الازدياد في بلد اخرى ولا تعلق للخلاف بمراكز الارض الطولية او العرضية

ثالثًا . ان مجموع مواد اليابسة من الارض (ليس سطح الارض فقط ولكن سطحها و باطنها) هي عشرة الاف ضعف مجموع الماء المتصل بها فيرجح ان حالة السيولة الارضية الاصلية كانت ناشئة عن شدة الحرارة وليس عن عناصر مائية . وكانت الحرارة شديدة جدًا قدر الحرارة الحاضرة في بطن الارض اذا فرضنا ان ازديادها متساوٍ فتكون الدرجة ٤٥٠ الف درجة من ميزان فهرنهيت

رابعًا . اذا كانت درجة الحرارة ١٢ الف درجة من الميزان المذكور تكفي لذوبان اكثر الصخور المعروفة و يكون مركزها اي مركز تلك الحرارة في مكان يبعد عن سطح الارض الى تحت من ٨٠ الى ١٦٠ ميلاً . هذا مع فرض تساوي الازدياد بازدياد العمق . والمظنون ان اقسام الارض الذائبة توصل الحرارة بشدة لا توصلها بها القشرة الارضية فيكون مركز المواد الذائبة اقرب الى السطح من ذلك العمق بين ٨٠ و ١٦٠ ميلاً

خامسًا . اذا قطعنا النظر عن الرسوبات (توضيحها في الجملة التي نشرت في الجنان السابق) نقول ان قشرة الارض جمدت بالتبارد من خارج الى داخل . فاقدم الصخور اقربها الى السطح وهذا يظهر بسبب علم كثافة الصخر السافي الذي تكون بدون وقوع ضغط عظيم عليه . وسيستمر التبارد الى ان يبلغ الحد النهائي

سادسًا . لا نرى ما يحملنا على ان نحكم بان سمك قشرة الارض هو اكثر من ٦٠ الى مائة ميل كما يظهر من اختلافات درجات الحرارة الداخلية ولا ينسب ذلك الى مجرد اختلاف القوة الموصلة التي ذكرناها اعلاه واسباب حدوث الزلازل قوة الانتشار والتمدد في المواد السائلة في بطن الارض الناشي عن فعل الحرارة الداخلية والضغط

سابعًا . ان القشرة الصلدة تتقلص مادام فعل البرودة فيها يزداد عن فعله في المواد الجوفية . ولا بد من ان يزداد الدوران كلما صغر محيط الارض وهذا يجعل الارض تغير شكلها الكروي بعض التغيير . والمواد الداخلية الذائبة تضغط بقوة الانتشار على القشرة المتقلصة فتنشا التهيجات في الجبال النارية

وقد قال مستر كورديه انه اذا تقلصت قشرة الارض جزءًا واحدًا من ٣٢٠٥٠ جزءًا من القيراط يكون تقلصها او رقتها قوة كافية لاحداث تهيج في جبال النار . فاذا صح ذلك يكون ارق مكان من القشرة الارضية مركز الجبال النارية

وقد جاء بعض القوم ببراهين كيماوية

لاظهار وجود الحر المركزي وبالتالي التهيجات في الجبال النارية وقال بعضهم ان علة ذلك التهيج احتراق مواد قريبة من سطح الارض كالكبريت والحديد والفحم الحجري . وقال اخرون ان الجبال النارية ربما كانت تنشا عن وجود كمية وافرة جدًّا من البترول وهو الزيت المعدني في تجاويف او مغارات تحت سطح الارض واحتراقها . وان سبب الاحتراق وجود مركبات من الفوسفور والكبريت وقد استدلوا على ذلك ببرهان وهو احتراق المعادن الفحمية وقالوا انها لا تحترق الا بمواد تحترق من تلقاء نفسها . وقد قال السار ديفي ان ذلك ناشئ عن خاصة القلي او التربة القلوية وفي قشرة الارض كمية وافرة منه . فانه يتاكسد عندما يماسة الهواء والماء بسرعة فيحترق . وانه ربما كان في بطن الارض كميات وافرة من البوتاسيوم والكلسيوم والمغنيزيوم وغيرها فعند مماستها الماء الذي يدخل بطن الارض بالشقوق تتاكسد حالاً و تنشا عنها الحرارة الشديدة فتتركب مركبات حجرية تقذفها الجبال النارية ذائبة

فهذه اراء بسيطة الظاهر غير انه قد اعترض عليها وامست غير مقبولة والاراء المتقدمة هي المعول عليها فان ثقل القلي النوعي وثقل القواعد الارضية تبين انهُ ليس في جوف الارض كميات وافرة من المواد المذكورة

والابار الارتوازية او الصحراوية مما يستدل بدرجة حرارة مائها على درجة حرارة الارض . ولا بد من توضيح الابار الارتوازية فنقول ان اهالي الصين اولاً ثم اهالي اوربا راوا انهُ بواسطة ثقب الارض في اماكن موافقة يصعد الماء الى سطحها ولو كان عمقها مئات من الاقدام ولصعوده اسباب طبيعية معلومة لا محل لذكرها الان وكلما كانت عميقة تكون حرارة الماء الخارج منها شديدة حتى ان ماء بعضها يجري في انابيب في المستشفيات والمعامل للاستدفاء في زمان البرد عوضاً عن اضرام النار . فدرجة حرارة الماء الخارج من تلك الابار تكون قدر درجة حرارة المكان الذي يخرج منهُ وخروجهُ السريع يمنع تبريده وهو صاعد . فالماء المنبجس من بئر جرونيل الارتوازية في باريز درجة حرارته ٢٧ ٧/ وعمق البئر ٥٤٨ متراً . فدرجة حرارة باريز المتوسطة ١٠ ٦/ ويستدل من ذلك على ان الماء قد اكتسب حرارة من جوف الارض مقدارها ١٧ ١/ وحرارة ماء تلك الابار قليلة بالنسبة الى حرارة الماء السخن الذي يخرج من ينابيع طبيعية كحرارة ينابيع طبريا . فان اعمق الابار الارتوازية ستمائة متر واعمق المعادن ٢٠٠٠ متر فلا تكون درجة حرارتها اكثر من الستين . مع ان درجة حرارة بعض الماء السخن الذي يخرج طبعاً قد ادركت تسعين درجة كماء عيون موسى وحمام برصة بل قد ادركت المائة كالماء الغزير الحار الذي يخرج في جزيرة ايسلاند . وقد تكون حرارتهُ ١٢٤ درجة ومن المعلوم ان علة حرارة ذلك الماء الحرارة التي اكتسبها من الاعماق التي يخرج منها . وقد ظهر ايضاً ان المواد التي قذفتها الجبال النارية شديدة الحرارة فانهُ قد وضع القوم في المواد الذائبة التي قذفت عند طفحها وسيلانها في جوانب جبل فسيفوس الناري المشهور زجاجاً او موادّاً اقل قابلية للذوبان منهُ فذابت بمجرد ملامستها لها

وقد ظهر من ذلك ومما تقدم ان في جوف الارض حرارة شديدة جدًّا وانها تزداد بازدياد العمق . فاذا ازدادت الحرارة على النسق المذكور تكون درجة الحرارة في مركز الارض ١٩٥٠٠٠ . ويكون المكان كافياً لغليان الماء في عمق ثلثة الاف متر . ولكنها لا تزداد بنسبة واحدة دائماً والظاهر ان درجتها من

عمق مائتي كيلو متر الى المركز ليكون مقدارها من ٠٠٠ ٣ الى ٠٠٠ ٤ درجة وذلك كاف لاذابة جميع الجواهر

فهذه عجائب ذلك الخالق سبحانه وتعالى الذي وضع النواميس الطبيعية وجعلها تفعل في مخلوقاته العضوية والغير العضوية وهو حافظها و ينبوع قوتها

تاريخ فرنسا

لادخال البضائع اليها قبل دفع الاجرة وامر بنقل المقابر من الكنائس الى جزيرة ولم يغفل عن اسباب تنزه الاهالي وسرورهم فانه رمم قصر سان ماركز الجميل وزينه وانارهُ لتنزه الناس وانشا مستشفيات فهذه من الافادات التي منحها نابوليون للبندقية مع انه زارها بسرعة ولم يصرف فيها غير ايام قليلة فانشا فيها من اسباب المنافع اكثر مما انشات النمسا في قرون وكان يطمع في مجد هذه الاعمال فكانت الامم العظيمة تكافئه بضجيج الشكر والاستحسان . وكانت البندقية وغيرها من اراضي ايطاليا المتسعة قد اخذت من املاك النمسا فكانت وزارتها تترقب بتيقظ لا مزيد عليه الفرصة لتنتقم من ذلك الامبراطور الذي كان يسمي نفسه بامبراطور الاهالي لاسترداد املاكها

و بعد ان خرج منها اخذ في فحص احوال قلع المملكة الاولية وكان قد كتب الى اخيه لوسيان بان يوافيه الى مانتوا فانه كان قد وقع خلاف بينهما وكان نابوليون يحب ان يصالحه وكان لوسيان قد تزوج امراة ثانية وهي ارملة احد صيارفة باريز وكان حاذقًا مهيبًا ثابت العزم ولم يكن يميل الى الانقياد الى اخيه وكان نابوليون يعلم قوته و يركن الى اصابة ارائه و يرغب في الحصول على رجال قادرين على انفاذها فاجتمع باخيه الى ما بعد نصف الليل فخرج لوسيان باكيًا فانهما لم يتفقا ولئن كان كل منهما يعتبر الاخر ولا نعلم ما

جرى من الحديث الا ما ذكرهُ البارون منيفال كاتب نابوليون اذ قال بعد ان اصدر الامبراطور اوامرهُ اليّ سرت نحو الساعة التاسعة لاطلب لوسيان بونابرت في الخان الذي كان قد نزل فيه فسرت به الى مخدع الامبراطور فاجتمعا الى ما بعد نصف الليل وخرج لوسيان مضطربًا جدًا والدموع قد ملات عينيه فرجعت به الى الخان وعرفت هناك ان الامبراطور كان قد الح عليه كل الالحاح بان يجعله يرجع الى فرنسا ليتبوا عرش ملك من احد البلدان على انه اشترط عليه بامس عواطفه واستقلاله السياسي . وطلب اليّ بان اودع اخاهُ عنه وقال ربما كان هذا الوداع الاخير . ولما راى الامبراطور انه لم يقدر ان يقودهُ الى ارائه بقبول شروطه منحه الزمان اللازم لاعادة التامل وطلب الى اخويه روز بريه تاليراند وفوشيه بان يلحوا عليه بقبول شروطه فلم يفلحوا . فتاسف نابوليون لانه خسر مساعدات رجل كان يحترم صفاته الجيدة وحذقه وثبات عزمه ومن اعظم الامور الدالة على كرامة اخلاقه مبادرته الى الاتيان الى اخيه في ساعة الضيق . انتهى

وبعد ذلك خرج نابوليون من مانتوا قاصدًا ميلان وعند وصوله الى عاصمة مملكة ايطاليا وكان هو ملكها وجد تحريرات لا تحصى واردة اليه من كل اقطار اوربا . اما انكلترا فباتت تشعر بالاضرار التي وقعت عليها بسبب الامر الذي اصدرهُ من برلين فباتت لا تقدر ان تبيع بضائعها وامسى اصحاب الرساميل فيها في خطر الافلاس ومعاملها في تاخر وفعلتها في جوع حال كون اواسط اوربا لم تشعر ببعض الاضرار التي كانت تشعر بها . فان نابوليون كان قد فتح ابوابًا جديدة للتجارة فاصبحت اكثر الصنائع والمعامل في نجاح وتقدم . فلما رات انها على هذه الحال اصدرت اوامر جديدة اشد من الاوامر السابقة

تثبت بها حصر فرنسا وكل دول اواسط اوربا التي اتحدت معها وقررت انهُ من الجائزان تغنم كل المراكب التجارية التي تخص فرنسا او احدى حليفاتها مالم تكن قد جاءت سواحل انكلترا او ثغرًا انكليزيًا و بان تدفع تلك المراكب المحايدة رسمًا قدرهُ ٢٥ في المائة عن قيمة كل البضائع الواردة فيها من بلدانها او بلدان حلفائها خلا انكلترا وهكذا رغبت انكلترا في ان تستعيض عن امتناع نابوليون عن ابتياع بضائعها بوضع رسم على محصولات الدنيا . فلما ورد هذا القرار الى نابوليون وهو في ميلان اصدر لمقابلته قرارهُ المشهور المعروف بقرار ميلان . ولا يخفي انهُ قرر في قرار برلين منع دخول المراكب الانكليزية الى كل ثغور فرنسا وثغور حلفائها او المراكب التي جاءت ثغرًا انكليزيًا و يظن ان فيها بضائع انكليزية وامتنع عن القيام بكل المخابرات التجارية بينهُ وبين جارتهِ الانكليزية المحاربة الى ان يظهر منها ما يبين انها تميل الى عقد السلام وكما ان انكلترا حجزت كل ما هو للفرنساويين في البحار حجز نابوليون كلما كان للانكليز في البر . ولكنهُ قرر في قرار ميلان ما هو خارج عن دائرة العدل كقرار انكلترا اقتداءً بها ودفعًا للاضرار التي وقعت على وطنهِ فانهُ قال ان كل مركب يدفع ذلك الرسم يخسر جنسيتهُ وبالتالي يسوغ ان يغنم وان هذه التدبيرات الشديدة تبطل عن كل امة تجعل انكلترا تحترم رايتها وتستمر على غيرها ولا تبطل ما لم تظهر انكلترا انها تحترم القوانين الدولية واسس العدل والناموس . فقررت انكلترا ان كل المراكب التي لا تاتي موانيها وتدفع الرسم من التي يسوغ غنمها ونابوليون قرر عكس ذلك كما رايت . ففي هذه الاجراءات العظيمة التي اقامت بها دول قادرة باتت الامم الصغيرة في ويل وهوان بدون ان تكون قادرة ان تحامي عن نفسها

وقد قال نابوليون في القرار الذي اصدرهُ وهو في ميلان ان كل ملوك اوربا موتمنة على استقلال راياتها ونفوذها . فاذا ساقها ضعف لا يعذر الى ان تسمح بظلم كذلك الظلم بان يصير قاعدة مقررة بالعرف ويبادر الانكليز الى استغنام سنوح الفرصة ليقرروا ذلك كحق كما قرروا بسماح الدول قاعدة ردية مآلها ان راية امة لا تصون البضائع فيجعلون حق الحصر بحرًا ممتدًا امتدادًا يضر باستقلال كل بلاد . انتهى.

وقال لحكومة الولايات المتحدة الامركانية انهُ لا يقصد انفاذ قراره في بلادها . وقال بعد ذلك للمجلس القضائي الفرنسوي ان دولة امركا فضلت ترك التجارة بحرًا والبحر على ان تعترف بانها عبدة للانكليز

وعرف نابوليون وهو في ميلان ان انكلترا امرت جنودها التي انتصرت الانتصار الذي ذكرناهُ في كوبنهاغن عاصمة الدانمرك بان تسير الى البرتوغال وكانت قد جمعت في مرافي تلك البلاد التي كانت ضعيفة كانها مستعمرة انكليزية وفي قلعها المنيعة في جبل طارق الذي اخذتهُ قهرًا من اسبانيا جيشًا جرارًا قويًا جدًا . فاخبر نابوليون اسبانيا حليفتهُ التي لا يركن اليها بانها باتت في خطر وبعث بجنود لاسعافها . وعند خروجهِ من ميلان بادر الايطاليان الذين يقرون لهُ بالجميل الى تقرير انشاء اثر لهُ لتذكر المنافع التي حصلوا عليها باجتهادات مخلصهم المشهور . ثم صار مسرعًا الى بيادمون وناظر على القلعة العظيمة التي كان يبنيها في الاسكندرية من تلك البلاد . ومن ثم ذهب الى تورين وكان ينهض غيرة الاهالي في كل مكان بكرم وحب وامر بتعميق ترعة البو لتصبح السفن قادرة ان تصل بها الى الاسكندرية في اوربا . وخطط بحذق المهندس العظيم ترعة لتصل مياه البو بمياه البحر المتوسط ومهد طريقًا عامًا في جبل جنفر وهذه طريق جديدة بين فرنسا

وبيادمون . وبامره شيدت سبعة جسور جميلة متينة فوق سبعة انهر . واقام بتدبيرات مالية لانشاء ذلك جميعهِ . ولا يعجب الانسان اذا سمع بان الملوك الشرهين الذين كانوا يصرفون اوقاتهم بالملذات والملاهي كانوا يخافون سطوة ذلك الملك الادبية عند مايراه شعوبهم لايبالي بالراحة والملذات والملاهي ويفرغ كل جهده في ترقية اسباب تقدم البشر

وخرج من تورين والاهالي يضجون بالثناء عليهِ وكان يستحق ذلك واي استحقاق وكانت جوزيفين جالسة بجانبهِ والسرور والكدر يتقاتلان في صدرها فانها كانت تحب زوجها حباً شديداً لامزيد عليهِ وكان تبسمهُ وملاطفاتهُ واعتناؤهُ الشديد بها وكلامهُ الحبي الناشي عن شدة الغرام تشهد بانهُ كان يحبها كما كانت تحبهُ . وكانت موكدة بان ذلك الرجل العظيم الجاذب القلوب بطلاسم حذقهِ ولطفهِ لايتردد عن ان ينفي من قلبهِ كل اثر للغرام اذا راى انهُ لابد من ذلك لادراك غاياتهِ واتمام مشروعاتهِ وفي مساء اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٠٨ عاد الى باريز فبادر مامورو البلاط والمدينة اليهِ للقيام بالمفروض عليهم وسر الباريزيون وازدحمت اقدامهم في الجنات وقرعوا الاجراس واشعلوا المصابيح . وكان مئات منهم يضجون ضجيجاً يبين لنابوليون ان عرشهُ كان مقاماً في قلوبهم . واخذ في الاعتناء بامور البورتوغال واسبانيا لحل المشاكل المتعلقة بها ومملكة البورتوغال ارض ضيقة ممتدة على سواحل اسبانيا الغربية وكان فيها نحو ثلثة ملايين من الاهالي كثيرون منهم كانوا في حالة الجهل وقد تعودوا الذل بظلم الحكام وكانت سطوة انكلترا نافذة كل النفوذ فيها حتى انهُ كان يقال انها مستعمرة انكليزية . وكانت المراكب الانكليزية تملا فرضها ومخازنهم تملا اسواقها . فبعث نابوليون تحريراً الى حكومة البورتوغال وقال لها انهُ من الواجب ان تميل الى احد الفريقين المتضادين فاذا كانت راغبة في ان تنضم الى المخالفة في اواسط اوربا فمن الواجب ان تفعل كسائر الدول وتمنع المراكب الانكليزية عن الدخول الى فرضها وان تحجز كل البضائع الانكليزية الموجودة في بلادها وجرت بعد ذلك مخابرات سياسية . وكانت الحكومة البورتوغالية تبعث بكل تحريرات نابوليون الى وزارة انكلترا وقد قال مستر كانش في مجلس انكلترا العالي ان وزارتها كانت تكتب الاجوبة . فعرف نابوليون المقصود من الاجوبة الغير الصريحة التي كانت تتبع ذلك . فارسل في الحال جيشاً مع جيش اسبانيا لتخليص البورتوغال من سلطة الانكليز . وكانوا يعلمون انهم لا يقدرون على الدفاع فدخل جيش فرنساوي صغير تحت قيادة الجنرال جونو البلاد وسار بسرعة قاصداً العاصمة . وكان الاهالي ينظرون الى تلك العساكر غير مبالين فان الظلم حملهم على كره حكامهم وكان الذل قد نفى من صدورهم كل عناصر الحرية والشهامة وانقسم مجلس المشورة في لسبون عاصمة البورتوغال فبعضهُ رغب في المحافظة على محالفة الانكليز والبعض الاخر في الاتحاد مع دول اواسط اوربا . وقال قوم الاصوب ان يخرج البلاط الملكي كلهُ بجواهره وامتعتهِ واموالهِ ويسير قاصداً املاكهُ البعيدة في البرازيل وكانت ولاية بورتوغالية طول سواحلها اربعة الاف ميل ومساحتها خمسين ضعف مساحة البورتوغال . فانفذ الراي الاخير عند ما بلغهُ ان القائد جينو يصل بجيشهِ الفرنساوي الى لسبون بعد ذلك بيومين اما ملكة البورتوغال فكانت قليلة العقل وكان البرنس وكيلها يسوس المملكة بالنيابة عنها وكان في مينا لسبون ٣٦ مركباً حربياً وتجارياً فحمل اهل البلاط وامتعتهم وكان ذلك في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٠٧

وكان المطر يهطل غزيراً والهواء يهب بارداً غير انهُ كان لابد من السفر وكانت والدة الملكة كانها مجنونة فنزلت الى الشارع هي والبرنس والبرنسات واكثر اعضاء البلاط والعيال الكريمة وكانت مركبات بضائع لاتحصى تجري في الازقة وفيها الفضة والحلى والاثاث الفاخر والصور الجميلة . وانزلت النقود التي تيسر للحكومة والامراء ان يجمعوها الى المراكب في صناديق . وكانت المنقولات الثمينة مطروحة على الشاطي وقد بلت بالمطر ولطخت بالوحل وكانت المركبات ترد وتصدر وفيها عيال امرا واصحاب مناصب وسار الى المراكب بسرعة وضجيج نحو ثمانية الاف من الرجال والنساء واشتد الخوف حتى ان مراكب كثيرة سافرت بدون ان يكون فيها الزم اسباب المعاش وبالاضطراب كان الزوج يركب مركباً وزوجتهُ مركباً اخر وكذلك انفصل الاخوة والابا والبنون واستمر والفي قلق من جهة سلامتهم الى ان ادركوا البلاد البراز يلية . وكانت بوارج انكليزية تسير عند مصب تاجوس لتصون العائلة الملكية ومأموري البلاط الهاربين وخرجت البوارج والمراكب عند هبوب ريح قوية فاطلقت البوارج الانكليزية المدافع للسلام على العائلة المالكة . وكان السارسدني سمث رئيس البوارج الانكليزية فارسل مراكب قوية لصيانتهم وقبل ان توارت مراكب العائلة المالكة واعوانها الهاربين في الافق وصل الجنرال جونو الى ظاهر لسبون ودخل بالف وخمسمائة جندي من ابطال الجيش الفرنساوي بدون ان يمانعهُ الاهالي اقل ممانعة مع ان عددهم ثلثمائة الف نفس . وهكذا انتقلت البرتوغال من ايدي الانكليز الى ايدي الفرنسويين كما لوكان ذلك في الحلم

وكان فرع من العائلة البوربونية مالكاً في اسبانيا واسم الملك كارلوس الرابع وكان شرهاً اكولاً خامل العقل جباناً كسلان مزدري بهِ وكانت زوجتهُ لويزا ماريا من برنسات نابولي فاجرة واشد فسقاً من افجر نساء اسبانيا . وكان مانيول كودوى طويل القامة جميلاً جاهلاً متقناً للغناء والموسيقى محباً للملذات والملاهي وكان من حرس الملك . وكانت الملكة المذكورة من بنات ايطاليا ومن بلاط نابولي المفسود عارية من الحياء شديدة الميل الى الشهوات بعيدة عن التقوى والتهذيب الصحيح فسمعت صوتهُ فدعتهُ الى القصر ورفعت مقامهُ واجزلت عطاءهُ وسلمت نفسها وزوجها وحكومتها الى يدهِ . فسر الملك الجاهل بل الناقص العقل بالتخلص من اتعاب ادارة المملكة فارتضى بتدبيراتها ولم يكن ذا ناموس ولا كرامة فكان يرى ما يدل على افعال زوجتهِ ويتجاهل فانهُ كان منحطاً حتى بلغ اوطا درجة من الذل الادبي فكان يحب كودوا المذكور ويتكئ على كتفهِ ويقول هوذا صديق يصونني . ولما عقد معاهدة باسيل لقبوهُ ببرنس السلام . وقال لنابوليون عند اجتماعهِ بهِ انني اخرج كل يوم من الصيف والشتاء للصيد حتى الظهر فاتناول الطعام ثم اعود الى الصيد حتى غروب الشمس . وعند ذلك يخبرني كودوا بما قد جرى بالاختصار فانام لاعود في الصباح الى ما كنت عليهِ . انتهى . فهذا ما كان يفعلهُ ملك اسبانيا والخروب تزلزل اوربا من اساساتها كانها زلزلة دائمة . وكان لهُ ثلثة اولاد وهم فرديناند وكارلوس وفرانسسكو . فالاول ولي العهد وكان قد بلغ سن ٢٥ وكان جاهلاً خامل الفكر كابيهِ ومنموداً كامهِ وقد قالت عنهُ ما ترجمتهُ . ان ابننا فرديناند ذو راس كراس البغل وقلب كقلب النمر . وكان يجب ان يتبوأ التخت واكثر الامة تميل اليهِ فانها كانت قد

(ستاتي بقيتهُ)

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

قالت لها قبل السلام لقد سارت اوجينا الى لوندرا واظن انها كانت قادرة ان توخر سفرها بضع ساعات اكرامًا لي فاين ولداها . وكانت ماريون تعلم كره اختها المذكورة لكل الاولاد فقالت لها هل ترغبين في ان تريهما . قالت كيف لا ماهذا السوال . فاتت الخادمة بهما ولما كشفت عمتهما المذكورة اظهارًا لحنوها ان تتفرس بهما بجنون وتان وحققت النظر بكبرائها بتابيني التي لم تستحِ منها اما اخوها الصغير فاستحى وخبا وجههُ في صدر سوزان وليمز الخادمة فلم يظهر منهُ غير شعره الجعد . ثم قالت لقد اكتفيت فاذهبي بهما . وقالت قبل ان ابتعدا عنها كثيرًا انهما على جانب عظيم من البساطة ولا يشبهان اوجينا ولا اباهما فانني اعرفهُ وهو رجل اسمر قصير القامة . فقالت ماريون اظن ان تابيني هي كامها عندما تبتسم واظهرت غيظًا من تنكيتات انتوانت على ولدي شقيقتها وكان الصبي مريضًا ولا نعلم ماذا يكون من امره بعد ان يصح جسدهُ وشعرهُ جميل . فقالت ماذا ينتفع الولد من الشعر الجميل وماذا يسمى . فقالت ماريون كرلاد جيوفري . فقالت انتوانت جيوفري ماهذا الاسم . قالت انهُ كسائر الاسماء . قالت انهُ اسم غير مانوس واسماه غير مانوسين وليسا من اسماء عائلتنا ولا من اسماء عائلة الاب . قالت امها لانتوانت يا عزيزتي هل سمعتِ انهُ سمي احد بهذا الاسم . فاجابت برفع كتفيها ثم قالت قد سمعت بذلك ولكن هذا ليس بسبب كاف فماذا يا ترى حمل اوجينا على الذهاب الى المدينة حالاً .

قالت انها قد ذهبت لتصرف خادمها الهندي فانها لا تقدر ان تصرفهُ ما لم تجد لهُ مركزًا في عائلة فانهُ تصرف تصرفًا لا يليق بين الخادمات وطلبت امي صرفهُ واظن انها اقامت بذلك اكرامًا لخاطرنا فانها كانت تحب ان تبقيهُ . فقالت الام يا عزيزتي انني لا اقدر ان اغض النظر عن تصرفهِ وعند ذلك اخبرتها بكل ما صنعهُ بالخادمة فضحكت حتى استلقت على ظهرها وتكلمت عن فعله كانهُ من اجمل العاب العالم . ثم قالت يا ماريون انك قاصدة ان تبيني لي ان اوجينا قد ذهبت الى لوندرا بغتة لتذهب بذلك الخادم الشرير وتسفرهُ بامان وسلام انني لا اصدق كلمة من ذلك ثم رفعت ثوبها قليلاً لتبين حذاءها الجديد العالي . فقالت ماريون بحدة . ماذا يحملك على تكذيب ذلك . وكانت تعلم ان حيوة انتوانت حيوة خيانة وسببها ونتائجها ولذلك لم تطق ان تسمعها تنكت على شقيقتها الصادقة العفيفة . قالت بعدهُ عن الصواب لانهُ لو كان قصدها الوحيد صرف الخادم الذي قالت امي انها لا تصر على ذهابهِ في الحال لما التزمت بان تذهب اليوم فان نهار غد وما بعدهُ يصلحان لذلك كهذا اليوم . قالت الام انني قلت لها ذلك اما قلت يا ماريون . فقالت انني لا اتذكر ولو فرضنا انك قلت لها ذلك لا تذهب بدون سبب موجب فانها ليست بولد . فقالت انتوانت ضاحكة وباستهزاء حسب عادتها عند ثلم صيت الاخرين لقد اصبتِ انها ليست بولد ولم تذهب الا لاسباب

ولكن من الموكد انها غير الاسباب التي ابانتها لك فان لها اسرارًا ككل منا . قالت ماريون ان الذين يعملون اعمالاً سرية لابد من ان يرتكبوا الخطا وعندي ان في المعيشة البسيطة الصالحة لا لزوم للاسرار فماذا ياترى فعلت او قالت انتهمها بها فاننا لم نرَ غير ما يحملنا على مدحها والثناء عليها . قالت انتوانت اهذا هو رايك اما تعلمين ان مجيئها من الهند بدون ارسال خبر هو من الحوادث الغير الاعتيادية . قالت الام انا اشترك بالراي مع انتوانت وعندما وصلت الينا تحيرت وتعجبت عجبًا لا مزيد عليه . وقد اخطات بذلك وقد اخبرتها به الم اخبرها بذلك . قالت ماريون بلى اخبرتها الف مرة ولكن ذلك لا يغير الظروف التي حملتها على المجي بغتة وهي ضعف جسمها وجسم اولادها فالتزمت بان تحضر حالاً . فقالت انتوانت ياماريون العزيزة لو عرفت احتياجات الذين يسافرون زمانًا طويلاً في البحار لعرفت انهُ لابد من ان يصرف الانسان اسبوعًا في الاستعداد والبرد تخرج مرة كل ثمانية ايام من كلكوتا ولا ريب في ان اوجينا عرفت بانها ستاتي قبل سفرها بثمانية ايام . فما لنا ولذلك هل جسمها في ضعف مفاق . قالت ماريون ان جسمها ضعيف ولم يبقَ شيءٌ من رونق وجهها الزاهي واحمراره القاني . قالت هذا من الامور الاعتيادية فان كل النساء يخسرن رونق وجوههن في الهند . قالت الام انها تاكل ما يكفي وتمشي فلا اقول انها مريضة وكذلك الاولاد ليسوا بمرضى . قالت انتوانت هل ارت نفسها لطبيب منذ حضرت . قالت لا ان ذلك لم يخطر لها ببال واظن ان ضعفها هو كضعف كل امراة تقيم ست سنوات في الهند فان الهواء مضر جدًا في الايام الحارة . قالت انتوانت الظاهر انها مرضت بغتة لان شارلي اوسوالد خرج من بنغال منذ ٣ اشهر وقال انها كانت تتمتع باعظم الملاهي وتحضر المآدب والولائم . قالت ماريون ربما كان ذلك سبب مرضها . قالت الام هل القبطان اوسوالد المذكور في سوثمبر الان فان اوجينا قالت انها رائتهُ في كلكوتا . قالت كيف لا فانهُ يعرفها حق المعرفة . (رجف صوتها عندما قالت انهُ يعرفها حق المعرفة) الم تخبركم باسماء الذين كانت تعرفهم في الهند من الانكليز . اجابت ماريون انها ذكرت اسم القبطان اوسوالد وكانت ترغب في قطع هذا الحديث فان ما ظهر من نوايا شقيقتها اقلقها . قالت انتوانت انهُ يحق لهُ ان يفتخر بذلك لانهُ واحد من الف فلم تذكر غيرهُ الم تذكر كاردن . اجابت اظن ان كاردن هو احد شركاء المحل التجاري المستخدم فيه هنري زوجها قالت انتوانت اظن انهُ شقيقهُ الاصغر منهُ واسمهُ جيوفري كاردن فالقبطان المذكور يعرف كل احوالهِ فكيف لم تذكرهُ ياترى مع انهُ كان من اقرب الاصدقاء اليها بل كانت صداقتهُ متجاوزة حدود الاعتدال وقد سمعت بذلك فقالت ماريون بغيظ هل تقصدين ثلم الصيت . قالت لا لا فلا تفرغي قوتك لمضادة كلامي الضعيف فاني لست بمصدر هذه التاكيدات ومرادي ان اخبركم بما قالهُ لي القبطان المذكور . قالت الام ماذا قال ياترى . فلو قيل لها ان هذا السوال يسمعك ما يثلم صيت ابنتك لما سالتهُ ولا سمحت لغيرها بان يسالهُ على انها كانت قليلة التامل في العواقب ومحبة جدًا لاستماع الاخبار والقيل والقال وراغبة في ان تبين لنفسها ان تصرف بنتها انتوانت المحبوبة لم يكن اردا من تصرف سائر النسا فاصغت بشوق وبحثت ماريون لانها عارضت شقيقتها وادنت نفسها من انتوانت لتسمع اخبار القبطان اوسوالد . فقالت انتوانت اظن انهُ من الواجب ان تسمعي هذا الخبر وتظاهرت بالتكدر لتبين لامها ان نقل الاخبار الثالمة للصيت يكدرها

ثم قالت اقول انهُ واجب مراعاة لي اذا لم يكن مراعاة للاخرين فانني طالما اتهمت بمعاشرة الرجال وبالتصرف بما لا يليق بامراة متزوجة مع انني لست اردا من غيري . قالت امها من يا ترى تجرا ان يتهمك بذلك . قالت لا تسالي ثم نظرت الى ماربون . قد قيل ما قيل ومن قواعدي ان لا ابالي بما يقال . فلا ارغب الا ان اعيش بسلام في عائلتي . وليس لذلك علاقة باوجينا وما يتعلق بها نشا عن اجتماعي بالقبطان في سوثبير فسالته قائلة الا يندهش اهالي كالكونا بجمال اختي . قال كيف لا ان الجميع يندهشون بهِ وكثيرون يطلبونهُ فاني لما خرجت من المدينة كان نحو ١٢ رجلاً من التابعين لها . فقلت لهُ ما اغرب هذا الخبر فانني ظننت انني وحدي من العائلة مرتكبة شر معاشرة الرجال . قال انني قد اخطات بهذا الظن وانها وقعت في مشكل بسبب طبيب او محام انني قد نسيت فطردهُ زوجها وكثرت التقولات بهذا الشان . قالت امها يا عزيزتي انتوانت ليس المقصود من معنى كلامك الطعن في عرض شقيقتك . ولاحت على وجهها لوائح الكدر الشديد . قالت ماربون يا اماه يا اماه انك لا تقدرين ان تصدقي هذه الاخبار فلو سمحنا باستماع اخبار ضد اوجينا العزيزة وهي غائبة لا ينبغي ان تكون اشاعات قد سمعت في تلك الظروف وصدرت من ذلك المصدر . قالت انتوانت ماذا تقولين عن القبطان او سوالد فهل ترتابين في صدق كلامهِ . قالت لا اقول شيئاً غير انني اقول ان الرجل الذي يقدر ان يجعل امرًا عظيمًا مهمًا جدًا موضوعًا للهو والتسلية وهو يكلم اخت التي يطعن في عرضها يكون خاليًا من الاعتبار لك ولها ولنفسهِ وربما كان لا يعتبر الصدق . فلو سالتهُ عن ينبوع اخبارهِ لانتقل الى موضوع اخر وانا اكره استماع هذه الاشاعات الغير الواضحة فانها كثيرًا ما تضر وتلقي الشقاق والتعس في بيوت حال كونها خالية من كل صحة . فهذا الكلام موثر وخرج من صميم فواد ماربون حتى ان انتوانت باتت منكسرة على انها كانت قليلة الحياء فجمعت قوتها وقالت لو سلكت مسلك اللياقة ومكنتني من قص الخبر الى اخره لما قلت ان الخبر غير واضح فان القبطان قد اسند كلامهُ الى مصادر صحيحة وقد ذكر اسماء و . . . . فقالت ماربون بغيظ انني لا ارتضي ان اسمعها ونهضت وهي تقول انني لا ارتضي ان اجلس مستكنة هنا واسمع طعنًا كهذا الطعن في شقيقتي المحبوبة وهي اعز اصدقاءي واحب الناس اليَّ ولا اصدق كلمة من هذا الكلام ولا اصدق انها عاشرت الرجال معاشرة تشينها وتجلب العار علينا وعندي انها من كل الوجوه طاهرة نقية كما كانت يوم خرجت من هذا البيت . ولا تكون المراة عفيفة يا انتوانت اذا ضحت حبها للصدق لحبها للقيام بالمعاشرة . فقالت انتوانت باسمة هذا مدح لي وقد تعودت استماعهُ منك . فاذا كنت لا تصدقيني وتنسبين اليَّ شر الباطن وسوء المقصد فجربي انت اوجينا واساليها عن الصداقة التي كانت جارية بينها وبين جيوفري كاردن . اما اسم ابنها الصغير جيوفري فهذا برهان ظاهر واساليها عن افكار زوجها المتعلقة بهِ بالنظر اليها . قالت ماربون وهي خارجة من المخدع انني لا اسالها ولا اهينها بكلام كهذا الكلام . قالت اذا لم تحفري في طلب الحقائق لا تفوزين بالحصول عليها فانها في بئر عميقة ولكن اذا انتبهت ولاحظت الظروف تظهر لك بعض الامور فاعذريني فانني قد اخرجتك من المخدع بهذه الاخبار . فقالت انني ذاهبة الى الولدين . وسارت اليهما وحملت الولد الذي كان يبكي طالبًا امهُ وهي تتامل بما سمعت

وتقول في نفسها اذا كانت هذه التهمات صحيحة حال كون اوجينا على ما هي عليهِ من التعقل والرزانة والناموس لا تكون امراة غير قابلة للتهمات . ثم قالت انني لا اصدق ما اسمعهُ فان اوجينا ليست بحيوان ولكنها امراة كريمة مهذبة تحفظ مركزها بين الناس وتصون اسمها . ولم تتكدر الا من جرى استماع هذا الخبر فانها كانت تفضل ان لا تسمع شيئًا مثل ذلك

الفصل السادس

ولم تجد اوجينا مركبة فارغة لتسافر فيها مع زوجها الذي كان يحسبهُ الناس خادمها فلم تخاطبهُ في الطريق الا ببعض كلمات هندية ولا تيسر لها ان يتخاطبا بحرية بعد الوصول الى لوندرا والنزول في منزل خاص يقبل المسافرين . وبعد ان صرفت نصف النهار بالكدر دخلت مخدعها لتصرف السهرة فيهِ ولما كثر الشغل في الطبقة السفلى وكثرت الاصوات وبات الخدامون مشغولين في الاكل والتنظيف فتح باب مخدعها ووقف دون مون امامها فاجفلت ثم قالت لهُ بصوت منخفض ياهنري هل تاكدت بانهُ لم يرك احد قال لها لا ثم قفل الباب واخذ في ان يحل عمامتهُ ويخلع اثوابهُ وقال لها يا اوجينا الا تقدرين ان تسعفي رجلاً في خلع ثيابهِ ثم سب الثياب والسبب الذي الجاهُ الى لبسها ثم ابعد تلك الاثواب عنهُ برجلهِ وتمطى مرتين او ثلث مرات ثم اقترب من المرآة وقال انني رجل جميل مع انني قد غيرت لون وجهي وقدي قصير ثم تبسم وقال ما هذا المنظر ولا اعلم هل يسهل عليَّ ان ازيل هذا الصباغ عن وجهي ويدي فانه رقط سوداء معيبة . فقالت امراتهُ متنهدة ياليت يسهل ازالة كل العيوب كما يسهل ازالتها وشرعت في طي الثياب التي خلعها عنهُ . فقال ارجوكِ ان تنقطعي عن ذلك ثم اقترب من النار واخذ في ان يهيء تبغًا للتدخين ثم قال انني لم ات هذا المكان لاسمع وعظك واذا وعظتني بعد الان اطردك خارج المخدع ثم امسك ورقة وادخلها في مكان النار ليشعل التبغ بها فقالت بخوف هل تدخن هنا ان الناس يشمون رائحتهُ من خارج فماذا يقول الخدامون اذا عرفوا ان رجلاً يدخن هنا . قال لها فليقولوا ما يناسبهم واخذ في التدخين . فقالت لهُ ياهنري انك عامل على اهانتي فلا تعتني بي ولا تلاحظ الظروف الغريبة التي امسيت بها ولا صيتي . قال قد اقلقتني بصيتك فلا تنقطعي عن ذكر صيتك وصيتي من يا ترى يعرفك هنا او يعرف انك من اهل الصيت الجيد او غير الجيد فاجلسي واسمعي كلامي فانني متعب جدًا واحب ان انام بعد عشر دقائق . فاجابتهُ بالجلوس على كرسي ولكنها ابعدتهُ عنهُ بقدر الامكان بدون ان يلاحظ انها قاصدة ان تتجنبهُ وقالت لهُ قل ما بدا لك . قال اولاً المال انني سارسلك نهار غد صباحًا الى ماكالبرت ووكسون وبيدك تحرير تفويض بان تحبي حوالات عليَّ ما دمت غائبة في كالكوتا فيدفع لك قيمتها نقودًا فاطلبي دفتر حوالات واعطهم صورة من امضائك فعندما احتاج الى النقود تقبضينها منهم وترسلينها اليَّ هل فهمت . قالت نعم . قال اذا بتنا في احتياج الى النقود لا بد من ان تحولي بما يلزم لك واعملي على التوفير فانني لا اعلم القدر اللازم لي للتخلص من الورطة التي بت فيها ولم يبق لي غير بضع مئات من النقود في يد ماكالبرت المذكور . ومع انهُ كان يعلم انهُ قد خسر اعتبارها لهُ لم يخسر اركانهُ اليها فسلم نفسهُ اليها بدون ان يخاف سوء العواقب . فقالت لهُ انني لا اخذ بارة منها ونظرت اليهِ بعين احتقار . وسافضل الموت على ذلك . فقال لها لقد احسنت فعيشي من مال املك واذا كنت تفضلين الموت جوعًا ما من مانع واظن ان الحالين واحدة ومع ذلك لك ان تختاري وليس لي

خبرة في شيء فانني مصمم على ان اعيش وفي هذه الايام لا سبيل الى ذلك بدون نقود فارجوك ان ترسلي لي نقودًا ولا ترسلي تحويلاً فان ذلك ربما كان يظهر امرنا واعتمدي تعريفي في ارسالها . قالت الى اين ارسلها . قال فليكن العنوان اب ج لا هذا عنوان يستعمله الآخرون فليكن رف في شارن كروس فاطلبها من هناك . قالت الا تقول لي اين تكون اما انا زوجتك ياهنري الا تركن اليَّ وتخبرني بمكان اقامتك . قال انهُ من الواجب ان اكتم ذلك عنك كونك امرأتي . فنظرت اليهِ نظرة متعجبة فراى ذلك منها وقال لها بصوت منخفض الا تعلمين انهُ اذا طلبت من انكلترا يطلب اليك قبل الجميع بان تظهري مكان اقامتي وانا اعرف منذ زمان طويل بانك لا تقدرين ان تكتمي امرًا . فان احمرار وجهك عند سوالك يبين للسائل انك تعرفين منزلي ثم نظر اليها باستهزاء وقال وانا عالم بانك تسرين بان يلقى القبض عليَّ فلا بد من ان اكتم الامر عنك واخبرك بان تكتبي الي معنونة التحريرات رف في شارن كروس الى ان اخرج من البلاد . فقالت حقًا حقًا انني لا اخبر احدًا بهِ كيف ترتاب في اماني وانا اعلم ان افشا السر يلقيك في خطر ياهنري ما هذا . فنظر الى وجهها فراى فيهِ من اللوائح ما يدل على انها بعيدة عن ان تخونهُ ولكنهُ لم يستصوب ان يخبرها بالواقع وقال بصوت منخفض الاوفق ان لا اخبرك . فلم ترتض بذلك وقالت لهُ الا تتامل في حالك فماذا نفعل اذا مرضت او بت في ضيق ولا تقدر ان تخابرني اما اتعذب بانقطاع اخبارك بدون ان اعرف احوالك فلا تفارقني بدون ان تخبرني بذلك فان انشغال فكري ربما يكون علة ظهور امرك . فتامل برهة في هذا الكلام واستصوبهُ فقال بدون تان لقد احسنت فان اقامتي في هذه البلاد لا تكون اكثر من شهرين . قالت لماذا تبقى هنا في وسط الخطر ولا تذهب حالاً . فقال باستخفاف ان الذهاب حالاً لا يبعد الخطر عني . فانهُ اذا حاول القوم البحث عني يبتدئون بهِ في امريكا وهذا موكد عندي فلا يجدونني فيبحثون في الاماكن القريبة من الوطن وعند ذلك اذهب الى امركا . والان هذا الثوب يبعد الخطر عني ولكنني قد ضجرت منهُ واحب ان ارجع الى لبس ثيابي . فتعجبت لما سمعت ذلك منهُ وقالت في نفسها ان زوجي قد بات بدون ناموس كما بات قلبي بدون حب لهُ . فقالت لهُ بعد ان تذهب ماذا تفعل . قال لها ابتدي بالشغل وهذا سهل في امركا . وسانجنب المداخلات الى ان تتناسى الحال وينقطع ذكرها من الجرائد فاغير اسمي قليلاً واقيم في مركز في نيو يورك او بالطيمور او غيرها وبعد ان تتقرر احوالي تاتي اليَّ انت والولدان ولا نستصعب توضيح الامر للاهل هنا فان الرجال ينتقلون كل يوم من خدمة الى خدمة ولا اظن ان سبب ذلك يخطر لاحد ببال . قالت ما لم يقراوا ذلك في الجرائد . قال هذا الذي ينبغي ان تسهري على منعهِ وقلما تدخل جريدة فيرميد منزل امك واذا دخلت جريدة هندية مزقيها . قالت كيف اقدر ان اربط السنة اصحابك ياهنري فان انتوانت تقابل اناسًا من الهند على الدوام في سوثيمر فماذا نفعل اذا سمعت بكل الخبر . قال بغيظ من الواجب ان تفعلي ما تقدرين على فعلهِ ومن الواجب ان تكتمي خبر مجيئي معك في مركب واحد ولو التزمت بان تموتي في سبيل كتمهِ . ثم نظر اليها بغضب وقال بعد ان حلف بالسماء اذا وقف القوم على مكاني بواسطتك او وسائط اخرى تندمين فانني لا ارتضي بان اكون مهانًا حياتي بطولها وساطلق الرصاص على راسي قبل ان اسلم نفسي الى الاهانة . قالت اه ياهنري

يا هنري ما هذا الكلام . ثم نهضت ولوائح الخوف تلوح على وجهها ودنت منهُ وجلست بجانبهِ ثم قالت ماذا يا ترى فعلت او قلت لتظن بانني اخونك اما انا زوجتك ام ولديك وانا اعلم باننا لم نصرف زماننا بالسعادة الواجبة لان كلاًّ منا لم يحب صاحبهُ المحبة الواجبة ومع ذلك اما نحن واحد ولا يقدر انسان ان يغير ذلك وقد افرغت جهدي في ان اكون امينة لك فلماذا ترشقني بالظنون فما اكتم امرك ولو قتلت والعذابات لا تحملني على ان اخبرهم بمكان وجودك . قال لقد صدقتك . ولا ريب في انهُ صدقها فعلاً ولو كان عالمًا بانها تحتقرهُ . ثم ابعدها عنهُ قليلاً واخذ يدخن بالتبغ . وفي اثناء ذلك نهضت فانها كانت راكعة بجانبهِ ورجعت الى حيث كانت بالقرب من النار وقالت يا هنري هل اقدر ان اساعدك بشيء . قال لا ومساعدتك في ان تبقي مستكنة في اش كروف عند امك وا جعليها تظن انني في كالكوتا غير انك تقدرين ان تكتبي الى جيوفري كاردن واسأليه ان يهتم بامري . وعند ذلك احمر وجهها من مجرد استماع ذكر اسم ذلك الانسان فما هو السبب يا ترى . وهذه هي المرة الثانية التي احمر بها وجهها بسبب ذكر اسمهِ فماذا يا ترى حملها على ذلك الحيا او هو سبب اخر . ثم قالت ماذا ينفع ذلك يا ترى فما لته هذا السوال بثبات على ان شفتيها كانتا ترتجفان عند ذكر اسمهِ . فنظر الى وجهها المحمر باستهزاء وقال ماذا ينفع ذلك الظاهر انك تحبين ان تجعليني اوهم ان ذلك لا ينفع . مع انهُ يقدر ان يبعد مخاوف مسز ارشار (هواسها) التي يهتم بها والعواقب الردية التي يقع ولداها فيها باظهار شر زوجها وبالتاكيد بانهُ لا يداعيهِ . فهذا كلهُ نفع وخير . ومن المحقق انهُ صديقك فلا يصدك اذا طلبت شيئًا صغيرًا ولو كان تسليمهُ بذلك عبارة عن قيامهِ بما يضر صوالحهُ

فاثر فيها استهزاؤهُ وكلامهُ فوقفت امامهُ صامتة غضبى وقد احمر وجهها جدًّا واجتمعت الادمع في عينيها الناظرتين الى الارض ومع ذلك لم تقربشي ولا انكرت التهمة . فلما راى انها لم تتكلم قال يا سيدتي الم اصب الا يظهر لجيوفري كاردن المذكور انهُ شرف بامر عظيم اذا سمح لهُ بان يساعدك ويساعدني على التخلص من هذه الصعوبات . فرفعت عينها شيئًا فشيئًا وظهر جمالها والدموع تتلالا كالدر فيها فرات عيني زوجها الناظرتين اليها فانتظرت الى ان نظر الى النار وقالت لهُ عار عليك . فلم يجب . فصمتت برهة ثم قالت لهُ بثبات عزم يا هنري انني لا اكتب اليهِ ولا الى صديق اخر لاجلك فانهُ لا يقدر احد ان يساعدك واذا وجد من يقدر على ذلك فلست انا من اللواتي يطلبن مساعدات كهذه من الغرباء فانك قد جلبت هذا الشقاء على نفسك فلا بد من ان تحمل عواقبهُ . ثم جلست على الكرسي وابتعدت عنها اللطف الذي ظهر لها بكلامهِ الاول فقال افعلي ما يبدو لك وتذكري ما قلت انني لا اعيش اذا ظهر الامر وربما كانت الاهانة الثانية اردأ عليك من الاولى . ثم القى قصبة التدخين عنهُ والقى بنفسهِ على الفراش واستمرت جالسة بالقرب من النار الليل بطولهِ . وكانت تتامل في ما جرى وتقول في نفسها ربما كان الصبح لا يطلع وكانت تتمنى ان يطلع ويجدها ميتة فتتخلص من كل الاحزان والمطامع الباطلة وتقطع الرباطات التي تربطها بذلك الرجل النائم . وفي النهاية طلع الصبح فسرت باشعة الشمس وبما خطر لها من انها تاخذ في الرجوع الى ولديها العزيزين قبل ان تغيب

وفي الصباح سارت الى محل ما كالبرت وكسون واقامت بما طلب اليها ان تقوم بهِ والظاهر وجدت وجهها

(ستاتي بقية)

ملح

الاحتكام

حكي عن ابي دلامة ان اول ما حفظ من شعره وانبتت له الجائزة به قصيدة مدح بها ابا جعفر المنصور وذكر قتل ابي مسلم وفيها يقول

ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى
عليك بما خوفتني الاسد الوردُ
ابا مسلم ما غيَّر الله نعمة
على عبده حتى يغيرها العبدُ

وانشدها المنصور في محفل من الناس . فقال له احتكم . فقال عشرة الاف درهم فامر له بها فلما خلا به قال لو تعديتها لقتلتك

وحدة الروح

وحكي عنه ان المنصور اخرجه الى قتال على رغم انفه وامره بان يبرز لرجل من الاعداء برز ظانًّا القتال فبرز اليه وكلمه يا حملة على ان يواكله عوضًا عن ان يحاربه وافترق كل منهما عن صاحبه بعد ان اكلا دجاجة ورغيفين طلبهما ابو دلامة وامر المنصور له بها . وبعد ذلك برز بطل اخر فامره بالخروج اليه للبراز فقال

اني اعوذ بروح ان يقدمني
الى القتال فتخزى بي بنو اسد
ان البراز الى الاقران اعلمه
مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها
واصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت اورثكم
وما ورثت اختيار الموت عن احد
لو ان لي مهجة اخرى لجدت بها
لكنها خلقت فردًا فلم اجد

فضحك واعفاه

طلبتان

ومما حكي عنه انه عندما قدم المهدي من الري دخل عليه وانشد

اني نذرت لئن لقيتك سالمًا
بقرى العراق وانت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد
ولتملأنّ دراهمًا حجري

فقال المهدي صلى الله على النبي محمد وسلم واما الدراهم فلا . فقال له انت اكرم من ان تفرق بينهما ثم تختار اسهلها . فضحك وامر له بان يملا حجره

البخل

قال ثمامة انشدني ابو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي انا منفق
وليس لي المال الذي انا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي
يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من اين قضيت بهذا قال من قول النبي انما للمؤمن من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او اعطيت فامضيت . فقلت اتومن بان هذا قول النبي وانه الحق قال نعم قلت فلم تحبس سبعًا وعشرين بدرة في دارك لا تاكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرًا ليوم فقرك وفاقتك . قال يا ابا معن ان ما قلت لحق ولكني اخاف الفقر والحاجة الى الناس . قلت وما يزيد حال من افتقر على حالك وانت دائم الحزن لا تاكل ولا تشرب منها دائم الجميع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد . فترك جواب كلامي كله ثم قال لي لقد اشتريت في يوم عاشورا لحمًا وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم . فاضحكني حتى اذهلني عن جوابه

الجنان

الجزء التاسع

في ٣٠ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٦ (صدوره في ١١ نوار (مايس) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

اذا طال انحصار المواد في الجبال النارية يشتد اندفاعها وتعظم نتائجها وتاثيراتها وقد امست البلدان الاوربية العظيمة كجبال نارية منحصرة فيها المواد الحربية في ايدي مئات الوف بل ملايين من الجنود الذين حرمت الزراعة والصناعة والتجارة منافعهم ليلقوا اهلها في قلق دائم من جرى ما ينشا في الغالب عن اجتماع قوات في زمان السلام لاحاجة اليها فيه للمحافظة على راحة داخلية ولا لاخماد نيران فتن محلية ولا لاستئصال تعديات لصوصية وقد طالما قلنا ان اتحاد الامبراطوريات الثلث انما هو اتحاد قد دعت اليه ضروريات سياسية حالية تزول بزوال افتقار المتحالفين الى الزمان اللازم لاتمام تاهبات وتجهيزات او انفاذ سياسة محلية او خارجية وقد تقرر في اعرف الجرائد ان صداقة روسيا والنمسا كادت تبلغ النهاية منذ برهة قصيرة وتلقي العالم في وبال من جرى اختلافات عظيمة مصدرها معاملة الثائرين في الهرسك ولم يقع ذلك بدون تاثير في اسواق المالية والتجارة ولا زالت تاثيراته كل الزوال باعلانات صادقة صادرة من دولتين قد ظهر ان اتفاقها واختلافها يزولان في اقل من لمحة عين ويعنا لنحمل اثقال الخوف من وقوع شقاق جديد فضلاً عن الاثقال الملقاة على عواتقنا بضيقاتنا المالية واضطرابات التجارية الناشئة عن امور غير محلية وما يظهر من ثبوت السياسة على عدم الثبات قد مكن في عقولنا ما قررناه حيناً بعد حين بعد نهاية حرب فرنسا والمانيا من ان ارباب السياسة امسوا ينهجون مناهجها بحسب مقتضيات الحال غير عابئين بما ينشا عن اعمالهم وعن اجراءات اقرانهم فلا تاتي بما نقدر ان نعمل على ما تنتجه لنا ومعاناة ربما كان في اختلاف اراءهم رحمة للعالمين لا يرتاح بال اهل المالية والتجارة ما داموا يترقبون وقوع انشقاق يفضي بالقوة المتاهبة الى ابراز ما عندهم من القوة الى الفعل على ان الخوف في الحال من ذلك الشقاق لجامها ولا ريب في ان ذلك اللجام هو الذي حمل النمسا على ان تنقاد الى روسيا او روسيا على ان تنقاد اليها او ان تتفقا على اتباع سياسة متوسطة لمجانبة تلك النتائج وقد قالت جريدة الليفانت هرالد في جملة ماضية ما ابان بانها اساءت الظن في دولة او اكثر شانها اظهار غير ما انطوت عليها بواطنها بل التظاهر بسياسة غير السياسة الباطنية التي تعول عليها وقد نشرنا كلامها في الجنة في وقته واذا بخلاف الدولتين المشار اليها ثم اتفاقها قد جاءنا بحمل من طالعها على التامل في الاحوال ولا يستغرب وجود عناصر فاعلة في اوربا في الثورة على غير رضى الدول التام على انها لا توافق سياستها مقاصدها مضادة مؤثرة والمعلوم ان روسيا لا ترتضي

بان تضاد العنصر السلافي لاهميتهِ في بلادها ولو ما لمت الدولة الى تصيرا جزاءتهِ وغير ان الامبراطور شديد العزم وقد اقام بما هو اعظم من ذلك و بالنظر الى الجيوش الجرارة العثمانية الباسلة الموجودة في الشمال في اماكن مختلفة لا يبالى بالثورة نفسها ولو ارتضت روسيا وغيرها بان تشور على الباب العالي بان لا يحمل على الصرب والجبل الاسود ورجالها يقاتلون مع العصاة وقد ظهر ذلك بتقرير دولة مختار باشا والجنود الشاهانية لا تعبر حدود بلادهم لتطاردهم ولا تلقي الدول مسئولية حرب بدون ان تشهر على حكومتهما لان اطالة زمان الثورات لا يدل على عجز الدول عن تسكينها بالقوة فان احوالها الحربية مخصوصة ولاسيما في الجبال فلا تكون كحرب يلتقي الجيشان في ميدانها بانتظام وقد صرفت فرنسا سبع سنوات في محاربة الجزائر وامركا خمس سنين في اخماد ثورة الجنوب وروسيا مدة ليست بقصيرة لاخماد ثورة بولونيا ولم يفرغ صبرنا من الثورة خوفاً منها ولكننا قد بيّنا في ضيق ما لي والادلة السياسية تبين لنا انه اذا لم يقع خلاف بين الدول في الظروف الحالية وانصرفت المشاكل يطول زمان السلام فيهدأ بالنا من جهة تجارة الحرير والاوراق المالية وغير ذلك مما هو علة معاشنا وللتوضيح نقول انه لولا خوف العالم من حرب عمومية في اوربا لما بات في القلق الذي بات فيهِ ومنذ اكثر من سنة امسى في قلق مثلهِ وذلك عندما قال وزير خارجية انكلترا ما معناه ان فلك السياسة ليس في صفائهِ ثم عندما قرر العارفون من اهل السياسة ان الحرب كادت تتجدد بين فرنسا والمانيا وهكذا نرى ان الاسباب قد تعددت وسبب الخوف واحد ولولا ما نراه من استعدادات حكومتنا السنية وما سمعناه بما يبرق من فوزها بغلب العصاة وحمل الزاد الى نكسنش او نكسك بعد ان الجأت الكثرة جنودها الى الارتداد في بادي الامر وما نراه من تدبيراتها الجديدة في اشقودرة لما قررنا ما قررناه وقد تركت هذه الامور السياسية الاحوال المالية في درجة من الاهمية دون الدرجة التي تكون لها لو لم تكن مرافقة لها ومع ان الامل وطيد بان التدبيرات الجارية المخابرة بشانها ستصلح الاحوال قد مست الحاجة الى توقيف الدفع وجاء ذلك ببرهان جديد على ان الفائض الغير المعتدل لا يكون في الغالب سليم العواقب اما في مصر فلا يبعد زمان وضع قرار الحالية وقد ابنا اراءنا المتعلقة بتقرير مستر كايف ولا يلزم ان نبين ان فيهِ ما يدل على تقدم عظيم في تلك البلاد الذهبية وعلى قوة مالية لم تقدر فوائض اوربا الباهظة والمشروعات العظيمة ومصاريف القروض الغير المعتدلة على ان تجعلها متصرة ومحتاجة الى تدبيرات تعود بعظيم ضرر على اصحاب الدين الذين سيتضح لهم بعد زمان ليس بطويل بان البلاد التي جمعوا من الثروة ما جمعوا باموالها لا تحملهم الخسائر ولكنها ستنقص ارباحهم وتجعلها في دائرة الاعتدال ولما كان رواج الاوراق في اوربا يتوقف على الاستثمان عليها اكثر مما يتوقف على ارتفاع فيئة الفائض وكانت ثروة مصر مما يجعل امنية عظيمة عند الناس اذا لم يروا احتياجاً الى تجديد قروض لايفاء فوائض وما يستحق من اصل المال كان لا بد من ان نتمنى ان نرى فوائض الدين المصري اقل من سبعة في المائة ومدة وفاء الدين بالتتابع اطول من خمسين سنة لان البلدان التي لا امل لها بوفاء دينها ولا في مئات من السنين كنفس انكلترا وفرنسا وغيرهما تباع اوراقها المالية المائة بمائة او ما يقاربها او ما يزيد قليلاً عنها فيكتفي اصحاب الدين بذلك مع راحة البال وتكون مصر في ظروف مفضلة على تلك الظروف اذا تبين

للناس انها تدفع مثلاً ٥ في المائة مع اثنين او ٢٫٥ في المائة كل سنة من اصل الدين بحيث تفي كل دينها في ٦٥ سنة او ٧٠ سنة وتتخلص من سدسه في نحو ١١ سنة وذلك بدون ان تستقرض اموالاً جديدة وفي يدها مبالغ وافرة تزيد عن ذلك للقيام بالمشروعات العظيمة التي طالما رغب الجناب الخديوي اسمعيل المعظم في ان يقوم بها وقد جرت العادة في اوربا بالارتضا بثلثة في المائة في ظروف اردا من هذه الظروف كما تقدم كما انها جرت ايضاً بقيام الحكومة التي تقع المشاكل عليها بتدبير نفسها كما في النمسا واسبانيا وتونس وغيرها وعندنا انه من الواجب ان يسر اصحاب الدين عندما يرون الحكومة المصرية تقوم بتنظيم اذا جعلت عمدة الدين وطنية او مختلطة واذا كان الفائض ٥ في المائة مع دفع واحد ونصف واحد فيها من اصل الدين فترتفع اثمانها عما كانت عليه قبلاً ولا سيما لان الحكومة قد فازت بالحصول على اختبار عظيم وكما ان تونس قد اقامت بتعهداتها مع الخلل وغير ذلك تقوم مصر بها مع ثروتها واقتدار خديويها الذي ولو تشكى حاملو الاوراق لانه لم يجعل بلاده غنيمة فائضهم لا يقدر الاهالي ان يتشكوا لان مستر كايف قد قال باصابة ان تقدم مصر زاد عن نمو دينها فيها قال الناس لا يغيرون حقيقة واحدة ونمو الدخل دليل نمو الثروة وسبق نموها لنمو الاموال الاميرية دليل تحسين حال الاهالي وقد راينا في جريدة التيمس كلاماً يدل على ان نفس الانكليز يلومون انفسهم على ارسال مستر كايف الذي ذهب تعبة باطل واضاع الزمان سدى واضر بمصر لانها كانت قادرة بدون ان تقوم بما نراها تقوم به ولم تقبل بماموريته الا عندما علقت املها بنتيجة حسنة وقد تبين ان في اعمال كهذه لا يتقدم الاوربيون الى مساعدة الشرقيين ما لم يرجوا ما لا يقدرون ان يرجوه في بلادهم ولذلك الاوفق ان تقوم مصر بصالحها وتقرر ما يوافقها مراعية صوالح اصحاب الدين ليس بتكثير الفائض ولا بتقصير مدة وفائه كله ولكن بوضع تدبيرات تجعل زيادة ظاهرة في يدها وتجعل مصاريفها ضمن دائرة اقتدارها ومن يعرف بالسمع والعيان ارا حضرة الخديوي اسمعيل المعظم يكون امله وطيداً بان اختباره يعود بالنفع على بلاده وارباب دينه

التاخر التجاري

قالت جريدة التيمس قد انزل بنك انكلترا سعر القطع الى اثنين في المائة وهو ادنى سعر ولم نرَ سعراً ادنى منه للقطع وقلما يتصل الى هذه الدرجة واسعار القطع خارجة ادنى حتى بلغت الواحد في المائة . فهذه هي حالة اسواق المالية وفي كل صناعة وتجارة كساد عظيم وقلة في المحصول . وقد ظهر بتقريرات مجلس التجارة ان الكساد ليس باسم بدون مسمى فانه قد ظهر فيها انحطاط في اسعار الاشياء وقلة في كمياتها وهي الاشياء التي نبيعها في الخارج . ومما يؤكد ذلك ما يبلغنا من جميع اسواق التجارة والمالية والصناعة عن كسادها كلها حتى ان الاشغال باتت بدون ارباح . ففي الولايات المتحدة الامركانية قد باتت اسواق التجارة في كساد منذ سنتين وكذلك كاندا وكل بلدان اوربا التجارية ولا سيما المانيا وكساد الاسواق في فرنسا ليس مما يستخف به . واذا تاملنا في حالة امركا الجنوبية والهند حتى مستعمراتنا في اوستراليا نسمع اخبار الكساد ايضاً . وقد تعددت اسبابه باختلاف ظروف البلدان غير ان النتيجة واحدة والظاهر ان لهذا الكساد علة واحدة ولو اختلفت احواله باختلاف الظروف . وربما كان يسلم بان تدني الفائض ووقوف احوال الصناعة نتيجة علة واحدة . وهي تدني الارباح . هذا ولاحوال

شرقي اوربا المضطربة تاثير فائض المال . ولا ريب في ان بعضنا يوفر مالاً على الدوام ويبحث عن اسباب الانتفاع وما يوفرهُ سنوياً يختلف باختلاف السنين غير انهُ لا بد من توفير مبلغ ولو كانت الاحوال ردية . وفي السنين المتاخرة كان الموفر يشغل في القروض التي كانت تعقد في اسواقنا المالية لانشاء طرق حديدية امركانية ولحساب دول محتاجة فكساد اسواق التجارة في امركا قد قطع دفع فائض اوراق الطرق الحديدية ولا يمكن عقد قروض جديدة لطرق حديدية حال كون العسر المالي في الشرق بتاخير دفع الاستحقاقات قد اخرج اسباب عقد القروض من الاسواق المالية . فاهل التوفير الذين يوفرون المال ومع حبهم للتوفير يطمعون في الفائض الغير المعتدل فيشترون اوراقاً مالية كالمذكورة قد باتوا في خوف فلا يستخدمون ما يوفرونهُ فيتدني سعر الفائض . غير ان وقوف دولاب التجارة بسبب تدني الارباح من اعظم اسباب اجتماع المال . فالبحث المهم انما هو في سبب تدني الارباح . ونفضل البحث عن السبب في الاشغال وليس في السياسة وربما كان ذلك ناشئاً عن رجوع راس المال الى اماكن كان يظن انها ترفع سعر القطع الى ٧ في المائة ومن المؤكد ان الناس لم يبقوا في درجة الاعتدال عند تعديل ارباح راس المال المستخدم في ولايات امركا الغربية . وسبب ذلك جميعهِ انما هو المناظرة في الاشغال الناتجة عن نجاح الذين تحملهم الجسارة على ان يدخلوا بلاداً جديدة او يقوموا بمشروع جديد فيقتدي الاخرون بهم فتتكاثر المناظرة فتخرب كل الاشغال ولاسيما الذين جاهوا متاخرين . فعند ظهور الكساد بكثرة راس المال في بلاد اجنبية يحدث رد الفعل ولا سيما بعد تدني محصولات البلاد الخارجية فتنحط الاجور وتقل الارباح بل قد تتحول الى خسائر وهذه هي الحالة التي امسى العالم فيها في الحال فبات سعر القطع ٣ في المائة عوض ٧

ومن اهم الامور ان نعلم الزمان اللازم لزوال هذه الحال هذا اذا تيسر لنا ان نقف على حقيقة ذلك . واسوء الحظ لا سبيل الى الجواب . فان رجوع النجاح يتوقف على ترقي الاشغال بتقليل مصاريف المحصول . فسكان الولايات والمستعمرات باتوا في نمو عظيم تجاري ففاقوا درجة الاعتدال في تعديل قوتهم حتى راوا انهم امسوا يتعاطون اشغالاً لا تاتيهم بالربح . ومن المؤكد انهُ بعد مدة يقدرون ان ياتوا بالمحصول بمصروف اقل من مصروفهم السابق وبصاريف المحصول تقل عندما تقل هنا فترجع التجارة الى الترقي . وما من احد يعلم الزمان اللازم لذلك . ولو قابلنا هذا الكساد بازمان كساد سابقة نتمكن من تخمين طول الزمان غير انهُ لا سبيل الى التاكيد وما يرتاب الانسان فيهِ لا يجدي نفعاً في هذه الظروف وكفانا ان نعلم ان حالتنا الجارية والرواج يتعاقبان على الدوام كما يتعاقب الربيع والشتا



سلام او حرب

قد قلنا في الجملة السياسية ان الناس في قلق خوفاً من فتح حرب عمومية في اوربا انضر بصوالحهم المالية والتجارية . اما الجرائد الرسمية والنصف الرسمية فتعلن ما يريح البال من هذا القبيل عند كل الذين يرون ان الاصابة في الاستناد الى منشوراتها وما ياتي هو ما نشرتهُ جريدة الاوفسيال كازت الروسية الرسمية في اواخر شهر نيسان (افريل) ان الناس باتوا في قلق في الايام الاخيرة القليلة بالاشاعات المتعلقة بوقوع السلام في خطر. فهذه القلاقل في بدون اساس لان اتحاد الدول العظيمة ثابت كل الثبات بالنظر الى لزوم اخماد القلاقل في الشرق

فاتفاق كل اوربا لانغلب ببعض الصعوبات التي
تعرض في اثناء القيام بامر كهذا الامر من جرى تهييج
الاميال . وقد تقوى مجدداً اتفاق اوربا المذكور
بالخبر الوارد عن تصميم الباب العالي على فتح الحرب
على الجبل الاسود . فعند بلوغ ذلك الى روسيا
دعت حالاً الدول الخمس الاخرى الى ارسال
تعليمات واحدة الى سفرائها ليشوروا على الباب العالي
بان لا يحمل على الجبل وقد ارسلت فرنسا والنمسا
وايطاليا والمانيا اجوبتها . اما سفير انكلترا فلم ترد
تعليماته . غير انه بالنظر الى الصعوبات الخطرة التي
تنشا عن ذلك المرجح ان انكلترا توافق الدول
الاخرى . وقد وردت اخبار موافقة من الاستانة
العلية لان الحضرة الشاهانية قد امرت وزير الخارجية
بان يخبر الدول بان الدولة العلية لم تنو التعدي
على الجبل وان التدبيرات الحربية بالقرب من
اشقودره انما هي دفاعية . انتهى

وقد وردت رسالة برقية من شركة روتر في
اثر هذا الخبر مآلها ان كل سفرا الدول العظيمة قد
اشارت على الباب العالي بان لا يحمل على الجبل
ووعدت باتخاذ التدابير اللازمة بالاتحاد لاخماد
الثورة . فالباب العالي قبل الوعد بدون ان ينقطع
عن التجهيزات . (قد نشرنا هذه الرسالة في الجنة
منذ اسبوع)

اعلان

من ادارة الجنان والجنة ودائرة المعارف في مصر
القاهرة

نخبر حضرة مشتركي الجنان والجنة ودائرة
المعارف في القطر المصري باننا قد استاجرنا محلاً
ليكون مكتباً ومركزاً لاعمالنا قبالة جنة الازبكية
بقرب قهوة البورصه في بنا سعادة الكونت ميخائيل
زغيب فمن احب ان يشرفنا للمخابرة بشغل او امور
متعلقة بجريدتي الجنان والجنة وكتاب دائرة المعارف
نقابله بالترحاب والاجابة ونخبر ايضاً حضرة
مشتركي الاسكندرية والارياف بان الوكالة
العمومية في مصر مستعدة لقبول الاشتراكات من
كل الجهات يكفي ان يرسل الاسم واضحاً وان
يصحب طلب الاشتراك بالقيمة عن سنة وان ترسل اما
حوالة على مصر او نقداً واما طوابع بوسطة خديوية
مصرية ترسل ضمن التحرير باسمنا ونحن مستعدون
في كل حين لاستماع تشكياتهم اذا وقع خلل
او نقصان جرائد فاننا نعوضها عليهم بعد عشرين
يوماً من وصول التشكي الينا هذا وقد قررنا للادارة في
بيروت بان تعتني بارسال الجرائد راساً لعموم
مشتركي الاسكندرية والارياف بكل ضبط ودقة ونعلم
حضرة مشتركي مصر وبولاق بانه بعد وصول الجنة
ثم الجنان وفيها هذا الاعلان ترد جرائدهم من
بيروت راساً باسمائهم في البوسطة الخديوية المصرية
المتقنة كل الاتقان بانظار الحضرة الخديوية العلية
ونظارها الذين امتازوا بالذكاء والترتيب والضبط
حتى جعلوا لادارة البوسطة وحركتها شهرة وفخراً .
غير انه اذا كان بعض المشتركين في مصر يحبون ان
نبقي لهم جرائدهم في محلنا الى ان يطلبوها فما
من مانع فليخبرونا ويطلبوها من المحل المذكور

كاتبه
كليانثس
فيليبيذس

اسبانيا

قد قرا السنيور سالافريا وزير
تعديلاته المالية على المجلس العالي
في قراتها . وقد عدل الدخل بد

مليون بستياس (كل مائة منه ليرا انكليزية) والمصروف بستمائة واربعة وخمسين مليونًا . وقد افرز ١٧٢ مليونًا لخدمة الدين العام و١٨٥ مليونًا لنظارتي الحرب والبحرية . وقد قال في خطابهِ المالي ما ترجمتهُ

لا نقدر مطلقًا ان ندفع الفائض عن كل الدين العام حالاً فاذا خصصنا بهذا الدين المكرس كل ما يمكن تحصيلهُ من مداخيل البلاد نلتزم بان نبقي الرسومات الحربية ونزيد مال الاراضي ٢ في المائة والرسومات والبضائع والماكولات ورسم التبغ وستنزل ٢٥ بالمائة من معاشات بعض المامورين ومعيناتهم ومنهم لخدمة الدين ومع ذلك لا يتيسر لنا ان نبتدي من اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٧٧ بدفع الفائض السنوي الذي عرض على اصحاب الدين الذين لا ينزل راس مالهم اذا قبلوا بالتسوية المعروضة . وللقيام باستعدادات السنين القادمة بحيث تقدر الحكومة ان تقوم بتعهداتها سيطلب الى المجلس العالي بان يفوض الحكومة بتغيير كل الرسومات . وستعقد اتفاقيات مع بنك اسبانيا و بنك الرهينات لدفع الدين الجاري . فالبنك الاول يقبض مدة ١٣ سنة اموال الاراضي والمصنوعات والبنك الاخر يستولي على الرسومات . وستفرز بعض الاموال الاميرية لتصدر بالاستناد اليها اوراقًا ذات فائض ٦ في المائة وستصدر الاوراق لتدفع كلها في ١٢ سنة بالسحب مرة كل نصف سنة . وبواسطة التدبيرات المذكورة يدفع للذين في ايديهم اوراق الثلثة في المائة من الدين الداخلي والخارجي من اول سنة ١٨٧٧ ثلث الفائض وسيخصص ٢٥ مليون بستياس لتدفع وذلك منذ اول تموز (جوليه) سنة ذا المبلغ بالتتابع باضافة فائض راس المال الذي يدفع من اصل الدين .

ومن اول تموز (جوليه) سنة ١٨٨٩ يدفع لاوراق الثلثة في المائة نصف ذلك الفائض اي ١٫٥ في المائة والدين الباقي ٢ في المائة . اما اوراق الطرق الحديدية فتصفى بالاتفاق مع حامليها بخمسين في المائة من اسعارها الحالية . و يدفع فائض الدين كلهِ عندما يكون الدفع من اصل المال قد جعل اصل الدين مبلغًا يكفيهِ ١٨٠ مليون بستياس لسد كل فائضهِ . وعند ذلك يقرر المبلغ اللازم ليدفع من اصل الدين لدفعهِ كلهِ . وستقام عمدة اعضاؤها ناظر المالية ومدير بنك اسبانيا ومامورون اخرون ونواب ليرووا المال اللازم للفائض ولدفع المعين من اصل المال لينفذ هذا القرار . انتهى

قد نشرت جريدة التيمس جملة طويلة عن هذه التدبيرات وقالت انهُ قد ظهر بالسنين الماضية ان تعديلات الدخل لم تكن تصح في اسبانيا ولذلك المنتظر انها لا تصح هذه السنة ولا تقدر الحكومة الاسبانيولية ان تقوم بدفع ما قررت اعلاه انها ستدفعهُ من اصل الفائض وراس المال

جيش السرب

قد نشرنا رسالات برقية فيها ذكر تجهيزات حكومة السرب وجعلها جنودها ستة اقسام وما ياتي هو ما نشرتهُ جريدة التيمس بهذا الشان

لا ريب في ان التجهيزات الحربية التي جرت في اثناء فصل الشتاء ولا تزال جارية في السرب هي اصح كثيرًا من ميل الامة السربية الى الحرب مع انهُ قد كثر الكلام بشانهِ . وتقوم بالتاهبات المذكورة جهارًا بدون ان تحاول كتمها . فان حكومة السرب تقول بانها ليست بمصممة على الهجوم وتقول انها لازمة لها لاجراء النظامات العسكرية التي ادخلت الى البلاد في ايام البرنس ميخائيل المتوفي . ومن هذا

النظام انهُ مفروض على كل ذي جسم صحيح من سن ١٩ الى الستين ان يخدم في العسكرية . وتنقسم الجيوش الى ثلثة اقسام بحسب السن . وتجمع هذه الاقسام بحسب الاقتضاء . ولا يمرن تمرينا منظماً الا القسم الاول منها . والقسمان الآخران يمرنان فقط ايام الآحاد والاعياد فاحدهما في شهر في الربيع والآخر في نيسان . وينتظم هذا الجيش مشاة وفرساناً وجنود مدافع ومهندسين . وينقسمون الى ١٧ جيشاً لكل مقاطعة جيش . ويحسب الجنود العاملون المنظمون دائماً الجيش الثامن عشر . وفي ايام البرنس ميخائيل افرغ الجهد في سبيل انفاذ هذا النظام العسكري غير انهُ اهمل في ايام نيابة الامارة وصرف المال الذي افرز لابتياع الاسلحة والافراس والمهمات في سبيل استغرقته فلم يظهر لهُ اثر . ومذ تقلد البرنس ميلان منصب الامارة لم يقدر ان يقوم بشيء لان مجلس النواب راى ما جرى قبلاً فلم تقدر الحكومة ان تحملهُ على ان يفرز لها مبلغاً آخر للتجهيز فعند ظهور العصيان في الهرسك في السنة الماضية لم يكن للسرب جيش كثير غير انهُ لم يكن يقدر ان يحارب لنقص تنظيمهِ وعدم وجود المهمات والزاد والاسلحة

اما القوة العسكرية السربية فتنقسم الى ستة اقسام بحسب الاراضي وفي كل قسم ثلثة جيوش وكل جيش مؤلف من اربعة جيوش صغيرة (طوابير) وكل قسم يكون تام التنظيم وفيهِ كل ما يلزم للقتال والتدبير ووسائط النقل والسير والتجسس وغير ذلك واقيم في بلغراد العاصمة اركان حرب عام وفي رياستهِ الجنرال زاخ معاون البرنس الاول . وفحصت دفاتر الاكتتاب في كل البلاد وضبطت القيود والتنظيمات وكان التنظيم بحسب عدد الاهالي فنشا عن ذلك عدم انتظام في عدد الجيوش فان بعضها كان مؤلفاً من ٤ جيوش صغيرة (طوابير) وبعضها من ٥ حتى من ٦ طوابير . وكذلك وقع عدم انتظام في فرق كل جيش صغير حتى ان بعضها اصبح مؤلفاً من مائتي جندي عوضاً عن ان يكون مؤلفاً من مائة جندي . اما الفرسان فهم فرقتان منظمتان و ٤٣ فرقة من الحرس وهم من اغنى الاهالي فان افراسهم من مالهم وقد قسموا الى ٦ فرق . اما صفوف المدافع وهي ٣٠ للقتال في السهول و ٨ للجبال فقد وزعت على الجيوش . ولم يتم كل هذا التنظيم حتى الآن ولم يعين كل القواد لانهُ لم يتم جمع جنود بعضهم . وفي الحاضر اعتنت الحكومة كل الاعتناء في تأهب جنود في المقاطعات الواقعة عند الحدود فانها معرضة للهجوم اكثر من سائر الاماكن . وقد تعدل انهُ اذا تم هذا التنظيم تصبح السرب قادرة على ان تحارب بستين او سبعين الف جندي منهم نحو خمسين الفاً من المشاة وقد اقامت بالتجهيز بسرعة وهمة لا مزيد عليها بجمع الزاد والمهمات والاسلحة

فرنسا

ذكر في التيمس انهُ قد نشر رسمياً الخطاب الذي خطبهُ موسيو وادنكتون احد وزراء فرنسا عند توزيع الجوائز على الجمعيات العلمية في الولايات الفرنساوية وختامهُ السياسي يستحق النشر فانهُ قال فيهِ بعد ان اطال الكلام عن اسباب نشر المعارف ما ترجمتهُ

وقد رايتم ان هذه اعمال السلام واعمال الترقي الداخلي وقد صممت الحكومة على ان نسير في ذلك السبيل بثبات وحكمة . وهو ما رغب فيهِ المارشال ما كماهون عندما قرر منذ ايام قليلة انشاء معرض سنة ١٨٧٨ العرض المحصولات والمصنوعات وغيرها . واراد ان يبين ان فرنسا اصبحت تدبر

امورها بيدها لانها قد حصلت على نظام موسس على حقوق الانتخاب العام التي اعلنت بصراحة ورغب في ان يكون عمل فرنسا الاول عند خروجها من الحالة الموقتة والشعور بالامنية دعوة امم اوربا الى هذه المناظرة الاخوية . فرئيس الدولة الذي فاز بمجده في ميدان الحرب يرغب في ان تحصد جمهوريتنا مجدها الاول في ميدان سلام كهذا الميدان . وان ترى فرنسا اوربا والعالم انها لا تخاف المناظرين في ميادين الزراعة ولا تزال محافظة على الرتبة الاولى في الصنائع . فانتم يا نواب الجمعيات العلمية ستشتركون في ذلك وستدعون لتعقدوا جمعيات عظيمة علمية هنا وتجتمعوا باخوتكم الاجانب الحكما . وستنعمون اعتبارهم واحترامهم . وعند رجوعهم يبقى ذكركم عندهم ولا ريب عندي ان ذلك يجعلكم مرسلين فرنسويين في بلاد اجنبية لتذيعوا حكمة فرنسا ومعارفها . وكثيرون منا يعودون قريبًا الى ولاياتهم فقولوا لكل انسان انهُ سيقام باستعدادات لقيام هذه المناظرة العظيمة السلمية فاستعدوا لتدخلوا دائرتها باركان وامنية وقولوا لكل ابناء وطنكم ان الحكومة الجمهورية حكومة سلام في الخارج ونظام واعتدال في الداخل . وقولوا لهم ايضًا ان هذه الحكومة مصممة كل التصميم على ان تحفظ في كل شيء حقوق الدولة وهي تحترم كل شيء كل الاحترام ما دام عزيزًا عند اهل الدين واخبروا الجميع بانها تحترم احترامًا واحدًا الكاهن والمعلم واكدوا كل ما قد قالهُ المرشال مرات كثيرة وهو انهُ يستند الى كل اهل الادارة الجيدة وجميع الفرنساويين . فقولوا للجميع اننا نركن الى الاستقبال بالاتحاد مع الجميع وبعناية الله ومساعدتهِ تكون جمهورية سنة ١٨٧٥ وهي جمهوريتنا الفتية المحبوبة واسطة لحصول فرنسا على النجاح والعظمة في ايام طويلة

روسيا والمانيا

من اهم الامور التي تتوقف عليها سياسة هذا الزمان نسبة كل من الدولتين المشار اليهما الى الدولة الاخرى وقد قالت جريدة النور دوتش المان زيتونك الالمانية المشهورة بهذا الشان ما ترجمتهُ

قد شرعت الجرائد الالمانية في المدة المتاخرة في البحث عن الصلات الحالية الجارية بين روسيا والمانيا وعلاقاتهما الاستقبالية . وجعلت مسند جملها الاسياسية المتعلقة بذلك اشاعات غير صريحة واخبارًا غير موكدة قد كذبتها الافادات الصريحة المناقضة لها وقد تاسفنا لاننا راينا في جملها ما دل على قلتها كان ذلك مركز ضعف ياتي بخراب الامبراطورية الالمانية واندثارها . وقد خرجت عن جادة الصواب في الكلام عن ذلك . وفي حرب القرم لامت جرائدنا الحكومة البروسيانية كل اللوم لانها لم تتحد في حرب حربية لمضادة مفاعيل رد الفعل في اوربا حتى ان اصحاب الاراء المعتدلة من رجال السياسة لم يعذروا الملك فردريك وليم الرابع البروسياني لانهُ سلك سبل الصواب لمراعاة صوالحنا ممتنعًا عن ان يقاد الى الاشتراك بالحاسيات مع بولونيا والاتحاد الانكليزي الفرنساوي . فالجيش الروسي الذي وقف في تلك الحرب مصادمًا جيوش اربع دول اوربية هو نفس الجيش الذي كان سبب جمع ردف جيش بروسيا بعد مفاوضة معلومة جرت بين الامبراطور نقولا الروسي والملك وليم . فهل كان من الممكن لحكومة بروسيانية في تلك الايام بان تقطع النظر عن علاقاتنا القديمة الروسية وتهرق دمًا المانيًا لازدياد مجد الامبراطورية النابوليونية . وكانت ثورة بولونيا سنة ١٨٦٣ سببًا لتهييج افكار الالمان الحرة كما اهيجت في المرة الاولى المذكورة فاغتاظ الاهالي كل الغيظ

من حكومتهم البروسيانية لانها لم تنفصل اتباع الاراء الجارية على صوالح المملكة الصحيحة . ومنذ هذا الزمان انتقلت الاراء العامة عندنا الى الجهة المعاكسة لانها عرفت ان صوالح روسيا والمانيا واحدة مع قطع النظر عن الحب الجاري بين الامبراطور والملك . وكثيرون في المانيا يشورون الان بالقيام بسياسة مخالفة للسياسة التي كانوا يشورون بها منذ ٣٢ سنة اذا رجعت حوادث سنة ١٨٦٣ . وجريدتنا لا تتمنى غير جري صلات حبية بين روسيا والمانيا : غير ان الصداقة لا تتقرر ما لم تؤسس على الاحترام المتبادل وعندنا انه مفروض علينا ان نحذر الجرائد الالمانية لئلا تجعل صداقة روسيا في منزلة ليست هي بالحقيقة فيها بالنظر الى صوالحنا . وعندنا انه يقل اعتبار المانيا في روسيا اذا تعودت جرائد بروسيا ان تبين ان الصداقة الروسية من ضروريات السياسية بالنظر الى بلادنا وحكومتنا حال كوننا نرغب في مصافاتها ولكن ذلك ليس من الامور التي لا نستغني عنها . ومنذ ايام الامبراطور بطرس الروسي الكبير وقسم بولونيا جرت صلات صداقية بين الدولتين . وهذه الحال استمرت بدون تغيير يستحق الذكر الا في ظروف قليلة لم تطل مدتها ونشات عن حاسيات الملوك الشخصية وقد جاءت بضرر صوالح روسيا في كل حال : واختبار روسيا الناشيء عن ذلك ابان لها ان صداقة جارة اهم من اتحاد اخر ولو كانت تلك الجارة ضعيفة بالنسبة الى الحالة الجارية لانها قابلت بالصد قوات عظيمة ولا بد لنا من ان ندعو جرائد المانيا ولا سيما جرائد بروسيا الى تذكر هذه الحوادث والنظر اليها بما يوافق تواريخنا وعاداتنا . وليس من عادة هذه البلاد الخوف من جارة لا في الشرق ولا في الغرب : ومن الواجب ان لا نقرر في عقول الروسيين ان اتحادهم معنا هو عضدنا وسندنا هنا اذا رغبنا في ان نجعلهم حلفاءنا : وما شاع موخرًا من تصميم حضرة الامبراطور اسكندر على التنحي هو بالتاكيد مما لا ينتظر : واذا فرضنا انه سيقوم بذلك واخذت الجرائد الالمانية في اظهار القلق من جلوس حفيد البرنسس شارلوت البروسيانية وهو حفيد بنت الملكة لويزا البروسيانية وابن برنسس هسية المانية على عرش الامبراطورية تحمل الجرائد الروسية على ان تخطي في تعديل منع الصلات الجارية بين البلدين . فهذه الاراء بدون داع ولا نفع . ولا ينبغي ان يخطر لنا ببال ان امبراطور روسيا القادم الذي استعد بعناية والده المشهور للقيام بادارة الحمل الثقيل السياسي الذي يلقى على عاتقه سيميل الى مخالفة سبل سياسة سلفائه وقطع رباطات تمكنت باعمال ثلثة منهم . ولنا امل انه صالح في نقل مركز ثقيل اسس باتحاد الدول الثلث . وعلى كل حال من الاصابة ان تنقاد الجرائد الالمانية الى ما يقرر الاعتبار لنفسها وتقوم بواجباتها الوطنية بان تقرر في عقلها انه لا بد من تاسيس الصداقة بين روسيا والمانيا على الصوالح المتبادلة ولو كانت تلك الصداقة مما يرغب فيه . فالصداقة المؤسسة على ذلك تتقوى بالميل الحبي الشخصي ولا تتزعزع بمجرد الكره ولو وقع كره وليس شيء منه في الحال . انتهى

وقالت جريدة التيمس ان هذه الجملة قد جاءت بعظيم تاثير ولا بد من ان تكون ذات نفوذ

مصر

من ادارة الجنان والجنة في مصر

لما كان نشر الاخبار بالتروي والاعتدال مما يرغب فيه كل انسان وكان كثيرون لا يطالعون الجرائد الاوربية بل يسمعون ملخص بعض مقالات منشورة فيها بسوء التبليغ وكان بعض قراء

الجرائد الجزبية قد اعترضوا على بعض امور لا يسمح ضيق المقام بنشر تفصيلها حررنا هذه الجملة لتبيين بعض ما مكننا ظروف الحال من معرفته بالعيان والنقل. ولا يحق لمعترض ان يرجم بالغيب ويرشق بسهام الملامة بدون برهان ويخطىء من يقول ان الحكومة الخديوية كانت مصممة منذ عقدت قروضها الكثيرة على ان تتاخر عن الدفع في مثل هذا الزمان لترتج برد الفعل بتاجيل الاستحقاقات حال كون الانسان يجهل المستقبل ونرى تجارًا كثيرين من اهل الاستقامة وصيارفة عظام يوسعون دائرة اعمالهم غير قاصدين الحاق الضرر باحد فبانقلاب الاحوال وخسارة بعض العملاء او غير ذلك يتكبدون الخسائر بغتة فيتاخرون عن دفع دينهم في اجاله على غير رضاهم فيلحق ضرر باصحاب الدين. ومن يا ترى يقرض ماله بفائض غير معتدل بل باهظ ولا ينتظر الخسارة. اليس ذلك من القواعد التجارية الراسخة التي يعرفها كل من يطمع بالكثير فيقصر عن ادراك القليل. اما الحكومة الخديوية السنية فقد قبضت المال وصرفته في سبيل الاصلاحات الكثيرة التي ترى بالعين ودفع فائض ذلك الدين. فهذه المصاريف عظيمة جدًّا وهي كراسمال التاجر او كالبذار الذي يغطيه التراب في بادي الامر ثم ياخذ في ان ينمو ويكبر وياتي بالمحصول فالذين لا يدركون حقيقة الامور لا يعرفون ذلك ولا يخطر لهم ببال ان البذرة التي تدفن في الارض هي ينبوع حيوة العالم اجمع ومن يعرف البلاد المصرية منذ نصف قرن وهي على الحال التي وصفها بها المورخ الشهير موسيو فولني ولا يرى فرقًا عظيمًا وتغييرًا غريبًا. وكانت الامراض والاوبية والرمد المصري وغير ذلك من الافات تتناول عشيرات الوف بسرعة وتعيي كثيرين هذا خلا انعاب المعيشة الناشئة عن شدة الحر الذي لم يكن له ما يخفض فعل جيوشه المحرقة والغبار وصعوبات السفر والحرية الدينية والادبية وظلم الحكام الذين كانوا يعاملون جميع الرعايا معاملة بربرية بلا شفقة ولا استثناء ولم يكن للكبير او للصغير محام او مجلس ينوب عن الامة له حق الاحتجاج عن المظلوم فان الحيوة والموت كانا بين شفتي ذلك الحاكم من دون معارض فاين الحال الجارية من هذه الحال. وهل من برهان قاطع على ما قيل ان قتل مدير المنية لظلمه قاتلة حتى نسنده الى حقائق. فلا نصيب اذا تمسكنا بالاشاعات ولا سيما في بلاد كثرت فيها التقولات والاوهام والمبالغات واذا فرضنا صحتها فهي دلالة على ان الامة لا تخضع للظلم وكم من اوربي يقوم بذلك وكم من مرة في اقل من ربع قرن اطلق الرصاص على ملوك اوربا. ولا يدل ذلك على ظلم وقد اشتهر الجناب الخديوي بين عظماء هذا الزمان بالذكاء واصابة السياسة فلا يسمح بوقوع امور هي من اعمال الاعصر الغابرة. اما المالية وهي اهم ما يشغل به الناس في هذه الايام فالاهتمام جارٍ بها بكل نشاط للوصول الى ما يوافق الجميع وقد بين لنا ذلك احد اكابر رجال السياسة ولا بد من الوصول الى نتيجة مرضية ان شاء الله فان نواياه خيرية ومقصده الجمع بين صالح البلاد وصوالح اصحاب الدين والتاخير الحاصل ليس بناشيء عن سوء مقصد بل الظروف قد ساقت البلاد اليه ولذلك اسباب كثيرة واهمها الفائض الغير المعتدل والاحوال السياسية والمالية في اوربا. ومن الموكد ان مصر في سن الفتوة ومستقبلها عظيم ورجوعها قليلًا الى الوراء هو كرجوع الفتى ليس للوقوع ولكن لجمع قوة تمكنه من الاندفاع بعزم. وما كانت نتيجته التقدم فتاخيره برهة ليس بتاخير. واكثر المال الموجود في ايدي الناس واكثره عند الاجانب. هو

نتيجة فوائض وارباح غير معتدلة قد ربحوها من معاملة الحكومة فرد الفعل من الامور التي لا بد منها والا فمن ابن يوتي بنقود لدفع اوراق الدول المالية المتداولة في العالم وعلى اهل الحساب ان يجمعوا قيمة الاوراق المالية الموجودة في العالم والنقود الذهبية والفضية فيروا ان الاوراق تزيد عن النقود الحقيقية فان الفائض يزيدها سنويًا كثيرًا والمال لا يزاد الا قليلاً . فهبوط الاوراق حينًا بعد حين مما لا بد منهُ ما دام العالم على حالتهِ والدول على حالتها وروح الطمع ومحبة الفتوحات تختلج في صدور الحكام والملوك فلا نهاية لهذه الامور وليس من تحسين الا و يعقبهُ تاخير وليس من تاخير الا و يردفهُ تحسين فان العالم دولاب يدور تارة ذات اليمين وطورًا ذات اليسار فهذه حقائق نراها مقررة في التواريخ فان ما كان قديمًا هو الحاضر والحاضر يعود في المستقبل مع تغيير الزمان والمكان بحسب الظروف واما الذين قد سبقوا في المدات الاخيرة الى تجارة الاوراق المالية من متوسطي الحال ومن الفقراء الذين باعوا حلاهم او بعض مقتنيات ليشتروا اوراقًا فهولاء قد انقادوا بروح الطمع و بامل تحسين حالتهم كالذين قد سبقوهم وعلى كل حال لا بد من ان يرثى لحالتهم

ومن الموكد ان بلادنا كثيرة قد صرفت فوق طاقتها في سبيل التجهيز والتاهب ومصر لم تصرف فوق طاقتها في سبيل التحسين والاصلاح ولوكانت تربتها ذهبًا لما كفت مطامع الذين يقبضون فائضًا غير قانوني ربما كان قدر ربع المال في السنة بل اكثر. اما اخبار الحبشة والحملة المصرية فحضرة صاحب الدولة الامير حسين باشا الافخم قد رجع تاركًا اكثر الجيوش التي بقيت في مصوع ومن عرف عدد جيوش الحبشيين الجرارة التي اتوا بها ميدان القتال يتعجب عندما يسمع بثبات ذلك البطل في قتالهم وعددهم اكثر من عشرة اضعاف عدد المصريين وشجاعتهم لا مزيد عليها لانها صدرت عن كثرة العدد والتعصب الديني حتى انهم سموا الحرب بمقدسة وهم على اتحاد بخلاف زمان دخول الانكليز فان الروساء تركوا ملكهم وشانهُ مع جيوش قليلة في مجدلة فقتل نفسهُ وسلم جيشه اليهم بدون قتال البتة . وكانوا هذه المرة يستترون بمجانهم والبنادق والحراب في ايديهم ويحنون روسهم ويحملون الى ان يتقربوا من الحواجز التي كان قد اقامها الجيش المصري والمدفع يفعل بهم وهم لا يبالون وملكهم واربعة معهُ كانوا يلبسوا الاحمر وجلد النمر على صدورهم بشبه منطقة . غير انهم كانوا يخفون قتلاهم بدفنهم ليلاً لان بسالة المصريين وقوة المدافع فتكت بالحبشة الفتكة التي نشرفوها مع صعوبة مراكزهم و بعد بلادهم و بالاخبار المصرية انهُ ستقام جنود مصرية في المسالك في مدة الشتاء التي لا يتيسر القتال بها ومعظم الجيش عاد الى مصوع ومنها قد جاء الى مصر والمنتظر ان تكتفي الحكومة المصرية بذلك الفوز لانها سيقت الى حرب الحبشة على غير رضاها

مرثية

ان المرحوم فرنسيس مراش اشهر من ان يوصف ومطالعو الجنان قد قراوا جملاً من قلم شقيقتهِ الخاتون مريانا الاديبة وقد رثتهُ بقصيدة كنا نحب ان ننشرها برمتها في الجنان غير اننا لا ننشر فيهِ نظمًا من المدح والرثاء ولكن لما كانت تلك المنظومة من نتاج قلم خاتون وهذه فكاهة نادرة تاول الى ترغيب الجنس اللطيف في طلب الادب ومثقفات العقول في بلادهي في احتياج اليها فقد نشرنا بعض ابيات منها وهي

مالي ارى اعين الازهار قد ذبلت
وما ل غصن صباها من ذرى الشجر
من فقه الناس في علم وفي ادب
ونوّر الكل في شمس من الفكر
فيا لدهر خؤون لا زمام له
اراش سهماً فصاب الغصن بالقدر
فحزن يعقوب لا يكفي لفقدك يا
كنزاً تفرد بالاجيال والعصر
في لجة الحزن نفسي ضاق مسكنها
من ذا يسلي فؤادي قل مصطبري

النمسا والثورة

قالت جريدة التيمس ما ترجمة ملخصهِ ان الخوف المقلق الغير الواضح الاسباب الذي جرى في شرقي اوربا في اواخر الماضي نشأ طبعاً عن عدم نجاح الاجتهادات الحكمية التي صرفت في سبيل اخماد ثورة الهرسك و بوسنه . وللائحة الكونت اندراسي كل فضل خلا فضل النجاح . وعندما راى الجنرال روديخ والي دلماسيا النمساوي ان تدبيرات النمسا لتلطيف حاسيات العصاة لم تصادف قبولاً حاليًا ليكون اساسًا للسلام اخذ في ان يجرب التهديدات . ولا ريب في ان واجباتهِ صعبة ولا تحمل العصيان بالثناء عليهِ ولا نعجب من قيامهِ بالتهديدات بقساوة بعد ان راى ان البراهين التلطيفية لم تاتِ بنتيجة . وما من احد لا يفرغ جهدهُ في تلك الظروف لان يقرر في عقول العصاة انهُ سيلج عليهم اذا حادوا عن جادة العدل ولم يبالوا باشاراتهِ اللطيفة . وقد اقام بذلك ولكنهُ لم ينجح الا بتخويف ارباب السياسة الذين باتوا في قلق وكذلك ارباب المالية . ولم يظهر ان تهديداتهِ جاءت باقل تاثير في العصاة . واظهروا في بادي الامر انهم يرتابون في حقهِ المتعلق بالكلام الذي كلمهم بهِ . وقالوا انهُ لا سبيل الى وقوع شيء عليهم اردا من التسليم بداعي الاصلاحات التي رغب في ان ينفذها . فاستخفوا بتهديداتهِ . غير ان مديري الجرائد واصحاب الاوراق المالية لم يسلكوا مسلك الحكمة الذي سلكهُ فانهم تصوروا ان ويلات متتابعة متهيئة لان تنقض على شرقي اوربا . وقرروا في عقولهم ان الحرب ستنتشب بين الدولة العلية والسرب وانهُ ستنقطع الصلات الحبية الجارية بين روسيا والنمسا . وان المانيا تراقب روسيا والمجر والنمسا وفرنسا تترقب سنوح الفرصة الموافقة لاخراج قوتها وسطوتها من القوة الى الفعل وان ميدان الحروب الجارية الغير المرتبة سيصبح ميدان قتال جيوش منظمة . فهذه التصورات وغيرها اقلقتهم واوقعتهم في اضطراب واثرت في اكياسهم . وامتد الخوف في كل مكان من شواطي الطونة والدانوب. وفي الخوف لا توازن الامور باصابة . وما دامت احوال بوسنه والهرسك غير مقررة لا يستامن احد من تجديد ذلك الخوف في كل ساعة . لانهُ ما ادرانا انهُ لا يقامر بعمل ناشيء عن حماقة فينشا القلق عنهُ ويوقع الناس في خوف صحيح . على انهُ قد ظهر ان القلق الذي جرى في الزمان المذكور كان بدون داع والمحافظة على السلوك في سبل التعقل والتروي الى الان بدون ميل ضمانة على استمرار ذلك ولا ريب في ان لائحة الكونت اندراسي وزير النمسا الاول كانت ناشئة عن نوايا خيرية . على انهُ محقق انها لم تصدر عن مجرد كرامة اخلاق مع خلو الغرض لان اضطراب السلاف عند حدود املاك امبراطور النمسا وملك المجر المؤلفة من اجناس كثيرة يدفع امواج القلاقل الى بلادهِ . ومن الموكد ان الكونت اندراسي علق املهُ بان يكون مخلصًا عامًا عندما قرر لائحتهُ . والظاهر انها تستحق العناية والتجارب وقد

فازت بها بدون ان تنجح . لان العصاة لم يقبلوا الاصلاحات. ولم يتيسر اجبارهم على قبولها وموانع اجبارهم بقوة ادبية صادرة من دولة اجنبية عظيمة وعندما تهددهم راى ماهو في احتياج اليه . واذا فرضنا انه لم يكن يعلم ان كلامه تهديد فقط لانفرض ان الوزارة النمساوية والروسية كانتا تجهلان ذلك . ونحن بعيدون عن مركز القلق وربما كنا نقدر ان نبحث عنه بدون ميل ولا خوف . فالعصيان لايزال جاريًا . والظاهر ان الناس توهموا صعوبة وجودما يرجع بالعصاة الى الطاعة فتوهموا ايضًا بانه لابد للنمسا من ان تفصل الامر بضمها الى امبراطوريتها . مع ان صعوبة ذلك ليست باقل من صعوبة انفاذ لائحة الكونت اندراسي . ولا نقول ان تغيير السياسة دفعة واحدة ضرب من المحال . غير ان دون ذلك موانع وهي ان الكونت اندراسي مقاوم له والمجر تضاده وكذلك بوسنه والهرسك وتعضدها السرب والجبل الاسود في ذلك وروسيا تقاومه . والمظنون ان ضم الاماكن الثائرة الى النمسا ياتي الامبراطورية النمساوية والمملكة المجرية باضرار تمس انضمامها فيخاف المجريون من ذلك . فالذين يهيجون بالكلام وتوهموا ان كلام الجنرال رودخ الوالي النمساوي ناشئ عن صيانة الانضمام فسروا كلامه بما لايفسر به . وقد جاوا على ذلك بما يسمونه برهانًا حال كونهم يسلمون انه لم يخطر لوزارة النمسا ببال ولا تسلم به حكومة المجر وهو ان لائحة النمسا لم تات بفائدة وان ذلك يوخر الامبراطوريات الثلاث عن ان يتكاتفوا على المداخلة . فقالوا ان مشورات الكونت اندراسي هي الكلام الاخير المتعلق بسياسة محددة وانه اذا رفضها العصاة لابد من وقوع الخلاف بين الدول الثلث الامبراطورية . ومن الموكد عندنا انه لم يقصد احدها ايقاع الخلاف فان مشورات فينا وبطرسبرج لاتزال على ما كانت عليه وبرلين تتبع روسيا والنمسا ولا تنظر الى ما ظهر من قرب وقوع الخلاف الاكبرهان على ان قوة اتحادها ذات حد معلوم . ولائحة الكونت اندراسي لم تقطع جميع اسباب تسوية الحال فاذا اعترض بانها لم تنجح نسمع بتدبيرات اخرى لترجيع السلام

ولا ريب في ان التاخر يزيد صعوبات تسوية سياسية محضة في ظروف مشكلة كثورة الهرسك وبوسنه فان الحوادث تسبق تدبيرات رجال السياسة بسرعة الحركة وربما كان يقام بتدبيرات لانراها الان لانها تتشاغل عن اجتماع الحوادث . فالسرب امست في هيجان عظيم وربما كانت تخالف شروطها . وقد قال اهلها ان هذا هو زمان حصولنا على الاستقلال التام . ولا ريب في ان التدبيرات السلافية وتدبيرات العصاة تنمو بنمو الحوادث غير انه لايزال باب سياسي مفتوحًا للدول التي ترغب في منع امتداد الاضطراب . وهي ان تضع الدول المجاورة جنودًا على الحدود لمنع انتشار الاضطراب وترك المتحاربين وشانهم . والمظنون ان امبراطور روسيا يعضد هذه السياسة وربما كانت النمسا ترتضي بها . وليس عندنا اخبار تدل على انها غير مقبولة عند روسيا وتكاتف الحكومتين يدل على ذلك وما من اختلافات لاتقرر بينهما في الحال واذا راينا خطرًا من جرى ذلك من الواجب ان نستخدم مركزنا الحيادي الصافي لازالتها قبل ان تتقرر بان نشير بما تقدر الدولتان ان تتفقا عليه

اصلاح غلط

نشرنا جملة في الجزء السابع من الجنان عنوانها نبذة من تاريخ ترواده وقلنا انها من قلم الخواجه عزيز خلاط غلط صوابه من قلم الخواجه ديمتري خلاط

اصلاح غلط للغز علي افندي الزين المدرج في الجزء السابع من الجنان وجه ٢٣٢

صواب	خطا	سطر
فاق الورى بمعاني	قد فاق بالمعاني	١
ان كان منهُ يحذف الثلثان	ان كنت تحذف منهُ الثلثان	١٢
تسعة عشرة وضربتها في ستة	تسعة وعشرة وضربتها في واحد	١٦

تقرير مستر كايف

(تابع الجزء الماضي)

وفي هذا الحساب امران يستحقان الذكر وهما ان المبالغ التي دخلت الخزينة المصرية بالاموال الاميرية وهي ٩٤ مليونًا و٢٨١ الفًا و٤٦١ ليرا هي اقل قليلاً من المبالغ التي صرفت في سبيل ادارة البلاد ومال الباب العالي والمشروعات التي لا ريب في نفعها او المال المصروف في سبل سياسية ومجموعها كلها ٩٧ مليونًا و٢٤٠ الفًا و٩٦٦ ليرا . وانهُ لا يظهر الان قبالة الدين الكثير غير ترعة السويس فان كل مداخيل القروض والدين الجاري قد صرف في سبيل دفع استحقاقات الفائض واصل المال خلا الذي استدين للقيام بذلك المشروع العظيم . ومن الامور التي تستحق الذكر ان التزام حكومة مصر بان تدفع مبالغ وافرة لترعة السويس الزمتها بان تعقد قرضيها الاولين وهما قرض سنة ١٨٦٤ وسنة ١٨٦٨

اما اصول مال المقابلة الذي وضف يبين باجلى بيان كيف انهُ قد صارت تضحية الصوالح الاستقبالية للاحتياجات الحالية . وقبل وضع المال قد راينا ما دلنا على ان دخل مال الاراضي كان اربعة ملايين و٧٩٣ الفا و٩٤٥ في السنة . فوضع مال المقابلة لتحصل الحكومة على اربعة اضعاف المال المذكور اي نحو ٣٨ مليونًا و٧٦٠ الفًا و٧٥٤ ليرا . وكانت مصممة على ان ترجع من ذلك قسمًا بتنزيل ½٨ في المائة وان ترجع مليونين و٢٩٦ الفًا و٧٣٩ ليرا في نهاية سنة ١٨٨٥ فيبقى للحكومة ٣٦ مليونًا و٦٦٣ الفًا و٨٨٨ ليرا ويكون دخول ذلك في مدة ١٤ سنة وقد وعدت الحكومة بان تترك مقابلة لذلك الى الابد نحو مليونين وخمسمائة الف ليرا

اما ضيق المالية المصرية الحالي فنشا عن عدم اقتدار الحكومة المصرية على ان تدفع دينها الجاري الغير المنتظم فان استحقاقاتهِ قريبة الاجال وقد عانته الحضرة الخديوية السنية بثمانية عشر مليونًا و٣٤٢ الفًا و٧٦ ليرا عثمانية على الاقل بعد طرح الاربعة ملايين التي دفعت ببيع اسهم ترعة السويس

وهذه الحال الغير الجيدة ناشئة في الغالب عن عدم اعتدال شروط قرض سنة ١٨٧٣ الذي عقد لدفع الدين الجاري ومجموعهُ ٢٨ مليون ليرا . فبهذه الشروط قيمة هذه القروض الاسمية هي ٣٢ مليون ليرا وعشرين مليونًا و٧٤٠ الفًا و٧٧ ليرا فعلاً ودفع منها ٩ ملايين باسهم الدين الجاري . فاشترى عاقدو القرض هذه الاسهم بعد قطع مبلغ غير معتدل وكانوا يدفعون ثمنها احيانًا ٦٥ في المائة ودفعت للخزينة بثلثة وتسعين في المائة وهذا زاد كثيرًا الارباح التي فاز بها الذين عقدوا القرض

وقد ظهر بفحص شروط القروض ان كل فرع من الدخل قد رهن وبعض الفروع رهنت مرات متوالية . وقرض سنة ١٨٧٣ يبتلع كل دخل فائتهُ مضمون اولاً بمداخيل مصر العمومية وبالتخصيص

قد رهنت الامور الاتية وهي ٠ اولاً كل طرق مصر الحديدية في مصر السفلى خلا طريق صغيرة ومعدل قيمة هذه الضمانة ٧٥٠ الف ليرا غير انها ليست مجددة ٠ ثانياً مداخيل الرسومات والفردة ومعدلها مليون ليرا ثالثاً رسومات الملح وهي مائتا الف ليرا ٠ رابعاً مليون ليرا في السنة من مال المقابلة ٠ خامساً كل المداخيل التي رهنت على قروض اخرى بعد ان تنتهي مدة رهنها بدفع المال المطلوب ٠ وهذا الرهن يحتوي على دخل مديرية روضة البحرين ٠ ورسومات مصر ٠ ورسومات الجسور ورسومات اخرى كرسم الملح والسمك واعداد الغنم والزيت والقوارب

ولما كان قد جرى رهن كل ما هو ذو قيمة بدون الحصول على المال اللازم لدفع الدين الجاري لابد من وقوع مالية مصرية في ضيق تضر بصوالح اصحاب المال والظاهر ان انسب واسطة لمنع وقوع الضيق مشترى الاسهم لتقرير قرض سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٣ واسهم الدين الجاري ٠ فهذا يخلص الرهونة فترهن لاستقراض قرض جديد ذي فائض معتدل

ولا يجمع هذا القرض الا بشرط وهو ان يعين الجناب الخديوي شخصاً يركن الناس اليه كالوكيل المالي الذي ارسلته حكومة انكلترا ليخدم عنده في رياسة دائرة ضبط يدفع لها جامع الرسم راساً بعض الرسومات منها مال الاراضي والمقابلة وان تسلم اليه مناظرة جمع المال وتوزيعه

فاذا امسى جامعو الاموال الاميرية في البلاد خاضعين لاوامر هذه الدائرة تقدر ان تمنع التزويرات والتحصيلات الغير المعتدلة التي تلحق بالفلاح ٠ ومن الواجب ان يرسل مفتشون الى المديريات ليتحققوا القدر الذي دفعه كل فلاح وكل نخلة وكل فدان في اثناء السنة وليتتبعوا المبالغ المدفوع ليروا انتقالها من يد الى يد قبل وصولها الى الخزينة فيتبين من هذه الواسطة هل تثقل احمال الاهالي بمغايرات روسائهم او هل تجمع الاموال الاميرية في الزمان الغير الموافق من السنة ٠ حتى انه ربما كان يجمع مال سنة واحدة في نهايتها ثم في بداية السنة الثانية حتى انه ربما كان يجمع مال ثلث سنوات في سنتين ومن الموافق ايضاً ان يفحص في القروض التي تلقى على الاهالي حال كون الفلاح لا يقدر ان يميزها عن الاموال الاميرية وفي هل يظلم الناس باموال مخصوصة كمال النخل والسواقي

ومن الواجب ايضاً ان تهتم الحكومة بمشورات تلك الدائرة وان تصلح كل فعل غير صحيح وبهذه الوسائط تترقى اسباب تقدم البلاد وثروتها ترقياً مهماً فان صيانة الفلاحين من الظلم وتمكنهم من اتخاذ المال الذي ياخذه منهم جامعو الاموال الاميرية فضلاً عن مال الخزينة لزيادة ثروتهم ٠ ومن الموافق ايضاً ان تتعهد الحضرة الخديوية بان لا تعقد قروضاً جديدة بدون رضى دائرة الضبط المذكورة ٠ وتبين تفاصيل هذه التدبيرات عند تقرير قاعدتها

فبوجود هذه الضمانات ربما كان يتيسر عقد الاتفاقات المطلوبة ولا نرى سبباً يوخر تقدم البلاد بعد جعل الديون المختلفة قرضاً واحداً ذا فائض معتدل

فالقروض المصرية هي الاتية والمال كله ليرات انكليزية

سنة نهاية القرض	ما يدفع منه سنوياً	ما دفع منه	تاريخ عقد القروض
١٨٩٣	٢٬٥١٧٬٠٠٠	٧٧٥٬٨٠٠	١٨٦٢
١٨٧٩	٢٬١٣٢٬٠٠٠	٣٬٥٧٢٬٤٠٠	١٨٦٤

١٨٩٨	١٠,٧٢٢,٥٢٠	١,١٦٧,٤٨٠	١٨٦٨
١٩٠٣	٢١,٣١٣,٦٥٧	٦٨٦,٣٤٣	١٨٧٣
١٨٨١	١,١٥٧,٥٠٠	٩٢٢,٥٠٠	(مصطفى باشا) ١٨٦٧
١٨٨١	١,٤٥٧,٣١٢	١,٥٤٢,٦٨٨ (دائرة)	١٥٦٥ مستند الى الخزينة
—	١٨,٣٣٤,٩٦٠	—	الدين الجاري
—	١,٠٠٠,٠٠٠	—	مصاريف الحبشة

اما قروض الدائرة السنية التي برام ادخالها في التدبيرات الجديدة فهي الاتية

قرض سنة ١٨٧٠

٦,٠٣٣,٦٣٠ راس المال الغير المدفوع

٣,٠٠٠,٠٠٠ الدين الجاري

اما دخل الحكومة المصرية الحالي فهو الاتي

٤,٣٠٥,١٣١	اموال الاراضي
١,٥٣١,١١٨	مال المقابلة
٤,٨٥٢,٨٢١	مداخيل اخرى
١٠,٦٨٩,٠٧٠	المجموع

وربما كان ذلك يبقى على حاله الى نهاية سنة ١٨٨٥ وسيستمر هذا الدخل على ازدياد ما لم تحل مصيبة لا تدل الحال عليها

وسنة ١٨٨٦ يبطل مال المقابلة ويقل مال الاراضي بدفع قسم عظيم من المال سلفًا عنها . غير انه ستاخذ اراضي جديدة قد اصبحت مزروعة في دفع مال لاتدفعه الان . والامل وطيد بان اراضي اخرى غير مزروعة في الحال تصبح مزروعة في اثناء عشر سنوات فتدفع مالاً ؛ والمأمول ايضًا ازدياد الدخل بازدياد مجموع اموال اخرى . ولذلك نفرض ان مال سنة ١٨٨٦ وما يتبعها يكون كما ياتي

٣,١٣٤,٨٢٤	اموال الاراضي
٥,٣٣٨,١٠٣	مداخيل اخرى تزداد ١٠ في المائة عن مداخيل سنة ١٨٧٦
٨,٤٧٢,٩٢٧	المجموع
٨,٤٧٣,٠٠٠	وبالتقريب

اما القروض الصغيرة التي تقررت حالتها الحاضرة فهي الاتية

نهاية القرض	مايدفع منه سنويًا	المبلغ الباقي بدون دفع	تاريخ القروض
١٨٧٩	٦٢٠,٣١٣	٢,١٣٣,٠٠٠	١٨٦٤
١٨٨١	٣٦٨,٣٥٠	١,٤٥٧,٣١٢	قرض الدائرة سنة ١٨٦٥ وهو الانكليزي المصري
١٨٨١	٣٥٨,٠٢٤	١,١٥٧,٥٠٠	(مصطفى باشا) ١٨٦٧
	١,٣٤٦,٦٨٦		

اما القروض الكبيرة فهي الآتية

نهاية القرض	ما يدفع منهُ سنويًا	المبلغ الباقي بدون دفع	تاريخ القروض
١٨٩٢	٢٦٣٬٩٧٢	٢٬٥١٧٬٠٠٠	١٨٦٢
١٨٩٨	٩٥٣٬٣٠٣	١٠٬٧٢٢٬٥٢٠	١٨٦٨
١٩٠٣	٢٬٥٦٥٬٦٧٠	٣١٬٣١٣٬٦٥٩	١٨٧٣
١٨٩٠	٦٦٨٬٠٠٠	٦٬٠٣٢٬٦٢٠	١٨٧٠ (الدائرة)
—	—	١٨٬٢٤٣٬٠٧٦	دين الحكومة الجاري
—	—	٣٬٠٠٠٬٠٠٠	دين الدائرة الجاري
		٧١٬٠٢٨٬٨٧٥	المجموع
		٧٢٬٠٠٠٬٠٠٠	بالقرض

وللتسهيل ومجانبة التعقيد عند تدبير المالية حذفت القروض التي تنتهي في السنين الست القادمة والمال السنوي المستحق منها الذي يمكن دفعهُ من مال المقابلة . فبالنظر الى ذلك نقول ان المبلغ الذي يرام تدبيره هو ٧٢ مليون ليرا وان ما تبين هو الدخل الذي ينبغي ان يقوم بدفع استحقاقاتهِ ونرى بتدقيق النظر ما يأتي

ان القروض المنظمة ليست بذات فائض باهظ على قيمتها الاسمية وهي موضوع كلامنا الآن . غير ان ما يستحق سنويًا من اصل المال فضلاً عن الفائض يثقل كثيرًا على الدخل . فلو تأخر اجل الدفع لخف الحمل الناشئ عنها . ولذلك يشار بان يعرض لاصحاب اسهم تلك القروض انشاء اسهم جديدة فائضها ٧ في المائة يتم دفع اصلها سنة ١٩٢٦ عوضًا عن الاسهم الموجودة في ايديهم التي يتم دفعها من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣ . والذي يرغب اصحاب الاسهم في قبول تأجيل استحقاقاتهم ضمانة دفع الاستحقاقات في اوقاتها بالدائرة الضابطة المخصوصة التي تقيمها الحضرة الخديوية كما تقدم . ومن شروط هذا التدبير نقل مداخيل البلاد من خدمة القروض المخصوصة الى خدمة الدين اجمع . والمظنون انهُ اذا وضحت صعوبات الحال لاصحابها يقبلون بتدبيرات من شأنها تقرير فائض عادل وصيانتهم من الخسائر العظيمة التي تنشأ عن تأخر المالية

والمظنون ان اصحاب الدين الجاري الذي تجددت اوراقهُ مرات كثيرة وهي الآن ذات قيمة تزيد كثيرًا عن المبلغ الذي دفع للحكومة يرتضون بان يأخذوا اسهمًا بالمبلغ الحالي الاسمي مع ضمانة دفع الفائض والاصل

ولم يبق غير البحث عن حالة مداخيل البلاد لنرى هل تكفي لدفع ما يعين سنويًا كفائض وقسم من اصل الدين . وقد ظهر بما تقدم ان مجموع الدين المنظم والجاري خلا ثلاثة قروض صغيرة هو ٧٢ مليون ليرا فاذا اضفنا الى ذلك مصاريف الخيبة وهي مليون ليرا ومصاريف هذه التدبيرات وهي مليونا ليرا يكون مجموع الدين ٧٥ مليون ليرا انكليزية . فما يلزم لدفع هذا المبلغ في خمسين سنة بفائض ٧ في المائة

هو ٥ ملايين و٤٣٤ الفا و٤٢٥ ليرا وقد اضفنا الى هذه المبالغ دين الدائرة المنظم والجاري فلا بد من أن تحمل اراضي الجناب الخديوي المخصوصة بعض هذا المبلغ اي ٦٧٣ الفا و٦٠٨ ليرات فيكون المبلغ الذي تدفعة الخزينة اربعة ملايين و٧٦١ الفا و٨١٧ ليرا

اما مصاريف الحكومة السنوية المصرية فهي الآتية ليرات انكليزية

٦٨٥٫٣٠٨	مال الاستانة العلية
١٩٨٫٨٢٩	فائض اسهم ترعة السويس الى سنة ١٨٩٥
٣٫٠٦٧٫٥٦٠	مصاريف الحكومة مع معينات العائلة الخديوية السنوية
٣٫٩٥١٫٦٩٧	المجموع
٤٫٠٠٠٫٠٠٠	بالتقريب
١٠٫٦٨٩٫٠٠٠	يلزم ان يكون الدخل السنوي من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٥
١٫٥٣١٫٠٠٠	تطرح المقابلة لانها تستصرف وحدها
٩٫١٥٨٫٠٠٠	الباقي
٤٫٠٠٠٫٠٠٠	وتطرح مصاريف الحكومة
٥٫١٥٨٫٠٠٠	الباقي
٤٫٧٦٦٫٨١٧	مصروف الفائض والاستحقاقات السنوية
٣٩٦٫١٨٣	زيادة مداخيل مصر عن كل مصاريفها
٨٫٤٧٣٫٠٠٠	غير انه بعد سنة ١٨٨٦ يكون الدخل كما بجانبه هذا مع قطع النظر عن الزيادة المنتظرة
٤٫٠٠٠٫٠٠٠	وتطرح منه المصاريف السنوية
٤٫٤٧٣٫٠٠٠	الباقي
٤٫٧٦١٫٨١٧	مصاريف الدين
٢٨٨٫٨١٧	يكون نقص الدخل عن كل مصروف

ويمكن سد هذا النقص بحفظ دخل المقابلة وهو مليون و٥٣١ الفا و٨١٨ ليرا في السنة الى نهاية سنة ١٨٨٥ . فيكون مصروفاً

وربما كان يزداد المال المحفوظ بازدياد الفائض الى سنة ١٨٨٥ واذا سمحت الظروف باستخدام قسم عظيم منه في ابتياع اوراق لاتلافها يكون نقصان المطلوب واسطة لجعل النقص الناشيء عن تنزيل رسم الاراضي سنة ١٨٦٦ زيادة . وينبغي ان تكون المقابلة في الدائرة الضابطة وان تتصرف فيها لتكون ضمانة على نقص الدخل

وقد ظهر من هذه التعديلات ان مداخيل مصر كافية اذا اديرت ادارة موافقة . وقادرة على وفاء دينها غير ان كل مداخيلها مرهونة فيلتزم اتفاق جديد لتنظيم الدين الجاري الثقيل جدًا

والاموال الاميرية السنوية التي توخذ من اهالي مصر ثقيلة وقد زادت غير ان اقتدارها على حملها قد زاد اكثر كثيرًا مما زادت هي لان ثروة البلاد قد زادت كما يظهر من صادراتها . وينبغي

ان لا ننسى ان المصاريف السنوية المذكورة متضمنة ما لا لوفاء قسم من اصل الدين وللقيام باصلاحات بلدية . وتتضمن ايضاً اموراً كثيرة يقام فيها في بلادنا الانكليزية بالاموال الخصوصية كالطرق الحديدية والترع والفرض وغيرها خلا اجرة اراض اميرية ودفع سلفيات دفعت في زمان جدب

وقد عرفنا من كل الاخبار التي تمكنا من جمعها ان مصر قادرة على ان تحمل مصاريف دينها الحالي اذا كان فائضه معتدلاً . ولكنها لا تقدر ان تجدد الدين بدفع فائض قدره ٥ ٢ في المائة وعقد قروض جديدة فائضها ١٢ و ١٣ في المائة لتدفع زيادات دينها التي لا تاتي خزينتها ببارة واحدة

(الامضاء) استيفن كايف

ان لهذا التقرير ذيولاً تفصيلية مثلاً ذيل الدخل يبين تفاصيل اسباب الدخل وكذلك المصروف وسننشرها حيناً بعد حين في الجنان او في الجنة وملخصها ليس بطويل . اما التقرير فهو الذي نشرناه

الكرة الارضية

(من قلم سليم افندي بستاني)

ان الله سبحانه وتعالى جعل الانسان مفطوراً على البحث عن الامور حتى انه لا يكتفي بالبحث عن حاضره ولا عما يعرف بوجوده باحدى حواسه فيرجع بتدقيقاته الى الماضي ويحاول كشف ستر الاستقبال ولا يتصل الى درجة البحث المذكور بالتدقيق والنور العقلي الا بعد ان يتدرج في المعارف ويدرك باصولها المرتبة او باكتساباته الغير المرتبة قواعد عامة وخاصة تعلمه البحث او التامل فيما يجهله عنه غيره . فهذا الطبع هو الذي يرجع بنا الى ازمان ماضية بل الى بدء كل زمان ويجعلنا نتخذ كل اثر حالي للاستدلال على طبائع المكونات الماضية للوقوف على حقائق او لاثبات ما تقرر في عقولنا انه حقيقة بعد ان لم نعتقد بانها الهامية . ولم نحصر العقل البشري في دنياه ولكنه ارتفع فوق السما كين بجد وشرع يتامل في الاجرام الفلكية التي طالما تكلمنا عنها ولا بد من ان نعود الى التكلم عن قواعدها غير ان اساس كل بحث هو الارض فانه بدون معرفة احوالها وحركاتها وسائر متعلقاتها العامة لا نقدر ان نعرف حقيقة احوال تلك الاجرام بل اعم القواعد واهمها تبقى مجهولة عند الذين يجهلون احوال الارض ومن اهم الامور الحركة فاذا كان راكب المركبة السريعة الجري او المركب السائر في البحار يرى التحرك في ما يراه على جوانبه وليس في نفسه مع انه هو المتحرك فيتخدع بظواهر الحركة النسبية فكيف لا نتخدع اذا لم نقف على الحقائق من جهة حركة الارض فالذي يبحث عن هذه الاحوال يساق الى البحث عن امور اخرى كطبيعة الارض فما يراه على سطحها وتحته من اثار الحيوانات والنباتات والطيور وغير ذلك ومن اثار امور كثيرة في الحجارة والصخور يحمله على التشوق الى معرفة اسباب ذلك مع التقلبات التي جاءت به وبامور اخرى كتركيب الصخور واسباب اختلاف بعضها عن البعض الاخر وغير ذلك فيتصل الى البحث عن مبدا عالمه ولا سيما بعد ان يسمع بان الارض لم تكن على ما هي عليه الان في البدء او في زمان متوغل في القدم لا يعرفه غير الخالق الازلي الذي عنده كل زمان حال فلا يتعلق بماض ولا يجد مستقبله ومن المقرر في عقول كثيرين من البسطاء ان البحث عن ذلك مخالف للدين لان فيه ما يبين بادي الامر مع ان معرفة النواميس التي اتخذتها يد العناية لايصال الارض الى ما قد وصلت اليه بعد ان اوجدها من العدم بقدرته الغير المتناهية

وتتبع مفاعيلها وتاثيراتها في دهور غير متناهية يزيد الانسان تمسكًا بعرى التقوى وخوفًا من قدرتهِ وحكمتهِ بدون ان يوقع مناقضة بين النصوص الدينية والاكتشافات العلمية فان التفصيلات التي وقف عليها اهل المعارف بالبحث والفحص لا تناقض العموميات المقررة اذا اعتبرنا الظواهر في بعض الامور والمجازيات في البعض الاخر وظروف الذين كتبت تلك الكتابات في ايامهم وليس المقصود الدخول في مباحث لها علاقات دينية خلافية في الجنان ولكنهُ اظهار وجوب اعتبار التقريرات العلمية على حدة بدون اشغال الفكر بامر اخر فان تطبيقها على الكتب الدينية من متعلقات اقوام تعمقوا بالامرين وفي كل امة تبع اهل المعارف سبيل معارفهم بدون معارضة لان ذلك لا يوثر في الايمان ومن المقرر ان الله سبحانهُ وتعالى قال للدنيا كوني فكانت كما يقول للنباتات في هذه الايام كوني فتكون غير انها تتكون من اصل يخالف منظرها وهو البزرة وكذلك الانسان والاصل الاول بدون ريب ناشئ عن امرهِ بطريقة مقررة ومع ذلك عرفنا ان الارض كانت ملتهبة فلعل هذا الالتهاب بالنسبة الى حالة الدنيا الحالية كالبزرة بالنسبة الى النبتة والحالة السابقة لذلك مجهولة كما اننا لولا الالهام لما عرفنا ان البزرة الاصلية هي من يد ذلك الخالق واجب الوجود وعلة العلل . وما يخالفهُ الانسان لنفسهِ من الاديان لا يبنى على قواعد عامة بل يخالط بخرافات واوهام ويقلل قوة الخلق من يد خالق غير منظور هو الروح المنتشرة في كل ما فيهِ حيوة فانهُ ينبوعها ومصدرها الى عنصر او جرم بل الى حيوان مخلوق او انهُ يشرك بالله بجعل المعبودات متعددة مع انهُ لابد من الوحدة فان الايجاد لا يكون الا بتناهي القوة والحكمة والتناهي في ذلك لا يفتقر الى تعداد بل يجمع المتناهي القوة في نفسهِ جاعلاً كل مخلوق دونهُ . فهذه اراء اولية قد حملتنا ظروف الحال على ان نكتب عنها قبل الوصول الى الكلام عن الارض . وللتوضيح نقول ان الارض جسم والانسان جسم لكل منهما حيز ولكل منهما زمان فزمان الانسان الاول جنين والثاني طفل والثالث الصبوة وهكذا الى الانحلال اولا تكون حالتهُ في زمان كحالتهِ في الزمن الاخر وهكذا الدنيا لها ازمان وفي كل زمان تختلف احوالها ومخلوقاتها وحرارتها عن الزمان الاخر . وللتسهيل قد قسموا زمان العالم اي حياتهُ الى ازمان ابتداؤهما بداية الخليقة بل بداية الزمان الذي اخذت فيهِ في ان تتهيا بامرهِ تعالى لتصير مسكنًا للمخلوقات مع مقصد اخر لا نعلمهُ فان الظاهر يدل على ما ذكر فقط وتسمى هذه الاقسام بالازمان الجيولوجية او ازمان علم طبقات الارض

فالزمن الاول تكونت فيهِ الاراضي الاصلية ولم يكن فيهِ مكونات عضوية اي انهُ لم يخلق الله تعالى فيهِ مخلوقًا حساسًا ناميًا بدون تحقيق كالنبات او حساسًا ناميًا محققًا كالانسان والحيوان اجمع لانهُ لم يكن مناسبًا لذلك وسنبحث عنهُ في هذه الجملة وكل ما تقدم هو تمهيد لهُ

والزمن الثاني تكونت فيهِ الاراضي المتوسطة والاراضي الثانية وكانت المياه تغطي الارض قاطبة فكانت وحدها مسكنًا للحيوانات

والزمن الثالث كون الله سبحانهُ وتعالى فيهِ الاراضي الثالثة وكانت قد اصبحت الارض قادرة على ان تقوم بحيوة بعض الحيوانات فخلق الله فيهِ الحيوانات ذات القوائم الاربع وغيرها مما سكن اليابسة والماء

والزمن الرابع تكونت فيهِ الاراضي الطوفانية والتي بعد الطوفان وخلق فيهِ الانسان بعد ان

خلقت الحيوانات والنباتات الموجودة والتي قد انقطع نوعها باختلاف الزمانين الاخيرين او غير ذلك

فالبحث عن كل زمان على حدته يوضح الاحوال كل التوضيح و يظهر للانسان كيف ان الله سبحانه وتعالى محافظ على نواميسه في مخلوقاته فلا يخلق الانسان شابًا بل يصوره جنينًا ثم طفلاً وهلم جرًا وكذلك الارض: ومن الواجب ان نقول انه لابد من التقصير عن ادراك الناموس الذي خلق به الانسان الاول والنبات الاول والحجر الاول ولاسيما بعد ان نعلم ان كل شيء في العالم مركب من عناصر معلومة لا تتجاوز الخمسة والستين عنصرًا وما نراه ظاهرًا من الدنيا بحارتها ومياهها وهوائها وجبالها ونباتاتها وحيواناتها ومنسوجاتها ومعادنها وطيرها وكل ما يرى ظاهرًا فيها لا يتركب الا من اقل من عشرين عنصرًا بسيطًا اي اننا اذا اخذنا كلاً منها وحولناه بالوسائط المحولة الى اصوله بتحليله نرى ان كل هذه العناصر مركبة من اقل من عشرين عنصرًا وللتوضيح للذين لم يطالعوا الطبيعيات نقول انه انا فرضنا ان الماء عنصر بسيط نراه في البحار والانهار والينابيع والانية والمطر وغير ذلك ونراه ثلجًا وجليدًا و بردًا وغيمًا وضبابًا وبخارًا وكله ماء اي اذا احمينا الثلج والبرد والجليد بالنار او بحرارة اخرى يذوب فيتحول الى ماء واذا بردنا الغيم والضباب يتحول الى سائل واذا قللنا حرارة الماء يصير جامدًا واذا زدناها يصير بخارًا او غيمًا او ضبابًا وكله ماء . وهكذا ما نراه في العالم كله فانه مركب من اقل من عشرين عنصرًا وما نراه وما يظهر بالبحث هو ٦٥ عنصرًا اي اذا ارجعنا كل شيء في الدنيا في سطحها و بطنها الى اصوله نرى انها مركبة من ٦٥ عنصرًا فقط . فلا يتكون شيء الا من شيء اي كل هذه الاشيا مكونة من تلك العناصر ولا يتكون حيوان عضوي الا باجتماع ذكر وانثى او باختلاط يقوم مقام اجتماعها فحالة الدنيا الجارية لا تخرج الارض حيوانًا ولا نباتًا من تلقاء نفسها والحاصل ان يد الخالق هي المكونة لذلك والمدبرة للعالم اجمع. وللمكونات العضوية عظيم علاقة بالازمنة الجيولوجية وكذلك الغير العضوية فان كل زمان يقوم بتكوين الاشياء التي يوافقها فالزمن الاول هو موضوع كلامنا فنقول

قد ذكرنا في الجملة المطبوعة في الجزء الماضي من الجنان وفي التي قبلها ان في بطن الارض حرارة شديدة لا يقدر العقل ان يتصورها وربما كانت تبلغ مائة وخمسة وتسعين الف درجة . وقد قال المحققون ان كل المواد التي تتركب منها الكرة الارضية كانت في بادي امرها في حالة غازية او بخارية ناشئة عن شدة حرارة الارض كلها لانه بالحرارة تتحول المواد الى غازات او بخار كما تتحول الماء اذا اغليناه الى بخار حتى الحديد يصير بخارًا اذا اذيب وشددت الحرارة الفاعلة فيه . ومن المعلوم انه اذا حولنا بالحرارة جسمًا سائلاً او صلبًا حتى يصير غازًا او بخارًا يتسع جدًا بانتشاره فالذراع المكعب من الحديد مثلاً اذا حول بالحرارة الى بخار يصير نحو الفي ذراع مكعب ولذلك يقال ان الارض وهي غاز كانت قدر حجمها الحالي الف وثمانمائة مرة . فما اعظم الفرق بين حجم ارضنا الحالية وحجمها وهي غازية تضيء بشدة حرارتها في الفضاء كما تضيء الشمس الان او كما تضيء النجوم

ومن النواميس الطبيعية ان لا يثبت الجسم اذا كان في فراغ مرتبط بسلاسل الجاذبية بل يدور على الدوام وفيه جاذبية داخلية تحفظ بعضه مع البعض الاخر وهي التي تحفظ الحجر مثلا معًا وعند تكسيره يتغلب عليها بقوة ضرب الحجر بمطرقة او غير ذلك فكانت الكتلة الارضية الغازية تدور

حول الشمس كما تدور الان وهي تبرد شيئاً فشيئاً بترك بعض حرارتها لطبقات الفضاء الباردة جداً واستمرت على تلك الحال زماناً طويلاً لا يقدر بشر ان يعين مدته ودامت تبرد الى ان تحولت الى سائل كالماء مثلاً كما يتحول البخار اذا حبسناه في قنينة وتركناه برهة في الهواء البارد فيتحول الى الماء وهذا التحويل صغر حجمها كثيراً واستمرت تدور دورتين وهما دورة رحوية حول الشمس ودورة على محورها . فالدورة الرحوية هي كما لو وضعنا مصباحاً في وسط مخدع ودرنا حوله والثانية كدوران الدولاب اي انها تنقلب فما يكون منها الى ما نسميه تحت في الليل يصبح في الجهة التي نسميها فوق في النهار وهكذا فالحركة الرحوية تجعل شكل الجسم المتحرك كروياً وهذا هو سبب اكتساب الارض شكلها المستدير . والحركة الثانية وهي المحورية تؤثر في الكتلة السائلة ايضاً فتنتفخ في وسطها اي عند خط الاستواء وتتفرطح عند قطبيها اي طرفها الشمالي وطرفها الجنوبي فالحركة الاولى تنشأ عنها الفصول في العالم وتغييرات اماكن شروق الشمس والثانية وهي المحورية ينشأ عنها الليل والنهار كما لو كانت دولاباً يدور في ليل قبالة مصباح ثابت فنرى نصفه تارة قبال المصباح وطوراً في الجهة التي لا تقابلها ونرى عليه ظلاً من جرى النصف الاخر الذي يقابله وهكذا الارض فهي الدولاب الدائر والمصباح الشمس الثابتة .

ومن الادلة القاطعة على ان الارض في اول الامر كانت سائلة انتفاخها عند خط الاستواء اي في وسطها انتفاخاً يشبه انتفاخ الليمونة او الجبسة في وسطها . لاننا اذا اخذنا كرة صلبة وادرناها على محورها قروناً لا يتغير شكلها ولكن اذا اخذنا عجيناً ووضعنا في وسطه قضيباً دقيقاً وادرناه ياخذ في الانتفاخ في الوسط والتفرطح عند القطبين بتاثير القوة المركزية الدافعة وما يتعلق بها مما لا تقدر ان نبينه الان لضيق المقام . وعند ما حكم العالم ايزاك نيوتون اي اسحق نيوتون المشهور بان الارض كانت سائلة في بادي الامر قال انه من اللازم ان تكون منتفخة عند وسطها ومفرطحة في قطبيها اي طرفيها فقاسوا الارض ووجدوها كما قال

ولا يخفى انه لم تتم استحالة كل كتلة الارض الغازية الى سائل بل بقي بعضها غازاً او بخاراً فتكون منه حول الارض الجو . اما الكتلة الغازية التي كانت تحيط بالارض في بادي الامر فكانت كثيرة الارتفاع لاشتمالها على مياه بحارنا وجميع المواد الغازية التي تميل الى الانتشار والارتفاع . ولذلك كان الجو يضغط على الارض اكثر من ضغطه الحالي . اما الان فالجو مولف من الغازات الاتية وهي الازوت والاوكسيجين والحمض الكربوني والماء وكانت معه كمية وافرة من اتربة وغير مواد في الحالة الغازية من جرى شدة الحرارة ومن المعلوم ان في السوائل والغازات يعلو الخفيف منها ما هو اثقل منه كما يعلو الزيت الماء . ولا بد من ان يكون اثقل الغازات في بادي الامر اقربها من الارض فالطبقة الاولى منها كانت مكونة من الابخرة الثقيلة كبخار الحديد والبلاتين والنحاس حال كونها مختلطة بغبار دقيق ناشيء عن تكاثف بعض بخار تلك الغازات وكانت هذه الطبقة الغازية القريبة من الارض الثقيلة الكثيفة مظلمة مع ان سطح الارض كان محمراً من شدة الحرارة . اما الطبقة الغازية الثانية التي كانت فوقها فكانت من المواد التي تستحيل الى بخار كالكلورورات المعدنية والقلوية ولا سيما كلورور الصوديوم اي ملح الطعام والكبريت والفوسفور . اما الطبقة الثالثة وهي العليا فكانت مولفة من مواد تتحول بسهولة الى بخار كبخار الماء المختلط بالغازات طبعاً كالاكسوجين والازوت

وحمض الكربونيك . وكان بعض هذه الطبقات الغازية يختلط بالبعض الاخر بعض الاختلاط مع تفاوت درجات كثافتها

وقد قلنا ان البخار او الغاز اذا برد يتحول الى سائل واذا اشتدت درجة تلك البرودة ياخذ في ان يجمد شيئًا فشيئًا ولا يخفى ان الفضا بارد فلا تكون درجة برودته اقل من مائة درجة تحت الصفر . وكانت الارض في زمانها الاول وهي في حالة غازية تدور فيها فبردت فاخذ البخار والسائل فيها في ان يجمد حتى صار في بادي الامر كالعجين وبازدياد التبريد صار بعضها جامدًا وصار يطفو على المادة الرخوة اي انه صار قشرة جامدة بعض الجمود فوق مادة سائلة واخذ بعض هذه القطع الجامدة في ان ينضم الى قطع اخرى حتى صارت قشرة جامدة وقد قيل ان سمك الطبقة الارضية الجامدة الان هو نحو ٤٨ كيلو مترًا وهذا قليل جدًّا بالنسبة الى حجم الارض كلها حتى انه يقال ان نسبة سمك قشرة الارض الجامدة الى شعاع الارض كلها كنسبة ورقة لُفّت بها برتقانة الى كل البرتقانة

اما تعيين طول الزمان الذي مضى على الارض حتى برد جزء منها وجمدت منها قشرة ظاهرة خارجية فهو مما لا يقدر بشر عليه وكذلك لا نعلم المدات التي مضت قبل ان جرت الاستحالات المذكورة ولا يخفى انه اذا اذبنا رصاصًا وصببناهُ في اناء وتركناهُ يبرد تتكون قشرة على سطحه لملامستها اسباب البرودة ، وهكذا تكونت قشرة الارض التي نعيش نحن عليها . ومن المعلوم ايضًا ان القمر يفعل في البحار في هذه الايام لانها ذات ماء وهو سائل فيرفع ماءها اذا اقترب منه بدورانه ويرجع الى ما كان عليه قبل الارتفاع عند ابتعاده عنه فينشأ عن ذلك المد والجزر . وكان للقمر والشمس تاثير في الكرة الارضية في بادي الامر لان القشرة الارضية التي تكونت في البداية لم تكن تقاوم ارتفاع السوائل التي تحتها بجذب القمر والشمس وتموجها بتاثير ذلك الجذب . فاذا وضعنا ماء في اناء محكم غير متين جدًّا وجعلنا قوة تجذب الماء الى خارج الاناء فان كانت قوة الجذب اقوى من مقاومة الاناء ينفجر الماء من اضعف جهة فيه وكذلك الارض في ذلك الزمان فان قشرتها لم تكن قادرة على ان تقاوم فعل جذب القمر والشمس كل المقاومة فحدث تمزق عظيم في قشرتها فان السائلات المختلطة بالغازات كانت ترفع بقوة الجذب فترتفع وتشق القشرة الارضية لعدم اقتدارها على مقاومتها . فكان يتكون من جرى ذلك شقوق متسعة تنقذف منها امواج من صخور حبوبية سائلة تتجمد على سطح الارض بالبرودة ، كما تنقذف من الجبال النارية في هذه الايام المواد الذائبة والتراب والغازات ثم تجمد حتى انها احيانًا تجمد تلك الغازات وهي في الفضاء فتسقط كالغبار فيقال ان السماء امطرت غبارًا واحيانًا تغطي الشمس مدة . وكانت تلك المواد محتوية على فلزات مختلفة خارجة من تحت قشرة الارض كالنحاس والخارصين والانتيمون والرصاص . وليس من الضرورة ان تتصل كل هذه المواد الذائبة المندفعة الى سطح الارض بل يكتفي بان تملأ الشقوق المتكونة في جهة قشرة الارض الداخلية . وقد استدل علماء طبقات الارض من ذلك على انه تكون على سطح قشرة الارض وفي باطنها في الزمن الاول رفع وخفض وشقوق غيرت شكلها الاصلي فبات سطحها المحرق مغطى بارتفاعات وفيه شقوق عظيمة

ومن المعلوم ان البرودة التي تجعل الغازات التي ذكرناها جامدة بعض الجمود وتجعل بعضها جامدة فعلًا لا تكفي لان تجعل بخار الماء سائلًا ويستدل من ذلك على انه تكونت بعض طبقات الارض بدون

ان يكون للماء تاثير فيها . فلا يكون منها ما هو متكون في وسط الماء ولكنها تكون كتلة يابسة مندمجة متبلورة كالاجسام التي تجمد ببطء بعد ان تذوب بالنار وتكونت كذلك الصخور الحبوبية والنيس وغيرها من الصخور المنسوبة الى الاراضي الاصلية كالرخام السكري والميكاشيست واكثر الجواهر المعدنية وكثير من المركبات السليسية فتسامت وتكاثفت في شقوق الارض فترى متبلورة بسبب ذوبانها الناري فترى على تلك الحال كالياقوت الاصفر والكوارس اي حجر البلور وغيرها

وباستمرار تبريد الارض اصبحت درجة حرارتها غير كافية لبقاء الماء في حالة البخار في الجو . وذلك كما لو وضعنا قدرًا على النار واضرمناه الى ان تحول الماء في القدر الى بخار فما دامت النار كافية يبقى الماء بخارًا في القدر ولكن اذا ضعفت درجتها ياخذ في الاستحالة الى الماء وكذلك الارض كانت كالنار والجو كالقدر فيه البخار فعندما قلت حرارة الارض اخذ بخار الماء في التحول الى ماء فامطرت السماء . ولم يكن باردًا ولكنه كان مغليًا فان بخار الماء يتحول الى ماء ولو كانت درجة حرارته كالماء المغلي بسبب الضغط العظيم الجوي . وعندما سقط على الارض رجع الى اصله البخاري بسبب شدة حرارتها وهو اخف من الهواء فصعد الى طبقاته العليا . فتحول ثانية الى ماء بسبب البرودة وسقط على الارض ثم ارتفع بحرارتها وهكذا وهو ياخذ قسمًا عظيمًا من حرارتها ويرتفع به ويحسره في الاعالي فبرد سريعًا . ثم يغطي سطح الارض بكمية وافرة من الماء وينشا عن تحويل الماء الى البخار انتشار الكهربائية فتولد عن ذلك مقدار عظيم منها ولذلك كان الرعد والبرق يصحبان هذه الاستحالات فتغطت الارض كلها بالمياه الحارة وكان البحر عامًا وكان ذلك بداية

مدة منتظمة متقطعة بتاثيرات الحرارة الباطنية الكائنة تحت قشرة الارض التي لم تتصلب تصلبًا تامًا

ونشا عن وجود الماء المحرق في القشرة الصلبة من الكرة الارضية تاثيرًا آلي وكيمياوي ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا بمعرفة تركيب القشرة المذكورة فنقول . ان الصخر الذي هو الطبقة الاولى وهو للارض كالعظام للجسم الحيواني فان الاراضي الاخرى مرتكزة عليه هو الصخرة الحبوبية المكونة من الكوارس والفلدسبات والميكا وبعضها منضم الى البعض الاخر. والكوارس سليس مختلف النقاوة وكثيرًا ما يكون متبلورًا والفلدسبات مادة متبلورة بيضاء مركبة من سليسات الالومين وسليسات البوتاسا وسليسات الصودا والميكا مركب من سليسات الالومين والبوتاسا وفيه قليل من المغنيسيا واوكسيد الحديد ومعنى اسمه اللامع . والنيس اسم لنوع من الصخرة الحبوبية المركبة من الفلدسبات والميكا ويكثر الميكا فيها ومنسوجها الورقي سبب تسميتها بالصخرة الحبوبية ذات الطبقات . والفلدسبات الموجود فيها تحلل بسهولة بالماء البارد او المغلي وبحامض الكربونيك الموجود في الهواء . فتاثير الماء والهواء كيماويًا وآليًا وتاثيرات الماء الحار الذي كان ماء بحار الزمن الاول منه ينشا عنها تركيب الصخور الحبوبية التي كان قاع هذا البحر مكونًا منها . فالامطار الشديدة الحرارة التي كانت تسقط على قمم الجبال الحبوبية والمياه التي كانت تجري على جوانبها وفي الاودية بددت السليسات الداخلة في تركيب الفلدسبات والميكا فتكونت طبقات متسعة من بقاياها من الماء الكدر والرمل الكوارسي . فهذه الطبقات هي الاراضي الاولية التي تنوعت بتاثير الهواء والمياه وهي الرسوب الاول الذي تكون في البحار

فالماء الكدر او الطفل الناشيء عن تحليل هذه

الصخور الفلدسباتية والميكائية كان للحرارة الارضية تاثير فيه مذاب وعندما برد تبلور نصف تبلور فاكتسب منسوجاً ورقياً اسمه المنسوج الشيستي اي الذي يتجزأ بسهولة . وذلك كالاردوات الذي ينفصل بسهولة صفائح دقيقة . وكان ذلك سبب تكون المادة الكدر الاول والصخور الشيستية ولذلك نرى طبقة ثخنة من الشيست على الارض التي اصلها ناري

وهكذا قد راينا ان اكثر سطح الارض اصبح في نهاية الزمن الاول مغطى بمياه حارة وحلية . وكانت تولف بحاراً غير عميقة وجزائر قليلة من الصخور الحبوبية بعضها بعيد عن البعض الاخر . وتكون منها ارخبيل في هذه البحار المشحونة ببقايا طينية متعلقة بها

وفي قرون كثيرة كانت القشرة الارضية تزداد سمكاً بتجمد المادة السائلة تحتها بالتبريد . وقد قلنا ان ما كان قد برد كان ليناً ضعيفاً غير قادر على ان يقاوم ضغط الغازات ولا ضغط السوائل التي كانت محيطة بها وضاغطاً لها . فامواج هذا البحر الداخلي الناري فجرت القشرة المذكورة مرات عديدة في اماكن عديدة فتكونت جبال رفعت قاع البحار وكانت مكونة من الصخور الحبوبية والشيستية التي كانت قد رسبت في قاع المياه . وبدوام التبريد انقبضت على نفسها انقباضاً يعبر عنه بنقصان حجم الارض بالبرودة كما ينقص حجم سائر المواد بالبرودة . فبهذا الانقباض تمزقت القشرة الارضية تمزقاً عظيماً فانشقت في بعض الاماكن فملاتها مادة سائلة كانت تشغل باطن الارض اي بصخور حبوبية مندفعة وبمركبات معدنية مختلفة ونفذت سيول من مياه غالية من هذه الشقوق فيها املاح معدنية وفوق كربونات الجير وفوق كربونات المغنيسيا فامتزجت بمياه البحر المحيط الاصلي المتسع . وعندما رسبت منها

هذه المواد في قاع البحر ازداد كثافة المعادن التي كانت تتكون منها القشرة الارضية . وهذه الانبساقات حدثت مرات كثيرة في الزمن الاول فلا نعجب اذا راينا عزقاً في الاراضي العتيقة معرقلة اتساعها وتقطيعها بعروق فيها فلزات واكاسيد معدنية كالذهب والفضة والنحاس واكسيد النحاس والقصدير وكبريتورات الرصاص والانتيمون والحديد . وتستخرج هذه المعادن من الارض للانتفاع بها

هذا ولم يكن حينئذ على وجه الارض نبات ولا حيوان بدليل عدم وجود اثر لوجودهما وعدم اقتدار المخلوقات العضوية على ان تعيش في زمان تلك الحوادث الحارة والانفجارات والامطار المحرقة والانقلابات العظيمة فهذا هو زمن الارض الاول فنسبته الى سائر ازمان الدنيا كنسبة زمان الجنين الى سائر ازمنة حيوة الانسان . فهذه عجائب الله سبحانه وتعالى التي استدل الانسان عليها من اثارها بالبحث المدقق ولا تزال تدل عليها وما ليس له اثر لا بد من ان يكون لاثر غيره دلالة على ناموس طبيعي ياتي بتاثير موصوف وان شاء الله سنردف هذه الجملة بجمل اخرى للكلام عن الازمان الاخرى

تاريخ فرنسا

سنعمت من فساد البلاط وظنت ان التغيير ياتيها بفائدة . وهكذا كانت امبراطورية كارلوس العظيمة تسقط بسرعة الى دركات الظلم والفقر والخراب . وكان الناس يكرهون كل الكره كودوا محبوب الملكة النجسة فتتابعت المؤامرات وامست اسبانيا ميداناً لحدوث ما كان يجلب العار على اوربا . ولم يكن للملك ولا للملكة من التعقل والادراك ما يجعلها ينظران الى حركات نابوليون . وكان كودوا يكرهه ويخافه بشدة ادراكه وتعقله فانه راه يقلب الممالك القديمة العهد الظالمة ويشيد ممالك تراعي حقوق

الناس وتعتني بامورهم .

واتهم كودوا فردنياند ولي العهد بمحاولة قتله وقتل ابيه وامه وربما كان ذلك صحيحًا فالقي القبض عليه وسجن . فلما سمع الناس بذلك تحزبوا له بغضًا بكودوا فاهاجهم فاجتمع الوف كثيرون وبايديهم سكاكين وحراب . واحاطوا بقصر كودوا ولم يتجرأ جنود الملك ان يحملوا عليهم . فاختبا تحت السقف المصنوع من الآجر المحرق ملتفًا بحصر قديمة وراء الدخنة فكسر الناس ابواب قصره وهجموا على القاعات الجميلة واخذوا في ان يطرحوا بالمرائي والمقاعد والصور الفاخرة الى الشوارع فتتكسر اربًا اربًا . وكان في القصر فتاتان كان يحبهما فذهبوا بهما الى مركبة ووضعوهما في مكان امين . وبعد ذلك ببرهة قصيرة سمع صوت مشيهم حيث كان فارتعدت فرائصه خوفًا من الموت قتلاً على انه كان مختبئًا بالحصر القديمة المذكورة . وجاء الليل فاحياه على تلك الحال ولم يتجرأ على الخروج من المكان الذي كان مختبئًا به واصبح الصباح فصرف النهار فيه والعطش والجوع يفعلان فيه ومرت عليه ليلة اخرى وهو على تلك الحال وقد خفقت القلوب خوفًا من ضجيج القوم . غير انه تخلص منها بعد ان صرف ٣٦ ساعة بدون تحرك ولا راحة . وفي الصباح الثالث الزمه العطش بان يخرج . فاخذ في ان يسير متانيًا غير ان رقيبًا راه وصاح بقومه فصاحوا في الشوارع وهجموا الوفًا على القصر والقوا القبض عليه وجروه الى الشارع وقد مزقت ثيابه وكشف راسه واصفر وجهه وتهشم جسمه فشق بعض الفرسان الجمهور المجتمع مجردين سيوفهم وامسكوه بذراعيه وحملوه وهو معلق بصره وجسمه والناس كالذئاب الكاسرة تضج وراءهم فالقوه في السجن ليصونوه من غضب القوم وقفلوا الباب عليه .

وعند ذلك فرغ صبر الاهالي الذين كانوا يحلفون بالقيام بالثار فشرعوا في دخول بيوت اصدقاء ذلك الوزير ونهبوها ثم ضجوا قائلين هيا بنا الى قصر الملك . وعند ذلك حدث ما كان يحدث في ايام الثورة في فرنسا واشتد خوف الملك والملكة بل كادا يموتان خوفًا واخذا يتصوران السجون والقتل بالة القتل ويشتد الخوف بضعف العزم ومعرفة الخطا . فلاخماد الثورة اصدر اعلانًا بعزل كودوا والتنحي عن العرش لخلفه ابنه فردنياند . وكان ذلك جبريًا فلم يكن مصممًا على ان ينفذه فطلب الى نابوليون بان يسعفه وكتب اليه بما ياتي

انني قد تحيت لخلفي ابني فان صليل السيوف وضجيج شعبي العاصي الزمني بان التنحي او ان اموت قتلاً ولم يبق لي امل الا بمساعدة حليفي الكريم الاخلاق الامبراطور نابوليون . انتهى

وكتب فردنياند ايضًا طالبًا مساعدة ذلك الامبراطور العظيم وعظمة واي تعظيم فقال ان العالم في كل يوم يزداد دهشة بما يراه من جودة نابوليون وعظمته فتاكد ان الامبراطور يرى ان فردنياند يكون له ابنًا امينًا طائعًا مجدًا ولذلك يتوسل اليه ان يحميه حماية والدية ويشرف بالاقتران باحدى كريمات عائلته . انتهى

هذا ولا يخفى انه لما كان نابوليون على قمة لاندكرافنبرغ مساء يوم معركة جينا وردت اليه افادات ان اسبانيا التي كانت حليفة له بالاسم كانت قد شرعت في ان تخونه بالاتحاد مع انكلترا وجمع جيش لمحاربته . وكان بعيدًا عن وطنه في قلب بروسيا يحارب جيوشًا جرارة من جنود روسيا وبروسيا وانكلترا . وكان بوربون اسبانيا استغنموا فرصة بعده وكثرة اعدائه ليهيجوا اسبانيا عليه لتحمل على موخرته مع انه لم يضرها بشيء ولا سعى لها بشر . فلو انكسر نابوليون في معركة جينا لنهض فلاحو اسبانيا

المتعصبون تحت قيادة ضباط انكلترا وحملوا كامواج بحر مزبد على فرنسا التي امست بدون مدافع عند حدودهم وقلبوا الدولة النابوليونية وارجعوا البوربون الى فرنسا على غير ارادتها

وعند نصف الليل كان نابوليون جالساً بالقرب من النار المشبوبة في ذلك الليل المظلم البارد يقرا اخبار تلك الخيانة العظيمة . وتغلبت شهامتة وجسارتة وعزمة على الصعوبات التي كان يراها فطوى التحريرات وتبسم بسكينة وقال سابدل بوربون اسبانيا بملوك من عائلتي . وفي اليوم الثاني سحق المملكة البروسيانية في معركة جنيا ومعركة اورستاذت . فلما راى بوربون اسبانيا تلك النتيجة الغير المنتظرة خافوا واضطربوا واغمدوا السيف الذي كانوا قد جردوهُ وجثوا امام ذلك المنتصر العظيم . غير ان نابوليون وكل اهالي اوربا كانوا يعرفون ان اولئك البوربون كانوا ينتظرون سنوح الفرصة ليوقعوا بهم

ففي تلك الظروف التزم بوربون اسبانيا بان يلتجئوا الى نابوليون للتخلص من سوء عواقب فسادهم فاضطرب وارتبك جداً . وظهر في عملهِ تردد لم يظهر في عمل اخر من اعمالهِ الكثيرة وراى انة لا بد لة من ان يقوم باحد امرين ودون كل منهما مخاطر كثيرة . فاخذها قلب ملك اسبانيا بقوتهِ العجيبة واقامة ملك اخر ليصلح احوال تلك البلاد الكريمة بنشاط فرنسا واقتدارها . ويكون لذلك واسطة لحصولهِ على حليف صادق يحمي موخرتة اذا اتحدت الدول العظيمة الشمالية عليهِ فانها كانت لا تزال تحاول الغدر بهِ . غير ان ذلك يجعل الملوك يتذمرون من فوز فرنسا على قواعد الملكية في اسبانيا بتقدمات عظيمة فيشتد بغضهم لهُ وللامبراطورية الجمهورية التي كانت كل الممالك تحاول قلبها . والوجه الثاني عضد فرديناند وتثبيتة في الملكية لانة كان يعلم انة لا سبيل الى عضد كارلوس وكذلك وان يزوجهُ امراة عاقلة ذات قواعد نابوليونية فتجعلة يسير في السبل المستقيمة وتبعدهُ عن سبل الخيانة والفساد . فتامل طويلاً في ذلك وتردد وصمم على اجراء الوجه الثاني فاجاب فرديناند وقال لهُ من الواجب ان تفحص التهمات التي اتهم بها لانة لا يقدر ان يزوج كريمة من عائلتهِ بمن قد اتهم بمحاولة قتل ابيهِ وامهِ . وشرع في ان يبحث عن فتاة تليق بان تكون زوجة لهُ . غير انة قل ما يجد الانسان فتاة متعقلة جداً ذات صفات جميلة وسجايا حسنة للاعمال العظيمة وللفضائل شان عندها . وكان في باريز فتيات كثيرات جميلات ولكنة لم يجد بينهن ذات الصفات المطلوبة . وكان لاخيهِ لوسيان القاطن في ايطاليا في منفى اختياري بنت من زوجتهِ الاولى وكانت جميلة جداً ولكنها لم تكن مشهورة بسبب الخلاف الذي كان جارياً بين والدها وعمها الامبراطور . فدعاها الى باريز واستحسن ملاحظة سلوكها واحوالها قبل ان يجعلها ملكة اسبانيا فامر بان تلاحظ تحريراتها في البريد . غير ان سوء الحظ جعلها تحسد اعمامها وعماتها الذين كانوا مالكين في ممالك مختلفة من اوربا حال كونها كانت منفية مع ابيها ولم تكن نفسها العاتية تميل الى المصالحة فلم تحاول استجلاب خواطر اقاربها فكتبت منكتة تنكيتاً ناتجاً عن حذق على عمها نابوليون وسائر اعضاء عائلتهِ . فبلغت التحريرات اليهِ وتبسم وهو يقراها ودعا الوالدة واخوتة واخواتهِ وعقد جمعية عائلية وقرا عليها التحريرات وكان متعوداً الطعن فيهِ فلم يبال بهِ واستغرب ما راهُ من كدر اعضاء عائلتهِ وحكم بانها لا تليق بان تكون ملكة اسبانيا لتدبير اعمالها الادارة الموافقة . وفي الغد سارت راجعة الى ايطاليا . وما ذلك الا من حظها فان ما جرى بعد ذلك بين ابن فرديناند المذكور كان كوحش

بعيدًا عن الانسانية جاهلاً . ولو تم اقترانهُ بها لحدث ما جاء بتغييرات عظيمة

فتكدر نابوليون من جرى ذلك وكان يحب ان يستغني عن قلب الدولة البوربونية في اسبانيا غير ان الاحوال كانت تسهل ذلك وتعسر غيره . وكان قد ارسل مورات في جيش فرنساوي الى اسبانيا ليمنع حدوث ثورة جديدة في البرتوغال وليسعف اسبانيا في دفع حملة انكليزية كانت تترقبها فامسى الملك فيها في يد نابوليون . ومع ذلك بات في حيرة لا مزيد عليها . وما من احد يعلم الافكار التي كانت تخطر له ببال فانهُ لم يظهرها لاحد حتى ان الذين كان يركن اليهم كل الاركان ويكنهم من الوقوف على اسراره لم يقدروا ان يعرفوا مقاصده . والظاهر انهُ لم يقرر شيئًا قطعيًا

وورد اليهِ خبر تنحي الملك كارلوس الرابع الاسبانيولي وهو في قصره في سان كلو وذلك يوم السبت مساء . وفي الصباح حضر الصلوة ورأى الناس على وجههِ من اللوائح ما دل على غوصهِ في بحر من الهواجس واضطرابه . وعند نهاية الصلوة دعا اليهِ الجنرال سافاري وهو الدوق دي روفيجو وسار معهُ الى البستان واخذ يتمشى في ظل الاشجار وتكلم ساعتين وما ياتي هو بعض كلامهِ

قد تنحى كارلوس الرابع وقد خلفهُ ابنهُ . وهذا التغيير نشأ عن ثورة سقط فيها برنس السلام. والظاهر ان التنحي لم يكن اختياريًا . وكنت منتظرًا حدوث انقلابات في اسبانيا ولكنها قد جاءت بما لم اكن انتظره . فارغب في ان تذهب الى مدريد عاصمتها واجتمع بسفيرنا واسأله عما منعهُ عن منع حدوث ثورة لا بد لي من المداخلة فيها ومن ان يقال ان لي دخلاً سابقًا فيها . ولا بد من الوقوف على حاسيات الاب قبل الاعتراف بابنهِ فانهُ حليفي وقد عقدت اتفاقات معهُ فان طلب اليَّ ان اعضده لا بد من عضدهِ . وما من شيء يحملني على الاعتراف بفرديناند قبل تثبيت تنحي ابيهِ لانهُ ربما كان قوم من الخائنين يتمكنون من الدخول الى قصري والزامي بالتنحي وقلب دولتي . وقررت عند عقد الصلح في تيلسيت انهُ اذا امتنعت انكلترا عن عقد الصلح بمداخلات روسيا يبادر امبراطورها الى جعل جيوشهِ متحدة مع جيوشي لنلزمها بان تعقدهُ . واخطي خطأ ضعف اذا مكنت الاسبانيول من ان يلقوني في اضطراب في الجهة الضعيفة بعد ان اكون قد حصلت على ذلك النفع المفرد من الذين فزت عليهم بالحرب . واذا مكنت اسبانيا من الاتحاد مع انكلترا انفعها نفعًا يفوق الخسائر التي وقعت عليها بابتعاد روسيا عنها واخاف كل الخوف من ثورة لا اعلم اسبابها ولا مقاصدها فارغب جدًا في مجانبة محاربة اسبانيا فان محاربتها تكون محاربة عدوانية ولا اعرض نفسي لمخاطرها اذا عول البرنس السائد فيها على القيام بتلك السياسة . فلو بقي كارلوس الرابع ما لكًا واستمر برنس السلام في منصبهِ اثبت السلام . اما الان فقد تغير كل شيء . لانهُ اذا ملك تلك البلاد ملك محب للحرب يميل الى ان يقاومنا بكل قوات امتهِ وربما كان يُنجح في ان يجعل عائلتهُ مالكة عوضًا عن عائلتي في فرنسا . وهذا يبين لك ما ربما كان يحدث اذا لم ابادر الى منعهِ فمن واجباتي ان احسب لتلك المخاطر حسابًا وان اتخذ الوسائل اللازمة لاسلب من يد العدو القوة التي يحصل عليها فاذا لم اتفق مع الاب او ابنهِ اقلبهما جميعًا فاجمع المجلس العالي وانفذ مقاصد لويس الرابع عشر . فابيت في المركز الذي كان فيهِ ذلك الملك عندما اقام بحرب الارث عاضدًا حفيدهُ . فان الضروريات السياسية واحدة في الحالتين . فتراني مستعدًا كل الاستعداد لذلك وسأذهب الى بايون ومن ثم الى مدريد اذا لم يكن سبيل الى مجانبة ذلك . انتهى

وفي ذلك اليوم خرج الدوق دي روفيغو الى مدريد . وفي صباح اليوم الثاني كتب نابوليون الى اخيه لويس ملك هولاندا بما ياتي

قد تنحى ملك اسبانيا وقد سجن برنس السلام وقد ظهرت تهييجات ثورة في مدريد . والناس يطلبونني بضجيج لاقرر احوالهم . وقد تقرر عندي انني لا اقدر ان اعقد صلحًا ثابتًا مع انكلترا الا بعد ان اقوم بانقلاب عظيم في اواسط اوربا فقد صممت على وضع برنس فرنساوي في عرش اسبانيا وبالنظر الى هذه الاحوال قد اخترتك لتكون ملكها . فابن لي بالحال اراءك بهذا الشان . ومن الواجب ان اعلمك ان هذا فكر ابتداءي . وعندي مائة الف مقاتل في اسبانيا غير انه ربما كانت الظروف تسوقني الى انفاذ ذلك في الحال فاتم الامر في خمسة عشر يومًا او اعيقه فلا يتم الا بعد اشهر . انتهى

وبعد كتابة هذا التحرير بيومين كتب تحريرًا اخر الى مورات وكان في مدريد عاصمة اسبانيا وهو يدل على انه كان لايزال مضطرب الافكار وما ياتي هو ترجمة ذلك التحرير

ياسيدي كراندوق دي ابرغ . اخاف ان تخدعني من جهة احوال اسبانيا وان تخدع نفسك ايضًا . وقد اشتد اضطراب الاحوال بحوادث ٢٠ اذار (مارس) المرتبكة . وقد بت في حيرة عظيمة . فلا تظن انك تهاجم شعبًا لاسلاح له وانك تقدر ان تفتح اسبانيا بمجرد ظهور جنودك . وثورة ٢٠ اذار (مارس) تظهر ان الاسبانيول لايزالون على جانب عظيم من النشاط . فمعاملاتك متعلقة بشعب جديد . وعنده من الجسارة والحمية كل ما عند رجال لم تفنِ قوتهم التغرضات السياسية . فالامراء وخدمة الدين هم اصحاب السيادة في اسبانيا . فاذا خافوا على مراكزهم وامتيازاتهم ياتون بجيوش جرارة الى ميدان الحرب لمضادتها وربما كان ذلك واسطة لدوام الحرب . ولست بدون احزاب . غير انني اخسرهم اذا دخلت دخول فاتح . والقوم يبغضون برنس السلام لانهم قد قالوا انه خان اسبانيا فسلمها الى فرنسا . فهذا هو الذي ساعد فرديناند على اختلاس الملك . فالعامة اضعف الاحزاب . وليس لفرديناند الصفات اللازمة لمن يسوس امة . وهذا لايمنع القوم عن ان يجعلوه من الابطال ليحملوه على مضادتنا فلا احب ان يهان بالقوة اعضا تلك العائلة . وقد اظهرت لك كل الموانع التي ربما كانت تقع فلا بد من وجود موانع اخرى انت تعلمها فان انكلترا لاتسمح بتوات هذه الفرصة التي تمكنها من تكثير ارتباكاتنا . وفي كل يوم ترسل اخبارًا الى القوات التي لها في سواحل البورتغال . وفي البحر المتوسط وتدخل في خدمتها كثيرين من اهل صقلية والبرتوغال ولم تخرج العائلة المالكة لتقيم في الجزائر الهندية فلا تغير حالة البلاد الابثورة وهي اقل بلدان اوربا للقيام لاستعدادها فان الاقلية ترى فساد الحكومة العظيم والظلم الذي قام مقام العدل والاكثرية تنتفع بذلك الفساد والظلم . واقدر ان انفع اسبانيا كثيرًا مع المحافظة على صوالح امبراطوريتي فما هي اوفق الوسائل للوصول الى ذلك . هل اذهب الى مدريد هل اجعل نفسي الحامي العظيم بالحكم بين الوالد والده . والظاهر ان ابقا كارلوس الرابع في العرش صعب فان حكومته وزوجته مبغوضان فلا يقدران على المحافظة على مركزهما ثلثة اشهر . وفرديناند عدو فرنسا وقد جعل ملكًا لانه عدوها . فان استواءه على العرش هو مساعدة الاحزاب التي تمنت خراب فرنسا مدة عشرين سنة . وربطة بالزواج يكون ربطًا ضعيفًا . وعندي انه من الموافق ان لاتسرع

ستاتي بقيتها

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

مكانًا. وافقا ينزل فيه وهو في جهة بعيدة عن حركة المدينة فوقفا معًا في مخدع الجلوس ليتودعا بدون ان يعرفا زمان اللقا فكانت تلك الساعة ساعة ضيق وشعرت اوجينا به وكانا يتودعان في ظروف صعبة ذات خطر فلم تتذكر غير شيء واحد وهو انها كانت قد احبته وانه منكود الحظ . فاعتنقته وهي تقول آه ياهنري اعذرني اذا رايت مني فروغ صبر وقلة حنو في هذه المدة الاخيرة وانا عالمة بانك ملتزم بان تتحمل امورًا كثيرة وهذا صعب وربما كان ضعفي قد ثقل حملك فقل انك قد غفرت لي لاننا قريبان من الفراق . والظاهر انه لم يدرك الحاسيات اللطيفة التي حملتها على ذلك فلم يبعدها عنه ولا اغلظ الكلام ولكنه خلص نفسه من ذراعيها وقال لها انه ما من سبب للغفران . فهذا جواب بارد على كلام صادر من القلب بعد ان يكون قد وضع نفسه موضع مذنب ان صحيحًا وان غير صحيح فلا يطالب غير سماح تام لطيف . فالقول انه ما من سبب للغفران دليل على عدم تأثير الكلام وقلة الاهمية ولكن السماح والعذر للمحبين سعادة وحظ . ومن لا يفضل صديقًا يهينه ثم يطلب السماح من قلبه على صديق لا يهينه وليس عنده من كرامة الاخلاق ما يحمله على السماح . فلما سمعت منه ذلك رجعت الدموع التي كادت تسقط من عينيها وتغلبت على ضعفها الموقت وقالت له استودعك الله هذا مع مجانبتي لها لان برودة قلبه بردت قلبها . ثم قالت استودعك الله ياهنري واطلب اليه ان يباركك فاذا احتجتني اطلبني فانك هنا او في مكان اخر . قال لقد احسنت . غير انه لم يظهر من لطفه ما يوازي ربع لطفها . ثم قال لا اظن انني اطلبك الان لان وجودك يزيد صعوباتي وسابقى في هذه الجهات شهرًا او اكثر وساخبرك عند خروجي من انكلترا . ففي اثناء ذلك تكونين في اش كروف واخبريني عن زمان خروج شقيقتك انتوانت منه وعن ذهابها الى لوندرا او سومير فانني لا احب ان اجتمع بها ولو كنت متنكرًا بهذه الثياب فان بصرها حاذق ولسانها كالعقرب . وقد عاشرتها سهرة واحدة في مادبة غير الحاضرون ملابسهم فيها وكنت لابسًا ثيابًا كهذه الثياب فاخاف ان تراني قبل ان اقدر ان اغير طريقي فقالت متنهدة ساخبرك عن كل اجرائها ثم تودعا وداع تكلف وافترقا

وسارت الى محطة الطريق الحديدية راجعة الى اش كروف وضجرت في الطريق لان التفكر في احوالها كان يقلقها فوصلت متعبة حتى انها لم تتلذذ بترحيب والديها ولا ردت على تنكيتات انتوانت اختها ولا تعزت بما رأته من ترحيب شقيقتها مسز اليوت التي تكدر الحب بينها وبين انتوانت بسبب الحديث الذي جرى في مساء يوم وصولها

الفصل السابع

وفي ذلك المساء قالت مسز بوال وهي ام النساء المذكورات لبنتها انتوانت ماذا تقولين عن اوجينا هذا عند ما جلسن كلهن عند مائدة الطعام وكانت

انتوانت المذكورة لابسة كل ملابسها بحسب الزي الجديد حتى ترتيب شعرها وحذائها كانا بحسبه وكانت تفتخر بذلك فنظرت الى اختها اوجينا عند ماسالتها امها هذا السوال ورات ترتيب شعرها وملابسها البسيطة وقالت اظن انها متمتعة بصحة جيدة فيا اوجينا لا ارى ما يدل على انك مرضت مرضاً شديداً فبالنظر الى هواء الهند وطول زمان اقامتك فيها اراكِ متمتعة بصحة جيدة جداً فيا عزيزتي لماذا ترتبين شعرك هذا الترتيب فهل هذا هو الزي في كالكوتا . قالت متبسمة قليلاً انني لم ارتبه قط الا هكذا ووضعت يدها على ذلك الشعر الجميل الذي كان يعلو وجهها الحسن وكانت شدة الحر في الهند تحملني على ان ابعده عن وجهي واجمعه بقدر امكاني . قالت انتوانت الحر شديد ولكنه لا يمنع الناس عن ان يسروا ويطربوا بالمادب والملاهي . قالت انه لا يمنع اكثر الناس عن ذلك فاذا ذهبت الى قاعة الرقص في كالكوتا في زمان الحر الشديد ترين ذلك . قالت اذا كنت قد سمعت الصحيح اقول انه لم يمنعك عن ذلك وقد قال لي شارلي اوسوالد انه كان يراكِ فيها دائماً . قالت هذا حقيقي فانني اختلطت بالناس كثيراً في السنة الاخيرة . هذا واحمر وجهها عند ذكر اسمه ولكنه لم يحمر كالمرات السابقة . لانها كانت قد تاملت وهي في الطريق بما كانت تنتظر من سوالات اختها عنه وصممت على ان لا تجعل ضعفها سبباً لظهور خبر زوجها . ولم يخطر لها ببال ان ذلك يثلم صيتها فانها رات جهة واحدة . ثم قالت انتوانت قد قال ان رقصك كامل وهو يرقص جيداً . قالت اظن انه يحسن الرقص هل هو الان في سوثمبتن فسالت هذا السوال باضطراب ظاهر قالت شقيقتها لا هو ساكن في لوندرا في محلات قريبة من رجنت استريت ولكنه ياتينا على الدوام ويزورنا ليرى عماته وعندي انه رجل لطيف المعاشرة ولا ريب في انكم قد خسرتموه في كالكوتا . وقالت باختصار ان فيها رجالاً كثيرين . قالت لقد اصبت والظاهر ان شارلي كان يعرفهم جميعاً فمن هو ياترى جيوفري كاردن فانه قد اكثر الكلام عنه

فلما سمعت ماريون هذا السوال من انتوانت نظرت اليها بغضب ونظرت الى اوجينا منتظرة جوابها . وكذلك الام كانت تحب ان تسمع الاخبار فنظرت اليها منتظرة جوابها ففي ساعة واحدة نظرت اليها ست اعين . فنظرت هي ايضاً اليهن بجسارة وثبات ومع ذلك اشتد احمرار وجهها وعنقها فقالت بعد ان سكتت برهة هو الشريك الاصغر في المحل التجاري . فترددت قليلاً وظهر انها مضطربة . قالت انتوانت هل هو رجل لطيف وشاب جميل . قالت اظن انه كزوجي في السن وكان صديقه الحب . قالت ذلك بدون اضطراب وتردد . قالت انتوانت . تقولين انه كان صديقه فهل تخاصما . فلم تضطرب لانها لم تكن تنتظر هذا السوال فقالت لماذا تخاصمان انني لم اسمع بوقوع اقل اختلاف بينهما . قالت قد خرج مستر كاردن من كالكوتا . اجابت اظن انه لم يخرج منها ولم اسمع شيئاً عن ذلك . فرات انتوانت تردد شقيقتها وقالت لقد اصبت بالسوال عن هذا الرجل لاظهار الواقع . اما الرجل المذكور فلم يكن في كالكوتا وكان المرجح انه في انكلترا وكانت اوجينا ترغب في ان تكتم الامر . وكانت انتوانت ترغب في ان تبين ان شقيقتها غشاشة مثلها . قالت انني لم اسالك الا لانك قلت انه كان صديق زوجك . فاذا كان لا يزال في الهند ولم يقع خلاف بينه وبين هنري يكونان صديقين كما كانا . قالت اوجينا لا ريب في ذلك انني لم انتبه الى كلامي . وظهر اضطرابها وارتباكها حتى ان اختها ماريون تنهدت واخذت تاكل ونظرت مسز بيبال الى بنتها انتوانت التي

كانت تسال تلك السوالات نظرة من قد عرفت اسباب الاضطراب . ثم قالت انتوانت بخفة قد ذكرنا هنري زوجك العزيز فكيف يتحمل فراقك . فاجابت بدون تامل انني لم اسمع شيئًا عنه . وكانت اوجينا قد صممت على ان تسلك مسلكًا طبيعيًا حتى انها كانت تتجاوز حدود الاعتدال في ذلك وكانت قد سمعت عن اختها وتصنعها وسوالاتها غير انه لم يخطر لها ببال انها ستطيل الكلام جدًّا لبلوغ مقاصدها وكانت اختها اقوى امنها في ذلك فلا تقدر ان تثبت في قتالها ولم يخرج الكلام من فمها حتى انتبهت الى خطائها ولكن لا سبيل الى رد ما قد فات . فقالت انتوانت ماذا تقولين الا تعلمين انه قد جاء بريدان منذ وصولك الى هنا فاطلب الى الله ان لا يكون سبب انقطاع تحريراته مهمًّا الم يشغل بالك . قالت انني لم افتكر وقد نسيت . والظاهر ان الزمان قصير جدًّا . فاشتد اضطرابها وكان يتغير لون وجهها ولوائحه واي تغيير . قالت ماربون بوضوح وثبات قلت لي انك تنتظرين تحريرات من زوجك عند وكلائه في لوندرا فانتبهت اوجينا الى نفسها وكان قد زال احمرار وجهها وانقطع تردد صوتها وقالت بدون تردد ولا تصنع قد قلت ذلك ولكنني لم اجد تحريرات فنظرت الى ماربون لترى ماذا تقول فرات في عينها ما يقول لسان حاله اصدق بالمقال وتصورت ان ذلك توبيخ من شقيقتها ماريون اللطيفة فمالت نظرها عنها فانها لم تطق ان تراها وملات الدموع عينيها . فقالت انتوانت ان ذلك تصرف جيد غير انه ربما كان سبب ذلك غلط في البريد وسياتي بريد اخر يوم السبت ولا بد من ورود تحريرات اليك معه والمامول ان هنري زوجك لا يخسر بالخسائر الجارية في كالكوتا . فعند ذلك نظرت اوجينا اليها بانتباه وقالت لها ما

هي الخسارة يا ترى . قالت ان الصيارفة باتوا في افلاس والتاخر عام وقد قال لي وليم ان في الجرائد اخبارًا كثيرة فطلبت اليه ان يبعث الي جريدة الانديان ميل والبنش والاستريتيد في هذا الاسبوع فانني علمت انك تحبين ان تطالعيها فترين فيها اسماء كثيرين من اصدقائك . قالت اوجينا اشكرك على هذا الاعتنا واخذت في ان تحاول اختراع طريقة لتلاقي رسول البريد وتستلم الجرائد منه لتمزقها انفاذًا لامر زوجها وخطر لها ببال امر واحد وهو ان تكتب اليه بان التبطان او سوالد قريب منه وان انقطاع التحريرات الهندية عنها يلقي التهمات عليها وعليه . وان تقول له ان يحرر لها تحريرًا على خارجه ما يدل على انه وارد عن يد وكلائه ما كالبرت ووكسون وبرسلة بحيث يرد اليها تحرير كل اسبوع وذلك يمكنها من ان تقول براحة بال انه قد ورد اليها تحرير منه وهو بخير . فدخلت مخدعها في اول السهرة وسهرت الى بعد نصف الليل وهي تكتب اليه وذلك لتضعه في جيبها عندما تخرج في الصباح للتمشي مع اولادها وعنونته بالعنوان الذي ذكرناه قبلاً بوضوح وخبانه لئلا يراه احد قبل ارساله فبساعة وصعدت على سريرها بعد ان قاست الاتعاب التي قاستها بدون ان يغمض لها جفن الا عند طلوع الشمس فنامت وهي تصلي لتوفيق زوجها ووالديها وشخص اخر ربما كان ذكره في الصلوة ليس بخطا . فاستسهلت كتابة التحرير سرًّا غير ان توصيله سرًّا الى مركز البريد كان صعبًا لان مركز البريد كان في فرميد وبينها وبين اش كروف ثلثة اميال . وكانت التحريرات ترسل اليه مع الرجل الذي كان ياتي بالتحريرات . وكان اليوم الثاني ذا هواء رطب لا يناسب للتنزه وبعد ذلك رات ماربون اوجينا في القاعة بعد الطعام لابسة ملابس التنزه فقالت لها يا اوجينا العزيزة لا اظن انك تخرجين

بولد يلك في هذا اليوم فان الرطوبة كثيرة ومضرة ·
قالت انني لم اكن قاصدة الخروج غير انه لا بد من
ان اخرج لقضاء حاجة صغيرة · قالت ان هذا
الهوا يضر بك وبها فان الرطوبة توثر حالاً في
جسمك · قالت ان ذلك لا يضرني ولا بد من ان
امشي ولا ريب في انه ينفعني · قالت انني محتاجة
الى امور كثيرة في فيرويد · قالت ان رسول البريد
يقوم بذلك كله فاعطه تحريراتك واتكلي عليه ·
قالت انا افضل ان اذهب بنفسي الى هناك فانها
مهمة عند هنري · وكانت اختها انتوانت واقفة في
باب مخدعها فسمعت كل الحديث وقالت ان بريد
الهند لا يسافر الا بعد ثلثة ايام · فقالت ماريون
لا تستعجلي فان المسافة بعيدة فاعطني تحريراتك ·
قالت انا افضل ان اذهب بها وهذا مفروض عليّ ·
فسمعت انتوانت هذا الكلام ايضاً وقالت ان هذا
يشبه افعالي عند ما امتنع عن قبول المداخلات
فاقتربت من اختها بسرعة وقالت لها انتظريني دقيقتين
فاذهب معك

ولا يخفى ان ذلك غلبة على اوجينا فانها لم تكن
تقدر ان تمتنع عن قبول مرافقة اختها · وبعد ذلك
ببرهة قصيرة سارتا معاً · ولم تنقطع انتوانت عن
الحديث فانها كانت كثيرة الكلام فتكلمت عن
بيتها واولادها وزوجها وقالت انها تحبهم واشارت
بالحديث الى شدة ميل الرجال اليها وقالت ما
يبين انها تستهزئ بهم من جرى ذلك · وقالت انها
ليست بمذنبة لا هي ولا اختها اوجينا اذا سالك
الرجال سبل الغرور وما لوا اليها · فلم تسر اوجينا
بذكر اسمها مع اسم اختها وكانت تحب ان تبين لها
الحقيقة بقولها انها لا تعلم غير شيء قليل من التصرفات
المبنية على ميل الرجال اليها · وكادت تتلفظ بتلك
الجملة غير ان شيئاً في ضميرها كان يمنعها · فمشت

متاملة منحيرة من الحديث الذي كانت تسمعه
بدون ان تتجاسر على ان تقطعه وقبل ان وصلت الى
فيرويد اخبرتها بكل ما صادفت في السنة الماضية ·
فلما وصلت الى البلدة المذكورة سارت حالاً الى مركز
البريد والظاهر انه برح من بالها ترددها عن اظهار
تحريرها لشقيقتها ماريون وخال لها انها لا تقدر ان
تبتعد عن كل تصنع وتكلف الا بوضعه بيدها في
صندوق البريد ولم يخطر لها ببال ان انتوانت
تراقبها عند وضعه فيه فوقفت بجانبها عند ما اخرجته
من جيبها ونظرت الى عنوانه بسرعة تحاكي وميض
البرق فرأت ان عنوانه احرف فنظرت اليها
وتبسمت تبسم حب وصداقة حتى انه لم يخطر لاوجينا
ببال انها كانت قد قرات المكان الذي ارسل اليه
لتقف على اخبار تعود عليها بالويل والهوان
وقالت لها يا اوجينا الى اين تذهبين · قالت الى
البيت ما لم تكوني راغبة في الذهاب الى محل اخر ·
قالت انا لا ارغب في الذهاب الى محل اخر غير انني
ظننت ان اشغالك تدعوك الى مواجهة احد ·
قالت لا انني لست راغبة في مواجهة احد غير انني
محتاجة الى ابر وخيطان · هذا خداع لانها لم تكن
محتاجة الى ذلك وكانت احوال الزمان تعلمها الحيل
ثم قالت الا تعلمين من اين تقدران تشتريها ·
قالت كيف لا فاتبعيني · فسارت بها الى مخزن لا
ترى مركز البريد منه ودخلت بها اليه وهي تقول
هذا مخزن فيه كل شيء لازم لك فلو كنت انا انت
لاشتريت اموراً كثيرة · فقالت اوجينا في نفسها
الاوفق ان اشتري بعض الاشياء لستر الحال فاتاها
صاحبه بمنسوجات وغير ذلك · فلما رات انتوانت
اختها قد اشغلت بابتياع تلك الاشياء قالت لها
بصوت منخفض انني ذاهبة الى الصيدلاني لابتاع دواء
فلا اغيب اكثر من خمس دقائق فانتظريني فاذا

خرجت قبل ان ارجع ربما كنا لا نجتمع هنا فيلتزم كل منا بان يذهب وحدهُ فخرجت وسارت مسرعة ليس الى الصيدلاني ولكن الى مركز البريد ولما وصلت اليهِ انحنت ناظرة الى المراة المسنة التي تديرهُ واسمها مسز هودسون وقالت لها باسمة انك تعرفينني واسمي انتوانت من اش كروف . قالت كيف لا فهل اقدر ان اخدمك بشيء في هذا الصباح . قالت انني قد اخطأت بوضع تحرير في الصندوق بدون وضع طوابع بريد عليهِ فماذا ينبغي ان افعل فانهُ مهم . فقالت ان الذي بعثت بهِ اليهِ يدفع اجرتهُ . فقالت هذا صحيح وهو الذي لا ارغب في وقوعهِ فانني بعثت فيهِ باحسان الى فقرا فاذا لم يكونوا قادرين على دفع الاجرة لا يسلم التحرير اليهم اما تقدرين ان تضعي طابعة عليهِ . ثم اخذت واحدة من الطوابع من جيبها ومدت يدها بها اليها . فقالت مسز هودسون ياسيدتي ان ذلك مضادٌّ للقانون فاذا ظهر بانني سمحت لاحد بان يمس التحارير بعد ان يصير وضعها في الصندوق اعزل . قالت انني لست براغبة في مسها ولكنني ارغب في ان تضعي طابعًا على التحرير الذي وضعتهُ اذا لم تجد طابعة عليهِ وما من ضرر في ذلك . قالت ربما كنت اقدر ان اخدمك في ذلك فان عنوانهُ د س ب . قالت هذا بالتخمين . فقالت مسز هدسون وهي تقلب التحريرات انني لا ارى عنوانًا كهذا العنوان . اما انتوانت فرات التحرير الذي كانت ترغب فيهِ مع انهُ كان مقلوبًا بيد مديرة البريد . فقالت لها هذا هو التحرير قالت لا لا هذا عنوانهُ مختلف عن ذاك . فعرفت خط اختها وقالت هذا هو ما اشرت اليهِ . فنظرت مسز هدسون اليها نظرة مرتابة في صدقها وقالت انك ذكرت احرف اخرى . قالت كيف هذا خطا مضحك فارجوك ان ترفعي التحرير لاحقق النظر فيهِ اثلا يكون غيرهُ ولا اظن ان يصادف وجود عنوانين من نوع واحد . فادنتهُ منها فراتهُ وحققت النظر فيهِ وانطبعت احرف العنوان واسم المكان في ذهنها وقالت اشكرك على ذلك فقد اكتفيت وتاكدت ان عليهِ طوابع وقد اخطات بتحميلك اثقالي بدون اجرة . فللتعويض اشتري ورقًا منك ومغلفات فكيف حال زوجك . قالت متقدم الى الصحة . قالت وكيف احفدتك . قالت بخير . قالت لقد سررت بذلك فهذا هو الثمن فاشكرك واستودعك الله . وسارت الى ان اجتمعت باختها اوجينا التي لم تكن تعرف شيئًا عما جرى . واخذت تكلمها وتسليها حتى انها حملتها على ان تنسى مصائبها وان تشاركها في الكلام والسرور . وكانت فرحة فعلاً لانها تمكنت من ان ترسل التحرير الى زوجها بدون ان تكذب . وقبل نهاية ذلك الاسبوع امست في صعوبة اخرى ولم تكن تقدر ان تتغلب عليها بدون ان تجلب اللوم والعار على نفسها فصممت على القيام بالوسائل اللازمة خوفًا من زوجها وتهديداتهِ . وهذه هي الصعوبة المذكورة

يوم السبت مساء اجتمعت النساء عند قرع جرس الاكل فقالت انتوانت وقد اشارت براسها الى مكان وضع التحريرات هوذا الجرائد . فنظرت اوجينا الى ذلك المكان ورات جرائد ملفوفة فارتعدت فرائصها لانها خمنت محتوياتها ولم تقدر ان تمزقها او تحرقها لانها سارت مع امها واختيها الى قاعة الاكل . وعند وصولهن اليها قالت هذا صوت ولدي . وبعد ان اكلت قليلاً قالت يا امي اعذريني فانني اغيب دقيقة . فقالت امها انني لا اسمع صوت ابنك فلا احب ان اراكِ تخرجين من قاعة الاكل قبل انتهاء مناولتهِ فامري

الخادمة بالاعتناء به . قالت دقيقة واحدة يا اماه فانني افضل ان اعتني به بنفسي . ثم نهضت وخرجت مقلقة مرتجفة قبل ان تمكنت امها من ان تجيبها . فقالت انتوانت انها ام حنونة . فقالت مسز اليوث لقد اصبت . قالت امها انني اظن انها تهتم بها فوق اللازم وانا احسب ان اتناول الطعام براحة وهدو . فياماري (اسم الخادمة) اين الحاوى . وفي اثناء ذلك دخلت اوجينا المكتبة وكانت الجرائد فيها وفي جريدة بنش بصورها وجريدة الانديان ميل ولم تتامل في العار الذي يلحق بها وبزوجها اذا انتشر الخبر بواسطة الجريدة المذكورة اخيرًا في كل العالم ولكنها تاملت في شيء واحد وهو انهُ ربما كان الخبر فيها وان امها واختيها لم تقفن على الخبر ومن الواجب ان تمنع وصوله اليهن ما دامت قادرة على منعهِ . فامسكتها ووضعتها في النار المشبوبة للاستدفا بدون ان تتامل في العاقبة ولا في شيء اخر فاحترقت الجريدة وتركت اثرًا اسود . وكانت تخاف ان تعرف امها او احدى شقيقاتها بدخولها الى المكتبة فخرجت قبل ان احترقت الجريدة كلها ثم صعدت الى المخدع الذي كان ولداها فيه ثم عادت الى قاعة الاكل وقد اشتد احمرار وجهها واعتذرت عن خروجها من قاعة الاكل . فلم تعذرها امها كالواجب . وبعد ان اكلن الحاوى نهضت انتوانت بسرعة وقالت هيا بنا نذهب لنقرا الجرائد فخرجن من قاعة الاكل ودخلن المكتبة فمدت انتوانت يدها وامسكت جريدة البنش ومعها جريدة الالستريتد التي غفلت عن ذكرها في الاول وسارت بها الى القرب من النار ونظرت اليها وقالت اين جريدة الانديان ميل هل وقعت من يدي انني لا اراها على الارض انها كانت على المائدة مع هاتين الجريدتين من اخذها يا ترى . قالت امها من الموكد انها ليست على المائدة الان . قالت انتوانت اظن ان الخدامين قد اخذوها فانها مكدر . قالت امها لا اظن انهم ياخذون شيئًا من هنا فاقرعي الجرس . فاذا اتوا نسالهم عنها فهل رايتها بعينيك . قالت كيف لا كانت في يدي . فيا اوجينا هل اخذت جريدة الانديان ميل . فصمتت برهة وتظاهرت بانها لم تسمع السوال . فكررتها انتوانت قائلة يا اوجينا هل مسست جريدة الانديان ميل . فترددت برهة ثم قالت لا . فدعت الخدامين وسالتهم فقالوا انهم لم يروا الجريدة وكانت اوجينا جالسة لا تسمع ما يجري فان افكارها كانت مشغولة في التامل في حالتها وفي ما وصلت اليهِ وكانت تردد في نفسها حرف النفي الكاذب . فاصلحت ماريون النار عند ذلك فرات اثار الورق المحروق فقالت لامها اما هذا الورق المحروق اما هو الجريدة الضائعة . فيا اوجينا هل تظنين ان بنتك تايني الصغيرة طرحتها في النار لتتفرج على لهيبها . قالت لا يبعد ان يكون هذا الواقع فانها تحب اللعب . ولما قالت ذلك خفق قلبها ولاحت لوائح الخجل على وجهها لانها انكرت فعلها واتهمت به بنتها

وفي نهاية السهرة قالت ماريون لاوجينا قد اصفر لون وجهك والظاهر انك مصابة بصداع فالاوفق ان تنامي . فسرت براي شقيقتها وسارت في الحال الى خدرها والقت بنفسها على فراشها وتنهدت قائلة ماذا فعلت وماذا جرى ماذا تقول عني وماذا افعل بعد هذا وكيف اطيق ان اكون خداعة واصرف حياتي بالكذب والحيل مع انني افتخر بانهُ ما من شيءٍ يبعدني عن الصدق . اه يا هنري انني فعلت لاجلك في هذا المساء ما لم اعدك بفعلهِ عند عقد الزواج وقد سلبت راحتي منذ برهة طويلة ومراعاة لصوالحك بت لا اركن الى نفسي بدون ان اتعزى بانني انهج مناهج الصواب . فيا الهي ساعدني فانني ساقطة

سنأتي بقيتها

ملح

(من قلم جرجس افندي ميخائيل نحاس)

النباهة

ان دومينيك كان من الفصحاء المشهورين بالذكاء والنباهة وسرعة الجواب وُجد في ذات ليلة على مائدة لويس الرابع عشر وكان محدقاً النظر باثناء مناولة الطعام في صحن من الجمال وكان الصحن ذهبا . فرأى الملك ذلك فامر خادم المائدة ان يقدم له الصحن فقال دومينيك له ولوائح التعجب تلوح على وجهه . سيدي هل قدمت اليّ الصحن والجمال ايضاً . اجابه الملك نعم وليكن لك الكل هبة فانسر الملك والحاضرون فانه بسؤاله كسب الصحن الذهبي وكان من الفخر الانية واجملها

الملك ورجل غريب

صادف هنري السادس ذات يوم في احدى مخادع قصر اللوفر رجلاً غريباً لا يعرفه فسأله لمن انت اجابه انني لنفسي فقال له الملك تباً لك يا صاح فان لك صاحباً احمق

الولد والشيخ

حكي عن ولد له من العمر سبع سنوات وكان ذكي العقل فهيماً حاذقاً فطناً وكان الناس يتعجبون من بلاغته فوُجد يوماً بين جماعة معهم رجل طاعن في السن فاخذ القوم يثنون على فصاحة الولد عند تكلمه فقال الشيخ لا تعجبوا ان حديثي السن كهذا الولد اذا خصوا بالعقل والنباهة والذكاء في صغر سنهم يفقدون ذلك بالكلية حينما يشيخون فاجابه الولد اظن ايها الشيخ انك كنت كذلك في صغرك فهل نكتفي بان نقول انك قد خرفت

مغفل

حكي عن رجل ايرلاندي انه سمع ذات يوم امرأة تتكلم عن موت زوجها وقد بلغ المائة عام واذ كان ذلك ما ندر في القرون الاخيرة تعجب وقال اه لو ما مات ابي لبلغ لحد الان المائة وعشرين سنة

مغفل اخر

سأل رجل صديقاً له عن عمره اجابه ان عمري ٣٥ سنة وانت كم سنة عمرك اجابه ٤٠ فقال له اذاً انا اكبر سناً منك اجابه الرجل الان نعم ولكن بعد خمس سنوات ان شاء الله يتساوى عمرانا

نباهة الفلاح

صادف رجلان فلاحاً فارادا ان يضحكا عليه فسأله احدهما قائلاً يا هذا اهل انت ثور وحمار. اجابه الفلاح سيدي لا ادري غير انني اظن انني بين الاثنين (اي بينهما) فتركاه وذهبا في طريقهما

الفرس

ان هنري الرابع كان له من الخيل جواد يحبه محبة عظيمة وكان يقول ان من يخبره عن موت ذلك الحصان يشنقه ثم بعد مضي اعوام قليلة مات الحصان فمضى شابٌ الى الملك ليخبره بذلك فلما وصل ومثل امامه صرخ متاوهاً آه الحصان . الجواد السريع المشي . الحصان المحبوب . اواه اين هو الان . اه ماذا اصابه . وا اسفاه عليه . فقال له الملك اظن انه مات اجابه نعم فيجب عليك اذاً ان تشنق نفسك ايها الملك وتموت لان جلالتك قد اوصيت وعند كم ما ذكرت انه مات فضحك الملك منه وانعم عليه

فرح البخيل والبخيلة

وهب رجل رجلاً بخيلاً غلاماً فجاء امه بخبار محتمل من كل شيء فقالت ما هذا فخاف ان يخبرها بالقصة فتموت فرحاً فقال هبة قالت اي شيء قال غين . قالت اي شيء غين قال لام قالت واي شيء لام قال الف . قالت واي شيء الف قال ميم . قالت واي شيء ميم قال غلام فغشي عليها . قال البخيل ولو لم اقطع الحروف لماتت فرحاً

الجنان
الجزء العاشر
في ١٥ ايار (مايس) سنة ١٨٧٦ صدوره في ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

الظاهر ان السنة الجارية من سني التلق والاضطراب فلا يرتاح العالم ويهدا روعهُ اسبوعًا حتى يظهر ما يلقيهِ في قلق جديد وشاغل عظيم فترى لائحة في اثر لائحة وتغييرًا في اثر تغيير وفتنة تتبع فتنة والناس متوسدون وسادات الخسائر وانشغال البال والاعمال تئن وتصرخ بل قد امست في حالة النزع وما تراهُ اعين الذين ينظرون الى المستقبل مما يدل على فرج قريب ليس هو الا رهرهة سراب لا تلبث ان تظهر حقيقة الامر بمرور ايام قليلة لان مرض العالم عضال فلا يشفى في شهر ولا في شهرين وضربات نبض التجارة والمالية آخذة في ان تضعف ورقع ثوب السياسة البالي بالية مثلهُ فرجالها يصرفون معظم زمانهم في الترقيع حتى امست ازمنة الحروب اكثر رخاء وتوفيقًا من هذا الزمان فليس كمرض يعرف موقعهُ ودواؤُه فيشخصهُ اطباء السياسة ويبينون للناس كيفية مجانبتهِ فالزمان مريض والمرض مجهول ومزال الجسم على ازدياد وتداعيا الاطباء والموقيات تحفظ الحيوة ولكنها تاتي باضرار في مالية المريض وكل اشغالهِ ولا نغير افكارنا من جهة دلالة تعاقب اجتماعات الدول الثلث الامبراطورية على ضعف اسباب الاتحاد لعدم اتفاق الصوالح والخوف من اضرار الحروب العمومية وآفاتها وويلاتها يحملها على اختيار السكون مع تضحية بعض الصوالح على ان تعرض نفسها لآفات الحرب ونتائجها المجهولة ونظن ان النمسا متكبدة في هذا الاتحاد اعظم الخسائر الصالحية وتغييراتها السياسية دليل واضح على ذلك فانها قوّت العنصر السلافي ثم اضعفتهُ ثم عادت بعد جمعية برلين الى سياسة روسيا فان تسليم تقرير اللائحة الى البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول وامتناع انكلترا عن ان تقرر قبولها لها برهانان قاطعان على انها لا توافقها واذا رات النمسا ان اتحاد روسيا والمانيا صحيح مقيد بصوالح راهنة ترى ايضًا ان تضحية كل صالح سياسي ليس بذي تاثير موقت افضل من خسارة منافع اتحادها الحالي وهكذا نرى روسيا تدير دواليب السياسة بالاستناد الى المانيا وتنال غاياتها كلها او بعضها بدون ان تجرّد سيفًا او تحتمل مضادات الدولة العثمانية التي طالما ضادتها بل جاهرت بعدوانها بعد ان اسعفتها على الجر عند عصيانهم فارجعتهم الى ربقة الطاعة ونشأ عن ذلك ما جرى في المانيا بعدهُ والان الاتحاد الذي دعت اليهِ ضروريات الاحوال وقد اشغلت الامبراطوريات الشمالية الناس عن سائر الدول لانها تعلم ان اتحادها يجعل سائر دول اوربا منقادة الى ارائها لانهُ لا سبيل الى مقاومتها جميعًا ومع ذلك قد بلغنا بالبرق ان انكلترا لم تقرر قبولها للائحة البرنس كورتشاكوف فاذا كان ذلك صحيحًا تكون انكلترا قد فتحت بابًا للدول اخرى لعل في دخولها فيهِ خيرًا على ان فرنسا تميل جدًّا الى مصافاة روسيا ومودتها فنراها عاملة على مجاراتها ومعولة على افراغ الجهد في استجلاب خاطرها واما لنها اليها على ان روسيا لا تقدر ان تجمع بين صداقة دولتين كفرنسا والمانيا وعند ظهور ما يقطع امل الفرنساويين من ابعاد روسيا عن المانيا وايغار صدرها عليها بخلاف عظيم بعد توادٍ طويل يبحثون عن طريقة اخرى لنوال

المراد و بالنظر الى الاحوال الجارية مصافاة انكلترا بل اتحادها معها اقرب من اتحادها مع دولة اخرى وانفع لها ولو كان لا يتبع ذلك في الحال استرداد ولا بقي الرين ولا القيام بحق الثار لارتقا سلم المركز الذي لم يسلم من الاذى في الحرب الاخيرة وهي قادرة على ذلك بعظمها واقتدارها المادي والادبي وهي عزيزة في كل حال حتى في ذلها تظهر آثار العزّ والمروة وكرامة الاخلاق وليس من عادة هذا الزمان عدم المبالاة بكلام دولة كدولة انكلترا فكيف اذا اتفقت دولتان كدولة الانكليز والفرنساوين على كلام واحد والمرجح ان الانكليز قالوا اننا لا نقرر قبولنا الا لتحكم لانها تثقل بمعاهدة باريزا التي تقرر فيها ابقاء الممالك العثمانية على حالها بدون احداث تغييرات فتوحية او غير ذلك وما من دولة اشد تمسكًا من الانكليز بالعهود في هذه الايام ولا اقل تمسكًا بها من روسيا فالاول دليل حب مجانبة الحروب والمسالمة والاكتفاء بالحالة الجارية والثاني دليل العتو والمطامع وحب التقدم والاحتياج الى التوسع والاقتدار ولو كان الاول لا يدل على الضعف ففي سنة ١٨٧٠ نقضت فقرة البحر الاسود قبل المخابرة والاستئذان من الجمعية الدولية التي تعهدت لها بالمحافظة عليها وفي الكلام الذي جرى في المجلس الانكليزي المطبوع في هذا الجزء من الجنان يرى الانسان ظواهر سياسة روسيا وما تبعها من النتائج التي ابانت حقيقتها فهذا هو الذي يثقل على عاتق العالم وجعل السياسة حجرًا ملومة لا تمسك ولو لم نر مركبات الزراعة والتجارة في العالم راطمة وقد امست بدون مجير ولا نصير لما اشفقنا على الناس وانفسنا والضيقات تجعلنا نخاف جدًا اطالة زمان المخابرات بين دول اوربا لتقرير لائحة البرنس كورتشاكوف لاننا لم ننس بعد المطالات التي حفت لائحة الكونت اندراسي [illegible] وافقنا السياسة على الحمل على الجبل الاسود والسرب لما ظهر من ضجرنا ما قد ظهر فان الجنود الشاهانية كثيرة جدًا ولكنها موزّعة لتراقب حدود السرب والجبل الاسود ومحلات اخرى عوضًا عن ان تجرّد سيوفها وتقاتل الذين يقاتلون ارفاقها مستترين وبلادهم ملجأ لانحياز اليه عند انغلابهم والعصاة الذين يرافقونهم وهذه صعوبات لا تحلها دولة واحدة ما دامت دول قد عقدتها ولذلك لا بد من ان يعذر حضرة صاحب الدولة والابهة محمود نديم باشا في تقصيراته لان الزمان القى على عاتقه صعوبات لم يلقها على احد والتزم بان يقوم بما يغيظ الناس خوفًا من ان يجرى قبل ملافاته فلو لم يدبر المالية كما دبرها لدبرت نفسها بل قد تبعت تدبيراتها لنفسها تدبيره وقد جاءت بوقوف دفع فائض واهاجة العلماء عليه غير ظاهرة السبب ولا نظن انهم يقفون على اسرار مداخلات دول اوربا ولعل الذلك اسبابًا اخرى تظهر بمرور الزمان وعدم مجاراته لروسيا لا يمنعها عن نوال غاياتها ان موافقة لمصلحة السلطنة او غير موافقة لانها تنهج منهجًا واحدًا هي والنمسا والمانيا وما نعهده من تاني فخامة الصدر الاعظم الحالي وحكمته ونشاط حضرة صاحب الابهة والدولة حسين عوني باشا واقدامه وحذقه يجعلنا نعلق الامل بالفوز بما يتيسر الفوز به بالاجراءات الافرادية حال كون كل الامور متعلقة بدول كثيرة ولو نجحت وسحقت بقنابل الجبل الاسود والسرب لكان الامر متعلقًا بالقوة الافرادية وهذه تخمينات ويا ليت زمان التخمين ينتهي فندخل زمان حقائق الوقائع قاطعين النظر عن المستقبل لعلمنا ان الاحوال تجري اليه في مجاريها فلا ينبغي ان نفرغ غاية القوة في النظر الى الامور الاستقبالية مراعاة لصوالحنا وصدور امر الصدر الاعظم السابق بمطالعة الجرائد قبل طبعها وجد مما لا يمكن ان يجرى فانقطعت عن

الصدور او صدرت وفيها قصص مضحكة او غير ذلك فاضطرب الناس واي اضطراب لان دولاب العالم في هذا الزمان يدور على الاخبار ودليله الافكار وينبوعها الجرائد ولا تعرف اهميتها عند العارفين بالاحوال وغيرهم بعض المعرفة الا عند ما يحرمونها ولذلك صدر الامر بابطال الامر الاول فهذا مما يدل على انه لا يعلم تحرير الجرائد ومتعلقاتها وهذا ليس بعيب عند رجال السياسة في الشرق وبالجملة نقول ان الدنيا لا تزال في اضطراب وانه بازدياده تزداد الالفة والاتحاد بين الطوائف المختلفة عندنا وما شاع في الجهات هو بدون اساس لان العقلاء كثيرون والمنازعات الخصوصية قد قلت جدًّا وقصارى المطلوب تنصير مخابرات الدول بشان اللائحة الجديدة وقيام الدول بما يرفع الضيق عن اهل العالم

الوزارة الجديدة

قالت جريدة لاتوركي قد دعي حضرة صاحب الدولة والفخامة محمد رشدي باشا الى الصدارة العظمى في الظروف المهمة التي اصبحت السلطنة السنية فيها ولتوجيهها الى حضرته اهمية مخصوصة ومعنى لطيف فان ذلك يظهر انه قد فاز بالحصول على اركان الحضرة الشاهانية التام باهليته وخدماته الامينة النافعة وادراكه العظيم واختباره التام وتسمع الناس بوصوله الى منصبه العالي بسرور لانهم يعرفون فخامته منذ زمان طويل وقد ادركوا صفاته الحسنة وانه لم يظهر تاخر في اعماله . ولذلك نقول انه قد تبوأ مسند الصدارة العظمى في اوفق الظروف المتعلقة بنفسه . اما حضرة صاحب السماحة خير الله افندي الذي عين شيخًا للاسلام فقد تبوأ منصبه المهم قبل هذه المرة . اما انشاط حضرة صاحب الدولة حسين عوني باشا وابرامه للامور ومعارفه المخصوصة فقد دعته الى السرعسكرية الجليلة والجميع ما كدون بانه سيقوم بخدامات مهمة وحضرة صاحب الدولة عبد الكريم نادر باشا الذي عين قائدًا عامًا (سردارا كرم) ليدبر الحركات الحربية فسيقوم بما يبين ان الاركان البيوكان في محله

وقد اجمع الناس على اهمية الاحوال التي اقام بها العلماء او الطلبة . وهذه الحوادث معلومة الاسباب . فان جري الامور بواسطة حضرة صاحب الدولة والابهة محمود نديم باشا الصدر الاعظم السابق في المدات المتاخرة لم يكن موافقًا لراي الناس . وقد وجد العلماء ايضًا بان آراءهم ليست بشخصية تشخيصًا تامًا بحضرة صاحب السماحة حسن فهمي افندي شيخ الاسلام السابق . ونشا عن ذلك عقد اجتماعات كثيرة وبعد المفاوضات صار التصميم على تقديم عرضحال الى الاعتاب السلطانية . وابان الذين امضوه بكل احترام الاسباب التي حملتهم على القيام بما اقاموا به فقدم الى الاعتاب الشاهانية وفاز بالتفاتها العالي وصدرت الارادة السنية بانفاذه بفصل حضرة الصدر الاعظم وحضرة شيخ الاسلام . ولم يكن ذلك غير تظاهر عام سلمي سياسي . وليس له مقصد اخر لياتي بالخوارق التي جاء بها .

وفي ١٢ الجاري بعد الظهر يوم الجمعة بعد القيام باحتفال توجيه الصدارة العظمى سار الطلبة والعلماء معًا الى جهة مقام حضرة صاحب السماحة شيخ الاسلام للقيام باحتفال توجيه المشيخة الجليلة اليه وكان قوم منهم راغبين في الوصول باكرًا فساروا في الاسواق مسرعين . فلما راهم اصحاب الدكاكين الواقعة في الاسواق التي كانوا يمرون بها اضطربوا جدًّا وامتد الخوف وفي لحظة قفلت الدكاكين والمخازن وخرج الناس من السوق . وكان ذلك الخوف سببًا لوقوع ضرر على بعض الاهالي . ومنهم ثلاثة ماتوا حالًا عند النظر الى الطلبة وهم سائرون بملابسهم العلمية وذلك من شدة الخوف . وقد لحق ضرر بالبعض

من جرى سرعة الهرب فثلثة رجال سقطوا وكسروا سيقانهم وكسر فتى اخر ذراعه . وفي اثناء جري هذه الامور المكدرة امست الاحوال ذات قلق . فان التجبيج في الطرقات القى الخوف في قلوب التجار فبادروا الى قفل ابواب مكاتبهم. فالذين كانوا خارجها اسرعوا ليلتجئوا اليها فوجدوا الابواب مقفولة. فارادوا ان يفتحوها بالقوة . على ان الذين كانوا داخلها ظنوا ان الطلبة هم الذين كانوا يحاولون الدخول اليها ليوقعوا بهم فاخذوا في ان يشددوا القفل ويتحصنوا .وكان اصحاب المكاتب التجارية يتهددونهم من خارج فان الخوف كان قد اخذ منهم كل ماخذ فكانوا يجيبون من داخل انهم يدافعون الى اخر قطرة من دمهم ولا يسلمون

والخبر الاتي يدل على ان ما نسب خطا الى الطلبة لم يكن يخطر لهم ببال وهو ان صاحب دكان كان يقفل دكانه ليهرب واذا بطالب علم قد دخلها . فاضطرب صاحب الدكان وترك مفاتيحه وسلم روحه الى الله تعالى وقفز الى السوق وازكن الى الفرار. اما سبب دخول الطالب الى الدكان فكان للالتجاء ايضاً لانه توهم بان قوماً من المتعصبين النصارى يطاردونه لينالوه . على انه عند الدخول الى الدكان راى ان سوء مفهومية جاء بذلك الخوف العظيم غير انه لم يخرج من الدكان ويتركه لرحمة اللصوص ولكنه اقام بحراستها مدة ساعة . وعند ذلك تشجع صاحبها وعاد اليها فوجد الطالب يقوم مقامه بكل امانة

وقد قالت البصيرت بهذا الشان ان الاشاعات المتعلقة بالطلبة ليست الا من نتائج توهمات الذين لا يعلمون الحقيقة . فان اعمالهم في كل زمان انما هي درس العلوم والصلاة لاجل السلطنة ونصر الجنود الشاهانية . ولم يكن لهم نوايا ردية . وآداب الاسلامية وغيرتها على الدين ضمانة تضمن استمرار ذلك على ماهو عليه . ولم يكن اجتماع الطلبة في الجوامع وانقطاعهم عن الدروس الا اظهاراً لرغبتهم في تسوية الاحوال الجارية بسرعة وليقدموا توسلاتهم بهذا الشان الى الاعتاب الشاهانية لتفرح التبعة الامينة . وعندنا انه لا يلزم ان نقول ماراه كل الناس وهو انه لم يكن في ايديهم ولا في جيوبهم غير الكتب وليس لمقولهم شغل غير نجاح الدولة والامة . انتهى

فبالنظر الى هذا الكلام نقول ان التجهيز والتسلح هو من الاشاعات وهذا هو ما تثبته جرائد الاستانة العلية المدققة وكذلك الليفانت هرالد فانه قفل ،وقتاً لانه لام حضرة سفير روسيا لوماً لا يليق لانه جمع قوماً من الاهالي في سفارته ليصونوه مع ان الطلبة اقتصروا في اعمالهم على الاجتماع والمفاوضة وكتابة عرضحال وحضور احتفالات توجيه الصدارة العظمى ومشيخة الاسلام الجليلة

اعلان

(من ادارة الجنة والجنان مصر)

قد اعلنا فيما مضى بان وكالة الجنان والجنة العمومية في مصر مستعدة لاستماع كل تشك ولتعويض ما ينقص حقيقة اذا لم يصر اهمال في السؤال عن الجرائد في مراكز البرد . واننا مستعدون لان نقبل كل من اراد ان يشرف محلنا في ملك جناب الكونت بخائيل زغيب قرب جنة الازبكية مقابل كنشلارية البورتوغال الملاصقة للبورصه . والان بعد الثناء العميم على اكثر المشتركين الذين شرفونا باجوبتهم من طنطا والمحلة والمصورة وسمنود وغيرها نعلن للبعض الاخر الذين احبوا الدخول في سلك الاشتراك مقتفين بذلك اثر اصحاب الذوق ومحبي المطالعة من اهل هذا المصر باننا ننتظر شهراً اخر من تاريخ هذا الاعلان لتوصل الباقي من قيمة الاشتراكات عن هذه السنة وعند البعض عن السنة الماضية فان

كثيرين من المشتركين في الارياف وعلى الخصوص في الاسكندرية قد لامونا لاننا نوخر طالب دفع قيمة الاشتراكات غير مقتفين بذلك اثر اهالي اوروبا الذين اخذنا عنهم الجرائد (وهم عن الصينيين) فان من كان منهم مشتركاً في جريدة وهو في مركز صدورها فانه يدفع سلفاً قبل فوات يوم واحد من اجل الاشتراك وقبل انتهاء المدة يرسل المشترك ما عليه اما نقداً واما حوالة واما طوابع بوسطة وهذا قليل وهكذا يتوفر على الادارة والمشتركين كتابات وخسارة وقت ومصروف برد تكون احياناً ربع الذي يدفعه انسان لجنة او جنان . وليس من جريدة في العالم التي تقيم موزعين غير في بعض البلدان وذلك في مركز صدور الجريدة فقط كما في بيروت ولكن ليس خارجه لان الجريدة تحتمل مصاريف كثيرة وثمن الجنان والجنة اقل من ثمن جريدة اسبوعية افرنجية تطبع في القاهرة وهي بمقدار الجنة وثمنها عشرون فرنكاً في مصر خلا البوسطة للخارج والجنة تصدر مرتين في الاسبوع فتكون ضعف تلك وثمنها ١٤ فرنكاً خلا البريد ولمشتركي الجنان ٧ فرنكات فقط وهي والجنان مع اجرة بردها اقل من ٤٠ فرنكاً وهي ثمن جريدة واحدة خلا البوسطة اذا صدرت مرتين كالجنة . فيبقى الجنان واجرة البوسطة ربحاً . والمأمول ان البعض من جناب المشتركين لا يحوجونا الى نشر اعلان آخر

كاتبه

كليانتس

فيليبيذيس

هذا وقد صمم وكيلنا العام صاحب الامضا المذكور على فتح محل للقومسيون تحت اسم الخواجات كليانتس فيليبيذيس وشركائه وكل من يعلم ضبطه بالاشغال وحذقه وامانته يبادر الى تهنئته واشغالنا في يده الماضي

قومسيون الزراعة والتجارة

قالت جريدة لاتوركي قد صدرت اوامر سامية الى الولاة بتشكيل قومسيونات للزراعة والتجارة في مراكز الولايات والمتصرفيات والقضاءات . وما ياتي هو بعض تفصيلات متعلقة بتاليفها وواجباتها وهي ان قومسيونات مراكز الولايات تولف من ١٢ عضواً في الولايات و٨ اعضاء في المتصرفيات و٤ اعضاء في القايمقاميات وينتخبون جميعاً براي مجالس الادارة في الولايات من اعيان اهل الزراعة والتجارة الخاليين

ويجتمع القومسيون مرة في كل اسبوع ويلتئمون التئاماً غير اعتيادي اذا مست الحاجة الى ذلك . ومن واجباتهم ان يخبروا الناظر عن حالة المواسم والاسواق العمومية وان يتفاوضوا بشان الوسائل اللازمة لترقية اسباب التجارة والزراعة في البلاد . ولا يكونون عرضة للفصل . وستشكل هذه القومسيونات في الولايات .

اتحاد الامبراطوريات الثلث

قالت جريدة التيمس ان اهم الامور الجارية في هذا الزمان ثبات الخلل والريب اللذين يظهر انهما ثابتان في مشورات اوربا بشان افعل اسباب اصلاح الاحوال الشرقية . والظاهر ان هذه الحالة تدل على ان قطع اسباب التسوية القيام باجراءات افعل من الاجراءات التي مالت السياسة في بادي الامر الى التسليم بالقيام بها . ولا نرى محلاً للريب المؤكد بان الحكومات قد قطعت زماناً بدون ان تقرر سياستها تقريراً ثابتاً فانها كانت تتغير وكانت تنتظر الحوادث وربما كانت حكومة او حكومتان عالمتين بالتخمين عمومياً بما يجري ولم ترَ تغييرات الزمان قبل وقوعها ولم يتيسر جعل النتيجة اساساً للاجراءات السياسية

قبل الان . ونرى صعوبات الحكام في ارتياب اهالي اوربا والاشاعات الصادرة عن اطالة زمان الارتباك فهذه الاشاعات تكون غالبًا كانها امور موكدة ومنها ان الدول العظيمة حتى الامبراطوريات الثلث التي اقامت بالمداخلات قد اختلفت اختلافًا لاامل في زواله فان لكل منها غايات مختلفة خصوصية فتحاول بان تفوز على الاخرى بالتدبيرات السياسية فاذا لم تنجح في ذلك فربما كانت تتقاضى الى المجاهرة بالعدوان . وهكذا نرى ان التخمينات قد باتت في هذه الحالة المبهمة اشهرًا وقد نسبت الى روسيا والبرنس الذين يصغون اليها في مراكز تبين ان الخلاف بينها وبين النمسا شديد وكل ذلك من نتائج تصورات رجال السياسة في اوربا . ونظن ان اهم الامور التي تتعلق بهذه الاشاعات هي ان نقرر في عقولنا ان اتحاد الامبراطوريات لا يبيت منقوضًا خلافًا لما تقرر فيها . وعند نشر ملخص لائحة الكونت اندراسي قال بعض المتعدين بالنظر الى ما نسبوهُ اليها من الاعتدال والابهام ان اتفاق الامبراطوريات الثلث وهي واللائحة هي بقايا ضعيفة باقية من مشروع اعظم سلبت منه اهمية بحسد الدول التي نقتته ومناظراتها . فعند ذلك حذرنا قراء جريدتنا من ان يستندوا الى هذا الراي لان الامبراطوريات الثلث اعلنت اتحادها بصوت مرتفع وفي مدة متاخرة فلا يظهر خلاف كهذا الخلاف على مرأى من اوربا ولو كانت صوالحها متباينة

هذا ولا نرى سببًا يحملنا على الحكم بان الامبراطوريات الثلث ستنقطع عن ان تتكاتف على الاعمال بالاتفاق . فاذا وقعت اختلافات بين روسيا والنمسا من جهة الغايات او الوسائط تفض بالمخابرة التي تجري بينهما ويعلن الاتفاق الناشئ عن ذلك للعالم . فحكومات الجهة الغربية من اوربا تلتزم بان تخابر بذلك الاتحاد العمومي . فهذه الصلات بين دول اوربا تقود الى التيقظ ولا تنجي غير اننا لا نرى فيها خطرًا فعليًا وربما كانت تاتي بتسوية اثبت من تسوية اخرى واقوى منها . واذا قلنا ان في اواسط اوربا دولة صوالحها في الشرق هي بالفعل كصوالح الانكليز نقول ان تلك الدولة هي النمسا . والمانيا لا تسلم بما لا يوافقنا الا مراعاة لضروريات عظيمة . ولذلك لا بد لنا من ان ننتظر بدون قلق لنرى نهاية هذه الاحوال ولا سيما بعد ان ارتضت حكومة انكلترا بان تشترك بالمخابرات وعضدت الاصلاحات التي اعلنتها النمسا في بداية السنة . ولذلك يكون لها صوت في جميع هذه الامور والاجتماع في برلين كانة لازالة هذه الاوهام التي اجتمعت باحوال الاشهر الاخيرة المبهمة . وفيه حضرة امبراطور روسيا ووزيرهُ الاول والكونت اندراسي بالنيابة عن النمسا وهو مولف تلك اللائحة المشهورة . والاحوال من كل الوجوه اي من جهة العصاة ومطاليبهم ولائحة الكونت اندراسي واراء الدول والحملات وصلات الجبل الاسود والسرب ومطامعها وآمالها قد اصبحت معلومة عند الذين عقدوا الاجتماع في برلين . انتهى ملخصًا

فهذه جملة في بدايتها كلام مختصر يدل على صحة ما اوردناهُ منذ اشهر بل منذ اكثر من سنتين من ان الدول ليست بمقررة سياسة قاطعة لانفسها بل لتنتظر الظروف لتجري ما يوافقها

فتح معرض امركا

في ١٠ ايار (مايس) فُتح معرض فليدلفيا الامركاني احتفالاً بمرور مائة سنة منذ تقرر استقلال الولايات المتحدة الامركانية بعد ان حاربت الانكليز بضع سنين فانها كانت تحت حكومتهم . وقد ابنّا في

المنشورات السابقة اتساع دائرة المعرض المذكور واشتراك اكثر دول الدنيا به بارسال مصنوعات بلدانها ومحصولاتها وغير ذلك لتعرض فيه للجماهير الغفيرة المختلفة الاجناس التي تاتيه للانتفاع. واقيمت تزيينات عظيمة في المدينة المذكورة في ذلك اليوم وسار العظماء والاعيان والاهالي باحتفال. وبعد ذلك وقف رئيس الجمهورية الامركانية في فسحة المعرض ومعهُ الوزراء وفتح المعرض احتفاليًا. فلما رآهُ الناس ضجوا داعين. وابتدي باحتفال فتحهِ بعزف ١٦٠ آلة موسيقية الاغاني الوطنية المختصة بكل من الامم التي لها اشتراك في ذلك المعرض ونغمة مخصوصة للاحتفال بمائة سنة حرية. ثم صلى الاسقف ماثيو سمبسون ثم رتل الف نفس ترنيمة روحية. ثم كلم الجنرال هاولي رئيس الجمهورية المشار اليهِ وهو الجنرال غرانت وسلمهُ الابنية ووصف نجاح استعدادات المعرض وقال انهُ كمل مع انهُ بني في السنة الماضية ١٨٠ بناية. فضج الناس مستحسنين ما قالهُ. وبعد هذا الخطاب وقف رئيس الجمهورية فضج القوم. ثم قال يا ابناء وطني. قد استحسن بان يستغنم فرصة هذا الاحتفال المُقام بداعي مرور مائة سنة من استقلالنا لنجمع في فيلادلفيا المعرض العام امثلة ما حصلناهُ في المصنوعات والفنون والعلوم والمعارف والحكمة وفي اعمال الزراعة والتجارة العظيمة لنزيد تحققًا اتقان اعمالنا ونقائصها ولنبين بالتصريح رغبتنا الشديدة في ان نوطد اركان الصداقة بيننا وبين امم العالم. وقد دعي المتنورون من شعوب العالم الزراعية والتجارية والصناعية الى ارسال امثلة تدل على حذقهم ليعرضوها كما نحن نعرض ما يخصنا لتقام مناظرة صداقية بيننا. وقد اجابوا هذه الدعوة بكرامة اخلاق ولذلك نقوم بالشكر الجزيل. وسيظهر لكم بتدبري هذا المعرض جمال ما ارسل اليهِ ومنافعهُ. ويسرنا ان نعلم ان النظر الى ما يظهر حذق كل الامم يكون واسطة لسروركم الشديد ويأتي بمعارف فعلية ناشئة عن نتائج عظيمة كثيرة مصدرها الامم المتنورة. ومنذ مائة سنة كانت البلاد جديدة وكان قسم منها فقط ماهولاً وقد قادتنا احتياجاتنا الى صرف اموالنا واوقاتنا في قطع الغابات وتمهيد الصحاري الكثيرة العشب وبناء المنازل وانشاء المعامل والمراكب والفرض والمخازن والطرق والترع والآلات وغيرها وقد شيدت اكثر مدارسنا وكنائسنا ومكتباتنا ومنازل العاجزين منا في اثناء المائة سنة المذكورة. ومع اننا كنا حاملين اثقال هذه الاشغال الضرورية التي لا يمكن تاخيرها قد اقمنا فضلاً عنها بما يظهر في هذا المعرض في سبيل مناظرة امم اقدم منا في النظامات والقوانين والطب واللاهوت والعلوم والمعارف والفنون والحكمة والمصنوعات الجميلة. فنفتخر بما قد اقمنا بهِ متاسفين لاننا لم نقم باكثر. وقد اتينا بامور عظيمة كافية لان نسهل على شعبنا بان يقرُّوا بالاستحقاق الممتاز اينما وجدوهُ. فيا ابناء الوطن المامول ان تدقيق النظر في ما يعرض بحماكم على ان تعتبروا كل الاعتبار حذق اصدقائنا من الامم الاخرى وان تظهروا الارتضاء بما فازت امتنا بتحصيلهِ في السنين المائة الماضية. واطلب اليكم ان تعازروا انتم والمامورون اصحاب الاهلية الذين اقاموا بادارة هذا المعرض لتجعلوهُ ذا نجاح وتجعلوا اقامة زائرينا الاجانب الذين نترحب بهم نافعة وذات حظ. هذا وانني اعلن الان فتح المعرض العام. انتهى.

وانتهى هذا الخطاب قبل الظهر ببرهة قصيرة. فنشرت راية فوق البناية الكبرى وضج القوم واطلق مئة مدفع ورتل رهط عظيم من المرتلين ونشرت الرايات في كل مكان وقرعت كل اجراس المدينة. فسار رئيس الجمهورية وامبراطور البرازيل والوزراء الى

البناية الكبرى . واشغل رئيس الجمهورية اعظم آلة بخارية من نوعها في العالم و بتشغيلها دارت كل الالات التي تشغل فسحة مساحتها نحو ١٦ فدانًا . وعند غياب الشمس قرعت الاجراس وفي الليل اقيمت تنويرات . وهكذا تم فتح هذا المعرض العظيم الذي دخله في اليوم الاول المذكور مائتا الف نفس

روسيا وانكلترا

قد جرت مفاوضات طويلة في مجلس انكلترا العالي بشان نسبة كل من الدولتين المشار اليهما الى الدولة الاخرى في اواسط اسيا ولا يخفى ما في ذلك من الاهمية ولا سيما بعد ان اخذت روسيا في توسيع املاكها في قارتنا المتسعة بسرعة عظيمة وفي الكلام الاتي اهمية اسيوية اوربية اذا انتشبت حرب عظيمة بين دول اوربا ويكون لعلاقات الدولتين في الشرق تاثير في اجراآتها في الغرب اي في اوربا فالوقوف على تفصيلات المخابرات وارا الدول مفيد جدًّا بل واجب على كل من رغب في تتبع مجاري السياسة في هذا الزمان . ولما كانت المفاوضات المذكورة طويلة جدًّا كان لا بد لنا من ان ننشر بعضها في هذا الجزء ونوخر البعض الاخر الى جزء قادم . وبناء على ذلك نقول ان مستر بابلي كوشرد من اعضاء المجلس العالي الانكليزي ذكر استيلاء روسيا على خانية خوكند وقال ما ترجمته

انه من الممكن ان نتفق على امر واحد وهو ان صوالح الهند وصوالح انكلترا واحدة . ولذلك لا بد من ان نراقب كل ما ربما كان يضعفنا في البلاد المذكورة . ولا ريب في ان المجلس العالي يوافقني على انه عند المفاوضة بشان الهند لا نحتاج الى ان نتامل في حال اكثر من دولة واحدة فانه ليس لالمانيا ولا فرنسا ولا ايطاليا صوالح فيها حال كون اهمية ايران وافغانستان في ذلك انما هي بالنسبة اليناً فقط . فلا نلتزم ان نراقب غير دولة واحدة وهي روسيا . فشعوب تركستان البدوية نظرت الى الشمال فراوا دولة عظيمة قادمة عليهم وهي تسلبها استقلالهم وكانت تارة تتقدم ببطء كما في سنة ١٨٣٦ وطورًا بسرعة عظيمة كما في سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٦ غير انها في كل حال لم تنقطع عن التقدم والفتح . وبالنظر الى الجنوب يرون دولة اخرى ليس لها اهمية الدولة المشار اليها في القوة البرية ولكنها سيدة البحار . وهذه الدولة سارت الى ان بلغت الاندوس وحضيض همالة جبال . وكانت شعوب تركستان المذكورة تنتظر باهتمام عظيم وقلق حلول زمان احتكاك حدود الدولتين المشار اليهما . وما من احد يقدر ان ينكر تقدم روسيا في اواسط اسيا غير انه قد اختلفت الاراء في انكلترا من جهته . فانقسم القوم عندنا بالنظر الى ذلك الى قسمين احدهما تحت قيادة نائب كاركالدي المحترم ومنهم من هم اهل حذق ومعارف متعلقة بالهند . فكانوا ينظرون روسيا في تقدم في اواسط اسيا بدون قلق وهم ينتظرون حلول زمان تبلغ به حضيض جبال هما له فيقولون انها دولة متمدنة ومجاورتها اوفق لنا من المجاورة شعوب تركستان البدوية فالاوفق بان تستولي عليهم وان اسباب الخلاف تقل عندما تثبت حدود ها ملاصقة لحدودنا . اما القسم الاخر فيخالف هذا القسم كل المخالفة في ارائه المذكورة وينظر الى تقدم روسيا في اواسط اسيا بقلق شديد وتفرس عند هم ان في دنوها المتواصل من حدودنا الهندية خطرًا عظيمًا بدون ان يخافوا حلول زمان استيلائها على الهند او محاولتها ذلك . لانه عند اتصال حدود دولتين عظيمتين كروسيا وانكلترا لا بد من القيام بتجهيزات عظيمة على الدوام لان مجرد اتصال الحدود يدعو الى زيادة اسباب الدفاع . والصحراء العظيمة التي

كانت واقعة بين املاك روسيا واملاكنا كانت اعظم الحصون لنا فكانت في اسيا كالمضيق البحري الفاصل بيننا و بين دول اواسط اوربا حتى ان ستين الف جندي في الهند قادرون على ضبط مائتي مليون من الانفس وسياستهم . فالقسم الاخير المذكور من الانكليز يترقبون حلول زمان نلتزم فيه ان نجعل قوتنا في الهند ثلثة اضعاف قوتنا الحالية اذا زاد تقدم روسيا الى جهتنا . ولا ريب في ان هذا من الاراء المفردة التي تستحق الاعتبار. ولا نظن ان دولة عظيمة كروسيا تحمل على امبراطوريتنا الهندية بدون ان تعلمنا بذلك .على انهُ اذا انتشبت حرب اوربية يكون اتصال الحدود واسطة لحفظ قوة عظيمة في الهند. فهل تغير شيء منذ سنة ١٨٦٩ . الم تتقدم روسيا من ذلك الزمان الف ميل الى جهة حدودنا وقد اهتم اهالي اوربا بتقدمها حتى ان اللورد كلارندون وزير خارجية انكلترا كتب الى سفير الدولة الانكليزية السار بيوكنان في ٢٧ اذار (مارس) سنة ١٨٦٩ بما ترجمتهُ

انهُ اذا لم يقم بوسائل مهمة جدًّا نرى قبل مضي زمان طويل ان تابعًا روسيًا محبًّا للمجد يخابر اميرًا هنديًا غير مرتضٍ او محبًّا للقلاقل فتجري الحيل على قدم وساق وتقلقل الاهالي الهنود عند الحدود فاذا جرى ذلك يحق للدولة الانكليزية ان تضاد روسيا المنعوفلمنع حدوث امر كهذا الامر الذي ربما كان يكدر الصلات الجيدة الجارية بين الهند والانكليز المتعلقة بهذا الامر وبامور اخرى اطلب برغبة شديدة تعيين ارض لتكون ارضًا متحايدة واقعة بين املاك روسيا واملاك انكلترا . وتكون حدًّا لها ومحترمة عند الدولتين وقد ظهر لي ان البارون برونو سفير روسيا قد قال ان هذا موافق ووعدني بان يقرر عنهُ الى حكومته . وزارني سعادتهُ في هذا الصباح واكرم على بترك الصورة المواصلة لنا وفي صورة تحرير من تحارير البرنس كورتشاكوف وفيهِ تاكيد بان افغانستان خارج الاماكن التي تنفذ روسيا سطوتها فيها . انتهى.

فاجاب البرنس كورتشاكوف على هذا الكلام المتعلق بتعيين ارض متحايدة . ان ما خطر للورد كلارندون وزير خارجية انكلترا بابا ل من ان يعين ارضًا مخصوصة لتكون متحايدة بين الامبراطوريتين في اسيا لمنع احتكاك صوالحها هو مما طالما خطر لحضرة مولانا الامبراطور ببال . انتهى

وبعد ذلك كتب وزير خارجية انكلترا الى سفارتها في روسيا ما ترجمتهُ قد استحسن ان يُطلب ان يكون جيحون الاعلى الذي كان جنوبي بخارا الحد الذي ينبغي ان تمنع كل دولة جنودها عن ان تجوزهُ وهذا يجعل ارضًا متسعة والظاهر انها صحراوفي معينة في رسم الارض بخانية خيوا بين افغانستان والاراضي التي فازت روسيا بالحصول عليها واذا اتفق علمها نوم ل انها تكون واسطة لازالة كل اسباب الخلاف في الاستقبال

وفي تموز (جوليه) سنة ١٨٦٩ كتب سفير انكلترا في روسيا الى حكومتهِ مقررًا عن اجتماعهِ بحضرة امبراطور روسيا فقال لهُ اني للامبراطور انهُ ما دامت انكلترا وروسيا على ما هو سا علمو لا يتكدر الاتفاق الجيد الجاري بين الحكومتين وان عدد الذين يهمهم امر الهند في انكلترا ونجاحها هو عظيم جدًّا حتى انهُ اذا جرى قتال بين روسيا وافغانستان او دخلت جنودها ولايات واقعة عند حدود الهند يهيج الراي العام حتى انهُ ربما كانت الحكومة الانكليزية تلتزم بان ترضي الناس بالقيام بما يخالف كل المخالفة اراءها الحالية . فاجاب الامبراطور انهُ يفهم ذلك وهو امر طبيعي غير انهُ ما من شيء يحمل على اجراء ذلك حتى يهيج الراي

BIBLIOTHEQUE
مكتبة معهد العالم العربي

العام وان الظروف ساقتهُ الى حيث لم يكن يرغب ان يتقدم في اواسط اسيا

وفي ٣ ايلول (سبتمبر) كتب وزير انكلترا الى سفيرها في روسيا ان ان امبراطور روسيا قال له انهُ مقرر في عقلهِ ان توسيع دائرة الاملاك هو توسيع دائرة الضعف وان روسيا لا ترغب في ان توسع املاكها الى الجنوب فلا تتقدم اليهِ بعد ذلك وان البرنس كورتشاكوف مقرر في عقلهِ نفس ما تقرر في عقل الامبراطور من هذا القبيل . فقال وزير خارجية انكلترا انهُ قد سرهُ ما رآهُ من ان الامبراطور قد قرر في عقلهِ ما فيهِ صالح روسيا الصحيح . وانهُ لما راى تقدم روسيا السريع في السنين الخمس وانتظام اراضيها العظيمة تاكد انهُ لا بد من احد امرين وهما اما ان تكون روسيا قد امرت جنودها بالتقدم او ان قوادًا من اهل المطامع قد تقدموا وفتحوا غير مبالين بنوايا الامبراطور السلمية

وهكذا نرى ان للجيش يدًا وليس للامبراطور فقط وقد تقرر في المخابرات ان الامبراطور قد قال انهُ يضادّ الفتوحات والاستيلاء على البلدان ويستنتج من ذلك ان القواد كانوا يفتحون البلدان على غير رضى الامبراطور وبدون ان يفوضوا بذلك على اننا قد رأينا انهُ عند رجوع اوليك القواد الى بطرسبرج عاصمة روسيا كانوا جميعًا يقابلون بالاحترام والاكرام وكانوا ينالون النياشين وكانت الحكومة تظهر انها كانت تقرر كل ما كانوا يفعلونهُ . فلا ينبغي ان نقطع النظر عن ذلك في اثناء الكلام عن هذا الامر . اما حضرة الامبراطور فكان يميل جدًّا الى السلم غير انهم يعلمون ماذا جرى منذ سنة ١٨٦٩ مع انهُ يميل الى السلام

وقد قال اللورد كلارندون وزير خارجية انكلترا في التحرير المذكور اعلاهُ ما ترجمتهُ انني ذكرت البلدان المختلفة التي فتحتها روسيا مع تواريخها وانها بالاستيلاء على سمرقند جعلت بخارا في قبضتها . فقال سفير روسيا ان هذا صحيح . وانهُ بعد هذا ربما كانت تذهب الى بخارا التي لا تفيد روسيا الا لاسباب الهجوم . وان الهند وكوش ترى املاك انكلترا كما يرى المسافر املاك ايطاليا وهو على قمة سمبلون . والخوف الوحيد عندنا هو ان اقتراب روسيا منا والحيل مع الامراء المحليين ربما كانت تجعل الهنود في قلق دائم فتقع في المشاكل وتتكبد المصاريف ومن الممكن تجنب ذلك كلهِ بتقرير اتفاقية واضحة بيننا وبين الحكومة الروسية لتعيين ارض متحايدة بين املاك الدولتين . فقال البرنس كورتشاكوف انهُ لا يقدر ان يعترض على ما قلت ولا سيما ما يتعلق منهُ بالقواد فانهم جميعًا تجاوزوا حدود ماموريتهم باملِ الحصول على الشهرة . انتهى تحرير وزير الخارجية

ومن الواجب ان يتامل المجلس العالي في ما اقامت بهِ روسيا منذ سنة ١٨٦٩ . فانهُ في هذه المدة ارسل الى روسيا الجنرال فورسث فاكدت لهُ روسيا قطعيًا بانها لا تتقدم في اواسط اسيا . وبعد ذلك بسنتين فتحت سمرقند فقيل بوضوح ان روسيا تفضل ان تتركها . ثم سنة ١٨٧٣ ارسل سفير روسيا الحالي بمأمورية مخصوصة وقال انها ليست بقاصدة الاستيلاء على خيوا وانها ذاهبة لتقاصص بعض قبائل متعبة ولكن ماذا جرى يا ترى . الم تحل في خيوا ولا تزال مستولية عليها وفي هذه السنة (اي سنة ١٨٧٦) استولت روسيا على خانية خوكند وضمتها الى اراضيها (قال المجلس اسمعوا اسمعوا) فهذه نتائج الوعود والعهود وتعيين بلاد متحايدة . فاحب ان اسال المجلس هل راى ان حكومتنا في الهند حكومة اظهارات .

وقد ذكر في ترجمة اللورد ماكولي الجميلة التي نشرت موخرًا انهُ لاحظ قبل كل شيء عند وصولهِ

الى الهند انهٔ وصل الى بلاد سطوتنا فيها موسسة على ما ظهر من اننا امة محاربة . فهل اضعنا هذا الصيت في الهند . ومن اللازم ان نقول انهٔ سمع من الذين اتوا موخرًا من اواسط اسيا ان الناس اخذون في ان يقرروا في عقولهم ان انكلترا قد اخذت في ان تضيع سطوتها وقوتها وان الدولة الوحيدة التي لا ريب في تقدمها هي دولة روسيا . واللورد نابيار من العارفين في الامور الذين يستند الى اقوالهم وقد قال انهٔ لا ينسى ابدًا التاثير المكدر الذي شعر بهِ عند استماع كلام تفوه بهِ احد رجال السياسة الروسيين بهذا الشان عند ما كلمهُ عن امور ظهر انها قريبة من الحدوث بعد ان قال لهُ انهُ اذا حدث ذلك يلزم ان ينتظر دفاع انكلترا . فقال لهُ الروسي ياسيدي الدفاع ما اعجب ذلك ان هذه الكلمة لا توجد في قاموس السياسة الانكليزية . فاذا كان هذا مقررًا في عقل رجل سياسي روسي افلا يقرر في عقول الهنود الذين لا يطلعون على حقيقة الامور ويسهل خدعهم (اسمعوا اسمعوا) وانا اقدر ان اظهر كتابات كثيرة منشورة في جرائد روسيا وفي مطبوعات اخرى توضح ان الروسيين كانوا يضمرون العدوان لنا . على انهٔ نكتفي بنقل بعضها . ومنها ما قالتهُ احدى جرائدها من ان روسيا تعتبر البلدان المتتابعة التي فتحتها مراكز في الطريق المودية الى الهند ليستريحوا فيها قبل ان يزيدوا في التقدم . وقد قال موسيو تاريتاف الروسي ان املاكنا في اواسط اسيا انما هي مراكز لزيادة التقدم في الطريق ومحطات لنقف فيها طلبًا للراحة وتجديد القوى . . . . وقد سمح لروسيا ان تتقدم تقدمًا عظيمًا وربما كانت لا تسمح لسنوح الفرص بان يذهب بدون ان تنتفع بها . وقد قال موسيو فردريك فون هلوارد بهذا الشان في كتاباتهِ عن اواسط اسيا ما ترجمتهُ ان سطوة روسيا تزداد يومًا فيومًا وسطوة انكلترا تنقص وهكذا نرى انكلترا تخسر مركزها شيئًا فشيئًا . وعندنا ان دون ذلك مخاطر كثيرة استقبالية وكان من الواجب ان يرى رجال سياسة انكلترا هــذا الخطر وان يقطعوهُ قبل ان يزهر بمنع روسيا عن توسيع املاكها في اواسط اسيا وقد تقرر حديث جرى بين هذا الموسيو والبارخان الذي قال منذ عشر سنين كان الروسيون بعيدين جدًا عنا . فاين هم الان . هم في سمرقند وفي خوكند وبخارا في فعلًا لهم اذا شاءوا ان يفتحوها والانكليز قالوا لهم انهٔ لا ينبغي ان يفتحوا خيوا ولكنهم فتحوها . والان هم في جيحون وسياتون مرو وهرات فهل تظنون ان الشعوب التي استوليتم عليها في الهند تكون مستكنة والروسيون في هرات كما هم مستكنون الان . انتهى

ومن الواجب ان لا ننسى ان بين مرو وهرات مواصلات مائية وبينها طرق برُد فتقدر الجنود ان تقطعها في اربعة ايام ومنذ برهة ليست بطويلة جرى حديث بهذا الشان بين سائح وخان خيوا وذكر الخان تقدم روسيا الى جهة املاك الهند وتعجب من سكون دولة الانكليز وقال انهٔ لا يعلم ماذا تقول الامة التي لا بد من ان تلتزم ان تحارب قريبًا اذا استمرت الاحوال على ما هي عليهِ . ولا ريب في ان المجلس العالي يسمع باعتبار راي اللورد بارلمستون (وزير انكلترا الاول الاسبق المشهور) المتوفى بهذا الشان فياتي هو بعض ما كتبهُ عنهُ للورد روسل سنة ١٨٤٧

ان قوة روسيا في افغانستان ربما كانت لا تقدر ان تحمل على كالكوتا غير انها ربما كانت تجعل افغانستان مركز طليعتها . ومنها قال هاربخ عن صيانة سائر حدودنا نرى في ظروف كتلك الظروف اي اذا حلت روسيا في افغانستان قلقًا عظيمًا في قابول وسائر الدول الصغيرة المنتشرة عند املاكنا الهندية فهذا يجعلنا نتكبد مصاريف كثيرة ونبذل جهدًا عظيمًا

وربما كان ياتي باضرار كثيرة فمن اللازم ان نكون قادرين ان ندافع عن الهند في اسيا كما في اوربا

وقد قال نائب الجن بورغن المحترم في كتابه الذي كتبه بعد التروي والسفر اذا لم تمنع السياسة روسيا عن الدخول الى مرو لا تكون لنا غير سياسة واحدة وكل تعدٍ على املاك معترف بها كاملاك شير علي هو عبارة عن فتح الحرب على انكلترا (اسمعوا اسمعوا)

وفي سنة ١٨٧٤ خطب اللورد دربي وزير خارجية انكلترا في المجلس العالي بهذا الشان وقال انه مقرر عندنا ان المحافظة على استقلال افغانستان واملاكها من اهم غايات السياسة الانكليزية ومن الواجب ان تكون كذلك وعند الحكومة الانكليزية لاقل مداخلة في استقلالها امر مهم جداً يستحق اهتمامهم التام الجدي فانه ربما كان ياتي الهند بمخاطر عظيمة وباعتدال القول اقول انني اظن ان وقوع مداخلة في ذلك ربما كان يحمل البلاد على المداخلة . انتهى

هذا ولا يرغب احد في حدوث سوء مفهومية واضطراب بين هذه البلاد وبلاد اخرى بسبب الامر الذي جعلته موضوعاً لكلامي في المجلس ورغبتي في ان تقف البلاد على الحقيقة انما هي لمجانبة حدوث شيء . ولا يرتاب في ان روسيا ترغب جداً في ان ترقي اسباب التمدن غير انني لا اقدر ان امنع نفسي عن ان ترى ان كل خطوة تقرب روسيا من حدود الهند تجعل قلقاً ولذلك المامول ان روسيا تقلع عن القيام بامور ربما كانت عدلاً الان غير انها تاتي بارتباكات لا لزوم لها في الاستقبال . ولا ادعي بان اقول ان قصد روسيا اخيراً الحمل على املاك انكلترا اولا غير انه موكد عندي وجوب صد سطوة روسيا المتقدمة من الهند (صحيح استحسان) . انتهى

هذا وفي الجزء القادم ننشر بقية هذه المفاوضات

المهمة ان شاء الله مع اراء مستر دزرائيلي وزير انكلترا الاول

الفاتيكان والدول

قد قالت جريدة الليفانت هرالد قد شرع في رومية في محاولة فض الخلاف الجاري بين الكنيسة الكاثوليكية وبعض الدول الاوربية ولا سيما ايطاليا والمانيا وقد اخذ نوابها في الحال في مخابرة بعض الكردينالية الاولين لفض ذلك المشكل . وسبب الخلاف انما هو امتناع الدولتين المشار اليهما عن الاعتراف باستقلال الكنيسة الروحي . اما الفاتيكان فهو مستعد لان يعترف باستقلال الحكومات الزمنية ويقول ان ذلك هو الواسطة لتقرير تسوية . واذا نظرنا الى البلدان الكاثوليكية نرى ان للفاتيكان مسنداً يستند اليه في ما يطلبه . فانه مما لا ينكر ان خدمة الدين في فرنسا مثلاً قد نجحوا نجاحاً عظيماً في الثلاثين او الاربعين سنة المتاخرة ولا سيما في الاستيلاء على اسباب التعليم . وكان مجلس نوابها الاخير اشد ميلاً الى خدمة الدين من مجلسها العالي الاول الذي كان عند ارجاع الدين الكاثوليكي اليها . وفي ايطاليا ايضاً قد اشتد نفوذ الكنيسة بين العامة حتى انه تهدد الحكومة بالارتباك غير انه عند البحث عن احوال البلدان البروتستانتية كالمانيا نرى ما يخالف ذلك حتى اننا لا نرى سبيلاً لتقرير اتفاق حال كون ادعاء كل فريق من الفريقين يبعد كثيراً عن ادعاء الفريق الاخر فمحاولة تقرير تسوية فيها في الظروف الجارية يؤول الى توسيع الخلاف . والظاهر ان دول اواسط اوربا لا تريد ان تقوم بما تقوم انكلترا به بالنظر الى ذلك مع انه ناجح جداً فان كلاً من الكنيسة والدولة فيها ليس له عظيم علاقة بالاخر

ازالة الروائح القبيحة

قد نقلت جريدة الليفانت هرالد عن جريدة

اللانست الوصفة الاتية المهمة جدًّا وهي من الاكتشافات الجديدة فقالت

قد نشرت جريدة اللانست الانكليزية موخرًا بان نترات الرصاص من افعل وسائط ازالة الروائح الردية فانها تزول بها كان فعلها فعل سحر . ومن المسهلات رخص الواسطة فان ثمن الليبرا اقل من شلين (فرنك وعشرون سنتيمًا) فاذا جمع بالملح الاعتيادي يكون كافيًا لصنع ٤٠٠ غالون من السائل . اما صنع ذلك للاستعمال لازالة الروائح الردية فيكون بالطريقة الاتية وهي خذ نصف درهم من نترات الرصاص واذبه في ١٢ اوقية طبية من الماء الغالي او اكثر من ذلك وصب المزيج الى ان يرسب . اذا بلت منسوجًا في هذا السائل وعلقته يتطهر الهواء الفاسد حالاً . فهذا الاكتشاف مهم جدًّا ونفعه في الامور الطبية وغيرها لا يحد . انتهى . وفي الشرق له منافع كثيرة ولا سيما في المحلات التي لا يصير الاهتمام بتنظيفها غير انه لا ينبغي ان يهمل الناس يتهاملون عن التنظيف والذين يجهلون صنع ذلك بانفسهم فعليهم بمراجعة الصيدلانية فيصنعونه لهم ولا بد من ان يكثر استعماله اذا ظهرت منافعه بالتجارب

امبراطورة الهند

ان ما ياتي هو ترجمة الارادة الملكية الصادرة من حضرة ملكة انكلترا بشان اضافة لقب امبراطورة الى القابها

من فيكتوريا الملكة . لما كان قد وضع في اجتماع المجلس العالي قرار عنوانه نفس عنوان يمكن اكرم الكرما جدًّا صاحبة الجلالة من ان تضيف لقبًا الى التاج الامبراطوري المملكة المتحدة (اي انكلترا) وملحقاتها . وقد ذكر في القرار المذكور ان في القرار المتعلق باتحاد بريطانيا العظمى وايرلاندا ما نصه انه بعد ذلك الاتحاد تكون الالقاب المختصة بالتاج الامبراطوري للمملكة المتحدة وملحقاتها كما يعلن جلالة ملك انكلترا بارادته الملكية المختومة بختم المملكة المتحدة الكبير . وفيها ايضًا انه بسبب هذا القرار واعلان مختوم بالختم الكبير رقم اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٠١ اسمنا والقابنا الحالية هي فيكتوريا بنعمة الله ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وايرلاندا ومدافعة عن الايمان . وفيه ايضًا انه بالقرار المتعلق بتحسين حالة سياسة الهند ان حكومتها التي كانت مفوضة في شركة الهند الشرقية بالوكالة عن الملكة تصير مفوضة الينا فتحكم الهند بعد الان بنا وباسمنا وانه من الموافق ان يعترف بانتقال الحكومة بهذه الواسطة بواسطة تقرير اضافة لالقابنا واوصافنا . وتقرر فيه بعد ذلك انه يحق لنا الحصول على ذلك الاعتراف المتعلق بنقل حكومة الهند بالاننا الملكي المختوم بختم المملكة المتحدة الكبير ان نضيف الى الالقاب المختصة الان بالتاج الامبراطوري المختص بالمملكة المتحدة وملحقاتها ما يكون مستحسنًا عندنا . وقد استحسنا بمشورة مجلسنا الخاص بان نقرر ونعلن ما نقرره الان ونعلنه بمشورته وهو انه بحسب المناسبة ان تضاف الالقاب الاتية على الالقاب المختصة الان بالتاج الامبراطوري المختص بالمملكة المتحدة وملحقاتها وهي باللاتينية اندييا امبراتركس وبالانكليزية امبرس اوف انديا (اي امبراطورة الهند) وذلك في كل ظرف وفي كل الاوراق التي تستعمل بها القابنا خلا الشروط واوراق التفويضات والهبات والامتيازات والتعيينات والتقريرات وغيرها مما يشابهها مما لا يتصل بالنفوذ خارج المملكة المتحدة . ونريد ان لا نقرر الاضافة في الشروط واوراق المأموريات والامتيازات

والهبات والتقريرات والتعيينات وغيرها ما يشابهها مما قد استهان اعلاه

وقد تعلقت ارادتنا ايضاً بان كل المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية التي تسك من الان وصاعداً بامرنا وفيها العلامة المذكورة ستبقى قانونية صحيحة ولو تقررت تلك الاضافة وكل النقود التي تضرب لاحدى ملحقات المملكة المتحدة او تضرب فيها ستبقى قانونية صحيحة مع هذه الزيادة اذا كانت مما قد اعلنا انه نقد قانوني للملحقات المذكورة ما دامت عليها القابنا كلها او بعضها . وكلما يضرب بموجب اعلان كهذا الاعلان يكون قانونياً فيها مع انه قد تقررت تلك الاضافة وستبقى كذلك الى اعلان شيء جديد

اعطي في بلاطنا في وندسور في ٢٩ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٦ في السنة التاسعة والثلاثين من ملكنا

المانيا

قالت جريدة الستاندرد الانكليزية انه اذا راينا طلب البرنس بسمارك المتعلق بجعل الطرق الحديدية الالمانية كلها في المانيا في يد الحكومة الامبراطورية مقيداً في دفاتر المظالمات فلا يكون ذلك دليلاً على فوز سياسة البرنس بسمارك المتعلقة بالطرق الحديدية الالمانية . ولذلك من الامور الطبيعية ان تبادر الدول الالمانية كبفاريا الالمانية وسكسونيا وورتمبرغ الى مضادة نفوذ هذا القرار ولا عجب من ذلك اذا كانت سياسة البرنس بسمارك نافعة او مضرة فانه يمس الدول حتى وجودها . ولذلك لابد من ان تجهد نفسها في المقاومة فان اخذ طرقها الحديدية منها يؤثر في صوالحها المالية . لان طرق البلدان الصغيرة الالمانية مختصة بحكوماتها ولها دخل عظيم يزداد بازدياد نمو البلاد . ومن اعجب الامور ان ترتضي بخسارة هذه الاملاك . وفي الحال لها نفوذ عظيم بواسطة المداخلات المتعلقة بالطرق الحديدية فاذا تركوا طرقهم يخسرون كل سطوتهم المذكورة وتربحها الحكومة الامبراطورية فتتقوى . وتصير اعظم الاشغال في كل منها في يدها . فبالتسهيل في الاشغال او التعقيد فيها في بعض الظروف تقدر ان تغني التجارة او تسد باب ارباحها . وتقدر ان تغني مدناً بل مقاطعات وتفقرها . واذا جرى خصام بينها وبين دول ثانوية تقدر ان تنفذ كل سطوتها في رعايا تلك الدولة . وبالجملة نقول انه يتيسر للامبراطورية ان تنفذ سطوة غير معتدلة من كل وجه في المانيا وهذا مما يلقي الخوف في قلوب الجميع

وقد قالت جريدة الليفانت هرالد طالما اهتم البرنس بسمارك في جعل الطرق الحديدية في كل البلدان الالمانية في يد الحكومة الامبراطورية . ولما كان ذلك عنصراً ضرورياً لتقرير حال الامبراطورية التي له يد في انشائها كان لا بد له من ان يجهد نفسه في سبيل الحصول على مرغوبه . وقد اقام الذين لا يحبون هذا الاتحاد في ممالك المانيا المختلفة بالمضادات المنتظرة وشددوها حتى ان البرنس المشار اليه التزم بان ينقطع مدة عن طلب انفاذ ذلك . ولما راى ان المخابرات التي كانت تقوم الحكومة المركزية بها كانت تضاد بثبات وجد التجا الى منصبه الثاني وهو وزير الدول المتحدة وطلب الى بروسيا بان تطلب الى الحكومة الامبراطورية بان تاخذ منها طرقها الحديدية وان تستلم ادارتها . وكان المقصود من هذا التدبير ظاهراً ومع ذلك اثر في الامة الالمانية عظيم تاثير فانها سرت بما اظهر من الانقياد الظاهر للمضادين وابانت انها مستعدة لان تجري ذلك قبل ان يطلب اليها اجراؤه . وما اظهره البرنس من الحذق في اثناء المفاوضات جاء باتمام النجاح . والمرجح بعد ذلك ان تتمكن الحكومة

الامبراطورية الالمانية من ان تفوز بامر مهم بالحصول على ادارة دخل عظيم وعمل له اهمية في كل زاوية من البلاد الالمانية

اسبانيا

قالت جريدة التيمس ان البرنس دي غال ولي عهد ملكتنا سيرجع من اسبانيا متذكرًا امورًا مسرة . فان بلاطها واهاليها قد افرغوا جهدهم في سبيل ارضائه وفي كل مدينة من المدن التي سار اليها آثار تاريخية يصبو الانسان الى الوقوف عليها وقد راى في جامع قرطبة (كردوفا) وكنيستها آثارًا من اجمل الآثار التي تدل على حذق العرب وتعقلهم ولو لم يكن تعصب حكامها القدماء قد حملهم على ان يسلكوا سبل الغباوة الناشئة عن التعصب الذي يعمي الابصار ويخرجوا من بلادهم تلك العطايا الصادرة من قوم يخالفونهم في المذهب لربما كانت حفظت نفسها من اضاعة مركزها بين الامم العظيمة . وسياحة البرنس في الهند لا تريه آثار عظيمة ماضية كسياحته في اسبانيا وفي مدريد العاصمة من الانشاآت التابعة لانشاآت العرب ما تصبو العين الى النظر اليه . ونسر ايضًا بان نسمع انه تخلص من النظر الى شيء بات مختصًا به وهو قتال الثيران ولا بد من ان يعذره الاسبانيول اذا راوا انه لا يسر بان يرى حيوانات تعذب . ومن الواجب ان يسمعوا ان معرض الصور في مدريد الذي فيه اتقن صور مور يلو وفيلاسكي يسر الانكليزي اكثر مما يسر بالنظر الى براز الثيران وقد فرحنا بما راينا من التجملات التي جرت بين العائلتين الملكيتين . ومع ان الاختلافات الدينية كانت تفصل كلاً من البلدين عن الاخرى وقد جرت حروب كثيرة بينهما قد صرفنا قرونًا بالصداقة والحب وزيارة البرنس اضافة جديدة لاخبار مهمة مقررة في تاريخ بلادنا

والانكليزي يسر جدًّا بالبحث عن احوال اسبانيا لاسباب كثيرة منها انها تختلف عن بلاده في صفات اهاليها وتاريخهم . وقد اصبحنا على ما نحن عليه باتحاد امم مختلفة وبالسماح بجريان المذاهب المختلفة . اما اسبانيا فقد اصبحت على ما هي عليه بطرد كل العناصر التي تاول الى جعل اختلاط في الاديان . وكانت الكنيسة تحسب الاسرائيليين في اسبانيا شوكة في عينها فطردوا منها بارتكاب قساوة عظيمة . وكذلك العرب كانوا مبغوضين عندهم ولم يخجلوا من الطرد بشفاعة نشاطهم وصناعتهم وحذقهم في الحرف وجمال مصنوعاتهم وعلومهم وتمدنهم العظيم . ولم يخلق الحذق البشري واسطة افعل من مجلس الفحص الديني الذي اقيم في اسبانيا لحفظها في دائرة الوحدة الدينية . ونتائجه برهان على ان الاضطهاد قد ينجح نجاحًا تامًا اذا شدد . والظاهر انه لم يوثر في نشاط الامة في مدته الاولى . لان اسبانيا لم تبلغ شهرة اعظم من الشهرة التي بلغتها عند اجراآت ذلك المجلس ببسالة اهلها وشجاعة جنودها وعظمة معارفها وصنائعها . وفي نفس المدة المذكورة فتحت الحرب بين اسبانيا وانكلترا فالاولى بصفة رياسة المذهب الكاثوليكي والثانية بصفة رياسة المذهب البروتستانتي وكانت حربًا طويلة اقامت بينهما دول كثيرة على اختلاف الكيفيات في قرون مختلفة وانتهت بوضع كل من الامتين في مركزيهما الحاليين . وفي الحرب التي جرت بين الملكة اليزابت الانكليزية وفيليب الثاني الاسبانيولي اهمية ناشئة عن سبب الحرب وهو قاعدتان متعلقتان بالحيوة الدينية وهما متناقضتان واقيم بها بدون ان تخطر التسوية للذين اقاموا بها ببال . وكان تهيج الانكليز شديدًا حتى اقاموا بنشاط تجهيلات لو جرت في زمان ادبياته غير ادبيات ذلك الزمان لسميت

بجهلات لصوص بحر . وتعصب الاسبانيول لا يعذرهم بعض الاعتذار بالقساوة التي اقاموا بهـا بالحروب باسم الدين . وسبب ذلك انهُ ربما كان لم يخطر للفريقين ببال ان حروب زمان تلك المدة تبيت اهم التواريخ المتاخرة . ولا يبالى باستنادهما الى الحيل والخداع قدر استنادهما الى قوة السلاح فان الدولتين اخرجتامن دوائر الحكمة البشرية : هيجات امتويها . وفي انكلترا كان البغض الديني والسياسي واسطة صدت اجتهادات البلاط المصروفة في سبيل جعل اتحاد نسبي بين العائلتين المالكتين . والتزم الملك جيمس الاول ان يخالف ارادة امتهِ عندما حاول ان يجعل بكرهُ يتزوج بنت ملك اسبانيا . وكان الدوق اوف بوكنهام مبغوضاً عند الناس غير انهم احبوهُ عندما عاد من مدريد عاصمة اسبانيا وقال في المجلس العالي انهُ كان علة عدم نجاح عقد الزواج المذكور . وظهر شيء من ذلك البغض في انكلترا عندما اخذت امبراطورية اسبانيا العظيمة في ان تسقط بالتجزي . وجاهر الاسبانيول بالعدوان عندما وجدوا ان معاهدة لوا التي عقدت بين الملك وليم الثالث الانكليزي والملك لويس الرابع عشر الفرنساوي لتصغير اسبانيا وترجيعها الى حدودها الطبيعية . ولم يرتض الانكليز بشيء قدر ارتضائهم من صرف سفير اسبانيا باحتقار من انكلترا لانهُ اقام الحجة على تلك المعاهدة . ومما يدل على العدوان الشديد الذي جرى بين البلدين اجراءات بيتار بورو في الحرب المساة بحرب الارث في اسبانيا والاستيلاء على جبل طارق والمنازعات بين انكلترا وفيليب الخامس بشان حق انكلترا بان تقوم بتجارة في بلاد اسبانيا في امركا

ومن المعلوم ان الدولتين كانتا عرضةً لحروب متواصلة من جرى عدوانهما الى ان اقام الامبراطور نابوليون شقيقهُ جوزف على عرش ملك اسبانيا . وكن قد تناسى العدوان الديني . وكان يصعب على الناس ان يحكموا بان اسبانيا الضعيفة في البلاد التي لم تبلغ دولة من دول الدنيا ما بلغتهُ من النفوذ منذ سقوط الدولة الرومانية . وكانت الثورة الفرنسوية قد شغلت اوربا بمضادات سياسية عظيمة كالعدوان الذي جرى بعد قيام المنازعات البروتستانتية والكاثوليكية وفي ذلك الزمان نسي الناس كل الخلاف الديني والتهوا بالخوف من فرنسا وفي النهاية اتحدت اشد الدول تمسكاً بالكثلكة واشد الدول تمسكاً بالبروتستانتية اي انكلترا واسبانيا واقامتا بحرب واحدة كان نصيب اوربا متوقفاً على نتائجها . وقد تقررت الصداقة بينهما بعد ان حاربتا بالاتحاد وكثيراً ما رأت هذه البلاد الانكليزية انهُ من المفروض عليها صيانة اسبانيا لانها اضعف منها . وقد تسابقنا نحن والفرنسويون للحصول على النفوذ الاول في بلاط اسبانيا وطالما افرغنا جهدنا في جعل حزب انكليزي فيهِ . اما في الاستقبال فلا نهتم بذلك لانهُ ليس لنا غرض غير نجاح اسبانيا . ولا نخاف الآن ان ينشأ ضرر لنا غير تمسكها الكاثوليكي فان زمان الحروب الدينية قد مضت ولو ظهرت امور قليلة غير جوهرية تدل على وجود اثر لها

الاقدام او النشاط

(من قلم جرجس افندي ميخائيل نحاس)

من المبادي الصحيحة في الانسان النشاط وهو اساس النجاح وعنصر مادي وادبي وقاعدة الامال والاعمال وعليهِ مدار الترقي والفلاح وركن للاشغال الخصوصية والعمومية وعمود التقدم والبلوغ بهِ الى درجات العز والسعـادة . والارتقاء بواسطتهِ الى معارج الحكمة والسيادة . وهو من اصح القواعد الادبية والمادية ومن مباديهِ اكتساب المعارف والحصول

على اسباب التقدم الادبي والشهرة المدنية ومنهُ تتفرع بقية العناصر المادية فيستعين البعض بمعلوماتهِ التجارية على النشاط السريع ويبذل كامل الجد والاجتهاد لتحصيل قوة البارع الى الغرض المطلوب ويستند البعض الاخر بمعارفهِ الادبية على كال النشاط فيبادر الى ايضاح افكارهِ ويهتم لقصد شراكة تلغرافية للحصول على الاخبار المفيدة فينشرها على صفحات جريدة عمومية تبث افكار الجمهور وتنشر اراء العموم مع قطع النظر عن الحصول على فوائد اخبار العالم · فهذه هي نتائج النشاط وقد اتخذهُ الشرقيون اساساً لا يعتريهِ انقراض ولا يشوبهُ خلل وعليهِ قد سارت الاشغال على قدم النجاح ادبياً ومادياً فبزغت اشعة شمس التقدم والنجاح وقشعت عن ابصارنا غيوم الجهل الفضاح · والنشاط هو مبدأ راهن سديد لا نهاية لهُ بذاتهِ لانهُ اساس كل عمل ذي نجاح والمقصود من ذلك هو ان البعض ممن يكونون اخذين بالتقدم بواسطة النشاط وبالغيرة الى رتبة متمايزة عند البعض الاخر ويغرهم روح الكبرياء والعنفوان فيذهب بهم الى اقصى درجة ويتركون هذا المبدأ الوحيد ويتكلون على ذواتهم قائلين فلتات الاشغال كيفما مست التقادير فيبيت عنصر نشاطهم في خبر كان · واما النشاط فعند الغير لا يعتريهِ ذلة ما ولا اسباب من شانها ان تضر بصوالحهِ الداخلية والخارجية فيكون راسخاً متيناً في الاعمال وعلى ثبات دائم · ومن يتخذ النشاط دستوراً لاعمالهِ ياتيهِ بمنافع جمة وبعكس ذلك يخسر كل اسباب الراحة والحظ والتقدم والنجاح بل يلبث يخبط في الدنيا خبط عشواء · وسعادة الانسان متوقفة على اهم الواجبات الادبية والمادية فاذا كان لا بد من النشاط فيكون ذلك من اهم الواجبات · ولا ريب انهُ يلزم للحصول عليهِ وسائط كثيرة فعالة ومن يعلم انهُ مع استعمال تلك الوسائط يكون مبدأ النشاط اخذاً بالدنو من الانسان بسرعة بحسب اجتهادهِ وجدهِ ومن جزاء النشاط المكافاة والاعتبار فان الملك لويس الرابع عشر اقام بعمل خطير جداً وكاد يقلل اعتباره عند عموم الشعب فانهُ نظراً لنشاط احد قوادهِ المتقدمين بالجندية كان ذهب عند دنو ساعات انفاسهِ الاخيرة الى مخدعهِ ليلاً ليسليهُ ويعزيهُ ويقوم بمكافاتهِ وكان القائد مصاباً بالطاعون فعبثاً كانت جماعتهُ تحرضهُ على عدم الدنو منهُ لئلا يصاب بهِ واخيراً قال انهُ لا بد من القيام بمكافاة هذا القائد النشيط فانهُ اقام باعمال جميلة عندي في المنزلة الاولى من الاعتبار ونشاطهُ يستدعيني رغماً عن صولجاني الملوكي ان احضر وادنو منهُ واتزود منهُ نظرة مقدماً لهُ اعتباري ومحبتي وهكذا دنا من فراشهِ وحياه بالسلام وقدم لهُ التعزية ولبث عندهُ الى ان قضى نحبهُ وحينئذ تقدم اليهِ وقبلهُ قبلة الوداع وخرج باكياً · فهذا مما تنبئنا عنهُ التواريخ ومن لا يندهل عندما يروي اخباراً كهذه من شانها القاء العجب عند ابصار مطالعيها فهذه هي مكافاة ذلك القائد واعتبار الملك لهُ اعتباراً اقام بهِ بشهامة وكرامة اخلاق · فلماذا ياترى نرى العجب الغريب عندما نشاهد عند ابناء الغرب الصناعة المزخرفة جداً والاختراعات المدهشة والفنون الجميلة والقيام باعمال مهمة والحركة المادية الدائمة اما ذلك من نتائج النشاط وفوائدهِ فتراهم لا يجلون عن ايجاد وسائط شتى للقيام باختراع يقتضيهِ النفوذ والرضى العام · وقد سلك بذلك من قديم الزمان ملك قاطني الشرق وتفرغ حينئذ الشرقيون من القيام بالاعمال ذاتها واستلم ادارتها الغربيون الذين ندعوهم بالافرنج اما الان فالنشاط عندنا من اعظم المبادي واصح القواعد وهو اساس التقدم في اعمالنا وقد اصبحنا في وسط قرن متمدن

يدرك مفاعيل النشاط وفوائدهُ الكثيرة وهو قرننا القرن التاسع عشر. عصر الاداب والتمدن . عصر العلوم والمعارف . عصر المعاضدة والاتفاق . عصر النجاح والفلاح . عصر الاختراع والفنون . عصر المحبة والسلام . عصر التمييز والادراك . عصر النشاط والاجتهاد . عصر الغنى والسعادة . عصر الحرية والمساواة. عصر الاصلاح . عصر القوة الادبية والمادية. وعصر البلوغ الى درجات العز والافتخار والانتا بالشهرة الادبية الى اعلى درجات الكمال والاعتبار فهذه هي كل فوائد النشاط ونتائجهِ البليغة وقد ضربنا صفحاً عن ذكر بعض النتائج الادبية الناتجة عن النشاط التي لا تخفى على حذاقة المطالع . ومن دعائم النشاط اتخاذ الوسائل الفعالة لوقاية المصالح الادبية والمادية فان خسارتها تضعف قوة النشاط وتزيد في الانسان حاسيات الخزي والفشل وحينئذ لا ينفع الندم بعد ما تزل القدم وروابط النشاط هي غريزية في الانسان اذا ما طرأ عليها عارض مادي يحل قواها وهي شتى منها تقدير حوادث المستقبل وتقريرها بنوع حسي ومقابلة احوال الماضي بالاحوال الحاضرة وتعتبر هذه الروابط بقواعد اصولية من شانها ان تهيج قوة النشاط وتزيدهُ حركة مادية غير قابلة التغيير ومن ثم لا نحكم حكماً صحيحاً على هذه القواعد بانها اساس النشاط لانها موجودة عند البعض ولا توجد عند البعض الاخر ومن البعض من عندهُ واحدة منها وقد يعوض عن بعضها بقواعد اخرى ضربنا الصفح عن ذكرها خوفاً من الاسهاب

فمصدر تقدمنا اذاً النشاط وهو افضل منهج يتخذهُ الانسان على سبيل الحكمة والتعقل وهو عندنا وفي كل من ابناء الشرق كما هو مقرر انهُ من اعظم المبادي الصحيحة في الانسان عند ابناء الغرب ولهذا لا نرى بدّاً من ان نقررهُ في صفحات جريدة من دابها نشر افكار الجمهور ولا يتيسر لنا القول باكثر من ذلك حباً بالاختصار

والنشاط هو سلم يرتقي بهِ الانسان الى اعلى مركز من مراكز الاداب والتمدن والتمتع بواسطتهِ بالاحوال المادية العظيمة والكسل هو عكس النشاط فانهُ يحمل التاخر الادبي والمادي مالكاً البلاد ويسود على كل وسائل النجاح والتقدم لانهُ من المبادي التي من شانها ان تضر بالصوالح الافرادية او العمومية وقاعدة التاخر الدائم ولا بد من انهُ قد نزح من بلادنا ولا سبيل لهُ للرضوخ فيها وشاننا ان نفتخر بالنشاط وتجنب كل اسباب الكسل لئلا يعود فيرفع رايتهُ في بلادنا حال كون تقدمنا يشهد لنا بالفوز والانتصار عليهِ ومن ثم لا نخاف ذلك لاننا نعلم ان رايات نشاطنا وفوائدهُ وهي نجاحنا وفلاحنا وتمدننا وادابنا ومعارفنا وعلومنا واتفاقنا وعدم انشقاقنا قد رفعت في عصر يزيد تقدماً كلما كرت عليهِ الايام وقد راينا من الواجب ايضاح ذلك لنفتخر على الذين افتخروا ولا يزالون يفتخرون علينا وهم الاوربيون وقد عرفوا ذلك من مدة ليست بقليلة ومن الذين يقولون انهُ لولا مداخلة الاوربيين في اعمالنا وتجارتنا وصناعتنا لما كنا في هذه الدرجة من التمدن فيشق علينا ذلك ويتعظم الامر عندنا والحق ان يقال كما انهُ مغروسة في انفسهم حيثية الادراك والمعرفة والتمييز هكذا هي مغروسة في انفسنا لانهم بشر نظيرنا وليس باكثر من ذلك غير ان القوة المادية التي عندهم والتي هي العنصر القوي لنشاطهم ومساعدتها لهم على التقدم علينا لا يوجد عندنا ولا قيراطٌ واحدٌ منها وهذا هو السبب الوحيد الذي يجعلنا نقول ذلك هنا ولا حاجة الى ايرادهِ في هذا الباب لانهُ معلوم عند الخاص والعام ولا يجهلهُ احد منا مطلقاً وكلما زاد افتخار الافرنج علينا نذكرهم بايام اباتنا

واجدادنا قاطني الشرق و باقتباسهم منهم كل الاشياء التي من شانها تجعل اسباب الافتخار والتقدم وهي الصناعة المتقنة مع سائر الاختراعات القديمة وهم انفسهم لا ينكرون ذلك لانهم عرفوا ان نجم السعد كان قد غاب من المشرق وحلّ في اواسط المغرب واقتلع من اراضينا كل المغروسات العظيمة اي جوهر الاحوال الادبية والمادية وهذا غير خافٍ لدى من يطالع التواريخ القديمة

المطبعة المصرية ومعمل الورق

(من ادارة الجنان والجنة في مصر)

زرت منذ بضعة ايام جناب عزتلو حسين بك حسني ناظر مطبعة بولاق ومعمل الورق المصري فانهُ كان معي تحرير من احد انسباءي السوريين فترحب بي واخذ يجول معي اولاً في دائرة المطبعة التي فيها من الفعلة نحو مائة وعشرين وقد قسموا الى اقسام ورتب وقد رايت في المطبعة ما لم اكن انتظر ان اراهُ لاننا تعودنا في سوريا ان نرى المطبوعات القديمة التي كانت تخرج منذ سنين من هذه المطبعة وليس لها من نظافة الورق والحرف والتجليد ما يجعلها مقبولة للناظر غير ان حالة الطباعة قد اختلفت كثيرًا في هذه السنين وتقدمت تقدمًا عظيمًا فكادت تكون كاحسن مطابع اوربا واكبرها لان البناء قد اتسع جدا وعدد الفعلة قد ازداد وقد اصطلح على احرف عربية جميلة وهذه الحروف تصب كلها في دائرة المطبعة ومنها من هو كبير بالافرنجي وباحرف عربية مغربية شبيهة بالكوفية وقد اصطلحوا في هذه المدة على ادخال التصوير الى كتب الكيميا وعلم الالات وغير ذلك وعلى نقل اكثر الصور بواسطة رسم الشمس ثم الحفر وقد رايت من الصور ما هو من كل الاتقان ونظيف جدًّا وكل المطابع وكل آلات قطع الورق وغيرها تدور بواسطة الالات البخارية العظيمة والعمل جارٍ بهمة وسرعة والمطلوب كثير جدًّا . ومما يستحق الذكر انهُ ليس رجل اجنبي في كل دائرة المطبعة فان جناب رئيسها الحاذق الجامع من المعارف والاختبار ما لا يسمح لنا ضيق المقام من اظهار كل صفاتهِ الكريمة حتى اصغر الفعلة هم جميعهم عرب ولكثيرين منهم معرفة في اللغات الاجنبية وتطبع فيها اوراق تذاكر الحكومة والمرور والسندات والطارق الحديدية للسفر وكثيرٌ غيرها من الاوراق . وهي حقيقةً مطبعة بولاق المشهورة . واهم ما اقصد تقريرهُ بواسطة جرائدكم خبر معمل الورق العظيم ولم اكن انتظر ان اراهُ فان فيهِ نحو خمسمائة فاعل ودائرة هذا المعمل كبيرة جدًّا ومتقنة الالات والشغل جارٍ فيهِ بكل نشاط ويصنع من كل انواع الورق الذي يصنع في اوربا من الورق السميك جدًّا المعروف بالكرتون حتى ورق البريد الرقيق جدًّا ولهُ قياسات كثيرة بحسب الجنس والطلب ومن كل الالوان الزرقاء والحمراء والصفراء والخضراء وبالاختصار من كل نوع ومن قشور الموز ومن الذرة ويصنعون اوراقًا بالايدي وهي قوية جدًّا تكاد تكون كالقماش ومنظر الات هذا العمل ما يدهش فانها كبيرة وجميلة جدًّا . والمعمل والمطبعة يختصان حضرة صاحب الدولة الامير ابرهيم باشا اصغر انجال الحضرة الخديوية السنية . وقد تأكدت انهُ بهمة جناب عزتلو حسين بك حسني ناظرها اصبحت وارداتها نحو اربعة عشر الفًا من الليرات الانكليزية سنويًا بعد المصاريف الكثيرة . وهذا ربح عظيم ومن الامور التي تستحق الاعتبار وتنشط الضعفاء من ابناء بلادنا وفي المعمل ايضًا كالمطبعة ليس فاعل او مهندس او وقاد او ناظر افرنجي بل الجميع عرب فهذه من مآثر واعمال الجناب الخديوي اسماعيل المعظم الذي اخذ همة

جناب حسين بك حسني الى اوربا فمع استعداده الطبيعي واختباره العملي رجع فاتقن الادارتين العظيمتين الفاضلتين . ولم تزل اعماله تتقدم وتزداد رونقًا حتى اكتسب ورق معمله الشهرة في كثير من الاقطار وصار يطلب الى بعض بلدان من اوربا وتصانيف المطبعة تزيد الناس معرفة وحكمة وتاتي بفوائد جمة

البرد الخديوية المصرية

(من ادارة الجنان والجنة في مصر)

من المعلوم انه منذ اخذت الحكومة الخديوية المصرية في تغيير ما كان باقيًا من الدوائر القديمة وصرفت من المال والزمان ما هو كثير جدًّا للحصول على التغييرات والتشكيلات الموافقة لروح العصر اهتمت ايضًا اهتمامًا خصوصيًا لم يكن ينتظره سكان مصر الذين كانوا قد تعودوا عدم الضبط في كثير من الامور لاصلاح حال ادارة مراكز البرد (بوسطات) وسهلت المراسلات والمواصلات وقد اقامت الحكومة الخديوية دوائر كبيرة متسعة جدًّا لتكون مراكز البوسطات في مصر والاسكندرية وبورت سعيد حيث يوجد مراكز متسعة لائقة بان تكون دوائر لولايات وكل مكان مهم وقد اهتمت بايجاد قوم بهم اللياقة للقيام بهذه الادارات وقد عرفت كثيرين منهم وهم على جانب عظيم من الرقة واللطف والمعرفة في ابرام الامور بسرعة يقتضيها المقام . وللتوضيح للقاري الذي لم يرَ مثل هذه الدوائر اقول انه في دائرة مصر مثلاً محل مخصوص لبيع اوراق الطوابع ووزن التحارير والجرائد وغيرها وهذا المحل مفتوح في النهار كله وثلث الليل وفيه متوظفون مخصوصون يتناوبون المركز كل بضع ساعات . ثم محل مخصوص لتوزيع التحارير المضمونة ثم محلات مخصوصة للرئيس وافوكاتيه وللكاتب الاول الافرنجي واخر للمدبر العربي واخر لقبول الصرو تسليمه والتخليص عليه واخر لاخذ كتابات ومحررات الحكومة والمتوظفين فيها وتوزيعها واخر لتوزيع التحارير العربية وثلاث غرفات اخرى لتوزيع التحارير الافرنجية منقسمة من حرف A الى F ومن حرف G الى N ومن O الى Z ولكل غرفة من غرف توزيع الجرائد والتحارير ماموران يتناوبان بالساعات ومحل مخصوص فيه نحو ٢٠٠ صندوق للمشتركين الذين يدفعون شيئًا معلومًا سنويًا لحصولهم على اوراقهم قبل الاخرين بربع ساعة او اكثر . وهذه الغرف كلها تفتح على شارع به رواق يصون الناس من الرطوبة ليلاً اذا انتظروا ومن الحر واشعة الشمس نهارًا . وفي النهار ثلاث بوسطات تسافر من مصر وكذلك من الاسكندرية واكثر الجهات التي تمر فيها سكة الحديد اكثر من مرة في النهار فكثيرًا ما يستغني الانسان عن المراسلات البرقية لانه في برهة ١٤ ساعة يقدر ان يوصل ٣ تحارير للمراكز المهمة والثنوية من داخلية البلاد . ومن المعلوم ان البوسطة المصرية قد اتفقت بمعاهدة برن وهي التي تستلم في داخليتها كل المراسلات وتضع عليها الطوابع بعد اخذ الاجرة وتوصل ما هو برسم بلادها وتسلم في الاسكندرية وبورت سعيد والسويس ما كان برسم كل العالم ولا يتاخر شيء ولا يضيع فحريرون الجميع اسمع ثناء ومدحًا : هذا ولما كان ضيق المقام لا يسمح بنشر كل التفصيلات المتعلقة بادارة البوسطة المصرية اكتفينا بهذا القدر تاركين ما تبقى لفرصة اخرى

الكرة الارضية

(من قلم سليم افندي بستاني)

قد نشرنا في الجزء الماضي كلامًا مطولاً عن

الكرة الارضية وبعد التمهيد ابنا الزمان الاول ومتعلقاته واوصافه وتاثيراته وقلنا ان الارض كانت بدون مخلوقات عضوية اي حيوانية ونباتية وما ذلك الا من جرى شدة الحرارة التي لا ينمو فيها مخلوق عضوي وذكرنا ايضاً ما عرض على سطحها وفي جوها وبطنها وغير ذلك ولسهولة فهم ما يتقرر في هذه الجملة لابد من ان نذكر ما تقرر في الجملة الماضية عن الزمن الاول وغير ذلك وما تقرر ايضاً في جمل اخرى سابقة مما يتعلق بالكرة الارضية . ولا ينبغي ان يبرح من بال المطالع ان علماء طبقات الارض لم يشاهدوا ما وصفوهُ مما نقلناهُ عنهم واوضحناهُ توضيحاً ليس من العادة في الكتابات العلمية القيام بهِ فاننا نوضح الناموس الطبيعي عند ذكرهِ ولو كان من غير متعلقات علم طبقات الارض ليدرك المطالع المعنى ولو كان غير متعلم العلوم ولكنهم راوا اثاراً تدل على ذلك فعرفوا بحدوث طوفان غطى وجه الارض بوجود رسوبات مائية في محلات مرتفعة وفي داخلية اليابسة اي انهم راوا حجارة ملساء واجتماعات رملية ونباتية وغير ذلك وبقايا اسماك موثرة في الصخور في محلات مرتفعة عن سطح البحر في داخلية اليابسة فاذا راينا صخراً في وسط البحر ورابنا عليهِ رماداً وحطباً قد احرق بعضهُ او احدها نحكم بانهُ اضرمت عليهِ نار ولو كان في وسط المياه واذا وجدنا جزيرة مقفرة ووجدنا فيها عظاماً بشرية نحكم بانها كانت ماهولة اذا وجدناها مدفونة اوانها مكان ياكل البرابرة فيهِ البشر . وهكذا علماء طبقات الارض راوا اثاراً او غير ذلك فحققوا عن النتائج فحكموا بالاصل بالترجيح وفي اكثر الامور حكموا قطعياً فراوا عظام حيوانات ضخمة عظيمة فجمعوها وربطوا بعضها بالبعض الاخر واضعين كل عظمة في مكانها فاصبحت حيواناً عظيماً مجرداً من اللحم لان لحمهُ بات بالياً ولم يجدوا مثلهُ في هذه الايام فحكموا انهُ من الحيوانات التي انقرضت . ووجدوا اثار حيوانات ونباتات كثيرة ليس مثلها الان لان الظاهر ان الدنيا امست في حالة طبيعية لا توافقها او غير ذلك فانقطع نوعها ولولا اثارها لما عرفنا بوجودها ويستنتج من ذلك امر مهم وهو ان مخلوقات العالم الحيوانية والنباتية لا تبقى واحدة بل ينقرض بعضها ويخلق بعضها بعد انقراض ما ينقرض فان الله سبحانهُ وتعالى لا ينفك عن العمل وعدم وجود اثر للانسان معاصر لاثر بعض تلك الحيوانات دليل تاخر خلقتهِ وكذلك غيرهُ من الحيوانات . وما من شيء يوضح هذه الامور ولا سيما للذين لم يطالعوا منها غير تقريرات عمومية كالاثار الموجودة في معارض اوربا فانها شواهد تشهد بصحة هذا الكلام

هذا ولا يخفى ان اشعة الشمس لا تصل الينا الا بعد ان تخرق الهواء والبخار واذا تكاثف الغيم تحجب عنا ولا يصل غير شيء قليل من نورها يخترق طبقاتهِ كما لو وضعنا ورقة بين اعيننا وبين مصباح فنرى نورهُ ففي الزمان الاول كانت الحرارة شديدة جداً لم تظهر معها الحيوانات العضوية وكانت من الجو ابخرة كثيرة كثيفة مختلفة الطبائع وكانت ناشئة عن شدة حرارة الارض حتى ان الحديد كان بخاراً وكانت هذه الابخرة مانعاً يمنع وصول اشعة الشمس الى الارض اكثر مما يمنع بخار الماء وهو الغيم اشعتها عن الوصول الينا وكان ذلك دائماً ولم يكن على سطح الارض نبات ولا حيوان ولذلك لا نرى في بحار ذلك الزمان الا طبقات ليس فيها نبات ولا اثر حيوان . وكانت الارض تزداد تبريداً وكانت الامطار المستمرة تنقي الهواء الى ان تجهد اكثر الابخرة التي كانت تحجب نور الشمس وتوصل اشعة الشمس الى سطحها . ومن المعلوم ان يابوين هطل الامطار

ووجود البخار في تلك الايام هو كناموسها في ايامنا هذه فان النواميس لا تتغير وكان يتم هطل المطر بتبريد البخار المائي الذي كان في الجو فيصير ماء بالتبريد كما يصير البخار الذي يعلق بغطا القدر او المرجل ويصير ماء سخناً لانهُ يبرد قليلاً بملامسة الغطا فيتحول من بخار الى ماء واذا رفعت الغطا ياخذ في السقوط وكذلك كان المطر يسقط فيتصل الى سطح الارض فيتحول بحرارتها الى بخار بسرعة والان بعد ان يبرد الهواء بواسطة ذكرناها في الماضي ولا يلزم ان نعيدها يظهر على هيئة غيم اي ان بعض اجزائهِ تقترب من البعض الاخر فيرى بالعين وعندما يثقل بزيادة التبريد ولا يقدر الهواء ان يحمله يسقط مطراً غير انهُ لا يتحول الى بخار بحرارة الارض كما في الزمن الاول ولكن بحرارة الشمس وهذا التحويل يتم بالتتابع وليس دفعة واحدة

فعند وصول اشعة الشمس الى سطح الارض بزوال البخار الحاجب خلق الله تعالى نباتات وحيوانات بحرية وهذه هي بداية الزمن الثاني الذي ذكرناهُ في الجملة الماضية وقلنا ان للارض اربعة ازمنة على ان تلك المخلوقات الاولية كانت بحرية ذات بنية بسيطة وليس كحيوانات زماننا ونباتاتهِ لان الارض لم تكن قد تهيأت لتقوم بمعاش كائنات عضوية كالموجودة في هذا الزمان ولذلك كانت كائنات الزمن الثاني المذكور مخالفة لكائنات هذا الزمان وكانت كلها من الرتب البسيطة التركيب كالحيوانات ذات الفصوص الثلاثة المسماة بالافرنجية تريلو بيت وهي من الجنس القشري المختص بالارض العتيقة وكذلك الحيوانات الرخوة والحيوانات النباتية وهي من ادنى الطبقات فكانها نبات مع انها حيوان ومن الحيوانات النباتية ما لم يحكم بعد قطعاً بكونها نباتاً او حيواناً . ومن نباتات ذلك الزمان انواع السرخس والكبريت النباتي ونباتات من ذوات الفلقة . وكانت طويلة جداً كثيرة تغطي كل نقط الارض وهي اصل معادن الفحم الحجري الكثيرة التي تدار بها كل القوات البخارية في عصر البخار الحالي فان تلك النباتات الكثيرة الضخمة طمرت وتحولت الى ما هي عليهِ وحفظها الله سبحانهُ وتعالى لخدمة الانسان في هذا الزمان .

وفي هذه النباتات كثير من حامض الكربونيك فانها امتصتهُ من الجو في ذلك الزمان وكان كثيراً فيهِ ونمت وتحولت الى فحم ثم جاءت احوال الزمان الثالث ودفنتها فطمرت حتى صارت فحماً وحفظت في الارض ومنها ما هو ظاهر على وجهها كالمعادن في جبل لبنان وظهورها ناشئ اما عن ارتفاع الارض بقوة دافعة فصارت جبلاً فرقت القشرة التي كانت تغطيها بمرور الزمان الحاضر او غير ذلك فلم يصر رسوب قشرة سميكة فوقهُ فظهر . وهذا هو اصل الفحم الحجري الكثير النفع

وقد قلنا ان قشرة الارض تمزقت في بعض اماكن في الزمن الاول وكذلك في الزمان الثاني لان تلك القشرة كانت تصد البخار والغازات المنحصرة عن الصعود من بطن الارض فكانت تتراكم في بعض المحلات الى ان تتمكن برفع الصد والخروج بتمزيق القشرة الصادة . ولم تكن الانفجارات الغازية المذكورة قوية بسبب رقة القشرة الارضية وسهولة تمزيقها ولذلك لم يتكون في الارض غير تمزق وتموج بدون ارتفاع جبال عظيمة لا يتم ارتفاعها الا بقوة لم تكن تجتمع في ذلك الزمان لانهُ قبل اجتماع قوة كافية لذلك كانت تتمزق القشرة فتخرج المواد المنحصرة ولم يكن على سطح الارض اغوار كالتي قد اجتمعت مياه بحارنا فيها في هذا الزمان فيستنتج من ذلك ان بحار ذلك الزمان كانت اقل عمقاً من بحار زماننا وهو الزمان الرابع

اما البرك او البحيرات الصغيرة فكانت اكثر عدداً واتساعاً مما هي الآن لان سطح الارض كان مستوياً اكثر من استوائهِ الحالي . فلم يكن عليهِ غير تلال قليلة فكانت اكثر مياه الامطار تبقى على الغلب نتط الارض فتتكون منها برك قليلة الغور كثيرة الاتساع وبرهان ذلك ان الفحم الحجري تكون في الزمن الثاني وتكونت الارض الفحمية في البرك وليس في البحار وبراهين ذلك تاتي في مكانها

ومن المعلوم ان الحرارة عنصر النمو والبرودة ضده ففي الزمن الثاني كانت لا تزال شديدة بالنسبة الى حرارة هذا الزمان فكثر النبات وكان نموهُ عجيباً وما زادهُ نموًا تساوي الحرارة في جميع الفصول فان النبات في البلاد الحارة اعظم من نبات البلاد الباردة والمعتدلة ولم يكن في الزمان الثاني المذكور حيوانات من التي تعيش برعي العشب فكانت تكثر جدا وتتراكم وتجتمع في البرك اي مجتمعات المياه . وهذه المحوظات تظهر تكون الفحم الحجري وهي تثبت ان البرك لم تكن عميقة وانها كانت كثيرة

وكانت بعض المياه كثيرة المعادن وهي سائلة مثلها وكانت فيها مواد غريبة اكثر من المواد الحالية في المياه المعدنية فكانت تجري وتتكون منها رسوبات كثيرة وتذيب في بطن الارض مواد معدنية كثيرة لتعرضها لحرارة وضغط عظيمين ومن المعلوم ان سبب الزلازل انحصارات ناشئة عن مواد باطنية وقد ذكرنا سببها واصلها الحرارة فلا ريب في ان تلك الانحصارات تكثر بكثرة الحرارة وتوثر في قشرة الارض كلما كانت رقيقة ولذلك كانت الزلازل والارتفاعات الناشئة عن قوات النيران الباطنية اكثر منها في هذا الزمان ولم يكن في الاندفاعات الناشئة عن الجبال النارية لهيب ودخان ولا غير ذلك مما يميز الجبال النارية في هذا الزمان

وفي ابتدا الزمن الثاني المذكور اخذ ارتفاع الجو وضغطهُ في ان ينقصا حتى صار نصف شفاف والشفاف هو ما يرى ما وراءهُ كالزجاج . وعند وصول نور الشمس الى سطح الارض اثر فيها اعظم تاثير ونقصت درجة حرارة الماء وقلت المواد المحية التي كانت فيهِ فازدادت الاراضي تحته باضافتها اليهِ . وخلقت كائنات عضوية في جو حار رطب مظلم كثيف فعند حدوث ذلك التغير الناشي عن تلطيف الجو ووصول نور الشمس الى سطح الارض ماتت تلك المخلوقات وامست اثارها في الحالة الحفرية وكان تبارد سطح الارض واسطة لتنوع النباتات والحيوانات بالتتابع واستمر هذا التنوع جارياً الى ان خلقت النباتات والحيوانات الموجودة في زماننا . وقد قلنا ما يبين ان نباتات عصرنا وحيواناته لم تكن موجودة منذ البداية ولكن كان قبلها غيرها فانقرضت بالتغيرات المهمة الطارئة على الارض والجو وكان قبل هذا غيرها ما هو اقدم منها فانقرضت ايضاً

وهكذا قد ظهر خلق نوع بعد انقراض نوع اقدم منهُ وهذا هو التناسق الخالقي الذي جاء بالانواع المختلفة وفي الزمان الموافق التابع لزمان تلك المخلوقات القديمة خلق الله سبحانهُ وتعالى الحيوانات الزاحفة والاسماك ونباتات الفصيلة المخروطية وغيرها . ومن البراهين الدالة على ان الحيوانات الثديية كالثيران والماعز والانسان وغيرها من ذوات الثدي الكثيرة والنباتات من ذوات الفلقتين لم تكن موجودة في الزمن الثاني لعدم وجود اثرها في اراضيهِ مع وجود اثار كثيرة لحيوانات مختلفة ونباتات كثيرة

وفي زمان تكون الارض الثانية اي في الزمان الثاني ابتدا بخلق انواع الورل الكبيرة وهي كالضب وكانت ضخمة جداً وقوية حتى تغلبت على حيوانات

اخرى وانقرضت حيوانات هذا النوع الضخم كلها قبل تكون الارض الطباشيرية وترى فيها انواع اخرى من الحيوانات البحرية وفي زمن الحجر الجيري خلق الله سبحانه وتعالى زواحف اصغر من الاولى ولكنها ذات اطراف ظلفية فتصلح للمسير على الارض واجنحة غشائية شبيهة باجنحة الخفاش وكانت تطير بها

وهكذا قد راينا الزمن الثاني الذي هو موضوع كلامنا الماضي لم يكن فيه حيوانات ارضية لانها لم تكن تقدر ان تعيش فيها من الحرارة والغازات وغير ذلك . ففي المدة الاولى من الزمان المذكور كانت اكثر الحيوانات من القشرية ومن الاسماك . وفي المدة الثانية من الزمان الثاني المذكور خلقت الزواحف ؛ والحاصل ان الزمان الاول لم يكن فيه حيوانات ونباتات بل هيا الله الارض بالوسائط المذكورة لتصير موافقة للكائنات الحساسة النامية فبردت وجمد بعضها حتى تكونت قشرها وابتدا فيه المطر ذو الماء الحار واخذت غازاتها في التكاثف . وفي الزمن الثاني المذكور اعلاه خلقت حيوانات قشرية واسماك وفي المدة الثانية منه خلقت الزواحف فهذه اعادة مختصرة لما تقدم في الجزء الماضي وفي نفس هذه المدة لنذكر المطالع بما تقرر بالاختصار قبل الشروع في مطالعة احوال الزمن الثالث

الزمن الثالث

وفي الزمن الثالث خلق الله تعالى كائنات عضوية جديدة منها الحيوانات الثديية اي التي ترضع اطفالها . وكانت كثيرة العدد على سطح الارض . فالحيوانات الثديية الاولى التي خلقت في هذا الزمان كانت ذات جلد غليظ وكونت في المدة الاولى من الزمن المذكور . وفي المدة الثانية والثالثة من الزمان الثاني المذكور كونت حيوانات ثديية قد انقرضت ووجد الناس عظامها وركبوها فوجدوا انها كانت ذات جثة ضخمة جدًّا عجيبة وقد ركبوا عظام بعضها وجعلوها في بعض معارض اوربا ؛ على ان اكثر الانواع التي خلقت في المدة الثالثة من الزمن الثالث لم تنقرض اي انها لا تزال موجودة . وخلق الله تعالى زواحف اخرى كانواع السمندل وخلق ايضًا بعض الطيور

وكان في البحار حيوانات كثيرة تختلف عن حيوانات عصرنا الحالي خلا حيوانات رخوة كانت تملا بحار ذلك الزمان والحيوانات الرخوة ذات القوقع النباتي تشبه الحيوانات الرخوة الموجودة في زماننا

وفي هذا الزمن وصلت الحيوانات الى درجة عالية جدًّا من النمو وكانت الحيوانات الصغيرة الرخوة كثيرة جدًّا في البحار حتى انه تكونت ارض من بقاياها سمكها مائة وخمسون ذراعا . اما نباتاته فهي كنباتات عصرنا . ولم تظهر فيه تاثيرات الحرارة المركزية لان قشرة الارض اكتسبت سماكة منعت ذلك وظهر تاثير الحرارة الشمسية . اما درجة الحرارة على وجه الارض فكانت حينئذ كدرجة حرارة خط الاستواء في هذه الايام

وكان المطر غزيرًا فيه فتكونت الانهار وسوبات ماء عذب . وتعالت الطبقات المحتوية على الكائنات العضوية البحرية والكائنات العضوية المختصة بالماء العذب من بداية الزمن الثالث . وفي نهايته فرزت اليابسة عن المياه التي استقرت في اماكنها الحالية وصار سطح الارض على ما هو عليه الان

الزمن الرابع

ان الزمان الرابع مهم جدًّا وربما كانت احواله اوضح من سائر الازمان وهو الزمان الذي نحن فيه ومن حوادثه المهمة الطوفان العام وهو غير الطوفان الذي جرى بعد ان خلق الانسان فانه لا اثر للانسان

فيه وتنسب اليه اكثر مغارات العظام الحيوانية الثديية الغليظة الجلد والمجترة وآكلة اللحوم وبعض الطيور فانه يظن ان الطوفان اهلكها فانقرضت بعض انواعها فانه لا يظن ان نقصان حرارة الكرة الارضية والضغط الجوي يكفيان لقرض انواع تامة من الحيوانات قوية كثيرة لانه يجري بطيئًا حتى انه لا يشعر به

هذا وقد ذكرنا ان التغييرات التي تطرأ شيئًا فشيئًا على وجه الارض في جهل ماضية وذكرنا بعض الاماكن الآخذة في الانخفاض والآخذة في الارتفاع بوسائط ظاهرة كالجبال النارية والرسوبات البحرية وبوسائط غير ظاهرة كالانخفاض الجاري في بعض سواحل اسوج وهذا يبين ان الارض لا تزال تتغير ولا يستغرب ذلك لان الله سبحانه وتعالى قد جعلها تنتقل من حال الى حال انتقالاً بطيئًا جدًا لا يشعر به منذ البداية حتى وصلت الى ما قد وصلت اليه ولا تزال تتغير وفي تاريخها الطبيعي ما يدل على تغييرات مهمة قد جرت فيها منذ عهد ليس بطويل بالنسبة الى حياتها. وكما ان يد الخالق سبحانه وتعالى لا تنفك عن ان تخلق وتحفظ وتسوس كل الكائنات العضوية بطرق مختلفة مدهشة تقصر المعارف البشرية عن ادراكها لولا معرفة قوته الغير المتناهية وحكمته التي لا تنفك عن مرافقتها فهو سبحانه لا ينقطع عن العمل في عالم الماديات فنرى آثار يديه في الاجرام الفلكية وفي عالمنا فانها مع المحافظة على النواميس العمومية تستمر على التغيير بواسطة التفاوت في مفاعيل تلك النواميس وبالنظر الى تغييرات الف سنة كيوم بالنظر الى الانسان بل اقصر ولا يخل ذلك بتاريخ خليقة الانسان المقررة في التوراة المقدسة لان ستة الايام هي دهور الدهور اولم يبتدأ بذكر الدنيا الا منذ انفصال البحر عن اليابسة في نهاية الزمن الثالث عند ما تهيأت للحيوانات الثديية ووصلت اشعة الشمس اليها بزوال الغازات الكثيفة التي جعلت وجهها في ظلمة فهذه الاوصاف العامة التي ترى في الاصحاح الاول من سفر التكوين توافق احوال الارض بعد ان بردت. ولا يظن انه وصف حالها وهي كتلة ملتهبة ثم مادة عظيمة مظلمة حارة لا يعيش فيها حيوان تدني مما يتعلق بالايمان فقطع النظر عنها وهي على تلك الحال وابتدى بما تقدم الكلام عنه فهذه الحقائق تدهش العقول ولا تخطر لمخلوق ببال الا بعد ان تمهد العقول لها بالمعارف المتقنة المروضة وتنهض الهمم بحب معرفة الحقائق للبحث عن الارض في قشرتها وشقوقها وجبالها للتمييز بين طبقاتها وتقسيم زمانها. ففي كل مدة من مدات الازمان المذكورة تكونت طبقة او طبقات احداها فوق الاخرى ولكل منها اوصاف تختلف عن اوصاف الطبقات الاخرى وهي دليل ازمانها وسيأتي ذكرها ان شاء الله بالترتيب التام فكانها الواح بعضها فوق البعض الآخر وخشب كل منها يختلف عن خشب الاخرى في المواد والتركيب واللون فكل طبقة عبارة عن لوح. فهذه الحقائق مما تستحق التامل والمراجعة في القراءة فانها موضحة ومفسرة تفسيرًا يجعل فهمها سهلاً على العامة

تاريخ فرنسا

في الحكم وان نستشير الحوادث عند جريها. فمن اللازم ان نقوي الجنود عند حدود البورتوغال وان ننتظر. ولست بمرتض بما يأذن سموك الامبراطوري الى اجرائه وهو الدخول الى مدريد والاستيلاء عليها وكان من الواجب ان يبقى الجيش في مكان يبعد عشر مراحل عن العاصمة

وسأقرر الاجراءات اللازمة بعد الآن. والآن اظن ان ما يأتي هو اوفق الاجراءات وهو ان تتعهد عني بمقابلة فرديناند في اسبانيا ما لم ترَ ما يدعوني

الى الاعتراف بانهُ ملك اسبانيا . وان تحترم الملك والملكة والبرنس غودوا . واحترمهم كالعادة واجعلهم يحترمونك ايضاً كما في الماضي . ودبر الامور بحيث لا يعرف الاسبانيول شيئاً من مقاصدي ويسهل ذلك لانني لم اصمم على شيء بعد . وابن للامرا وخدمة الدين انهُ اذا التزمت فرنسا بان تتداخل في امور اسبانيا تبقى امتيازاتهم .وحقوقهم على ما هي عليه . واكد لهم بان الامبراطور يرغب في تحسين احوال اسبانيا السياسية لتكون مساوية للدول الاوربية المتقدمة في التمدن وان يخلصها من نير الحب ومحبوبته واخبر القضاة واهالي المدن والذين يدركون الامور من الاهالي ان اسبانيا محتاجة الى تنظيم حكومتها وان تتقرر لها قوانين لصيانة الاهالي من ظلم اهل الامتياز وتعدياتهم بحيث تترقى اسباب الصناعة والزراعة والفنون .وصف لهم راحة فرنسا والثروة التي تتمتع بها مع انها لم تنقطع عن القيام بحروب عظيمة . وكلمهم عن عظمة الدين الناشئة عن الاتفاق الذي عقدتهُ بيني وبين البابا واوضح لهم المنافع التي ينالونها من الاصلاح السياسي بحيث يسود النظام والسلام في الداخل والاعتبار والنفوذ في الخارج .فاجعل كلامك وكتاباتك بهذا الموضوع ولا تخاطر بشيء بسرعة الاجرا . هذا وانني قادر على ان انتظر في بايون او ان اقطع جبال البرينه واقوي نفسي في جهة البورتوغال وان اذهب الى تلك الجهة واقيم الحرب فيها

هذا وانني اوصيك بالمحافظة على النظام التام ولا بد من قصاص اصغر الذنوب ولا بد من ان يعامل الاهالي بالاحترام التام ومن الواجب احترام الكنائس والاديرة كل الاحترام . وان يتجنب الجيش الفرنسوي وقوع نزاع بينهُ وبين فرق الجيش الاسبانيولي . فلا ينبغي ان يقع اقل نزاع مهيج وخطط بنفسك سبل جيشي لتبقى بعيدة مراحل كثيرة عن الجيش الاسبانيولي لانهُ اذا انتشبت الحرب مرة نخسر كل شيء . انتهى

وبعد ان كتب هذا التحرير باربعة ايام سار الى الحدود الاسبانيولية وذلك في ٢ نيسان (افريل) وسار الى هناك بسبب الاخبار المتناقضة التي كانت ترد اليهِ كل يوم من اسبانيا فصرف اسبوعاً في بوردو بالاشتغال بالجد في ترقية اسباب مشروعات مهمة ثم رحل الى بايون وهي مدينة غير مهمة على حضيض جبال البرينه . فرافقتهُ جوزيفين فبلغاها في ١٥ من الشهر المذكور . وفي اليوم الثاني كتب نابوليون الى فرديناند تحريراً فيهِ ما ياتي

انهُ بالنظر الى الاحوال الجارية تسمح لي بان اكلمك بالصدق والصراحة فاقول انني لا احكم بشيء على تصرفات برنس السلام ولا اعفوه من شيء غير انني اعلم ان تعليم الملوك هرق الدما من الامور ذات الخطر . فان الناس ينتقمون منا بشوق لخضوعهم لنا . فكيف تقدر ان تلقي اللوم على برنس السلام (هو الوزير الاول) بدون ان تشاركهُ فيهِ امك الملكة وابوك الملك . وليس لسموك الملكي حق في العرش الا من امك . فان انحط شانها بهذا العمل ينحط شانك ايضاً فاذا ثبت ذنب كودوا يبطل حقك الملكي . . فاقول لسموك الملكي وللاسبانيول وللعالم انهُ اذا كان تخلي كارلوس الرابع غير جبري لا اتردد عن الاعتراف بهِ والاعتراف بان سموك الملكي ملك اسبانيا . انتهى

وكان فرديناند المذكور يجتهد في ان يفضح امهُ وان يحاكم كودوا على انهُ محبها . فابان لهُ نابوليون بلطف انهُ اذا فضحها يثبت انهُ ليس بذي حق بالولادة فيخسر حقهُ في ملك اسبانيا . غير انهُ كان دنياً مفسداً جاهلاً فلم يخجل من ذلك . وكانت امهُ

فاجرة خالية من كل ناموس وكرامة قليلة الحيا لا تستحي من الفضيحة . فانها ردت عليهِ ردًّا لم تسبقها والدة اليهِ فانها قالت لهُ بحضور كثيرين ان والدهُ مجهول لان زوجها لم يكن اباهُ . وخطر لفرديناند ببال انهُ يقدر ان يفوز بمساعدة نابوليون بالاجتماع بهِ فخرج من مدريد وقطع الجبال وجاء بايون في حشم كثيرٍ فاخرٍ واستصحب صديقًا ومشيرًا معلّمهُ اسكوكيز المشهور . فلما سمع كارلوس وامهُ وكودوا بذهابهِ اضطربوا جدًّا لانهم كانوا يخافون تاثيرات اجتماعهِ وتقريراتهِ بدون وجود من يكذبها فصمموا على الذهاب الى بايون ليتحاكموا عند ذلك الرجل العاقل الذي باتت مراكزهم في قبضة يدهِ . فقابل نابوليون فرديناند عند وصولهِ بكل احترام واكرام واحتفال غير انهُ قيدهُ بقيود ذهبية من اللطف والاكرام فاقام لهُ الولائم وجعل حشمًا فاخرًا في خدمتهِ . وبعد ذلك بُبرهة قصيرة وصل اليهِ ابوهُ وامهُ وكودوا المذنب محب الملكة ومعهم شقيقا فرديناند فاحتفل نابوليون بهم كل الاحتفال غير انهُ لم يعترف لفريق دون اخر بحق الملك . وباتت عائلة اسبانيا في يدهِ على غير انتظار . وكان متحيرًا في بادي الامر من جهة السياسة الموافقة ولكنهُ راى الصواب بعد ان اجتمع باعضاء العائلة المذكورة فاجتمع بكارلوس الرابع وكان يعلم انهُ لا يقدر ان يحافظ على عرش الملك ولا ان يسوس البلاد وكان يفضل ان يسلم مملكتهُ الى نابوليون على ان يسلمها الى ابنهِ المبغوض عندهُ فقال انهُ مستعد لان يتخلى للبرنس الذي يعينهُ نابوليون وعند ذلك دعا نابوليون اليهِ معلم فرديناند ووزيرهُ وقال لهُ لا اقدر ان امنع نفسي عن المداخلة لمساعدة ذلك الملك المنكود الحظ الذي اتاني طالبًا الصيانة . وكان تخيهِ جبرًا وكانت جنودي في اسبانيا وكان بعضها بالقرب من البلاط حتى ان الناس الذين ينظرون الى ظواهر الامور يقولون انني اشتركت باهانتهِ واجبارهِ على التخي فناموسي يدعوني الى ان اقوم بما يزيل هذه التهمة وصوالح امبراطوريتي تدعوني الى ان اسر بترك البوربون عرش اسبانيا فانهم اعدائي وصوالح امتكم تدعوني الى التغيير ايضًا فان الدولة الجديدة التي اقيمها فيها تجعل نظامها جيدًا مرتبًا وتكون متحدة كل الاتحاد مع فرنسا فتصان من كل المخاطر التي تحل بها من تعديات تلك الدولة الوحيدة التي تقدر وحدها ان تتهدد استقلالها . وقد ارتضى كارلوس الرابع ان يهبني حقوقهُ وحقوق عائلتهِ فانهُ عالم ان اولادهُ لا يقدرون ان يسوسوا البلاد في الازمان الصعبة التي نرى ما يدلنا على قدومها . فهذه هي الاسباب التي تحملنا على منع الدولة البربونية عن ان تسوس اسبانيا بعد الان . غير انني اعتبر فرديناند واحب ان اعوض عليهِ ما يخسرهُ فاطلب اليهِ ان يترك عرش اسبانيا هو ونسلهُ فاجعلهُ ملك اوترارا وازوجهُ بنت اخي فاذا رفض ذلك اتفق مع ابيهِ فيبيت هو واخواهُ بدون تعويض . واذا اتام ما طلبت اليهِ ان يقوم بهِ تبقى اسبانيا مستقلة بنواميسها وعاداتها ودينها فانني لا ارغب في الحصول على قرية منها . انتهى

اما كارلوس الرابع وزوجتهُ لويزا وكودوا فكانوا قد صرفوا سنين غائصين في بحار الفساد والملذات فكانوا يحبون الملكية لانها كانت تسهل لهم اسباب التنعمات والتلذذ والفساد فاسلموا تاج اسبانيا المتعب الى نابوليون بالرضى التام والسرور فاعطاهم عوضًا عنها قلعة جميلة واراضي متسعة للصيد ومالاً كافيًا لحصولهم على ما يشتهون . اما فرديناند واخواهُ فترددا عن اسقاط حقهم في الملكية . فاجتمع نابوليون بالعائلة كلها دفعة واحدة . وكان الملك والملكة يبغضان ابنهما فصمما على ان يجعلاهُ يسقط حقهُ .

وكان ذلك الاجتماع غير اعتيادي . فرفع ذلك الملك الشيخ الجاهل عصاهُ على راس ابنهِ واخذ يوبخهُ و يعيرهُ . ثم اخذت امهُ في ان تهينهُ بلسانها المرّ الذي لا يستحي فاوسعتهُ شتمهُ وسبهُ ولومهُ واهانتهُ فتعجب نابوليون بل ارتبك عندما راى ما راهُ وسمع ما سمعهُ فصمت بضع دقائق . ثم خرج بعد ان قال لفرديناند بتأنٍ انهُ اذا لم يسقط حقهُ المذكور في ذلك المساء لابيهِ يلقي القبض عليهِ كانهُ خائن اهاج ثورةً على والديهِ ليقتلهما و يستولي على عرشهما . وعند خروجهِ من القاعة قال للذين كانوا يحيطون بهِ ما هذه الام وما هذا الولد . و برنس السلام هو بدون ريب من ادنياء الناس غير انهُ ربما كان اعرف اهل ذلك البلاط.ثم قال ان ما افعلهُ الان ليس بموافق لاسباب معلومة عندي ولكن السياسة تدعوني الى ذلك فانها لا تسلم بان اترك في مؤخرتي بالقرب من باريز دولة مبغضة لدولتي

وكان فرديناند يعلم انهُ كان قد اخطأ فخاف من ان يحاكم على خيانةٍ بواسطة عدالة نابوليون النافذة فلم يعرض نفسهُ لذلك الخطر فانهُ كان يعلم ان والديهِ لا يرحمانهِ فصمم على ان يقبل المكافاة الغزيرة التي عرضها لهُ ولكنهُ رفض قبول مملكة اترو ريا وقبل قصر نافار مع معين قدرهُ مليون فرنك لهُ وار بعمائة الف فرنك لكلٍّ من اخويهِ . اما كارلوس ولويزا وكودوي فسروا بالانتقام بخلع فرديناند وفرحوا ببدل ملكية متعبة ذات خطر بمكان جميل فيهِ راحة وسائر اسباب التنعم والسرور فقطعوا ايامهم بالكسل ومجاوزة حدود الاعتدال بالملذات . وعين نابوليون لاولادها قصر فالنسي ليسكناهُ الى ان يهيء لها نافار فكتب الى البرنس دي تاليرند صاحب القصر الحاذق المهذب المحب لاسباب السرور ان يحتفل بهم كل الاحتفال . وقال في تحريرهِ انني ارغب في ان تقابلهم بدون احتفال ظاهري ولكن بالترحاب القلبي والحب وان تفرغ جهدك في تسليتهم واذا كان عندك قاعة للتشخيص من الموافق ان تاتي بمشخصين والاوفق ان تاخذ الى القصر مادام تاليرند ومعها ٤ او خمس خواتين . فاذا احب فرديناند فتاة جميلة فمن الموافق ان نزوجهُ اياها ولا سيما اذا كنا نحقق الاركان اليها . ومن المهم عندي ان لا يقوم البرنس فرديناند بعمل ردي ولذلك احب ان يسلى و يسر ويشغل بالملاهي . اما السياسة الصحيحة فتدعوني الى سجنهِ في قلعة منيعة ولكنهُ قد اتاني مسلماً نفسهُ وقد وعد بانهُ لا يبدي عملاً بدون اذني وانني سافعل في اسبانيا كما اريد وقد صممت على ارسالهِ الى مكان خارج المدن واحيطهُ باسباب الملذات و بالملاحظات وربما كان ذلك يستمر في شهر ايار وبعض حزيران عند تقرير احوال اسبانيا وعند ذلك اعلم ماذا ينبغي ان نفعل . اما انت فامورٌ يتلك شريفة جداً وهي ان تضيف في قصرك ثلثة رجال عظام لتسليتهم وهذا يناسب صفات الامة ومركزك .

اما فرديناند واخواهُ فارتضوا بالنصيب الذي حط شانهم ولكنهُ جعلهم في بحر من الملذات . ومن الامور الغريبة اقتدار نابوليون على ان يفوز بحبهم ومدحهم وثنائهم مع انهُ كان قد سلب مملكتهم فكانوا يسرون بانتصاراتهِ ويزينون قصرهم بالانوار والالعاب النارية احتفالاً بها وهذا من اغرب افعال نابوليون التي يتبين منها اقتدارهُ على ان يتسلط على القلوب والعقول ففوزهُ في اسبانيا كفوز ملوك الحكايات فانهُ قلب دولة قديمة مفتخرة بدون ان يطلق بندقية واحدة ونفى العائلة المالكة وجعل اخاهُ خلفاً لها ومع ذلك كانت العائلة المنفية تشكرهُ على صنيعهِ ولا تنقطع عن مدحهِ والثناء عليهِ . ونشر الاعلان الاتي على الامة الاسبانيولية

" يا ايها الاسبانيوليون . بعد ضيقات كثيرة باتت بها امتكم عند حافة الهلاك . فرايت ويلاتكم وبادرت الى مداواة امراضكم فان عظمتكم وسطوتكم هما بعض عظمتي وسطوتي فملوككم قد اسقطوا لي حقوقهم في ملكية اسبانيا فانا لا ارغب في ان املككم ولكنني راغب في ان افوز بشكر نسلكم وحبهم الى الابد . ان مملكتكم قد شاخت فمن ماموريتي ان اصب في عروقها دم الشبوبية . فساحسن كل شيء عندكم واذا وافقتموني امكنكم من ان تتمتعوا ببركات الاصلاح بدون معالجاتهِ واضطراباتهِ وهيجانهِ . وقد جمعت مجلساً عاماً من مدنكم وولاياتكم فانني راغب في ان اعلم احتياجاتكم بمخابرتكم شخصياً وسابعد عني كل الاتعاب التي فزت بالحصول عليها واضع تاجكم المجيد على راس من هو عندي بعد نفسي بعد ان اقيم لكم نظاماً يقرر سطوة الملك النافعة المكرسة مع تقرير حرية الاهالي وامتيازاتهم . يا ايها الاسبانيوليون تاملوا في ما كان اباؤكم عليهِ وفي ما امسيتم عليهِ انتم فالذنب ليس بذنبكم ولكنهُ ذنب النظام الذي كنتم تساسون بهِ . فتاكدوا اتمام املكم بنتائج حالتكم الجارية فانني احب ان نسلكم يباركني الى ما شاء الله وان يقول انهُ كان مصلح بلادنا " انتهى

اما لويس بونابرت شقيق نابوليون فكان ملك هولاندا كما مر فامتنع عن قبول عرش اسبانيا المتعب لانهُ كان مريضاً ووقع في اتعاب عائلية فكتب نابوليون التحرير الآتي الى شقيقهِ جوزف ملك نابولي

" ان كارلوس الرابع قد اسقط لي كل حقوقهِ في ملكية اسبانيا وقد جعلت تلك الملكية لك فان مملكة نابولي لا تقابل بمملكة اسبانيا فان فيها ١١ مليون نفس ودخلها مائة وخمسون مليون فرنك خلا دخل مستعمراتها في امركا فهي ملكية تجعلك في مدريد التي تبعد ثلاثة ايام عن باريز فان كنت في مدريد تكون فعلاً في فرنسا . مع ان نابولي في جهة اخرى من العالم . ولذلك اطلب اليك ان توكل من تشا عند وصول هذا التحرير اليك وتجعل قيادة الجيش في يد المرشال جوردان وان تاتي بايون باقصر الطرق وان تكتم هذا الامر عن كل الناس . انتهى

ولم يكن في اسبانيا نظامات مخصوصة فان الملكية كانت مطلقة ظالمة وكانت عامة الاهالي في جهل وذل لا مزيد عليهما . وربما كانت حكومتها اشد حكومات العالم المتمدن فساداً وتعرضاً واهالا لا لمحاولة تخليصهم من تلك الحال لا تغيظ محبي الانسانية . فلو فاز نابوليون بانفاذ ارائهِ لانشا الاسبانيول لهُ ابنية كثيرة تذكاراً لفضلهِ . ومن اشد العبودية ان يجهل المستعبد اهمية الحرية واذل العبيد الذين يسلمون انفسهم الى قيود التعصبات الدينية . وقد تقرر في عقول الناس كلهم ان جوزف بونابرت شقيق نابوليون كان عاقلاً مدركاً مراعياً للذمة بعيداً عن كل فساد محباً للجنس البشري مجتهداً في تحسين احوالهِ وكان قد اوصل مملكة نابولي الى حالة مجيدة بعد ان كانت في اشد الاحوال تعاسة باعتدال سياستهِ ونشاطهِ

وقبل وصول جوزف بعث نابوليون بامور بن من اصحاب الاهلية ليقرروا لهُ عن حالة جيشها وبوارجها وماليتها واعمالها النافعة . وقال نابوليون بهذا الشان انني محتاج الى تلك التقريرات قبل كل شيء لاتخاذ الوسائل اللازمة واكون محتاجاً اليها بعد الان ليعلم اهل الازمان القادمة الحالة التي وجدت اسبانيا بها . وقرر مشروعات عظيمة جداً لترقية اسباب منافع اسبانيا فالمشروعات التي وضعها وشرع فيها حملت اشد اعدائهِ على الثناء عليهِ . فجمع مجلساً

ستاتي بقيتهُ

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الفصل الثامن

وكان اليوم الثاني يوم احد وتعرت عندما جاءت قاعة الاكل ووجدت التحرير الذي وعدها زوجها بانهُ يبعث بهِ اليها. وكانت تخاف ان يهمل اتمام وعدهِ ويقصر في واجباتهِ المتعلقة بها فتلتزم ان ترد كذبة بكذبة لستر الحال . فلما راتهُ لاحت لوائح السرور على وجهها وفضت ختمهُ بسرعة دلت على اهتمامها بهِ وعلى انها قد اخذت التحرير المنتظر من زوجها في كالكوتا. فقالت ماريون انهُ لا يلزم ان اسالك عن مصدر التحرير فانهُ بدون ريب من الهند وقد ظهر ذلك من اللوائح التي لاحت على وجهك . فلما سمعت انتوانت ذلك رفعت عينيها عن التحرير الذي كانت تطالعهُ وقالت بكدر هل حضر بريد الهند اني كنت منتظرة ورود تحرير من صديق فيها . فقالت امها يا اوجينا ماذا يقول زوجك هل هو متمتع بالصحة . قالت نعم فاشكرك قالت هل هو كتب من كالكوتا هل يقول انهُ ياتي الى هنا الم يشتد شوقهُ الى ولديهِ . فكثرت المسائل عليها غير انها صمتت وتاملت قليلاً وقالت يبدو انهُ كتب الي من حيث تركتهُ والظاهر انهُ بات مشغول البال مكدراً غير انهُ لا يقول شيئاً عن الحضور الى هنا . فقالت انتوانت ماذا يكدرهُ يا ترى هل يقوم باشغال ذات خطر . قالت لا ولكنهُ مكدر لانهُ . . . قالت ماريون انهُ مكدر لانك فارقتهِ وهذا شان جميع الازواج الصادقين واظن ان اوجينا لا ترجع الى ما كانت عليهِ من الصحة ما دامت البحار المتسعة تحول دونها ودونهُ فاخبريني باعزيزتي بالصحيح الا تتمنين بان تكوني سمكة او طيراً لتذهبي الى كالكوتا وتصرفي فيها بضع ساعات فلا تنكري فانني اعلم ان هذا هو الواقع . فلم تجب ولكنها رجعت الى قراءة تحرير زوجها وقالت طالما تمنيت ذلك . ثم قالت انتوانت لها اعطني طوابع بريد الهند الموضوعة على مغلف تحرير زوجك فانني اجمعها لامي قالت ليس عليهِ طوابع فانهُ وارد عن يد وكلاء زوجي . قالت لابد من ان يكون بعضها على مغلف تحرير زوجك الداخلي والا فكيف يرد اليك . قالت لا اعلم كيف يرد ربما كان قد ارسل مع تحريرات اخرى واضطربت عند ذلك ورأى الجميع اضطرابها. فتبسمت استهزاء وقالت ما اغرب ذلك ربما كان هنري زوجك قد رقي سلم المناصب فصار رجلاً عظيماً فتسمح لهُ الحكومة بان يرسل تحريراتهِ بدون اجرة كاعضاء المجلس العالي في الزمان الماضي ولعلهُ ارسلهُ عن يد احد اصدقائهِ وهذا اقرب . اجابت اوجينا كلامك الثاني اصح اذا صح ان ندعو وكلاءهُ اصدقاءهُ الم اقل لك انهُ ارسل التحرير عن يدهم. فانقطعت انتوانت عن الحديث وقد هزت راسها

وكان غد ذلك اليوم معيناً لذهاب انتوانت فسرت اوجينا بذلك كل السرور فانها كانت تضايقها بحديثها وتصرفاتها . ولم تكن تركن اليها مع انها كانت

تظاهر بكل حب وصداقة فانها كانت تعلم ان عينيها لا تنفكان عن الملاحظات واذنيها عن السمع وانها اذا لم تكن على حذر دائم تصبح عالمة باسرارها . ولولا وصية زوجها وخوفها من سوء عاقبة كانت تخاف الوقوع فيها لجهلها اياها لكانت فرجت همها باخبار شقيقتها ماريون بامرها . اما انتوانت فكانت تستخف بكل تقوى وقاعدة وتسيء الظن بالجميع وترتاب في طهارة اطهر الناس فلم ترَ انها قادرة على الاركان اليها ولا سيما في تلك الظروف . فسرت جدًّا بابدالها باما اليوت بنت زوج شقيقتها ماريون المتوفي فانها كانت على جانب عظيم من اللطف وصفا الباطن فبدلت مقابلة انتوانت التكلفية وكلامها المتصنع المخلوط بالشك والريب بكلام اما البسيط وتصرفها الخالي من كل تصنع وتكلف . وتاخر رجوع اما الى يوم ذهاب انتوانت كان مقصودًا لغايات . وقد قلنا ان ماريون كانت تكره تصرف اختها انتوانت وكلامها وكان قد تقرر في عقلها انها من اشد النساء ضررًا بالهيئة الاجتماعية . وانهُ لا ينبغي ان تسمع الفتيات حديثها الغير المرتب ولا ان يقتدين بتصرفاتها وكان قد تقرر عندها ان هذه الفتاة هي جوهرة ثمينة خلفها زوجها لها فمن المفروض عليها ان تربيها حق التربية وان تبعدها عن كل ما يضر بها فكانت تبعدها عن البيت كلما حضرت اليهِ انتوانت لتزور والدتها ولم تذكر ذلك لا هي ولا امها لان اما لم تكن محبوبة عندها . وكانت قد صرفت ١٥ يومًا عند احد اقارب ابيها فلما عادت الى البيت سارت مسرعة الى خالتها اي ارملة ابيها المتوفي واعتنقتها وقبلتها بشوق وحب لا مزيد عليهما وهي تقول يا اما العزيزة يا اما انا قد سررت جدًّا وفرحت واي فرح بالرجوع اليكِ فكيف عشت على بعدِ عني . الم تستوحشي انني كنت في استيحاش وشوق دائمين

اما اوجينا فسرت لما رات ان لاختها سلوة كهذه السلوة تعزيها في حياتها بعد الترمل فوقفت بجانبهما ولاحظت اجتماعهما وكادت تنسى مشاكلها بالفرح لفرحهما . وبعد ذلك بلحظة نظرت اوجينا اليها وهي ماسكة يد اما وقالت لها هذه اما العزيزة وهي بنتي الفريدة ولابد من ان تحبيها كما احبها انا . ثم قالت لها ممازحة هل تظنين انني استوحش اليك وعندي شقيقتي العزيزة . فقالت اما لقد نسيت فاحمر وجهها وسلمت عليها وكانت لطيفة تلوح على وجهها لوائح صفاء الباطن وتستحق المدح الذي مدحتها ماريون بهِ وهي غائبة . فصرفن تلك الليلة باستماع حديثها اللطيف واخبارها المسرة . وفي نهاية الحديث قالت قد تكدرنا جدًّا لما سمعنا خبر السلطانة . قالت امها يا عزيزتي ماذا تقولين . قالت الم تعلمي ان هذا المكان منقطع عن الناس فلا يسمع شيء فيهِ فان بيت فارار لم يتكلموا الا عن ذلك منذ وردت الرسالة البرقية بشانهِ وكانوا ينتظرون وصول صورة من صور فرد فيها لخاب املهم . قالت انني لم افهم بعد المقصود . قالت يا امي ان المركب البخاري المسمى سلطانة كان قادمًا من كالكوتا الى السويس فانكسر قبل وصولهِ وغرق كثيرون من ركابهِ . وقد ذكر في الرسالة البرقية انهُ قد تخلص بعض البرد ولذلك ظنت عائلة فارار انها ستفوز بالمكتوب وهذا غير موكد . وقد قالت مسز فارار ان فرد بطيءٌ فلا يتصور ثانية . قالت امها ماريون (هي زوجة ابيها كما مر) ان البريد الاخير لم يتاخر وصولهُ اي بريد السبت . قالت بلى بدون ريب ووردت الرسالة البرقية قبل اليوم المعين لوصولهِ بايام كثيرة . وفي بريد السبت السابق ورد الى المحل المذكور رزمة فيها مصنوعات جميلة من كلكوتا وقد اعطتني شيئًا منها و . . . . فعارضتها امها في الحديث

وقالت يا ولدي اوضحي المقال . هل تقولين ان المركب البخاري الذي كان من الواجب ان ياتي بالبريد الاخير قد بات مكسوراً . فكيف هذا وخالتك اوجينا تناولت تحريراً امنة واردا من كالكوتا . قالت لا اعلم فانني متاكدة ولا ريب في ماقلته والرسالة البرقية مطبوعة في الجريدة التي اتيت بها لاقراها في الطريق فساقني بها بعد برهة قصيرة . وخرجت قاصدة مخدعها وبعد ذهابها بهاصمتن جميعاً وكان وجه اوجينا يحمر تارة و يصفر اخرى وهي تلوم نفسها على ضعفها الذي يظهر باطنها باللوائح التي تلوح على وجهها . وكانت جالسة بالقرب من النار وفي يدها كتاب قد رفعته الى ان غطت وجهها به لتستره عن ابصار شقيقتها . اما ماريون فكانت جالسة في كرسيها وقد غطت وجهها بيدها . وامهما جالسة عند مائدة تكتب تحريرات فلم تسمع الحديث الذي كان يجرى بينها . وبعد برهة قصيرة عادت اما وفي يدها جريدة التيمس ففتحتها بالقرب من النور وقرات من رسالات شركة روتر البرقية قد وردت افادات عن انكسار المركب المسمى سلطانة وهو ات من كالكوتا ومعهُ بريد ١٥ تشرين الاول (اوكتوبر) فغرق ٢١ نفساً وبعض اكياس البريد وسيرسل ما بقي منها مع المركب القادم . انتهى ثم قالت اما الم تر يا امي الخبر وكيف انهُ ربما كانت لاتضيع صورة فرد اقول هذا وانا عالمة بانهُ لايجب ان نهتم بصورة عند حدوث امور مهمة كهذه فمتى ياترى ترد اسماء الذين غرقوا فمن ياترى لا يشفق على المنكودي الحظ الذين كانوا ينتظرون وصول اصدقائهم مع ذلك المركب فمن يقدر ان يتصور اشتغال بالهم الى ورود الاسماء ليعرفوا من غرق ومن سلم . ولم تنتبه ماريون الى كلام اما بنتها فانها لم تكن تتامل في الموت والحزن الذي يلم بقلب الذين يصاب قومهم او اقاربهم به .

ولكنها كانت تتامل في الكدر الذي ينشا عن ظهور عيوب الذين كنا نظن انهم سالمون منها . فانهُ كان مقرر عند ماريون ان كذبة واحدة تثلم الصيت وان الذي يخدع الاخرين بالاختيار وبعد التامل هو من اعظم ائمة العالم حتى انها كانت تفضل موت اما على ان تراها تتعاطى الكذب . واخذت تتذكر ما حدث عند ورود ذلك التحرير الى يد شقيقتها فتذكرت جوابها المبهمة وامتناعها عن المفاوضة عما حواهُ وامتناعها عن اظهار المغلف . ثم تذكرت ما رات في وجه شقيقتها اوجينا من اللوائح التي تدل على اضطرابها عند تذكرها مخابراتها الهندية . ومع ذلك لم تكن تقدر ان تصدق ان شقيقتها المذكورة حطت شانها بارتكاب الكذب وان الظروف ساقتها الى ذلك غير انهُ اشكل عليها فهم اسباب الامور التي كانت تتذكرها . واشتد اضطرابها باطالة زمان تاملها في هذه الامور . وكانت اوجينا مغطية اكثر وجهها بذلك الكتاب وهي تتامل في طريقة لستر الحال . وكان الكذب يقترب منها يوماً فيوماً وراءت ان الانسان لايقدر ان يكذب كذبة مهمة ما لم يرتكبها من عشر كذبات . فضاق صدرها عندما تاملت في ذلك لانها كانت منطبعة على حب الصدق ولذلك كان الكذب عندها من المصائب . ولو انقادت الى طبعها لجثت امام شقيقتها واستسمحتها وقصت عليها الخبر كلهُ وتوسلت اليها ان تسامحها عما فرط منها . غير انها لم تقدر على ذلك لان السر لم يكن سرها فلم تر بداً من كتمه مهما التزمت ان تفعل معلقة الامل بان الزمان يبين ما يشفع لها عند الذين يحبونها . وكانت تحب ان تكلمها شقيقتها بهذا الشان لتوضح الامر لها غير انها لم تسالها ولكنها جلست واضعة يدها على راسها وهي تنظر الى النار صامتة . وعرفت اوجينا من ذلك ان الظنون قد اخذت من شقيقتها كل

ماخذه

وبعد ذلك ببرهة قالت اما يا اماه لاتنامي في اليوم الذي وصلت فيها قبل وقت النوم فانني احب ان اخبرك عن امور كثيرة اولاً عن تحرير خالتي اوجينا فانه مضحك لانه لم يقدر ان يحضر مع البريد بسبب انكسار المركب ومع ذلك حضر في الزمان الموافق . قالت ماريون متنهدة ما لنا وللتحرير فاخبريني عن كيفية صرفك الزمان في بيت رافار . قالت كيف لا يعنينا ذلك فمن الواجب ان تعتني مسز هودسون مامورة البريد في فيرميد في ارسا له في الوقت فياخالتي اوجينا ما تاريخ تحريرك . قالت لا اعلم فانني لست . . قالت شقيقتها ماريون لقد اخبرتني عنه ولم انسه . فلما رات اما ان امها مغتاظة نظرت اليها متعجبة . فقالت امها لها يا عزيزتي من الواجب ان ترتلي او ان تفعلي شيئاً اخر فانني لا اقدر ان اضيع كل السهرة معك . ثم نهضت وتركت البنت وجلست في جهة اخرى من القاعة . فنظرت اما اليها وقالت باسمة ما اشد ظلمك وذلك يوم رجوعي الى البيت لقد كدرتني جداً واذا لم تعتني لي اذهب الى فراشي وبعد ذلك ببرهة قصيرة ذهبت اليه

وظنت اوجينا ان شقيقتها تتكلم معها بهذا الشان لان امها كانت لا تزال جالسة تكتب غير منتبهة لاحد . وبعد برهة ابتعدت عن النار واقتربت من ماريون وكلمتها عن تطريزها غير انها لم تجبها الا بالاختصار التام فرات ان حاجزاً اخذ في ان يرتفع بينهما . ثم اخذت تحاكيها عن اما وتمدحها . فقالت لها ان اما ذات صفات حسنة فانها محبة صافية الباطن فاشكر الله على ذلك . فاذا خال لي انه من الممكن تغيير صفاتها المذكورة ابيت في كدر وحزن لا مزيد عليهما . وقد قلت لك يا اوجينا انني افضل بعث تلك البنت على ان اراها تقوم بخداع يقوم به شخص ليس ببعيد عنا وانني افضل الابتعاد عن كل من احبه على ان اراها قريبة من قدوة مضرة . قالت اوجينا لا ريب لا ريب في ذلك . قالت ماريون هذا هو الحق دون غيره ولا اتكلم غير الحق وعندي ان من يكذب يرتكب كل ذنب . ولا ريب في ان الله كثيرين لا يدنسون انفسهم باكاذيب ما من داع لها . والان انا مصممة على ان اذهب الى اما وربما كنت ابقى عندها برهة فاستودعك الله . ثم قبلتها قبلة تكلف وخرجت

فباتت اوجينا في اسوء حال وعرفت اسباب تكدر شقيقتها غير انها لم تجترا ان تطلب اليها توضيح السبب ولا ان توضحه لها . فنامت وهي تقول هذا مشكل جديد يطرحني في ويل سببه سوء تصرفات زوجي ولم تكن تعلم عاقبته . وفي الصباح استمرت شقيقتها على ما كانت عليه وجعلت اما بنتها قريبة منها على الدوام حتى ان اوجينا عرفت السبب اي انها عرفت ان ماريون لم تكن تسمح لها بان تعاشرها خوفاً من ان تفسد طباعها . وكانت اوجينا قد انتظرت رجوع اما الى البيت لتلعب مع ولديها وتعتني بهما غير ان افتخارها منعها عن ان تطلب اليها ان تقوم بذلك ولم تكن اما تتجاسر ان تقوم به . وكانت تظن ان شقيقة امها مقطبة الوجه قليلة الادراك وزاد الرا ماقالته امها لها من ان شقيقتها ذات صحة غير جيدة ولا تحب معاشرة الصغار الذين يحبون الضحك والانشراح ولذلك كانت تبقى قريبة من امها وتفرح معها دون غيرها . واوجينا المنكودة الحظ خسرت اشتراك شقيقتها بالحاسيات معها بدون ان تربح شيئاً واشتد حزنها وكدرها وزادت ان اعظم سلوى لها انما هو ولداها فانهما كانا يربيان بعناية سوزان وليتهز قبانا كسائر الاولاد . وفي اثناء ذلك مضى الربيع وقدم فصل الشتاء واقتربت عيد الميلاد وهو زمان

السرور والحبور

الفصل التاسع

وابتعاد ماريون عن اوجينا جعلها اي جعل اوجينا مبتعدة عن الناس قليلة الكلام متانية فقوى ذلك ظنون شقيقتها . ولم تذكر زوجها الا نادراً . وانقطعت عن ذكر الهند وامتنعت عن ذكر الماضي والاستقبال وافهمت الخادم انها تحب ان ياخذ كل تحريراتها الى مخدعها عوضاً عن ان يضعها مع سائر التحريرات في المكتبة . ولم تكن الخادمة ماري آن متعودة ذلك فتصرت مرة فوبختها اوجينا فسارت الى امها متشكية وقالت اذا كان لابد من ان اطيع اكثر من سيدة واحدة فافضل الخروج من البيت . اما امها فلم تكن من النساء اللاتي يجعلن دارهن مكان راحة للذين لا يحافظون على كل القوانين الموضوعة فيه وكانت قدرات بنتها بعد غيابها الطويل حتى انها كادت تمل من معاشرتها ومعاشرة حفيديها فلما سمعت بتوبيخها للخادمة المحبوبة عندها اغتاظت وحملها جهلها وكبرياؤها على ان تعتني براحة خادمتها اكثر من اعتنائها براحة ابنتها التي كانت قد فارقتها ست سنوات بل كانت تراعي خاطرها اكثر من مراعاة خاطر تلك . غير ان اوجينا التزمت بان تبقى في اش كروف لانها لم تكن تقدر ان تذهب الى محل اخر ولا ان تقوم بمعاش ولديها اللذين كانا في ظروف اردا من ظروف اليتامى . وكانت امورها في هذه الحال المكدرة عندما وضع تحرير في يدها وهي تلبس اثوابها في الصباح ففتحته قبل فحصه بدون ان تقدر ان تعرف مصدره فان عنوانه كان صحيحاً غير ان الخط كان غير واضح والمغلف من المغلفات الاعتيادية . فلما وصل اليها قراته بسرعة واضطراب وكان قصير وهو هكذا فلان المعلوم في شارن كروس مريض وفي خطر فاخرجي من فيزميد في المركبة التجارية التي تسافر قبل الظهر بساعة يوم الثلاثا فتلاقي من يركن اليه في محطة واترالو . فاذا كانت عهودك صحيحة لا تهمليه الان . انتهى

ووصل هذا التحرير الى يدها يوم الثلاثا فالتزمت بان تتهيا حالاً لتسافر في ذلك اليوم . فاضطربت وارتبكت وحزنت عند وقوفها على هذا الخبر الردي وانقطعت عن لبس ثيابها ووقفت صامتة تنظر الى من اوصل التحرير اليها كانه ممكن الحصول على خبر اخر . وتقرر في عقلها ان معنى مريض في خطر انه في حالة النزع فانه كان مقرر عندها انه لولا اشتداد المرض لما اركن الى انسان غريب وابان له اسمها . ولم تكن تقدر ان تعلم محل نزوله فان الظواهر دلت على انه خرج منه ولولا ذلك لما التزم بان يرسل رجلاً ليدلها عليه . فقالت في نفسها أما هذه المصيبة الجديدة فهل يموت وهو في شرخ الشباب غائص في الاثام والخطايا ويتركها حياتها بطولها ملزومة بكتم ذلك السر العظيم . وبعد التامل قالت لابد لي من ان اذهب اليه فاذا وجدته في حالة النزع لابد من ان يوصي بشيء وان يسمح لها بان تبيح بالسر والا فتكون الحبوة عذاباً لها واخذت في ان تلبس بسرعة وصممت على ان تمشي الى فيزميد مفضلة ذلك على التاخر عن زمان مرور المركبة . ثم تاملت قليلاً وقالت في نفسها ماذا ينبغي ان اقول عن هذا المسير السريع حال كون هذه هي المرة الثانية التي خرجت فيها من اش كروف بدون مسوغ . ثم قالت في نفسها هل تقبل امي بذلك الان حال كونها ليست براضية كل الرضى عني . وفي المرة الاولى كان لها بعض عذر وهو تسفير دون مون اما المرة الثانية فليس لها سبب وعرفت انه يقال عنها انها مجنونة مع انه ربما كان يخال لامها وشقيقتها انه من الواجب ان تقيما رقيباً لها لمنعها عن السفر . فباتت في حيرة لا مزيد عليها

ثم خطر لها خاطر موافق وقالت في نفسها لا حيلة ولا
مفر فلا بد من الذهاب والله عالم بانهٔ صعب عليّ ان
احتقر نفسي ثم جثت على ركبتيها بحسب عادتها لتصلي
غير انها نهضت حالاً وقد احمر وجهها وقالت انني
لست بشريرة ولا اخطي الا لان ضعفي وجهلي
يحجبان عني التدابير فاخطي فلا اغيظ الله بان اطلب
اليه ان يبارك خاطية . فلما نزلت الى قاعة الاكل
راى الجميع تغيير وجهها وسالوها عن سبب
ذلك . فسرت لما سالوها فقالت لهم قد وردت اليّ
اخبار ردية من لوندرا ولا بد من ان اذهب اليها
هذا الصباح لان احد اصدقائي مريض وفي خطر
و يرغب في ان يراني وقد تكدرت جداً من جرى
ذلك . فقالت شقيقتها ماريون ماذا تقولين ان
احد اصدقائك مريض هل لك اصدقاء في لوندرا .
قالت نعم انهم عائلة التورنار كانوا في كالكوتا معاً وكانت
حنه تارنور كاحدى شقيقاتي ولم اذكرها قبلاً لاننا
لم نتكلم عن حياتي في الهند . قالت هل حنة مريضة
فارتبكت غير ان اما تكلمت وسالت عن مرضها
فانفرجت وقالت لا اعلم من هو المريض والظاهر
ان التحرير كتب بسرعة لا مزيد عليها وفيه
انه مريض وفي خطر وان رجلاً يلاقيك في محطة
واترلو فلا بد من ان اذهب في المركبة التي تسافر
قبل الظهر بساعة وقد تكدرت جداً واشغل بالي .
قالت امها يا عزيزتي هل تنامين في بيت ترنار فاذا
نمت هناك تيقظي لئلا يكون المرض معدياً فان الحمى
التيفويد كثيرة في هذه الايام في لوندرا فاين مسكنهم
قالت في بيتزواتر . قالت امها انه مكان منخفض جداً
والمامول انك لا تبقين في البيت اذا وجدت ان
المرض حمى او غيرها من الامراض المعدية فان
ذلك ربما كان يضر بولديك و باما بنت ماريون
قالت انني ساعتني كل الاعتناء ولا انسى ولديَّ ولا

اما . ثم خرجت من قاعة الاكل لتتاهب للسفر
وكانت شقيقتها ماريون تسعفها في ظروف كهذه
ولكنها امتنعت بعد حدوث ما حدث كما انها
امتنعت ايضاً عن ان تعارضها في امور كهذه ورات
انه ما من احد يهتم بها في اش كروف غير ولديها
فتمنت ان تحصل على المال اللازم للخروج منه لتعيش
وحدها . وكانت قادرة على ذلك غير انها كانت
قد وعدت بانها لا تاخذ شيئاً من المال الموضوع
عند وكلاء زوجها اما الخروج من اش كروف فكانت
قادرة على ان تقوم بمصاريفه . فقبلت ولديها وحبهما
يفعل في قلبها واي فعل وهي تقول اين اجتمع بهما
بعد الان ثم خرجت وسارت الى محطة الطريق
واخذت تتامل في احوالها الى ان وردت المركبة
فركبتها وصرفت اربع ساعات متاملة في الاحوال
وغائصة في بحر من الهواجس الى ان وقفت بها في
المكان المقصود فاجفلت واخرجت راسها من النافذة
لترى من هو الذي بعث بزوجها ليلاقيها . فوجدت
جمهوراً في المحطة وكانت ترى اصدقاء يسلمون على
اصدقائهم غير انها لم ترَ احداً يسال عنها فخافت ان
لا يراها فخرجت من المركبة ووقفت بين الناس
ثم سمعت صوت رجل يقول اهذا انتِ فالتفتت
لترى المتكلم فاقشعر بدنها عندما رات انه القبطان
اوسوالد الذي كان يعرفها في كالكوتا وفي بلاد
برنيطانية . وقال بعد ان انحنى لتحييها يا مسز ارشار
(هو اسم اوجينا نسبة الى عائلة زوجها) انني لست
بغلطان ومد يده اليها . . ما هذه الصدفة هل وصلت
الان او هل ترومين ان تقومي برهة في لوندرا كيف حال
زوجك . هذا حظ وافر غير منتظر . فالتزمت ان
تجيبه مظهرة سرورها بالاجتماع به لانها كانت قد
اجتمعت به مرات كثيرة في كالكوتا وسرّت بمعاشرته

ستاتي بقيتها

ملح

جواب الطفيلي

قيل لابي سعيد عثمان بن دراج الطفيلي مولى كندة اتعرف بستان فلان قال نعم وانه الجنة الحاضرة في الدنيا فقيل له لماذا لا تدخل اليه فتاكل من ثماره تحت اشجاره وتسبح في انهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال

لذة الطفيلي

قيل ان ابن دراج المذكور كان طفيليا وكان ملتزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي احد ولد زيد ابن الخطاب فقال له سعيد يوما ويحك اني اجلك باذ بك وعلك واصونك واضن بك عما انت فيه من التطفيل ولي وظيفة راتبة في كل يوم فالزمني وكن مدعوا اصلح لك مما تفعل . فقال رحمك الله اين يذهب بك فاين لذة الجديد وطيب التنقل كل يوم من مكان الى مكان واين نيلك ووظيفتك من احتفال العروس واين لونان من الوان الوليمة قال فاما اذا ابيت فاذا ضاقت عليك المذاهب فاني ثقة لك قال اما هذه فنعم . فبينما هو عنده ذات يوم اتت سعيدا امولاة له فقالت جعلت فداك زوجت ابنتي بابن عم لها ومنزلي بين قوم طفيليين لا آمنهم ان يهجموا علي فيأكلوا ما صنعت ويبقى من دعوت فوجه معي بمن يمنعهم . فارسل معها ابن دراج . وقال له كيف تصنع باهل العروس ان لم يدخلوك قال انوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني . وقد قال في لذة التطفيل

لذة التطفيل دومي   واقيمي لا تريمي
انت تشفين غليلي   وتسلين همومي

الشرطي والنبيذ

كان الاقيشر من محبي السكر وله نوادر كثيرة وقال ابو ايوب عنه حدثت انه شرب يوما في بيت خمار بالحيرة فجاء شرطي من شرط الامير ليدخل عليه فغلق الباب دونه فناداه الشرطي اسقني نبيذا وانت آمن . فقال ما امنك ولكن هذا ثقب في الباب . فاجلس عنده وانا اسقيك منه ثم وضع له انبوبا من قصب في الثقب وصب فيه نبيذا من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر فقال الاقيشر

سال الشرطي ان نسقيه   فسقيناه بانبوب القصب
انما نشرب من اموالنا   فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

المكافاة

وقد حكي ان الاقيشر المذكور تزوج ابنة عم له يقال لها الرباب على اربعة الاف درهم ويقال على عشرة الاف درهم فاتى قومه فسالهم فلم يعطوه شيئا فاتى ابن راس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فساله فاعطاه الصداق فقال

كفاني المجوسي مهر الرباب
فدى للمجوسي خال وعم
شهدت بانك رطب المشاش
وان اباك الجواد الخضم
وانك سيد اهل الجحيم
اذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور قارون في قعرها
وفرعون والمكتني بالحكم

فقال له المجوسي ويحك سالت قومك فلا يعطوك وجئتني فاعطيتك فجزيتني هذا القول ولم افلت من شعرك وشرك . قال اوما ترضى ان جعلتك مع الملوك وفوق ابي جهل

الجنان

الجزء الحادي عشر

في ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٧٦ (صدورهُ في ١٢ حزيران (جون) سنة ١٨٧٦)

جملة سياسية

من قلم سليم افندي البستاني

لاتزال السياسة في ظلام حالك وقد ثقلت على عواتق الناس بما طرحهم في اضطراب وقلق ولولا التغييرات الاخيرة المهمة في الاستانة العلية وما تبعها من صعود اوراق المالية باثر الخطاب الذي القاهُ الكونت اندراسي على مسامع نواب البلاد النمساوية والمجرية لما راينا شيئاً يدل على فرج قريب او بعيد لانهُ مع انتصارات الجنود الشاهانية في الهرسك وبوسنه لم تخمد الثورة وظهر اثر لفتنة بلغارية تستقي من ينابيع ليست بقليلة الاهمية ولا ريب في ان الامة عموماً قد تلقت خبر الجلوس السلطاني الهمايوني المانوس في الظروف الجارية بالسرور والفرح مقتفية اثر العاصمة والبلدان الاجنبية ومن الحظ قد صادف ذلك نشر خطاب الكونت اندراسي المطبوع ملخصة في الجنة وربما كان يطبع كلهُ فيها او في الجزء القادم من الجنان الذي يوزَّع مع هذا الجزء فارتفعت اسعار الاوراق المالية ارتفاعاً لا يخاف من ان يعقبهُ هبوط ما لم يظهر من روسيا اوغيرها من دول اوربا بعد التغييرات التي جرت اهمال في انفاذ تقريرات جمعية برلين اذا قبلت الدولة العلية بها وما نراهُ من التجهيزات والتاهبات العثمانية يدل على اقدام عظيم ومبادرة الامبراطوريات الثلث الى تقرير ما قررتهُ في برلين برهان خوفها من ان يكون استمرار الفتنة بدون اتفاقها سبب فتح حرب اوربية قبل حلول الزمان الموافق واتفاق النمسا وروسيا مع مباينة صوالحهما يدل على ان لحفظ السلام عظيم اهمية عندهما ولا سيما بعد ان جرى ما قد جرى بين فرنسا والمانيا واخذت كل منهما تفرغ الجهد في امالة روسيا اليها حذراً من الاخرى والمرجح ان اتحاد احداهما مع روسيا في حرب يحمل الاخرى على الانتظام في صف مضاد لكثرة اختلاف الصوالح وان النمسا قد انقادت الى روسيا في ما لا صالح لها فيهِ ومصلحتها تقوم بارجاع العصاة الى ربقة الطاعة التامة لان عندها ولايات كثيرة صلافية لا تلبث ان تتعبها بتصرفها اذا فاز عصاة الهرسك وبوسنه بما يوافقهم وسياسة روسيا تسير في سبيل مخالف لسياسة النمسا ولعلهما اكتشفتا على طريقة جديدة فقررتا اتفاقاً يُظن انهُ غير محدود فيقبل التوسع بحسب الظروف والمآرب غير ان مبادرة فرنسا الى القبول بهِ لا يكون بدون ان ترى موافقته ولو كانت راغبة جداً في ارضاء روسيا وهذا هو اساس نفوذها العظيم فان المانيا توادُّها وتجاريها وتصافيها وتساعدها لاستمرار

الاتحاد بينهما خوفاً من فرنسا التي تفرغ جهدها في استمالتها اليها واستجلاب خاطرها وارضائها للانتفاع باتحادها عند حلول زمان القيام بالثار والانكليز لا يزال لهم عظيم صالح في الشرق غير ان التدبيرات المالية قد قللته وهم اصدق حلفاء دولتنا العلية واشدهم رغبة في المحافظة على الحالة الجارية في كل مكان وما قاله الكونت اندراسي في خطابه المذكور يريح الافكار من جهة السلام فانه قد تقرر ان الدول عوّلت على صيانته ولكنه قد ذكر ضمانات عامة لا نعرف ما هي وربما كنا لا نقف عليها تفصيلياً الا عند اجرائها اذا اجريت والمظنون ان هذه الضمانات هي التي جعلت الانكليز يمتنعون عن قبولها مع انهم اشد الدول رغبةً في صرف المشاكل الجارية ومصافاة كل الامم والمحافظة على الصوالح بالمخابرات السلمية ولو كانت تقريرات برلين موافقة كل الموافقة لسبقت انكلترا الجميع الى قبولها ولذلك المرجّح انها تتغير بعض التغيير واذا لم تنجح ولم يتم اتفاق الحكومات على اجراء ما يتيسر اجراؤه لا يبعد ان تعقد جمعية دولية جديدة مولفة من نواب جميع الدول التي عقدت معاهدة باريز لتقرير الحال واخماد الثورة التي ترغب اكثر الدول في اخمادها فلعل هذه الاحوال واعتراضات الانكليز وتردد الباب العالي عن قبول ما لا تقبل به انكلترا لعدم الموافقة ياتي بتدبيرات جديدة موافقة لاحوال المملكة ودافعة للاضرار الجارية ومقررة للامور المالية تقريراً معتدلاً يتيسر القيام به بسهولة مع القيام باصلاحات داخلية وعندما تصح الممالك في هذه الظروف تنتظر امور كثيرة فان الاضطراب يتبعه السكون وياتي الانتباه والتيقظ بما ربما كانت البلاد في احتياج اليه ومن المقرر ان الاصلاح العظيم لا يكون الا بانقلاب عظيم واحوالنا المالية التي شاركت احوال مالية اكثر الدنيا بالضيق لا تصبح في يسر بعد

هذا العسر الا بجهد عظيم وانشاءات مهمة وتدبيرات خيرية اهمها ما شرعت فيه الدولة العلية من تخفيض الاموال المطلوبة من الفلاحين وفي صدور الامر بتوقيف الانتخابات لعضوية المجالس في الظروف الجارية حكمة عظيمة فان الاهالي لا يحتملون وهم على ما هم عليه اضطرابات الانتخابات ومناظراتها وعندنا انه تصدر نظامات احكم من النظامات الجديدة واكثر موافقة منها والمطلب الاول اخماد الثورة فانها كافية لان تغلق الباب فيصعب دخول تدبيرات واصلاحات ما دامت نارها متشبسة ولا نتعجب مما نسمعه من الاشاعات ولو كانت كاذبة ولكننا نتعجب باننا لا نرى ولا نسمع اكثر من الذي نراه ونسمعه ومن الواجب بعد الاختبار ان نبيت في راحة ونبعد عنا كل اشاعة وقلق لئلا يظهر اننا لم نستفد بالاختبار وما رايناه من تيقظ الحكومات المحلية في كل مكان ومن تعقل الاهالي برهان على ان الشرق ليس في الحالة التي يتوهم الغرب انه فيها لاننا طالما قرانا في جرائده عن انفسنا ما يحمر الوجوه ونرى نفس باريز مركز التمدن ومدريد وغيرهما في ما لا نرى انفسنا فيه عند حدوث ما هو اقل كثيراً مما قد حدث عندنا ولا يحق لنا ان نفتخر بهذه الحال لان الافتخار يكون بان لا نفرض وجود هذا العيب فينا وان لا يفرضه غيرنا بحيث يصير فرضه فينا عيباً لان سلفاءنا القدماء كانوا يحافظون على الامنية بدمائهم ويتعون كل من كان في بلادهم بالحق والعدل فراجت التجارة واتقنت الصناعة والزراعة وانتشرت العلوم والفنون وشيدت المدارس والقصور وبلغت بلادهم من التمدن في ذلك الزمان بالنسبة الى الغرب ما هو قدر ما بلغته اعظم دول اوربا الآن بالنسبة الينا في هذه الايام على انه من المفروض ان نرد على الذين يلقون علينا تهمات اصبحت لا تليق بنا بعد ان اصبحنا نرى بيننا رجالاً يدركون حقيقة الامور بعد ان كثر

عـدد اصحاب النفوذ من العقلاء الذين يعلمون نفع الدولة الصحيح وان صالح الجميع في درجة واحدة وهو السكون التام والابتعاد عن جميع اسباب القلاقل وما من شيء يكدرنا قدر الاشاعات التي نسمع انها قد راجت اسواقها في بلدان اخرى ولا سيما في الديار المصرية وقد وردت الينا اخبار في تحرير من مكاتبنا فيه اشاعات كثيرة وهي عنا مع انه ليس لها اثر ومن الواجب ان يعلم الذين هم بعيدون ان ما ينسب الينا من التعصبات والمنازعات والشقاقات الناشئة فيه عظيم مبالغة وقد يوجد في نفس اوربا من هم اشد تعصباً وانشقاقاً دينياً منا وقد ابنا اعالهم في اوقاتها وان اكثر حروبنا الاهلية الماضية هي طلباً لخلع سلطة او تثبيتها كما في لبنان وليس لاختلاف الدين فنسبت اليه لانه اصبح مميز الاحزاب في بلادنا وقبل ذلك لم تكن منسوبة اليه بل كان التحزب مثلاً كالتحزب اليزبكي والجنبلاطي وهما حزبان كان يشترك في كل منهما النصراني والدرزي ويحق لنا ان نفتخر على جرائد بعض البلدان المتمدنة في الغرب بالكتابة فان اعتدال اقلامنا لا نراه في كثير من جرائد فرنسا ولا ترى من التعصب في منشوراتنا ما نراه في منشورات بعضها ومناظراتنا المذهبية ضيقة الدائرة ولها مهيجات ذات اغراض ومع ذلك لا تهيج بل يراها اخذة في النقصان على رغم انف الذين لا يرغبون في زوالها والراحة في الشرق المختلط برهان واضح على صحة كلامنا وكذلك اجتهاد الاهالي انفسهم بصيانة اسبابها بالتحريض الدائم والحث والتلطيف والتخويف هذا ونسال الله سبحانه تعالى ازالة ضيقاتنا وارتباكات اشغالنا وتوفيق حضرة مولانا الاعظم ورجال دولته الفخام في الاعمال واهمها الان ما يتعلق بالثورة لقطعها والالتفات الى الامور الداخلية ومن المؤكد ان الوزارة الحالية في الاستانة العلية مصممة على القيام بتدبيرات موافقة جداً عند انتهاء الثورة وتقرير الامور التي قد ظهر بالاختبار انها في احتياج الى التقرير لان الاختبار قد ابان لاهل السياسة انه لا تستقيم احوال الممالك الا باستقامة احوال الرعايا

سياسة الدول

قالت جريدة التيمس ان الرسالات البرقية الواردة من برلين تبين ان دول اوربا الثلث العظيمة الشرقية متفقة كل الاتفاق على الوسائط التي ينبغي اتخاذها لتقرير الصعوبات الجارية بين الدولة العلية وبوسنه والهرسك. فهذا خبر يسر ومن المعلوم ان وزراء الدول الثلث لم يجتمعوا عبثاً ووجود حضرة امبراطور روسيا في برلين في اثناء اجتماعهم ربما كان قد ازال صعوبات ربما كانت بدونه تحول دون تقرير الاتفاق بين وزراء الامبراطوريات الروسية والنمساوية والالمانية. وقد قرروا اراء واحدة لئلا تاتي صوالح روسيا والنمسا المتباينة بالظاهر باختلاف في الاراء. وليس بين الدول حسد من شانه تعظيم المشاكل الجارية. فانها متحدة على تقرير السلام وعلى اختبار الاسباب التي تاتي بالسلام فهل نقرر ان العصيان الذي جرى منذ ١٢ شهراً قد بلغ النهاية الفعلية. واذا صممت الامبراطوريات الثلث المشار اليها على ان تنهيها لا بد من ان تفوز بالمرغوب. فانها قادرة على القيام بذلك ان شاءت ان تقوم به. ويقال لنا انها راغبة في ذلك. وقد قررت اتفاقاً اجماعياً بهذا الشان. فماذا يا ترى يجعلنا نتردد عن ان نقول ان صعوبات بوسنة والهرسك قد بلغت النهاية والجواب سهل وهو ان الامبراطوريات تقدر ان تلزم العصاة بان ينقطعوا عن العصيان غير ان انفاذ ذلك لا يكون الا بان تتجاوز حدود ارادتها وحدود تضييقاتها التي

لاتزال مخفية في نية كل منها، ولا بد لها من ان تظهر قوتها فربما كانت توقع الرعب في قلوب العصاة او ان تقرر تسوية تناسب الحكومة والعصاة او غير ذلك . على انهُ لاسبيل الى انفاذ ارادتهما ما لم تظهر انها مستعدة لان تنفذها بالقوة اذا مست الحاجة الى ذلك : وقد ذكر في الرسالات البرقية المذكورة ان الدول الثلث قد اتفقت على ما ينبغي ان يجرى وهذا يبين ان هذا العمل لا يحتاج الى قوة ولا الى اظهار القوة ، فانهُ لا يتضمن المداخلة ولا دخول جنود اجنبية الاماكن الثائرة ولا غير ذلك مما يشابهها . ولا ننتظر ان نسمع طلب توسيع حدود الصرب والجبل الاسود والظاهر انهُ قد رفض التداخل فعلاً واننا نرى مشورات جديدة متعلقة بالدولة العلية والعصاة فاذا كان ذلك معظم ما يجري وليس باكثر لم ياتِ بعد الزمان للثناء على الوزراء الثلث لانهم فضوا المشاكل الشرقية

ومن الامور التي لا يغفل البرنس بسمارك وزير المانيا الاول عنها انهُ لا تصنع العجة (هي في الحال آكلة تصنع بالبيض والطحين وغيرهما) ما لم يكسر البيض . غير ان مركز وزير المانيا الاول في جمعية برلين هو اقل اهمية في الحال من مركز وزيري روسيا والنمسا . لان المانيا صديقة الدولتين ومع ذلك لا تهمها كثيرًا ثورة بوسنه، وربما كان البرنس بسمارك يكتفي بتقرير ما يتفق عليه البرنس كورتشاكوف وزير روسيا والكونت اندراسي وزير النمسا . فهذا هو توضيح عضد البرنس بسمارك للائحة الكونت اندراسي لان البرنس بسمارك لا يرتضي بلائحة كتلك اللائحة، وهذا يبين لنا الاسباب التي تجعل البرنس بسمارك يرتضي بسياسة معينة وليست باكثر من ذلك . وقد تقرر ان من تقريرات الجمعية الاولية ان تطلب الى الباب العالي عقد هدنة طويلة للتمكن من الزمان الكافي لاجراء الاصلاحات المنتظرة ولمخابرة العصاة

وقد قررت الدول الثلث اراءها في مذكرة ستبلغ حالاً الى الدول الاخرى وهي انكلترا وفرنسا وايطاليا فانها من الدول المتعاهدة ولا يظن انهُ من البعيد ان يجتمع نواب الدول الست ليتخابروا بشان تقرير امور الشرق . ولا بد من ان نحترم كل ما يبلغ الينا غير ان احترامنا للدول التي كانت مجتمعة في برلين ينبغي ان يمنعنا عن ان نجعل رغبتنا في ارضائها بموافقتها تحملنا على ان نساق الى مركز حماقة . وربما كنا لا نقدر ان نقول شيئًا مهمًا من شانهِ تسوية صعوبة داخلية كصعوبة بوسنه غير اننا ربما كنا نقدر ان نمنع تاخير تسوية حال كون الزمان يصرف في تقرير امور غير نافعة . والظاهر ان لنا بابًا للقيام بما ينفع لان روسيا والنمسا في احتياج الى صديق يجعلها يقابلان الحقيقة . وربما كان تبليغ المذكرة وسيلة لارسال تحرير من شانهِ تسهيل تسوية ما هو صعب على الدولتين . واذا رغبنا في عمل شيء نقدر ان نعمل ما يوافق مركزنا ويظهر صداقتنا الصحيحة للدولتين اللتين يهمهما امر الشرق اكثر مما يهمنا . غير ان املنا ليس بوطيد من جهة اقتدارنا على القيام بامر نافع لان ارسال جواب بوصول اللائحة اسهل من المداخلة واقل مسئولية منها ولذلك ربما كنا نقبل اللائحة كما قبلنا لائحة الكونت اندراسي وسيترك للزمان والاختبار اظهار قيمتها ونفعها . انتهى ملخصا

الملوك المخلوعون

قالت جريدة التيمس ان ما يحمل هذه البلاد على ان تقابل رجال السياسة الاجانب من كل حزب اذا كانوا منتصرين او ساقطين ناشئ عن اسباب طبيعية وهي العلاقات القرابية الجارية بين عائلتنا المالكة وعيال اواسط اوربا الملكية الفائزة او المكسورة . لانهُ بعد خروج امبراطورة المانيا من لوندرا

بمدة قصيرة جدًّا دخلها الملك جورج ملك هانوفر
المخلوع واقيمت له ضيافة في قصر وندسار حيث
اقيمت ضيافة الامبراطورة الالمانية . ووصول هذا
الملك الى بلادنا يذكرنا باعمال غير موفقة واهم
حوادث انقلاب عظيم . والمرة الاخيرة التي زار بها
الملك جورج البلاد كانت زيارتهُ منذ نحو ربع قرن
بعد ان تبوأ تخت ملك هانوفر بمدة قصيرة . وكانت
تلك الايام ايام امان الملوك واركانهم ولا سيما ملوك
المانيا الذين تربوا بالاستناد الى سطوتهم واستقلالهم
التام . فان انواء سنة ١٨٤٨ كانت قد مرت ودفعت
اسباب الانقلابات وانتصرت على مقاومات العامة في كل
مكان . وكان الامبراطور نقولا حكم اوربا . وامبراطور
النمسا اهل الامراء وخدمة الدين وكانت سطوته
نافذة كل النفوذ في ممالكهِ وفي المانيا كلها . وكان في
فرنسا امبراطور . وكان الظاهر ان غاية مقصدهِ الفوز
بالحصول على رضى الامبراطورين المشار اليهما . ولم
يكن اتحاد المانيا وحريتها يخطران لاحد ببال . وكان
قد وبخ ملك بروسيا على مطامعهِ وثبت اتحاد المانيا
تحت رياسة النمسا باراء المحافظين على الحالة التي
كانت جارية حتى في نفس بروسيا . ولذلك نقول ان
الملك جورج جلس على سرير هانوفر في اوفق
الظروف . وعند ما زار بلاد مولدهِ لم تكن الهيئة
الاجتماعية فيها (هي انكلترا) تقصر بالقيام بالتهاني
والتبريكات . وقيل لنا انهُ كان ذا حذق واختبار
وابان ان نقص جسدهِ لم يكن يعيق جري الاشغال
وادراك الامور . وكانت صحتهُ جيدة واعمالهُ ذات
نشاط وكان يرقي اسباب قواعد كانت كل ملوك
اوربا تدافع عنها وكان من عائلة من اكرم عيال
اوربا واقدمها حتى انهُ كان قد تقرر في العقول ان
مس حقوقها خطية عظيمة . فماذا يا ترى من كل ذلك
لا يدل على انهُ كان مزمعًا على ان يملك بسعادة
وراحة

على ان الزمان جاءَ بما اظلم انوار هذه الامال .
وهكذا نراه راجعًا الى انكلترا مخلوعًا . وما هو غير
واحد من الملوك الكثيرين الذين امسوا بدون
ممالك . هذا وكان في فنس منذ قرن ملوك مخلوعون
غير انهم لم يكونوا اصحاب اهمية . فان قلب الملوك
لم ينبذ بكثرة قبل سنة ١٧٩٢ وبعدها قد ملأت
اوربا بخربات التخوت الملكية . غير انهُ من الواجب
ان نقول ان الملك جورج الهانوفري لم يسقط بثورة
رعاياه . اما الانقلابات الاخرى في الاسرة الملكية
العظيمة وغيرها فنشأت عن سوء ادارة الملك او
عن رداءة قواعد حكومتهِ . ونحن نعلم من يستحق اللوم
عندما نعد الملوك الذين طردوا من فرنسا واسبانيا
ونابولي وتسكانيا واليونان . او نتذكر جعل ملك
حضرة البابا الزمني محصورًا بالفاتيكان . ومهما قلنا
عن احوال حكومة ملك هانوفر المشار اليهِ لا نقدر
ان نقول ان رعاياهُ قلبوهُ . ولم يكن مرقيًا لاسباب
الحرية . فانهُ كسائر اعضاء العيال الملكية في المانيا
يحسب الحرية باب هوة الثورة . وابطل الحقوق
الشعبية التي تسلم بها بسطوة الاراء سنة ١٨٤٨ .
وكان يقرب اليهِ الوزراء الذين كانوا يخصصون
انفسهم بالامتيازات الموروثة وحقوق ٣٨ بلاطًا
ملكيًا . وكانت كثيرًا ما تحدث تذمرات في دولتهِ
حتى ان الرعايا كانوا يجاهرون بالمضادات في بعض
الاحيان غير ان ذلك لم يأتِ بقلبهِ . ولكن دولة
اقوى منهُ فتحت بلادهُ واستولت عليها وطردتهُ من
عرشهِ . واكثر الاهالي قالوا ان ذلك عدوان طرحهم
في ذل حتى ان اشد مضاديهِ ومضادي والدهِ اصبحوا
مشاركين للاكثرية بالكدر . غير ان ارتضاء الامة
الهانوفرية باتحاد المانيا وافتخارها بعظيم اعمالها قد جاءَ
بمحو آثار حوادث سنة ١٨٦٦ التي جاءت بانقلاب

لكيته ولا يميل الى ارجاعه الا بعض الضعفا المتكلين على اهم امتياز الولاة . وهذا الملك من الذين ظهرت فيهم اثار مصائب الحرب التي هدمت اتحاد المانيا النمساوي واخرجت النمساويين من المحالفة وجعلت السطوة النافذة في يد الحكومة البروسيانية وقد ابان ملك هانوفر ما عنده من الغيرة من جهة النمسا فان امبراطورها والملوك الثانويين كانوا مستأمنين وظانين ان ما كان يجري هو اعادة ما جرى سنة ١٨٥٠ وكان القواد النمساويون يسخرون بالحرس الوطني البروسياني حتى انهم حملوا الممالك الثانوية على ان تضاد البروسيانيين . والظاهر ان وزراءها لم يكونوا يعرفون شيئاً مما كان يجري . وقد حذرتها المانيا قايلة انه عند ابتداء القتال لا بد من ان تميل اما الى النمسا واما اليها . ومع ذلك كانت الدول الثانوية تظن ان بروسيا سترجع عن القتال خوفاً عند حلول زمان القتال . والظاهر انه لم يخطر لهم ببال ان بروسيا كانت مستعدة كل الاستعداد حتى انها لم تكن تعلم انها عقدت معاهدة تعدٍ ودفاع مع ايطاليا . وامسى ملك هانوفر ضحية الاستئمان . وعند اشهار الحرب ذهب تعبه سدى عند محاولة العمل العام . فان سرعة البروسيانيين العجيبة جعلت كل تدبيرات المتحدين ضدها تذهب سدى . فدخلوا هانوفر كما دخلوا سكسونيا . فجمع ملكها جيشه غير ان ذلك جاء بتمام خرابها . فكانوا لا يذهبون الى جهة بدون ان يجدوا البروسيانيين امامهم . وفي ٢٦ حزيران (جون) سلموا في لانجنسالزا وبعد ذلك بثلثة اشهر ضمت هانوفر نهائياً الى بروسيا

وقد طالما سال الناس عن السبب الذي حمل الحكومة البروسيانية على ان تعامل ملك هانوفر هذه المعاملة القاسية مع انه نسيب العائلة البروسيانية المالكة ورئيس عائلة قد اشتهرت بالملكية الانكليزية وقد تخلصت دول اخرى بشرط الاتحاد مع المانيا الشمالية وقبول تقدم بروسيا فملك سكسونيا بقي فلم خلع ملك هانوفر . فالجواب ان السبب الاصلي هو الافتقار الى تقوية المملكة البروسيانية فان ولاية الرين منفصلة عن اراضيها الاصلية بالملك ربما كانت تصير عدوانية في كل وقت . فاذا حاربت بروسيا فرنسا وكانت هانوفر مضادة لبروسيا فربما كان ذلك يعود عليها بالخراب . ونشا عن ذلك نفي عائلة هانوفر الملكية فان الملك لا يرتضي ان يخابر المنتصر عليه بشيء . وبعد عشر سنوات قد جاءوا انكلترا حيث اقيم للملك ترحاب معتبر كانه لا يزال مالكاً بل فيه من الاشتراك معها بالحاسيات ما يزيد عما في الترحاب الذي يقابله لو كان مالكاً وهو برنس من الدم الملكي وهو ايضاً دوق اوف كمبرلاند ويحق له ان ينتظم في عضوية المجلس العالي . فاذا شاء ان يقيم في بلاده يصادف من المركز والاحترام ما ربما كان لا تقدر الملكية ان تاتي باعظم منها

جمعية برلين

ان الذين قد طالعوا الاخبار المختصرة المتعلقة بكيفية اجتماع برلين وبالاحوال التي رافقتها يحبون ان يقفوا على مطولات متعلقة بها وبظهور الفتنة في البلغار

وقد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من مكاتبها النمساوي بهذا الشان وهذه ترجمتها

قد انتهت جمعية برلين بسرعة غير منتظرة . فانه بعد وصول حضرة امبراطور روسيا ووزيره الاول بيوم واحد قررت الدول الثلث (اي روسيا والنمسا والمانيا) ما ينبغي ان يقام به لاخماد الثورة ومنع القلاقل والاضطرابات الجديدة بحيث يمكن امضاء التقريرات التفصيلية في مساء ذلك اليوم . والقيام بذلك بسرعة

عظيمة يستحق الالتفات لانهُ في اثناء الاجتماع حدثت امور مختلفة مما لا يعد من خوارق العادة غير انهُ مما لم يكن منتظرًا كحادثة سلانيك وظهور الفتنة في البلغار وتغيير الوزارة في الاستانة العلية . وما رافقها من الامور التي جعلت لها اهمية وكان المقصود من الجمعية القيام بما اول الى سرعة اخماد الثورة لمنع حدوث ارتباكات جديدة على ان الحوادث المذكور وسعت دائرة اعمال الجمعية وجاءت بتغريرات لم يكن لها وجود في الجمعية وهذا يدل على ان تاخير اخمادها ياتي بالمخاطر من وجهين متقابلين . فالاول امتداد الثورة الى ولايات اوربية عثمانية والثاني العدوان الذي ينشا عن امتدادها . وبالنظر الى الامر الاول لا ريب في امرين احدهما ان ما حدث في تتربازارجك ليس بناشيء عن تصادف وليس بمحصور في محل واحد من البلغار ولم يكن المهيج اليه النزاع الذي جرى بين بعض النصارى والضابطين . والثاني ان هذه الفتنة ناشئة عن استعداد سابق وهي ذات فروع وتدبيرات داخلية وخارجية . فانهُ لم يقع النزاع الاول حتى ظهرت اقوام يستدل باحوالها بانها تنظمت قبلاً وحصلت على السلاح والمهمات ويظن ايضًا انها فازت بالحصول على النقود اللازمة وظهرت في كل مكان واقع حول بازارجك واستا ليترا . وفي اليوم الثاني وردت اخبار مجاهرة اقوام اخرى بالعصيان في جوار البلكان وطريق صوفية مارّة بين سلسلتي جبال والظاهر ان مقصود العصاة انما هو تكدير الاتصالات الجارية مع نيش والقيام بالاجراات الحربية في موخرة الجنود العثمانية المجتمعة فيها . ويقال ان قرية اورطه كوي هي مركز الفتنة . ولا تزال الثورة محصورة في الجبال بين تتر بازارجك وصوفية ومنذ السنة الماضية اخذت الحكومة في ان تراقب اسباب التهييج المتصلة بالخارجية لان

في بخاريست عمدة بلغارية وقد اجهدت نفسها في سبيل التهييج منذ سنين واكثرت التحريضات على المجاهرة بالعصيان واردة من تلك الجهة وقد ظهر الان ان مركزها انما هو فيها وهي عاصمة الفلاخ والبغدان . وفي الشتاء تجلد نهر الدانوب او الطونه ويظن انهُ عبر بسلاح ومهمات حربية . وقد وجد في مقاطعات البلكان التي ليس لها تجارة اجنبية غير قليلة جدًّا كميات وافرة من النقود الفضية والذهبية الاجنبية وكان ظهورها فيها بغتةً . وفي المدات المتاخرة نشرت العمدة البلغارية اعلانًا وفيهِ تدعو الامة البلغارية الى التسلح لتخلص نفسها وتطلب الى المتقدمين بالسن ان يدفعوا نقودًا بسبب اقتدارهم وان المال يدفع الى الذين يثبتون بانهم قد فوضوا بان يوتمنوا عليهِ . وقد حذر مختارو القرى الذين يحبون الدولة العلية من ان يقوموا باعمال الجواسيس وقيل لهم ان العمدة البلغارية قادرة ان تقاصهم . وفيهِ تحريض المسلمين في البلغار على السكون لئلا يلحق بهم ضرر . ومع ان الفتنة لا تزال محصورة قد جاءت بقلق عظيم عند المسلمين والبلغاريين . فالبلغاريون في الغالب اهل ثروة ويخافون الخسائر التي تنشا عن مطالب العصاة . ومع ان هذه الحوادث المهمة الغير المنتظرة ظهرت في اثناء اجتماع اعضاء جمعية برلين لم يقع خلاف في الاراء بين الدول الثلث المتحدة ولكنها قررت اتفاقًا بسرعة غريبة . وهذا برهان جلي على انها متفقة كل الاتفاق من جهة السياسة الشرقية وان الاشاعات المتعلقة بالقاء مهمات مختلفة على روسيا هي بدون اصل وكل الاخبار الواردة من برلين قد بينت ان وزير روسيا الاول معتدل الاراء وانهُ يفرغ جهده في سبيل المحافظة على السلام

حل لغز مصباح افندي رمضان المدرج

في الجزء السادس من جنان سنة ١٨٧٦

(من قلم امين افندي ناصيف) (بدمياط)

ايا من علا كلَّ الافاضلِ شهرةً
وفاز لمطويّ المعارفِ بالنشرِ
واعلن لغزًا مستحقًا بذكرهِ
بديع المزايا ثاقب العقل والفكرِ
عن اسمٍ تجلّى معلنًا سمت ملغزٍ
ولكنهُ قد جاء للنفسِ بالقهرِ
هو اسمٌ خماسيٌّ وان زال ضادهُ
بدا وهو رمانٌ الذمن القطرِ
بهِ أُنزل القرآنُ ليلاً الى السما
وتاه على الاقران في ليلةِ القدرِ
باولهِ يبدو هلال كراءهِ
باخرهِ نونٌ تعيش بالبحرِ
ورابعهُ وصفٌ لقامة اهيفٍ
ونصف الف باوهو رسمٌ مع الصدرِ
واول حرف وهو اخر بافي
وثانيهِ ميمٌ قد تشبه بالثغرِ
تناهت بهِ ان وهي ام نواصبٍ
وثانيهِ والتذييل من عاملِ الجرِّ
تبدى لنا في اثني وعشر كاخوةٍ
وتاسعهم هذا الخماسي ابو العشرِ
وجرٌّ بهِ رمض ووسّط لراسهِ
يري مرضٍ ثلثاهُ مرٌّ وفي مصرِ
على راسهِ شغبٌ وشعبٌ اذا دنا
سرورًا بهِ والعيد يُعقب بالبشرِ
وكم من بخيل راح يشكر فضلهُ
ويمدح صومًا حيث ياذن بالوفرِ
حوى النصب نون منهُ والراء منهُ في
هجا الرفع بل في منتهى لفظهِ الكسرِ
فيا من مبانيهِ البديعةِ ابدعت
غصون معانيها ادق من السحرِ
هُدينا بمصباحِ الانامِ وربما
ترآى هُدى المصباحِ فوقَ هُدى البدرِ

حل الغاز فائق افندي غرغور المدرجة في الجزء الخامس من جنان سنة ١٨٧٦ مع اخطار

(من قلم سليم افندي عنحوري)

خذ من حديثٍ حديثي ابدعَ السمرِ
واستجلها عبرًا ناهيك من عبرِ
اماطت الستر عن خود محجبة
بضرب الرمز قبل الرهز في السررِ
رجلة بضة بيضاء شرعبة
اغلى على القلب من سمعي ومن بصري
خوطانة مذ رنت تحوي بناظرها
رانت فلم تبقِ من قلبي ولم تذرِ
هامت بهامي فابدت للنها ولها
اسرارها ففشتها السن الفكرِ
فها كها دررًا بالحل قد عقدت
حلت طلًى وفمًا ذاق الطلى فبرى
ان الصباع التي في الافق مطلعها
كواكب قد علت حتى على القمرِ
والعين في الابل فوق الظهر قائمة
وكيف لا وهو محسوبٌ من القفرِ
والترب ذو الخال من ساواك في عمرٍ
لا الترب ذو الآل جد الارض والبشرِ
والثور ان اخكم الاحكام لا عجبٌ
لانهُ سيدٌ في الناس لا البقرِ
كذا القرود ذوات النور اربعةٌ

من الكواكب عددها ذوو النظر
والبدران ضم ما أكولاً له ودك
قل ذاك جلد ولا تخشى من الحظر
واطفل ان سار فيه الركب مرتبكا
لابدع فهو الدجى ذو السمر والسهر
اما القراد بثدي الظئر بلبلة
يفوز منها رضيع الدر بالدرر
والام ان شمتها في الدار من حجر
قل هذه مسكن الاقوام في الحضر
والوقف في معصم الغيداء مختصر
ذو قيمة فسوار العاج لا الشذر
والجند مذ سكنتها الجند من حضر
قلت المدينة يحميها ذوو الظفر
ودولة تبلع الحصول حوصلة
او لا ففي العين ما يغنيك عن اثر
وبلدة مذ بدت في وجه غانية
اشبهها بلجة نجلاء في السير
والضرب ضرب من الشهد الغليظ حلا
او لا فضرب على العيدان بالوتر
لله بردًا بذود البرد سورتة
وهو الكرى فاذود الليل بالسهر
وابرصًا ذا سنى بالليل ملتحف
بنضي النقاب فتبدو طلعة القمر
وقادرًا وهو ذو ضعف وذو عجز
يطهو ثريدًا بلجم الكوم والجزر
وفرقدًا مذ راى الصياد فرالى
مهاة وحشي تباهي الحور بالحور
وفارسًا فوق يعبوب له خبب
يسعى بكلب لهام السيف كالطرر
ويجتني الشهد من دبر عرفت به
جماعة النحل عن خبر وعن خبر

فهاك ياصاح حلاً كالرحيق حلا
منه ارتشاف لصاحي القلب والفكر
يروي اوار الورى راوي الروي به
ريًا ويوري بريًا نوره النضر
يزري الدراري لنظافيه منتظم
نظم الحباب على الاكواب بالدرر
اذا تلتة الثريا في مطالعها
شاهدتها في الثرى من شدة الخضر
رقت وراقت معانيه لذاك غدا
يتلو على سمع آل الورد والصدر
ما كل ماء كصداء لوارده
كلا وانى يقاس الشعر بالشعر

اخطار

انني لا ازال منتظرًا حل اللغز الاول والرابع والعاشر والسابع عشر من قصيدتي اللغزية التي تكرم بحلها الشاب الذكي فائق افندي غرغور

حل لغز علي افندي الزين المدرج في الجزء السابع ولغز ديمتري افندي خلاط المدرج في الجزء الثامن جنان سنة ٧٦

(من قلم سليم افندي عنحوري)

بفؤادي ذا عذار	خط في خديه لاما
وعيون فاتكات	جردت فينا حساما
بجنان عبقت في	ارجها ريح الخزاما
فوق افنان رباها	عندليب العلم قاما
نزهت عن قول اني	تعدم الحسناء ذاما
دام جا لبها وجاني	نورها برقي العلاما

روسيا وانكلترا

ان ما ياتي هو تابع لما نشرنا في الجزء العاشر من الجنان وهو مهم جدًا وتظهر به ارادة الانكليز المختلفة

المتعلقة بالهند فقرانة بالتي والتامل تنفع كل من شاء ان يتبع ماجريات السياسة . وبعد ان تكلم المستر الذي نشرنا كلامه في الجزء السابق نهض مستر فورست من اعضاء المجلس وثبت الكلام السابق وقال ما ترجمته انني لا اقصد ان اطعن في سياسة روسيا ولا ان الومها لانها تقدمت في اواسط اسيا . ما لم تحل في مراكز تجعل الامبراطورية الانكليزية في الهند في خطر وتجعل فيها حاسيات عدم استئمان لانه لا بد من ان نسلم ان تقدم التمدن على البربرية ووضع النظامات والقوانين للمحافظة على الانفس والاملاك وصيانتها من غارات القبائل المتبربرة وتعدياتها ما يأول الى انتفاع الجنس البشري . ولا ينبغي ان ننسى ان روسيا دولة اسية وكانت كذلك قبل ان تملكت انكلترا شيئًا من الهند . وانها التزمت بان تقوم بما تدعوها احوالها الى القيام به بالاستيلاء على بلدان جديدة في الشرق . وقد ابان البرنس كورنشاكوف وزير روسيا الاول سياسة دولته تبيينًا واضحًا بالاعلان الذي بعث به الى سفراء روسيا في البلدان الاجنبية سنة ١٨٦٤ وما لهٔ ان روسيا في اواسط اسيا هي ككل الدول المتمدنة التي تماس اقوامًا من اهل البادية وغيرهم الذين لم يدركوا من التمدن غير نصفه . فتلتزم الدول المتمدنة ان تصون حدودها بانفاذ سطوتها في الذين هم اقل تمدنًا منها . ومن المقرر عندي ان روسيا لا ترغب في ان تزيد تقدمها في اواسط اسيا غير انها ملزومة بان تقوم بذلك للمدافعة عن نفسها وسنة ١٨٦٩ جرى حديث بين حضرة امبراطور روسيا واحد اقربائه فقال الامبراطور انه ليس براغب في توسيع الاملاك الروسية في اسيا غير انه موكد ان روسيا لا تقدر ان تقف عن الفتوحات حيث ترغب الوقوف ولا في الزمان الذي ترغب الوقوف فيه . هذا وانني اعلم ان تصرفات روسيا المتعلقة بخيوا مفتوحة للاعتراض لان الكونت شوالوف الروسي قال للحكومة الانكليزية في بداية حرب خيوا ان روسيا ليست بقاصدة ان تحل في خيوا ومع ذلك نرى انها قد استولت على كل نصف تلك البلاد الواقع على الضفة اليمنى من جيحون . فاذا كان الكونت شوالوف قد وعد بما ذكر يكون قد وقع تقصير في القيام بوعده . ومع ذلك لا يحق لنا ان نشكي من روسيا لانها حملت على خيوا لتخليص الروسيين الذين كانوا ماسورين فيها وذلك كما حملنا نحن على الحبشة . وقد حملت روسيا على بلدان كثيرة آسية بدون ان يكون لنا حق المداخلة . فاذا بحثنا عن احوال كشغار نقول انه لا ريب في ان اميرها يرغب جدًّا في ان تكون بينه وبين انكلترا صلات جيدة ويخاف جدًّا ان يكون تقدم روسيا في اواسط اسيا واسطة لضم بلاده الى امبراطوريتها . فهل يحق لنا ان نتداخل اذا فتحت روسيا حربًا على ذلك الامير اجيب بالاصالة عن نفسي لا . لانه ليس بيننا وبين كشغار غير معاهدة تجارية وليس معاهدة اتحاد وبينها وبين املاكنا في الهند جبال عظيمة وقفار كثيرة متسعة . فلا تقدر روسيا ان تدنو من الهند من تلك الجهة . وفضلاً عن ذلك قد استولت روسيا على خوكند موخرًا . على ان الاستيلاء عليها لم يقربها منا ميلاً واحدًا فان بين كشغار والهند ثلثة طرق لمرور جيش بل لمرور مسافر وهي طريق قراقورم وطريق شانغ وطريق باوغهل . فالاولى تقطع ١١ سلسلة جبال ارتفاع بعضها ١٨ الف قدم وذات اودية عميقة متسعة جدًّا . والهواء في تلك الجهات بارد جدًّا . والثانية تميل الى الغرب اكثر من الاولى والانحدار منها اسهل غير ان جبالها اعلى وبردها اشد . اما الثالثة فهي خمسة الاف قدم اعلى وهي تقطع مائة او مائة وخمسين ميلاً عرضًا . ولذلك لا سبيل الى الخوف

على الهند من حمل جيش روسي عليها بقطع تلك الطرق الطويلة الصعبة وانتظار صد قوة انكليزية عند الوصول الى الهند (اسمعوا) . ولذلك نقول اننا لا نخشى روسيا من الشمال ولكننا نخشاها من الغرب ومن الشمال الغربي (اسمعوا اسمعوا) . فان في الحدود الهندية الشمالية الغربية طريقان يقدر جيش روسي ان يقطعهما . فالواحدة من جهة قابول والاخرى من جهة خيوا . وهرات مفتاحها ومما يستحق الذكر اننا لم نخطط بعد تلك الحدود . فاذا ارادت روسيا ان تدنو منا من تلك الجهة تلتزم ان تذهب الى قصر تسقند ومن ثم الى مرو ومنها الى هرات . وتسقند واقعة في الطريق بين جبال ارال والهند ومنها ننتظر تقدم روسيا على الهند اذا تقدمت عليها . والمسافة بين تسقند ومرو ثلثمائة ميل وانا متفق مع النائب المحترم في ما قاله بشان مرو . وعندي ان استيلاء روسيا على مرو من الامور المهمة عندنا . وهي فعلاً لقبائل التتر التائهة وهم نحو مائة الف فارس . واذا استولى الروسيون على مرو يكونون بعيدين عن هرات ٢٥٠ ميلاً فقط واذا فتحوها تمسي امبراطوريتنا في الهند في خطر بدون ريب . وفي تلك الجهة طريق اخرى مارة في وادي شتوال وهي تودي الى جنوبي بحر قزبين مارة بهرات . ولا تقدر ان تدنو من الهند من تلك الطريق ما لم تقطع قسماً من ايران ولا بد لها من ان ترضي تلك البلاد وهي الان حليفة انكلترا . ولكن اذا اصبحت افغانستان عدوة لنا تمسي امبراطوريتنا الهندية . وكانت صلاتنا مع افغانستان تكاد تكون اهانة للهند . ولم يكن لنا سفير فيها وكانت البلاد كانها كتاب مختوم عندنا حال كون كميات وافرة من البضائع الروسية كانت تدخلها والبضائع الانكليزية كانت ممنوعة عن الدخول بالرسومات الكثيرة الموضوعة عليها . وقد تقرر في المعاهدة المعقودة بين روسيا وخيوا انه يحق لها ان تسير في جيحون . فبالنظر الى هذه الامور نرى ان اراء رجال السياسة منقسمة الى ثلثة اقسام من جهة ما ينبغي ان نجريه في الهند . فالقسم الاول يقول ان الاصابة في الانقطاع عن الاجراء . والثاني ان نضع افغانستان تحت حمايتنا . والثالث ان ننفذ سطوتنا في افغانستان باقامة سفير في قابول او هرات . وان لا نسمح بان تكون افغانستان ككتاب مختوم او بلاد مقفولة وان نحقق مداخيلها ونخطط حدودها . فاذا اقمنا بذلك نتمكن من انشا صلات صداقية بيننا وبين ايران وافغانستان ونتحقق انه عند حلول الخطر تنضم افغانستان الينا . فبعد ذلك لا نبالي باجراآت روسيا في اواسط اسيا ونتخلص من الخوف الذي يعترينا حيناً بعد حين عند الاستماع بان روسيا قد استولت على قطعة ارض في شمالي جبال همالة (صحيح استحسان)

ثم نهض السر كامبل وهو من الاعضاء وقال انه مقرر عنده حدوث تغيير عظيم في هذا الامر منذ قال وزير هذه البلاد العظيمة (اي انكلترا) بوضوح وتصريح انه يخاف من الروسيين . وانه استغنم سنوح فرصة طلب تقرير لتسبب فارغ ليدعو روسيا الى المناظرة اما انا فاظن ان وراء ما قاله الوزير الاول المحترم تغييراً في سياسة الانكليز من جهة حدود الهند فانها صممت على القيام بسياسة اهتمام وعندي ان حكومة الهند تضاد كثيراً سياسة وزارة انكلترا . مع انه لو جرت سياستها لتغيرت الاحوال كل التغيير . وكان قد علق امله ان رأي المجلس في هذه الجلسة يحذر حكومة انكلترا ويبين لها بانه من الواجب ان تترك هذا الامر الى الذين يعرفون حق المعرفة حدود الهند ولا يأمن ان يلحوا عليها بالقيام بسياسة لا يسمونها [illegible] ولكنه يسميها نشيطة . وقد بحث السر [illegible] يلبسون عن هذا الامر واراؤه اراء من يخاف روسيا في الهند

والمامول عندي ان الوزير الاول لايطرح نفسهُ في ذراعي السار هنري رالنسون . وقد عرفت انهُ عند ذهاب اللورد ليتون نائب الملكة في الهند تقرر بغتةً ان يرافقهُ رجل عالم باحوال الحدود الهندية ومشهور بسياستهِ النشيطة اسمهُ السار بلي . وربما كان ينشا عن ذلك التصميم على القيام بسياسة عدوان عند الحدود الهندية . وقد تقرر ان مراكز روسيا قريبة من حدودنا الهندية غير ان هذا خطا عظيم فان العضو المحترم الذي ذكر ذلك اشار الى رسم لا يظهر طبيعة الاراضي الفاصلة والجبال . وعندي انهُ ما من سبب يحملنا على ان نخاف روسيا لانها تقدمت الى خوكند وليست خوكند اقرب الينا من الاماكن التي كانت في يد روسيا قبل الاستيلاء عليها . وبالتقدم الى خوكند تبعت روسيا الطريق المودية الى الصين وليس الى الهند . ولا ينبغي ان نخاف روسيا الا بعد ان تقيم في الفيافي العظيمة التي بدون طرق طرقاً حديدية . وقد قال العضو المحترم ان روسيا ليست بقريبة جداً منا فلا تقدر ان تدخل جنوداً الى بلادنا الهندية ومع ذلك رعايانا في الهند باتوا في قلق من جري ذلك وفي الجلسة الماضية قال الوزير الاول ان اهالي الهند الحاليين ليسوا كاهاليها سنة ١٨٥٠ فان عاداتهم تغيرت تغييراً عظيماً . وقد غيرت الطرق الجديدية ما لم تغيرهُ الوسائل الاخرى وما كان من كلام الاسواق صار من كلام اهل القرى

فنهض مستر ديسون وطلب رجوع المتكلم وهو السار كامبل الى النظام لانهُ كان ينقل حديثاً جرى في مفاوضات في اجتماع هذه السنة وهذا مخالف لنظام المجلس

فقال خطيب المجلس . لاريب في ان نقل حديث جرى في مفاوضات في اجتماع هذه السنة مخالف لنظام المجلس

فقال السار كامبل . انهُ يتكدر اذا اخل بنظام المجلس وانهُ ربما كان يسوغ لهُ ان ينقل ملخص الكلام وليس الكلام الحرفي وهذا من الامور التي اعرفها حق المعرفة ولا بد من ان يتخذ على نفسهِ مناقضة ما قررهُ الوزير الاول كل المناقضة . ولذلك يقول ان تقدم روسيا في اواسط اسيا لم يقلق افكار اهالي القرى ولا يعرفون شيئاً عن ذلك . وليس لمسئلة اواسط اسيا في الهند ما للمسئلة الشرقية في اوربا فان اهالي القرى الهندية لا يهتمون بها . وما يعلمونهُ يكون في الغالب من جرائدنا . ولذلك نرى اكثر اهالي الهند غير مكترثين بهذا الامر . وقد قال ان اهالي الهند يعرفون لقب حضرة امبراطور روسيا . ولا بد من ان اناقض هذا لانهُ مقرر عندي انهم لا يعرفون من ذلك الا انهُ شاه روسيا . ومن المؤكد اننا لسنا في مركز ذي خطر من جهة تقدم روسيا كما كان يظن فاننا في مركز قوي جداً . فان اهالي الهند لا ينتظرون تقدماً من الجهة الشمالية الغربية لان العادة والتقليد والامور الماضية لا تحملهم على انتظار ذلك . ولكنهم يميلون الى ان يتذكروا حدوث المذابح العظيمة والنهب فيها وفي الهند ٤٠ مليوناً من المسلمين فمنهم ٣٠ مليوناً في الجهة الشرقية من بنغال وهم من اشد الرعايا سكوناً وحباً للراحة . واحوالهم المالية جيدة بالنسبة الى احوال سائر التبعة وهم على جانب عظيم من الثروة وقد تسناهم مائة سنة بجيش (طابور) واحد من الجنود المحلية . واما الذين يسمون بالمسلمين الشيعيين فهم بدون ريب معروفون في بنغال فاذا ضايقناهم في الامور المتعلقة بالاملاك فربما كانوا يساقون يوماً الى المجاهرة بالعصيان غير ان عصيانهم لا يكون سياسياً ولكنهُ يكون ناشئاً عن امور ملكية . وفي البونجاب وهي في الجهة الاخرى من الهند عندنا عشرة ملايين من المسلمين وهم نصف اهالي تلك البلاد . غير انهم

قد تخلصوا بواسطتنا من مظالم حكومتهم السابقة . وهم محبون للسكون والاشغال فانشط الزارعين في البلاد منهم وكذلك الجنود . وقد طالما شكرونا واثنوا علينا لتخليصهم من الظلم . اما العشرة ملايين الباقية من المسلمين وهي تتمة الاربعين مليونًا فمشتتون في اقطار الهند المختلفة ولا نرى ما يجعلهم يتغيبوننا اذا عاملناهم بالعدل والانصاف ورقينا اسباب زراعتهم وجعلنا لهم اشتراكًا كافيًا معنا في تقلد المناصب وفي التعليم. وانا من الذين لا يسلمون بوجوب الخوف من روسيا ومع ذلك لا نقول انه ما من سبب يحملنا على ان نتيقظ ونراقب اقتراب الروسيين من الهند (اسمعوا اسمعوا) لانهم ربما كانوا يصبحون من الجيران المتعبين. واذا فرضنا انهم سيجاوروننا ويتعبوننا فماذا ينبغي ان نفعل لنمنعهم . هذا وانني اوافق الذي تكلم قبلي على انه يصعب علينا ان نعامل روسيا معاملة نافعة لنا لانها لا تحافظ على معاهداتها . فلم تتم بتعهداتها المتعلقة بتقدمها في اواسط اسيا . فلا تثبت الاتفاقية المعقودة معهم الا ما دامت موافقة لهم . اما الان فالروسيون يفتحون البلدان الاسلامية في اواسط اسيا والاوفق لنا ان نتفق بالامتناع عن القيام باجراءات متعلقة بها فان الاصابة في ترك الامور في مراكزها الحالية والبلدان الاسلامية في اواسط اسيا تنظر بخوف الى الروسيين فان ذلك افضل من اجراء ما يجعلها تنظر بخوف الينا . وروسيا تراعي مقاصدها عند طلب عقد اتفاق بيننا وبينها فانها اليوم تطلب عضدنا الادبي لتثبيت اقدامها في اواسط اسيا . واسم الانكليز في سمرقند وغيرها من تلك الاقطار اعظم من اسمها . وسنة ١٨٤٢ حملنا على افغانستان حملة نجاتنا بالضرر . وقد بات الروسيون في تركستان في ما بيننا فيو في افغانستان فيحبون ان ينتفعوا ادبيًا من جرى تقريرهم في عقول الاهالي بانهم قد اتفقوا مع الانكليز . فلا ينبغي ان نساعدهم ادبيًا ولا ان نعمل على المجانبة . وقد خطونا خطوات مهمة في جهة تقرير اتفاق معها وهو هذا ان افغانستان محفوظة من نفوذ روسيا ومداخلاتها . فاذا خالفت هذا الاتفاق نلتزم بان نبحث عن القيام بامر اخر. على انه لا بد من ان نجتنب جعل اهالي تلك البلاد اعداءنا . او ان نقرر في عقولهم بانه ينبغي ان يخافوا حملاتنا . والاوفق ان نبين لهم انه لا صالح لنا في ذلك . فاننا قد اخطأنا في سياستنا فيها فلا ينبغي ان نرتكب خطأ اخر. ومن الواجب ان نكتفي بمنع روسيا عن التعدي عليهم بالتقدم في بلادهم . ولذلك قد تقرر عندي بالنظر الى الامور الحربية انه لا خطر على الهند من روسيا في الحال ولا بعد عشرين ولا ثلثين سنة . غير ان الخطر موجود بالنظر الى الامور المالية : فان حالة ماليتنا في الهند وقضيتنا مما يجعلنا غير قادرين على المحافظة على مركزنا فيها . فان اساس الحروب العظيمة الاستقبالية انما هو المال فلا ينبغي ان نبذر مالنا بالخروج لدفع الروسيين قبل حلول الزمان الموافق لذلك فسياستنا الصحيحة ينبغي ان تكون افراغ الجهد في تحسين محصولاتها وشباب مداخيلها والمحافظة على القوة اللازمة للدفاع . والمامول ان ملاقاتنا للروسيين والبلاد على تلك الحال تكون ملاقاة اصدقاء . ومن الموكد ان احوالنا عند الملتقى تكون ممتازة عن احوالهم (اسمعوا اسمعوا) ولذلك المامول ان حكومة انكلترا لا تلح على حكومة الهند بالقيام بسياسة نشيطة بالنظر الى روسيا في الظروف المذكورة

ثم نهض مستر تبلاز جونستون وقال اذا كان كثيرًا مما قرره المتكلم السابق صحيحًا نكون في حالة رديئة . فانه قال انه ينظر بخوف الى حالنا ومع ذلك يشير بالقيام بسياسة اساسها الامتناع عن الاجراء .

ويشور علينا بان نصبر الى ان تتم الطرق الحديدية الروسية ونمسي في خطر مبين . فاذا قبلنا اراءهُ بمنع الاجرآت واجب ان نشرع في جمع مقتنياتنا في الهند استعدادًا للخروج منها وتركها . فاذا كان تقدم روسيا الحالي ذا خطر ولا نقوم بما يدفعهُ فلا بد من حلول زمان ظهور الخراب الناشي عن ذلك الخطر الغير المدفوع وقد ادعى باظهار السياسة التي تقوم عليها حكومة انكلترا . وقال انهُ يقر وعندهُ انهُ ما من حكومة تقوم بسياسة عدوانية بالنظر الى افغانستان فانهُ من الواجب ان يكون بيننا وبين روسيا امة قبل الينا ميلا موافقًا . وعندما ادعى ان سياسة حكومتنا في انكلترا مفروزة عن حكومة سياسة الهند ادعى يجري اراءهُ في الهند لا وجود لها . ومع ذلك نرى ان المسئولية على حكومة انكلترا فلا بد لها من ان تقوم بالاجرآت عند حلول المخاطر الصحيحة لانهُ لا بد من ان ترافق القوة المسئولية . ولا سبيل الى التنكيت على سياسة الحكومة قبل ظهورها . وقد اجمع الناس ان للمخاطر التي تحدق بامبراطور يتنا الهندية مصدرين . الاول ان انكلترا ليست بدولة عسكرية والمامول انها لا تكون كذلك ابدًا . فاذا جاءت حدودنا دولة عسكرية لا بد من ان نلاقيها ملاقاة عسكرية والا فنبيت البلاد في مركز ذي خطر . غير ان الخطر الذي يحدق بنا ليس بمحصور بالحمول على الهند لانهُ لا بد من ان تجري تذمرات كثيرة في بلاد فيها مائتا مليون نفس تحت سياسة ٦٠ او ٧٠ الفًا ويزداد الخطر باجتماع قوة من تلك القوات المتذمرة وبالاطلاع على ان دولة اوروبية تعضد المتذمرين . ولا يحق لنا ان نقول لروسيا انهُ لا يسمح لك بالذهاب الى اواسط اسيا لان الدنيا حتى اواسط اسيا متسعة فتكفي انكلترا وتكفيها ولا ريب في انهُ لو كانت الهند محاطة بالبحار والفيافي لقلت اسباب القلق والخوف . غير ان روسيا قربت لنا ولا بد من ان نراعي الاحوال التي تنشا عن ذلك والتلطفات الجارية كثيرة بين الدولتين والمامول استمرار ذلك لانهُ ما من شيءٍ اشد ضررًا من حرب للفنا اذا انتشبت بين دولتين كروسيا وانكلترا . ومن المقرر عندي ان مصيبة كهذه لا تحل بنا في ايام الامبراطور الحالي غير ان حيوة الانسان قصيرة بالنسبة الى حيوة الامم ولا اعلم ماذا تكون الصلات بين الدولتين بعد ان تتم الطرق الحديدية الروسية . فبالنظر الى هذه المخاطر لا نرتضي عند ما نرى اننا لا نقدر ان نجمع مائة الف جندي في ميدان الحرب لاخماد ثورة او عصيان . ومع ذلك يقدر وزير انكليزي بان يتطلع المخاطر التي تحدق بالهند بسطر واحد . وقد قال السار مكنيل ان حق البحث سلاح وضعهُ الله بيد الانكليز للدفاع عن الهند . وعند الاستيلاء على كراكو قال اللورد بارلمستون وزيرنا الاول الاسبق المتوفى انهُ مكدر لان بارجة كبيرة لا تقدر ان تعوم في التستولا . وليس من الضرورة ان يكون التستولا كافيًا لذلك . ولو ارادت قوة انكلترا البحرية لاستولت على كراكو . وفي اثناء ذلك قيل انهُ من الواجب ان تخلص الامبراطورية في اوربا وفي اسيا ايضًا وهو يقول انهُ من الواجب الدفاع عن امبراطور يتنا في اسيا وفي اوربا ايضًا ولو تجاسرت الوزارة ان تفعل ما ستطلب البلاد اليها ان تقوم بهِ . فلنرجع الى حقوق انكلترا القديمة البحرية وعند ذلك لا نخشى اقتراب روسيا من الهند (اسمعوا اسمعوا).

ثم نهض السار هافلوك وقال انهُ يوافق الذي تكلم موخرًا على امور كثيرة غير انهُ سمع قسمًا عظيمًا من كلام الذي سبقهُ بخوف ليس بقليل . والثابت في عقلي كل ارآء الذي تكلم لا يرتاح بالي . فانهُ

قال انهُ سيصير ٣٠ سنة . اما انا فقد بحثت عن هذا الامر بالاستناد الى ما يسمى بالاختبار ا وروف فاقول انني اتعجب اذا تاخرت الامور المذكورة خمس سنوات وليس ٣٠ وعندي اننا سندعى الى الاجراء قبل مرور خمس سنين . ولست من الذين يخافون روسيا ولا غيرها (اسمعوا اسمعوا) ولا اظن ان صوالح انكلترا وروسيا مختلفة عظيم الاختلاف كما يظن البعض ومن الامور عندي ان الاجراءات الخصوصية والصداقية والاعتدال المتبادل واللطف والاتفاق تزيل كل اسباب الخصام ولا بد من ان يبين ان الدنيا تسع انكلترا وروسيا . انتهى

ان تتمة هذه المفاوضات مع كلام مستر ديزرائيلي وزير انكلترا الاول تذكر في الجزء القادم فلتطلب فيه وهو مع هذا الجزء فانهُ مزدوج

ايطاليا

ان ايطاليا من اهم بلدان الدنيا تاريخيًا فانها كانت مركز الدولة الرومانية العظيمة التي طالت دولتها واتسعت جدًّا دائرة املاكها وسادت على جميع ما لك العالم المتمدن حال كون عاصمتها مدينة رومية العظمى التي اصبحت مركزًا للكنيسة الكاثوليكية قرونًا كثيرة ومنذ سنة ١٨٧٠ اضحت مركزًا للملكة ايطاليا الجديدة التي صارت مملكة واحدة بعد ان كانت منقسمة الى ممالك كثيرة قرونًا كثيرة . وقد تقلبت عليها الاحوال واي تقلب فلا يتيسر لنا بالنظر الى ضيق المقام ان ننشر تاريخها فان المقصود اظهار حالتها الجارية لافادة الذين لم يتمكنوا من ان يدرسوا حق الدرس علم الجغرافية واحوال الدول فنقول

ان ملك ايطاليا هو حضرة فتوريو امانيول او فكتور عمانوئيل الثاني ملك ايطاليا ولد في ١٤ اذار (مارس) سنة ١٨٢٠ للميلاد . وهو بكر الملك كارلو البرتو ملك سردينيا والارشيدوقة تريزا النمساوية . وتبوأ تخت المملكة السردينية عند تخلي ابيهِ في ٢٣ اذار (مارس) سنة ١٨٤٩ . وسمي بملك ايطاليا بقرار المجلس العالي الايطالياني في ١٧ اذار (مارس) سنة ١٨٦١ . وتزوج في ١٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٤٢ بالارشيدوقة اديليد النمساوية التي ماتت في ٢٠ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٥٥

اما اولادهُ فهم البرنسس كلوتليد ولدت في ٢ اذار (مارس) سنة ١٨٤٣ وتزوجت في ٣٠ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٥٩ بالبرنس نابوليون جيروم بونابرت الذي ولد في ٩ ايار (سبتمبر) سنة ١٨٢٢ واولادهما نابوليون جيروم ولد في ١٨ تموز (جوليه) سنة ١٨٦٢ ولويس جيروم ولد في ١٦ تموز (جوليه) سنة ١٨٦٤ . وماري ولدت في ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦٦ . وولدهُ ملك ايطاليا الثاني البرنس امبرتو ولي العهد وبرنس بيادمونت ولد في ١٤ اذار (مارس) سنة ١٨٤٤ وهو قائد في جيش ايطاليا وتزوج في ٢٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٦٨ بالبرنسس مارغريتا من جنوا وولدهما فتورو امانيول ولد في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩ . وولدهُ الثالث الملك اميدي وكان لقبهُ الدوق داوستا ولد في ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٤٥ وانتخبهُ مجلس اسبانيا ملكًا لها في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ وتخلى بعد ذلك . وولده الرابع البرنسس بيا ولدت في ١٦ تشرين الاول اوكتوبر سنة ١٨٤٧ وتزوجت بحضرة الملك لويس ملك البرتوغال في ٦ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٦٢

وزوجة شقيق الملك البرنسس اليزابتا ولدت في ٤ شباط (ففريه) ١٨٣٠ وهي بنت الملك جوان السكسوني وتزوجت في ٢٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٥٠ بالبرنس فردينادو من بيادمونت وهو

دوق دي جنوا وابن الملك كارلو البرتو السردينى الثاني وترمات في ١٠ شباط (ففريه) سنة ١٨٥٥ ثم تزوجت بماركيز رابا لو وولدت من زوجها الاول البرنسس مارغاريتا في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥١ فتزوجت بولي عهد ملك ايطاليا في ٢٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٦٦

وقد قال اكثر المورخين ان عائلة سافواي المالكة في ايطاليا هي من نسل كونت الماني اسمه برثولد خل في القرن الحادي عشر للميلاد في جانب جبال الالب الغربي بين جبل بلانك وبحيرة ليمان وسنة ١١١١ انتظم نسله في سلك الامبراطورية التي سميت بالامبراطورية الرومانية المقدسة. وسنة ١٢٨٣ قرر الكونت امادیوس نظامًا قوى العائلة ومكنها من ان تستولي حالاً على ولاية بيس. وسنة ١٤١٦ لقب اولئك الكونتيون بلقب دوق وسنة ١٤١٨ استولوا على بلاد البيادمونت. وكانوا يراعون صوالحهم السياسية بالاتحاد تارة مع فرنسا وطورًا مع الامبراطورية الرومانية المذكورة في الحروب التي كانت منتشبة بينهما وكان ذلك واسطة لازدياد املاكهم في كل الجهات وعلى الخصوص في الجهة الجنوبية. وسنة ١٧١٣ عقد صلح اوترخت فحصلوا بواسطته على جزيرة سيسيليا وهي صقلية ولقبوا بملوك وسنة ١٧٢٠ التزموا بان يبدلوا سيسيليا بجزيرة سردينيا فصار ملكهم ينتسب اليها. وفي صلح سنة ١٨١٥ اضيفت جنوا والاراضي المجاورة لها الى مملكة سردينيا وانقطع الذكور من عائلة سافوا بموت الملك كارلو فيلكس سنة ١٨٣١ وفي نظاماتهم لم يكن يحق لانثى ان ترث الملك فتبوا التخت البرنس كارلو البرتو من عائلة سافوا كاديانو وهو فرع من تلك العائلة من نسل توماز وفرنسسكو ثاني بني الدوق كارلو امانويل الاول من عائلة سافوا ولد سنة ١٥٩٦

فالملك كارلو البرتو الاول من عائلة سافوا كاردينانو تخلى عن الملك في ٢٣ اذار سنة ١٨٤٩ فخلفه ابنه وهو حضرة ملك ايطاليا الحالي. وقد فاز بالحصول على غربي لومبرديا وبعض املاك الكنيسة ودوقيتي بارما وموديا بواسطة معاهدة فيلافيرانكا التي عقدت في ١١ تموز (جوليه) سنة ١٨٥٩ وصلح زوريخ الذي عقد في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٥٩ وضم ايضًا الى املاكه ما بقي من لومبارديا وفنيسيا اي البندقية بواسطة عقد صلح براك في ٢٣ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٦٦. وفي ٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٠ خرج جيش فرنسا من رومية فدخل جيش ايطاليا الى املاك الكنيسة واستولى على رومية وضمت الى المملكة بامر ملكي صادر في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٠ وهكذا تم اتحاد ايطاليا باجراءات الملك المشار اليه الذي يعد من فحول رجال العصر لانه اقام باعمال عظيمة وجعل لايطاليا وجودًا سياسيًا مهمًا وبعد ان كانت ممالك صغيرة لا اهمية لها اصبحت مملكة واحدة من الممالك العظمى الاولية في العالم.

اما المبلغ المعين للملك للقيام بمصاريفه فتقرر بان يكون سنويًا ٦٥٠ الف ليرا ولولي العهد ٤٨ الف ليرا واعطي هذا المبلغ له عند زواجه في نيسان (افريل) سنة ١٨٦٨ ولابن عم الملك دوق دي جنوا ١٢ الف ليرا وللبرنس اوجينوا ٨ الاف وكل ذلك سنويًا بالليرات الانكليزية. ومصاريف البلاط الملكي الغير الاعتيادية كمصاريف اسفار الملك في ولايات ايطاليا وترميم القصور وتحسينها هي كلها من خزينة الحكومة. وسنة ١٨٤٨ اعطت العائلة المالكة املاكها الكثيرة الخصوصية للدولة

نظام الحكومة

ان نظام الدولة الايطاليانية الحالي هو توسيع

النظام الاساسي الملكي الذي منحهُ الملك كارلو البرت لرعاياه في مملكة سردينيا في ٤ اذار (مارس) سنة ١٨٤٨ . وقد تقرر في ذلك النظام ان السطوة الاجرائية هي في يد الملك دون غيره وهو ينفذها بواسطة وزراء مسئولين . اما القوة القضائية فهي في يد الملك والمجلس العالي المولف من مجلسين وهما مجلس الشيوخ (سنا) ومجلس النواب . فاعضاء مجلس الشيوخ البرنسون من العائلة الملكية بعد ان يبلغوا سن الرشاد وينتظم في عضويتهِ عدد غير محدود من الاعضاء الذين يعينهم الملك بشرط ان يكونوا قد فاتوا الاربعين من السن ويبقون في العضوية حياتهم بطولها ومن شروط انتظامهم فيها ان يكون العضو قد تقلد مامورية عالية او اشتهر بالمعارف والعلوم او غير ذلك مما يقدم الامة او ان يكون من الذين يدفعون في السنة ١٧٠ ليرا انكليزية رسومات وكان عدد اعضاء مجلس الشيوخ سنة ١٨٧٣ مائتين وسبعين عضوًا

اما اعضاء مجلس النواب فينتخبون باكثرية اراء الاهالي الذين بلغوا سن ٢٥ ويدفعون رسمًا سنويًا قدرهُ ليرا انكليزية و١٢ شلينًا . وقد انقسمت البلاد الى دوائر انتخابية ولا يقدر احد ان ينتظم في سلك العضوية ما لم يقم بانتخابهِ ثلث الذين كتبت اسماؤهم في دفتر الانتخاب . وينبغي ان يكون النائب قد بلغ سن الثلثين وان يكون لهُ شروط العضوية منها ان يكون صاحب ملك . ومن الذين لا يسوغ انتخابهم جميع مأموري الحكومة الذين لهم معاشات اذا كانوا من اهل رتب ثانوية معينة وجميع الذين يعينون للقيام بالخدمة الدينية . اما المأمورون في الجيش البري وفي البحرية والوزرا والمستشارون وغيرهم من اصحاب الرتب العالية فيسوغ انتخابهم غير انهُ لا ينبغي ان يكون عددهم اكثر من خمس عدد جميع اعضاء

مجلس النواب . وليس لاعضاء مجلس الشيوخ ولا لاعضاء مجلس النواب معاشات ولا تعيينات اخرى ومدة المجلس العالي خمس سنوات على انهُ يحق للملك ان يفض مجلس النواب متى اراد غير انهُ مفروض عليهِ ان يامر بالقيام بانتخابات جديدة . وان يجمع المجلس الجديد في اربع سنوات ومن المفروض على الحكومة الاجرائية ان تجمع مجلس النواب كل سنة . ويحق لكلٍّ من المجلسين ان يطلب تقرير نظامات جديدة كما يحق للحكومة ان تطلب ذلك غير انهُ من الواجب ان يكون اساس كل الامور المتعلقة بالمصروف في مجلس النواب . ويحق للوزراء ان يحضروا في مفاوضات المجلسين غير انهُ ما من راي لهم ما لم يكونوا اعضاء . ومفاوضات المجلسين مفتوحة لكل من يرغب في الحضور ولا تكون الجلسة قانونية ما لم يكن فيها اكثر الاعضاء . وسنة ١٨٧٣ كان في مجلس النواب ٥٠٨ اعضاء وهذا العدد القانوني فانهُ يكون نائب عن كل اربعين الف نفس . وفي ١٩ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٧٠ اصدر الملك امرًا بادخال نظامات ايطاليا الاساسية الى البلاد التي ضمها في تلك السنة الى المملكة ويحق لها ان تنتخب ١٤ نائبًا فيكون عدد كل الاعضاء ٥٠٨ بعد ان كان ٤٩٤

اما الحكومة الاجرائية فهي في يد الملك وقد قسمها الى تسع وزارات وهي وزارة الداخلية . ووزارة المعارف . ووزارة الخارجية . ووزارة النافعة . ووزارة الحرب . والبحرية . والتجارة . والزراعة . والمالية . والعدلية . والاديان . والبلاد الايطاليانية منقسمة الى ٧٣ ولاية والحكومة الاجرائية تسلمها الوزارة الى والٍ .

الكنيسة

قد ذكر في المادة الاولى من نظام ايطاليا

الاساسي ان المذهب الكاثوليكي الرسولي الروماني هو مذهب الدولة وليس سواهُ وفي ٩ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٧٠ تقرر في امر ملكي صادر من حضرة ملك ايطاليا ان رومية والولايات الرومانية تكون قسماً من مملكة ايطاليا وتقرر فيهِ ايضاً المحافظة على ما كان لحضرة الحبر الاعظم من الحقوق الملكية والاستقلال التام حال كونه رئيساً للكنيسة والحبر الاعظ الحالي هو البابا بيوس التاسع ولد في سنيغاليا في ١٣ ايار (مايس) سنة ١٧٩٢ وهو ابن الكونت ماستاي فرتي . صار اسقفاً في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٢٧ . ورئيس اساقفة ايمولا في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٣٨ . وكردينالا في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٣٩ . وانتخب حبراً اعظم خلفاً لحضرة البابا غريغوريوس السادس عشر وذلك في ١٦ حزيران (جون) سنة ١٨٤٦ وتوج في ٢١ منهُ في السنة المذكورة

وكان يقام بانتخاب حضرة البابا في بادي الامر بانتخاب الكهنة واهالي دائرة رومية الاسقفية . وبعد ذلك صار انتخابهُ بواسطة الكاردينالية . وفي القرن الحادي عشر منع حضرة البابا نيقولاوس الكاردينالية حق ادارة الانتخاب وقرر في نظامهِ ان يطلبوا الى خدمة الدين في رومية واهاليها تقرير انتخابهم . وان يكون الانتخاب بثلثي اراء جمعية الانتخاب مع اراء اهالي رومية وخدمة الدين فيها على انهُ ظهر ان ذلك الانتخاب يكون علة للانشقاقات فانقطع تداخل الاهالي وخدمة الدين فيهِ وتمّ ذلك سنة ١٢٢٧ عند انتخاب غريغوريوس التاسع السعيد الذكر

ويكون انتخاب الحبر الاعظم وهو البابا بالاراء فان كل كردينال يكتب اسمهُ واسم الذي ينتخبهُ على ورقة واحدة ويصير وضع تلك الاوراق في كاس مكرَّس موضوع على المذبح في الكنيسة التي يجلسون فيها . وياخذ كل منهم في الدنوّ من ذلك المذبح وفي الركوع والصلوة . وبعد السكون برهة يبادر بعض الكاردينالية في اخراج الاوراق من الكاس فانهم يعينون لذلك وتقابل الاوراق على عدد الموجودين من الكاردينالية فاذا وجدوا ان ثلثي الحاضرين قد انتخبوا احدهم يصرحون بوقوع الانتخاب عليهِ . فاذا لم يفز احد بنوال العدد المطلوب يُعاد الانتخاب ويُقام بتغيير البعض اسماء منتخبيهم . فعند التصريح بالانتخاب تُحرق الاوراق في الحال . اما حضرة الحبر الاعظم الحالي فانتُخب باجماع اراء الكاردينالية وقد سبقهُ ٢٥٧ بابا . اما الملك الزمني الكنائسي في رومية فتاريخ بدايتهِ سنة ٧٥٥ ميلادية عندما منح بيبين ملك الفرنك البابا اسطفانوس الثالث اكسرخسية رافنا واضاف شارلمان اليها ولاية بروجيا وولاية اسبوليتو . والقيصر هنريخ الثالث اضاف الى تلك الاملاك مدينة بينفنتو مع البلاد المجاورة وذلك سنة ١٠٥٣ . وسنة ١١٠٢ اضافت الماركيزة ماتيلدا اليها بالهبة ولايات . واضيفت اليها فورلي سنة ١٢٩٧ وباقي رومانا وسنة ١٣٦٤ بولونا وفي اواخر القرن الرابع عشر تملك رومية وما بينا تملكاً تاماً فمن ايام اسطفانوس الثالث الملك الزمني الاول الى حضرة البابا بيوس التاسع الذي أُخذ الملك منهُ ١٦٣ بابا واذا جمعنا كل زمان ملكهم وقسمناهُ عليهم نرى ان معدل ملك كل منهم اقل من سبع سنوات . ومن المعلوم ان الحبر الاعظم هو راس الكنيسة الكاثوليكية واحكامهُ قاطعة في الامور المتعلقة بالكنيسة والآداب وقد قررت العصمة له واذا شاء يستشير في امور جمعية الكاردينالية وهي تولف من سبعين عضواً وهم ستة كاردينالية اساقفة و٥٠ كهنة و١٤ شمامسة غيران عددهم ليس بكامل الان . فالكاردينالية هم رئسو

الكنيسة. وفي القرون القديمة كانوا اعظم كهنة الكنيسة او شامسة الدوائر. ولم يكن منهم في القرن الثامن غير ٢٨ كردينالاً ولم يزدادوا الى ان بلغوا السبعين الا في القرون المتاخرة. وجمعية الكاردينالية تُسمَّى بالجمعية المقدسة وهم ديوان شورى الحبر الاعظم ويتراسون على جمعيات عمومية وخصوصية ويديرون الكنيسة مادام الكرسي الحبري فارغًا. وفي ايام البابا اينوشنسيوس الثالث اعطي لهم امتياز لبس البرنيطة الحمرا وذلك في مجمع ليون سنة ١٢٤٥ ومُنحوا حق لبس الارجوان سنة ١٢٩٤ في ايام البابا بونيفاشيوس الثامن. اما الدول العظيمة الكاثوليكية فتعين عددًا من خدمة الدين ليحصلوا على سيامة حضرة البابا ويسمون بكاردينالية التاج.

اما الكنيسة الكاثوليكية في العالم فلها ٧ بطريركيات من الطقس او المذهب الكاثوليكي اللاتيني و٥ من الطقس الكاثوليكي الشرقي ولهم دوائر بطريركية و٢٢٣ رئيس اساقفة من الطقس اللاتيني و٧ من الشرقي و٦٦٠ اسقفية لاتينية و٦٣ شرقية. و٢٢٤ رياسة اساقفية واسقفية اسمية

البطريركيات

من الطقس الكاثوليكي اللاتيني

القسطنطينية. الاسكندرية. الانطاكية. الاورشليمية. البندقية. بطريركية جزائر الهند الغربية. لسبون

من الطقس الكاثوليكي الشرقي

الانطاكية المارونية. الانطاكية للروم الكاثوليك الملكيين. الانطاكية السريانية. الانطاكية الكلدانية. الارمنية

رياسات اساقفة

من الطقس اللاتيني

١٢	رئيس اساقفة خاضعًا راسًا لرومية
١٢٠	بدوائر
٧	شرقية
١٣٩	

واذا جمعنا عدد البطاركة ورؤساء الاساقفة والاساقفة الكاثوليك في الدنيا نرى انهم كانوا ٩٩٦ رجلاً في اول سنة ١٨٧٢. وحضرة البابا الحالي قد انشا خمس رياسات اساقفة جديدة و١١١ اسقفية جديدة اكثرها في البلاد الانكليزية والولايات المتحدة الامركانية

الكنيسة والتعليم

سنة ١٨٦١ عدّت حكومة ايطاليا الرعايا خلا فنيسيا فوجدت ان مجموعهم ٢١ مليونًا و٧٧٧ الفًا و٣٣٤ نفسًا وان منهم ٢١ مليونًا و٧٣٠ الفًا و٣٦٢ نفسًا من الكاثوليك اي ٩٩ و٧٤ جزءًا في المائة

والباقي هم ٣٢ الفًا و٦٨٤ نفسًا من البروتستانت و٢٢ الفًا و٤١٨ نفسًا من الاسرائيليين. وسنة ١٨٦٦ اضيفت فنيسيا الى المملكة الايطاليانية وكثرت الكاثوليك فيها فان اهلها كلهم منهم خلا ١٤٠ بروتستانتيًا و٦ الاف واربعمائة اسرائيلي و١٠٥ من المسلمين. وقد ظهر بالتقريرات الاخيرة ان اكثر من ٩٩٪ من المائة من اهالي ايطاليا هم من الكاثوليك. اما رؤساء الاساقفة في ايطاليا فهم ٤٥ والاساقفة ١٩٨ وحضرة البابا يعينهم جميعًا بافادة من مجمع الكاردينالية. غير انه لا يقدر رئيس الاساقفة او الاسقف في ايطاليا ان يتعاطى اشغاله ما لم يقرر

حضرة ملك ايطاليا قبولهُ اياهُ وفي السنين المتاخرة قد امتنع عن قبول كثيرين ولذلك امست رياسات اسقفيتو واسقفيات كثيرة فارغة وعند موت اسقف او فصلو يبادر خدمة الدين في الدائرة الاسقفية الى انتخاب نائب فيتعاطى الامور الكنائسية الى ان يُقام اسقف اصيل . واذا شاخ الاسقف او عجز من جرى مرض او غير ذلك و بات لا يقدر ان يدير الامور الكنائسية يعين وكيلاً ليديرها عنهُ . وفي الغالب يقرر حضرة البابا ذلك الوكيل ويمنحهُ الوسام على دائرة اسقفية اسمية شرقية وعند وصولهِ الى كرسي اسقفية الدائرة بموت الاسقف ينسب اليها . ولكل دائرة اسقفية ادارة قائمة بنفسها مؤلفة من اسقف وهو الرئيس وقانونيين ينتخبها مجلس الدائرة

وكانت خدمة الدين الكاثوليك الايطاليان على جانب عظيم من الثروة قبل سنة ١٨٥٠ فان مجلس سردينيا العالي قرر فيها ابطال بعض امتيازات وحقوق كانوا متمتعين بها . وسنة ١٨٦١ أُجري ذلك القرار في كل المملكة الايطاليانية فقلّل خدمة الدين ومداخيلهم . وتقرر في ايار (مايس) سنة ١٨٦٩ ان في ايطاليا سبعة من خدمة الدين لكل الف من الاهالي مع ان معدل عددهم في سائر العالم الكاثوليكي ٤،٢ لكل الف

وقد ذكر في تقرير رسمي طرح في مجلس نواب ايطاليا سنة ١٨٦٥ انهُ كان فيها في تلك السنة ٣٨٢ ,٢ ديرًا منها ١٥٠٦ للذكور و٨٧٦ للاناث وعدد الرهبان فيها ٣٨ الفًا و٩٩١ نفسًا منهم ١٤ الفا و٨٠٧ ذكور و١٤ الفا و١٨٤ انثى . وسنة ١٨٦٦ قرر مجلس نواب ايطاليا الغا كل الاديرة في ايطاليا وذكر في المادة الاولى من ذلك القرار انهُ عند نشرهِ تبطل كل الجمعيات الدينية او الاديرة وتصير املاكها للدولة . وفي المادة الثانية انهُ يكون لكل اعضا الجمعيات الملغاة حقوق مدنية وسياسية . وفي المادة الثالثة انهُ يعطى لكل راهب او راهبة ٣٦٠ ليرا انكليزية في السنة اذا كانوا قد انتظموا في سلك الرهبنة قبل ١٨ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٦٤ . ولكل من الاخوة والاخوات منهم ١٠ ليرات ولكل خادم تجاوز سن ٦٠ وخدم اكثر من عشر سنوات في ديرهِ ٥ ليرات في السنة . وفي المادة الخامسة انهُ قد افرزت اديرة كثيرة ليسكنها الرهبان والراهبات الذين يرغبون في مداومة عيشتهم الراهبية بشرط ان لا يكون في الدير اقل من ستة منهم . وفي المادة السادسة الغا كل جمعية دينية او رياسة دير ليست متصلة بدوائر كنائسية . وبالمادة التاسعة نظام انتقال املاك الكنيسة الى الدولة . وقد خصصت حكومة ايطاليا اكثر الاملاك التي اخذتها من خدمة الدين لترقية اسباب التعليم وقد خصص المجلس العالي ستمائة الف ليرا لذلك فضلاً عن المبلغ الذي نتج من تلك الاملاك . ومنذ بداية سنة ١٨٦٠ انشات الحكومة ٣٢ مدرسة عالية منها عشر مدارس في الاراضي التي كانت تتالف منها حكومة سردينيا و٦ في لومبارديا و٤ في اميليا و٦ في المارش وامبريا و٢ في تسكانيا و٥ في الولايات الجنوبية . ومع هذا الجهد المبذول في سبيل التعليم لا تزال المعارف غير منتشرة حق الانتشار بين الاهالي . وقد تقرر في تعديل سنة ١٨٦٤ ان ٣ ملايين و٨٨٤ الفا و٢٤٥ نفسًا يعرفون القراءة والكتابة منهم مليونان و٦١٣ الفًا و٦٠٥ ذكور ومليون و٢٦٠ الفًا و٦٤٠ انثى وذلك من ٢١ مليونا و٧٠٣ الاف و٧١٠ انفس وان الذين يعرفون القراءة فقط هم ٨٩٣ الفًا و٥٨٨ نفسًا . والذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ١٦ مليونًا و٩٩٩ الفًا و١٠٧ منهم ٧ ملايين و٨٨٤ الفًا و٢٣٨ ذكرًا و٩ ملايين و١١٠ الاف و٤٦٣ انثى . وبيادمونت متقدمة اكثر من جميع البلاد

و باسيليكاتا متاخرة اكثر من البلاد قاطبة . ففي المكان الاول من كل الف نفس ٥٧٣ نفساً لا يعرفون القراءة ولا الكتابة . وفي الثاني ٩١٢ نفساً من الالف لا يعرفون شيئاً. وفي البلاد الايطاليانية ٢٣ مدرسة عالية عمومية وبعضها موسس منذ زمان قديم . واقدمها مدرسة بولونا تاسست سنة ١١١٩ ونابولي سنة ١٢٤٤ وبادوا ١٢٢٨ ورومية ١٢٤٤ وبيروجيا ١٣٢٠ وبيزا ١٣٢٩ وسيانا ١٣٤٩ وبافيا ١٣٩٠ وتورين ١٤١٢ وبارما ١٤٢٢ وفلورانس ١٤٣٤ وغيرها . وتقرر سنة ١٨٧٠ ان عدد التلاميذ في المدارس العالية العمومية ١٠ الاف و٥٢٤ طالباً. وتقرر سنة ١٨٦٣ ان عددهم ١٠ الفاً و٦٨٨ منهم ٩ الاف و٤٥٩ في مدرسة نابولي العالية والف و١٧٣ في مدرسة بافيا و٨٨٩ في تورين

الدخل والمصروف

ان الحسابات المطروحة امام مجلس ايطاليا العالي تنقسم الى قسمين وهما دخل اعتيادي وغير اعتيادي وكذلك المصروف . وقد ظهر ان معدل دخل مملكة ايطاليا في ثلث سنين ٤٠ مليون ليرا مع ان المصروف الاعتيادي كان ٤٨ مليون ليرا هذا خلا المصروف الغير الاعتيادي فيكون النقص ٨ ملايين ليرا . وفي السنين الاخيرة ظهر نقص الدخل عن المصروف بحسب التعديلات وما ياتي هو تعديل سنة ١٨٧١ . فالتعديل ٥٠ مليوناً و٥٩٦ الفاً و٣٢٦ ليرا انكليزية دخل فعلاً ٥٠ مليوناً و٢٩٧ و٩٣٢ ليرا . وعدل المصروف بستة وخمسين مليوناً و٩٢٥ الفاً و١٣ ليرا انكليزية وصرف فعلا ٥٨ مليوناً و٤٣٢ الفاً و٥٣٧ ليرا. فيكون النقص فعلاً فيها ٨ ملايين و١٣٤ الفاً و٥٢٧ ليرا . اما تعديل سنة ١٨٧٢ من جهة المصروف فكان ٦١ مليوناً و٩٣٣ الفاً و٤٠١ ليرا وكذلك الدخل وما ياتي ترجمة تعديل رسمي اصدرته الحكومة الايطاليانية في بداية السنة والتعديل بحساب اللير الايطالياني وهو فرنك اي كل ٢٥ ليرا ايطاليانية ليرا انكليزية

تعديل مداخيل دولة ايطاليا سنة ١٨٧٣ (لير)		تعديل مصاريفها عن السنة المذكورة (لير)	
٣٢٤،٩٣٠،٦٠٤	اموال الاراضي والعقارات	١،٠٢١،٢٣٠،٢٣٥	فائض الدين ومعينات ومرتب الملك
١٨٦،٧٨١،٩٧٨	تمغات	٣١،٤٥٨،٧٨٧	وزارة العدلية
٤٣،٥٠٠،٠٠٠	رسومات تشهينية	٥،٤٩٠،٨٣٥	وزارة الخارجية
١٠٤،٦١٠،٦٣٧	رسوم الارث والقيودات	١٩،٣٩٤،١٧٨	المعارف
٨٤،٣٠٠،٠٠٠	رسومات البضائع	٥٥،٠٩٣،٩٠٩	الداخلية
٧٩،٠٧٤،٩٠٨	رسومات مقطوعية	١٨٣،٢١٦،٥٥٠	الحربية
١٤٨،٢٧٨،١٩٣	حصر التبغ والملح	٤٤،٤٩٩،٩٦٣	البحرية
٩٧،٦١٣،٠٩٦	رسوم اقتراع	١٦٦،٢١٦،٥٥٠	النافعة
٣١،٤٩٤،٦٧٤	املاك الدولة	١١،٠٧٠،١٧١	التجارة والزراعة
٣٦،٧٠٧،٥٩٧	البريد وغير ذلك	١،٥٤٨،٣٣٠،٠٢٣	مجموع المصروف
٥١،٩١١،٩٨٢	مختلف	٦١ ٩٣٣ ٤٠١	عنها ليرات انكليزية
١،٠٩٩،٢٠٣،٦٦٧	مجموع المداخيل الاعتيادية		

٤٤٩,١٢١,٢٠٥ مداخيل غير اعتيادية

١,٥٤٨,٣٣٥,٠٢٢ مجموع الدخل

٦١,٩٣٣,٤٠١ عنها ليرات انكليزية

اما تكرار وقوع نقص في الدخل عن المصروف في السنين المتاخرة الناتج عن ازدياد المصروف كثيرًا بدون ان يزاد الدخل زيادة تقابل ذلك فكان يسد اما بقروض واما ببيع املاك الدولة وبحصر امور وسنة ١٨٦٧ تضايقت الخزنة حتى بلغت ضيقتها درجة لم تبلغها قبلاً ووضعت الحكومة بارتضاء مجلس النواب ٢٤ مليون ليرا على الاملاك الكنائسية وسنة ١٨٦٨ بيع حصر التبغ الى شركة فرنسوية بقرض قدره ٧ ملايين ومايتا الف ليرا تدفع في ٦ اشهر وسنة ١٨٦٤ بيعت الطرق الحديدية المختصة بالحكومة بثمانية ملايين ليرا . اما ما بقي من النقص فسد بقروض داخلية وخارجية

اما مجموع الدين الايطاليانى فكان في نهاية سنة ١٨٧١ بالاسم ٣٦٠ مليونًا و٨٠٧ الاف و٤٠٧ ليرات انكليزية وتبينة كما ياتي

٢٢٣,١٢٧,٤٠٧	اسهم ٣ و٥ في المائة
٩٣,٢٠٠,٠٠٠	دين عام
٤٤,٤٨٠,٠٠٠	دين جارٍ (فلوتن)
٣٦٠,٨٠٧,٤٠٧	المجموع

وقد تعدل سنة ١٨٧٣ ان مصاريف الدين العام كلها من فائض وادارة واستحقاقات ٣٠ مليونًا و٣٤٠ الف ليرا انكليزية وذلك اكثر من نصف مجموع دخل المملكة كلها

الجيش والبوارج

ان نظام عسكرية سردينية هو اساس نظام عسكرية المملكة الايطاليانية . وبموجبه يجمع كل سنة من الشبان الذين بلغوا الواحد والعشرين من ٤٠ الى ٥٠ الفًا وذلك للجيش العامل وينتظم الباقي في الرديف ويلتزم رجاله ان يتمرنوا سنويًا ٤٠ يومًا . وفي ٢٤ كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٦٢ صدر امر الملك بان ينقسم الجيش الايطالياني الى ٦ اقسام . وكان عدد الجيش الايطالياني في بادي سنة ١٨٧١ كما يظهر من القائمة الاتية

المجموع في وقت الحرب	عدد رجال الرديف والاحتياطية	عدد الرجال المتسلحين في وقت السلام	اسماء الجيوش
٣٠٣,١٢٣	١٨٤,٢٧٣	١١٨,٨٥٠	مشاة
٣٦,١٧٥	٢١,٤٤٨	١٤,٧٢٧	مشاة يسمون برسا ليري
٢٥,٧٦٩	٩,٦٠٤	١٦,١٦٥	فرسان
٣٥,٣٦٤	١٨,١٦٣	١٧,٢٠٢	جنود مدافع
٣,٦٦٧	٥٦٣	٣,١٠٤	مهندسون

جنود مهمات	٢،٤٥٤	٧،١٥١	١٠،٦٠٥
جنود اخرى	١٩،٦٢٨	—	١٩،٦٢٨
جنود ادارة	٤،٤٦٣	٣،٧٥٢	٨،٢١٥
جنود تعليم	٢،٩٦٤	—	٢،٩٦٤
	١٩٩،٥٥٧	٢٤٤،٩٥٢	٤٤٥،٥٠٩

وكان للجيش سنة ١٨٧١ خمسة عشر الفا و٠ ١١ ضباط ولم يذكروا اعلاه. ومنهم ٨٧٠ اركان الحرب والباقي لقيادة الجيوش. اما زمان الخدمة العسكرية في الجيش العامل فهو عشر سنين بشرط ان يكون الرجال في بيوتهم نصف المدة المذكورة بالرخصة . وبعض الجنود وهم قليلون يستخدمون ٨ سنوات ثم يطلق سبيلهم وزمان الخدمة في جيش الرديف ٥ سنوات. وكل رجل من المملكة ينتظم في الجيش العامل او في الرديف . وابطل اعفا الذين يتعلمون ليصيروا كهنة

اما بوارج المملكة الايطاليانية فكانت في غرة سنة ١٨٧١ ميلادية ٩١ بارجة فيها ٧٩٨ مدفعاً وهي الاتية

عدد مدافع	عدد بوارج	المراكب الشراعية
٣٦	١	بارجة من الصنف الثاني
٥٣	٤	بوارج من نوع الكورفت
٣٠	٣	بوارج من نوع الابريق
٦	١	مراكب نقلية
١٠٤	٨	مجموع المراكب الشراعية

مراكب بخارية من نوع اخر		مراكب بخارية دفاشة		بوارج مدرعة		
عدد مدافعها	عددها	عددمدافعها	عددها	عددمدافعها	عددها	بوارج بخارية
—	—	٢٤٨	٨	٧٣	٥	بوارج اولية من نوع الفرقاطة
—	—	٣٣	١	٦١	٧	ثانوية من نوع الفرقاطة
—	—	—	—	٣	١	من نوع الناطحة
٣٠	٣	٤٢	٣	٣٢	٢	بوارج اولية من نوع الكوورفت
٣٠	٥	١٨	٣	—	—	ثانوية من نوع الكورفت
١٥	٤	—	—	—	—	ثالثية من نوع الكورفت
—	—	—	—	٦	٢	سفن اولية
—	—	٣٠	٥	٢٧	٥	ثانوية
٣٨	٢٠	٣٠	٩	—	—	مراكب النقل
١١٣	٣٢		٢٩	٣٠١	٢٢	مجموع البوارج البخارية
٦٨١٠		٩٣٥٦		١١٣٨٠		مجموع قوتها البخارية

واذا عددناها جملة نقول انها كما ياتي

قوة الآتها التجارية	عدد مدافعها	عددها	انواعها
١١٣٨٠	٣٠١	٢٢	مدرعة
٩٢٥٦	٣٨٠	٢٩	بوارج بخارية دفاشة
٦٨١٠	١١٣	٣٢	بوارج بخارية من نوع اخر
—	١٠٤	٨	بوارج شراعية
٢٧٤٤٦	٧٩٨	٩١	المجموع

وكان في البوارج الايطاليانية سنة ١٨٧١ ميلادية ١١ الفا و٠٠ ٢ ملاح و٦٦٠ مهندسًا وصانعًا و١٢٧١ ضابطًا منهم اميربحر واحد و٥ نواب امير بحر و١٢ وكيل امير بحر و٢٠٠١ من الرؤساء المعروفين بالقبابطين وكان فيها ٥٧٠٠ جندي منهم ٢٢٥ ضابطًا

المساحة وعدد الاهالي

ان العدد العمومي الذي اقامت به الحكومة الايطاليانية بعد ضم املاك الكنيسة هو الذي جرى في غاية سنة ١٨٧١ وظهر به ان عدد الاهالي ٢٦ مليونًا و٧٩٦ الفًا و٣٥٢ نفسًا وهم يقطنون بلادًا مساحتها ١١٢ الفًا و٦٧٧ ميلاً مربعًا انكليزيًا فيكون لكل ميل ٢٣٧ نفسًا وهذا اقل من الذين يقطنون في ميل مربع من الانكليز والايرلانديين ولكنهُ يزيد عن الالمان ٢٠ في المائة وعن الفرنسويين ٢٦ فيها

وقد انقسمت ايطاليا للادارة الى ٦٩ ولاية ولا يلزم ان نذكرها كلها غير انهُ ربما كان يرغب بعض الناس في الوقوف على عدد الايطاليان. قبل انضمام ايطاليا بحسب ممالكها والولايات التي كانت تابعة لدول اخرى ويظهر ذلك مما ياتي

اعداد اهاليها سنة ١٨٥٩	مساحتها اميال انكليزية مربعة	الاقسام القديمة
٣,٧٨٠,٦٦٢	١٥,٣٧٣	املاك سردينية في نفس ايطاليا
٥٧٣,١١٥	٩,٥٤٧	جزيرة سردينية
٢,٧٦٤,٩١٣	٧,٧٦٥	لومبارديا
٢,٤٩٤,٤٤٣	٩,١٧٧	فنيسيا
٢,٠٤٤,١٠٨	٨,٨٢١	اميليا
١,٣٩٣,٨٣٤	٥,٩٩٧	امبريا ومارش
١,٨١٢,٢٥٣	٩١٥٠	تسكانيا
٧,٠٢٩,٣٧٣	٣١,٦٢١	مملكة نابولي
٢,٣٠٣,١٦٨	١٠,٥١٠	جزيرة سيسيليا
٦٩٣,١٠٦	٤٧١٦	املاك الكنيسة
٢٤٨٩٢٣٥٨	١١٢٦٧٧	المجموع

هذا وقد ظهر من ذلك ان الامة الايطاليانية زادت في ١٢ سنة مليونًا و٩٠٣ الاف و٩٩٥ نفسًا

اي نحو واحد في المائة في السنة واكثر الاهالي بالنسبة الى الاراضي في لومبارديا وجزيرة سيسيليا واقلهم في جزيرة سردينية . وقد زاد الاهالي في لومبارديا وشيسيليا اكثر من سائر البلدان و بعدهما في سردينية وولايات نابولي . وقد عدل ان ثلثي اراضي ايطاليا التي تصلح للزراعة محروثة والثلث متروك . اما مساحة الارض المزروعة في ايطاليا فهي ٢٢ مليونًا و١٧ الفًا و٩٦ هيكتارًا وما ياتي هو تقسيمها

هيكتار	
١١٫٠٠٢٫٠٦١	اراض مستسهلة لزرع الحبوب
١٫١٧٢٫٤٢٦	اراض عند مجاري المياه
١١٤٫٩٠٢	اراض لزرع الارز
٥٥٤٫٧٦٧	اراض فيها زيتون
٥٨٥٫١٣٢	ارض فيها كستنا
٤١٥٨٫٢٤٩	غابات
٥٫٣٩٧٫٤٤٨	مراع
٢٢٫٠١٧٫٠٩٦	المجموع

وفيها فضلاً عن ذلك ٣٩٩٧٠٥٧ هيكاترًا من الارض الصخرية والاجام والمستنقعات . ومن اراضي الحراثة اكثر من نصفها مختص بزرع الحبوب وعلى الخصوص الحنطة غير ان محاصيلها لا تكفي البلاد واكثر اهالي ايطاليا يشتغلون بالزراعة واهالي المدن قليلون بالنسبة الى اهالي القرى الزراعية . وعند عد الاهالي سنة ١٨٧١ ظهر ان عدد المدن الاتي ذكرها هو كما تبين من الارقام المقابلة لها

عدد الاهالي		عدد الاهالي	
٤٤٨٫٧٤٣	نابولي	١٣٠٫٢٦٩	جنوى
٢٦١٫٩٧٦	ميلان	١٢٨٫٩٠١	فنس
٢٤٤٫٤٨٤	رومية	١١٥٫٩٥٧	بولونا
٢١٩٫٩٣٨	بالرمو	١١١٫٨٥٤	مسينا
٢٠٧٫٧٧٠	تورين	٩٧٫٠٩٦	ليكورنا
١٦٧٫٠٩٣	فلورانس	٨٤٫٣٩٧	كاتانيا

وكان في مدينة رومية في العيد الكبير من سنة ١٨٧٢ ميلادية ٢٥٦ الفًا و٢٢ نفسًا . وكان عدد اهاليها سنة ١٨٦٩ ميلادية ٢٠٤ الاف و٦٧٨ نفسًا منهم ١٠٥ الاف و٥٦٩ ذكرًا و٩٩ الفًا و١٠٩ اناث . و١٨ الاف و٤٨٠ خادم دين . وكان مجموع عدد البلدان التي تتألف مملكة ايطاليا منها سنة ١٧٨٨ ميلادية ١٢ مليونًا و٦٣٠ الفًا . وقد تبين من ذلك ان اهالي ايطاليا لم يكثروا في نحو قرن كالامم الاخرى

تجارتها وصناعتها

ان اهم التجارة الايطاليانية متعلقة باربع بلدان وهي فرنسا وانكلترا والنمسا وسويسرا فالوارد اليها

من فرنسا قيمتة نحو ٨ ملايين ليرا انكليزية في السنة والصادرات هي نحو ذلك و بعدها في الاهمية تجارتها مع انكلترا و بعدها النمسا وسويسرا . وكانت قيمة كل الواردات سنة ١٨٧١ ميلادية ٣٦ مليونًا و٣٨٧ الفًا و٦٠ ٣٦ ليرا انكليزية والصادرات ٤٤ مليونًا و٨٢١ ٤ الفًا و٦٠٠ ليرا . واهم الواردات الى ايطاليا الحنطة والقطن المنسوج واهم الصادر منها الحرير المنسوج والغير المنسوج والعرق والزيت فصادر الحرير قيمتة نحو ٧ ملايين ليرا . اما المراكب التجارية المختصة بايطاليا فكانت سنة ١٨٧٠ كما ياتي هذا مع مراكب فنس

مراكب بخارية طونولات	مراكب بخارية عدد	مراكب شراعية طونولات	مراكب شراعية عدد	محمول المراكب
—	—	٦١٢٠	٧	ما محمولة من ٨٠١ طونولاتة الى الف
٤٨٩٣	٩	٩٨٧٨٩	١٧٠	ما محمولة من ٥٠١ طونولاتة الى ٨٠٠
١١٥٢٦	٣٣	٣٦٠٨٦٩	٥٨٣	ما محمولة من ٣٠١ طونولاتة الى ٥٠٠
٥٨٤٥	٢٩	٢٤٩٧٧٥	١٣٣٣	ما محمولة من ١٠١ طونولاتة الى ٣٠٠
		١٤٧٣١٦	٢٩٥٥	ما محمولة من ١٠٠ طونولاتة الى ٢١
٢٢١٢	٣٣	٠٣٩٧٤٩	٢٤٤١	ما محمولة من ٦ طونولاتات الى ٢٠
		٣٢٧١٩	٩٠٧٤	ما محمولة اقل من ٦ طونولاتات
٢٤٤٧٦	١٠٣	٩٢٥٢٣٧	١٧٥٦٣	المجموع

وكان مجموع عدد المراكب الشراعية في اول كانون الثاني (جانيوري) سنة ١٨٦٨ ميلادية ١٧ الفًا و٦٩٠ ومجموع محمولها ٧٩٣ الفًا و٤٣٠ طونولاتة وعدد المراكب التجارية ٩٨ مركبًا ومجموع محمولها ٣٢ الفًا و٩١ طونولاتة وهذا يبين ان محمول المراكب الشراعية قد زاد وقد زاد عدد المراكب التجارية ومحمولها

وقد تقرر في دفاتر ايطاليا الرسمية انه كان من اهاليها ١٨٠ الفًا و٨٥٠ رجلاً شديدًا يتعاطون اشغال البحر وذلك في بداية سنة ١٨٧١ . وفي سنة ١٨٧١ قرر وزير النافعة ان ٩٠٦ كيلومترات من الطرق الحديدية قد تمت في ايطاليا اوكادت تتم وكلها للحكومة و١٨٧١ و١٨٧٢ صمم على الشروع في ٤١٥ كيلومترًا واتمامها . ويكون مجموعها كلها نحو الفي كيلومتر والمصاريف اللازمة لها ٣٠ مليون ليرا . وكان طول الاسلاك البرقية سنة ١٨٧٠ ميلادية ١٦ الفًا و٢٥٩ كيلومترًا ونحو ثلثيها للحكومة . ودخل التلغرافات لم يسد مصاريفها

تاريخ فرنسا

عاليًا في الحال في بايون واعضاؤه ٥٠ عضوًا من اشهر رجال اسبانيا . وكانوا محبين لوطنهم فسروا بما كانوا يرون من اسباب نجاح وطنهم . وقرروا نظامًا حرًّا موافقًا لاحوال اسبانيا ولمشرب الزمان

ووصل جوزف الى بايون في ٧ حزيران سنة ١٨٠٨ وزار المجلس المذكور الملك الجديد لينوب عن الامة الاسبانيولية في الخضوع له ثم ساروا جميعًا الى نابوليون وشكروه على تخليصهم من اتعابهم من ضيم القلوب فانهم راوا انه قد جعل لاسبانيا استقبالاً مجيدًا

وفي ٩ تموز (جوليه) سار جوزف شقيق نابوليون قاصدًا اسبانيا ومعهُ ابطال كثيرون واكثر من مائة مركبة فيها اعضا المجلس ليثبتوا عرش الملك فيها .

وبلغ هذا الخبر حالاً الى جميع الدول الاجنبية فبادرت كل دول اواسط اوربا خلا القليل الى الاعتراف به ولم يكتفِ امبراطور روسيا بذلك ولكنهُ هناهُ بالفوز لانهُ كان يعلم ما لجوزف المذكور من الصيت الحسن واستقامة الراي . وكذلك فرديناند ابن الملك السابق كتب الى جوزف تحريرات تهنئة وطلب اليهِ ان يتوسط لهُ عند اخيهِ بان يزوجهُ احدى بنات اخوتهِ . ولا ريب في ان الذي يتامل في هذه الحوادث يرتبك فلا يعلم ايمدح فعل نابوليون ام يذمهُ . ولو امكن الذم لزال الارتباك . وقد فعل افعالاً عظيمة جداً تشفع بخطائهِ الذي لا يحكم خالي الغرض بهِ عليهِ في الظروف التي كانت جارية . ولا يقدر احد ان يتامل في صعوبات نابوليون كلها بدون ان يحكم بانهُ من الواجب ان يتساهل المورخ عند الكلام عن بعض اعمالهِ . فاذا قلنا ان الملك كارلوس الرابع الاسبانيولي كان مالكاً بالاسم وان المالك فعلاً كودوا صحب الملكة وانهُ تنحى لفرديناند ابنهِ وقال انني لم اسر بعمل كهذا العمل حياتي بطولها . وفي يوم كتابة هذا كتب سرّاً وقال انني اقرر ان اعلان التنحي الذي كتبتهُ لابني هو من الاعمال التي التزمت بان اقوم بها لمنع هرق الدماء ولذلك لا يعتبر الا كالعدم هل تحكم بالعرش لهُ او لابنهِ الذي كان قد استولى عليهِ بعد ان اهاج ثورة بخيانة والزم اباهُ بان يتنحى . فما هو حق فرديناند يا ترى . اما نابوليون فابان للاب وابنهِ والحب بانهم اذا حصلوا على الخبر الكافي واسباب الصيد والملاهي يصرفون وقتهم بسرور لا يفوزون بهِ وهم مالكون فتنحوا لهُ . فهل كان حق الملك لهُ

ولا ريب في انهُ لو عضد نابوليون فرديناند بعد ان بلغ العرش بالخيانة والعصيان حكم العالم بظلمهِ وقوى الحزب المضاد لهُ وابتعد عن قواعدهِ المقررة بعضد سياسة ظالمة متعصبة مضادة للحرية . فلو راهُ العالم يرقي اسباب الحرية والمساواة في فرنسا والعبودية السياسية في اسبانيا لطعنوا فيهِ طعناً لا يقدر ان يجيب عليهِ بسبب تضحية قواعدهِ اصولحوِ اما انكلترا فلم تكن تمتنع عن القيام بمثل ذلك فكان نابوليون يشمئز منها فانها قيدت امة متاخرة بقيود ظلم شديد بجيشها وبوارجها والحقت ضرراً باسبانيا واوربا والعالم اجمع فلا تقدر ان تعتذر عنهُ

ولا يخفى ان ملوك اوربا كانوا قد اجتمعوا ليقلبوا دولة نابوليون بالموامرات والخيانة وغير ذلك ولم تر الارض اعمالاً عظيمة كتلك الاعمال المصروفة للوصول الى الغاية المذكورة . ولم يكن للملك في العالم حق اثبت من حق نابوليون بامبراطوريتهِ فان الامة اجمعت على تمليكهِ . فالتزم بان يدافع عن نفسهِ ويسلب من البوربون في اسبانيا القوة التي كانوا يتخذونها لاهلاكهِ . وفيهِ بكرامة الاخلاق الى ان يقوم بكل ما يأول الى تخفيض كدرهم وتاثير سقوطهم فيهم حتى انهُ حملهم على ان يحبوهُ . وقد قال نابوليون عن اسبانيا لو ثبتت الحكومة التي انشاتها فيها لكانت انفع الامور لها فانها تمكنني من اصلاح حالها وقطع فسادها وجعلها امة عظيمة او من اعطائهم دولة جديدة لا تدعي بحق الملك الا لمقابلة الخير الذي تقوم بهِ عوضاً عن دولتها البوربونية الضعيفة الجاهلة الحمقا . وكنت قاصداً ابطال الخرافات وسطوة خدمة الدين ومجلس الفحص الديني والاديرة . وقال للاكابر مرات كثيرة ان ما نشا عن سياستي في اسبانيا شاهد على انها لم تكن صحيحة . فانهُ كان من الواجب ان اقرر لها نظاماً حراً وان اسلمهُ الى فرديناند لينفذهُ . فلو صدق واقام بها لفازت اسبانيا وتقدمت ونلنا الغاية العظمى بحصول فرنسا على حليفة جليلة وقوة مهمة ولو قصر بالقيام بتعهداتهِ لقلبهُ الاسبانيول

انفسهم دولتة وطلبوا اليَّ ان اقيم لهم ملكاً . والصحيح ان حرب اسبانيا من المصائب وهي علة اضرار فرنسا الاولى . وقد نسبت اليَّ امور لم اقم بما يدل عليها والتاريخ سيعدل في الحكم . وقد اتهمت بسبب سياستي الاسبانيولية بالخداع ونصب الشراك والنكث بالعهود مع انني بري من ذلك كلهِ ولم اغير بوعد ولا قصرت بالقيام بالعهد لا في اسبانيا ولا غيرها . ولابد من ان يرى العالم ان في الاجراآت المهمة الاسبانيولية كنت قريباً من بلاطها ولم انكث بعهد معقود بيني وبين الملك وابنهِ وانني لم آتِ بهما الى بايون بالكذب ولكن كل منهما كان يجتهد في ان يبلغها قبل الاخر . فلما وجدتهما عند قدمي ورايت من جهلهما وقصورهما ما رايت نظرت بشفقة الى احوال امة عظيمة واغتنمت سنوح هذه الفرصة الغير الاعتيادية لاصلاح حال اسبانيا وتخليصها من نير انكلترا لاجعلها متحدة معنا وتقرر عندي ان ذلك وضع الاساس لراحة اوربا . ولكنني كنت بعيداً عن استخدام وسائط دنية خداعية لادراك ذلك المطلب واذا حكم عليَّ بالخطا يكون من جهة اظهار البواطن اظهاراً ناشئاً عن جسارة عظيمة وعن اجتهاد شديد ولم تكن بايون مركز موامرة ولكنها كانت مركز صدور عمل عظيم سياسي . ولو عولت على القيام برياء قليل لخلصت نفسي من هذه التهمات ولو سلمت امير السلام (هو محب المملكة) الى الاهالي ليوقعوا بهِ غير ان بدني اقشعر من مجرد ذلك ورايت انني سافبض ثمن دم . ولا بد من ان اقول ان مورات الحق بي ضرراً عظيماً بتصرفاتهِ . فالنا ولذلك ولم آكن اقيم بوسائط معوجة فانني وجدت نفسي قوياً وكنت اتجرا ان اقوم بالاعمال من مركز مرتفع . وكنت ارغب ان اتقلد القوة الغير المنظورة التي توثر في الناس فانها تصلح تعاستهم بوسائط كثيراً ما تكون غير معتمد لهُ غير انها ليست بظاهرة الحكم البشري . فهذا تاريخ احوال فرنسا كلها بالاختصار فليكتب العالم وليقل ما يشا فان النتيجة تكون كما قررت وقد رايت انهُ لم يكن لزوم للقيام باجراآت موسسة على الكذب والخداع او نكث الوعود ولا بيت مذنباً ينبغي ان افعل ما يضر بناموسي ولم اظهر شيئاً يدل على انني زاغب في ذلك . انتهى

وقد قال المورخ اليسون الانكليزي ربما كنالا نجد في تاريخ العالم اجمع ولو كانت مسودة بذكر شرور العالم ما يشابه اعمال نابوليون التي اكسبتهُ مملكة اسبانيا بالخداع والكذب . انتهى . وقد قال السار والتار اسكوت من الواجب ان نعدل بالحكم من جهة نابوليون فنقول انهُ لم يحاول قط في اثناء تلك المفاوضات الغير الاعتيادية ان يستر سياستهُ المبنية على حب الذات . انتهى . ولا ريب في ان السار والتار المورخ الانكليزي قد اصاب فان الامر واضح وهو انهُ وقع نزاع شديد بينهم في العائلة البوربونية المهمة فسار اعضاؤها الى نابوليون ليحصلوا على مساعدتهِ كل منهم بحسب ميلهِ . وكان قد خطر لنابوليون ببال ان يقلب دولتهم بسبب خداعهم فانتهز هذه الفرصة الغير المنتظرة وقال لهم بوضوح انهُ لا يسمح ان يبقى احدهم على عرش الملك ووعدهم بان يعطيهم كل ما يحتاجون اليهِ من العظمة والثروة اذا تخلوا عنهُ واشتد البغض بين الولد ووالدهِ حتى ان كلاً منهما كان يفضل ان يرى نابوليون في العرش على ان يرى فيهِ خصمهُ فقبلا . فمنحهم نابوليون كل ما يحتاجون اليهِ من اسباب العظمة والملاهي والحظ والاماكن للصيد والقنص ووضع في عرش اسبانيا رجلاً من اكرم رجال فرنسا واصدقهم وصار الشروع في اصلاح احوالها . وامن نابوليون من ان يكبس في موخرتهِ

الفصل الثالث والاربعون

اجتماع الخاطر

وعاد نابوليون من بايون الى باريز وزار في طريقه ولايات فرنسوية كثيرة جنوبية فكان الناس يقابلونه في كل مكان بفرح لا مزيد عليه . وكانت فرنسا في نجاح عظيم . وكان الناس يعلمون ان تدبيراته علة ذلك التقدم . وكان رعاياهُ يحبونه محبة لم يفز بمثلها ملك من ملوك اوربا . وقد قال موسيو تيرس في تاريخه ان الناس كانوا يحيونه في كل مكان بجميع علامات الاعتبار باجتماع جماهير غفيرة فان الرجل الكريم الذي خلصها من الحروب الاهلية واعاد اليها الامنية والنجاح والدين كان يعد عندهم اعظم من رجل بل كان كانه معبود . انتهى . فشهادة كهذه الشهادة مستغربة عند الذين لم يكونوا يسمعون غير الاخبار التي كانت تذيعها عنه انكلترا المنتصرة و بوربون فرنسا . فمن الواجب ان يتامل الانسان المتعقل دقيقة واحدة في الاحوال ليرى انه من مصلحة كل مضادي نابوليون في زمانه و بعدهُ ان يذيعوا اخبارًا كاذبة عن ضدهم العظيم فان ثبات كراسيهم كان معوقفًا على كره الناس له ولعائلته . فبذلت اوربا غناها وجهدها في سبيل الطعن والتنديد حتى انه لم يمس رجل عرضة لما امسى نابوليون عرضة له في الزمان المذكور من ذلك . ومن المعلوم ان الاهالي في كل بلاد يعظمون اسم نابوليون فانه كان صديقهم وحاميهم . فمن ياترى يقول ان الدوق اوف ولنكتون القائد الانكليزي كان متحدًا هو وملوك اوربا على المدافعة عن الحقوق العامة وان نابوليون المستند الى حب الاهالي له كان يحامي عن الامتيازات الاميرية . ومع ذلك تجاسرت انكلترا ان تقول بتاكيد انها كانت تدافع عن حرية اوربا وفازت بالحصول على ما ربها فاين تلك الحرية التي افتخرت بالمحاماة عنها . هل حصلت عليها اسبانيا بفرديناند او هل كانت خلاص نابولي من مظالم البور بون او حصول المجر على حرية طالما تمنت الحصول عليها . وقد امست انكلترا تخاف حكومة روسيا المطلقة كما كانت تخاف حرية فرنسا فبانقلاب دولة الامبراطورية الاولى انقلبت دولة الحقوق العامة وقد قال نابوليون لابد من ان تصير اوربا اما جمهورية واما قوساقية

ولا يخفى انه من المستصعب تحقيق الاخبار المتعلقة بصيت الذين يكونون في مراكز عالية . وكان نابوليون يتهم باعظم الذنوب التي يمكن ان تلقى على الانسان . وكانت تلقى التهمات على كل اعضاء العائلة الامبراطورية . اما الان فان اعداءها يقولون انها كانت تهمات باطلة . وقد قالت الانسكلو بيذيا بريتانيا الانكليزية كانت هذه البلاد تصدق كل الاخبار المعيبة التي كانت تنسب الى نابوليون . وكان الناس يؤكدون الاخبار العظيمة جدًا فان اعظمها كانت عندهم اقربها للتصديق والعدوان حملهم على ان يصدقوا اخبارًا لا يمكن حدوثها . حتى انه كان مقرر عند الناس ان جوزيفين زوجته لم تكن ذا عرض مصون وذلك بدون برهان فهل يمكن ان يسمح بذلك نابوليون الذي راى انه لابد من قطع كل فساد وطرد من خدمته وحضرته كل النساء اللواتي كان يرتاب في حسن صيتهن فهل يفعل ذلك اذا كان عالمًا بانه قد تزوج امراة ذات عرض غير مصون . انتهى . وقد قال انجارسول في خريف سنة ١٨٠٢ اجتمعت بنابوليون وقد رايت ان المطامع الشديدة والانقلابات العظيمة قد جعلته غرضًا للطعن الشديد الذي قد بات عرضة له . ولا يتقرر الحق الا بعد زمان طويل وقد اخذ في الزوال .

(اسعاتي بقيته)

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

غير انها تضايقت جدًا لما رأتهُ في ذلك المكان وكانت تنظر يمينًا وشمالاً لترى الانسان الذي كان مزمعًا ان يذهب بها الى زوجها المريض وكانت تقول في نفسها ماذا اقول لهُ كيف اقدر ان استر امري . ثم قالت لهُ صحيح هذا غير منتظر ولم تنقطع عن التلفت غير انني لا احب ان امنعك يا قبطان عن الذهاب في سبيلك وربما كنت اجتمع بك مرة اخرى فانني الآن مشغولة البال ومسرعة لان احد اصدقائي مريض جدًا فاعذرني . قال لقد اشغلت بالي غير انهُ لا بد لك من ان تسمحي لي بان اساعدك قليلاً اين صندوقك . قالت خرجت بسرعة فلم آت الا بخرج فلا تهتم بذلك فانني قادرة على الاهتمام بهِ وسياتي من يلاقيني . قال صحيح هذا هل هو خادم او رجل من اهل الاعتبار فانهُ لا بد من ان اسال عنهُ لان الظاهر ان الناس اخذون في الانصراف هل تأكدت ان رجلاً يلاقيك هذه الساعة . قالت بصوت منخفض ضعيف قد وعدت بذلك على انها اضطربت جدًا وشعرت ان فوادها قد غار عند ما فات الزمان بدون ان تصادف احدًا وان كل انسان مشغول بامرهِ وما من احدٍ يسال عنها . فقالت في نفسها هل نسيني هنري او خانني الرسول فالى اين ينبغي ان نذهب وما هو السبيل للوقوف على خبرهِ . هذا والقبطان واقف ينتظر الجواب منها فانهُ كان يعرفها وهي في عزّها . ثم قال لها لم يبقَ احد غير مأموري الطريق فالاوفق ان تقطعي النظر عن الرسول وان تسمحي لي بان اسير بك في مركبة وهذا الاوفق لانهُ ربما كنت تصرفين هنا ساعات بالباطل . فلم ترَ بدًا من الانقياد اليهِ فجلست في المركبة خائفة مكدرة مهمومة مضطربة . فقال لها القبطان ان خرج الامتعة في المركبة فالى اين تروميين ان يذهب بك سائق المركبة . قالت الى . . . . الى السترانـد . قال الى السترانـد وتبسم . ثم قال ان السترانـد متسع جدًا فما هو الشارع الذي ترغبين في ان تذهبي اليهِ . قالت قد نسيتهُ وساتذكرهُ في الطريق . ثم قالت لا يا قبطان لا تركب المركبة معي فان صديقي مريض جدًا وافضل الذهاب وحدي فقل للرجل ان يذهب بي الى السترانـد فابعدتهُ عنها وامالت وجهها عن محطة الطريق الى ان ابعدت عنها

وبعد ان ذهبت لبس القبطان برنيطتهُ وهم ان يخرج من المحطة وهو يقول في نفسهِ ما هو خبرها يا ترى . انها جميلة وزوجها يقدر ان يجعلها سعيدة احب ان لا اسمع انها انتظمت في سلك غير موافق . فهل اخبر شقيقتها انتوانت بما جرى واقول لها بان غايتها غير موافقة لا لا الاوفق ان احافظ على الصداقة وعندي انها ذاهبة لقضاء حاجةٍ ما من ضرر فيها . وبعد التامل صمم على ان يكتب الى انتوانت تحريرًا بهذا الشان وما ياتي هو منهُ لقد ربحت بالمراهنة (اذا كنت قد راهنت احدًا على الامر الذي لا اصدقهُ) وكنت بحسب طلبك في محطة الطريق فوصلت شقيقتك في مركبة الساعة الرابعة ولوائح الكدر تلوح

على وجهها وقد فزت بادخالها مركبة ولا اعلم مقصدها والظاهر انها هي لا تعلمهُ لانها لم ترَ صديقًا ارسل لملاقاتها . وقد سارت الى جهة السترانذ وساكون في سوليثار يوم الاحد منتظرًا ترحابًا قلبيًا مكافاة على طاعتي . انتهى .

اما اوجينا فتكدرت جدًّا من مصادفة القبطان ولم يخطر لها ببال ان ذلك فخ ناتج عن دناءة اختها انتوانت التي نصبتهُ لتثلم صيتها . فسارت الى المكان الذي كانت قد فارقت فيهِ زوجها وقالت اذا كان لا يزال فيها اراهُ والا فاسال صاحبته لعلها تعلم المكان الذي ذهب اليهِ . ولما وصلت الى باب ذلك المنزل الصغير القذر وسالت بخفوق قلب هل يمكن ان تعلم عن مكان وجود الخادم الذي كانت قد تركتهُ في ذلك المكان . فاجابتها صاحبتهُ بانهُ لا يزال عندها وانهُ لم يخرج من المنزل ولا قال انهُ مصمم على الخروج . ففرحت اوجينا حتى انهُ برح من بالها انها كانت تسال عن رجل ادعت بانهُ خادمها فقالت لقد سررت وكيف هو الان هل شفي هل زال عنهُ الخطر هل يطببهُ طبيب حاذق فارجوك ان تخبريني حالاً فان بالي في انشغال من جهتهِ . وكانت المراة تنظر اليها باندهاش وبعد ما انتهت من الكلام قالت لها انني لا افهم كلامك فمن هو الذي تسالين عنهُ فانني لا ارى احدًا مريضًا . قالت انني اسال عن الرجل بل الخادم الذي يخصني وقد تركتهُ هنا وقد بلغني انهُ مريض وفي خطر . قالت الاوفق ان تكلميهُ انت فلنني لم اسمع بمرضهِ فانهُ في الطبقة العليا واشارة الى سلم مظلم فاخذت في الصعود والمراة تقول بصوت منخفض انني لا ابالي بهِ ولولا زوجي لما تركت انسانًا قذرًا كذلك الانسان في مخادعي يومًا واحدًا فانهُ يدخن ويبصق النهار بطولهِ . لا لا لولا ذلك لما ابقيتهُ ولو كان جلدهُ القذر محشوًا بالذهب . فسمعت اوجينا

هذا الكلام وهي مضطربة لانها لم تكن تعلم كيف يقابلها زوجها وعند ما وصلت الى المخدع الذي كان يجلس فيهِ قرعت بابهُ بخوف . فقال ادخل ففتح الباب واذا بها واقفة امامهُ لا تعلم ماذا ينبغي ان تقول فلما رآها قال بتعجب اهذا انت يا اوجينا . ثم اظهر غيظهُ وقال اما قلت لك ان لا تاتي الى هنا لان مجيئك ذو خطر . وكان لا يزال متسترًا بالجلد الاسود ولابسًا ملابس الهنود . فلما دخلت كان يدخن وهو جالس في كرسي كبير وبعد ذلك الكلام رمى بسيكارتهِ على الارض ودنا منها غير انها ابتعدت كانها تخافهُ وقالت يا هنري انني كنت مصممة على ان لا اتي بعد ان اوصيتني ولكنني سمعت بانك مريض وقد ورد اليَّ تحرير بهذا الشان فانظرهُ . فاخرجت التحرير بسرعة وارتهُ اياهُ . فمن يا ترى يقدر ان يكتب هذا ويرسلهُ اليَّ ويعرف بالعلامات الحرفية الجارية بيننا غيرك . فاخذ التحرير منها وقراهُ ثم مزقهُ حالًا بان ذلك فخ لا لقا القبض عليهِ . ثم نظر اليها بغضب لا مزيد عليهِ حال كونهِ في خوف شديد وقال لها لمن افشيت اسراري لانهُ ما من احد يعرف العلامات والعنوان غيرك انت وانا فلا ريب في انك قد اخبرت اناسًا بها فهذا من نتائج كلامك الكثير قد اخطات باطلاعك على امري . قالت هذا هو غير الواقع وانا احلف بكل ما هو مقدس انني لم اخبر احدًا قط بشيءٍ من امورك . قال بغيظ هذا كذب فلا اصدقهُ فبدون انشا السر كيف يكتب هذا التحرير . فدنت منهُ بثبات عزم وقالت بافتخار وبدون خوف هذا هو الصحيح وانت لا تصدق ما تحب ان لا تصدقهُ فاني لا ارغب في ان اتعب نفسي بمراجعة ما قلت . وقد اتيت اليوم عند وصول هذا التحرير ظانة انك تحتاج اليَّ فالاوفق ان ارجع في الحال . فاغلق الباب واشار الى كرسي وقال لها سترجعين بعد ان توضحي امرين او ثلاثة امور

فجلست على الكرسي بسرور فانهُ بعد زوال اضطرابها شعرت بالتعب . قالت ماذا تريد . فقال مع من تكلمتِ منذ رايتك . قالت انني لم اتكلم الا مع اختي وامي واما اليوث . قال الا تظنين ان اتعرّف من انت عرفت منك شيئاً عن مكان اقامتي . فلا تميلي وجهك بل انظري اليَّ لارى هل كلامك صحيح . فنظرت اليهِ وقالت كلا . قال الم تكلمي غيرهنَّ . قالت لا لم اكلم غير القبطان اوسوالد في محطة الطريق اليوم . قال اوسوالد ثم لعنهُ وقال هل حملتك الحماقة على ان تكلميهِ . قالت لم اقدر ان اتجنبهُ فانهُ عرفني ودنا مني فصرفته بالسرعة الممكنة . قال الم يعرف مقصدكِ . قالت لا انني امرت سايق المركبة ان يذهب الى جهة السترااند . فاستغرب ذلك غير انهُ ما الحيلة . فان التحرير الذي ورد اليَّ عن مرضك وعدني بخروج رسول ليذهب بي اليك ولم اقدر ان اتخلص من ذلك قال . بغيظ ما هذا اما تعلمين ان فعلك ربما كان يطرحني في ويل وهوان فان ترددك وحدهُ يبين للقبطان انك تقومين بامر سري ومعرفة ذلك كافية لحمل البعض على تتبع الخبر الى ان يظهر فربما كانت حماقتك واسطة لظهور كل شيء . ثم لعنها . قالت انني فعلت مافعلت بنية جيدة وكان تصرفهُ واسطة لتضعيف قواها وخوار عزمها حتى انها رات انها لا تقدر ان تقاومهُ . فقال بنية جيدة وبهذه النية تفشين سري لزيد وعمرو والحال يظهر امري . وهذه النية الصالحة هي التي حملتك على ان تاتي المدينة هذا الصباح بسرعة لا مزيد عليها فهذا كافٍ لان يجعل الناس يرتابون في صدق ظواهرك . وقد اتيت هذا البيت باضطراب وسالت سوالات تحملهم على ان لا يصدقوا بانني خادم . ثم لعن هذه النية الصالحة وقال ان النية الرديئة اوفق . قالت آه يا هنري باليتني لم احضر على انني صدقت ما قرات وظننت انك مريض وفي احتياج اليَّ فلو كان ذلك صحيحاً . . . . فقاطعها في الحديث وقال لو كنت مريضاً لما دعوتك فانني لا احب ان اراك الا بعد تقويم اشغالي فوجودك خطر بل اكثر من خطر وهو علة كدر . فنهضت من الكرسي وقالت بصوت منخفض انني ذاهبة فاسمح لي بالذهاب واعدك بان لا اكدرك بعد الان . فارادت ان ترفع ثوبها على كتفيها فاسعفها في ذلك وفتح الباب ولاطفها لانهُ خجل من فظاظتهِ وجورهِ واراد ان يجبر كسرها فقال لها يا اوجينا لو كانت الامور مقومة لما لمتك غير ان الاحوال الجارية ولاسيما بعد وصول هذا التحرير الى يدنا يحملنا على ان نتيقظ جداً ولا ريب في ان الناس هنا يتكلمون عن حضور امراة الى هنا و . . . . قالت لقد فهمت المقصود انني لا اتيك بعد الان فسارت بدون ان تودعهُ بهز الايدي ولما وصلت الى الطبقة السفلى قالت صاحبة المكان لها هل وجدت خادمك مستريحاً ولا ريب في انني انا وزوجي قد افرغنا جهدنا في راحتهِ واذا تشكى فشكواه تكون لك . قالت لا لا انهُ متشكر فاستودعك الله ثم دخلت الشارع الكثير الناس فانتبهت الى نفسها بالنظر الى المركبة التي كان فيها خرج ثيابها وكانت لا تزال تنتظرها فركبتها وذهبت الى منزل المسافرين الذي جاءتهُ عند ما اتت المدينة المرة الاولى . وصممت على ان تقيم فيهِ يومين او ثلثة ايام فان رجوعها الحالي الى اش كروف ينبه الافكار اليها . فصرفت المدة المذكورة في مخدعها بدون ان تخرج منهُ الا في النادر وكان اكلها قليلاً جداً وثمنهُ كثيرا غير انها لم تكن تعتني بهذه الامور الثانوية . ثم سارت الى اش كروف كانها اثيمة وهي تقول في نفسها انني افضل احتمال اشد العذاب على احتمال السوالات التي لا بد من ان اجاوب

عليها عند الوصول الى المكان المذكور

الفصل العاشر

ولما وصلت الى اش كروف لم تسمع السوالات التي كانت تحب مجانبة مجاوبتها ولكنها اشغلت في امر اخر فان ابنها كان قد سقط عن كرسي في الصباح وشج راسة بقضيب حديدي . فلما وصلت الى البيت وجدت اهلة في اضطراب وخوف وانشغال فان كلاً منهم كان يشور بشيء فقابلتها بالتطمين بانهٔ لم يقع من اهلها احد . وبعد برهة انقطع الخوف قليلاً لانهٔ ظهر ان الجرح غير بليغ . وبعد ان انتهت اوجينا من الاعتناء بابنها استغربت صمت شقيقتها وامها من جهة ذهابها وصديقتها المريضة ولا اخبرتاها بشيء عما جرى مدة غيابها . وكانت تنتظران تسمع شيئًا عن ذلك كلا فتحتا شفاهها ليكلماها غير انهما لم تتكلما الا عن امور لا تهمها حتى انها خافت من ان تكونا قد وقفتا على حقيقة خبرها وخبر زوجها . وبعد انتهاء انشغال بالها من جهة الولد المجروح رات تغير امها في تصرفها المتعلق بها . وكانت مسز بيال امها صامتة وتعامل ماريون كانها قد خاصمتها . اما ماريون فلم تكن تظهر لها من الحب اقل من العادة ولكنها كانت مضطربة مشغولة البال . واما بقيت على ما كانت عليهِ والظاهر انها لم تكن عالمة بما كان قد جرى في البيت . ومضت بضع ساعات بدون ان تتغير الاحوال فتقرر في عقل اوجينا انهٔ من اللازم ان تطلب اليهما ان توضحا لها الامر ولو لحق ضرر بعملها . فوقفت وحدها بالقرب من نار قاعة الاكل بعد ان تناولن الطعام الظهر بعد الزمان المعين لان اضطراب الصباح بسقوط الولد اخَّر طعام الظهر . فتناولن الطعام بكدر لا مزيد عليهِ لان صوت اما وحدها كان يسمع ويدل على سرورها . والظاهر انها منعت عن ان تتكلم عن مرض احدى بنات ترنار لانها لم تفوه بهِ وكانت اوجينا تخاف من ان تفتح الكلام فيجر امورًا من مصلحتها كتمها . وكانت ذات ناموس ونفس عزيزة وكانت تعلم انها تستحق الاعتبار ولذلك لم تكن تطيق ان تكون موضوعًا للتهمة . وبعد انتهاء الطعام خرجت امها وشقيقتها بدون ان تكلماها حتى ان اما امرت بالابتعاد عنها كانها مدنسة . فوقفت وحدها تتامل في احوالها وتقول في نفسها هل حملني يا ترى ضعف العزم على ان اظهر امر زوجي على غير قصد او معرفة فيمسي تحت رحمة اقاربي الذين لم يكونوا يحبونهٔ كثيرًا او هل كان تصرفي الغير الظاهر سببًا لكدرهما حتى انهما باتتا لا ترغبان في ان تبقياني عندهما . واشتد احمرار وجهها عندما خطر لها ذلك ببالها . فان السبب الاول طرحها في خوف اما الثاني فمس ناموسها وطرحها في اضطراب شديد وقالت في نفسها اذا كانتا لا ترغبان في ان ابقى معهما اذهب بدون ان اباليَ بما اقع فيهِ ولا بما يعيبني فان كل ويل اسهل من ان اضيف من لا يحب ان يضيفني . ثم تاملت في ما ربما كان ينتج من تكلمها بهذا الشان معهما لانهٔ ربما كان ينتج عنهٔ نزاع ولا تعلم ماذا يتبعهٔ وربما كان يظهر ما يطرح زوجها في ويل دائم فانها كانت تعلم ذنبهٔ وتعلم القصاص الذي يقع عليهِ اذا ظهر امرهُ . وكان قد بالغ لها في القصاص . فعند التامل في ذلك نفت عن فكرها التكلم لتبرئة نفسها من التهمات التي وقعت عليها بسبب تصرفها الغير الظاهر المقاصد . وقالت في نفسها انني قد جلبت ذلك على نفسي فانني جاريت زوجي وجعلت نفسي دنية وارتكبت الكذب والخداع فلا بد من ان احتمل النتائج . فلا ينبغي ان اتعجب من احتقارهم لي ولا من عدم ترحابهم لانهٔ من يقدر ان يصدقني او ان يركن اليَّ في تلك الظروف . ثم قالت في نفسها مرة اخرى انهٔ لا يركن احد اليَّ . وعند ذلك احمرَّ وجهها وقالت

ان انسانًا واحدًا يركن اليَّ فاشكر الله . ثم صعدت على السلم لتتعزى بولديها اللذين كانا لا يزالان يركنان اليها . وكانت ملزومة بان تمر امام باب مخدع امها فقبل الوصول اليه سمعت صوت نزاع وجدال وعند وصولها الى امام باب ذلك المخدع سمعت هذه الجملة وهي لماذا لا نسال اوجينا هل نعدل اذا اخفينا عنها هذه التهمة . فوقفت ماريون في الباب واضطربت جدًّا لانها عرفت ان شقيقتها قد سمعتها . فلم تضطرب اوجينا ولكنها قالت هوذا انا فاجيب عن كل تهمة فيها في باترى . وعند ذلك رات انه قد حل زمان الدفاع وانه لا نجاة بدونه فثبتت كمن يرى انه لا علم له بالامر . فاضطربت ماريون جدًّا ولاحت على وجهها لوائح الكدر الشديد وقالت انني لم اعلم بوجودك هنا غير انني متاكدة بانك تفضلين اظهار كل امر لانه ما من شيء يهمك اخفاؤه . ثم دخلت المخدع وهي تقول يا امي هوذا اوجينا بعينها وقد سمعت كلامي وترغب في ايضاح الامر لها فلا بد من ان ننهي هذا الامر . ثم التفتت الى اوجينا وقالت لها لا تنسي انني لا اصدق شيئًا من التهمة وعندي انها كذبة دنية لا يقوم بها الا من كان كانتوانت . فقالت اوجينا بلطف صه يا ماريون فلا توكدي شيئًا في هذا العالم . ثم قالت يا اماه ماذا بلغك عني فمن العدل ان اسمعه . فقالت وفي يدها تحرير مفضوض الختام كان من الصواب كتم الامر عنك فان اختك انتوانت كتبت اليَّ سرًّا فانها بنتي وقد اصابت ولولا حدة شقيقتك ماريون لكتمناه فانني لا افشي سرًّا . قالت ماريون هل يسوغ ان تكتمي هذا التحرير حال كونك تظنين ان التهمات المكتوبة فيه صحيحة فانا اعلم انها باطلة ولا بد من ان تحمل انتوانت على ان تثبت تهمتها او ان تقول انها كاذبة . ثم التفتت بحنو الى اوجينا

وقالت لها يا شقيقتي العزيزة لا ترتجفي فقولي ان التهمات غير صحيحة فنصدقك . على انها قالت انني راغبة في ان اسمعها ودنت من امها واغلق الباب ووقفت قبالتها كانها مجرمة تحاكم فنظرت امها الى التحرير وقالت من الواجب ان تشكري شقيقتك ماريون على ذلك فهي قد اقامت بكل ذلك ولا بد من ان تكون مسئولة . فقالت انني مستعدة لان اقوم بذلك ثم وضعت يدها على اوجينا كانها تريد ان تحميها غير انها ابتعدت عنها . قالت امها ورد اليَّ هذا التحرير في هذا الصباح وقد كتب بصرامة فان انتوانت العزيزة تكتب على الدوام بصرامة عند ما تكتب اليَّ بدون ان يخطر لها ببال ان كل اعضا العائلة يقفون على كتاباتها . قالت ماريون عندي انها كتبته ليظهر . فقالت امها اخطات بتمكين ماريون من الاطلاع عليه فنشات الحالة الحاضرة . قالت اوجينا ان كيفية ظهور ذلك لا يهمني فلا بد من ان اسمع الخبر كله . قالت امها انني لست براغبة في كتمه عنك وعند ذلك ظهرت لوائح الاضطراب على وجهها لانها لم تكن تعلم النتيجة المتعلقة بانتوانت المحبوبة كثيرًا عندها ثم قالت ولا اعلم هل هذه الاخبار صحيحة او كاذبة . قالت ماريون يا امي كيف تقدرين ان ترتابي في هذه الظروف فاذا كانت التهمة صحيحة لا تبقى اوجينا لنا فكيف تكون صحيحة فانا اسيء الظن في نفسي قبل ان اسيء الظن بها . قالت امها انني متاكدة بان اختك انتوانت لا تقرر تهمات كهذه ما لم تكن مستندة الى مصدر يحق الاركان اليه والخطا لا يكون منها بل من الذين بلغوها وتبليغها اياي بعد استماعها اياها صواب . قالت اوجينا لا ريب في ذلك وكانت تنظر الى امها المرتابة وشقيقتها المحققة الاركان اليها وتشعر كانها تدوس جمرًا . ثم قالت اخبريني بها انني لا اقدر ان انكرها قبل ان اعرف ما هي . وعند ذلك تنهدت ماريون تنهدًا شديدًا جرح قلب شقيقتها

ثم نظرت امها الى وجه اوجينا المصفر ولبست المكبرات واخذت تقرا ذلك التحرير الطويل ومنهُ ما ياتي انك لم تخبريني بان اوجينا ذهبت مرةً اخرى الى المدينة. فلماذا ذهبت اليها. انها ذهبت لترى شارلي اوسوالد فلاقاها في المحطة واظن انهُ وافاها بضرب موعدٍ ولكنهُ لا يقرُّ بذلك فانهُ يكتم كل الكتم كلما يتعلق بالغرام وقد قالت انها سارت الى السنراند فمن يعيش هناك. هل يعيش مستر جيوفري كاردن

فلما سمعت ماريون ذلك اخذت تتنفس بسرعة وظهر بذلك انها لم تصدق الخبر وقالت الا تخجل . اما اوجينا فاشتد اصفرار وجهها وشددت طرق شفتيها وقالت بصوت منخفض اسمعينا التابع . فقرات فيا امي العزيزة انكِ تظنين انني من ذوات الظنون وهذا غير الواقع فانني لا اكتب الا با لنقل عمن يركن اليهِ . وانتِ تعلمين انني اتهمت كثيرًا بمعاشرة الرجال ولم يكن ذلك منكِ ولكن من بعض اهل بيتكِ (قالت امها قد اصابت فانها ظلمت بهذه التهمة) فمن العدل ان ابين لكِ ان غيري يفعل ما هو كفعلي بل ما هو اردا منهُ . هذا ولا ارغب في الطعن في اختي اوجينا لانهُ ما الفائدة من ذلك غير ان الناس يحبون الكلام واتمنى ان اتمكن من تكذيب كل هذه الاخبار . فمستر كاردن في انكلترا (فلما سمعت اوجينا اسمهُ اضطربت قليلاً وتغير لون وجهها فلاحظت امها وشقيقتها ذلك) واوجينا تخابر على الدوام رجلاً غير معروف تعنون مكاتيبهِ بالاحرف وترسلها الى شارن كروس) ومن الموكد انها لا تنكر ذلك فاذا لاحظنا ذلك وما نعلمهُ من حب مستر كاردن الشديد لها وهو في كالكوتا نفتح بابًا لتاويلات مختلفة ولتهمات كثيرة . هذا ولا اقول انها ذهبت الى لوندرا موخرًا لتراه غير انهُ من الواجب ان تبين لنا الشخص الذي زارتهُ لمنع كلام شارلي اوسوالد الوبش الذي يستعين بالشيطان على اشاعتهِ المضرة

وكانت تتلون اوجينا من شدة الاضطراب فرات ماريون انها تكاد تسقط فقالت لامها اصبري اصبري فان هذا الكلام لا يسمع ويا ليتنا لم نسمعها اياه فقد اخطأنا . ثم وضعت يدها عليها وقالت لها يا عزيزتي اوجينا لا تضطربي تشددي ولا تسقطي فانني لا اصدق ذلك ولا اما تصدقهُ وهو اختراع الاشرار كلهُ . وانا اعلم انكِ لم تظهري لنا بواطنكِ ولا ريب في ان لذلك اسبابًا وهذا لا يُصدَّق ولو كان صحيحًا لما اتيت الينا ولا سمحت لي بان اجعل اما تعاشركِ فتكلمي يا اوجينا تكلمي يا عزيزتي قولي لامي انهُ كذب وانهُ اذا كتمت شيئًا عنا لا يكون مما يُخجل منهُ . فالتفتت اوجينا وارادت الخروج فعارضتها ماريون وقالت لها الى اين تذهبين لا تتكلمين اننا ننتظر جوابك الا تقدرين ان تجيبي ما هذا يا ترى . قالت ماذا تنتظرين مني قالت قولي ان هذا كذب وان القبطان اوسوالد لم يلاقكِ الى محطة الطريق وقولي انك ذهبت لتزوري عائلة ترنار وانك اقمت عندها مدة غيابك وانك لا تخابرين احدًا بغير اسمهِ . قولي يا اوجينا انك طاهرة صادقة وان اركاننا اليك في محلهِ وانك لم تخدعينا. اجابت انني لا اقدر . وكان صوتها منخفضًا جدًّا ومع ذلك جعلتها اهمية كلامها تتوهم انهُ مرتفع حتى بلغ سمعهُ من خارج الدار بل العالم كلهُ وكذلك امها وشقيقتها . فقالتا لها بصوت واحد فيهِ عجب الا تقدرين . وكانت امها تركن كل الاركان الى بنتها انتوانت ولكنها لم تنسب تلك الامور الى اوجينا بل ظنت ان ذلك فساد صادر من ينبوع مجهول عندها . فلما سمعت اوجينا

(ستاتي بقيتها)

ملح

السياح والخبز

وصل بعض السياح الى قرية فدعام شيخها الى الطعام ووقت العشا بسط اطعمة منفنة ووضع امام كل واحد بعض ارغفة من خبز التنور فوضع كل منهم الارغفة اثني امامهُ على ركبتيهِ ظانًا انها منسوجًا يوضع على الحضن عند الاكل واخذوا يا كلون بالملاعق ويلومون صاحب البيت لعدم وجود الخبز وبعد ان فرغوا من الطعام حضر الخادم فقال لهُ صاحب البيت بتعجب انهم لم يا كلوا خبزًا ولما دخل سالهُ سيدهُ عن علم وجود الخبز فبلغهُ سوال صاحب البيت وعرفوا اخيرًا ان الذي ظنوه منسوجًا كان خبزًا

حيلة البخيل

حكي ان بخيلًا كان يكثر الطلب على كل من راه لينال منه شيئًا فذهب يومًا الى احد الاغنياء وطلب اليهِ فلم يبذل شيئًا ففكر لهُ الشر ومضى وغذى جديًا بلبن زوجتهِ وجاء بهِ الى ذلك الغني فقال لهُ انهُ ابني قد رضع لبن زوجتي حبونك بهِ ولم ارَ احدًا يستحقهُ سواك . فامر بهِ الغني فذُبح فقال لهُ البخيل المكافاة فاجاب الغني ليس عندنا شيء اليوم فلما يئس منهُ دخل على ابيهِ واندفع يشهق ثم قال اخلِني فقال ما معنا احد يسمع قال وثب ابنك على ابني فذبحهُ وانا انظر اليهِ فارتاع الغني وصاح ويلك ولماذا وما تريد . قال اما ما اريد ما لي في ابنك حيلة ولا يسمع هذا سامع ابدًا بعدك فسكتهُ واعطاه مائتي دينار وقال خذ هذا ولك عندنا ما تحب . ثم قام لابنهِ وهو غضبان فاخبر ابنهُ بالقصة فقال الغني للبخيل رعتني فقال روعتي بالجدي اعظم

السكر

وحكي عن الاقيشر انهُ شرب في حانة خمار حتى نفذ ما معهُ ثم شرب بثيابهِ حتى غلقت فلم يبق عليهِ شيء وجلس في تبن الى جانب البيت الى حالهِ مستدفيًا فمر رجل بهِ ينشد ضالة فقال اللهم اردد عليهِ واحفظ علينا . فقال لهُ الخمار سخنت عينك اي شيء يحفظ عليك ربك . قال هذا التبن ان لا تاخذوهُ فاموت من البرد . فضحك الخمار ورد عليهِ ثيابهُ وقال اذهب فاطلب ما تشرب بهِ ولا تجئني بثيابك فاني لا اشتريها بعد ذلك

سرعة الجواب

وقد حكي عنهُ ان الخليفة عبد الملك طلب اليهِ ان ينشدهُ ابياتهُ في الخمر فانشدهُ

تريك القذى من دونها وهي دونهُ
لوجه اخيها في الاناء قطوبُ

كميتٌ اذا فضت وفي الكاس وردة
لها في عظام الشاربين دبيب

فقال لهُ احسنت يا ابا معرض ولقد اجدت وصفها واظنك قد شربتها فقال يا امير المومنين لريبني منك معرفتك بهذا

مدح الخمارة

وحكي عنهُ انهُ مر بامرة خمارة في الحيرة اسمها دومة فنزل عندها فاشتري منها نبيذًا ثم قال لها جودي لي الشراب حتى اجيد لك المدح ففعلت فقال

الا يادوم دام لك النعيمُ
واسمر ملء كفك مستقيمُ

شديد الاسر يقبض حالباهُ
يهم كانهُ رجل سقيمُ

يروِ بهِ الشراب فيزدهيهِ
وينفخ فيهِ شيطان رجيمُ

فسرت المراة بهِ وقالت ما قيل فيَّ احسن من هذا ولا اسر اليَّ منهُ

الجنان

الجزء الثاني عشر

في ١٥ حزيران (جون) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

للسياسة في هذه الايام انقلابات لم نرَ مثلها منذ انتهت تقلبات اوائل هذا القرن فلا يعلق الناس املهم بامر حتى يرون ما يحملهم على تعليقه بامر اخر فاسس ديدن رجال السياسة الثبات على عدم الثبات فتضعضعت احوال التجارة والمالية ووقفت دواليب الاعمال بانسلاب امنية العماية فان ارباب الاشغال لا يرون في الحال ما يستدل به على الاستقبال وفي نفس هذه الانقلابات يظهر الفرج حينًا بعد حين فيوثر في الناس تاثيرًا حسنًا الى ان يعقبه ما يرجعهم الى ما كانوا عليه فالاستبشار بلائحة الكونت اندراسي وزير النمسا الاول لم يلبث ان جاء بالخوف من سوء عواقب ذهابها سدى مع ضياع زمان تقريرها وتوقيعها حتى ان بعض العارفين بالسياسة قالوا ان بعض الذين جعلوها على ما هي عليه بتنقيحاتهم افرغوا جهدهم في جعلها مما لا يمكن انفاذهُ على ان النمسا اجهدت نفسها في سبيل اجرائها فتجاوز والي دالماسيا في ذلك الحدود الموافقة لسلامة اتحاد دولتي النمسا وروسيا من الاكدار الناشئة عن تباين الصوالح ولم تذهب سدى بالنظر الى الغايات التي ينسبها البعض الى روسيا ان خطاء وان صوابًا فان اطالة زمان تقريرها وما تبع ذلك مما اظهر عزم العصاة المستند الى تحريضات كثيرة المصادر جاء بالفتنة البلغارية التي لم تثبت على ما باتت عليه الا بعزم نظارة الحربية والقيادة العامة وسرعة اجراآتها الحربية وسهولة الحمل على المفتنين بالنسبة الى صعوبات الهجوم على الهرسكيين لقرب المكان وتسهيلات اسباب الانتقال وثبوت المدن ضمن ربقة الطاعة وبعد ان اشغلتنا في تلك اللائحة اشهرًا ثم اضعنا اشهرًا اخرى في انتظار تدبير اخر ظهرت جمعية برلين الدولية وجاءها حضرة الامبراطور الروسي بنفسه ووزير النمسا الاول صاحب اللائحة المشهورة الاسم والمتضعضعة الفعل فظن الناس انها ستاتي بعظيم حكمة بالنظر الى احوال الشرق ولم يخطر لهم ببال انها لا تاتي بالمطلوب من ذلك القبيل وتاتي باكثر منهُ من جهة اخرى ولا ريب في ان انقياد انكلترا الى اشهار اللائحة الاولى لم ينشا عن سرورها فالمركز الثانوي الذي جعل لها ولفرنسا وايطاليا مع انهُ كان للدولتين المذكورتين اولًا الباع الطولى والنفوذ الاعظم والمشروعات المهمة والمقابلات الموثرة في ميادين الشرق ولكنها لم ترَ عورة في اعمال الامبراطوريات الثلاث الاولى او انها راتها بدون ان ترى مسوغًا للحمل عليها بالاعتراضات الموثرة والبراهين القاطعة فتركتها تسقط من تلقاء نفسها عالمة ان بعض الذين قرروها للتظاهر بما من مصلحتهم التظاهر به لاطالة زمان القتال والاضطرابات وجر ثقل فوق ثقل الى عواتق المتحاربين يمنعون نفوذها بالاشارة الى عدم موافقتها فنشا عن ذلك ما نشا والمارات في لائحة برلين عورات كثيرة رفضتها وجاءت باعتراضاتها التي لم تلبث ان اثرت عظيم تاثير في

نفس الدول التي قررتها اولاً كالنمسا والمانيا وفي الدول التي بادرت الى تقريرها ثانياً كفرنسا وايطاليا والمرجح عندنا قبل ورود التفصيلات ان انكلترا قد شطرت دول اوربا بالراي الباطن اذا لم نقل انها شطرتها بالظاهر ايضاً وجعلت نفسها راس سياسة مقاومة للسياسة التي اصبحت روسيا راساً لها وهذه افة عظيمة قد ساقها الله سبحانه وتعالى على الذين نظن انهم لا يراعون مصلحتنا ليخلصنا من تاثيرات تدبيرات يقال انه ليس في شيء من اعمال مدبرها الاول خير لنا ومن المقرر انه بعد هذه الحال لا بد من الاتفاق على نهج منهج متوسط بدون اتساع خرق الخلاف او توسيع دائرة المخابرات واطالة زمانها بحيث تظهر لكل دولة من الدول الست العظيمة نوايا كل من الدول الاخرى ومرغوباتها فتنحاز كلها الى جهة الاكثرية ولما كانت الاعمال المخالفة للصوالح ظاهرية ولا تاتي بالنتائج الصحيحة كان لا بد من ان يكون الفوز للراي الموافق لصوالح الاكثرية فعلاً فالصالح الاول للاكثرية في الحال المحافظة على السلام ولو فرضنا ان المانيا نظراً الى تاهباتها واستعداداتها العظيمة ربما كان التمكن من الهجوم على فرنسا من مصلحتها لا ينبغي ان نغفل عن خوفها من تعظيم روسيا وعن استعداد فرنسا لان تقضي صوالحها القانونية لمجانبة القيام بما يسوق الدولة الروسية الى ان تعاديها عداوة تجعلها ترتضي بسوء عواقب استئصال المانيا من عدوان فرنسا لان الجارة القوية اقدر على الضرر من العدوة البعيدة وبادرة فرنسا وايطاليا الى القبول بلائحة البرنس كورتشاكوف البرلينية نشا عن شدة رغبتها في ارضاء روسيا لعلمها بان انكلترا ستجاهر بمقاومتها او بان تلك اللائحة ليست مما ياتي بالمطلوب لان النمسا التي لها الصالح الاول المجرد عن المطامع في الشرق لم تقررها برضاها التام والمانيا التي لا يوافقها نفوذ غايات روسيا التي تاول الى تعظيمها وتقويتها بفوز سياستها لم تخلُ مخابراتها مما دل على انها لم ترغب في ما قد جرى وكانت الدول الاربع قبل تظاهر انكلترا بمقاومة لائحة روسيا كاعداء رجل يحسبون لغيظه حساباً وفي قلب كل منهم ضغينة له غير ان كلاً منهم كان ينتظر مجاهرة الاخر بمضادته فعند ما تظاهر واحد رفع الستر عن البواطن فظهر ان قلوبهم على اتحاد وصالحهم في التكاتف وهكذا عند ما ابانت انكلترا ما في باطنها رات ان الدول كلها توافقها والنمسا في مقدمتها وهذه الحال تجعل لائحة البرنس كورتشاكوف صفراً وتحمل اكثرية الدول على ان تنهج منهجاً جديداً موافقاً لصالحها ولا يلزم ان نشغل المقام في تبيين صالح كل دولة على حدته وحسبنا ان نقول ان فوز سياسة روسيا التي تاول الى تقويتها مضر بكل دول اوربا وتواريخ اوائل هذا القرن توضح ذلك باجلى بيان وبالنظر الى هذه الحال لا بد من ان تطول مدة المخابرات وكل فوز في ميادين الحرب قفل باب من الابواب التي يفتحها الاعداء حتى انه اذا وفقنا الله الى اخماد الثورة قبل تقرير شيء جديد تزول اسبابه التدبيرات الدولية واذا كان تضعضع حال العصاة مما يقود جيرانهم الى زيادة المساعدة بحيث تصير حرباً ظاهرة تاخذ التدبيرات سبيلاً موافقاً لتلك الحال ولم نشغل انفسنا بالتكلم عن احوال الدول وتركنا الكلام عن احوالنا الداخلية اظهاراً لما ينتظر بعد الجلوس الهمايوني المانوس وثبوت وزارة ليس في الشرق مثلها ولا سيما بعد انتظام حضرة صاحبي الابهة والدولة مدحت باشا وحسين عوني باشا في وسطها الان كل ما قد صمم على اجرائه اصلاحاً للاحوال التي قد جاءت بذلك التغيير العظيم لا ياتي بالمرام الا بعد اخماد الثورات ورجوع السكون وذلك لا يتم بمجرد

تدبير ارباب السياسة بل بقوة الجنود او بهاو باتفاق الدول حال شئون الاصلاحات التي قد صممت الوزارة على القيام بها وتوجيه رياسة مجلس الشورى على حضرة صاحب الدولة والابهة مدحت باشا دليل واضح على ما انطوت عليه النوايا الهمايونية الخيرية من جعل ذلك المجلس من الاسباب الاولى المحافظة على ما فيه خير الامة والقيام بالاصلاحات الموافقة لروح الزمان والمرقية لاسباب السعادة والرفاهية والثروة والموسعة لدوائر العلوم والمعارف ولا يكون خروج حضرة صاحب الدولة يوسف كامل باشا الافخم المشهور بالحذق والمعارف والتدبير والحمية والغيرة من رياسته وتوجيه مامورية المجالس العالية اليه الا بسبب رغبة دولته بالتنحي لانه طاعن في السن وجعل ذات فيها لها من قوة الجسم والعقل وصحة القواعد ما لحضرة مدحت باشا المشار اليه ولا ينبغي ان ندعي معرفة الاستقبال بعد ان راينا من تقلبات السياسة ما قد راينا فان دلائل الحال لا تصدق في كل حال غير ان المامول ظهور الامور واضحًا في اقل من شهر ولا سيما بعد ان ترى الدول المخلصة البواطن لنا ان التغيير في العاصمة هو للتخلص من حال لم ترتض بها وكلا الدولة العلية ولا الامة فان انكلترا وفرنسا التي صالحها كصالحها عندنا والنمسا التي صالحها اعظم وايطاليا والمانيا اللتين تحسبان لنوال روسيا غاياتها اعظم حساب ترغب في ان ترانا في راحة وسكون مع اصلاح احوالنا بما يوافق روح الزمان وقواعد افكار هذا العصر

الصينيون في امركا

كل من طالع التواريخ يرى ان القارة الاسية طالما كانت ينبوعًا غزيرًا للملايين من الانفس التي جاءت اوربا وغيرت احوالها وسياستها بقوة السيف والعدد اما الصينيون في هذا الزمان وهم من اهالي القارة المذكورة فقد اخذوا في المهاجرة الى امركا ولا سيما الى ولاية كاليفورنيا ليس طلبًا للفتح وشن الغارات كالاسيين في الازمان السابقة ولكن طلبًا للمعاش بالجد والكد في خدمة الامركان . ولما كان لا بد من ان يكون لذهابهم اليها تاثير فيها ولا سيما اذا لم تسن قوانين ضابطة لمنع اضرار ذلك وكان المهاجرون المذكورون من ابناء قارتنا كان لا بد من ان نطالع اخبارهم المتعلقة بذلك بلذة طلبًا للوقوف على الحوادث والاستفادة بملاحظة تاثيرات دخول امم في امم ولذلك قد ترجمنا الرسالة الاتية ترجمتها المنشورة في التيمس وهي من مكاتب لها مقيم في مدينة سان فرانسسكو في القارة الامركانية وهي

لما راى اهالي كاليفورنيا ان اهالي الصين ياتون ولا ياتهم بكثرة وان ذلك يوثر تاثيرًا مضرًّا فيهم كتبوا عرضحال وبعثوا به الى المجلس الامركاني العالي طالبين تغيير معاهدة بولنكيم لمنع مجيء الصينيين الى بلادهم او تقليل عدد الذين يهاجرون اليها منهم وفي ولاية كاليفورنيا في الحال ثمانمائة الف نفس منهم مائتا الف من الصينيين . وفي سان فرانسسكو ٢٠٥ الف نفس منهم ٧٥ الفًا من المنغول . وقد اغتاظ الاهالي جدًّا في سان فرانسسكو عندما سمعوا انه قد صار استيجار مراكب تجارية في الاشهر الستة القادمة للاتيان بالمهاجرين الصينيين الى هذه السواحل بحيث ياتي منهم في كل شهر اربعة او خمسة الاف نفس . فاجتمع كثيرون منهم في اقطار مختلفة من الولايات وصمموا على ان يكتبوا مرة اخرى الى مجلس امركا العالي بهذا الشان . وكان الناس يخافون من ان الاهالي الامركان المغتاظين يهيجون فيهرقون دماء من دم الصينيين الموجودين في بلادهم غير ان الوسائط القانونية سادت واكتفوا بالكتابة الى المجلس العالي . وسنة ١٨٧٠ ارسلوا اليه عرضحالًا كهذا العرضحال

فيه امضاء ثلثين الف رجل فجاء ذلك بتقليل المهاجرين فامسى ياتي مائة منهم مع كل مركب بخاري بعد ان كان ياتي الف . اما الشركات الست التي تاتي بالمهاجرين الى هذه البلاد فقد بعثت برسالات برقية الى الصين ما لها ان دون الاتيان بالمهاجرين اخطاراً ومخالفة للصالح غير ان اهالي الصين لم يحفلوا بهذا التحذير فكان ياتي في كل مركب بخاري ثمانماية او الف نفس من الجنسين . ومنذ مدة حكم القاضي منستري من مجلس كاليفورنيا العالي بان النساء الصينيات العاهرات يمكن منعهن عن الدخول الى البلاد لان حضورهن واختلاطهن بالاهالي مضر بالصحة وبرفاهيتهم غير ان مجلس الدولة العالي ابطل هذا الحكم وقال انهُ غير موافق للنظام ولذلك قد طلب الاهالي الى المجلس العالي بان يخلصهم من ذلك . وقد قررت الولايات الكاليفورنية قوانين واصدرت اوامر بلدية تمس كثيراً عادات الصينيين . غير ان القوانين المحلية لا تقدر الان تخفف الضرر بدون قطعهِ . وما من مجلس غير المجلس العالي قادر على ان يضع رسماً على المهاجرين . غير انهُ لا يقدر ان يضعهُ الا بعد تغيير المعاهدة المذكورة اعلاهُ فانهُ قد تقرر فيها منع وضعهِ

وقد عين المجلس الامركاني العالي عمدةً للبحث عن المسئلة الصينية وقد ظهرت بفحصها امور مدهشة ربما كانت تحمل الدول الشرقية على ان تتخذ الوسائل اللازمة لمنع هذه المهاجرة مع انها لم تكن تلتفت اليها . فالشركات الست المشتولة بتوسيع دائرة المهاجرة من الصين وهي التي تنظر الى احوالهم هنا تقوم باشغالها بالاتفاق مع التجار الصينيين في ولاية كانتون . وتتعهد بان ترجع الى الصين عظام كل الذين ياتون تحت ادارتها ويموتون هنا . وقد عقدت اتفاقاً مع شركات المراكب بانها لا ترجع الذين يطلبون الرجوع الى الصين من المهاجرين بدون رضائها بذلك الا بالقيام بالواجبات بحسب الشروط وبدفع مبلغ معين .

ولا ريب في ان هذه المهاجرة هي مشابهة للاستعباد غير انها ذات اصول مختلفة عن اصولهِ . فان الرجال والنسا منهم خاضعون لاحكام مجالس سرية اذا حاولوا التخلص من احكامها يعرضون انفسهم لقصاص شديد . وكثيراً ما ينفذ القصاص الشديد النهائي في المخالفين من الصينيين بدون ان تعوز الحكومة باظهار الذين يقومون بانفاذهِ ويؤتى بالنساء بشروط فيلتزمن ان يبقين في العبودية سنين معلومة . ومنذ برهة قصيرة اظهر سند بيع احداهنَّ في المجلس المحلي فظهر انها بيعت في الهند بثمانين ريالاً (كالريال الاسبانيولي) وانها اشتريت في سان فرانسسكو بخمسماية ريال وامست مقيَّدة جسماً وروحاً بسيدها الذي اشتراها اربع سنوات وستة اشهر . وفي قلب المدينة شوارع تامة مخصصة بنساء كهذه المرأة فاذا مرضنَ وعجزنَ من الضعف فكثيراً ما يطردنَ الى الشوارع ليصادفنَ الموت من الاحتياج فيها او الصحة بقوة الطبيعة والاحسانات . وفي هذه المدينة ٧٥ الف نفس منهنَّ وقد علل ان عشرة الاف منهنَّ من اهل الفساد والشر وقد ملان سجوننا ومستشفياتنا ومحلات العاجزين عندنا ويزداد بذلك ثقل الاحمال المالية التي يقوم الاهالي بها لعضد تلك الاماكن المعينة للحسنة . وقد حاولت الحكومة المحلية ازالة هذه الاضرار حيناً بعد حين بوسائط جبرية بقفل بيوت الفساد ومحلات شرور المقامرة التي يوجد منها في هذه المدينة مائة محل في هذا الحين . على انهُ قد ظهر موخراً ان ذلك لم ياتِ الا بنفع قليل وانهُ ما يداني متسع تخصيص لحصول الضابطة وغير موظفين على الثروة برشواتهنَّ فانهم ياخذون الذهب ليسمحوا بتلك الذنوب التي يطلب اليهم ان يبطلوا اسبابها . واذا نظرنا الى هذا الامر من جهتهِ الادبية نرى ان اطباء من المشاهير يشهدون

بفساد الجيل الجديد . واذا استخدم الرجال منهم في خدمة البيوت او ادارتها يقومون بكل فساد يعرفهُ الرجال البيض . واذا طلب خادم ابيض ان يقوم بخدمة خادمة مخدع النوم برفض غيران الاهالي يطلبون الصينيين بجد للقيام بذلك ويفضلونهم على الخادمات الاوربيات اللواتي يكنَّ في الغالب على جانب من الكسل والعناد . وفضلاً عن ذلك لا يبيع الصينيون بالاسرار واكثرهم لا يقدرون ان يبيحوا بها للجيران المراقبين ولو شاؤوا لانهم يجهلون اللغة . وقد افرغ القسوس جهدهم في هذه البلاد وفي الصين بتنصيرهم ولكنهم لم ينجحوا في هذه المدينة اذا لم نقل في غيرها ايضًا . وقد علم الاهالي انهُ اذا تنصر احدهم وهذا نادر يكون تنصرهُ مراعاة لصوالح خصوصية . ومما يستحق الذكر ويخاف الانسان من سوء عواقبهِ انهم ليسوا بممنوعين عن الانتخابات متى تمت شروط تجنسهم وكثيرون منهم قد استلموا اوراق الجنسية ليقوموا بها . ولا ريب في انهم يتحزبون لمن يدفع لهم رشوة تزيد عما دفعهُ الاخرون وهذا فساد ربما كان يزيد فساد الامور السياسية الجارية

هذا واذا نظرنا الى اعمالهم من جهة اخرى نرى انهم قد افادوا الولاية كثيرًا بالعمران بالاشتغال في الاعمال التي لا سبيل الى الحصول على فعلة من البيض للاشتغال بها منها الزراعة وحفر المعادن والاشتغال في المعامل والطرق الحديدية وبناء حواجز عظيمة لمنع طوفان الماء على اراضٍ مخصبة ولاصلاح الاجام . وقد فاق الصيني الابيض بالاعمال فانهُ يشتغل كشغلهِ ولا ياخذ غير قدر نصف اجرتهِ . على انهُ يقال لنا بلسان كثيرين من اهالي كاليفورنيا انهُ لابد من ان نتاسف من جرى سوء العواقب لان الرجل الابيض الذي لا يقدر ان يقوم بمعاش زوجتهِ واولادهِ ويدفع الاموال الاميرية ياخذ اجرة قدرها ريال او ريال ونصف ريال في النهار واذا جعل كالصيني لا يرتضي ان يشتغل بالشروط التي يشتغل بها . وقد نشا عن ذلك وجود كثيرين بدون اشغال وكثر عدد اهل الفساد وان الفتيان ينمون بالكسل والفساد فكثيرًا ما يساقون بذلك الى ان يجعلوا حياتهم حيوة شرور . ويقال ايضًا اننا لا ننتفع كثيرًا من الصينيين تجاريًا فانهم ياتون ببضائعهم وصيارفهم منهم ويقللون اموالنا بارسال نصف دخلهم على الاقل الى الصين . وفي الحالة الجارية لا ياتي الفاعل الابيض البلاد والصينيون ياتون جماهير

وبعد كتابة هذا التقرير وردت رسالة برقية فيها ان اهالي انتيوك من مقاطعة كونتراكوست قد طردوا الصينيين من مدينتهم رجالاً ونساء بالقوة واحرقوا منازلهم . ولا ريب في ان اهالي بلدان اخرى يقتدون بهم . وربما كان ينشأ عن ذلك ضرر عظيم فان المظنون ان الصينيين لا يخضعون لهذه المعاملة بدون دفاع

مصر

لم ترد الينا اخبار اخيرة عن مصر الا متعلقة بالكساد في اسواق التجارة والمالية فانها مشتركة مع سائر الدنيا في الاعمال فلا بد من ان تشاركها في ذلك ايضًا ولا نعجب من الضيق الجاري في الشرق بل نعجب من وقوفهِ عند هذا الحد لان العالم كلهُ قد وقع في ورطات عظيمة من جرى ذلك واخذ يوخر بلادًا بعد بلاد منذ اكثر من اربع سنوات وما دامت احوال السياسة على ما هي عليهِ لا سبيل الى الاصلاح والتغييرات في كيفية معاش الاهالي وزوال بعض اسباب وقوف الاشغال لا تاتي بالفرج دفعة واحدة بل بالتتابع فان الخروج من تلك الورطة يكون بالتدريج كالوقوع فيها فاعتصام الاهالي بالصبر الجميل وعدم تعليقهم الامل باصلاح قريب دفعة

واحدة يقلل ضجرهم ويجعل متوسطي الحال او الذين باتوا متوسطين ما ليًا يحصرون مصاريفهم في تلك الديار الكثيرة المصاريف في درجة معتدلة وياخذون في انتظار سنوح الفرص التي تدل على ان الاحوال اخذة في الرجوع الى مجاريها . وحال المالية المصرية برهان صحة هذا الكلام لان تديراتها الجديدة الموافقة لاصحاب الدين لم تات بارتفاع اسعار اسهمها بحسب المامول لان احوال السياسة وقلة المداخيل قد قللت النقود في العالم او اشغلتها في امور اخرى او جعلت اربابها يحرصون عليها . فعند انقطاع الحروب تاخذ في الصعود شيئًا فشيئًا الى ان يظهر ان التدبير المالي يمكن اصحاب الدين من الحصول على ذلك الفائض الذي لا يزال كثيرًا بالنسبة الى فوائض قروض دول اوربية عظيمة اذا وقفت الامدادات عنها تبيت في اسوإ حال ولا تقدر ان تقوم بنصف ما اقامت بمصر . وقد قالت جريدة التيمس في جملة ترجمناها عنها ونشرناها في هذا الجزء انه ليس من دول اوربا العظيمة ذات مالية سليمة العواقب لا تبيت في افلاس اذا قفلت انكلترا عنها ابواب الاستقراض غير اربع دول . ونحب ان نسلي اهالي تلك الديار الحسني الشمائل الكرما فان وقوف الاشغال بعد ذلك الرواج الجميل مع الخسائر الحالية لابد من ان يكدرهم ويضيق صدورهم غير ان الرجل العظيم من يصبر على صعاب الامور ويحتمل تقلبات الزمان بالصبر والتاني والرواق فيلاقيه متبصرًا متاملاً ويفوز بدفع اضراره وغدراته ومن المفروض على كل الشرقيين في الظروف الجارية ان يتصرفوا ذلك التصرف ونسال الله ان لا يطيل زمان ضيق اوربا ولا الشرق قاطبة وما احلى الفرج بعد الضيق

هذا ومن المعلوم ان في المدرسة الطبية المصرية الخديوية جمهورًا من السوريين يتعلمون فن الطب النافع بالاحسانات الخديوية وقد راينا نتائج هذه المنة بالاطباء الكثيرين الذين عادوا الى وطنهم بعد ان تعلموا الطب وهم بيننا يتعاطون صناعتهم وقد عرفنا ان جناب موسيو كالياردو رئيس تلك المدرسة في هذه الايام هو على جانب عظيم من الحذق والدراية وهو معتنٍ كل الاعتناء بها والقا انظاره على التلامذة السوريين منة عظيمة لاهالي هذه البلاد يعترف له بها الرفيع منهم والوضيع فنسال الله ان يجزيه عنهم خيرًا وان يلهمهم فعل ما به خيرهم والمحافظة على قوانين المدرسة واصولها

سياسة الدول

قالت جريدة التيمس ان اللورد دربي وزير خارجية انكلترا ومستر دزرائيلي وزيرها الاول اجابا على سوالات في المجلس العالي بشان لائحة برلين الجديدة وكان جواب كل منهما كجواب الاخر . فان الامور التي قررتها الامبراطوريات الثلث بلغت الى الدول الثلث الغربية فبادرت فرنسا وايطاليا الى تقريرها غير ان انكلترا لم تقدر على ذلك . وقد قالت الوزارة الانكليزية ان ما حملها على الامتناع عن قبولها انما هو ما تقرر في عقلها من انها لا تاتي بالمقصود منها . غير انها امتنعت عن ان تقوم بتوضيحات جديدة لانه لم يصر تبليغ اللائحة الى الحكومة العثمانية وربما كان يصير تنقيحها قبل تبليغها فلا ينبغي ان تنشر بدون رضى الدول . فامتناع الحكومة عن نشرها وتوضيح كل الاسباب التي حملتها على تركها ربما كان يقودها الى سوء المفهومية من جهة اللائحة واعتراضات انكلترا غير ان نسبة بعض الدول الى البعض الاخر هي من الامور المعروفة حق المعرفة ولا تحتاج سياسة الحكومة الانكليزية الى التوضيح وربما كانت لا تزيد وضوحًا ولو فسرت بكل الوسائط السياسية التفسيرية . ولا

يعترض عليها بسهولة . وهي موافقة لسياسة اجنبية انكليزية قد فازت بمدح كل حزب وجعلت سندًا له وقد نجحت نجاحًا كافيًا لحمل الناس على استحسانها . فان مجانبة منازعات اواسط اوربا وتقرير اتفاقات ومحالفات ذات علاقات متعبة مما يبعد المخاطر ولا يحتاج الى حكمة غير اعتيادية . وميل الامة الانكليزية يحملها على استحسانها والذين يعترضون عليها لا يقدرون ان يغيروا الراي العام . والصحيح ان الامة الانكليزية تسلم الى الحكومة بحق الامتناع عن المداخلات الاجنبية التي لا تمس كثيرًا صوالحنا . فقاعدتنا مجانبة المداخلات وهي التي تحتاج الى الدفاع . وعندما يقول وزراء الدولة انه قد تقرر عندهم ان المداخلة ليست باصابة بنفسها ذلك . وفي الظروف الجارية احوال تحمل الاهالي جميعًا مع اختلاف مشاربهم على التسليم باصابة ذلك . وما رايناه من مجاري جمعية برلين واسبابها يحملنا على ان نحكم باصابة ما قاله اللورد دربي من ان المظنون انها لا تاتي بالمقصود وستاتي بالنظر الى المسئلة الشرقية المستمرة بما اتت به لائحة الكونت اندراسي فعند ذلك يعترف بانها لم تات بنتيجة وتتبعها جمعيات اخرى تتقرر بها امور جديدة وقد شرع في ذلك والدول الثلث تعترف بانها ليست بركنة الى نجاحها فانها قد عينت وسائط اخرى للقيام بمفاوضات جديدة عند العدول عنها . والصحيح ان نتيجة جمعية برلين ارتباك ونخمن بتاكيد انها لا تفوز بالنجاح وان عدم نجاحها يوتى به كبرهان على لزوم القيام بسياسة اكثر اشتدادًا .

فمطالب الدول الثلث الحالية هي موسسة على ما قرره الكونت اندراسي لاخماد الثورة . ومآل لائحة برلين هو الذي ابانه الكونت اندراسي بحذق جعل الحسن منه ظاهرًا عندما خطب على النواب النمساويين . فانه قال ان ثلثًا من الدول المتحدة كل الاتحاد بمحالفة الامبراطورين وصوالح امهم المشتركة قد اشتغلوا بالاتفاق للمحافظة على السلام في اوربا وقد فازوا بالنجاح التام . وانه قد صارت مجانبة ارتباكات جديدة بمنع مداخلة عناصر جديدة في الحرب وهذه العناصر هي السرب والجبل الاسود وقد منع كل المتحزبين للعصاة عند الحدود عن المجاهرة بالعدوان . وقد قال الكونت اندراسي في خطابه المذكور ان الاصلاحات التي طلب تقريرها قد قبلتها اوربا والدولة العلية وسر العصاة بها ولا يرغبون بعد ذلك الا في الحصول على الضمانات اللازمة لانفاذها . وان اجراءات الدول الحالية هي لاكمال تلك الاصلاحات وازالة الموانع التي تحول دونها بالسلام . وما من شيء يريح الافكار ويخمد القلاقل كالنظر الى تلك الصعوبات كما بسطها الكونت اندراسي في خطابه . ومن المسلم انه لو كان ذلك صحيحًا لاتهمت كل دولة لا تساعد في انفاذه بحب الذات غير ان الاسباب المريحة التي وصفها الكونت اندراسي انما هي اوهام سياسية . فان الاتحاد المذكور والتظاهر بحب التسوية والوسائط المسكنة هي خارجية واتفاقية ووراءها وتحتها القوات الصحيحة التي تزيل بغتة كل الادعاءات الجارية . والدول الثلث الشمالية متحدة ظاهريًا وربما كانت تبقى محافظة على هذا الاتحاد بواسطة قيامها كلها باحدى سياستين متناقضتين وهما سياسة روسيا وسياسة النمسا . وبمراجعة النظر في احوال الجمعية البرلينية يظهر ان الحال ليست هي الا ظواهر المخابرات التي جرت فيها . فان الكونت اندراسي ذهب الى برلين بعد ان تكفل بان يضاد الاراء المنسوبة الى رجال السياسة الروسيين وصمم على مضادتها . واذا قلنا ان اجراءاتها المشتركة تقرر بترجيح الاراء يكون الترجيح في يد الحكومة الالمانية وعلى كل حال لا بد من ان يكون حكم البرنس بسمارك

ومولاه الامبراطور ذا نفوذ عظيم . وسيظهر في نهاية الامران الحكومة الالمانية لم تظهر ميلاً شديدًا الى جهة دون اخرى . ولا يلزم ان نقول ان الاراء الصادرة من وزارة روسيا الاولى وسفارتها في الاستانة العلية جاءت بتغييرات ليس فيها صالح الشرق . اما وزيرا لنمسا فثبت على ارائه ويقال ان حضرة امبراطور روسيا نفسه عضده فانه لم يكن يرتضي بان يلح بانفاذ سياسة لاترتضي النمسا بها وربما كان لم يرَ لزومًا لجعل الامور تجري بسرعة الى ما هي جارية طبعًا اليه . ومن الامور السهلة ان ندرك كيف ان روسيا لم ترتضِ بان تلح على حليفتها بالقيام بامور على غير رضاها ولذلك نظن ان ميل المانيا كان الى اراء النمسا اكثر من ميلها الى روسيا فقرروا بالاتفاق بان تصير المحافظة على لائحة الكونت اندراسي الاصلية لتكون اساسًا للعمل وان يكون المقصود من التدبير الثاني ايجاد ضمانات لانفاذ الاصلاحات اي انفاذ لائحة الكونت اندراسي بالفعل غير ان الروسيين راوا موافقة الفرصة لهم ولم يدعوها تذهب سدى . فان التدبير الثاني نمساوي في قاعدته ولكنه روسي في تفاصيله وخوف وزير انكلترا منه ربما كان ناشئًا من الخوف بان يتغلب التفصيل وهو الفرع على الاصل وهو القاعدة . فاننا نرى روح البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول والجنرال ايغناتيف سفيرها في الاستانة في تقرير هدنة طويلة وانشاء وسيسيون مختلط لادارة ولاية عثمانية اكثر مما نرى فيه من روح وزير نمساوي او انكليزي

ولذلك لاسبيل الى التشكي من تنحي حكومة انكلترا . غير انه لاريب في ان احوال الشرق الاستقبالية من الامور المهمة عندنا وعند سائر دول اوربا العظيمة ولذلك المامول ان لايكون وقوف اجراء حكومتنا مما يعول عليه ولا ان تفهم الدول الاجنبية اننا قد تركنا المركز الذي اتخذناه لانفسنا بواسطة معاهدة سنة ١٨٥٦ وحفظناه بعضد لائحة الكونت اندراسي . ولا بد من حلول زمان تصبح انكلترا فيه غير قادرة على المحافظة على عدم التداخل وهذا الزمان قريب ولا يوافق ان تتوهم الدول التي يهمها امر الصعوبات الشرقية اننا لانحفل باحوال الشرق وقد ظن البعض اننا قد افهمنا بما يكفي بالنظر الى الشرق ولذلك سنتركه وشانه مهما كانت احواله غير ان هذا الراي هو في غير محله لاننا نهتم بارض الشرق وليس باهله وغاية سياستنا القصوى منع وقوع الضرر عليها . ولانفوز بهذا المرغوب بمجانبة الامور الشرقية ولا بالقيام بما يجعل الباب العالي يرفض الامور التي يطلب اليه القيام بها ان كانت عادلة او غير عادلة . وقد ابعدت حكومة انكلترا نفسها عن الدول الاخرى فمن الواجب ان تفرغ جهدها في حملها وحمل الباب العالي على نهي هذه الحوادث . واذا كان تخمينا واسطة لاطالة زمان الثورة نكون منفذين سياسة روسيا فان كل شهر يوسع الخرق ويزيد الاتعاب والضعف وربما كان ياتي بحادث ردي ينهي الامر . واذا كانت الامبراطوريات الثلث تقوم بامور ظاهرة غلط بنسبة بعضها الى البعض الاخر والى جيرانها تزيد اهمية مبادرة الانكليز الى ان يصرحوا بما ينبغي ان يجرى وان يطلبوا الى الدول بان يجروه . ومن الواجب ان نعلم ان هذا المطل والمحاولات ناشئة عن عدم ارتضاء العصاة باصلاحات جارية بالسياسة العثمانية ولاتجعل سكون البلاد دائمًا . فانهم يطلبون الاستقلال وليس الاصلاح . والدول الثلث تعرف هذه غير انها قدرات انه لايوافق ان تذكره الان . فاذا كنا نعلم ذلك فمن اوفق الامور ان نصرح به بجسارة ونطلب تقرير تسوية سريعة امينة

السلام والحرب

قالت جريدة التيمس ان الجمعية السلمية قد عقدت جمعيتها السنوية ولم يحضرها جمهور غفير غير ان الذين اتوها من اصدقائها واعضائها لم يكونوا دون المطلوب وظهر من ضجيجهم انهم كانوا مهتمين جدًّا بالامور التي صمموا على ان يرقوا اسبابها . وذهب اكثر زمان الاجتماع بمراجعة اعمالها وذكر نجاحها العام وقد ظهر انها عقدت في السنة الماضية ٣٥٠ اجتماعًا في اقطار مختلفة من البلاد الانكليزية فجرت فيها خطب ومفاوضات لعضد قواعدها . وقد نشرت كتابات كثيرة لترقية اسباب الامور التي تاول الى نفع البشر بمراعاة حقوق الانسانية . وقد عقدت جمعيات اخرى في الخارج لاصلاح القوانين الدولية . والمامول ان الاجتهادات تحمل دول العالم على ان تحسن اسباب المواصلات الجارية بينها . وقد عقد اتفاق بين بعض اعضاء المجالس العالية في بعض البلدان ليس لصرف كل الجنود المتاهبة للقتال في اوربا في البلدان العظيمة ولكن للقيام بما من شانهِ ترقية اسباب الامور التي تاول الى صرف اولئك الجنود . وقد جعل احد اعضاء المجلس الاسبانيولي العالي واحد اعضاء جمعية السلام جائزة لمن يكتب خطابًا موافقًا بشان سن قوانين دولية جديدة . ومع هذه الاجتهادات لم تفز الجمعية بالنجاح الذي تمناهُ لها . ولا ريب في انها قد اقامت باعمال ولا يخفى ان فض المشاكل الدولية بالتحكيم الدولي قد اتسعت دائرتهُ ولا سيما عند وقوع مشاكل دولية ثانوية بيننا وبين الدول فانهُ علة لراحة الافكار . وقد تقرر الان في عقول الناس اكثر مما كان مقررًا قبلًا ان الاصابة ان نمتنع عن المداخلة حيث لا نرى علة كافية للقيام بها . وقد سررنا بما رايناهُ من ان تلك الجمعية السلمية قد نقلت كلامنا المتعلق بهذه الامور وقبلت بهِ بسرور . وقد رايناها بكدر انها تتاسف بحق من ازدياد التاهبات الحربية . اما الان فغربي اوربا في سلام . وما من خطر الا من تكديرهِ في شرقي اسيا فتكون انكلترا من المشتركين في ذلك . اما شرقي اوربا فيصعب علينا ان نفهم حقيقة حالهِ . ولا ريب في ان فيهِ حربًا . فهذا مما يكدرها كما يكدر كل من يختلج في صدرهِ شي من حب خير البشر . على انها تعلم الاسباب التي تحملها على ان تكون مرتضية بما قد جرى . واحوال الهرسك مكدرة جدًّا غير انهُ ربما كانت تاثيراتها برهان صحة الاراء التي ابدتها الجمعية السلمية منذ ٢٢ سنة عند مضادتها لحرب القرم

هذا واننا نتمنى لها كل الفوز والنجاح فان مقاصدها عظيمة ونشكرها على الدوام على اجتهاداتها ولو كنا لا نتفق معها على الدوام في تاثيراتها ونفوذها . ومما يستحق عنايتها العظيمة التاهبات المتسعة جدًّا الجارية في اوربا . فانها شرآخذ في النمو ولا نرى ما يدل على وصولهِ الى النهاية .

وقد امست كل دولة اوربية ملزومة بان تعلم بان تساق الى ذلك . ولا بد من ان تضربها بتدبيرات جيرانها المصروفة في سبيل التجهيز اذا اقامت هي بمثلها او لم تقم والصحيح ان اوربا قد تحولت الى معسكر عظيم متسلح . فعندما تزيد احدى الدول قواتها تنسب دولة اخرى ذلك الى انهُ تهديد لها فتبادر الى تكثير جنودها ومهماتها فتاخذ تلك في الزيادة وهكذا . ولا ريب في ان السلام متسلط الان غير انهُ ما من شيء يبين لنا ثباتهُ بل الاحوال الجارية تحملنا على ان نقول ان فتح الحرب ياتي بقتال لم نرَ مثلهُ في اتساع الدائرة والشدة ويأتي بعواقب ردية لم تاتِ حرب بمثلها . وقد امست مالية الدول في ضيق كافٍ بسبب اثقال مصاريف اسباب الحروب فان كل ما تجند رجل يثقل على المالية بوجهين . فان مصاريفهُ في العسكرية تزيد كثيرًا عن المصاريف

السابقة والوجه الاخر خسارة نتاج شغله فانه يصبح بدون شغل حال كونه يصرف من مال الامة ولذلك يزداد الحمل ثقلاً وما يحمله ضعفاً . وبعد التردد رات انكلترا انها ملزومة بان تنتظم في دائرة الدول المتناظرة فالتزمنا بان نزيد كثيراً مصاريف عسكريتنا وبحريتنا . ففي اي مركز يا ترى تقف هذه الاحوال بل هل يمكن ان تنتهي هذه الامور بغير طرح خزائن الدول الموجودة في مقدمة المتجهزين في افلاس مالي وفي الايام الاخيرة قد راينا دولاً كثيرة في افلاس . ولا نعلم اي دولة تقع في ورطته بعد الدول التي امست فيها . وليس في الدنيا غير اربع دول من الدول العظيمة التي لا سبيل الى الخوف من سوء عاقبتها . ومن المؤكد انه اذا قفلت هذه البلاد الانكليزية ابواب ماليتها وامتنعت عن ان تسعف مالية جيرانها الساقطة لا سبيل الى تاخير ظهور افلاسات جديدة ولا الى مجانبتها الا بتنزيل مصاريفها بسرعة تنزيلاً عظيماً . فهذا ما تحب الجمعية السلمية ان يحدث ولا ريب في انها تدعي بانها جاءت به حال كون ذلك مقرراً عندها

وعند اظهار قلة تاثيرات الاجتهادات التي تقوم بها تلك الجمعية لا نستخف بالفائدة التي ربما كانت تنشا من تلطيف الاخلاق البشرية وتثقيف العقول وتحريك عناصر الحنو والشفقة في الناس . غير انه لا ينبغي ان ننسى ان وحش القوة الموجودة في اكثر الصدور لا يخضع خضوعاً تاماً بل لا يكون خضوعه غير قليل وانه ربما كانت تحدث امور تجعله يهب بكل قوته وجهده طالباً التسلط القديم الذي كان له . وصيانة السلام الحقيقية تكون باتساع دائرة الصوالح التي تقاوم الحرب كل المقاومة . ومنذ مائة سنة لم يكن يتيسر لاوربا ان تقوم بالتجهيزات التي قد اقامت بها او بما يشابهها بدون ان تبادر الى القتال . ولذلك نظن اننا احكم من سلفائنا واشد حنواً منهم فاننا اقل ميلاً منهم الى الحروب وربما كنا نومل ان اوربا تدرك حقيقة صوالحها العمومية بعد زمان قصير او طويل فينغلب ذلك على ما نراه فيها من قلة اركان بعضها الى البعض الاخر . وهذه الصوالح قوية في الحال فتقدر تمنع في حدوث الحروب غير ان قوتها ليست بكافية لان تاتي ببركات سلام اكيد . على ان تلك الصلات العظيمة ليست مما يربط عندما يريد الناس ان يربطوه ولذلك نخاف ان تلك الحماة لا تقدر تظبطها

الدول وانكلترا

قالت جريدة التيمس انه بالنظر الى التاثير الذي قد تم وقوعه في اواسط اوربا ربما كان امتناع انكلترا عن ان تعضد قرار جمعية برلين ياتي بسطوة جديدة قوية في الامور الشرقية وملخص جواب انكلترا ان الدول الثلث تدعي بانها قد حافظت على قواعد لائحة الكونت اندراسي مع انها قد خالفتها فعلاً وابانت بطلبها الغير العادل انها ليست بوسيطة خالية الغرض . ومما يستحق الذكر ما كتب في القرار المذكور من انه اذا لم يات بالمرغوب يصير اتخاذ وسائل اخرى ولا يكون لهذا الوعد غير نتيجة واحدة وهي تشديد عزائم الذين يرغبون في اطالة الحرب وحملهم على ان يصروا على مطاليبهم . فهذا الانتقاد الواقع على قرار كتب بسرعة في برلين قد جاء بنجاح حالي . فانه يوضح حاسيات الذين راقبوا الحوادث وحاولوا ادراك روح السياسة الجديدة والاعتراضات واضحة قاطعة غير محتاجة الى ان تعضد بالبراهين فان صحتها تظهر بمجرد ذكرها . ولو لم نكن عالمين ببعض احوال مجاري المخابرات لتعجبنا قليلاً بما نراه من تقرير وزراء عارفين بالامور لائحة يسهل الانتقاد عليها . فالاسباب الموثرة التي ذكرناها منذ ايام قليلة والاختلافات التي صارت تسويتها في جمعية برلين هي الاسباب التي جعلت لائحة الدول الثلث لائحة خالية من الوجه السياسي . . . .

وقد بسط ملخص لائحة برلين امام اعين اهل العالم الذين سروا اذ راوا انها لم تصادف قبولاً عامًّا وربما كانت اعتراضات انكلترا غير قادرة على منع اجراآت الدول الاخرى غير انها تقلل نفوذ سياستها بل ربما كانت تجعلها كالعدم . فاللائحة التي تعضدها الدول الست ليست كاللائحة التي رفضتها احداها ببراهين ربما كانت تخلص الباب العالي من تعب كتابة رد سياسي . وقد ظهر ما يدل على ان تاثير امتناع انكلترا لايكون محصورًا في الاستانة العلية . فان البلاد التي لم يكن لها منذ خمس سنين سياسة خارجية وهي في الامور الشرقية اقرب الدول منا وهي فرنسا بادرت الى قبول لائحة الكونت اندراسي بدون تردد وكذلك قد قبلت لائحة برلين وما ذلك غير قبول ناشيء عن عدم الاعتناء بالمداخلة كان فرنسا ترغب في ان تبين ان مصائبها الاخيرة منعتها عن التداخل في احوال الشرق . وهذا ناشيء عن حكمة الحكومة الفرنساوية غير ان الناس يحبون ان يتداخلوا في هذا العمل العظيم وشعور الفرنساويين برجوع قوتهم يجعلهم يحبون انفاذ رايهم كما في الماضي . ولذلك قد مال الناس في الحال الى الافتكار بان حكومة فرنسا قد قبلت لائحة بدون ان تتمكن من الزمان الكافي لفحصها وان ذلك ناشيء عن الاجراء السريع . وربما كانت الحكومة نفسها عالمة بذلك فتوضح قبولها توضيحًا يجعل اتفاقها مع الدول الامبراطورية اقل نفوذًا . والمظنون انه ليس للدولة الثالثة وهي ايطاليا سياسة مخالفة لسياسة فرنسا وانكلترا ولا مقاصد مخالفة لمقاصدها . ولذلك نتصور ان هذه الدول تقرر ان ادارة الامبرطوريات الثلث لم تبلغ الغاية التي تدعي بانها تروم بلوغها وربما كانت لا تبلغها ابدًا . فان المقصود من لائحة اندراسي الحصول على السلام غير ان السلام لا يزال بعيدًا . وكان المقصود منها ارضاء عصاةهم من الفلاحين البسطا الذين تقدر احدى الحكومات العظيمة ان تديرهم كما تشا غير اننا راينا روساءهم يدفعون ما عرضه والي دالماسيا النمساوي في مفاوضات متتابعة فيها بعض حذق الروايات . ومن الامور الواضحة ان تدبيرات برلين ستذهب سدى اذا عضدتها انكلترا او لم تعضدها ولا بد من ان يتبعها شي اخر . ويحق للناس في فرنسا وايطاليا ان يسالوا هل يلزم ان نتبع خضوع الامبراطوريين الثلثة الذين لا يعلمون مقاصدهم ولا وسائطهم النهائية . او الذين يسترونها . فاذا ذهبت تدبيرات برلين سدى هل ياتي ما يتبعها بنتيجة او ما ياتي بعد تابعها . والقبول بلائحتين متتابعتين غير نافعتين كاف للتلطيف والقيام بالواجبات الدولية . فاذا ذهب المشروع الحالي سدى او اذا ظهر عدم نجاحه يحق للدول الاوربية التي يهمها امر الشرق ان تسال امبراطور روسيا وحلفاءه بان يحددوا بوضوح غاية سياستهم والتسوية النهائية التي يرغبون في ان يقوموا بها في الاماكن العاصية . ومن المعلوم ان اهمية الواقع محصورة في كيفية هذه التسوية لانه لا سبيل الى القيام باجراآت موثرة ما لم تكن الدول متحدة اتحادًا صحيحًا قلبيًا ولا تتصل الى ذلك الا عند اتفاقها على قواعد التسوية . اما الان فالظلام موجود وهو ناشيء عن سياسة مستترة . فان كل الناس يعلمون ان مقاصد تلك الدول هي غير كلامها وانها لا تقول ما يوافق اراءها ولا تظهر ما هو مقرر عندها بانه يكون النهاية . والدولتان اللتان تجاوران الممالك المحروسة تهتمان بهذه الامور اكثر من سائر الدول وكل منها تتحرك بالطمع والخوف فتسمح للثورة بان تستمر وكل منها تومل بان النهاية تكون موافقة لها . اما الدولة الثالثة وهي المانيا فربما كانت ترى الاستقبال بوضوح غير ان صوالحها في الشرق قد اخضعت لصوالح اتحادها العسكري ولا تحب تعظيم الدولة الروسية . غير ان حالة العالم الجارية

لا تسمح لها بان تقطع النظر عن رضى روسيا وقد نشا عن ذلك اتحادها مع الدولتين المشار اليهما في الاشهر الستة الماضية

ومن الامور المرجحة عندنا ان سياسة مستقيمة موثرة تصادف عضداً بين الامبراطوريين الثلثة انفسهم فاننا راينا ان بين روسيا والنمسا مضادة ربما كانت تجعل النمسا تسر بمقاومات انكلترا . فاذا كان امتناعنا عن قبول هذا الامر ياتي بتغيير اللائحة الحالية ويخرج منه العناصر الروسية تقرب حكومة النمسا والمجر من غاياتها . وذهب الكونت اندراسي الى برلين مضطرباً مما شاع من مطاليب وزير روسيا الاول وهو خائف من ان يكون قد فاز بنوال اتحاد حكومة المانيا . وقد ظهر للنمساويين وللمجريين ولحكومتها ان اطالة زمان الحرب وتاكيد ظهور صعوبات جديدة مما لم يرجع السلام يطرحانهم في خطر عظيم . ولا ريب في ان روسيا تشور على حليفتيها بوجوب تقرير التسوية التامة حالاً وان تكون مما يقدر الراي العام في انكلترا او اوربا ان يقبل به . وربما كان ميل حكومة المانيا موافقاً كميل النمسا وقد فهم ان اكثر ميل البرنس بسمارك في الاجتماع البرليني الاخير الى اراء وزير النمسا وقد قال ما ابان انه اذا تمكنت المانيا من انفاذ ارائها تختار كيفية موثرة نافعة . وحكومة المانيا تعضد النمسا في كل ما تراه النمسا ضرورياً لها . ومن المعلوم ان البرنس بسمارك قد انتصر على النمسا غير انه ليس براغب في ان يضعفها . فان كل صوالح المانيا تبعدها عن السياسة الروسية التي قد ظهر ان الكونت اندراسي قد ارتاب فيها . انتهى

هذا وكل من طالع جملنا السياسية الماضية مع جملة الجزء السابق التي طبعت قبل ورود هذه الجملة بثلثة ايام يرى ان ما اوضحناه من الاراء بخصوص الدول الثلث هو ما اوضح اعلاه

جمعية برلين

قالت جريدة التيمس قد تقرر ان حكومة انكلترا قد رفضت ان تقرر قبولها للائحة الامبراطوريات الثلث الجديدة التي كتبت في جمعية برلين . ولا ريب في ان بعض النواب سيسالون اللورد دربي وزير خارجية انكلترا في المجلس العالي عن ذلك وسيكون جوابه قاطعاً لتخمينات الجرايد في عواصم كل دول اواسط اوربا . وقبل ظهور ذلك نكتفي بان ننبه افكار الناس الى امتناعها المذكور الكثير الاهمية والى ما ربما كان ينشا عنه ونبحث عما قد جد في الاحوال مما ربما كان يجعل تصميمات حكومة الانكليز عادلة مصيبة . ومنذ اسبوع ابتدات الجمعية وانتهت . فسرعة تقرير ذلك يخالف ما ظهر من ارتباك افعال كل الذين لهم علاقة بذلك من المحاربين والمتوسطين . وقد تعجب الناس باجماع الدول الثلث على الامر لانها كانت قد رات ما دل على ان اتحادها بات غير وطيد بعد ان بلغت الباب العالي التبليغات الاخيرة . فسهولة هذا الاتفاق يحملنا على ان نبحث عنه لانه اذا اهتمت وزارة واحدة في تقرير امر واحد فلا تبرمه بهذه السرعة . فلو فرضنا ان اتحاد الامبراطوريات الثلث اصبح كاتحاد حكومة واحدة او لو كان ذلك مفوضاً الى رجل واحد من اهل السياسة لصرف وقت اطول من الوقت الذي صرفته للتامل في الوسائل للتخلص من ارتباكات قد طال امرها . وقد ظهر من ذلك ان انتهاء الجمعية بسرعة ناشي من ان اطالتها لا تاتي بتوضيحات جديدة ولا بقرار اقطع . والمظنون ان الامبراطورين الثلثة صمموا على ان يبينوا للعالم انهم على اتحادهم السابق غير ان المظنون ان كلاً منهم خالف رفيقيه في بعض امور بل قرر في عقله تسوية مخصوصة وقد جرت تغييرات كثيرة ناشئة عن قوة الحوادث وليس عن اعمال الملوك . فان حالة الشرق الان هي

غير حالتهِ منذ سنة بل منذ ستة اشهر واشتغال دولة عظيمة بما يتعلق بهِ ربما كان يحملها على ان ترى في الاستقبال ما هو اوضح قبل القيام بسياسة لا يتيسر العدول عنها. وربما كان ذلك سبب وضع تدبيرات في تلك الجمعية متسعة الدائرة عامة غير انها قواعد يمكن ان توسع باراء مختلفة حال كون حالتها الحاضرة لاتدل على نهايتها

وقد انحصرت المعلومات المتعلقة بذلك في الحال بان ذلك التدبير يوسع دائرة مداخلات الدول الاوربية فانها قد وسعت لائحة الكونت اندراسي وغيرت كيفية تبليغهِ. فانهُ تم تبليها اللائحة الاولى بالتلطيفات الكثيرة والتسهيلات العظيمة. ولا بد من ان تكون قاعدة اللائحة الجديدة عدم ارجاع السلام الى الاماكن الثائرة وثبات العصاة على القتال. ولا نرى وجهًا للارتياب في انهُ قد تقرر في اللائحة الجديدة منح العصاة حقوقًا فضلاً عن الحقوق التي تقررت اولاً مع ضمانات افعل. وربما كان قد تقرر في عقول الدول الثلث انهُ لاسبيل الى اخماد الثورة فعلاً ما لم تقرر تسوية حائزة على رضى الثائرين. وقد عرفنا ما طلبهُ روساؤهم وماجرى بينهم وبين حاكم دالماسيا النمساوي يستحق كل الالتفات لان العصاة اظهروا ما قد اظهروا من ثبات العزم ومن الحذق الذي تخلصوا بهِ من المطاليب الواضحة. ولا يلزم ان نقول ان عنادهم ناشئ عن ثباتهم او عن تحريضات خارجية غير انهُ من الموكد ان الحكومة الروسية لاتشترك في عمل من شانهِ قطع الامال التي اظهرها روساء العصاة. فاذا قلنا انهُ يطلب الى الباب العالي منح حقوق جديدة لابد من ان ننتظر ان نسمع انهُ طلب اليهِ ان يجعل للدول التي قررت ذلك مناظرة انفذ. وربما كانت الدول الثلث قد قبلت وضع اجراء الاصلاحات تحت مناظرة قومسيون من المامورين. اما لائحة الكونت اندراسي

فلم تطلب غير اقامة قومسيون مختلط من المسلمين والنصارى رعايا الدولة العلية وتفويض انتخاب اعضائهِ اليها. وقد سمعنا بطلب عقد هدنة طويلة قبل الشروع في المخابرات فمنحها ربما كان يوهم الناس انهُ لاحق للدولة العلية بان تخمد الثورة [illegible]انها قد قبلت بمداخلة الدول

ومن المعلوم ان التدبيرات التي لها القواعد المذكورة ربما كانت تتحول بالتوالي الى اهمية عظمى كلما شددت الحوادث المضادات بين جنسين مختلفين وجاءت بمداخلات اجنبية فاذا رغبت حكومة انكلترا في ان تمتنع عن ان تقيد نفسها باتفاق تقرر الامة امتناعها عالمة بان لذلك اسبابًا راهنة. ولا يخفى ان عضد لائحة الكونت اندراسي كان متضمنًا اظهار وجوب القيام باصلاحات معينة فانهُ تقرر منذ البداية ان انكلترا لم تقبل بان تقرر انهُ من الواجب ان يقبل الباب العالي بها. وقد مضت بضعة اشهر منذ جرى ذلك وقد ظهر انهُ لا سبيل الى اجراء ما تقرر. ولو كان الباب العالي راغبًا في اجرائهِ. ويستدل من ذلك انهُ اذا اصرت الدول على انفاذ السياسة التي طلبت الى الدول ان تقوم بها لابد لها من ان تتداخل مداخلة اشد تاثيرًا. ولذلك يحق لحكومة انكلترا ان تقرر ان المركز الجديد ولو كان ناشئًا عن القديم طبعًا يختلف عنهُ حتى انهُ يحق لهذه البلاد ان تتصرف بحذر يفوق حذرها الماضي.

ولا بد من ان نضيف الى هذا الكلام ان روسيا والنمسا في اتحاد ظاهري وربما كانتا تستمران على ان تخاطبا دول اوربا الغربية فان صوالحها مختلفة فلا تكون اجراآتها المشتركة غير موكدة. وليس من واجبات انكلترا ان تتنحى وتستمر بدون قرار بحيث يتقرر الامر بدون رايها. ولا ينبغي ان تشور على الباب العالي بالقيام بمضادات لا تتحد معهُ على انفاذها عندما تمس الحاجة الى ذلك. والظاهر ان حكومتي فرنسا وايطاليا

قد قبلنا باللائحة الجديدة ولذلك سيخابر الباب العالي بشانها . وبالنظر الى هذه الظروف لا ينبغي ان يظن ان تنحي انكلترا الموقت هو تركها مركزها المتعلق بالامور الشرقية او مضادة تسوية موافقة لجري الحوادث

خطاب وزير النمسا الاول

قد نشرنا في الجنة ملخص خطاب الكونت اندراسي وزير النمسا الاول وما ياتي ترجمة ملخص اخر اطول كثيرًا من الاول وهو منقول عن جريدة التيمس

سال احد اعضاء مجلس نواب النمسا والمجر المجتمع في بيست عاصمة المجر الكونت اندراسي عن جمعية برلين فاجاب انني لا اقدر ان ابين الامور التي تقررت في جمعية برلين لانها لم تبلغ بعد الى الدولة العثمانية . غير انني اقدر ان اقول انها متعلقة كل التعلق باجراء الاصلاحات التي كتبت في اللائحة المحررة في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦ وهي التي قبلتها الدولة العثمانية والعصاة . وبازالة الاسباب التي تعيق اجراء تلك الاصلاحات وبتقرير اتفاق قاطع بين الدول بشان حادثة سلانيك الاخيرة . ولاتفاق الدول المذكور اهمية كبرى وكذلك تصميماتهم الثابتة المتعلقة بالتشاور بينهم عند حدوث امور جديدة ولذلك اهمية عظيمة لانه يبين ان الدول قد ابعدت عنها كل الصوالح الخصوصية وجعلت المحافظة على السلام قاعدتها الاولى . والمامول انه عندما ترى الحكومة الانكليزية بوضوح نوايا الامبراطوريات الثلث تتاكد بان غايتها الوحيدة هي اخماد الثورة فتبادر الى الاتفاق معها . والان اقدر ان اقول ان سلام اوربا اصبح غير مكدر وانه قد صار منع حدوث ارتباكات جديدة بمنع دخول عناصر جديدة الى القتال وان اوربا والدولة العثمانية قد قبلت الاصلاحات التي طلب اجراؤها وكذلك العصاة قد فرحوا بها ولا يُطلبون الان غير ضمانات تضمن اجراءها . واجراآت الدول الحالية متعلقة باتمامها و بازالة الاسباب التي تمنع انفاذها بالوسائل الحبية . واحذركم من اراء المتشامين الجارية كثيرة بيننا وقد كذبها النجاح الذي فازت به الحكومة . اما امتناع انكلترا الى الان عن القبول بالاتفاق مع سائر الدول الاوربية فربما كان ناشئًا عن كيفية المخابرات السياسية التي غيرتها الظروف الحالية . وعندي ان توطيد اتحاد الدول وتجديده ذو اهمية عظيمة ادبية . وستقوم بكل نشاط بانفاذ ما قد قررته للمحافظة على سلام اوربا . وقد صممت كل التصميم على ان تتفاوض بكل امر عند حدوثه . فهذه هي نتيجة جمعية برلين . ولا صحة لما قيل من اننا غضضنا النظر عن ثورة الهرسك . وقد اخذت على نفسي منذ البداية مسئولية المخابرات مع كل الدول الاجنبية . ولا صحة لما قيل من ان النمسا مصممة على ارسال جنودها الى الولايات الثائرة وهي في احتياج الى ان تصلح بما يوافق الحال التي امست فيها . والاتفاق الذي تقرر في برلين هو الواسطة المناسبة للمحافظة على السلام واحمل مسئولية هذا المركز فانه لا يلحق ضررًا بالامبراطورية . والدول قد قطعت النظر عن صوالحها الخصوصية وصممت على ان تجعل المحل الاول للمحافظة على السلام في اوربا . واصلاح الحالة الجارية في الشرق اساس اجتهادات الدول . وليس للنمسا اعداء فان الصلات الجارية بينها و بين كل الدول الاجنبية جيدة جدًّا ولها جيش باسل والامة التي عددها ٣٦ مليونًا تقدر ان تعلق الامل بنجاح اجراآتها وفي تحامي عن السلام في اوربا . انتهت

قد ظهر ان امتناع انكلترا عن القبول بلائحة برلين هو عدم موافقتها وليس ما قاله الكونت من انه اختلاف كيفية المخابرات اي اجتماع اتفاق الامبراطوريات الثلث على امر ثم تبليغه لها ولفرنسا وايطاليا عوضًا عن دعوتها الى المفاوضة ابتدائيًّا وغير ذلك مما سيذكر

في جمل اخرى

روسيا وانكلترا

تابع ما قبله

واكثر الناس يظنون ان مخاطر تقدم روسيا تكون في الحدود الشمالية الشرقية واهملوا النظر الى الجهة الاخرى الغربية فان روسيا تقدمت اليها في اوروبا واسيا اكثر من تقدمها الى جهات اخرى وفي السنين الاخيرة القليلة تغيرة احوال روسيا كل التغير فانه لم يكن عندها في اثناء حرب القرم غير طريق واحدة حديدية على انها في السنين العشرين الماضية انشات بالمال الذي ستقرضته منا عشرين طريقًا حديدية ليس المقصود منها التسهيلات التجارية فانها طرق حربية محضة و بعضها ممتد الى اواسط اسيا . واهم الامور ما نعلمه من ان لروسيا طرقًا متجهة الى بلاد في اوربا و بعضها متصل باسيا وكلها في تقدم يومي . وفي حرب القرم كان القوقاسوس شوكة في جنب روسيا . اما الان فهو حصن قوتها فبسرعة عظيمة تقدر ان تنقل جنودها من بحر البلطيك الى بحر قزوين ولها فيه بوارج اذا قطعت مائتين وخمسين ميلاً بحرًا تقدر ان تنقل جنودها الى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المذكور ومن هناك تقدر ان تتصل الى طهران عاصمة ايران بقطع طريق سهلة في ٢٥ يومًا . وليس اقوى مراكزها في الحدود الشمالية الغربية ولا الشمالية ولكنها متمكنة في جيحون ومنها الى مرو ١٨٠ ميلاً ومن مرو الى هرات ٢٥٠ ميلاً اي كما قال صديقي المحترم مسير ١٢ يومًا . ولست من الذين يخافون روسيا واذا نظرنا الى سياستها من الجهة المالية اقول انه مقرر عندي انها تكاد تكون في حالة مالية الدولة العثمانية لان اهالي روسيا كثيرون جدًا ومع ذلك لم تصرف مداخيلها في سبيل ترويج اشغالها التجارية ولكنها صرفتها في سبيل تجهيز قوتها الحربية ومن ضروريا انها التجارية وصولها بسهولة الى بحر ولا بد لانكلترا من ان تشترك معها في الحاسيات من هذه الجهة . وتقدر ان تحصل على ما يمكنها من الحصول على ما هي في اضطرار تجاري اليه في جهة جنوبية شرقية عند راس الخليج العجمي والاخر بقطع البحر الاسود والاتصال بالبحر المتوسط . وتقدمها هو من جهتين ولها نقطتان الواحدة في خوكند والاخرى في جوار البحر الاسود وهذا يمكنها من ان تجري في خط مزدوج ولم نستعد لان نلاقيها فيهما ولا في احدهما . والمامول انه تصير المحافظة على السلام بين الدولتين . غير انه من الواجب ومن الحكمة ملاحظة الظروف والاحوال الاستقبالية ولسنا مستعدين لان نصدها في الجهتين وقد اصاب مستر كوشرن المحترم بتنبيه الافكار الى ذلك . وقليلون هم الذين فهموا هذه المسئلة وفي ذلك نفع لانه لو فهمها الجميع لكثر القلق واشتد اشتدادًا غير موافق ولم يطلب غير بعض اوراق ولا ارى كيف الحكومة تقدر ان تمتنع عن ان تظهرها . لان الامر قد بلغ مركزًا مهمًا فمن الواجب ان يقف كل انكليزي على الحوادث (اسمعوا اسمعوا) . وقد ذكر اهالي الهند المسلمين ومن الواجب ان ادعي بمعرفة بعض احوالهم ولذلك اشهد بصحة كل ما قاله صديقي المحترم السار كامبل . وقد جعلنا الهند لنا اكثر من السابق بعدالة حكومتنا وصدورها عن قواعد الانسانية وحبها الخير الاهالي . و يوجد غير المسلمين الذين هم من تبعتنا في الهند وحاسيات بعضهم مشتركة مع حاسيات البعض الاخر . ومن المنتظر الطبيعي ان تعظم روسيا بالقوة الحربية ولا ينبغي ان نتشكى اذا راينا انها اصبحت تقدر ان تجمع مليونًا ونصف مليون عسكري مع انها كانت لا تجمع غير ستمائة او سبعمائة الف عسكري . واذا استمر نظامها العسكري على ما كان جاريًا عليه يزداد

عدد عساكرها الثلث مع انهُ كثير جدًّا (اسمعوا اسمعوا) ولا ينبغي ان نغض النظر عن هذا الامر. ولا ريب في ان جيش الهند يكون امينًا لنا ولا نرتاب في اقتداره على الدفاع ولكن من الواجب ان يعرف المجلس العالي ان جيش الهند المحلي في الحاضر في خلل من راسهِ الى قدميهِ وكلامي هو عن الجنود من اهالي الهند. وهي الان في حالة ردية لم تبت في مثلها (قال السار كامبل لا لا). ولا ريب في ان المجلس قد راى تحريرًا كتبهُ البرنس اوف ويلس ولي عهد المملكة وفيهِ انهُ في سفرهِ في الهند راى ان جيشها في حالة منظمة تامة وظاهر هذا الكلام مناقض لما قلتهُ. غير انهُ من الممكن اجتماع الامرين. لانهُ ربما كان يظهر ان جيش الهند للعرض والتمرين من احسن الجيوش حال كون نظامهِ ناقصًا. والصحيح ان تعيين قوادهِ وضباطهِ ناشيء عن قواعد غير صحيحة ولم ينتبه الى هذا الامر حق الانتباه. وهو مولف من ١٤٠ فرقة (طابورًا) من المشاة و ٤٠ من الفرسان و يعين ضباطها كلها مراعاة لنظام غير موافق فلا يكون للطابور غير خمسة ضباط اوربيين (قال احد النواب و يكون لهُ ضباط هنود). فاقول اذا ظن النائب المحترم ان الضباط المحليين يقدرون ان يسدوا مسد الضباط الاوربيين فاني لا اوافقهُ (اسمعوا) فالجيش المحلي المنظم هذا النظام يكون في خطر مبين عند حلول زمان صيرورتهِ قومًا غير منظمين. ومن اهم الامور ان نقرر اتفاقًا بيننا و بين افغانستان. وقد قيل ان السار لويس بلي لا يرسل سفيرًا الى قابول غير ان المامول ان الصداقة توطد قريبًا بيننا وبين افغانستان فمقابلة اهاليها او يقابلون كل من نرسلهُ مقابلة الاصدقاء. والصحيح اننا نخاف افغانستان وطرقها وسبب خوفنا ما نشا عن الحروب التي اقمنا بها فيها سنة ١٨٣٨ و١٨٣٩. ولا ريب في ان احوال ذلك الزمان قد امست في خبر كان واذا جرى عدوان بيننا و بينها لا تعيقنا صعوبات الطرق لاننا نقدر ان ننقل المدافع المضلعة الخفيفة قاطعين بها اصعب الاماكن. واذ استمرت معاملاتنا لها ناشئة عن سياسة غير مقررة لا تقدر ان تدركها فربما كانت تنضم الى روسيا عوضًا عن ان تستند الينا. والمامول انهُ لا يحول ما يمنع اظهار الاوراق التي طلب اظهارها

ثم نهض مستر دبزرائيلي وزير انكلترا الاول وقال ان صديقي المحترم نايب جزيرة ويت قد جاء المجلس بطلب المطاليب السنوية اللذيذة المتعلقة بالهند التي يهتم بها المجلس في كل حال. وفي اكثر السنين تحدث امور من شانها زيادة اهمية تقريراتهِ وارائهِ وقد طلب الينا ان نبحث في امور الهند في هذا اليوم بسبب فتح روسيا موخرًا خانية خوكند. ولم يكن ذلك من الحوادث الغير المنتظرة عند الذين يعتنون كثيرًا بما هو موضوع بحثنا (اسمعوا اسمعوا) واظن انهُ تقرر عند الجميع منذ فتحت تسقند منذ نحو عشر سنين ان المنتظر فتحها الجميع الخانات مع مرور الزمان وان ذلك يتوقف كثيرًا على تصرفات الاهالي. واظن ان الخوكنديين عجلوا فتح بلادهم بمحاولتهم مضادة روسيا ولا احب ان الومهم على ذلك لان مقاوماتهم ترفع شانهم وتقرر عناصر حب الوطن فيهم. غير انها لسوء الحظ قصرت زمان استقلالهم ولولا ذلك لم تخسروهُ الا بعد مرور زمان اخر (اسمعوا) فبالنظر الى هذا الامر المنتظر الذي جرى في بلاد لا يبصر مركزها كثيرًا بصولجاننا في الهند التي اصبحت موضوع اهتمامنا اقول ان صديقنا المحترم قد نبه افكارنا الى ما قد تقرر في عقلهِ انهُ ذو عواقب مهمة تنشا عن هذا الحادث وعن حوادث اخرى مشابهة لهُ تمس صولجاننا في الهند. وقد جاء على كلامهِ ببرهان منقول عن اشخاص كثيرين بعضهم بدون ريب من اهل

الحذق والاختيار غير انهم ليسوا بمسئولين بما ابدوهُ من الاراء . واستند الى كلام شخص لم يسمهِ وجعلهُ اقوى براهينهِ . وهو كلام الذي قال انهُ من الواجب ان نقطع تقدم روسيا في اواسط اسيا في بدايتهِ . والمقصود من ذلك اظهار وجوب تجاوز سطوة الانكليز الحدود الهندية بقطع بعض الصحاري التي عرفناها بعد فتح الهند والقيام بحرب من اشد الحروب خطرًا بل من الحروب الناشئة عن الجهل والغباوة (اسمعوا) . وقد قال صديقي المحترم انهُ من الواجب ان نقرر اتفاقًا بيننا وبين روسيا . فهذه كلمة مبهمة جدًّا ولا اعلم ان الاتفاقيات مع روسيا هي فعلية مع انهُ يقال احيانًا انها مقررة وقد ظهر لي ان صديقي المحترم قد تكلم عن تعيين مكان متحايد بين املاك الدولتين العظيمتين كانهُ مقرر بينهما . والصحيح ان ذلك من الافكار التي تقررت في رسالة سياسية (اسمعوا اسمعوا وضحك) . ولم يقرر في جمعية او مجلس ولا في معاهدة (اسمعوا) . وما تقرر في عقول الناس من ان انكلترا وروسيا اتفقتا على تعيين مكان متحايد بين املاكهما وان روسيا قد استمرت تتعدى عليهِ هو من الاوهام التي اذا تقررت في عقول الناس يصعب اخراجها منها . والصحيح انهُ لم يقرر اتفاق بين رجال سياسة الدولتين بشان تعيين مكان متحايد (اسمعوا اسمعوا) . اما الاتفاقيات التي تسمّى بمفهوميات فتقرر اتفاقًا بين الدولتين متعلق بمجهول . غير انهُ لا بد من ان نقول جميعًا انها كانت ردية جدًّا لانهُ لم يجمع اثنان على مآل تلك المعاهدة (ضحك) . ولذلك لا ارغب في ان اقرر مفهومية مع روسيا لمنع المخاوف التي قد سمعنا كثيرًا عنها ويحق لي ان الاحظ عليها (اسمعوا اسمعوا) فالنائب المحترم الذي خطب خطابًا لذيذًا بعد خطاب صديقي المحترم الاول تكلم بما جعل المفاوضة متسعة الدائرة غير انهُ لم يطلب انفاذ الكلام الذي تكلم بهِ الذي سبقهُ بالخطاب . واقول انني افتخر اذا وجدت نائب مارليبون المحترم عاضدًا لما اقولهُ في خطاب اذا جاء بخطاب بليغ كخطابهِ الحالي غير انني انفضل ان يعضد سياسي عوضًا عن ان يقول ان فتح خوكند من الامور العادلة الغير المضرة وانهُ سيُسر بفتح كشغار (اسمعوا اسمعوا وضحك) . وليس ذلك بالعضد الذي يحق لصديقي المحترم نائب جزيرة ويت ان ينتظرهُ بعد خطابهِ البليغ . اما النائب النشيط المحترم الذي تكلم قبلي فقد ابان لنا اهمية انشاء حد بيننا وبين افغانستان الواقعة عند حدودنا . وعندي ان الحكومة عارفة حق المعرفة باهمية تقرير الصلات الصداقية بيننا وبين افغانستان والمحافظة عليها . ونحب ان نراها في نجاح وسلام واقتدار ولا نغفل عن حالة حكومتها الجيدة (اسمعوا) . ونعلم ان كثيرين يرغبون في ان يصيروا اصحاب السيادة والنفوذ وهذا مكدر وكثيرون يتمنون ان يقبضوا على ازمة الامور وعندنا ان هذه الحال لا تصلح بالقوة ولا نحصل على المركز الذي نروم الحصول عليهِ في افغانستان الا بالمحافظة على الصلات الصداقية وتكثير الاتصاليات لانها كانت اقل مما يلزم ولكنها على ازدياد وبالسطوة التجارية . وهذا المركز يكون بين مراكزنا الطبيعية اذا عرفت بلادنا وافغانستان ان تلك الصلات تاتي بالاستقلال والامنية والسلام . وقد سالني النائب المحترم اظهار الاوراق التي طلبها . فهذه الاوراق نوعان : وقد طلب صور كل التحريرات التي جرت بين حكومة انكلترا وروسيا عن حلولها في خوكند فاجيب انهُ لا وجود لهذه الاوراق (ضحك) . وطلب ايضًا تقرير القبطان باياز ومامورين اخرين في البلدان الواقعة عند الحدود . فهذه تقريرات سرية ارسلت الى حكومة الهند . وليس من عاداتنا اظهار ما هو مثلها واظن ان ذلك مخالف الحكمة . فالمامول

ان لا يتكدر صديقي المحترم من جرى ذلك ولا يخطر له ببال ان ما حملنا على البحث عنه ليس بهم عندما اطلب اليه ان لا يلح بطلب الاوراق التي لا يمكن بسطها على مائدة المجلس الا بالابتعاد عن سبل الحكمة . ولولا خطاب نائب كركلدي المحترم الذي خطبه في اثناء المفاوضة واصغيت اليه كل الاصغاء ولو قرر اموراً لا اساس لها كما قرر في هذا المساء لما اتعبت المجلس بالملاحظات القليلة التي ابرزتها حال كون صديقي المحترم وزير الخارجية اقدر مني على تقريرها . وقد ظهر لي ان النائب المحترم قد قرر في عقله ان الطلب الحالي خال من كل اهمية والمظنون انه لولا ما قلته ما يحمل على العجب لما تنازل وتداخل في هذه المفاوضة . والظاهر من ارائه المتعلقة بهذا الامر انني اخاف الروسيين وانني استغنمت الفرصة منذ برهة لاتهدد روسيا في هذا المجلس . وانا اقدر ان اعيد ما قلته ولم يخطر لي ببال انه سيكون موضوعاً لتلك التاويلات التي وصفت بخلوها من الحكمة . واليوم اتيت المجلس وسمعت اعرف الناس يقولون انه تضمن ملاحظات تدل على تغيير في السياسة عوضاً عن ان يقال انها خالية من الحكمة او ان ظروف الحال ساقتني الى التفوه به وقد قال ان سياستنا الاستقبالية في الشرق يستدل عليها بما قلته حينئذٍ وقد ذكر اموراً حدثت في جنبلات وقال انها تدل على انقلاب عظيم في سياستنا الهندية ولذلك ينبه افكار المجلس اليها . ولا ينبغي ان يركن الى امور من الامور المذكورة لعضد ارائه . والراي المقرر عندي في امر العلاقات بين روسيا وانكلترا ولا سيما في الهند يختلف كثيراً عن الراي الذي ينسبه اليَّ فاقول انني سمعت كلامه بتعجب عظيم . وما قلته في جلسة ماضية هو ما ياتي راجياً المجلس ان يسمح لي بان انقل عبارات عن خطاب جرى في هذه السنة وهو

ولست من الذين ينظرون تقدم روسيا في اسيا بخوف عظيم فانني اظن ان اسيا كبيرة تسعها وتسع انكلترا . انتهى

واستغرب ان ادعى من الذين يخافون روسيا لانني قلت هذا الكلام (اسمعوا اسمعوا) ثم قلت ما قررته في هذا المجلس وهو مهما كان اركاني الى مستقبل انكلترا لا بد من ان اقول انني عالم بان الامبراطورية لا تحفظ الا بالتيقظ والشجاعة وادراك روح الازمان ومراقبة الدلايل التي يسهل الوقوف عليها . فهل يسوغ ان يقول نائب محترم ان هذا الكلام تهديد لروسيا . واقول ان هذه ارائي اظهرتها منذ قبضت على زمام الامور وليس فيه ما اروم ان اخفيه عن حكومة روسيا وقد سمعته مرات كثيرة وفسرته بما يخالف تفسير عضو كالكلدي . ولم تنظر حكومة روسيا الى ذكره كانه تهديد ولكنها عرفت انه كلام ناشيء عن ادراك الحقيقة لان اسيا تسع روسيا وانكلترا ولا مانع لتقرير اتفاق بين الدولتين ليس لتعيين مكان متحايد ولا ترجيع مدينة قد فتحوها ولكن اتفاق ينشا عن الوضوح والثبات . فلماذا ينبغي ان ننظر الى تقدم امبراطوريتها في اسيا بحسد حال كوننا نبلغها باننا مصممون على حفظ امبراطوريتنا في الهند وتقويتها ادبياً ومادياً (اسمعوا اسمعوا) ولا نكتفي بذلك ولكننا نحافظ على السطوة التي يحق لنا ان نحافظ عليها في الشرق (اسمعوا اسمعوا) وقد اخبرت روسيا بذلك في ازمان تقلدي ازمة الامور وقد عرفت بذلك وقالت ان تقرير اتفاق جديد بين الدولتين مما يوافق (اسمعوا اسمعوا) . ومن المقرر عندي انه لم تجرَ مفهوميات بين الدولتين اوضح من المفهوميات الحالية (اسمعوا) والمفهومية موافقة لان سياستنا واضحة ظاهرة والملاحظات التي ابنتها قبلاً وحملت البعض على الحكم بانها خالية من الحكمة وتهديد

لروسيا ناشئة عن اراء وزارة متحدة وقد بلغ صديقي المحترم وزير الخارجية هذه الاراء الى سفير روسيا في هذه البلاد فانني رايت بدون تردد انه لا سبيل الى حفظ الاتفاق الجيد بين الدولتين الا باظهار تلك الاراء بصراحة (استحسان) . هذا ونقدر ان ندير اشغالنا بطريقة اخرى . وان ننظر الى كل ما تفعله روسيا في اسيا من وجه اخر . فنراقبه بالسكوت الناشي عن اساءة الظن وان نلوم ونتذمر ونشتكي كثيرًا عند حدوث حادث بدون ان نقوم بالاجراء . وربما كانت البلاد الانكليزية تنشي عجبًا عند ما ترى روسيا تقوم بما يظن انه ذو خطر ولا سابق له ويحدث ذلك اذا لم تجرَ توضيحات بين الامبراطوريتين لاظهار ما ينبغي ان يكون دستورًا لسياستها . ولا انظر بخوف الى ازدياد قوة روسيا في اواسط اسيا ولا ارى ان حقها في فتح بلاد التتر اضعف من حق انكلترا في فتح الهند . وارغب في ان ينتفع التتر من فتحها البلادهم قدر انتفاع الهنود من فتحنا بلادهم . ولذلك من الواجب ان استغنم هذه الفرصة لاخبر النائب المحترم الذي اعتنى كل الاعتناء ليطعن هذا الطعن بالحكومة بسبب الملاحظات التي اقمت بها قبلاً انه قد اخطا بتفسير ارائي . فانني لا اتكلم ما لم اتكلمه قبلاً . وعندي انه يوضح ارا الحكومة الحالية المتعلقة بروسيا بالنظر الى الهند ويحافظ المفهومية الجيدة بين الدولتين (اسمعوا اسمعوا) . وقد قال انني تفوهت في ذلك في فرصة فارغة فاقول له انه لا يحق له ان يقول ذلك . واقدر ان انقل عبارات من كتب من تاليفه من شانها ان تبين انه باختباره العظيم يدرك اهمية اللقب العظيم الذي يكون لحضرة الملكة في الهند وينبغي ان يعلم ان الالقاب توثر في الطبع البشري ولاسيما في الشرق . وانسب الاوقات لاظهار اهتمام هذه البلاد باهالي الهند الوقت الذي انتخبناه لتقرير لقبها . وعند ما تكلمنا عن روسيا بالاعتبار والحب اللذين ابديناهما لها منذ حملنا مسئولية ادارة الامور كنا مصممين على ان نحفظ امبراطوريتنا (صحيح استحسان)

ثم نهض السار بالفور وقال انني استغنم سنوح هذه الفرصة لاسال اي متى يا ترى يقال لناظر الخارجية ان كثيرين من القواد لا يحققون الاركان في اهلية الجيش الهندي من جهة قلة عدد ضباطه الاوربيين . وفي حرب العصيان بدل ضباط فرقة هندية ثلث مرات . ومن حسن الحظ كان عندهم قواد ولولا ذلك لاتسع ذلك العصيان اتساعًا يجعل امبراطوريتنا الهندية في خطر . ولم يذكر الخطيب كل تعديات روسيا بل ترك المخاطر التي تلحق بالصين من جرى روسيا . والمقرر عندي ان روسيا ستهجم على الصين فتجد فيها الثروة التي توقع امبراطوريتنا الهندية في خطر منها .

ثم نهض اللورد جورج هاملتون وقال انني كنت اصغي باسف لما قاله النائب المحترم عن ضعف الجيش الهندي المحلي . ولا ريب في ان كلامه يوخذ بعين الاهمية في الهند وفي انكلترا . ويسره ان يقول انه في الاسابيع القليلة الماضية وردت اوراق كثيرة من الهند ولا تثبت ما قيل بل تنقضه كل النقض (اسمعوا اسمعوا) . وهذا هو الواقع ان القواد انقسموا الى قسمين بالاراء المتعلقة باوفق كيفيات تعيين ضباط لجنود الهند . فاحدهما قال ان الاوفق جعل اكثر الضباط من الاوربيين والاخر قال ان الاوفق ان يكون عددهم قليلاً وان يعاونهم القواد المحليون فانفذ الراي الثاني ونجح . وقد اصبحت حالة جيش الهند موضوع تامل الحكومة . وانتفع اللورد نورثبروك براي اللورد نابيار وقرر انه لا لزوم للتغيير . واختم كلامي بنقل كلام رجل عالم باحوال الجيش الهندي

. وهو ان الفرق المحلية جميلة جدًا ومتقنة من جهة المنظر والسلاح والحمية (ضجيج استحسان)

ثم نهض السار هفلوك وقال اني اوضح كلامي لازالة اسباب سوء الفهم فانني لم اقصد ان اطعن بضباط جيش الهند ولا بجنوده من جهة معرفتهم لفن العسكرية وقد قلت انهُ من المقرر عندي انهُ كاف للقيام بكل خدمة في زمان السلام وماقالهُ اللورد المحترم يثبت كلامهُ

ثم نهض مستر كوشرن وقال انهُ مستعد لان يرجع عن طلبهِ بعد استماع كلام الوزير الاول

على ان المجلس لم يسمح برجوعهِ بل قرر عدم موافقة طلب مستر كوشرن

الطوفانات

(من قلم سليم افندي بستاني)

في الجزئين الماضيين ذكرنا ازمنة الدنيا الاربعة بالتفصيل الموافق لاحوال اكثر قراء الجنان وذكرنا طوفانًا عامًا بقولنا ان الآثار الموجودة في قشرة الارض تدل على ان المياه كانت تغطي ما كان يابسًا وان بقايا عظام الحيوانات المجتمعة في بعض المغاير تدل على هلاكها وغير ذلك . وهذه الآثار ترى في سطح الارض كلهِ وهو الذي جعلها على ماهي عليهِ الان هذا من جهة سطحها . وجرى ذلك بطوفان مياه البحار على الارض فحفرت فيها اودية وتركت رسوبات عظيمة والرسوبات هي ما يرتكز من المواد في الماء مثلاً اذا كان في اناء ماء وفي الماء غبار ثم ركدت في قعر الاناء فالغبار الراكد في كعبهِ هو رسوب . امارسوبات مياه الطوفان المذكور فليست بغبار قليل ولكنها حجارة كثيرة ملمومة ملساوهي المعروفة عند العامة بالزلط ورمال كثيرة في كل اجزاء الدنيا فان الرمل رسوب يتكوّن من التراب كما ان الحجارة الملسا تتكوّن من الحجارة الاعتيادية وتغير الهيئة فيها من تاثيرات المياه . ولم تنحصر تاثيرات الطوفان في ذلك فانهُ اقتلع من الجبال صخورًا عظيمة وجعلها متفرقة بعيدة جدًا عن الجبال التي يستدل بمشابهة التركيب وغير ذلك بانها منها وفي جوانب بعض الجبال وتسمى بالصخور الضالة لانها ضلت عن مركزها بقوة مائية عظيمة جدًا لا تقدر ان تقوم بذلك الا بفرض اجتماع قوة المياه معًا وفعلها في ذلك . وفي الزمان الرابع المذكور انقرضت اكثر الحيوانات الكبيرة الاجسام . والظاهر ان نازلة الطوفان كانت سببًا لانقراضها . وليس في طبقات الازمان السابقة ما يدل على ان حجارة كانت تتساقط من الجو . وقد ذكرنا الحجارة المذكورة في جملة في الجنان منذ اكثر من ثلث سنوات وابنا احوالها بالتفصيل التام وذكرنا غرابتها واقوال العلماء المتعلقة بها . اما في الزمان الحالي وهو الرابع ونحن فيهِ فتسقط كثيرًا في اقطار الدنيا كافة وقد راى المسافرون حجارة كثيرة منها في الصحاري

فبالنظر الى الرسوبات وحفر المياه واقتلاع الحجارة الضخمة جدًا وسقوط الحجارة من الجو في الزمان الرابع دون الازمنة السابقة قد تقرر في عقل كثيرين من علماء طبقات الارض انهُ بدوران الارض في حلقة دورانها تصادمت هي ونجمة من ذوات الاذناب فازاغتها عن دورانها الاصلي فانتشرت اجزاء النجمة الذنبية في الجو واخذت تسقط بقوة جاذبية الارض عند اقترابها منها بحيث توثر جاذبيتها فيها . فللتوضيح لا بد من الخروج عن الموضوع قليلاً ليفهم الغير المتعلم معنى هذا الكلام فنقول انهُ من الموكد ان كل الاجرام الفلكية غير معلقة بشيء ولا راكزة على شيء وما من شيء يمنعها عن الدوران فتدور بتاثيرات التجاذب فان كل جرم يفعل في الجرم الاخر فعلاً تتوقف شدتهُ وضعفهُ على الحجم والبعد والقرب فاهل الراي المذكور اعلاه يقولون ان نجمة ذات ذنب صدمت الارض وهذا ممكن ويمكن ايضًا ان يكون قد طرأ طارئ اخر او جرى

تصادم بينها وبين جهة اخرى ونتيجة ذلك جميعه واحدة وهي ان المياه كانت على وجه الارض وغطته واثرت فيه وتركت رسوبًا وقتلت حيوانات . اما الحجارة الفلكية فهي من الامور الموكدة وقد سقطت امام اعين البشر واثارها ظاهرة وقد مرّ ذكرها وعدم سقوطها كلها دفعة واحدة حال كونها في الجو بدون تعليق ولا ركز يحتاج الى التوضيح للغير المتعلم فنقول . اننا اذا وضعنا ابرة بين مغناطيسين هل تجذب الى احدهما الجواب لا وكذلك اذا وضعنا ابرة بين مغناطيسين كل منها بعيد عنها فلا يوثر جذبها في الابرة اذا كان البعد متجاوزًا حدود فعل المغناطيس . فسقوط الاجسام على الارض يكون بالجاذبية بدون ريب لاننا اذا وضعنا مغناطيسًا في سقف وادنينا ابرة منه تجذب اليه وليس الى الارض لان قوة الجاذبية تتغلب بالنظر الى تلك الظروف الظاهرة فقط على جاذبية الارض . فاذا اتينا بآلة شديدة الدفع ودفعنا بها حجرًا فارتفع جدًا فامست جاذبية الارض لا توثر فيه فلا يسقط بل يبقى في الجو الى ان يجذب الى جسم صغير او كبير بدنوه منه دنوًّا كافيًا لان توثر جاذبيته فيه وبدون توضيح نقول ان قوة الجاذبية في كل جسم تزيد بكبر الجسم والاقتراب . ومن المقرر ان في الفلك اجرامًا صغيرة كما فيه اجرام كبيرة فلا نرى ومن الفلكيين من يقول انها ربما كانت مخلوقة كغيرها ومنفصلة عنها او غير ذلك ومنهم من يقول انها مقذوفة من الجبال النارية بهيجانها ومنهم من يقول بشدة دوران الارض فيبعدت عنها حتى ان جاذبيتها لا توثر فيها وعند حدوث ما يجعلها تدنو منها تسقط . فهذا توضيح كافٍ لما مر

والحاصل انه جرى ما جعل الارض تقف عن حركتها لحظة او برهة او جعل حركتها بطيئة بالنسبة الى سرعتها الحالية بصدم او غير ذلك . اما المياه التي كانت عليها ولن ما كان غير ثابت فلم يقف بوقوفها او لم يفتر بفتورها بل استمر على ما كان عليه بالاستمرار فاندفعت المياه بالاستمرار المذكور فخرجت من حياضها ومجاريها ودارت حول الارض . فهذا كلام لا يفهمه الجميع بدون توضيح واهم شيء فيه فهم ناموس الاستمرار وهو ان يميل كل جسم الى ان يبقى على حالته ان سكونًا وان حركة مثلًا المركبة وهي مستكنة لا تنتقل الى حالة التحرك ما لم يجهد الفرس نفسه كثيرًا وبعد ان تجري يسهل جرها وعند توقيفها يلزم ان يجهد الفرس نفسه قدر جهدها عند تحريكها هذا مع مراعاة ظروف الطرق من جهة الاستواء وغير ذلك فهذه الصعوبة في التحريك الاول وعند التوقيف والسهولة في اثناء الجر ناشئة عن الاستمرار . وكذلك متى اقترب القارب من الشاطي ينقطع الجذفون عن التجذيف فيستمر سائرًا الى الشاطي والمركب يسير بعد توقيف القوة الجارية او لف شراعاته ولولا احتكاك الماء بالقارب والمركب والارض بدواليب المركبة لاستمرت سائرة الى الابد لانه لا يحرك ساكن ولا يسكن محرك بدون مسكّن ومحرّك . واذا ركب الانسان فرسًا راكضًا فوقف بغتة يقع الى امام لان الفرس وقف بقوة عضلاته اما الراكب فلم ينتبه فلم يستخدم قوة عضلاته بل بقي مشاركًا الفرس بالاستمرار على الركض فاندفع الى امام وكذلك من وقف في قارب فسار القارب بدون ان ينتبه يقع الى جهة المؤخرة لانه يستمر على الوقوف فيسير القارب فيبقى واقفًا فيقع . وكذلك اذا وضعنا ماء في اناء وسرنا به بسرعة ثم وقفنا بغتة يندفع الماء الى الجهة الامامية لانه يستمر على المدير وهكذا تم اندفاع الماء في الزمان المذكور لما وقفت الارض عن حركتها كل الوقوف او بعضه

ومن المعلوم ان اندفاع الماء في تلك الظروف يكون عظيمًا وموثرًا وشديدًا جدًا فاندفعت على اليابسة وارتفعت فوق اعلى قمم الجبال وقطعت السهول والبحار

وهي تدفع ما يصدمها وتبدده وتدحرجة لا بل كانت ترفع ما كان منخفضًا وتخفض ما كان مرتفعًا وتحت اودية عظيمة في جميع الاماكن التي جرت فيها بتياراتها العظيمة . والمظنون ان جميع المياه خرجت من اماكنها بعنف يحاكي عنف الصدمة التي اخرجتها واستمرت تجري بسرعة دوران الارض الشديد السريع فدارت حول الكرة ومن طبيعة السوائل اذا صدمها صادم قوي كالجبال العظيمة الراسخة ان تحيد عن طريقها وتجري في سبيل اخر اذا كان المجرى فيه اسهل من حفرها بقوتها . فاذا صح هذا الراي يسهل ادراك سبب تفرق الصخور المسماة بالضالة وتكون الرسوبات المذكورة والرمال وانحفار وديان عظيمة يظهر فيها انها حفرت بالمياه وليس بناشئة على تاثيرات نارية وانقراض حيوانات كثيرة كبيرة جدًّا دفعة واحدة . وقد قيل ان قطع النجمة الذنبية المذكورة تفرقت في الجو او الفضاء واصبحت ذات سير غير منتظم ولا تزال ضالة فيه الى الان فاذا اقتربت من جسم انجذب اليه فتسقط كما تسقط على الارض . وهذه هي الحجارة التي ذكرنا عنها الاقوال السابقة

وهذا الانقلاب العظيم يسمى بالطوفان العام وهو غير الطوفان الذي حدث بعد خلق الانسان فانه سابق له فان البشر لم يخلقوا في زمان الارض الطوفانية ولو كان موجودًا فيها لكانت له اثار عظيمة مع ان لحيوانات اخرى اثارًا مهمة كاغلب مغارات العظام التي فيها عظام متبددة من عظام حيوانات ثديية وهي التي ترضع صغارها غليظة الجلد من الجترة وآكلة اللحوم ومن بعض الطيور

ومن المعلوم ان ذلك الخلل كان موقتًا فان الارض رجعت الى ما كان لها من الانتظام فعادت المياه الى مجاريها او جمعت في حياض جديدة حفرتها مياه الطوفان على سطح الارض . وكان خلق الانسان وما بقي من الحيوان بعد ذلك اجمع فهذا هو الطوفان المسمى بالطوفان العام

وقد حدثت طوفانات اخرى غير عمومية في قارة اوربا وفي قارة اسيا وجرى ذلك جميعه في الزمن الرابع وهو زماننا الذي لم ينتهِ بعد . وحدث في اوربا طوفانان والدليل على ذلك وجود طبقة من المواد مغطية للاراضي الثالثة وهي غير متجانسة وموجودة في السهول والاودية والمغارات وشقوق الصخور وقمم الجبال وجوانبها . وهذه الطبقة مكونة من مواد مختلفة ناشئة عن قطع انفصلت عن الصخور المجاورة لها . وقد تبين من تاكلات قواعد الاودية التي كانت على اتساع الاودية والرواسب المجتمعة في مكان واحد والمكونة من مواد متدحرجة فصارت ملساء بالاحتكاك بالماء وغيره وهي تنتقل قاطعة مسافات بعيدة ان انتقال الاجسام الثقيلة مسافات طويلة وغيرها ناشئ عن فعل ماء شديد الجري اثر فيها . وجرى ذلك باندفاع امواج عظيمة على سطح الارض دفعة واحدة فدفعت ما كانت تصدمه وهي جارية ونشأ عنها مجارٍ عميقة فالمواد التي دفعتها وحملتها في اثناء ذلك الجري الغير المنتظم رسبت فتكونت بها الارض المسماة بالطوفانية

وسبب طوفاني اوربا المذكورين ليس هو وقوف الارض عن الدوران كسبب الطوفان العام المذكور ولكنه محلي ناشئ عن ارتفاع جبال عظيمة في البحار او في قاعها بالقوة النارية الموجودة في بطن الارض فبارتفاعها دفعة واحدة اضطربت مياه البحار وازبدت وضاق عليها مكانها كما لو طرحنا صخرًا كبيرًا في اناء فيه ماء فيطفح فانفذت تلك المياه على اليابسة المجاورة لها فاغرقتها وتعالت فيها امواجها المخيفة المختلطة ببقايا الاراضي التي اتلفتها فطوفانا اوربا حدثا قبل خلق الانسان . اما طوفان اسيا فبعد خلقه

اما طوفان اوربا الاول فحدث في شمالها ونشأ

عن ارتفاع جبال نارو ج فاندفعت مياهه على بلاد اسوج ونارو ج وروسيا وشمالي المانيا فاخربتها وغطت كل سهولها وهي مختلطة بالمواد التي كانت تحملها وكانت بلاد نارو ج الذي جرى الارتفاع فيها مغطاة بالجليد لانها قريبة من القطبة الشمالية فكانت المياه المندفعة تحمل قطعًا ضخمة من الجليد كانها صخور وتسير بها فيزداد الخراب بصدماتها الموثرة الناشئة عن صلابتها وضخامتها مع اكتسابها قوة اندفاع المياه . ومن ادلة حدوث الطوفان المذكور في شمالي اوربا ما يرى فيها من الرمال والحجارة الملساء المعروفة بالزلط فانها تغطي سهولها وهضابها ووجود صخور ضالة كثيرة معها ذات حجم ضخم كالصخرة الحبوبية التي وجدت على رمال سهول بروسيا الشمالية . وفضلًا عن ذلك نرى ان الصخور الضالة الكثيرة الموجودة في سهول روسيا و بولونيا و بروسيا وبعض انكلترا ليست من جهة موادها كمواد صخور البلدان التي امست فيها ولكنها كالارض الاصلية في نارو ج التي حدث الارتفاع فيها فحملتها مياه الطوفان الى الاماكن المذكورة

والطوفان الثاني في اوربا نشأ عن ارتفاع جبال الالب فاندفعت المياه كالعادة وغطت البلاد وحملت المواد المختلفة الغريبة فملأت اودية فرنسا والنمسا وايطاليا برسوبات رملية وطفلية وحجرية وصخور ضالة . وفي الاراضي الطوفانية حفرى اي نباتات هي عبارة عن قواقع ارضية وبركية ونهرية لايزال اكثرها حيًا . وفيها بقايا حيوانات ثدبية قد انقرضت . وبعض هذه البقايا متراكم على البعض الاخر في مغارات تسمى بمغارات العظام وهي متعددة يتصل بعضها بالبعض الاخر بطرق ضيقة ومنها ما هو ممتد كثيرًا ففي بلاد المكسيك منها ما طوله بضعة فراسخ . وفي حيطان هذه المغارات الداخلية ميازيب تدل على تاثير المياه فيها وهي مغطاة بطبقة من صخر جيري ناشئ عن الرواسب التي رشحت من ظاهرها . وفي بعضها رواسب طينية حديدية فحفرها تظهر عظام حيوانات مختلطة بنباتات وقطع من صخور وحجار ملسا اي زلط . واكثر هذه العظام ليست بها كل حيوانات تامة وليست عظامها بحالة قريبة من وضعها الطبيعي ومعها عظام حيوانات قراضية صغيرة مجتمعة في جمجمة حيوان كاسر كبير . وترى اسنان الدب والضبع مثلًا مختلطة بفكوك حيوانات صغيرة ويظهر للتاكل والتدحرج اثر واضح فيها يستدل منه على انها منقولة من مكان بعيد . واكثر العظام الموجودة في تلك المغارات عظام حيوانات كاسرة من حيوانات الزمن الرابع كالدب والضبع والاسد والنمر . اما حيوانات السهول ولا سيما الفيل فوجود عظامها فيها نادر

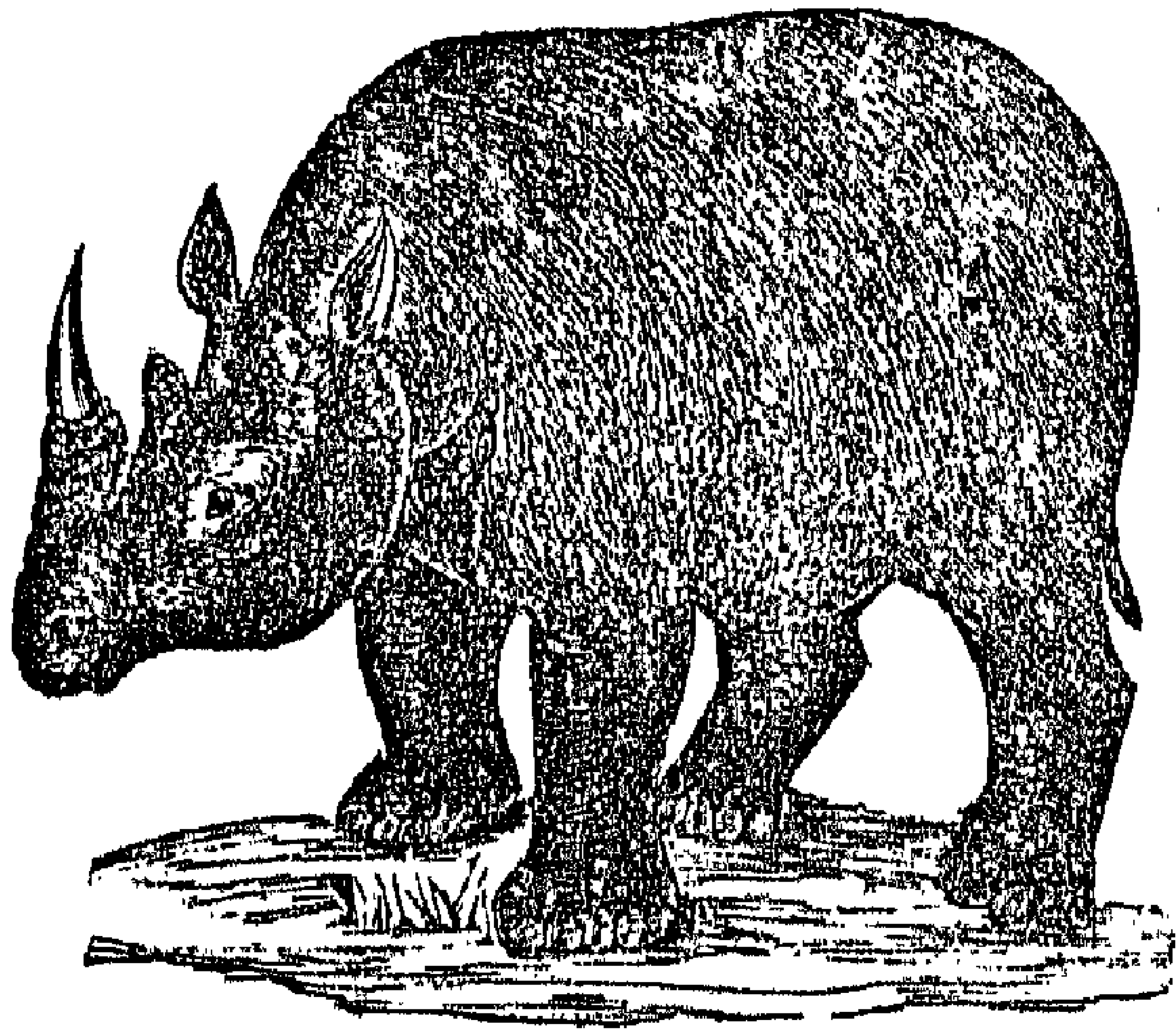
وقد اعترض قوم على هذا الراي بقولهم ان الضباع دون غيرها كانت تسكن المغارات المذكورة وتجمع فيها جثث حيوانات لتاكلها فبقيت عظامها . وهذا مردود لان تاثير الاحتكاك فيها يدل على انها انتقلت من مكان بعيد وهي عظام وانها اختلطت بطين البلاد المجاورة حصاها وصخورها . ومع عظام الضباع المذكورة عظام وحوش ضارية كالاسد والدب . فهذا يدل على ان المياه نقلت تلك العظام بدون انتظام واكثرها في مداخل الاودية والسهول . والظاهر ان مياه الطوفان حصرتها ثم اهلكتها ثم حملتها الى المغارات التي مرت بها فاندفنت في الرسوب الطوفانية

وقد قال قوم ان الانسان خلق في جوار نهر الفرات من اسيا الصغرى وهذا القول مثبت بحادثة شهيرة عند جميع الامم وهي الطوفان المعروف بطوفان اسيا وهو المقرر في الكتب المقدسة . ونشا عن ارتفاع سلسلة من الجبال في البلاد المذكورة فانشقت الارض وحدثت طفحات جبال نار مصحوبة

بالبخار الكثير فتكاثف ثم انحدر مطرًا غزيرًا جدًّا واغرقت الارض وارتفعت جدًّا وجاءت بالنتائج التي جاءت بها

هذا ولا يلزم ان نذكر النباتات والحيوانات المختصة بالارض الطوفانية لان اكثرها يشبه النباتات والحيوانات التي تعيش في عصرنا هذا خلا بعض حيوانات خلقت في بداية الزمن الرابع ثم فنيت وانقرض نسلها كالفيل الحفري المسمى مموّدًا والكركدن

الكركدن



ذي الحاجز الانفي وغير ذلك ولتبيين حالة هذه الحيوانات نصف بعضها فنقول ان الفيل المذكور ارفع من افيال هذا الزمان فكان ارتفاعهُ من خمس اذرع ونصف الى ست اذرع ونصف ذراع . وطول سنيهِ الذابتين نحو ست اذرع وليستا بمستقيمتين بل منحنيتين وهذا مما يميزهُ عن الفيل الحفري المسمى بما معناهُ ذو الاسنان الحلمية وهي تشبه اسنان الفيل المعتاد فسطحها مستوٍ تعلوهُ خطوط منتظمة منحنية على نفسها . ولهُ اربعة اضراس فقط اثنان في كل فك كاضراس الفيل الاعتيادي وراسهُ مستطيل وجبهتهُ مقعرة . وكان جلدهُ مغطى بشعر طويل كثير ولهُ معرفة ممتدة الى سلسلتهِ الفقارية وخرطومهُ يشبه خرطوم الفيل الهندي وخصالهُ كخصالهِ ولكن جسمهُ اغلظ وسيقانهُ اقصر . وترى اثار عظامهِ في جميع انحاء الارض فهي في شمالي اوروبا ووسطها وجنوبها وفي افريقيا واسيا واميركا وتكثر بقاياهُ في شمالي اوروبا في المناطق الباردة المتجمدة وفي بلاد سيبيريا التي لا تقدر فيلة هذا الزمان ان تعيش فيها وفي ايام ذوبان الثلج من الجهة الشمالية من سيبيريا تكثر مياه الانهر التي تصب في البحر المتجمد الشمالي فتهدم قسمًا عظيمًا من شواطيها باحتكاك المياه عند طوفانها فتظهر عظام كثيرة من عظام هذه الحيوانات وعند حفر الآبار واسس الابنية يظهر بعضها . وتكثر في الجهة الشمالية من بلاد روسيا وقد وجد الناس حيوانات منها بجلدها وشعرها فانها ماتت فدفنت في الجليد فلم تبلَ مع ان لها زمانًا طويلاً جدًّا لان اجسام الحيوانات لا تبلى اذا اشتد البرد حتى بلغ درجة الصفر من الميزان . ومنذ خمسة قرون شرع الناس في استخراج هذه العظام من تلك المحلات الباردة بالحفر لبيعها في بلاد الصين ومنذ قرن اخذوا في حملها الى اسواق اوروبا ومع ذلك لم تنقص لانها كثيرة جدًّا . وقد ظهر ان هذا الفيل كان يعيش في كل بلاد غير انهُ لم يرَ اثرهُ في بلاد الهند التي يعيش الفيل فيها في ايامنا فيستنتج من ذلك

ان حرارة الارض كانت اشد في زمان وجودها وخلف الكركدن في الزمن الرابع وله حاجز عظيم يفصل حفرتيهِ الانفيتين وليس ذلك كذلك في الكركدن الذي يعيش في عصرنا هذا وكان يعلو انفهُ قرنان عظيمان. والنوع الذي كان يعيش في الهند في ذلك الزمان ليس الاذي قرن واحد وكان جسمهُ مغطى بشعر كثيف وجلدهُ مجردًا من القشور التي ترى في كركدن افريقية وقد وجدوا منهُ في جليد سيبيريا ما كان محفوظًا

ومن الحيوانات المخيفة التي خلقت قبل الطوفان دب المغارات وكان اكبر من الدب الاسمر بقدر ربع جثتهِ فكان طول جسمهِ اربع اذرع ونصف ذراع وعلوهُ ثلث اذرع وكان كثيرًا في فرنسا وبلجكا والنمسا. وكان يعاصرهُ في اوربا حيوان اخر كاسر وهو النمر الكبير وجسمهُ قدر ضعف جسم النمر الاعتيادي وكانت خصالهُ كخصال الاسد والنمر وبقاياهُ قليلة جدًّا و يستدل منها على ان طولهُ كان اكثر من ست اذرع وكان ارفع من ارفع الثيران

اما الفرس فخلق في بداية الزمن الرابع او في نهاية الزمن الثالث وبقاياهُ موجودة في الارض التي فيها بقايا المحمود وذي القرن الانفي وكان كافراس هذا الزمان غير انهُ اقصر قامة منهُ. واثارها كثيرة في الاراضي الطوفانية في اوربا وامركا. وهذا دليل وجود الفرس البري في امركا. وابقار بداية الزمن الرابع تشبه كثيرًا ابقار هذا الزمن وتوجد مع عظام الابقار المذكورة اثار انواع مختلفة من الآيل ومنها نوع ذو قرنين كبيرين يسمى بالافرنجية سيرفوس ميغاسيروس. وهو من الحيوانات الجميلة التي خلقت قبل الطوفان وتكثر عظامهُ في ايرلاندا وتندر في فرنسا وبولونيا والنمسا وايطاليا وطول اقصر قرونهِ اربع اذرع ونصف الى ست اذرع

فهذا من الحيوانات الكبيرة المختصة بالزمن الرابع مع حيوانات اخرى كثيرة لم نذكرها حبًّا بالاختصار كالحيوانات العديمة الاسنان وغيرها. هذا خلا الطيور التي منها نوع يسمى الدينورنيس الكبير وهو من الطيور المنسوبة الى زيلاندا الجديدة وكان عظيم الجثة فطول قصبتهِ ذراع ونصف وبيضهُ اكبر من بيض النعام

فعظام كل الحيوانات القديمة المذكورة موجودة في الاراضي الطوفانية واكثرها انتشارًا عظام الافيال والافراس وليس اكثر من عظام الفيل المسمى محمودًا في طبقات الارض العليا الا عظام الجمال المدفونة فيها. وكثرة اثارها تدل على انها كانت كثيرة جدًّا في ابتداء الزمان الرابع وان الارض كانت ماوى لكثير من الافيال والخيول ويستنتج من ذلك ان سطح الارض من خط الاستواء وهو وسطها الى القطبين الشماليين وهما غايتها شمالاً كان مغطى بمراعٍ خضراء كثيرة للقيام بتغذية تلك الحيوانات السائمة اي التي تعيش باكل العشب وليس باكل اللحم مع كبر اجسامها واحتياجها الى مراعٍ كثيرة لكفايتها وكفاءة ولدها

اما ما ذكرناهُ عن الطوفان الاسي فموافق لنصوص الكتب المقدسة من جهة هطل المطر الغزير وخروج الماء من الارض ايضًا ولئن كان لذلك سببًا طبيعيًا فان الله سبحانهُ وتعالى يراعي نواميسهُ فانهُ وضعها وهو حافظها لتجري في مجاريها وقد تقرر انهُ كان عموميًا فهنا بالنظر الى البشر وليس بالنظر الى الارض لانهُ ارسل قصاصًا للناس وليس للاراضي ولم يكن احتياج اليهِ حيث لا يوجد بشر فالمطابقة الواقعة بين اكتشافات علماء طبقات الارض وبين النصوص في الكتب المقدسة بل بين التواريخ القديمة التي وجدت في الاثار القديمة جدًّا

الاسية الاشورية اني ذكرت حدوث طوفان في تلك الاقطار اثباتًا لحقيقة ما ذكرناهُ من حدوثهِ

تاريخ فرنسا

وسيذكر عند الناس في الازمنة القادمة انهُ رجل عظيم مفيد من اوجه كثيرة صاحب فضائل وعفة. وكان عفيفًا جدًّا ولاسيما عند مقابلة عفتهِ بعفة معاصريهِ من الملوك. انتهى

اما شقيقة لويس بونابرت فكان ذا صفات حسنة وظهارة لم تدنَّس وقد قال فيما يأتي عنهُ انهُ كان معتدل التصرف وكانت اميالهُ محصورة بالامور الفاضلة. ومن الموكد انهُ عاش مع زوجتهِ جوزيفين حال كونها اكبر منهُ سنًّا بالامانة التامة والحب الى النهاية ومن الموكد انهُ لم يكن مفسدًا يحب الغواني. وعندما تزوَّج المرة الثانية ولهُ من العمر ٤٢ سنة كان يعامل امراتهُ بلطف وحب وعناية لا مزيد عليها

ومن التهمات الردية العظيمة التي القيت عليهِ جري علاقات غير جائزة بينهُ وبين هورتنس بنت زوجتهِ جوزيفين. وكان بورين كاتب سر نابوليون فاتهم بالتصرف بمال غيرهِ ففصل عن وظيفتهِ. وعند رجوع البوربون دخل دولتهم وفي اثناء خدمتهم كتب كتابًا طعن فيهِ طعنًا شديدًا في سيدهِ وقد قال ان هذه التهمة (اي تهمة نابوليون وهورتنس) من التهم التي يفرح الحسد عند القائها على الذين يشتهرون فلا ينبغي ان يتهمهُ المورخ العادل بذلك فان قواعدهُ المتعلقة بالعرض كانت مضبوطة جدًّا فانهُ لم يخطر لهُ ببال ان يرتكب ذلك الاثم الذي لا يوافق ذوقهُ ولا ادابهُ

وقد قالت الدوقة دي ابرانت ما يأتي عن هورتانس انها كانت بنتًا لطيفة جميلة سنة ١٨٠٠ وصارت بعد ذلك من الطف برنسات اوربا. وقد رايت كثيرين منهن في بلاطهنَّ وفي باريز على انني لم ارَ ذات اهلية مثلها. وكان القنصل الاول (نابوليون) يعتبرها كابنتهِ وفي بلاد غير تلك البلاد التي تسوقها الحماقة الى اختراع الاخبار والتهمات لا يخترع خبر كهذا الخبر لانهُ لا يتصور واحد انهُ كان يحبها غير حب ابوي. وهذه التهمة الدنية صادفت الاحتقار الواجب ولا نذكرها الا لنكذبها. والصحيح انهُ لم يكن لنابوليون غير ميل واحد استغرق كل اميالهِ. وكانت جوزيفين تفتخر افتخارًا لا يحتمل بامانة زوجها

وكتبت جوزيفين الى بنتها هورتانس عن تلك التهمة بان الذين توهموا ان حب زوجي لكِ هو غير حب ابوي لا يعرفون صفاتهِ. فان عقلهُ مرتفع عن عقول الادنياء فلا يفسد بالشهوات الدنية

وكان اهل ذلك الزمان كثيري الفساد ومع ذلك كان نابوليون بعيدًا عنهُ غير انهُ لم يسلم من تهمات الاعداء الالداء فاتهمهُ بعضهم بفساد عظيم والبعض الاخر بالظلم والتعدي والقساوة وغير ذلك. وجاوا على شرّهِ ببرهان وهو انهُ حُرم الاولاد وكانت الدوقة دالكابون صديقة لجوزيفين واسعفتها قبل ان صارت زوجة نابوليون غير انها سيقت باحوال تلك الايام الى فعل ما يثلم العرض. وعندما صارت جوزيفين امبراطورة رغبت في ان تدخل البلاط الامبراطوري لتصير من اعضائهِ. فارادت جوزيفين ان تكافيها على خدمات سابقة فطلبت الى نابوليون ان يسمح لها بذلك فلم يجب طلبها بل رفضهُ بدون تردد. فكتبت اليها بما يأتي انني مكدرة جدًّا. فان اصدقاءي القدماء يظنون انني قادرة على الحصول على كل مرغوباتي فاذا لم انفذ غاياتهم يظنون انني قد نسيت الماضي. اما الامبراطور فيغتاظ من من اهمال قواعد العفة ويخاف من امتداد ذلك فقد صمم على ان يكون ضبط التصرف وقواعد الدين

مرعية في القصر الذي يملك فيه. انتهى. وفي ذات يوم قرا نابوليون تاريخ كولدسميث الانكليزي المسمى بالترجمة تاريخ نابوليون السري . وفيه طعن شديد في عرضه وصيته فقراهُ وكان كثيرًا ما يهز كتفيهِ او يضحك عند قراءة بعض اخبارهِ وفي نهايتهِ قال بهدوٍ بدون ان يظهر للغيظ اقل اثر فيهِ قد اخطاوا في الطعن في صيتي فان العالم كلهُ يعلم انني حسّنت الاداب العمومية والناس لا يجهلون عدم ميلي الطبيعي الى الفساد واشغالي الكثيرة مانع لاشتغالي بهِ . وعندما قرا التهمات الملقاة على عرض امهِ قال بكدرٍ وغيظ يا منكودة الحظ لو قرات هذا الكلام مع عفتها لاغتاظت جدًّا يا الله

فهذه الامور برهان كافٍ على ان نابوليون لا يعد من الملوك المفسدين الذين طالما حطوا شان عروش اوربا ولا يذكر اسمهُ مع ملوك كهنري الثامن ولا شارل الثاني ولا جورج الرابع فانهم من الذين لا يرتضي بان يرافقهم . والخبر الاتي دليل تيقظهِ وانتباههِ وكان في الولايات الجنوبية من امبراطوريتهِ فامر بانشاء صعب جدًّا في جسر ترعة لانكيدوك فاقام المهندس بالعمل باتقان عظيم فرغب في ان يراهُ ويكافي المهندس في محل الانشا فامر الوالي والمهندس الاول بان يوافياهُ اليهِ فكان يحافظ على الضبط من جهة الاجتماعات فوصل اليهِ قبل وصول الوالي ولم يرَ غير المهندس الاول . فاخذ يكلمهُ ويسالهُ عن كل عمل صعب من ذلك الانشا فارتبك المهندس واجاب بتردد . ثم جاء الوالي فقال لهُ نابوليون ان التبليغات التي وردت اليَّ ليست بصحيحة فان هذا المهندس لم يقم بذلك العمل فانهُ لا يقدر على ذلك . فاقر الوالي بان ذلك المهندس لم يرسم الانشا ولا اقام بهِ وان الذي فعل ذلك هو مهندس متضع غير مشهور . فدعاهُ الامبراطور في الحال وسالهُ عن كل امر كان يود ان يقف عليهِ وارتضى بجواباتهِ وقال لقد سررت لانني اتيت بنفسي لافحص عن هذه الامور ولولا ذلك لما عرفت انك انت الذي اقمت بها ولا نلت انت المكافاة التي تستحقها فجعلهُ مهندسًا اول واخذهُ معهُ الى باريز

وفي اب (اوغسطوس) سنة ١٨٠٨ عاد الى باريز . وكانت النمسا لا تزال ذات ضغائن لان انكسارها اغاظها جدًّا . فاخذت تنتظر سنوح فرصة موافقة لتحمل على عدو الامتيازات وصديق المساواة فلما رات عدوان اسبانيا تنشطت وقالت ان نابوليون يلتزم بان يوجه كل قوتهِ اليها فاخذت في ان تضادهُ وادعت بانهُ مصمم على قلب كل الدول القديمة المالكة وقالت عن قلب دولة البوربون في اسبانيا سيكون هذا نصيب كل ملوك اواسط اوربا . فقال الارشيدوق شارل سنهوت وسلاحنا في ايدينا اذا كان لا بد من ان يقوم بذلك ولكنهُ لا يقدر ان يتصرف بتاج النمسا بالسهولة التي تصرف بها بتاج اسبانيا . فاخذت في ان تتجهز فسلحت سبعمائة الف رجل واخذت في ان تعرضهم كل يوم . واشترت ١٤ الف فرس للمدافع ومليون بندقية . واستخدمت في قلع الحجر عشرين الف فاعل لتكون ملجا للعسكر اذا انكسر فيتحصن فيها ويدافع زمانًا طويلًا . واخذت جيوش جرارة في ان تدنو من حدود فرنسا واهيجت الامة وكانت تهين الفرنسويين اينما وجدتهم من فينا وترابسته واماكن المياه المعدنية من المانيا فخاف نابوليون من حدوث حرب اخرى فانهُ كان يعلم انهُ لا يربح شيئًا بها وانها تمنعهُ عن القيام بالمشروعات العظيمة التي كان قد صمم على ان يقوم بها لتحسين حال امبراطوريتهِ العظيمة . فكان يرغب جدًّا في السلام . وفي تلك الظروف اجتمع بموسيو مترنيخ سفير النمسا . فلاطفهُ جدًّا غير انهُ كان ثابت العزم . وجرى الحديث بحضور وزرا

كثيرين . فخاطبة بصوت منخفض لطيف سمعة كثيرون من الحاضرين وقال ياموسيو مترنخ ان مقصودكم اما محاربتنا واما تخويفنا. فاجاب السفير يامولاي اننا لا نرغب لا في الاول ولا في الثاني. قال نابوليون ماذا يحملكم على التجهيز والتاهب حال كون ذلك يوقعكم انتم ويوقع اوربا في قلق واضطراب وتعرضعون السلم لخطر وتستغرق اموالكم اجاب انها تجهيزات دفاعية . فقال نابوليون بهدو وثبات عزم لو كانت دفاعية لما اسرعتم بالقيام بها لانة عند القيام بتنظيمات جديدة لا تنفذ الامور بالسرعة بل بالتاني . فان احسن الامور هي التي يقام بها بالتاني ولا تنشا المخازن في هذه الظروف ولا تجمع الجنود وتشترى الافراس ولاسيما افراس المدافع فجيشكم هو نحو اربعمائة الف رجل وحرسكم الوطني يكاد يكون قدرهُ فاذا اقتديت بكم يلزم ان اضيف اربعمائة الف رجل الى جيشي . وهذا يكون في غير محلهِ . فلا اقتدي بكم فانهُ لا يتبع ذلك غير الافتقار الى تسليح النساء والاولاد فنبيت في حالة بربرية . فما المقصود من جميع هذه الاستعدادات الحربية . هل طلبت شيئًا منكم . هل ادعيت باحدى ولاياتكم . فان معاهدة برسبورغ قد قررت كل المشاكل التي كانت جارية بين الامبراطوريتين . وكان من الواجب ان يكون كلام مولاك واسطة لتقرير كل شي بين الامبراطورين . انني لا اطلب شيئًا منكم غير الهدو والتبادل والامان . هل توجد مشاكل بيننا بل هل بيننا مشكل واحد فاظهروهُ لنقررهُ في الحال . فاجاب سفير النمسا قائلاً يا سيدي ان الحكومة النمساوية لا تقصد ان تحمل على فرنسا ولم تامر بجمع جيوش . فقال نابوليون لقد اخطات فان الجنود قد اجتمعت في غاليسيا وبوهيميا قبالة الجيش الفرنساوي وهذا مما لا ينكر . وينشا عن ذلك اجتماع جيوش فرنساوية في الجهة الفرنساوية . ولذلك لا بد لي عوضًا عن ان اهدم قلعة سيليزيا من ان ارممها واصلحها واضع الزاد فيها واجهز كل شيء للحرب فانك تعلم انهُ لا يغدر بي . وربما كنتم تستندون الى مساعدة امبراطور روسيا فهذا خطأ تخدعون بهِ انفسكم . فانني متأكد بانهُ معي وانهُ غير مرتضٍ من تجهيزاتكم فلا تتصوروا ان الظروف موافقة للحمل على فرنسا فان تصورتم ذلك تخطئون عظيم خطا . انكم لا ترغبون في الحرب . انني اصدق بانك انت لا ترغب فيها وكذلك امبراطوركم والمتنورون من امتكم غير ان الامراء الالمان غير مرتضين بالانقلابات التي حدثت فقد ملاوا المانيا بتذمراتهم وقد مكنتم الغير من ان يميلوا بكم الى جهتهم ويبلغون ميلكم الى الناس ويهيجونهم الى الحرب وبعد برهة قصيرة تبيتون ترغبون في الانقلابات لتتخلصوا من حالة لا تقدرون ان تثبتوا فيها . فهذه الانقلابات هي الحرب فالادبيات كالماديات عند الاضطراب قبل النو لا بد لها من الانفجار لتنقي الهواء وترجع الصفا . فهذا هو ما اخافهُ من تصرفاتكم الحالية . انني اعيد ما قلتهُ من انني لا اطلب شيئًا غير السلام ولكن اذا تجهزتم التجهز تجهيزًا يحمل فوز جيوشي كالفوز السابق وهكذا ناتي بالحرب للمحافظة على السلام . انتهى

فكتب سفير النمسا هذا الكلام حالاً وبعث بهِ الى فينا . ورغب نابوليون في ان يقف على نوايا النمسا فامر سفيرهُ في فينا بان يقول للحكومة النمساوية انهُ لا بد من الانقطاع عن هذه التاهبات الغير الاعتيادية او ان تشهر الحرب جهارًا وطلب الى النمسا ان تعترف بان اخاهُ جوزف ملك اسبانيا . وكتب ايضًا الى امراء الاتحاد الرينى بان يتاهبوا لمنع حرب بدون داعٍ ولا مقصد باظهار استعدادهم للقيام بها وكتب ايضًا في جريدة المونيتور وبقالب بقلم نابوليون نفسهِ بان النمسا تحاول تهييج اهالي اوربا

الى تجديد الحرب

وفي اثناء ذلك باتت احوال اسبانيا في اضطراب عظيم فان خدمة الدين باتوا في غيظ شديد وكان لهم نفوذ تام في عامة الاسبانيوليين الشديدي التعصب فاهاجوهم في البلاد كلها الى ثورة عظيمة وراث الامة انة وقع تعد عليها وذبح الفرنساويون واصدقاؤهم بدون شفقة فيها ونُهبت شاتو وأُحرقت . وجُدِّدت كل ويلات الثورة الفرنساوية في اسبانيا وتعدياتها واخذ الاسبانيوليون في ان يدافعوا عن حق ملكهم ودينهم بالحمية التي تعدى عليهم بها الفرنساويون ولم يكن نابوليون يتجاسر على ان يبعد عن ضفة الرين الابطال الفرنساويين الذين كانوا مجتمعين هناك حال كون النمسا كانت تقوم بالتجهيزات المذكورة فالتزم بان يرسل جنودًا جديدة الى اسبانيا . وبعث ثمانين الف جندي اليها فبات ١٧ الفًا منهم في المستشفيات فبقي ٦٣ الف جندي . اما المامورون الاسبانيول فكانوا يحبون الملك جوزف غير انهم لم يكونوا يخفون الاركان في جيشهم الاسبانيولي فان جنوده كانوا ينقادون الى الاهالي . وكانت الاجراس تقرع لتهييج الناس واضرمت نيران في كل تلة علامة للثورة . وكان الفلاحون قد ضجروا من معاطاة الزراعة فسُرّوا بفتح الحرب وتعليق الامل بالنهب والسلب . وكان نابوليون قد اقام في اسبانيا ملكًا عادلاً موافقًا وقرر لها نظامات حسنة . فقلبهُ الاسبانيول وارجعوا انفسهم الى القيود التي كانوا قد تخلصوا منها وتبسم نابوليون عندما قيل لهُ انك كالرجل الصالح الذي خلص الزوجة العاتية من بربرية زوجها فانها حملت على مخلصها وقلعت عينيهِ

وكانت البوارج الانكليزية في البحار الاسبانيولية متجهزة للعصاة قبل ان وردت اليها الاوامر وهاجت الحكومة الانكليزية عند بلوغ خبر اقامة ملك جديد لاسبانيا فقال ملك انكلترا في مجلسهِ العالي ما ترجمتهُ ان الامة الاسبانيولية التي تجاهد للتخلص من تعديات فرنسا ومظالمها لا احسبها بعد الان عدوة ولكنها صديقة طبيعية وحليفة صادقة . انتهى . وعند ذلك اطلق سبيل كل الاسرى الاسبانيول بعد ان البسوا الملابس وقلدوا السلاح لينضموا الى العصاة . واخذت البوارج الانكليزية في ان تجهد نفسها في سبيل نقل المهمات والمال للعصاة وبذلت الدراهم في مساعدتهم حتى انهم اثثروا تعجبًا وارسلت انكلترا فضلاً عن ذلك كله ثلاثين الف رجل ليتحدوا مع الاسبانيول تحت قيادة الدوق اوف ولنكتون وكان اسمهُ السار ارثار ولسلي . فان ما اظهرهُ في فتح كوبنهاكن ابان انهُ اهل لتقلد القيادة العامة

وكان جوزف شقيق نابوليون لطيفًا وديعًا محبًا للسلام مراعيًا لحقوق الانسانية فبات في وسط تلك الحروب والاضطرابات فقلقت افكارهُ وسلبت راحتهُ فكتب الى نابوليون ليس عندي من يقوم بالاعمال ونحن في احتياج الى خمسين الفًا من الابطال وخمسين مليون فرنك فاذا تاخرت نمسي في احتياج الى مائة الف رجل ومائة مليون فرنك . انتهى . واصبح يحب رعاياه الاسبانيول فيشكي واي تشكٍ من الفرنساويين الذين كانوا يقومون بحق الثار عند تعدي الاسبانيول عليهم . فاجابهُ نابوليون تصبرْ وتشجع فانني لا اتركك في احتياج الى شيء فارسل اليك ما يلزمك من الجنود فلا تكن المتشكي من جنودي فانني انا وانت على ما نحن عليهِ يحبهم لنا فانهم يلتزمون ان يعاملوا لصوصًا يذبحونهم فلا يقدرون ان يدفعوهم الا بخوفهم منهم . فاجتهد في امالة الاسبانيول اليك بدون ان تضعف نشاط الجيش فان ذلك خطا لا يصلح

وكانت النمسا قد شرعت في التاهب العظيم

في الشمال فلم يكن يوافقهُ ان ينقل بطلاً واحداً من ابطالهِ الذين كانوا عند الدانيوب . فالتزم بان يرسل اليهِ جنوداً جديدة ومهمات كثيرة من جميع الانواع . وكانت الامور تزداد اضطراباً كل يوم فان كل اسبانيا والبورتوغال باتت في ثورة عظيمة واحاط جيش اسبانيولي جرار فرقة فرنساوية عددها ٢٠ الف وهي تحت قيادة الجنرال دو بون وذلك في بيلين ففعل المرض فيهم والتعب والجوع فالتزموا بان يسلموا . وهذه هي الاهانة الاولى التي وقعت على الجنود الفرنسوية . فلما سمع نابوليون بذلك ارتجف اضطراباً فانهُ كان يركن كل الاركان الى الجنرال دو بون ورأى انهُ كان الاوفق ان يموت في تلك الظروف وسمع بذلك وهو في بوردو فقرا التحريرات بكدر صامتاً . وكان ذلك بحضور وزير الخارجية فاضطرب لما رأى ما رأى مما دل على كدر الامبراطور فقال لهُ يا صاحب الجلالة هل مرضت . قال لا . قال هل اشهرت النمسا الحرب . قال يا حبذا . قال ماذا جرى يا ترى . فاخبرهُ عن ذلك التسليم بكدر وقلق واضطراب وقال اذا انكسر جيش لا باس فان هذا

ستاتي بقيتهُ

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

صوتها وعرفت غيظها واحتقارها لها شددت عزمها واي تشديد وقوتها بعد ان كادت تسقط من ضعف العزم ووهي الجلد وتحركت عناصر افتخارها القديم في صدرها فوقفت بعد ان كانت منكئة على عمود التخت ودنت من امها وقالت قد عرفت ما هو ظنكما وربما كنت لست بمستعدة لان انكره . غير انني اطلب اليكما ان تمسكا عما يبدو لكما لاجاوب قبل ان اذهب وهذا حسبي . قالت امها انني راغبة في ايضاح ما تقرر في تحرير انتوانت العزيزة وليس اكثر من ذلك واقول ما قلت من انها لم تقرر ما قررته الا بالاستناد الى مصادر جيدة جداً . فاجابت ربما كان المصدر الذي اخذت عنهُ اخبارها احسن من مقاصدها وغاياتها ثم قالت بافتخار ارجوكما ان تسالاها لان النهار قد قارب الزوال والوقت اصبح ثميناً عندي . قالت امها انني احب ان اعلم المكان الذي نزلت فيهِ في المدينة الا يحق لامك ان تسال هذا السوال هل كنت عند عائلة تارنار . قالت لا . قالت الم تذهبي الى لوندرا قاصدة النزول عندها . قالت لا . فلما سمعت ماريون هذا الكلام انخرطت في البكاء وقالت لهاه يا اوجينا فسمعت صوتها فضعف عزمها قليلاً . قالت امها عند من نزلت . اجابت لم انزل عند احد ولكنني اقمت وحدي في منزل المسافرين . لماذا ذهبت الى المدينة ومن قصدت . قال لا اقدر ان اجيب . قالت يا اوجينا انك لم تذهبي لتجتمعي بمستر كاردن المذكور . قالت لا اريد ان اقول . اما الذي حملها على هذا الجواب فهو الافتخار والخوف من ظهور شيء من جهة زوجها . وهكذا تقرر خبر انتوانت في عقل امها وشقيقتها . فقالت امها يا اوجينا قد تعجبت منك

فانك قد وقفت امام الام التي ولدتك واجبتها بهذا الكلام باليتني مت قبل حلول هذا اليوم . فانهٔ لم يخطر لي ببال انك تبيتين على هذه الحال فهنيئاً لابيك فانهٔ قد مات . فكيف تقدرين ان تذهبي الى المدينة لتقابلي هذا الرجل والظاهر انهٔ كان لاسمك علاقة باسمهِ وانت في الهند وقد كتبت اليهِ تحريرات عنوانها غير صحيح فهل كتبت تحريراً كالتحريرات المذكورة اجابت قد كتبت ولاحت على وجهها اللوائح التي تظهر على وجه من يسر بعناد ويحب ان يعظم الامور قدر الامكان بعد ان تبيت في حالة معلومة . قالت امها بعد هذا الاقرار اصدق كل شيءٍ وعند ذلك سقطت نظارات عينيها من يدها . كيف هذا يا اوجينا اما انتِ امرأة مزوجة ام اولاد فماذا يقول هنري المنكود الحظ اذا سمع بهذه الامور . قالت ربما كان يرفع التهمة عني قبل ان ترفعيها انت . قالت هل يسامحك حال كونك تحبين رجلاً آخر فاذا فعل يكون مجنوناً او انت مصابة بداء الجنون . قالت ماريون يا اوجينا اتوسل اليك ان تنكري هذه التهمة واقري بكل التهمات لانهُ ربما كانت اسباب تحملك على اخفاء الواقع وكتابة تحريرات غير ظاهرة ارجوك ان تقولي انك لم تفعلي شيئاً يحملني على ابعاد اما عنك وبابعادها ابتعد انا ايضاً قولي انك لم تذلي نفسك ولا بعت ناموسك بحب غير زوجك . وكان هذا الذنب عند ماريون اهم الذنوب ولم تكن اوجينا مشغولة بارتكابهِ ولا مهتمة بهِ فاحمر وجهها عندما اتهمت بهِ ولكنها لم تنكرهُ لانها رات ان صيتها بات مثلوماً وقد ابعدت عنها الذين تحبهم فلم تجب بشيءٍ الا باحمرار الوجه فعند ذلك قالت ماريون بكدر وضيق هذا صحيح قد رايت ما يدل عليهِ في عينيك آه يا اوجينا كيف طرحت علينا هذا العار . فقالت انني لم اجلب عاراً عليكما . فعارضتها امها في الحديث وقالت لا تعتذري

لا تعتذري فان تصرفك لا يقبل الاعتذار آه يا ابنتي انتِ والعزيزة . قالت اوجينا انني سأتركك لا تتوانت التي قد حملتها النميمة على البحث عن هذه الاخبار اما غرضها من اذاعتها فمعلوم عندها وقد صدقت خبرها وليس من شاني ان اعتني بتكذيبهِ ولا ان اثقل عليكما بوجودي عندكما وفي هذا اليوم اخرج من اشكروف وصمتت . وربما كانت تنتظر ان تسمع منهما ممانعة او ان تسمعها من ماريون وحدها غير انها لم تسمع شيئاً من ذلك . وكانت ماريون قد اضطربت وتضايقت جداً وحزنت فغطت وجهها بوسادة كانت على التخت وكان اهتزاز كتفيها يدل على اضطرابها . ثم قالت اوجينا ان سكوتكما قد ثبتني على عزمي والظاهر انهُ مقرر عندكما بانني عار وان بيتكما لا يكون منزلاً لي ولا لمن هو لي وعندي ان الشوارع اربح من هذا البيت بعد حدوث ما قد حدث . قالت امها انني لا ارى سبيلاً لمجانبة ذلك في الظروف الجارية . وقد تكدرت جداً مما عرفته منك ولكن لا بد لي من مراعاة حال الذين يسكنون معي في البيت و . . . فعارضتها اوجينا وقالت لقد اكتفيت فسامحيني امنعني حالاً . واطلب الى الله ان لا يجلب عليكِ العار اعظم من العار الذي جلبته انا بتصرفات اعلم انها موضوع تهمات . اما ماريون فعند ما سمعت ذلك رفعت راسها عن الوسادة التي كانت قد خبأت وجهها بها وظهرت دموعها المتساقطة على خديها وقالت انكري الخبر الاخير المتعلق بستر كاردن فاكون صديقتك كما كنت قولي اتوسل اليك بان تقولي انهُ كذب وافترا . غير انها لم تقدر ان تقول ذلك فهزت راسها قليلاً وتبسمت تبسماً ضعيفاً ووقفت وهي تنظر الى شقيقتها وامها . فقالت لها ماريون اذهبي اذهبي قبل ان ابين افكاري المتعلقة بك فانك قد غيرت افكاري بما كان طاهراً وعزيزاً عندي .

فاذهبي فانك لست بشقيقة قلبي ولا انت اوجينا التي احببتها من كل قلبي وانتِ امراة لااقدر ان اشاركها في شيء

فخرجت بدون قبلة ولا وداع ولا تبسم وحملت ولديها وخرجت قاطعة الطريق التي كانت اشواكها الكثيرة ملفاة فيها بذنب غيرها

الفصل الحادي عشر

وبعد ذلك ببرهة سمعت امها صوت قفل باب البيت ثم سمعت صوت مسير المركبة التي خرجت بها وبولديها من اش كروف فنظرت الى ماريون وقالت لها وقد اذرفت دموعها غزيرة على خديها يا ماريون قد ارتضيتِ بما اجريت اليوم . وكانت قد سمعت بنتها تقول انها ستخرج من البيت وعرفت بانها شرعت في الاستعداد للخروج منه غير انها لم تشعر بما شعرت به عندما تيقنت بانها امست خارجه ولا سبيل الى ردها لا بالبراهين ولا بالتحذير فتغلب الجبن عليها واخذت تتامل في ما يقوله الناس عندما يسمعون بان بنتها خرجت من بيتها في ساعةٍ كانها خادمة مطرودة. فاجابت انني ارتضيت بذلك فانني قد عرفت ان التي كانت عندي اعز شيء في الدنيا وكنت اعتقد بانها الطهارة والصدق بعينهما قد خدعتنا اشهرًا كثيرة ذلك الخداع العظيم ولم تظهر حقيقة امرها الا لتبين انه لايحق لها ان تنتظر الحب منا ياماه اذا كان انكسار القلب ترضية فقد فزت بالحصول عليها . وعندي انه اوفق لصالح اماان افتح عيني غير انني لا اقدر ان اساعِ التي قد فتحتهما . قالت امها اظن انكِ تطعنين في انتوانت العزيزة طعنًا لا يليق بان يجرى بين الاخوات واعجب منك يا ماريون لانك تدعين التقوى ومع ذلك تكرهين كل ما تفعله بنتي العزيزة وتقوله . وقد قالت انتوانت انها عرفت ذلك من اصدق المصادر وقد ظهر من تصرف شقيقتك انها مصيبة . والذنب ذنب اوجينا لانها اغتاظت مما كُتب عنها بجنب وخرجت من البيت بسرعة ولا ريب في ان اهالي هذه الاماكن تُشغَل بالتكلم عن ذلك قبل المساء

قالت ماريون هل ترضين بان تبقى هنا . فاذا كانت تلك الاخبار كاذبة يكون تبليغها اياها اهانة عظيمة . قالت امها انها ليست كاذبة اسالي نفسك عن ذلك الرسمي ما كانت تجيب به . اجابت ماريون بهز كتفيها . ثم قالت اذا . . . اذا . . . كان ذلك صحيحًا (اه يا لسوء حظها) لا تقدر ان تبقى معنا فكيف تقدر ان تواجهنا وان تحدثنا وتشاركنا في صلواتنا ومآ كلنا . يا امي قد اصابت بذهابها وقد عرفت انه لا بد لها من الخروج من البيت . قالت امها اذا راعينا الاحوال ولا سيما وجود امانيتك تحكم بانها قد احسنت ولكن يا حبذا لو اصطبرت بضعة ايام فان سرعتها تحمل الناس على التكلم وانا اخاف السنتهم . قالت ماريون بضجر فليقولوا ما يبدو لهم فان ذلك لا يعنينا وهذا امر ثانوي وقد تاملت بالاسابيع القادمة وصعوبة صرفها وبالكدر عيد الميلاد بسبب انفصالها عنا . قالت امها لا ادري اسبابًا للكدر . وعند ذلك تذكرت امها ان مخدع الضيوف قد فرغ فقالت اننا نقدر ان نسلي انفسنا واوجينا المنكودة الحظ قد اختارت ان تخرج من البيت بسرعة فنستعيض بانتوانت العزيزة فاحرر اليها بان تاتي ببعض اولادها لنصرف العيد جميعًا هنا

فلما سمعت ماريون ذلك وثبت واقفة وقالت بصوت مرتفع لا يكون ذلك يا اماه والا فاخرج من البيت مع اما كما خرجت اوجينا . واقول انها ربما كانت خداعة او اثيمة غير انني افضل ان ارى بنتي معها من ان اراها تجالس امراة قد ثلمت صيتها ذلك الثلم وهي تدعي بانها صديقة لها . ولا اقول ان اخبارها

غير صحيحة والزمان سيظهر صدقها او كذبها. فاو فرضنا ان ما قيل صحيح لا ينبغي ان تكون يد ماربون راجحة بالحجر الاول فاننا كنا عائشين في سعادة بدون ان يتهم احدنا الاخر. ولم تخطى اوجينا اليهافاي شيطان يا ترى حملها على ان تتيم من يراقب اعمالها لثلم صيتها الحسن عندنا. هذا واقول ان المرجح ان انتوانت قد اصابت. وقد رايت اوجينا خارجة اليوم من هذا البيت بدون ان ارى انه يحق لي ان اتفوه بكلمة لامنعها عن الخروج على ان ذلك لا يحملني على مصاحبة امراة كانت سبب خروجها. وانا احتقر بنتك يا امي والومها على تصرفها المتعلق بزوجها واولادها واصدقائها. ولا ارى في ما اقامت به غير شاهد جديد على خداعها وخيانتها. فاذا استحسنت ان تدعوها الى اش كروف ما من احد يمنعك فان البيت لك ولكن يوم دخولها اليه يكون يوم خروجي ولن اعود اليه. ومن الان وصاعدًا لا يكون مكان دخول انتوانت منزلاً لي ولا انا هو لي

فافحمت امها بهذا الكلام فاخذت تفرك يديها وتبكي وتقول ماذا حملني يا ترى على ان الد بناتًا ليكافئنني بالنكود في شيخوختي. اما ماربون فلم تتكلم هذا الكلام الا بعد معاناة تعب كثير فانها لم تكن تفتكر الا باوجينا ومرارة خيبة املها حتى باتت لا تقدر ان تنفي الكدر عنها. غير ان التامل في دعوة انتوانت الى اش كروف لتنزل في المخدع الذي كانت نازلة فيه مفتخرة بنجاح حيلها التي اقامت بها لتبين بانها ليست باكثر شرًا منها اهاج غضبها وقواها ثم خرجت من المخدع لتبحث عن اما التي كانت تنتظرها لتخبرها بسبب خروج اوجينا بغتة. فاخبرتها شيئًا قريبًا من الحق فاكتفت ثم عاد اهل ذلك البيت الى عاداتهن القديمة بدون ان يذكرن اوجينا الغائبة الا في النادر. ولم تصدر دعوة الى انتوانت لتصرف عيد الميلاد في اش كروف مع انها كانت قد اشارت اكثر من مرة بانها ترغب في صرفه معهن

وفي اثناء ذلك وصلت اوجينا الى لوندرا وقد اشتد ذلها وهمها وكانت قد امتنعت عن ان تاخذ سوزان وليمز الخادمة معها مع انها كانت قد طلبت بان تاخذها بالحاح. ومع انها لم تكن في يسر فضلت ان تدفع لها اجرة شهر سلفًا على ان تبقى معها رقيبة. وفضلاً عن ذلك رات ان الخدمة من التنعمات التي لا بد لها من ان تستغني عنها فانها كانت فقيرة جدًا ولم تكن تعلم درجة فقرها الا بعد ان انتهى النهار وانقطعت اسباب اثم بزواله. فجلست بجانب ولديها النائمين في مخدع فيه اثاث قليل دني في توتنهام كورت رود واخذت تعد دراهمها. وعند وصولها من الهند كان كيسها محتويًا على دراهم غير قليلة ولكنها صرفت مبالغ ليست بقليلة حتى انها وجدت انه لم يبق معها اكثر من عشرين ليرا انكليزية. ولم تكن تعلم مصاريف البيوت في لوندرا. وظنت ان الخطب شديد جدًا فكانت تتمنى ان تموت هي وولداها قبل ان يفرغ نقدها القليل. وكانت تعلم ان لزوجها مالاً في بدو كيلو وانه يكفيها اكثر من سنة براحة ورفاهية وان امضاءها وحده كافٍ لان تحصل عليه كله او على بعضه. ولكن لم يخطر لها ببال انه لها ويسوغ ان تصرف شيئًا منه. وكانت تفضل الموت جوعًا مع ولديها على اخذ بارة منه. فانه لم يكن لها ولا له ولا لولديها وكان مقرر عندها ان صرفه سرقة وكانت تطرد من بالها ما يخطر لها ببال من هذا القبيل. وكانت تقول في نفسها مهما كانت تقصيراتي وذنوبي لا امكن احدًا من ان يقول انني انتفعت ببارة من ذلك الاثم. ولم تغير عزمها. ومن المعلوم انه يسهل على الانسان ان يحافظ على سنن الفضائل والشهامة ما دامت احتياجاته في قبضة يده ولكنه يستصعب ذلك بعد ان يخسرها.

وفي زمان قصير خسرتها اوجينا وولداها . فان البرد كان شديدًا فالتزمت ان تصرف نقودها في ابتياع حطب وملابس وطعام فنفذت في برهة قصيرة واخذت في ان تقول في نفسها الى من يا ترى اسلم ولدي اذا بت ملزومة بان اشتغل لاعيشها واعيش نفسي

وفي اثناء ذلك كتبت الى زوجها واخبرته بالظروف الردية التي امست بها وحذرته بقولها ان مستر كاردن في انكلترا فان ذلك ربما كان يضر به غيرانها لم تاخذ جوابًا منه ولا سمعت عنه شيئًا فظنت انه انقطع عن السوال عن تحريراتها في البريد او انه رغب في ان يقطع كل مخابرة بينه وبينها . وكانت تحب ان تسال عنه في المكان الذي كانت قد تركته فيه غير انها تذكرت مقابلته لها فخافت ان تواجهه فامست تجاهد وحدها فكانت توفر بقدر الامكان وهي معلقة الامل بان اخبارها تحرك الشفقة في قلب زوجها فياتي لنجدتها . ولم تلم غير نفسها على ما كانت تعاني فانها كانت تعلم ان زوجها منافق وان نفاقه وخلوه من الناموس والحب والكرامة جعلها تعيش في الدنيا وهي تخدع الناس . وكانت تعلم ان انتوانت لم تكن احسن منها الا لان ظروفها كانت احسن وكانت تعلم ان زوجها وانتوانت هما مصدر ويلها وضيقها وانه لولا وجودها في مركز غير صحيح بسبب حب زوجها لنفسه لما اثر فيها حسد انتوانت وشرها . وكانت تعلم مصادر ضررها بدون ان تلومها كل اللوم . وكانت كثيرًا ما تبكي عند نوم ولديها وتلوم نفسها على ضعفها وجبنها وحماقتها لان ذلك جلب التهمات عليها واوقع ولديها في ضيق وصعوبات . ولم تكن تنسى حنو ماريون وحبها لها وخسارة مساعداتها وصداقتها وكانت تلوم نفسها على ذلك ولا سيما بعد ان رات انه كان من الممكن مجانبة ذلك وهكذا كانت تتعاقب الايام والليالي بدون ان يرد اليها خبر من زوجها ولا من بينها وكانت تقول في نفسها ان مصائبي تبلغ اعلى درجة اذا مرض ابني الصغير وبلي بمرض الحميراء وكان ضعيف الجسم وبرد في بداية المرض فالتزمت بان تدعو الطبيب ولم تتامل في مالها النافذ . وكانت ذات مزاج عصبي فاشتد اضطرابها خوفًا على ابنها فاتت باحذق الاطباء الذين كانت تعرفهم فراى انه لم يكن خارج الخطر فانه مع ضعف جسمه كان مبليًا بمرض . فقال الطبيب ان الامل بشفائه قليل . وفي ليل عيد الميلاد اشتد المرض . وكانت قد صرفت اياما وليالي جالسة بجانبه تخدمه وتراقب صعوبة تنفسه وادلة اوجاعه وهي تتذمر على الله في قلبها لانه كان مزمعًا ان يحرمها اعز شيء عندها . وخطر لها ببال بغتة انه يموت بعد ساعات قليلة وانه من الواجب ان يراه ابوه قبل موته . وكانت قد كتبت اليه بمرض الولد وخطره بدون ان تفوز بجواب فتقرر عندها ان تحريرها لا يزال في البريد مع التحريرات الاخرى فانه لو وصل الى يده لما قدر ان يمتنع عن ان يجيب طلبها . وكان يزداد ضعف ابنها ساعة فساعة . فكانت تقول في نفسها هل يسامحها زوجها اذا احرمته النظر الى ابنه قبل موته . فقالت لابد من اقتحام كل المخاطر فلا ابالي بكدره ولا امتنع ولو عرضته لخطر الظهور وكان حزنها قد اشتد عليها وامست قليلة الادراك فاجهدت نفسها ولبست ملابس المشي وسدلت نقابًا سميكًا على وجهها وامنت صاحبة البيت على ولدها فانها كانت قد شاركتها في الاعتناء به وخرجت من المخدع المظلم ودخلت الى الشوارع الباردة الكثيرة الجليد وسارت بسرعة قاصدة المكان الذي كان نازلًا فيه ولم تعرف الطريق الا بصعوبة ولكنها وصلت الى المكان المقصود بعد معاناة اتعاب كثيرة . ودخلت دكان صاحبة البيت القذر وهو الطبقة الاولى من

البيت الذي كان زوجها فيهِ . فوجدت فيهِ كثيرين وقد اتوا ليبتاعوا اشياء لعيد الميلاد وكانت صاحبته مشغولة كثيرًا في بيع الجبن والسكر وغير ذلك . ولو كانت اوجينا في ظروفها الاعتيادية لما دخلت بين اولئك الرجال الذين كانوا من ادنياء القوم ولكنها كانت تخاف من فوات الفرصة بموت الولد وحرمان النظر اليهِ في نسماتهِ الاخيرة . فدخلت بينهم الى ان وصلت الى المراة وسالتها عن نزيلها . فنظرت اليها بغيظ وقالت لها ليس عندي فانهُ قد خرج منذ اسابيع وارا حنا من اوخامهِ ومن كسلهِ فانهُ لم يكن يحرك رجلاً ولا يدًا ليخدم نفسهُ ولكنهُ كان ينتظر الانكليز الامنا ان يخدموهُ كانهُ لورد وخرج بدون ان يترك شيئًا وبدون ان يدفع اجرة اربعة اسابيع فضلاً عن ثمن ماكولات كثيرة اخذها من الدكان بعد ان اعتنيت بهِ كل الاعتنا بسببك فترددت اوجينا وارادت ان تخرج وقالت انها مشغولة وانها تركت دراهمها في البيت . فاخذت المراة في ان تهينها ولذلك خرجت حالاً . وهي تقول لها انك لست بخاتون ولو كنت انا انت لما دعوت اسمي كذلك فانك وضعت وحشًا اسود كذلك الوحش ثم رفضت ان تدفعي مصاريفهُ ان هذا عيب . و بعد ان ابعدت عن الدكان قليلاً تذكرت ابنها الذي كانت قد تركتهُ في حالة النزع وانها لم تجد اباهُ فلا بد من ان تسرع لئلا يموت ولا تراهُ . وكانت ترتجف واي ارتجاف واخذت في المسير وقد اعمت المصائب قلبها حتى انها كانت تصدم المارين . وكان قلبها يخفق كانهُ اخذ في الخروج واستمرت على تلك الحال الى ان وصلت الى السبيل المظلم امام بيتها الحقير . فلم تسمع حركة ولا رات مصباحًا فوق السلم فوقفت لحظة ووضعت يدها على قلبها الخفوق وقالت هل مات . وعند ذلك فتح الباب فرات صاحبة البيت فقالت لها يامسز جونسون قولي حالاً هل مات . قالت لا انهُ لا يموت الشكر لله ان الطبيب هنا وقد صرف زمانًا طويلاً ومعهُ رجل اخر وقد قال لي ان الولد قد تحسنت احوالهُ و بعد ايام قليلة ينهض من الفراش باذن الله فلما سمعت هذا الخبر عادت قوتها اليها وصرخت فرحًا وصعدت على السلم بسرعة ودخلت المخدع وقالت ياطبيب ياطبيب هل ذلك صحيح هل يعيش ولدي العزيز اصدقني الخبر فسمعت صوتًا اخر يطمنها فرات كان النور كان يرقص امام عينيها وسمعت هذه العبارة لا تضطربي ياعزيزتي مسز ارشار فان ابنك قد نجا من الخطر فاشتد اضطرابها بالانتقال من الياس الى الامل الوطيد فباتت في حيرة وتعجبت تعجبًا لا مزيد عليهِ عندما نظرت ورات مستر جيوفري كاردن فصرخت صراخ الخوف وقالت اانت هنا يامستر كاردن ماذا وجدته ثم سقطت على الارض وقد اغمي عليها

الفصل الثاني عشر

و بعد نحو عشر دقائق اجهدت نفسها للرجوع الى الصواب ونظرت حولها وهي تقول اه الى اين ذهب لا تمكنوني من ان اراه مرة اخرى . غير انها لم ترَ غير الطبيب وصاحبة البيت . فقالت لها ياعزيزتي استكني نامي . من ياترى كان يظن ان هذا الخبر يوثر فيها هذا التاثير

ثم قالت اوجينا ياطبيب هل كنت في حلم الم ارَ غيرك في هذا المكان . قال لا ياعزيزتي مسز ارشار ولا بد من ان تستكني بضع ساعات فان انشغال البال والتعب قد اضعفاك جدًا فاشربي هذا المقوي . فشربت بدون تردد . ثم قال لها لا بد من ان تسمحي لمسز جونسون بان تضعك في الفراش واتركيها تحرس الولد . فقالت هل يعيش الا ابكلهُ .

(ستاتي بقيتها)

ملح

قد وردت الينا هذه الملح بدون ان يكتب مولفها اسمهُ عليها ولذلك لم نعرفهُ فنرجوهُ ان يعلمنا بهِ لننشرهُ في الجزء القادم

البخل

مرض غني فاقام في الفراش ثلاثين يوماً بدون ان يستدعي الطبيب وعند ما اشتد عليهِ المرض وامسى في حالة ذات خطر دعا اولادهُ طبيباً على غير علمهِ من بلد اخر وعينوا اجرتهُ خمس ليرات فعند ما حضر الطبيب وشاهدهُ المريض استشاط غضباً وبدا يشتم اولادهُ بقولهِ لهم من الذي اذنكم باحضارهِ والح عليهِ بطلب صورة التلغراف ليرى الاجرة فلما راى خمس ليرات فتح فاهُ واطبق جفنيهِ ومات

السكر

حكي عن تاجر ارسل اخاهُ الى بيروت ليجري المحاسبة السنوية مع عميلهِ فتوجه وهو سكران واقام فيها ثلاثين يوماً مثابراً على الشرب ثم رجع الى بلدتهِ فطلب اليهِ اخوهُ صورة الحساب فاجابهُ ما هو الحساب لا اعلم بهِ غير ان الذي اعلمهُ باني توجهت الى بيروت لاجل تغيير الهوا والتنزه فاجابهُ قائلاً احسنت يا اخي بما بهِ تكلمت فليس عليك عتب ولا لوم لانك ذهبت سكران ورجعت سكران

المعلم البخيل والخادم

حكي ان رجلاً امر خادمهُ بان يستاجر دابة و يتوجه معهُ للخارج فتوجه الخادم واستاجر حماراً جموحاً فركبهُ وخرج من المدينة ليلحق بمعلمهِ فصادف امراة فلاحة قد باعت لبناً في المدينة واشترت بثمنهِ صحنين من فخار فوضعت في احدهما سمناً وفي الاخر دبساً ووضعتهما على راسها ضمن اناء اللبن فصدمها الخادم بحمارهِ فانقلب الاناء واندفق السمن والدبس على صدرهِ وكان الخادم قد اشترى رغيف خبز فاخرجهُ من جيبهِ وصار يغمس بالسمن والدبس و ياكل والحمار يركض بهِ والمراة تركض وراءهُ وتصيح وتطلب منهُ الثمن وهو غير مكترث بها وما زال كذلك حتى ادرك معلمهُ فعندما نظرهُ قال لهُ ما لي اراك على هذه الحالة وما بال هذه المراة تصيح وتبكي فاجابهُ الخادم قائلاً لا تضطرب فانني قد فزت بالاكلة التي طالما اشتهيتها وكان رزقي بواسطة هذا الحمار

البخيل وضيفهُ الحاذق

حكي عن رجل بخيل كان من عادتهِ عندما يضيف احداً يجلس لمناولة الطعام يشغلهُ عنهُ في المسائل والاحاديث فيلتزم ان يجيب عليها فعند ما ينتهي من مسئلة يوجه اليهِ البخيل سوالاً ثانياً وثالثاً وهلم جراً وعندما يكتفي من الاكل ينهض حالاً فيستحي الضيف فيتبعهُ قبل ان يشبع وفي ذات يوم جاءهُ ضيف حاذق فلما جلسوا لمناولة الطعام ابتدا الضيف يتنهد و يتأوه فقال لهُ البخيل لماذا تتأوه قال لهُ من جرى مصيبة بلاني بها الله قال ما هي المصيبة . قال لهُ عندما اجلس لمناولة الطعام فبالحال يطرا عليَّ مرض شديد فامسي اصم اخرس و يستمر معي المرض الى ان افرغ من الطعام وحينئذٍ يزول المرض وارجع الى ما كنت عليهِ اولاً وبهذه الوسيلة تخلص من حيلة البخيل وصار يتناول من الطعام و ياكل حتى اكتفى والبخيل يتاوه

الجنان

الجزء الثالث عشر

في ٣٠ حزيران (جون) سنة ١٨٧٦

في غطا هذا الجزء من الجنان اعلان عن دائرة المعارف تهم مطالعتهُ حضرة الوكلا والمشتركين وغيرهم

جملة سياسية (من قلم سليم افندي بستاني)

للامم ادوار تنال بها الترقي او تبلى بتضعضع الاحوال وسنوح الفرص ابواب الفرج والفوز وقد يكون فواتها خسران الانتفاع بها فاستغناها استبداد الحال وقد رات الامة العثمانية في هذه السنة ما لم ترهُ مثلهُ منذ اعوام كثيرة فجمعت من الاخبار ما يوازي ما تكبدت من الاتعاب واصبحت في مركز متوسط امامهُ سبل الفوز والاصلاح ووراءهُ طرق التاخر والمشاكل فلها الخيار في ان تسلك ايها شاءت وقد استبان ان الدولة العلية اخذت في ان تنهج منهجًا لم نعهدهُ قبلاً و بشرت الناس بحلول عصر جديد فهل نرجح بذلك يا ترى وهل نطيق مشقات الانتقال مما نحن عليهِ من الضعف المادي والادبي وهل نثبت اذا صدمتنا الموانع وعاندنا الزمان وضايقتنا الاحوال او ترجع القهقرى تاركين النمو والراحة والرفاهية من جرى مشقات الطريق المودية اليها ومن الناس من لا يرى شيئًا يدل على ذلك وقد قرروا في عقولهم اننا لم نفز بشيء بما جرى من التغيير في الاستانة العلية وان بلايانا على ازدياد واحوال السياسة لم تاتِ بما فيهِ شيءٌ من الخير لهم فيهمون في ياس واضطراب فلا نلومهم ولا نعمل على تنديدهم بل نعذرهم لان الزمان الماضي لم يقرر في عقولهم ما يحملهم على الاركان الى الاستقبال ولو كثرت الوعود وهذا هو الذي جعل حضرة مولانا السلطان الاعظم يقول في فرمانهِ العالي ما نصهُ وقد عرف الناس اجمع ان ما ظهر من مشكلات الاحوال على الدولة في امورها الداخلية والخارجية ولد في افكار العامة قلة الامنية فافضى ذلك الى مضرتهم مالاً وملكًا وتنوعت بناء عليهِ اشكال عدم استراحتهم . انتهى . ولكننا نبين لهم الواقع بالصدق والتبيان لعلهم يرون ما يحملهم يشرعون في ان ينفوا من عقولهم قلة الامنية التي تولدت فيها فيوجهون قواهم الى ترقية اسباب ما يأول الى ترويج تقريرات الدولة العلية على انهُ من الجلي اننا لا نزال على ما كنا عليهِ ولم نرَ في الولايات اثرًا لما من شانهِ ازالة قلة الامنية من الافكار ليس لانهُ لم يصر التصميم على اجراء ذلك ولكن لان الاصلاحات في الامم بل في البيوت وسائر الاعمال لا تتم في يوم ولا شهر ولا سنة ولا يقام بها الا بالسيف والنار لدفع عدو اجنبي او محلي و بمراجعة تاريخ ابتدا الاصلاح في فرنسا وما تورطت اليهِ يظهر انها لم تخرج من حالة الويل والهوان الا بعد ان لعبت فيها ايادي الزمان من داخل ومن خارج وصبت عليها بنات الدهر بلاياها ونوائبها وكذلك الانكليز في ايام كرمول والاسبانيول والايطاليان لان الامم جسم ضخم عظيم لا يدار ولا تسلب منهُ بعض عاداتهِ ما لم يتالم وتلحق بهِ بعض المضار غير ان العاقبة حسنة والاوجاع الموقتة تعقبها غبطة طويلة وانتعاش عظيم ولا ينصف من يقول انهُ لم يصر الشروع في الاصلاح حال كونهِ معلومًا ان لهُ اربع حالات وهي حالة التقرير وحالة الشروع وحالة الاجرا وحالة جني الاثمار فالاولى لا تظهر للعيان في الامة ولا تعرف بالتفصيل بل يسمع بها بالخبر وتعرف بالاجمال من روح الزمان واحتياجاتهِ وصعوباتهِ وهي قابلة للتغيير بانقلاب الاحوال او تبديل الاشخاص او ظهور ميل عام اليها يخالفها او غير ذلك فلا يركن اليها الا من جهة بروزها من القوة الى الفعل ولا من جهة موافقة ما لها للاحوال

لان الانسان قد يوهم ولو ادرك من الحكمة دانيها وقاصيها وعرف من ابواب السياسة وطبائع الهيئات الاجتماعية ونسبة بعض الامم الى البعض الاخر ما كان ظاهرًا وغامضًا فان طبيعة الزمان التوليد فقد يتولد من الادبيات او الماديات او كليهما ما يأتي بتغيير الاراء والثانية حالة النشر وهي التصريح باسباب الاصلاح لتبليغ الامم التقريرات الاصلاحية المذكورة فتظهر قواعدها وترى مقاصدها وهي ايضًا قابلة الارتياب بعيدة عن اليقين لان المنشورات العامة الغير المجراة في الشرق اكثر من التي اصبحت في حيز الاجراء فالنظام المقرر بدون ان ينفذ اشد ضررًا من عدم وجوده لانه يخدع الناس فيستندون اليه في اعمالهم ويجعلونه اساسًا لها وعند البنا عليه يسقط فيحل الخراب ويقع الارتباك وتكثر المشاكل ويستدل على هذه الحال بفقرة مهمة جدًا تضمنها ذلك الفرمان العالي ونصها ثانيًا ان المهم اللازم نظرًا لهذه النية الاساسية انما هو تجديد تنظيم نظارات وادارات شورى الدولة والاحكام العدلية والمعارف العمومية وامور المالية وسائر المأموريات فينبغي اذًا النظر في تنظيم ذلك بالتتابع . انتهى . وافتقار ذلك الى تجديد التنظيم هو في الاكثر من جرى عدم نفوذ النظامات المقررة ولذلك قال تجديد التنظيم الذي يترتب عليه تجديد الاجراء والبرهان وجود نظامات متقنة نافعة ولو كانت جارية لما مست الحاجة الى تجديد تنظيمها كلها ولعل عدم اجرائها كلها قرر في العقول عدم موافقتها فعول على تجديدها كلها وسيظهر ذلك عند بلوغ الحالة الثانية المذكورة اعلاه والثالثة حالة الاجراء وهي الاساس بل ينحصر كل النفع فيها ومع ذلك لا تكون على الدوام سليمة العاقبة فانه قد تظهر النظامات عند النشر موافقة من اكثر الوجوه او من كلها وعند الاجراء يتبين نقصها بالنظر الى احوال الهيئة الاجتماعية او غير ذلك فانه قد يظهر بالاجراء عدم موافقة المعقول والرابعة حالة جني اثمار النظامات وهي وحدها الحالة المؤكدة ومن يا ترى ينتظر الوصول اليها في شهر او في سنة ولا ريب في ان العالم يغبطنا اذا ادركنا ذلك الشأو في عشر سنين فاننا لا نزال في الحالة الاولى مع ما يترتب عليها من الشكوك والامال وغير ذلك غير اننا قد فزنا بالحصول على وعد من حضرة مولانا الاعظم قد ضمنه في فرمانه العالي بل نفس ذلك الفرمان بداية اصلاحية مراعاة لروح هذا الزمان فانه قد تقرر في عقول اهله ان كثرة التعظيمات والتبجيلات لا تدل على ان المعظم المبجل ذو قوة واهمية فان برهان ذلك الاعمال وقد يتخذ اصغر الملوك اعظم الالقاب فلا يوافق ان تكون منشورات حضرة مولانا الاعظم معما السلطنة السنية من الاتساع والاهمية وحسن المركز غير موافقة لروح الزمان ولذلك لم نرَ في الفرمان العالي التبجيلات والتعظيمات التي كانت جارية في الماضي وهذا الاصلاح قد مر بالحالات الاربع ووعد بالاصلاحات التي لا تزال في الحالة الاولى ومن اهم فروع الاصلاح انشا مجلس نواب او مجلس امة ويقال انه سيسمى مجلس الممالك وقبل ان عرف الناس حقيقة حالهِ قالوا باجماع في هذه الديار اننا في احتياج اليهِ لضبط ثلثة امور وهي المالية واجراءات الوكلاء الفخام واسباب الترقي اي ان لا يكون وزير او وزيران او عشر وزراء تتوجه اليهم المأموريات العالية بالارادة السنية مطلقي التصرف مستبدين بكل عمل بمجرد الحصول على ارادة سنية وهذا هو حقيقة اهم اعمال مجالس النواب فان الاهالي ينتخبون في كل ولاية رجالاً من اصحاب الاهلية والحذق والاستقامة فيعقدون مجلسًا ويقررون النظامات التي يطلب اليهم تقريرها ويناظرون على الاجراءات ويعينون المداخيل والمصاريف وغير ذلك ولا يزال نظام مجلس النواب في حالة التقرير ولذلك لا تدخل

في ابحث عنهُ بل نكتفي بالاشارة اليهِ وما نعهدهُ من همة الوزارة الحالية وحبها للتقدم يحملنا على تعليق الامل بانهُ يكون موافقاً معتدلاً ولا ريب في انهُ لا ياتي بكل المراد في بادي الامر ولا يخفى ان الزمان الحالي هو زمان سنوح الفرصة التي ينبغي استغنامها لان حضرة مولانا الاعظم علي الهمة محب لخير الرعية وراغب في اجراء الاصلاحات اللازمة وقد فرح العثمانيون جميعاً وكل محبي الدولة العلية من الاجانب بالتغيير الذي جرى ولئن كان في انشاء ثورات لا تنكر اهميتها فان هذه الثورات تدعو الى ذلك في الحال وحفظ الراحة ينشا عنهُ في الاستقبال فان انشا مجلس لضبط اهم امور الدولة في ايام حضرة مولانا السلطان مراد الاعظم يكون بداية عصر جديد وتفاءل بالخير بمجرد جلوس عظمتهِ فانهُ جاء بتلك الوعود التي طالما انتظرتها الامة معلقة الامل باجرائها وجاء بمجاهرة الانكليز بما منع انفاذ لائحة البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول وحمل اكثر دول اوربا العظيمة على ان تعود الى المحافظة على معاهدة سنة ١٨٥٦ والمنتظر عقد جمعيات دولية جديدة بعد ذهاب توسطات فرنسا سدى وحالة اوربا لا تحملنا على التشام من جهة وقوع حرب عمومية لانهُ بالاجتماع يكون النفوذ لاكثرية الاراء وهذا يوافقنا ويجعل التقريرات ذات اعتدال ومما سرنا ما بلغنا من ان قتل صاحب الابهة والدولة حسين عوني باشا ناظر الحربية وحضرة صاحب الدولة راشد باشا ناظر الخارجية وجرح صاحب الدولة احمد باشا قيصرلي ناظر البحرية لم ينشا الا عن امور شخصية بل كان المقصود حضرة حسين باشا فنهوض حضرة الوكلا الفخام لالقاء القبض على القاتل جاء بحمام حضرة راشد باشا وجرح حضرة احمد باشا وقتل وجرح غيرهم وقد اجلنا الكلام عن فضلها وابديها البيضاء ومنافعها الى ورود ترجمتها ولم نبن سرورنا من كون الانتقام شخصياً الا لعدم موافقة ظهور قوة لحزب مضاد في الحال غيران استقامة الامور بعد نهاية الثورة لا تكون الا بظهور حزب مضاد فان ذلك علة لتيقظ القابضين على ازمة الامور وضبطهم للاعمال وتوسيع دوائر المنافع واستجلابهم ميل الامة فالمضادات في السياسة مع الاتحاد في الصداقة للدولة وحب الوطن من اعظم اسباب استقامة امور البلدان وترقيها

الطاعون

قالت جريدة التيمس ان الاخبار الاخيرة الواردة من بغداد تمكننا من ان نقف على اتساع دائرة انتشار الطاعون واهميتهِ . ومن المعلوم انهُ لا يزال اثر الوباء الذي ظهر سنة ١٨٧٣ بين بدو الافيج الذين يقطنون الاجمة الاولى العظيمة الواقعة في الضفة الشرقية من الفرات في الجهة الجنوبية من الحلة . وقبل ذلك بست سنوات اي سنة ١٨٦٧ ظهر المرض ظهوراً قليلاً بين بني طارف من البدو الذين يقطنون اجمة الهندية في الجهة المقابلة من ذلك النهر. وقبل ذلك مضت ٢٣ سنة بدون ظهورهِ في ما بين النهرين اي في العراق . وكان ابتدا ظهورهِ في قرية الافيج في دغرة وفي الستة الاشهر الاولى من سنة ١٨٧٤ انتشر في سائر قرى القبيلة . ومات بهِ في الثلثة اشهر الاخيرة الفا نفس من ٣٥ الف نفس وامتد الى مقاطعة ديوانية المجاورة للمكان المذكور وللضفة الغربية من الفرات ودخل قرى كثيرة على الضفة بين ديوانية والحلة . واشتد في بلدة ديوانية ومات كثيرون بهِ في الحلة . ودخل ايضاً قربلا ونجف الواقعتين على حدود صحراء سورية في غربي الاجمة الهندية وهي المكان الذي ظهر فيهِ سنة ١٨٦٧ ونقل كثيرون من الذين ماتوا مطعونين في قرى الافيج الى البلدين المذكورين ليدفنوا فيهما بحسب

عادة الشيمة . ومجموع الذين ماتوا مطعونين سنة ١٨٧٣ وسنة ١٨٧٤ هو ثلثة الاف نفس بحسب التقارير العثمانية الرسمية من ثمانين الف نفس وهم اهالي الاماكن التي بليت به . وفي نهاية سنة ١٨٧٤ او بداية سنة ١٨٧٥ ظهر مرة اخرى في ديوانية وانتشر في الربيع والصيف في مكان متسع واقع في الجهة الجنوبية من الاماكن التي بليت به في السنة السابقة وامتد في الزاوية المركبة من شاة الحي والفرات و يقطنها بدو المنتفج وامتد غربًا الى سواحل بحر نجف الى ضفة الدجلة شرقًا وظهر في قوت العمرة . ولم يعرف عدد الذين ماتوا مطعونين في هذه السنة

وفي شهر ايار وحزيران (مايس وجون) من سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٥ ذهب الطبيب كولفيل المختص بقونسلاتو انكلترا في بغداد الى الاماكن التي بليت في جنوبي الحلة . وقد ارسل الى جمعية الاوبية تقريره . وقد قسم القرى التي راها الى اربعة اقسام فثلثة اقسام منها بانت بدون أن يصيبها الطاعون فانه دخل القسم الرابع منها فقط . وقد كتب عن القرى من القسم الرابع وهي التي اصيبت به بما ياتي

ان الاكواخ ثابتة مبنية على ارض او طا من سطح الماء في الربيع بقدم او قدمين والارض مبلولة بالماء حتى ان اقذار القرى لا تحملها المياه ولا تتبخر بالحرارة لانها تكتسب رطوبة جديدة من الارض فتصير كريت اسود يضرب الى الازرقاق وهو يحيط بالاكواخ ويغطي السبل و يلطخ الحيطان على مسافة قدمين فوق سطح الارض . وقد انحصر الطاعون في القرى التي هي من هذا النوع في الاجمة الهندية سنة ١٨٦٧ ولا نبالغ اذا قلنا ان كل كوخ من هذا القسم من القرى هو سرداب اقذار وقد قال ذلك الطبيب انه منذ سنة ١٨٣١ لم يطف الفرات والدجلة طوفانًا غير اعتيادي الا سنة ١٨٦٧ وفي ربيع سنة ١٨٧٤ . وقد وصف المرض بما ياتي

انه يبتدي بالحمى التي تستمر من ٢٤ الى ٣٠ ساعة . وفي الغالب يظهر في المريض قبل الحمى تضعضع فيسير مسرعًا في الشوارع بدون ان يكلم احدًا و يدخل بيته على غير انتباه و يغلق بابه و يلقي بنفسه على فراشه كمن قد بلي بالباس او قد اصبح متضعضع العقل . وعند ابتدا الحمى يبلى بخمول في العقل وتحمر عيناه و يكثر الافراز فيهما . ويصير منظره كالنشوان او كمن في هواجس واذا سئل يجيب بتنهد فقط . و يورم لسانه وتبدو فيه شقوق و يصير لونه اسود داكنًا غالبًا واحيانًا يصير ابيض او اصفر . وفي كل حال يظهر تقيح حول الاسنان واللثة و يشتد الظما واذا قدر ان يتكلم (هذا نادر) يتشكى من الم في اعلى البطن كانه مجروح بسكين . و يقل القي في هذا الوباء و يندر القي الدموي عند النهاية و يسرع التنفس والنبض في مدة الحمى . وفي الغالب يكون البول طبيعيًا وقد يكون اصفر غزيرًا . وكثيرًا ما يخرج دم من المثانة بتقدم المرض . وفي الغالب يكون قبض المعدة شديدًا والاسهال من العلامات الجيدة . وعند نهاية الحمى يكثر العرق و يرجع المطعون الى نفسه ولكنه يكون شديد الضعف . وبعد ابتداء الحمى ببرهة قصيرة او عند ابتدائها يشتد الوجع في اسفل البطن فوق الساق او في الابط او في العنق . وتورم الغدد الليمفاوية بسرعة عظيمة حتى انه كثيرًا ما يرى المصاب الورم عند ابتداء المرض ولم يطعن احد بدون ان تورم غدده واكثرها وربما غدد اسفل البطن ثم غدد الابط ويندر ورم غدد العنق . وفي كل حال تورم غدد جهة واحدة من اسفل البطن وقد تورم في الجانبين او غيرها ويندر ورم غدة واحدة في كل الجسم و يكثر ورم ٦ غدد في خط واحد حال كون احداها اكبر من سائرها ومنها ما يكون مستديرًا قدر الجوزة او بيضيًا قدر بيض الحمام . ولم تظهر الرقط الحمرا

الا في الذين كانوا يقضون نحبهم وذلك قبل الموت بساعتين او ثلث ساعات . اما الدمل فلم يظهر في هذه السنة في المطعونين غير انه ظهر في بعضهم في الربيع الماضي في ديوانية وعند الناس انه من العلامات الجيدة اما الموت فكان يحدث بعد الطعن بيومين حتى سبعة ايام والبقاء الى اليوم الثاني عشر من علامات النجاة . ومات من المطعونين في النصف الاول من زمن الطاعون في قرية من ٩٢ الى ٩٥ في المائة ولكن بعد ذلك كان يشفى اكثرهم . انتهى

ولا ريب في ان الذين يعرفون اوصاف الطاعون الذي ظهر في انكلترا سنة ١٦٦٥ واوصافه في شرقي اوربا عند ظهوره فيها وفي الشرق في بداية هذا القرن يتاكدون ان الوبا في العراق هو نفس الوبا الذي ظهر حينئذٍ

وبعد صيف سنة ١٨٧٥ اخذ الوباء في الاضمحلال في الجهة السفلى من الفرات غير انهُ عاد الى الظهور فيها في كانون الاول (ديسمبر) من السنة المذكورة . وكان مكان ظهوره بعيدًا عن المكان الذي ظهر فيهِ في اوائل السنة . فانهُ ظهر في قبيلة صغيرة من البدو من قايمقامية عزيزة في مكان يبعد ١٥ ساعة من الجهة الشمالية الغربية من بغداد على الضفة الشرقية من الفرات، وكان ذلك بداية وباء هذه السنة . وفي الاسبوع الاول من شهر كانون الاول (جانبوري) سنة ١٨٧٦ ظهر في الحلة وفي اواسط اذار (مارس) في بغداد وهذه هي المرة الاولى التي دخلها منذ سنة ١٨٢٤ . وفي اواسط هذا الشهر ظهر ايضًا في كفيل وهي تبعد خمس ساعات في الجهة الجنوبية من الحلة . وهي المكان الذي يذهب منهُ الزوار قاصدين نجف بقطع الاجمة الهندية . وفي نيسان (افريل) ظهر في الامام موسى بالقرب من بغداد . ومما يكاد يكون موكدًا ان اماكن اخرى في شمالي المقاطعة بليت بهِ سنة ١٨٧٣ وسنة ١٨٧٤ . اما عدد الذين ماتوا من المطعونين فهو غير موكد بسبب عدم انتظام التقريرات او من عدم الاركان اليها . ومات المطعون الاول في الحلة هذه السنة في اول كانون الاول (جانبوري) ومنهُ الى ٢٧ شباط (ففريه) مات بهِ فيها ٧٣ نفسًا وفي تقريرات تابعة انهُ مات ٢٤ من ٢٠ الى ٣٦ و٤٣ من ٢٧ الى ٣١ من اذار (مارس) و٥٦ من الى ٧ و١٥٩ من ١٥ الى ٢١ و١٤٨ من ٢٢ الى ٢٨ نيسان (افريل) (قد ذكرنا اعداد الموتى في الجهة في اوقاتها فلا لزوم للاعادة) . وقد تقرر في الاخبار الاخيرة انهُ قد ظهر الطاعون مرة اخرى في قوت العمرة من جنوبي بغداد على ضفة الدجلة . ولم يتاكد بعد ظهورهُ في مسقاط . وهذا هو الزمان الذي راينا فيهِ باختبار ان الوباء ياخذ في الاضمحلال الى ان يزول . فان ظهورهُ هناك في الشتاء يشتد في الربيع ويزول في الصيف . ومنذ ظهر اخذ في ان يدخل مكانًا مجاورًا للمكان الذي كان فيهِ ودخولهُ بغداد والحلة ونجف لا يجعلنا نعلق الامل بانهُ قد بلغ النهاية

الدول

قالت جريدة الكولون كازت الالمانية المشهورة ان انقسامات اوربا تجعلها تخاف سوء عاقبة التعديات الجديدة ومن المحقق ان الاحوال وافقت روسيا حتى انها اصبحت في مركز قوي كالمركز الذي كانت فيهِ في ايام الامبراطور نقولا الاول . وقد اصبحت المانيا امبراطورية قادرة غير انها تتذكر بشكر خدامات روسيا السابقة فتتجنب باجتهاد ما ربما كان يكدر الامبراطور الروسي . وطالما اجتهدت فرنسا في الحصول على صداقة روسيا مراعاة لغاياتها ومقاصدها

وايطاليا مشغولة بصعوبات محلية فليس لها من الزمان ما يمكنها من الاهتمام بالسياسة الخارجية ما لم تربح ارضًا صغيرة بذلك . ولا تقدر النمسا ان تضاد اجراآت روسيا في الدانوب السفلي ونراها تساعد روسيا حينًا بعد حين معلقة املها بما لا ينبغي ان تعلقه به وهو ان تحسب دولة سلافية ومسعفة للثائرين في البلاد العثمانية . فنراها اليوم تنظر الى الثورة في بوسنه كمصدر ذي خطر يضر بها فتطلب الى الدولة العلية ان تخمدها غير انها تسمح في الغدير ور سلاح للعصاة في بلادها وهكذا قد اضحت انكلترا وحدها تجاهر بالتكلم عن اجراآت روسيا وتستعد لان تمنعها عن اتمامها اذا مست الحاجة الى ذلك . ورجال سياسة انكلترا لا يرتضون بان يتظاهروا بانهم لا يرتابون في خلوص روسيا وصفا باطنها عندما يسمعونها تقول انها لا ترغب في ان تضر بصوالح الدولة العلية . فانهم يقولون ان روسيا هي روسيا وانهُ من التعدي على التعبير تمكين السرب والجبل الاسود من مساعدة العصاة والافتخار بذلك حال كونه يشار على العثمانيين بان لا يحملوا على امارتين متعلقتين بهم يرفضان الانقياد الى حكومتهم . وقد عمل رجال سياسة انكلترا على التكلم بحرية بهذا الشان فقد قالوا ان غايات روسيا ان تجعل الاصلاحات غير معتدلة انما هو لتشجيع العصاة والحاق عظيم ضرر بالدولة العلية . هذا ونحن نعلم ظروفنا المخصوصة السياسية والجغرافية فلا نطلب الى الحكومة الالمانية ان تضاد روسيا . على ان مركز الجرائد الالمانية غير مركز السياسة الالمانية . فلا يفرض عليها مراعاة حاسيانها ولذلك نقول بعد اظهار احترامنا للامبراطور اسكندر الثاني والثنا على الامور الكثيرة الجيدة التي جرت في ايامهِ اننا ربما كنا نرى لزومًا لازاحة الستار عن محاولات روسيا في الشرق . وربما كان ذلك اسعاف الحزب الذي يشور بالاعتدال في شورى روسيا . ولذلك قد جعلنا ختام كلامنا تحريرًا كتبهُ المرحوم اللورد بارلمستون وزير انكلترا الاسبق المشهور جدًّا وبعث بهِ الى البارون برونو سنة ١٨٦٣ وهو موافق للاحوال الجارية وهذا هو التحرير المذكور المتعلق بالثورة التي اهاجها البولونيون على روسيا

يا عزيزي برونو . انني متكدر جدًّا من الثورة التي قد اضرمت نيرانها في بولونيا وولايات اخرى من روسيا لان ذلك يوقع البلاد في ضرر عظيم . ولا ريب في ان رجالاً كثيرين من الذين يقدرون ان ينفعوا ابناء وطنهم البولونيين سيكفرون عن ذنبهم بالقتل او بالنفي المؤبد . غير انني بالنظر الى الحكومة الروسية احسب الثورة جزاء عادلاً اوقعهُ الله على روسيا بسبب المحاولات التي اقامت بها تلك الحكومة لاهاجة الثورة على السلطان في الفلاخ والبغدان والسرب وبوسنه في الربيع القادم . ومن المحقق ان هذه الثورات لا تزلزل لا روسيا ولا الدولة العلية اذا اضرمت نيرانها حاليًا او بالاصطناع . فان روسيا تعلم كيف ينبغي ان ترجع الراحة والنظام الى الولايات والباب العالي علم السرب وبوسنه ان الاوفق طاعة سلطانها فان ذلك افضل من الاصغاء الى تحريضات جارة ذات طمع من شانها ان تلقي في التهلكة . اما الان فروسيا تحتمل الاضرار التي كانت ترغب في ان تجعلها تحل على جارة لا تضر بها . والمقصود بهذا الكلام الاشارة الى مائة الف بندقية التي بعثت بها الحكومة الروسية خفيةً الى السرب وبوسنه والى جمهور من المهيجين الذين ارسلتهم ليهيجوا الثورة في الممالك العثمانية . ولو كان البرنس كورتشاكوف صديقي لكتبت اليهِ عوضًا عن ان اكتب اليكم واشكركم اذا بلغتموهُ التاثير الذي اثرتهُ فينا سياستهُ

(الامضا) بارلمستون

روسيا في الشرق

قد بعث مكاتب التيمس البروسياني بالرسالة الاتية ترجمتها وهي قد وقفت روسيا لتتامل . لانها قد رات انهُ لا بد من ان تطيل التروي والبحث قبل ان تقوم بامور جديدة بعد ان رات ان غرابة اشتغال مستمر في سنة قد تهددها بضياع ما حصلت عليهِ بما نشا عن التغيير السريع في الاستانة العلية . ومن المعلوم انها ربما كانت تربح بسياستها او تخسر . فانها ربما كانت ترجع اسباب النجاح او تقع في خيبة الامل . ففي الظروف الجارية لا بد من ان تتانى وتتروى لان رجال السياسة الروسية يتظاهرون بانهُ قد تقرر في عقولهم ان المشورات الاجنبية كانت نافذة في الاستانة العلية قبل التغيير وبعدهُ . وقد قال مكاتب جريدة الموسكوكازت الروسية المقيم في الاستانة العلية ان السياسة الانكليزية هي التي اهاجت الطلبة وقد قال مدير تلك الجريدة ان مكاتبهُ قد اصاب بذلك القول . وقد قال الروسيون ان ما جرى موافق لما اظهرتهُ الجرائد الانكليزية قبل جريهِ وليس مما يدعو الى التعجب وقد اخطاوا بما قالوا من ان الحضرة الشاهانية قد صممت على ترجيع الامور الى الاحوال القديمة وليس لانشاء حكومة ذات نظام جديد ولذلك لا بد من وقوع مغايرات جديدة . فهذا هو راى جريدة مشهورة روسية وزارية اما جريدة الروسكي ميروهي لسان حال الحزب السلافي في المامور يات وخارجها فتميل جداً الى الاجراات الحربية فلا تضيع الزمان بالتشكي والتذمر ولكنها تقول ماذا ينبغي ان نفعل بعد ذلك باثرى وقد تحزبت بالسياسة الروسية الرسمية لانها قد غلبت بتغيير في قصر الملك . وقد قالت المامول ان السرب والجبل الاسود تنظران وجوباً لتجريد السيف بدون تاخير بعد ان رات ان وزارة مفتخرة مستقلة قد قبضت على ازمة الامور في الاستانة العلية . وقد قالت ايضاً انهُ مقرر عندها انهُ اذا سمحت دول اوربا لها بان تحملا على الجنود الشاهانية بدون مانع واعتراض لا ريب في ان الفوز يكون لها . هذا ومن المعلوم اننا قد ابنا في كتاباتنا السابقة ان رجال السياسة في بطرسبرج عاصمة روسيا نحا نحو الجريدة المذكورة في الراي من هذا القبيل وبرهان ذلك انهُ لو كان قد تقرر في عقولهم ان الامارتين الموما اليهما قادرتان على ان تثبتا في قتال الدولة العلية الممتنعتا عن المجاهرة في الحرب . ولا افتقروا الى ان يسمحوا لها بالاجراات الدقيقة الحربية الجارية وهي ان تحارب الدولة العلية خفية اي بدون اشهار الحرب حال كونهم اي رجال روسيا السياسيين يصونونهما من حملات الجنود العثمانية مدعين ان ذلك مراعاة للسلام . ولا التزموا بان يلقوا المجبورين على الاتحاد معهم في قلق بالزامهم بان يتظاهروا بان سياسة روسيا خالية من الغرض لانهم لم يكونوا قادرين ان يمنعوا نفوذها والعالم اجمع يرى المقاصد المستترة بها . ولا التزم رجال سياسة روسيا بان يعرضوا انفسهم للتهمات التي اتهموا بها وهي انهم قد رجعوا الى مقاصدهم الماضية بتدبيرات جديدة ناشئة عن حذق يفوق حذق الذين اقاموا بالوسائل السابقة . وذلك بعد ان صرحوا باعلى الاصوات تكراراً انهم قد عدلوا عن سياستهم التقليدية القديمة . اما الان فقد صادفت تلك التدبيرات فشلاً وهي صادرة عن المقاصد المذكورة والسياسة العثمانية الماضية مكنت روسيا من ان تتعدى عليها بدون ان تحاول الدفاع ولذلك اغتاظ العثمانيون منها فخلعوا سلطانهم واقاموا سلطاناً ذا همة واقدام . واذا سمح للثائرين بان يقيموا امارات سلافية جديدة في البلاد العثمانية لا سبيل الى القيام بذلك باستمرار حرب مع

المحافظة على امنية الذين يقومون بها والذين يهجونها بمساعداتهم والذين يحاولون اخمادها مع ابعاد خطر المضادات الاوربية والمداخلات وقد صممت الوزارة الجديدة العثمانية على ان تخضع السرب والجبل الاسود اذا لم تمنعا رعاياهما عن ان يقوموا بالتعديات والحروب في البلاد العثمانية الثائرة حال كونهما لم تشهرا الحرب رسميًا . وستحدث مقاومات كثيرة وربما كانت تتسع بها الاضطرابات الجارية . وقد سر المتحزبون للسلاف بذلك حتى انهم يكادون يثنون على الدولة العلية لانها صممت على تشديد المقاومة غير ان الحكومة الروسية تفضل مجانبة هذه الحال ولا سيما لانها التزمت بان تقبل بها على غير انتظار . فان عظمة السلطان مراد قد خربت الدائرة التي كانت مصممة على ان تفوز بان تجعلها مستبدة . وبظهور عظمته على غير انتظار لا بد من القيام بتدبيرات جديدة واعادة ما كان قد تم . وسبب تاخرها في الاجرا انما هو الارتباك الذي نشا عن الحال التي باتت فيها وتصميمها على ان لا تقوم بدون تروٍ بما اقامت بوسنة ١٨٥٤ عندما فتحت حرب القرم . فالحوادث في الشرق قد جاءت بكل اوربا الى ميدان العمل ولم تبق الحرب اجراآت العائلة السلافية . فان كل اوربا تهتم بها ولا بد من التامل في كل ما ربما كانت كل دولة تقوم به . وكل الدول عاملة على ضبط اعمالها . ولا ريب في ان رجال السياسة الروسية قد تكدروا جدًا بما جرى مؤخرًا واغتاظوا ومع ذلك لا تزال تصرفاتهم موسسة على التروي والحذر . ولا بد من ان تظهر الاضطرابات في يوم من الايام وما من احد يعلم زمانها غير ان السكون الحالي تام

روسيا في اواسط اسيا

قالت جريدة التيمس ان تقدم روسيا تدريجيًا في اواسط اسيا من الامور المدهشة لان الظاهر انه تقدم لا سبيل الى منعه ولذلك كثيرًا ما ننسى الصعوبات والاثقال التي تجمع بازدياد كل ما تقدمت خطوة . اما سياستنا الانكليزية المتعلقة بالبلدان الغير المتمدنة وهي ان تسمح للتجار بان يدخلوها على مسئولية انفسهم متجنبين بقدر الامكان مصاريف انزال جنودنا فيها ومخاطره ومع ذلك كثيرًا ما نرى انفسنا ملزومة بان نقوم بسياسة غير موافقة لاشغالنا الامينة واميالنا المحبوبة عندنا وفي هذا الوقت قد اظهرنا انتصار سياسة الضروريات على التصميمات في الحرب التي اقمنا بها في مالاي على غير ارادتنا . ومن اشد الظلم ان نتهم روسيا بالشر لانها تلتزم بان تنقاد على الدوام الى نفس القوات التي نرى انفسنا ملزومة بان نخضع لها . ومن اهم الامور المتعلقة بالسبل التي تسلكها روسيا وانكلترا في اسيا معرفة هذه الحقيقة وهي انه اذا اشتدت مخاطر التقدم لا تكون قدر مخاطر التقهقر في اواسط اسيا فانه ياتي بالخراب . لان قوة اوربية صغيرة حافظة مركزها في وسط الاسيين المضادين بشهرتها الادبية وبقوتها الفعلية التي تزيد عن قوة تلك الامم . فالتقدم يزيد الخوف فيها والرجوع يحمل القبائل على الاستخفاف فانها لا تخضع الا خوفًا من نفوذ الدولة الفاتحة واقتدارها على التاديب

فبالنظر الى ذلك قد اصبحت احوال روسيا في اسيا كاحوال انكلترا فيها غير ان المشابهة تنتهي هناك . فان انكلترا غنية وروسيا فقيرة بالنسبة اليها فالمستعمرات الانكليزية تقوم بمصاريف حكومتها حال كون الولايات الروسية في اواسط اسيا تسحب على الدوام المال من خزينة الدولة الروسية وتزيد هذه المصاريف بازدياد البعد بينها وبين بطرسبرج ولو كنا في افتقار الى براهين تدل على الصعوبات

التي تحدق بروسيا في تقدمها في اسيا لتمكنا من الحصول عليها بالاطلاع على تقرير الكولونل فينكوف المتعلق بالطرق الحديدية التي ترغب روسيا في انشائها وفي اثناء التكلم عن بعضها قد قال انها ستمر في فيافي غير مسكونة فلا تنقل فيها غير بضائع قليلة وانها تكون عرضة للثلوج التي ربما كانت تعيق مسيرها في الشتاء . وقد قال ومع ذلك لابد لروسيا من ان تقوم بها . فانها في احتياج اليها لتتمكن من تثبيت اقدامها في تركستان والا فتلتزم بان تملاها بالجنود التي تزداد مصاريفها كل يوم . انتهى . والمقصود ان مصاريف الجنود الروسية في اسيا عظيمة جدًّا وعلى ازدياد حتى انه من الممكن ان تخفض بانشا طرق حديدية لاتاتي بثمرة من الاعمال التجارية . فلنفرض انه صار انشا الطرق الحديدية اللازمة حتى اتصلت بحدود الهند لاتصل وسائط روسيا الهجومية مع كل ذلك الى ما قد اتصلت اليه وسائطنا الدفاعية . ولا يخفى ان انشا طريق حديدية مارة في فياف وبلدان تقطنها قبائل متوحشة هي بالفعل اقل نفعًا بمراحل كثيرة من مراكب عظيمة تجارية تسلك البحار حال كونها الدولة سائدة على البحار فما من نسبة بينهما . فالطرق الحديدية عرضة للتعطيل في كل مركز واقل الاقوام يقدرون ان يعطلوها بتكسير اذرع قليلة من خطها الحديدي او هدم جسر فهذا يوقف حركة كل المركبات . واذا فرضنا انتشاب حرب بين روسيا ودولة قادرة ان تهيج القبائل الموجودة في بلادها تلتزم ان تقيم رجلين ليحرسا الطريق لتتمكن من ايصال رجل واحد الى غايتها . وفضلاً عن ذلك ليست الطرق الحديدية وسائط جيدة جدًّا لنقل الجنود والمهمات بالنسبة الى المراكب البحرية . فانها ملتزمة بان تمر في طريق واحد ولا يقدران تتخلص من الهجوم . والجنود في المركبات يقاسون اتعابًا عظيمة ولا يقدرون ان يدافعوا عن انفسهم ولا يمكن نزول غير عدد قليل منهم في وقت واحد في محل معين لا يكون العدو قادرًا ان يتصل اليه . ويحتاجون الى الماء والفحم الحجري ولذلك لابد من ان تصير تهيئتهما في الاماكن المناسبة . واذا وقع ما منع القيام بذلك تبهت الطريق كلها لا تصلح لسير المركبات . وهي تسير بسرعة تزيد عن سرعة مسير المراكب غير انها لا تستغني عن الوقوف كل ما قطعت مسافة ليست بطويلة مع ان المراكب المعينة لنقل الجنود لا تنقطع عن المسير وتقدران تقوم بالدفاع عندما تمس الحاجة اليه . ويكون الجنود فيها غالبًا في راحة كما لو كانوا في منازلهم البرية . وغرق مركب ياتي بهلاك فرقة فقط ولا يوقع الارتباك في الجيش كله اذا اقيم بالاستعدادات الكافية . وفي المراكب كل ما يلزم للمسافرين اياماً كثيرة فلا تلتزم ان تمر الا بمحلات قليلة محصنة . وباتقان الاستعدادات يمكن تركيب جيش في مراكب بسرعة املاء رتل واحد بالجنود والفرسان . وتنزيل الجنود الى البر ولو كان لدولة مضادة مهما تقدر عليه الامة السائدة في البحر لانه اذا منعت في جهة تقدر ان تسيرها الآن الى جهة اخرى بسرعة فلا يقدر الجيش البري ان يتبعها ليصد نزول الجيوش . وقد اطلنا الكلام لنبين ان اسباب اتصالات روسيا تكون دون اسباب اتصالاتنا ولو انشات طرقها الحديدية لان الظاهر ان اكثر الناس يظنون ان الواقع يكون بالعكس وانه اذا انشات طريقًا حديدية او طريقين في اواسط اسيا تتمكن من ان تجمع بها للحمل على الهند جيشًا يجعل فرائصنا ترتعد عند التامل فيه خوفًا على امبراطوريتنا الشرقية .

هذا وقد فرضنا ذلك مع انه لا بد لروسيا من ان تقوم بانشاء الطرق قبل ان تتمكن من جمع جنودها . وقد استهزا الكولونل الروسي بالطرق

التي خططها موسيو دي لسبس وموسيو بارو لانهُ لا بد من ثقب ٧ جبال من سلسلة جبال ها لة للقيام بمشروع موسيو دي لسبس واستقراض ١٨٠ مليون ريال مسكوبي للقيام بمشروع موسيو بارو . وقد قطع الكولونل المذكور النظر عن انشاء طريق عامة دولية وهو من علماء الجغرافية الرسميين ولا ريب في انهُ جامع من المعلوميات ما لا مزيد عليهِ وقد قرر في عقلهِ انهُ لا سبيل الى انشائها بمال الانكليز وتشغيلها بتجارتهم . ولا نعدل عن ارسال بضائعنا عن طريق ترعة السويس الا عند انشاء طريق سهلة قليلة الاجرة ولا سبيل الى انشاء طريق كاملة الا بالمرور باجبال ووديان وقياف فضلاً عن مرورها ببلاد التركمان المضادين لروسيا او بنقل البضائع لقطع بحر قزبين . ولا تمر ببلدان فيها سكان كثيرون للحصول على اشغال تجارية كافية لتعويض الخسائر المالية التي تتكبد لانشائها وتشغيلها . والصعوبات التي تحول دون كل طريق كثيرة حتى ان ذلك العالم الجغرافي قد قال انهُ لا سبيل الى انشائها في ايامنا . وبعد ان بحث عن مشروعات ليست بناشئة عن مطامع كالاخرى لانها توصل حدود روسيا بتسقند يصرف النظر عنها . كلها خلا طريقين احدهما من اكاترنبورغ والاخرى من اورنبورغ . وقال انهُ ربما كانت الاولى تاتي بارباح ولذلك ينبغي ان تترك المشروعات المخصوصة . والثانية لا تكفي مداخيلها لمصاريفها ولكنها ذات فوائد حربية اي انها تصلح لنقل الجنود والزاد للمحافظة على فتوحات سابقة او للقيام بفتح جديد . فهذه هي الطريق التي قرر ذلك الكولونل انهُ من واجبات الحكومة الروسية ان تشرع فيها لئلا تخسر ما فتحتهُ او تلتزم بان تحافظ عليهِ بتكبد مصاريف مضرة . ولا بد من ان يصرف الجهد في سبيل التوفير بجعل الخطوط ضيقة ودقيقة وتقليل المحطات وضرب خيام كرجية للحراسة عوضاً عن بيوت مبنية بالحجر . وقد راينا انهُ لا تقدر الحكومة الروسية ان تقيم طريقاً حديدية للانتفاع الحربي ما لم تكن مداخيلها غير كافية لمصاريفها فلا تنفع التجارة ولذلك تكون كطريق مركبات الافراس

وهكذا راينا بعد التامل والتروي ان هذا كل الخطر العظيم الذي يتهدد بلادنا ونتيجة جميع المشروعات التي اقيمت لوصل اوربا بالهند . ولا ريب في ان قوة روسيا في املاكها الجديدة تتقوى قليلاً بالاكتفاء بجنود قليلين في تركستان غير انهُ لا يرى احد في ذلك خطراً على املاكنا الهندية ما لم يكن جبنهُ عظيماً لان عندنا في الهند جنوداً عددها اربعة اضعاف عدد جنود روسيا في اواسط اسيا وطرقنا الحديدية واسلاكنا البرقية وبلنا الممهدة تامة وحدودنا يحرسها اهالي جبال احرار باسلون . ومن الممكن ان ترى الحكومة الانكليزية نفسها ملزومة بان تعارض روسيا اذا شاءت ان تتقدم الى محلات مخصوصة غير انهُ قرر في عقلنا ان الحرب لا تنتشب بين روسيا وانكلترا في الهند بسبب المسئلة الشرقية في هذا القرن ولا نقول في القرون الآتية ايضاً . واذا اصيب التمدن بمصيبة وقوع حرب بين الدولتين ما من شيء احب الينا من ان نرى روسيا تصرف قوتها في ارسال جنود لتحمل على املاكنا الشرقية لاننا نعلم ان تعبها يذهب سدى

الجلوس الهايوني المانوس

قالت جريدة التيمس انهُ قبل ان خرجت الاستانة العلية من الدهشة التي وقعت فيها بسبب خلع حضرة السلطان عبد العزيز خان صدر فرمان عالٍ من خلفهِ باسم حضرة الصدر الاعظم متضمن قواعد سياسة الحكومة الجديدة والمقصود منهُ تبيين اصابة الخلع الذي جرى في الداخل وحمل اهالي

البلدان الخارجية على الاشتراك معها بالحاسبات وعلى ان تميل الى الثاني . وقد صار الفوز بالمرغوب . ومن المعلوم انه لو لم يأتِ كلام حضرة السلطان الاعظم الجديد بما حمل الناس على السرور بالتغيير لقلنا بان ذلك الكلام جاء في غير محلهِ . وقد راى العالم ان خلع المرحوم السلطان عبد العزيز ابتدا احوال جديدة تخلص السلطنة من التقصيرات الماضية والارتباكات والفساد ولو لم تبلغ درجة الكمال . ولم تخنج الحضرة الشاهانية للحصول على الميل العام الذي يفوز بهِ سلطان جديد قد تبوأ تخت الملك في وسط المخاطر الا بنشر فقرات قليلة متعلقة بما قد علق الناس آمالهم بهِ . وقد ظهر لنا بقراءة ذلك الفرمان اننا لم نحصل الا على قواعد عامة غير ان ذلك ضروري بالنظر الى روح الفرمان ومصادره والظروف ولزوم المحافظة على روح الكتابات السلطانية . والابهام من الامور المرافقة لمنشورات الملوك العظام . ولا يخفى انهُ اذا نشرت ملكتنا في خطابها البراهين والتفصيلات يستغرب الناس ذلك بل ربما كانوا يقولون انهُ غير موافق للنظام ولا ينتظر من السلطان الذي جلس على تخت دولة قد باتت في اشكال بالتبذير والثورات ونسبة اعظم الدول الحربية اليها ان يجدد سياستهُ ويقرر تفاصيل اصلاحاتهِ . ولا بد من ان يشغل الناس برهة بالتخمينات وان يكون ميلهم ناشئًا عن اركانهم وليس عما يرونهُ بالعين ان السلطنة السنية في مشاكل ناشئة عن سوء الادارة . فهذا هو استهلال الفرمان العالي وهو صريح ولازم فان ذلك هو سبب خلع سلف حضرتهِ الشاهانية وجلوسهِ على عرش السلطنة . وليس ذلك بدون اهمية لانهُ اعتراف بان اللوم الماضي الخارجي والداخلي وكان في محلهِ . لان التجار والفعلة في العاصمة والفلاحين في الولايات والمامورين والجنود والملاحين الذين يدافعون عن السلطنة قد راوا ان السياسة الماضية امست من الامور الغير المحتملة . ولا يلزم ان نذكر التنكيتات الاجنبية . غير انهُ لم نسمع قط اقرارًا من مصدر رسمي في الزمان الماضي . على ان الحضرة الشاهانية قد قالت بكلام عام مفيد يليق بها انهُ قد وقعت تقصيرات ادارية وقد وعدت بقطعها وهذه هي العبارة المتعلقة بذلك وقد عرف الناس اجمع ان ما طرا من مشكلات الاحوال على الدولة في امورها الداخلية والخارجية ولد في افكار العامة قلة الامنية فافضى ذلك الى مضرتهم مالاً وملكًا وتنوعت بناءً عليهِ اشكال عدم استراحتهم . انتهى . وقد قلنا منذ برهة ان من الاسباب الاولية التي جاءت بالتغييرات الاخيرة الغيظ من الاحوال المالية والخسارة التي وقعت على الناس بسبب تدبيرات حضرة محمود باشا ففتحت اعين اهل العاصمة فراوا نقائص الامور الجارية باعمال السلطان السابق ولذلك قد جعلت حضرة الشاهانية الاشارة الى ذلك في مقدمات الكلام وقد قال في ذلك الفرمان فكان من الواجب ان نتخذ على الفور طريقًا لاستئصال هذه الحال واصلاحها تامينًا وتنشيطًا للمملكة وعموم تبعة الدولة في صورة تكفل ماديًا ومعنويًا بسعادتهما وسلامتهما ولا شك ان هذا يتوقف على تاسيس اصول ادارة الدولة على اساس صحيح ومتين . انتهى . ومن المعلوم ان صعوبات هذا الزمان ناشئة عن الخلاف الجاري بين الرعايا النصارى الساكنين في شمالي المملكة وبين الدولة العلية حتى تحول الى عصيان ولذلك نمعن في الكلام المتعلق بالتبعة الغير المسلمة . ولم يذكر المسيحيون بالتخصيص وهذا من المنتظر وهذه هي الفقرة المتعلقة بذلك لتكون كافلة لعموم رعيتنا السلطانية التمتع بتمام الحرية بدون استثناء . انتهى . وبعد هذه الفقرة عبارة اخرى عمومية غير مفصلة في الاصل ولا في الترجمة الفرنساوية وهي توهلهم لانواع الترقي

وتميل كل فرد منهم الى الاتحاد با لفكر والنية على المحبة والمحافظة على الوطن والدولة والملة فيبادرون (اي الوكلا) الى الاستئذان لما يقرعليهِ القرار . انتهى . وقد قلنا اننا لا نميل الى التشكي من تعميم الكلام ما لم نرَ ان المقصود منه اظهار غير ما يجري . وقد رات الدول الاوربية ان ذلك الفرمان يبين الرغبة في تقرير اصلاحات تقطع التذمر المحلي والصعوبات التي تقع حينًا بعد حين . ولا ريب في انها تفرغ جهدها للوصول الى المرغوب من هذا القبيل وكل منها تفسر الحرية التامة المذكورة في ذلك الفرمان بما يوافق الراي العام في بلادها . ولا بد من ان نقول ان في السلطنة العثمانية فرمانًا سلطانيًا اخر مذكورًا في معاهدة سنة ١٨٥٦ وقد ذكر فيهِ النصارى بالتخصيص وهو متضمن كل ما راى رجال السياسة في ذلك الزمان انهم في احتياج اليهِ وفيهِ ان تخلص الدولة العلية من الحرب التي كانت قد قاربت النهاية بداية عصر جديد وهو صادر من ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان وهذه هي الفقرة المتعلقة بذلك . ومن نوايانا الشاهانية ترقية اسباب سعادة كل تبعتنا وهي عندنا متساوية ومتساوية ايضًا في المعزة عندنا وبعضها مربوط بالبعض الاخر برباطات حب الوطن

اما الفرمان العالي الحالي فهو اظهار كيفية انفاذ الفرمان الاول . على اننا نكتفي الان بالقول اننا نرى الحضرة الشاهانية تنظر مرة اخرى الى التبعة النصرانية ولذلك نود ان تنظر الى الاحوال ومعها وكلا السلطنة السنية بحسب الاختبار المجموع في السنين العشرين الماضية . وقد ظهر بالفرمان الاول ان التخلص من الحرب سنة ١٨٥٦ عصر جديد وبالفرمان الثاني ان جلوس حضرة السلطان مراد الخامس الاعظم ابتدا عصر جديد وبمراعاة احتياجات الزمان ياتي الثاني بما لم ياتِ بهِ الاول . ولا ريب في ان المشيرين العارفين بالامور يتحققون انهُ لا ثبات لنظام سياسي ما لم تكن كل الرعايا ذات حقوق واحدة في التبعية والحرية الشخصية وحب الوطن . وما تقرر في ذلك الفرمان السلطاني عن المالية ليس باكثر تفصيلاً من الكلام المتعلق بمساواة الرعايا غير انهُ مقرر عندنا ان الوعود في هذا المقام تكون متبوعة اكثر مما كانت في الماضي لان المال قليل والتوفير من الضروريات وليس من الفضائل . وقد سررنا مراعاة لصالح الدولة العلية بانتها الاستقراض الغير المعتدل الذي فتحت ابوابهُ باركان اهالي اوربا فيعود الباب العالي الى عدم غروشو كما كان يعدها في الايام الماضية البسيطة التي لم يكن يعرف الاستقراض فيها . وقد ترك عظمة السلطان مراد بعض التعيينات التي كانت لسلفهِ ولنوطد الامال بان هذا التعميم الممدوح برهان على انهُ لا يصير العود الى الماضي . واذا ابان الملك انهُ يضحي صوالحهُ للصالح العام يسهل قطع مطامع المامورين

انكلترا والدول

قالت جريدة التيمس في كل يوم نسمع تخمينات متعلقة بتاثيرات تصرفات الحكومة الانكليزية في سياسة الدول الاخرى وتصرفاتها . وقد ادرك الناس بعض الواقع . ولا يلزم تدقيق النظر لنرى ان الفرنسويين متاسفون لانهم راوا ان حكومتهم اسرعت في تاثر الامبراطورين الثلث . ونظن ان اسفهم صادر عما يرونهُ من ان تصرف انكلترا المستقل قد ابان لهم ان المبادرة الى تقرير ما طلبت الدول الثلث تقريرهُ بدون تروٍّ كافٍ ناشيءٌ عن ضعف العزم اكثر مما هو صادر عن اختلاف الاراء بينهم وبين فرنسا والنمسا والمانيا على نفس المسئلة الشرقية . وقد قال موسيو جون لموان الكاتب المشهور

الفرنسوي في جريدة الدبيا قد راينا ان انكلترا قد انفذت غاياتها بحذق وعزم ثابت وتاسف لان حظ فرنسا الحالي لا يمكنها من ان تجعل تصرفاتها قاعدة في الاعمال . انتهى . فهذا مال كلام الفرنسويين ومعناهُ ظاهر ولذلك المظنون ان فرنسا لا تقبل من الان وصاعداً بان تسلم بنفوذ ادعاءات الامبراطورية الثلث التي ادعت بانهُ يحق لها ان تقرر امور الشرق وان تكتفي بان تدعو الدول الغربية الى ان تقبل بتقريراتها رسمياً قاطعة النظر عن الارتباكات والتاثيرات التي تركتها فيها الحرب الاخيرة . والظاهر ان ميل الفرنسويين بات معروفاً عند الاجانب معرفة تفوق درجة تاكيداتهم . وقد قالت جرائد اواسط اوربا انهُ لا ريب في ان فرنسا تظهر في الميدان السياسي باتحاد معلوم معقود بينها وبين هذه البلاد وانها ترغب في ان يكون تظاهرها معنا اعظم من تظاهرها الحالي غير ان صوالحها السياسية تحملها على ان تمتنع عن فعل ما يبعد روسيا عنها . واذا نظرنا الى احوال النمسا نرى فيها نفس هذا الميل غير ان اتصالها بالامبراطوريتين الشماليتين شديد جداً وقريب حتى انهُ ربما كان لا يظهر مركز الابتعاد . وربما كان يعود الامبراطورون الثلثة ووزراؤهم الى المفاوضة ويقررون ما يقبل بهِ كل منهم بدون ان ياتي بما يرغب فيهِ احدهم . واذا نظرنا الى هذا الامر نظراً عمومياً نقول انهُ قد جرى تغيير مهم اصلي في الاسابيع القليلة الماضية لانهُ قد ظهر اكثر من الاول ان روسيا هي التي تقوم بسياسة ثورات في الشرق وبجري الحوادث امست منفردة اكثر من الاول في سياستها . فان روسيا هي التي جعلت امارة السرب والجبل الاسود تجهزان جنودها وتجعلانها متاهبة للقتال . وبسياستها تغير السلطان العثماني ورجال روسيا قد ارسلوا ليضرموا نار السلاف والجمعيات الروسية تجمع النقود لابتياع الاسلحة لهم وجرائد روسيا توسع الامر وتهيج الناس . ولذلك نقول ان الذين يرغبون في ان يقرروا تسوية سريعة عليهم بان يخابروا روسيا ويعاملوها . وقد قيل ان روسيا هي التي اطالت زمان الثورة لالحاق الضرر بالدولة العلية ويقال ايضاً ان تغيير السلطان جاء بخيبة السياسة الروسية ولذلك ربما كانت روسيا تقوم باجراءات اخرى

هذا ومن الواجب ان نقر كل الاقرار ان بين السياسة الروسية والانكليزية في الشرق مناقضة فعلية غير ان حذق الروسيين يجعلهم يغيرون سياستهم بحسب الاحوال ولا نظن ان مشيري حضرة امبراطور روسيا يقومون بمضادة فعلية لتسوية الامر بحسب رغبة اوربا كلها . ولا تقدر روسيا ان تستند الا الى اتحاد المانيا لانفاذ غاياتها في الشرق وقد ظهرت امور كثيرة تبين بها ان الالمان لا يرتضون بان يسعفوا جيرانهم الروسيين في ذلك . فلا نعجب اذا سمعنا روسيا تقول ان نواياها معتدلة وانها تشور بالاعتدال على الذين لها نفوذ عندهم . وستبنى اجراءاتها متعلقة بالدول التي كانت متحدة معها . وهذه عبارة عن التصميم على القبول بما تقررهُ دول اوربا . ولا نرى سبيلاً لسياسة اخرى مادامت الدول الاخرى مضادة لها . ومهما كانت نقائص حرب القرم قد نشا عنها حاجز مادي بين روسيا والدولة العلية . فان الفلاخ والبغدان اقيمت امارة لها استقلال عظيم تحت رياسة برنس من عائلة المانية عظيمة وهي تحت حماية اوربا وقد اعطي منصب الطونه لها وكل اواسط اوربا تهتم بالمحافظة عليها ولا يقدر ان يتصل جيش روسي الى الممالك المحروسة بدون التعدي على الفلاخ والبغدان وجعل روسيا مسئولة تجاه اوربا . وعندما امر الامبراطور نقولا جيشهُ بقطع البروث اوقع الرعب في قلوب العالم

ومهد سبل صدمه . والمخاطر التي تحدق باعادة ذلك العمل مزدوجة . والبوسفور مفتوح لقوة بحرية عند فتح الحرب فلا تقدر روسيا ان تنقل جنودها بحرًا فما من باب مفتوح للهجوم غير باب اسيا وفي الحال دون ذلك صعوبات كثيرة وربما كان لا ياتي بالنتيجة المرغوبة فان وسائط الاتصال غير تامة . وهكذا قد ظهر ان منح الاستقلال لتلك الامارة جاء بغرض الدول التي قررته ٭

فالحوادث الحالية قد بينت ان دولة واحدة غير قادرة ان تغير تصميمات جيرانها وهذه علة زوال اعظم الصعوبات الماضية . ولا يلزم ان تقوم الدول الاوربية بالاجراءات لان كل تغيير في داخلية الممالك العثمانية يسوق الى انفاذ المشروعات الروسية . اما الان فاجراءات تلك الدول النافذة راسًا قد توقفت لتتمكن الحكومة الجديدة في الاستانة العلية من التامل والتروي لتقوم بالاجراءات الاساسية التي تنشا عن الخروج من تغيير . واليوم قد بلغتنا الاشارة الاولى المتعلقة بالسياسة الجديدة . ولم يبلغ قرار الدول الخمس وهو الذي تتضمنه لائحة البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول الى الدولة العلية غير انها عالمة بما لها ونعلم ايضًا المشورة التي صمم الدوق ديكاز وزير خارجية فرنسا على ان يشور بها عليها وقد عزم الباب العالي على ان يمنح الذين يخضعون من العصاة عفوًا ويمنح ايضًا هدنة ستة اسابيع (لم تقبلها العصاة) بشرط المحافظة على الحركات اللازمة لجميع الجنود في المراكز الموافقة وحمل الزاد الى نكسك . واهمية هذه المنحة ليست بظاهرة كالها . ومنح العفو للذين يدخلون ربقة الطاعة لا يجعل الامور في مركز فوق المركز الذي نشا عن لائحة الكونت اندراسي ولكنه يجعلها في مركز دون ذلك المركز فاننا لا نسمع عن ترميم البيوت واعطاء الماشية وابطال الاموال الاميرية

واذا قلنا ان الباب العالي لم يعدل عن القيام بمنح المرحوم السلطان السابق نقول انها لم تذكر . وليست الهدنة لشهرين بحسب مال لائحة برلين وليس في شروطها الامتيازات التي تقررت للعصاة فيها بدون مراعاة العدل غير ان ستة اسابيع كافية للوصول الى المرام اذا كانت الحكومة العثمانية راغبة في تقرير شروط للصرف وكذلك العصاة والانتفاع بالمدة المذكورة لتقريرها اياول الى تسوية يتوقف على روح السياسية العثمانية وروح المشورة على العصاة . وقد قبل الباب العالي رسميًا بمشورات الحكومة الفرنسوية وخابر العصاة لتقرير تسوية على انه ربما كان الباب العالي لا ينتظر نجاح مخابراته اولا يرغب كثيرًا في ذلك لانه ربما كان مغررًا في عقله انه قادر على اخماد نيران الثورة بالقوة بدون ان يقع عليه تعد من وراء الحدود . والهدنة قد جاءت بالزمان الكافي للتامل وربما كانت مداخلات جديدة تاتي بالمرغوب الصلحي قبل نهايتها

الفرمان العالي الشان

قد نشرنا ترجمة هذا الفرمان السلطاني في الجنة عن الفرنسوية وقد وردت الينا الترجمة الاتية الرسمية وهي من قلم سعادة خليل افندي ايوب ترجمان الباب العالي فننشرناها في الجنان

وزيري سمير الحمية محمد رشدي باشا

انه لما وقع الان بارادة جناب مالك الملك الازلية وباجماع الرعية ورغبتها جلوسنا على تخت اجدادنا العظام جددنا ابقاء خدمة الصدارة في عهدتكم اعتمادا على ما جرب من رويتكم وحميتكم واقررنا جميع الوكلاء والمامورين في مامورياتهم وخدمتهم وقد عرف الناس اجمع ان ما طرا من مشكلات الاحوال على الدولة في امورها الداخلية والخارجية ولد في افكار العامة قلة الامنية فافضى ذلك لمضرتهم مالا وملكًا وتنوعت

بناء عليه اشكال عدم استراحتهم فكان من الواجب ان نتخذ على الفور طريقاً لاستئصال هذه الحال واصلاحها تامينًا وتنشيطًا للمملكة وعموم تبعة الدولة في صورة تتكفل ماديًّا ومعنويًّا بسعادتها وسلامتها ولا شك ان هذا يتوقف على تاسيس اصول ادارة الدولة على اساس صحيح ومتين وهو الذي ما برحت افكارنا محصورة في النظر اليه ونوايانا معطوفة عليه فلهذا كان جل ماثورنا الخالص اولاً اجراء الاحكام الشرعية وتقييد ادارة الدولة العمومية بقوانين قوية موافقة لنفس الامر ولقابلية الاهالي فيقتضي والحالة هذه ان يتذاكر الوكلاء في كيف يلزم ان تكون تلك القاعدة السالمة الثابتة وماهو الاساس الذي تبنى عليه لتكون كافلة لعموم رعيتنا السلطانية التمتع بتمام الحرية بدون استثناء وتوهلهم لانواع الترقي وتميل كل فرد منهم للاتحاد بالفكر والنية على المحبة والمحافظة على الوطن والدولة والملة فيبادرون للاستئذان على ما يقر عليه القرار ثانيًا ان المهم اللازم نظرًا لهذه النية الاساسية انما هو تجديد تنظيم نظارات وادارات شورى الدولة والاحكام العدلية والمعارف العمومية وامور المالية وسائر المأموريات فينبغي اذًا النظر في تنظيم ذلك بالتتابع ثالثًا لما كانت المصالح الاميرية هي احدى الاحوال المعظمة التي اوقعت امور الدولة في اشكال كان من الواجبات وعلى حساب ماسيشرع به من التنظيمات ادخال المعاملات المالية تحت التامين اي انها تربط بقاعدة وثيقة وتوضع تحت نظارة قوية تمنح العموم تامينًا على عدم وقوع مصروف خارج عن الميزانية واعانة لهذا التدبير قد نزلنا من تخصيصات خزينتنا الخاصة ستين الف كيس وتركنا كذلك الى خزينة المالية ادارة معدن الفحم في اركلي وسائر المعادن وبعض المعامل وحاصلاتها باجمعها فبناء عليه يلزم الاعتناء كذلك باجراء مثل هذه التعديلات والتصرفات في سائر الجهات تسيلاً ولحصول الموازنة في الامور المالية رابعًا فلتدم كافة معاهداتنا مع الدول المتحابة مرعية الاجراء ويصرف الجهود بتاكيد الحب والموالاة وتزييد المصافاة فيما بين دولتنا العلية وجميع الدول فنسال جناب الحق المعين ان يوفقنا للخير اجمعين

الانسان في اوربا

(من قلم سليم افندي بستاني)

قد ذكرنا في الاجزاء الماضية من الجنان امورًا اولية كثيرة عن الدنيا وازمانها واحوالها قبل ان خلق الله سبحانه وتعالى الانسان فيها وعندما خلقه بعد خلق الكائنات العضوية والغير العضوية ولما كانت استفادة اهل هذا الزمان معاشيًا بالامور التاريخية المتعلقة بحركات الامم ونموها ونسبة بعضها الى البعض الآخر لاتتم الا بالاطلاع على احوال الانسان في ازمان ماضية وكانت اوربا في الحال اكثر قارات العالم تمدنًا كان من المفيد النافع الاستناد الى اشهر المؤلفات لوصف احوالها واحوال اهلها قبل ان وصلوا الى ما قد وصلوا اليه فنقول

ان اوربا شبه جزيرة عظيمة ومن القارات التي كانت تابعة للقارة الاسية وهي قارتنا وهي موسسة على الثلث الغربي من محور سلسلة جبال عظيمة ممتدة بتقطع وعدم انتظام من بحر يابان الى خليج بسكاي . وعلى جانبي هذه السلسلة احادير متجهة الى الجنوب وهي اشباه جزائر وسهول متسعة ممتدة الى الشمال واعلى مكان فيها جبل بلانك وارتفاعه ١٦ الف قدم فوق سطح البحر والانحدار الاحدوري الجنوبي اقصر من الشمالي واكثر تحديرًا منه . وسهول اسيا المتسعة جدًّا ممتدة طوليًا مارة في المانيا وهولاندا حتى انه يتيسر لجيش ان يسير من سواحل المحيط الى سواحل الاتلانتيك بدون ان يصادف جبالاً خلا نجاد ليس ارتفاعها اكثر من مئات قليلة من الاقدام

مع ان المسافة المذكورة تزيد عن الثلاثة الاف ميل فهذه السهول المسهلة للجولان الممتدة بين القارتين كانت الابواب التي دخلتها قبائل اسية كثيرة هاجمة على الغرب . وفيها ينابيع كثيرة وعيون غزيرة بدون ان يكون فيها نهر كبير مانع لسيرها . وهواء تلك السهول موافق للحركات الحربية

فهذه الحال الطبيعية قد جعلت وصول الاسيين الى اوربا سهلاً وهذا من الامور المهمة المتعلقة بتاريخها القديم وكذلك داخليتها سهلة المراس فيجال فيها بدون ان تعرض موانع طبيعية معيقة . وفي سواحلها فرض كثيرة وروس فمساحة ساحلها بالنسبة الى مساحة سطحها اعظم من ساحل سائر القارات فلها ميل من الساحل لكل ١٥٦ ميلاً من سطحها حال كون لافريقية ميلاً لكل ٦٢٣ ميلاً . فاتساع سواحلها من مسهلات اسباب الوصول اليها ومعدل درجة هوائها في الجهة الجنوبية المذكورة من ٦٠ الى ٧٠ من ميزان فرنهيت . غير ان حرارة الجهة الشمالية تاخذ في التناقص الى ان تصير الارض مجلدة دائمًا في سواحل زمبلا . وهي كسائر القارات من جهة اختلاف الهواء باختلاف طبيعة الاماكن وليس بدرجات القارة ومن اسباب ذلك رياح الاتلانتيك ورياح الصحرا فان هذه الرياح تجعل هواء جنوبي اوربا حارًا والرياح المذكورة اولاً تجعل هواء ايرلاندا نافعًا وليس في اوربا فياف عظيمة ولا غابات ملتفة لا تسلك كغابات البلدان في المنطقة الحارة . وبالاتجاه الى الجهة الشرقية من سواحل بورتوغال وفرنسا وايرلاندا تقل رطوبة الهواء حتى اذا بلغنا صحرا كوبي في اسيا تنقطع وبالنظر الى هذه التغييرات الطبيعية لا يكون كثيرون من الامم البشرية فيها من طبيعة واحدة . وخصب اوروبا يتوقف على هواء الاتلانيك والرياح الجنوبية الغربية وكذلك اعتدالها . لان المطر من اسباب الخصب . فكثرتها تجعل في امركا الجنوبية غاباتها المتسعة العجيبة وقلتها تجعل اشجار اوستراليا قليلة النمو والاوراق . ومن المحقق ان عالم النبات خاضع لتاثيرات الطبيعة كعالم الحيوان

اما بلدان اوربا فمطرها غزير بتاثير الرياح الجنوبية الغربية وهواء الاتلانتيك وسلاسلها الجبلية هي ذات هواء موافق وكل ما سرنا شرقًا يقل عدد ايام المطر وتنقص كميته وكمية الثلج . فلا ينقطع المطر في الجهة الاتلانتيكية من جبال نروج فعمق المياه المطرية السنوي فيها ٨٢ قيراطًا غير ان في الجهة الاخرى المقابلة من نفس تلك الجبال عمقها ٢١ قيراطًا فقط . وفي اوربا ستة مراكز اولية للمطر وهي نروج واسكوتلاندا والجهة الجنوبية الغربية من ايرلاندا وانكلترا والبورتوغال والجهة الشمالية الشرقية من اسبانيا ولمبارديا ونرى ان المطر غالبًا يقل بالابتعاد عن خط الاستواء الذي هو في وسط الدنيا الى جهة القطبين وهما جهتاها الشمالية والجنوبية . غير ان الجبال توثر في ذلك وتغيره حتى انها كثيرًا ما تعوض الخسارة التي تنشا عن البعد عن خط الاستواء . وجبال الالب توثر كثيرًا في هواء اوربا ولا تنحصر تاثير الجبال في كمية المطر فان عدد الايام المطرة يتعلق بها . والمطر يتوقف على كمية الرطوبة في الهواء فيكون في سواحل الاتلانتيك اكثر منه في الداخلية لان الهواء يجف قبل الوصول اليها لان الجبال تاخذ منه اكثر رطوبته . ولذلك تمطر في سواحل ايرلاندا الشرقية ٢٠٨ ايام في السنة وفي انكلترا نحو ١٥٠ يومًا وفي كازان ٩٠ وفي سيبيريا ٦٠ يومًا فقط . واذا اشتد برد الهواء يسقط الماء ثلجًا . وفي الغالب تزداد ايام سقوط الثلج وارتفاعه بالاتجاه الى الشمال . ففي السنة يوم ثلج ونصف يوم في رومية وفي فينيسيا خمسة

ايام ونصف يوم . وفي باريز ١٢ يوماً وفي بطرسبرج عاصمة روسيا ١٧١ يوماً . والاسباب التي تعرض دون انتشار الحرارة في الهوا وتاتي بتكثير الثلج فيها هوا الاتلانتيك والارتفاعات المحلية ففي سواحل البورتوغال قل ما يسقط الثلج وفي لسبون عاصمتها لم يسقط ثلج من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨١١ . وهذه الاسباب تاتي باختلاف درجة الحرارة في الصيف والشتا في داخلية القارة . فاكثر المطر على محور السلسلة الجبلية ويقل بالاتجاه شمالاً او جنوباً وبعكس ذلك الثلج . فهذه الاوصاف تبين ان طبيعة الهواء في اوربا مختلفة كثيراً وينشا عن اختلافها اختلاف في طبائع الناس

ومن المقرر ان طبيعة الاماكن في كل اقطار الدنيا توثر في احوال الجنس البشري وهي التي تجعل احوال ساكني اوستراليا البربرية والزنجي قاصر العقل فلا يقدران يخترع حروف هجائية ولا ارقاماً حسابية ولا يكون دينه غير اخلاط شعبذات . وهي التي تجعل التتري يلتذ بشرب اللبن والهندي الامركاني يكرهه واهالي اوربا طبعاً حافري معادن وصانعيها . وقد تمكن الانسان من ان يعيش في الاماكن الباردة والحارة بما اخترعه للتغلب على البرد والحر بمساكنه التي يصون نفسه فيها من البرد في الشتاء والحر في الصيف وملابسه الشتوية والصيفية واصطلائه . وقد اطال الزمان الذي يقدر ان ينتفع به في حياته باكتشاف النور الاصطناعي فباستخدام بعض الليل قد رقى اسباب الاجتماعات وحسن هيئة الاجتماعية فتلطفت اخلاقه وعاداته وقد وجد ما يستعين به على تثقيف عقله . ولا ريب في ان هذه الامور من اسباب التمدن الاولية . واختلاف الاحوال الطبيعية قد جعل اختلافاً في الاجناس البشرية والاستنباطات جاءت بالتغييرات . وهذا هو سبب نشاط الاوربيين وتقدمهم في سبل التمدن

ومن يانرى ينكر تاثيرات الايام الممطرة في اشغالنا وعقولنا ولو كنا في حالة متمدنة وان التغييرات الهوائية توثر في البرابرة الذين ليس لهم من البيوت والملابس وغيرها ما هو للمتمدنين تاثيراً نراه في اهل التمدن وان صعوبات الحيوة تزداد بالانتقال من اشباه الجزائر الجنوبية الى الاقطار الشمالية الشديدة البرد . وميل الناس الطبيعي الى انواع المآكل يكون بحسب درجة حرارة قطرهم . فاهالي سيسيليا يكتفون باكل الخبز مع اثمار قليلة واهالي نروج يحتاجون الى تكثير اكل اللحوم . واهالي لابلاند لا يتكرهون من اضافة دهن الذئب او زيت الاسماك او لحومها الى اللحم الذي ياكله اهالي نروج . والهواء يوثر ايضاً في الاداب فحب المسكرات من متعلقات طبائع الاماكن فالمآكل والبيوت والملابس والمشروبات تكون بحسب احتياجات الاقطار

وهذه الاسباب هي التي تجعل بعض اهالي اوربا يقترب من البعض الاخر كل سنة في ما يتعلق بطباعهم فانهم قد شرعوا في التغلب على اختلافات الاهوية بالوسائط الاستنباطية ولم ينشا عن ذلك تقارب في العادات فقط ولكن تقارب في طبائع الاجسام . وتاتي تلك الاستنباطات بجعل الناس موثرين بموثرات واحدة وهكذا يدنون من درجة واحدة طبيعية وبذلك الدنو تتقارب الحاسيات والعادات بل الافكار

وفي الجهة الجنوبية من ذلك الاحدور الجبلي اشباه جزائر ذات شهرة تاريخية وهي بلاد اليونان وايطاليا واسبانيا . ولا ريب في ان البلاد اليونانية كانت بداية التمدن الاوربي . وقد قال قدماء اليونان ان هواءهم اوفق الاهوية للجنس البشري وان وراء جبالهم شمالاً شتا دائم وديار مظلمة . ولا ريب في ان الانسان عرف في بداية امره ان البرد عدوه

المهيت وقد تمكن من التغلب عليهِ حتى امست مقاومة البحر اصعب ولا نعلم هل يفوز بالتغلب عليهِ ايضاً

وفي جنوبي البلدان المذكورة في حدود القارة الجنوبية البحر المتوسط وطولهُ نحو الفي ميل وهو يبعد الهيئة الاجتماعية الافريقية عن الهيئة الاجتماعية الاوروبية ولكنهُ يصلها تجاريًا . والبحر الاسود وبحر ازوف من فروعهِ ومساحة سواحلهِ وسواحلهما ١٣ الف ميل وهي تجعل اتصالاً باكثر من مليون وربع مليون من الاميال المربعة . وهو منقسم الى قسمين شرقي وغربي . فالشرقي تاريخي فانهُ قطر طلوع شمس تمدن اوربا ويحد الغربي ايطاليا وسيسيليا وراس بون الافريقي في جهة وبوغاز جبل طارق في الجهة المقابلة لها . والحر فيهِ يزيد ١٠ او ١٢ درجة عنهُ في الاتلانتيك ويتبخر قسم عظيم من مائهِ بالحرارة ولذلك نراهُ اشد ملوحة من ماء البحر الكبير ولونهُ اخضر في الاماكن الغير العميقة وازرق فيها

هذا ومن المحقق ان القارة الاسية اخذت في الارتفاع منذ قرون كثيرة وارتفاعها يوثر ايضاً باوربا المتصلة بها . ومن الموكد ان صحراء كوبي العظيمة الكثيرة الرمال كانت في زمان متوغل جدًّا في القدم قعر بحر متصل بحر البلطيك بواسطة بحر قزبين وبرهان ذلك حقائق جغرافية وجيولوجية اي متعلقة بعلم طبقات الارض والظاهر ان اوربا قد ارتفعت في الزمن الثالث وما بعده الفي قدم في اماكن كثيرة . ولا ريب في ان هذه التغييرات في قشرة الارض لا بد من ان تكون ذات اهمية لان الارتفاع ٣٥٠ قدماً يعادل اشتداد البرد درجة واحدة او يعادل التقدم مسافة ستين ميلاً افقيًا شماليًا . ولم ينتهِ هذا التغيير البطيء . وكم من مرة اثر عظيم تاثير في اوربا اي ان التغييرات في سطح القارة الاسية اثرت في شعوب اوربا واحوالهم فانها الزمت القبائل الكثيرة الباسلة البدوية بان تهجر اسيا وتاتي اوربا قاطعة الطريق في السهول التي ذكرناها . فان ارتفاع سطح الارض جعلها بدون مياه مرات كثيرة فالتزمت بان تهجر بلادها . ومن المقرر في التاريخ ان بعض انهارها جفت سنين كثيرة ومنها جيحون وسيحون . ومن الواجب ان تنسب حملات كثيرة بدوية على اوربا الى هذه التغييرات السطحية وليس الى اسباب سياسية . ومنذ الزمن الثالث (قد ذكرنا الازمان وتفاصيلها في الاجزاء السابقة) قد ارتفع عن البحر اكثر من ثلثي اوربا وساحل نروج قد ارتفع ستمائة قدم وجبال الالبا الفًا او ثلثة الاف قدم والابنين الفًا او الفين قدم . والبلاد بين مون بلانك وفينا قد ارتفعت بعد ان خلفت حيوانات البحار المجاورة لها . وصوالح الانسان متعلقة كل التعلق بالتربة حتى انهُ لا سبيل الى حدوث تغييرات عظيمة كهذه التغييرات في سطح الارض بدون ان يتبعها انقلاب متعلق بمعيشة البشر

وقد عرفنا ان اقدم سكان اوروبا كانوا من جنسين وهما جنس هندي جرماني دخلها من الشرق وقسم الذين صادفهم من الاهالي الى قسمين وطرد الواحد الى الشمال والاخر الى الجنوب الغربي . والظاهر من تركيب اجسام تلك القبائل الاولى انها من جنس منغولي وقد اكتشف العلماء على ادلة مهمة تبين انهم كانوا في الازمنة القديمة من الذين شنوا الغارة على اوروبا اتين من اسيا وطاردين اهاليها الذين كانوا فيها قبلهم . واذا قطعنا النظر عن هولاء القوم نرى ان الاهالي الاولين كانوا برابرة يعتقدون بالمعبدات والخرافات ولا ريب في ان بعضهم كان ياكل اللحوم البشرية وكانوا يعيشون بصعوبة في اواسط اوروبا وشمالها بسبب شدة البرد . اما في جهاتها الجنوبية فالهواء اقل بردًا ولذلك تمكن الناس من ان يوسسوا فيها قواعد تمدنية ولذلك اثار لا تزال تدل

عليها

هذا ولا يعلم احد زمان دخول القوم الهنود الجرمان اوربا وحملهم على اهاليها . وما عندنا من الادلة اللغوية يحملنا على ان نقول ان ذلك التمدن كان قليلاً . وكانوا قد اكتشفوا استخدام الحيوانات وصنع الالات البسيطة كالانيار والمركبات للبضائع والقوارب والمجاذيف ولم يكونوا يعرفون الشراعات وكانوا يعرفون الدفة . ومما يوكد ذلك ما نراهُ في لغة فروع هذا الجنس من الاسماء لهذه الالات مع انهم متفرقون حال كون اسم الشراع والصواري من الاسماء المخترعة وتختلف باختلاف الامم المجاورة

وفي اكثر لغات الجنس الهندي الالماني للاب والام والاخ والاخت اسم واحد وكذلك اسم البيت والباب والمدينة والطريق . وقد تقرر ان هذا يصح في الامور المتعلقة بالصلح حال كون اسماء امور كثيرة من متعلقات الحروب والصيد تختلف باختلاف اللغات . والظاهر من هذه الامور ان المهاجرين الاسيين كانوا من البدو الرعاة . واسماءُ كثير من هذه الاعمال منتشرة كثيرًا كالفلاحة والطحن والنسج والطبخ والخبز والخياطة والغزل . والذره واللحم والوحوش الموجودة في اسيا واوربا كالدب والذئب وكذلك بعض الاسماء المختصة بالامور السياسية كالظلم والمملكة . والاعداد واحدة من الواحد الى الالف في اللغة السانسكريتية واليونانية واللاتينية والقوطية . غير ان عدد الالف يختلف فيها وهذا دليل وجود التمدن في حالة ابتدائية حتى ان الحساب كان في درجة ابتدائية . ولم يكن اهالي اواسط اسيا يعرفون البحار فكان فروع الحاملين تسميتها لا وجنوباً وتسميته باسماء مختلفة . ومع انهم كانوا يجهلون البحر كانوا يعرفون الملح واسمهُ دليل ذلك . وهذه المشابهة ليست محصورة في الاسماء الجارية عند فروع الجنس الهندي الجرماني فاننا نراها في صرفهم ونحوهم . وقد ابان احد المدققين ان الفعل الناقص عندهم من نوع واحد في اللغة السانسكريتية والزندية والليثوانية والدوريكية والسلافية واللاتينية والقوطية وان لغة الفيدا ولغة الليثوانية في براين في هذه الايام اشد تقاربًا من تقارب الفرنسوية والايطاليانية ولا ينبغي ان نقول انهُ لا ريب في صحة ما نستدل عليهِ بادلة لغوية . وتمدن الهنود والجرمان الذين هاجروا وبلادهم طبعًا كان اقل من تمدن المركز الذي خرجوا منهُ . وهذه هي حال كل المهاجرات الان لان اعقل الاهالي واحذقهم لا يهاجرون فان المهاجرة تكون لاقوام جسدًا وربما كانوا فرعًا خشنًا جدًّا صادرًا من اصل متمدن متثقف . ولا ريب في ان المهاجرة التي جعلناها موضوعًا للبحث لابد من ان تكون قد حدثت منذ زمان قديم غير ان قدميتهُ ليست مما يستدل عليهِ بقياس تمدن المهاجرين على تمدن الاصل الذي صدروا منهُ وقد راينا ان التقدم في الهيئة الاجتماعية في اسيا كان بطيئًا على الدوام غير ان التاريخ لا يتصل بالهنود الا وهم في حالة التمدن التام وهذا يدل على انهم كانوا قد اخذوا في التقدم منذ زمان قديم . ومما يستحق التامل الصلات التي جرت طبعًا بين الاهالي المهاجرين والذين حلوا في ديارهم واختلاط افكار جنس بجنس اخر وعاداته باختلاطها بالزواج وهذا هو ينبوع ما نراهُ من خرافات السلفيين وشرك الهنود في الازمان الاولى في بلاد اليونان . ولا ريب في ان كثيرًا من القواعد الحكمية التي ظهرت في التعاليم الدينية الازرية هي من مصدر راسي . ولا يتم اتفاق الفاتح والذي تفتح بلاده في زمان قصير فان نسبة الواحد الى الاخر لا تبيت في حيز النسيان حالاً فان ذكر الحروب لا تُمحى في برهة قصيرة . وكذلك لا يقدر الفاتحون ان يتعودوا

هؤلاء البلاد التي يفتحونها ويا لفونه الا بعد ان تتتابع الاجيال وتحدث التغييرات الطبيعية شيئاً فشيئاً ولا بد من مرور قرون قبل ان يتغير لون الجلد وشكل الجمجمة وفي بداية الزمان التاريخي تمت هذه الامور كلها ويستدل بذلك على انهُ مر زمان كافٍ لتغييرها حتى انهُ تغيرت الوان الهنود الذين اتوها واحوالهم والفوا الهواء قبل ان فتحت صفحات التاريخ المتصلة الينا لتدوين اخبارهم وانقسمت تلك الامم الى قبائل لها احوال مختصة بها واشغال موافقة لاحوالها فبعضها طرد من مكانهِ الاول وبعضها انقرض عن اخرهِ . وفي ذلك الزمان كان قد ابتدا اصلاح الزراعة واتسعت قليلاً دائرة التجارة وكشفت مبادي الصناعة وجمع بعض الثروة . هذا وكان قواد اهالي اواسط اوربا يجذبون باعتدال الهواء الى جهاتها الجنوبية وخصب الارض وموافقة المراكز الى الحمل على تلك الجهات وذلك كما جرى في اسيا . وفي هذه الظروف اخذت اوربا تخرج من الحالة البربرية بعد ان اضاعت كل العلاقة التي كانت جارية بينها وبين الهند ولم نكتشف على اصلها الا بدرس لغاتها وصرفها ونحوها . وحولوا عبادة الاجرام المادية المجهولة الى عبادة النجوم المشخصة والمنسوبة الى ابطال وعظماء ومن المعلوم ان الانسان وهو في الحالة البربرية ولو اختلفت مراكزه يكون معتقداً بالخرافات والخزعبلات فان الامور الغامضة تحيرهُ . فاذا سمع صوتاً غير مألوف او غير منتظر او راى حركة غير اعتيادية ينسبها الى كائنات غير منظورة . فان النوم الذي يصرف ثلث حياتهِ فيهِ والاحلام تقرر في عقلهِ وجود عالم الارواح . ولا يكتفي بذلك ولكنهُ يوسع الدائرة ويجعل روحاً لكل زاوية وكل شجرة وكل نهر وكل جبل وهلم جرّاً . ومن الموكد انهُ عندما يتقرر في عقل الانسان ان الكائنات الغير المخلوقة موجودة بحكم

باحتياجها الى مكان للسكن وقد اجمع اكثر الامم على ان منازلها وراء حدود الارض . وفي كل دين سماء محلية وجهنم محلية . واجمع الناس في بلاد اليونان على ان السماء فوق السماء الزرقاء غير انهم اختلفوا من جهة مكان جهنم . فكثيرون منهم قالوا انها في حفرة عميقة جداً في قلب الارض وقال قوم ان لها مداخل وبعضهم ان مغارة آكريا من مداخلها . ومما تقرر في عقل الانسان واصر عليهِ ولو بلغ درجة عالية من المعارف ان كل شيء دونهُ وان المخلوقات خلقت لخدمتهِ وسد احتياجاتهِ

ومن الامور المحجبة تقدم العقل البشري فان البربري الجاهل المعتقد بالخرافات يعيش بخوف دائم حتى انهُ يتوهم ان كل الطبيعة عاملة على عداوتهِ وعلى الحاق الاضرار بهِ . ويتوهم ان الظلام عنصر يخرج منهُ جن ومارد بل يظن ان تحت الحجارة وفي الاشجار والينابيع والغابات اسباباً مختلفة تضر بهِ . وبين هذه الحال المقلقة وحال التعقل والادراك بون عظيم فانها متمكنة من ادراك واجبات الانسان الصحيحة في العالم . وفي طفولية الامم تكون الاراء الجغرافية والفلكية واحدة عندها كلها لانها تنظر الى الامور بحسب ظواهرها وليس بحسب حقائقها فيقررون في عقولهم الظواهر بدون استخدام قوة التمييز والادراك . وهذا الاتفاق دليل وحدة الاعمال في التركيب البشري . غير ان ذلك محصور في طفولية الامم فان السيادة في النهاية تكون للتمييز . واختلاف التغييرات والتوضيحات في الامور الجغرافية والفلكية واللاهوتية وبعد هذا الاختلاف التابع للاتفاق يحدث اتفاقاً اخر فتظهر وحدة الحقيقة . والامم في فتوتها تميل الى التشخيص الناشيء عن التصور وهذا ينبوع خرافات كثيرة فيجعل للساعات وللفجر والليل هيئات فنشا عن ذلك خرافات كثيرة اصلها تشخيص فلكي وما

هوغير طبع بشري حتى انه ظن الناس ان النجوم اشياء حية وان للزوابع والمدى والهواء ارواحاً طبيعية محركة وقالوا ان الشمس هي هرقل في اللهيب الناري وشخصوا انهزام الفجر بطلوع الشمس بخبر اورفيوس وايريدس ولا تزال هذه الخرافات موجودة في الهند

هذا ولا ينبغي ان يظن انه من الممكن توضيح كل الخرافات اليونانية كل التوضيح . وكفانا اظهار الاحوال التي جرت في قرون كثيرة ومكنت الامم الاوربية من ان تنسى اموراً كثيرة اتى اجدادهم بها من اسيا . وفي اثناء ذلك ظهرت امور كثيرة جديدة وليست اعتقاداتهم المتعلقة بتناسل معبوداتهم مجرد خرافات تختلف باختلاف الاماكن ولكنها في الغالب اصطلاحات اتيم بها في مكان واحد وأساسها الاعتقاد بوقوع اضطرابات عظيمة جداً في العالم ضبطتها يد الخالق ونظمتها . واضافوا اليها اموراً كثيرة منها ما كان ناشئاً عن امور فلكية ومنها ما نشا عن قواعد ادبية وحوادث تاريخية . وشخصوا الاضطراب الاول بالحرب المعروفة عندهم بمواقع التيتانيين وجعلوا نهايتها حبس الجبابرة في ترتاروس وجعلوا اخضاعهم بداية الانتظام وقرروا بعد ذلك حوادث انتظامية وقسموا الاعمال بين معبودات مختلفة ووضعوا قواعد ادبية وقرروا حوادث تاريخية كحادثة الطوفان وحصر طيبة وتروادا . وهكذا كانت اعتقاداتهم مبنية على اخبار غريبة وكانوا يسرون باستماع اخبار غريبة بدون ان يبحثوا عن صحتها والاعتقاد بخرافات عجيبة وخلطوا معبوداتهم بابطالهم والمخلوقات المخيفة بالرجال بدون ان يرتابوا في صحة ذلك لانهم لم يكونوا عالمين بالفلك والجغرافية ولا مطلعين على قواعد البرهان واساسات الاعتقاد . وسقطت تلك الاديان وكفر الناس بها ليسها عند ما شرعوا في ان يجعلوا الوقائع

مساند تقريراتهم والتاريخ ينبوع اخبارهم والحكمة اساس التأملات والتقريرات . ومع ذلك لم يبعدوا عنهم تلك الخرافات التي قرروها في عقولهم قروناً الا بعد التردد الطويل . ولا تعطل الاديان الباطلة في يوم بل تاخذ في الانقلاب والتغيير بالتدريج لان ذلك ينشا عن شكوك المتعقلين ومقاومات المحافظين وبالتالي بفوز دفاع الاراء ونهاية الانقسام النكران

وقبل ذكر الثورة العقلية التي جاءت باندثار الاديان القديمة نتكلم عن اراء اليونانيين في القرن الثامن قبل الميلاد فنقول انه كان مقرراً في عقولهم ان الجو الازرق هو ارض السماء التي كانت منزل معبودات اولمبيا . وان الارض مسكن الانسان بسيطة مستديرة واقعة تحت فلك النجوم وحولها البحر الكبير ينبوع الانهر التي تجري الى البحر المتوسط . وان قوة سماوية تدفع الشمس والنجوم فتطلع في الشرق بصعوبة وتنحدر قاصدة المغرب بسهولة . وانه ما من احد يعلم ماذا تصادف في اراضي الظل تحت الارض ولا المخاطر التي تبيت معرضة لها فيها . وان الاجرام الفلكية والنجوم في حركة دائمة تغير الوانها وهيئاتها على الدوام . وانه لاسبيل الى معرفة مصدر الرياح ولا مواردها. بل كانوا يظنون انها تنفس معبودهم الغير المنظور الذي ياتي بالبروق والرعود . وكان مقرراً في عقولهم ان باطن الارض وما هو تحتها هو مكان الظلام ملكه بلوتو وانه جالس على عرش من ظلام حالك فلا تراه اعين البشر ولكنهم كانوا يعرفون بوجوده برعوده الليلية وان تلك الدنيا التحتية او الباطنية هي معاد الارواح بعد الموت . وان عند ابوابها تحت مغيب الشمس قبائل كثيرة من الجان وهي اسباب الهم والحزن والامراض وعجز الشيخوخة والفقر والخوف والجوع والحرب والكد والموت وان الانسان لا ينتفع

بقيام الصلوة لدفع اضرارها · وان فيها بحيرات لا تسلكها السفن و برك نارية ذات امواج ومخلوقات مخيفة قبيحة الصورة ضخمة الاجسام وقضاة لمحاكمة الاسيين والاوربيين والمذنبين العظيمين كالجبابرة الذين لهم ارجل الوحوش العظيمة سابحين في خليج من النار واجسامهم ممتدة اميالاً كثيرة وفليجياس وفوق راسو صخر معلق وهو في خوف دائم من سقوطو عليو وتنتالوس في الماء حتى ذقنو وهو معذب من شدة الظما · وان وراء هذه الاماكن المخيفة التعذيبية ابنا السعادة · ولم يحصروا خرافاتهم فيما قالوا انة في باطن الارض او تحتها او وراءها بل نسبوا الى الانسان الساكن على سطحها والمعبودات السائدة عليو حوادث كثيرة مختلفة عجيبة واعتقدوا بان المعبودات كانت تشارك الناس في تلك الاعمال وقرروا في عقولهم غرائب جغرافية واختلفت تصوراتهم عن بلدان بعيدة عجيبة فقالوا مثلاً ان في الشمال بلاداً سعيدة لا يكدرها الشتا

ولا يتامل الانسان في هذه الخرافات القديمة وفي شتات من الخرافات الاخرى التي قررها اهل تلك الازمان في عقولهم بدون ان يحكم بان كثيراً منها اختلقة اهالي اوروبا وربما كانت بذورها منقولة من اسيا غير انها نمت واثمرت في عقول اهالي اوروبا ويستدل على ان بعضها اوربي الاصل ببربريتها وعدم مناسبتها لتمدن الشرق وتهذيبو في تلك الازمان كتعدي كرونوس على ابيو اورانوس وخبر الوليمة التي اقيمت اكراماً لا يتيس يدل على انهم كانوا ياكلون لحوم البشر وتهديدات لاوميدون ببيع بوسيدون وابولد عبدين يدل على الشغل الاغتصابي وتزوج كثيرين بزوجات عديدات حتى شقيقاتهم يدل على ان الناس لم يكونوا يراعون الاداب الطبيعية وكل ذلك يدل على ان الذين خلقوا تلك الاخبار والذين اعتقدوا بصحتها مع انها خرافات كانوا في بادي الامر برابرة متوحشين . ولم تلطف خرافاتهم الا بتغلب الاراء الليدية والفريجية والاشورية والمصرية

وكانت اديان اليونانيين القدماء متضمنة ما ياتي بسقوطها الذي جرى بالاكتشافات الجغرافية والبراهين الحكمية · فانة لا سبيل الى الاعتقاد بالخرافات والعجائب المنسوبة الى البحر المتوسط والبحر الاسود حال كون الناس كانوا يجولون فيهما كل يوم ولا الى ما تقرر دينياً في عقولهم من ان الارض بسيطة يحدها الافق وهو منتهى النظر وحولة المحيط حال كونهم كانوا يقيمون مستعمرات في غاليا وهي فرنسا وكان اهالي فينيقية وهي سواحل سورية ياتون بالتنك من وراء عمد هرقيل عند جبل طارق فسقطت كل الاعتقادات المبنية على تلك الجغرافية و بات اهل ذلك الزمان يخافون من ظهور ما يحمل الناس على ان لا يعتقدوا بارض الظلام الكائنة تحت الارض او في باطنها . فاجتهدوا بان يحافظوا على ذلك الدين بتحويل التعاليم القديمة التي كانوا يعتقدون بها فعلاً الى تعاليم رمزية وقالوا ان حكمة الايام القديمة ضمنت تلك الاخبار الغريبة الرمزية اسراراً عظيمة مهمة غير ان الدين الذي يفتقر الى تلك الصيانة لا يلبث ان ينقرض

ولم تنحصر اسباب دخول الاراء الجديدة بالاكتشافات الجغرافية فان الحملة المكدونية فتحت لليونان عالماً جديداً وارتهم عجائب صحيحة بما راوهُ من اختلاف الاهوية والصحاري المتسعة والجبال المغطاة بالثلج الدائم والبحار المالحة البعيدة عن البحر الكبير والحيوانات الضخمة الاجسام ورجال من الوان واديان ومشارب مختلفة والمستعمرات اليونانية التي اسست في اسيا جعلت الحركة غير منقطعة وكانت الامور الطبيعية توثر عظيم تاثير في عقولهم · فاذا قلنا ان

الاراء الاوربية نقلت الى الشرق الاقصى بالامبراطورية الباكترية نقول ان الاراء الاسية دخلت اوروبا بتلك الطريق وغيرها

وفي بداية الروايات التي يركن اليها نرى ان اهالي فينيقية هم سادة البحر المتوسط . اما اوروبا فكانت بربرية . وكان اهالي ثراقة عند حدود التمدن الاسي ومع ذلك كانوا يسلخون جلود روس اعدائهم و يصبغون بعض اجسادهم وكذلك كان اهالي بريطانيا ينقشونهـا . وقد ظهر بالصور المصرية ان معاصريهم الاوربيين من البرابرة الذين كانوا يلبسون جلود الوحوش . وكان الفينيقيون يميلون طبعاً الى ان يحلوا في جزر وسواحل وهكذا حافظوا على سيادة بحرية . وكان اليونانيون يميلون شيئاً فشيئاً الى الاسفار والتغرب في طلب الرزق والتقدم . وسنة ١٢٥٠ سافروا قاطعين البحر الاسود ونشا عن ذلك خرافة السفرة الارغونوتية وفتحوا تجارة موافقة للذهب والسمك المجفف والحبوب . واشتهروا بسرقة الناس فكانوا يسرقون الرجال والنساء والاولاد من كل ساحل وكان ذلك اساساً لتجارة عبيد بيض متسعة وا ثرها في هذا الزمان تجارة السراري . وحاول مينوس ملك اكريت ابطال تلك التعديات وان يسود على البحر المتوسط واقتدى به بذلك الليديون والثراقيون واهالي رودوس الذين وضعوا القوانين البحرية الاولى التي اقتبسها اليونان واضافوها الى القانون الروماني وفي اثنا ذلك سار الملاحون المصريون براً قاطعين جبل طارق وجاءوا الكناري والازور واتوا بالتنك من بلاد الانكليز . واعتنوا كل الاعتنا بان يكتموا الامر عن كل الناس وكان اليونان يثابرونهم في ذلك على ان دائرة سياحاتهم انحصرت في زمان اومروس حتى ان ايطاليا كانت غير معروفة عندهم وباتوا يتاجرون في الجهة الشرقية من البحر المتوسط . اما الجهة الغربية منه فسبق الفينيقيون الجميع الى سبرو وانشاوا احدى مستعمراتهم وهي مدينة مرسيليا اي ان اهالي السواحل السورية التي نحن منها انشاوا في الزمن القديم المدينة التي اصبحت اليوم سوقاً لمحصولاتنا فيا اعظم هذا التغيير و بعد ذلك قطع كولوس من ساموس باب هرقيل المسمى الان بجبل طارق ودخل البحر الكبير اي الاتلانتيك ولم تكن مدن المستعمرات الاولى قليلة الاهمية فانها كانت ثغوراً مزينة الساحل من سينوب الى ساغنتيوم وكانت اسواق التجارة ومنازل الثروة . وكان التاجر في الزمان القديم رئيس المركب الذي يحمل بضائعه اي انه كان يسافر معها و يبيعها بالمزاد في الاماكن التي كان يصل اليها . وتجارة البحر المتوسط الاولية ذات الربح كانت بالعبيد والمحصولات المعدنية والمصنوعات وكان اكثرها واقعاً في منطقة واحدة ولذلك لم تكن محصولاتها كثيرة الانواع وكانت احتياجات اهاليها متقاربة على انهم كانوا ياتون بالتنك من كاسيتريدس والعنبر من سواحل البلطيك والمنسوجات المصبوغة والمعادن المصنوعة من سورية . وكانت عقول الناس تتثقف وعاداتهم تتلطف حيثما حلت اسباب تلك التجارة فالاتر وسيكانيون كانوا يقيمون بتجارة العنبر وقد خلفوا آثاراً كثيرة تدل على حبهم للصنائع . وهم قبيلة مجهولة الاحوال غير انهم لم يكونوا بعيدين عن التمدن

فاضيفت براهين الاكتشافات الى تاثيرات الجغرافية فنمت التنكيتات الحكمية . وقد تأكد ان عقل اليونانيين يتثقف حالاً . وعندما يتصل الانسان الى مركز معلوم من تقدمه العقلي لا يرتضي بان يجعل مقابلة بين النواميس الجارية والحوادث القديمة . وقد عرف بالاختبار ان مجرى العالم اليوم هو كمجراه في الامس وتقرر ان ذلك لا يتغير في الغد فلا يطيق الانسان ان يقع خلل في ناموس التاريخ ولا يرتضي بالايمان بدون بحث وتدقيق ولكنه يصر

على الحصول على برهان لاثبات امر قديم كما يصر على برهان امر جديد . والخرافات لاتثبت قبالة نور التاريخ وقد ظهر ذلك في كل جهة في العلوم اليونانية . فان اليونان باتوا يخجلون بالخرافات التي كانوا يعتقدون بها واسمتهم في سن الطفولية حتى انهم جعلوا بعضها رمزاً وغيروا البعض الاخر او حذفوه واصبح بين المتعلمين والجهلا بون عظيم واعظم رجالهم يرون لزوم ترك تلك الخرافات للعامة الجاهلة او بدلها بما هو اكثر موافقة منها . غير ان التصرف بالامور التي كانت مقدسة عند اهالي اثينا على هذا النمط لم يصادف رضى الاهالي في اثينا نفسها مع ان كثيرين من اهلها اتصلوا الى التقدم العقلي الذي جعلهم لا يقدرون ان يؤمنوا بدين امتهم . فاخذوا في ان يحاولوا بكل جهدهم بان يقرروا في عقول انفسهم بانهُ لابد من وجود شيء صحيح في تعاليم الدينية التي آمن بها جمهور غفير من عظماء قدمائهم الانقيا واستمرت سائدة قروناً كثيرة . غير ان تعبهم ذهب سدى لان الادراك تغلب على الايمان و باتوا في ما يبيت فيهِ كل انسان في احوالهم فانهم عرفوا فساد ارائهم غير انهم كانوا يتغاظون ممن يظهر لهم فسادهم . وعندما راوا ان حالة الحكومة الناشئة عن حالة الهيئة الاجتماعية باتت لا تسمح لهم بان يقتلوا من يكفر بدينهِ وجدوا الوسائل اللازمة لا لزامهِ بان يختار بين التظاهر بالايمان والفقر حتى بات من كان كسقراط بينهم في خطر من ذلك . وفي الغالب يشدد الطعن في من يرتاب في التعاليم من هو اشد ارتياباً منهُ في الباطن

وسلك الشعر اسرع سبل التهذيب ونوابتعدوا عن ايمانهم وقطع الحكماء نفس تلك الطريق . وفي برهة قصيرة تقرر في عقول العامة ان الحكمة مضادة للدين ولم يخطي الناس في ذلك فان الاعتقاد بوجود معبودات كثيرة جعل توضيحاً دينياً لكل حادث طبيعي وهذا هو سبب المقاومة التي كانت جارية بين الدين والعلوم وتقدم العلوم تقدماً لم يوخر قلب الدين اليوناني . وكانت مضادات الحكمة للدين اليوناني شديدة جداً وغو التاريخ الصحيح جاء بالنتائج التي اتى بها غو الحكمة الصحيحة . وهكذا باتت الامور زماناً طويلاً واخذ المورخون والحكما والشعرا والمدققون في ان يكفروا بدينهم و يعيشوا متظاهرين بمراعاة للعامة . وقد اشتهر ذلك عن مشاهيرهم بادلة واضحة دلت عليها كتاباتهم فمنهم من نجا بالرياء ومنهم من اتهم ووقع عليهم ضيق . منهم من قتل . ولم تحدث تلك الامور كلها بدون ان يحاول الرجال الذين مقاصدهم جيدة اصلاح الاحوال . فان بعضهم وربما كانوا اشد اليونان القدماء تقدماً رغبوا في منع كهنتهم عن القيام بالعجائب الكاذبة التي كانوا يدعونها وفي ان الاستخارات وغيرها تنحصر في اجهل العامة وتقلل بالتدريج الى ان تنقطع وان يعدل عن اهانة الحكمة بشتمها . ومنهم من كان اقل تقدماً من اولئك فارادوا ان يتخلصوا من الصعوبة بجعل خرافاتهم رمزية . وكان البعض يرغب في تغييرها لتصير مناسبة للحالة الجارية او جعل تغير جديد بها

وكانت العامة الجاهلة بدون تفكر وادراك متوغلة في الخرافات حال كون اصحاب العقول المتقفة كانوا قد اضعفوا ايمانهم . فكانت تنسب المعجزات الى اصنامها وصورها وغير ذلك من الاثار التي كان تقرر في عقلها انها باقية مما كان لمعبوداتها ولاكابر اهل دينها حتى ان كهنتها اقامت لها في اثينا اصناماً تبكي او تضحك او تغمز او تحرك وجوهها او تعرق واموراً اخرى كثيرة يضيق المقام دون ذكرها . وكانوا يعتقدون بان ماء طوفان دوقايون انحدر في ثقب وكانوا يقدمون عسلاً وطحيناً لهُ فلو قال انسان انهُ صغير فلا يسع الماء لعرض نفسهُ للقتل وكذلك من قال ان الشمس ليست بشخص حي . وهكذا كانت العامة

متوغلة في ظلام الخرافات غير مبالية بالحقائق الجغرافية والفلكية والتاريخية والحكمية التي كانت تكذبها

وقد اخطا الذين قالوا ان عبادة المعبودات الكثيرة سقطت في زمان قسطنطين وجوليانوس فان سقوطها كان عند فتح الثغور المصرية ولم يتم ذلك الا بالف سنة وابتدا التغيير في المتقني العقول من الاهالي واخذ ذلك في الامتداد بين اهل الرتب المتوسطة . واشتغل ضدا ذلك الدين قرونا بسكون واستمرار وهما الاكتشافات الجغرافية الناشئة عن امتداد التجارة والفتوحات المكدونية والحقائق الحكمية ومع ذلك لم يقدرا ان يوثرا في العامة الجاهلة وهي الاكثرية . وبمرور الزمان اضيف ضد الى الضدين المذكورين حتى تمكنا من الوصول الى الطبقة الاخيرة من الاهالي وهو قوة الدولة الرومانية . فانها اتت بحركة عجيبة في كل البحر المتوسط والبلدان المجاورة له . وجعلت حركات مستمرة في جميع الجهات . فاصبح في الاماكن التي لم يكن فيها غير سائح واحد الوف من الجنود والتجار والمامورين مع اعوانهم وعبيدهم . وتمكن كثيرون من الناس من ان يروا ويقابلوا العادات والاديان بضبط مع انه لم يكن يقدر ان يقوم بذلك غير المورخ والحكيم قياما غير مفصل لا يبلغ غير قليلين من الخاصة . وجمع الرومانيون في رومية عددا غفيرا من المعبودات المختلفة فكان بعضها يضر بالبعض الاخر في عقول الناس . ولذلك نقول ان العبادة الاصنامية امست ساقطة الاعتبار في الدنيا قبل ان دخلتها الديانة النصرانية بزمان طويل

ولا ريب في ان خوف كثيرين من عظماء الرجال وحكماء العالم القديم من وقوع العالم في حالة خالية من الدين حملهم على ان يعضدوا الدين الوثني الذي كان جاريا في ذلك الزمان . ولم يكن يخطر لهم ببال انهم سيتخلصون من تلك الحال بامر جديد . على ان بلاتو قال من اصعب الامور تغيير افكار الناس تغييرا كليا ومن السهل ان يحملوا على قبول اسماء جديدة اذا سمح لهم بان يحافظوا على الامور القديمة وطلب اصلاح الاحوال بما فاذ ما يناسب الحال وقال ان الناس لم يتعوده قريبا ويقبل به

وهكذا راينا ان دين اليونانيين القدماء لم يسقط دفعة واحدة ولا تم بالقوة . وحوادث الزمان كالدولاب تعاد حينا بعد حين فما جرى في تلك الايام اعيد في اوربا وما يجري في مملكة لا يمنع عن الجري في اكثر من مملكة لكثيرها

ومن الامور المهمة التي تستحق التامل حالة الامة وهي بين الزمان الذي تخضع فيه لتصوراتها وزمان خضوعها لقوة التمييز والادراك فان الانسان يمتنع عن اظهار افكاره المخالفة للاراء العامة بعد ان يكون قد اكتشف على فسادها لان قوة الاحوال تمنعه عن ذلك فيعيش مرائيا وهو يمدح ما يذمه في قلبه . وعند انتقال الامة من حال الى حال في مثل الظروف المذكورة يمسي الريا سائدا فيها كانه ذو انتظام مخصوص حتى ان اقواما كثيرين يعيشون في تلك الحال المكدرة . ولا ريب في انها كانت حالة كثيرين من الرومانيين في الزمان السابق لدخول النصرانية بلدانهم . وقد تشهر تلك الاراء ويقبلها الراي العام وتبقى ذات نفوذ سياسي فيصبح الناس في الرياء المذكور . والحق لا يتصل الى تاثيره التام الا بالتدريج فيفعل في بادي الامر في القوة المميزة في الافراد ثم يمتد ويسود ادبيا ولا سيما على الراي العام ثم يجمع لنفسه قوة طبيعية وسياسية . ففي اثناء ذلك الانتقال يعظم الرياء . ولا يتم اخضاع امم لاراء جديدة في يوم واحد

من ضروريات الحرب و يعوض ولكن كيف يقبل جيش بان يسلم تسليماً معيباً فهذا يعيب مجد سلاحنا عيباً لا يعوض . فان الجرح الذي يثلم الناموس لا يشفى . فتاثير هذه المصيبة عظيم جداً . وقد حملهم ذلهم على ان يقبلوا بان تفتش اخراج جنودنا كانهم لصوص . انني لم انتظر ذلك من الجنرال دوبون لانني كنت احبهُ واربيهِ لاجعلهُ مارشالاً . ويقال انهُ لم يرَ بدًّا من التسليم ليمنع خراب الجيش وكان الاولى به ان يهلك وهو يحارب ولو لم ينجُ واحد منهُ فان موتهم على تلك الحال مجيد فانك تقدر على الدوام ان تعوض الجنود الهالكة ولكن خسارة الناموس مما لا يعوض . انتهى

وقال عند ظهور كدرهِ في بادي الامر عن الذين امضوا عهد التسليم لقد نجسوا مجدنا فيطهر بدمهم . غير انهُ بالتامل قليلاً عدل عن ذلك وتغلبت كرامة الاخلاق عليهِ والشفقة على القائد المسلم فقال ما اتعس حظهُ . ما اعظم سقوطهُ بعد الفوز بمجد اليك وهال وفردلاند . فما اعجب الحروب فان يوماً واحداً كافياً لضياع مجد لم يغز به الا في كد شني الحيوة كلها

و بعد ذلك اشار الجنرال سافاري على جوزف بان يخرج من مدريد ويتحصن في الابرو . فقال ماذا يقول ياترى نابوليون اذا اقمت بذلك فاجابهُ انهُ يلومك فان غيظهُ شديد ولكنهُ لا يقتلك ولو كان هو هنا لاقام في مدريد غير ان ما يقدر ان يفعلهُ لا يتيسر للاخرين . فخرج جوزف من مدريد وكتب الى اخيهِ بونابرت من معسكرهِ المتحصن في الابرو او الابرةِ ما ياتي انهُ لم يبق لي اسبانيولي واحد متحزب لملكيتي فلو كنت قائداً لا حتملت الثبوت في مركزي بل لاستسهلت ذلك لانهُ بفرقة من جنودك الابطال اقدر ان اتغلب على الاسبانيوليين . غير انني ملك ولا اقدر ان احتمل الثبات على هذه الحال لانهُ لابد لي من ان اذبح قسماً من رعاياي لاحمل القسم الاخر على الخضوع لي فامتنع عن ان املك على شعب لا يرتضي بي ومع ذلك لا ارتضي بان ارجع مكسوراً فارسل اليَّ جيشاً من جيوشك القديمة فاعود فيهِ الى مدريد واضاد الاسبانيول وساطلب اليك ان ترجع اليَّ عرش نابولي فاذهب واقوم براحة توافقني بما ياول الى سعادة امة ترتضي بان انجح في دولتي . انتهى . فتكدر نابوليون جداً امارآهُ في ذلك التحرير . غير انهُ كان يحب جوزف و يعتبر رايهُ واتحادهُ معهُ اكثر من اعتبارهِ لاراء سائر اخوتهِ واتحادهم . واراد ان ينشطهُ بقوة برهانهِ فكتب اليهِ بما ياتي

افعل ما يجعلك اهلاً لتكون شقيقي واثبت الثبات الذي يليق بمركزك فلا اهتم بقوم قليلين من العصاة وسادبرهم بابطالي فلا يخال لي انهم يقدرون ان يكسروا جيوشاً لم تقدر النمساولا روسياولا بروسيا ان تثبت على قتالها . وساجد اعمدة هرقيل في اسبانيا ولا اجد حدود سطوتي فيها . انتهى . ووعدهُ بارسال نجدة كافية في الحال و بعث اليهِ بمشورات مدققة جداً متعلقة بالحرب وارسلت اليهِ اخبار فيها عظيم مبالغة عن قوة العصاة فاجاب نابوليون في الحروب يعسر الوقوف على الحقائق في كل مكان وزمان غير انهُ يتيسر الوقوف عليها بالجد والكد . وعندك جيش جرار من الفرسان ولا زال الشجاع فارسل فرسانك ليدوسوا البلاد مسافة ٣٠ او ٤٠ ميلاً والقِ القبض على الكهنة والاعيان واحفظهم الى ان يتكلموا واستنطقهم بالعدل والحق فتقف على الصحيح الذي لا تقدر ان تقف عليهِ وانت نائم ضمن حدودك . انتهى

وكان جوزف الملك حنوناً شفوقاً فكان يحب

ان يحجب دماء الاسبانيول فلم يقم بالحرب بنشاط وهمة ففي بادي الامر تبسم نابوليون عند مارای ما راه من الضعف . ثم كتب اليه بان يقيم وراء حواجزه في الابروالى ان يحضر ويسعفه . وعظمت اهمية الحرب في اسبانيا حتى انه نقل ماية الف مقاتل من الرين الى اسبانيا مع ان النمسا كانت تتهدده في كل يوم بفتح الحرب عليه . فقطعوا اراضي فرنسا المتسعة بسرعة وصعدوا على جبال البيرنه وانتظروا وصوله اليهم . وجمع مائة الف جندي من رجال فرنسا وارسلهم ليقوموا مقام الابطال المجربين الذين ذهبوا الى اسبانيا وازدحمت اقدامهم في المدن الفرنساوية عند اجتماعهم فيها ليذهبوا منها الى الاماكن التي كانوا يقصدونها . اما الجندي المجرب في الحروب فلا يبالي بالموت ويستخف بحياته فانه يمسي كحيوان غير ناطق بموت ضميره ويقسي قلبه فيتوغل في كل ملذة يتيسر له ان يتوغل فيها . وكان نابوليون حاذقًا جدًّا في تهييج الرجال فاقام لاولئك الرجال الذين كانوا يجتمعون في مدن فرنسا باسباب الحظ والسرور في كل مكان . فكانوا يقابلون بالتزيينات والتنويرات والولائم والمادب ونظمت اغاني حربية لتغنى في ولائمهم وفيها ذكر الانتصارات الفرنساوية العظيمة والمهيجات البشرية . وفي اثناء ذلك اقام مخازن مهمات وزاد كثيرة في حضيض جبال البرينه . وعند ما سمع الامبراطور اسكندر الروسي بما كان يجري في اسبانيا قال لموسيو كولنكور سفير نابوليون في عاصمته من الواجب ان تقوموا بهذا العمل الغير الموافق لكم احسن قيام ليتيسر لكم ان تقوموا به بدون ان ترجعوا خائبين . وقد ارسل مولاك جنودكم الى اسبانيا ولكنه لم يرسل عددًا كافيًا ولم يكن هنالك وقد ارتكب القواد الخطا . غير انه يصلح ذلك كله في برهة قصيرة ومن المعلوم انه لا يقدر ان يسلم بوجود بوربون قريب منه في اسبانيا وقد

اصاب بهذه السياسة . ولا احسده على عظمته ولا سيما لانني اعلم ان السبب المذكور هو الذي حمله على ذلك . فلا ينبغي ان يغار اذا اتسعت امبراطورتي باضافة ما هو لازم لها ويسهل الحصول عليه وسأثبت على عزمي . وسأكتب الى النمسا بما يحملها على ان تتامل بجد في خطا تصرفاتها . وسأبين لمولاك انني امين في نعيمه وبؤسه . على انه ينبغي ان تقول له انه يلزم ان نجتمع قريبًا

وقد قال كولنكور السفير المذكور سنة ١٨٠٧ ارسلت سفيرًا الى روسيا وكان نابوليون قد ادرك غاية مجده وعظمته وكان يعتبر العظمة الحقيقية والاعمال الناشئة عن المحافظة على الناموس وكان يحب التوفير بمصاريفه ومضادًّا كل المضادة للتبذير والاسراف غير انه كان يبذل بسخاء المال اللازم لقيام ناموس فرنسا . وكان اعلم الملوك بما يلزم لمركزه العالي . وكان يرغب في ان يمكن سفير اعظم امة في الدنيا من ان ينوب عن امته بالعظمة التي تليق بها . وقال لي انني اعطيك تحويلاً ابيض لتصرف ما يلزم ان تصرفه في سفارتك فانه لا ينبغي ان تكون كالاهالي الذين يجمعون الثروة ولا يصرفون منها ما يكون مناسبًا لها فلا ينبغي ان يظهر ان بلاط فرنسا دني حقير واخونا امبراطور روسيا يحب الملاهي والتنعمات فاقم بولائم ومآدب عظيمة . اما بلاط امبراطور روسيا فكان فاخرًا لامعًا فرأيت فيه كل ما نسمعه عما كان في بلاط الملك لويس الرابع عشر الفرنساوي في صغره . بل قد ظهر لي ان مفاخر ذلك الملك الفرنساوي العظيم كانت تشبه فقط مفاخر بلاط روسيا في الزمان المذكور ولم يرَ في بلاط ما رأيناه فيه من اسباب الحظ والملذات والملاهي فكان جامعًا للفخوة والجمال والعظمة والسرور . وفي ايام التشريفات اي يوم دخول المامورين والناس العظام الى حضرة

الامبراطور للتبريك والتهاني فكان يرى في قاعات القصر ما يقصر الكلام عن وصفهِ وكان كالغرائب التي طالما قرانا عنها في كتاب الف ليلة وليلة . فان نساء من اجمل نساء العالم كنّ يدخلنها لابسات افخر الملابس ومزينات باثمن الحلي واجملها فتظهر عليهنّ فعلاً عظمة الشرقيين ومنهنّ من كنّ ذوات حذق ومعارف ومنهن من كنّ جاهلات مدعيات غير انهنّ جميعاً كنّ جميلات جداً ومولعات بالموسيقى والرقص . اما الفتيان فكانوا بتصرفاتهم الجميلة و بلاغة حديثهم وملابسهم الفاخرة المنتظمة يفوقون فتيان باريز

وفي كل يوم كانت تقام ولائم واسباب منتزهات واقر انني لم استسهل القيام بما يوافق ما كان جارياً في روسيا من العظمة . فان الليالي كانت تصرف بالمآدب والاغاني والالعاب والولائم . وفي النهار كانت العاب الزحف على الثلج من العاب العامة وساذكر خبراً واحداً لابين المال الذي كان يبذل في هذه الولائم والمآدب والافراح واظهر اسراف الروسيين . انهُ كان يرى الاثمار التي بسطت على مائدة في نهاية مادبة رقص في سفارة فرنسا صحن فيهِ خمس اجاصات ثمنها الفان وسبعمائة وخمسون فرنكاً . وفي مرة اخرى ابتيع الكرز بسعر اربعة فرنكات كل كرزة كان ثمن النصف اقة فرنك واحد . ولا ينبغي ان نظن ان هذا نادر ويستحق الذكر فانهُ لو حاولنا توفير ذلك لوقع التنكيت . ولا بد من ان اقرر ما قالهُ حضرة امبراطور فرنسا بهذا الشان فانني كنت ابعث اليهِ بتحريرات خصوصية مفصلة جداً فيها ذكر كل ما يجري وطلب اليَّ ان احرر اليهِ عن الاحاديث التي تجرى في الدوائر ولو كانت غير موكدة ومتعلقة بالشخصيات فكان يسر بها وعندما اخبرتهُ بانني اشتريت الاجاصة بخمسمائة فرلك قال انني لما كنت قائداً صغيراً كنت اسرّ جداً بان احصل على معاش سنوي قيمته قدر ثمن الاجاصة فهذا الاسراف لا يقوم بهِ الا المجانين او الحمقا ولا ريب عندي في ان الامبراطور تكدر من هذا التبذير المخل

ووقعت الامبراطورية فيما جعل اوراق ماليتها في تاخر فان انكلترا واسبانيا والبورتوغال جمعوا جنودهم في الجنوب لمضادتها والنمسا في الشمال جمعت سبعمائة الف جندي وكانت بروسيا قد باتت في ذل شديد فرغبت في استغنام الفرصة عند سنوحها للقيام بالثار ورفع العار وعرف الناس ان الامراء في روسيا كانوا يبغضون كل البغض الامبراطور نابوليون فتحزبوا ضدهُ وفي رياستهم ام الامبراطور . وكان مقرراً عند الناس ان الامبراطور اسكندر لا يقدر ان يثبت طويلاً في مضادتهم . وكان الذين يشترون الاوراق المالية الدولية يحاولون ايقاع الخوف في قلوب الناس لينتفعوا بنزول اسعار الاوراق فهبطت اسعارها الى ما دون السبعين بعد ان كانت باربعة وتسعين . فنهض نابوليون لمضادة ذلك العدو المالي بنشاط يحاكي همتهُ عند مقاومة العدو في ميدان الحرب . وقال انني قاصد محاربة هولاء القوم . وغلبهم متمكناً من حفظ الاسعار في درجة الاعتدال بتدبيرات مصيبة اساسها ابتياع اوراق في الاوقات المناسبة مدة شهر او شهرين . فاخذت الاوراق المالية الفرنساوية في الصعود وثبتت على سعر وافق الحكومة وناموسها فسر جداً بهذا النجاح وقال لقد غلبناهم فلا يعودون الى حيلهم وقد ابقينا لاصحاب دين الحكومة المركز الذي يحق لهم ان يكونوا فيهِ وقد اشترينا بمال العسكرية ما عاد عليهِ بالنفع . وجاءت هذه المضادة بخراب كثيرين من الذين يحاولون خرب غيرهم بتنزيل الاسعار المالية ليربحوا هم . اما نابوليون فكان كريم الاخلاق فاسعف بعضهم بما لهِ الخاص

الفصل الرابع والاربعون

الامبراطوران في ارفورث

وعين اليوم السابع والعشرين من سنة ١٨٠٨ لاجتماع الامبراطورين في ارفورث وعند اقترابه تحولت ابصار اوربا كلها اليه لترى ماذا ينشا عن اجتماع امبراطور الروسيين وامبراطور الفرنسويين. وتقرر في عقول الناس ان نصيب العالم متعلق به واخذ الملوك والامراء ورجال السياسة وكثيرون من الاعيان في ان يذهبوا الى المكان المذكور ليشاهدوا الامر . وكان امبراطور فرنسا صاحب الضيافة فتهيا ليقوم بحقها و يكرمهم جميعًا بما يليق بمقامهم . فخرج من باريز ومعهُ حشم عظيم لم يسر في خدمة ملك اعظم منهُ ولا ابهى ولا اجل . وكانت الامة الفرنسوية تسر ان ترى ان مجد امبراطورها يفوق مجد كل امبراطوري الامراء . وكان قد بعث الى المكان المذكور جميع اسباب الملاهي والسرور والتنعمات الفاخرة المتقنة ليرضي الذين يعيشون بمجد التمتع بالملذات والملاهي

ووصل الى المكان المذكور بعد الظهر بعشر ساعات وكانت اقدام الملوك والبرنسين والدوقين واعيان رجال السياسة والقواد واكابر خدمة الدين قد ازدحمت في اسواقهِ . وبعد ان حياهُ هولاء القوم بالاتضاع والاحترام ركب فرسهُ وذلك عند الظهر وسار معهُ ملك سكسونيا وحشم واعوان كثيرون وساروا ليلاقوا امبراطور روسيا وكان قادمًا في مركبة مفتوحة . فالتقوا بهِ على بعد ستة اميال فلما راى مركبة الامبراطور اسكندر سار اليها ركضًا بشوق وحب . فنزل عن جوادهِ وخرج الامبراطور الروسي من مركبتهِ واعتنقا بسرور وحب . وكانت قد تهيأت افراس لركوب امبراطور روسيا واعوانهِ وحشمهِ فسار الامبراطوران راكبين ودخلا المدينة وكل منهما يسير بجانب الاخر وهما يتحدثان بصداقة وسرور

وفي المدينة عرَّف نابوليون صديقهُ الروسي بكل عظماء الرجال الذين كانوا يحضرون الاجتماعات ثم سار بهِ الى القصر الذي اعدهُ لهُ واتفقا بان يتناول الامبراطور اسكندر الطعام كل يوم مع الامبراطور نابوليون . وفي المساء اقيمت مادبة فاخرة جدًا حضرها اعظم رجال اوربا وزينت المدينة بالانوار واقام احذق مشخصي فرنسا بتشخيص رواية تعزية تظهر الصفات الحسنة والسجايا الممدوحة . وكان اسكندر جالسًا بجانب نابوليون . فقال احد المشخصين ان صداقة رجل عظيم منحة من المعبودات . فلما سمع اسكندر ذلك وقف بجلال وامسك يد نابوليون بلطف واحنى راسهُ قائلًا انني اشعر بحقيقة هذا الكلام كل يوم . فلما سمع الحاضرون ذلك ضجوا جميعًا حتى تزلزلت جدران قاعة التشخيص . وكانوا ملوكًا ودوقين وامراء وعظماء السياسة

ولم يكن نابوليون يسر بالملاهي والملذات فان حظهُ كان بالقيام بالاشغال . فعين مكانًا واوقاتًا للاجتماع مليًا على انفراد . اما اسكندر فكان يطمع جدًا بالحصول على القسطنطينية . اما نابوليون فقرر في عقلهِ ان روسيا قوية جدًا بدون ضمها اليها مع توابعها ولذلك لا سبيل الى السماح لها بها . غير انهُ كان راغبًا جدًا في ان يرضي اسكندر . واستمر الاجتماع نحو عشرين يومًا . اما امبراطور النمسا فلم يدعَ الى هذا الاجتماع لانهُ كان قد تظاهر بالعدوان غير انهُ بعث بسفير ليهنيء بالنيابة عنهُ الامبراطورين لانهما اجتمعا بالقرب من بلادهِ . وكان ذلك ظاهر مامورية اما بواطنها فهو محاولة الوقوف على

(ستاتي بقيتهُ)

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

قال لا فان الالتهاب قد خف ولا يلزم الا المحافظة على قوته وقد اوصيت مسز جونسون بما يلزم فاستودعك الله وساتي غدًا صباحًا . وكانت اوجينا متعبة جدًّا وغير قادرة على الممانعة فمكنت صاحبة البيت من ان تفعل بها ما شاءت فالقتها في برهة قصيرة في الفراش بالقرب من ولدها فاستغرقت في النوم معهُ . وفي الصباح وهو صباح يوم عيد الميلاد تحسنت احوالها كلها . وابنها تقدم الى الشفا تقدمًا بينًا واخذ يطلب لبنًا وخبزًا وكانت الشمس ظاهرة فشعرت بصفا افكارها وقوة جسمها . وبرجوع القوة رجعت اليها قوة الذاكرة فرات انها لم تكن تحلم بالامس عندما سمعت صوت مستر كاردن . وجلست بجانب ابنها تناظر عليهِ وهو ياكل بقابلية . وكانت مسز جونسون جالسة بجانبها فالتفتت اليها بغتة وقالت لها يا مسز جونسون ما هو اسم الرجل الذي دخل امس هذا المكان مع مستر كريهام . قالت يا روحي لا اعلم فانهُ دخل مع الطبيب وتكدر جدًّا لما سمع انك لست في البيت فظننت انهُ خالك او ابن عمك او شقيقك . قالت فاذا لم احلم بوجود رجل اخر . فقالت في نفسها انني علمت بانني لم اكن احلم فماذا يا ترى حملهُ على المجيء . قالت مسز جونسون انك لا تعلمين اسم الرجل ولا غرضهُ . قالت ان هذا غريب فانهُ جاء قبلاً في الليل الماضي وسال عنك وترك تحريرًا باسمك . قالت ترك لي تحريرًا لماذا حفظتهِ ولم تسلميني اياهُ . قالت كيف اسلمك اياهُ اما كنت نائمة اتريدين ان اسلب راحتك من اجل شيءٍ غير مهم كهذا التحرير وعند ذلك جاءت بالتحرير وسلمتها اياهُ . فامسكتهُ بيد مرتجفة وفضت ختامهُ باضطراب وقراتهُ بسرعة ورات في عباراته المبهمة ما اشغل بالها وهذا هو التحرير المذكور

الى مسز ارشار (اسم اوجينا) العزيزة

قد تكدرت جدًّا لانني زرتك في ساعة مهمة جدًّا في المساء غير انهُ لابد لي من ان اكلمك بامر مهم جدًّا وهذا عذري . فنهار غد اكون عندك قبل الظهر بساعة فاذا وجدتك متمتعة بالصحة ارجوك ان تمني عليَّ بالمقابلة اني لك امين

(الامضا) جيوفري

كاردن

وعند الساعة الحادية عشرة كانت اوجينا تكاد تكمل تضفير شعرها وترتيبهُ ولبس ملابسها وهي مضطربة جدًّا مشغلة البال . ولا سيما عندما سمعت صوت قرع الباب ثم سمعت صوت مشي رجل قد صعد على السلم ودخل قاعة الجلوس التي بينها وبين المخدع الذي كانت فيهِ ابوابهُ . وكانت وحدها مع ابنها النائم ووقفت متكئة على الحائط وهي تحاول تقوية اعضاء جسدها المرتجفة الضعيفة وتسكن خفقان قلبها الشديد . وكانت تشعر بانها لا تقدر ان تمر من الباب الفاصل لتواجههُ . وفي اثناء ذلك سمعت ابنتها الصغيرة وكان قد برح من بالها وجودها فيها فاطمانت قليلاً وعرفت انها تقدر ان تستريح برهة

لتتخلص من اضطرابها . وكانت بنتها لاتنسى من تراهُ فترحبت بمستر كاردن ترحب صديق قديم كانها لم تفارقهُ الا بالامس . فقالت لهُ كيف حالك انك لم تزرنا منذ زمان طويل . ان هذا البيت ليس هو كالبيت الجميل الذي كنا فيهِ في كالكوتا . ولكننا كنا في بيت اجمل وهو بيت جدتي وخالتي ماريون وبنت خالتي اما . هل تعرفها . انها اسمن مني ومن اخي وطويلة . وانا احبها . وقالت جوابًا على سوال ان اخي متقدم للصحة اليوم وامي بكت فرحًا لما رات انهُ قريب من الشفا . وامي تبكي مرات كثيرة ولكنني لا اظن ان بكاءها نتيجة الفرح . اما اوجينا فاستمرت متكئة على الحائط وكان وجهها يحمر ويصفر بحسب كلام بنتها وفي اثناء الحديث سمعتهُ يقول شيئًا مضادًا لكلام ابنتي ولكنها لم تفهمهُ من جرى انخفاض صوت المتكلم فاجابتهُ عليهِ انها تبكي كثيرًا وبكاؤُها هنا اكثر كثيرًا من بكائها في كالكوتا . وكان دون مون يبكيها في اتش كروف وسررت بذهابهِ والمامول انهُ لا يعود الينا فانني ابغضهُ وكذلك شقيقي وبكى عندما قالت لهُ امي انهُ سياتي قريبًا ليراهُ . قال بدون اعتناء من هو دون مون . فلما سمعت اوجينا الكلام خافت واضطربت واقتربت من الباب لتسمع الحديث التابع . قالت انهُ الخادم الذي جاء معنا من الهند في المركب ولم يكن يعاملنا بالحنو وكان يضربنا ويتكلم كلامًا غير لائق . الا تعلم انهُ ضرب امي مرة. ولما سمعت امها هذا الكلام فتحت الباب ودخلت بغتة ولون وجهها كالقرمز وقالت ما هذا الكلام يا ابنتي انكِ لا تعرفين ماذا تقولين فاذهبي الى مسز جونسون وافيني معها الى ان ادعوكِ اليَّ . وعند خروج ابنتها التفتت الى زائرها قاصدة ان تحييهُ غير انها لم تقدر فجلست على غير ارادتها على اقرب الكراسي منهُ واستغرقت في البكاء . هذا وكانت قد صممت على ان تتجلد وان تجيب على سوالات زائرها بهدو وسكينة . غير ان كلام بنتها والخوف من عواقبهِ سلبا جلدها وتركاها واهية العزم . فقالت لهُ وهي تبكي آه يا مستر كاردن لماذا اتيت ماذا تظن اني اقدر ان اخبرك انني لا اعلم شيئًا ولا اقدر ان اقول شيئًا فحضورك يضيع وقتك . فاجابها بلطف وحنو يا عزيزتي هل يخطر لكِ ببال انني اتيك اذا كنت قاصدًا الحاق الضرر بكِ . وكان صوتهُ يدل على شهامتهِ وكان يليق بهِ فانهُ كان قد بلغ من السن ٣٥ سنة وكان ذا قامة لطيفة ووجه جميل من جهة هيئتهِ . وكان بلامةٌ يدل على كرامتهِ وناموسهِ وحبهِ لمساعدة كل الذين كانوا اضعف منهُ وحبهُ لتلك المراة التي بليت بمصائب الاخرين كان حبًا شديدًا لم يعرفهُ الا الله وصاحبهُ . قالت جوابًا لا اتكلم عن نفسي فانها لم تخطر لي ببال وانت يا مستر كاردن تعلم كل شيء فكان لا يخطر لي ببال ان زيارتك ليست بمتعلقة بزوجي المنكود الحظ . قال قد اصبت بل اتيت انكلترا من اجلهِ . فاجفلت وقالت باضطراب انني عرفت ذلك آه يا مستر كاردن اشفق عليَّ ولا تنفع نفسك بما ينشا عن ضعفي وحماقتي واذا تذكرت صداقتنا القديمة تتركني قبل ان اظهر شيئًا متعلقًا بنفسي انا وبهِ . فانني مريضة منكسرة القلب ذليلة لا اقدر ان احدث رجلاً عاقلاً مثلك فارجوك ان تتركني وحدي في شقائي وتعاستي . قال لا ان ذلك لا افعلهُ ما دمت اتذكر تلك الصداقة اللذيذة العزيزة . وقد اتيت انكلترا من اجل زوجك ولا بد من ان تخبريني عن مكانهِ . قالت لا اخبرك قطعًا . قال اذا كتمت امرهُ تضرين بهِ وبنفسك . ولا ريب عندي في انهُ خرج من كالكوتا مختبئًا وان خروجهُ كان زمان خروجك منها وبما انك هنا اظن انهُ مختبيء في لوندرا وانك انت تعلمين مكانهُ فان اخبرتني عن

مكانهِ تنفعيهِ . قالت انني لا اعرفهُ . وكانت تجهلهُ فعلاً وسرت بجهلها لهُ . قال انك لا تعلمين مكان وجودهِ ولكن لا بد من ان تكوني عالمة بوسائط مخابرتهِ فكيف تحررين لهُ وما هو عنوان تحريراتك . قالت انني لا اقدر ان اخبرك بذلك . قال انني احذرك واقول لك ان امتناعك عن اخباري عن مكان وجودهِ لا ينفعك فمن هو هذا البنغالي المسمى دون مون الذي كان يضرب اولادك وتجرا ان يضربك انت هذا اذا كان لكلام ابنتك صحة . فهل تسمحين لخادم غريب بان يضربك . فعرفت اوجينا من كلامهِ انهُ كان عالمًا بسرها فاحمر وجهها وظهرت مكنونات قلبها بذلك الاحمرار وبعد ان صمتت برهةً قال لقد اكتشفت على هذا القدر بدون مساعدتك فلا تلوي نفسك اذا قلت ان دون مون هو هنري ارشار وانهُ ربما كان لا يزال لابسًا تلك الملابس . فاين يا ترى اقدر ان اجدهُ . وقد ظهر لي انهُ لا يستحق منك هذه المعاملة الجيدة فان ما فعلتهُ شكرًا لك على الاجتهاد في سبيل سترهِ هو عكس الواجب وعندي انك لست مكلفة باكثر مما فعلت . فرفعت عينيها ونظرت اليهِ والدموع تذرف منها وهي تقول لهُ يا مستر كاردن ان هذا الامر متعلق بي وبزوجي . فصدقني انني لا اعلم اين هو الان . ولا اقدر ان ادلك على وسائط الوصول اليهِ . فاذا كان قد اساء اليك هو زوجي وقد حلفت بان لا اخونهُ . قال هل حلفت بان لا تخلصيهِ . قالت كيف اقدر ان اخلصهُ . قال بان تجمعيني بهِ فيا مسز ارشار هل تظنين انني جئت لاقيم الدعوى عليهِ فلو كان ذلك صحيحًا لما اتيت اليك وحاولت الحصول على خبرهِ منك ولا سيما في زمان كهذا الزمان كنت اظن بانك لا تتهميني بامر كهذا الامر . فانني اتيت لاخلصهُ اذا تيسر ذلك وليس لاحاكمهُ . قالت كيف تقدر ان تخلصهُ بعد ان فعل ما قد فعل واساء اليك بما قد اساء . يا مستر كاردن لا تخدعني . فاجابها بتوبيخ هل خدعتك زماني بطولهِ انك تظلمينني بهذه التهمة . قالت بلى فاذا قلنا ان كرامة اخلاقك وشهامتك! وجودة قلبك حملتك على ان تعفو عنهُ هل يعفو مستر اندروز . الا تتذكر قساوتهُ عند وقوع زلات صغيرة وربما كانت خسارتهُ اعظم من خسارتك . انني لا اظن ان جودة مستر اندروز تكون قدر جودتك واذا اظهرت شيئًا اسلم زوجي الى السجن بل الى الحبس مع الاشغال الشاقة واثلم صيت ولدي المنكودي الحظ الى الابد . انك لا تكلفني بان اطرحهما في هذا الوبل وليس لهما ذنب . قال فلنفرض اننا لا نعلم مستر اندروز بهذا الامر . فنظرت اليهِ بتعجب ودهشة وقالت هل يمكن ذلك . قال انني لم اعلمهُ بما جرى ولولا ذلك لنشر خبر التزوير في كل جريدة وباتت حماقة زوجك مثلاً سائرًا . ولما رايت انني اقدر على ان افعل ذلك مراعاة لصداقة عزيزة اقمت بهِ . فاضطربت وقالت بتردد وارتجاف يا مستر كاردن انني لا افهم كلامك فاوضح المقال كيف تخفي عن مستر اندروز هرب هنري من كالكوتا وكيف تحاسبهُ على المال الكثير المفقود من البنك اخبرني فلا بد من ان اسمع كل شيء . وعند ذلك امسكت ردنهُ وكان اضطرابها سببًا لاصفرار وجهها فصارت كالموتى . اما الرجل الذي بات ممسوكًا فاصبح وجههُ احمر كالقرمز فحاول ان يتخلص منها اكثر من مرة . وكان قد فعل ما فعل اكرامًا لها ومع ذلك كان يجب ان يبلغها خبر احساناتهِ من غيرهِ . ثم قالت اخبرني يا مستر كاردن انني لا اسمح لك بالذهاب ما لم تخبرني بذلك . قال اذا كان لا بد من ذلك فاسمعي ان زوجك قلب مركزهُ بيدهِ غير ان السبب لا يزال مجهولاً عند مستر اندروز . قالت كيف هذا . قال

انهُ ليس بصعب فان حسن الحظ جعلني كاشف الامر . وقد اخذ مبلغًا عظيمًا غير ان ذلك لا يعظم الذنب . وانتِ تعلمين انني صاحب ثروة عظيمة ومصروفي قليل و . . . قالت انك وضعت مالاً من مالك لسد النقص حال كونك اركنت كل الاركان ولكنك خدعت اعظم خداع وقد اقمت بذلك اكرامًا لهُ هو ولي انا بل لنا جميعًا . قالت ذلك بصوت منخفض دل على خوفها واضطرابها . قال لا تعظمي الامر فلا يستحق التعظيم . لا تفعلي لا اسمح لك ان تطرحي نفسك على قدمي ما زلت قادرًا على انهاضك . غير انها لم تنهض بل سقطت عليهما وبكت بكاء شديدًا وقالت لا لا تنهضني لا تطلب اليَّ ان انهض فانني ارغب ان ابكي حياتي بطولها عند قدميك يا ايها الصديق العزيز الكريم المحب الحليم السموح . اتركني ابكي فان ذلك ينفعني فهذه دموع فرح لم اذرف مثلها منذ ايام كثيرة . انني اشكر الله واشكرك لانك قد فتحت بابًا للامل وبيضت سواد حياتي . فانهضها بالقوة ووضعها على المقعد وسار الى النافذة ووقف قبالتها وحدهُ . واستمر على تلك الحال بضع دقائق بدون ان يسمع غير صوت بكائها المنخفض ولما انقطعت عنهُ دنا منها متبسمًا تبسمًا فهمت منهُ وجوب الانقطاع عن الحديث الماضي . ثم قرب كرسيًا من المقعد وقال ببشاشة لقد ابنت الامور تبيينًا قد ارضاك والمامول انك توافقيني على الاجتهاد في سبيل ايجاد زوجك واظن انني عرفت بصمتك انك تخابرينهُ مخابرة معلومة بينكما اما هذا الواقع . قالت هذا كان الواقع غير انهُ لم يرد اليَّ جواب منهُ مع انني كتبت اليهِ ٤ او ٥ تحريرات فاظن انهُ لا يطلبها او انهُ خرج من البلاد بدون معرفتي . والان لا اعلم مكانهُ ولا اعلم هل غير اثوابهُ اولا . قال هذا مكدر ومع ذلك لا بد من ان ترجعي الى الكتابة وساعلن ما يبلغهُ وابحث عنهُ سرًّا ولا بد من ان اجدهُ بعد برهة قصيرة . وبعد ذلك اريح افكارهُ وربما كنت اقدر ان اجد محلاً لهُ للخدمة في المستعمرات املهُ يرجع اسمهُ . قالت ما اكثر احساناتك يا جواد . فقال لها باسمًا اليك عن هذا الكلام وربما كنت اقل جودًا مما تظنين فاذا قبل مساعدتي اشترط عليهِ شرطًا واحدًا وهو ان يتركك انت وولديك في انكلترا الى ان يتمكن من انشاء بيت موافق لكم . وقد انهينا هذا الامر فلنتكلم عن امر اخر ولا تنسبيني الى القحة . لماذا اراك في بيت كهذا البيت الحقير والعارف في الطبيب بمكان اقامتك ظننت انك تعيشين في بيت موافق لمركزك . قالت بمرارة وكدر مركزي في الحيوة ماهو مركزي يا ترى اما انا زوجة رجل قد . . . . قال صه ووضع يدهُ على يدها ثم قال لا ينبغي ان تضايقي بسبب ذنوبهِ مهما كان وقد احتملت ضيقات كثيرة من اجلهِ ولا بد من ان تنتقلوا الى مكان اخر لا بد من ذلك . اجابت وقد احمر وجهها خجلاً وخوفًا من العاقبة لا اقدر على ذلك . قال اليس لزوجك ارشار مال عند وكلائهِ . قالت بلى غير انني لا امسهُ ولو مت جوعًا فانهُ ليس لي ولا لهُ . قال لمن . قالت انهُ للذين قد سرقهم وهو لك . قال انني لا اسمح بذلك فلو اردت ان اقيم الدعوى على زوجك لبان كل ما هو لهُ لي قانونيًا واما الان فليس لي حق بهِ اكثر مما لهُ حق بما هو لي . قالت ليس ذلك بعد ان تكون قد دفعت ما سرق . قال الا تركتيني اليَّ فاقبلي المال هبة مني . وعند ذلك ملأت الدموع عينيها وارتجفت شفتاها ولم تقدر ان تجيب بشيء . قال لها فاذًا خذي المال فهو لكِ واصرفيهِ كما ينبغي افعلي ذلك اكرامًا لخاطري . قالت انني افعل ذلك اكرامًا لك . وقالت في نفسها ان ملاكًا قد اتاني ونجاني . قال لها لماذا خرجتِ من اش كروف . فاضطربت جدًّا وارتبكت اكثر مما ارتبكت

في الماضي واحمر وجهها جداً لان التهمة التي القيت عليها كانت متعلقة بهِ . فقالت سوء مفهومية واخبار كاذبة وخصام عائلي حملتني على الخروج . وكان يعلم ان صيتها كالمسك فالح عليها بان تخبره وابانت لهُ كل شيء خلا ما يتعلق بهِ وسمع بخبر التحرير المزور الذي حملها على ان تخرج حالاً من بيت امها قاصدة المدينة وان ذلك كان سبب الخلاف والخروج من اش كروف وانصرف عنها في ذلك اليوم مصمماً على ان يقوم بثارها و يعوض عليها ما خسرته بسبب عائلتها واثار زوجها

وبارحت اوجينا ذلك اليوم وهي ملقاة على المقعد حاملة ابنها وهي تنظر الى بنتها تابني وهي تحل رزمة وردت اليها من مستركاردن بعد خروجهِ من البيت وفيها هدايا كثيرة من هدايا عيد الميلاد ومن افخرها فشكرت اوجينا مراحم الله سبحانهُ وتعالى ونسيت كل ما كان قد جرى بالتامل بالمنح والتوفيقات التي فازت بالحصول عليها

الفصل الثالث عشر

وبعد ان قال الطبيب ان ابنها في حالة النقاهة بايام قليلة انتقلت الى محل جميل قريب من بساتين كنستون واستاجرت خادمة لتسعفها في الاعتنا بولديها . وفي اثناء ذلك اشتغل مستركاردن بنفسهِ و بواسطة اصدقائهِ سراً في البحث عن زوجها . هذا وكان قد جعل اوجينا تكتب اليهِ تحريراً بالعنوان القديم وان تخبره بما ساقه حسن الحظ اليهِ وتطلب اليهِ ان يظهر نفسهُ . غير انهُ قد ظهر بعد ذلك ان في مركز البريد خمسة او ستة تحريرات معنونة ذلك العنوان وكانت لاتزال ملقاة بدون ان يطلبها احد . وتذكرت عند ذلك انها اخذت تحريراً اخيراً امنهُ فيهِ طلب مبلغ وافر من المال فارسلتهُ اليهِ فحكمت بانهُ خرج بالمال من البلاد . ومع ذلك اتفقت هي ومستركاردن على ان لا تعلن شيئاً في الجرائد الا بعد ان ينقطع الامل من نجاح كل الوسائل الاخرى . ومن المعلوم ان الناس يشكون في امرءٍ اذا اعلن شيئاً مهما اعتنى باخفاء الحال وكانت اوجينا تخاف ان يشتهر امر زوجها فيلحق ضرر باولادها . وكان يظن مستركاردن انهُ ينقاد الى عاداتهِ القديمة و ياتي نهاية المكان المسمى بالستراند فكان يذهب اليهِ باكراً في الصباح و بعد الغروب و ينتظر ساعات وهو ينظر الى اوجه الذين كان يرام بامل وجود هنري . ولكنهُ لم يرَ احداً لا بملابس افرنجية ولا غريبة ولا وقف على خبر ذلك الكاتب الذي زور عليهِ بثلاثة الاف ليرا ولولا انتظار اوجينا ورود خبر عنهُ لقطع الامل وانقطع عن البحث عنهُ ولكنهُ ثبت في البحث مراعاة لخاطرها العزيز جداً عندهُ . حتى انهُ كان مستعداً لان يقوم باعظم الامور الممكنة اكراماً لها ولو عادت عليهِ بالويل والهوان

وفي ذات يوم كان سائراً صباحاً للبحث في الستراند المذكور فسمع صوت تحية وقبل ان عرف من حياهُ وقفت مركبة وفتح بابها ونزل منها شالري اوسوالد وحياهُ ماسكاً يدهُ كانهُ لايتركها ابداً وقال ياعزيزي قد سررت جداً بالاجتماع بك وقد قرات عن حضورك في الجرائد وقد تعجبت من عدم مجيئك اليَّ . الى اين تذهب واين تجلس انني ذاهب لاتناول الطعام في مخادع الجمعية فتعال لنذهب معاً . انني التذ كثيراً بالتكلم عن امور ماضية . فقبل دعوتهُ بدون الحاح فانهما طالما اجتمعا في كالكوتا عند مستركاردن وسر فعلاً بملاقاة صاحبهِ الضابط القديم ولا سيما بعد ان خطر لهُ ببال انهُ ربما كان يقدر ان ينفعهُ في امر اوجينا . فركبا المركبة وسارا الى مخادع الجمعية . و بعد ان جلسا عند مائدة الطعام قال القبطان اوسوالد لكاردن الى اين كنت ذاهباً هل تجيب على هذا السوال اللطيف .

قال كاردن انني اسا لك السوال نفسهُ . قال انني اخبرك بقصدي و يا ليتهُ فضيل . اني قطعت مسافة طويلة حتى بلغت السنت كاثرين وارف لاري بنت عم عنيدة تصر على السفر الى الدنبورغ بحرًا في المركب والطريق بر . ولم اسافر سفرة كهذه جياتي بطولها ولا اسافرها اكرامًا لامراة قد تجاوزت سن ٢٥ . فانني نهضت من النوم قبل الظهر باربع ساعات ونصف ساعة فلم اجد مركبة ترتضي بان تذهب بنا الى هناك في نصف ساعة . فالتزمت ان اقطع لوندرا بطرق حديدية ولم ادرك المركب الا قبل ان سافر بدقيقة وكان قد رفع السلم ولو كانت قد دفعت سلفًا لما انزلوهُ وقد سافرت واطلب الى الله ان لاتطلب اليَّ ان اخدمها خدمة اخرى كهذه الا بعد زمان طويل . ان الجوع قد اثر فيَّ فاحسبان يسرعوا بالطعام فاشعر كانني نهضت من النوم منذ ١٢ ساعة . ونسي في جوعهِ ان يسال صديقهُ ان يقص خبرهُ عليهِ . فقال لهُ قد رايت من كلامك انك لاتحب بنت عمك . قال لا واخذ ياكل بقابلية . ثم قال ان طباعها لاتناسبني قطعًا مع انها جميلة جدًّا ولطيفة ولولا ذلك لما نهضت من النوم قبل الظهر باربع ساعات ونصف ساعة وقد اقمت باعمال كهذه مرتين او ثلاث مرات منذ اتيت لوندرا وهي مكان تضييع القلوب وسترى ذلك ولو قيدت قلبك بالحديد . قال أهذا هو الواقع انني لا اشعر بهِ واعلم انك قد تداخلت في اكثر من امر منذ اتيت فانك لم تكن مستكنًا في نفس كما لكونا قال يا كاردن انت تعلم انني عاشرت النسا قليلاً فيها ولكنني لم اتجاوز الحدود كما يتجاوزها كثيرون . ولم ار في كل تلك المدينة غير امراة واحدة . قال ما اسمها . قال اوجينا وهي مسز ارشار انها لم تسلك سبل الخفة معي وهي بدون ريب جميلة جدًّا . فتغير لون وجه كاردن . ثم قال القبطان هل سمعت شيئًا عنها منذ اتيت لوندرا . قال نعم . قال هل تعرف اسمها قال نعم . قال قد سررت بذكر اسمها لك فانني اوبخ نفسي كلما ذكرت اسمها . قال ما هو السبب . قال ساخبرك بكل ما حدث . ان لي عمتين في سوثمبر فلما ذهبت اليهما عرفاني بامراة جميلة جدًّا اسمها لونكس (هي انتوانت) هل سمعت عنها . انها سخرت بي . قال لهُ انتبه للكلام فانك تتكلم عن اخت اوجينا . قال احسنت فلا اخبرك الا بما يعلمهُ كل الناس فاقول ان انتوانت استخدمتني كانني احد الحمقا وانفذت اليها بذلك والبرهان ما دفعتهُ عنها من ثمن بعض حلى وغير ذلك . وقد ندمت على التعرف بها كما ندم كثيرون غيري قبلي . واهالي سوثمبر يعرفون احوالها كما يعرفون البحر . قال كاردن انني لا ارى علاقة بين هذه الاخبار وما اظهرت من التاسف عند ذكر اسم اوجينا . اجاب اصطبر تسمع الخبر وهو انهُ منذ نحو ستة اسابيع كتبت اليَّ انتوانت من سوثمبر بانها قد راهنت اختها اوجينا بانها تقدر ان تاتي بها من بيت امها الى المدينة في الساعة التي ترغب فيها وطلبت اليَّ ان امنَّ عليها بالذهاب في اليوم التالي بعد الظهر الى محطة الطريق الحديدي في واترلو فارى ان اختها انتوانت تصل اليها بالمركبة التي تصل الى المحطة المذكورة بعد الظهر باربع ساعات . ورايت في التحرير من المزاح ما حملني على ان اظن انهما تتمازحان ولم ارَ ما يحملني على التمنع خوف وقوع ضرر ولاسيما لانني كنت احب ان ارى اوجينا فذهبت الى المحطة واذا بها قد حضرت في الوقت المذكور فرايت من جمالها الفتان ما طالما رايت غير ان لوائح الاضطراب الشديد كانت تلوح على وجهها وكانت تنتظر ان يلاقيها احد غير انها لم ترَ احدًا فاركبتها مركبة وسارت فيها قاصدة الستراند بدون ان تخبرني

سناتي بقيتها

ملح

(من قلم الخواجا بشاره اندراوس بارد)

الشهادة الصحيحة

امراة رومانية قبيحة الصورة كانت تتكلم مع جماعة امام شيشرون عن عمرها وتقول بان ليس لها من العمر سوى اربعين سنة وطلبت الى شيشرون المصادقة على ذلك فقال هذا مما لا ريب فيهِ والدليل على ذلك بانها ما غلطت قط في هذا التقرير عن عمرها منذ عشر سنوات فانها كانت دائمًا تجاوبني هذا الجواب

الشبوبية والشيخوخة

اجتمع نفر من المتقدمين في السن ووجد بينهم شاب فاخذ يسال كلًّا منهم عن عمرهِ فاجابهُ احدهم بان عمرهُ ٦٥ سنة والاخر ٧٠ والاخر ٦٠ الى ان انتهى الى الشيخ الاكبر بينهم فقال لهُ الشاب وانت يا عم كم عمرك فاجابهُ الشيخ عمري ٩٠ سنة فصفر الشاب دلالة على انهُ استعظم عمرهُ فالتفت اليهِ الشيخ وقال لهُ تفضل اذًا واذبحني يا ابني

جواب ظريف

كان ميرال مشخصًا شهيرًا في الروايات وكان ذا صورة قبيحة فشخص ليلة ما فصل متريدا توس بنوع مصر . فكان في احد الفصول انهُ استحضر مونيم امرائة واظهر لها كدرهُ وغيظهُ منها . فقالت لهُ وهي خائفة من غيظهِ ياسيدي لماذا تغيرت هيئتك فصرخ واحد من الجمهور دعوه يغيرها

بليد

رجل مهذار كان يخاطب جماعة وبينهم شخص بليد قليل الكلام فبعد حديث طويل والبليد شاخص اليهِ بعينيهِ لا يبدي حركة قال لهُ المهذار ويحك ألم تضجر من سكوتك اشر اليَّ بالاقل بانك سامع

الفلاح والحارس

دخل فلاح باريز للفرجة فوصل الى القصر الملوكي وكان على بابهِ الخارجي حارس فقال لهُ الفلاح ما هذا المحل فاجابهُ الحارس ليسخر بهِ هذه طاحون فقال لهُ الفلاح الظاهر ان رواجها قليل لاني لا ارى الاحمارًا واحدًا على بابها فرفع الحارس بارودتهُ ليضربهُ بها فقفز الفلاح يركض وهو يضحك

المتغفل

رجل قصد التوجه من عكا الى الناصرة لاجل الزيارة وعند ما استعد للسفر ارسل يعلم صاحبًا لهُ و يدعوهُ للتوجه معهُ ولما تاخر الرسول وفرغ امله من الانتظار ركب وحدهُ وتوجه الى الناصرة فوصل اليها العصر وعند الغروب اخذ يجول في شوارع البلدة فراى شقيق صاحبهِ الذي دعاهُ للتوجه معهُ مقبلاً عليهِ فاستغرب حضورهُ وقال لهُ ما لي اراك هنا مع انك كنت صباحًا في عكا . قال انني اتيت اليك خصوصًا . قال لهُ خيران شاء الله . قال عند ما ارسلت لتدعو اخي للتوجه معك ارسلني اليك لاشكرك ولما اتيت محلك سالت عنك فاخبروني بانك توجهت فاسرعت الى خارج القلعة فما وجدتك واخبروني بانك توجهت فالتزمت بان اتي الى هنا لاعتذر لك واشكرك بالنيابة عن اخي قال لهُ اشكرك على معروفك وهمتك فسلم على اخيك وقل لهُ انني لا انتظر شكرًا ممن لهُ اخ نظيرك

الجنان

الجزء الرابع عشر
في ١٥ تموز (جوليه) سنة ١٨٧٦

اعلان

انهُ قد صار توزيع المجلد الاول من دائرة المعارف على المشتركين الدافعين في بيروت والشام وصار ارسال النسخ المختصة بحلب وديار بكر والموصل وبغداد ضمن صناديق الى الشام ومن هناك تتوجه مع الثقل الى محلاتها باسم الوكلاء وقد سرّنا ما بلغنا من ان جميع الذين وصلت اليهم دائرة المعارف سرّوا بها واملنا انهُ مع همة المجلدين في المطبعة وتيسر الفرص سنتمكن من ان نرسل المجلدات الى المشتركين في لبنان والثغور وجهات اخرى وانهُ عندما يتم تجليد جانب من الكتب المختصة بالحكومة الخديوية في مصر يصير ارسال ذلك مع النسخ المختصة بسائر المشتركين في القطر المذكور وسندرج في الجنان اسماء الذين يدفعون السلفية الثانية عند استلام المجلد الاول بحسب التعهدات كما فعلنا في السلفية الاولى ونسال الباري تعالى ان يوفقنا جميعًا ويكلل هذه المساعي بالنجاح

اعلان

ان المركب المسكوبي الاخير سافر قبل ميعادهِ ببرهة تاركًا بعض اجزاء من الجنان وبعض اعداد من الجنة لبعض المشتركين في الاسكندرية والارياف ومصر فارسلناها مع النمساوي

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

مصيبة خير من مصيبتين فهل نسلم من الثانية يا ترى وهي حرب عمومية اوربية او حرب تضرم نيرانها اكثر دولها العظيمة المتاهبة برًّا وبحرًا فالاولى الثورة وهي التي قد اوقفت دولاب الاعمال في الشرق اجمع وتناولت قسمًا مهمًّا من اشغال الغرب وكنا قد علقنا الامل بالانكليز على ان الظاهر ان السياسة الروسية لم تصد في جهة الا لتنفذ في جهات اخرى ومن المستغرب ما سمعناهُ بالاخبار البرقية المنشورة في الجنة من ان الدولتين المشار اليهما قد توافقتا على المحافظة على الحيادة وترك الحكم للسيف بين الباب العالي والعصاة في البلكان من البلغار والصرب والجبل الاسود وبوسنه والهرسك كان الحيادة في الظروف الجارية فوز عظيم وصالح كبير للامة العثمانية فالذين يحبون الراحة والسلام يفضلون انقطاع الحروب ورجوع الامنية الى الاشغال والراحة الى الافكار على كل حيادة واتفاق لا باول الى تقرير الحال ولا يخفى كل عارف بالامور السياسية ان للحالة التي امسينا فيها اهمية من وجهين احدهما داخلي وهو الحرب وما ينشا عنها والثاني خارجي وهو نسبة روسيا الى المتصلة ونسبتهم اليها بل نسبة المتحاربين اليها ونسبتها اليهم ولا بد من ان تكون الدولة الروسية نفسها مساعدة

كثيرًا العصاة او انها صارفة النظر عن اسعافات رعاياها المتحزبين جنسيًا للسلاف او دينيًا فارهنهم بان كل ما يفعلونه هو بارادتها وموافقًا لمصلحتها ومنهج سياستها في الشرق على الاول تكون مداخلة الانكليز قد جاءتنا بعظيم ضرر لانهم اوغروا صدور الروسيين علينا وعلى انفسهم حتى قال البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول مستهزيًا انه قد تجاوز السن الذي يمكنه من الانتقام ولعله اراد ان يقول ان الانكليز تظاهروا بالمقاومة العدوانية وعثوا ببوارجهم المدرعة وهاجوا وماجوا مع المحافظة على الاعتدال الغريزي بهم متوهمين انني شخت وخار عزمي وفقدت حميتي فلا اقدر ان انتقم منهم لما يعلمون بان روح الدولة هو روح الامة وليست بروح الرجال الذين يسوسونها فامتي فتية عاتية بعيدة فلا تتناولها مخالب بوارجكم التي تطير على اجنحة المياه ولكنها لا تقدر ان تدب على سطح الارض حيث نطير نحن والدول التي تعلم انه ليس في اتحادها معها شيء من الخير لها وقد نشرنا رسالة من مكاتب التيمس المقيم في باريز قد تبين منها باجلى بيان ان فرنسا رغبت في ان تلطف مقاومة انكلترا لروسيا عند حضرة امبراطورها ووزيره الاول حبًا بالمحافظة على الحب والسلام فشرعت في ان تقول له ان التغييرات التي جرت في الاستانة العلية هي التي جاءت بوضع لائحة روسيا في زوايا النسيان فلا يعد ذلك فشلاً ولا يلحق بالروسيين عارًا ولا شماتة وانها تعزيا بهذا الكلام وبدلا كدرها الشديد بالانشراح فاذا كان ذلك صحيحًا كما يظهر من عبارة المكاتب وان حكومة فرنسا بلغته تلك الاخبار اظهارًا لعملها وتطمينًا للقلوب وارضاء للانكليز تكون السياسة قد بلغت مبلغًا يدعو الى التعجب والاستغراب بل الى الاستخفاف لان ما يجري بين الدول هو مداهنة ومخادعة فان روسيا ليست بواد قد لحق به ضرر ولا يعلم مصدره وبوارج انكلترا تمخر مياه الشرق متهددة ومتوعدة واتلامها قد نشرت اراءها في العالم قاطبة تحاول ابعاد الدول عن روسيا واستيلاءها اليها وما بعد ذلك غير سل السيوف وتصادم الجيوش ولما رأت روسيا موغرة الصدر وقد اخذ الغيظ منها كل ماخذ ومزقت احشاءها بمجاسرة الانكليز حال كونها تحسب نفسها حاملة مفتاح الميزانية في العالم وسيف النفوذ الاول اطلقت العنان للصرب بعد ان كانت قد جعلتهم يتاهبون ويتجهزون ويحولون بلادهم الى معسكر لتتهدد بهم العالم استنادًا الى السياسة التي كانت قد صممت على القيام بها واتمامها اسلم عاقبة من الحرب من جهة اضرارها العامة وتاثيراتها في المالية والاشغال واطالة زمان الاضطراب وقد انت لبوسنة اختاري امير الصرب ملكًا والهرسك امير الجبل الاسود فاظهرت ان نكاية الانكليز قد جعلتها تعول على انفاذ كل السياسة المكنونة في صدرها منذ زمان طويل بعد ان كانت مرتضية بان تمنح العصاة حقوقًا ترضيهم ومن الناس من يقول ان نوايا روسيا واحدة اذا عارضتها انكلترا او لم تعارضها وياتون على ذلك بدليل قول العصاة في كل حال اننا لا نرتضي الا بالاستقلال التام وان مخابراتها واللائحتين اللتين اقامت بهما انما هي لاكتساب الزمان لاتمام تاهبات الصرب والجبل الاسود ودخول فصل الشتاء فانه موافق للعصاة فيعيق نقل مهمات الدولة العلية وحركات جنودها بثلوجه وعواصفه على ان المرجح هو غير ذلك فان روسيا قررت بارادتها لائحة برلين المنسوبة الى البرنس كورتشاكوف وزيرها الاول والحت على انكلترا بقبولها وحرمت النمسا وسائطًا لاكتساب بياض الوجه عند الامة السلافية ولاسيما الخاضعة لها في دالماسيا وكرواسيا وغيرها واعتنت باظهار الواقع ومنعت الصرب عن المداخلة وتركت امير الجبل الاسود

الذي يقبض معينًا سنويًا منها يسعف العصاة ليمنع فوز الجنود الشاهانية عليهم واخماد الفتنة ولذلك نقول بالترجيح ان روسيا كانت تخاف ان يكون اتساع دايرة العصيان بانضمام الامارتين المذكورتين الى العصاة واسطة لفتح حرب عمومية غير انها عندما جعلت وزير انكلترا يقول مراعاة لمداخلة دول اوخوفًا من ان يتوهم الناس ان عدم مداخلته بعد ابطال لائحة البرنس كورتشاكوف عن فشل لحق بسياسته وان معاهدة سنة ١٨٥٦ تمنع الدول عن المداخلة ولكنها لا تدعوهم الى التداخل اذا انتشبت حرب بين الدولة العلية ورعاياها او بينهما وبين الامارات المتعلقة بها فاستغنمت سنوح الفرصة الناشئة عن هذا الكلام ووسعت دائرة الثورة بعد ان ترتب على الانكليز ان لا يتداخلوا ولا يخفى ما في ذلك من الموافقة لروسيا اذا كانت في المساعدة للعصاة دوليًا لغايات معلومة وعلى الثاني تكون مجاراتها لرعاياها انما ينتهي عند بلوغ الحد المعلوم ولا يترتب عليه امداد العصاة ولا الخوف من مداخلة روسيا متى دارت الدوائر عليهم ولا ريب في ان ذلك كله يتوقف على اتفاق الدول الاوربية فان صادفت روسيا معارضة قوية كما في حرب اكريت وتكديرات سياسة اليونان تصرف المسئلة بجمعية دولية ولو عادت بالضرر على الذين استعنتهم في ارا ماليها كما جرى في جمعية باريز التي كانت سببًا لابعاد اليونان عن الدولة الروسية وانحيازهم الى الدولة العلية لعلمهم ان صالحهما واحد ويقال بالثبات وعن يقين انه لو ارادت روسيا ان تمنع الامارتين المذكورتين عن المجاهرة بالعصيان لتمكنت من ذلك بمجرد التظاهر بمضادتهما وان ذلك العصيان منتهى غاياتها وقصارى مرغوبها وما هو الا من نتائج سياستها السلافية في البلغارية المضادة لليونان ايضًا حتى تشعبت وامتدت الى اقطار مختلفة من المملكة

فهذه امور ماضية لم نذكرها الا لتعلقها بالاستقبال للاستدلال على ما تفعل روسيا متى رات ان الدائرة قد دارت على العصاة حال كونها هي وانكلترا محافظة على الحيادة وعلى ما قيل لكل منهما ميل مخالف لميل الدولة الاخرى فالحيادة الجارية ربما كانت ظاهرية فان الدولة التي تمكن قوادها من ان يقودوا جيش عصاة قد عصوا على دولة متحابة ربما كانت لا تسلم اعمالها الخفية من مساعدات اخرى ولئن كان استخدام قوادها خارج الخدمة الفعلية في جيش العصاة ليس بمخالف لنصوص القوانين الدولية ويخل بحقوق الحيادة ولكنه يدل على التراخي لان النمسا لما ارادت ان تضايق العصاة سدت على المتطوعين من غير رعاياها المسالك بل طردت المساعدين للعصاة من بلادها وعلى ذلك نقول ان تظاهر روسيا بمنع الحرب في اول الامر عن فتح الحرب كان من صالح الحرب لانها كانت غير مستعدة للقتال ولذلك كان كثيرون من رجال الدولة العلية يرغبون في فتح الحرب عليها حينئذ وتظاهرها لمنعها مدة نحو شهرين ثم شهر كان بامل نفوذ سياستها السلمية او لحفظها لسند تلك السياسة او لاطالة زمان الحرب وزيادة خسارة الدولة العلية ثم دخول فصل الشتاء على ان الاحوال ابانت لها ان الصرب تضعف اذا طالت الاقامة على حالتها الناهبية او ان العصاة قد باتوا في ضياع فلا يقدرون ان يثبتوا في القتال بدون مساعدة الصرب والجبل الاسود جهارًا وقد قالت روسيا انهم لم تهجم وان لعصيانهم اسبابًا اخرى قد ذكرت في اوقاتها وان مداخلاتها انما هي لصرف المشكل بما يوافق الفريقين ورفع الاثقال الجارية عن عاتق العالم وازالة اسباب الحروب الدولية وتوطيد اركان السلام وغير ذلك مما ينكره عليها جمهور من العارفين باحوال السياسة ولا بد من ان نعيد ما قلناه منذ ثلث سنوات وسنتين ومنذ اسابيع

قليلة بتكرار واثبات وهو ان رجال السياسة القابضين على ازمة الامور لا يعلمون الى اين يساقون عند طوفان انهار السياسة العدوانية فان كلاً منها تتوقع شرا وهي لا تعلم مصدره القاطع فان التصاريح كلها في تناقض وقد سمعنا من كلام وزير انكلترا الاول في سنة ونصف ما جعلنا على يقين من هذا القبيل فانه قد غير كلامه بتغيير ارائه اكثر من اربع مرات فسمعنا تارة يبشر بالسلام وطورًا يحذر الناس من الحرب في مدة قصيرة جداً وهذه ادلة ليست في شيء من الخير الا اذا اصبح ارتياب الدول في الاحوال واسطة لاطالة زمان الصلح وتمكين دولتنا من اخماد الثورة فهذه الاخبار المتعلقة بالماضي هي ذات اهمية بالنظر الى الاستقبال لان الحيادة المقررة في الحال هي في مركز ذي خطر دائم اذا فازت الدولة العلية واذا لا سمح الله تمكن العصاة من اطالة زمان الثبات فاذا فرضنا ان روسيا لا ترتضي بخذلانهم واخضاعهم وخسران السرب والجبل الاسود استقلالها فربما كانت تقوم بتدبيرات جديدة عند ما ترجح كفة ميزان القتال بالنصر في جهة الدولة العلية وربما كانت تدبيراتها لا تسلم من المقاومات السياسية وكذلك الانكليز وفرنسا او المانيا والنمسا لا تقبل بتعاظم الخطب علينا وبدون الاسهاب في هذا الباب نقول ان السياسة الاستقبالية غير واضحة وتجهيزات الدول كثيرة وضغائنها عظيمة والعالم في احتياج الى فض المشاكل التي قد افقرت خزائن الدول وتركتها تئن تحت اثقال ديون لا تقدر ان تقوم بوفائها واكثر الاصحاء والاشداء من الرجال يصرفون اوقاتهم في المعسكرات وهم يشتغلون بصرف اموال الامم عوضاً عن ان يجمعوا ما يقوم بمعاشهم ويزيد الثروة في بلدانهم والمرجح ان اشغال العالم الاوربي والبلدان المتعلقة به كالتعلق كمصر وبلاد نيا لا تعود الى مجاريها الا بعد فض المشاكل السياسية الجارية بوقوع حروب

ولذلك بتنا نتوقع صرفًا حربيًا اذا لم يتيسر القيام بصرف سلمي غير اننا نخشى اطالة زمان الوصول الى ذلك لان الظواهر تدل على انه لا تجري أمور جديدة مهمة في هذا الصيف واذا دخل الشتاء علينا فربما كان يتاجل الامر الى السنة المستقبلة وهذا امضر جدًا بالبلاد بل بالعالم قاطبة لانه ما دامت امور الشرق غير مقررة لا تكون احوال أوربا في رواق وسكينة ولا يصعب على الدول اذا عدلت وانصفت ان تنقذنا من الحال المرتبكة الجارية وتنقذ نفسها منها بالمخابرات والمفاوضات ولسنا من الذين يتشاءمون ولكننا نفضل في الظروف الجارية ان نستعد لملاقاة اردا حوادث الزمان بالنظر الى احوال اوربا وتاهبات دولتنا العلية وعساكرها الجرارة وبسالتها ضمانة كافية تضمن ردع العصاة عن غيهم وترجيع الراحة وفي الحروب يتوقع الانسان العاقل الشر كما يعلق امله بالفوز بالخير والله يعطي النصر من يشا ونظن انه لولا استخفاف الفرنسويين منذ البداية باعدائهم الالمانيين لما وقعتهم الحرب في البلايا التي وقعوا فيها فينبغي والحالة هذه ان نكون على تيقظ وحذر وان نفرغ الجهد في اسعاف دولتنا بالرجال والمال بالهدو والسكينة والسرور فرحين بسنوح فرصة تمكننا من خدمة الوطن والدولة لان راحتنا براحة حكومتنا وناموسنا بسلامة ناموسها وهذا هو زمان توطيد الحب والالفة بيننا والتسابق الى اظهار الحمية بالامدادات المطلوبة نابذين عنا كل تغرض وانشقاق وتحزب جاعلين الاقلاع عن كل المكدرات ديدننا عالمين بان اهم خدمة نقدمها لدولتنا وانفسنا في الحال الابتعاد عن كل المغايرات فان الراحة الداخلية وسيلة عظمى لنفوذ القوة في البغاة ولارضاء اوربا وتمكن صداقة الدول التي قد حالفت دولتنا فالعقلاء هم الذين يديرون دواليب الهيئة الاجتماعية والمسئولية في ذلك ملقاة على عواتقهم

ترجمة المرحوم راشد باشا

قد نشرت جريدة لاتوركي الترجمة الاتية

ان اصل عائلة المرحوم محمد راشد باشا وزير الخارجية من دراما في مقدونية وكان المرحوم والده من اعيان مصر في ايام المرحوم عباس باشا ومن اصحاب رتبة ميرميران

وكان راشد باشا المشار اليه من الشبان الذين ارسلهم المرحوم عباس باشا خديوي مصر الى باريز ليدرسوا فيها مع الامراء المصريين اسمعيل باشا وهو الحضرة الخديوية السنية الحالية واخويه المرحومين احمد باشا ومصطفى فاضل باشا

وبعد ان اقام بضع سنين في فرنسا وجمع معارف كثيرة رجع الى الاستانة العلية الى ابيه الذي خرج هو وبعض المامورين المصريين من خدمة المرحوم عباس باشا واقاموا في الاستانة العلية . وفازوا جميعاً بالتفات الباب العالي فعين المرحوم حسين حيدر باشا والد المرحوم راشد باشا متصرفاً لبيغا ومات فيها . فامسى ابنه المشار اليه يتيماً صغر اليدين فانتظم في سلك خلفاء الترجمة في الباب العالي . وكان عارفاً باللغة التركية والعربية وباللغة الفرنساوية باتقان بواسطة المعارف التي فاز بتحصيلها في اوربا . فامتاز في برهة قصيرة في خدمته

فراى الباب العالي ماله من الحذق مع صغر سنه فرقاه الى الرتبة الثالثة في اواسط سنة ١٨٥٣ ووجه اليه حكومة غاليولي . وكانت مركزاً صعباً في ذلك الزمان لانها كانت قد جعلت مكاناً لمهمات جنود الدول المتحدة في حرب القرم . فاقام فيها بواجباته حق القيام مدة اربع سنوات بمعاونة كاتبه الخاص جناب عزتلو دانندا افندي مدير الدائرة القونسولسية في وزارة الخارجية . واظهر من الهمة واصابة الراي ما يستحق كل الثناء والمدح . ولم يكن سهل القيام بخدمة مركبة ولا تسهيل الامور لمهمات جنود فرنسا وانكلترا وايطاليا وتهيئة اماكن لنزول ضباطين اجانب ومامورين . ومع كل ذلك جعل كل الصوائح تسير في انتظام وفاز بالشهرة عند الاهالي اسلاماً ونصارى حال كونهم كانوا عائشين في اضطراب دائم ولا سيما في اثناء الحوادث التي سبقت حرب القرم . وتمكن من ارضا الجميع . وحسبنا ذكر حادثة واحدة لاظهار حب الذين كان يسوسهم له وانقيادهم اليه وحدثت نحو سنة ١٨٥٧ وكانت قد انتهت حرب القرم وشرعت الدول المتحدة في اخراج جنودها ولم يكن في غاليولي غير بضع مئات من الجنود الفرنساوية . وكان خارج المدينة المذكورة بالقرب من مقبرة المسلمين مكان كان الروم يقيمون الصلوة فيه يوم الجمعة من الاسبوع السابق لعيد الفصح عندهم . وفي ذلك اليوم كان بعض اولاد الروم يلعبون فخطر لهم ان يلعبوا بتخبئة بعض حجارة من المقبرة المذكورة . وكان ذلك تعدياً دينياً غير ان الذين اقاموا به لم يكونوا يدركون . فاغتاظ بعض مسلمي المدينة عند ما سمعوا بما جرى فاجتمعوا جمهوراً غفيراً في المقبرة ووضعوا على مركبات كثيرة قطع البلاط والحجارة التي كانت فيها منذ خمسة قرون اي منذ فتح العثمانيون غاليولي ثم ساروا مغتاظين متهددين الى جهة مركز الحكومة . فعرف راشد بك (هو راشد باشا) المقصود من هذا التظاهر والخطر الذي بات النصارى فيه . فقابل القوم ببشاشة وتلطف وتمكن من تسكين روعهم بذلك اللطف الذي كان يجذب القلوب اليه وحرضهم على الرجوع الى مساكنهم والانتظار بسكينة الترضية التي لا تتاخر الحكومة عن ان تمنحهم اياها وكانت ترضية حسنة جداً من كل الجهات فان الحجارة والبلاط التي اتوا بها ووضعوها امام مركز الحكومة استخدمت لبناء سجن

وسنة ١٨٥٧ اخرج من هناك ليتقلد حكومة سولينا

وفي مدينة بنيت حينئذٍ عند مصبات الطونه واقام فيها ثلث سنوات والصحيح ان يقال انهُ موسعها وتمت بحسن مركزها . وفي تلك الاثناء جال الصدر الاعظم قبرصلي محمد باشا فاحصًا في الروملي . وتمكن من ان يرى عن قرب اثار اهلية راشد باشا وحذقهِ واصابة سياستهِ في المكان المذكور . وعند رجوعهِ الى الاستانة العلية عرض للحضرة الشاهانية طالبًا ترقيتهُ الى رتبة ميرميران مع توجيه متصرفية تولتجا اليهِ . ونحو بداية سنة ١٨٦٠ تقلد تلك المتصرفية وبعد ذلك بسنة وجهت اليهِ متصرفية اشقودرة ومن ثم صار حاكم بلغراد حيث رقي الى رتبة روملي بكلر بك

ثم دعي من بلغراد الى الاستانة العلية واقام فيها اياماً قليلة فقط بدون مامورية ثم اعيدت اليهِ متصرفية تولتجا وبعد ذلك بسنة صار متصرف ودن عوضاً عن سليمان باشا الذي صار والي ادرنه

وفي ١٠ رجب سنة ١٨٦٣ رقي الى رتبة الوزارة السامية وصار والي ازمير وساسها نحو عشرين شهرًا وبخروجهِ منها ليتقلد ولاية سورية شيعهُ بالثناء الاهالي والاجانب وشكروهُ . ولم يكن نجاحهُ في سورية اقل من نجاحهِ فيها مع ان سياستها صعبة جدًّا من كل الوجوه . فان اهاليها من اجناس واديان كثيرة مختلفة بل من جميع الاديان المعروفة وهي فعلاً محل موافق للادارة ولو كان مدبرها حاذقًا وتغلب فيها على كل الموانع وتمكن من سياستها سياسة ارضت الاهالي قاطبة والقناصل مع روساء الاديان الكثيرين وانفذ سطوة الحكومة في البدو وفي حوران (وفي النصيرية) وفاز بثناء الباب العالي (انظر مراجعة الجنان والجنة تظهر كل اجرائهِ في سورية بدون مبالغة وهي معلومة عند قرائها فلا لزوم الى تذييل هذه الجملة بالتفصيلات المعلومة عندنا

وسنة ١٨٦٩ حضر حضرة امبراطور النمسا فتح ترعة السويس وزار الاراضي المقدسة فصدرت الارادة السنية بان يقوم راشد باشا بالاحتفالات الواجبة وكان كامل باشا متصرف القدس فسلم اليهِ القيام بالاحتفال لدى سمو ولي عهد امبراطور المانيا الذي زار فلسطين عند زيارة امبراطور النمسا لها وخرج حضرته مرتضيًا جدًّا بعظم الاحتفال الذي اقيم لهُ فيها وقد طالما تذكر ذلك واقام بها ابان مرات كثيرة تعطفهُ اليهِ وهو في فينا سفير الدولة العلية

وكان المرحوم عالي باشا يعلم ما عندهُ من الاهلية والحذق والمعارف الادبية والسياسية . فلما راى ان احوال صحتهِ تلزمهُ بان يقلل اشغالهُ اشار على المرحوم السلطان عبد العزيز بان يدعو راشد باشا الى الاستانة العلية ويجعلهُ قائمقام الصدارة العظمى وبلغهُ الخبر وهو في سورية بوسائط غير رسمية غير ان المنية ادركت عالي باشا قبل ان اقام بذلك . فخلفهُ محمود نديم باشا واصدر امرهُ بفصل راشد باشا عن ولاية سورية بعد ان تقلدها خمس سنوات وشهرين واقام باعبائها باستحقاق وامتياز فذهب الى الاستانة العلية واقام بها عشرة اشهر كاملة بعيدًا عن خدمة الحكومة ثم وجهت اليهِ ولاية الهرسك ونوفي بزار بعد ان شكلتا ولاية . وبعد وصولهِ الى مركزها بمدة قصيرة وجهت الى دولتهِ ولاية نيش وعلم بعد ذلك بايام قليلة بانهُ قد وجهت اليهِ ولاية بوسنه وفيما هو في الطريق وردت اليهِ الاوامر بالرجوع الى الاستانة العلية

فعاد اليها ولازم بيتهُ خمسة اشهر ثم وجهت اليهِ نظارة النافعة ثم نظارة الخارجية التي خلف فيها صفوت باشا ناظرها الحالي . وانعم اليهِ حينئذٍ بنيشان العثمانية المرصع وارسل ابهنا بالنيابة عن الحضرة الشاهانية حضرة امبراطور روسيا في ليفاديا في القرم . وبعد رجوعهِ فوض اليهِ ان يكون في خدمة حضرة

شاه ايران المعظم وهو ضيف الحضرة الشاهانية

وبعد ذهاب البرنس ميلان امير السرب فصل عن الخارجية ويقال ان سبب ذلك مسئلة سورنك التي فتحها البرنس وهو في الاستانة العلية . ثم وجهت اليه سفارة الباب العالي في فينا واقام فيها سنة ونصف سنة ثم وجهت اليه نظارة الخارجية واقام فيها بخدمات مهمة ممتازة . وكل محب لوطنه متاسف من جرى موته قتلاً واصدقاؤهُ الكثيرون لا يتعزون عن فقده لانهم يعلمون ما كان عليه من صفا الباطن وجودة القلب وقوة العقل حتى انه كان يجذب اليه كل القلوب

انكلترا والشرق

لا ريب في ان مطالعي الجنان يحبون ان يطالعوا المفاوضات التي تجري في مجلس انكلترا العالي بشان الشرق ولو كان ذلك سابقاً للاخبار المهمة التي وردت بالبرق في هذا الاسبوع عن وقوع حروب جديدة . وقد قال مستر ديزرائيلي وزير انكلترا الاول ما ياتي مترجماً جواباً على سوال

انني ابادر الان باذن المجلس الى ان اجيب على سوال صديقي المحترم لجهة موافقة المفاوضة بامور متعلقة بالشرق للجنة العمومية السياسية او عدم موافقة ذلك . واذا كان ذلك غير موافق فهل تعرف الحكومة اهمية الامتناع عن ذلك الناشي عن الحكمة بل الناشي عن حب الوطن فان المجلس قد مكنها من مجانبة المفاوضات في ظروف صعبة جملة على ان يمتنع عن مفاوضات ربما كانت تكدر القيام بالسياسة (اسمعوا اسمعوا) . اما انا فاومل ان لا يقع تعد على هذه المجانبة . واوكد للمجلس ان الحكومة الانكليزية ليست براغبة في ان تستغنيها الا للقيام بما يعود بالنفع العام . وربما كان المجلس يقدر ان يحكم لنفسه في موافقة المفاوضة في الحال بامور الدولة العثمانية او عدمها اذا بسطت امامه بالضبط الممكن حقيقة الحال الجارية . هذا وقد اختلفت الدول العظيمة على بعض امور غير انها قد اتفقت على امر واحد وهو انه من العدل والصواب بعد حدوث ما قد حدث في الاستانة العلية وجلوس الحضرة الشاهانية ان لا تقوم بالحاح غير معتدل وان يكون للباب العالي الزمان الكافي للتامل في الاحوال الجارية وان يحكم بما هو اوفق الوسائل للتخلص من الصعوبات الجارية وتقرير حال اكثر قبولاً عند اوربا . ولذلك قد نشرت الحضرة الشاهانية اعلاناً منحت به العصاة هدنة عمومية في الهرسك وبوسنه وقد اعلنت ايضاً قطع المقاتلات ولم ترد الينا اخبار رسمية بشان قبول العصاة لذلك وهذه نتيجة لا سبيل الى مجانبتها لانهُ ليس لهم حكومة موقتة ولا رئيس معروف . غير ان ما حدث في تلك البلاد يحملنا على ان نقول ان الاعلان قد جاء ببعض اشتراك بالمحاسبات مع الحكومة عند العصاة لانهُ قد تقرر عندنا ان الحكومة العثمانية قد تمكنت من ان تدخل الزاد الى القلع في الهرسك بدون صعوبة مع ان محاولة ذلك منذ بضعة اسابيع جاء باكثر من قتال واحد دموي . واقدر ايضاً ان اقول اننا قد راينا ما يحملنا على ان نقرر في عقولنا ان المخابرات جارية في الحال بين الحكومة في الاستانة العلية واقوام مختلفين من رعاياها . ولا ادعي بالاقتدار على ان ابين ما ينشا عنها . غير ان المجلس اصبح قادراً ان يحكم بصوابية المفاوضة بتلك الامور المهمة في الاحوال الجارية او بعدم صوابيتها . ولا ريب في ان اختبارهُ يبين لهُ انهُ كثيراً ما تكون جملة واحدة في المفاوضات سبباً لارتباكات كثيرة لانها ربما كانت تاتي بانتظارات غير معتدلة في بعض الجهات وتسوق الى امال باطلة (اسمعوا اسمعوا) . واقول بالنيابة عن الحكومة الانكليزية انهُ من الواجب ان يثبت المجلس العالي على مجانبة المفاوضات الى ان نسمع عن نتائج الاجراءات التي اقامت بها الحكومة العثمانية في المدة المتاخرة

(اسمعوا اسمعوا) ولا يخطر لي ببال انهُ يمكن فض المجلس العالي قبل ان يبرز راية بشان تصرفاتنا عند التامل في اهمية تلك الامور والصوالح العظيمة المعرضة للمخاطر وصعوبات الحال والاجراآت التي اقامت بها الحكومة الانكليزية على مسؤوليتها (اسمعوا اسمعوا) واوكد للمجلس بالنيابة عن تلك الحكومة انهُ حالما نرى انهُ من الممكن القيام بمفاوضة بدون ايقاع الصوالح في اضطراب شديد او نلحق بها ضررًا يكون من واجباتي ان امكن صديقي المحترم الذي سال هذا السوال الان او غيرهُ من الذين يقومون مقامهُ في ذلك جميع التسهيلات اللازمة لطرح الامر تحت انظار المجلس العالي (اسمعوا اسمعوا)

فاجاب المركيز هارنكتون . ربما كان المجلس العالي يسمح لي بان اقوم بملاحظة . فاقول المظنون ان نائب بورتسموث (مستر بروس) لا يسال سوالهُ نهار غد بعد ان سمع ما سمع من تقرير الوزير الاول غير انني راغب في ان اقول للمجلس وللحكومة ان النائب المحترم قد حصل للغد فرصة موافقة لذلك السوال ولذلك امتنع بعض اعضاءه عن ان يقرروا سوالات اخرى متعلقة بالامر الذي كان موضوعًا للسوال (اسمعوا اسمعوا) . واحب ان اقول ان في المجلس ولا سيما في هذه الجهة المضادة ميلاً شديدًا الى ان لا تطول مدة منع تبليغنا الافادات التي لم تبلغ الينا بعد بشان نسبة هذه البلاد الى احوال شرقي اوربا والى الدولة العثمانية بالنظر الى رعاياها العاصين ونسبتها الى الدول الاخرى العظيمة . وعندي ان ما ابانهُ الوزير لذيذ غير انهُ لا يتضمن افادات لجهة مركز حكومة انكلترا في الماضي وفي الحال بالنسبة الى تلك الامور المهمة . ولا اتجاوز حدود الاعتدال اذا قلت انهُ قد حل الزمان الذي يكون فيهِ من الاصابة مبادرة الحكومة الانكليزية الى تبليغ المجلس العالي افادات جديدة . وقد تكلمت الان لاقول ان المامول ان الوزير ينتهز اقرب الفرص ليمكن المجلس من ان يقف على الاحوال الجارية وان يضع امام المجلس الاوراق الجديدة التي قال انهُ سيطرحها امامهُ عند ما يسمح لهُ بذلك صالح المصلحة

روسيا

قد نشرت جريدة التيمس الرسالة الاتية ترجمتها وهي من مكاتبها الباريزي وتتضمن امورًا مهمة متعلقة بالسياسة الروسية . ولا ريب في ان مطالعها يرى فيها حذق روسيا السياسي عند حدوث ما لا يوافقها واقتدارها على نوال ماربها بوسائل مختلفة

اذا كان لما تقرر في العقول صحة من جهة الحزب جريدة النور للحكومة الروسية واعرابها عن نواياها فتغيير كتاباتها يستحق الملاحظة . ويحق لنا ان نقول ان تغييرها السريع الغير المنتظر ونشرها لقواعد مخالفة للتي طالما نشرتها لا ينسب الا الى نسبتها الرسمية التي جعلتها تقاد باشارات عالية الى دائرة ادراك حقيقة الاحوال . والاخبار الواردة من امس تبين ان الاميال فيها امس هي غير الاميال التي كانت فيها منذ ايام قليلة . وقد راى بعض الذين كلموا البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول وابان لهم ارادتهُ بتصريح انهُ عند وصولهِ الى مدينة امس لم يخش ان يتكلم عن الصد الذي صادفهُ وانهُ قد شعر بهِ كل الشعور حتى قال انني قد تجاوزت السن الذي لا يمكنني من الاستعداد للانتقام . ومن السهل ادراك الاسباب التي جعلت ذلك التشكي والكلام يقوم مقام الجمل المهيجة الطاعنية التي جاءت باضطراب منذ ايام قليلة ومن الواجب ان نعلم انهُ لا تخلو من المبالغة والتغيير اللذين يطرآن على الكلام المنقول عن بعد في عهد جريدة . غير ان اجتهادات الجميع المتحدة قد جعلت وزير روسيا

الاول يقرر في عقله الاحوال تقريرًا اصح . فانه قد اظهر له ان الصحيح انه لم يصد . ومن المقرر انه لو رفض الباب العالي اللائحة كما كان ينتظر ولو قبلت انكلترا برفضه ثم امرت بوارجها بالاجتماع في بسكي وبادرت روسيا بداعي رفض الدولة العلية وتصرفات انكلترا الى ابطال اللائحة باختيارها او بدونه لقلنا ان البرنس كورتشاكوف قد صد بدون ريب . واذا تذكرنا الهيجان الشديد الذي ظهر في روسيا بدون حدوث شيء من ذلك نقول انه ربما كان البرنس المشار اليه يعرض نفسه لكل المخاطر قبل القبول بمصادفة ذلك الصد . وما من احد غير الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان ينشا عن جري تلك الامور في مجاريها الطبيعية . ولا ريب في ان خلع المرحوم السلطان عبد العزيز في ٣٠ من الشهر قبل تقديم تلك اللائحة رسميًا من التوفيقات الالهية . فان خلعه جاء بتغيير غير منتظر في الاحوال فلم تقدم اللائحة الى الباب العالي فلم يلتزم ان يقبلها او يرفضها ولم تلتزم روسيا بان تصد . ولا يرى الانسان انها صادفت صدًا ومن الموكد ان انكلترا لم تقبلها فعدم قبولها لا يعد وقوع صد على روسيا . وصدور الامر باجتماع بوارجها انما هو فعل امة حرة مفتخرة قد ابانت انها متاهبة لملاقاة ما ينشا عن امتناعها عن قبولها . وهذه كلها لا تظهر وقوع الصد على روسيا فان اللائحة توقفت في وسط الطريق بامر حدث وعارضها في وسط سبيلها فان خلع السلطان عجل حوادث وسوء مفهوميات غير منتظرة . فلا يقال ان انكلترا علة منع جري اللائحة في مجراها الطبيعي ذي الخطر . ولكنها قوة انفذ من قوة اشد الامم باسًا واقواها . فوقوع تدبير سياسي بامر تلك القوة لا يعد وقوع صد على ملوك ووزراء . واذ قطعنا النظر عن اللائحة نرى انه جرى امر منذ اشهر قليلة وصادف

قبولاً وذلك ترضية كافية وهو امر لائحة الكونت اندراسي . فان الجميع قرروها حتى الباب العالي . وقد تبين ان لائحة البرنس كورتشاكوف انما هي لتذكر الباب العالي بالامور المقررة في اللائحة الاولى وتنفذها . ولا تزال اللائحة الاندراسية مقبولة ومتنها لم يعدل عنها . وقد اظهرت الحكومة العثمانية الجديدة ما يدل على انها راغبة في اجرائها وتذييلها بمخابرات مبنية عليها . ولا ريب في ان ذلك نجاح لروسيا ولسائر الدول وهو عظيم لان الباب العالي قد حافظ عليه . وربما كانت اوربا تقدر ان تجلس متفرجة برهة على المخابرات التي لا بد من القيام بها بدون تقصير بالقيام بواجباتها . فهذا هو الواقع وهو نجاح للجميع وليس بصد لاحد . واظن ان هذه البراهين قد بسطت بالحاح امام البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول في امس فاضعفت اضطرابه الاصلي وجعلته ذا آراء اعدل من آرائه الاولى واكثر اعتدالاً منها والظاهر انه قد وجه الجرائد الى الاراء نفسها . ولا يلام ذلك البرنس لانه جعل في تعديلاته امكانية حدوث حرب لانه من يا ترى يعلم ماذا ينشا عن سياسته لو استمر السلطان عبد العزيز على التخت ورفض قبول لائحته . وقد عرف الناس ان حضرة امبراطور روسيا قد سر جدًا منذ البداية بما رآه من تغيير الاحوال ومجانبة المخاصمات . وربما كان سرور الامبراطور ما جعل وزيره الاول يخرج من افكاره كل ما يتعلق بالانتقام في الحال . وقد ظهر فرح الامبراطور المشار اليه ظهورًا عظيمًا في اليومين الاخيرين ولا ريب في ان بداءته كانت عندما تقرر في عقله وعقل وزيره الاول ان ما راوه من صدها وهم ناشئ عن سوء ادراك الحوادث التي جرت . وقد قال حضرة الامبراطور عند وداع احدى الخواتين التي تمنت له الوصول بالسلامة بيزوز ظاهر المأمول انني

اصرف في جوجنهيم اياماً ارى فيها راحة لم ارها في امس

فهذا الكلام هو كوعد يظهر منه ان الدول الاوربية مصممة على ان تجلس متفرجة على ما يجري بين الدولة العلية ورعاياها والامارات الخاضعة لها . ولا نفهم من ذلك انه قد تم اخماد العصيان ولا انه قريب من ان يبلغ تسوية . والظاهر ان العصاة لا يميلون الى قطع القتال ولا تميل السرب والجبل الاسود الى الاقلاع عن ادعاآتها المتعلقة بضم بوسنه الى الاولى والهرسك الى الثانية برضى الدولة العلية نفسها وقد عرف الان انه ما من دولة اوربية تعضد العصاة وجيرانهم كما انه ما من دولة تحاول القا غاياتهم في فشل ما لم تجرِ امور مضادة لحقوق الانسانية بحيث تمس الحاجة الى المداخلة . ولا نرى شيئاً يدل على حدوث ذلك وربما كانت هذه الثورة تنتهي كما ابتدأت بعد مدة عند ما يرى الباب العالي والعصاة انهم باتوا وجهاً لوجه واوربا تتفرج عليهم اي انها تنتهي بدون ان يعلم احد سبب انتهائها . ويستنتج من ذلك كله انه قد تقرر في عقول كل الناس ولا سيما الدول الست بانه لا يتكدر السلام خارج الحدود العثمانية وذلك من الامور المهمة جداً . انتهى

وقد نشرت الجريدة المذكورة رسالة اخرى واردة اليها من مكاتبها البروسياني المشهور وهذه ترجمتها

قد وردت افادات من بلغراد عاصمة السرب مآلها ان الحكومة السربية قد صممت على ان تبقي جنودها على الحدود ما دامت الثورة جارية وهذا الخبر يحتاج الى التثبيت . وقد تقلد موسيو بوزيد ارونك فسيليكي وكيل روسيا السابق في الهرسك قيادة فرقة من فرق العصاة في الهرسك . ولا يزال كلام الجرائد الروسية ذا هيجان شديد والجرائد الوزارية في مقدمتها حتى انها قد فاقت في ذلك الجرائد المتحزبة للسلافيين وغيرها من الجرائد المستقلة وحسبنا برهاناً على ذلك ما نشرته جريدة الغولوس وما ياتي هو ترجمة بعضه . ان ما خطر لانكلترا بال من ان تفوز بالنصر بدون بارود ورصاص يحمل الناس على الاستهزاء . وهل يقال انها معولة على محاربة روسيا فاذا كان ذلك صحيحاً فمن الواجب ان تجد حلفاء انفع من الاسبانيول في الحال . والزمان قد تغير منذ سنة ١٨٥٣ . فان فرنسا التي خلصتها في حرب القرم قد امست من مقاوميها الاولين . ولا تسمح روسيا باخماد الثورة ما لم تضادها غير اسبانيا وانكلترا . وقد قالت جريدة الهارلد المطبوعة في بطرسبرج عاصمة روسيا ان انكلترا لا تجهل روسيا تحيد عن السبيل الذي اختارته لنفسها

روسيا وانكلترا

قد نشرنا في الجنة ملخص جملة نشرتها جريدة النور الروسية المطبوعة في البلجيك وقد نشرت جريدة الدبيا الفرنسوية كلاماً طويلاً متعلقاً بها ويستنتج من كلام تلك الجريدة الروسية ان روسيا قد تكدرت جداً من مداخلات انكلترا وحسبتها مكدرة لسعادة اوربا وربما كان المطالع يرى فيها ما يدل على النوايا الروسية مع الاراء الفرنسوية المتعلقة بها ولذلك ترجمناها اي جملة الدبيا وفيها اهم فقرات الجملة التي نشرتها جريدة النور وما ياتي هو الترجمة المذكورة

قد عدلت جريدة النور عن اظهار الارتضاء بما حدث خلافاً لما اظهرت منذ ايام قليلة بهذا الشان لجهة تلك الحوادث التي قالت انها لا تاتي بتغيير في حالة اوربا السياسية ومشروعات الدول الثلث العظيمة المتحدة . ولا ريب في ان المقصود من جملتها المذكورة الاتيان بتاثيرات شديدة . وليس فيها من البراهين

التكلفية ماطالما اقامت به الجرائد لستر الحقيقة . ولكننا نرى في كل سطر ما يحمل المطالع على ان يرى ان كاتبها لا يحاول اخفا الواقع . فهل نخطئ اذا قلنا ان هذه الجملة ليست من الجريدة نفسها وان كاتبها لم يتعود استخدام سفسطة المفاوضات الاعتيادية فان كل عباراتها واضحة صريحة . والجريدة لا تكتنب تلك الكتابة من نفسها . وقد اخذ محررها في ان يبحث عن نتائج مداخلات انكلترا الغير المنتظرة في احوال الشرق وقد قال ان مستر ديزرائيلي وزير انكلترا الاول واللورد دربي وزير خارجيتها نهضا بضجيج عظيم من نومهما السياسي الذي يظهر لنا انهما استغرقا فيه . وليس نهوضهما الا لارضاء حاسيات لا طائل تحتها ومراعاة افتخار صادر عن عجب وزاري وكبريا امة . فان انكلترا ضجرت مما كان لها من قلة الاهمية في اعمال الدنيا . لان اعظم الانقلابات تمت بدون رضاها حتى انه حكم عليها بامور مهمة جدًّا عندها فالتزمت بان تسلم الى حكومة دولة الولايات المتحدة الامركانية بان تفوز عليها بمسئلة الالاباما . وروسيا كدرتها جدًّا لانها ارادت ان توسع مكانًا لقوات جديدة في اوربا واسيا . وكانت احوالها السياسية في تاخر . فامست لا تقدر ان تنهض نفسها من الحالة المذلة التي سقطت فيها بلا عمل عظيم . فابتدا وزيرها بشراء اسهم ترعة السويس ثم سمي الملكة بامبراطورة الهند . غير ان هذه الامور الصغيرة الباطلة لم تات بنتيجة تستحق الذكر . ففي اثناء ذلك اخذت اواسط اوربا في ان تساوي الامور المتعلقة بها بدون مداخلتها وروسيا اقامت باعباء امورها في اواسط اسيا . فتكدرت انكلترا جدًّا واشتد الحسد فيها لانها شعرت بانها ضعيفة ولم تكن تحب ان تكون الدول الاخرى حاصلة على ما لم تكن هي حاصلة عليه . فسلبت راحتها فحاولت ان تعزي نفسها بتكدير سعادة اوربا . انتهى . وقد قالت جريدة الدبيا هذه هي التصورات التي خطرت لتلك الجريدة التي يستنتج منها ان الامور الشرقية تهم دول اواسط اوربا دون غيرها وان انكلترا لم تتعب نفسها بها الا الآن وان مداخلاتها انما هي لتلذذ لذة غير موافقة بنكاية جيرانها . وان ذنبها عظيم لان جارتها المذكورة لم تبلغ غاياتها عند ما تمكنت الوزارة الانكليزية من ان تخسرها اثمار تعب سنة واثمار الاتحاد والاجراآت التي اقيم بها بالاتفاق . ونرى بتدقيق النظر في جملة النور المذكورة تاريخ المفاوضات السياسية التي اقامت بها الدول الثلث بدون امتناع بعضها عن اظهار كل ارائها للبعض الاخر وبدون وقوع اقل خلاف بينها حال كونها ترغب في امر واحد فقط وهو توطيد السلام العام بتضحية المطامع الشخصية وتقرير حقوق كل الامم في الشرق . هذا بعد ان ذهبت مأمورية القناصل في الهرسك سدى وسقطت لائحة الكونت اندراسي . غير ان لائحة البرنس كورتشاكوف كادت تفوز بالنجاح عند ما تداخلت انكلترا وقلبت كل شيء . وقد قالت جريدة الدور انها هدمت في لحظة جميع اجتهادات السياسة الاوربية التي اقيم بها في محروسة لوضع المسئلة الشرقية في مركز جديد متفق عليه موسس على الاصلاحات السلمية والاتفاق الصداقي المعقود بين صوالح القوم وحاسياتهم . حتى ان الظاهر انه لم يبق للاستقبال مكان لنفوذ غير القوة الحيوانية في وسط حرب مهلكة . فهذه اعمال انكلترا . ومن الموافق والعدل ما نراه من ان التاريخ يضع على عاتق كل انسان مسئولية اعماله . وفي جملة تلك الجريدة الروسية اخبار مهمة جيدة متعلقة بنوايا الدول الثلث . فقد قالت ان الامبراطوريات الشمالية طلبت في اول الامر وضع اساس تقدر ان تتفق على جعل اعمالها موسسة عليه فوضعت قاعدتين لاجراآتها (هذا قبل مداخلة الانكليز) فالاولى المحافظة على الحالة

السياسية الجارية لانه لا سبيل الى تغييرها بدون القاء سلام شرقي اوربا في خطر. والثانية اصلاح احوال الاهالي فعلاً لازالة علل اضطراب دائم مضر بالدولة العثمانية وبجيرانها وبالسلام العام . ولا ارتياب في ان حكومة روسيا قررت القاعدتين المذكورتين بصفاء البواطن وكذلك النمسا والمانيا . غير انه لابد من ان يسال التوضيح لتبيين مضادة السياسة الانكليزية لها بعد ان تقررت المحافظة على الحالة الجارية في الممالك العثمانية وان لا يطلب غير شيء واحد وهو تحسين حالة المسيحيين فعلاً ونقوم بالتهاني عندما نرى الدولة العلية تتقوى بالتغييرات النافعة لها وهي تحاول بنية خالصة ان تسد احتياجات العصاة العادلة فاذا قطعنا النظر عن حب الذات وعلم الاركان والاكدار الناشئة عن المناظرات في النفوذ نرى ان الجميع يقولون انهم طالبون غاية واحدة . ولذلك من الممكن ان يبدل اتحاد الدول الثلث الضيق الدائرة باتفاق الدول العظيمة قاطبةً وتكون نتائج ذلك انفع . فهل يوافق الاحوال الجارية ان يقال باختيار واهانة ان المطلوب الى وزير انكلترا الاول ووزير خارجيتها ان يقولا ماذا يريدان. فاذا كان المطلوب سلام اوربا فاتفاق الدول كلها افعل الوسائط للمحافظة عليه . واذا كان شطر اوربا الى شطرين واضرام نار حرب عمومية وفنا فمن الواجب ان يتبين ذلك بوضوح فتتامل اواسط اوربا في ذلك وتحكم الامة الانكليزية به . هذا ولا نعلم اسرار وزارة انكلترا غير ان اعمالها تبين انها لا ترغب لا في الحرب العامة ولا في الفداء ولكنها راغبة في اتفاق اوربا على قواعد اوسع من القواعد المقررة في لائحة البرنس كورتشاكوف . فهذا صواب ربما كانت جريدة النور نفسها استحسنته عند نهاية اضطرابها الحالي الذي لم تقدر ان تستره ورجوعها الى اعتدالها وهدائها واصابة آرائها

ترجمة المرحوم حسين عوني باشا

قد نشرت جريدة لاتوركي الترجمة الاتية

ان حسين عوني باشا من اسيا الصغرى ولد في قرية دوستكوي من مقاطعة اسپارطة من اعمال ولاية قونية . وكان ابوه احمد افندي من اعيان القرية المذكورة واسم عائلته اودا باشي زاده لر . ولد سنة ١٢٣٦ الهجرية الموافقة لسنة ١٨١٩ الميلادية وقضى ايام صبوته في القرية المذكورة . وسنة ١٨٣٥ طلب الى ابويه ان يسمحا له بالذهاب الى الاستانة العلية ليتعلم في احدى مدارسها وكان قد ادرك سن الست عشرة سنة فوصل الى الاستانة العلية بدون ان يكون له فيها اقارب ولا دخل غير انه توفق بوجود عم له كان يعلم الشريعة المطهرة في مدرسة چورلولو علي باشا فنزل في مخدعه ولبس اثواب الطلبة وانتظم في سلك المتعلمين في تلك المدرسة وبعد ذلك ببضعة اشهر تزوج عمه واستاجر بيتاً وسكنه مع اهله خارج المدرسة . فالتزم بان يبقى وحده فضايقته المعيشة المدرسية وشعر بانه يميل الى عمل يصادف فيه اجرآت لا يصادفها اذا انخرط في سلك العلماء . وفي ذات يوم صادف في المكان المسمى سليمانية احد ابناء وطنه ويدعى حافظ اسمعيل افندي فقال له ان الحكومة قد فتحت مدرسة عسكرية وانه انتظم فيها . منذ اكثر من ١٢ يوماً . فاستخبر منه عن الرسوم الواجبة لدخولها فاخبره بها. وفي اوائل ربيع الاخر من سنة ١٢٥٣ الموافقة لسنة ١٨٣٦ صار من تلاميذها . فانصب على الدرس وبذل الجهد في سبيل تحصيل المعارف فامتاز بين ارفاقه في زمن قصير . وكان يفحص في كل سنة فحصاً ناجحاً جداً وكان في نهاية كل سنة مدرسية يرتقي درجة بحسب نظام المدرسة فصار اون باشي ثم جاويش ثم جاويش باشي ثم ملازم اول وبعد ذلك الف صف اركان الحرب فانتظم فيه فامتاز

فيه كما امتاز في دروسه الاولى وفاز بفحص ذي نجاح تخرج من المدرسة. وقد رقي الى رتبة يوز باشي في اركان حرب. وبعد ذلك بسنة صار مسعف مدرس في تلك المدرسة ورقي الى رتبة الاي اميني. وفي اثناء المدة التي تعاطى التعليم فيها كان يصرف اوقات الفراغ في تاليف كتب متعلقة بفن الحرب لتستعمل في المدرسة. وترجم ايضاً تاريخ بعض المعارك العظيمة التي انتصر فيها الامبراطور نابوليون الاول ومنها معركة الماو اوسترليتز. فهذه التاليفات التي لا تزال في يد كل جندي عثاني رقته درجة فصار بكباشي

واستمر مدرساً الى وصول البرنس منشيكوف الروسي سنة ١٨٥٣ اعند ظهور علامات فتح حرب القرم فشرعت الحكومة السنية في ان تتهيأ للدفاع. وعند ذلك رقي حسين عوني افندي الى رتبة قائمقام وارسل مع ضباط اركان الحرب الى شوملا. ففوض اليه انشا الحصون في بلكان صوفيا. واقام بهذه المامورية حتى القيام ثم صار من الفرقة العسكرية في ودن. وفوض اليه بالتخصيص المناظرة على حصون قلفت. وفي اثناء ذلك ظهرت فرقة روسية في تجيتاني وهي قرية تبعد ٧ ساعات عن قلفت. فسارت فرقة عثمانية مولفة من خمسة طوابير من المشاة واورطة من الفرسان ومعها بضعة مدافع لتلاقي العدو. وكان قائد هذه الفرقة المرحوم احمد باشا الفريق واسمعيل باشا وكان حسين عوني من ضباط هذه الفرقة وهذه هي المرة الاولى التي حضر فيها القتال. ففي اثنائه اصابت رصاصة راس فرسه. وكان الفريق احمد باشا ناظراً الماظهر من شجاعته في غضون ذلك فاهداه فرساً كريماً وسيفاً مذهباً واحسن اليه بالنيابة عن الحضرة الشاهانية بنيشان المجيدية ٥ وانتصرت الجنود الشاهانية في تلك المعركة وتقرر عنها الى الاستانة العلية وذكر اسم حسين عوني بالثناء والمدح العظيم فكافاته الحضرة الشاهانية بترقيته الى رتبة ميرالاي في اركان الحرب. وحضر بعد ذلك حصر القرس تحت قيادة اسمعيل باشا ورقي الى رتبة فريق في اركان الحرب. وذهب مع الباشا المشار اليه الى الروملي. وبعد ذلك عين بالتماس السردار اكرم عمر باشا رئيس اركان حربيه. وبعد عقد الصلح ارسل الى بر الاناضول مأموراً ليقوم بتخطيط الحدود العثمانية والايرانية ثم عاد الى الاستانة العلية وصار رئيساً عاماً للمدارس الحربية وبعد ذلك رئيس اركان حرب عام مع المحافظة على رياسة المدارس

وعند فتح حرب الجبل الاسود جعل حسين عوني يطلب عمر باشا قائد فرقة واسويك مع رتبة فريق. وبعد نهاية تلك الحرب عاد الى الاستانة العلية وخلف المجيبي راشد باشا في رياسة دائرة الشورى العسكرية. وسنة ١٨٦٤ صار المرحوم فواد باشا صدراً اعظم وسر عسكر فجعله مشير الاوردوي الخاص وجعله قايمقام السرعسكرية واستمر في هذا المنصب المهم سنتين وبقي متقاعداً برهة وفي بداية سنة ١٨٦٧ صار والي بوسنه ولم يتقلد ذلك المنصب لان ظهور فتنة أكريت دعته الى الحرب. وخلف في أكريت ترتلي مصطفى باشا. ثم سلم القيادة الى السردار اكرم عمر باشا ليذهب بنفسه ويتقلد قيادة الجيش الذي كان يجمع عند حدود بلاد اليونان. فعاد الى أكريت مع المرحوم عالي باشا واقام فيها الى نهاية الفتنة وعند ذلك أُحسن اليه بنيشان العثمانية المرصع من الرتبة الاولى. وسنة ١٨٦٩ دُعي الى الاستانة العلية ليتقلد منصب السرعسكرية واستمر فيه الى وفاة المرحوم عالي باشا عندما تقلد منصب الصدارة العظمى محمود نديم باشا وحمل المرحوم السلطان عبد العزيز على نفيه وجعل اسبارطة وطنه منفاهُ. وبعد ان اقام اشهر كثيرة فيها دُعي الى الاستانة العلية ووُجهت اليه ولاية ايدين ولم يبقَ فيها غير برهة قصيرة ثم دعي

الى الاستانة ليكون من وزارة المرحوم اسعد باشا فوجهت اليهِ نظارة البحرية وبقي فيها اياماً قليلة ثم اعيد الى السرعسكرية . وفي ٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٠ هجرية خلف المرحوم شرواني زاده في الصدارة العظمى مع المحافظة على منصب السرعسكرية . وفي صدارتهِ التزم بان يحارب الجوع في الاناضول . واستمر في الصدارة اكثر من سنة وفصل عنها في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٩٢ وبعد تقاعد خمسة ايام اعيدت اليهِ ولاية ايدين غير انهُ استعفى عند وصولهِ اليها طالباً الذهاب الى اوربا بسبب انحراف صحتهِ . فدُعي من اوربا ليذهب ويتقلد ولاية قونية فجاء الاستانة العلية وعوضاً عن ان يرسل الى قونية اعيد ثالثاً الى السرعسكرية . وبعد ذلك بايام قليلة فصل عن منصبهِ وصار والي سلانيك ثم والي بروسا ودعي منها الى الاستانة لتقلد رياسة المجالس نهيجان الطلبة حمل المرحوم السلطان عبد العزيز على ان يعيد توجيه السرعسكرية اليهِ وذلك في ١٢ ايار (مايس) سنة ١٨٧٦ . وما جرى بعد ذلك قريب العهد وقد ذكر فلا يحتاج الى مراجعة وسيذكر في التاريخ ما اقام بهِ بتغيير السلطان في الليل من ٢٩ و ٣٠ ايار (مايس) وقد فرحت الامة قاطبةً بهذا التغيير وستظهر ايضاً الفوائد التي فازت بها العسكرية العثمانية بواسطتهِ . وهو من مدرسة فواد باشا وعالي بك وكان مستوراً تحت برقع خفتهِ العسكرية دقة شديدة ظهرت في امور كثيرة . وقد اكتسب صيتاً حسناً في الادارة . ولا ريب في ان البلاد ستتذكرهُ بالتاسف لانهُ مات مقتولاً . انتهى

قد ذكرنا اسماء المراتب بالتركية للتوضيح

الربيع

من قلم الخانون ماريانا مراش

ها شمس الربيع قد بزغت تتجلى بافق صاحٍ بالوانها الذهبية . وها نسيم الصبا المعتدل ينعش الاجسام البشرية . وها نفحات الازهار ذات العبق يستنشق منها روائح عطريه . وشجر الرياض يمدّ لنا اغصانهُ لكي نقتطف من ازهارهِ واثمارهِ طالما الربيع موجوداً

فهلمّوا بنا ايتها السيدات لكي ندخل الى هذه الرياض حيثما ننشم نسيم الصبا الرائق اي فرصة الصبا التي نحن موجودون بها التي بواسطتها يمكننا ان نكتسب نروض الافكار وتهذيب الاعمال طالما ان شمس العلم قد بزغت في بلادنا شمساً لا خسوف لها اذا ما لذنا بها واستضأنا بانوارها الساطعة الاتية الينا من افق الغرب بعكس بزوغها لكننا يمكنني ان اقول من الشرق قد بزغت اولاً وها شجرة التمدن التي يقدمها لنا العصر ذات العلوم والمعارف والتهذيب الكامل مع الفوائد والنتائج الصالحة فلنمد لها ايدينا ولنعانقها مقتطفين من اثمارها وازهارها ولا نضيع فرصة العمر ان تذهب عبثاً هذه هي الذخيرة الحقيقية التي لا تغيرها الايام ولا تفنيها السنين ولا تفعل عليها طوارق الحدثان

انني قلت ان هذا الزمن هو ربيع ثمناً ولكن لا نهاية لهُ ربيع الفصل يعقبهُ صيف حار كذا لك شتا بارد واما ربيع التمدن والتهذيب عندما نكتسبهُ توجد افكارنا واعمالنا مترّوضة مهذبة بحيث مع تقدم العمر تنتقه وتتسامى بالاكثر كما اننا نشاهد المبادي التي غرسناها في افكار اطفالنا نرى حينئذٍ نتائجها عند بلوغهم اشدهم اينكر ان البستاني الذي يغرس الاشجار عندما يرى ازهارها الحسنة واثمارها الطيبة لا يشعر بنفسهِ بلذة عملهِ هذا كذا لك نحن اثمارنا يفوق ذلك جداً عندما نعتني بالوجود الانساني ونوصلهُ الى رتبةٍ سامية من التهذيب والمعارف بحيث يرتقي على ابنا جنسهِ اذ ان عقلهُ النطقي ذات الاكتساب يقبل منذ الصغر وتنطبع فيهِ المبادي الصحيحة لتهذيب الاميال المتوحشة

فلنقتلع منهُ اذًا الرغبات والارادات الذميمة بحيث تنتظم جميع افكاره واعماله وقد يسمو لدرجةٍ عالية جدًّا

انظرنَ ايتها السيدات ان هذه الوظيفة التي نحن مهتمون بها هي وظيفة حقيرة حسبما اسمع منكنّ ان العلم غير مطلوب مكننّ لان الانشغالات والوظائف التي تهتممن بها لا تسمح لكن بالانصباب على الدراسة واكتساب المعارف فقل لي اناشدكن بالله هل يوجد بالعالم اهتمام وشغل مهم اكثر من الاهتمام والانشغال في تهذيب النوع الانساني منذ الصغر لعمري ان هذه سياسة عظيمة الشان سياسة اولى لسياسة الرجال والاخرى ثانوية فالثانوية ولئن كانت ذات رتبة سامية ومقام رفيع اي بواسطتها تنتظم اعمال البشر وتترتب الهيئة الاجتماعية اذ انها ترفع وتمنع كل التعديات المتشرده وتضم وتالف الناس ببعضهم البعض فمع هذا اقول اذ اما اتقنا نحن السياسة الاولى تخفف التشرد والاعتدا اذ نعلم منذ الطفولية واجبات الانسان نحو غيره كذا كـ نحو ذاتهِ

ان في الانسان حاسيات واميال غريزية كما انها توجد في جنس الحيوان مختلفة كل حسب نوعهِ وبما ان الانسان هو نوع من الحيوان يتميز عنهُ بالنفس والعقل النطقي الاكتسابي فاذا ترك على فطرتهِ يكون ذات خشونة وتوحش اكثر من الحيوان لانهُ حاوٍ في ذاتهِ اكثر الاميال والخاصيات الردية بحيث يفوق كل نوع من انواع ذلك الجنس فيقتضي اذًا منذ الطفولية ان تتلطف اميالهُ وتتهذب اخلاقهُ اذ ان عقلهُ منذ الصغر يقبل الاشيا ان كانت صالحة فصالحة او ردية فردية كل حسب استعدادهِ مثلاً الحسد البخل الكسل الكبريا حب الانتقام والاخذ بالثار الخ

فاذا ما راينا اولاً في الطفل اشتداد قوة الحسد والغيرة فنهذب اخلاقهُ بهما ونبدلهما بالاجتهاد بالشغل والعمل والغيرة بالدرس واكتساب المعارف اللذين بهما يترقى الى نيل مرغوباتهِ ونقنعهُ بان الحسد لا يورث صاحبهُ الا قلق الفكر واحتراق القلب بنيرانهِ بل انما اذا سعى في العمل نال بغيتهُ واذا جد ورا العلوم وجد امتيازه طبقًا لمرغوبهِ

ثانيًا البخل نبين لهُ ان هذه صفة ردية للانسان نحو ذاتهِ ونحو غيره قلت اولاً نحو ذاتهِ لانهُ يحترم كل الذات حيوية كما ونحو غيره عديم النفع ولذا يكون محتقرًا ومذمومًا وبالاكثر من خواصهِ الذين يهتمون في اشغاله وخدمتهِ فننقلهُ الى الحرص بحيث لا يحترم كل لذات الحيوة بل يستعملها بتهذيب وترتيب نظير الاجتماعات المطربة المنزهة عن السكر الذي تنتج منهُ كل الفواحش كذلك المآكل اللطيفة مع عدم الشراهة والنهم الذي يفضي بهِ لصحة البدن ونحو الغير ان يكون حسن المعاملة وان يعطي لكل ذي حق حقهُ وكذلك نحو خواصهِ بحيث لا يمنع احدًا ما يستحقهُ وبهذه الصورة يكون محبوبًا ومخدومًا على احسن منوال

ثالثًا الكسل نوضح لهُ ان هذا ينتهي بصاحبهِ الى خمول الافكار والملل كما انهُ يبطيء بدورة الدم بحيث تضعف قواهُ حتى لا يعود يمكنها العمل واما النشاط فهو صفة ممدوحة بها الانسان يتمرن بالاعمال اذ هو ملزوم ان يسعى وراء واجباتهِ واشغالهِ كلٌّ حسب وضعهِ وبذلك يشعر حينئذٍ باعتدال الصحة ولذة الراحة اذ لا راحة الا بعد تعب ولله در القائل

بعد المشقة نال غايات المنى
لا يستلذ الغمض من لم يسهر

وتبتهج افكارهُ اذ يرى نفسهُ مفيدًا وانهُ لم يخلق عبثًا

رابعًا الكبرياء ان من اتصف بها تنتهي بهِ للذل والاتضاع رغمًا عنهُ وانهُ كان في مركز يلجى

الناس الى اكرامهِ واحترام مقامهِ فيما يكون خالٍ عن كل معرفة ودراية اذ يتصدر في صدور المجالس ويجلس على سدة الجهل مدينًا اعمال البشر حال كونهِ لا يقدر ان يميز بين الغلط والصواب وبين البطل والحق فترى الكل يستهزون بهِ داخلاً ويحتقرون افكارهُ فان سقط يكون سقوطهُ عظيمًا ويوجد حينئذٍ مرشوقًا من التوبيخات والتعزير ويرذل ويهان من اقل الناس واذا كان غير اهل مقام ولا مركز وعاريًا من كل معرفة وتهذيب فالهِ ذرهُ اذا تكبر وتجبر يكون كمن سعى على حتفهِ بظلفهِ اذ فوق حالتهِ الدنية يرذل ويحتقر اضعافًا فالمبدأ الاول للحصول على الارتفاع هو الاتضاع كما قال السيد لهُ المجد (من اتضع ارتفع) ثانيًا الترقي بالافكار والتسامي في حسن الراي والصواب ولذا ينال ما يتمناهُ في اي رتبة كانت بين القوم

خامسًا واخيرًا حب الانتقام والاخذ بالثار الناتجان عن شراسة الخلق كالمهجات ورفع السلاح فنردعهُ مقنعين لهُ بان هذا شيء ينهي بصاحبهِ الى شر النهايات بحيث يكون واقعًا دائمًا تحت ثقل الندم عن فعلهِ ومحتقرًا ومهانًا باعين الناس كما انهُ يفضي بهِ الى احتمال قصاصات وعقوبات هائلة وعوضًا عن ذلك نعلمهُ الرزانة وحسن الجواب اي بقوة صوابهِ وجواباتهِ لفظًا او خطًا يفحم خصمهُ المتعدي وبهذه الواسطة يربيهِ في حال الخجالة والخزي عن فعلهِ هذا كما قال الشاعر

ما راينا ضربةً من بطلٍ بحسامٍ ابرقت عشرَ قمم
بل راينا نقطةً من قلمٍ بمدادٍ نكشت الفَ علم

قلت ان تهذيب الاخلاق وتلطيف الاطباع ربيع دائم فلا ريب بذلك اين حرارة الحسد وذاك اللهيب المتصاعد من قلب الانسان نظيرما يقذف الفولكان تلك النيران المتجمعة من ابخرة الارض واذا لم تصعد اورثت الارض زلزالاً كما تتزلزل فرائص ذلك الحسود اذا قصد ان يكظم طبعهُ ويخفيهُ اين ضيقة البخل وتلك الاشعارات التي تخنق من كان متصفًا بها عندما يضطر ان يبذل شيئًا من مالهِ اين بلادة الكسل وخمول الافكار التي تجعل الانسان خاليًا من كل نفع لذاتهِ ولغيرهِ اين قعقعة رعود ذلك المتكبر المتجبر الذي يبتغي التصود والارتفاع الى الجو فلا يستفيد الا السقوط الى اعماق لجج الذل ابن لميع بروق سلاح ذلك المنتقم سافك الدماء التي لا تخمد الا بفناء عنقهِ ابن نيران صواعق الاخذ بالثار التي تعود فتنصب على هامهِ

فها ان الاخلاق قد تهذبت والاطباع قد تلطفت وها سبل الادب قد تمهدت فهيا بنا ايتها السيدات لنفلح عقول هذا الوجود الانساني منذ الطفولية ونغرس فيهِ هذه المبادي الحسنة وبهذه الصورة تكون اتقنا السياسة الاولى بحيث بها تخف المشقة والعناء عن الثانية حتى اذا ما وجدنا فعلا مستحقين فيفتح لنا ذلك البستاني الفاضل الجنان وندخل اليهِ متمتعين بنسيمهِ العذب ذات الروض والتهذيب ونغتذي من اثمار فوائدهِ ونستقي من تلك المياه الادبية الخارجة من ينابيع الحكمة والفطنة بحيث لا نعود نعطش الى الابد فنهتف حينئذٍ قائلين هوذا الجنان وها جنات تجري من تحتها الانهار

الانسان في اسيا

(من قلم سليم افندي بستاني)

قد نشرنا في الجزء الماضي من الجنان جملةً طويلة عنوانها الانسان في اوربا وصفنا بها تقدم الاوربيين في التمدن والمعارف وغير ذلك. ومن المعلوم ان بين الهنود والاوربيين علاقة قد اشرنا اليها في الكلام عن مجيء اهالي اوربا القدماء من اسيا ومن المفيد الذي يصبو الانسان الى الوقوف عليهِ المقابلة بين

تقدم الاوربيين والاسيين . وحركات الفرع الاقدم تدل على السبيل الذي يقطعهُ الفرع الاصفر والغاية التي يطلب ادراكها . ومع ان اهالي اوربا قد بلغوا درجة عالية من سلم التقدم نرى الاراء الشرقية تظهر على الدوام بتقطع في المعارف الجارية . وهي دلالة على حالة عقلية لا بد للعقول الهندية الاوروبية من ان تقطعها . وبالتامل في سرعة انتشار تلك الاراء في الصين بل في الشرق كافة ربما كنا نوسع دائرة تاملاتنا حتى نجعل كل الجنس البشري موضوعاً لها بعض ان كانت محصورة في العائلة الهندية الاوربية وهذا دليل بطلان اراء الذين ينتظرون ترجيع قدماء اهالي اسيا الى الحالة التي قد اصبحت اوربا فيها. فان الحالة العقلية التي كانوا فيها قد مضت فلا ترجع . فلا بد لها من ان تتقدم قدر امكانها في سبيلها نفسهِ وان تموت تاركة مكانها لخلفا يختلفون عنها في التركيب وتجديد الدم . فانهُ لا سبيل الى الرجوع الى ما مضى في الحيوة . فالشيخ الضعيف لا يعود الى الشبوبية التزقة . ولا يقدر الشاب ان يرجع الى العاب الصبوة بل الصبوة تختلف كثيرًا عن الطفولية . وهذا شان الامم فلا يعلق الامل برجوعها الى ما قد فات ولو ظهر فيها ما يدل على تجديد القوة فان ذلك موقت ويزول بزوال المسبب

اما حالة اديان الهند الاولية فلا تعرف حق المعرفة فان في زمان لا يتناولهُ التاريخ بتوغلهِ في القدم مرعليها زمان السحر. ونرى في اقدم كتاباتهم الباقية انهم كانوا مشغولين في زمان كتابتها باعتقادات تنسب الى معبودهم امورًا بشرية اقرب الى الادبيات من الطبيعيات . وانهُ قد تقرر في عقول البشر في ذلك الزمان نفسهِ اهم موضوعات اهتماماتهِ. ومن تقريراتهم كنت وحدك ساعة ولادتك وتبقى وحدك ساعة موتك ووحدك تجيب الديان . وينتقل من هذا المركز الى

التامل في حالين فالاولى تتعلق بالطبع المادي . والثانية حكمة عظيمة تبحث عن المكونات بالنظر الى المسافة والقوة فقط. فالاولى تظهر بكتابهم اي كتاب الهنود المسمى فيداس وبتقريرات منو والثانية هي البوذية وليست الاراء فيها مجردة عن الافادات فانها اساس ادب ونظام وبتعلقان بالافراد وينظمان الهيئة الاجتماعية وتظهر قوتها باتمام انتظامات سياسية وهي ما يستحق تاملاتنا من جرى اتساع دائرتها واعتبارنا بالنظر الى قدميتها . ومن الواجب ان نبحث اولاً عن الدين الفيداسي القديم ثم عن خلفهِ الدين البوذي .

ولا نعجب اذا رأينا امة تحتفل بالماديات وتميل الى عبادة الطبيعة اذا وجدناها قاطنة بلادًا ذات اهوية مختلفة ومناظر طبيعية عظيمة مدهشة جميلة ففيها اعلى جبال العالم وانهار غزيرة نافعة واراض مخصبة وامطار موقتة ورياح شديدة . فان ذلك كلهُ يوثر في عقول الناس ويعظم اعتبارهم لها بتقدمهم في سبل المعارف والتمدن

والفيداس كتاب الهنود الديني وهو اربعة كتب وهي الريك والياكوست والسامان والاثرفان وعدهم انها كتب صدرها برهمة . ولم يجمع القوم على صحة الكتاب الرابع فرفضهُ بعضهم وفيهِ ما يدل على انهُ كتب بعد الكتب الثلثة الاولى عند نفوذ سطوة خدمة الدين في السياسة . وهي كلها مكتوبة باللغة السانسكريتية الميتة وهي اصل اللغة الفرعية التي تبعتها وهو اساس معارف لغوية . واكثرها ترنيمات شعرية للامور العمومية والخصوصية وصلات ووصايا وخرافات وتعاليم واقدمها الريك واكثرهُ من الترنيمات واكثر الكتب الثلثة طقوس . وكل منها كتب في زمان وقد ظهر بالفحص ما دل على ان المرجح ان احدثها تاليف كهنة واقدمها تاليف قواد حربيين . وهي مناسبة لهيئة اجتماعية قد انتقلت من حالة البادية الى المدنية

واساسها معرفة روح عامة حالة في كل شيء اومتصلة بكل شيء . ولذلك يعترفون بوحدة ذلك الروح وهي معبودهم ومن اقوالهم ليس في الحق غير اله واحد هو الروح السائد رب المكونات وهي من اعمالهِ اله الالهة الذي خلق الارض والسموات والمياه . انتهى . وهكذا قد رايا انهم يعتقدون بان العالم صادر من الله ولذلك هو قسم منهُ (العياذ بالله) . وانهُ يبقى في حالة الظهور بقوته واذا ابعدها عنهُ يزول في لحظة وان الدنيا على حالها لا تنفك عن التغيير فانهم يعتقدون ان كل شيء في حالة قابلة له . وانهُ عند الوصول الى غاية مقصودة تترك او تنتهي . فبالنظر الى هذه التغييرات الدائمة لا يقال ان الحال موجودة لانهُ بنهاية الماضي يبتدي الاستقبال . وان كل شيء على هذه الحال فتتغير هيئته على الدوام ثم تعود كانهُ دولاب يدور . ولذلك يقولون ان لارضنا وسائر الاجرام الفلكية ساعة ولادة وزمان بقاء تمر بهِ الى ان تدرك الخراب . وانهُ بعد مضي قرون لا تحصى تحدث ادوار كهذه الادوار وحوادث كالتي تحدث ويكرر ذلك الى ما شاء الله

وفي هذا التعليم المؤسس على التغيير العام سر لا يظهر في بادي الامر وهو الايمان بان المكونات هي الله (العياذ بالله) ومن اقوالهم الله واحد لانهُ الكل . انتهى . وفي الكلام عن نسبة المخلوقات الى الله في الفيدس انهُ المادة وعلة المكونات اي انهُ الخزف وصانعهُ . ويفهم من تلك الكتب انهُ لما كان في كل شيء روح من طبيعة واحدة كروح الانسان كان لا بد من ان يكون الفاعل الظاهر متصلاً بها اتصالاً لا يقبل الانفصال ولو اختلف عنها كثيرًا . فالجسم البشري في تغيير دائم فانهُ يفنى ويتجدد بدون انقطاع وان هذا شان كل البشر عمومًا فان الامم تظهر ثم تزول ومع ذلك لا يزال ما يسمى بالعقل البشري العام موجودًا ولذلك لا ينفك المادي عن الاتصال بالروحي فيعتقدون بان معبودهم ليس هو روح سائدة فقط ولكنهُ كروح الانسان فلا يظهر العنصر العقلي والروحي فيهِ الا باتصالهِ بالجسد وبواسطتهِ اي ان الماديات او الطبيعة وهي المكونات المنظورة هي عبارة عن ظواهر معبودهم الجسدي

وعندهم ان تغييرات دنيوية تطرا على الامور المنظورة ولا سيما الامور الفلكية . وهذا التغيير في جسد معبودهم وهو المكونات كلها يقابل التغييرات التي تحدث في جسم الانسان . ولا بد لنا عند التكلم عن هذه الاراء المبينة لارائهم من جهة علاقة المادي بالروحي من ان نذكر انهم يعتقدون بانهُ ليس للمادة وجود مستقل عن الادراك العقلي وان الوجود والادراك من الامور القابلة التحويل وان الظواهر الخارجية والاحساسات خداعة فتزول اذا انقطعت عنها القوة الالهية التي تقوم بها لحظة واحدة

ومن اعتقاداتهم ان الروح في الانسان هي جزء من تلك الروح العامة المتعلقة بكل شيء . وان ذلك الجزء انفصل انفصالاً موقتًا عن مصدره الاصلي ووصل بالجسد غير انهُ سيرجع الى الاصل الذي فصل منهُ بدون ريب كما انهُ لا ريب في ان الانهر تجري راجعة الى البحار التي صدرت مياهها منها . وعندهم ان فارونا قال لابنهِ اجعل تلك الروح التي يصدر منها كل مخلوق وبعد صدوره يعيش بها وهو يميل الى العود اليها وبالنهاية ينضم اليها موضوعًا لتاملاتك وبحثك لتعرف بها وهي العظيم الواحد . انتهى وعندهم ان امورًا كثيرة ادبية تبين بتاكيد ان الشر موجود في الدنيا ولا يمكن ان يعرض لهُ شيء مقدس كروح الانسان بدون ان يطهر فتبيت الروح لا تقدر ان تعود الى الروح الطاهرة الغير المحدودة التي صدرت منها ولذلك لا بد من ان

تطهر . وعندهم ايضاً ان حيوة الانسان قصيرة فلا تكفي للقيام بالتطهير اللازم وان حوادث الحيوة كثيرًا ما تزيد الشر عوضاً عن ان تنقصهُ و يطال زمان التطهير باطالة اتصال الروح الخاطئة بهيئات اخرى والسماح بنقصها الى اجساد اخرى فالانتقال التي تحملها والتجارب التي تتكبدها تغسل اثامها بحيث تصير تصلح لان تنضم الى تلك الروح العامة الطاهرة وهي معبودهم . وهكذا قد ظهر انهُ تقرر عندهم ان كل مخلوق ذي حيوة آلة تطهيرية . وتعليم التقميص يقود الى تعاليم ادبية اخرى ولا سيما اعتبار الحيوة على كل حال اذا كانت بشرية او حيوانية . فتكون حيوة الحيوان عندهم آلة عظيمة تطهيرية للبشر . فهذه قواعد تعاليم الغايات عندهم . وليس في الحكمة الاوربية ما يقابلها او يظهر انهُ قسم منها . فانهُ مقرر عندهم انهُ ليس لحيوة الانسان غاية . وفي البحث عن احوال مصر نرى ان الاعتقاد بالتقميص جاء فيها بالنتائج نفسها غير انها كدرت في الاجراء بالاختلاط بالتعاليم الفتشية الدينية التي ادخلت بتصورات اهالي افريقية . ولذلك اصبح العلماء يحبون تعليم التقميص لاسباب حكمية والعامة محبة لموافقة نتائجهِ لاصنامها .

وينشأ عن التعليم المذكور نظام ديني من مقاصدهِ تعجيل تطهير الروح لتدرك السعادة التامة بسرعةٍ وهي تكون بالراحة التامة. ويتم ذلك بالتقديس والتكفير والصلوة ولا سيما بالتامل بالتعمق بصفات الكائن الاول السائد وهو معبودهم وبوجودهِ . وقد صرف كثيرون من اتقيائهم حياتهم بالتامل في ذلك

فهذه تعاليم الفيداس الدينية بالاختصار كما تظهر في تعاليم طبيعة المعبود وحيوية المكونات وتغير العالم ومصدر الروح وظهور الموجودات والتقميص والانضمام واسباب التكفير والتامل للحصول على السعادة المطلقة في الراحة المطلقة . وفي الفيداس من المكونات ما هو فوق الانسان وفي معبودات العناصر والجسوم وتخص صفات معبودهم . ولا يعتقدون بان المعبودات الثلثة المذكورة في الفيداس وهي اكني واندرا وسوريا مستقلة الوجود بل عندهم ان كل الارواح متصلة بالروح العام والمعبودات الثلثة الهندية المتاخرة وهي برهمة وفشنو وسيفا ليست بمذكورة في الفيداس . ولم تتقرر فيهِ عبادات الرجال الذين يجعلونهم معبودات ولا الاصنام ولا غير ذلك من الامور الظاهرة . على انهُ قد تقرر فيهِ وجوب تكريم الارواح الثانوية كارواح السيارات والمعبودات الثانوية التي تعيش في الهواء والمياه والغابات . وهي تسمى نصف معبودات وقد تقرر عندهم انها معرضة للموت . ومن خصوصياتها تعليم الناس ان يحب بعضهم البعض الاخر وان يحسن اليهِ ولو كان عدوًّا ومنها ان الشجرة لا تحرم ظلها من يقطعها . ومن فروضهم قيام الصلوات ثلث مرات كل يوم في الصباح والظهر والمساء . وكذلك الصوم والتطهير قبل الاكل . وتقدماتهم هي زهور واثمار ونقود . واذا نظرنا الى تعاليمهم الدينية نظرًا عموميًّا نرى انها تميل الى تقرير حب الذات . وللاحتياجات الدينية المحل الاول فيها ومن مطاليبها اكفا الاميال الحيوانية كالاكل والانشراح والنعد . ولا يهتمون بتغيير اديان الاخرين ليدخلوهم دينهم ولكنهم يقولون انهُ لا بد من ان تكون كل العبادات مقبولة عند الله وفي منزلة واحدة ولولا ذلك لجعل الدين واحدًا ويترتب على ذلك ان لا يظهر غير ذلك الدين لانهُ كلي القدرة . وليس في الكتاب المذكور وهو الفيداس تقسيم الناس الى اصناف وربما كان ذلك التقسيم ناشئاً عن ضروريات فتوحات سابقة . على انها ليست مانعاً لكل تقدم في الهيئة الاجتماعية فانها جعلت كل صنف

مفيدًا باهل صنفهِ وحصرت المعارف في خدمة الدين ولا نرى فيهِ ولا في الكتابات الهندية الاخرى فقرة واحدة تدل على حب الحرية ولذلك لا يقدر الاسيون ان يدركوا فوائدها. وقد قابلوها بالامنية وفضلوا الامنية وتركوا الحرية لاوربا. ولا تعرف منافعها الا عند الذين شانهم الجد والكد ومطلب الناس في الشرق هو الراحة والسكون. وقد قال قوم ان علة هذا الكسل عدم وجود قطر صحيح الاعتدال. ومنذ قرون كثيرة تغلبت الامم القوية على الضعيفة وقطعت حبال املها من الفوز بالحصول على الحرية فانحت الاميال المتعلقة بها. ومن المعلوم ان الامم المقطوعة عن البحر او التي قد اعتقدت بان السفر فيهِ غير مقدس لا تقدر ان تدرك حقيقة الحرية. وقد ظهر من روح الكتاب المذكور ان النساء لم يكن في حالة مقيدة كالحالة التي قد امسين فيها في الازمان المتاخرة وان الزواج عندهم كان محصورًا في زوجة واحدة. وهذا الكتاب الطويل المولف من كتب كثيرة مختلفة التواريخ وصادرة من اقلام مولفين متعددين يصعب الوقوف فيهِ على قواعد عامة ليس لها نقيض وقد طرات عليها تغييرات كثيرة فكثرت فيها المناقضات

اما اسفار منو فهي قوانين مدنية ودينية كتبت نحو القرن التاسع قبل الميلاد. وهي كالفيداس من جهة الوحدة الالهية غير ان التعاليم المتعلقة بها تاخذ في ان تختلط بتعاليم المعبودات الكثيرة. وفيها وصف الخليقة وصفات المعبود والروح وفروض الناس في كل درجات الحيوة من الولادة الى الممات. وهذه القوانين النافذة المفصلة برهان كافٍ على نفوذ خدمة الدين العظيم وتسلطهم على عقول الناس واعمالهم. غير ان الاداب فيها ليست بمصونة. وهي تدل على بلوغ درجة عليا من التمدن ومن الفساد وتبحث

عن الذنوب والسياسة المختصة بالامم المتمدنة جدًّا وفيها اوامر مطلقة وفيها وصايا للملوك وسماح ببعض الامور الفاسدة. وفيها ان للمعارف اعتبارًا عظيمًا ومن تعاليمها فصل روح الانسان عن المادة الحيوية وان هذه المادة هي التي تطهر من الخطايا بالتقنيس. وقد قسمت الهيئة الاجتماعية الى اربعة اصناف وهي خدمة الدين والعسكرية والصناعية والخادمة. وفيها ان البرهمي اكبر المخلوقات قاطبة ومن المفروض عليهِ ان تنقسم حياتهُ الى اربعة اقسام وهي ان يصرف قسمًا منها بالامتناع والثاني بالزواج والثالث بالانفراد والرابع بالتامل وفيهِ انهُ بعد ذلك يقدر ان يترك الجسد كما يترك الطير الشجرة وفيها ان زمام الاحكام يكون في يد ملك مطلق عندهُ سبع مشيرين فيسوسون البلاد بامور بين. والدخول باخذ حصة من محصولات الاراضي ورسومات البضائع التجارية ومعينات يدفعها اصحاب الدكاكين وخدمة يوم في كل شهر على كل فاعل. وهي من الامور الاولية الاساسية تابعة للفيداس ولكنها لجميع القوانين المتعلقة بالبشر مع اختلاف درجات التقدم تميل الى خدع الناس. والكتابان يقرران الوهية الكون اي انهُ يظهر وانهُ يفنى بعد زمان وعند ذلك تمنع القوة الالهية عن القيام بامر المخلوقات فترجع كل الاشياء الى الانضمام الى الخالق (العياذ بالله) وان هذا يعاد مرات كثيرة

اما التغييرات التي طرات على المتمسكين بالدين في الهند بعد وضع تلك القوانين فنشات عن ضعف صنف الحكمة او انقراضهِ وسيادة العامة. وقد جاءت بالابتعاد عن عبادة الإله احد وبالشرك بهِ واهمال عبادة بعض المعبودات وادخال عبادة معبودات جديدة وعبادة الذين جعلوا معبودات من البشر. وقد توغلوا جدًّا بجعل البشر معبودات حتى انهُ تقرر في عقولهم ان معبوداتهم ابدًا وغيرهُ

ترتجف خوفًا من ان يقام بشر عوضًا عنهم. وربما كان هذا الشرك وعبادة الاصنام ناشئين عن عدم بناء هياكل لللاه الغير المنظور حال كون العامة تشعر الى الافتقار الى هيئة تدرك بالحواس. وهكذا قد جعل برهما مثلثًا بضم فشنو وسيفا اليه. وقد اد خلوا عبادتهم ١٤ معبودًا اوليًا فضلاً عن برهما المثلث. وليس لفشنو وسيفا ذكر في الكتب المذكورة مع ان اكثر العبادة في الحال موجهة اليهما. و يعتقدون فضلاً عن ذلك بالملائكة والجان وارواح اخرى غير منظورة فهم كالرومانيين في ذلك. وليس لبرهما في كل الهند غير هيكل واحد ولم يعبد قط. وكرشنا معبود محبوب جدًا عند النساء. وقد تغلب عندهم الاعتقاد بتجسد المعبود وعندهم ان فشنو قد تجسد مرات لا تحصى وقد تقرر في عقولهم ان الايمان بمعبود مخصوص افضل من التامل والاحتفالات الدينية والاعمال الجيدة وقد تقرر ناموس جديد عوضًا عن الفيداس. وهو اسفار البوراناس الثمانية عشر وانشئت بين القرن الثامن والسادس عشر. وفيها خبر الخلق واخبار المعبودات وقواعد حكمية وتواريخ منقطعة. وكانوا في الزمان القديم يعتبرون الذبائح والتقدمات الدينية اما الان فقد بدلوها بالايمان فطالب شيء يستعيض بالايمان عن الذبائح والتقدمات للحصول على مطلوبه. فالاستناد الى الايمان وقوته الغريبة وسهولة التكفير بمجرد التوبة قد اضعفت العقول واكثرت الخرافات. وقد حملهم ذلك على ان ينتظروا جنة مادية ذات اشجار وزهور وترتيلات وولائم وان يتصوروا جهنم مكانًا مقفلاً فيه لهيب وعذاب وظلما ومخلوقات مخيفة. فهذا ما نشا عن فقدان المعارف فانحط شان الدين من التوحيد الى الشرك وحكمتهم كانت منقسمة الى ستة مدارس او اراء

فهذا الايمان الذي تقرر بقوة ظالمة لخدمة الدين لم يثبت بدون وقوع المضادات. فان الدين البوذي ظهر كضد له. وهذا من الضروريات التي لا تستغني عنها الامور فانه لابد من ان يتحول الدين الفيداسي الى البوذي. وقد اصاب موسسه ما قاله مدعيًا النبوة من جهة نجاح دينه وقاعدته المساواة بين كل الناس وذلك في بلاد قضت قرونًا كثيرة واهلها خاضعون لظلم تقسيم الناس الى اصناف. ولا يومن البوذي بان معبوده خالق فانه مقرر عنده ان المادة ابدية وفيها عنصر التركيب والتاليف ولو هلك الكون فان هذا العنصر يرجعه الى ما كان عليه ويذهب به الى اصلاح وفنا جديدين بدون واسطة خارجية. وان للمادة ادراك واحساس. وقد اتفق البوذيون والبرهميون وهم الفيداسيون على تعليم التامل والسكون وعلى التنفيس. وقد كفروا بالفيداس والبوراناس وليس عندهم اصناف ومراعاة لاصول المساواة عندهم يقيمون كهنتهم من كل اصناف الشعب ويعيشون في اديرة ويلبسون الملابس الصفراء ويمشون حفاة ويحلقون رووسهم وشعر وجوههم ويقومون بالصلوات المرتبة في هياكلهم ويرتلون ويبخرون ويوقدون المصابيح ويشيدون الهياكل والمحاجر فوق قبور الذين يعتقدون بقداستهم. والبتولية من اعظم الفضائل عندهم ويمتنعون عن كل الملذات الجسدية وياكلون في قاعة واحدة وياخذون الاحسانات

وظهر الدين البوذي نحو القرن العاشر قبل الميلاد وموسسه اردهاشيدي من اهالي كابيلا بالقرب من نيبول. وقد اختلف الناس على ذكر زمانه فمنهم من قال انه قبل الميلاد بستمائة سنة ومنهم من قال بالف و٣٢٢ سنة. وقد قال الصينيون والمنغول واليابانيون انه قبله بالف سنة. واسم بوذه دليل اصله الهندي ومعناها المعرفة. وبعد انتشار هذا الدين كثيرًا في الهند حمله الدعاة الى سيلون والتترونيبة

والصين ويابان وبورمه واهل هذا الدين في الحال اكثر عدداً من اصحاب اعظم اديان الدنيا . ولم يقف اهل الغرب على حقيقة تاريخ اردهاشيدي وتعاليمهِ مع ان ذلك مهم جداً الا منذ سنين قليلة. وولد غنياً في عائلة ملكية ولما بلغ سن التسع والعشرين سنة تخلى عن الدنيا بعد ان ذاق كل ملذاتها وضجر منها وطلب الانفراد عنها . وانتهى في بادي الامر الى جسم قد بلي بالغنفرينا فهجر نساءهُ الكثيرات وصار متعبداً . ويقال انهُ كان يمشي مستتراً بستار عبدة وتقرر في عقلهِ بطلان الامور الدنيوية فانصب على التاملات الحكمية وتوغل في نكران نفسهِ واخرج نفسهُ من جميع اشغال العالم واماليهِ. وعند وصول الانسان الى هذه الدرجة من الاستخفاف بالعالم يقدر ان يقوم باعمال عظيمة جداً . وغير اسمهُ وسمى نفسهُ بغوتاما ومعناهُ الذي يقتل الحواس . ثم سمى نفسهُ بشاكياموني او ناسك شاكيا . وولد في ظل شجرة وتحت ظل شجرة تغلب على حب العالم والخوف من الموت وفي ظل شجرة وعظ العظة الاولى ومات في ظل شجرة . وبعد ان شرع في تعاليمهِ باربعة اشهر اجتمع اليهِ خمسة تلاميذ وفي نهاية السنة الاولى صاروا الفاً ومائتي نفس . وفي ٢٠٩ قرن مضت من ظهورهِ تبعهُ ملايين الملايين وهم اكثر من تبعة كل دين وتعليم . ولا يزال دينهُ على جانب من النشاط ومع ذلك الاديان قابلة الزوال . ولم تحافظ بلاد غير الهند على الدين الذي كان لها عند الميلاد . وتوفي غوتاما بعد ان بلغ الثمانين واحرقت جثتهُ بعد موتهِ بثمانية ايام . على ان تعاليمهُ اصبحت منتشرة ثابتة قبل موتهِ بسنين ليست بقليلة . وانتشارها برهان عدم اهمية التعليم نفسهِ وان الاهمية للتنظيم الموثر . ومن المستغرب ان البوذية التي تفوق تعاليمها ادراك عقول العامة انتشرت بسرعة عظيمة مع انها استخدمت الوعظ دون السيف . وبعد وفاتهِ اجتمع مجمع مولف من خمسمائة من خدمة الدين لتقرير حالة الدين وبعد ذلك بشهر عقد اجتماع اخر لتنظيم الاديرة وسنة ١٤٢ قبل المسيح عقد مجلس ثالث لطرد المجوس وبعناية الملك اسوكا ارسلت الدعاة الى كل جهة وشيدت اديرة عظيمة في كل مكان . اما في اوربا فلم يكتشف على تاثيرات الاديرة النافعة للدين الا بعد ذلك بقرون كثيرة

وبتقرير المساواة بين الناس وقع التضاد بين البوذي والبرهمي الهندي الذي تعود تقسيم الناس الى اصناف يمتاز كل منها عن الاخرى . واشتد ذلك التضاد ببغض البوذيين لجعل امتياز بين خدمة الدين والعامة فانهُ لا يصير الانسان كاهناً برهمياً ما لم يلد من صنف الكهنة غير ان الكاهن البوذي كان يرتقي من جميع رتب الناس حتى من ادناها . والزواج من قواعد الكاهن البرهمي بخلاف قواعد البوذيين فانهُ كان يتيسر لخدمة الدين بان ياتوا كهنة من كل الناس . ونشا عن ذلك عندهم جعل البتولية والعفة من اعظم الفضائل . وقد رات اوربا واسيا القوة التي يفوز خدمة الدين بالحصول عليها بهذه الوسائط . وبات الاتقيا من الهنود ملزومين بان يلاقوا المخاطر بالاضطهادات الدموية وفي النهاية طرد البوذيون من مراكزهم وانتشروا في شرقي اسيا . فالاضطهاد ام الدعوات الى الاديان

وقد قلنا ان القاعدة الاولى البوذية وجود قوة سائدة عالية وليس وجود كائن اولي . وهذا يبين ان اصحاب ذلك الدين لا يعتقدون باله واحد ولا بمعبودات كثيرة فانهم ينكرون الوجود ويومنون بالقوة واذا فرضنا انهم يومنون بوجود اله فلا يومنون بانهُ خالق . ولكنهم يعتقدون بان في العالم قوة فاعلة قائمة بنفسها وينكرون وجود الله ابدي قائم بنفسهِ ويرفضون البحث عن الاسباب الاولية

ويقولون ان ذلك لا يوافق الحكمة . وهذا الدين يسمح بالايمان بالتثليث بدون تشخيص والثالوث عندهم هو الماضي والحال والاستقبال ويشخصون الماضي بتمثال ذي يدين مكتوفتين لانه بلغ الراحة والحال والاستقبال بتمثال ذي يد بن ممدودتين دلالة على الاشتغال . ولما كان البوذي لا يومن باله كان لا يعتقد بانه ينضم اليه . حال كون البرهمي يعاتق املة بانضمام روحه الى الكائن الاول السائد كما ان قطرة الماء تعود الى البحر . وليس للبوذي دين ايماني ولكنه دين ذو رسوم . فهل يمكن ان يكون الانسان ذا دين بدون الايمان بالله . هذا وقد ظهر ان ايمان البوذيين مبني على القوة المجردة عن التشخيص والمادة حال كونها ليست مشتركة معها وبالطبع ينكر مداخلة قوة العناية الالهية وعنده ان ظهور مفاعيل الطبيعة يترتب عليها الاستمرار بموجب النواميس التي جعلتها تظهر ولذلك الكون انما هو اله عظيمة . اما البرهميون فلم يقبلوا هذا التعليم وكانوا يضادون كل تعليم حكمي موسس على ان العالم مضبوط بالنواميس لانهم كانوا يخافون من ان يكون ذلك سببا لسلب التوسط وبدون استناد الى المومنين . وقد انكر غوتاما التصادف وقال ان ما يصادف ليس الا نتيجة علة غير معلومة لا سبيل الى مجانبتها . واننا لا نقدر ان نعلم حالة الدنيا الخارجية من جهة كونها حقيقة او وهمًا لانه ليس لحواسنا موصلات صادقة تمكننا من الوصول الى الحقيقة بدون ريب . وهي توصل الى العقل تصورات نقول انها امور خارجية ولها مواد للقيام بعملياتها المختلفة . وتفقد العملية ما لم تفعل بالاتحاد مع الحواس . فعدم اقتدارنا على ان ندرك مقدار تاثير الاحوال الداخلية والخارجية في نتيجة يحرمنا ادراك حالة الطبيعة المطلقة او الفعلية . واذا سلم الى الضعف العقلي البشري بوجود صحيح للطبيعة المنظورة يقال انها تاتي بهيئات متناسقة غير ثابتة فتاتي بتغيير عظيم دائم في ازمان لا تحد فالخلق يتبعهُ الفنا في العوالم بحسب ناموس اساسي

فهذه هي التعاليم المتعلقة بوجود قوة سائدة وبخلق العالم المنظور وتاريخهِ . وقد بحث غوتاما عن الطبع البشري بحذق يحاكي حذقهُ في البحث عن الامور المذكورة . فقال فليتامل الانسان في ماذا يطرا على حبة من ملح قد طرحت في البحر . وقال ليصون الناس من الوهم انهُ ليس للفرديات والشخصيات وجود فالانويات عدم . وفي هذه التاملات العميقة ياتي بتصوراته المتعلقة بالقوة فابان ان كل الموجودات الحاسة واحدة . فاذا اعترض عليهِ الذين قد قيدوا انفسهم بالاراء المتعلقة بالمواد بضعف التركيب البشري بالسوال الاتي وهو كيف يمكن ان نتصور روح الانسان مكونًا بدون شكل حال كونهِ يظهر ما يظهر من العمل يرد بقولهِ ماذا جرى بلهيب المصباح بعد ان يطفى او اين كان لهيبهُ قبل ان اشعل هل كان ذلك عدمًا او هل صار الى العدم . فبهذه التصورات يحاول ان يصف حالة الوجود والتغييرات التي تطرا عليهِ . وعندهُ ان الامور الخارجية اوهام وتاثيراتها في العقل اوهام ايضًا . وبالنظر الى ذلك يقرر الايمان بالتقنيس ويتصورهُ كما نتصور نحن اجتماع الحر بالتتابع في اشياء مختلفة . فانهُ ربما كانت الحرارة نفسها هي التي تدخل شيئًا بعد شيء غير ان الحرارة قوة وليست مادة فلا يمكن ان تكون لها افرادية . ولا يمنع الايمان بتقنيس الروح بالانتقال من هيئة الى هيئة ويسلم بانهُ ربما كان يجتمع فيها تاثير كل تلك الموثرات الجيدة او الردية التي امست معرضة لها . فاللهيب الحيوي يمر من جبل الى جبل وينتقل من هيئة حية الى هيئة اخرى . وقد قال انها تقدر ان تحمل معها التغييرات التي طرات عليها ولا بد لها من

الفرصة اللازمة للتخلص منها والرجوع الى حالتها الاصلية . وبالنظر الى هذه الامور تحول تعاليمه الى قواعد ادبية وتاخذ في تبيين وسائط التخلص من الشر المجتمع والمغايرات الناشئة عنه التي تبيت الروح معرضة لها . غير انه لا يعترف بوجود فاعل يفعل بالنيابة عن قوة اخرى . ولكنه يقول انه من واجبات كل انسان ان يفعل ما يمكنه من تخلص نفسه وان الموت لا يترتب عليه التخلص من شرور العالم لانه ربما كان واسطة المرور الى ويلات جديدة . ولكن لا بد من بلوغ النهاية كما انه لا بد للهيب المصباح من نهاية اي انه لا بد من ان تنتهي الحيوة ولو كان ذلك بعد تقمصات كثيرة . وسمى تلك النهاية بنروانا وهذه كلمة مقدسة عند ملايين كثيرة وذلك منذ ثلثة الاف سنة . ونروانا هو نهاية الوجود المتتابع الذي ليس له علاقة المادة ولا المكان ولا الزمان وهو الذي قد ذهب اليه نور المصباح بعد ان يطفى وهو النهاية العظمى او العدم . وعنده انه من الواجب ان نطلب بلوغ ذلك وان نزيل من داخلنا كل الميل الى دوام الوجود مانعين انفسنا عن التعلق بكل شيء وعمل دنيوي . ومن الواجب الا نلتجا الى المعيشة في الاديرة والتكفير ونكران الذات واذلال النفس متعلمين بالتتابع السقوط الى السكون الدائم اقتداء بتلك الحالة التي لا بد من ان نبلغها ونقصر السبيل المودية اليها بتلك الاستعدادات . فالبرهمي ينتظر الانضمام الى معبوده ولكن ليس للبوذي معبود فينتظر الزوال

وهكذا نرى ان الهند قد اعطت الدنيا قاعدتين حكميتين دينيتين وهما دين الفيداس وقاعدته وجود المادة والبوذية وقاعدتها القوة . وفي النوع الاخير حذق فلسفي عظيم جدًّا ربما كانت اوربا لم تات بمثله . وبملاحظة الاجراءات نرى ان قاعدة لا يقام بها بالتفصيل . ولا ريب في ان واضعها حاذق جدًّا ومع ذلك يظهر الضعف في بعض تقريراته فلا يقدر ان يحرك سفينة العقلي الثقيل مع المحافظة على موازنة الجسم . ومن هذا القبيل كلامه عن القوة المحضة وانتقاله منها الى الظاهر من الطبيعة التي قد التزم بان ينكر وجودها الفعلي . غير انه ربما كان المترجمون او المفسرون قد اخطاوا في ترجمة كلامه فافسدوا معانيه ودليل ذلك قوته الغير الاعتيادية في الكلام فلا توافق ضعف برهانه المذكور

ولغوتاما المذكور تاليفات اسمها تعليمات شفاهية وحكومة الصين تطبعها باربع لغات وهي التبتية والمنغولية والمانشوية والصينية وتطبعها في مطبعة الحكومة في برلين في ثمانمائة مجلد كبيرة وتهدى الى اديرة لاما ونعم الهدية

وقد ابنا افساد القواعد البرهمية وهي الفيداسية بخلطها بامور دينية ومن الواجب ان نتكلم عن افساد البوذية بذلك الخلط . واديرت فعلاً بانشا اديرة كثيرة عظيمة . اما مقصدها فشخصي وهو الحصول على السعادة الافرادية فنشا عنها حب الذات الشديد . ومن نصوصها ان يهتم كل انسان بخلاص نفسه مع قطع النظر عن الاخرين وان لا يبالي بوالديه ولا زوجته ولا اصدقائه ولا بلاده بل ان يفرغ جهده في سبيل الوصول الى نروانا . وقبل اخراج الدين البوذي من الهند بمضادات البرهميين بزمان طويل زينت بزيادات العامة . فقررت خرافاتها واخبارها والعجائب . وتقرر في عقول العامة ان ماهامايا والدة غوتاما بتول ولدته بروح الهية (العياذ بالله) فجمع بالطبع بين الالوهية والبشرية وانه وقف على رجليه وتكلم ساعة ولادته . وانه عندما بلغ من السن خمسة اشهر جلس في الهواء بدون عضد وانه في ساعة ايمانه هجم عليه جيش من الشياطين وانه بصياماته توصل

الى الاكتفاء بحبة من الفلفل في اليوم وانه تجسد مرات كثيرة قبل ذلك وانه بصعوده الى السماء ترك اثرًا لقدمه في جبل سيلون ليعبد · وان في الفردوس جواهر وزهورًا وولائم وموسيقى وفي جهنم كبريت ولهيب · وانه يجوز عبادة الاصنام غير ان جعل البشر من المعبودات خطا · وان في الكون جنًا وارواحًا وغير ذلك من المخلوقات الغير البشرية · وان في السماء ملكة · وان قراءة الكتب المقدسة فضيلة ان اقام الانسان باوامرها او لم يقم · وان الصلاة تقوم بالتكرار الشفاهي بل بتدوير لولب قد كتبت الصلاة عليه وان واضع الدين البوذي رئيس العالم الديني · وقد اعتنق البوذية مع هذه الخرافات التي اضيفت اليها اربعة اعشار الجنس البشري وهي ذات تاليفات عظيمة وهياكلها عظيمة واثارها كثيرة واديرتها منتشرة في بلدان متسعة جدًا ويقام فيها بتعاليم تشابه التعاليم التي كان يقام بها في اديرة القرون المتوسطة وقد خمن ان ثلث التترهم من اللاميين · وفي بعض الاديرة اكثر من الفي نفس وتصب ثروة البلاد بالاختيار اليها · والتعليم الابتدائي ينتشر فيها اكثر من انتشاره في اوربا فقل ماترى انسانًا لا يعرف القراءة · ومن الكهنة من هو على جانب عظيم من التقوى ومنهم من هو خداع · ومن الامور المكدرة ان البوذية قد ساقت اهالي الصين كلهم الى البرود الديني بل الى عدم المبالاة بالدين · وعندهم انه عادة يتبعها الانسان بحسب ذوقه · وان الحكومة متظاهرة بوثنين اللازم ان يتظاهر بالاعتقاد بها كل مامور والهيئة الاجتماعية تدعو الى ذلك · وانه يحق للانسان ان يتبع ذوقه ورائه فيما يتعلق بها كما لو كانت ثوبًا · وانه لا يحق له ان يعيش بدون التظاهر بالاعتقاد بدين كما انه لا يحق له ان يسير عريانًا · ولا يدركون كيف تقع المضادات الدينية وتظهر التعصبات من جرى امور مجهولة غير مهمة وعندهم الاديان كثيرة والعقل واحد فالجميع اخوان ويتشاورون بالتتر لانهم يومنون بالعجائب والمعجزات معاصريهم الذين يقومون باعمال عظيمة غير طبيعية فيلحسون الحديد المحمر بالحرارة ويفتحون احشاءهم ثم يشفون الجرح بلمسه بايديهم · فهذه الشعبذات في الصين قد انحصرت في المشعبذين الذين يصنعونها ليفرح الاولاد عليها · وعندهم امثلة عامة تدل على تعلقهم بالماديات وعدم اعتنائهم بالدينيات وما ينشا عن ذلك من الفساد فيقولون ان السجون مقفولة ليلاً ونهارًا ولكنها ملآنة والهياكل مفتوحة دائمًا وليس فيها احد ويقولون عن الموتى قد سلموا على الدنيا · وقد قال احد المولفين المدققين ترى انهم يموتون بسكون وراحة بال اذا قابلنا حالتهم عند الموت بحالة امم اخرى

تاريخ فرنسا

اسرار اجتماعها · فقابله نابوليون باكرام ولكنه لم يطلعه على شيء وقال له بحريته الاعتيادية اننا لم ندع مولاك الى هذا الاجتماع لان ذلك لا يتيسر مادام يجمع جيوشًا جرارة تهديدية · فاذا كانت النمسا ترغب في محالفة روسيا وفرنسا من الواجب ان تظهر مايوافق الصداقة · واذا كانت تفضل محالفة انكلترا من الواجب ان تخابرها باسرارها · ولكن اسرار الاجتماع لم يقف عليها غير اربعة اشخاص وهم الامبراطوران ووزيراهما

هذا وجاء مدينة ارفورث الصغيرة كل ما هو جميل وعظيم في المانيا وقد قلنا ان نابوليون اقام بكل ما يسر ويحظ · فكان يشغل الناس بالولائم والمادب والافراح حال كونه كان يصرف زمانه في التدبيرات العظيمة والمصالح المسلمة اليه وجاءت امراة مشهورة جدًا الى المدينة المذكورة وهي البرنسيس دي تور شقيقة ملكة بروسيا · وكانت ذات مركز عال وجمال بديع ولطف عظيم وجلال وتعقل وفصاحة

فكان يجتمع اليها اعظم الرجال. واجتمع بدعوة نابوليون اكابر اهل العلوم والمعارف ودخلوا جمعيات الملوك والبرنسات ومنهم فيلاند وكوث. فكان نابوليون يترك العظماء بالمناصب والولادة ليجتمع بعظماء العقول والمعارف ويبين لهم اعتباره لهم. وقد كتب فيلاند العالم بهذا الشان واصفا اجتماعه بنابوليون في قاعة البرنسيس المذكورة. قال بعد ان دخلتها بدقائق قليلة مشى نابوليون من الجهة المقابلة لنا ليأتي الجهة التي كنا فيها فعرفني به دوقة فيمار فبعد حين بلطف وهو ينظر اليَّ نظرة متامل بي. ولم ارَ غير قليلين من الذين لهم اقتدار على الوقوف على افكار الغير بالنظر اليهم كما كان لنابوليون. ولم ارَ رجلاً اشد ر واقاً منه ولا اقل تكلفاً وتصنعاً ولا اشد لطفاً واتضاعاً. ولم يظهر فيه شيء يدل على انه ذو دعوة لانه ملك عظيم ذو سطوة. ومما ادهشني وادهش جميع المجتمعين تكلمه معي نحو ساعة ونصف ساعة بدون انقطاع وظهر لي انه لم يكن يحفل بالملاهي. فتوهمت انه من حديد ولو كان لطيف المعشر منخفض الجانب. وعند نصف الليل خطر لي ان انفصل عنه لانه لاح لي عدم موافقة اطالة الحديث معه لئلا يتعب ويضجر فخرقت الاصول واستأذنته بالذهاب عوضاً عن ان انتظر ان يصرفني. فقال اذا كانت هذه هي الحال فاذهب استودعك الله

وفي اثنا تلك الاجتماعات اجتمع مولار المورخ السويسري المشهور. وقد كتب عن اجتماعه به ما ياتي انني اقول امام الله بخلو غرض وبحق انني متعجب مما رايت منه من المعارف المختلفة واصابة الاراء وشدة الادراك. وكيفية احاديثه ادخلت حبه في فوادي ويوم اجتماعي به من اعظم ايام حياتي. وقد تسلط على قلبي بجذبه وجودته الخالية من الغرض. انتهى

اما الامبراطور اسكندر الروسي فكان ذا مطامع عظيمة ومع ذلك كان يحب الحظ وعلى جانب عظيم من الجلال واللطف. وفي ذات ليلة عقدت مادبة رقص فاخذ الامبراطور اسكندر يرقص مع ملكة وستيفاليا حال كون نابوليون كان يكلم كوث العالم مولف ورتار. وفي نهاية السهرة كتب الى جوزفين بانني حضرت مادبة رقص في فيمار ورقص فيها الامبراطور اسكندر اما انا فلم ارقص لان اربعين سنة هي اربعين سنة

وكان اسكندر من محبي معاشرة النساء فجاء ارفورت مخصصة مشهورة بالجمال والقد فراها واستحسنها فقال لنابوليون هل مع من مانع يمنع تعرفي بها. فقال نابوليون بتاناً لا غير ان ذلك يكون واسطة لتعرفك بكل باريز فان تفصيل زيارتك لها ترسل مع البريد الاول. وكان يخاف هذه الشهرة فبرد كلام نابوليون ما كان عنده من الوجد

واقام نابوليون مادبة في ميدان الحرب في جينا حيث بدد نابوليون شمل الجيش البروسياني واقام بها الذين كانوا يرغبون في ان ينسوا انكسارهم في سبيل اكرامه. وضربت خيمة فاخرة جدا في المكان الذي صرف فيه الليل نابوليون في ١٩ تشرين الاول قبل ذلك بسنتين. وركب ومعه اعوان كثيرون وجال في ميدان تلك المعركة العظيمة واجتمع فيه جمهور غفير من جميع الانحاء المجاورة فبهرت اعينهم بعظمة ذلك الفاتح العظيم فضجوا داعين له تكراراً. اما بلدة جينا الصغيرة فلحقت بها اضرار عظيمة في ذلك اليوم فبعث اليها بهبة قدرها ثلثمائة الف ريال لاسعاف الذين لحقت الاضرار بهم

وبعد مفاوضات كثيرة حل الامبراطوران كل صعوباتهما وامضيا المعاهدة الاتية ملخصاً ان فرنسا وروسيا جددتا تحالفهما وتعهدتا بان تحاربا او تصالحا معاً. واتفق الامبراطوران على ان يطلبا الى انكلترا ان تعقد الصلح وان يكون ذلك بشروط موافقة جداً

لانكلترا حتى ان شعبها يطلب اليها ان تعقده ، وارتضت روسيا بان يبقى جوزف ملكًا في اسبانيا وارتضت فرنسا بان تستولي روسيا على فنلاند والفلاخ والبغدان فكتب نابوليون التحرير بيده باسم ملك انكلترا يطلب عقد الصلح وامضاه الامبراطوران . واضطربت النمسا كثيرًا لانهُ لم يسمح لها بالاشتراك بهذه المخابرة . وقال نابوليون لسفيرها عند الوداع ان بلاط فينا لابد من ان ينتظر الاخراج من اشغال اوربا مادام يظهر ميلاً الى تكدير راحة اوربا . واعطاهُ نابوليون تحريرًا ليقدمهُ الى مولاه واودع فيهِ افكارًا حرة مبنية على كرامة الاخلاق وهذه ترجمته

ياسيدي واخي . انني لم ارتب قط في نوايا جلالتكم الصادقة . غير انني خفت في برهة من ان ارى الحروب منتشبة بيننا . وفي فينا حزب يذيع الفلاقل ليحمل وزارتك على القيام بالحروب . وكنت قادرًا على ان املا امبراطورية جلالتكم او ان اضعفها غير انني لم ارغب في ان اقوم بذلك فما هي عليهِ الان هو ناشئ عن ارادتي . وهذا برهان قاطع على انني لا ارغب في شيء من جلالتكم وتراني على استعداد دائم لان اضمن استقلالكم ولا اقوم بشيء يضر ماديًا بصوالح امبراطوريتكم . على انهُ لاينبغي ان تفتح امورًا قد تقررت في حروب استمرت ١٥ سنة . ولا بد من ان تبادر جلالتكم الى منع اعلان كل ما يؤول الى تهييج الحرب او القيام بما يؤول الى ذلك بالقيام بتصرفات مستقيمة ظاهرة فيعود ذلك بالسعادة على امتكم فتتمتعون بالراحة التي لابد من ان تكونوا في احتياج اليها بعد ضعوباتكم الكثيرة . فاجعل اجراآت جلالتكم مما يحمل على الاركان فتاني بهِ . فاحسن السياسة في هذه الايام البساطة والصدق . فاظهروا لي مخاوفكم فابددها بالحال . انتهى

وفي المفاوضات السرية التي جرت بين الامبراطورين جرى حديث بشان طلاق جوزيفين زوجة نابوليون وتزوجه بفتاة من عائلة روسيا الامبراطورية . هذا ولا نذكر ذلك الا باسف عظيم فانهُ الحق بهِ لومًا شديدًا ولا يزال الناس يلومونهُ عليهِ . اما جوزفين اللطيفة المحبة الكريمة الاخلاق فغفرت لهُ على ان الناس لا يغفرون . فانها شاركتهُ في كل اضطرابات حياتهِ واسعفتهُ في الوصول الى ما وصل اليهِ من المجد والعظمة واحبتهُ محبة شديدة وبامانة عظيمة لم يفقها احد . وكان من الواجب ان لا يسمح لمقاصد عالية مهما كانت ان تبعدهُ عنها . والظاهر ان الله تعالى اغتاظ من ذلك . والتزم نابوليون بان يقر بانهُ كان اعظم مصائب حياتهِ . ولا يعذر اذا قال انهُ طغي بما لم يطغ بشر بهِ وان الغايات التي ساقتهُ الى العمل من اعظم الغايات واشرفها

غير انهُ لا ينبغي ان نكتفي باللوم فان العدالة مما يفتخر بهِ واظهار الواقع يمكن كل مطالع من ان يحكم بحسب رائهِ وميلهِ . وجوزيفين نفسها قد طلبت الغفران من زوجها ودموعها تذرف وقلبها يخفق حبًا بهِ حال كونها عالمة بان حبهُ لها يفوق حبه لكل الناس وقد اعتذرت على مسمع من العالم الذي يحكم بلوم نابوليون او بعذرهِ . فاسمعوا كلام نابوليون لجوزيفين . انني احبك وحدك وحبك جعلني مديونًا لك بساعات السرور الصحيح القليلة التي تمتعت بها في الدنيا . وملوك اوربا قد تسلحوا ليفتكوا بي لانني امبراطور الاهالي وكل الملوك الاميرية لاتزال عدوة لي في الباطن . ولا ارى واسطة لانقطاع الحروب والويلات المخربة التي تدمر عشرات الوف من البيوت وتجعل في الدنيا طوفانًا من الدم فاذا تزوجت بفتاة من عائلة روسيا او النمسا الامبراطورية اصبح من عائلة الملوك فيعترف الناس بان ابني من اصل ملكي واحصل على دولة متحالفة تبني مصلحة ناموسها

عضد امبراطوريتي ويرجع السلام الى اوربا وتنجو الوف من المنازل من خراب الحروب وويلاتها والطلاق لا يقطع حبال الحب من بيننا فيبقى قلبانا قلباً واحداً ولا تنقطع مخابراتنا ولا اتصالياتنا الاركانية الا ينبغي ان نقطع الرباط الوحيد الذي يجعلنا زوجاً وزوجة لنتمم اموراً عظيمة مهمة جداً كهذه الامور وبالنظر الى الحب القلبي الجاري بيننا نحمل انفسنا اعظم الاثقال للقيام بذلك ولكنه لايجاد اعظم المدائح العالمية . فاذا مت ياجوسيفين من يخلفني على عرش فرنسا . الا تعلمين ان مائة مدع من اهل المطامع يجردون السيف ويتنازعون الملك ويلقون الامة في وبال وهلاك فتخلف لفرنسا النار والدم والخراب . فاذا وهبني الله ورثياً تنقطع اسباب كل هذه الويلات . فتبقى الامة متمتعة بالسلام والنجاح الا نقوم بعمل عظيم اذا ضحينا على مذبح حب الوطن ميل قلوبنا الشديد . وفرنسا تعرف اهمية هذه الضحية ولكن بركات الذين لم يولدوا بعد سترجع الينا . انتهى

هذا ولا يقدر الانسان ان يقف على هذه الاراء بدون ان يتامل فيها . ولا سيما بعد ان يعرف ان نابوليون لم يتربي تربية دينية ولم يكن يقدر ان ينظر اليها كما لو كان مسيحياً قلبياً . ولم يتامل الا في الامور الدنيوية ومتعلقات العدالة . فاذا نظرنا الى الجهة العالمية نرى انه اقام بضحية عظيمة ناشئة عن كرامة اخلاق وهي تدل على ان نتائجها مفيدة جداً . وعندما ذكر موسيو تاليراند هذا الامر اجاب اسكندر مادحاً نابوليون كل المدح وقال انه يعد النهار الذي يصبحون فيه اخوة بالمصاهرة فيربطون رباطات جديدة فضلاً عن رباطات الصداقة من اسعد الايام ولاحت على وجه لوائح السرور الشديد عند ما قال واجب ان ازور باريز واتمكن من ان اقبل فيها شقيقتي وهي امبراطورة فرنسا . ثم ذكر تعصب امه واكثر الامراء في امور كهذه . وانهم كانوا يضادون اشد المضادة ذلك الامبراطور الذي كان قد زلزل في كل مكان اساسات السطوة الامتيازية . اما نابوليون فكان قد اطال التامل في هذه الامور غير انه كان يمتنع عن انفاذه حباً بتلك المراة التي كانت محبوبة في ايام شبوبيته . اما جوزيفين فسمعت اشاعات بهذا الخصوص من الف لسان من السنة الذين يحبون نقل الاخبار غير ان نابوليون لم يكلمها بهذا الشان

اما اسكندر فلم يكن يتعب من تعديد مناقب امبراطور الفرنساويين فكان يمدح تعقله وجلالة وقوته التي كانت تتسلط على القلوب وحنو قلبه . وكثيراً ما كان يقول انه اعظم رجل من رجال العالم بل هو من احسن اهل العالم . والناس يظنون انه طامع محب للحرب وليس هو كذلك فلا يحارب الا للضروريات السياسية ومن الزام الاحوال . انتهى

وكان الناس يتعجبون مما كانوا يرونه فيه من معرفة كل امر معرفة حقيقة . فكان يكلم اللاهوتيين والمؤرخين ومولفي الروايات وكان كل الناس يقرون له بالامتياز في العقل . وفي ذات مرة وقع جدال بشان احدة الاوامر البابا وية المساة بالبولا الذهبية وكان ذلك في وليمة . فقال احد الحاضرين ان تاريخه سنة ١٤٠٩ ! . قال نابوليون لقد اخطات فان تاريخه سنة ١٣٣٦ في ايام الامبراطور كارلوس الرابع فقال احد الحاضرين احب ان اعلم كيف يقدر الامبراطور ان يعلم هذه التفاصيل العلمية فقال وقد تبسم اذ راى ما راى من تعجب سامعيه العظام اقمت ثلث سنوات في حرس فالنس . ولم اكن احب الاختلاط بالناس وكنت نازلاً في بيت بائع كتب وسمح لي بان اقرا في كتبه فقرات الكتب التي كانت فيه اكثر من مرة ولم انس غير قليل من محتوياتها العسكرية او الغير العسكرية

وكان حاذقاً ذا ذاكرة قوية عالماً بانفاذ الامور وتوفيقها . حتي انهُ ربما كان يعرف كل من كان ذا شهرة من اهالي فرنسا ولو كانت غير عظيمة ويعرف تاريخ حياتهِ وصفاتهِ . وكان وزراوءهُ يكتبون دفاتر فيها اسما وكانوا يسمونها دفاتر الامبراطورية الادبية . وكان يصلح ما يحتاج الي الاصلاح فيها بتقريرات وزرائهِ والكتابات المخصوصة . وكانت كل تحريراتهِ ترد اليهِ وكان يقراها بدون ان ينسى ما تضمنتهُ . وكان ينام قليلاً و يستخدم كل ساعة من زمان يقظتهِ . وكانت ذاكرتهُ قوية جداً حتي انهُ كان يتذكر ارقاماً بمجرد النظر اليها مرة واحدة بسرعة وكان يعرف مجموع محصول كل رسم في ايام ادارتهِ وكان حاذقاً جداً بالحسابات وقادراً على اظهار الغلط بقوة كان الناس يقولون انها تفوق القوة الطبيعية . وفي ذات مرة كان يقرا حساب مصاريف فراى انهُ قيد فيهِ ثمن ماكولات لفرقة معلومة في يوم معين في بيزانسون فقال نابوليون ان الفرقة المذكورة لم تكن في بيزانسون هذا خطا . فتذكر الوزير ان نابوليون كان خارج فرنسا فقال ان الحساب صحيح . و بالفحص ظهر ان ذلك تزوير فعزل مفيدهُ الخائن وشاع الخبر في كل الامبراطورية وجعل كل كاتب على حذر . وسنة ١٨٠١ ادهش نواب سويسرا عند ما راوا ما راوا من معرفتهِ لتاريخ بلادهم وعاداتها . وكذلك نواب جمهورية سان مارينو الصغيرة الغير المهمة ادهشوا لما راوا ان نابوليون كان يعرف عيالهم وعاداتهم وسياستهم المحلية

وكان في ذات مرة سائراً الى جزيرة البا في بارجة اسمها الاندونتد فاخذ يتكلم عن امور بحرية وفي ذات يوم كان جالساً يتناول الطعام فقال انهُ خطر لهُ يوماً بان يبني بوارج كثيرة من الكبيرة . فقيل لهُ ان الامور الصعبة ان يجد ملاحين حاذقين جداً لان الانكليز كانوا قد استولوا على كل بحر . فاجاب نابوليون انهُ كان قد رتب وسائط الملاحين في الفرض وفي السفن الصغيرة عند الشواطي ليتعودوا اعمال البحر في الانوا وكان عارفاً بالامور البحرية قادراً على ان يحل مشاكل لا يقدران يحلها الا الذين درسوا فن سلك الابحر واتقنوهُ . وفي تلك السفرة اراد رئيس المركب الدخول الى مينا باستيا من جزيرة كورسيكا . فوصفها نابوليون في الحال وابان عمق الماء والمحلات الغير العميقة ومجاري المياه ومحلات رسي المراكب باصابة وتفصيل كانهُ صرف حياتهُ بادخال المراكب اليها . فراجع الرئيس الرسم ووجد ان الوصف صحيح من كل وجه . وذكر الرئيس انهُ كان قد خطر لهُ ببال ان يدخل بالمراكب الى فرضة بالقرب من جينوا . فقال نابوليون لقد اصبت بعدم الدخول اليها فانها اردا مكان في البحر المتوسط فانك بعد الدخول لا تقدر ان تخرج بالمراكب في اقل من شهر او ستة اسابيع ثم اخذ يصفها بتدقيق واخبر بذلك الرئيس دونداس بعد ان عاد منها فقال ان نابوليون اصاب بكل ما قال عنها . ثم قال لقد تعجبت من معرفتهِ لاحوالها وكنت اظن انني انا مكتشف هذه الاحوال فانني تحققت كل ما قال بالفحص والاختبار

وكان ذا جلد عجيب وثبات غريب فانهُ عند المفاوضات بشان تقرير القوانين المدنية كان كثيراً ما يشتغل ١٢ او ١٥ ساعة بدون ان تتكل قواهُ . وانشا دائرة فيها ١٢ كاتباً وجعل مونيه رئيساً لها وحصر اعمالها في قراة الجرائد الانكليزية وترجمتها وامر رئيس الدائرة المذكور بان لا يترك طعناً بهِ ولو كان غير معتدل . غير انهُ كان كثيراً ما يلطف العبارات واحياناً يقطع النظر عنها بالكلية اذا كانت متعلقة بالامبراطورة جوزفين . وكان نابوليون يسال غيرهُ عن محتويانها حيناً بعد حين فوجد ان مونيه كان يلطف

بعضها و يحذف بعضها حبًا بهِ فامرهُ بان لا يترك شيئًا. وكان مع كثرة اشغالهِ واهميتها يجد فرصة كافية ليقرا الكتب والجرائد بسرعة لا مزيد عليها . وكان مدير مكتبتهِ يلتزم بان يرتب كل يوم رسومًا وكتبًا و جرائد كان نشاطهُ العجيب يحملهُ على المطالعة فيها قبل ان يتناول الطعام صباحًا

وفي ذات مرة دخل امبراطور روسيا وهما في ارفورث قاعة الاكل فاراد ان يخلع سيفهُ عنهُ قبل الجلوس لمناولة الطعام فراى انهُ قد نسيهُ . فبادر نابوليون الى تقديم سيفهِ اليهِ. فقبلهُ واظهر من السرور والشكر ما لا مزيد عليهِ وقال قد قبلت هدية جلالتك ضمانة على صداقتك فتاكد انني لا اجردهُ عليك ابدًا. فقال نابوليون اننا نتبادل اعظم براهين الحب وقد صرفنا بضعة ايام معًا بالصداقة التامة والمواصلات الجميلة التي تجري في المعيشة الخصوصية . فكانا كشابين سعيدين لذاتهما واحدة فلا يخفي احدهما شيئًا عن الاخر . وكتب نابوليون الى امراتهِ جوزفين بما ياتي انني مرتضٍ من اسكندر ومن الواجب ان يكون مرتضيًا مني ولو كان امراة لبت مغرمًا بهِ

وفي صباح ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ركب الامبراطوران وخرجا من ارفورث والجنود مسلحة واجتمع في الشوارع جمهور غفير جدًّا من كل الجهات ليتفرج على خروجهما . وبعد ان ركبا بضعة اميال نزلا عن جواديهما وسارا برهة وهما يتكلمان باجتهاد كلامًا سريًا . ثم قبل احدهما الاخر بحب وكانا متحدين برباطات الصداقة الصحيحة والسياسة والمطامع فدخل اسكندر مركبتهُ وركب نابوليون فرسهُ ثم هز كل منهما يد صاحبهِ للوداع الاخير وافترقا . فسار اسكندر قاصدًا بطرسبرج ورجع نابوليون صامتًا متاملاً الى ارفورث . ولم يلتقيا بعد ذلك غير ان جيش كل منهما التقى بجيش الاخر في لهيب موسكو وفي ميدان حرب واترلو

ولما عاد نابوليون الى ارفورث استاذن البرنسين وغيرهم من العظماء الذين كانوا لا يزالون فيها وبعد الظهر من ذلك اليوم ركب مركبتهُ وسار الى باريز ورجعت تلك المدينة التي امست ميدانًا لاعظم الاحتفالات والفخر المادب الى ما كانت عليهِ من السكون والهدو . وكان لا يبالي بالتعب ولا يحب النوم فسار ليلاً ونهارًا بدون راحة . وفي صباح اليوم الثامن عشر من ذلك الشهر وصل الى سان كلو

وارسل الامبراطوران مامورين احدهما روسي والاخر فرنسوي ليحملا الى ملك انكلترا التحرير الذي كتباهُ اليهِ طالبين عقد الصلح وما ياتي ترجمتهُ

يا سيدنا . ان احوال اوربا الحالية قد جمعتنا في ارفورث . ومرغوبنا الاول انفاذ ارادة كل الامم و بتقرير تسوية مع جلالتك نبادر الى اتخاذ اعظم الاسباب لتخليص اوربا من ويلاتها . فالحرب الطويلة الدموية التي بليت بها اواسط اوربا قد بلغت النهاية ولا يمكن تجديدها . وقد حدثت تغييرات كثيرة في اوربا وهدمت حكومات كثيرة . والسبب يرى في القلق والاضرار الناشئة عن وقوف دولاب التجارة البحرية . وربما كانت تحدث تغييرات اعظم وتكون كلها غير موافقة لسياسة انكلترا فالسلام هو مرغوب امم اواسط اوربا وانكلترا . وقد اتحدنا لنطلب الى جلالتكم بان تصغوا الى صوت الانسانية وان تبطلوا المطامع وتجعلوا تسوية بين الصوالح المختلفة وتقرروا صالح اوربا والناس الذي جعلنا الله في رياستهم . انتهى

ووضع هذا التحرير المهم في مغلف باسم مستر كانن وزير انكلترا الاول وكتب على المغلف ما بين انهُ من امبراطور روسيا وفرنسا الى ملك انكلترا . وامر المامورين بان يقولا في كل مكان بانهما اتيا ليطلبا عقد الصلح . وكان نابوليون يرغب في ان

يبين للامة الانكليزية انهُ اذا استمرت الحرب تكون مسئوليتها على وزارة انكلترا . وسار المأموران من بولون ولم يصلا الى انكلترا الا بعد معاناة مشقات كثيرة . لان وزارة انكلترا كانت مضادة لعقد السلم حتى انها امرت البوارج بان لا تسمح لسفينة حاملة راية سلام بان تمر. على ان الرئيس الفرنسوي الحاذق الذي كان يدير البارجة الفرنسوية تمكن من ان يمر بدون ان تراهُ البوارج الانكليزية والقى مرساة مركبهِ في الدونز . ولم يسمح لهما بان يخرجا الى البر الا بعد برهة وسمح للمأمور الروسي بان يذهب الى لوندرا اما الفرنسوي فابقي في المركب . غير انهُ ورد امر من وزير انكلترا الاول فسمح لهُ بالذهاب ايضاً الى لوندرا ولاطفهما الانكليز غير انهما كانا تحت مناظرة ضابط انكليزي لم يكن يتركهما وحدهما دقيقة واحدة . وبعد وصولهما بثماني واربعين ساعة ارجعا بتحريرات باسم وزيري فرنسا وروسيا وفيهما ذكر وصول التحريرين والوعد بارسال جواب . فهذا الجواب البارد ابان ان وزارة انكلترا كانت لا تزال مصرة على القيام بالحرب . وبعد ذلك بايام قليلة كتب الوزير

(ستاتي بقيتهُ)

سم الافاعي

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

بمقصدها . فاستغربت ذلك واخبرت شقيقتها باستغرابي لهُ . ولكنهُ لم يخطر لي ببال ان ذلك حيلة ولم اعرف به الا منذ شهر فان انتوانت اخبرتني وهي تضحك انها كانت قد عرفت ان اوجينا تكاتب شخصاً عنوانهُ بالاحرف وانها موكدة انهُ رجل . فللوقوف على الحقيقة كتبت اليها الى اش كروف وقالت ان صاحب ذلك العنوان في حالة النزع وانها اذا كانت ترغب في ان تراه من الواجب ان تسير الى لوندرا في المركبة المذكورة وان رسولاً يلاقيها في المحطة . فقال كاردن ما هذا التعدي والقساوة . قال رفيقهُ اما هو عمل بزابرة ومع ذلك تقدر امراة ان تعامل امراة اخرى هذه المعاملة اذا خطر لها ببال ان تعاملها بها . ولم ينتهِ الامر بذلك فانني سمعت انهُ نتج من الامر شيء آخر اهم فان انتوانت كتبت الى امها عن ذلك اجمع فطلبت امها التوضيح فابت والتزمت بان تخرج من بيت امها ولم يرها احد من اقاربها بعد ذلك . انهُ عند التامل بهذا الامر يجري الدم بارداً في عروقي . قال كاردن الم تندم انتوانت على ما فرط منها . قال كيف تندم انك لا تعرفها ولو عرفتها لما سالت هذا السوال . فان قلبها كالصخر ولا تفهم معاني الكلام غير انني لم ارتضِ بان اكون واسطة لانفاذ حيلها وخداعها وابنت لها ذلك فتنازعنا ولم نصطلح بعد ولن اصالحها وسادفع دينها الذي تكفلت بدفعهِ عندما اتمكن من جمع الدراهم الكافية وبعد ذلك لا اتاسف اذا نسيت اسمها ولا اعلم كيف ساقتني الحماقة الى الانقياد اليها بحيث اوقعت اوجينا المنكودة الحظ في مشكل مهم مع انها طالما عاملتني بالحنو واللطف في كالكوتا . فماذا يعنيني يا ترى اذا كان لها محب واحد او اكثر ولا بد للمراة الجميلة من اسباب للهو . وعند ذلك نظر كاردن اليهِ بغضب وقال لهُ لا تنسَ ما هو موضوع كلامك

ان اوجينا صديقتي وهي من اطهر النساء في العالم فاذا تجاسرت على ثلم صيتها تكون مسئولاً اليَّ . فنظر اليو وراى انهُ يتكلم بجد فقال ارجوك ان تعذرني فانني لم اقصد ان اطعن فيها وكيف اطعن بدون برهان غير ان الانسان ينقاد الى التكلم بدون تامل كافٍ عن النساء . قال كاردن ان ذلك مضر ولا بد من الاقلاع عنهُ . اجاب لقد احسنت واشكرك على هذه المشورة وقد نسيت ان عائلة ارشار (اوجينا) هي من اقرب الاصدقاء اليك ولولا ذلك لما تكلمت باستخفاف عنها فالاوفق ان لا نتنازع بهذا السبب . وانا اعلم انني لم احظَ منها بالاستحسان واذا استحسنت . . . . فقاطعهُ كاردن الحديث وقال لو استحسنتك لما عرفت ذلك منها . واذا كنت تظن بها غير ذلك تخطئ وانا عالم بكل تفاصيل ذهابها الى لوندرا فلا اقدر ان اخبرك بها وكفاك ان تعلم انها ذهبت للقيام بامر طاهر جيد يليق بالشفقة النسائية . والمامول انهُ سياتي يوم يظهر فيهِ لاقاربها طهارتها وصفا باطنها وعند ذلك ترى الحقيقة . وعند ذلك نهض كاردن ليذهب فنهض رفيقهُ اوسوالد وهو يقول لا ريب عندي في ذلك لانني طالما رايت من مزاحها وبشاشتها ما دلَّ على انها كانت بعيدة عن كل شر . فهل سمع زوجها بالخبر فماذا يقول عنهُ ياترى . قال كاردن انني لا اعرف شيئًا عن ذلك ولا احفل بهِ فانني لا احب زوجها مع ان الظروف جعلتني قريبًا منهُ مدة طويلة وربما كان لم يسمع شيئًا عن امراتهِ غير انني ساعتني بان ابين برارتها عند عائلتها قال . اوسوالد قد سررت بما اراهُ من غيرتك واذا رايت ان ذكر اسمي وخبري ينفعك لا تتاخر لانهُ لم يخطر لي ببال بان اجابة طلب اختها يوقعها في ضرر . قال كاردن لا ريب في انك لم تعرف ذلك وساخبر اوجينا بهذا الامر عند ما اراها ثم ودع كل منهما صاحبهُ بحب . وقبل ان افترقا قال اوسوالد لكاردن الا تخبرني بمكان نزولها قال كيف لا فانني اعلم انها تسر بمقابلة صديق قديم فكتب اسم محلها وعنوانهُ على ورقة زيارة ثم افترقا وكل منهما يثني على الآخر

ثم سار كاردن الى جهة الستراند منقادًا الى العادة لانهُ كانت قد فاتت الساعة التي كان يومل بان يرى فيها هنري ارشار في ملابسهِ الاعتيادية او في غيرها . وكان كل يوم يذهب الى مركز البريد في شارن كروس ليرى هل يسال احد عن التحرير الاخير الذي كتبتهُ اوجينا . وعند دخولهِ الباب راى شخصًا بعيدًا عنهُ نحو مائة خطوة لابسًا ملابس هندية وكان سائرًا الى جهة الستراند . ولا ريب انهُ كان مصممًا على ان يتبع كل خادم هندي يراهُ بامل الوقوف على خبر هنري . ولكن اهالي لوندرا لم يكونوا يحفلون بهم وكان كثيرًا ما يتبع من يراه منهم اميالاً غير انهُ لم يكن يرى غير رجال هنديين يوزعون الكراريس الدينية او يبيعون عطر الورد او غير ذلك . اما الذي راهُ منهم في اليوم المذكور فكان يختلف في بعض الامور عن غيرهِ من الهنود وكان يسير سريعًا والهندي لا يسير كالانكليزي وكان كاردن يعلم ذلك . وكان هنري قد اتقن لبسهُ وكل شيء حتى بات كالهنود على انهُ لم يفطن لتغيير مشيتهِ . فان كاردن نظر اليهِ لحظة عن بعد وعرف من مسيرهِ انهُ قد ادركهُ فصمم على ان يتاثرهُ . وراى انهُ لابد لهُ من التاني لئلا يراهُ فيعرفهُ ويهرب واذا ركض هنري في وسط السوق نهارًا لا ينتبه احد اليهِ ولكن اذا راى الناس انكليزيًا راكضًا وراءهُ ينتبهون كل الانتباه اليهِ . فانزل برنيطتهُ حتى غطى بها نصف وجههِ وعبر الى الجهة الاخرى من الطريق متاملاً ان يفوز بمراقبة الرجل بدون ان يراهُ احد . فسار الى الجهة المقابلة من تلك الطريق المتبعة وراى من حركاتهِ ما ابان لهُ ان هذا هو هنري

ارشار زوج اوجينا بعينهِ فانهُ راهُ لابساً ملابس خادم هندي تامة معانهُ من العادة ان يلبس الخدم في انكلترا بعض ملابس افرنجية . ولما وقف هنري في الجهة المقابلة من الشارع وقف كاردن قبالتهُ وراى ان رجليهِ لم تكونا كبيرتين كرجلي من سار حافياً منذ صغرهِ مع انهما كانت مصبوغتين . وكان قد حلق لحيتهُ بدون ان يحلق شعر راسهِ وظهر بعض شعرهِ الجعد من تحت عمامتهِ الكبيرة . وكان كاردن قد صرف حياتهُ بين الهنود فعرف ان ذلك الرجل لم يكن هندياً وفضلاً عن ذلك راى ما يشبه كاتبة القدم . فسر جداً بنجاح مسعاه وسار في الجهة المقابلة الى ان سار هنري في شارع اخر فالتزم كاردن بان يتبعهُ لئلا يتوارى عن نظره في الازدحام ودخلا في شارع مستقيم طويل غير انهُ اعيق برهة ولم يتمكن من ان يصل الى الجهة المقابلة من الطريق الا بعد ان ابعد هنري كثيراً عنهُ وبات قريباً من طرف الطريق فالتزم ان يسرع بالمسير حتى انهُ كاد يركض . وكان الشارع المذكور فارغاً بالنسبة الى الشوارع الاخرى فسرعة مسيرهِ نبهت هنري فانهُ التفت وراهُ ووقف عن المسير ثم دخل اقرب الدكاكين اليهِ . فانتظرهُ في مكان يبعد قليلاً عن ذلك الدكان لانهُ لم يكن يفطن بانهُ يقدر ان يدخلهُ مدعياً بالاحتياج الى شيء منهُ . فمضي عشر او ١٢ دقيقة بدون ان يخرج فسار قاصداً الدكان ومصمماً على ان يدعي بان مرادهُ ان يسال صاحبهُ عن طريق شارع كاثرين فادهش عند وصولهِ اليها فانهُ لم يجدهُ فيها

الفصل الرابع عشر

فلما دخل الدكان راى فتاة سمينة تلوح لوائح الكسل على وجهها وكانت تخيط فسالها عن الطريق وكانت جالسة وراء مائدة فوقفت واجابتهُ الى سؤالهِ . وكان الشارع المذكور بعيداً عنهُ في الجهة التي كان قد اتاها . وبعد ان تامل برهة سالها قائلاً الم يدخل هذا المكان رجل لابس ملابس غريبة فلما سمعت ذلك منهُ اظهرت التعجب وقالت لم افهم هل المقصود انهُ لابس ملابس تركية . قال نعم رجل اسود لابس عمامة بيضاء . فقالت بتعجب هل هو رجل اسود انهُ ليس باسود ولكنهُ شديد السمرة وقد مر من هنا قاصداً تيكار الاي فانهُ كثيراً ما يمر من هنا هذا اذا كان الذي رايتهُ هو الشخص الذي تسال عنهُ ولم ارَ رجلاً اسود ابداً ثم اخذت تكلم رجلاً دخل اليها ليبتاع بعض اشياء منها . وراى كاردن عند ذلك انهُ قد اخطا وانهُ اذا كان الرجل الذي راهُ هنري ارشار زوج اوجينا يكون معروفاً عند صاحبة ذلك الدكان حتى انهُ ربما كان قد صرف زماناً طويلاً في معاشرتها فانها دافعت عنهُ كل المدافعة ولذلك لا سبيل الى الوقوف على خبرهِ منها فالاوفق ان يحاول الذهاب الى شارع تيكار الاي . فاخذ يسال عنهُ فوجد انهُ بعيد وغير معروف عند الجميع فركب مركبة وسار مسرعاً حتى انهُ وصل الى الشارع المذكور قبل وصول الشخص الذي كان يبحث عنهُ . فاخذ يتمشى في الشارع الى ان بات في ضجر واخذ يقول في نفسهِ ربما كنت قد خدعت ولم ارَ غير خادم هندي او ان البنت خدعتني لتبعدهُ . وبالتالي قال في نفسهِ لقد ذهب تعبي سدى وشعر بالجوع وتذكر بانهُ لم يرَ اوجينا وولديها منذ ثلثة ايام فاخذ يستعد للذهاب على انهُ راى ذلك الشخص قادماً . فوقف في الجانب الاخر من الشارع وحملهُ سرورهُ على ان يمد اليهِ يدهُ بصداقة ويناديهِ قائلاً يا ارشار . فانهُ قد تقرر عندهُ ان تسليمهُ عليهِ يحملهُ على ان يرد السلام ويوضح لهُ الامر فينصرف المشكل غير ان صوتهُ ومد يدهِ جاء بغير ذلك . فانهُ لما ناداهُ نظر اليهِ نظرة مذنب فراى صديقهُ القديم الطويل القامة الذي كان قد خانهُ وسرق مالهُ واركن الى الفرار حتى انهُ تبعهُ الى انكلترا

وتقرر عندهُ ان تفتيشهُ عليهِ انما هو ليقاصهُ ويفضحهُ . وكان يعلم مقدار خيانتهِ وخداعهِ فلم يخطر لهُ ببال الا انهُ جاء انكلترا لينتقم منهُ ولذلك كان ينتظرهُ في المكان الذي كان قد تخبا فيهِ . فلما راهُ سار خائفاً وركن الى الفرار فاخذ ستركاردن في الركض في اثرهِ لانهُ لم يكن يرتضي بان يتوارى عنهُ بعد ان تكبد من الاتعاب ما تكبد للوقوف على خبرهِ واستمر على تلك الحال في ذلك الشارع الطويل الى ان توارى هنري داخل باب واطي . فوقف كاردن امام ذلك الباب ليستريح قليلاً وقال في نفسهِ اذا لم يفعل كما فعل في الدكان وخرج من باب قبالهُ الباب الذي دخلهُ اتمكن من ان اراهُ فان هذا هو منزلهُ . فدخلهُ واخذ يصعد على السلم وهو يصيح قائلاً يا ارشار لا تحاول ستر حالك انني راغب في ان اكلمك فانني اتيت انكلترا بهذا القصد فصدقني بانني صديق

فاجاب ارشار قائلاً ا انت صديق . وكان في مكان فوقهُ فما صديق افضل من صديقي هذا فانهُ قادر على ان يخلصني من يدك في الحال هل ظننت انك تقدر ان تلقي القبض عليَّ حياً . ولم يتمكن كاردن من ان ينظر اليهِ ليرى ان ذلك الوجه المغتاظ الشرير الذي كان صاحبهُ يكلمهُ هو وجه هنري ارشار حتى سمع صوت اطلاق غدارة فعرف في الحال كل ما قد جرى فخطر لهُ ببال في اول الامر بان يطبق عينيهِ ويغطي وجههُ ثم خطر لهُ انهُ ربما كان يقدر ان يخلصهُ وان يصرخ طالباً المساعدة ويصعد اليهِ . على انهُ لم يدخل البيت وحدهُ فان اناساً من الساكنين في ذلك البيت ومن الشارع سمعوا صوت الغدارة . فدخلوا البيت معهُ واسعفوهُ بانهاض ارشار المنكود الحظ ووضعوهُ على الفراش . غير ان ذلك لم ينفعهُ فان جرحهُ كان بليغاً واجلهُ قريباً . وهكذا انهى حياتهُ للتخلص من قصاص البشر الذي كان يتوهمهُ ليقع في قصاص الله سبحانهُ وتعالى حال كون اصدق الاصدقاء كان قريباً منهُ وتحريرات زوجتهِ في جيبهِ فلو قراها لخلص نفسهُ من ذلك الهلاك فان فيها بشرى صرف دعواهُ بعفو كاردن وسماحهِ بالمال . فامر بان يعتنى بالجثة الى ان تكشف الحكومة عليها واخذ يقول في نفسهِ الا نجهل الغاية من وجود انسان كهذا الانسان

وبعد ان سكن جاشهُ قليلاً تذكر بان واجباتهِ تحملهُ على ان يخبر اوجينا الارملة بما جرى ومع انهُ كان ثابت العزم جسوراً راى انهُ لا يقدر ان يقوم بذلك . وكان يقدر ان يسمع بانهُ قد خسر اعز شيء في العالم بل انهُ خسر كل شيء بدون ان يبدو تغيير في وجههِ ولكنهُ لم يكن يقدر ان يجتمع بالمراة التي كان يحبها من صميم فؤادهِ ويقول لها يبدو بانها امست حرة من القيود التي طرحتها في اعظم ضيق وان كل ما هو لهُ تقدمة عند قدميها . فلم يذهب اليها بل سار الى محطة الطريق الحديدية وركب المركبة وسار قاصداً فيرميد ليذهب منها الى اش كروف بيت ام اوجينا . واخبرها بكل الخبر من بدايتهِ الى نهايتهِ . وكانت اخبارهُ تصدق وعند ذلك تغيرت كل الاحوال بالنظر الى اوجينا . ولم يكتم شيئاً واخبرها بتحرير ابنتها انتوانت المزور وشهادة اوسوالد وختم كلامهُ بوصف امانة اوجينا لزوجها المنكود الحظ الذي كان قد راهُ في اخر نسمة من حياتهِ . وعند ذلك فهمت امها ما يتعلق بالخادم دون مون واسباب الذهاب الى لوندرا وخوفهما من ان يستلم احد تحريراتها وظهرت حقيقة جميع الحوادث والامور التي استخدمتها انتوانت الخائنة لتلم ضنيتها . اما امها فاغتاظت من طعنهِ في ابنتها انتوانت الكبيرة ومع ذلك سلمت بان من اللازم ان تذهب ماريون الى شقيقتها لتساعدها وتصبرها عند استماعها خبر وفاة زوجها

فسار معها كاردن الى لوندرا وقبل الغروب اجتمعت باختها واخبرتها بالخبر فتكدرت جداً واضطربت باشتهار خيانة زوجها وكيفية موته . غير ان ماربون عزتها واضعفت حزنها ووقفت هي ومستر كاردن دون وصول التكديرات الخارجية اليها وتمكنا من ان يخرجاها من لوندرا قبل دفنهِ واجرا بحث الحكومة وابعدا عنها الجرائد فلم تتمكن من قراءة الخبر . وسكنت بعد ذلك سنة في مكان جميل على شاطئ البحر في مكان يبعد عن لوندرا وعن فيرميد وسوثغير بعيدة عن كاردن الذي كان ينظر اليها بحب ووجد وعن تذمرات امها وغيمة انتوانت اختها وحب ماربون يعزيها ومعاشرة اما بنتها وولديها تسليها . وكانت في كل ساعة يزيد املها تعلقاً بالفوز بسعادة استقبالية خالية من كل كدر

وبعد ذلك بسنتين في يوم عيد الميلاد الذي يحتفل به الجميع كان المركب اوروبا الذاهب الى كالكوتا يسير كانهُ فرح بعيد . وكان الفلك صافياً والنجوم تضي وماء البحر يتلاعب وكان اكثر الركاب في مخادعهم نائمين لان النهار كان طويلاً والحر شديداً ولم يبق منهم غير قليلين كانوا يرون ان وجود الناس يعيقهم عن التكلم بحرية ويحبون ان ينفردوا وكان رجلٌ وامراة واقفين عند جانب المركب ينظران الى نور القمر على امواج البحر . فقال لها الرجل يا عزيزتي ماذا يشغل افكارك . قالت انني اتامل بتلك الامواج الصغيرة الناشئة عن دفع الات المركب وكيف انها تتلاشي فتظهر امواج اخرى وهذا يشبه اتعاب الدنيا في بحر الحيوة فانها تزول لتخلفها اتعاب اخرى وكلها تمضي وبالصبر تبيت في زوايا النسيان . قال والذين يذهبها كما يذهب نور القمر هذا الماء على انني اظن ان اتعابك قد انتهت . فاقتربت منه وقالت اذا لم تذهب فعندي من يشاركني بها فانني لا اظن ان الهموم والاتعاب تزول الا بزوالنا . ثم نظر اليها فراى دمعة ساقطة من عينيها فقال لها ما هذا هل تذكرت ولديك يا اوجينا . قالت يا كاردن انني لم اتذكرهما فانهما سعيدان عند شقيقتي ماربون المحبوبة وعندي انهما حاصلان على كل ما يلزم لهما وقد وعدتني بان اراهما بعد برهة قصيرة . قال هل تركنين بصدق كل وعودي . فقالت نعم انني اركن اليها اكثر مما اركن الى نفسي . فقال لماذا تبكين فان ولديك في امان عند ماربون وامك سعيدة بالاجتماع بانتوانت المحبوبة عندها التي لا يركن احد غيرها بها وهما في اش كروف وانا وانت زوج وزوجة ذاهبين الى الهند وقد علقنا الامل بان نرى انكلترا بعد سنتين على الاكثر . الا ترتضين يا محبوبتي بان نبتدي بان نعيش عيشة جديدة . قالت هل ترتاب في ذلك ما دمت انت رفيقي بعد ان وقعت في ما قد وقعت فيهِ . قال فاخبريني عن سبب سقوط هذه الدمعة انني لا غرض لها بوجنة زوجتي . قالت ان سببها . . . هو . . . هو شدة سروري واخاف من ان لا تدوم هذه السعادة

فوضع يدهُ على كتفها وقال لها لقد اخطات في ذلك فان الذين يتعبون في بداية اعمارهم يخافون خوفك عند وصولهم الى الراحة والسعادة ويظنون ان ذلك بالتصادف وانهُ لا بد من رجوع الغيوم الكثيفة التي كانت تسلب راحتهم . وقد نسوا ان هذه السعادة التي تنشا عن حيوة طاهرة وحب متبادل هو النصيب الذي اعدهُ الله سبحانهُ وتعالى لهم وعند وقوع المصائب يكون بالخطا الذي نرتكبهُ . فلم تجبهُ بكلام ولكنها شدت على يدهِ وعند ذلك اضا احد الملاحين المصباح الاحمر في صاري المركب فقال فليبارك الله امرأتي وليجعل كل ما هو قادم عليها منوراً بمجد جمهِ

انتهت

ملح

الجزء ١٢ من قلم خليل افندي بيطار

وكذلك المحتان المذكورتان اولاً في هذا الوجه والباقي من قلم بطرس افندي شحادة اللبناني

الملك والبستاني

كان لاحد الملوك بستان فيهِ شجرة تفاح لذيذ جعلة لنفسهِ ومن عادة البستاني كل سنة عند ما ينضج ثمرها ان يجني اجودهُ ويضعهُ في اناء ويقدمهُ للملك فينال منهُ الانعام ففي سنة تسلط طير على الشجرة المذكورة واعدم ثمرها فتكدر البستاني منهُ وجاء للملك وعرض لهُ قائلاً انهُ لم يترك ثمرة بدون ان يمسها بمنقاره وطلب اليهِ بندقيةً ليقتلهُ. فقال لهُ الملك اتركهُ فياني يومهُ وبعد مدة دخل البستاني على الملك وقال لهُ فليعش سيدي الملك ان الطير قد ابتلعتهُ افعى . فقال لهُ وللافعى لها يوم وبعد مدة مثل البستاني لديهِ وقال فليعش سيدي ان الافعى افترسها هر قال لهُ وللهر ياتي يومهُ واتفق ان الهر اكل لحمة البستاني واحرمهُ العشا فاغتاظ منهُ واغتالهُ بضربةٍ قتلهُ واخبر الملك فقال لهُ وانت لك يوم ففي ذات يوم توجه الملك ليزور بستانهُ فوجده غير منتظم وراهُ مهملاً فغضب على البستاني وامر بقطع راسهِ فعندما سيق البستاني الى القتل التمس الى الملك ان يامر لهُ بمواجهتهِ ليعرض لهُ كلمة واحدة قبل موتهِ فامر بحضوره ولما مثل لديهِ قال لهُ البستاني اخبرتك عن الطير قلت لهُ يوم وكذا الافعى والهر وانا اليوم يومي وانت ان شا الله غداً فضحك الملك من جوابهِ وعفا عنهُ

الطمع ضرما نفع

حُكي عن رجل دخل ليتناول الطعام في منزل المسافرين وعندما فرغ من الاكل راى دجاجةً في صحن على المائدة فصعب عليهِ تركها فتناولها خفيةً ووضعها في جيبهِ فراى ذلك صاحب المكان فتركهُ ولما خرج تناول اناء مرق اللحم الموضوع على النار واقترب منهُ وصبهُ في جيبهِ فصرخ الرجل متوجعاً ما هذا قال لهُ لا تضطرب هذه مرقة الدجاجة

التخلص من الموت

قيل ان احد الاشقيا حكم عليهِ بالموت بسبب شرور حياتهِ فخيرهُ الحاكم بالميتة فاجابهُ على الفور احب ان اموت موتاً طبيعياً فضحك وعفا عنهُ

حكمة وزير صيني

كان لاحد ملوك الصين حصان عزيز عندهُ وكان مسلماً الاعتناء بهِ الى احد معتبري بلاطهِ ففي ذات يوم مرض الحصان وقضى اجلهُ (ربما كان ذلك بسبب تهاون السايس) فغضب الملك حتى انهُ صمم على قتل السايس بيدهِ فامر باحضاره ووضعهُ بين اجواق العساكر مكتوفاً واستل سيفهُ وقال لاحد وزرائهِ بلغ هذا الشقي سبب موتهِ فتقدم الوزير وقال يا ايها العبد الكسلان ان ولي نعمتنا مزمع على قتلك بدلاً عن حصانهِ وهو ذاتهُ جلادك فاذاً انت سبب فضيحة ملكنا لانهُ يقال عنهُ من الآن وصاعداً انهُ بدل روح انسان بروح حيوان افهمت ذنبك . فعند ذلك فطن السلطان وعاد راجعاً لقصرهِ واكرم الوزير والسايس

الاعجوبة

كان احد ملوك فرنسا جايلاً في احدى ولايات مملكتهِ ومعهُ عدة عساكر فضربت خيامهُ ذات ليلةٍ في حقل متسع فيهِ حمص ففي الغد حضر الفلاح ليفتقد حقلهُ ووجد ما كان فاخذ يصرخ قائلاً يا للعجب يا لها من اعجوبة عظيمة وما زال يهتف هكذا حتى دنا من خيمة الملك الذي احضره لديهِ وسالهُ ما هي الاعجوبة فقال لهُ مولاي اني زرعت حقلي هذا حمصاً وها قد نبتت بهِ خيام وعساكر اتريد جلالتك تبتاعهم مني فسر الملك واجازهُ

الجنان

الجزء الخامس عشر

في ١ ٢١ ز (جولاي) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

اننا بدون ريب في انتقال من حال الى حال بل في انتقالات سياسية وادبية ومالية فتؤثر في هيئتنا الاجتماعية عظيم تاثير وهذا شان الحروب اداخلية وان خارجية فان مفاعيلها تاتي بانقلابات تنشأ عنها الخيرات او المضرات وللداخلية اسرار ابعد للخارجية ولاسيما اذا كانت ناشئة عما نشات عنه الحروب الجارية في الشمال فان الحملات الخارجية تنشأ عن المطامع فعواقبها لاتاتي بالاصلاحات التي تاتي بها الثورات الداخلية وقد رافقت تغييرات مهمة حروبنا وبانت باحوال طالما انتظرناها وعدم حصول الامة عليها مع ما رافق ذلك من التاخرات المالية والنقائص الادارية التي قراناها في الفرمان العالي قد جاءت بالتغيير المهم الذي جرى في عاصمة السلطنة السنية فاذا كان ذلك ناشئًا عنها فهما ينتظر سد النقص الذي ساق الناس اليها ومن يا ترى لا يعلق امله بالفوز بذلك المرغوب بعد ان عرفنا ما قد عرفناه من نوايا الحضرة الشاهانية وتصميمها بحوله تعالى على مراعاة روح الزمان واحتياجات الامة عمومًا ووضع ازمة الامور في يد وزارة قد زالت بفضا الله اعظم اسباب مفاداتها فما سمعناه بالبرق عن تقرير النظامات الاساسية في مجلس عقده حضرة الوكلاء الفخام والمامورون العظام من مولدات الحالة الجارية ونوايا الحضرة الشاهانية واجراءات الوزارة الحالية ولو لم نكن عالمين بقرائن الاحوال وادلة السياسة على ان من شان ذلك تلطيف العدوان الجاري وتقوية عزائم الدول العاضدة وارضاء قسم عظيم من الرعايا المسلمين والنصارى لتعجبنا من جرى امور كهذه اصلاحية في اثناء انتشاب حروب لا يستخف بها والغرض الاول والاهم اخماد الثورات ولا ريب في ان صدور تلك الاصلاحات النظامية في مثل هذا الآن عضد عظيم لاجراءات الدولة ما دامت رايات النصر تخفق فوق الجيوش السلطانية فان ذلك يمكن الدولة العلية من ان تصرف المشاكل الجارية بطريقة موافقة بمنح حقوق تدعو اليها ظروف الاحوال واصابة السياسة فان ما جرى منذ الجلوس المانوس قد ابان تغير الاحوال وان القلق والتقلب والاضطراب ووهن العزم قد بدلت بالسكينة والثبات والتاني وقوة العزم ومن يا ترى يرى ما نراه من جمع الجنود وتجهيز البوارج وحفظ الراحة الداخلية وثبوت الوكلا والمامورين في مناصبهم والاشتغال في ميادين الاصلاح والقتال في وقت واحد ولا يسلم بصحة ما قد اوردناه. ولا نعلم تفاصيل تلك النظامات غير ان ما سمعناه عنها بالفرمان العالي وكلام اصدقاء الدولة وما نستنتجه من احتياجات الوقت يحملنا على ان نقول انها لا تكون قليلة الاهمية بل تعود الى تغيير مهم في ستة امور وهي اولاً نسبة الرعية الى الدولة وبالعكس ثانيًا نسبة وكلاء الدولة الى الحضرة الشاهانية ثالثًا نسبتهم جميعًا الى مجلس يسمى بمجلس الامة او الممالك او غير ذلك رابعًا نسبة الاهالي الى ذلك المجلس وبالعكس خامسًا نسبة الى النظامات والقوانين

سادساً نسبة المأمورين والاهالي اليه وبالعكس فهذه قواعد الادارة الداخلية وهي تتناول الخارجية ايضاً بنسبة المأمورين الى المجلس وغير ذلك مما ذكروينشا عن ذلك تقييد في الاعمال وانتظام في المجالس وخوف من التعدي على الحقوق والنظامات والقوانين وتقدم في الامور النافعة وتوزيع في المناصب وبالتالي يصبح كل قاطن في الممالك المحروسة ذا حقوق لا يقدران يناله خارج بلاده وقد ابنا في جملة سابقة درجات الاصلاحات والمخاطر التي تحدق بها على الدوام فتذهب الاتعاب المصروفة في سبيل القيام بها سدى او تضعف فلا تاتي بكل المأمول او لا تاتي الا بشيء يسير منه واذا بنينا الحكم على اختبارنا الماضي يضعف املنا كثيراً بل ننقطع الامل من الحصول على ما يدعي نواله نوالاً على انه لا ينبغي ان نقطع النظر عن اهمية الحال وان المدة الاخيرة وعواقبها قد جاءت بعظيم اختبار وان الذوات الذين في ايديهم ازمة الامور هم غير الذين قد مضوا والاهم ان السلطان الاعظم هو غير السلطان السابق وقد راى الاحوال قبل جلوسه وادرك كنهها وقد خاض عباب السياسة واظهر من الاراء ما قد اظهر حتى ان مجرد جلوس عظمته بشر الناس بعصر جديد وحملهم على انتظار اصلاحات قد صاروا لتصميم على اجرائها وبلغتنا اخبارها وبالنظر الى الانتصارات المهمة التي فازت بها الجنود الشاهانية يقال انه لولا تنبه نزلت دول اوربا لانقطع كل الخوف من تعكير السياسة بالحروب باخضاع العصاة العتاة الذين انقادوا الى التعريضات الاجنبية حتى عرضوا انفسهم لوقوع اشد التقاصص عليهم ولم نسمع بالسرور كلام وزير خارجية فرنسا الذي نشرناه في الجنة المتعلق بافراغها جهدها في استمرار محافظة الدول على الحيادة لان ذلك يحملنا على ان نفرض امكانية عدم استمرار تلك الحيادة وقول فرنسا بانها تستمر مجانبة اذا حدثت امور مهمة استقبالية مما يحملنا على ان نتامل فيه ونستنتج منه محافظة بروسيا ايضاً على المجانبة وامسينا ننتظر استماع كلام منها مقابلة لذلك ولا نعلم هل نسمع مثله من النمسا ايضاً مراعاة لروسيا حال كون صالحها صالحنا واستمرار انتصار الدولة العلية يريح افكارنا جداً ويحملنا على تعليق الامل بنهاية الثورة قريباً ومساعدة دولة اجنبية لم تدع الى مضادة دولة اخرى او اكثر فتكون الارجحية لنا بالجاري العادة باذن الله وتوفيقاته ومن جهة اوربا لا تستكن خواطرنا ولو استكنت من جهة الثورة ما لم تصرف الدول المتاهبة قسماً عظيماً من جنودها ولا ينتظر نهاية هذه الحرب في ايام قليلة الا من لا يعرف بالحروب ولا يكون ذلك الا اذا ارادت روسيا ان تخلص العصاة من افة فتح بلادهم بالسيف وكسر شوكتهم وتداخلت مداخلة غير معتدلة وجارتها المانيا والنمسا على عقد جمعية دولية لصرف المشكل وعندنا ان ذلك من اسباب عقد الصلح فان المرجح ان عقد جمعية يتبع الحرب مهما كانت نتائجها لانه لا ريب في ان دول اوربا على رايين فمنها ما يميل ان نجاح العصاة ومنها بالعكس وهو ظاهر بالعمل وان لم يقربوا اللسان فان غلب العصاة تنهض الجهة التي تميل اليهم وتطلب عقد جمعية دولية وكذلك الجهة الثانية اذا لاسمح الله فاز العصاة بشيء وهو خلاف الواقع والجهة الاخرى تجاري نظيرتها مجانبة لوقوع حرب اوربية ما لم تكن مستخفة بها لعلمها انها ضعيفة او ان تهديداتها ليست بمستندة الى التصميم على اشهار حرب وقد اجمعت جرائد العالم بل رجال السياسة قد ابانوا بانهم لا يركنون الى صفاء باطن روسيا ومع ذلك نسمع حضرة امبراطورها ووزراءها يقولون انهم اشاروا على السرب بالمحافظة على السلام وكذلك على الجبل الاسود وجرائد

روسيا تحرض الناس على القتال وتكتب ما يضاد ظواهر سياسة حكومتها وهذا ما لم تصل البلاد الروسية اليه فانها لم تخطُ الخطوة الاولى في سبل الحرية ولعل هذا التظاهر لفتح باب المداخلة السلمية لعقد جمعية دولية متى دارت الدائرة على العصاة فهذه امور لا بد من التامل فيها لانها تدل على البواطن وبالجملة نقول ان في اوربا دملاً بل دمامل لا بد من بضعها لخروج ما فيها من الصديد ولا تزول الآلام الجارية والضيقات الشديدة الحالية الا بذلك والمبضع السيف ولا نرى نفعاً للترقيع فانه جرى منذ سقوط نابوليون الاول وفي كل عشر سنين او اقل تظهر عواقبه بحروب في الشرق او في الغرب او في كليهما وما يجرى الان من نتائجه ونرى ان المحافظة على السلام في اوربا مع بقاء الناهبات على حالها ترقيع وهي كظهور الشفا بتسكين المرض وليس بزواله ولاهم عندنا من ذلك اجمع احوالنا فبحولة تعالى نراها في تقدم عظيم وهذا يرد الينا راحة البال واولاد الوطن رقسماً من الخسائر التي تكبدناها ويجعل اعمالنا في رواج ويرد الينا الامنية فتسلم من السقوط محلات كثيرة تجارية ومالية ذات شان ونتنع فمن يا ترى لا يطلب الى الله تعالى نصر جنودنا ونوال الفرج وما احلاه بعد الضيق والاثقال التي حملتها عواتقنا والهرم التي توسدناها في هذه المدة ما يكل القلم عن وصفه غيران الانسان مطبوع على ان ينسى ضيق الامس بفرج غده او بضيقه وكل العالم في ما نحن فيه ولكننا لا ننكر التفاوت فما نراه عندنا وفي مصر والمانيا والنمسا وايطاليا وامركا لا نراه في انكلترا وفرنسا ومن المؤكد ان الدول لا تقدر ان تثبت على هذه الحال عشرات سنين فان بعضها لا ينجو من آفة الافلاس اذا استمرت الحال على هذا المنوال برهة ولا يخفى ما يترتب على ذلك من سوء العواقب التي تبتلى بها الناس وكل ما مر يوم يضعف الخوف من

فتح حرب لاقتراب فصل الشتاء واذا استمرت بعونه تعالى انتصارات الجنود السلطانية على ما هي عليه لا يخاف من استمرار القتال في فصل الشتاء الذي تظهر ادلته في شهر ايلول (سبتمبر) وفي العالم امور غير ظاهرة لانا الى الان لا نعلم المقصود من ارسال بوارج فرنسا الى تونس وفي كل يوم نسمع بتجهيزات بوارج وغير ذلك فهذا كله ربما كان يأول الى حفظ السلام لعل بعض الدول ترى تاهبات البعض الاخر فتخاف سوء العواقب وفي كلام وزير خارجية انكلترا المنشور في هذا الجزء ما يدل على اضطرابه وخوفه غير ان ذلك كان سابقاً لانتصارات الجنود السلطانية المهيبة ونظن انه في اقل من شهر تتبه الاحوال الى جهة فتظهر علامات يستدل بها على الاستقبال استدلالاً غير واضح ولكنه اظهر مما يستبين بالاحوال الجارية

دول اوربا والثورة

نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من مكاتبها النمساوي المقيم في فينا وهي الاتية انه من مضي يومين سال الدوق ديكاز الدول اذا كانت ترغب في ان تتكاتف معاً لمنع الحكومة السربية عن اثارة العصيان ضد الدولة العلية . ومع ان الدولة النمساوية تعلم بان ذلك من الامور التي قد اصبحت الان بدون نتيجة مع انها كانت تاتي بالنتيجة المقصودة منذ اسبوع او اسبوعين قد اعلنت استعدادها للتكاتف مع الدول في هذا الامر . وبناء على عدم اتخاذ وسائل للحصول على ذلك يسوغ ان نظن بان بعض الدول لم تنشط هذا المشروع . فانه بالكاد ينتظر من روسيا ان تستعمل وسائل اخرى لذلك لانه كما قد بلغكم قبلاً قد خابر امبراطورها الامير ميلان بخصوص الصلح فانهما تعرف احسن من كل سواها ان الامور قد اتخذت مركزاً لا يمكن الوسائط الادبية وحدها ان تاتي باقل تاثير فيه . وكان

المنظر البارح (في ٢ الجاري) ان يصير نشر اعلان الامير ميلان على شعبه والبراهين والافكار التي ذكرت فيه كالتي ذكرت في تحريره الى الباب العالي واما الامل من جهة مساعدة بلاد اليونان فيجب تاخيره مدة . فانها بعيدة جدًّا عن الاتفاق مع اهالي بوسنه والهرسك في الثورة وقد سارت مسرى الفلاخ والبغدان بهذا الشان لانها اتخذت مركز حيادة ان لم نقل مركزًا مضادًّا للاعمال التي شرع فيها العصاة المذكورون . وقد علمنا من الاخبار الواردة الينا من بلغراد ان الامير ميلان قبل ان خرج من عاصمته توجه الى الكنيسة حيث حضر الصلاة ونال بركة الاسقف . وكانت امراته معه ومع انها شديدة الجسم قد احتملت مرارة الفراق بصبر الا انها عند ساعة الوداع ذرفت دموعًا خفية وكادت قواها تخور . وظهر على الامير لوائح الكدر

وقد قالت الجريدة المذكورة نقلاً عن جريدة الوزر زيتونك ما ملخصه انه اذا قبلت المانيا بان تضاد روسيا في الاحوال الحاضرة يمكن بعض رجال السياسة الذين يحبون الانتقام ان يبلغوا اتحادًا ضدها والظاهر ان المانيا لا تفعل ذلك لان صالح الحكومة الالمانية هو ان لا ينشا عن هيجان الشعب السلافي توسيع دائرة املاك احدى الممالك العظيمة الاوربية . وانه اذا تمكن العصاة من انشاء حكومات مستقلة في شبه جزيرة بالكان ان لا تكون تلك الحكومات تحت حماية روسيا او النمسا

وقد قالت جريدة النيوز المجرية الرسمية ان اهالي السرب ينتظرون قدوم عدد من المتطوعين الروسيين الى السرب

الدولة العلية والسرب

قد نشرت جريدة الليفانت هرالد جملة نقلاً عن جريدة التيمس ان من الناس من لا يزال يقول انه قد طالما قال ان السرب قد صممت على ان تجرب حظها في الثورة الجارية مستندة الى مساعدات قوية ناشئة عن تاكيدات رجال اقوياء قريبين منها وبعيدين وهم من ابناء جنسها . فالتحريضات التي تفوز بها حكومة السرب ليست في ظلام اشد من ذلك الظلام . وقد ادعت حكومة روسيا بانها ضادت البرنس ميلان كل المضادة وابانت انه مخطر القيام بسياسة حرب . اما الذين يدققون النظر في اعمال روسيا فيجعلوها موضوعًا للملاحظة فيقولون ان هذا الكلام كان بالنظر الى الزمان وسنوح الفرص وانه اذا كانت روسيا قد اشارت قولاً بالمحافظة على السلام فتكون مشورتها متعلقة بزمان معين ووقت محدود وانه ربما كانت الحكومة الروسية ترتضي في الحال بالسلاح بحركة كانت لا ترتضي بها منذ اشهر قليلة لانه كان قد تقرر في عقيدتها سابقة لزمانها . وامبراطور روسيا يميل شخصيًّا الى المحافظة على السلام غير انه لا يصعب ان ندرك كيف ان قوات سياسية في امبراطوريته ربما كانت قادرة ان تجعل رغبته في المحافظة على السلام غير ناجحة . فان الميل الى السلاف قد بات في الحال ميلاً في الامة الروسية وليس منها يقوم به الامبراطور فالميل الناشي عن الحمية وثبات العزم مما ياول الى فتح حرب جديدة . وقد جمعت الجيوش السربية عند الحدود والجنود العثمانية مجتمعة منتظرة الهجوم . وكلام جرائد روسيا قد اتجه الى الحرب كما يظهر من كلام جريدة الغولوس . فهذه الامور لا بد من ان تشغل افكار المجلس العالي وقد جرت مفاوضة في مجلس النواب مهمة جدًّا . وقد فتح الكلام بهذا الشان في مجلس الامراء ومجلس العموم العاليين وذكرت هذه الحوادث المهمة جدًّا غير ان وجود اللورد دربي في مجلس الامراء جعل المفاوضات بهذا الشان محدودة . فان اللورد كامبل طلب

الاوراق وابان انه لا يركن الى التفسير الذي فسره اللورد دربي وزير خارجية انكلترا المعاهدة سنة ١٨٥٦ ! فانه قد قال ان تلك المعاهدة تلزمنا بان نصون المما لك المحروسة من الاعداء الخارجين ولكنها لا تدعونا الى التداخل لاخماد الثورات الداخلية ضمن حدود السلطنة السنية ولو كانت علة لاستقلال بعض الولايات . فمدلول ذلك ظاهر كل الظهور وموافق كل الموافقة للظروف التي تحررت فيها المعاهدة ولراي الامة الانكليزية المتعلقة بنسبة حكومتهم الى الحكومة العثمانية حتى انه ما من احد يعترض راسًا على ذلك . على انه قد ظهر من روح المفاوضات التي تجري بهذا الشان حتى من بعض الملاحظات التي جرت امس في مجلس الامراء ان سياسة الحكومة الانكليزية المتعلقة بصيانة الحكومة العثمانية من الحملات الاجنبية ربما كانت تتحول بسهولة الى سياسة مساعدة الدولة العثمانية على محاربة الخاضعين لها الخائنين او اخضاع رعاياها الثائرين . وعندنا ان توجيه اجتهاداتنا الى ذلك يعرضنا لخطر عظيم ولا سبيل الى تبيين وجهه العادل ولا بد من ان نقول اننا لم نتمكن من جرى مفاوضة بهذا الشان بالتصادف في مجلس الامراء لتحويل الافكار اليها ولئن كان المجلس العام العالي قد اخر المفاوضات اجابة لطلب الوزير الاول . وقد تكلم بعض الامراء الاعضاء حال كونه من اللازم احترام ارائهم ومنهم اللورد هاموند واللورد تابيار . وقد استحسن اولها ما قد جرى . ومن المعلوم انه يوافق الحال اعادة ما قاله مستر كانن وزير انكلترا سنة ١٨٢٦ عندما تهددت اسبانيا البورتوغال اذ قال ان ملك الانكليز لا يحتمل ان يرى اضطرابًا او حربًا اهلية في بلاد قد طالما جرت بينه وبينها علائق صداقة شديدة واتحاد بواسطة هجوم قوة او حدوث تهييجات اجنبية . انتهى . ومن الاصابة ان يقال ان السرب والجبل الاسود والهرسك مهيجة بحيل اجنبية ولذلك من الواجب ان تقول حكومتنا ان انكلترا لا تحتمل ذلك . وقد سمعنا شيئًا من ذلك بخطاب اللورد تابيار فانه لام سياسة الامبراطوريات الثلث لانها ادعت بانها تقوم بالاجراء وحدها بدون الدول الاخرى ولذلك استحسن سياسة حكومة انكلترا التابعة لذلك والامبراطوريات الثلث تتحرك تحت قيادة روسيا التي ترغب في محو نتائج حرب القرم الادبية والمادية الى ان قال انه لا يومل الا بالحصول على شي قليل بواسطة سياسة الحكومة الروسية في هذه الارض ولم يرَ غير شيء قليل مما يجعله يومل بالحصول على مساعدة حكومة المانيا في هذا الباب . وان المظنون ان حكومة المانيا التي كانت حكومة بروسيا ربما كانت تتفضل بمساعدة ما ياول الى توسيع دائرة الصوالح الروسية . وانه لا يعلق امله بالحصول على شي من اعتدال الروسيين او ضعفهم لانه تقرر عنده انه لم تصبح روسيا في حالة اقوى من حالتها الحاضرة قط ولا في حالة اشد استقلالاً ولا اشد طمعًا ولا اشد حبًا للوطن في جميع مشروعاتها . انتهى . اما اللورد دربي فاطال كلامه ووصف ما قد جرى في الاسابيع الماضية القليلة المهمة ومن الواضح انه كان يذكر الحوادث ويغض النظر عن اسبابها واميالها تاركًا ذلك الى تخمينات السامع ولا يقول شيئًا عن الاستقبال . فلا بد من ان يبقى الناس غير راضين به وقد ذكر رايه المتعلق بواجبات هذه البلاد فقال ان اجراآتنا المضبوطة ظاهرة وهي اننا نسر بتقرير تسوية بين الباب العالي والولايات العاصية غير انه لا يحق لنا ان نسعف جهة دون اخرى في نزاع داخلي ولا نرغب في ذلك

امتداد الحرب

قد نشرت جريدة الليفانت هرالد الجملة الاتية

ترجمتها نقلاً عن جريدة الديلي تلغراف وهي ان اهم الامور الجارية ان نرى هل يمكن حصر الثورة في مكانها فان ثبوت السلام في اوربا متوقف على ذلك . ولا ريب ان انفذ كلام في ما يتعلق بذلك كلام حضرة امبراطور روسيا الذي اظهر منذ بداية الحرب انهُ صديق السلام الثابت العزم المتنور العقل . ومن المشاكل ان نرى هل يقدر امبراطور روسيا ولو كان صافي البواطن بان يمنع المساعدة السرية التي قد خمن العالم قاطبة بانها ترد الى السرب والجبل الاسود . وبالنظر الى ذلك لا تطلب اليهِ حقوق الانسانية ان يقوم بما لا يمكن القيام بهِ . على انهُ من الموكد انهُ قادر ان يرجع القواد الروسيين من صفوف السربيين وان يمنع تهييجات الجرائد الروسية وان يخرج الجنرال اغناتيف من سفارة الاستانة العلية . ولا ريب في انهُ ينال انهُ اذا كان امبراطورًا عادلاً مستقيمًا يساق مجرى الحيل المسكوبية حتى انهُ لا يقدر ان يعرض نفسهُ لغيظ الحزب السلافي ولئن كان ذلك ياول الى المحافظة على سلام اوربا ومنع الكلام المكتوب والذي يتفوه بهِ حال كونهِ مضبوطًا بهِ فينبغي ان نحكم بان الخطر اعظم مما يتبين لنا . ولا بد من ان نخشى ان يصير جدًّا بامل حصر الحرب في مكانها بواسطة اولئك الذين يهيجون مجلس انكلترا العالي الى الشروع في مفاوضة بشان الامور الشرقية . وبعض اولئك الاشخاص في قلق من جهة محبي السرب فيعلنون الامل بانهُ عند اظهار حكومة انكلترا سياستها تبيت غير قادرة على تغييرها . فهذا خوف لا محل لهُ باطل فانهُ ما من وزارة تدخل وحدها وتشرع في تصرف ذي خطر . ولا بد لها مراعاة لصالحها ان تشاور المجلس العالي والبلاد . ومن العدل ان نظن ان منع الحكومة عن اظهار ارائها السياسية ناشيءٌ عن عدم روعاتها السلمية اكثر مما هو ناشيءٌ عن مشروعات حربية . وعندنا ان الواقع انهُ ما من احد من اهل الحذق والتمييز قادر على ان يفهم امورًا كثيرة باظهار كل السياسة السرية

وقد قالت جريدة البوست الانكليزية بهذا الشان ما ترجمتهُ ان اوربا لا تخدع باعلان البرنس ميلان امير السرب الحربي من جهة الاسباب الصحيحة التي حملت السرب على ان تحمل على الدولة العثمانية والحق انهُ من الممكن ان تاتي ببراهين تظهر عدم صفاء بواطن امير السرب بخصوص كلامهِ . لانهُ اذا سلمت بانهُ وقع ظلم على الولايات العثمانية فكان من الواجب ان يكون ذلك متعلقًا بتلك الولايات والدولة العلية وربما كان متعلقًا ايضًا بالدول الاوربية على انهُ لا علاقة لهُ بالسرب . ويظهر الحق باستخدام كلمة الجنسية في ذلك الاعلان . فان هذه الحرب ناشئة عن مسئلة جنسية لان السرب تحاول ان تكون في مقدمة الامة السلافية . وجعل مراعاة حقوق الانسانية من الاسباب انما هو بدون معنى وكذلك التكلم عن اعمال الدولة العثمانية وعدم الاقتدار على اعطائهِ زمان الاعتدال وان الدولة العلية مسئولة بما ينشا عن سياستها من هرق الدماء . فالسرب في خطاءٍ ادبيًا وبابتدائها بالهجوم مكنت اوربا من ان تحكم عليها بالتعدي . ولا يعسر على اوربا ان ترى ما وراء ادعاءات اعلان البرنس ميلان الوهمية وتنظر الى الوقائع والاشارات على ما هي عليهِ فيتقرر في عقلها ان فتح الحرب الذي يتهدد كثيرًا السلام العام ناشيءٌ راسًا عن نشر السياسة السلافية

انكلترا والشرق

قد نشرنا في الجنة ملخص مفاوضة جرت في المجلس العالي الانكليزي متعلقة بسياسة انكلترا في الشرق وغير ذلك وقلنا اننا سننشر المفاوضة المذكورة

في الجنان على اننا قد راينا انها طويلة جدًّا فاكتفينا بالسوال الاول وبجواب اللورد دربي وزير خارجية انكلترا والسوال هو للورد استراثيون وكامبل من اعضا المجلس العالي فانهُ نهض وكلم المجلس بشان الاوراق المتعلقة بالثورة في الولايات العثمانية في اوربا وقال انهُ ليس بناصد ان يحمل الحكومة الانكليزية على ان تظهر ما يسمى بلائحة برلين (هي لائحة وزير روسيا) ولا ردها عليها اذا كانت راغبة في الامتناع عن نشرها . وتقرر في عقول اكثر الذين كانوا يراقبون الاحوال الجارية في الاستانة العلية وغيرها في بداية اجتماعات المجلس العالي ان الامنية الحقيقية في حمل المانيا على ان تضاد بسطوتها الدول التي كانت تعضد الثورة . فانتظرت بالاعتصام بالصبر الجميل لارى نتائج ذلك وكيفية القيام بهِ . وعرفنا في اواخر ايار (مايس) بكدر ان حكومة المانيا اقامت باعمال لا نقدر ان نسلم بها حتى ان وزراءنا التزموا بان يمتنعوا عن ان يوافقوها عليها . فاظهار بعض المخابرات التي جرت بين حكومة انكلترا والمانيا لازم لنعلم نسبتنا الى المانيا ونرى من يكون صديقنا ومن يكون عدونا بالنظر الى ما يسمى بالمسئلة الشرقية . ولا ريب في ان حكومتنا تقدر ان تجيب بانهُ لم تجرِ مخابرات بهذا الشان مع المانيا غير انني لا اظن انها تجيب بهذا الاقرار . ولذلك من الواجب إظهار هذه المخابرات بطريقة من الطرق ومن الموكد ان المجلس يتساهل مع الحكومة في هذا الامر . وقد قلت كل ما يلزم ان اقول بالنظر الى السوال الذي قد اشرت اليهِ . غير انهُ ما من احد يقدر ان يعلم هل يفتح هذا الموضوع في المجلس او لا ولذلك لا بد من ان اقوم بملاحظات مختصرة متعلقة بما قد قلت . وما من نفع في اعادة ذكر الحوادث المهمة التي جرت في الاستانة العلية وهي التي قد كرر وصفها محررو الجرائد في اوقاتها

كما انهُ لا يلزم ان ابين المنافع الكثيرة التي فازت سياستنا في الشرق بالحصول عليها من جرى التغييرات التي جرت في الممالك العثمانية . فانها كانت قد فتحت بابًا لتعليق الامل بازالة تكدار العصاة وتحديد السطوة فيها واعطا الحكومة السطوة اللازمة . اما الاخبار الواردة من ميدان الثورة فقد ازدادت ارتباكًا بعد ان كانت قد اصبحت تسير في سبيل السلام . ولا نقدر ان نخمن الواجبات التي تدعى حكومتنا الانكليزية الى القيام بها قبل ان تنتهي الثورة . وقد اقام وزير خارجيتنا بخدمة مهمة آلت الى نفع البلاد بتثبيت صحة معاهدة سنة ١٨٥٦ لانها كانت قد ضعفت كثيرًا بكلام بعض الناس داخل المجلس العالي وخارجهُ وذلك في اثناء السنين القليلة الماضية وعندي انهُ من الامور النافعة جدًّا تقرير المجلس العالي قبل انفضاضهِ انهُ يحافظ على معاهدة سنة ١٨٥٦ وعضد كلام الحكومة الانكليزية وتصرفاتها . ولو اقام المجلس العالي سنة ١٨٥٤ بالاجراء الناشيء عن الجسارة وهو الذي تشور بهِ الآن لما دخلنا حرب القرم . وفي ختام الكلام اهني البلاد برجوعها في الزمان الموافق الى روحها القديم واطلب اظهار المخابرات الاخيرة التي جرت بين حكومة انكلترا وحكومة المانيا

وبعد انتهى من خطابهِ تكلم اللورد هاموند بهذا الشان ثم اللورد نابيار واترك

وبعد نهاية خطبهم نهض اللورد دربي وزير خارجية انكلترا وقال ياسادتي الامراء . لا ريب في انني لا اخطئ صديقي المحترم الذي فتح هذه المفاوضة رجاء المجلس بذكر احوال الشرق عمومًا ولا ريب في انها قد حولت افكار الناس اليها بالاهتمام الكلي في انكلترا بل في اوربا قاطبة . هذا وانني اقوم قيامًا بواجباتي بالنيابة عن الحكومة بالشكر للمجلس العالي

على ما اقام بهِ من الجناية الناشئة عن الحكمة وحب الوطن كما قال الوزير الاول واقول انهُ لا يحق لي ان اعترض على كل امير محترم يحب ان يغتنم سنوح الفرصة الجارية لاظهار ارائهِ من جهة ما ينبغي ان تفعلهُ الحكومة او ان تمتنع عن فعلهِ في الاحوال الجارية ولا اعترض على ذلك واذا اعترضت الان على ذلك احيد عن سبيل الشكر الجميل لان كل الملاحظات خلا النادر التي اقامها الامراء الثلثة المحترمون الذين خطبوا مستندة الى صداقتهم لسياسة الحكومة ومظهرة لشكرهم لها. ولا اظن انني اتهم بانني لا احترم هذا المجلس ولا اعامل اعضاءهُ بالاعتبار الواجب اذا لم اغتنم سنوح الفرصة لابين تفصيل السياسة التي اقمت بها وكل من راقب مجرى الامور الاجنبية قد راى التغييرات التي تنسب الى كلام الذين هم في المراكز السياسية فضلاً عن كونها تزيد عن معنى الكلام الحقيقي وانهُ كثيرًا ما يتفوه بكلمة في اثنا المفاوضة مراعاة لحديث قد جرى فتفسر بما لم يخطر للمتكلم ببال. وكم من مرة يصير التفوه بكلمة بمعنى بسيط ظاهر فتاول بما لا يناسب ان ينسب الى وزير حكومة. وعندنا سبب اخر للامتناع عن المفاوضات التامة وهو ان ذلك يدعو الى طرح الاوراق المتعلقة بما جرى امام حضرتكم وان تتمكنوا من التامل فيها. فاظهار هذه الاوراق التي قد وعدنا باظهارها قد تاخرت باسباب لا نقدر ان نتجنبها. غير انهُ لا بد من ان نطرحها امام مجلسكم في اثنا هذا الاجتماع في وقت مناسب للقيام بمفاوضة تامة اذا شئتم ان تقرأوا بها. فاظهارها الان سابق للزمان الموافق وموجب للاضطراب. ولا سبيل الى اظهارها قطعًا غير مرتبة. واظن ان المقصود من ذلك السؤال انما هو السوق الى المفاوضة ولا يلزم ان اتبع صديقي المحترم في الكلام عن الاحوال الماضية فانني اظن ان ما قالهُ في الغالب موافق لما قد اقمنا بهِ.

وقد ذكر ثلثة امور. وقال ان الثورة في الهرسك ادبرت في الغالب من خارج السلطنة العثمانية. وان مداخلة النمسا ليست بموافقة لبند من معاهدة سنة ١٨٥٦ فهذا قد صار من الامور التاريخية. اما الامر الثالث فهو ما ينبغي ان يجرى بالنظر الى الدولة العلية عند حلول حوادث قد سبق تحديدها بلسانهِ فهذا سؤال مهم. غير انهُ لا يحق لهُ ان ينتظر مني او من رجل اخر متقلد منصبي الدخول في المفاوضة بشان الامر الذي ذكرهُ. غير انهُ قد ذكر شيئًا داعيًا الى الاجراء. وقد فهمت منهُ انهُ اشار بان يبادر المجلس العالي للامراء والعموم الى ان يقرر ان حكومة انكلترا تعضد سياسة كسياسة حزب القرم. ومن المعلوم عندي ان قصدهُ الوحيد هو عضد الحكومة وتقويتها فاشكرهُ على ذلك. غير انني اظن انهُ تبين لهُ بعد التامل ان ذلك ياتي باتعاب كثيرة اجرائية. ولا اظن ان الحكومة تقدر ان تنفذ السياسة التي طلب تنفيذها بدون مفاوضات كثيرة ووقوع اختلاف عظيم في الاراء. واخاف من ان ظهور خلاف في الاراء يبين ان الخلاف اعظم مما هو في الحقيقة. وفضلاً عن ذلك نقول ان الاحوال سنة ١٨٥٦ لم تكن كالاحوال سنة ١٨٧٦ فجعل القرار مستندًا الى حادثة تاريخية ليس من الوسائط الموافقة لمعاطاة الاشغال في الحال واذا لم يكتب ذلك القرار بلغة مبهمة عمومية تكاد تكون بلا معنى تربط ايدي الحكومة ربطًا لا يوافق (اسمعوا اسمعوا). ولم ادعَ لابرز ملاحظاتي المتعلقة بخطاب صديقي المحترم الذي خطب بعد نهاية الخطاب الاول وقد اصغيت لهُ كل الاصغاء متذكرًا بانهُ اول معلمي امور السياسة الخارجية ولا ازال اتذكر ذلك مع الشكر (اسمعوا اسمعوا). وقد تمكنت من ان افهم انهُ قد اشار بامور متعلقة بتصرفنا وقد اصغيت اليها باعتناء واعتبار. واظن انهُ لم يرَ عيبًا في ما

فعلناهُ في الماضي غير خطأ واحد وهو اننا مكنّا الدول الثالث من ان تقرر اراءها وتبلغنا اياها ثم ابنا علم موافقتنا على ذلك وان الاوفق ان نكون قد اضررنا على الاشتراك بها في المفاوضة منذ البداية · ولا اظن ان ذلك يغير الاحوال فعلاً . فلا ينبغي ان يفرض ان سطوة انكلترا لم تكن نافذة في احوال اوربا · وهذا لا يخطر لاحد ببال اذا كان من الذين شاهدوا اضطراب كل الدول عندما كانت لائحة النمسا في كانون في حالة ذات ريب (اسمعوا اسمعوا) · واللورد المحترم الذي تكلم بعد صديقي المحترم لم يترك لي شيئاً لاجيب عليهِ . غير انني لا اظن انهُ يليق بي بالنظر اليكم اذا جلست بدون ان اقرر شيئاً مختصراً عن احوال الشرق بالنظر الى ما يتعلق بحكومة انكلترا (اسمعوا اسمعوا) · ولا يلزم ان ارجع الى زمان لائحة الكونت اندراسي التي قبلناها بدون ان نكون موطدين الامل باتيانها بالمرغوب ومن الواجب ان نكتفي بمجرد ذكر تلك اللائحة التي اتفقت عليها في برلين النمسا وروسيا والمانيا وبعد ذلك قبلت بها فرنسا وايطاليا · وتبين لنا ان محتوياتها مفتوحة للاعتراضات فابدينا اعتراضاتنا وامتنعنا عن الاشتراك فيها · ولذلك بتنا برهة منفردين في اوربا فالحوادث التابعة غيرت مركزنا كثيراً · فان المرحوم السلطان عبد العزيز خلع بدون اهراق دم وجلس خلفهُ على تخت الملك · وقد تقرر في عقول الجميع ان في بلاد كالشرق التي يتوقف كل شيء الى درجة مهمة على السلطان من الواجب ان تتمكن الحضرة الشاهانية ومشيروها من الوقت الكافي للتامل في حالتهم ويشرعوا في اصلاحات وتدبيرات من شانها الاتيان بالتسوية · فهذا هو ما خطر لكل الدول ببال ولذلك لم تتقدم اللائحة الموسسة على الاتفاق الذي جرى في برلين · ولا اعلم هل صار العدول عنها تماماً غير انني اعلم انها قد تاجلت تاجيلاً غير محدود · وهذا كافٍ لعدولنا عنها · وقد زال سبب الخلاف الذي جرى بين انكلترا والدول الاخرى وكلنا احرار اذا شئنا ان نحاول مداخلات جديدة افرادية او اجمالية · ولا نعلم ماذا تكون الامور التي تقررها الدولة العثمانية لتكون اصلاحاً للادارة الداخلية وبالنظر الى الصعوبات العظيمة التي ترافق العمل لا ينبغي ان يفرغ صبرنا · ولم يمض من الزمان ما يكفي لان نبين ما ننتظر من جلوس سلطان جديد غير انني لا اتردد عن ان اقول انهُ مقرر في عقلي ان انتقال السلطان من يد الحضرة الشاهانية السابقة الى الحالية من الامور التي لم تنشا مطلقاً عن مشورة او سطوة اجنبية والتي يسوغها وجود خطر عظيم عام حال كونهِ قد انقطع الامل من اصلاح صحيح في ايام السلطان السابق وقد قيل ان التغيير في الاستانة العلية انما هو فوز التعصبات الدينية المضادة للنصارى وعندي ان الواقع هو عكس ذلك · لان السلطان السابق حمل كل الرعايا على التذمر ليس بمنع حقوق للنصارى ولكن بالافلاس وسوء الادارة والتصرفات الكثيرة التي ظهرت في كل امر · وقد بلغني ان النصارى قد سروا بالتغيير كما سر الاسلام في السلطنة (اسمعوا اسمعوا) · ولذلك نقول ان الحالة الجارية هي انهُ قد حرض الباب العالي على ان يخابر رؤساء العصاة · فاذا لم تنجح مخابراتهُ نقدر ان نتوسط عندما نرى نفعاً من التوسط ان نمنع موقتاً كل الامتناع اذا راينا انهُ لا امل بالفوز · ولا يلزم ان نقول ان كل مشورتنا خالية من الغرض على انني لا اقول بتاكيد انهُ يصير قبولها ولكنني اظن ان الباب العالي يصغي لها كمشورة دولة متحابة وتصغي اوربا لها كمشورة دولة لا ترغب الا في المحافظة على السلام (اسمعوا) يا سادتي الامر لا اعلم هل يكون لكلامي نفوذ ومع ذلك ارجو الامتناع عن التنكيت

بسرعة وعدوان على دول اجنبية لان الاحوال الحالية مضطربة جدًّا والراي العام لابد من اعتباره حتى في البلدان التي ليس لها نظام معين اساسي . وانا لا ارى ما يحملنا على ان نرتاب في ان كل الدول العظيمة تسر بان ترى نهاية نزاع فيهِ عناصر مخاطر كثيرة للدولة العلية ولاوربا قاطبة . اما السبيل الذي ينبغي ان تسلكهُ نحن فهو واضح وتتمنى ان نقرر تسوية بين الباب العالي والعصاة ويا حبذا لو امكن ذلك . وعندي انهُ لا يحق لنا ان نتحزب لجهة دون اخرى في نزاع داخلي ولا نرغب في ذلك (اسمعوا) . فهذه هي قاعدة اعمالنا في ايام ليست ببعيدة عنا وحروب اهلية اوسع دائرة وهرقت فيها دماء لم تهرق في هذه . ولا ارغب في ان اقول ان هذه القاعدة نافذة ومفيدة عموميًا ومطلقًا . فان الامور العالمية مضطربة جدًّا وكثيرة التغيير فلا تضبط دائمًا بضابط واحد ولكنها قاعدة اعمالنا العامة وعندي انها صحيحة . وقد راينا انهُ من واجباتنا ان نترك الباب العالي يشرع فيما هو من امورهِ . ولكننا قد خابرناهُ وخابرنا الدول الاخرى ولا نزال نخابرهم لابلاغ المشورات التي نرى انها مفيدة . وقد سمعت البعض يقولون اننا نهتم كثيرًا بصالح الاتراك وقليلاً بصالح الطوائف الغير المسلمة . فاقول ان هذه تهمة لا علم لي بها (اسمعوا) فانهُ لا يخطر لاحد ببال ان ثبوت الدولة العلية في اوربا مهما كانت هيئتهُ يكون من الممكن اذا كانت الطوائف المسيحية في تشكٍ وتذمر دائم (اسمعوا) فانهم في الولايات العثمانية في اوربا اكثرية قوية بالمعارف والثروة فلا يخضعون بمجرد القوة . وهذا معلوم عند كل انسان يحق لهُ ان يدعى برجل سياسة في الاستانة وخارجها . فحل المشكل في جعل موافقة بين مرغوباتهم العادلة وادعاءاتهم مع المحافظة على تلك الهيئة العامة التي قد تعهدت كل اوربا بالمحافظة عليها والتي لا تغلب الا باضطراب عام يتصل الى ما يبعد عن الحدود الاوربية ويأتي بارتباكات عظيمة نكاد لا نراها . فاذا قلنا اننا لا نحاول المداخلة لانها ربما كانت لا تاتي بخير فلا يكون قولنا مشابهًا في نتيجتهِ لقاعدة الذين شانهم القول ان الامر لا يعنينا فلنترك الامور تجري في مجراها . فالقول الاول ربما كان ينشا عن التمييز والحكمة والثاني ليس هو كلام رجال السياسة ولكنهُ ناشىء عن الكسل والياس (اسمعوا اسمعوا)

بعض اصطلاحات في قضا الخليل

من قلم بشاره افندي حاتم

من الامور المعتنى بها الان الوصول الى درجة التمدن الساري فانهُ ينبوع الراحة والامنية الموافقتين لروح هذا العصر . وفي بعض قرى قضا جبل خليل الرحمان التابع لوا القدس الشريف الواقع في الجهة الجنوبية منهُ لا يزال الاهالي في افتقار شديد الى اسباب التمدن التكميلي لبعدهم عن المراكز العامة ومحافظتهم على عاداتهم القديمة ومن تلك العادات انهُ في كل سنة من اسبوع عيد الفصح عند النصارى الذي يقع في ٥ شهر نيسان قد خصص بعضهم يومي الخميس والسبت لخروج الفتيات والقيام باحتفالات مخصوصة بهن . فيوم الخميس المسمى عندهم بخميس البيض يخرجن الى محل فسيح بقرب القورنتينة مزينات ولابسات احسن ملابسهن وياخذن في اللعب كاشفات الوجوه ويخرج معهن بعض نساء وقاية للناموس ويصرفن النهار كلهُ باللعب بحرية تامة ونهار السبت (الذي يلقبونهُ بسبت النيص) يخرجن الى محل يدعى عين قشقلة ويصرفن النهار كيوم الخميس فيخرج الشبان للتفرج عليهن واذا استحسن احدهم احداهن يخطبها من والديها وهذه العادة جارية لهذه الغاية ومرارًا

عديدة جناب العالم العلامة الشيخ علي افندي الخطيب مفتي البلدة نهام عنها ولم ينتبهوا لعظتو المفيدة . اما نفس قصبة الخليل فيبلغ عدد سكانها نحو ستة الاف نفس ذكور منها خمسة الاف ونيف من المسلمين والباقي من الاسرائيليين والسكناج . وداخل القصبة الحرم الشريف وفيها المغارة المضاعفة مدفن ابرهيم الخليل عليه السلام ومدفن عائلتو وتتقاطر اليو الزوار من سائر الجهات . ثم يوجد داخل البلدة بركة كبيرة لجمع المياه الشتوية وعمقها نحو سبع اذرع وطولها وعرضها متساويان نحو اربع وعشرين ذراعًا ويسمونها بركة سلطان وهي قديمة البنا ويزعمون ان منشئها عالم من علماء الفلك لاجل معرفة سني الاقبال والمحل اي انهُ في السنة التي تملا ماء المطر تكون المحصولات في اقبال في اكثر الجهات والا بالعكس

اراضيها متسعة واكثرها مغروسة زيتونًا وعنبًا والمزروع بها قليل وتصرف الاهالي مدة الصيف في الكروم ويهجرون البلدة مدة ثلثة شهور ويتركون خفرا للمحافظة على البيوت والمعامل ويصطنعون من العنب خمسة اشيا وهي الذبيب والدبس والملبن وعنب طبخ (من بعد قطف العنب وفرطهِ يغلونهُ على النار حتى يحمر قليلاً ويضعونهُ في انية من فخار) وخال سفرجل (هذا الاسم ضد الذوق والجسم) من بعد عصر العنب ياخذون قشرهُ وبذرهُ ويطبخونهُ حتى يحمر قليلاً ويبقوهُ لحاجة اليوم

اصطلاحاتهم بالقتل كالبدو المجاورين لهم

صيد الضبع عندهم

تتوجه زمرة اشخاص تابعين اثرهُ الى ان يبلغوا مدخلهُ فيدخل احدهم وبيدهِ حبل وهو يصرخ قائلاً (ابو ابرهيم هون) فيجيبونهُ من خارج من فم واحد (لا ما هو هون) ثم يكرر القول شيخ الضبعة (هون) فيجيبونهُ كالاول ويكرر ذلك مرارًا حتى يتوصل اليهِ فيربطهُ برجلهِ او بيدهِ ويقودهُ للخارج ومع هذا كلهِ لا ياتي باقل حركة فيفعلون بهِ ما يشاهدون وبهذه الواسطة يكون ضيد هذا الحيوان الكاسر

ترجمة المرحوم السلطان عبد العزيز

قد نشرت جريدة الليفانت هرالد الجملة الاتية ترجمتها وهي مما يعود على المطالع بالفائدة واللذة وتتضمن ملخص تاريخ الدولة العلية من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٧٦

ان السلطان عبد العزيز خان ساكن الجنان هو ثاني انجال ساكن الجنان السلطان محمود الثاني ولد في ٦ شباط (فبريه) سنة ١٨٣٠ وتبوا تخت السلطنة السنية عند وفاة اخيو ساكن الجنان السلطان عبد المجيد في ٢١ حزيران (جون) سنة ١٨٦١ . وكانت الدولة العلية في زمان جلوسهِ محاطة بارتباكات مهمة سياسية ومالية . فان حوادث سوريا في سنة ١٨٦٠ كانت لا تزال كغيوم كثيفة مظلمة تكدر صفا فلك المملكة وكان الجيش الفرنساوي لا يزال فيها والمرحوم فواد باشا يقوم بنهاية اجرا اتو القصاصية والتعويضية وينظم حكومة لبنان بمساعدة عمدة (قومسيون) دولية . وكان في الولايات الشمالية الغربية ثورة قد طال امرها فاتعبت مالية الباب العالي وثقلت على اجتهادات عمر باشا الحربية . فامست الخزينة فارغة . وسقوط محل ميرز المالي البارزي اخرب التدبيرات المتعلقة بعقد قرض وكانت العاصمة قد ملئت بنقود ورقية ذات اثمان دنية وامست المالية في اذل الحالات . ومن الامور الطبيعية مقابلة جلوس السلطان الجديد في تلك الظروف بالسرور والحبور وتعلقت الامال بانهُ يكون ابتدا عصر جديد . فبادرت الامة العثمانية الى بث فرحها باجل سلوك الاعمال طريقًا

جديداً واظهرت باظهار ميلها الى سلطان جعل قواعده السياسية حرة بعد ان كان قد جعل الانتظام والتوفير شانهُ قبل ان تبوأ تخت السلطنة حال كون عاداتهِ المبنية على الصرامة جعلت الناس ينتظرون منهُ ما لم يكن في سلفهِ الوديع وما جرى عند تبوإهِ التخت وطد تلك الامال فانهُ امر بتخفيض معيناتهِ وقلل مصاريف القصر الشاهاني . ولم يغير من الوكلا غير وكيل واحد وكان محمد باشا القبرصلي في الصدارة العظمى . والتغيير كان بفصل رضى باشا بعد ان تقلد نظارة الحربية ١٨ سنة لانهُ فاز بنفوذ جعل وجودهُ غير مرجح فخلفهُ نامق باشا واستمرت الوزارة بدون تغيير الى شهر ايلول (سبتمبر) وفيهِ وجهت الصدارة العظمى الى المرحوم عالي باشا . وكانت الضيقات المالية تزال بجمع مال من الولايات باصدار ما يدعى قايمة او هو مال ورقي لم يكن يجرى في وقتهِ بل بعد ذلك . وكان لهذا الامر عمدة او قومسيون مخصوص وكانت الامور المالية اهم الحوادث الجارية فاقيمت عمدة مختلطة للمفاوضة بشان انفع الاجراءات التي تاول الى جعل الخزينة في فرج دائم . وفي اثناء ذلك كانت دول اوربا تهني السلطان الجديد فاشغل نفسهُ بامور عسكرية وبحرية . ولما كان قد فاز بالحصول على حرية جديدة اخذ في ان يجول في ضواحي العاصمة للصيد والتنزه وفي اوائل ايلول (سبتمبر) جاء المرحوم سعيد باشا والي مصر الاستانة العلية ليقوم بواجبات التبرك ونال من يد الحضرة الشاهانية نيشان العثمانية الاول الذي كان قد وضعهُ حضرتهُ ولم يعط لاحد قبل المرحوم سعيد باشا . وفي ذلك الشهر فتحت الدولة العلية الحرب على الجبل الاسود وخلف محمد رشدي باشا نامق باشا في السر عسكرية . ودعي فواد باشا من سورية ليتقلد منصب الصدارة العظمى فخرج منها تاركاً المرحوم محمد رشدي افندي شيرواني

زاده ليتمم اعمالهُ في تلك البلاد . وفي تلك الاثناء تمت المخابرات التي كانت جارية لاتحاد الفلاخ والبغدان تحت حكومة واحدة بعد ان كانتا منفصلتين فصدر فرمان بجمعهما امارة واحدة تحت ولاية البرنس كوزا

وفي شباط (فافريه) من سنة ١٨٦٢ اقدم المرحوم فواد باشا تقريراً الى الحضرة الشاهانية ومعهُ تعديل مصاريف ودخل للسنة التابعة فظهر بذلك ان المصروف ينتقص عن الدخل مليون ليرا انكليزية وبعد ذلك بشهر عقد قرض جديد ثمانية ملايين ليرا عثمانية اصدرهُ في لوندرا الخواجات ديفيس وشركاهم . ونجح ذلك القرض نجاحاً عظيماً فان المبلغ الذي اكتتب بهِ كان اضعاف المبلغ المطلوب وصرف ما جمع منهُ في سبيل دفع النقود الورقية الجارية المسماة بالقائمة فدفع لاصحابها ٤٠ في المائة نقوداً من البشلك و٦٠ في المائة اوراق مالية جديدة تدعى اشاية جديدة سعرها ٢٠ وفائضها ٦ في المائة . وسنة ١٨٦١ ذهبت الحضرة السلطانية الى ازميد وفي نيسان (افريل) سنة ١٨٦٣ ذهبت الى بروسا وزارت قبر السلطان عثمان ساكن الجنان مؤسس الدولة وبعد الصلوة زين القبر المعطى بالكشمير بنيشان العثمانية المرصع . واقامت الدولة بالاجراءات الحربية لاخماد عصيان اهالي الجبل الاسود الذين كانوا قد هجموا على المرسك بهمة واقدام وفي نهاية نيسان (افريل) وردت اخبار نجاح مهم تحت قيادة درويش باشا . وفي تلك الاثناء عرض عمر باشا شروطاً للامير فرفضها غيران الجنود العثمانية لم تاذن بان تعبر الحدود الا في نهاية ايار (مايس) واخذت في ان تنتصر نصرة بعد نصرة الى ان التزم الامير بان يخضع فانتهت الحرب . ولكنهُ لم يقبل بشروط الصلح التي قررها عمر باشا الا في ٢٣ ايلول (سبتمبر) وفي اثناء ذلك كانت الجنود نازلة في قسم اركيا وقد اشتهر القائدان المشار اليهما في

هذه الحملة التاديبية وكذلك عبدي باشا . وكان ذلك الجبل يميل في ذلك الزمان الى المجاهرة بالعصيان كميلو الحالي ولذلك باتت الة موافقة في يد الدولة المتحزبة له لمضادة الدولة العلية

وفي ٢٠ ايار (مايس) كان ولي عهد ملكة انكلترا مسافرًا بصفة غير رسمية وتدعى نفسه اللورد رنفرد فاتي الاستانة العلية ليزور حضرة مولانا الاعظم وجاء في البارجة الملكية اوسبورن ومعها البارجة ماجسيان والبارجة ندرار . وكان السار هنري بلوار سفير دولة انكلترا في الاستانة قد ركب البارجة العثمانية المسماة بالطائف وسار للاقاة البرنس . واشتهرت تلك الزيارة باقامة الحضرة الشاهانية وليمة في الصباح في قصره عند الماء الحلو لان الحضرة السلطانية غيرت عادة قديمة وجلست عند مائدة الطعام ومعها البرنس ومعهما الوكلا الفخام وكان ذلك موضوعًا لمفاوضات كثيرة موافقة لصوالح الدولة وواسطة جعلت الناس يعلقون الامل بحسن الاستقبال . وبوم الخميس من ٢٥ حزيران (جون) اقيم الاحتفال الاول للجلوس الهمايوني باتقان عظيم واقام المرحوم فواد باشا في قصره في غاليدجاوليمة تفوق في العظمة والتزيين نفس الولائم العظيمة المشهورة التي تقيمها الحضرة الخديوية في قصر الجزيرة

وفي ١٦ من الشهر المذكور وردت رسائل من برقية الى الباب العالي بانه ظهرت قلاقل في بلغراد بنزاع بين المسلمين والنصارى فالتجأ المسلمون الى القلعة . فخاف اشير باشا خوفًا لا مزيد عليه وكاد يغيب عن الصواب وامر باطلاق المدافع على المدينة واستمر يطلقها ٤ ساعات حتى انقاد الى اراء المامورين الاجنبيين وامر بالانقطاع عن اطلاقها . وقبل ان خيم الظلام في ذلك اليوم فصل عن مامورية بامر برقي . وعينت عمدة لفحص اعضاءوها احمد وفيق افندي وعلي بك وهو علي باشا سفير الدولة السابق في باريز . غير انه لم تات بنتيجة معلومة . وعين المرحوم السعيد الذكر راشد باشا وزير الخارجية السابق حاكمًا في بلغراد . فالاضطراب الذي سبق هذه الحادثة المشهورة وتبعها ضعف بقرار الجمعية التي عقدت في الاستانة العلية في نهاية الصيف وتقرر خروج الجنود الشاهانية من القلعتين السربيتين الصغيرتين وهما قلعة سوكول ودكليتزا وهدمت الحصون . وتقرر عند السربيين ان هذه المنحة قسم صغير من المنح القادمة ونشر الامير اعلانًا افتخر به واشار باحتقار الى الفرمان الذي سلمه اياه راشد باشا وضمنه قرار الجمعية . وكان السربيون في اضطراب دائم من جرى وجود قلعة بلغراد في يد الجنود العثمانية حتى انه بعد صدور القرار المذكور بست سنوات اخرجت منها وذلك مما كان قد اشار اليه الامير في اعلانه المذكور

واستمرت الحضرة الشاهانية متمتعة بدرجة غير قليلة من الشهرة سنة ١٨٦٣ . وعند شبوب النار العظيمة في قاسم باشا راى القوم حضرته ومعه قبطان باشا على حيطان بناية قد انتشبت النار فيها وهو يدير حركات خدمة اطفا النار . على ان الامر الاول الذي صدر في تلك السنة ببناء بوارج مدرعة بات موضوعًا للملاحظات غير موافقة له لانه كان قد جمع قرض داخلي سنة ١٨٦١ وقرض انكليزي في الربيع ومع ذلك كانت الخزينة في اضطراب دائم فاضطرب الناس عندما راوا ان السلطان يميل الى بذل الاموال في سبيل التجهيزات الحربية . ويوم الاحد في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ولد صاحب النجابة محمود جلال الدين افندي من زوجة حضرته الثالثة فاعلن ذلك بخط همايوني فقرى باحتفال عظيم في الملهى

العالي واستمرت الزينة والولائم ثلثة ايام . وبالاجمال نقول ان سنة ١٨٦٢ كانت من اكثر سني سلطنته توفيقاً

اما سنة ١٨٦٣ فافتتحت بتغيير في الوكلاء فان السلطان امر بفصل ناظر الحربية وناظر البحرية بدون مشورة الصدر الاعظم ولذلك بعث فؤاد باشا اليه باستعفائه وكذلك المرحوم عالي باشا فقبلها وبادر الى اقامة وزارة جديدة . وكان راغباً في ان يوجه الصدارة العظمى الى نورز باشا الحرج الاول في البلاط (ربما كان المقصود الحرم الاول والله واعلم) على انه خاف من ان يحمل مسئوليات لم يكن متعودها فامتنع عن قبول المنصب فعند ذلك وجهها الى كامل باشا رئيس مجلس التنظيمات واقنع عالي باشا بان يبقى في الخارجية ووجهت المالية الى نورز باشا المحبوب . وبعد هذا التغيير بيوم او يومين عاد سفير انكلترا من سياحة صغيرة في الارخبيل وتشرف بالاجتماع بحضرته ملياً ونشأ عن ذلك انه في اليوم التابع صار فؤاد باشا رئيس مجلس التنظيمات . ونقل نورز باشا من المالية الى نظارة المعارف وصار المرحوم مصطفى فاضل باشا ناظر المالية ففي تلك الظروف التي جاءت بالتغييرات المذكورة ظهرت اميال مخصوصة كانت سبباً لخسارة تلك الشهرة في السنين التابعة وكدرت امال الذين كانوا يعلقون امالهم بمستقبل اصلاحي

وفي كانون الثاني (جانيوري) توفي المرحوم سعيد باشا المصري وجلوس حضرة الخديوي اسمعيل على كرسي الخديوية بفتح صفحات جديدة مهمة في تاريخ ملك السلطان عبد العزيز ولا نقدر ان نذكر المخابرات الكثيرة العظيمة التي جرت بين مصر والبلاط السلطاني وكفانا ان نقول انها جاءت بتغيير اللقب فصار خديوي او خديو وهي لفظة فارسية معناها عندهم ملك او سيد عظيم وجعل ولاية العهد لبكره وبكر بكره وهلم جرّا . وسنة ١٨٧٣ منحت البلاد المصرية استقلالاً تاماً تجارياً ومالياً مع امتيازات اخرى . وبعد ان مهد حضرة صاحب الدولة نوبار باشا الطريق لمجيء الجناب الخديوي الى الاستانة اتاها فقابلته الحضرة الشاهانية بكل تكريم والتفات وفي اثناء ذلك قدم اليها بارجتها الجميلة المسماة فيضي جواد وهي التي بنيت في التيمز في ايام المرحوم سعيد باشا بمائة وخمسين الف ليرا . فسرت الحضرة الشاهانية بهذه التقدمة الفاخرة وبكرامة الجناب الخديوي فوعدته برد الزيارة . ويوم الجمعة في ٣ نيسان (افريل) صلت الجمعة وركبت هذه البارجة الجديدة وسارت قاصدة الديار المصرية ومعها بارجتان كبيرتان واثنتان من نوع الفرقاطة وثلث بوارج اصغر منها ومركبان من مراكب نقل الجنود والمهمات ووصلت الى الاسكندرية يوم الخميس التابع بعد ان عرجت الى ساقس للراحة يوماً . وفي الاسكندرية قابلت الحضرة الشاهانية المأمورين العظام المصريين ومأموري الدول الاجانب السياسيين وخاطبتهم بخطاب قصير . والجمعة في ٩ نيسان (افريل) سارت في مركبات نارية الى القاهرة وبلغتها عند غياب الشمس . واستمرت في مصر اسبوعاً وكانت تقابل في كل مكان بسرور وولائم وتزيينات وخرجت من بلاد الفراعنة وقد سرت جداً بصداقة الاهالي واحترامهم لها مع بعدها عنهم فاظهر لها ذلك اقتدارها وسارت من الاسكندرية الى ازمير واقامت فيها يومين ثم جاءت قلع الدردنيل وغاليبولي ووصلت الى الاستانة العلية يوم الجمعة في اول ايار (مايس) في الوقت المعين لقيام الصلوة في جامع الطوبخانه . واحتفل القوم جداً بعودها واقاموا بتزيينات ثلثة ايام واخذت الجرائد في ان تبين المنافع التي تنشأ عن خروج السلطان الاول ليجول في الولايات

وعند ذلك رجعت المسئلة المالية الى الظهور

وصار البنك العثماني بنكاً عثمانياً سلطانياً وتم هذا التغيير بتعهد البنك بعقد قرض جديد قدرهُ ثمانية ملايين ليرا وفائضة ٦ في المائة فدفع منهُ خمسة ملايين في نيسان (افريل) سنة ١٨٦٣ والباقي سنة ١٨٦٤ وفي ٢١ شباط (ففريه) كتب المرحوم مصطفى فاضل باشا ناظر المالية تعديل مصاريف ومداخيل انفاذاً لارادة سنية صدرت بهذا الشان . وكانت تلك الارادة وذلك التعديل والقرض سبباً حمل الناس على ان يقولوا انه قد ابتدا الزمان المالي الذي طالما تفاءلوا بوصول الدولة العلية اليهِ بموازنة الدخل والمصروف وتحويل ثروة البلاد العظيمة بتعمير الاشتغال والجد الى ثروة مفيدة على ان المرحوم مصطفى فاضل باشا لم يرتض بادارة المالية فاستعفى من الادارة وخلفهُ فيها كاني باشا . ثم خرج من دائرة الاشغال الرسمية وتنحى بالسكنى في فرنسا . وسنة ١٨٦٣ فتح معرض وطني في آت ميدان فظهر بهِ ظهوراً يكاد يكون تاماً حالة البلاد الصناعية ولكن كان ذلك مما لم يعلق الامل باتساع دائرة العمل

وسنة ١٨٦٤ وجه المرحوم فواد باشا الصدر الاعظم والسرعسكر عنايتهُ المخصوصة الى تنظيم احوال السلطنة العسكرية بمعاونة المرحوم حسين عوني باشا قائمقام نظارة الحربية فتغيرت احوال الجيش كل التغيير من جهة الانتظام والسلاح . ولارضا الحضرة الشاهانية جعلت ملابس بعض الفرق كملابس جنود الزواف الفرنساوية وعين حرس سلطاني مولف من رجال من جميع اجناس السلطنة وكل منهم لابس ملابس بلاده الخاصة فجاء ذلك بتاثير حسن في الناظرين . ثم وجهت الوزارة عنايتها الى اصلاح ادارة الولايات العثمانية الاوربية وكان جودت باشا يفرغ جهدهُ في سبيل تنظيم الهيئة الاجتماعية المضطربة في بوسنه والهرسك واخذ مدحت باشا في الاعتناء بولاية الطونه وابان ما ينشا عن النشاط والثبات والعدل مما يؤول الى ترقية احوال المملكة . وكان اصلاح دائرة المحاسبات في المالية من اهم اجراءات السنة وانشاء جمعية السوستيه جنرال دي لامبيرا وثومان ودفعت عند انشائها مليوني ليرا للخزينة . واقيم ميدان للخيل في ضباط خانة في الربيع والخريف ودخلته افراس الحضرة الشاهانية باسم سفر باشا وكانت تفوز بالحصول على الرهائن بالسبق . اما البرنس كوزا امير الافلاخ والبغدان الذي كثر ذكرهُ في اول السنة لاستيلائهِ على ادبرة بلاده فزار في الصيف السلطان . ومن حوادث السنة الثانوية احتراق قصر فواد باشا . فشروعهُ في بنائهِ بناء متجاوزة حدود الاعتدال من جهة الاتقان والمصاريف كان علة بداية حرمانهِ رضى الحضرة الشاهانية وحضور مستر لويس مرتون الى الاستانة العلية وهو الذي اسس تحويل الدين الثاني في السنة التابعة ومهاجرة الشركس بانت في بادي السنة مصدر اضطراب وبذل مال جزيل من مال الحكومة غير انها قلت في الصيف وتمكن الباب العالي من ان يسكن اولائك المهاجرين الكثيرين الذين طردوا بمعاملة روسيا لهم وحملوا على ان يطلبوا الخضوع الى ادارة الدولة لانها اكثر اعتدالاً

وابتدات سنة ١٨٦٥ ابتداء موافقاً فتدبيرات الخواجات مرتون المالية نجحت وسدت احتياجات الخزينة بقرض قدرهُ اربعة ملايين ليرا وكانت السلطنة راتعة في بحبوحة من السلام واحتفل بتذكار الجلوس بتنويرات غير اعتيادية . وكانت الحضرة الخديوية السنية قد اهدت الى الحضرة الشاهانية بارجة مدرعة جميلة اسمها عبد العزيز وكان ذلك من اسباب المحافظة على تاثيرات التقدمة الاولى الحسنة . ففي بداية تموز (جوليه) جاءت الاستانة العلية ونزلت في قصرها في متركون حيث

كانت قد اشترت مصيف مصطفى باشا الكريتلي . وعند ذلك وردت اخبار وجود الهواء الاصفر في ازمير ثم في الدردنيل الى ان فشا في سواحل البوسفور بقوة القت الرعب في قلوب الناس . فانشا المرحوم فواد باشا عمدة صحية غير ان الوباء تغلب على اجرائها البطيئة وراجت اسواق المنايا في الاستانة العلية الى ٥ ايلول (سبتمبر) فانه انتشبت نار عظيمة فيها احرقت ثلث حي اسطانبول . وكما ان النار العظيمة التي انتشبت في لوندرا منذ مدة طهرت الهواء من سم الطاعون زالت سموم الوباء من الاستانة بتلك النيران . فان عدد الموتى بها قل في الحال حتى انه في ١٥ يوماً اخذت نظارة الصحة في ان تصدر اوراق مراكب نظيفة مع انها استمرت عشرة اسابيع في ويل عظيم . ومن النافع ان نقول ان ما امر به قومسيون الصحة لم يجر قط فان اسباب اخراج المياه المجتمعة وجلب الماء ونظافة الاسواق ليست في حالة مفضلة عن الحالة التي كانت فيه حينئذ عندما نهض الاهالي وتشكوا منها وذلك سنة ١٠٦٥ . وفي هذه السنة عقد قرض بمناظرة البنك السلطاني العثماني والكريدي موبليه قدره ستة ملايين ليرا بضمانة رسم اعداد اغنام بر الاناضول وهو المعروف بفرض الغنم

اما سنة ١٨٦٦ فابتدات بالاتعاب ففي شباط (فبريه) امسى الحرب بين النمسا وبروسيا قريباً فظهرت ثورة في بخاريست عاصمة الفلاخ والبغدان فطرد اهلها البرنس كوزا من تحت الامارة ودعت الامة البرنس شارل هوهنزولرن اليه . فتهدد الباب العالي بادخال الجنود الى امارتهم فنزل قائد الجيوش عمر باشا في شملا باركان حربه . ووصلت فرقة من الجيش المصري الى قرن الذهب . غير ان حذق فواد باشا غير الحال وغلبت السياسة القوة وجرت تسوية هذا المشكل بعقد جمعية دولية في باريز . وفي غوز اعترف الباب العالي بان البرنس امير تحت سيادته فبادر ذلك القائد الالماني الذي ساقه السعد من مركز مجهول الى تخت امارة عظيمة الى الحضور الى الاستانة العلية ليتشرف بالمثول لدى الحضرة الشاهانية

ولم يكن فواد باشا في منصب ولا متمتعا برضى الحضرة الشاهانية فانها اغتاظت من عظم قصره فبات لا يقدر ان يدنو منها فلما راى انه لا يقدر ان ينفع في ذلك المركز استعفى في شهر حزيران فوجهت الصدارة العظمى الى محمد رشدي باشا المترجم ووُجهت نظارة الحربية الى رضى باشا

وفي ايام صدارة هذا المشير العظيم جاهر اهالي اكريت بالعصيان وبعد ان ابتدات بداية صغيرة لا تستحق الذكر امست تهدد الدولة العثمانية وتبليها بالضرر والضعف . وكان مصطفى باشا الكريتلي اي الكريتي المامور الاول الذي بُعث الى الجزيرة ليخمد هيجان اهلها وعند ذلك بعثت الحضرة الخديوية بجيوشها تحت قيادة شاهين باشا لمساعدة الجيوش العثمانية في اخماد الثورة . والويل الذي حل بالذين دافعوا عن دير اركاديا المحصور اثر في عقول اليونان تاثيراً شديداً وشدد غيظهم وبغضهم للعثمانيين حتى انهم باتوا لا يبالون الا بالانتقام فامست سيرا معمل اسلحة العصاة ومهماتهم وبلاد اليونان مركز العملة فبات اخماد الفتنة من الامور المقلقة

وقد ظهر من حوادث سنة ١٨٦٦ ان المرحوم السلطان عبد العزيز خسر جانباً عظيماً من الشهرة التي كانت له وابتعد عن كثير من اعماله الناشئة عن عنصر الرجولية وبدلها بامور اخرى لا تضر ولكنها لا تستحق الذكروبات بحب التشخي فبات وزراؤه يستصعبون الدنو منه وكان ذلك يسوق الى غيظ جعل تغيير في حالة البلاط وابعد عنه كثيرين من العقلاء المهذبين وخسارة الحسبا الشخصي . وفي شباط

(فغرية) من سنة ١٨٦٧ وُجهت نظارة الخارجية الى المرحوم فواد باشا والصدارة الى المرحوم عالي باشا وصار حضرة محمد رشدي باشا ناظرًا للحربية. وقيل انهُ ظهر في تلك الاثناء مؤامرة على نفس الحضرة الشاهانية لقتلها فكان ذلك في يد عالي باشا البارعة الة فعالة لتفييد الامور في البلاط السلطاني واتهم بهذه المؤامرة الحزب المعروف بما ترجمتهُ تركيا الفتية غيران المرحوم مصطفى فاضل باشا وقومهُ الذين هم منها انكروا هذه التهمة بغيظ بواسطة الجرائد حتى اصبحوا ابريا عند الراي العام. وانفاذًا لقرار جمعية باريز خرجت الجنود الشاهانية من قلعة بلغراد في الصرب وذلك في اذار (مارس) وفي نيسان (افريل) جاء اميرها البرنس ميكائيل الاستانة العلية ليشكر الحضرة الشاهانية على ذلك بالمثول لديها. فمرض في اثناء ذلك محمد علي باشا فوجهت نظارة البحرية الى حقي باشا. وفي هذه السنة ظهرت اثار المواصلات الجيدة الاولى التي جرت بين مصر والبلاط السلطاني فان الحضرة الاسماعيلية السنية صارت خديوي مصر. وفي الصيف سارت الحضرة الشاهانية ومعها حضرة صاحب النجابة مراد افندي وابنها البكر حضرة صاحب النجابة يوسف عز الدين افندي والمرحوم فواد باشا قاصدة انكلترا وفرنسا راكبين البارجة فيضي جهاد التي سميت سلطانية. ولا يلزم ان نقرر تفاصيل هذه السياحة وكفانا ان نقول ان تكرار ظهور غيظ الحضرة الشاهانية وغضبها اشغل بال المرحوم فواد باشا واضعف عزم قلبهِ واقلقهُ خوفًا من ان يبدو من حضرتها ما لا يوافق احوال الغرب. فحملهُ حب الوطن والمحافظة على الاعتبار بان يشدد الملاحظة والضبط عليها حتى اغاظها غيظًا جعلها تثبت على التكدر معهُ فبدا تعكر خاطرها منذ ساعة رجوعهم الى الاستانة العلية بعد ان كان من اقرب الوزراء اليها واشدهم

اعتبارًا عندها. وعادوا مارين بطريق فارنا وعند رجوع الجناب السلطاني الى الاستانة وجد ان الجناب الخديوي قد وافاهُ اليها قائمة جاء راسًا من طولون ليشكرهُ على تلك النخ. وبعد رجوع الحضرة الشاهانية الى الاستانة بمدة قصيرة بعثت المرحوم فواد باشا الى يالطة ليسلم على حضرة امبراطور روسيا والمرحوم عالي باشا الى اكريت ليخمد الثورة التي كانت لا تزال جارية فيها فافرغ جهده وحذقهُ السياسي في سبيل القيام بامور يتيوونشر نظامًا جديدًا ليكون نظام حكومة اكريت وعين حاكمين من النصارى وهم اروسيد بك وساواس بك. غير ان روسيا كانت معتنية بامر الثورة وفاتحة كنها واليونان توهموا بان روسيا كانت ترقي اسباب صوالحهم فسلموا انفسهم الى انفاذ المقاصد الروسية فساروا الة عميا ابغض روسيا الاعمى للدولة العلية فكانت تقوم بما يزيد شبوب الثورة وتوزع المال الروسي والسلاح والزاد الروسي على العصاة. اما اجراءات سنة ١٨٦٧ المالية فحصرت في استقراض الدولة مبلغًا من السوستيه جنرال البارزية وصار هذا القرض بعد ذلك ببضعة اشهر عند انشا الكردي جنرال اوتومان قرض البون دي تروزور الذي عقد سنة ١٨٦٨ وقدره نحو مائة وخمسين مليون فرنك. وعند رجوع السلطان من اوربا جرت المفاوضة بشان انشا الطرق الحديدية الروملية واقام وكلا محل فان درالست البلجيكي بالمخابرات المتعلقة بذلك. وفي هذا اليوم فتحت المدرسة في غلطه سراي وكان موسيو بوره الواسطة الاولى التي جاءت بانشائها. وفي السنة التابعة اي ١٨٦٨ تمكن ذلك السفير الشديد الاقدام من ان يحمل الباب العالي على انشاء المجلس الشورى ونجح بتعيين عدد ليس بقليل من الارمن الكاثوليك في عضوية ذلك المجلس واخرج مدحت باشا من الاعمال النافعة التي كان قد شرع فيها في تونا وتحقق

وصار رئيساً وفيها زار لوردستاكنوتدرا والبرنس نابوليون الفرنسوي الحضرة الشاهانية اما الحضرة الخديوية فبعد ان اقامت برهة قصيرة في قصر مبركون ذهبت الى بروسا للاستحمام ووجهت رتبة الوزارة السامية مع المشيرية الى حضرة صاحب الدولة محمد توفيق باشا ولي عهدها . ولم يكن المنصب الذي وجه الى حضرة مدحت باشا موافقاً له فخلفه فيه حضرة محمود نديم باشا وعند وفاة المرحوم حقي باشا صار ناظر البحرية ووجهت نظارة المالية الى رشدي باشا شرواني زاده العالم الذي ظهرت اهليته في حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية . ووجهت مشيرية الضابطة الى حضرة حسين باشا والي ولاية يانينا . فدخل اولئك الوزرا ميدان السياسة المركزية عند خروج اشهر رجال السياسة العثمانيين منها . والتزم فواد باشا مراعاة لصحته بان يتخلى عن نظارة الخارجية في اب (ارغسطوس) ثم صار مع اطبائه الى ايطاليا وخلفه فيها صفوت باشا مع توجيه مستشاريتها الى خليل بك وهو الان خليل شريف باشا . فلما مات اغاتون افندي ناظر النافعة في باريز خلفه فيها داود باشا متصرف لبنان السابق ونجال توجيهها اليه ارسل الى باريز يخابر الخواجات هرش وشركائهم بشان انشاء الطرق الرملية الحديدية . وفي اثناء ذلك امست الثورة الاكريتية ثورة اهلية في الظاهر وبالحقيقة حملة يونانية على البلاد العثمانية اهاجتها اليها الدولة الروسية ففرغ صبر الباب العالي فارسلت البوارج العثمانية المدرعة لحصر السواحل اليونانية تحت امرة هو بارت باشا ولصد مسير المراكب التي كانت تذهب من البلاد اليونانية الى اكريت حاملة زاداً واسلحة ورجالاً وبعث الباب العالي بتحريرات نهائية الى الحكومة اليونانية واخرج سفيره منها . فلما وقعت الحكومة المشار اليها في ذلك نظرت الى روسيا طالبة مساعدتها فوجدت انها فقد تركتها وشانها وبعد مخابرات سياسية اقلعت عن غاياتها الناشئة عن الطمع وشربت كاس الفشل بكدر وحكمة ووعدت الجمعية الدولية التي عقدت في باريز سنة ١٨٦٩ بان تقلع عن التعدي وتسلك سبل السلام والمحافظة على الحيادة التامة بالنظر الى الثورة الاكريتية . وكان ذلك سبب نهايتها فسلم المتطوعون الاخرون فعادت الدولة العلية الى مخابراتها السياسية مع اليونان . اما الصلات التي كانت جارية بين الباب العالي ومصر سنة ١٨٦٩ فلم تكن خالية من الكدر وعدم الاركان . فاجراآت اوربي الناشئة عن الفخ والجهل في السنة السابقة جعلت الجناب الخديوي بتكدر من اخيه مصطفى باشا ومن عمه حليم باشا الذي خرج من مصر واقام في الاستانة العلية . واشغلت افكار عالي باشا بالتجهيزات المصرية البرية والبحرية فكتب بشانها وفي النهاية ضمت البوارج المصرية المدرعة الى البوارج العثمانية وفيها حدثت تغييرات كثيرة مهمة . فان فواد باشا توفي في نيس واُتي بجثته الى الاستانة العلية فدفنت بالاحتفال اللائق بامر صديقه عالي باشا فوجهت اليه نظارة الخارجية ضماً الى الصدارة العظمى . وظهر في تلك الاثنا كوكب جديد في المالية وهو صادق باشا فخلف فيها شرواني زاده الذي وجهت اليه نظارة الداخلية . ونشر صادق باشا تقريراً مالياً مهماً . وعقد قرضاً قدره ٢٠ مليون ليرا مع الكونتوار اسكونت الباريزي واجهد نفسه في تنظيم احوال النظارة المالية واصدر اوراقاً مالية عوضاً عن استقراض قروض موقتة لسد احتياجات الخزينة الموقتة . وقد اصاب بذلك غير انه لم ينجح به لانه تعلق بامر ذي قاعدة غير صحيحة لم يفز بنجاح بسبب انتشاب الحرب بين فرنسا والمانيا في السنة التابعة . وفي صيف السنة المذكورة زار كثيرون من اعيان

الملكية الاستانة العلية فاتصلت فيها الاحتفالات والولائم ومنهم البرنس ديغال ولي عهد ملكة الانكليز وزوجته ثم الامبراطورة اوجينا زوجة الامبراطور نابوليون الثالث ثم ولي عهد ملك ايطاليا وهولاندا وبروسيا وبعدهم جاء امبراطور النمسا . وفي اثناء ذلك ابرم داود باشا عقد الاتفاق لانشا الطرق الرومالية الحديدية مع البارون دي هرش

وسنة ١٨٧٠ وقع اختلاف بين البطريركية القسطنطينية الارثوذكسية والاكسرخوسية البلغارية وانشقت الطائفة الارمنية الكاثوليكية الى حزبين بالمسئلة الحسونية . وظهر في حدود ثساليا لصوص من بقايا الذين كانوا يحاربون في اكريت وفازوا بالتخلص من الحراس العثمانيين واليونانيين وجاءوا بالتعدي المنسوب الى اوروبوس بقتل السياح الانكليز فكدر الدولتين المشار اليهما وغيظ العالم حملها على ان يجهدا نفسهما في سبيل قطع تعدياتهم . وفي صباح يوم الاحد في ٥ حزيران (جون) سقطت نار من يد غسالة على سلم بيتها الخشبي في التقسيم وقبل غياب الشمس بات نصف بك اوغلي (بيرا) رماداً وتفرق اهلها المنكودو الحظ في قرى البوسفور . وتبعت ضيقات مالية فتح حرب فرنسا والمانيا فان تدبيرات صادق باشا الجديدة ذهبت سدى فوجهت اليه ولاية ازمير وترك لخلفه مصطفى فاضل باشا خزينة فارغة وديوناً كثيرة قد حلت آجالها بدون ان يكون في يده ما يقوم بسد احتياجاتها . وجاءت الحضرة الخديوية فيها الى قصرها في ميركون في الاستانة غير ان الصلات التي كانت جارية بينها وبين الباب العالي لم تكن كالسابقة فخرج منها بسرعة لكذب اشاعات كاذبة صدرت عن فوز مصطفى باشا وحليم باشا بالتفات من لدن الحضرة الشاهانية . وفي الخريف منها شرع الباب العالي في حملة عسير في بلاد العرب حال كونها كثيرة المصاريف قليلة النفع وكان المقصود منها اخضاع قبيلة العسير وقبائل تجد في الجهة الاخرى من البلاد العربية

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) تخلصت روسيا من معاهدة باريس وتقرر رفضها بخسارة للبغز داشتعالنة بتحديد اعمالها في البحر الاسود في جمعية دولية عقدت في لوندرا

وفي اوائل سنة ١٨٧١ اخلف المرحوم رشدي باشا شرواني زاده المرحوم مصطفى فاضل باشا في المالية وبالحال جرت مخابرات بين المالية والكردي جنرال اوتومان بعقد قرض قدره خمسة ملايين وثلاثة ارباع مليون ليرا بضمانة رصيد مال مصر وعند نهاية حرب فرنسا والمانيا تم ذلك القرض . وفي اثناء ذلك كان احمد مختار باشا المشهور ببطل مضيق دوغا ينتصر بسهولة في اليمن وجعلها ولاية من السلطنة السنية وفيها جاء الاستانة العلية المونسنيور فرانكي بمامورية من حضرة البابا لتسوية المشاكل الناشئة عن البولا فرسوروس غير ان الصدر الاعظم مرض قبل نهاية المخابرات وذهبت تلك المامورية سدى . وعند ظهور نور السلام في اوربا توفي عمر باشا البطل القديم المجرب . غير ان الممالك المحروسة امست تترقب وقوع خسارة اعظم لان عالي باشا اخذ في ان يضعف بفعل مرض مضعف هذا مع انه لم تجاوز سن الست وخمسين سنة ففي ١١ ايلول (سبتمبر) بات من الموتى . وبعد موته ببرهة قصيرة جداً مات رجل مشهور اخر من الذين تبعوا آثار رشيد باشا بالسياسة وهو محمد قبرصلي باشا فانه مات بعد وفاة المرحوم عالي باشا بيومين . وكان موت عالي باشا بداية احوال جديدة فانه تمكن في حياته من ان يهمل حدًّا لخصوصيات الحضرة الشاهانية . وكانت الظواهر سالمة من العيب مع انه كانت تصدر اخبار من البلاط تبين الحالة الحقيقية وكان الباب العالي يسوس والسلطان يملك . فمن موت عالي باشا الى خلع المرحوم السلطان عبد العزيز

امست الامور في ميدان من الاضطراب والارتباك والظاهران محمود نديم باشا خلف عالي باشا لم يجعل حدوداً لاجرات الحضرة الشاهانية ولكنهُ حرضهُ على جعل زمام الاحكام في يده . وحوادث السنين الخمس التابعة حديثة فلا يلزم ان تذكر بالتفصيل ومن المعلوم انهُ لم تكن حكومة في البلاد منذ ظهور الاحوال التابعة لوفاة المرحوم عالي باشا وفي اقل من خمس سنين غيرت الحضرة الشاهانية الصدارة ٨ مرات . وكان البلاط يطلب مالاً بدون انقطاع وفي ٣ سنين اي سنة ١٨٧٢ وسنة ١٨٧٣ وسنة ١٨٧٤ اضيف الى دين الدولة نحو ٨٠ مليون ليرا مع نحو ١٥ مليوناً الى الدين الجاري . فمن هذه المبالغ العظيمة لم يصرف درهم في سبل امور نافعة واخذ من البلاد كل اسباب الدخل وجمعت الاموال الاميرية بالقوة وبليت الولايات في اسيا بالجوع وفي ولايات اوربا اخذت بذور العصيان التي زرعت بنشاط بيد اقوام اجانب في ان تنبت ولم يكن سبيل الى التخلص من تلك الاحوال فان الباب العالي بات بدون اقتدار فان الحضرة الشاهانية وحضرة والدة سلطانة مع قليلين من الاعوان وعضد سنارة لا يلزم ان نسميها طرحوا المهام العمومية في ارتباك وشرعوا في جمع الثروة اينما تمكنوا من الوصول اليها . فهذه الحال امتدت الى الباب العالي لان الوكلاء المختار وهم سند البلاد الوحيد اخذوا في ان يتزاحموا طلباً للمناصب فوقع كل محب لوطنه من العثمانيين في باس وظهران السبيل كان سبيل خراب هذا حال كون احدى الدول كانت تستر اجراآتها المقررة بستار اتحاد الامبراطوريات الثلث وهي تحاول تقريب زمان الويل وطرح الدولة في حرب دينية . ولا ريب في ان تلك الدولة كانت تكاد تتصل الى فوز عظيم الى ٣٠ من شهر ايار (مايس) صباحاً والانواء تهب والامطار تهطل عند ما قال الاها لي للسلطان عبد العزيز بجلال وسكينة ان سلطانة قد سلب منهُ وخربت الآلة العظيمة التي اقام بها في ١٥ سنة بما يسمى عندهُ سياسة . اما باقي الخبر فيظهر في اخبار الثورة

لغز

(من قلم الخواجا ديمتري خلاط)

ياسائراً في سبيل العلم والادب
وحائزاً في المعالي غاية الرتب
اني لدى شخصك السامي النهى اتف
حتى تميط النقاب عن الفتى العربي
الماوي من عجز في وهدة الحرب
والمضحي من سقم يشكو اسى الحرب
يشكو سهام الذي ابدى لهُ زعلاً
ويأن من فاتن الالباب بالطرب
ذاك الذي يطرب الولهان في نغم
وينعش العاشق المسقوم من طب
اعضاؤهُ اربعٌ تحلو لناظرها
اذ ان ثانيهُ يبدو اخا الذنب
ان رمت اولهُ تلقاه ياصاح في
يبروت ام حلب شعبان امر رجب
او ثالثاً فهو المذكور فيما مضى
يماثل الراس في لفظ وفي لقب
شطرهُ نصفين بل ان رمتهُ اربا
حرفين تلقى فقط ياطالب الادب
في قلب نصف ترى من اعجب العجب
شيئاً فضيلاً غدا اغلى من الذهب
هاتم نظام الذي حجب الضيا علناً
عني فبت اسير الحزن والكرب
ياحا لنا بجلى التحليل والحلم

ارحم وحل فتى من حلمك الرحب

حل لغز مكرملتلو الشيخ صالح افندي المذير بالجزء الثامن في جنان سنة ١٨٧٦

(من قلم مصباح افندي رمضان)

يا صالحاً للفضل قد حاجيتنا
بهل وقد جاز بان تقول ال
تاتي على الفعل لاستفهام ما
يجري مثال ل ذاك زيد أل فعل

اعلان

لجانب رياسة محكمة تجارة بيروت الموقرة

المعروض انه بحسب الاستدعا المتقدم منا بعاريخه لجانب المتصرفية البهية نلتمس من رياسة المحكمة الموقرة ان تبلغ ملخص اعراضنا المرقوم الى الخواجات بنيامين واكليان طراد بواسطة جريدة الجنة في بيروت وجريدة الجوائب في الاستانة كما ياتي اننا نحن الواضعين اسمايناً بذيله قصاطلي ودباس التجار من تبعة الدولة العلية المتوطنين في بيروت حيث بيدنا كمبيالية بمبلغ اربعماية ليرا فرنساوي مسحوبة من محل الخواجات اخوان طراد وشركاهم بالاسكندرية بتاريخ ٢٢ اب غ سنة ١٨٦٢ على الخواجات يوسف وفضل الله فياض في بيروت التي لسبب عدم قبولها ودفعها بالاستحقاق قد جرى عليها البروتسطو القانوني بنفس محكمة تجارة بيروت والخواجات طراد اخوان وشركاهم بالاسكندرية وجد محلهم التجاري مغلوقاً ومديريو المحل وعهدته الخواجات بنيامين واكليان طراد ما وجدا في محل سكنهما الموقت اذ ذاك بالاسكندرية ولا بوطنهما الاصلي في بيروت فالان يكلفان الخواجات المذكورين بدفع قيمة الكمبيالة المرقومة مع الفائظ والمصاريف ويحفظا حق مطالبتها بكل ما توجبه اليها احكام قوانين السلطنة السنية وحيث قد عرف بالتواتران الخواجات طراد المذكورين موجودين في جهات تونس او طرابلس الغرب فيطالبون تبليغ الكيفية اليهما بواسطة محكمة التجارة في بيروت بنشر هذا الملخص في الجريدة تين المشار اليهما وعلى كل الامر لمن له الامر افندم

بنده
قصاطلي ودباس
وشركاهم

نومرو ٩٢٠

نسخة صحيحة طبق الاصل الموجود بمحكمة تجارة بيروت ارسلت الى ادارة جريدة الجنة لاجل نشرها بالجريدة المذكورة بناء على طلب مقدميه الخواجات قصاطلي ودباس وشركاهم المذكورين في ١٩ جمادي الاخر سنة ٩٢ و٢٨ حزيران سنة ٩٢

اسكندر	سعيد حمادي
باش كاتب محكمة	رئيس محكمة
تجارة بيروت	تجارة بيروت

اليزيد في كردستان

(ان هذه الجملة من قلم جناب الاديب العارف عبد الرحمن افندي بدران وكان قائمقاماً في البلاد اليزيدية ولذلك لا بد من ان يكون قد وقف بنفسه على ما قد قرره في هذه الجملة)

ان طائفة اليزيد او اليزيدية نسبة الى امامها من جملة اهالي كردستان المطلق عليه مجدداً بامر رسمي ولاية ديار بكر وقلما يوجد ولاية في الممالك المحروسة العثمانية كهذه الولاية لاختلاف اجناسها وملهاقان من سكانها العرب

والروم والترك والارمن والكرد والظاظا والايشان ومنهم المسلمون والروم والروم الكاثوليك والبروتستانت والارمن والارمن كاثوليك والسريان والسريان كاثوليك والكلدان والقزلباش وهم نوع من النصيرية واليزيد وهم موضوع هذه الرسالة

اليزيد اقامتهم في سنجاقي ماردين وسعرد الملحقين بالولاية المذكورة وعدد نفوسهم لا ينقص عن الخمسة الاف غير انهم ذوو شهرة عظيمة في الشجاعة وشدة الباس ووحدة الراي التي لا يماثلهم بها مماثل ولا يهاجمهم حذرًا منها مهاجم ولا مقاتل مع كثرة الاعدا لهم وقلة عددهم وكم وكم شوهد لهم من الجسارة والشجاعة ما يقف دونها غيرهم ومن المؤكد ان الشرذمة القليلة منهم تخرق هيبة صفوف الجيش العظيم وما ذلك الا بسبب وحدة الكلمة التي اشرت اليها فيما سبق ومع هذا جميعه فهم بغاية من الطاعة والانقياد الى اوامر الحكومة السنية في مطاليبها كافة الا في مسئلة القرعة العسكرية الشرعية فانهم يجتهدون غاية الاجتهاد في التباعد عنها وذلك لسبب واحد لا اكثر وهو من المعلوم ان العساكر العثمانية مسلمون ولابد من اداء الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة وفي كل صلوة لا غنى عن التعوذ بالرحمن من الشيطان وشره فهذا بلا شك يصعب على اليزيدي سماعه بل يحرم عليه فكيف يتلفظ به مع كون من واجباتهم اذا احد قال شيطان يجب على اليزيدي ضربه واذاه بالحال هذا ان مكنته الفرص والا يحاربه باخذ شيء منه مقابلة لذلك التفوه ويعتبرونه جزاء له

ولا يخفى ان بعض الملل يخفون مذهبهم ويتظاهرون بالمذهب الاسلامي كالنصيرية وغيرهم الا هذه الملة فانها تفتخر باليزيدية وتعتقد بانهم ناجون وغيرهم هالك الى الابد

الاسماء الذين يسمون بها هي الاسما الخاص اكثرها بالمسلمين وهذا هو السبب الوحيد لاخذ العسكرية منهم فقط لا يبقون الاسما كما هي عند المسلمين بل يحرفونها بتغيير وتنقيص بعض حروفها وحركاتها وسكناتها فان اسم حسن يحرفونه الى حسو ومصطفى مستو وعمر عمو وعثمان اوصو ورمضان رمو وسليمان سيلو وابرهيم ايبو وهلم جرًا

واما جنسيتهم فكردية ولسانهم لسان الاكراد ولا يعرفون لغة غيرها وعوائدهم واحدة في الافراح والاتراح والمأكل والمشارب والملابس الا القليل كما سابينه غير ان اليزيد اقل نظافة من الاكراد والاحرى ان يقال اكثر وساخة

ماكولهم شنين اللبن والبرغل وخبز الذرة والشعير والبيض والسمن ولحم الضان قليلاً كابناء جنسهم الاكراد ولا يعرفون السردين ولا السمورة ولا باقي المكابيس من لحوم وفواكه ولا مقدد السمك واللحم ولا غير ذلك من الماكولات الخارجية

ثم ان من الاكراد هناك ثلث ملل مسلمون وارمن ويزيد فالمسلمون لا يشربون المسكرات مطلقًا والارمن يشربون العرق والنبيذ واليزيد يشربون العرق فقط وعندهم شرب العرق واجب كما سياتي

واما المسكرات الافرنجية كالبوردو والتونياق والكراسو وشنبانية والمشروبات الاخرى التي تساوي زجاجتها من الاربعة فرنكات الى العشرين فرنكًا فهذه لا توجد عندهم وان وجدت فلا ياخذونها

ملبوساتهم غالبها نساجتهم ومفرداتها قميص قطن ابيض منسوج جدًا ذو ردنين طويلين متور طرفي قبه عند الطوق واسفل الجيب رسم نصف دائرة وهي العلامة الفارقة بين اليزيدي وغيره من مسلم ومسيحي وسراويل من القماش ذاته اي قماش القطن الابيض وثوب بقماطين من الخارج ومن الداخل المصطلح على اسمه قنباز طوله وطول ردنيه سواء لحد الركبة

ولا يا لفون في الاكثر الا لوني الابيض والاسود الثاني للشتاء والاول للصيف وعباة ايضاً يساوي طولها طول ردنيها لفوق الساق نساجة مدينة اورفة التابعة لولاية حلب ولبدة تلبس في الراس صناعة مدينة آمد يلفون عليها شالاً كبيرًا من منسوجات المدينة المذكورة وبارجلهم يلبسون حذاء من جلد الغنم المدبوغ اخضر صناعتهم واما العلامة الفارقة بين نسائهم ونساء باقي الاكراد فهي اللون الابيض في السراويل فان النساء من الاكراد المسلمات والمسيحيات يلبسن السراويل الاحمر تحت اثوابهن

وبناء على ما ذكر من حالة البداوة المولفين عليها في المآكل والمشرب وفي الالبسة ايضاً فهم غير محتاجين الى شراء الخمل والموريه والقناووز والاطلس والالبسة الحريرية الرفيعة ولا الى لبس الالبسة الكتان البيضاء التي يلزم لها مبالغ سنويًا للغسالات والكوايات ومن توحشهم ايضاً وعدم اكتراثهم بالطرز الجدد دائمًا المطلق عليه الموضة لايشترون البنطرون الخشب الافرنجي المذهب راسة بليرة ولا محرمة الكتان العال بنصف ليرة ولا رباط الرقبة الاطلس اللطيف بربع ليرة

فانظر ايها المنصف وتامل بهذا الحصن المنيع من هجوم الخراب على تلك البلاد والوسائط لنمو عمرانها آتاً بعد ان فانهم بغنى كلي عن المصنوعات الاجنبية وليسوا محتاجين الا لبعض معادن من الخارج كالحديد والقزدير ليستعينوا بهما على تتميم لوازمهم الضرورية ومع ذلك الخارج من بلادهم من المحصولات اضعاف اضعافه

فاين هذا من تمدننا السائق بنا الى الخراب وها قد صرنا بحالة يرثى لها وهل يقال ان حالة بلادنا بل بلدتنا هذه خصوصاً كحالتها في السابق لا ومع ذلك كله نحن على ما نحن عليه من عدم التبصر بالعواقب في امورنا كلها ليت شعري هل ترك شباننا اشتراء زجاجة اليوماضة باربعة فرنكات وزجاجة الخضيرة بخمسة فرنكات وزجاجة الالف زهرة بعشرة فرنكات لا فهم هم الى الان ويا للعجب هل تركوا المصاريف الهوائية المعتادين على دفعها ليليًا في الغازينات المضرة صحة وشرفًا لا فهي في لعمرك كيف تتقلب بنا الاحوال بعد مدة اذا بقينا على هذا المنوال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبما ان التطويل بهذا الصدد ينافي الموضوع فلنرجع الى ما كنا بصدده

ان الطائفة المذكورة ليس لها مهنة الا تربية الغنم والماعز والبقر والجاموس والانتفاع بلبنها وصوف بعضها ويعتنون بتربية الكدش والحمير ولهذا تجد البغال كثيرة عندهم بخلاف الابل والخيل العربية فان وجودها نادر

ومزروعاتهم الحنطة والشعير والذرة والحمص والعدس والكرسنة والخروع والقطن ولا يعتنون بغرس الاشجار

واما محصولاتهم فهي المزروعات المذكورة والعفص والسمن والجبن والصوف وجلد الصفار وهو نوع من السمور وجلد الثعلب

ولهم هوس بصيد الوعل والارنب والثعلب بواسطة الكلب السلوقي . ولا يكون ذلك الا بوقت الشتاء

واما مذهبهم الديني فهو اليزيدي يعبدون الشيطان ويسمونه طاووس ملك بفتح اللام ولا يوجد عندهم كيفيات للعبادة كباقي الملل كالصلوة والصيام وغيرها ولا يوجد لهم معابد ايضاً يجتمعون بها بوقت ما لاداء واجب بل يقتصرون على الافعال الاتي بيانها وهي ان رياسة جميع افراد هذه الملة منحصرة في عائلة من مذهبهم مقرها في القرب من مدينة الموصل الشهيرة والارشد بهذه العائلة هو المرشد في دينهم

ومايستحسنهُ يصير فرضاً واجباً على كل فرد من افراد ملتهِ بلا معارض ولا منازع وتبليغهُ يحصل بواسطة احد جنوده الجندة حواليهِ

ونظراً للسلطة المطلقة المعطاة لذلك المرشد من طائفتهِ يوجر القنصوات المتكونة من ابناء ملتهِ في كل سنة بمبالغ معلومة لخواصهِ و يرسل كلاً منهم الى قضاء مصحوباً بصورة طاووس من نحاس اصفر فوق قاعدة من نحاس ايضاً شبيهة بقاعدة الشمعدان

واما كيفية دخول المرسلين القرى فانهُ عند ما يقرب الرسول منهم من اول قرية من قرى القضا المعين لهُ يخرج الصورة المذكورة ويضعها امامهُ على دابتهِ ويرسل مبشراً بقدومهِ ليزيدي القرية فيخرجون بالحال رجالاً ونساء واولاداً وياخذون معهم جرة او جرتين من عرق العنب استخراجهم وحالما يشاهدونهُ يهرولون الى تلك الصورة بخضوع تام منكسين رووسهم علامة السجود اليها الى ان يقربوا منها فيقبلونها مراراً وبعد ذلك يسلمون على المرسل المرقوم ويبادرون بتقديمهم لهُ طاساً من العرق الذي احضروهُ معهم من القرية ويشربون ايضاً ويكررون ذلك الى ان تلعب الخمرة في رووسهم . فيتقدمهم المرسل ومعهُ الصورة المذكورة منشداً لهم في اللغة الكردية اقوالاً تقرب من المصطلح عليهِ في جبل لبنان المسمى معنى الى ان يصلوا الى القرية فحينئذٍ ينزلون المرسل في المحل المعد لنزولهِ بعد فرشهِ من البسط الملونة الكردية ما يليق بهِ ويقعدونهُ بصدر المحل لابساً عمامة سوداء وباقي ملابسهِ اقرب الى السواد من البياض فحال جلوسهِ يضع صورة الطاووس امامهُ ويستقبل الزوار من يزيدي القرية

فيدخل الشخص منهم رجلاً كان او امراة محنياً راسهُ علامة الخضوع مقبلاً الارض اشارة السجود مكرراً ذلك الى ان يصل الى تلك الصورة فيجلس على ركبتيهِ واضعاً يديهِ على قلبهِ تادباً مقرباً وجههُ الى تلك الصورة جاساً اليها بعينهِ وبعد لثمها يامرهُ المرسل بالقعود فيجلس حيث امره وباقي الاخر يفعل كفعلهِ حتى لا يبقى احد من اليزيد في تلك القرية فياتون اذاً بخوابي العرق والطاسات ويضعونها في وسط المحل المذكور ويحيون تلك الليلة بغنا وشرب عرق الى ان يذهب الليل ويقرب طلوع الشمس فتتفرق الجمعية الى وقت الغروب ثم يراجعون العمل كما ذكر الى ان يجمع منهم المفروض دفعه عليهم فيرحل الى القرية الثانية ويجري بها كالاولى حتى يطوف جميع القرى

فهذه كيفية العبادة عندهم وهي غنا وشرب خمر الى حالة السكر وسجود الى صورة الطاووس اعاذنا الله من ذلك

ثم انهم يعتقدون ان حضرة الباري تعالى جل وتقدس عند خلقهِ لادم واصدار امره الالهي للملائكة بالسجود لادم واطاعتهم لهُ وامتناع ابليس عن السجود المسمى عندهم طاووس غضب الحق جل وعلا على ابليس وكان غضبهُ وقتياً وانهُ تعالى سامح عنهُ فيما بعد ويستدلون على ذلك بقياس اخترعوهُ لهم وهو انهُ اذا كان لاحد الامراء خادم ناصح في خدمتهِ مجرب الاطوار من سنين عديدة مطيع لاوامر سيده غير مسبوق منهُ مخالفة بوقت ما وصدرت منهُ غلطة واحدة في عمره كله فهل يضرب صفحاً عن جميع محسناتهِ ويستحق الطرد الابدي بسبب غلطة واحدة فان هذا لا يكون ابداً ولاجل ذلك هو اول مقرب عند الله تعالى

ومن اشد المحرمات عندهم تعليم فني القراة والكتابة الا للعائلة المختصة بالرياسة السابق ذكرها بحيث ان الحل والحرام ما هو الا بالنسبة لعامتهم واما العائلة المذكورة فهي مطلقة التصرف ارادتها

بيدها تفعل ما تشا لا يضادها مضادٌ ولا يعاندها معاند واما العامة فلا يجوز لها ان تتشبه بهم مطلقاً

ومن معتقداتهم ايضاً ان الرئيس المذكور اذا طلب احدى النسا بكراً كانت او ثيباً عزباء او متزوجة تحل له بالحال وتحرم على غيره ولو كان بعلها من كبارهم

ومن جملة تصرفه المطلق بنفوسهم ومالهم واعيالهم بيعه خرقاً مقطعة من اللون الاسود للمقدمين في ملته بمبالغ كلية التي بواسطتها يحللون الزنا باي امراة كانت من نساء اليزيد وتفصيل ذلك هو ان صاحب الخرقة المذكورة اذا دخل بيت اي رجل كان من ابناء جنسه وملته واشتهى زوجته او احدى محارمه فبحال القاء الخرقة عليها تحرم من الدين اذا ابدت اول حركة تشعر بالامتناع عما يريد فعله ذلك الملقي بل تصير له زوجة وقنية ما دامت الخرقة فوقها وبعد رفع الخرقة عنها تحرم عليه ما لم يضع الخرقة ثانية وليس للخرقة المذكورة وقت معلوم تنتهي خاصيتها به بل ما دام صاحبها المذكور بقيد الحياة والخرقة موجودة فالخاصية موجودة

وكما انه لا يوجد عندهم صور التعبدية المداوم على اجرائها الكتابيون من ختان وغسل وعمادة وما شابه ذلك النظافة كذلك غير مشروطة عندهم لا في اجسامهم ولا في امتعتهم

واما مقابرهم فانهم يعتنون بها غاية الاعتناء بحيث انهم يتخذون ارفع موقع واجمل منظر لاجل المقبرة و يبنون على قبورهم قبباً عالية و يغرسون بينها الاشجار وهيئة قبورهم كقبور المسلمين اي انهم يجعلونها ثلاث طبقات و يضعون بطرفيه شاهدتين والظاهر ان تحسين القبور عندهم من جملة الواجبات الدينية فالذي يظهر من هذه المفروضات والمنهيات هو ان جميع الواجبات عند الكتابيين منهي عنها والممنوعات واجبات عندهم لان التعليم خصوصاً تعليم القراة فرض عند الكتابيين وعند غيرهم ايضاً فنجده عندهم محرماً والسكر والزناء ممنوع في اكثر الشرائع فهو عندهم واجب لكن جعلوا له طريقة وهو مسئلة الخرقة ولابد لوجود اسباب اخرى يستنتجون منها وجوب الواجب ومنع المحرم مثلاً الطفل الصغير الغير عارف خيره من شره يكون اقرب للاله من المميز فالسكران كذلك بسبب فقدانه الادراك المختص بالعقلاء يكون كالطفل والطفل محبوب دائماً فالسكران محبوب دائماً

الحاصل انه لابد لكل ذي دين من مسائل واجوبة يعتبرها انها مقنعة و يتفلسف بها عند الجدال مع غير ابناء جنسه لاجل اقناعهم بها واما مفارقتها للواقع وعدم مطابقتها فهذا شيء اخر فمن ثم فهم ان اليزيد معتمدون في معتقداتهم المذكورة على قياسيات اخترعوها لانفسهم وقنعوا بها على صحة دينهم وقد ذكرت بعض القياسات التي قدرت على استنتاجها عند مذاكرتي لهم

فهذا ما شاهدته من احوالهم في مدة وجودي بينهم وطلب شرحه مني من لا تسعني مخالفته هداهم الله تعالى الى الصراط المستقيم والمذهب القويم من هذا المسلك العقيم والاعتقاد السقيم و بلا شك ان الجهل وعدم المعرفة يسوق صاحبه لمثل هذه الصفة فحسبنا الله ونعم الوكيل من كل خطب جليل واساله التوفيق على الدوام ورضاه مع حسن الختام

تاريخ فرنسا

الانكليزي تحرير امبهماً ذا فحة وفيوانة وردا الى انكلترا مرات كثيرة طلب عقد الصلح غير انها لم تكن تصدق ان الطلب صادر من القلب وطلبت باصرار ان يشترك كل خلفاء انكلترا في المخابرة بشان عقد

الصلح حتى عصاة اسبانيا . وان انكلترا لا تقدر ان تجيب على تحرير الامبراطورين لان احدهما لم تعترف بهِ انكلترا . ومع ان هذا الجواب مهيج للغيظ لم يظهر نابوليون غيظاً ولا عتاباً على الطعن بهِ وعدم تصديقهِ ولكنهُ اجاب بلطف ورقة انهُ كان راغباً جداً في عقد الصلح فارتضى بدون تردد بان يجعل جميع حلفا انكلترا شركا في المفاوضة خلا عصاة اسبانيا . فلما ورد هذا التحرير الى انكلترا اجابت حالاً بانهُ لا سبيل الى عقد صلح مع دولتين احداهما تجحد حق الملوك بالملك وتخلعهم عن ملكهم والاخرى ترتضي بذلك مراعاةً لصوالحها

وقد سلم الكولونل نابيار بان تحريرات وزير انكلترا الاول بهذا الشان كانت مهينة وقال انهُ من الامور الصعبة ان تعرف افكار نابوليون المتعلقة بطلب عقد الصلح حال كونهِ كان عالماً بان انكلترا لا يمكن ان تترك لهُ اسبانيا . ولذلك لا بد لهُ من ان يستعد لان يقرر اتفاقاً بهذا الشان وربما كان ذلك كلهُ حيلاً لالقاء الشقاق بين اعدائهِ . وقد قال الوزراء الانكليز ان ذلك هو الواقع . فمن هم الاعدا يا ترى الذين يقدرون ان يلقوا الشقاق بينهم . هل هم اسوج وسيسيليا والبورتوغال حال كونهم كانوا يفتخرون بذلك . فالارجح انهُ كان راغباً في عقد الصلح . وقد قال انهُ كان راغباً في عقدهِ من كل قلبهِ . والاحوال التي كانت جارية عند اجتماع الامبراطورين في ارفورث تبين انهُ كان راغباً فعلاً في عقد الصلح

وهكذا انقطع وزير انكلترا عن المخابرات وانقطع امل عقد الصلح . واخذت في بذل الذهب والمخابرات السياسية حتى اهاجت غيظ النمسا ونشطت تعصبات فلاحي اسبانيا . وقد لام الكولونل نابيه الحكومة الانكليزية لانها امتنعت عن عقد المخابرات . وقد قال انهُ يحق لنابوليون ان يمتنع عن قبول جعل عصاة اسبانيا شركا في المخابرة . فان ذلك عبارة عن ان يخلع سلاحهُ قبل ان ينتظم في الصفوف . اما عدم اقتدار انكلترا على ترك الاسبانيوليين فمما يرتاب فيهِ عدم اقتدار انكلترا على ترك اسبانيا وذلك لا يتعلق في مداومة المخابرات . ومنع ادخال وكيل سياسي من اسبانيا للمخابرة لا يمنع مفاوضة الدول بشان اسبانيا . ومخابرات وزير انكلترا لا تمس صوالح الاسبانيول واستقلالهم . غير ان سياسة ذلك الزمان لم تكن موافقة لهذه الحال فان الناس كانوا يظنون انهُ من الحكمة تدني المخابرات بسلب القاب نابوليون سلباً مضحكاً ومن الاصابة تقرير اهانات وما يدل على الدناءة في ورقة رسمية فيها كلام مهم جداً بالطعن والاهانات الحقيرة التي تظهر كبريا كاتبها ولمس رزانة رجال سياسة . ويظن ان امل وزير انكلترا ببلوغ مناهُ بواسطة مؤامرة مضحكة تعلقت بها البرنسيس دي تور وتاكسس مع تاليراند وغيرهم من الذين كانوا مستعدين لان يسلموا نابوليون الى اعدائهِ انما هو السبب الذي حملهُ على قطع المخابرات . انتهى

وقال نابوليون لاوماروا فليقل وزراؤكم الانكليز ما يشاهدون فانني عالم انني كنت مستعداً لان اعقد الصلح في كل حين . وعند موت فوكس كان قد اشتد الامل بتقرير صلح ولو اخلص اللورد لوذردل نيته في بادي الامر لتقرر الصلح بيننا . وقبل حرب بروسيا ابنت لهُ بان الاوفق ان يحمي ابناء وطنهِ لانني سأستولي على بروسيا في شهرين وانهُ اذا كان البروسيانيون والروسيون معاً يقدرون ان يغلبونني وان بروسيا لا تقدر على ذلك

فان الروسيين يبعدون عني مسافة ثلثة اشهر وكنت قد عرفت ان البروسيانيين كانوا مصممين على ان يدافعوا عن برلين عوضاً عن ان يرجعوا الى

الوراء للحصول على اسعاف الروسيين وهذا يمكنني من ان ابدد شمل جيشهم وافتح برلين قبل وصول الروسيين . وبعد كسر البروسيانيين يسهل عليَّ الانتصار على الروسيين وحدهم بعد ذلك ولذلك اشرت عليه بان يستغنم فرصة عرضي السلام قبل غلب بروسيا التي كانت صديقتكم في اواسط اوربا واظن ان اللورد لودردل اخلص باطنة بعد هذه الكتابة وكتب الى وزرائكم مشيرًا بالسلام . غير انهم لم يقبلوا بوظانين ان ملك بروسيا قد جمع مائة الف رجل فينتصر عليَّ وهذا ياتي بخرابي . وهذا من الممكن فانه كثيرًا ما تكون معركة واحدة علة تقرير امور كثيرة وقلب امور . وكثيرًا مايكون النصر والكسر ناشئًا عن شيء قليل . غير ان الحوادث بينت اصابة رايي فان معركة جينا مكنتني من الاستيلاء على بروسيا وبعد معركة تلست وفي ارفورث ارسل الى وزرائكم تحرير من امضاهي وامضاء الامبراطور اسكندر الروسي فيه طلب عقد الصلح غير انهم لم يقبلوا به . انتهى

وقد قال نابيار ان قاعدة حكومته الصحيحة شهرتها جملتها امبراطور الاهالي بوليس بامبراطور الامرا ولذلك سماه مستربت ابن العامة والمدافع عنها وهذا صحيح كما ان مستربت وخلفاءه كانوا اولاد الامراء والحامين عنهم . وكذلك اهل الامتياز من الاوربيين جعلوا بغضهم للثورة الفرنساوية بغضًا له لانهم راوا انه حامي قواعدها وانه وحده رقى اسباب نظام مبغوض عندهم وانه بالفعل الدولة وكان يدعو نفسه كذلك فمعاهدة تلست جعلت نابوليون في مركز نافذ بالنظر الى ملوك اوربا ولكنها اظهرت حقيقة الحرب وشددت المقاومات بينه وبين انكلترا حال كونه المدافع عن المساواة وهي المدافعة عن الامتيازات . ولا سبيل الى عقد الصلح بينهما ما داما قويين ولم يرجع امبراطور فرنسا غير حق اختيار ميدان الحرب في الاستقبال

الفصل الخامس والاربعون

وتشجعت انكلترا بالثورة الاسبانيولية وبتهديدات النمسا فضاعفت اجتهاداتها وصرفت كل جهدها في سبيل اهاجة فلاحي اسبانيا المتعصبين . وبوارجها التي لا تغلب سارت على سواحلها وسواحل البورتوغال وكانت تدخل البلاد من كل مكان موافق نقودًا واسلحة ومهمات حربية . ولما راى نابوليون انه لم ينجح في الوصول الى السلام ابان استعداده لتحكيم السلاح . وقبل ان خرج من باريز قاصدًا اسبانيا جمع المجلس النفاهي وخاطب اعضاءه قائلاً

انني سافرت في هذه السنة اكثر من ثلثة الاف ميل في داخلية امبراطوريتي وقد اثر فيَّ اشد التاثير ما رايته وهو هذه العائلة الفرنساوية العظيمة التي كانت مجرحة موخرًا بانشقاقات عظيمة وقد اصبحت الان متحدة سعيدة . وقد رايت انني لا اقدر ان اكون سعيدًا ما لم ارها سعيدة . وقد سار بعض جيشي ليلاقي الجيش الذي انزلته انكلترا في اسبانيا . ومن عناية الله وبركاته اعما الانكليز حتى انهم تركوا البحار وانزلوا اليابسة بجيش وهي العناية التي طالما صانت سلاحنا . وبعد ايام قليلة اذهب لاقود جنودي ولاكلل في مدريد بعون الله ملك اسبانيا وانشر راياتي فوق قلع لسبون (عاصمة البورتوغال) وقد اجتمعت انا وامبراطور روسيا في ارفورث وقد افرغنا جهدنا في سبيل المحافظة على السلام . حتى اننا صممنا على ان نضحي امورًا كثيرة لنجعل بركات التجارة البحرية متصلة الى المائة مليون من الانفس الكائنة تحت سياستنا وارادتنا واحدة واتحادنا متين في السلم والحرب

وقد قال نابيار في تاريخ حرب اسبانيا في ١٨ تشرين الاول (اوكتوبر) رجع نابوليون الى باريز متاكدًا بان روسيا متحدة معه غير انه لم يكن يعلم متى تهب نار عدوان النمسا بتحريضات انكلترا . على

ان مخاطره كانت عظيمة ولكن استعداداته كانت اعظم. فانه جمع جنوداً اجراراً دفعتين فالدفعة الاولى جمع جنود سنة ١٨٠٦ و١٨٠٧ و١٨٠٨ و١٨٠٩ ومجموعهم ثمانون الف جندي وجعلهم في مكان الجنود القدماء الذين كانوا قد تاهبوا للذهاب الى اسبانيا. والثانية جنود سنة ١٨١٠ ومجموعهم ايضاً ٨٠ الف رجل وجعلوا جنوداً احتياطية في منازل الجنود في فرنسا. وجمع الجنود الفرنسوية التي كان قد تركها في المانيا عند حدود النمسا واخرج جنوده من دانمرك واخرج مائة الف جندي من بروسيا وارسل نجدة عظيمة الى جيش ايطاليا وجعله تحت قيادة البرنس اوجين وعين له المرشال سينا معيناً وامر مورات الذي خلف جوزف اخا الامبراطور في مملكة نابولي بان يجمع جيشاً نابوليا على شواطي قلابريا ليتهدد سيسيليا. وبالجملة نقول ان ذلك الرجل العجيب لم يهمل شيئاً من اسباب الاحتياطات وقرر في عقله انه قبل ان تتمكن دولة النمسا من التاهب لمحاربته يقدر ان يستولي على اسبانيا ويخمد ثوراتها. ثم خرج من باريز وسار الى بايون. غير ان وزراءه لم ينقطعوا عن الاشتغال بما يأول الى خير الامة وكانت تقريراتهم وخطبهم متقنة جداً تبين ما لفرنسا من الثروة والاقتدار بحيث اسي الناس يرون ان معاداتها تاتي بسوء العواقب. وقد ظهر من تلك التقريرات ان مصاريف الدولة الفرنسوية السنوية كانت اقل من ثلاثين مليون ليرا انكليزية هذا مع فائض الدين وكانت المداخيل تقوم بها كلها. وانه قد صار التصميم على ان لا يثقل على الامة باحمال جديدة مالية وان مشروعات كثيرة نافعة كانت جارية وان التجارة الداخلية والخارجية البرية كانت على تقدم ونجاح هذا ونحو مليون من الرجال متقلدون السلاح

وعند ذلك جمع نابوليون في جبال البرنيه مائتي الف رجل من الابطال المتعودين القتال وكان قد نشر عليهم خطاباً مهيجاً وهذه ترجمته

يا ايها الجنود. بعد فوزكم على شواطي الفستولا والدانوب قطعتم المانيا بسرعة والبوم امركم بان تقطعوا فرنسا بدون ان تستريحوا يوماً واحداً. يا ايها الجنود انني في احتياج اليكم. فان حضور الثعلب القبيح يضر باسبانيا والبرتوغال فلا بد من ان يفر امامكم خائفاً. فلنحمل راياتنا المنتصرة الى اعمدة هرقل. وسنصادف فيها اسباباً للقيام بحق الثار. يا ايها الجنود قد فقتم بالشهرة الجيوش الحديثة ولكنكم لم تبلغوا بعد ما بلغه الرومان الذين فازوا بالنصر في حرب واحدة في الرين وفي الفرات وفي الليريا وفي تاجوس. وستكافى اتعابكم بسلام وطيد ونجاح ثابت. غير انه لا ينبغي ان يرتضي الفرنسوي صاحب الدم الصافي ما لم يرَ الجميع احراراً ويرى كل شيء مفتوحاً للجميع بل لا يقدر على ذلك. يا ايها الجنود ان كل ما افتم به لسعادة الامة الفرنسوية ولمجدي وما تقومون به يكون مؤبد الذكر في قلبي. انتهى

وقد قال تابيار المورخ ان المخاطر التي بات فيها كانت كثيرة والصعوبات عظيمة فانه بات محاطاً باعداء كان قد اذلهم بدون ان يسلب منهم وسايط التعدي لانه كان يخشى ان يذهب بجنوده الى اسبانيا فتهيج انكلترا اواسط اوربا الى الهجوم عليه حال كونه كان يخاف ان ترجع روسيا والنمسا الى الاتحاد وتهيجا بروسيا فيعاد الاتحاد الاول. اما مقاصد النمسا فكانت مستترة بتصنعاتها ومع ذلك كانت تظهر حيناً بعد حين حتى ان الناس باتوا ينتظرون تجديد الحرب بينها وبين نابوليون حال كون اهالي بروسيا لا يحافظون على السلام بعد ان اخضعوا وظلموا

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) سار نابوليون قاصدًا بايون . وقد قال السار والتار اسكوت المورخ الانكليزي انهُ كان يطوف الدنيا مغيرًا فيها كل مكان اتاهُ كتغير الانجم ذوات الاذناب في الافلاك .
وكانت مدريد عاصمة اسبانيا تبعد عن باريز نحو سبعمائة ميل وكانت امطار بداية فصل الشتاء البارد تهطل غزيرة جدًّا فكثرت الوحول في الطرقات وكثرت المخاوف فيها وكان يتقدم غير مبالٍ بالانواء ولا بالظلام ولا بالمخاطر والمشقات وكانت مركبتهُ تجر في الوحول وفي طرق حفرت بدواليب مركبات المهمات والمدافع الثقيلة . ولما راى ان ذلك يعيقهُ ترك مركبتهُ وركب فرسًا ولم يكن يظهر فيهِ اثر للتعب بل كان يسير في اعوانهِ القليلين كانهُ زوبعة وبعد نصف الليل بساعتين من اليوم الثالث من تشرين الثاني وصل الى بايون
فدعا اليهِ في الحال الجنرال برتيه ليسالهُ عن الاحوال وكان قد امر القواد الفرنسويين بان لا يقوموا بما يمنع العصاة عن انفاذ تدبيراتهم فانهُ كان يرغب في ان يضع جنودهُ الباسلين في وسط الجنود الاسبانيوليين ليتمكن من ان يدفعهم بشدة وسرعة وتاثير وهم مجتمعون فامر قوادهُ بان يسمحوا للاسبانيول بان يدنوا من اجنحة جيشهِ بدون معارضة . وقد قال عن الجنود الذين ارسلهم في بادي الامر الى اسبانيا انني ارسلت اليهم خرافًا فانهم لم يكونوا مجربين في الحروب فابتلعوهم فارسل اليهم الان ذئابًا
ولما وصل الى اسبانيا تكدر جدًّا فانهُ راى ان قوادهُ لم ينفذوا اوامرهُ حق التنفيذ وانهم لم يشتروا كمية كافية من الملابس ولم يكن عندهم ما يكفي من البغال والافراس وان الزاد قليل . وكان جوزف يخشى ان يقوم بما امر بهِ اخوهُ هو ان يسمح للاعداء بان يحيطوا بالجيش فان هذا التدبير لا يقوم بهِ الا من كان يركن الى حذق حربي غير اعتيادي وجسارة عظيمة ولذلك فرق الجيش لصيانته ومؤخرته وجناحيهِ فاظهر نابوليون كدرهُ من ذلك بدون ان يصرف زمانهُ في التوبيخ واللوم ويظهر نشاطهُ العظيم وقوة عقلهِ العجيبة مما اقام بهِ بيوم وصولهِ بعد ان قطع تلك المسافة البعيدة الواقعة بين باريز وبايون فانهُ امر بابطال كل عقود البيوع التي لم يتم اجراوها وبعث وكلا ليشتروا كل الثياب التي يمكن ابتياعها من الجهات الجنوبية . واقام اماكن متسعة جدًّا للاشغال وجمع فيها كثيرين واشغلهم بخياطة الثياب وبعث باوامر بالاقتصار عن ابتياع كل الحنطة والمواشي لدفع المال لمشتري الثياب وامر حالاً بانشاء منازل للعسكر في بايون وللجنود التي كانت تصل اليها . وبعث بمامورين ليعجلوا مسير العساكر الى المحلات المعينة . وعرضت لهُ الجنود التي كانت قد وصلت الى بايون وكتب تحريرات كثيرة الى مدبري المراكز والجسور والطرق فيها اوامر مهمة جدًّا . وعند غياب الشمس لم يسترح ولكنهُ ركب فرسهُ وسار قاطعًا ستين ميلاً حتى وصل الى جبال لواوزا وصرف فيها ليل ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) وهو يستعد لقتال سريع قاطع وفي اليوم الثاني سار ثلثين ميلاً قاصدًا فتوريا وحل بجيشهِ الخاص الذي كان معهُ في مكان يبعد قليلاً عن المدينة . ولم يكن يرغب في ان يكون في اسبانيا غير قائد تاركًا الملك لاخيهِ جوزف ليرى الاسبانيول ان لهُ المحل الاول واذا راى انهُ لا بد من القيام باعمال تجلب اللوم كان يعملها ليخلص اخاهُ من لوم الامة . ولم يصل الى فتوريا الا بعد مضي قسم طويل من الليل فنزل عن جوادهِ ودخل الخان الاول الذي راهُ وامر باحضار رسم البلاد وفي ساعتين قرر تدبيرات الحرب

(ستاتي بقيتهُ)

سر الحب

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

في الخريف من سنة ١٧٩٢ وصلت امرأة الى بلدة اسمها لاندلوفاور من غاليا لها من السن نحو ٢٢ سنة لابسة ملابس ارملة ومعها طفل. وفي اسبوعين استاجرت بيتاً صغيراً في ضواحي المدينة واثثته بحسب اقتدارها المالي وقالت لجيرانها الباحثين عن احوالها انها مصممة على ان تصرف حياتها بطولها فيها. وكانت تصرفاتها وملابسها تبين انها من اهل الرتبة الاولى غير انه ظهر انها لم تكن حاصلة على ما تحتاج اليه من المال لانها بعد ان وصلت الى البلدة ببرهة قصيرة قالت انها مستعدة لان تخيط بالاجرة لتحصل على ما هي في احتياج اليه لمعاشها ومعاش ولدها. وقالت ان اسمها واترز وان اسم ابنها اروندل. غير ان بعض النساء اللواتي يحببن التكلم ونقل الاخبار كنّ يزرنها وقلنَ انهنّ سمعنها تدعوه باسم اخر وهي تلاعبه على انهن لم يتمكن من معرفته. وكانت تحبه محبة شديدة وكثيراً ما كانت تضمه اليها وتذرف دمع فرح شديد ممزوجاً بدموع حزن وهم. وكانت السنين تمر واروندل ينمو حتى قطع سن الطفولية والصبوة وبلغ سن الفتوة. وكان جميلاً منذ كان في المهد. واشتهر بالجمال وبالجسارة حتى انه كان يكدر بها ارفاقه في اول الامر فتنتهي بمصادقتهم وارضائهم ولم يكن متجنباً للاولاد كبعض الحاذقين ولكنه كان يعاشرهم بالفرح والسرور والاهتمام ويشاركهم في جميع العابهم حتى ان ثباته وجسارته وحميته كانت تحملهم في الغالب على التغلب ليكون رئيساً لالعابهم. وكان يسبح ويصعد على الاشجار ويصارع اقرانه. وكانت حميته تشتد بتقدمه في السن ويعظم عنصر الافتخار فيه على انه لم يكن مناسباً لحالته الفقرية

وقد قلنا انه بلغ سن الفتوة فبانتقاله من الصبوة اليها تغيرت صفاته بغتة واصبح كثير التامل محباً للانفراد والمطالعة وانقطع عن مرافقة فتيان البلدة. واشتد فيه الشوق الى الشهرة والترقي وتقرر في عقله ان في ميادين المجد والتقدم مكاناً فارغاً له ثم راى بالادراك الغريزي المرافق لقوة العقل ان الصبر المرافق للكد والثبات هو السلاح الذي يمكنه من فتح سبل الشهرة والترقي. فاجهد نفسه في الجد والكد لتعود الامور التي تجعل الانسان يدرك الشاو الذي يليق به. وكانت امه مشيرته الوحيدة، فلم تضعف عزمه ولا حميته ولكنها اهاجت فيه الشوق الى ذلك بقولها ان الجهل هو العبودية والمعرفة هي القوة والتعقل يسود على كل شيء. وكثيراً ما كانت تحيي نصف الليل بالحديث معه وكانا يتفاوضان بالاسباب التي يتيسر بها ادراك الثروة والشهرة وصمما في النهاية على ان يجعلا عمل اروندل التصوير

فاخذت يد امه التي عاش بكدها في ان تعلمه مبادي ذلك الفن المشهور وكانت متعلمة اموراً كثيرة مما يتعلمها نساء الاعيان. وجعل صورة امه الصورة الاولى التي صنعها بعد ان تعلم من التصوير ما يجعل عمله مستحقاً للالتفات. ومن المعلوم ان في قلب الولد لامه حباً شديداً ناشئ عن حنو وشفقة وميل

وكان قد غرس في قلبهِ بالطبع حاسيات تنشا عنها كرامة الاخلاق والمحافظة على الناموس فكان يسر جداً باعادة تصويرامهِ بالقلم . وربما كانت تزداد رغبتهُ في ذلك لانهُ كان لايزال في وجهها وقدها من الجمال ما هو اكثر مما يدل على انهُ كان بديعاً فتانًا وهي في سن الفتوة وكان للجلال اثر ظاهر فيها وباعادة تصويرها والتامل فيها فاز ببعض الحذق في تصوير الاشخاص حتى امسى الناس يقولون انهُ حاذق بالتصوير . واخذت فتيات الحي في الاعتنا بهِ وبامهِ غيرانهن لم يعاملنهما قط بالازدراء . وطلب بعضهن اليهِ ان يصورهن وكن يدفعن لهُ اجرة قليلة ومدحًا غزيرًا واخذت مسز وارز امهُ بمساعداتهِ في تحسين احوالها واتقان اثاث بيتها واخذ يلبس ملابس تليق بالمتهذبين وان كان لم يخرج من درجة الفقر وكانت تصرفاتهُ موافقة لذلك واخذ في الدرس والتقدم الى ان بلغ سن التسع عشرة سنة . وحدث حينئذ ما كدر راحة حياتهِ المسكنة وتهدد شهرتهُ بالاكدار الدائمة . وكان متدينًا يدخل المعابد في اوقات الصلوة بدون انقطاع غيران والدتهُ قل ما كانت ترافقهُ اليها . وكان يزور الكاهن الذي كان بدون ولد فكان يدعوهُ ابنهُ ويتكلم عنهُ بين رعيتهِ بقولهِ ابني العزيز

وفي ذات يوم احد دخل المعبد وكان ذلك في وسط الصيف فدنت مركبة من باب الكنيسة قبل بداية الصلوة بدقائق قليلة . ثم خرج منها رجل وامراتان والظاهر انهما امراتهُ وبنتهُ فاخذوا الى مقعد قريب من المنبر. وكان الذين يجلسون فيهِ يجعلون وجوههم الى جهة الناس وظهورهم الى جهة الواعظ . وكان ارنودل في المقعد المقابل لهم فبعد ان جلسوا نظر اليها وراى انهُ ربما كانت الفتاة قد ادركت سن الست عشرة سنة وانها جميلة جدًا ذات عينين زرقاوين لامعتين ولون ابيض مشرب احمرارًا وشعر اشقر يميل الى السواد . فلما راها اشغل بها عن استماع الوعظ وهذه في المرة الاولى التي تعدى بها على حقوق الدين . واخذ يتفرس فيها على غير انتباه تفرس مشغوف فامالت عنهُ وجهها ثم احمر بالحياء ثم ظهرت عليهِ لوائح الغيظ واستمر برهة على تلك الحال بدون ان ينتبه الى نفسهِ . ولكنهُ لما راى احمرار وجهها احمر وجههُ وغطاهُ بيديهِ ليسترهُ عنها . وكان يشعر كمن قد شرب شرابًا ذا سر يجعل في القلب انفعالات مهيجة لذيذة بل من شانهِ ايقاظهُ من حالة الغفلة بحيث يصيح يعلم بانهُ موجود . وقبل نهاية الصلوة بزمان طويل نظر ذلك الرجل اي والد الفتاة المذكورة الى ساعتهِ وخرج بها وبزوجتهِ من المعبد كان اشغالاً ضرورية كانت تدعوهُ الى ذلك . واخذ اروندل يقول في نفسهِ هل اتبعهم او لا فسمع صوت سوط سائق المركبة ودوران الدواليب على الطريق الكثيرة الحصى . وقال في نفسهِ لاريب في انهم سيصرفون بضع ساعات في البلدة . فعند نهاية الوعظ سار ركضًا الى منزل المسافرين ليسال عنهم . غير انهُ تكدر جدًا عندما سمع من الخادم انهم لم يشربوا كاسًا من البيرا بل ساروا مسرعين قاصدين البلدة المجاورة التي تبعد ٩ اميال . فسار اليها في الحال معلقًا املهُ بالنظر اليها وبالوقوف على حقيقة اسمها . غير انهُ عندما وصل اليها قيل لهُ ان مركبة غريبة مرت بها منذ بضع ساعات بدون ان تقف وانها سارت الى جهة الطرق الكثيرة المتفرعة فلا يعلم احد مقصدها . فانقطع املهُ من الاجتماع بهم . فعاد عند المساء فسالتهُ امهُ بتوبيخ عن سبب غيابهِ وابانت لهُ قلقها واضطرابها بسبب ذهابهِ على غير معرفتها مع انهُ كان يعود دائمًا الى البيت بعد نهاية الصلوة فقص عليها الخبر كلهُ فتعجبت واظهرت غيظها

وقالت له ان ذلك بجملة على ان يزيد في الكد والجد لانه اذا اجتمع بتلك الفتاة مرة اخرى لا يستفيد ما لم يكن ذا ثروة او شهرة لموازنة ثروتها لانها متأكدة بانها من الغنيات

وكان قد فاز بالحصول على ما يدعى شهرة خارج المدن الكبيرة . وقبل مصادفة تلك الفتاة كان اخذ يظهر ميلة الى الذهاب الى لوندرا وهي المغناطيس الذي يجذب اليه كل اصحاب العقول الحاذقة والجد الطالبين الترقي . وبعد ان راها اشتدت رغبته في ذلك. وبعد برهة ابان لوالدته حقيقة افكاره فلما سمعت بانه سيفارقها بكت بكاء مرًّا وقالت اذهب يا بني فانني ارضعتك واعتنيت بك لذلك سابقى في هذا البيت الصغير مرتقبة واصغي الى صدى شهرتك فتكون عندي كالتغريد الشجي يعزيني في فقري ومرضي وشيخوختي بل في موتي . لانني اعلم انه مهما كان نصيبك تكون اهلاً لحلول بركة امك عليك . وتحرك الحنو في قلب ذلك الفتى غير انه لم يقدر ان يتكلم فصمت برهة ثم اجاب بشكر وحب وبعد ذلك بايام قليلة سار قاصدًا لوندرا العاصمة وثروته الصغيرة في كيس على ظهره

وكان مجتهدًا جدًّا في ان يشتهر في فن التصوير فعندما وصل الى لوندرا انكب على تصوير الاشخاص واي انكباب واشتهر في برهة قصيرة باقتداره الصناعي وحذقه في اظهار لطف النسا في الصور . والصحيح انه حسن بالتصوير كل اللواتي كان يصورهن لان حب محبوبته المجهولة كان قد اخذ منه كل ماخذ فكانت محاسنها تتغلب على قلمه فتختلط بصور اللواتي هن دونها. وكان لا يزال معلقًا امله بان يفوز بمعرفة الحيطان السعيدة الحنوية على تلك الذات البديعة المحاسن في تلك المدينة العظيمة فكان يذهب الى كل المحلات العمومية التي كان يظن انها تاتيها . وفي ذات ليلة ظن انه راى لحظة منها في المجالس الخصوصية في قاعة التشخيص في كوفنت كاردن . فسار الى مدخل كل المجالس وانتظر الى ان خرج الجميع غير ان التعابة ذهبت سدى . وكان يربح كل يوم مالاً جزيلاً بصناعته وكان يرسل قسمًا كبيرًا منها الى امه . غير ان امه قالت له ان هذا لا يكفيك ولو كان يظهر شكرك لي فالاوفق ان تطلب ماهو فوق المال . فهذا الكلام الذي جرضته به على الشهرة جامع وهو يتامل في موافقة ذهابه الى ايطاليا ليبحث بالتاني عن بقايا الصور القديمة لينتفع بما يراه فيها . وهذا شان كل مشاهير المصورين غير انه لم ينتفع به غير القليلين الذين مكنتهم القوة الطبيعية من ان يصوروا بدون امثلة تصويرًا متقنًا فيذهبون الى ايطاليا ليس ليصنعوا ما يشابه ما يرون فيها ولكن ليلتذوا بالتفرج على ما ينظرونه منها فهذه اللذة تاتي بالنفع . ونزل في رومية في وسط اثار الزمان القديم . وكان متعودًا المعيشة البسيطة بعيدًا عن التبذير فلم يتكبد خسائر كثيرة ولذلك صمم على ان يبقى فيها الى ان يكتفي . غير انه لم ينقطع عن تصوير الاشخاص وكان اكثر تصويره لفتيات وطنه الانكليزي او لمحبيهن . ولا ينبغي ان نغفل عن خبر متعلق بالفتاة التي راها في المعبد وهو انه صورها بعد ان راها من مجرد تلك النظرة . وكان يحمل صورتها على الدوام وكان يحسنها بتحسين صناعته وازدياد حذقه . حتى انها اصبحت مثالاً لتصوراته المتعلقة بجمال الاناث وكانت بدون ريب من اتقن الصور . ومن الانكليز الذين اشغلوه بتصويرهم فتى عمره سبع عشرة سنة فانه كان قد راى صورتين او ثلث صور من صناعته فاتاه ليصوره وكان يسافر مع معلمه في ايطاليا وصمم على ان يطيل الاقامة في رومية . وبعد المقابلة الاولى اصبح كل منهما يحب الاخر ويثني عليه وكان حب كل منهما للاخر يشتد باطالة زمان الاجتماع حتى انه تقرر

في عقل كل منهما انهُ لابد من ان تتوطد صداقتهما وتصير ثابتة . وكان كلما مسك قلمهُ ليصور صديقه المذكور يشعر بانعطاف في قلبهِ يسره ويكدره فياخذه في الخنوق حتى انهُ يكاد يبيت غائبًا عن الصواب . غير ان الفرح كان يتغلب على ذلك حتى انهُ لم يكن يسر بشيء قدر سروره عند الاشتغال بصورة صديقهِ المذكور واسمهُ ارثور بفنسي

اما معلمهُ فلم يدخل رومية قبل ذلك فلم تجتنب اسباب المرض ولا كان يعرف حق المعرفة الاحوال المحلية فاستاجر منزلاً في مكان ذي هواء مضر . ومن المعلوم ان التلميذ لا يكون احكم من معلمهِ . وفي ذات ليلة اشتد الحر ففتح نوافذ مخدع النوم ونام هو وتلميذهُ الذي استيقظ في الصباح وقد بلي بحمى خبيثة فدعا الاطباء الايطاليان والانكليز فقالوا للمعلم المنكود الحظ ان تلميذه في خطر مبين . فسمع المصور بالخبر فسار اليه فوجد صديقهُ الشاب غائصًا في بحر من الهواجس . وراى من جهل المعلم لمداراة المريض ومن عدم احتفاق الاركان الى المستاجرين ما راى صمم على ان يبقى الى ان ينتهي المرض بالشفاء او بالموت وكان قد تعود معاملة المرضى بالاعتناء بوالدته مرات كثيرة وهي في حالة المرض . وصرف ساعات كثيرة بالقرب من فراش صديقهِ الغائب عن الصواب بفعل تلك الحمى الخبيثة وعند رجوعهِ الى الصواب وتمكنهِ من اظهار شكره لصديقهِ المصور قال انهُ ما من شيء يقدر ان يبعدهُ عنهُ او يجعلهُ يحيد عن صداقتهِ الى الممات . وكان كثيرًا ما يرى في وجه ذلك الفتى المريض وهو نائم وغائب عن الصواب لوائح جميلة تشبه لطف الاناث اللطيفات وغير ذلك مما ابان لهُ ان هذا هو سبب حبهِ الشديد لذلك الفتى منذ اجتمع بهِ . فانهُ كان يشبه كثيرًا الفتاة التي كان قد اجتمع بها في المعبد او الصورة التي صورها لتشخصها

وبعد ان شفي بفنسي اخذ حبهُ لاروندل يشتد وكان يخرج به كل يوم وهو في حالة النقاهة الى الخارج ليتنفس هواء الصباح المنعش وكان يجلس قبالتهُ ويرى في وجههِ وقد ابتدا الاحمرار بان يبدو به ما يشابه تلك الفتاة التي كانت علة سروره او علة بؤسه فكانت الدموع تملا عينيهِ وياخذ جسمهُ في الارتجاف وقوتهُ في الضعف حتى يمسي اضعف من المريض الذي كان يعاونهُ . على انهُ لم يكن يظهر سبب اضطرابهِ . وعندما تقوى المريض اكملت الصورة . فاشتدت صلات الحب بينهما حتى ان كلاًّ منهما لم يكن يرتضي بان يفارق الآخر . وكانا يرغبان في ان يتفرجا على نابولي فوصلا اليها بدون ان يصادفا ما يكدر . وبعد وصولهما اليها سمح المعلم لهما بان يذهبا الى مدينة باستوم ليتفرجا عليها فتركاهُ في المدينة وسارا الى المكان المذكور فتوغلا قليلاً في الداخلية وفاتا الحظ الذي كانا قد صمما على بلوغهِ حتى وصلا الى فسحة الابنيين ومن ثم ذهبا الى قرية مورو الصغيرة وبالقرب منها مناظر ليس لها مثيل في كل ايطاليا من جهة جمالها . غير انهُ قلما جاءها سياح خوفًا من اللصوص الذين يحلون في حضيض الجبال وشانهم اسر السياح الذين يصادفونهم او قتلهم . ومن المعلوم انهُ عندما يرى مصور هذه المناظر يشتغل بها وينسى كل المخاطر . وبعد ان صرفا النهار في الجبال رجعا مساء قاصدين قرية مورو وقبل وصولهما اليها احاط اللصوص بهما وانزلوهما بالقوة عن بغليهما وربطوا ايديهما واخذوا يفتشون عما في اخراجهما . وكان بين امتعة اروندل رزمة صغيرة من المنسوج الخشن فظهر ما دل على ان قيمتها عندهُ تزيد قيمة كل شيء فاشار اليها برجلهِ لان يديهِ مربوطتان وتوسل الى اللصوص بان يبقوها لهُ . غير انهم لم يحفلوا بما قالهُ في اول الامر وامسكها احدهم واراد ان يلقيها مع سائر الامتعة في الخرج فاضطرب المصور جدًا كدرًا واخذ

يتوسل اليهم باكيًا بان يردوها. فقال احد اللصوص فلنرَ ما ضمن هذا المنسوج فالظاهر ان هذا المجنون يحفل بوجدًا فاخرج الشي الملفوف واذا به صورة امراة وهي صورة الفتاة التي راها في المعبد فنظروا اليها باحتقار فاشتد اضطراب ارونديل عندما راهم يستهزئون به ويستخفون بالصورة. فلما راها رفيقهُ بنفسي لحظة وهي في ايدي اللصوص الذين اجتمعوا حولها بسرور بعد ان تاملوا فيها التفت الى صديقهِ وساله قائلاً يا ارونديل هذه صورة شقيقتي. وعند ذلك لفها لص كانت كلمتهُ نافذة بينهم بالمنسوج وقال له انني اعدك برد هذه الصورة عند مفارقتك لنا غير ان ذلك لا يكون في الحال لا بل اعطيك اياها الان فانهُ ما من خطر من هربكما وعند ذلك قطع رباطاته بسيف واعطاهُ اياها ثم قطع رباطات رفيقهِ وامرهما بان يسيرا في وسط القوم فسار كل منهما بجانب الاخر. وهذا هو زمان ظهور سر مسئلة ارونديل فان رفيقهُ قال له بتاكيد ان الصورة هي صورة شقيقتهِ الوحيدة التي ادركت من السن العشرين وعند خروجهِ من انكلترا كانت لا تزال بدون زواج غير ان اباهُ وهو السار وليم بنفسي كان يجب ان يزوجها باحد الامراء الذين كانوا يطلبون الاقتران بها ولذلك المرجح انها تقترن به. فساله قائلاً كيف فزت بالحصول على هذه الصورة فاجابهُ بقص الخبر بالتفصيل وكان ذلك سببًا لتقوية رباطات الصداقة بينهما وعظم المصور في عيني صديقهِ لانهُ راى من اثر حذقهِ ما يحير. وكان ارونديل يتعجب من غرابة مصادفات حياتهِ والسلسلة الرابطة لها حال كونها غير ظاهرة. وكانت قد اخذت في الظهور ولكنهُ لم يكن يعلم هل ياتي ذلك بخير او شر لهُ. غير ان اسبابًا كثيرة حملتهُ على ان ينظر الى الجهة المكدرة اكثر من زمان كتمان غرامهِ. لانهُ كان يرغب في ان يصورها كملكة ولكن تصوراتهُ كانت تحملهُ على ان يظن انها بنت احد اعيان القرى فلا يستخف بذي فن مشهور وكتم ريبهُ عن رفيقهِ لانهُ كان يعلم انهُ لم يختبر العالم ولم يعرف ان المركز في الما لم يتوقف على امور خارجية لا قلبية فلا يدرك الفرق بين صديقهِ وشقيقتهِ فلا يرتضي بان يتهم اباهُ بعدم الارتضاء

وسمح لهما اللصوص بان يتحدثا بحرية في الطريق ولم يلزموهما بان يسيرا بسرعة ولا عاملوهما بخشونة. ولم يصلوا الى مكان نزولهم الا بعد غياب الشمس بزمان طويل. وكان المكان المذكور على شاطي البحيرة حولهُ جبال مرتفعة ولم يقدروا ان يعلموا الساعة من جرى ظلام الليل. فصفر احد اللصوص فاجابهُ لص اخر بصفرة صدرت من مكان بعيد وبعد ذلك ببرهة وصل قارب فيهِ مجاذيف كثيرة الى المكان الذي كانوا واقفين فيهِ. فامر اللصوص اسيريهم بان يركباهُ فركباهُ وكذلك اللصوص ركبوهُ صامتين فسار القارب بهم وفي اقل من ربع ساعة دخل بين صخرين الى ان وصل الى ما هو حضيض تل من الصخور عليهِ بناية قديمة وفي الشاطي بداية سلم طويل من حجر يصعد بهِ الى القلعة فصعدوا جميعًا على هذا السلم تاركين القارب في الماء وعند دخولهما اليها عرف برجل سمى نفسهُ بالحاكم فعرفهُ بنفسي فانهُ كان قد تناول الطعام معهُ في رومية اكثر من مرة وكان يسمي نفسهُ بالكونت دي دسبينونرا. غير انهُ تجاهل معرفتهُ. وبعد وصولهم بسط الطعام الفاخر وبادر الخدم الى القيام بالخدمة كانهم في بلاط ملك وكانت زوجة الحاكم رئيسة المائدة. وفي اثناء مناولة الطعام تفرس الحاكم بالاسيرين فعرف بنفسي فقال لهُ بدون خوف ولا اضطراب اهلاً بك يا سيدي الامير بنفسي لقد اتيت لتزورني في قلعتي. وانت عالم ان من عادات الناس في عبر البحر المتوسط ان لا يدنو من رجل عظيم ذي سطوة مثلي الا

بهدية تليق به وقد صممت على ان اجري هذه العادة في هذه الجهة من ذلك البحر. هل فهمت المقصود فالمأمول انك قد اتيت بالهدية اللازمة فمن هو الامير الذي يرافقك . فضحكا مع انهما باتا على تلك الحال وقال اروندل له يا ايها الكونت لقد اخطات فلا يكون كل سائح انكليزي اميرًا ولست انا بامير ولا رفيقي وهو رجل مستقل اي انه يعيش بمداخيله وانا مصور قال الحاكم لقد فهمت المقصود من انك مصور ان كل الانكليز يصيرون مصورين او شعرا او ما اشبه ذلك عندما يزورونني . غير ان ذلك لا يغير الحال فان الهدية قد عينت . فاذا كان المبلغ غير موجود معكم واظن انه ليس بموجود فما من صعوبة في ارسال تحرير الى صرافكما في نابولي . وفي اثناء ذلك اقوم بحق ضيافتكما حق القيام في هذه القلعة فاحسبوها ملكًا لكما

اما اروندل فاخذ يبين لذلك الحاكم اللص بانه ليس بامير غير ان تعبه ذهب سدى فانه ضحك في اول الامر وفي نهايته اغتاظ وقال بغضب بعد ان حلف بانه امير وابن امير من الواجب ان اميز بين الامير والعامة فمنظرك منظر امير وكلامك كلام الامراء وقد الزمتني بان اوضح لك المقال فاقول ان تحتك كتحة الامراء . فلمن يا ترى يخطر ببال انني بعد ان تعودت قبض الهدايا من الامراء الانكليز مدة خمسين سنة لا اقدر ان اميز بين الامير والمصور . فلما راى اروندل انه جعله اميرًا بدون ريب تبسم وقال للحاكم اننا سنتفاوض بهذا الشان في ما ياتي . واخذ يتكلم عن امور اخرى

وعين لهما مخدعًا للنوم معًا وهو يشرف على البحيرة عرضيًا وكانت اشعة القمر منبعثة اليها وجعلتها كماء الفضة المرجرجة . وكانت الجبال قبالة مرتفعة فجلسا في ذلك المخدع في نافذة يتحدثان بما جرى لهما وبصفات الحاكم العجيبة وقوميه واستمرا على تلك الحال الى ان هزم الصباح نور البدر وطلعت الشمس . وفي ذلك الصباح طلب الحاكم الى كل منهما بان يدفع مبلغًا وافرًا ليسمح لهما بالعود وطلب الى اروندل ان يدفع قدر رفيقه مع انه كان قد سلب كل ماله بسلب امتعته . وفي ذلك الصباح بعث صديقه تحريرًا الى معلمه في نابولي وطلب اليه ان يرسل حالًا المبلغ المطلوب عن الاثنين وان يصير دفع ذلك المبلغ عند تسليمهما بامان في مكان عينه الحاكم وهو رئيس اللصوص اما المعلم فكان من المتعقلين ولم يكن يقدر ان يسلف خمسمائة ليرا لرجل لا يعرفه غير معرفة خارجية على انه لا يتردد عن دفع الفدية عن تلميذه . فاغتاظ تلميذه وبعث بتحرير اخر طالبًا باصرار دفع المبلغ فلم يجب طلبه . وعند وصول الجواب الثاني ورد تحرير من ابي بفنسي فلما قراه باتا في ياس . فان اباه قال له فيه ان الامير المذكور فاز باستجلاب خاطر شقيقته هلين بعد ان تغلب على عنادها وقد عين يومًا لعقد الزواج وان المنتظر تمكن ابنه ومعلمه من الرجوع الى البيت قبل ذلك اليوم . واثر في كل منهما تاثيرًا يختلف عن تاثيره في الاخر فان بفنسي اخذ يلبط الارض برجليه ويتمشى بسرعة وغيظ في المخدع ويحلف بغضب . اما اروندل فاتكا على جانب النافذة وجرى الدم باردًا في عروقه حتى انه شعر انه كاد ييبس وهو في اخشابه . وتحقق بهذا الخبر انه كان عائشًا بتغذية قلبه بالاوهام . لان مجرد النظر الى فتاة والتعرف بها وطلبها في العالم والانفراد من اجلها ليس مما يجعل للهائم حقًا بتملك قلبها فان سنوح الفرص والمال ياتيان بذلك ومن شدة حزنه وضيق نفسه لعن اليوم الذي ولد فيه والامال الطويلة العريضة التي خدعته خيانة بطولها . واشار على بفنسي

(ستاتي بقيتها)

ملح

من قلم الخواجا بطرس شحاده

الجواب المقنع

انهُ كان بين احد ملوك فرنسا واحد ملوك انكلترا خصام عظيم قوي وعزم الثاني على ان يرسل سفيرًا من قبلهِ الى الاول ليبلغهُ كلامًا فظًا عاتيًا فاختار لهذه المامورية احد الاساقفة ولدى استحضاره وتبليغهِ نتيجة المامورية التمس اليهِ ان يعفيهُ من ذلك فقال لهُ الملك لا تخشَ مطلقًا لانهُ اذا اضر بك ملك فرنسا اقطع على الفور رووس جميع الفرنسويين الموجودين عندي فاجاب الاسقف اني اوكد لجلالتك ان الرووس التي تقطعها بعد مماتي ليس منها ما يوافق جثتي كراسي

الفلاح الساذج

توجه احد الفلاحين ذات يوم الى باريز وبوصولهِ الى احد شوارع المدينة اخذ يسال هل تعرفون الخواجا شيئال (حصان) فقيل لهُ لا ثم صادف رجلاً من ذوي المنزلة والاعتبار فسالهُ عن الخواجا المذكور فلم ينبئهُ عنهُ فقال الفلاح سيدي انني متاكد ان محل الخواجا شيئال هو بهذا الشارع فكيف ممكن ان لا تعرفهُ فاخذهُ الباريزي بيده ودار بهِ كل محلات السوق وبوصولهما الى محل معلوم اشار الفلاح الى تاجر وقال هذا هو صديقي الخواجا شيئال فاحتار الباريزي وقال لهُ هذا الانسان اسمهُ الخواجا بولين وليس الخواجا شيئال اجابهُ الفلاح بصوت يدل على قلة الاصطبار منذ ٨ او ١٠ سنوات كان اسمهُ الخواجا بولين (تفسيرها مهر) الم يصر الان الخواجا شيئال (حصان) فضحك الجميع وكان خبره تسلية لهم بذلك النهار

جواب بمحلهِ

ان احد ماموري الحكومة كان بوظيفة مهمة يتداخل الشعب بها كثيرًا وحال كون طباعهِ كانت ردية والتشكيات ضده من الجميع استدعاه واليهِ وامره بترك وظيفتهِ الحالية وعين لهُ خلافها فاعترض قائلاً سيدي هل ان تنزلي ناتج عن جنحة ام استحسان مهابتكم فاجابهُ انك لست مرضيًا احدًا بهذه الوظيفة نظرًا لاخلاقك فقال لهُ ان الانبياء لم يرضوا الجميع على الارض فضحك الوالي وقال انهم ارضوا اتباعهم اما انت فلم ترضِ احدًا

بوالو الشاعر الفرنسوي الشهير

ان بوالو الشاعر الفرنسوي الشهير نبغ في ايام الملك لويس الرابع عشر الفرنسوي فاتاه يومًا ناحت تماثيل واهداه صورتهُ وطلب اليهِ ان ينظم شعرًا ليحفره في قاعدة الصورة فاجابهُ الشاعر لست باحمق فامدح نفسي ولا بمجنون فاذمها وصرفهُ وبعد ذلك اذ تامل الصورة وسوء حفرها قال وهذا ملخص قولهِ. هنا تنظر صورة بوالو الشهير. ولدى نظرك اليها تتعجب قائلاً. هل هو هذا الشاعر الفريد فلاي سبب نرى لوائح الكآبة تلوح على وجههِ. الجواب من سوء صنع الصورة

الغلام الذكي

قال رجل لغلام اذهب الى الجنة (بكسر الجيم) الى جدك وائتني بجمرة لاشعل بها سيكارتي فتوجه الغلام متبسمًا ثم عاد بعد برهة قصيرة وقال للرجل انعلم اني توجهت للجنة فسالت جدي جمرة فابى لانهُ ليس بحاصل عليها فعرف والدك واعطاني هذه الجمرة قايلاً لي خذها لابني وسلم عليهِ فضحك الحاضرون واثنوا على نباهة الغلام

الجنان

الجزء السادس عشر

في ١٥ آب (اوغسطوس) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

ماذا انتفع السربيون يا ترى ومن حذا حذوهم من اهالي شمالي السلطنة من الحرب التي فتحوها على الدولة العلية والقوا العالم في اضطراب من شرقهِ الى غربهِ واوقفوا دولاب الاشغال حتى سكن بعد ان كان يدور بطيئًا من جرى اثقال الجنود والتجهيزات التي وقعت على عاتق اهلهِ وماذلك الا من انشاءات مطامع بعض الدول وايغار صدر بعضها على البعض الاخر فربح الحروب في الغالب خسران ولا سيما في ازمنة تترتب على عواقبها ضغائن لا تزول الا بهرق الدماء وتدمير العمران ورواج اسواق البلايا والويلات وليس زوالها الا لتعقبها ضغائن اخرى والظاهر ان السربيين والذين اهاجوهم كانوا يظنون انهم يفوزون بفتح السلطنة السنية والاستيلاء على بلاد متسعة بمجرد سوق الجنود فخابوا املاً وحبطوا عملاً وليس من شان العقلاء الشماتة بالساقط ولو كان من الد الاعداء فلا نشمت بهم ولئن كانت اعمالهم قد خربت بيوتًا عامرة وطرحتنا في ضيقات مالية وابعدت كثيرين منا عن اهلهم واعمالهم ولكننا نتاسف من جرى الغرور الذي ارتكبوهُ ونشدد اللوم والتنديد على الذين خدعوهم وحملوهم على القاء انفسهم في التهالك وابناء وطنهم في اضرار لا تمحى اثارها في زمان قريب مع انهم لو ترووا وتانوا لراوا انهم لا يزيدون عن المليونين فلا يقدرون ان يقاتلوا اكثر من خمسة وعشرين مليونًا اكثر من نصفهم يقدمون رجالاً وجميعهم يبذلون المال ومن المعلوم ان بداية الثورة كانت بطغيان اهل الهرسك وبوسنه مع قلتهم فاسعفتهم السرب والجبل الاسود برهة ليست بقصيرة خفية وهما تدعيان بالحيادة واخلاص النية للدولة العلية وعندما راتا ان الدائرة تكاد تدور عليهم بادرتا الى المجاهرة بالعصيان وفتحتا الحرب التي عادت عليهما بالوبال ولا سيما على الامة السربية فمن يا ترى يسعفهم جميعًا الان بعد ان فتكت جنودنا المظفرة بهم وبانت لمهيجيهم او للذين جعلوهم يظنون انهم يهيجونهم انهم قدخدعوا وامسى فهل يبادرون الى مساعدتهم بل هل يقدرون ان يساعدوهم وقد القى الله سبحانهُ وتعالى بينهم الخلاف فامسى بعضهم قيد للبعض الاخر او هل يتركونهم كما تركت اكريت قبلهم فتغمرهم المراحم الشاهانية بما يمكنهم من لم شعثهم واصلاح شوونهم المتضعضعة فالجواب ليس بسهل ولئن كانت امم اوربا معسكرات فانها على اهبة خوفًا من ان تغدر احداها بالاخرى واكثرها راغب في اطالة زمان السلام لاتمام استعداداتها الحربية ويا حبذا لو دلت السياسة على طرق من نسبة بعض الدول الصحيحة الى البعض الاخر لنقدر ان نبني عليهِ تخمينات اوضح من التي قررناها في ما قد مضى ومن المعلوم ان الحرب لم تنتهِ بعد ولكن اذا استمرت الجنود الشاهانية بحولهِ تعالى مكللة بالظفر لا يطول زمان سقوط السرب وليس المقصود ان السربيين واهالي الجبل الاسود باتوا غير قادرين على القتال ولكنهُ ظهر قرب عجزهم ما لم تسعفهم وعود الداخلية وعزائم الياس على الثبات فنرى منهم في

الاستقبال ما لم نرَهُ على ان انكسار الجيش في بادي الامر يكون في الغالب تمهيدًا لانكسارات تابعة ويصعب عليهم الثبات ولو كثر المتطوعون عندهم وجرت ينابيع الامدادات المالية غزيرة في ربوعهم والظاهر من كلام اعرف الجرائد بل من امتناع انكلترا عن قبول لائحة البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول ان الدولة الروسية مساعدة للعصاة المذكورين وعاضدة لهم وتحب ان تنفذ مرغوباتهم وكل ما خطت روسيا خطوة تتذكر ما قالته لموسيو تيرس بلسان وزيرها الاول من انها ترغب في منح استقلال محدود للهرسك وبوسنه ولا يخفى انه ينبغي ان تكون تسوية الامر هذه المرة قطعية ولا نخشى غير امر واحد وهو ان يحدث ما يمكن العصاة من اطالة الحرب وصالحنا جميعًا انتظاحها ليس بما يبقي نارًا تحت الرماد فيظهر لهيبها بعد سنة او سنتين او اكثر او اقل ولكن بما يقرر الحال نهائيًا قطعيًا لتتمكن الامة العثمانية من جنى ثمار اصلاحات قد وعدنا بها فانه قد صار من المقرر في العقول انه لا تستبد لنا حال بدون احداث تغييرات اساسية نظامية تجعل قيود الوطن واحدة والصوالح سائدة على كل تعصب وغاية ولا ريب في ان دون ذلك اهوالاً وصعوبات كثيرة على اننا قد ابنا بالقيام باعباء الحرب الاخيرة مع المحافظة على الامنية الداخلية ان ما عندنا من الاقدام والقوة والعزم كافٍ لان يمكننا من الانتقال من حال الى حال ولا تمس بذلك حقوق ولو لم يكن لتلك الاصلاحات علاقة مهمة بالامر الجاري لعذرنا اذا لم ننتبه اليه الا بعد نهاية الحرب الجارية وما من شيء يدل على قوة عقل الانسان واتساع صدره وشدة عزمه واقتداره كصبره على صعاب الامور بل ملاقاة اعظم بلايا الزمان ومشاكلها باسمًا بدون ان تلوح على وجهه اوائح الاضطراب والارتباك وانشغال البال وما احسن ما قاله ابو الطيب المتنبي بهذا الشان

وحالات الزمان عليك شتى
وحالك واحد في كل حالِ

وشأن الحكومات في ذلك شان الافراد وبالتالي والرواقي نفس المشاكل مع ان الارتباك يعربسها ومن واجبات الحكومات في ظروف كالظروف المذكورة جعل اشغالها كلها تسير حسب العادة لئلا تلقي القلق في عقول الناس واذا كثرت الاشغال ينبغي تكثير المستخدمين وجعل ذلك من المصاريف الحربية واردا تذر الاعتذار بالمشاكل وانشغال البال ومن الناس من يخاف ان يكون انكسار السربيين وسيلة لمداخلة روسيا فعليًا ومنهم من يقول انها ليست بقادرة على ذلك فالصواب ان لا يركن الانسان الى الحالة الجارية ما دامت امم اوربا معسكرات وغاياتها مختلفة لان التاهب للاناة كل التقلبات مفروض على الحكومات بل على كل انسان متعقل فلا يوخذ على غفلة وهذا هو الذي حمل الانكليز على التاهب بل على ارسال قوة بحرية الى بحار الشرق وقد اختلف الناس على ما تفعل اذا نشبت حرب اوربية والمعلوم الان ان سياسة حكومتها مجهولة وسياسة الحزب المضاد لها الامتناع عن اعادة ما جرى في حرب القرم والمظنون انه يظهر شيء من سياستها بالمفاوضة في مجلس النواب وعندنا انها قد افرغت جهدها في المحافظة على العهود لمنع وقوع تعدٍّ على حقوق الدولة العلية بمنح العصاة حقوقًا والتظاهر بانها تبذل قوتها المادية في سبيل انفاذ تلك السياسة ومن الموكد عند اهل السياسة ان التغييرات في الاستانة العلية اسعفت سياستها وجاءت الامة بخير عظيم ويقال ان المانيا لم تعد روسيا بالمساعدة وان الامبراطوريات الثلث لا تزال على اتفاق غير ان الظاهر من تكرار اجتماع الامبراطورين والتغييرات الدائمة في مجاري السياسة ان اتفاقها يحتاج الى الترقيع الدائم وكثيرًا

ما تطول به حيوة الثوب غير انهُ لا يبقى على حال ومن اهم الامور افراغ كل الجهد في سبيل نهي الحرب قبل دخول فصل الشتاء لئلا تُعاد حوادث الشتاء الماضي وقد ذكرنا في الجملة السياسية في الجزء السابق من الجنان ان المرجح انشاء جمعية دولية لتقرير الاحوال وجعل تسوية موافقة للجميع وقد رايناموخرًا رسا لة برقية تدل على ان ذلك قد خطر لبعض رجال السياسة ببال وقد ثبتنا ذلك على راينا فنقول ان المرجح عقد تلك الجمعية اذا سلمت اوربا من حرب اخرى ونسال الله ان يجعل عاقبتها سالمة من حرب تنشأ عن اختلاف الدول فيها ونودُّ ان يُكذَّب ما قالتهُ بعض الجرائد من ان حكومة الفلاخ والبغدان قد استغنمت سنوح الفرصة الجارية لطلب امور متعلقة بتوسيع اراضيها وحصولها على امتيازات فاذا صح ذلك لا تكون ذات فضل بحيادتها المبنية على انتهاز سنوح الفرصة للانتفاع من انشغال الحكومة وقتال الامارتين المحاربتين والامتناع عن تقرير طلب جمع الرديف عندهم في المجلس العالي دليل وجود حزب يرغب في المجاهرة بالعدوان غير ان الغلبة الان كانت للتعقل والطلب بالوسائط السلمية خير من اشهار الحرب وما جرى في السرب يحذرهُ وقد راينا من سياسة فرنسا ما يدل على انها راغبة جدًّا في صرف المشكل بالسلام ولعل ارسالها بوارجها الى تونس انما هو للتنزه او للتعليم او لمقصد اخر ولم ترد اخبار خروجها منها ومع رغبتها الشديدة في السلام نرى جرائدها مترقبة لالمانيا فتعا كسها في كل امر وتنسب اليها نوايا لا يقبلها العقل السليم ومن المعلوم انها تكون مضادة لها وان مضادة احداها للاخرى تلزمها بالمحافظة على الحيادة والنمسا في مضيق من جهتهِ الواحدة مراعاة ميل رعاياها السلافيين الذين يحبون ان يبذلوا ما عزَّ وهان في سبيل مساعدة ابناء جنسهم العاصين ومن الجهة الاخرى صوالح المجر المضادة لصوالح السلاف وبالجملة نقول ان احوال اوربا لا تزال على غير ثبات ومن المفروض على العثمانيين في الظروف الجارية السكون التام مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم والتحزب لامرين دون غيرها وهما قيام صالح الدولة لقيام صالحهم وسرعة نهي الحرب مع حدوث تقلبات في اوربا تخلص العالم من سوء عواقب تاهباتها وتجهيزاتها ومن الخوف من فتح الحروب

الكتاب الازرق

قالت جريدة الليفانت هرالد ان المخابرات السفارية بخصوص الامور الشرقية قد نُشرت في الكتاب الازرق الذي عرض على المجلس العالي الانكليزي . وهو يحتوي على ٥٤٠ مخابرة واخر هذه المخابرات بتاريخ ١٧ الماضي . وقد ذكرت شركة هاواس في احد تلغرافاتها من لوندرا بتاريخ ٢٢ الماضي الملخص الاتي لهذه المخابرات

ان المخابرات السفارية المتعلقة بالمسئلة الشرقية قد نشرت . وقد اشتهرت المواد المذكورة فيها وعلى الخصوص حالة انكلترا نحو لائحة برلين المعروفة بلائحة البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول . ومقاومة دولة النمسا لاستقلال الولايات الثائرة في الممالك المحروسة الشاهانية في اوربا او تاليفها حكومة مستقلة بنفسها . واعتماد الدول اعتمادًا نهائيًا على عدم المداخلة او التوسط ما لم تتفق جميعها على ذلك وعرض الدوق ديكاز وزير خارجية فرنسا اقامة مشورة اوربية في المسئلة المذكورة بشرط ان تصادق انكلترا على ذلك . وقد راى الوزير المشار اليهِ ان الدولة العثمانية الجديدة اي دولة السلطان مراد الخامس يجب ان تترك وشانها لترتيب امورها وانهُ من المناسب ان تصير المخابرات راسًا بين الباب العالي والعصاة . وميل ايطاليا الى جعل الولايات المذكورة

في حالة الاستقلال اي ان تكون حكومة مستقلة

ويظهر من المخابرات المتبادلة بين انكلترا وروسيا ان اللورد دربي وزير خارجية انكلترا كان يقصد تنشيط الثورة (؟) ولكن ان يصير كنج مطامع السرب والجبل الاسود وان الثورة كانت متهيئة باسباب خارجية وذكر في هذه المخابرات راي البرنس كورتشاكوف باعطاء الجبل الاسود فرضة على بحر الادرياتيك واعطاء السرب سفور نيكي . وقد راى اللورد دربي ان احسن واسطة لفض هذه المسئلة قيام الدولة العلية نفسها بالاصلاحات بدون تغيير في حالتها السياسية وحدود بلادها الحالية

التعديات في البلغار

قد نشرنا في الجنة مفاوضة جرت في مجلس انكلترا العالي بشان ما ادعاهُ بعض اعضائهِ عن حدوث تعديات كثيرة في البلغار في اثناء الثورة فيها ونشرنا ايضاً تكذيب وزير خارجية انكلترا لذلك وقد نشرت جريدة التيمس مفاوضة اخرى متعلقة بذلك وظهر منها ان وزير انكلترا الاول قال انهُ لم ترد اليهِ افادات من سفير انكلترا وقناصلها في الشرق عن التعديات التي حدثت في المكان المذكور وقد انتشرت تلك الاخبار الكاذبة في بلادنا بدخول تلك الجرائد اليها بدون ان ينتشر تكذيبها فبادرنا الى نشر المفاوضة المذكور وهذه ترجمتها

قال مستر فورستار في مجلس انكلترا العالي انني راغب في ان اسال الوزير الاول سوالاً قد اخبرتهُ بهِ خصوصياً وهو هل وردت افادات من ماموري انكلترا في الممالك المحروسة جواباً على السوال الذي قال وزير خارجيتنا انهُ سيسالهُ بشان ما يدعى بهِ من المذابح والتعديات التي اقامت بها الجنود العثمانية في البلغار . وهل جاء ذلك الجواب بما يثبت الافادة الواردة من مكاتب التيمس في ثيرابيا وفي تحرير في جريدة الديلي نيوز وارد اليها من الاستانة العلية وما لهُ انهُ صار بيع عدد غفير من الفتيات البلغاريات جهاراً في الاستانة العلية وان عدداً غفيراً من البلغاريين يعذبون في السجون وهل يطرح الوزير الاول على مائدة المجلس التحريرات التي ربما كانت ترد الى الحكومة العثمانية بهذا الشان

فاجاب مستر ديزرائيلي وزير انكلترا الاول ما ترجمتهُ انهُ لم ترد افادات جواباً على سوالات صديقي المحترم وزير الخارجية بشان الامور التي ذكرها المستر المحترم لانهُ لا يمكن ورود جواب في برهة قصيرة كهذه البرهة . اما الاوراق المتعلقة بالتعديات المذكورة في البلغار فقد جرت بشانها بعض مخابرات بين حكومتنا وسفيرنا في الاستانة العلية وقناصلنا في مراكز التعديات وكل الافادات الواردة الينا بهذا الشان مقررة في الاوراق التي ستطرح على المائدة في المجلس بعد ايام قليلة . اما التقريرات التي ذكرها المستر المحترم المتعلقة بالتعديات الفظيعة التي يدعى بها فلا ازال اقول مراعاة لحقوق الانسانية ان المامول انهُ عند وقوفنا على الافادات التي هي اصح من الافادات المذكورة نرى ان التقريرات المذكورة ليست بصحيحة . ولا بد من ان يتذكر المجلس العالي ان المخابرات جارية بدون انقطاع بيننا وبين سفيرنا في الاستانة العلية . ففي كل يوم ترد الينا مخابرات منهُ . وليس هو من الرجال الذين لا يشعرون باعمال مخيفة كتلك الاعمال بل هو من المحافظين كل المحافظة على حقوق الانسانية . ولا اعرف رجلاً آخر اشد اجتهاداً في المداخلة عندما يعرف بحدوث امور كتلك الامور . ولنا في مراكز الاضطراب قناصل قد اشتهروا بالحذق وصحة القواعد وذلك في بلغراد وراكوزاوسني وغيرها . والمخابرات جارية بيننا وبينهم بدون انقطاع ومن الموكد انهُ لم ترد الى الحكومة الانكليزية افادة منهم كالافادة المذكورة . ولا ريب

عندي في انهُ جرت بعض تعديات في البلغار فان التعديات لا تنفك عن حروب الثورات في كل حين فانها حروب لا تقوم بها جنود منظمة وفي البلغار مقاتلون ليسوا من الجنود الغير المنظمة ولكنهم من الاهالي الذين تقلدوا السلاح . ونحن نعلم بالاختبار ان مستعمرتنا القديمة المسماة جامكا كانت مكان اجراآت ومخاوف طالما رافقت الثورات حتى اننا لا نقدر ان نتذكرها بدون ان تقشعر ابداننا (اسمعوا) ولا ريب عندي في انهُ حدثت تعديات في البلغار على انني ارتاب في بيع فتيات عبدات وان عشرة آلاف نفس قد باتوا في السجن بل ارتاب في وجود سجون كافية لعدد غفير كهذا العدد وفي القيام بتعذيبات عظيمة بايدي امة تاريخية قلما قامت بالتعذيبات فانها تنهي امر المذنبين بوسائط اسرع . فهذه امور تجعلني اعلق الامل بحصولنا على افادات اصح من التي قد اشير اليها . ولا ريب عندي انهُ حدثت امور توجب الاسف وربما كنا نرى اخبار حوادث تكدرنا جدًّا . على انهُ لا يمكنني الآن اوءمل ان بعض الاخبار التي ذكرت حال كونها مما تقشعر الابدان منهُ هو بدون صحة . واقول ان حكومة انكلترا ستفرغ جهدها في سبيل تخفيف الحوادث التي تسوق الظروف اليها وسيظهر لاعضاء المجلس بالاوراق التي ستطرح امامهم انهُ قد صار اتخاذ الوسائل اللازمة بهذا الشان (اسمعوا اسمعوا) وعند ورود الافادات ابادر الى اخبار المستر المحترم والمجلس بها . اما الآن فلا اقدر ان اقول الا انهُ لم يرد جواب على سوال صديقي المحترم وزير الخارجية وانهُ لم يمض زمان كافٍ لوروده (اسمعوا)

اجتماع الامبراطورين

قالت جريدة التيمس انهُ لا ينبغي ان نرى اجتماع امبراطور روسيا بامبراطور النمسا بدون ان نحاول ادراك ظروف مركز كل منهما بالنسبة الى الحرب الجارية حال كوننا نعلم ان حيوة كل منهما لم تجرِ في ظروف ذات سرور . ومن سوء الحظ ان اعرف الناس بالتاريخ الجاري لا يقدرون ان يتذكروا كل شيء واذا فاتنا ملاحظة حادثة من الحوادث نبعد عنها باهتمامات حياتنا اليومية الكثيرة التي تذهب بنا بسرعة من حال الى حال حتى انهُ لا يسهل الرجوع اليها وان كانت مهمة جدًّا وكثيرًا ما نضحك بل كثيرًا ما نغتاظ عندما نسمع بما يشيع عنا في الخارج ويتقرر في عقول الناس . وقد بلغنا ما شاع من اننا اقمنا بامدادات سلاحية ومالية لاسعاف الدولة العثمانية على اخماد الثورة . وقد تعلمنا من ذلك بانهُ ينبغي ان نتيقظ لئلا نصدق امورًا كهذه عند ما تنسب الى الاخرين

ولا يخفى ان الامبراطورين اجتمعا يوم السبت وكان اجتماعهما كما ينتظر من اجتماع رجال قد جرت بينهم علاقات الاضطراب وانشغال البال . وهما من مشابهة في ظواهر حيوة كل منهما مع ان المشابهة عظيمة بل هي واحدة في امور كثيرة ذات اهمية مادية متعلقة باحوالهم . ومن المعلوم انهُ عند ما تبوأ حضرة الامبراطور فرانسيس جوزف النمساوي تخت الامبراطورية النمساوية كانت بلادهُ في حالة قريبة من حالة اليأس وعندما تبوأ عرش روسيا الامبراطور اسكندر كانت بلادهُ متعبة جدًّا بحرب مهلكة وهكذا نرى ان كلًّا منهما ورث الملك في زمان صعوبات ومتاعب . والتي على عاتق كل منهما حملت ثقيل وقد صرف كل منهما حياتهُ لترقية اسباب التقدم الناشئ عن السلام في امبراطوريتهِ وحصر تكديرات الحرب ومخاطرها في مكان بعيد عن حدود وطنهِ . ولم تجاوب كل اجتهاداتهما والنجاح فيها كانها ضرب من المحال لان نتائج الماضي تمتد الى الحال . ومع ذلك يقدر كل منهما ان يفتخر بالاتيان بنتائج عظيمة جاءت بتقدم

رعاياه ورفاهيتهم. والان عندما اخذ كل منهما في تغليق املهِ بصرف ايام راحة وسكينة في بيتهِ ظهرت صعوبات حرمتهما ذلك. وحيرة الامبراطورين المشار اليهما واحدة وسببها واحد وهو ان الثورة التي ظهرت في بوسنه والهرسك وصارت حرباً بين الجبل الاسود والسرب وبين الدولة العثمانية هي حركة لحصول اناس على حرية حال كونهم من جنس رعايا الامبراطورين المشار اليهما. ومن المهم ان ندرك شيئاً من تلك الحيرة غير ان ذلك صعب لاننا لا نعلم شيئاً عنهُ. ومن الواجب ان نكرر ما قلناهُ من اننا قد تفردنا نحن الانكليز بين امم الدنيا باننا لا نقدر ان ندرك حاسيات امة بعضها رعية دولة اجنبية جبراً عنهُ وفرنسا وهولاندا ودانمرك وايطاليا حتى المانيا تدرك ذلك ولذلك يندر اهالي تلك البلدان ان يدركوا حاسيات امبراطوري روسيا والنمسا اكثر منا لانهُ ما من رجل انكليزي في العالم رعية دولة اجنبية. فاهالي السرب وبوسنه هم من السلاف فهم من جنس اكثر الروسيين وقد امسوا يحاربون دولة من غير جنسهم ودينهم وكل قوة امبراطور روسيا لا تقدر ان تمنع امتداد العدوان بين رعاياهُ. ولو كان سبب الثورة الرغبة في التخلص من الخضوع لدولة اجنبية عنهم بدون الادعا بالقساوة وسوء السياسة لظهر لهم في روسيا من الميل ما هو مهم وكثير ولا نعجب اذا رايناهُ الان مما لا يدفع. وامبراطور روسيا يظهر ميلهُ الى المحافظة على السلام حال كونهِ مقصد حياتهِ بالاتحاد مع سائر الدول على المحافظة على السلام ومن السهل ادراك ما يعد من الامور المقيدة لسلطانهِ.

اما مركز امبراطور النمسا فهو اصعب من مركز امبراطور روسيا. فان في بلادهِ الامبراطورية والملكية المؤلفة من شعوب كثيرة سلافيين واغنا السلافيين. وانتشاب الحرب في الولايات في جنوبي السافا والدانوب ربما كان يضعف الرباطات التي تجعل اتصالاً بين رعاياهُ المختلفي الاجناس. فيعذر اذا تقرر عندهُ ان تلك الحرب مصيبة لا تدفع. فانهُ لا يرغب الا في السلام. وضم قسم من الاماكن الثائرة كبوسنه مثلاً يوقع خللاً اذا خطر في ميزانية مملكتهِ غير انهُ ربما كان الزمان يجعلهُ ملتزماً اما بان يضمها واما بان يجعل ولاياتهِ السلافية تميل اليها فاحوالهُ كاحوال امبراطور روسيا جعلتهُ يرى الصواب والموافقة في حصر الحرب لجعلها غير متعلقة باوربا. على انهُ ما من قانون لا يغير بضروريات الحوادث. فقوات الميل الجنسي قوية فلا تدفع ومحاولة صدها في جهة من الجهات ربما كان ياتي بثورة عامة في النمسا فتنفصل الولايات السربية المتحدة تحت رايتها ولولا قوتها المذكورة لا لزم امبراطور روسيا والنمسا عصاة الهرسك وبوسنه منذ مدة طويلة بان يعدلوا عن محاولة الاستقلال. واذا كان ميل الامة الانكليزية لا يعضد حكومة انكليزية في اخماد ثورة اهيجت على الدولة العلية فكيف ننتظر ان يقوم امبراطور روسيا والنمسا بما يضاد ميل رعاياهما الذين هم من جنس العصاة بمحاولة الزامهم بالخضوع للدولة العلية

وقد اجتمع الامبراطوران واظهر كل منهما للاخر حيرتهُ واسباب اضطرابهِ. وربما كانا جعلا بعض احوال الاستقبال موضوع الكلام الذي جرى بينهما على انهما لا يقدران ان يخمناهُ اكثر مما يقدر واحد منا على ذلك. فيكفي كل يوم شرهُ. وفي الحال قد نصبت الحلقة وترك المتحاربون وشانهم فهذا هو الممكن وليس سواهُ اما المشورات التي كانت تبرز حيناً بعد حين لمنع الحرب التي قد انتشبت نيرانها فلم تكن غير وسائط لتاخير حلول يوم لا بد من حلولهِ وقد استنتجنا من الاحوال الجارية امراً واحداً وهو ان قوات

اعظم دول الدنيامقيدة بالميل العام الذي لا تقدر ان تغض النظار عنهُ . فما من حكومة مطلقة بدون ضابط . وكان قد تقرر في العقول ان سطوة السلطان نافذة تامة غيرانهُ ظهر ان لغايات المرحوم السلطان عبد العزيز حدودًا . وقوة امبراطور روسيا مطلقة وفي زمان ماضٍ كانت ارادتهُ قانون البلاد . وقد اقام الامبراطوراسكندر باموړ لايفحصها مجلس انكليزي فان الميل الى ابقاء اراضينا على ما هي عليهِ شديد حتى اننا لا نقدر ان نغير حدود مستعمرة افريقية ردية الهواء مع ان امبراطور روسيا قد باع بلادًا متسعة لحكومة انكلترا على انهُ يعلم ان لسطوتهِ حدودًا فان ميل روسيا ربما كان لا يتعلق بارض خارج البلاد غيرانهُ لا يغض النظر عن السلافيين وعند حلول زمان يؤملون بهِ بالحصول على استقلالهم يعتبر الامبراطور القوة المحركة الى ذلك

الدول

قد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من مكاتب باريزي وفيها كلام يستحق التدوين من جهة تصرفات الدول وهذه ترجمتها لاظهار الارتياب الجاري في باريز من جهة الحركات الحربية مع انهُ في كل يوم ترد رسالات برقية كثيرة ينبغي ان يلاحظ اشتياق الناس الشديد الى الاخبار وقبولها ولو كانت وهمية لا سبيل الى تصديقها ولا سيما اذا كانت متعلقة بجمعية الامبراطورين الروسي والنمساوي في ريشنتات . وقد بلغت اليَّ رسالة برقية واردة من فينا وهي خصوصية ولا اصدقها كل التصديق وهذه ترجمتها قال الامبراطور النمساوي عند رجوعهِ انني مرتضٍ بما جرى في هذا اليوم فلا تضطربوا . انتهى ولا اعلم ما هو المقصود من هذا الكلام اذا قلنا انهُ صحيح . لعل معناهُ ان روسيا لا تساعد السربيين

وان اوربا ستسمح للاحوال بان تاخذ مجراها . فاذا جرى ذلك فماذا تؤثر في نتيجة الحرب وماذا ياترى تفعل اوربا في نهاية هذه الحرب . فاذا دامت حربًا غير مرتبة يطول امرها فهل ترتضي اوربا ان تسكن اشهرًا وهل تقدر على ذلك . اما اعداء فرنسا فيقولون على الدوام الا ترون ان الدولة العلية لم تخمد الثورة فلا بد من المداخلة لنهي الاضطراب الجاري الذي قد اقلق كل العقول . انتهى . واذا انتهت الحرب وانتصرت الدولة العلية فلا يلزم ان نصف الولايات السلافية التي تستولي عليها وتستلها . وقد رايت كثيرين من العثمانيين موخرًا ورايتهم على جانب عظيم من الغضب والظاهر انهم يظنون ان السلافيين والذين يتحزبون لهم يحاولون الحاق الضرر ببلاد الدولة العلية في اوربا وان الخاطر عظيمة جدًّا فبالمقابلة نرى ماذا تكون نتيجة انكسار السلافيين . والمقرر ان اوربا لا تنظر اليهم ساكنة اي بدون مداخلة واذا فرضنا ان السلافيين فازوا برغوبهم فهل تكتفي بالتفرج . المظنون ان هذا لا يكون . فان انتصار السلافيين يضر باملاك النمسا في الحدود الحربية في كرواسيا ودلماسيا هذا مع قطع النظر عن الليريا وترنسنه . ويكون ذلك تهديد تثغر بوا ايطاليا ولئن كان قد قيل انهُ ما من صالح لها في هذه الحرب . فاذا انكسرت احدى الفرقتين او انتصرت فلا بد من مداخلة الدول مداخلة سياسية اذا لم تتداخل مداخلة تزيد عن ذلك ونرى الراي العام يشعر بذلك كل الشعور ولئن كان لا يعرفهُ حق المعرفة . وهذا هو الذي يجعل الناس يوجهون افكارهم الى جهة اجتماع الامبراطورين بعد ان يسمعوا حوادث الحرب . على انهم لا يجدون ما يرغبون في ان يجدوهُ . ولم يرد خبر غير خبر الرسالة البرقية المذكورة اعلاهُ وقد انحصر كلام الجرائد في ذكر اماكن الاجتماع . فتقول ان امبراطور روسيا

وصل قبل الظهر باربع ساعات لابسًا الملابس الرسمية البلانية ومعهُ الوزير الفلاني والوزير الفلاني والاكل الخ . وبعد ساعة وصل امبراطور روسيا لابسًا ملابس رسمية الخ . وقد انحصرت التفاصيل الاخرى بجريدة واحدة وهي ان امبراطور روسيا قبل ثلث مرات امبراطور النمسا عند السلام ومثلها عند الوداع وانهُ قبل ايضًا ولي عهد امبراطور النمسا واعطى يدهُ للكونت اندراسي ليقبلها . وقلما يسمع بقبلات امبراطورية كثيرة في يوم واحد كما في هذا اليوم ويقدر المطالع ان يستنتج ان الامبراطور الذي يكثر من التقبيلات يحب السلام الخ . فهذا كل ما يمكن الوقوف عليهِ وهو غير كافٍ

ولا يظهر اضطراب العقول والذي يعلم البواطن يعرف انهُ شديد ليس من جهة حوادث ميدان الحرب ولكن من جهة حوادث التقريرات السياسية التي تنتج عنهُ . ولم يمس الراي العام في جهل الحقائق كما امسى هذه المرة . فالسياسة تنتقم بين خطاها المتعلق باظهار الامور وتستر اعمالها . ولا يعلم غير امر واحد وهو ان روسيا تفعل ما يضر بالدولة العلية وتصون السلافيين وتعضدهم سرًّا وان انكلترا لا تزال تحافظ على قواعد عدم المداخلة وهي توافق سياستها الشرقية لانها تعلم ان الدولة العلية تقدر ان تخضع العصاة اذا تركت وشانها معهم . ومن المعلوم ايضًا ان النمسا والمجر لا تنظر الى ثورة السلاف الا باضطراب وايطاليا لا تقدر ان تغض النظر عن ثورة ربما كانت تتصل الى حدود دالماسيا . فهذه امور قد تحققها الراي العام غير انهُ لا يعتقد بان تصرف المانيا هو تصرف دولة خالية الغرض ولا تصدق انهُ لا علاقة لفرنسا بهذا الامر . وفرنسا تنتظر ظهور تدبيرات وزير المانيا وقد كثر ذكر فرنسا في هذه الايام المتاخرة فلا يصدق الناس انها لم تتداخل في الاعمال الجارية . فمقاصد المانيا مجهولة كمقاصد فرنسا ويخاف الناس من ظهورها من الطرفين في وقت معين . واذا فرضنا ان السياسة الاوربية ليست باخذة في الاستعداد لملاقاة جميع الحوادث مهما كانت نخطي وننسب اليها البساطة . فالصوالح الماسة كثيرة مختلفة . وقد اشغلت المسئلة الشرقية الافكار زمانًا طويلاً والزمان موافق جدًّا لتقرير تسوية فلا يخطر لاحد ببال ان السياسة في اوربا ليست باخذة في الاستعداد . لملاقاة كل ما ربما كان يطرا عليها فهل يخطر لاحد رجال السياسة ببال بان الحرب تنتهي بتقرير مساواة بين العثمانيين والسلافيين وان مداخلات السياسة تنحصر في ضمانة ما يتفق عليهِ . فاذا كان ذلك لا يخطر لرجال السياسة ببال فما هي الاحتياطات التي اتخذتها الدول استعدادًا للساعة القاطعة اذا حلت . فهل يظن ان النمسا وروسيا على اتفاق ما دامت صوالحهما متناقضة جدًّا او ان انكلترا تسمح للسلاف اذا انتصروا بان يقرروا الامور بعد ان اظهرت من تصرفها ما قد اظهرتهُ . وكذلك النمسا وايطاليا ولا يخطر لاحد ببال بان روسيا وانكلترا وايطاليا والنمسا قد صرفوا الزمان الماضي كلهُ قبل ان قررت في عقولهم ماذا يفعلون عند حلول ساعة معلومة

هذا وما من فائدة في تفصيل الامور . فلا يعرف من يكون الصديق ومن العدو اذا الزمت الحوادث الشرقية الدول الاوربية بان تنفذ امرًا . ومن يا ترى يقدر ان يتكل على فرنسا ومن يقدر ان يتكل على المانيا وتصرف كل منهما محصور ضمن حدود لان حوادث سنة ١٨٧١ و١٨٧٠ قد جعلت ضابط سياستها بالنظر الى احوال الماضي وليس الى الحال غير ان هذا التصرف لا يمكن ان يبيت مخفيًّا كاملاً مهما جرى . وهذا حقيقي حتى انهُ يقال ان اهل الدوائر العارفة يعرفون الصديق من العدو وقد حكم

بالطبع ان روسيا جهة وانكلترا جهة اخرى مقاومة .
ولا انكلم بلسان الذين يقولون انهُ لا بد من ان تساق اوربا الى حرب وان افرغت جهدها في سبيل مجانبتها ولكنني ارى صوابًا في كلام الذين يرون بابًا لحفظ السلام بعقد جمعية دولية اوربية في اثناء الحرب السلافية او بعدها . وقد قالوا بتاكيد ان انكلترا وروسيا قد افرغتا جهدها في سبيل الوقوف على نوايا فرنسا والمانيا بدون ادراك المرغوب . ومن المعلوم ان الدولتين المشار اليهما لا تشتركان في جمعية ما لم تعرف كل منها الجهة التي تقدر ان تستند اليها . وقد تقرر في عقول كثيرين ان انهُ مهما كانت نتيجة الحرب لا يحصل امير السرب وامير الجبل الاسود على بوسنه والهرسك وانهُ اذا انجح اهل الثورة نجاحًا تامًا تصير ان امارة منفصلة . وهذا التصميم هو ما يريح افكار النمسا و يرضي روسيا حامية السلاف وانكلترا المتحزبة للدولة العلية . ولا نعلم هل يصح ذلك او لا . على ان ذلك اجمع يبين ان ظلام الاحوال الجارية وارتباكها مع جهل عاقبة الحرب قد طرحت عقول الناس في ويل حتى ان الدول لا تقدر ان تطيل الثبات على مجانبتها التي تدل الظواهر عليها . ولا بد لها قبل مضي زمان طويل من الخروج من الظلام التي احاطت به نفسها لتريح الراي العام المضطرب . ولم اذكر غير اقل الاضطراب الجاري . ولو اصغينا الى الذين يخافون سوء العواقب و يدعون بانهم عالمون بالحقائق لقلنا ان الدول قد عقدت محالفات واخذت تنتظر سنوح الفرصة الموافقة لاظهار الواقع

الامبراطوران

قد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من مكاتبها النمساوي المقيم في فينا وهذه ترجمتها الظاهر ان الجميع قد عادوا بارتضاء من اجتماع امبراطور روسيا وامبراطور النمسا وهذا دليل نجاح الجمعية .
ولا يكتمون الامر بل يقولون ان الجمعية المذكورة جاءت باتفاق تام . والمخابرات بل مبادلة الاراء التي جرت موخرًا بين الدول ما يستدل بهِ على ما يمكن ان يكون اساسًا للاتفاق المذكور . ولا يخفى عليكم ان مبادلة الاراء المذكورة جرت في جهتين . فالاولى متعلقة بقبول كل الجهات بقواعد عدم المداخلة في الحرب الجارية والثانية من جهة التسوية التي تقررت من مصادر مختلفة . وكانت حكومة النمسا مستعدة لان تقبل بعدم المداخلة وان تجعل اجراءاتها موافقة لذلك . وهي تبعد عن المداخلة ولا تدعي بها من جهة الماضي غير ان مركزها المجاور يجعلها تقبل بعدم المداخلة بدون ان تتعهد كل التعهد بالنظر الى الاستقبال بالقبول بكل شيء يتم ولا بالتسوية التي ربما كانت تنشأ عن الحرب الجارية فنسبة النمسا الى الثورة السلافية عند حدودها الجنوبية تشابه في بعض الامور نسبة روسيا وفي بعض الامور المانيا بل بروسيا الى ثورة مثلها في غاليسيا . والذي يتذكر غيرتها ولا سيما روسيا عند منح حقوق نظامية استقلالية قليلة لغاليسيا خوفًا من ان يكدر ذلك ولاياتها البولونية لا يصدق ان روسيا تقبل بدون اقل اعتراض بالقيام بما ينشا عنهُ دولة مستقلة بولونية في غاليسيا . فهذا الحق المتعلق بمحافظة النمسا على حقوقها يحملها على ان لا تقبل بتركهِ . والظاهر انها قد ضمنتهُ لانها قد قررت انهُ اذا حدثت امور ينبغي ان تتخذ الوسائل اللازمة لتقرير اتفاق بين كل الدول الضامنة . اما متعلقات تسوية المسئلة الجارية نهائيًا فقد امست المفاوضة بها من الامور البحثية فقط بعد ان قبلت الدول اجمع بعدم المداخلة وهي معرضة للتغيير اليومي بحسب توجهات الحرب . فالانقطاع عن هذه المفاوضات ما جرى الاتفاق عليهِ عند اجتماع الامبراطورين

الثورة

قالت جريدة التيمس قد مضى يوم اخر بدون ورود اخبار من ميدان القتال خلا خبر واحد ما لهُ ان الجنرال تشرنايف قد صُدَّ عن المسير وربما كان يمسي محاطاً بالجنود العثمانية ولا نعلم حقيقة تفاصيل هذا الخبر غير اننا قد عرفنا انهُ مطابق للاخبار العمومية التي وردت . وقد تقرر في عقول الناس انهُ قد انتهت حملات السرب في الاراضي العثمانية وان الامر بات متعلقاً بما تقدر الجنود العثمانية ان تفعلهُ في نفس الاراضي السربية بحيث تتمكن الدولة العلية من منافع اجراء المخابرات الصلحية وهي مستولية على اراضي العدو المفتوحة . واذا طال زمان الحرب فلا نرتاب في اقتدار الجنود العثمانية على ان تسير فاتحة الى ان تبلغ بلغراد عاصمة السرب وتستولي على البلاد السربية بقوة السلاح . لان الجنود العثمانية تفوق جنود السرب عدداً فكلما طال القتال يزداد اقتدارهم على الحرب. ومن المعلوم انهُ عند انتشاب الحرب الاهلية في امركا جاءت العصاة الجنوبيون ميدان الحرب بجيش قدر جيش الحكومة الشمالي في ميادين القتال في فرجينيا . غير انهُ كان يقل بمرور الزمان حال كون جنود الحكومة كانوا يزدادون لانها كانت تجمع جنودها من بحر كبير لا يفرغ والعصاة كانوا يجمعونهُ من بحيرة صغيرة عرف الناس قبل ابتداء الحرب اتساعها وموجوداتها وكذلك الحكومة العثمانية عندها من الاهالي ما يمكنها من جمع جيوش جرارة تقدر ان تفني بمرور الزمان الجيوش التي يقدر رعاياها العصاة ان ياتوا بها ميدان الحرب . فالسربيون واهالي الجبل الاسود قليلون والاهالي الذين تجمع الحكومة الجنود منهم في اوربا واسيا هم اكثر من ١٢ مليوناً . وقد ارسلت مصر جيشاً ويمكن ان يزاد الى ان يبلغ قدر الجيش الذي اتى بهِ امير الجبل الاسود . ومع ذلك ربما كان السربيون يقدرون ان يثبتوا في ميدان القتال مدة كافية لالقاء متاعب جديدة في سياسة اوربا ولئن كانوا مكسورين واقل عدداً . فاذا قلنا ان الجنود العثمانية قد نجحت نجاحاً تاماً فلا بد لها من زمان كافٍ لتقطع وادي مورافيا حتى الطونه لتحل في مراكز العدو الحربية وربما كان ذلك الوقت كافياً لالقاء الفتن في اوربا . وقد فشل السربيون في هجومهم على العثمانيين غير ان قوة تاثير الحرب سياسياً في اوربا لا تزال موجودة . ومن براهين اهمية الحرب اهتمام الناس بها وانشغال الافكار بسببها وقد ظهر ان اوربا قد لامت السربيين على سياستهم غير ان امم تلك القارة لا تنظر الى الحرب كحرب محلية . فنرى الناس يطالعون الاخبار باهتمام ولذة كانها اخبار حرب منتشبة بين دولتين عظيمتين . وقد اصابوا بذلك فان اعظم المصالح واشد الحاسيات تاثيراً واهم الغايات المتعلقة باعظم دول اوربا هي ذات علاقة بتلك الثورة

اما اواسط اوربا فقد اصبحت في راحة بل بما اعلن من جرى توضيحات لازمة بين الامبراطورين عند اجتماعهما وانهما اتفقا على ما يتعلق بالسلام او بالحرب . وملخص هذه الاخبار انهُ قد تقرر في عقل حضرة امبراطور روسيا ان الحرب لم تمت بما يلتزم بالقيام بهِ ولا مما يوافقهُ ما دامت امبراطورية في حالتها الجارية بل انهُ اما لا يقدر على القيام بهِ بدون عقد اتحاد مع دولة اخرى ولا يومل بالحصول على ذلك ما دامت اوربا على ما هي عليهِ ولذلك لا بد من ان ترتضي روسيا بما تقدر النمسا ان ترتضي بهِ . اي بما لا يلقي خوفاً شديداً في قلوب المجر ولا يلقي الظنون في صدر الالمان . ولا نرى غير شيء قليل غير واضح من التسوية التي تشاع عن ذلك . وربما كان الامبراطوران

المشار اليها يجب ان يرضيا السلافيين بشيء ويخلصا السربيين من سوء عاقبة ما طرحوا فيهِ انفسهم . ولا بد لامبراطور روسيا من ان يعلم ان اعظم مسئولية الحرب متعلقة بحكومتهِ ولئن كان السربيون قد تعدوا حدود التاني وحملوا بالعناد على الاستخفاف بتحذيرات مامور روسيا لان مضادات مامور محلي في الساعة الاخيرة رسميًا ليست بكافية لمحو سياسة قد عُوِّل عليها سنة . فان كلام روسيا في المدة المذكورة وكل اجراءاتها قد قررت في عقول السربيين واهالي الجبل الاسود انهُ من واجباتهم ان يحاربوا وان اعظم دول الدنيا تجعل واجباتها ترقية اسباب منافعهم ومجدهم . ولو ذكر امبراطور روسيا امبراطور النمسا بذلك لكان وجدهُ متاملاً بهِ . ولا يخفى ان بعض رعايا امبراطور النمسا يخافون السلافيين خوفًا غير جلي الاسباب ويفضلون انضمامهم الى اية دولة كانت على شروعهم في الانضمام والاتحاد الى ان تتالف منهم دولة قابلة الاتساع قادرة على التجرم ؛ غير اننا لا نعلم هل هذه الآراء من آراء بلاط النمسا ايضًا . فان للسلافيين فضلاً عميمًا على امبراطوري النمسا ولا سيما على الامبراطور الحالي . وعندما سار الى دالماسيا ليزورها الزيارة التي يقال باصابة او خطا انها ذات تعلق بثورة الهرسك قابلهُ الاهالي بسرور لا مزيد عليهِ وطاعة وفرح حتى انهُ شكرهم كل الشكر على ذلك . فما اظهروهُ حيَّر عقول اعوانهِ ووجه انظار العالم اليهِ فاذا كان لذلك اهمية فلا بد من ان يكون الامبراطور قد ادركها . ولا نظن انهُ يرتضي في الحال ان يبعد عن نفسهِ اقوامًا يعزون انفسهم بالتعلق بهِ شخصيًا وبعائلتهِ الامبراطورية . وما يتوقف على الامبراطورين المشار اليهما من تسوية الامور الشرقية يكون مصروفًا في سبيل ما يقدر ان يحملهُ السلافيون الذين قد حملا على عاتقيهما قسمًا من مسئولية اهاجتهما

غير ان دون ذلك صعوبات لا يسهل التغلب عليها وامبراطور روسيا يعضدهُ رعاياهُ بحمية وغيرة واعظم صعوبات ضبط الهيجانات التي تهيج بعض اقسام من الهيئة الاجتماعية الروسية . على ان خارج حدود بلادهِ موانع مهمة جدًا تمنع منح السلافيين مساعدات موثرة . وهي ادبية وسياسية وجغرافية وكل من لاحظها من الرجال الاعتياديين يقدر ان يراها . وحال امبراطور النمسا غير هذه الحال لانهُ ربما كان يجري بدون ان يخاف كثيرًا الدول الاجنبية غير ان الامة التي هي في نصف امبراطوريتهِ وتقدر ان تمنع جري سياستهِ قد ابانت ميلها وفي يدها اجراءات الحكومة فتصدها كما تصد اجراءات روسيا بدول خارجية . وتضاف الى هذه الصعوبات صعوبة القوة التي تشعر بها الدولة العلية بالفوز على السرب . فيدعو اصدقاؤها ذلك ثبات عزم واعداؤها يدعونهُ عنادًا فربما كانت تجعل الدولة العلية تمتنع عن ان تصغي للذين يطلبون منحًا جديدة . ويحق للعثمانيين ان يقولوا انهم انتصروا لانفسهم فلا يتركون ثمرة النصرة مراعاةً لاحد المتفرجين واذا سلمت الدول بان تساوي الدولة العلية الامور المتعلقة برعاياها بقوة السلاح تدخل المسئلة الشرقية مجرى جديدًا

الدولة العلية والسرب والجبل الاسود

من التواريخ المهمة المتعلقة بالحرب الجارية المخابرات التي سبقت فتحها وقد نشرتها جريدة التيمس برسالة لها واردة اليها من مكاتبها المخصوص المقيم في الاستانة العلية وما ياتي ترجمة ملخصها ان وكيل السرب السياسي في الاستانة العلية قدم الى الباب العالي رسالة من امير السرب مكتوبة بخطهِ وهي باسم حضرة صاحب الدولة والفخامة محمد رشدي باشا الصدر الاعظم ومعها تحرير من امضاء جميع اعضاء الحكومة السربية

وفيهِ ذكر نواياها النهائية المتعلقة بالحرب الاهلية الجارية في بوسنه منذ سنة حال كونها مجاورة لامارتهم وفي صدر رسالة البرنس ذكر صداقتهِ للدولة العلية وعبوديتهِ لحضرة مولانا ومولاهُ السلطان الاعظم وإن المحافظة على الحالة الحاضرة في السلطنة السنية من مصلحتهِ وانهُ مصمم على المحافظة عليها بكل قوتهِ . وقد جاء ببراهين طويلة اثباتًا لصداقتهِ منذ تولى الامارة بعد ابيهِ البرنس ميكائيل سنة ١٨٦٨

اما اعضاء الحكومة السربية اي نظارها فقد اظهروا للباب العالي الاضرار التي لحقت بامتهم بسبب الاضطرابات التي جرت في بوسنه وتكرار التعدي على حدود امارتهم بحملات الجنود العثمانية ولا سيما الجنود الغير المنظمة حتى انهم التزموا بان يجمعوا عددًا غفيرًا من جنودهم عند الحدود ليدافع عن اراضيهم . وفي كتابتهم ذكر الاسباب التي جاءت بالثورة في بوسنة ونسبوها الى ما يدعون بهِ من التعديات التي اقامت بها المامورون او سمحوا بالقيام بها في ايام السلطان السابق . وختام الكتاب طلب احالة حكومة تلك الولاية الى البرنس ميلان لان اهاليها من اهل لغة ورأي اهالي امارتهِ وكانوا في الايام القديمة شعبًا واحدًا . وان البرنس يتعهد بادارتها باسم حضرة مولانا السلطان الاعظم وبان يقيم ادارة عادلة موسسة على السماح بكل الاديان والمذاهب . وبالجملة نقول ان في تلك الكتابة طلب ضم بوسنه بعد حلول الجنود السربية فيها لانهم يدعون بان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لاتمام اخماد الثورة فيها وان يقوم بسياستها تحت سيادة الباب العالي وبدفع مبلغ معين له كما يسوس امارتهُ . فتناول حضرة الصدر الاعظم الكتابة المذكورة بدون ان يطالعها وقال انهُ لا بد لهُ من زمان كافٍ للتامل فيها . وبعد ذلك بعث وكيل السرب ترجمانهُ الى الباب العالي طالبًا الجواب فقيل لهُ ان يطالبهُ من حضرة ناظر الخارجية

وبعد ذلك ببرهة قصيرة ورد تحرير اخر من البرنس نقولا امير الجبل الاسود باسم حضرة الصدر الاعظم وهو يشابه في امور كثيرة تحريرات الحكومة السربية . وقد ذكر فيهِ عدم تمكن الحكومة من اخماد الثورة في الهرسك وقد لام فيهِ المامورين الذين كانوا متقلدين زمام الامور في ايام المرحوم السلطان عبد العزيز لانهم لم يفوزوا بالنجاح المرغوب ووصف الاضرار التي لحقت برعاياه بسبب استمرار الحرب الاهلية سنة وقال ان الامارة امست كانها محاطة من حديد (ومن الامور التي تستحق الذكر ان امير الجبل لم يذكر بوسنه قط كما ان امير السرب لم يذكر الهرسك في كتابتهِ) . وقد اقر امير الجبل في تلك الكتابة بانهُ ربما كان بعض اهالي الجبل قد حاربوا مع العصاة غير انهُ قال انهُ قد افرغ جهدهُ في سبيل المحافظة على الحيادة التامة . وافرغ جهدهُ في سبيل اخماد الثورة غير انهُ بات لا يقدر ان ينظر الى اعمال هرق الدم والخراب في الهرسك بدون مبالاة حال كون اهاليها متحدين مع اهالي امارتهِ بالجنس والدين . ولا يقدر ان يحتمل ما يجعل سلامة امارتهِ وراحتها في خطر دائم ولذلك قد صمم منذ اليوم بان يبدل الحالة الماضية بالعدوان الجهاري

الجبل الاسود

لا ريب في ان كل قراء الجنان يحبون ان يقفوا على تاريخ الجبل الاسود بالنظر الى الاحوال الجارية في هذه الايام وقد قرانا في جريدة البال مال بدجت الانكليزية جملة بهذا الشان وفيها ملاحظات مهمة لذيذة فترجمناها وهذه هي ترجمتها

ان الجبل الاسود كالسرب لا يزال يتذكر معركة كوسوفا . فان الانكسار العظيم الذي بليت بهِ

الامبراطورية السربية في تلك المعركة لم يات باخضاع الجبل الاسود كل الخضوع للدولة العلية ولكنهُ جاء بتقسيم تلك الامبراطورية واخضاعها . واستمر الجبل الاسود محافظًا على استقلالهِ ودافعًا للفاتحين في تلك الايام وفي ايام كثيرة غيرها وقع فيها بصعوبات عظيمة . وسنة ١٤٤٤ بعد موت اسكندر بك المشهور البشناقي وقع قصاص الدولة العلية مجددًا على السربيين والبشناقيين فالتزم اوان بن اسطفان امير الجبل الاسود بان يترك اهم قلعهِ لجنود الدولة العلية وان يلتجئ الى الجبال . وسنة ١٤٨٩ اسس ديرستان وجعل مركزا اسقف الجبل الاسود الرسمي . وسنة ١٥١٧ ميلادية تخلى جورج زرنوفتش للاسقف او لرئيس الاساقفة المسمى جرمانوس فصار امير الجبل ايضًا غير انهُ انفذ سلطانهُ الزمني بواسطة مامور سياسي حربي متعلق بو كل التعلق . وفي ايام الامبراطور بطرس الاكبر جعل الجبل الاسود نفسهُ تحت حماية روسيا . وقبل ذلك ببضع سنين اخذ بعض اهالي ذلك الجبل القاطنين في جوار كاتارو في طلب مساعدة روسيا . ومن المعلوم ان الذي يجعل السلافيين في الممالك المحروسة يستندون الى مساعدات الشمال اي روسيا هو عدم فوزهم بمساعدات الدول الغربية

وفي سنة ١٧٩١ عقدت معاهدة بين روسيا والنمسا وتقرر فيها ما دل على انهما نسيتا الخدمة التي صرفتها حكومة الجبل الاسود في سبيل صوالحهما عند مضادتهما للدولة العلية فتركتاها وحدها قبالة الدولة العثمانية على اننا راينا الجبل الاسود قد انحاز الى مساعدة روسيا وذلك سنة ١٨٠٣ فانهُ حارب الفرنسويين . واستمر تحت رياسة رئيس ديني تحت يده رئيس زمني الى سنة ١٨٣٠ فان بتروس بتروفتش جمع في يده اهم الامور الدينية والسياسية والحربية ، وخلفهُ قريبهُ دانيال بن بتروس وتقرر في رياسة الامارة في بطرس برج عاصمة روسيا وكان يقبض منها معاشًا حياتهُ بطولها ولا يزال يدفع ذلك المعاش لخلفهِ الحالي وهو البرنس نيكتا . وفي اثناء امارة دانيال بتروفتش حملت الدولة العلية على الجبل الاسود الذي لا ينقطع زمانًا طويلاً عن محاربتها . وكانت الجنود العثمانية تحت قيادة عمر باشا وكان عددها ٥٦ الفًا فاخذت في ان تخضع الجبل شيئًا فشيئًا . ولا يخفى ان الجبل المذكور كلهِ حصونًا طبيعية كثيرة منها ما هو منيع فضلاً عن الحصون والحواجز الصناعية وقد شبه ببحر مزبد ووراء امواجهِ الصخرية يلقى الجندي مركزًا امينًا لا يزاح منهُ . على ان عمر باشا ضايقهم حتى انهُ ربما كان اخضعهم واي اخضاع ولكن النمسا وروسيا تداخلتا ومنعتا ذلك . وتقرر اتفاق بينهُ وبين الدولة العلية غير انهُ لم يستمر غير سنتين عند ما انتشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا ثم امتدت فصارت انكلترا وفرنسا وسردينيا من جهة الباب العالي ومن المعلوم ان الجبل الاسود انحاز الى حاميتهِ الروسية منقادًا في ذلك الى ما انطبع عليهِ من العدوان وحب مقاومة الدولة العثمانية

وفي اثناء ذلك جرى في ذلك الجبل تغيير داخلي مهم فانهُ كان تحت امارة رئيس ديني الى ايام دانيال بتروفتش . وكان ذلك الرئيس يسمى فلاديكا وكان يحمل غدارات . وكان اخرهم دانيال المذكور فان الاهالي عصوا عليهِ سنة ١٨٥٤ وفي ٢٥ نيسان (افريل) من السنة المذكورة منحهم نظامات اساسية وانقطعت امارة الرئيس الديني وصارت امارتهُ مدنية ذات حكومة كسائر الحكومات رئيسها امير زمني . وفي تلك المدة المضطربة قرر نظام الجبل الاسود ونشر وليس من النظامات المدققة المطولة وهو مطبوع في في ١٦ صفحة . وقد تقرر في بند من بنودهِ المتعلقة بالدفاع عن الوطن ما ترجمتهُ . اذا تصرف الانسان

تصرف الجبناء وتخذمنهُ اسلحتهُ ويحرم تقلدها حياتهُ بطولها ويحرم الاحترام . وفضلاً عن ذلك يعلق بهِ ثوب امراة صغير يلبسهُ فوق صدره دلالة على انهُ ليس ضمن صدره قلب رجل . وقد تقرر فيهِ ما يسمح للانسان المهان في بعض الظروف بان يقوم بحق ثاره وما ياتي ترجمة بند بهذا الشان ان كل من يلطم رجلاً من الجبل الاسود او يضربهُ بلكمةٍ يوخذ منهُ ٥٠ دوقاً جزاء نقدياً . ولكن اذا قتل المهان مهينهُ في الحال وهو مغتاظ فلا يُطالب بدمهِ فكانهُ قتل لصاً وهو يسرق . وقد تقررت فيهِ قصاصات قاسية تلحق بالزناة حتى انهُ يسوغ للرجل الذي تخونهُ زوجتهُ ان يقتلها ويقتل الخائن اذا راى منهما الخيانة على انهم يفرقون المتحابين من الغير المتزوجين في امور كثيرة وقد تقرر في احد البنود ما ترجمتهُ اذا تبعت فتاة اختيارياً رجلاً بدون ارادة ابويها فليضت بمذنبة بل يتزوجان بالحسب . وفي ذلك النظام سماح بالبراز غير انهُ مقيد . ولا يزال ذلك الجبل محروساً بقوانين منها ما هو ديني ومنها ما هو عائلي ومنها ما هو جمهوري . واميرهُ متعلق بعض التعلق بالباب العالي غير انهُ عصاهُ موخراً واشهر عليهِ الحرب والواقع انهُ لم يكن يقم بواجباتهِ المتعلقة بهِ . اما امبراطور روسيا فهو خزينتهُ ولهُ علاقة اخرى بروسيا وهي اتحادهُ مع الكنيسة الارثوذكسية الروسية موخراً واعترافهُ بامبراطور روسيا راساً لها .

فلنرجع الى تاريخ الجبل الاسود المتاخر فنقول انهُ سنة ١٨٥٨ جرت بينهُ وبين الباب العالي اختلافات جديدة ويقال ان احد اعمام الامير كان مشغولاً في اجراءات خيانة . وفي ٢ اب (اغسطوس) سنة ١٨٦٠ قتل البرنس دانيال وخلفهُ ابن اخيهِ وهو الامير الحالي البرنس نقولا او نقولو بتروفتس نياكوش وهو الذي تدعوهُ اخباننا البرنس نكيتا . وسنة ١٨٦٠ انتشبت نيران الثورة في الهرسك وكان الجبل الاسود يساعد العصاة فحملت الدولة العلية عليهِ سنة ١٨٦٢ بثلثين الف مقاتل وفي اب (اوغسطوس) من السنة المذكورة وصل العثمانيون الى ظاهر ستني عاصمة الجبل فخضع البرنس لسيادة الباب العالي بمعاهدة . وسنة ١٨٧٤ وقعت مشاكل جديدة بينهُ وبين الباب العالي بسبب ارتكاب قتل كثير عند حدود البغناق وكان ينسب ذلك الى اهالي الجبل فبعد المفاوضات الاعتيادية شهر الحرب على الباب العالي في كانون الاول (جانيوري) سنة ١٨٧٥ غير انهُ عقد الصلح في نهاية الشهر واستمر محافظاً على السلام الى شهر اب (اوغسطوس) من السنة الماضية عند ابتداء الثورة الاخيرة التي جاءت بنتائج عظيمة مهمة في الهرسك . واذا قيل ان السرب والجبل الاسود لم تهيجاها لا يقال انهما لم تفعلا ما يصد اتساعها وتاكد الناس منذ البداية انهُ اذا بلغت ثورة الهرسك والبوسنه درجة مهمة واستمرت زماناً كافياً فلا بد من ان تشترك امارتا السرب والجبل الاسود معهما فيها . وقد اشتبه قوم في استقامة تصرفات امير الجبل وقالوا انهُ عند ما شهرت السرب الحرب على الدولة العلية مال الى مصافاتها والاصغاء الى ما يقال انها عارضتهُ من ضم ارض الى امارتهِ من الساحل . على ان ذلك غير محقق . لانهُ لا يخطر للذين يعرفون احوال الجبل ببال ان الامارة التي استمرت تجاهر بالعدوان خمسمائة سنة وتقيم الحجة على استيلاء الدولة العلية عليها تقبل بأن تصافيها عند سنوح اوفق الفرص للمجاهرة بالعصيان . ومن الموكد انهُ لو وافقها الموافقة شعبهُ على ذلك فلا يقدر ان يمنعهم عن الحرب . ومن المحقق انهُ في احتياج شديد الى ثغر . لانهُ ربما كان الجبل الاسود قلعة حصينة غير انهُ محاط بالاعداء او بالاصدقاء الذين لا يركن الى صداقتهم ولا يقدر ان يصدر بضائعهُ ولا ان يدخل ما يحتاج اليهِ الا باذن

الحكومة النمساوية

وسنة ١٨٤١ اقيمت مدارس كثيرة فيهِ ولم ينقطع الاهالي عنها واقيمت فيهِ مطبعة ايضاً في العاصمة على انهُ لم ينشأ فيهِ جريدة الا سنة ١٨٧١ . وكان الاهالي يكرهون اموراً كثيرة من التمدن الغربي . وفي ايام نابوليون حاول المارشال مارمون ان يدخل اليهِ نظام اقامة الولاة والمتصرفين غير انهُ لم يفز بالمرغوب ولم يرتضِ الاهالي بانشاء عسكرية مخصوصة واراد المرشال ان يمهد طريقاً حربية في وسط الجبل وطلب الى الاهالي ان يقوموا بذلك فابوا قائلين انها تكون في الغالب لجر مدافع اعدائهم . وهو كسائر البلاد السلافية ذو اشعار ويقال ان لغة اهلهِ السلافية اصح لغات الامة السلافية فان اللغة البولونية والبوهيمية والسربية وهي سلافية قد ادخلت كلاماً كثيراً غريباً اليها . وحديث اهالي الجبل صافٍ كهوائهم والمأمول ان انشاء الجرائد عندهم لا ياتي بإفساد لغتهم الجميلة التي لا بد من ان يدخلها عبارات كثيرة متعلقة بالسياسة الحالية و بالصناعة العصرية والا فلا سبيل الى نشر احوال الزمان الجاري في عهد جريدتهِ

روسيا والمانيا وانكلترا

قالت جريدة البال مال بدجت الانكليزية قد اشتهر العالم هزنغ فون ترتشكي في المانيا ككاتب سياسي حاذق وفي بلادنا الانكليزية نفسها لا يجهل اسمهُ ولا ريب في ان كثيرين منا لا يزالون يتذكرون كتاباتهِ الكثيرة المتضمنة صراخاً شديداً متعلقاً باحوال الحرب التي كانت جارية بين فرنسا وبروسيا وحدة طعنهِ المكدر في انكلترا لانها لم تبالِ بالحوادث العظيمة وما نشأ عنها مما يدعوهُ تعريات ادبية عظيمة . وكان اشد الكتّاب تحريضاً على ضم ارض فرنسوية الى المانيا وعلى لزوم قصاص الفرنسويين بسبب ما ادعاهُ من سوء ادابهم . على ان الايام المذكورة قد مضت ومضت كتاباتهُ معها حتى انهُ يكاد يمسي في زوايا النسيان حتى ان تجدد طبع كتاباتهِ المتعلقة بذلك منذ نحو سنتين لم يأتِ بالتاثيرات المرغوبة في الناس لانهم لم ينتبهوا اليها حق الانتباه . على انهُ قد سنحت لهُ فرصة جديدة في هذه المدة المتاخرة وقد استغنمها استغناماً يحمل الناس على الاصغاء اليها على رغم انفهم . فانهُ نشر جملة في جريدة البروسيخ جاهر بوشار الالمانية عنوانها الدولة العثمانية والدول وقد فازت بالاشتهار والنقل . ولم تبرز اراء الكبروز اراؤهُ فيها بما يستحق الشهرة منذ خرجت الجرائد الالمانية من تحت مناظرة الحكومة . وقد لام الانكليز وتبررهم مدعياً بانهم يقومون بسياسة ذات بواطن مجهولة وطعن في اميالهم العمومية ومخاباتهم كامنة ومركز انكلترا ولذلك من المهم اللازم ان نرى هل يستدل بكلامهِ على ميل الامة الالمانية او ميل قسم عظيم منها . وقد راينا ان بعض الجرائد النافذة الكلمة في هذه البلاد لم تبحث عن كلامهِ حال كونهِ يقال انها ذات علاقات صداقية جارية بينها وبين دوائر رسمية ووطنية حرة في برلين . فلم تنشر جريدة التيمس ولا جريدة الديلي نيوز كلمة واحدة بهذا الشان . غير اننا لا نزال نسمع صدى البركات التي نشرتها الجريدة الالمانية المذكورة بالنظر الى تقرب المانيا من انكلترا

ولا يلزمنا ان نبتعد الى ان نبلغ برلين لنجد كتاب جرائد يدعون بنشر سياسة وطنية بدون التفويض الذي يجعل لمنشوراتهم اهمية عظيمة . ولو كان غيظ ذلك العالم ولومهُ وتهديدهُ ناشئاً عن كدر شخصي او ميل قوم قليل لما باليناً بهِ . غير اننا لم ننسَ انهُ عندما كان مشغولاً بالمشورات كان يقوم بتوجيه الافكار برا هينهِ واوصافهِ الى الجهة التي كانت تحول الحكومة الالمانية افكارها اليها . فلذلك من الواجب ان نبحث

عما نشرته الجريدة المذكورة لنرى هل في الباطن سياسة رسمية قد جعلت منشوراتها حقاً لها او هل من نشر رأي حزب لا يستحق ان يعد من القوات السياسية . وقد افرغ العالم المذكور جهده في سبيل تبيين عدم موافقة عقد اتحاد بين المانيا وانكلترا وان الموافق عقد الاتحاد في الجهة المضادة اي بين المانيا وروسيا بل انما هو من الامور القريبة الحدوث . وقد قال انه قد حل زمان تسوية المسألة الشرقية وانه لا يوافق المانيا ان تكون متنحية ولكنه من الواجب ان تتحد مع انكلترا لتجعل اوربا محافظة على التنحي وتترك الدولة العلية تقوم بواجباتها . وان المانيا قد اختبرت سياسة انكلترا المتضادة فلا ينبغي ان يخطر لها ببال بان تصون نفسها مع حليفة لا تؤتمن حال كونها ذات اراء قد طوي زمانها . فمن اللازم ان تنضم المانيا الى روسيا وليس الى انكلترا فانها عبارة عن وقوف دولاب الاعمال وروسيا عبارة عن التقدم . وان سياسة روسيا قد اعترفت بسلطات قرننا الحيوية بتصرفها في حروب امركا الشمالية وايطاليا والمانيا وفي مضاداتها الرومية . ولذلك ترى روسيا ان المانيا تحكم بما يتعلق بتدبيراتها في الشرق بحسب الوقائع وليس بحسب الحكايات القبيحة التي نسمعها من الانكليز الذين يخافون روسيا فالدولة الروسية القوة الاستقبالية وانكلترا قوة الماضي . وان انكلترا قد ارتكبت اردا الذنوب السياسية . وقد قال منددها الالماني فضلاً عن ذلك انها المهيجة الى سياسة هولاندا الردية وانها محاطة بحبها الذاتي وبمطامعها التي تلقيها في ارتباك وانها في السنين العشرين الماضية لم تظهر غير عدوان شديد لكل دولة فتية معلقة امالها بالاستقبال . وقد اتهمها بكسل شديد ونشاط عظيم في وقت واحد والظاهر ان الغيظ حمله على تقرير امور متناقضة : فالتهمة الاولى انما هي ليبين للالمان بانه ما من فائدة في الاتحاد مع انكلترا بسبب كسلها واهمالها والثانية ليشدد غيظهم منا لاننا لم ننصف بمعاملتهم عند ما لحق بهم ضرر لامتناعنا عن ان نجعل حيادنا موافقة لهم . الى ان قال ان تعديات انكلترا ما يدعو الى اخراجها من جمعيات المشورات في اوربا بل مما يستحق وقوع قصاص عليها كالقصاص الذي لحق بالالزاس واللورن . وقد حذر الانكليز قائلاً انه لا بد من حلول زمان ترجيع جبل طارق الى اسبانيا ومالطة الى ايطاليا وهليغولند الى المانيا والبحر المتوسط الى الامم التي تحيط به

ولا يحق لنا ان نقول ان هذا الانقلاب الشديد في صفحات التاريخ وتلك الاراء مما يستدل به على اراء حزب مهم الماني ومرغوباته ولا انه موافق لسياسة حكومة المانيا . وقد راينا جريدة واحدة مشهورة المانية قد لامت العالم المذكور كل اللوم على خروجه عن دائرة العدل والموافقة والصواب في جملة اسمها عار العلم . وقد ابانت كيف انه يحرف الوقائع التاريخية ويبدلها ليعظم شان السياسة الروسية ويطعن في سياسة انكلترا . وربما كانت اراؤه لا توافق لا الامة الالمانية ولا حكومتها في ما يتعلق بمضادة الانكليز غير انها ربما كانت توافق في الحال بعض غايات الحكومة المشار اليها فترغب في ان تنشر وتعظم . وربما كان اضطراب الحزب الاول العالي الرومي قد تكدر من تصرفات المانيا الاخيرة فرات الحكومة البرلينية انه من الواجب ان ترضيه بامال او لتبريد ما قالته بعض الجرائد في انكلترا عن تقرير اتحاد الماني انكليزي موسس على علاقات القرابة الجارية بيننا ووحدة الدين وغير ذلك . وعلى كل حال نرى في تلك الكتابة تحذيراً يحذرنا من الاتكال على اتفاق مع المانيا بحيث نبيت لا نبني امالنا الا على امور من الممكن الحصول عليها . ولا نظن ان تجملاته المتعلقة بروسيا تقدر ان تمحو

تذكرات قديمة وادراك حقائق الدواخ ومن الواجب ان نسلم بان الالمان يدركون الامرين من جهة فوائدها وتعلقاتها حق الادراك . ولم ينسوا ما فعلته روسيا في سياستها من جمعية فينا الى ما لحق بهم من الذل في اولموتز ولا نظن انهم يقطعون النظر عن حقهم في الدانوب الاسفل

تمدن المصريين القدماء

ان الملك ابسماتيخوس ابطل العادة التي جرت في مصر الوفاً من السنين وهي ابتعادها عن العالم وكان ذلك ٦٧٠ قبل الميلاد . وقبلها كان اهالي تلك البلاد ممنوعين كل المنع عن الاختلاط باوربا وبالبحر المتوسط بقوانين صارمة كانت اشد نفوذاً من المنع الذي كان جارياً منذ برهة قصيرة في الصين ويابان فلم تصدر اخبارهم الى العالم وكانت اهالي اوربا يحسبون وادي النيل بلاد الاسرار والعجائب . وفي اثنا قرون كثيرة كانت رجال كسكروبس وداناوس قد هربوا الى بلدان اخرى وفازوا بالحصول على شكر الناس لانهم جاؤا البلدان التي هربوا اليها بدين ونواميس وغير ذلك من الامور التمدنية . والاخبار التي كانت تنقل عنهم كانت تعظم تلك الاخبار الغير الموكدة التي كانت منتشرة في اسيا الصغرى واليونان وايطاليا وصقلية نقلاً عن اخبار لصوص البحر الذين فازوا بان يحظوا خفية غرائب تلك البلاد المصرية التي كانوا يحسبونها بلاد السحر . فكانوا يرون فيها اهراماً عظيمة مغطية فدادين من الارض وقممها تماس الفلك مع ان كل هرم انما هو قبر ملك . ومنحوتات عظيمة جالسة على كراسي من مرمر وهي تماثيل الفراعنة الذين نبغوا في صباح العالم فكانت جالسة صامتة كانها تنظر الى الارض التي كانت تملك منذ الوف من السنين . وتماثيل حيوانات كثيرة او منحوتات قد خالطت اعضاؤها باعضاء بشرية منحوتة من صخر واحد بحذق يكاد يفوق حذق البشر ومرفوعة بقوة تكاد تكون غير بشرية ايضاً على قواعدها واوجهها مغطاة بكتابات هيروغليفية غريبة وهي لغة لم تكن معروفة عند العامة وهي تدل على سبب نحتها ومدلولاتها و يرون هياكل ضخمة الحجارة عظيمة الجدران مبنية على صفوف لا تحصى من الاصنام فضلاً عن صفوف المنحوتات ذات الاعضاء الانسانية والحيوانية . ومدافن عظيمة منحوتة فيها جثث اجيال كثيرة محنطة تحنيطاً لا يزال مجهولاً وكلها منتظرة حيوة استئنافية ومن السراديب ما يحجر القلم عن وصفه فكانت مؤلفة من الوف من المخادع حتى ان الذي كان يدخلها بدون دليل كان يبيت مدفوناً فيه لعدم اقتداره على ان يجد طريقه ليعود . ولا نقدر ان ندرك الخوف الديني الذي كان يخامر قلوب اهالي العالم عند ذكر ارض مصر المتمدنة القديمة لظنهم انها بلاد السحر والجان ولم يدم لها انفرادها فانه بعد ان استمر ١٠٧٦ سنة في مدة ٣٨ ملكاً اقاموا باعظم الانشاآت التي اقام الانسان بها ومنها الاهرام قلبت الدولة القديمة التي تألفت من اتحاد مصر السفلى بالصعيد وقالبوها الملوك الاسيون الفاتحون المعروفون بالرعاة . وملكوا البلاد اكثر من خمسة قرون فقلبت دولتهم بثورة عظيمة وجاءت بدولة جديدة لا تزال اثار بعض ملوكها تذكر الناس بها . وفي اواسط زمان تلك الدولة جرت تلك الحوادث المذكورة في بداية التاريخ العبراني وفي مجيء ابراهيم عليه السلام اليها وارتقاء يوسف واستمرت تلك الدولة الى ايام ابساتيخوس وقد تقلبت عليها الاحوال . اما وصوله الى الملك فكان بحرب اهلية مكنته من ابطال سياسة الدول السابقة القديمة بجنود يونانية مستاجرة وكان ذلك بداية تمدن اوربا بفتح ابواب مصر ليدخلها بربري الشمال

وجاء ذلك بفوائد وتاثيرات في اوربا لا يمكن ان نبالغ فيها . ومنها اتساع التجارة اليونانية اتساعاً عظيماً برواج اسواق محصولاتها ومحصولات بلدان البحر المتوسط الاخرى . وجاء ذلك بتغيير عظيم تام في سياسة مصر الداخلية والخارجية . فان استخدام جنود مستاجرة جاء بخروج كل صنف الجنود المصرية وغيرت ظروف البلاد حتى انها باتت لا تقدر ان تحافظ على وجودها بدون ان تصير دولة بحرية . وكان مركزها الجغرافي موافقاً جداً للتجارة البحرية . فان البحر الاحمر في شرقها والبحر المتوسط في شمالها وهي الموصل بين اوربا واسيا كما ظهر من نجاح الاسكندرية في قرون متاخرة . على انها صادفت ما يمنع صيرورتها قوة بحرية لانه لم يكن فيها خشب موافق لبناء المراكب بل لم يكن فيها ما يكفي لبناء البيوت واسرة الموتى . وكان قدماء المصريين كالهنود يخافون دينياً من البحر والمظنون ان عدم وجود الاخشاب عندهم لبناء المراكب من اسباب انفرادهم فالتزموا بان يشرعوا في الفتوحات ليحصلوا على الاماكن الكثيرة الاشجار في سورية ولو تكبدوا عناء عظيماً . فهذا هو الذي جعل ملوكها يحاربون ملوك البلاد الواقعة ما بين النهرين وجاءت بحصار اورشليم وفتحها واسراها لها فانها كانت عاصمة مملكة صغيرة واقعة بين بلدان البلدين المتحاربين فكان كل منها يتعدى عليها . ومن اقطع البراهين الدالة على ما تقرر في عقول ملوك مصر من ضروريات فتح البلاد اقامة ابسامتيخوس بحصر ازوتوس ٢٩ سنة وفتح ابنه نيخو الترعة بين النيل وبوباستس والبحر الاحمر عند السويس . وكانت تلك الترعة متسعة بحيث يقدر مركبان ان يسيرا فيها في وقت واحد . وعند ما قاومته الكهنة خوفاً من ان تكون الترعة واسطة لاضعاف البلاد فرنياً شرع في ان يحيط بافريقية بالسفر براكبه وفاز بذلك . ولم يقم في تلك الايام بامور كهذه للتفرج وارسل باحثين ليبحثوا عن ينابيع النيل ويقفوا على اسباب فيضانه ولا ريب في ان المقصود من ذلك الانتفاع مادياً ومالياً ويظن ان السفر حول افريقية انما كان للحصول على الامتيازات التي كان يظن انه يحصل عليها بفتح تلك الترعة غير انها لم تات بالمقصود لانه لم يكن سبيل الى الانتفاع من المراكب الكثيرة التي بناها نيخو وابوه الا بتوجيهها بحسب مقتضيات الاحوال . فصرف ثلث سنوات في المسير حول افريقية ولذلك تبين ان النفع من تلك الطريق قليل . وعدم نجاحهم لا ينبغي ان يصغر اولئك الملوك عندنا فانهم اظهروا بتجارتهم من الهمة والاقدام ما يدعو الى تعظيم شانهم . فعادوا الى سياسة رمسيس الثاني الفاتح الذي كان قد استولى على بلدان الاشجار قبلهم بقرون كثيرة ومهندسوه هم الذين فتحوا الترعة بين النيل والبحر الاحمر . وصرف في العمل ١٢٠ نفساً ومن المال ما لا يحصى . فترعة رمسيس التي ملاتها الرمال نظفت وكذلك في ايام البطالسة وفي ايام الخلفاء العرب واخذت السفن في ان تمر بها من بحر الى بحر . واصلحها الفرس في ايام دارا ولانهم حاولوا فتح ترعة اخرى على انهم كانوا ضعفاً بالالات فانهم التزموا بان يعدلوا عن مشروعهم بعد ان اوصلوه الى البحيرة المرة اذ راوا ان الماء المالح يدخل الالة . اما مدخل ترعة رمسيس عند السويس فحفظت باعمال مائية لمنع تاثيرات الاختلاف بين النيل والبحر الاحمر في الارتفاع

واشتهر فرعون صفراسا لكنا في سبل السياسة المذكورة وفاز بفتح صيدا وشهر الحرب على ملك بابل غير انه راى ما كان جارياً في مصر . فهذه المحاربات جاءت بطرد المصريين من سورية واستيلاء بختنصر على مصر السفلى وانتقم من الملك صدقيا لانه كان قد ساعد المصريين في اعمالهم . فهدم المدينة حتى اساساتها

وقلع عيني الملك وسبي الاهالي ونقلهم الى بابل سنة ٥٦٨ قبل الميلاد . واحوال مصر في تلك الايام الناشئة عن رغبتها الشديدة في المحافظة على التسلط على البحر المتوسط من الادلة المهمة التي تبين ثبوت سياسة الامم على حال واحدة ولو تغيرت الدول . وكانت تصير المحاولة على الدوام بالاشتغال في السواحل الجنوبية والشمالية للتقدم الى الجهة الغربية . وقد ظهر مما تبع من تاريخ رومية ماينشاعن التسلط على البحر المتوسط تسلطاً غير تام بسيف دولة عظيمة بحرية واهاجت مصر ثورة على الملك كامبيس الفارسي فاديها ودامها واخربها حتى انتمر عليها بعد ذلك ٢٤ قرناً بدون ان تفوز بالحصول على ما كان لها من الاستقلال ولم ينجح الفارسيون في التقدم غرباً الى جهة قرطجنة لان الفينيقيين وهم اهالي بلادنا لم يرتضوا بان يسعفوهم في مضادة تلك المدينة . وجرى ما اجراه كامباسيس في مصر في اثناء انتشار الحكمة في المدن الايطاليانية الجنوبية وذلك قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة . ومن الحوادث المهمة المستحقة الذكرا التي جرت في اثنا مقاتلات ملوك بابل والمصريين استيلا بختنصر على صور . وكانت سيادتها في البحر المتوسط علة لمنع القوة اليونانية البحرية . وقد ظهرت قوة صور بثباتها على دفاع كل القوة البابلية ١٤ سنة . وفي النهاية هدمت كلها وصارت كالصخرة التي ينشر الصياد شبكته عليها فهذا التاخر الذي اصاب تجارة صور لم يمكن ان يتبع الشعور فيه في اقصى المحلات . ومن الصواب ان يقال ان خرابها اوقع الاضطراب في جزائر البحر . وفي غضون ذلك اخذ اليونان في ان يتظاهروا بانهم قوة بحرية في البحر المتوسط . وجدد اهالي صور بناء مدينتهم ولكنهم لم يرجعوها الى مجدها وشانها فان مصائبهم اقامت بمناظرة لهم وحملت اليونان بما كان طبعاً صالحها على ان تضاد تلك المدينة فمن اعمال

الاسكندر الاولى بعد ذلك بمائتين وخمسين سنة حصرها وبعد ان اقام باعمال تكاد تفوق اقتدار البشر فتحها ببناء جسر واخربها كلها فعلاً حتى صارت سهلاً وقتل عدداً غفيراً من اهاليها وصلب الفي نفس وغلبت السيادة الصورية من البحر المتوسط الى الابد

وفي تاريخ اليونان القديم حادثتان مهمتان اجنبيتان وهما اولاً فتح ثغور مصر للمخابرات سنة ٦٧٠ قبل الميلاد وثانياً سقوط صور القديمة سنة ٥٧٣ قبله ايضاً . فنشات عن الامر الاول في الاكثر امور عقلية وعن الثاني ابتدا النجاح التجاري والحيوة السائدة في اثينا وكانت مصر في بداية التمدن الاوربي في بداية السقوط وكانت تضعف يوماً فيوماً حتى باتت لا تقدر ان تمنع اسباب سقوطها الداخلية ولا تعديات مناظريها الاسيين الذين اوقعوها في خراب . وعند بداية ظهورها التاريخي تظهر شيخوختها . واخبار ذهاب ابرهيم الخليل عليه السلام اليها وبيع يوسف وخروج الاسرائيليين وغير ذلك تدل على انها كانت في انتظام قديم مقرر وفي سكينة ونجاح . وبلغت درجة عالية من اتقان الصناعة في زمان انشاء اقدم اثارها كبناء الهرم الكبير الذي بني قبل الميلاد بثلثة الاف واربعمائة سنة ولم يبن الانسان ما هو اتقن منه فانه معجزة في فن البنا بضبطه واتقانه حتى ان اختلافات ابرة القبلة في ايامنا هذه تضبط بمركز جوانبه ومع ذلك فلما دخل يعقوب مصر كان قد مضى عليه زمان قدر الزمان الذي مضى منذ ولادة المسيح الى هذا اليوم وفي كتابات تلك الاثار براهين القدمية العظيمة . فان كتاباتهم الهيروغلافية مرت في كل درجاتها وتقررت كل قواعدها وكانت قواعد الحساب موجودة وكذلك الالات اللازمة للمياه ولرفع الاثقال وتخطيط الحدود . وقد اصاب كهنة المصريين بما قالوه لحكماء اليونان الاولين وهو يا ايها اليونانيون انكم

كالاولاد تكثرون الكلام وتفتخرون ولا تعرفون شيئاً عن الماضي

ولا يزال في لغة المصريين اثار تدل على حياتها السابقة لزمان المقروات التاريخية والاثار وكذلك في قواعدها الدينية. فنرى ان كلاماً كثيراً من لغتها القديمة من الاصل الهندي الالماني وهذا يدل على ان البلاد كانت مفتوحة بجنود اسية في القديم والدليل الاخر قواعدها الدينية الماخوذة عن امم اسية. فان قبائل اسيا دخلت في زمان متوغل في القدم الى درجة الايمان بالله واحد. حال كون افريقية قد اخذت في هذه الايام في الخروج من الاديان الفتشية ولا يزال الكاهن الاسود الافريقي مشعبذاً خداعاً ومن المعلوم ان الدين المصري جاء العامة بدين مركب اصنامي موافق لحالتها وجاء الذين عرفوا الامور وخرجوا من قيود الخرافات بايمان صحيح كريم فوجود الحالين المذكورتين حال كان ظاهرهما تناقض يدل على انه جرى فيها اتحاد ديني كما جرى بعد ذلك بقرون كثيرة في ايام بطليموس. هذا وقد اخذ علماء التاريخ في ان يبحثوا عن اثار مصر وفي كل يوم تظهر امور جديدة متعلقة بتلك البلاد القديمة المعتبرة. حتى انهم يقولون بافتخار انه بعد زمان ليس بطويل لا تكون ترجمة صفحة من كتابة مصر القديمة الهيروغلافية اصعب من ترجمة صفحة من اليونانية او اللاتينية.

ونعجب من الامور التي ظهرت من متعلقات المعارف القديمة والعلوم والصنائع والاديان والهيئة الاجتماعية مع ان البحث عن هذه الامور لم يبتدي الا امس اي منذ زمان قصير جداً. وقد ظهر الان ان امثلة البنا اليوناني جاءت من اليونان حتى اسباب الزينة منهم ومنهم اقامة الدعوى على الموتى والدينونة امام قضاة جهنم والحاق الثواب او العقاب بكل انسان من فرعون الذي يموت على عرش الملك الى العبد المفيد

ومنهم الاعتقاد بوجود ملكة في السما. واي بلاد يا ترى اقامت لمعبوداتها هياكل ومخروطات كالتي اقام المصريون بها حتى ان رومية القديمة وباريز الحالية تفتخران بتقليد بعض عظمتها. ولا تزال صور ابتاه وهو اسم الخالق عندهم ونفث الروح الالهي جالسين عند دولاب صنع الخزف يصنعون بشراً من تراب وصورة اثورا التي تعانق الشمس الغائبة واوزريس قاضي الموتى. وهكذا نرى ان اصنام معبوداتها قد عاشت اكثر من نفس المعبودات.

ونرى في الكتابة المذكورة ما يبين انهم سبقوا الجميع الى تقرير الافكار ونشرها بالكتابة. ولا ريب في انها كانت في بادي الامر صوراً ككتابة اهالي مكسكو القدما فلا نراها في التاريخ الا بعد تقدمها واصلاحها وانتقالها من كتابة تقرر الاراء الى كتابة تقرر الاصوات. وفي ايام ملوك مقدونية انحصرت الكتابة الهيروغلافية بالامور الدينية واخذت في ان تقل بالاستعمال حتى انه يقال ان احد الامبراطورين الرومان عين جائزة لمن يترجم كتابة قديمة على اثر. وكان النصارى الاولون يكرهون الكتابة الهيروغلافية لانها بقايا عبادة وثنية وتدل على اعمال الشيطان فكانوا يمحونها حيثما تمكنوا من الوصول اليها وغيرتهم الدينية حملتهم على ان يغطوا بالطين والكلس الكتابات الموجودة في الهياكل فحفظوها لنا

وكان عند القدماء اصحاب تلك الكتابة تاليفات كثيرة ربما كانت تاليفات هرمس المشهورة من اثارها وكانت محتوية كتابات موسيقية وكيمية وجغرافية وطبية وفلكية وتجربة وغيرها من المعارف البشرية وقد اخطا بعض المورخين بما ظنوه بشانها فان باليين ظن سنة ١٧٨٠ ان البابرس (كتابة) زبور النبي داود عليه السلام مترجم الى الصينية وظن لنوار انها كتابات عبرانية. حتى انه في هيكل دندره الكتابات

في المزوور المائة

وقد مرت الوف من السنين منذ تاسيس الدولة الاولى المصرية وقد مرت على الاهرام الدولة القديمة ودولة الرعاة والدولة الجديدة والفارسية والمكدونية والرومانية والعربية . وقد وقفت ثابتة مع تغييرات كثيرة قد جرت في الافلاك . وكان لها خمسمائة سنة عند زوال الصليب الجنوبي من افق بلدان البلطيك وليس لبلاد في العالم تاريخ تخالف كتاريخ مصر مهد التمدن الاوربي . وربما كنا لا نقدران نرى وراء خمسين قرناً مقاصد الرجال ولكننا نرى احوال الطبيعة وراء قرون اكثر منها فاحوال الامم تتعلق بالطبيعة من جهة اهم من جهة تعلقها بمقاصد الرجال ولم يسر المصريون القدماء في مقدمة تمدن بلدان البحر المتوسط وهو بحرنا بدون سبب وداع . وحالة بلادهم الجغرافية تبين لنا احوال امها اكثر من اثارها القديمة والطبيعة دليل اثبت من اثار الانسان فان اعماله تكون متغيرة طبعاً . وقد تغيرت احوال مصر مرات كثيرة غير ان مركزها لم يتغير منذ قطنها الانسان وقد تغيرت احوال حقولها ولكن اراضيها لا تزال على ما كانت عليه . فماذا يا ترى جعل التمدن ينمو على ضفات النيل عوضاً عن ان ينمو على ضفات نهر الدانوب والطونه او نهر المسيسبي في امركا . الجواب ان التمدن يتوقف على الهواء والزراعة . ففي مصر تعرف احوال المزروعات عند زرعها . ويندر ذلك في الدنيا فان المزروعات لا تعرف احوالها قبل حصدها فان التغييرات الهوائية الكثيرة توثر فيها منذ بذرها فلا تخمن مقادير المحصول السنوي فان طول زمان انقطاع المطر يوثر فيها كما تضر بها الامطار المتجاوزة حدود الاعتدال . ولا يكفي هطل كمية كافية من المطر في السنة فانه لابد للاقبال من هطلها في الاوقات الموافقة فاتعاب الفلاح عرضة لتاثيرات الهواء والغيوم . ففي تلك الظروف يصعب قيام امة متمدنة . وما دامت الحيوة في ريب وحوادث اليوم تقطع امال امسه يكون عمل الانسان للقيام بالوسائط وليس لوضع النواميس فباشفاقه على احواله الاستقبالية المجهولة لا يبقى له من الزمان ولا من الرغبة ما يحمله على ان ينظر الى الافلاك ليبحث عن احوالها و يفيدها ولا ليبحث عن نفسه ليحقق ظروف زمانه ومكانه . فكل قوته مصروفة في سبيل الحصول على اسباب المعيشة الحالية فلا يتجرا ان يقوم باعمال معرضة للخسران بامل تحسين احواله . كانه قد حكم عليه بان يكون بربرياً يقوم بغيره خائفاً من اشياء وهمية واذا لم يبت منفرداً يكون رفيق برابرة مثله قد اضناهم التعب والهم . ففي تلك الظروف اذا وصلت اليه مرة احوال التمدن الابتدائية وتحركت قوة الاستمرار عليه فتاتي الامور التي كانت مصدر تعبه وقلقه بنتائج اخرى فالمصائب التي يكون معرضاً لها تجعله غير مرتض بما لديه فيسعى في سبيل تحسينها . ولذلك قد رأينا تمدن اوربا مستنداً في بادي امره الى انتظام حالة الهواء في مصر غير ان التغلب على موانع الطبيعة في حالة تمدنية تفوق تلك الحال قد تم في المنطقة المعتدلة التي للحيوة فيها موانع كثيرة . فمصر بلاد لا تلعب فيها الفصول بالانسان فلا يهتم بسنة بلده فتغييرات الحرارة فيها في السنين لا تستحق الذكر ففي الصعيد هطل مطر غزير من الغرائب غير ان فيضان النيل يبتدي في وقته فتطوف المياه بانتظام على الاراضي وتغطيها فتسقيها وتكسبها خصباً فاذا ارتفع ٨ اذرع او ما يقاربها تكون المزروعات مجدبة وان ارتفع ١٤ يكون الاقبال عظيماً . ففي الربيع تعرف احوال المزروعات في الخريف . فحالة المزروعات معلومة في تلك البلاد وفيها ابتدا التمدن والتمر فيها ياتيها بطعام يكاد يكون بدون مصروف . والهواء يجعل الاهالي يعيشون في الغالب على المأكولات

النباتية والثياب قلما يحتاج اليها حتى انهُ يقال انهُ بتيمصر تربية الولد فيها طبيعياً بمايزيد قليلاً عن الليرا - وفي القارة الامركانية بلاد تشابه مصر طبيعياً وهي بيرو فان الامطار لا تهطل في سواحلها . وهي مقر التمدن في تلك القارة . وفي سواحل المحيط من مكسيكو بلاد لا تهطل الامطار فيها . ومما يستحق التامل في تاريخ تمدن البشر ابتداؤهُ في بلدان لا تمطر سماؤها حال كون بعضها بعيداً جداً عن البعض الاخر. فحالة صعيد مصر وهو مهد التمدن من جهة المطر هي موضوع التاملات فانهُ لا تاثير للمطر في الزراعة فيها لانهُ بالنظر الى الزراعة هناك لا تهطل امطار وتغييرات الهواء غير موجودة

ففي باب الجبال عند اسيون تبتدي المياه في الارتفاع نحو اواخر شهر ايار (مايس) وفي ٨ او ٩ اسابيع تبلغ حدها من الارتفاع الناشي عن الامطار الغزيرة التي تهطل في البلاد الجبلية التي ينبع النيل فيها . وهي ناشئة عن الرياح المعروفة بالتجارية خلا الاماكن التي تكدر فيها بالرياح الحارة التي تهب فوق البحر الهندي الكبير. فينشف بها الهواء الشرقي و يهب على فيها في اواسط افريقية فهو خال من الغيم و بالتالي من المطر وسبيلة صحار قحلة . وفي بادي الامر تصير مياه النيل حمراً ثم خضراً لان فرعة الحبشي العظيم وهو النيل الازرق يصل قبل ماء النيل الابيض الذي يتبعهُ و يفيض مع الماء وحل يكسب الارض خصباً عظيماً . فهذه المواد الوحلية التي حملها النهر منذ قرون لا تحصى قد رفعت قعر مجراهُ وقد رفع على ضفتيهِ ترابا جهة الصحراء ولذلك يظهر الارتفاع اولاً عند ضفتها . وفي اواسط ايلول (سبتمبر) ياخذ الماء في ان ينزل وفي اواخر تشرين الاول (اكتوبر) يرجع الى حدوده الاعتيادية تاركاً الحقول مغطاة بقشرة ذات خصب وهذه القشرة تبلغ ستة قراريط من السمك في كل قرن . والمظنون ان قعر مجرى النهر يرتفع اربع اقدام كل الف سنة واسباب الخصب تمتد دائماً في الصحراء . وقد زادت الثالث منذ زمان الملك عمنيونس الثالث الذي نبغ سنة ١٤٣٠ قبل الميلاد وقد جمعت حول قاعدة تمثالهِ سبع اقدام من الوحل

وفي زمان متاخر صدر امر الحضرة الخديوية السنية بالحفر بالقرب من تمثال رعمسيس الثاني الساقط في ممفس وقد قال لبسيوس انهُ نبغ بين سنة ١٣٩٤ و ١٣٢٨ فانزل مسبار في الارض اكثر من ٤٢ قدماً فدخلت المياه الثقب فالتزم السابرون بان يثقبوا الارض مسافة ٤١ قدماً و ٤ قراريط ونصف قيراط فتبين ان كل الارض التي ثقبت من المواد التي ياتي النيل بها واخرج من نهاية الثقب المذكور قطعة من الخزف وثقبت الارض في ٩٥ مكاناً . غيرانهُ لم يبلغ الصخر وظهر ان البقايا العضوية اي الحيوانية والنباتية كلها من ازمنة متاخرة ولم يظهر اثر لشيء من المخلوقات التي انقرضت واخرجت قطع كثيرة من الاجر . والفرنساويون فحصوا البلاد من اسوان الى القاهرة وعدلوا لكل قرن خمسة قراريط افرنجية من تلك المواد . وقد فحص مستر هورنار الارض في هليوبوليس وعدلها بثلثة قراريط و ٨ اجزاء من القيراط . وقد اجتمع منها حول تمثال رعمسيس الثاني ما عمقه تسع اقدام واربع قراريط . فاقيم التمثال منذ نحو ٣٢١٥ سنة فيكون المعدل قيراطاً ونصف قيراط في القرن وتحت تلك المواد مواد اخرى عمقها ٣٢ قدماً فيكون قد مرت عليها منذ ابتدات في الاجتماع الى سنة ١٨٥٤ وهي سنة الفحص ١٣ الفاً وخمسمائة سنة . والظاهر انهُ قد جرى الفحص بكل دقة

اما مسافة الارض التي يفيض فيها النيل فهي قليلة الاهمية من جهة الجغرافية غير انها مع ضمنها

اقامت بملايين من اهل مصر وهي تبتدي عند شلالة اسوان وتنتهي عند البحر المتوسط والنهر يجري في وادٍ يحدها الجبال الشرقية في الشرق وجبال ليبيا في الغرب ومعدل عرضها سبعة اميال غير ان الاراضي المزروعة ليست باكثر من خمسة اميال ونصف ميل وعرضها في اوسع مكان عشرة اميال وثلثة ارباع الميل وفي اضيقها ميلان. ومساحة ارض مصر نفسها المزروعة ٢٢٥٥ ميلاً وفي الفيوم ٣٤٠ ميلاً ومع ضيق مساحتها تقوم بمعاش سبعة ملايين من الانفس والزراعة فيها مضبوطة موكدة حتى انه يقال انها صناعة حسابية فان تاثيرات الهواء غير موجودة وتاثيرات المياه تعرف قبل الحصول. وكان الكهنة يقررون عن مقدار الطوفان بالمقياس فيعرف الفلاح هل ينبغي ان يكثر الزرع او ان يقلله. وفي هذه الحال لا بد من القيام باصلاحات طبيعية تجرف الترع والسواقي عند ما تزيد عن المطلوب. فنشا عن هذه الحال قيام حكومات قوية لسطوتها نفوذ تام في زراعة البلاد بالقيام بهذه الامور وحفظها وكانت تجمع رسومات تدفع بالرضى وتكون بحسب الماء الذي تاخذهُ كل ارض من النهر. فهذه نظامات حكومة مصر القديمة الاساسية وملك الدولة القديمة الاول اتخذ على نفسهِ تحويل مجرى النهر ولا يتم ذلك الا بهندسة متقنة جداً وقد فاز باتمامهِ واسمهُ منس ونبغ منذ خمسة الاف سنة ولا بد من ان تكون قرون كثيرة قد سبقت زمانهُ حتى اتصلت المعارف والصناعة الى درجة تمكنهُ من القيام بعمل عظيم كهذا العمل. هذا ولا يلزم ان نبحث عن التقدم الذي يقدر العقل البشري ان يقوم بهِ في بلاد ظروفها كظروف البلاد المصرية حتى يبلغ ما كان قد بلغ من درجة التمدن والمعارف وكان الاهالي مصونين غرباً بصحرا رملية محرقة وشرقاً بالبحر الاحمر. ولا يلزم ان نذكر الازمان الجيولوجية القديمة جداً عند ما كان ذلك النهر يجري على صخر الى ان يصب في البحر المتوسط ولا اصف كيف تم جملة للتربة التي احاط نفسهُ بها وجعلها اخصب تربة على وجه الارض. فان مصر صارت بلاداً تسكن بتلك الواسطة اي برسب التربة التي تحملها امواه النهر الطائفة اتية بها من جبال المناطق الافريقية الحارة ولم يتم ذلك الا بالتدريج في زمان طويل جداً فان نبض شريان تلك الارض وهو النهر لا يضرب غير ضربة واحدة في السنة فما هي يا ترى بضع مئات من القرون بالنسبة الى اتمام ذلك

وراى المصريون في تلك الايام ان ارتفاع ماء النيل يكون عند طلوع نجم كلب الجبار ولذلك قالوا ان سبب الفيضان انما هو فلكي. ولا يخفى ان الرجال كثيراً ما يخطئون بالاسباب والعلل فلم يكتفوا بان يجعلوا طلوع ذلك النجم مع الشمس علامة لابتدا الفيضان. ولكنهم قرروا في عقولهم انهُ سببهُ فكانوا ينتظرونهُ وفي مدة قصيرة راوا ان ذلك يتم بانتظام كل ٣٦٠ يوماً وكان ذلك بداية تحديد السنة. ومما يستحق الذكر ما ظهر من ان علم الفلك والدين كانا متصلين في اول الامر فان كهنة هيكل فيلي كانوا يضعون امام قبر معبودهم اوزيرس كل صباح ٣٦٠ اناء من لبن فكل منها يرمز الى يوم من ايام السنة في تلك الايام القديمة جداً عندما كان يظن ان السنة مولفة من ٣٦٠ يوماً. ولا ريب في ان العادات المشابهة لذلك حملت المصريين على الانصباب على الامور التاريخية خلافاً للهنود الذين لم يقرروا الحوادث كتابة

فالنجم المذكور من اجمل الانجم وعند المصريين الفيضان من اهم حوادث العالم فاخطاوا بجعل التصادف علة وقرروا في عقولهم ان طلوعهُ علة ارتفاع الماء فهذا الخطا صار في مدة قصيرة تعليماً عمومياً وقاعدة مهمة وقالوا انهُ اذا كان لنجم واحد هذا التاثير

في الارض فماذا ياترى يمنع الانجم الاخرى عن ان تكون ذات تاثير ايضاً . ومن المعلوم انهم راوا ان المد والجزر اليوميين في البحر متوقفان على حركات الشمس والقمر فنشا عن ذلك الاعتقاد بالتاثيرت الفلكية فتقرر اولاً عندهم انها متعلقة بالامور الغير العضوية ثم توسعوا وجعلوها متعلقة بالبشر بحيث ينشا عنها سعدهم ونحسهم وغير ذلك . وكانوا يرون في كل محل من الدنيا الابراج التي كانوا يرونها في فلك بلادهم فان الاماكن وموجوداتها مما يغيب عن نظر الانسان في الدنيا ولكنما الاجرام السموية لا تغيب عنه بالانتقال من مكان الى مكان . فانتظام حركاتها وصمتها الموثر وابعادها الغير المدركة تقرر في عقل الناظر اليها انها بعيدة عن الموثرات الناشئة عن القوة البشرية غير انه ربما كان يتوهم انه من الممكن استعطاف خاطرها بالصلوات

وهكذا دخلت عبادة الاجرام السماوية فاخذوا وهم في اعلى طبقة من معارفهم في عبادتها وهي الشمس والقمر والزهرة وغيرها ونسبوا اليها صفات الهية (العياذ بالله) وقالوا ان معبوداتهم العظيمة كاوزريس وابتاه وامون انما هي مشخصات لتلك الصفات كما لو قلنا ان الخالق كلي القدرة . وقالوا ان الله لم يظهر في العالم بجسد بشري وان ذلك ضرب من المحال فانه روح حياة كل العالم والظاهر منه انما هو ناشي عن وجوده ليكون ظاهراً فهذه الصفات المشخصة تنظمت تنظيماً مثلثاً مختلفاً وجعلوا في كل ثالوث الثاً لشمس الاثنين . فخرج من امون بواسطة ماوت خونسو ومن اوزريس بامراته اليسس هوروس ومن نيف من ساتي انوكي . وحرموا تشخيص الله سبحانه وتعالى الا بصفاته فهذه المثلثات واشخاصهم كانت سبباً كافياً لارضاء العامة بالعبادة الصنمية . فكانوا يومنون بانه تجسدت تلك الصفات لخلاص البشر فظهر اوزريس بالجسد وبات ضحية عنصر الشر وبعد موته وقيامته صار قاضي الاموات . فامسى رئيس الغرب حيث تغيب الانجم فيغطي العالم السفلي الذي تنقطع الشمس ليلاً

وقد قال الكهنة المصريون انه لا يفنى شي فالموت هو اتخاذ هيئة جديدة . وقد قال المورخ هيرودوتس المشهور انهم سبقوا الجميع الى اكتشاف خلود النفس وكانوا يقولون انها جزؤ من الروح العامة التي تحيي كل الحيوانات والنباتات حتى الكائنات الغير العضوية بجزء منها اقل من الجزء الذي يحيي البشر به . والتزموا باب يسلموا بسقوط الانسان لانهم سلموا بتجسد معبوداتهم . وعينوا صيامات وتكفيرات لفرج النفس الخاطئة هذا في الحيوة وعينوا بعدها التقميص الى اجساد حيوانية للتطهير . وكانت محاكم النفس عند الموت عند اوزريس في العالم السفلي بحضور الجن الاربعة الذين هم لذلك العالم وبحضور ٤٢ عضواً . وان هوروس هو الذي يقود النفس وكان انوبس يزن قلبها بميزان العدل فاذا رجحت الخيريات يدخل حقول آهلو وهي جنتهم وان رجح الشر يحكم عليه بالتقميص المذكور . وخوفاً من ان يتحول هذا الاعتقاد الى خرافات كان يسبق تلك المحاكمة محاكمة دنيوية هنا مخيفة موثرة . وكان الجميع ملزومين بان يخضعوا لها من الملك الى ادنى الاهالي . فانه عند موت الانسان كان يرسل الى المحنطين فكانوا يحفظونها عندهم ٤٠ يوماً وبعد ذلك كانت تحد عائلة الميت ٣٢ يوماً وكانوا يضعون المومياء وهي الجثة المحنطة في صندوقها واقفة في مخدع داخلي من البيت . ثم كان يرسل الى ٤٢ عضواً المخصوصين بالمقاطعة وكانت تحمل الجثة في اليوم المعين الى البحيرة المقدسة وكان لكل مقاطعة بل لكل مدينة بحيرة في الجهة الغربية . وكان يبتدأ بالمحاكمة عند الوصول الى الشاطي وكان يسمح لكل انسان بان يدعي على الميت او ان يحامي عنه والويل

المدعي الكاذب فكان يحاكم الاعضاء بحسب الشهادات فاذا حكموا عليه بالشر كانوا يمنعون دفنه فكان يلتزم اهله بان يرجعوا به الى بيتهم وهم في خجل وعار لامزيد عليها وكانوا يحاولون ان يكفروا عنه باعمالهم الخيرية واذا لم يتيسر وضعه في بيت لفقرهم كان يدفن على ضفة البحيرة وكانوا يعتقدون بان روحه تلتزم اذ ذاك ان تصير تائهة مائة سنة . ولا تزال عظام البعض موجودة في تلك الضفات فتخرج بالحفر بعد ان باتت بدون دفن قانوني ثلثة الاف سنة . واذا حكم عليه بالخير كان يدفع شيء قليل لصاحب القارب وهو قارب الموت ويذهبون الى الضفة المقابلة حال كون الاعضا والكهنة يخبرون معبودهم اوزريس بالحكم بالخير . وعند الوصول الى العبر كان يسار بالميت باحترام الى المدفن المخوت

وقد ظهر من ذلك ان الدين المصري القديم لم يبق دينًا عقليًا ولكنه انفذ في الاهالي باحتفالات وفروض ولا سيما في الهياكل العظيمة فانه كانت يقدم اللحوم والبخور وغير ذلك وكان دينهم المزدوج النوع لموافقة العامة من جهة والخاصة من جهة اخرى ذا اسرار فنقل بعضها الى بلاد اليونان فالاستخارات او ما يسمونه نبوات في بلاد اليونان من اصل مصري وكانت اوامرها نافذة في نفس الملوك ولذلك التزم نخوان ان ينقطع عن انشاء الترعة انقيادًا الى ما يدعى عندهم بنبوة امون . وكانوا يستدلون على الامور الاستقبالية بالاستخارات وغير ذلك

لغز

(من قلم جرجس افندي مخائيل نحاس)

يا اديبًا بكما لو قد سما فضلاً بين الانام . ولبيبًا كريمًا فاق كرامة بين الكرام . وحاذقًا فطنًا قد ساد ندرًا وعزًا . واديبًا بارعًا حل لنا بين المشاكل رمزًا . اليك اسمًا ثلاثي الحروف . بطول القدر موصوف . قديم العهد . يفي بالوعد . انيس ودود . قليل الوجود . لدى الانام مقبول . شهي ولذيذ وماكول . يتوق اليه الغني والصعلوك . وتتفاخر باكله الوزراء والملوك . ذو لونين له ما يقوم مقام الرجلين . بهي المنظر . ان غاب يعذر . ان شاخ كان لدينا اعز مما كان في زمن صباه . غير انه يضعف وتخل قواه . يحضر في كل عام . ويقيم عندنا بضعة ايام . ان حذفت اخره يا صاح . بل اطرافه بالماء القراح . وان حذفت الاول منه لج علينا بالدنومنه . وان قلبت ما يبقى بعد حذف الحرف الاول . حل في بلادنا من دون ان يعزل . وان قلبت ايضًا ما بقي بعد حذف اخره . توقف عن مصيره . ولبى بالطاعة . بالحال والساعة . وان قلبته ايها الاديب على التمام . كما يعهد بفطانتك الخاص والعام . كان اسم مدينة مشهوره . بالسكان معموره . يوجد فيها الوف كثيرة من النفوس . وعدد وافر من القسوس . وان ابقيته على هذه الحالة . وحذفت منه الوسط بلا محالة . واضفت الهمزة . كان فعلاً ماضيًا لك باصاح منه فرط المعزة . يوجد في بيروت ولد وحلب . كبير الراس طويل الذنب . صاحب قوة وعنفوان . وله اسمان . فالاسم الاول اختص بذاته . والثاني يوجد في الدنيا من يسمى به . مجموع حروفه ان ضربتها بثلاثين . واضفت للحاصل لامًا وباء وسين . كان لك التاريخ السنة الهجرية . على صورة مرضية . فليبرز لنا ايها اللبيب من سهم يراعك جواب مسدد . ولك الفضل مع الاجر المخلد

تاريخ فرنسا

كلها وارسل في الحال اوامر لسيره بمائتي الف جندي وفي الصباح تكلم مع جوزف بصرعة لا مزيد عليها فسلم

شرع في اعمال قد تقرر في عقول الناس انها من اعظم اعماله الحربية. اما الاسبانيول والانكليز ففازوا فوزًا عظيمًا مدهشًا في بعض الحالات حتى ان النجاح اسكرهم واخذوا يفتخرون افتخارًا لا مزيد عليه فانهم كانوا قد انتصروا على جنود نابوليون العظيمة فانهم كانوا قد شرعوا في ان يحيطوا بجنوده وتقرر في عقولهم انهم بعد ذلك بايام قليلة يبتلعون الجنود التي لم تقدر روسيا والنمسا وبروسيا ان تفوز عليها في معركة واحدة. وقرروا بان خمسمائة الف من فلاحي اسبانيا تحت قيادة كهنة ورهبان يحملون على باريز بعد قطع الجبال ويفتحونها. ولم يكن القواد الفرنسويون يقدرون ان يحتملوا ان يروا ما كانوا يرونهٔ من افتخار الاسبانيول فحملوا عليهم مرات كثيرة وكسروهم ولو انفذت اوامر نابوليون كلها لوجد جنود مجتمعة في مركز واحد والجنود الاسبانيولية الجرارة محيطة بها وكان قد صمم على ان يترك جيشًا باسلاً صغيرًا لصد جناح العدو الايمن وجيشًا اخر لصد الايسر ويحمل بثمانين الف بطل على قلب الجيش الاسبانيولي فيشقهٔ في الوسط ثم يهجم على الجناح الواحد ثم الاخر ليبدد شملهٔ ولا يقدر ان يقوم بتدبير حربي كهذا التدبير غير مَن كان حاذقًا جدًّا في قيادة الجيش وشجاعًا ومع ذلك لا ريب في ان نابوليون كان قادرًا على ان يفوز بهِ. اما عدم اجراء اوامره جملةً يعدل عن ذلك لتفرق الجيش الفرنساوي ومنع الاسبانيول عن ان يحيطوا بهِ ومع ذلك صمم نابوليون على ان يقوم بذلك التدبير نفسهِ. وفي دقيقة وصول نابوليون الى فتوريا اصبح الجيش كلهٔ في نشاط وهمة وارسلت الاوامر الى كل جهة وشيدًا المستشفيات والمخازن والحواجز احتياطًا لان نابوليون كان من اشد القواد جسارةً حال كونهِ من اشدهم انتباهًا وتيقظًا. واقام جيشين كبيرين ليحرسا جناحيهِ وجمع خمسين الفًا من نخبة جيشهِ وحمل على قلب اعدائهِ فلم يقدروا ان يصدوا الحملة. غير انهٔ لم يقتل كثيرون. فان الجنود الفلاحين كانوا متعودين دروب الجبال فالقوا عنهم اسلحتهم وهربوا بسرعة الى الوعور تاركين راياتهم ومدافعهم ومهماتهم. وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) وصل في راس جنودهِ الى بورغوس واجتمع عدد غفير من الجنود الاسبانيولية على القمم المحصنة المحيطة بالمدينة فاستمر الفرنساويون يسيرون غير مبالين بالكرات والرصاص التي كانت تهلك الصفوف الاولية مغطية الارض بالقتلى ودفعوا امامهم كل ما كان يعرض في طريقهم فهرب الاسبانيول بسرعة عجيبة بدون انتظام بل تفرقت صفوفهم وتبددت جيوشهم. وطاردهم وهو يجمع ما كانوا يرمونهٔ من البنادق والمدافع والمهمات واستمر على هذه الحال الى ان وصل الى مدينة اسبينوز الصغيرة وكان فيها ثلثون الف رجل فهجم ستة الاف رجل من الفرنساويين الى الحواجز وقاتلوا النهار بطولهِ بدون ان ينتصروا ولم يرجعوا مع ان ايديهم كلت الا بعد ان خيم الظلام ففرح الاسبانيول كثيرًا بدفاعهم واضرموا النيران وضجوا ضجيج الاستخفاف بالعدو وفي المساء وصلت فرقة اخرى من الجنود الفرنساوية فصار مجموعهم ١٨ الفًا وكان في الحواجز والخنادق ٣٠ الفًا من الاسبانيول. وعند الفجر تجدد القتال الدموي وحدثت معركة من اشد المعارك وكثرت الويلات فيها ولم يتيسر دفع الهاجمين فنهض الاسبانيول باضطراب وانحدروا بارتباك قاطعين الصخور العظيمة والتجاوا الى شوارع مدينة اسبينوزا الضيقة فهجم وراءهم ١٨ الف رجل هجومًا بربريًا وقد سكروا بالقتال فراجت سوق المنايا وغمست السيوف والحراب بالدم وكانت الكرات والرصاص تخرق صفوف الهاربين الخائفين. ونشا عن ذلك ضجيج مخيف مولف من صراخ الجيش المنكسر واصوات المنتصر والطبول

والدفوف ودمدمة المدافع والبنادق وانين الجرحى ولا يتصور العقل ما في ذلك المنظر من اسباب الخوف وكان النهر المسمى ترو باد يجري من الجبال ويمر في وسط المدينة وله جسر واحد ضيق. فازدحمت اقدام المنكسرين المنكودي الحظ عليه واجتمع جمهور غفير جدًّا عند مدخله وهو يموج كانه امواج بحر زاخر من الاحياء. واخذ الرصاص ينحدر على هذا الجمع بدون شفقة كانه بردٌ ساقط من الجو فكثيرون القوا بانفسهم الى النهر الذي كان غزيرًا بواسطة اجتماع مياه المطر فحُملوا الى مدفن مجهول وبعد هذا التبدد المعظم لم يقدر الجنرال بليك ان يجمع ستة الاف رجل الا بعد معاناة مشقات كثيرة ليتقهقر بها بترتيب اما الباقون فهلكوا او تشتتوا وافرغ الاسبانيول جهدهم مرة اخرى في سبيل دفع المنتصر وذلك عند مضيق سوموسيارا الحصين

ومن المقرر ان الهجوم على ذلك المضيق من اعظم الاعمال الحربية وفي الصباح صدت طليعة جيش نابوليون عن المسير فانه كان في الجبال مضيق طويل مرتفع وعلى جانبيه صخور ملساء سماقية لا تسلك مرتفعة حتى السحاب وكان فيه ١٦ مدفعًا وجيش اسبانيولي مولف من ١٢ الفًا وراء حواجز وفي خنادق وكانوا متاهبين لان يطلقوا بنادقهم ومدافعهم على الفرنساويين الذين ازدحمت اقدامهم في مدخل ذلك المضيق وعند دخول الطليعة اطلقت النيران عليهم بدون شفقة . ومع ان هذه الطوابير كانت متعودة و يلاقي الحرب لم تقدر ان تثبت بل ارتدت لان الكرات صبت عليها بغزارة لا مزيد عليها. فسار نابوليون في الحال الى باب المضيق ودقق النظر في ما امامه فارسل فرقتين من الصيادين وامرها بان تصعدا على الصخور فوق المضيق على الجانبين وصعد الجنود عليها بهمة لا مزيد عليها واخذوا في ان يطلقوا الرصاص على المدافعين الذين كانوا يصدونهم بثبات . وعند ذلك خيم دخان البارود مع ضباب مجتمع كثيف فوق المحاربين فاظلم ميدان الحرب وعند ذلك امر فرقة من فرسان بولونيا بان تحمل بسرعة وكانت راكبة افراسًا سريعة العدو فحملت ركضًا في ذلك الظلام . فاطلق الاعداء عليها المدافع فقتل الصف الاول منها واجتمع القتلى منهم ومن خيولهم تلالًا صغيرة مخيفة . على ان الصفوف التابعة لم تبالِ بهلاكهم بل استمرت حاملة دائسة جثثهم واجساد الجرحى بدون شفقة فبلغوا جنود المدافع قبل ان تمكنوا من حشو مدافعهم . وقتلوهم بحد السيف عند مدافعهم. وعند ذلك هجم الجيش الفرنساوي بعزم وثبات قاطعًا المضيق . فلما راى الاسبانيول ذلك رموا بسلاحهم واركنوا الى الفرار مشتتين في كل الجهات تاركين للمنتصرين مدافعهم و بنادقهم ومهماتهم وزادهم

وقد قال المورخ نابيار عن ذلك من الامور التي يصعب تصديقها ولو كان الانسان عالمًا باحوال الجنود الاسبانيولية ترك ١٢ الف اسبانيولي مراكزهم حال كونها منيعة جدًّا وذلك بدون ان يحدث ما يوقعهم في ارتباك الخوف فانهم فروا خوف القتل عند هجوم فرقة صغيرة من الفرسان مع انه لو ثبت فرقتان من المشاة الباسلين لصدوا المهاجمين . اما حمل نابوليون في تلك الظروف فهو من باب القاء الفرنساويين في تهلكة وعذره معرفته لاحوال الجنود الاسبانيول واستغنامه سنوح الفرصة باجتماع الدخان والضباب على جانبي المضيق . وما ذلك الا من التوفيقات الناشئة عن حذق نابوليون السريع الخاطر في اغتنام سنوح الفرص في ظروف كتلك الظروف . انتهى

وكان الجيش الانكليزي الآتي لنجدة اسبانيا يسير قاطعًا بورتوغال بسرعة تحت قيادة السار جون

مور. ولم يقدر نابوليون ان يقف على حقيقة عدده. غير انه صمم على ان يتخلص من مقاومات الاسبانيول ثم يحمل على الانكليز. فسار قاصدًا مدريد بسرعة وثبات ولم يصادف مقاومة لانهُ فرق جنود العصاة كانهم هباء منثور امام رياح عاصفة. وفي صباح اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) وصل الى ظاهر المدينة المذكورة وهي عاصمة المملكة الاسبانيولية. وكان ذلك اليوم تذكار تتويجهِ ومعركة اوسترليتز وكان الجنود يعتبرون ذلك اليوم كل الاعتبار بل كانوا يتفالون بهِ. وكان الجو صافيًا والشمس تنير بعظمةٍ فركب نابوليون وسار قبالة الصفوف فضجت كلها بصوت واحد فليعش الامبراطور. فلما سمع اهالي المدينة هذا الضجيج وهم على الاسوار ووراء الحواجز اغتاظوا فضجوا ضجيج العدوان والاستخفاف وكان واقفًا امام اسوار المدينة في وسط ثلثين الفًا من الابطال المظفرين وكانت المدينة في يد العصاة وضمن اسوارها جيش عددهُ ستون الف جندي. وكان اكثرهم من الفلاحين الذين اهاجهم الكهنة بعناصر التعصب. اما مجموع عدد الانفس فيها فكان ١٨٠ الف نفس. ولدى تاملهِ بحال المدينة اضطرب جدًّا لانهُ كان يجب ان يتجنب اطلاق كرات المهلكة الى وسط النساء والاولاد والعاجزين على انهُ لم يكن يقدر ان يرتد عنها كانهُ مكسور ويسلمها مع سائر البلاد الى الانكليز. وقد قال موسيو شوفي ان حذقة العجيب مكنهُ من ايجاد وسيلة للتخلص من ذلك المشكل مع الجمع بين اسباب مجدهِ ومراعاة حقوق الانسانية. وكان السعد لا يزال يخدمهُ. انتهى

فركب فرسهُ ووقف ساكنًا وهو يتفرس في المدينة متاملًا. اما الجنود فكان النصر قد اهاجهم فكانوا ينتظرون ساعة الحمل بفروغ صبر فانهُ كان قد تقرر في عقولهم بانهُ ما شيء صعب على قائدهم. فسار حول المدينة راكبًا وكرات مدافع العدو تقلع الارض بين ارجل فرسهِ. فاقام جنودهُ ومدافعهُ في مراكز تمكنهُ من ان يفتح المدينة بتخويف اهلها لحجب دماء العباد. وكان ذلك بعد غياب الشمس فطلع القمر منيرًا وانار ميدان الحرب وكان الهواء ساكنًا معتدلًا والجنود الفرنساوية منتظرة صامتة. غير ان الضجيج كان يسمع من سائر جهات المدينة واجراس مائتي دير تقرع قرع الحزن. وفي الليل طلب الى المدينة ان تسلم اليهِ وقال لحاكمها بتاكيد ان المدينة لا تقدر ان تثبت عند حمل الجنود الفرنساويين وطلب اليهِ ان يتامل في ما يرافق اطلاق المدافع عليها من الخراب والهلاك فاجابهُ حاكمها بانهُ لا يسلم فحمل نابوليون حالًا على الطلائع واستولى على مراكزها واقام حاجزًا ليفتح بابًا في السور. ثم ارسل تحريرًا اخر لطيفًا يدل على ثباتهِ وطلب فيهِ التسليم. وجرى ذلك في اليوم الثاني الظهر. غير ان الحكومة امتنعت عن التسليم. غير انها طلبت عقد هدنة بضع ساعات لتشاور الاهالي فاجابهم نابوليون الى ذلك بعد ان عانى صعوبة في منع جنودهِ عن الحمل فصبر الى صباح اليوم الثاني. اما المدينة فامست ميدانًا لحوادث تقشعر الابدان منها فان فلاحين متعصبين كانوا لا يميزون اثواب اللصوص ويسيرون في الشوارع قاتلين كل من كانوا يتوهمون بانهُ يميل الى الفرنساويين وكانت اجراس الكنائس والاديرة تقرع على الدوام. وكان الرهبان يقودون الفلاحين ليقلعوا البلاط ويشيدوا الحواجز في كل زاوية. اما البيوت الحجرية فحصنت. وكان اصحاب الارزاق والعيال من الاهالي يودون التسليم. على ان الفلاحين المتعصبين كانوا يرومون القتال ولا سيما بعد ان وعدهم بعض الرهبان بخلاص كل من يقتل ثلثة فرنساويين بدون مطهر.

وعند زوال ضباب الصباح باشعة الشمس امر نابوليون صفًّا من المدافع فيهِ ثلثون مدفعًا باطلاق الكرات على اسوار المدينة فانهُ كان لا يزال يمتنع عن ان يطلق كراتهِ الى وسط مدينة فيها اهاليها . ففتحت المدافع مدخلاً فيها فضج الفرنساويون واي ضجيج وحملوا ركضًا قاطعين خربات السور ودخلوا المدينة حتى بلغوا الشوارع المحصنة . غير ان نابوليون اوقف ذلك الجيش الباسل عن القتال وابطل الهجوم . وكانت جنودهُ قد دخلت المدينة . هذا وكانت مدافعهُ على التلال المجاورة قادرة ان تجعل المدينة رمادًا في برهة قصيرة . فبعث الى الحكومة مرة ثالثة طالبًا اليها التسليم وقال في تحريرهِ انني مستعد لان افعل في مدريد ما يوقع الرعب في قلوب اهالي المدن الاسبانيولية التي تقفل ابوابها لمنع دخول جنودي غير انني افضل ان يكون فتح مدريد بيد تعقل الذين جعلوا انفسهم حكومتها ومراعاتهم لحقوق الانسانية . وكان قد ظهر للعامة انهُ لا نفع في الدفاع . فارسلت الحكومة رجلين الى نابوليون ليخابراهُ بالتسليم وكان احدهما توماس دي مورلا حاكم الاندلس وكان قد اشتهر بالتعدي على شروط بايلان وعامل الاسرى الفرنساويين بئس المعاملة . فقابلهما نابوليون وهو مع اعوانهِ ببرود وعبوسة وتفرس في مورلا المذكور حتى انهُ ارتجف خوفًا من عاقبة ارتكابهِ فنظر الى الارض وقال انهُ قد تقرر في عقل كل مدرك في مدريد ان التسليم ضروري غير انهُ من اللازم ان ترجع الجنود الفرنساوية لتتمكن الحكومة من تسكين خواطر الاهالي وتحملهم على ان يلقوا عنهم السلاح . فاجابهُ نابوليون بغيظ وانتشر جوابهُ في كل اوربا لانهُ نشرهُ في جريدة المونيتور الفرنساوية المطبوعة في باريز وهذه ترجمتهُ قد استخدمت اسم الاهالي بالباطل . فاذا كنت لا تقدر ان تسكن خواطرهم يكون ذلك ناشئًا عن تهييجكم لهم وخداعكم اياهم بالاكاذيب . فاجمع خدمة الدين ورؤساء الاديرة والاعيان واذا لم تسلم المدينة لي قبل الظهر بست ساعات في الغد تبيت في خبر كان ولا ارتضي ان ارجع جنودي وهذا ليس من واجباتي . وقد ذبحتم الفرنساويين المنكودي الحظ الذين وقعوا في ايديكم . ومنذ ايام قليلة قد سمحتم بان يجر خادمان من خدام سفير روسيا وبان يذبحا في الشوارع لانهما فرنساويان . وضعف قائد وعلم اهليتهِ وضعا في ايديكم جنودًا سلمت اليكم في ميدان معركة بايلن وقد تعديتم على شروط التسليم وانت ياموسيو دي مورلا ما هو التحرير الذي بعثت بهِ الى ذلك القائد هل يليق بك ان تتكلم عن السلب حال كونك انت دخلت روسيلون سنة ١٧٩٥ وسبيت كل نسائها وفرقتهن غنيمة على جنودك . وهل يحق لك ان تكتب ما كتبت . الم يشترط بشروط تسليم بايلن بان ذلك لا يسوغ . فانظر الى تصرف الانكليز حال كونهم بعيدين عن ان يفتخروا بالمحافظة الواجبة على قوانين الدول . فانهم تشكوا من معاهدة سنترا ولكنهم اقاموا بها . والتعدي على عهود حربية الابتعاد عن كل تمدن . فهل انت كبدو البادية . فكيف تتجاسر ان تطلب شروطًا حال كونك قد تعديت على شروط بايلن . الا ترى كيف الظلم والخيانة يعودان بالشر على الذين يقومون بهما . وكانت لي بوارج في قادس . وكانت قد اتت ميناها كما تاتي مينا حليفة فوجهت اليها مدافع المدينة التي كنت قائدًا فيها . وكان في صفوف جنودي جيش اسبانيولي (هو الجيش الذي كانت قد جمعتهُ اسبانيا لتحمل على فرنسا عند اتحاد الدول عليهِ فلما رات انهُ فاز في الحرب ادعت بانها جمعتهُ لاسعافهِ فتغاضى نابوليون وتظاهر بتصديق كلامها) وفضلت ان اراها هاربة في مراكب انكليزية وان تطرح بنفسها من الصخور في اسبيتوزا على اخذ سلاحها

وفضلت ان يزداد عدد اعدائي ٩٩ الاف على ان انكث بعهودي واثلم ناموسي . فارجع الى مدريد وقد امهلتك الى بعد الظهر بست ساعات ولا اسمع شيئاً عن الاهالي الا ما يدل على خضوعهم والا فاعمل حد السيف فيك وفي جنودك انتهى .

فهذه توبيخات شديدة يستحقها الموبخ فارتعدت فرائصهُ خوفاً واشتد اضطرابهُ عند رجوعهِ الى معسكره حتى انهُ لم يكن يقدر ان يقرر ما سمعهُ للقوم فقرره رفيقهُ عنهُ فارسل ثانية يخبر نابوليون بالتصميم على التسليم . وهكذا نرى ان كرامة اخلاق نابوليون وثبات عزمهِ مكناهُ من ان يفتح مدريد عاصمة اسبانيا بهرق دم قليل جداً ووقوع اضرار لا تستحق الذكر . فاستولى جيشهُ الباسل عليها واعيدت الى الاهالي الامنية والراحة بقوة تكاد تكون سحرية . واستمرت الدكاكين مفتوحة واقدام الناس مزدحمة في الشوارع والاعمال والملاهي جارية على حالها . وقد قال اليسون بهذا الشان وفي برهة قصيرة ظهر كل شيء في حال السلام ففتحت قاعات التشخيص واظهر اصحاب الدكاكين الفاخرة بضائعهم لانهم استامنوا بانتظام احوال الفاتحين . وازدحمت اقدام المتفرجين في الساحات والماشي العمومية . وجاءهُ عدد كثيرة منهم من اعرف الاهالي واغنياهم وتبنوا لهُ محافظتهم بامانة على الصداقة لاخيهِ جوزف . انتهى .

ونشر نابوليون في الحال اعلاناً عفا فيهِ عن كل الذنوب السياسية وابطل مجلس التفحص الديني (انكيزيسيون) وابطل ثلث الاديرة . وعين نصف مداخيلها لزيادة معاشات الكهنة الذين يخدمون الرعية والنصف الاخر خصصهُ بدفع دين الدولة والغى الرسومات الداخلية التي كانت مقامة بين الولايات ومكدرة جداً للاهالي ومضرة بالتجارة واقام رسومات في الحدود فقط . وابطل كل الحقوق الامتيازية . ونظم مجالس استئنافية عامة للحصول على العدل بعد وقوع الظلم الناشي عن فساد المجالس الابتدائية . وكان نابوليون قد صمم على ان يوخر هذه الاجراآت قبل الثورة محافظة على حقوق خاطر الدين والامرا . غير انهُ راى بعد ان اهاجوهُ انهُ مامن فائدة في معاملتهم بالحلم . فهذه منافع عامة عظيمة ووعد اسبانيا بنفع لا حد لهُ . ومن الامور المكدرة ان نرى ان دولة متمدنة كانكلترا قدرت ان تجعل الدم كطوفان في تلك البلاد لمنع حدوث هذه الاصلاحات ولترجيع اسبانيا الى مظالم القرون المتوسطة وظلامها الحالك .

وقد تقررت براهين قاطعة في تاريخ نابيار الانكليزي ما طال الحرب في اسبانيا انتشبت بين اصدقاء تعميم الحقوق والذين يقومون بالمظالم . وقد فهم ذلك كل الناس وادركوهُ . وقد ملا ولنكتون القائد الانكليزي تحريراتهِ بانهُ من الواجب دوس روح الحقوق العمومية في اسبانيا والبورتوغال . اما جوزف بونابرت فكان حكيماً عاقلاً كريماً متحزباً للاصلاحات العمومية وقوانين المساواة . ولم يعتذر احد بعد عن رذائل فرديناند . وقد قال الدوق اوف ولنكتون المذكور ان البرنسس كارولتا البورتوغالية من اشر نساء العالم واشدهن فساداً . ومع ذلك هما الملكان اللذان كانت تحارب انكلترا لحفظهما في اسبانيا

ولم يعد جوزف الى مدريد ولكنهُ جاء القصر الملكي في ترادو وهو يبعد نحو ستة اميال عن العاصمة وقال نابوليون للعمد التي كانت تاتيهِ انهُ لا يبلغ اسبانيا جوزف الا بعد ان يرى انها تستحق ان تحصل على ملك عادل متنور . وانهُ لا يرجعهُ الى قصر ملوك اسبانيا ليراهُ مطروداً منهُ مرة اخرى وانهُ ليس بقاصد ان يلزم اسبانيا بان تخضع للملك لا تحب ان تخضع لهُ ولكنهُ قد فتح البلاد وينفذ فيها حقوق الفتح ويعاملها

المعاملة الموافقة . ونشر اعلانًا في تلك الاثناء وقال فيه ما ترجمتهُ

انني قلت في اعلان مورخ في ٢ حزيران (جون) انني راغب في ان اكون مصلح اسبانيا . غير انكم قد رغبتم في ان تضيفوا الى الحقوق التي نلتها من ملكها القديم حقوق الفتح . الا ان ذلك لم يغير ميلي الى خدمتكم . واحب ان ارقي اسباب كل ما هو نافع عندكم وان اضاد كل ما من شانهِ تاخير رفاهيتكم ونجاحكم . وقد كسرت القيود التي امست الامة بها في عبودية . وقد منحتكم نظامًا حرًّا وبدلت ملكيتكم المطلقة بملكية مقيدة معتدلة واستمرار تمتعكم بها متعلق بكم . انتهى

وهكذا اصبح نابوليون صاحب اكثر من نصف اسبانيا في اقل من خمسة اسابيع بعد ان بدد شمل الجيوش الاسبانيولية كانها هباء منثور . ولما راى الانكليز ذلك تحيروا وقلقوا حال كونهم كانوا اتين لمساعدة حلفائهم . وباتوا في اضطراب شديد فامسوا لا يعلمون الى اين يتوجهون . فانهم راوا ان دون التقدم هلاكًا مبينًا . وان التقهقر بدون قتال عار لا مزيد عليهِ . وكان السار جون مور القائد الانكليزي يسير مسرعًا في ٢٠ الف جندي انكليزي لينضم الى جيش السار ديفد بابرد الذي كان يتقدم من كورونا في عشرة الاف جندي من الانكليز . وكان المقصود جعل هذه الجنود الانكليزية المنظمة احسن نظام مركزًا جراءات مئات الوف من الجنود الاسبانيولية وكان الانكليز قد علقوا املهم بالفوز غير ان الاخبار التي بلغتهم جعلتهم يرون انهُ لا نجاة الا بالتقهقر . هذا ولم يفعل نابوليون شيئًا ليمنعهم عن التقدم . وكان يرغب في ان يبعدهم عن مراكبهم ويقاتلهم في السهول . فجعل مركز جيشهِ في مكان يبعد نحو اربعة اميال عن مدريد واخذ في ان يهتم كل الاهتمام في ما يأول الى خير

البلاد وسعادتها . وانشا حواجز حصينة مشرفة على العاصمة وجعل وراءها المدافع وقوَّاها بالجنود وجعل في وسطها مستشفيات للجرحى واماكن لمهماتهِ واسلحتهِ ليستأمن عليها ويصونها

وجاءتهُ عمدة مولفة من الف ومائتي عين من اعيان اسبانيا فاخبرهم بما نفع اسبانيا بهِ وقال لهم في ختام حديثهِ ان الجيل الحالي يختلف في اعمالي والاضداد قد خسروا امورًا كثيرة غير ان اولادكم يشكرونني ويدعونني مخلصهم . ويجعلون يوم دخولي بينكم من الايام العظيمة التي يفيضون لها تذكارًا . ومن ذلك التاريخ تبتدي اسبانيا بالتقدم فهذه في حاسياتي فاذهبوا وتفاوضوا مع ابناء وطنكم واختاروا قسمكم بوضوح ولا تدعوا غير الواقع . انتهى . هذا ونرى في كل خطاب من خطبهِ ما يدل على حذقهِ وتعقلهِ وفي كل سطر من اسطرهِ ما يدل على سلطانهِ النافذ . وكان لامرتين من الكتاب الذين طعنوا بهِ اشد الطعن وبعد ذلك كتب عنهُ ما ياتي ببلاغتهِ قال ربما كان اعظم مقرر للحوادث العالمية بعد ما شاخ وقد فاق قيصر كثيرًا في اخبار معاركهِ والشاهد لم يتحصر في اظهار الواقع ولكنهُ جاء بالاجراء . ولم يضع حرفًا ولا وصفًا بين الواقع والكلام وهو نفس الكلمة وجملة الحالية من التصنع تذكرنا بالايام التي لم يكن بايزيد وشارلمان يعرفان فيها الكتابة والقراءة ليمضوا اوامرهم فكانوا يغمسون ايديهم في حبر او دم ويمسون بها الاوراق فيقوم لسان الحال بوصف تام . انتهى

وفي اثناء اقامتهِ في اسبانيا بعد تلك الانتصارات اصدر اوامر بمحافظة الجيش على الانتظام التام وتوعد المخالفين باشد القصاص . فتعدى جنديان فرنساويان على امراة اسبانيولية تعديًا فظيعًا فحاكمهما امام مجلس

(ستاتي بقيتهُ)

سر الحب

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

بان يجيب مشورة معلمهِ وان يطيع اوامر ابيهِ و يتركهُ وشانهُ . فتكدر عند ما سمع منهُ هذا الكلام وقال لهُ يا اروندل انك تهذي وتضيع الزمان سدى فلو فعلت بحسب مشورتك لبغضتني ويحق لك ان تحسبني كذلك هل بعدت عني في رومية عند ما وضعني هذا المعلم في وسط الوباء ومن المقرر عندي كايماني انهُ لولاك لتركني اموت فيهِ . فياصديقي سنخرج من هذه القلعة معًا والا فنموت في سجونها معًا . اماشفيقتي فاذا تزوجت ذلك الرجل الخامل الذهن الذي طالما سخرت بهِ على مراي منهُ تكون انت قد خسرتها من سعدك وساحسبها غريبة مرفوضة . وكان يتكلم بسرعة وغيظ فلم يقدر المصور ان يمنع تلفظهُ بختامها . وبعد ان اكمل حديثهُ اخذ يحاول ان يبين لهُ فوائد ارتضائهِ بالذهاب مراعاةً للظروف وانهُ اذا راى رئيس اللصوص انهُ لا سبيل الى الحصول على المال منهُ يطلق سبيلهُ او يقلل طلبهُ وانهُ اذا كان بين اصدقائهِ غني يقدر ان يرسل المبلغ اليهِ بسهولة . قال ربما كنت اقدر ان اجمع ذلك المبلغ غير انني لا ارتضي بان اجرب ذلك وساكتب الى معلمي بما صممت عليهِ فليتخذ على نفسهِ مسئولية الاجراء

فكتب التحرير وبعث بهِ الى معلمهِ غير ان الرسول عاد بدون جواب لانهُ ما قدر ان يجد المعلم فعند ذلك تعاظم المصاب على اروندل . فانهُ بات مسجونًا بعيدًا عن التي كان يحبها اكثر من نفسهِ ومع ان رجلًا آخر كان مزمعًا ان يحصل على تلك الفتاة التي ملكت عواطفهُ بدون ان يعلم ما عندها من جهتهِ بل بدون ان يتمكن من بث غرامهِ لها . وفي وسط هذه الاحزان لاح لهُ ان يحاول الهرب ورآهُ وسائط سهلة جدًّا حتى انهُ قال ان الطيش منعني من ان ارى هذه الواسطة قبلًا وهي ان يمزق منسوج فراشهِ قطعًا بحيث يتمكن من صنع سلم من اقمشة وان يخرجا حديدة نافذة بقوتهما وان ينزلا الى البحيرة و يسبحا الى الجهة المقابلة . اما بنفسي فاستحسن هذا التدبير كل الاستحسان واتفقا على ان يحاولا ذلك في نفس ذلك الليل . وعند ما خيم الظلام جعلا اقمشة الفرش والاغطية والوسادات سلمًا . غير ان الذين كانوا في القلعة كانوا منتبهين انتباهًا مخصوصًا ذلك الليل وسمع اروندل احدهم يقول وهو مار بالقرب من باب مخدعهما ان المنتظر رجوع القارب قريبًا بالاسرى فانهم كانوا قد سمعوا علامة النجاح الاعتيادية . فقالا هذه هي الساعة الموافقة لان غياب القارب يجعل اللصوص غير قادرين على ان يتبعونا . فاخرجا الحديد بدون معاناة تعب عظيم ثم ربطا السلم ودلياه من النافذة فاصر اروندل على نزول رفيقهِ قبلهُ حتى اذا ظهر امرهما يتمكن من الفرار . وكانت ليلة مظلمة فاخذ في النزول وهو ينظر اليهِ ثم وقف فقال لهُ لماذا وقفت وذلك بصوت منخفض قال قد وصلت الى نهاية السلم ولا ازال بعيدًا عن الماء فقال لهُ

اطرح بنفسك فيه فانه عميق . فطرح بها وغاب لحظة عن نظر رفيقه ثم ظهر . اما الثياب القليلة التي راوا انهما لا يستغنيان عنها فربطت بعد ان لفت بكتف اروندل ليكون رفيقه خالصًا من الاثقال . وبعد ذلك اخذ المصور في النزول ولما وصل الى الماء راى رفيقه ينتظرهُ في مكان يبعد قليلاً عن الصخر فقال له هلم نذهب بسرعة بدون ان نضيع الزمان قاصدين الشاطي وكان الهول شديدًا والامواج مزبدة وكثيرًا ما كانت تمر فوقهما وتجعل احدهما يغيب عن الاخر

ثم غاب بنفسي عن نظر اروندل فخاف من ان يكون قد فعل التعب فيه مع الخوف فعجز عن مداومة السباحة فالتفت الى وراءهُ فتعجب عند ما راى انوارًا في المخدع الذي كانا فيه في القلعة وان رجلين او ثلثة رجال طلوا من النافذة ثم غابوا عنها بسرعة فاشتد خوفه على بنفسي حتى كاد يختنق فسبح برهة الى جهات مختلفة بدون ان يراهُ فناداهُ بصوت منخفض . وراى ان صوته ضاع في اصوات الامواج وبعد ان اصغى برهة ناداهُ بصوت اعلى من الصوت الاول . ثم سمع صوت اطلاق غدارات وشعر بالم في ذراعه اليسرى تحت الكتف فتاكد انه اصيب برصاصة . على انه رجع الى البحث بقلق ولكن تعبه ذهب سدى فاراد ان يتوجه الى الشاطي غير انه راى راسًا متحركًا في الماء فقال لا ريب في انه بنفسي ففرح جدًا وحاد عن سبيل الحكمة مرة اخرى وقال له اسرع . فاجابه ذلك الراس بقوله صه واخذ يدنو منه بسرعة . وبعد ذلك بلحظة تيقن انه ليس بصديقه المذكور وارتعدت فرائصه عندما سمع صوت حاكم القلعة وهو يقول له يا سيدي الامير لقد اسرتك ثانية . وعند ذلك وثب عليه كانه نمر وبين اسنانه خنجر صغير امسكه بيده اليمنى وهو يدنو من اروندل وقد رفعه فوق ذراعه المجروحة وهو يتلفظ بالكلام المذكور . ولم يكن المصور ذا جثة ضخمة

ولا ذا قوة غير اعتيادية على انه كان خفيفًا يعرف السباحة معرفة لا يفوقه احد فيها فصدم عدوهُ وبعد ان تصارعا طويلاً صراعًا عنيفًا فاز باخذ الخنجر منه وقال له دعني اتخلص فلا الحق ضررًا بك . وكان الحاكم اللص قد اغتاظ جدًا وغاب عن الصواب من شدة غضبه وكدره فلم يجب بكلمة ولكنه حمل عليه ثانية محاولاً امساك عنقه . فقال له ابعد فانني لست براغب في اهراق دمك . فلم يجب الا باقسام غير مفهومة وحمل محاولا الحصول على الخنجر . وكانت قوة الاثنين تكاد تبلغ النهاية ودخل الماء فمهما وهما يتضاربان وفي النهاية امسك اروندل الخنجر بيده اليسرى وطعن به عدوه في صدره واية طعنة ثم افلت ذراعه من يده بعنف ووثب ليبتعد عنه ونجى من جهده عند الموت . وبعد ذلك بلحظة سمع صوت خرير الماء في فمه ثم راى راسه يغرق وغاب عن نظره

وبعد نهاية هذا البراز الشديد المخيف شعر بخوار عزمه من شدة التعب وتصور انه يسمع اصوات رجال ومجاذيف فخمن دنو القارب منه . وراى انه ليس له امل الا بالوصول الى البر باجهاد القوة القليلة الباقية له وبعد برهة وصل الى الشاطي فراى رفيقه يجول فيه فدنا منه وهنا كل منهما الاخر على الفوز بالنجاة واخذا يستعدان ليسيرا في الغابات . وفي ثلثة ايام وصلا حفاة وبثياب قليلة الى نابولي وقد فعل فيهما الجوع واي فعل وعند ذلك رايا من بلادة المعلم وعدم انتباهه ما ابان لهما سبب افعاله . فانه كان قد ارتضى بان يتزوج امراة متقدمة في السن من النسا الكثيرات في انكلترا اللواتي يفوت زمان زواجهن فيسحن في اوربا طلبًا للزواج وارتضى بذلك للحصول على ثروة عظيمة كانت لها فاصبح غنيًا وبعد مفاوضة اشهرت يومين ارتضى بان يصغي الى مشورات بعض الاصدقا ويسلم تلميذيهِ الى اروندل

وبعد نهاية ذلك سحب المال اللازم من البنك فسارا مسرعين قاصدين انكلترا . ولا يلزم ان نضيع الزمان بوصف سفرها . غير انهُ من السهل ان نعلم حالة المصور الذي كان يخاف ان يرى محبوبتهُ قد تزوجت رجلاً اخر وكان كل ما عرض عائق يقول ان هذا يكون علة خسارة فتنتهي املي فاصرف حياتي بالضيق والضجر . وكان لا يزال يتذكر البراز المائي ويجري الدم بارداً في عروقهِ كل ما افتكر في قتل اللص فانهُ كان متكدراً من حصولهِ على النجاة والسلامة كانهُ فدى نفساً بنفس . وفضلاً عن ذلك كانت قد انقطعت عنهُ اخبار امهِ زماناً ليس بطويل . وكان يخاف ان تموت وهي محزونة من جرى بعدهِ عنها . فاجتمعت عليهِ هذه الهموم الكثيرة وثقلت عليهِ جداً حتى بات في ضيق شديد حتى انهُ كان يتوهم ان الافراس نائمة وهي تسير وخسر الشفقة بشدة رغبتهِ في بلوغ المكان المطلوب فكان يضرب افراس المركبة ضرباً غير معتدل حتى باتت تركض بسرعة . فكان كل ما يتصل الى تل ينظر الى التل الذي امامهُ وهو يود ان يتمكن من اجتياز المسافة بلحظة . وكان يوم عرس هلن محبوبة المصور قد اقترب حتى انهُ كان يخشى كثيراً ان يصل متاخراً اي بعد ان يتم عقد الزواج . ثم قال ماذا يا ترى اقدر ان افعل اذا ادركت لوندرا يوم العرس او قبلهُ بيوم ماذا اقدر ان افعل لتاخير ذلك العقد الذي يعقد حبل الويل على حياتي . وماذا يا ترى تقول هذه الفتاة الجميلة المفتخرة الغنية عن رجل حقير لا بيت لهُ ولا شهرة ولا مال ومع ذلك تراهُ قد اتاها طالباً الاقتران بها في دقيقة اقترانها برجل اخر برضى والديها . ومن يا ترى لا يحتقرني اذا سمع بانني احببتها في لحظة ومكثت رباطات حبي بالصمت والكتمان بدون ان اعلمها بهِ ولم يقدر ان يجيب بشيء على هذه السوالات الكثيرة الناشئة عن الحكمة . فعند ذلك اتى بالصورة التي كان قد وضعها مع ثيابهِ وحملها من القلعة واخرجها من لفائفها ووضعها على ركبتهِ فظهر لهُ انها تنظر اليهِ باسمة فشددت عزمهُ ووطدت املهُ وسار وهو على هذه الحال من القلق والاضطراب الى ان وصل الى لوندرا وركب مركبة مع رفيقهِ كانت تذهب بهما الى بيتهِ

ولم يرَ بفنسي امام بيتهِ غير علامات الموت عند الباب فخفق قلبهُ بل شعر انهُ غارَ في احشائهِ عند ما ظن ان امهُ او شقيقتهُ قد ابعدتا عن العالم حال كونهِ مصمماً على ان يوبخها . ولم يخطر لهُ ببال انهُ ربما كان قد مات غيرها فخرج من المركبة بسرعة وسار ركضاً ورفيقهُ وراءهُ وفي لحظة وجد نفسهُ في مخدع الميت بجانب نعش والدهِ وامهُ وشقيقتهُ جالستان بجانب الجثة وعيناها حمراوان من البكاء وقلبهما يكاد ينفطر من الحزن واثوابهما سودا كالليل وفي ساعة دخولهِ اعتنقتاهُ وذرفتا دموعاً غزيرة . فتحير اروندل واشتد حزنهُ ولم يكن يعلم هل ينبغي ان يبقى في البيت او ان يخرج فوقف صامتاً غير متحرك بعيداً قليلاً عن تلك العائلة وقلبهُ يخفق وجسده يرتجف وقد بلي بما هو كالدوار . وبعد ان انتهى فعل الحزن الفجائي تذكر بفنسي صديقهُ وفي لحظة جعلهُ كواحد من العائلة فانهُ قال لامهِ وقد امسك يدهُ وادناهُ من النعش يا امي هذا صديقي الذي خلصني من الهلاك فترحبت بهِ هي وبنتها ترحاباً يناسب الظروف . ثم رفع بفنسي ستر النعش بيدهِ المرتجفة وطرح نفسهُ على الجثة وقبلها بحزن وكدر لا يقدر القلم ان يقوم بحق وصفها وهو يتمنى ان يبلى بما يجعل شفتيهِ باردتين كشفتي الميت وان يدفن مع جثتهِ المحبوبة في القبر فهذا هو ما صادفاهُ عوضاً عن ان يصادفا احتفالات عرس . وعند رجوع اروندل الى نفسهِ ورواق افكاره اخذ يقابل

بين تلك الفتاة الجميلة اللابسة اثواب الحداد و بين صورتها التي طبعت في ذهنهِ بلحظة فراى اختلافاً مع انهما واحد . والفرق انهُ تصورها ذات بساطة ودعة وحنو فراى فيها ما لم يكن ينتظر ان يراهُ من الجلال والجمال والحذق فان عقلها كان قد سبق جسدها بالنمو وجعل لهُ جلالاً لا تقدر القامة ان تاتي بهِ ولو كانت اجمل القامات . وظهر من مقابلة بياض لونها وسواد ثيابها ما يدهش ويبهر بل يظهر للناس انهُ غير طبيعي . حال كون مناسبة اعضاء جسدها جعلتها اجمل الجميلات وراى انهـا قد اكتسبت طولاً غير ان الصورة كانت لا تزال على حالها

وكان خطيبها الذي جعلهُ ابوها في البيت ايضاً فانهُ كان قد وصل اليها يوم وفاة ابيها . غير ان اروندل راهُ بدون ان يغار منهُ وكان شاباً على جانب من الجلال واللطف وقد جمع من التهذيب ما يمكن جمعهُ باعتناء الاخرين على انهُ لم يكن عظيماً ولا راى فيهِ اثراً لعقل ثاقب ذي تصور شديد ليفعل في قلوب الفتيات كالسحر ولا يدفع اذا رافقتهُ الجسارة وكان مستنداً للفوز بالنجاح على محاسنهِ وكثرة اراضيهِ وثروتهِ غير انهُ بعد وفاة ابيها شعر بانهُ لا اهمية لهُ وتقرر في عقلهِ بان هلن لا تكون لهُ . على انهُ لم يجر كلام بهذا الشان ومع انهُ كان مهذاراً سخيف العقل لم يكن مجرداً عن الحاسيات فحزن لحزنها وحزن عائلتها . على انهُ راى في تصرفاتها وتكلمها معهُ ما دل على انها لا ترتضي بهِ وفي معاملة اخيها ما ابان لهُ انهُ لا يجب بان يزوجها بهِ فخرج من البيت في نهاية الجناز واصبح اروندل وحدهُ . و بوم وصولهِ الى لوندرا كتب الى امهِ واخبرها بتفاصيل ما جرى لهُ في ايطاليا وسبب انقطاع تحريراتهِ عنها ووعدها بان ياتيها عند دفن والد صديقهِ . وكان لعائلة بفنسي بيت لصرف الصيف في جنوبي غاليا في مكان لا يبعد كثيراً عن لانديلو فصممت على ان تذهب اليهِ للتخلص من زيارة اصحاب التكلف والتصنع من معارفهم ولتخفيض الحزن بالانفراد فسارت العائلة كلها مع اروندل الى جهة بيتهِ فوجد امهُ حية ولكنها مشرفة على الموت فكان روحها ترف على فمها منتظرة قبلة واحدة من ابنها الوحيد المحبوب لتذهب الى عالم الابدية . و بعد ان ضمتهُ اليها لحظة بحب وشوق لا مزيد عليهما حولت ابصارها الى الغربا الذين دخلوا البيت معهُ فوقعت ابصارها على ابصار ام بفنسي فنظرت كل منهما الى الاخرى لحظة وصرختا معاً ياشقيقتي فدنت مسرعة من الفراش وضمتها فانت وهي تشد على يدها . وسمع اروندل وهو في حزن و بكاءٍ اسرار خبر امهِ . فانها كانت قد تزوجت رجلاً احبتهُ على غير ارادة والديها فانقطعا عنها . و بعد ان تزوجت ببرهة قصيرة مات زوجها المحبوب جداً عندها فحملها الافتخار على ان تختفي عن اقاربها الذين يشفقون عليها و يحبون ان يساعدوها . وكانت قد كتبت الى ابنها بذلك عندما رات انها قاربت الموت وابقتهُ ليسلم اليهِ فشهدت ام بفنسي بصحة الخبر وكان اصدقاؤُهُ يحبون ان يدفنوها باحتفال عظيم فلم يرتض ابنها بذلك بل قال لا بد من ان يكون موتها مستتراً كحياتها وان دموع الحب تكون حجرتها فلا لزوم للبنا والكتابة . اما اسم اروندل الصحيح فلا بد من ان ابقيهُ مخفياً لانهُ لا يزال حياً وقد اشتهر بالتصوير الشهرة التي يستحقها حذقهُ وزال حزنهُ ككل حزن بمرور الزمان وعاد الحب الى قلبهِ فاناره . وصور محبوبتهُ هلن تصويرات كثيرة وصور غيرها ايضاً اتقن تصويرٍ على انهُ كان يقول ان اجمل تصويراتهِ الصورة التي صورها بدون حضور هلن بعد ان نظرها لحظة واقترن بصاحبتها الجميلة وعاشا بحب وسلام .

انتهت

ملح

(من قلم سليم افندي عنحوري)

صفقة لم يشهدها حاطب

راى رجل ثقيل النوم في حلمهِ انهُ قائم على عرش الملك وعلى راسهِ تاج ومن حولهِ الوزراء وقوفاً فانتبه فرحاً واذ هو ملفوفاً بحصير كان تركها لهُ اللصوص بعد ان اخذوا فراشهُ من تحتهِ فصرخ باعلى صوتهِ قائلاً تعالوا يامجانين هل تظنون انني رضيت بهذه المقايضة اني لا اعطيكم فراشي ولو اعطيتموني ملك الدنيا

احمقان

سال رجل رجلاً متى يكون عيد الفطير عند اليهود اجابهُ متى اختمر عجين امراتي ام عثمان فقال او يختمر بهذه السنة اجابهُ وهل بكل سنة يكون العيد يا مصاب

سائل وبخيل

وقف سائل بباب بخيل فقال لهُ البخيل ما اسمك قال طامع بن طالب اجابهُ انهُ نعم الاسم او تعرف ما اسمي انا ايضاً قال لا قال هو دافع بن ضارب فمضى مهرولاً وهو يقول لله درهُ ما ابرعهُ بالسجع

الحلوى احلى

جرى ذات ليلة ذكر ما اودعهُ الحريري في مقامتهِ الحلوانية من محاسن التشبيهات فطلب اليَّ ان انظم على نسقها فقلت

شاهدت لما ازتني فوق طرتها
اكليل زهر شذاهُ في الربى عبقا
كواكباً فوق ليل تحتهُ قمرٌ
علا نهاراً على غصن بدعص نقا

وقلت ايضاً

قامت تدير لنا راحاً فها قدحاً
من راح كرم غنينا عنهُ بالحدقِ
فبان ليل علا صبحاً على فننٍ
ولاح نجم علا شمساً على شفقِ

وكان بيننا ظريف فقيل لهُ ترى اي القولين احلى فقام الى صحفة من الحلوى كانت موضوعة هناك فاكل منها حتى اكتفى ثم قال شهد الله ان هذه الحلوى احلى من كليهما

حسن الجواب

مر رجل قبيح المنظر ببعض الظرفاء فقال لهُ نهارك سعيد يا اخي اجابهُ كيف لا وانت اول من نظرتهُ فيهِ

وافق شن طبقة

قال رجل لاخر ما اسم هذا اليوم قال لا اعلم ولكنني اظن انهُ يوم من ايام الاسبوع قال صدقت ولكن ليس هو من ايام الاسبوع الماضي ولا المستقبل بل الحاضر

شطر بشطر

قيل لبخيل من هو خير الناس عندك قال من ارتضى ان يشاطرني ما لهُ واشاطرهُ عيالي نصفاً لي ونصفاً لهُ

اشعب ثانٍ

تليت بحضرة رجل رواية الملكة زنوبيا المدرجة في جنان سنة احدى وسبعين فلما انتهى القاري الى ذكر انتصار اورليان عليها وتقييده لها بقيد ذهبي قال قبحها الله لو ارسلت فاعلمتني لكنت ارحتها من حمل قيدها الثقيل بدون ان اطلب منها اجرة

الجنان

الجزء السابع عشر
في ٣١ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

لم يخطر لاحد من اهل العالم ببال ان في الشرق العثماني من القوة والاقدام ما قد ظهر في الحرب المنتشبة في الجهة الشمالية من الممالك المحروسة الشاهانية. واضرام نيران العصيان في الهرسك وبوسنه في بادي الامر دليل استئناف اهاليها العصاة بقوة الدولة السائدة حتى راوا جيشاً يعقب جيشاً والجنود تجتمع من دواني السلطنة وقواصيها وتيقنوا بانهم سيبلون بالقصاص الواجب فانضمَّ اليهم السربيون واهالي جبل الاسود وصادفوا ما صادفوا من الفشل وخيبة الامل مع ان امماً كثيرة اوربية قد فتحت لهم ينابيع المساعدات بالمال والرجال فاخذ المتطوعون ينتظمون في اسلاك جنودهم والسلاح والمهمات تقوي عزائمهم وتمكنهم من اطالة قتال قد طرحنا في ضيق مالي واوقف كل اعمالنا وجعل اوربا في اضطراب شديد خوفاً من ان يطرا طاري يسوق بعض دولها الى القتال ولا سيما اذا استمر العصيان طويلاً ولم نرَ لا في الاخبار الرسمية ولا الخصوصية ما يحملنا على تعليق الامل بنهي الفتنة في برهة قصيرة بقوة السلاح ولئن كان الفوز للجنود الشاهانية لان تفريق الجنود واقامة القتال في مراكز كثيرة يبعد بعضها عن البعض الاخر يترتب عليه اطالة زمان القتال مع انه لو اجتمعت الجنود في مركز واحد او مركزين وحملت منضمة لكان انتشاب الحرب مرة او مرتين او ثلث مرات ياتي بنتيجة قاطعة تمهد لمخابرات الصلح ولم تقف بعد على الاسباب التي حملت المختارين على اتباع هذه الطريقة فانكسار فرقة هنا وفرقة اخرى هناك مرة بل مرات لا يؤثر عمومياً في الحرب تاثيراً قريب العاقبة ولا نستغرب استمرار القتال الى الربيع القادم ما لم تدخل ايدٍ سياسية وتصرف المشاكل ومن طالع كتابات وزراء اوربا وما تحملنه من اظهار حب العدل والانصاف ينتظر تصرفات سياسية عادلة تحكم بالقصاص على الباغي اذا سبق ذلك حكم السيف لان التقاضي الى الصوارم يجعل المتقاضين ملزومين بالخضوع لما يقضى به ولذلك نسمع نفس الانكليز يقولون في كتاباتهم الرسمية اذا فاز السربيون واهالي الجبل الاسود بفتح بوسنه والهرسك يسمح لهم بضمهما اليهما او الرجوع الى مركزهما الاول بالنسبة الى الدولة العلية على اننا لا نرى في كتابات روسيا ولا نسمع من الانكليز ما يستدل منه وقوع عظيم خسارة على الامارتين المذكورتين اذا فتحت الجنود الشاهانية بلادهما عنوة واستولت عليها بل نسمع غير ذلك من البعض ولا سيما من الروسيين وهو وجوب المحافظة على حالتها ولو فتشنا فاين العدل والانصاف من ذلك ومن

باتري يسمح بو ولا يغتاظ ولا سيما من اهالي المالك المحروسة الشاهانية الذين كفاهم ما قد بلاهم الزمان بو من تاخر التجارة ورخص المحصولات وبالتالي هبوط اسعار الاملاك كلها فاضاعوا كل ثروتهم وسلبت النقود من ايديهم فلا يحبون ان بروابقية قوية للعناصر المقلقة في الشمال فان هذه الحرب تزيد الضغائن واهل الشمال يحقدون ويضمرون الشر لضدهم ولو علموا انهم لا يقدرون على الاضرار بو الا بعد قرون وقد عرفنا بتصرفاتهم الماضية انة لا بد لهم من القاء القلق بعصيانهم وتعديهم كل مدة فيضرون بملايين كثيرة حال كون الامارتين حاصلتين على كل ما يتمنى الامم بان تحصل عليو من الاستقلال الداخلي والاستبداد ولا ريب في انهما اهاجتا العصيان المذكور وشهرتا الحرب مدعيتين بان الشفقة في علة المداخلة مع ان السبب الصحيح هو المطامع ومن اغرب الامور ما نراهُ في اوربا من المناقضات في الاعمال السياسية فروسيا التي تشفق على السلافيين العصاة وتدعي محاولة تحسين حالة المسيحيين في ما لكة قسمًا من بولونيا بيد حديدية سلبت من اهاليها الباسلين كل حرية وكل ما هو محبوب عند اولئك المنكودي الحظ من اثار جنسيتهم ولغتهم حتى وهي اشد الدول تظاهرًا بالمحاماة عن الحرية الدينية مع انها تكاد تكون غير موجودة عندها ولا ريب في ان محافظة الدول على الحيادة التامة ناشئة عن خوفها من انتشاب حرب عمومية وقبول الانكليز وروسيا بذلك مع تباين صوالحها ومقاصدها دليل تعليق كل منهما الامل بفوز الجهة المتحزب لها ولم نستغرب ما ظهر من غيظ الامة الانكليزية والعالم قاطبة من تعديات الجنود الشركسية الغير المنتظمة في البلغار ولا نعتذر بشيء عن ذلك بل نكتفي بان نقول ان ما اظهرهُ الباب العالي من الغيظ والكدر من تعديات اولئك

القوم هو لسان حال الامة العثمانية قاطبة وهم دخلا والقصاص الذي لحق ببعضهم ربما كان كافيًا لتاديب الجميع ومن المستغرب ان العالم قاطبة خلا النادر قد اجمع على ان روسيا هي المهيج الاول للعصيان وامبراطورها يصرح على الدوام بانة نهى العصاة واشار على السرب والجبل الاسود بالاقلاع عن التداخل في الحرب واصبح يندد بهما بعد ان صادفاما صادفا من الغلبة ولا يوافق ذلك ما طالعناهُ من المخابرات الرسمية التي نشرتها انكلترا موخرًا من مطاليب روسيا فانها قد اقرت بانها ترغب في تقرير صالح للامارتين المذكورتين وللعصاة ولو عاد ذلك بالخسارة على الدولة العلية وهذا التحزب لهم يدل على ان الدولة الروسية ليست بصافية الباطن من جهتنا اما تصرف الانكليز فيميل الى المحافظة على الحالة الجارية حتى نفس المضادين منهم للدولة العلية لا يطلبون الا امتناع دولتهم عن مساعدة جهة دون اخرى ولا ريب في ان الباحثين في الامور يرون في ما تفعلهُ روسيا ما يدل على المناقضة مقاصد باطنية فانها لم تنتهِ الا بعد ان تاهبوا واهاجوا الناس وعطلوا الاشغال وما ذلك الا ليرفع اللوم عنها متى فشلوا الا انها لم تنسَ ما لحق بها من اللوم عند عصيان اكريت حتى تقرر في عقل اهاليها وعقل اليونان الذين سبقوا الى مساعدتها بان روسيا لم تراعِ صوالحهم بل صوالحها وتخلت عنهم عند وقوعهم في الضيق ولا نستبعد حدوث ذلك في البلاد الثائرة بعد ان تذوق مرارة الانقياد لاوامر دولة او امة لا تحتمل شيئًا من مسئولية ارائها ولا يمسها سوء العواقب فهي كالتاجر الذي تضمن تجارتهُ من الخسارة والظاهر ان الانكليز قد استعدوا لوقوع تغيير في الولايات الشمالية اذا لا سمح الله ثبت العصاة ثبوتًا كافيًا لان يجعل الدول المتداخلة تصغي لمطاليبهم وقد قلنا في جملة سياسية منذ اكثر من شهران المرجح انها امر الثورة بعقد

جمعية دولية لفض مشاكلها وقد وردت رسالات برقية متأخرة فيها ان المرجح عقد الجمعية المذكورة وقصارى المرغوب ان ينتهي بنا الامر الى ذلك خوفاً من ان يطول الخطب او ان تنتشب نيران حرب اوربية على اننا نود ان تتخذ الوسائل اللازمة لمنع اعادة الثورة بعد سنتين او ثلث سنوات او اكثر او اقل وكل من دقق النظر في احوال اوربا يرى ان حالها ليست على ثبات ولو قطع النظر عن الثورة الجارية ونخشى ان نخلص من خطب لندخل خطباً اخر وكانا خطب المحافظة على الجيوش الجرارة في اوربا ووقوف الاشغال في اعظم البلدان المالية والتجارية كانكلترا دليل ردي واستمرار سعر القطع فيها خارج البنك بواحد في المائة يدل على التاخر وزيادة المال عن الاشغال وهذا مانع للنمو وكان الانكليز يصرفون جانباً ليس بقليل مما يفيض عنهم من المال في سبيل ابتياع اوراق مالية وقد انقطعوا عن ذلك خوفاً من سوء العواقب فلا نرى انه يوافق دول اوربا حفظ اسمها على هذه الحال وهي كحال الحرب بدون حرب والاولى ان تحارب او ان تصرف الجنود فترتاح الافكار وتعود الاشغال الى مجاريها ولا ريب في اننا قريبون من انقلاب عظيم ياتي دفعة واحدة فيظهر لكل انسان او شيئاً فشيئاً لان الدنيا لا تقدر ان تثبت على حالها ولا ان تقوم باحمالها واثقالها فترى الخسائر قد قامت مقام الارباح وخزائن الدول قد فرغت من النقود بعد ان جعلت ورقاً قليل القيمة يقوم مقام مئات ملايين من الذهب الثمين فكيف تسلم الدنيا وهي على هذه الحال وقد راينا ان الابواب قد سدت علينا ولا بد من فتحها باحدى الطريقتين المذكورتين اعلاه وفي اثناء هذه المطامع والضيقات مصلحتنا نحن الشرقيين العثمانيين ان نستكن لان كل ما يوجب الاضطراب في داخليتنا يعظم ارتباكات حكومتنا ويشدد ضيقات الحال فاذا شئنا اسعافها فبالسكينة والالفة والتعاضد على امدادها بالمال والرجال على قدر طاقتنا وقد سررنا باستمراره ونموه حتى يبلغ درجة الكمال العالي فنشفق على الجاهل الذي يكدره ونهاه عنه واذا ظهر شيء من عاقل نحسبه من الجهل فانه قد يطرا على العقل مرض فيجعل الحكيم جاهلاً ونظن اننا بعد شهر نقدر ان نجعل تخميناتنا اوضح واقرب للواقع فنسال الله ان لا يجعلها مما يدل على استمرار الحال في فصل الشتاء

مصر

ان المولد في طنطا هذه السنة مهم لكثرة الجماهير التي اجتمعت فيه وقد شرفت اليها الحضرة الخديوية السنية وصادف ذلك ورود اخبار مالية موافقة وارتفاع اسعار القراطيس المالية ونشر كلام مستر كايف الذي عاد به بالحصر الى ما قلنا في احدى جملنا السياسية انه كان من متعلقاته ان يجعل كلامه محصوراً فيه وهو النظر في اقتدار مصر على ايفاء الدين المطلوب منها مع فائض معتدل او عدم اقتدارها على ذلك فقد قرر بانها قادرة على ذلك اقتداراً يفوق اقتدار انكلترا فانها ستفي الاصل مع دفع فائض يزيد عن فائض دين انكلترا في اقل من قرن وبالنظر الى اجتماع النقود عند الانكليز ووقوف القطع عند درجة الواحد في المائة لابد من ان يروج الطلب على اسعار القراطيس المالية المصرية عند انفاذ الاتفاق الجديد والمامول رجوعها الى ما يقارب اسعارها السابقة او ما يزيد عنها . ولا يخفى ان حضرة صاحب الدولة اسمعيل باشا صديق ناظر المالية الافخم قد تحمل مشقات لا مزيد عليها في هذه السنة بسبب الارتباكات المالية . وقد اقام بعض ماموريها بما يزيد عن واجباتهم بالصداقة والهمة والامانة فنالوا الترقي بالاستحقاق

وهو عزتلو افندم دميان بك جاد محاسبه جي المالية فانهُ رقي الى رتبة متمايز وقد صرف ٢٥ سنة في خدمة الحكومة بالهمة وهو ذات جليلة محبة للخير. وجناب عزتلو نسيم بك شحاتة رئيس قلم المصارفات وقد رقي الى الرتبة الثانية وهو على جانب من الذكاء والهمة والاقدام والحذق حتى انهُ عين برتبة كاتبين بوقت واحد وهذا من المشاهدات فيهِ. وجناب عزتلو عريان بك تادروس رئيس قلم الايرادات وقد رقي الى الرتبة الثانية ايضاً بالاستحقاق والاهلية . وجناب رفعتلو باسيلي افندي تادروس رئيس قلم الجامعة وقد رقي الى الرتبة الثانية بهمتهِ

لائحة برلين

قالت جريدة التيمس قد ذهبت لائحة البرنس كورتشاكوف الروسي البرلينية سدًى وامست من الامور التي قد صارت من متعلقات الماضي ومعذلك في الاحوال التي جاءت بتقريرها وتبليغها ورفضها اهمية حالية لانها تبين اعظم الاسباب التي القت الخلاف بين الدول الاوربية وجعلتها غير قادرة على ان تاتي بالتسوية السلمية التي يدعي كلٌّ منها انهُ راغب فيها. وفي الاوراق التي طرحت امام المجلس العالي الانكليزي افادات مهمة متعلقة بذلك. وقد رايناها ان سقوط ذلك التدبير ناشئ عن ادعاءات ذلك الاتحاد الامبراطوري الذي تقرر في برلين سنة ١٨٧٢ واظهر بافتخار مرات كثيرة بعد ذلك ولا يخفى ان اتحاد الامبراطوريات الثلث متعلق بامور سياسة اوربا العمومية. ومهما كانت مقاصدهُ الاخرى وعناصر ثبوتهِ وغايات الامبراطورين وانتظاراتهم لا ريب في ان اهم متعلقاتهِ ما ربما كان يحدث من الاختلاف بين الدول الحربية نفسها. ومن المعلوم انهُ عقد لمحاولة تقرير الصلات الجارية بين الامبراطورية الالمانية الجديدة ومناظرتها النمساوية وتقرير الملاقات التي ينبغي ان تكون جارية بينهما مع روسيا وبين فرنسا. ولا نرى ما يحملنا على ان نظن ان تقريره كان متعلقاً بامور الشرق. فان حرب القرم كانت قد اخذت في ان تزول اثارها فان الاتحاد والمناظرات التي نشات عنها كانت تكاد تُمحى بحوادث مهمة. حتى انهُ لو راى احد رجال سياسة اواسط اوربا في الاستقبال ما يدل على رجوع التعديات على الدولة العثمانية لاشتغل عن ذلك بامور مالية اخرى في زمان اصبحت فيهِ جنود المانية في اراضٍ فرنسوية حال كون الهيئة الاجتماعية الفرنساوية مكدرة بتحزبات لم تراعِ منها مبتدئة بالملكية البوربونية ومنتهية بالجمهورية الحمراء. ففي ذلك الزمان والظروف لم يكدر اتحاد الامبراطوريات الثلث الدول الاخرى بالنظر الى الغايات التي قيل انها متعلقة بهِ. حتى ان فرنسا نفسها لم تتكدر منهُ لانها ظنت ان المانيا تقيد بدولتين تحبانها فلا تفرغ قوتها في ما يضر بها. على انهُ بمرور الزمان ظهرت مقاصد جديدة لذلك الاتحاد حتى صار مما يدعو الى ارتياب الدول الاخرى . وقبل في الخريف الماضي ان الامبراطوريات الثلث تاملت في حالة السلطنة السنية وستبلغ قرارها الى الدول الاخرى التي عقدت معاهدة باريز. ومن العدل ان نقول انهُ حكم باصابة ذلك لان روسيا والنمسا جارتا الدولة العلية وبعض رعاياها من جنس العصاة ولذلك تهمها تسوية الامر الذي تعرفانهِ اكثر من سائر الدول. غير ان ذلك لم ينشأ عن اهمال روسيا والنمسا لان الامر المذكور يهمها ولكن عن اعمال روسيا والنمسا والمانيا بصفتها الاعتيادية فاخذت على نفسها مخاطبة اوربا. فهذا الادعا لا بد من ان ياتي بتاثيرهِ في جوهر سياستها وما ينسب اليها في الخارج .

وقد ظهر الان جليًا من الاوراق التي نشرت ان تعرض تلك الدول لذلك على هذا المنوال كان علة الفشل الذي وقع فيهِ المقصود منهُ . وعظم شان ذلك الاتحاد حتى انهُ ادخل الوهم عقل احدى الدول المتحدة او عقل دولتين منها حتى انهما اصبحتا تقبلان بما لا يوافقهما وتتبعان قبولهما بالدفاع عنهُ بعناد . والظاهر انهُ تقرر رسميًا اسباب التسوية السلمية ومن متعلقات الدول الاخرى ان تحدث تغييرات وتاتي باعتراضات . وتم ذلك ولئن كان قد ظهر خلاف عظيم في الاراء بين الدول الثلث فان اثنتين منها خالفتا البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول . ولم يظهر في المخابرات ولا في الحديث مع السفراء ما يدل على الاستخفاف براي انكلترا وكذلك قيود وزارة خارجية فرنسا وايطاليا غير ان ما اجري على مراى من اوربا اجري كانهُ ناشئ عن سلطان مطلق وتباسي مركز الدول الاخرى واعتبارها وهذا خطأ سياسي وبرهان ذلك تاريخ لائحة البرنس كورتشاكوف المذكورة . وهو الاتي وابتداؤهُ ما كتب بهِ سفير انكلترا في روسيا الى دولتهِ قبل اجتماع الامبراطورين كتابة غير رسمية وهو ان البرنس كورتشاكوف مصمم على ان يدعو سفراء انكلترا وفرنسا وايطاليا ليتداولوا مع ماموري الدول الثمانية الثلث في برلين بوجود البرنس كورتشاكوف والكونت اندراسي . غير انهُ لم يتم ذلك مع انهُ من باب التلطيف . ثم بلغ ذلك السفير ما فهمهُ من اراء وزير روسيا الاول وهي المحافظة على الحالة الجارية في الممالك المحروسة من جهة الاراضي واتمام الاصلاحات التي تقررت في لائحة الكونت اندراسي مع اضافة بعض ضمانات موسسة على ما طلبهُ العصاة . وانهُ اذا مست الحاجة يصير التفاوض بشان حلول عساكر اجنبية . وقد قال السفير انهُ ترجح عندهُ ان هذا التداخل النهائي لا يتفق عليهِ ما لم يكن من قبل اوربا وتحت مناظرة دولها . وان سفير روسيا عالم بان سفير النمسا مضاد لتحميل ذلك (اي ادخال الجنود للمحلات الثائرة) للنمسا وانهُ من الصعب عليها ان تقوم بذلك بامان لنفسها بالنظر الى الاجناس السلافية الموجودة عندها ومناظراتها للمجر . وان ذلك الوزير الروسي يمتنع عن طلب تقرير ما لا يوافق النمسا لان من مقاصدهِ الاولية توطيد الصداقة بين الدولة النمساوية والروسية الى ان قال ذلك السفير بتحريرهِ بالاستناد الى التاكيدات التي سمعها انهُ مقرر عندي ان اشد مرغوبات الامبراطور اسكندر الروسي المحافظة على السلام وان سياستهُ المتعلقة بالشرق خالية من كل صالح شخصي وان كل غايتهِ المساعدة في اخماد الثورة بتسوية وحفظ السلطنة العثمانيه . وقد تقرر عندي ايضًا ان البرنس كورتشاكوف لا يطلب منافع خصوصية لروسيا في الاعمال التي يقوم بها

ومن الموكد ان سفيرنا الانكليزي لم يكتب كل ذلك الا بعد ان افرغت الدولة الروسية كل جهدها في سبيل ايجاد وسائل لتقرير امور موافقة في عقل حكومتنا . فما هو يا ترى الامر الثاني الذي خطر للدولة الروسية ببال ان تقوم بهِ مع حليفتها حال كون احداها مترددة ترافقها على غير ارادتها . انهُ اجتماع الدول الثلث في برلين والاتفاق على لائحة مهمة جدًا وارسالها بالبرق الى الدول الثلث الغربية لتقبلها وهي فرنسا وانكلترا وايطاليا . ويظهر لنا روح اجراآت تلك الدول من روح الكتابة الذي بعث بها سفيرنا في برلين الى حكومتهِ مع اللائحة وهي رقم ١٢ ايار (مايس) فوصلت الى لوندرا في ١٥ منهُ . وفيها ان البرنس بسمارك دعاهُ اليهِ ودعا ايضًا سفيري فرنسا وايطاليا وعند مقابلتهم اعطى كلًا منهم صورة اللائحة ليبلغها الى حكومتهِ وقال البرنس كورتشاكوف لهم

انني ابقي انا ووزير النمسا في برلين الى يوم الاثنين وانهما يوملان بان حكومة انكلترا وفرنسا وايطاليا تقدر ان تبرز رايها بالاستناد الى الملخص البرقي ليقفا عليه قبل خروجهما من برلين . انتهى . ولا نظن ان وزير روسيا تكلم هذا الكلام بتعظم وافتخار غير انه يحق لحكومة انكلترا ان تعترض على دعوة كهذه الدعوة . والظاهر ان اولئك الامبراطورين والوزراء الاولين امسوا على غير قصد يظنون ان سطوتهم نافذة في الجميع . وقد اعترض اللورد دربي وزير خارجية انكلترا على ذلك . وارسل تحريرين الى سفير انكلترا في برلين في ١٩ ايار (مايس) ففي احدهما رفض قبول اللائحة البرلينية وامرهُ بان يقرا التحرير على البرنس بسمارك والاخر متضمن تعليمات للسفير . وقد قال في التحرير ان في اللائحة امورًا محددة لتجري المخابرة بوجبها بين الباب العالي والعصاة ومعها هدنة واظهار وسائل اخرى اذا نجحت المخابرات الى ان قال انهُ لم تجرَ مخابرة مع حكومة انكلترا بشان تلك الامور ولم نسمع بجري شيءٍ من ذلك مع الدول الاخرى التي عقدت معاهدة باريز . وقد رجعنا الى الصعوبة التي صادفناها قبلاً وهي تقديم بنود لتقبلها انكلترا بدون ان تمكن من الزمان اللازم للتامل في تفاصيلها ولا لتامل الدول الاخرى بما ربما كانت حكومة انكلترا تعترض بهِ . وليس لمجرد الامور الرسمية في ظروف كهذه عظيم اهمية عند حكومة انكلترا ولو رات ان في اللائحة المذكورة ما ياتي بالتسوية المطلوبة لبادرت الى قبولها . غير انها لا تقدر ان تقبل لائحة لم تشاور عليها لمجرد المحافظة على اتفاق الدول حال كونها تعلم انها لا تاتي بالمقصود من وضعها . انتهى . فهذا الكلام ناشئ عن جلال واعتدال وقد ذكر هذا الامر في اوراق اخرى . وقد كتب بشانهِ سفير انكلترا في النمسا في ١٧ ايار (مايس) ما ترجمتهُ ان سفير النمسا في لوندرا بعث برسالة برقية الى حكومتهِ وما لها ان اللورد دربي وزير خارجية انكلترا اقدهين لانهُ طلب الى حكومة انكلترا بان تعطي جوابًا سريعًا لما قررتهُ الامبراطوريات الثلث . ولذلك قال الكونت اندراسي انهُ لم يقصد قط ان يعين زمانًا للجواب . فاجاب سفير انكلترا انهُ لا ريب في ان سفير انكلترا في برلين ذكر في رسالتهِ البرقية ان البرنس كورتشاكوف والكونت اندراسي ينتظران الجواب الى الاثنين التابع الى ان قال انهُ تعجب اذ راى ان الحكومة الفرنساوية قبلت ان تعضد في الاستانة العلية امورًا مهمة مرتبكة كهذه الامور بالاستناد الى ملخص برقي عوضًا عن ان تنتظر التفصيلات المكتوبة وكذلك سفير انكلترا في رومية تكلم بما تكلم بهِ سفيرها في فرنسا وقال لوزير خارجية ايطاليا انهُ مهما كانت لائحة برلين لا تحمل حكومة انكلترا مسئوليتها الى ان قال ان الدول الشمالية قد اخترعت سياسة جديدة فانها قررت ما تروم تقريرهُ بدون مشورة الدول الاخرى ودونت نتيجة مخابراتها في مذكرات او لوائح وطلب الى الدول الاخرى بالبرق ان تقبل بها او ان تكون مسئولة لما ينشا عن امتناعها عن قبولها . وقد رايت ان مسئولية ذلك لا تقع على الحكومة التي تعترض على تدبير وترفض الاشتراك فيهِ ولكنها تاتي على عواتق الحكومات التي تطلب ذلك . وقد تعجبت من مبادرة حكومة ايطاليا عند تقديم لائحة برلين كما عند تقديم لائحة الكونت اندراسي الى القبول بها والاشتراك بارائها لم تتمكن من البحث عنها . انتهى

وقد راينا من ذلك اجمع انهُ اذا كانت الدول الامبراطورية الثلث راغبة في ان تنهي تلك القلاقل كما تدعي لا بد لها من ان تنقطع عن ادعاءات اتحادها مع الافتخار السياسي الذي يرافقها فتشترك انكلترا معها . ولو اصغي الى اعتراضات انكلترا ومشوراتها في برلين

وغيرها لصار الوصول الى اتحاد الراي وصارت مجانبة فتح الحرب الاخيرة واهم شيء في تلك الاوراق ما يظهر بها من ان امل التسوية الوحيد يكون في الامتناع عن الاتحادات الخصوصية وتسليم الامر بوضوح الى حكم اوربا

الحرب

قالت جريدة التيمس قد امسى اهل العالم ينظرون الى ما يراه اصحاب الاراء المتناقضة بامل او بخوف. فان الدولة العلية قد اصبحت تحارب بدون مساعدة ادبية القوات التي جاءت بها ضمن حدود السلطنة السنية تذمرات اهالي الولايات او مطامعهم . وقد تقرر عند اهل السياسة ان اوربا قد انشات حلقة وتركت الجنود العثمانية تحارب السربيين واهالي الجبل الاسود وجميع الذين يشاءون ان يحاربوهم من الاماكن المجاورة . وقد اصبح اهالي الفلاخ والبغدان ينظرون الى ذلك باهتمام واليونان الاشد اقداماً ومطامع بما هو اكثر من ذلك . ولا يخفى ان الناس اخذوا في ان يسالوا هل تحدث الامور الجارية منذ نحو قرن . وكان البعض يعلقون املهم بحدوثها متذكرين حروب طلب الاستقلال الماضية وقد قالوا انهُ لولا مساعدات الدول الاوربية للسلطنة السنية لفازوا برغوبهم وقد قال اصدقاء الدولة العلية وبعض الذين ليسوا باصدقائها ان قوة الدولة العلية تكون كافية على الدوام لكبح عصيان الذين يقاومون سلطانها اذا تمكنت من ان تتحرك وتنفذ كل قوتها فيهم وكانوا يشيرون الى العثمانيين في اسيا . وقد بالغوا في وصف قوتهم في بعض الظروف على انهُ مقرر انهم قادرون على جمع عدد غفير من الجنود لا تقدر الامارات النصرانية ان تاتي بقدره ولو اجتمعت كلها . وقد جرت التجربة في الزمان الحالي . وقد امسى العثمانيون يحاربون اشد الامم المسيحية عندهم وذلك بعد استعدادات طويلة . وقد فاز كل من المحاربين بالحصول على حرية الاجراءات حال كونهِ عالماً بان جمهوراً غفيراً قوياً متحزب لهُ فيتمنى فوزه . على ان النتيجة تتوقف على قوتهِ . وقد تقرر في عقل كل من المحاربين انهُ لا يسمح بسقوطهِ . ومن المعلوم ان الاستانة العلية والروملي بامان في يد العثمانيين وهما محفوظتان لهم حال كون استيلاء الجنود العثمانية على السرب والجبل الاسود مما تتداخل اوربا بالمنع حدوثهُ وعند كل من الفيئتين المتحاربتين ما يكفيها من الاسلحة والمهمات الحربية التي حصلت عليها خارج حدودها من ينابيع مختلفة وبوسائط متنوعة . ويقال لنا في هذه الظروف تحوّلوا وانتظروا نهاية حرب طالما تهددت العالم وقد امست تجري في اوفق الظروف التي يتيسر جريها فيها

ولا نرى النهاية بوضوح فان تنحي اوربا حالة غير طبيعية وقد ساقتها الظروف اليها على غير رضاها فانهُ معلوم انهُ ليس في تاريخ الدولة العلية الحديث ما يشابه الحيادة الجارية في الحال . واذا فرضنا انها تثبت وتستمر الى النهاية فلا بد من ان نقول ان ما ينشا عنها موافق جدًّا للعثمانيين لانهُ معلوم ان الدولة العلية قد صرفت مبالغ وافرة في سبيل تحسين حالة الجيش حتى وقعت الخزينة في ضيق والدائن في خسارة الى ان افضى الحال الى خلع السلطان السابق . ولا ريب في ان العثمانيين اصبحوا ينتفعون من المصاريف السابقة . ومن المقرر انهم قد اصبحوا في احوال لا تقدر الاعداء ان ياتوا بما يوازيها وذلك ببنادقهم الجيدة جدًّا المصنوعة بحسب الاختراع الاخير ومدافعهم الكروبية ومهماتهم الغزيرة والمعامل المتقنة لازديادها وفضلاً عن ذلك بحصولهم على جيش جرار منظم بحسب فنون الحرب الاخيرة المتقنة . وقد

استمرت الحرب بضعة اسابيع ولا ريب في النتيجة العامة . فانهُ مقرر ان السربيين قد حاربوا بشدة تستحق المدح ولا يزالون يبادرون الى الانتظام في سلك الجيش . ومن المعلوم ان القتال لم ينتهِ وقد تكذب ما شاع من طلب المدنة او الرغبة في طلبها غير ان الكيفية الاولى التي وضعها السربيون لقتالهم قد باتت في خبر كان وقد اخذت الحرب في الدخول في دائرة جديدة . فان الجنرال تشرنايف امسى لا يقدر ان يتقدم واكثر قوتهِ ليست بخارجة عن حدود السرب غير مسافة قصيرة (هذا قبل الاخبار البرقية الاخيرة) وفي الشرق لم يقدر العصاة ان يزيحوا العثمانيين من مراكزهم بين ودن وزانجار . وقد شرعوا في تقوية مراكزهم وزيادة قواتهم وربما كانوا قد شرعوا في ان يستعدوا للهجوم . اما في الغرب فقد امست الجنود المتقاتلة في نفس ظروف الجنود المذكورة في الشرق بل قد اقام العثمانيون فيهِ بما لم يقوموا بهِ ولئن كانت النتائج اقل اهمية . وهكذا نرى الجنود السلطانية تضغط الحدود في الجهات الثلث و يستدل بالظواهر بانها تاهب لتعبرها . ولذلك نقول اننا نكاد نوكد بان السربيين يلتزمون بان يدافعوا عن بلادهم بعد ايام قليلة . ولا ريب في انهم يحركون عناصر حب الوطن التي جاءت بعجائب منذ نحو سبعين سنة و يحرض الاهالي على الاقتداء باجدادهم باعمالهم العظيمة ولا ندرك المقصود من مداومة الحرب لانهُ ما دام السربيون لا يقدرون ان تتجاوزوا حدودهم وقد حصروا ضمنها لا تنتظر تغييرات عظيمة من الحرب . على انهُ قد اجمع الناس على انها ستطول حال كون اوربا مستكنة في تلك الحلقة وهي تنظر الى المتقاتلين باميال مختلفة . وفي هذه الظروف يتغير الحال و يكون المقصود من الحرب ان يرى هل يقدر العثمانيون ان يفتحوا السرب عنوة حال كون السربيين يصادونهم بما يصاد بهِ من يدافع عن ارضهِ ووطنهِ . اما الان فلم نقم احدى النتيجتين بما هو مهم من هذا القبيل وقد حمل السربيون قدر حملات العثمانيين . واذا امسى السربيون في دفاع واخذ العثمانيون في ان يدفعوهم من مركز الى مركز الى ان يحملوهم على الخضوع فما هو الزمان اللازم لاتمام ذلك . ونحن الان في اواخر شهر تموز (جوليه) والثلثة الاشهر القادمة تصلح للقتال . فاذا تيسر للسربيين بان يطيلوا زمان الحرب الى ما بعدها فربما كانوا يطيلون زمان الحرب الى ما بعد الشتاء غير انهُ من الصواب ان نرجح النصر لفيئة دون اخرى في بلاد صغيرة كالسرب قبل ان تهطل امطار الخريف

هذا وربما كنا نرى من الحرب ما ينبغي ان يكون قاطعًا كما قال اللورد دربي وفي ١٢ من الشهر الماضي قال الكونت شوفا لوف سفير روسيا في انكلترا ما هو ياترى مقصود سياسة انكلترا وميلها وانهُ لا سبيل الى حمل حكومتهِ على الاتحاد في السياسة مع الانكليز الا بعد اظهار ذلك ولئن كانت الدول ترغب فيهِ جدًّا . والظاهر ان الحكومة الروسية لا تزال من الحكومات التي لم تدرك حق الادراك سياسة الجانبة التامة . وكيف تقدر على ادراكها حال كوننا لا نرى حادثة عثمانية تاريخية من الحوادث التي جرت في القرن المتاخر بدون ان يكون لها دخل فيها اما بالسياسة واما بالسلاح . اما قواعد المخابرات التي شاءت الامبراطوريات الثلث ان تسند اعمالها اليها فهي ان تكون الولايات العاصية والسلطنة قاطبة موضوعًا لاعتنا دول اوربا وتبين انها لا تختلف الا على الوسائط المبلغة الى الغاية . وقد اجاب وزير خارجية انكلترا سفير روسيا بما يخالف راي الامبراطوريات الثلث سياسيًّا وادبيًّا . وجعل قواعد جوابهِ عمومية مما يوافق كل بلاد مهما كانت نظاماتها وكل عصيان . وقد قال اللورد دربي ان ما ياتي هو

ملخص جوابهِ المذكور الظاهر ان العصاة يحاربون ليس للحصول على اصلاحات ادارية ولكن طلبًا للاستقلال وكان الباب العالي مرتضيًا ان يمنحهم اصلاحات غير انهُ لا يسلم باستقلالهم الا بالالتزام • وقد ظهر انهُ لا سبيل الى تسوية الخلاف ولم يتقرر في عقلي ان جهة من الجهتين ترتضي بان ترجع عن طلبها • ولذلك قلت انهُ لا سبيل الى منع رجوع الحرب الى ان يظهر نجاح اقطع في جهة من الجهتين • فاذا وجد الباب العالي ان جنودهُ لا تقدر ان تفوز على العصاة فربما كان يرتضي بان يجاري ضروريات الاحوال فهذا يمكن المحلات العاصية من الحصول على مركز كمركز السرب والفلاخ والبغدان • واذا فاز بتقرير سطوتهِ كل التقرير او بعضه تعدل مطاليب العصاة ويقرر لهم صالح كصالح الذي تقرر لاكريت بعد حرب سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٦٧ وعلى كل حال المظنون انهُ بعد برهة قصيرة تتداخل الدول غير ان الظاهر ان الزمان المذكور لم يحل بعد • انتهى وقد ظهر من هذا الكلام ان حصول العصاة على ما يطلبون من الاستقلال يتوقف على اقتدارهم على الفوز بالمرغوب بقوة السلاح • فهذا هو المقصود من سياسة انكلترا وهو ميلها وقد قبلت اوربا بها في الحال

السرب والسربيون

قالت جريدة البال مال بدجت الانكليزية • ان كثيرين ربما كانوا يحبون ان يجثوا عن احوال السرب في الحالة الجارية ليروا هل امست السرب في حالة ظلم تسوغ لاهاليها تقلد السلاح لمقاتلة الدولة العلية • ولا يخطر لمخلوق ببال انهُ يمكن وقوع ظلم على اهالي بلاد حال كون الدولة العلية لم يكن لها دخل في اعمال السرب الداخلية ولا في ادارتها المحلية • فان الصلات الجارية بينها وبين الدولة العثمانية محصورة في دفع المال السنوي المرتب عليها او في الامتناع عن دفعهِ • على انها تشترك في الحاسيات مع اهالي ولاية من جنس اهاليها وقد اقاموا بدون ريب بتشكيات كثيرة • وفضلاً عن ذلك هي ذات ماض ذي تاريخ وتنتظر الوصول الى استقبال سياسي عظيم • وهي بمجاورة في جهتها الشمالية كلها للنمسا وبوسنه والهرسك في الغرب والجنوب والبلغار في الشرق والجنوب ايضًا فهي في مركز مهم بين الولايات العثمانية السلافية

اما الماضي التاريخي التي نراها تحلم بردهِ فيتعلق بالشعر السربي الذي طالما جعل واسطة التهييج اكثر مما يتعلق بالامور السياسية الحالية في اوربا • ومن الامور المقررة عند الناس التي لا ينساها السربيون ولا يقطعون النظر عنها انهُ منذ اقل من خمسة قرون كانت دولة عظيمة جدًّا واراضيها كانت اكثر الاراضي العثمانية في اوربا • فكانت القوة البازنتية تضعف والقوة السلافية تزيد حتى ان اسطفان دوشان لقب نفسهُ بملك الروملليين حال كون البلاد التي كان يملكها لا تزال تتذكرهُ كملك السرب وكان ما لكًا على اكثر شبه الجزيرة البلكانية وحاول باقدام الاستيلاء على القسطنطينية • واستمرت السرب عظيمة عشرين سنة • وسقطت سنة ١٣٨٩ في معركة كوسوا ولا يزال السربيون يتذكرونها باشعار واغاني كثيرة • وليس تاريخ السرب محصورًا في العشرين سنة المذكورة ولو كان محصورًا فيها لما قررهُ ليوبولد رانك في مجلد ليس بصغير يلتذ الانسان بمطالعتهِ • غير ان سقوطها في المعركة المذكورة من اعظم الامور التي لا تزال موثرة في عقول اهاليها • وهذه السرب هي التي يحاول الاهالي في هذه الايام بعد ذلك السقوط اعادتها الى مركزها السابق ويساعدهم على ذلك السلافيون المقيمون في الولاية

الاخرى العثمانية . وعندهم ان تاليفها لا يكون بمجرد الاستناد الى امور تاريخية بل بالاستناد الى قواعد جنسية . فان اكثراهاليها من جنس واحد وهو السربي او السلافي الجنوبي ولغتهم واحدة والاختلاف فيها قليل

هذا ولا تترك السرب وشانها في حربها الجارية فلا يلزم ان نطيل البحث عن تنظيمها السياسي ولا عن مداخيلها . ولم يذكر شيء في النظام السربي بشان تقلد القواد الروسيين قيادة الجنود ولا بشان استخدام متطوعين روسيين . وقد بلغنا بتاكيد ان اقدامهم قد ازدحمت في الجيش السربي . ومن الواجب ان نذكر شيئًا من نظامها العسكري . وهو ان كل ذي جسم قوي من السرب ملزوم بان ينتظم في الجيش العامل ثلث سنوات عند بلوغه سن العشرين . وبعد اتمام المدة المذكورة يصير من الجنود الحليين ويستمر كذلك ٢٧ سنة

وقد قال شافاريك في تعديلاته ان عدد الذين يتكلمون اللغة السربية هو سبعة ملايين و ٢٥ الف نفس ومنهم اكثر من ٤ ملايين وخمسمائة الف نفس تحت ادارة النمسا ومليونين وخمسمائة الف نفس تحت ادارة الدولة العلية ونحو مائة الف نفس تحت ادارة روسيا و يضاف اليهم نحو مليونين وخمسمائة الف نفس من اهالي البلغار الذين يشابهونهم في اللغة و يتقربون منهم جنسيًا . وهكذا نرى ان في الممالك المحروسة وحدها نحو خمسة ملايين نفس من الذين يتكلمون اللغة السربية . و بعضهم قاطن امارة السرب وهي تدبر نفسها وعلاقتها بالدولة العلية محصورة بدفع مرتب سنوي . والبعض قاطن في الجبل الاسود وخضوعه للباب العالي اسمي . و بعضهم في بوسنه والبلغار وهما ولايتان من نفس السلطنة السنية وتحت ادارتها . وانحصرت مطامع البرنس ميلان امير السرب في توسيع دائرة امارته بحيث تصبح بوسنة تحت ادارته وان يدفع مالاً مرتبًا للباب العالي عنها وعن السرب واستمرت مطامعه محصورة في ذلك الى ان فتح الحرب ولو تم ذلك لاصبح عدد رعاياه السربيين مليونين واربعمائة الف نفس منهم مليون وثلثمائة الف في السرب ومليون ومائة الف في بوسنه . ولا ريب في ان ذلك مما يرضي السربيين محبي وطنهم . غير ان الذين ليس لارائهم درجة اعتدال لم يكونوا يظهرون اكتفاءهم بذلك . بل يطلبون ضم البلغار اليهم وعدد اهلها مليونان وخمسمائة الف نفس منهم خمسمائة الف من المسلمين وستمائة الف من الكاثوليك . وعند بعض المتعصبين انه من الواجب ضم كل البلاد النصرانية اليهم

فنسبة السرب التي تحاول الاستقلال الى الامارة الصغيرة التي يسوسها البرنس ميلان امير السرب نسبة بولونيا في القرن السادس عشر الى المملكة التي سميت بمملكة بولونيا التي اقيمت في جمعية فينا سنة ١٨١٥ غير انه لا ينال ان ارجاع المملكة السربية التي سقطت منذ خمسة قرون في معركة كوسوا هو غير ممكن كارجاع بولونيا القديمة . ومن الواجب ان نقول ان السرب التي تحاول الجمعية السربية المسماة بالاوملادينا ان تقيمها هي اعظم كثيرًا من السرب التي طلب البرنس ميلان انشاءها . وكانت الجمعية المذكورة في بادي امرها جمعية علمية . غير ان كل الجمعيات السلافية من العلمية والجغرافية والاثارية وغيرها من شانها نشر الاراء السلافية بقصد جمع بعض فروع الامة المذكورة فتصير سياسية . والجمعية المذكورة هي الان لجمع السلافيين الجنوبيين الموجودين في النمسا والدولة العلية . وعند انشائها انضمت لامور سياسية . وعند الرعايا الذين يدعون بانهم مظلومون الغايات الوطنية والسياسية واحدة .

ومركز هذه الجمعية في اغرام عاصمة كرواسيا النمساوية واهالي الذين يتكلمون اللغة السربية ومركزها الثاني في بلغراد . فاذا فاز السربيون في الممالك العثمانية بنجاح فان ذلك يحرك عناصر حب الوطن في اقاربهم السلافيين الكائنين تحت ادارة النمسا والمجر ولذلك نقول ان للنمسا في هذه الامور صالح قدر صالح الدولة العثمانية . ليس في ظلم السربيين ولكن في جعل مطامعهم ضمن حدود . وقد خطب رئيس مدرسة اغرام السلافية وقال انه ما من حدود الان بين السرب وكرواسيا وسلافونيا و بلغاريا . وقد جعلت هذه البلدان معارفها اللغوية واحدة وجعلوا قواعدها اللغة التي يتكلم بها ملايين من سواحل الادر ياتيك الى مصب الطونة

ولم تسمع الجهة الغربية الاوربية بشيء يستحق الذكر من الامور التي اقامت بها الجمعية المذكورة . والانكليز والفرنسويون والالمان تعرف معارف السرب بما قد انتشر من المنظومات القديمة التي قد خصص قسم عظيم منها بتمجيد الابطال السربيين الذين فازوا في زمان مجدها او الذين هلكوا عند سقوطها في سبيل الدفاع عنها وكان اكثر هولاء كاللصوص فانهم كانوا يهربون الى الغابات للتخلص من الظلم او القصاص و يغتنمون كل فرصة عند سنوحها للايقاع بالعثمانيين والتعدي عليهم وكانوا يتعدون على النصارى اذا لم يفوزوا بالتعدي على المسلمين . غير انه كان مفروضًا على الذين يقع التعدي عليهم من ابناء جنسهم بان يعوضوا خسائرهم بتعديات اخرى سلبية وهكذا كان يلحق ضررهم بالفاتحين وقد تقرر في المعقول ايضًا ان تعدياتهم كانت الواسطة المحافظة على العدوان الجاري بين العثمانيين والسربيين وكان اولئك اللصوص يصافون الفلاحين الذين كانوا يمكنونهم من الالتجاء الى بيوتهم في الشتاء وكانوا غالبًا من الرعاة فجمعهم بين المعيشة المذكورة والاعمال الحربية مما يجعلهم موضوعًا موافقًا للشعر . وكان الفلاحون يمدحونهم في اشعارهم لانهم كانوا يرعون مواشيهم في زمان الشتاء ويخرجون في الصيف لقتال العثمانيين والتعدي عليهم

الممالك المحروسة في اوربا

قالت جريدة البال مال بدجت في الزمان الحالي بلغ الانسان بمطالعة كل ما يتعلق بالممالك العثمانية ولا ريب في ان مطالعي جرائدنا يسرّون بالافادات الآتية المتعلقة بالولايات العثمانية في اوربا وهي منقولة عن الجريدة الرسمية المطبوعة في باريز . ومن المعلوم انه عند فتح معرض سنة ١٨٧٣ أقيمت جمعية في فينا اعضاوها من المامورين الاولين ومديري الجرائد والتجار والعارفين بالامور الشرقية لجمع الافادات المتعلقة بالشرق ونشرها . ولهذه الجمعية جريدة شهرية وقد نقلت الجريدة الرسمية الفرنسوية عنها الافادات الاتية . وظهر في معرض فينا انه ما من رسم واحد صحيح يبين تقسيمات الممالك العثمانية بالضبط وان الافادات الاخرى المتعلقة بها غير كافية . فحاولت تلك الجمعية سد النقص المذكور ولا يخفى انه يطبع في مراكز اكثر الولايات سالنامات سنوية فيها اسماء المامورين وافادات جغرافية وغيرها وقد جُمعت الافادات الاتية منها . ومن المعلوم انه لم يجرِ عدّ الاهالي بانتظام وضبط غير ان افادات السالنامات اصح من سائر الافادات . ومنذ اشهر قليلة كانت الممالك المحروسة العثمانية في اوربا منقسمة الى ست ولايات خلا امانة البلدة وهي حكومة الاستانة العلية . على ان الهرسك جعلت ولاية منفردة بعد الثورة بعد ان كانت متصرفية من بوسنة . والافادات المنشورة في الجريدة المذكورة سابقة

للانقسام المذكور. فالولاية الاولى بوسنه وهي مولفة من سبعة الوية وكانت الهرسك احداها. وولاية موناستر محتوية على اكثر بلاد الارناووط. وولاية جانينا مولفة من تسا ليا القديمة والابيروس. وولاية سلانيك هي مكدونية القديمة. وولاية ادرنه هي ثراقة القديمة. وولاية الطونه او الدانوب محتوية على كل البلاد الواقعة بين الطونه والبلكان وبين البحر الاسود وحدود السرب الشرقية. اما الاستانة العلية فحكومتها منفصلة وفيها ٦٨٠ الف نفس. وفيها سكان بالنسبة الى اتساع اراضيها اكثر من سكان سائر الاماكن. وبعدها ولاية ادرنه وليس فيها من السكان اكثر من ١٦٨ نفساً في كل ميل مربع. والسكان قليلون جدًا بالنسبة الى اتساع الاراضي حتى انهُ ليس في اوربا غير بلدين عدد سكانهما بالنسبة الى اراضيهما اقل من عدد سكان الممالك المحروسة. ولم يتقرر عدد الانفس في كلٍّ من الولايات الاوربية ولكنهُ تقرر عدد الذكور فيها مع اظهار اديانهم كما يظهر من التعديل الآتي

اسماء الولايات	الاهالي المسلمون	الاهالي الغير المسلمين
بوسنه	٢٠٩٥٢٣	٣٠٦٧٠٧
موناستر	٤٨٥٩٨٣	٤١٧٨٠٥
جانينا	٢٥٠٨٤٩	٤٦٧٦٠١
سلانيك	١٣٤٠٢٨	١٣٤١٥٧
ادرنه	٣٣٥٥٨٧	٤٠١١٤٨
الطونه	٤٥٥٧٦٧	٧١٥٩٣٨
	١٨٦٢٤٤٦	٣٤٣٣٣٥٦

وقد تقرر في التقويمات الرسمية ان مجموع الذكور في الممالك المحروسة الشاهانية في اوربا خلا الامارات والبلدان التي ليست متعلقة كل التعلق بالباب العالي هو اربعة ملايين و٢٩٦ الفاً وخمسة ملايين بالتقريب هذا مع ضم الاستانة العلية والجزر فاذا قلنا ان عدد الاناث فيها هو النصف كما في بلدان اخرى نقول ان مجموع الاهالي فيها كلها في اوربا يكون عشرة ملايين نفس. وقد ظهر بالتقويم المذكور انلاه ان نسبة الرعايا الغير المسلمين الى المسلمين هو نسبة ٥٧ الى ٤٣. وقد ظهر ايضاً ان المسلمين في بوسنة يزيدون قليلاً عن النصارى وفي موناستار الزيادة اكثر وفي سلانيك يكاد يكون العدد متساوياً. غير ان التبعة الغير المسلمة تزيد كثيراً عن التبعة المسلمة في الولايات الثلث الاخرى. هذا ويقال ان هذه التقويمات هي رسمية وان بعض المامورين يحبون ان يزيدوا عدد المسلمين حال كون النصارى يخفون حقيقة عددهم بامل التخلص من البدل العسكري. ومع ذلك قد راينا ان عدد المسلمين يزيد عما كان قد تقرر في عقول الناس

سياسة انكلترا

ذكر في التيمس انهُ اجتمع جمهور غفير من اعضاء المجلس العالي الانكليزي الى اللورد دربي وزير خارجية انكلترا وقدموا اليهِ مذكرة بشان الحوادث الشرقية ابانوا فيها انهم لا يحبون لا هم ولا منتخبوهم بان يكون ميل انكلترا الى جهة الدولة العلية الى غير ذلك مما يستدل عليهِ من جوابهِ الطويل الآتية ترجمتهُ وهي صادقي. انني لا اعلقكم عند ما اقول انني صرفت

زماناً طويلاً في الوزارة والعضوية وقابلت عهداً ورافقت عهداً اخرى غير انني لم ارَ عهدة اكثر اهمية من عهدتكم الحالية من جهة الاشخاص المولفة منهم ولا من جهة الوكالة التي يقومون بها والنيابة المفوضة اليهم فانهم ينوبون عن جمهور غفير قوي من ابناء الوطن ولا من جهة اهمية الامور التي اتيتم لتخابروني بشانها (اسمعوا) وقد قرات مذكرتكم بالتاني والتدقيق وقد اصغيت الى جميع الكلام الذي جرى في هذه القاعة وارى نفسي منصرفاً عن اظهار استحساني للاختصار والبلاغة اللتين رايتهما . ولا اتردد عن ان اجيب قائلاً ان في تلك المذكرة بعض امور لا اقدر ان اوافقكم عليها وبعضها احب ان لا ابين ارائي المتعلقة بها غير انني اوافقكم كل الموافقة على ما قلتموه مما يتعلق بجوهر الامر وهو رغبتكم في ان تحافظ الحكومة على سياسة حيادة تامة ما لم تكن قادرة ان تتداخل حبيًا لتعجل بنهي الاضطرابات الجارية (اصوات استحسان) . وقد لاحظت ما قاله رئيسكم المشهور مستر بريت من انه مامن ميل الى اظهار الارتياب في اعمال الحكومة ولا الى لومها (اسمعوا اسمعوا) . ولا يخطر لي ببال انكم تقومون بعمل لم يحل زمانه ولا انكم قد خرجتم عن سبل الحكمة بالاتيان الى هنا لاظهار ارائكم بشان امور ليست بجارية ولا تظنون انها جارية ولكنكم تظنون انها ربما كانت تجري . وعوضاً عن ان اقول ان حضوركم اليَّ في غير محله اقول انني سررت بتمكني من ان اعرف اراءكم قبل فوات الفرصة الموافقة لذلك ولا ريب في ان كل وزير في ظروفي يسر بان يقف على ارائكم واراء البلاد في الزمان الموافق لذلك . وقد طالما تقرر في عقلي ان من اصعب واجبات وزير حكومة مقيدة ان يكون كما هو فعلاً خادم المجلس العالي والاهالي كما انه خادم الملكة حال كونه لا يتناول تعليماته من مستخدميه قبل

حلول اوان الاجراء بل يترك لتخمين ميلهم وارادتهم حال كونه لا يعرفها بتاكيد الا عند ما يجري ما يضادها (ضحكة) . والمأمول اننا لم نمس في حالة كتلك الحال في الزمان الجاري وساذكر امراً قاله احد الحاضرين عندما خطب هنا وهو انه من اللازم كتم الامور بالصمت عند جري المخابرات غير ان سكوت الحكومة الانكليزية في الظروف الجارية مكدر . فارجوكم ان تتذكروا شيئاً واحداً وهو اننا لم نمتنع عن اجابة السوالات التي بلغت الينا . وان الام ان صمتنا برهة وامتناعنا عن اظهار الكتابات الرسمية لم يجريا الا في اثناء جري المخابرات التي كان الناس يوملون بانها تمنع انتشاب الحرب . ومن الموكد انه لا يوافق ان ننشر حوادث واراء من شانها تهييج افكار الفريقين حال كوننا لا نزال نومل بصرف المشاكل بالحب . ولكن عندما راينا ان اجتهاداتنا ذهبت سدى وان الحرب قد انتشبت نيرانها على رغم ارادة كل اوربا قلنا انه قد انتهت كل التمنعات واننا اصبحنا مستعدين لان نضع المخابرات امام المجلس ولم تطرح امامه بعد غير انها تصبح مطروحة بعد ٣ او ٤ ايام وتاخر ذلك ناشئ عن كثرة المخابرات

اما الان ياسادتي فاظن انني قد ادركت سبب مجيئكم الى هنا وهو لتظهروا خوفكم الذي تظنون انه خوف العموم او خوف الاكثرية وانه ناشئ عن مجرى الحوادث الحالية او ناشئ عن شيء اقامت به حكومتنا او امتنعت عن القيام به حتى اننا نخاف ان نبيت ملزومين بان نسعف جهة دون اخرى في الحرب الجارية . وقد ذكر احد السادة الذين طالما اصغيت لكلامهم بالاعتبار وهو من جهتي في المجلس العالي امرين وقال انه قد تقرر في عقلوانهما سبب تقرير ذلك في عقول الناس . فاحدهما امتناعنا عن الاشتراك بما يسمى بمذكرة برلين ولا اسميها لائحة لانها لم تقدم . والثاني

ارسال بوارجنا الى خليج بسيكا . حتى انهُ قيل ان الناس يخافون اننا سنساعد الدولة العلية على الهجوم الخارجي بل على الانقسامات الداخلية . فاقول عن مذكرة برلين ان الاسباب التي حملتنا على الامتناع عن الاشتراك فيها مقررة في الاوراق التي تطرح امام المجلس فلا يلزم ان ابحث عنها بالتطويل وكفانا ان نقول ان الاسباب التي ذكرتها في يوم ماض في مجلس الامراء حملتنا على ذلك رفي انهُ تقرر عندنا ان المذكرة المذكورة مما لا يتيسر اجراوهُ وتقرر عندنا ايضاً ان الباب العالي لا يرتضي بهِ. وفضلاً عن ذلك عرفنا انهُ ناشئ عن اتفاق دول راغبة في ان تتفق على الاجراءات غير انها ليست بثقة كل الاتفاق على ما ينبغي ان يجري فخشينا ان تاخذ كل فيئة في ان تفسر كلام المذكرة بما يخالف تفسير الفيئة الاخرى فينقضي بنا الامر الى ما تقضي بهِ مذكرات كهذهِ في بعض الاحيان اي بوقوع سوء مفهومية عمومية . فهذا هو سبب تصرفنا المتعلق بتلك المذكرة ولا ينبغي ان ابح بالاسرار السياسية على انني اظن انهُ يحق لي ان اقول ان تصرفنا المذكور لم يرَ بعدم الاستحسان في محلات لم تستحسنهُ في بادي الامر ولا فهمتهُ (ضجيج استحسان). وفي الاوراق التي تطرح امام المجلس العالي ترون توضيحات منفصلة بشان ارسال بوارجنا الى الخليج المذكور. ومع ذلك اقول ان الذين لاحظوا ذلك نسبوهُ الى غايات مختلفة عن الغايات التي ينسبونهُ اليها لو تتبعوا بالتدريج الحوادث التي ساقتنا اليهِ (اسمعوا اسمعوا). ولا يخفى انهُ عندما ظن الناس انهُ سيصير تقديم مذكرة برلين وكان خلع السلطان في الاستانة خارجاً من القوة الى الفعل امست الاحوال في الاستانة العلية والاماكن المجاورة لها ما يدعو الى الاضطراب الشديد خوفاً مما يتبع ذلك ومن المعلوم انهُ عرف ان المرحوم السلطان عبد العزيز لم يكن في حالة بعيدة كثيراً عن الجنون واشتهر التذمر والتشكي وانتشرت اخبار غريبة جداً بشان نوايا الدول وما ربما كانوا يقومون بهِ لمضادة المسلمين عموماً . وبالجملة اقول ان الهيجان بات عمومياً حتى انهُ بات الجميع يخافون من حدوث حرب اهلية دموية تدعو الى قتل الرعايا الانكليز والاجانب عموماً . ولا تزالون تتذكرون انهُ قبل ذلك قتل قونسلوسان اجنبيان وظهر بذلك كره الاجانب وفي تلك الظروف اجتمع سفراء الدول وتفاوضوا بشان الامنية العمومية واجمعوا على انهُ من الواجب الحصول على ما يتيسر الحصول عليهِ من قوة السلاح لصيانة الذين لا يتعدون . فطلب القوة صدر من الاستانة وليس من هنا وقد استحسنت ذلك واحمل كل مسئوليتهِ ولم يعرف الناس هنا ان ذلك لم ينحصر في الحكومة الانكليزية وسفارة انكلترا . ولكننا اقمنا بهِ كدولة من الدول العظيمة (اسمعوا اسمعوا) . وعند التكلم عن البوارج يظهر ان بوارجنا اكثر فانتبهت الافكار اليها اكثر من انتباهها الى امور اخرى . فهذهِ هي الحوادث واظن انهُ لا يستنتج منها ما استنتجهُ الناس (اصوات استحسان) . هذا وانني اوافق كل الموافقة احد السادة الذي تكلم ثالثاً وابان بحذق حدود الادراك البشري للامور السياسية فاننا نقدر ان نرى ما هو امامنا واظن اننا جميعاً لا نقدر على ذلك (ضحك) غير انهُ يصعب الحكم على امور واقعة وراء المستقبل القريب وبالنظر الى ما يتيسر لنا ان نعلمهُ عن الاستقبال اقول انهُ من ابعد الامور في العالم ان تنشأ حرب اوربية عمومية من جرى شيء جارٍ ضمن حدود الممالك العثمانية (ضجيج استحسان عام شديد) وقد ظهر لي ان ذلك من الاوهام البعيدة حتى انها لا تستحق التامل ولا ارى الجهة التي تنشأ الحرب عنها . ولا يوافق السلم اظهار كل ما يعرف عن احوال الدول واميالها ومع ذلك نقول انهُ من الظاهر ان

فرنسا وايطاليا لا تميلان الى اجراء ما ياتي بحرب عمومية لاسباب مالية وغير مالية . ومن المعلوم ايضاً ان الحكومة الالمانية ليس لها صالح عظيم في الشرق فتنظر الى هذه المسئلة بدون الاهتمام بها كما تهتم دول اخرى اوربية وعندي ان شأن الامة الالمانية في ذلك هو شان حكومتها . ولا اظن انني اتجاوز حدود الواقع اذا قلت انها لا تهتم بها الا بالنظر الى ما ربما كان ينشا عنها من الاضطرابات في جهات اخرى من اوربا . فلم يبق غيرنا نحن والنمسا وروسيا . ولا اقدر ان اقول ان بينكم من يظن ان انكلترا ترغب في الحرب وغاية ما خطر للناس ببال من هذا القبيل الخوف من ان نساق الى حرب على غير ارادتنا مع مضادة صوالحنا فان كل الاحزاب في انكلترا وكل الرجال يحسبون الحرب الاوربية من اعظم الويلات (اسمعوا اسمعوا) . اما النمسا فمركزها يختلف عن مراكز الدول الاخرى ولها صعوبات مخصوصة بها . وادارتها مزدوجة ولا غنى لها عنها ولذلك يصعب عليها القيام بسياسة عدوانية اقدامية . وهي مؤلفة من امم كثيرة مختلفة وهذا معلوم عند الجميع ومن المؤكد ان حدوث اضطراب في تلك الجهة من اوربا يوقعها في خطر وارتباك فان مركزها كمركز الدولة العلية فللاستئمان والمحافظة على صوالحها وغير ذلك لا ترغب في ان تتعدى على السلام وبعد ذلك تقولون ماذا يقال يا ترى عن حكومة روسيا وشعبها فاقول ان الجميع يعلمون ان قسماً عظيماً من الامة الروسية يميل كل الميل الى العصاة في الممالك العثمانية . وفيها حزب قوي يرغب في انشاء دولة سلافية مهمة قوية تكون منقادة لروسيا وقد اخطا من ظن انه راغب في تخليص ولاية او اكثر من يد الدولة العلية . غير اننا اذا قلنا ان الحزب موجود وقوي لا نفهم ان قوة الادارة في يده . وما من شيء في هذا العالم اشد تاكيداً من ان امبراطور روسيا محب جداً للسلام وعلى ارادته الشخصية وميله يتوقف ما لا يتوقف على شخص اخر في العالم ومن الاسباب التي تمنع روسيا عن فتح الحرب حالتها المالية وصعوبات الادارة الروسية التي ربما كنا لا نعرفها كلها ومصاريف الفتوحات الروسية الاخيرة في اسيا مع اسباب اخرى لا لزوم لذكرها . فهذه الامور تجعل السياسة الهجومية غير موافقة لروسيا في الحال . ولتقوية البرهان اذكر الاتفاق الذي تقرر بين امبراطور روسيا وامبراطور النمسا في مقابلتهما الاخيرة لان ذلك قد نشر في الجرائد . وقاعدة الاتفاق المذكور القاعدة التي وضعتموها انتم وهي التي قبلت بها وهي الحيادة التامة والامتناع عن المداخلة ما دامت الحرب جارية . فهذه الحيادة لا تمنع التوسط الذي ربما كان ياتي بنتائج حسنة وقد فهمت انه قد اتفقت الدول على انها اذا توسطت يكون توسطها باتفاقها كلها . فيا سادتي انني اكرر ما قلته من انني لا ارى في هذه الاحوال ما يسوق الى الخوف من الحرب . واظن انكم لا تنتظرون ان اقول لكم انه ليس لنا شيء للاجرا في الشرق ولا تريدون ان اخبر بذلك كل العالم ولا اننا لسنا بقاصدين بان لا نشور بشيء ولا ان لا ننفذ سطوة وان نلغي كل المعاهدات وندعي بانه لا يهمنا ما يجري . وبالحقيقة انني منذ دخلت هذه القاعة طلب الي احد الحاضرين بان اقوم بعكس ذلك اي ان اقوم بوسائط سلمية لترقية اسباب السلام . فالتخلي التام ليس ما قد عولت عليه هذه البلاد لا في الماضي ولا في الحال واظن ان التخلي التام لا يرضي الامة عموماً . ولنا مركز عظيم في اوربا والمركز العظيم عند الامم كما عند الافراد يدعو الى احتمال مسئوليات عظيمة . واذا قالت كل امة قد بلغت درجة معلومة من التمدن اننا قد صممنا على المجانبة والتخلي فلا نتداخل في امر دولي مالم تمس

صوالحنا تمسي ادارة الامور الدولية العامة في ايدي الامم التي لم تبلغ الدرجة المذكورة من التمدن (اسمعوا اسمعوا) . واذا صمتت انكلترا عن الامور الجارية الان ينقص حزب السلام صوتاً واحداً . وانا اشد الناس محافظة على عدم المداخلة في ما يمكن ان لا نتداخل فيهِ . على انهُ لا ينبغي ان نتجاوز حدود الاعتدال في شيء والثبات على عدم المداخلة في كل الظروف هو ترقية اسباب الظلم بين الدول وهذا لا يكون فيهِ سلام دولي ولا تقدم فيا سادتي قد اطلت الكلام واظن انكم ترغبون في ان أكلمكم بحرية ووضوح فاقول اننا اجهدنا انفسنا في سبيل منع حدوث هذه الحرب فذهب تعبنا سدى . فسنفرغ جهدنا في سبيل حصرها ضمن حدود معلومة . ولم يخطر لنا ببال ان نتداخل بين الدولة العلية ورعاياها العصاة ولا بينها وبين الامارات المتعلقة بها (اسمعوا اسمعوا) ونحاول تقرير ذلك في عقول الاخرين والمرجح عندي اننا سنفوز بالمرغوب . ولا ابين رايي بشان حالة الدولة العلية الداخلية ولكن اذا كانت كما يقول اعداؤها لا تُصلح الاحوال بمجرد المداخلة الخارجية . ومنذ عشرين سنة اخذنا على انفسنا الدفاع عنها من الهجمات الخارجية ولكننا لم نتخذ عليها صيانتها من امور داخلية فهذه هي سياستنا باختصار بالنظر الى الحرب الجارية فلا نتداخل وسنفرغ جهدنا في سبيل منع الاخرين عن المداخلة غير انني لا اظن ان ذلك لازم في الحال الجارية . واذا سنحت فرصة للتوسط نستغنمها بسرور وهذا لا يستبعد . هذا واننا نحفظ لانفسنا ما نحن ملزومون بان نحفظهُ من حرية الاجراء والاراء وعندنا ان للاتفاق العام الذي جرى بين الدول اهمية عظيمة كما عند الدول التي قد اتفقنا معها وفي دول عظيمة وذلك احسن ضمانة للسلام

التعليم

(من قلم سليم افندي بستاني)

يقال علمهُ العلم والصنعة تعليماً وعلاماً جعلهُ يتعلمها . والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع . او هو حصول صورة الشيء في العقل . او هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات . او هو زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضهُ . او عبارة عن صفة مخصوصة بين العاقل والمعقول . او تثقيف مبادي القوة في الانسان بحيث تتربى تربية تجعلها تفعل افعالاً غير متناقضة في سبيل طاعة نواميس الادراك والآداب . وفيهِ الوسائط العامة التي تقود بها العناية الالهية الجنس البشري الى غايتهِ النهائية . او هو متضمن الظروف الكثيرة الطبيعية والمتعلقة بالهيئة الاجتماعية التي يسير الناس تحت سلطانها من المهد فاللحد في سبيل الحيوة الى ان يبلغوا القبر . ومنهُ المعارف والتربية والعناية التي يقوم الوالدون والمعلمون بها ليروضوا الصغار ويقدموهم جسدياً وعقلياً وتهذيبياً وادبياً . وقد قال الحكيم افلاطون ان التعليم الجيد يقوم باعطا الجسد والروح كل الكمال الذي يقدران على ان يقبلاهُ . وقد قال الحكيم روسو انهُ جعل عناصر الفطرة والاميال الاصلية ضوابط دائمة الصفات والاعمال . وقد قال كانت ان في كل انسان تصورات الهية وهي المثال الذي خلق على مثالهِ ومبادي انسان كامل وانهُ من متعلقات التعليم ترويض تلك المبادي والاعتناء بتربيتها في اثناء نموها . فهذا التعليم الذي عرف جميع تلك التعريفات وما في الابعض تحديداتهِ هو اساس تقدم الامم ويكون تقدم الامة بطيئاً الى ان تدرك درجة معلومة بالتعليم اي بانتشار المعارف وبعد ادراكها تتقدم من تلقاء نفسها وتنمو فالشرق لم يبلغها بعد والمعارف فيهِ في تاخر ولاسيما في الداخلية

فقد خسر المعارف التي قررت في القرون المتوسطة باجتهادات العرب ونشاطهم. ولم يفز بجميع المعارف الجارية الموسعة عليها مع انهُ من المقرر ان من فوائد التعليم بل من واجباتهِ ان يروّض عقل الفتى ويثقفهُ وان يكون الواسطة التي ينتفع بها اهل قرن حالي كل ما ادركهُ اهل قرن سابق بل اهل القرون السابقة لازدياد ما ورثوهُ واصلاحهِ . على ان الشرقيين قد اضاعوا الامرين . ولا نرى في ربوعهم وهي ربوعنا الوسائط الكافية لرد احدهما فانهُ ما من مدارس لتعليم علوم سلفائنا ومدارس معارف هذا العصر قاصرة جدًّا والمقصود من انشاء أكثرها المناظرات الدينية اكثر مما هو نشر المعارف الصحيحة المجردة عن الدين ليس لاستغناء الانسان عنهُ ولكن لجعلهِ موضوعًا مقدسًا منفصلاً عن الدنيويات في نفس المدارس كما في دوائر الاشغال . وما احسن ما فاه لهُ رئيس جمهورية امركا موخرًا بهذا الشان حتى انهُ قد اشتغلت المدارس زمانًا طويلاً بدون ان تاتي بفوائد صناعية ولا بتقدم ادبي ذي تأثير ظاهر في الهيئة الاجتماعية التي امست متمسكة بالعرض من الامور وبما يضر ويسلب الثروة ويوخر البلاد عوضًا عن التمسك بما هو جوهري مقدم . ومع ذلك يجعل لكل دائرة من تلك الدوائر التعليمية اي المدارس اهمية في الشرق والغرب يتوهم من يطالع الكتابات المتعلقة بها بان حيوة الشرق او قسم مهم منهُ وموتهُ متوقفان على نجاح واحدة منها او سقوطها حال كونها محصورة في جهة واحدة واولاد الاهالي ذكورًا واناثًا يعيشون في الظلم والتاخر والمشاهد اننا لا نرى في المدارس في البلاد عشرة من كل مائة ولد وجميع المدارس العالية تعطي من المعارف ما لا يكفي ولا يقدم ماديًّا وطريقها واحدة ومشاربها مختلفة فانها تحاول تعليم اللغات ورياضيات لا تزيد الكيس درهمًا ليس لخلوها من النفع ولكن لافتقارها الى فروع لا يعلمونها للتلاميذ كما يجري في بعض مدارس البنات التي تعلم شيئًا من الخياطة والتطريز فان بنتًا تتعلم صنع ورقة الزهرة واخرى صنع الزر وغيرها جمعهما حتى انهُ ما من فتاة تتعلم صنع زهرة كاملة حال كونهِ من المعلوم ان حالة البلاد الغير المنتظمة لا تسمح بالتكاتف . فيتعلمون الهندسة ولا يعرفون ان يهندسوا ابسط الطرق ولا ان يقيسوا بعدًا ويتعلمون الجبر وكل الحسابات بدون ان يعرفوا ان يمسكوا دفترًا تجاريًّا . فلا ياتي التعليم باهم واجباتهِ وهي دوام تقدم الهيئة الاجتماعية بالحصول على ما للسابقين واضافة ما هو من نتاج الحاليين . ومن جرى اختلاف المشارب والمقاصد لا يغرس في عقول اهل الصبوة والفتوة قواعد وآراء من مصلحة الهيئة الاجتماعية تقريرها وتاييدها . فانهُ كيف يمكن تقرير صالح الهيئة الاجتماعية اي الاهالي حال كون لكل قسم منهم مشرب بسبب اختلاف مشارب الذين ينشرون المعارف في البلاد وهذا خراب الامة وما اصدق ما قالهُ الحكيم ارسطاطاليس ان من افعل وسائط حفظ الدولة تربية الرعايا تربية موافقة لروح الحكومة . فان ذلك هو عبارة عن صبهم في قالب نظامات البلاد الاساسية . انتهى . فهل نرى شيئًا من ذلك في المدارس الجارية عندنا حتى في الجرائد المنشورة وليس المقصود من كلام ارسطاطاليس ما يظهر عند قراءتهِ بدون التمعن فيهِ وما من شيء يوضحهُ اكثر من كلام هربارت فانهُ قال ان واجبات المعلم انما تقوم بواسطة تبليغ الجيل الجديد اختبارات الامة وتفسير ذلك لهُ لانهُ بوقوف الجيل الجديد على اختبارات سلفهِ يتعلم اسباب اضرارهِ ومنافعهِ ويجمع صناعتهُ وبربت تجارتهُ . فاذا لم يتعلم ذلك يدخلهُ تعليم لا يناسب حالتهُ فيجعلهُ يضيع ما هو لهُ بحق الارث بدون ان يتمكن مما هو غريب عنهُ وصالح الامة .

والدولة واحد بالنظر الى هذه الامور لانه في السياسة الصحيحة لا بد من سقوط الدولة التي لا تراعي صوالح رعاياها وكذلك لاتثبت دولة لا تهتم رعيتها بصالحها بل تستغنم سنوح كل فرصة لتعكيس احوالها وتضييع مصالحها فهما واحد كما يظهر من كلام ارسطاطاليس ومن اللازم ان يقتبسوا روح الحكومة ففرض امكانية اقتباسهم له بالتربية دليل على ان الصالح واحد لانه بدون ذلك لاسبيل الى صنع الصغار (اي تربيتهم) في قالب نظامات البلاد الاساسية . فاي تعليم يا ترى في الشرق يبلغنا اختبارات سلفائنا و يصنع صغارنا في قالب نظامات البلاد الاساسية فترى اختبارات اقصى البلدان وابعدها عنا بالمشرب وبنظام الهيئة الاجتماعية تجري في دوائر التعليم وما يخصنا مطروح في زوايا الاهمال حتى اننا نفهم اركان نظام حكومات اوربا قبل ان نفهم اركان نظاماتنا اذا كان تاماً او ناقصاً ونتعلم وصف اسواق باريز بل قاعات قصر التويلري فيها حال كوننا نجهل ولايات باسرها من ولاياتنا ونتعلم تاريخ الانكليز والالمان حال كوننا نجهل اهم تواريخنا وتغرس فينا بحركات الذين يبلغوننا تلك المعارف وبالكتب التي يجعلونها في ايدينا وبالخطب التي يلقونها على مسامعنا وبالنظام الذي يجعلونه لمدارسهم ما يغير مشربنا كل التغيير واذا سلمنا بان انتقالنا هو من الفاسد الى الصحيح لا توافقنا كيفية الانتقال وقد انحصرت تلك الافادات في النصارى منامع انهم الاقلية والاكثرية المسلمون الذين لا يزالون مبتعدين عنها . فنرى ان هذه العناصر قد فتحت سبل التجارة للافرنج فدخلت مصنوعاتهم ومحصولاتهم لطرد اموالنا وقلب صناعتنا فلو استفدنا من مدارسهم مادياً بقدر ما استفادوا هم لجرت الموازنة على انهم قد نشروا افاداتهم بين الاقلية وانتفعوا بجذبهم من الكل فالمسلمون ياخذون من اوربا اكثر المصنوعات الواردة لكثرتهم ولم ينتفعوا من مدارسهم وليس المقصود التنكيت على المدارس الموجودة في البلاد لانها ربما كانت تقوم بالقصد منها في بعض الاحوال لاننا نقرا في اعلاناتهم بان مقاصد اكثرها الاساسية هي دينية وانتشارها هنا انما هو للمناظرة الجارية بين اهل الدين انفسهم في نشر قواعد دينية ترغب فيئة اخرى في مضادتها فانه من المؤكد ان تلك المدارس قد جاءت بفوائد كثيرة ولئن كانت قد ادخلت البلاد مشارب مختلفة لاختلاف مشاربها وقد حركت الغيرة في قلوب الاهالي ونوّرت العقول وادخلت معارف كثيرة ذات نفع جزيل وملاحظاتنا محصورة في اذاعتها مشارب مختلفة وعدم اعتنائها بما يوصل بالمتعلمين الى الاجراء في الاعمال لان اساس انشائها انما هو للتاثير في العقول دينياً بتربية الصغار ونكتفي بالقول ان كل امة منهم تعتني بتعليم لغتها في مدارسها فالانكليز يعلّمون الانكليزية والالمان الالمانية والفرنسويون الفرنسوية وهلم جرّا وهذا جارٍ في القدس وبيروت والشام وغيرها ولم تسبق المدارس التجارة الى ربوعنا فان التجارة هي الجيش الفاتح او المودي الى الفتح عند الافرنج في هذا العصر . وقد كتبنا عن هذا الموضوع مرات كثيرة وابنّا ما نستغني به عن الاعادة ولم نقصد بذلك غير تنبيه افكار الاهالي والاجانب الى النقائص الكثيرة الخامرة اسبابها التعليم في الشرق بحيث يبادرون الى انشاء ما نحن في احتياج اليه اذا كانوا راغبين في نفع الاهالي نفعاً فعلياً يمكّن رباطات الحب والالفة بينهم و يبعد اسباب التعصب والشقاق ويسهّل وسائط التكاتف في الاعمال ويجعل اساس معارفنا اختبارات سلفائنا واحتياجات بلادنا صناعياً وتجارياً و زراعياً ليبدل سقوطنا المادي الجاري بالنهوض لان التعليم يتعلق به نظام الهيئة الاجتماعية وهو تلمذة الذين يخلفون الامة الراشدة في نظام الامة المتمدنة . ولا سبيل الى جعل المعارف والحذق في

درجة واحدة عامة فانها تختلف باختلاف حالات الرجال ودرجاتهم كسائر اشغال البشر . ولولا تاسيسها لمقاصد دينية لأتت بفوائد جمة وتمكن الذين ليسوا بنصارى من مناولة الافادات منها وما دامت اكثر المدارس في البلاد في ايدي الافرنج لا سبيل الى الاتيان بالاصلاح المقصود منها جرى ما لم ينتبه مديروها انفسهم الى لزوم تربية التلاميذ تربية تجعلهم اصحاب مشرب واحد لان مداخلات الحكومة لا تتناول التعليم الشفاهي ولا التربية هذا فضلاً عن صعوبات الوصول الى اجراء ذلك في الحالة الجارية وللاصلاح طريقتان احداها مبادرة المدارس من تلقاء نفسها الى جعل اساس تربية واحدة والثاني فتح الحكومة مدارس متقنة تجذب التلاميذ اليها والاول اسهل وبالنظر الى اهمية التعليم في الامم في تقرير جملة تاريخية متعلقة به فائدة كبرى فنقول

ان التعليم والتربية في القرون المتوغلة في القدم كانت في ايدي خدمة الدين دون غيرهم فانهم قد سبقوا جميع الناس الى انشاء المدارس والى الحكمة والى المناصب السياسية والقضائية والى صناعة الطب وعلم الفلك والهندسة . ولم تنفصل المعارف عن الدين ولا بات التعليم مهنة مخصوصة الا عند الامم التي بلغت درجة قصوى من التقدم والمعارف . حتى ان الامم المتمدنة والمتقدمة قد رات مدارسها خاضعة بعض الخضوع او كلة لعناية او سيادة خدمة الدين لان كل الامم قد اجمعت على ان الدين من اهم مصالح الهيئة الاجتماعية

وقد فاز الصينيون بالوصول الى درجة عالية من التمدن والمعارف منذ زمان متوغل في القدم غير انه اقرب الينا مما يدعون . ومن اشهر حكمائهم كونفيشوس الذي وُلد سنة ٥٥١ قبل الميلاد وهو مرجع تمدنهم وادابهم وليس واضعها ولذلك قد قال بوضوح بانه لم يكتب شيئاً لم يكن معروفاً ومقرراً في نظامات بلاده وعلومها . ولا تزال القواعد التي وضعها جارية عند الصينيين وكذلك القواعد التي وضعها منسيوس بعد كونفيشوس بنحو قرنين . فالتعليم عندهم يبتدي في العائلة فان الصبيان فيها يبتدئون بتعلم الاعداد الى ان يصيروا يعرفون ان يعدوا الى عشرة الاف وان يحترموا والديهم واجدادهم باحتفال مخصوص . وعندما يبلغون الخمس او الست سنوات من العمر يرسلون الى المدارس فعند دخولها يقوم التلميذ باحترام كونفيشوس قبل كل شيء ثم يقوم باحترام معلمه . وبعد ان يتعلم درساً واحداً بالنحو او الصرف او التاريخ او الحكمة او الرياضيات او الفلك يتناول طعام الصباح . وبعد ذلك يصرف النهار في النسخ والدرس غيباً وتسميع جمل مختارة من كتب الفصاحة . وقبل الرجوع الى البيت مساء يسمع بعض التلاميذ بعض حوادث من التاريخ القديم فيفسرها المعلم . وبعضهم يجتمعون ويرتلون ترنيمة قديمة واحياناً يرقصون في اثناء ترتيلها . ويخرجون من المدرسة بتقديم الاحترام لكونفيشوس ولمعلمهم وعند وصولهم الى بيوتهم يحيون باعتبار الارواح الحامية واجدادهم ووالديهم واقاربهم . اما اولاد الامراء فيتعلمون علماً يزيد عن ذلك في مدارس عالية تحت مناظرة الحكومة وفي اكثر المدن الكبيرة مدرسة عالية لهم واجمعها المدرسة الملكية في بكين عاصمة الصين ولا يدخل طالب مدرسة بكين المذكورة الا بعد ان يفحص فحصاً مدققاً والذين يتممون دروسهم فيها ينالون الوظائف السياسية حال خروجهم منها . والمظنون ان الصين قد سبقت كل دول الدنيا خلا بروسيا في جعل التقدم في الوظائف نتيجة النجاح في العلم . اما تعليم البنات فيهمل عندهم غير ان بنات الاعيان يتعلمن القراءة والكتابة والترتيل ومنهن من

يتعلم نظم الاشعار

هذا وقد قال اكثر المورخين ان الهنود سبقوا كل الامم القديمة في سبل المعارف في الشرق . على ان المعارف الهندية كانت في الغالب محصورة بخدمة الدين عندهم وهم البرهميون ولا تزال كذلك . ولا يسمح لهم الا له بتفسير كتب الفيداس وهي كتبهم الدينية للصنفين من الاهالي التابعين لصنف خدمة الدين . اما الصنف الرابع وهو اهل الاشغال الجسدية فهو اكثر الاصناف عددًا غير انهُ لا يسمح له بالتعلم حتى انهُ لا يسمح لاهلهِ باستماع قراءة الكتب المقدسة . وفي الحال تقام المدارس الابتدائية خارج المنازل اي في ظل الاشجار وابتداء التعليم اعتياديًا عندهم يكون بتعليم الكتابة فيجلس الصبيان عراة على الارض ويكتبون على الرمل او اوراق الاشجار جملاً ادبية منقولة عن كتابات القدما ويتعلموها غيبًا . اما كتب الفيداس وهي الدينية فتتعلم وحدها في مدارس البرهميين اي خدمة الدين وهي تحتوي على علومهم الدينية العالية والرياضيات والفلك والحكمة ويجتهد الاساتيذ الهنود في تعليم تلاميذهم قواعد السلوك وفصاحة الحديث والحركات المتعلقة بهِ وامورًا كثيرة متعلقة باصطلاحات المعشر . ويهملون كل الاهمال تعليم النسا فان نواميس مانوا تنسب اليهن الحسد والخداع حتى انهُ قد تقرر في عقولهم انهُ عار عظيم على المراة بان تعرف القراءة فانحصر تعلم القراءة والغنا والرقص في نسا البلاط . وقد انشات الحكومة الانكليزية في الهند وكذلك الاهالي عدة مدارس هناك وانقسم اكثرها الى دائرتين احداها لتعليم اللغة الانكليزية مع متعلقاتها وعلومها والاخرى لتعليم اللغة الهندية والعربية والفارسية مع متعلقاتها

اما المصريون القدماء فنبغوا في العلوم حتى ان اليونان نقلوا عنهم مبادي علومهم وحكمتهم . والاسرائيليون تعلموا منها المعارف التي مكنتهم من ان يمسحوا الاراضي ويقيسوها ويقسموها . وكانت العلوم والسلطان السياسي في الغالب في ايدي خدمة الدين وكانت اكثر الاراضي في ايديهم وانحصرت المعارف العمومية في صنف خدمة الدين وصنف الجنود واخذت في ان تصير عمومية بعد دخول الدولة الفارسية واليونانية الى بلادهم . وكان كثيرون من الاهالي يتعلمون الصنائع بدون ان يتعلموا الرياضيات والاداب وعلم الدين الا ما قل منهم . وكان لخدمة الدين منهم درس سري وكانت اعظم مدارسهم في تيبة ومنفس وهليوبلس . فما نقلهُ اليونان عنهم وما نقراهُ في اثارهم يبين انهم كانوا يعرفون الهندسة والفلك والقياسات والسير في زمان متوغل في القدم ومنذ ايام تالز كان احكم اليونان يذهب الى مصر لاكمال درسهِ . ويقال ان فيثاغورس تعلم هناك علومًا كثيرة وانهُ حفظ كل قوانين كهنتهم ليحملهم على ان يعلموهُ اراءهم وعلومهم ويقال ايضًا ان افلاطون كان من تلاميذهم وقد قال انهُ لما سالهم سولون عن امور قديمة راى انهُ لم يكن يعرف لا هو ولا احد اليونان شيئًا عن الازمان القديمة جدًّا وكانت بنات الكهنة يتعلمن العلوم غير ان العامة كانت تعلم اولادها حرفها واعمالها الا في النادر وبعد ذلك الزمان امسى قسم من مصر ضمن دائرة التمدن اليوناني واشتهرت مدارس الاسكندرية وغيرها من مدارس مدن الارياف كاشتهار تيبة وغيرها من المدن القديمة وكانت مكتبتا الاسكندرية من اوضح الادلة على شان المعارف في تلك الدبار

اما التعليم عند الفرس القدماء فكان من متعلقات المجوس عندهم وهم صنف من بلاد مادي وكانوا حكماء المملكة الفارسية وقضاتها ومفسري احلامها ومنجميها واصحاب اعلى مناصبها . فسادوا على الفارسيين

فروناً بقوة عقولهم الناتجة عن معارفهم وسلم اليهم امر المحافظة على حكم زوروآستار ونواميسه . ولم يكن عندهم نظام مخصوص لنشر المعارف بين الامة على انهم علموا العامة شيئاً قليلاً والمجوس العلوم والامور الدينية وفنون الحرب والسياسة لابطال الحرب . ولم يكونوا يعتبرون ذنوب الاولاد خطايا الا بعد ادراك سن ٨ سنوات وكانوا يعلمونهم الصلوة عند ذلك وكانت العلوم التي تعلم لغير المجوس قليلة جداً لا تستحق الذكر على ان التربية الادبية كانت مصروفة في سبيل تعليم الصدق والعدل اما في التمرينات الجسدية ففاقوا سائر الامم الشرقية . فان اساسها عندهم كان الجمع بين طعام قليل وتمرينات جسدية كثيرة . وقد قال المورخ هيرودوتوس المشهور انهم اتعبوا انفسهم في تعليم اولادهم من سن ٥ سنوات الى العشرين ثلثة امور دون غيرها وهي ركوب الخيل والرماية والصدق . وكانت الامة بجملتها تنقسم الى اربعة اقسام بحسب الاسنان وتجتمع في اوقات معينة في اربع قاعات او ابنية بعيدة عن الاسواق . وكانوا يعلمون الفتيان الى سن ١٧ سنة العدل او القيام به والقيام بواجباتهم المتعلقة بمعبوداتهم وبلادهم ووالديهم واقاربهم . وكانوا ينزلون في منازلهم وكانوا يتناولون طعامهم البسيط تحت مناظرة معلميهم ويتعلمون استعمال القوس والحراب ويحرضون على الاقتداء بالذين اشتهروا بالفضائل . وكانوا يصرفون ليلاً لهم في القاعات العمومية من سن ١٧ الى ٢٧ سنة لصيانة اداتهم ويتعلمون فنون الحرب ويتعودون النهوض باكراً من النوم واحتمال الحر والبرد وتعب المشي والركض والصيد . وفي ٢٥ سنة بعد سن ٢٧ كانوا يعدون من البالغين ويقومون بالقضاء رسمياً وحربياً وكانت ابواب المدارس مفتوحة لجميع الامة غير ان تحصيل العلوم كان محصوراً في الموسرين لان الفقرا لم يكونوا يقدرون ان يستغنوا عن الانتفاع بشغل اولادهم ولا ان يقوموا بدفع مصاريفهم

اما نظام الامة العبرانية وتاسيس سياستها وحكمتها على الدين فاتيا بتثقيف عقلي لم يشاهد مثله عند شعوب اخرى شرقية وتشاهد اثار ذلك في معارفها . ولم يذكر في التوراة غير مدارس الانبيا غير ان الوالدين كانوا في الغالب يعلمون اولادهم ناموس موسى عليه السلام وتاريخ الامة . وطاعة الاولاد لوالديهم من الاوامر الالهية التي اعيدت مرات كثيرة في التوراة وكانوا يعلمون البنات الترتيل وضرب الالات الموسيقية والرقص في الاحتفالات الدينية . وقد نبغت فيهم شاعرات وعالمات . وبعد السبي انشا الحاخامية مدارس كان التلاميذ يرسلون اليها من سن ٥ الى ٦ . وكانوا يعلمونهم التوراة والتفسير والتقليدات غيباً وكان التعليم شفاهياً بدون ان يكتب التلاميذ شيئاً حتى ان بعض كتبهم كانت تنتقل من معلم الى تلميذ سنين قبل ان تكتب . ومن اشهر مدارس الحاخامية او المعلمين مدرسة غمالائيل التي درس فيها بولس الرسول ومدارس طبريا واسكندرية وبابل والقدس . حتى انه في اكثر القرون المتوسطة كان من الاسرائيليين الكثيرون واطباء وشعراء وحكماء منتشرين في اسبانيا وايطاليا وفرنسا وفي مدن افريقية الشمالية واسيا الغربية . وكانت اعظم مدارسهم نابغة في مصر وفاس والاندلس وغيرها

وقد عرف من الكتب المدرسية اليونانية الكثيرة ان الصبيان اليونان كانوا يخرجون من دائرة عناية امهاتهم عند ادراك سن السبع سنوات فانهن كن يعلمنهم في البيت مع البنات . وكانوا ياتونهم قبل ذلك السن باراجيح واسرة وخيل ومركبات وصور ابطال وصور مواقع دينية ليجعلوها اسباباً للهو والافادة .

وكانت امهاتهم تمنعهم عن البكا او فعل ما لا يناسب بتخويفهم با لغيلان و با لقصاص با لضرب بالحذا او بشي ءاخر. وكانت المراضع والخادمات يلهين الاولاد باخبار عن اعمال معبوداتهم من الرتبة الاولى والثانية وقد كتب افلاطون وغيرهُ من الحكما بنوع مخصوص عن تاثيرات هذه الاخبار واشاروا على الاهالي بان لا يسمحوا للخادمات والمراضع بان يقصصن غير اخبار صحيحة مفيدة . وعند بلوغ الصبيان سن الثاني سنوات كانوا يسلمون الى معتنٍ حارس او خادم يذهب معهم الى المدرسة ويحفظهم على الدوام تحت انظاره وكانوا غالبًا من العبيد غير انهم انتخبوا من احسنهم ومن العارفين باصول المعشر . اما المدارس فكانت تحت مناظرة الحكومة بدون ان تنال منها اسعافات مالية وكان دخل المعلمين من المرتب على التلاميذ وكان يبتدا بالتعليم باكرًا في الصباح وكان ذا ثلثة فروع وهي اولاً القراءة والكتابة ومعها الحساب . ثانيًا الموسيقى ومعها الفصاحة والتصوير . ثالثًا التمرينات الجسدية . اما افلاطون فاشار بان يعلم الحساب كانهُ من اسباب اللهو وان تغرس الافكار الحسابية الابتدائية في ذهن الولد باستعمال التفاح وما اشبه . وبعد ان يتعلم التلميذ القراءة كانوا يعلمونهُ شيئًا من دواوين الشعرا ويجعلونهُ يحفظ غيبًا قصائد طويلة منتخبة . وكان مقررًا عندهم ان منظومات اوميروس محتوية بالوصف والتمثيل كل ما من شانهِ تحريك الحمية الوطنية وغرس الفضائل . اما احب الالات الموسيقية عندهم فكان القيثار ولاسيما في اثينا . وكان تعليم ضربهِ من التعليم العام . وكذلك كانوا قد عولوا على الالة التي تسمى الان بالفلوت غير انهم ابطلوا استعمالها لان ارسطاطاليس قال لهم انها تغير هيئة الوجه بواسطة النفخ فيها . وكان الفتيان يداومون الحضور الى المدارس الى ان يدركوا سن ١٦ او ١٨

سنة . و بعد ذلك كان الذين يرغبون في الانتظام في سلك العلما ينتظمون في تلمذة الفلاسفة واهل البلاغة والحكما . وكانوا يكثرون من التمرينات الجسدية بعد ادراك السن المذكورة لتقوية اعضاء الجسد حال كون كثيرين من الحكما والعلما كانوا يجلسون في اماكن التمرينات المذكورة ويجتمع اليهم جمهور غفير ليسمع احاديثهم وتعاليمهم وانذاراتهم اما البنات فلم يفزن بالحصول على اسباب التعليم العالي ولا على الابتدائي . فان كل معارفهن كانت تصدر من امهاتهن ومراضعهن وكن يمنعن عن مخالطة الرجال والتكلم معهم قبل الزواج . ولذلك لم تشتهر امراة بالمعارف عندهم والنادر كالعدم . اما التعليم اليوناني فرقيت اسبابهُ في بادي الامر بواسطة نظامات ليكركوس وسولون المتعلقة بهِ و بواسطة المدرسة التي انشاها فيثاغوروس . ومركز التعليم في اسبارطة اختصاص الولد بالامة وليس بوالديهِ وقد قرر ذلك في عقول الناس ليكاركوس الحكيم المذكور . وفي تقريراتهِ التي قبلها الاسبارطيون وعولوا عليها ان الصالح الاول انما هو للامة عمومًا وكل صالح خاص يضحى لقيامهِ . ولذلك كان كل ولد اسبارتي خلا ولي عهد الملك ملزومًا بالخضوع لنظام تعليمي وعسكري صارم جدًا على انهم كانوا يعلمونهم التمرينات الجسدية باتقان عظيم مفضلينها على التثقيف العقلي . فلم يعلموهم القراءة ولكنهم علموهم اتقان التكلم اتقانًا لا يزال يضرب بهِ المثل . وكانوا يعلمونهم الصدق والتجلد وضبط انفسهم وكان ذلك من نتائج التربية الادبية عندهم اما النساء الاسبارطيات فتعلمن ما يكاد يكون كتعلم الرجال منهم حتى ان الجنسين كثيرًا ما كانا يتناظران في التمرينات الجسدية في وقت واحد . وهكذا اصبحت الامة الاسبارطية امة باسلة مقتدرة على الحروب نشيطة بعيدة عن الحاسيات الناتجة عن اللطف خالية

من معرفة الفنون المثقفة للعقول غير جامعة للمعارف والعلوم

اما اثينا وما يليها من بلاد اليونان فكانت مملكة كاسبارطة فسلكت بحسب نصوص ناموس سولون فاصبحت مركزاً للمعارف والعلوم والفصاحة والتهذيب الموسس على قواعد الحرية. وكانوا يجعلون التعليم كالدين من متعلقات النظام السياسي غير ان الدولة كانت تسلم تعليم الاولاد الى والديهم واضعة بعض قواعداهمها متعلقة بالادبيات. ومنها انهُ من واجبات كل اب ان يعلم ابنهُ السباحة والا فيقاص قصاصاً شديداً وكذلك اذا اهمل تعليمهُ القراة وان يعلمهُ عملاً لتحصيل معاشهِ واذا اهمل ذلك لا يكون الابن ملزوماً بان يسعف الاب في شيخوختهِ. وكانت العلوم العقلية والمعارف المثقفة من اهم ما كان يعلم في مملكة اثينا وكذلك التمرينات الجسدية مراعاة للجمال الطبيعي ولتقويتهِ الجسدية. اما الفنون المسماة عند الافرنج بالفنون الظريفة كالتصوير والنقش وغيرها فاجمع كتاب اليونان ورجال السياسة واصحاب الصنائع الجميلة والعامة على اعتبارها واستحسانها وترقية اسباب تقدمها ونجاحها. حتى انهم صوروا على كل قطعة من نقودهم صورة جميلة لها معنى رمزي. والانية الخزفية كان يصور عليها او ينقش فيهاما هو من اجمل الصور والنقوش ولو كانت من ادنى المصنوعات الخزفية وارخصها. اما فيثاغوروس فسبق كل الحكما اليونان الى انشاء مدرسة او طائفة ثبتت قروناً كثيرة بعد موتهِ. فانهُ اقام بالتعليم في جنوبي ايطاليا بعد ان درس في مصر وسافر فيها ولم يدخل دائرة مدرستهِ الا الذين كان يسر بهيئتهم وكانوا يطيعون والديهم ويبتعدون عن الكبريا وشانهم الصمت للسمع. وفي بادي الامر لم يدخل التلميذ الى الصف الخارجي حيث كان يتعلم قسماً من تعاليم استاذه. وكان يبقى هناك ٨ سنوات وكان يعود نفسهُ في الخمس الاخيرة الصمت. وبعد ذلك كان يدخل الصف الداخلي فيتعلم كل العلوم ولاسيما الرياضيات فان فيثاغوروس كان يعتبرها جداً. والظاهر ان اساس تعاليمهِ كان موافقة انتظام العوالم كلها والادراكات المتعلقة بالنظام والموسيقى. وكان يوصي تلاميذهُ باحترام النسا وبالملابس البسيطة والامانة الخالية من كل خداع وحب الارا المصيبة والفضائل ومزج كل قواعد الصفات بحيث تذهب بصاحبها الى غاية واحدة. اما سقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاتوا بعد ذلك وقدموا الاراء اليونانية المتعلقة بالعلوم وجعلوا البحث في المواضيع من متعلقات حكمتهم وسياستهم

اما الرومانيون فاخذوا اكثر قواعد تعليمهم من اليونان غير انهم في بادي امرهم جعلوا اعتباراً للتمرينات الجسدية ولتحريك حب الوطن والحمية الجنسية يفوق اعتبار اليونان لها. حتى انهم كانوا يسمون معلم المدرسة معلم الالعاب وكان التعليم مستقلاً اي غير متعلق بشيءٍ الا بالحكومة الى ايام الامبراطورين وكانوا يقومون برسوم دينية كثيرة عند ولادة الطفل وبعد ولادتهِ وفي اثنائها. وكان يربي الولد في ايام الدولة الجمهورية تحت انظار امهِ ثم ابيهِ ثم رجل اخر او عبد عالم. وبعد ادراك سن ١٥ كان الفتى الذي هو من اعيان الرومان يعتني بعد بلوغ ذلك السن سنة في التمرينات الجسدية التي تجعلهُ مستعداً للحروب. ثم كان يدخل جمعيات رجال السياسة ليتعلم فن السياسة. وبعد ان انفذ نظام التعليم اليوناني عند الرومان كانوا يفضلون وضع الولد تحت عناية رجل يوناني على وضعهِ تحت انظار رجل روماني وانشاوا مدارس عمومية كانوا يرسلون اولادهم اليها عند ادراك سن السبع سنوات. وجاء ذلك بنفع

عظيم . وفي زمان الامبراطورية الرومانية كان اولاد الاعيان يتعلمون العلوم اليونانية باجتهاد واتقان كالعلوم اللاتينية . اما أئمة العلم فكان يدرس متعلقات فصاحة الخطاب وكانت الحكومة كثيرًا ما تدفع معاشات معلميها من خزينتها . وكان في اثينا مدرسة عالية فيها عشرة اساتيذ وكان كثيرون من الرومانيين الفتيان يذهبون اليها . وانشأ الملك قسطنطين مدرسة مشهورة في الاستانة العلية وجدد انشاءها وتنظيماتها ثيودسيوس الاصغر . وفي زمان الامبراطورية الاخير كان البنات يعلمن بعناية والظاهر انهُ منذ نهاية زمان الجمهورية شيدت مدارس مخصوصة للبنات وكان اباؤهن ينقطعون عن زيارتهن وهن فيها الا في النادر . وانطونينوس بيوس الذي ملك من سنة ١٣٨ الى ١٦١ بعد الميلاد سبق كل الملوك الرومان الى انشاء مدرسة للايتام

هذا ولما اخذت العظمة الرومانية الادبية والمادية والسياسية في ان تنحط اخذ العرب في ان يرتقوا حتى بلغوا في زمان قصير عظمة تفتخر بها اعظم الامم . فانهُ في القرن السابع للميلاد فتح العرب الذين كانوا مشهورين بحب الاستقلال والحرية وبدفع هجمات الاعداء حال كونهم ساكنين في البلاد المنسوبة اليهم بلاد سورية وفارس ومصر وسائر الجهات الافريقية الشمالية الغربية حتى بلغوا اسبانيا وفتحوها . اما معارفهم قبل الاسلام فكانت ضيقة الدائرة في كل شيء خلا الشعر فان حميتهم وحماستهم وغزواتهم وكرمهم جعل له خواص امتاز وا بها واي امتياز على ان آدابهم الفطرية كانت سابقة لكل آداب فاحبوا الصدق وحافظوا على العهود والامانات واكرموا الضيف واطعموا الفقير وبذلوا النفوس في سبيل صيانة ناموسهم بالدفاع عن حريتهم واستقلالهم وجعلوا لادابهم سوقًا سنوية في عكاظ ولفحول شعرائهم امتيازًا واي امتياز غير ان فتوحاتهم في بادي امرها اضرت بالمعارف والعلوم ولم يمض عليهم الا زمان قصير حتى راوا ان في الكتابات اليونانية نفعًا عظيمًا ولا سيما المتعلقة بالطب والرياضيات والطبيعيات فبذلوا الجهد والمال في سبيل ادخال علومهم الى لغتهم واضافتها الى ما كان عندهم فترجموا تاليفات ابقراط وجالينوس وبطليموس وارسططاليس وغيرها واضافوا اليها تفسيرات وتوضيحات كثيرة . وبالجملة نقول انهم لم يتركوا فنًّا من فنونهم حتى ترجموهُ وزادوا عليهِ وضحوهُ وفي القرن العاشر للميلاد بات اهالي اوربا يجهرون في ظلام مدلهم من الجهالة والغباوة واخضعوا انفسهم بجهلهم الى خرافات اقلقت افكارهم وسلبت راحتهم وجعلتهم يلقون عشرات الوف من ابناء جنسهم وغيرهم في المهالك اتباعًا لنصوصها حال كون العرب كانوا يتمتعون بمنافع مدارس كثيرة متقدمة وعلوم جمة وعلماء كثيرين ولم يكن ذلك محصورًا في مكان دون مكان من مملكتهم المتسعة الممتدة الى جهات الارض الاربع ولكنهُ اصبح منتشرًا من بغداد الى قرطبة في اسبانيا ومن حدود بوغاز القسطنطينية وصقلية وحدود فرنسا الى راس الرجا الصالح في نهاية القارة الافريقية . وكان اعتناؤهم في امور دينهم من اعظم الفضائل والمثابات حتى ان خلفاءهم وامراءهم كانوا يتسابقون الى بناء الجوامع فكثرت في بلادهم جدًّا وبكثرتها كثرت المدارس فانهم جعلوا مدرسة متعلقة بكل جامع وزاوية . وانشأوا سبع عشرة مدرسة عليا وهي من المدارس العامة التكميلية التي يجتمع التلاميذ اليها من كل قطر واشهرها مدرسة قرطبة من بلاد الاندلس حتى انهُ كانت ذات مكتبة فيها ستمائة الف مجلد . ومن العلوم التي تعلموها واتقنوها ونبغوا فيها والفوا فيها جبالاً من التاليف النحو والصرف والعروض والتاريخ والجغرافية والفلك والتنجيم والكيميا .

والرياضيات والطب حتى انهم واضعوا الكيمياء والجبر ومتقنوا الطب والفلك وفلاسفة النحو والصرف وارباب اللغة والفصاحة والمعاني والبديع والمنطق حتى ان تاليفاتهم حفظت لاوربا علوم القدماء واوصلتها اليها مع اضافاتهم المهمة واكتشافاتهم وادابهم وعظائمهم وتمدنهم وصنائعهم فان الاوربيين كانوا بالنسبة اليهم في تلك الايام كاهالي برية بغداد والموصل او جبال النصيرية بالنسبة الى الاوربيين في الزمان الجاري. وكان من عادات الطلبة من اولاد الاعيان عندهم عند بلوغ سن العشرين ان يسافروا سفر افادة وعلم كما يسافر في هذه الايام اولاد الاغنياء من الاوربيين وكانوا يأتون الاماكن المشهورة والعلماء المشهورين لاستماع خطبهم فانهم كانوا ارباب الفصاحة والبيان فيقفون ويخطبون خطبا بليغة عمومية علمية. غير انه عند انشاء المدارس العالية في اعظم المدن اخذ القوم في ان يكملوا علومهم فيها فكانوا يعلمون فيها الفقه والحكمة وغيرها. اما الطبيعيات كلها فكانت لها مدارس مخصوصة ودرس الطب كان يجري في المستشفيات. وكان الاساتيذ والتلاميذ يسكنون في ابنية واحدة وكان في الغالب لكل مدرسة عالية عالم واحد من اشهر علماء الدنيا. اما المدارس الابتدائية التي جعلت مع المعابد فكانت ابتدائية وكانوا يعلمون فيها القراءة والكتابة ويجعلون الاولاد يتعلمون اشعارا اغنياء. اما في اسبانيا فارتفع العرب ونبغوا وسادوا وشادوا وحسنوا ومدنوا واكتشفوا وعلوا حتى خرجت اسبانيا من يدهم المملكة الاولى الاوربية بالفعل واستمرت في عظمتها الى ان دهمها الانحطاط باساءة تصرفاتها. وفي ايام تقدم العرب فيها اضحت سهولها واوديتها وجوانب جبالها مغطاة بالقصور والمنازل الجميلة الفاخرة المبنية بحسب الهندسة العربية الجميلة. وكانت العلوم والمعارف والفنون ذات تقدم عظيم في بلاط امرائهم الذين كانوا يهبون المدارس الابتدائية والعالية هبات وافرة ويجيزون العلماء جوائز كثيرة وكانت منافع ذلك تاتي العرب والافرنج والذكور والاناث بفوائد جمة. حتى ان احد الباباوات تعلم في مدارسهم ثم سار الى فرنسا والمانيا وادخل اليهما الحساب والموسيقى والهندسة بعد ان كان اهاليها يجهلونها. وقد اشتهرت نساء عربيات كثيرات بالفقه والشعر والحكمة والفصاحة والموسيقى. فتناول الاوربيون المعارف عنهم وقد صممنا على ان نفرر للتعليم في اوربا وغيرها بعد العرب جملة مخصوصة او اكثر من جملة لان المقام قد ضاق بنا في هذه الجملة

تاريخ فرنسا

حربي وحكم عليها بالقتل. فبادر كثيرون الى ارسال عرضها لانت اليه بان يعفو عنها فامتنع كل الامتناع فقتلا باطلاق الرصاص فجاء ذلك باحسن تاثير في الجيش وجعله يمتنع عن كل تعد. وكان الماركيز دي سان سيمون من المتحزبين للملكية الفرنساوية المهاجرين فدخل خدمة الملك جوزف شقيق نابوليون وحلف بان يطيعه فالقي القبض عليه وهو يحارب جنود بلاده بقوم من العصاة الاسبانيول فحكم عليه في مجلس حربي بالقتل. وكان له بنت فاسعفها بعض القواد الفرنساويين المشفقين على الوصول الى نابوليون وهو راكب في مقدمة اركان حربه فخرجت من مركبتها وخرقت صفا من الجنود وجثت امام فرسه. وصرخت قائلة يا مولاي العفو العفو ودموعها تذرف ويداها منضمتان ومرفوعتان الى جهته. فادهش نابوليون عندما راها على غير انتظار فاوقف فرسه وقال من هي هذه الفتاة ماذا تطلب فقالت يا مولاي انني بنت سان سيمون المحكوم عليه بالقتل في هذا المساء. ولم تتم الكلام حتى اصفر وجهها كاصفرار

الموت وسقطت على الارض وقد اغمي عليها . فنظر نابوليون اليها وهي على تلك الحال بشفقة لا مزيد عليها . ثم قال اعتنوا بها كل الاعتناء واخبروها بانني قد عفوت عن ابيها . ثم حرك لجام فرسه وسار محاولاً ستر ما تحرك في احشائه من الحنو ثم التفت ليرى هل انفذت اوامره . وكان شانه المبادرة الى العفو عن الذين كانوا يتعدون عليه ولو كان تعديهم عظيماً غير انه لم يكن يعفو عن الذين كانوا يتعدون على حقوق الاخرين

واخذ الجنرال جون مور الانكليزي في ان يتقهقر الى جهة فورونا بجيشه وكان قد امر المراكب الانكليزية بان تاتي ذلك الثغر لنقل جيشه . وفي صباح ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) خرج نابوليون من مدريد في اربعين الف جندي ليكبس الانكليز قبل ان يخرجوا من البلاد . وكان متحققاً ان ثبات الانكليز في القتال غير ثبات الاسبانيول ولذلك اخذ معه كل جيش الحرس الامبراطوري فرساناً ومشاة ومدافع كثيرة . هذا وكان الاسبانيول جميعاً قد اركنوا الى الفرار واسمى الانكليز وحدهم يجبن حلفائهم . وكان نابوليون هاجماً عليهم بقوة لا يقدرون ان يصدوها فكان خلاصهم بسرعة فرارهم . فاسرع نابوليون جداً بالمسير الى ان وصلوا الى مضيقات جبل غوادارام وكان يلتزم بان يسير بجيشه مسيراً غير معتدل ليتمكن من مطاردة الانكليز . وكان الصحو عاماً في تلك المدة غير انه بوصولهم الى تلك الجبال هبت الرياح بغتة وتكاثفت الغيوم وسقط الثلج بشدة حتى انه كان يعمي ابصار الجنود السائرة ويجمع ساداً الطريق مانعاً دواليب مركبات المدافع والمهمات عن الدوران فالتزم الجيش بان يقف وبات بفرسانه وافراسه ومركباته ومشاته ومدافعه في ذلك الثلج مرتبكاً عظيم ارتباك . فسار نابوليون الى ان وصل الى طليعة الجيش فوجدها لا تقدر ان تتقدم من شدة الانواء وافعال الثلج . فامر فرسانه بان ينزلوا عن افراسهم ويسيروا صفاً بعضهم قريب من البعض الاخر بحيث يكون عرضه عرض الطريق وكان كل فارس يقود فرسه وهكذا كان في كل صف ٨ او ١٠ رجال ومعهم افراسهم

فكان سير هولاء الابطال واسطة لتمهيد الطريق فيصير الجيش قادراً على ان يسير فوقه بسهولة . وكان نابوليون في وسط هذه الجنود الجدة يصعد على الجبال ماشياً . وسار وراء الفرقة الاولى واتكأ على كتف سافاري وسار مشاركاً ابطاله في مشقاتهم وسائراً في وسط تلك الانواء الشديدة . فلما راه الجيش تشدد وتبعه بسرور وحمية . وتعب بالمسير تعباً لا مزيد عليه . ولم يقدر قلب الجيش ان يستمر مرافقاً الطليعة بسبب كثرة المدافع والمركبات . وصرف الامبراطور تلك الليلة في منزل بريد هو في وسط الجبال . اما الذين كانوا في خدمته فكانوا لا يكلون في خدمته ولا يفترون عن ان يقوموا بكل ما كان يحتاج اليه . وكان شانه ان يقطع النظر عن نفسه بالاهتمام بالاخرين . واتي بالفول الوحيد الذي كان حاملاً امتعته الى ذلك المكان وقد قال سافاري انه فاز بالحصول على نار كافية وطعام متوسط وفراش ولم يكن يفضل نفسه على الاخرين في هذه الظروف ولم يكن يهتم باحتياجات نفسه بالغد فدعا الى الاصطلاء بناره والمناولة من طعامه كل الذين تمكنوا من ان يرافقوه حتى انه الزم بالاكل الذين تمنعوا تادباً عن اجابة دعوته . وعند اجتماعه باصدقائه حول النار حدثهم ببشاشة غير اعتيادية وحرية عن حوادث حياته الغير الاعتيادية وقال ابتدات في برن ولا اعلم اين تنتهي

وبعد ان قطعوا الجبال تبع المطر الثلج وطافت

الطرق بالمياه حتى غاص الجنود فيها الى ركابهم وغرقت دواليب المدافع ومركبات الهمات الى محاورها . وكان الامبراطور يرغب جداً في ان يتمكن من ان يجعل فرقة من جيشه تسبق الانكليز لتصدهم عن المسير حال كون فرقة اخرى تسد عليهم سبل التقهقر .

وكان قد دبر اموره بدقة لا مزيد عليها ولولا الثلج وشدة المطر والانواء لفاز بالقاء القبض على اكثر جنود الانكليز . وكتب الى المرشال سولت الفرنساوي اذا تقهقر الانكليز فاحمل على ظهورهم بالسيف واذا حملوا عليك تقهقر لان توغلهم في البلاد موافق لنا لانهم اذا استمروا يوماً واحداً في مراكزهم الحالية يحل بهم الويل والهوان لانني ساحمل على جناحهم .

وكان الجنرال مور الانكليزي حينئذ في ساهاغون وطليعة نابوليون في مكان يبعد يوماً عنهم . فراى القائد الانكليزي انه لا بد له من ان يسير بسرعة لئلا يقع في الفخ الذي نصبه له نابوليون فسار مسرعاً هادماً الجسور بعد ان يعبرها . وكان المطر لا يزال يهطل غزيراً وطافت مياه السواقي وقطعت الطرق بتقهقر الجيش الانكليزي حتى ان الفرنساويين باتوا في تعب شديد

ولا يقدر القلم ان يقوم بحق وصف التعديات التي كانت تجري لان الجنود الانكليزية كانت ترتكب كل التعديات الفظيعة مع ان قائدهم كان يفرغ جهده في سبيل ضبطهم ومنعهم على ان اتعابه ذهبت سدى لانهم سكروا بالخمر الكثير الذي كانوا يصادفونه في كل مكان فاخذوا في نهب الفلاحين المنكودي الحظ بدون شفقة وكانوا يحرقون بيوتهم . وكثيراً ما كان بعضهم يهلك في النار التي كانت تضرمها ايديهم من جرى شدة سكرهم واشتد البغض بين الاسبانيول والانكليز الذين كانوا يسمونهم اوباشاً كنوديين . اما الاسبانيول فكانوا يقولون انما لسنا بكنوديين فانكم اتيتم مراعاة لصوالحكم والان قد اركبتم الى الفرار بدون ان تدافعوا عنا . واشتد البغض وتعدي الانكليز البربري حتى ان الاسبانيول كانوا يكادون يحسبون الفرنساويين مخلصيهم لانهم كانوا منظمين انتظاماً ليس انتظام الانكليز بشابه له . وكانت اثار الجيش الانكليزي منتشرة في الطريق على مسافة اميال فانه كان يترك مركبات الهمات ودواليب المدافع بعد ان تتكسر وفي جوانب الطريق جمهور غفير من المرضى والجرحى الذين باتوا في حالة النزع وكثيرون من المتاخرين السكارى . وكان نابوليون يسير بسرعة نهاراً وليلاً ليدرك اعداءه الهاربين وفي ٢ كانون الثاني (جنيوري) وصل بطليعته الى استورغا وكان قد قطع في عشرة ايام بخمسين الف رجل مائتي ميل في قلب الشتاء متغلباً على موانع الشتاء والثلج وطوفان الانهار وغير ذلك والرجال يغوصون في الوحول والمياه الى ركابهم وهم يجرون المدافع الثقيلة . وخرج من استورغا في صباح شديد الانواء والغيوم الكثيفة المظلمة قد اجتمعت في الجو والثلج يسقط ذائباً ويدفع بالرياح الى اوجه الجنود الذين امسوا ملسوعين بشدة البرد . وكان نابوليون يعرض نفسه للاتعاب والمشقات والمواقع التي كان جيشه معرضاً لها . وبعد ان سار اميالاً قليلة ادركه رسول معه تحريرات واردة من فرنسا ولم يكن بيت بالقرب منه فنزل عن فرسه وامر باضرام نار بجانب الطريق . واجتمع القواد حوله وهم ينظرون باهتمام في وجهه ليروا فيه ما يدل على تلك التحريرات . فوقف بجانب النار في الهواء البارد والثلج يسقط عليه وجنوده التابعون يمرون بجانبه واخذ يقرا تلك التحريرات المهمة ومآلها ان النمسا استغنمت فرصة غيابه عن اسبانيا وارجاع مائة الف جندي من جيش الرين وشرعت في ان تعقد معاهدة اتحاد مع الانكليز للحمل عليه من الشمال .

وان العثمانيين اغتاظوا من اتحاده مع روسيا فاخذوا في ان يتهددوه في الشرق · وان امّ امبراطور روسيا واكثر الامراء كانوا قد غضبوا جدًّا من اتباعه عن ان يسلم لروسيا بانفاذ غاياتها في الشرق وان الامبراطور اسكندر الروسي كان لا يزال ثابتًا في صداقته غير انه كان ملتزمًا بان يضاد حزبًا قويًا يزداد كل يوم وفي لحظة تصور ويلات حرب اخرى في اواسط اوربا حتى ان قواه التي هي قوى جبار باتت مرتبكة في تلك اللحظة · وندم كل الندم لانه كان قد تداخل في حرب اسبانيا غير انه بات لا يقدر ان يرجع لئلا يجد الانكليز والاسبانيول يقطعوا جبال البرينه ويحملوا على فرنسا · وبات لا يقدر ان يمنع هجوم الشمال لانه كان سند القواعد العامة التي كانت اوربا مصممة على ان تدوسها بارجلها · وكان يعلم مخاطر القيام بمحاربة انكلترا والنمسا في شواطي الطونا وانكلترا واسبانيا والبورتوغال في الجهة الجنوبية من جبال البرينه خال كون نصف اوربا الاخر كان ينتظر حلول الويل الاول ليهجم على عدوه · هذا وكانت قد ضجرت فرنسا من الحرب وهو ايضًا ضجرمنها على انه لم ير بدًّا من امرين وهما اما ترك الحرب باليأس وتسليم فرنسا الى اعدائها المتحدين واما ان يدافع الى النهاية · فادار راس فرسه تاركًا تلك النار التي كانت تضرم بالرياح وسار بطيئًا راجعًا الى استورغا بدون ان يتفوه بكلمة وتاثر كل الذين كانوا حوله بما راوا من انشغال باله · بيد ان هواجسه انقضت في ساعة وعاد الى نفسه لانه كان قد قرر في عقله ماذا ينبغي ان يفعل وصمم على ان يستخدم قوته بثبات لمصادمة المخاطر الكثيرة التي كانت تحدق به · وراى انه لا بد من ان يوجه اعتناءه الى جهة الرين · فانقطع عن مطاردة الانكليز بنفسه وامر المرشال سولت بان يطاردهم باجتهاد وثبات ثم عاد الى فالادولد واقام فيها بضعة ايام يصدر الاوامر المدققة جدًّا بشان احوال اسبانيا وارسل اوامر لا تحصى لاستعداد جيوشه في فرنسا وايطاليا والمانيا

الفصل السادس والاربعون

وكان يطارد المرشال سولت الانكليز مطاردة شديدة وقد وقعوا في بلايا عظيمة بتقهقرهم لم يقع جيش في مثلها في الزمان الحديث · وكان يصادف اثار الاعداء في كل مكان في السبل · واشتد خوف الانكليز واسرعوا في هربهم حتى ان صناديق نقود الجيش المحتوية على مبالغ وافرة من النقود طُرحت من مكان مرتفع فانتشر الذهب بين الصخور وكان الجنود الفرنساويون يسيرون بسرعة وهم يلتقطون من ذهب الاعداء حتى ملاوا جيوبهم به · وكان المرضى والجرحى يجتمعون اقوامًا صغيرة ويلقون انفسهم على جوانب الطريق وهم في آلام الموت على الاراضي المبلولة · واقام الجنود الانكليز السكارى بكل التعديات الفظيعة على اهالي القرى المنكودي الحظ فكانوا يطاردون النساء والاولاد من منازلهم المنهوبة المحترقة ليموتوا من شدة البرد والفاقة · وكان منظر الموتى والذين في حالة النزع في جوانب الطرق مما تقشعر منه الابدان · وكان الفرسان الانكليز يقتلون افراسهم المتعبة لئلا تقع في يد الفرنساويين · وقد قال المورخ سوثي بهذا الشان ما ترجمته لتتم الويلات كانت نساءٌ واولاد مرافقين للجيش الانكليزي المتقهقر · فمات بعضهم بردًا في مركبات المهمات التي كُسرت وتُركت في الطريق او تُركت فيها لعدم وجود افراس لجرها ومات بعض النساء بردًا واولادهنّ يرضعن وهن مائتات · واخذت امراة وهي تلد في الجبال · وكانت ملقاة ميتة وطفلان ولدتهما وهي على تلك الحال في وسط الثلج فسترت بمنسوج وهذا ما دفنها والتوامان اعطيا لامراة كانت في مركبة يجرها ثوران لتعتني بهما اذا عاشا بعد ان يتكبدا مشقات الطريق واتعابها

وافرغ الجنرال مور الانكليزي جهدهُ في المحافظة على جيشهِ وهو على تلك الحال وكثيراً ما كان ينتشب القتال بين طليعة الجيش الفرنسوي وموخرة الجيش الانكليزي وكان الانكليز يحاربون بشجاعة لا مزيد عليها كلما وقفوا بصدر الاعداء . وبعد ان وصلوا الى كورنا حل الجيش الانكليزي في مراكز جيدة واقعة في نصف دائرة من التلال كانت تكاد تحيط بالمدينة وثبت لدفع الجيش الفرنسوي المطارد وكانوا قد جمعوا في مخزن يبعد نحو ثلثة اميال عن بيوت الاهالي اربعة الاف صندوق من البارود فاحرقوها خوفاً من ان تقع في يد العدو . فانفجرت واي انفجار وقد قال الكولونل نابيار الانكليزي الذي كان مع الجيش وراى ما جرى انهُ عند وصول الرتل الى مخزن البارود العظيم سمع صوت شديد كصوت اندفاع مواد من جبل نار مضطرب وتزلزلت الارض على اميال وتمزقت صخور من اساساتها فاضطربت المياه فمالت المراكب كانها في نوءٍ وارتفع عمود عظيم من الدخان والغبار والشرار يخرج من محيطهِ واستمر يرتفع ببطءٍ برهةً ثم اندفع منهُ حجارة وحصاً وقطع اخرى كثيرة وسقطت وقتلت كثيرين من الذين لم يبعدوا عن ذلك المكان . ثم سكن الصوت واخذ الجنود في القتال انتهى . وتبع ذلك معركة دموية . وكان الجنرال مور القائد الباسل يدير الجيش بحذق فاصابتهُ كرة قطعت جسدهُ ولم يفترق المتحاربون الا بالظلام . فلفهُ جيشهُ بعباءتهِ ودفن في حواجز كورونا بسرعة وسراً . وكانت ظروف المتحاربين مما تفتت لهُ الاكباد فان الجيشين المتعبين باتا في تلك الانواء مثخنين جراحاً . وعند دفن ذلك القائد لم يتفوه احد بكلمة ولكنهُ حفر القبر الغير العميق على نور المصباح وافتخر القواد الفرنساويون بشجاعة عدوهم المقتول فانشاوا لهُ حجرة عظيمة تذكاراً وفي الليل ترك الانكليز نيرانهم مشبوبةً واخذوا في ان ينزلوا الى المراكب واتموا ذلك بدون ان يفقد كثيرون منهم واقام الاسبانيول في الحصون واخذوا يصدون الفرنسويين . وفقد من الانكليز في هذا التقهقر الكثير المدفنات نحو ستة الاف رجل قتيلاً وجريحاً واسيراً . والفرسان قتلوا ثلاثة الاف فرس . واحرقوا مهمات كثيرة فضلاً عن المهمات والاسلحة التي غنمها الفرنساويون

وقد قال المورخ اليسون الانكليزي واصفاً تاثيرات رجوع هذه الجنود الانكليزية بعد ان تكبدت ما تكبدت من المشقات والاتعاب والمخاطر قال ان سكان المدن على شاطئ البحر راوا الجنود التي كانت تخرج من انكلترا لتولف في اسبانيا جيش الجنرال مور وهي سائرة بافتخار حربي برايات وموسيقات والناس يضجون وبعضهم يبكون . فلما راوا الفرق نفسها تعود بعد ان نقص نحو نصفها وقد غيرت الاتعاب مناظرها ومزقت الحروب والحركات اثوابها حزنوا واقشعرت ابدانهم وازداد كدرهم بالحمى الحبشية التي جاوا بها بسبب التعب والانحصار في البوارج والاكدار وازداد كدر الاهالي وغيظهم باخبار الجنود الذين لم يكونوا يكتفون بوصف الواقع بل كانوا يبالغون بالاخبار التي لم تكن تحتاج الى المبالغة . انتهى

اما السرقات والقتل والتعديات فملات اسبانيا وكانت العامة المتعصبة ترتكب كل التعديات مدعية بان ذلك ناشئ عن حبها للملك القديم . ولم يستامن الناس على انفسهم واموالهم الا في الاماكن التي كانت الجنود الفرنساوية فيها . واغتاظ بعض الجنود الاسبانيول من قائدهم فجروهُ الى شجرة بعد ان اخرجوهُ من فراشهِ وعلقوهُ بها واخذوا يتسلون باطلاق الرصاص على جثتهِ وكان من اشجع قواد اسبانيا واشهرهم . واسمهُ الدون جوان بنيتو . وكان نابوليون

(ستاتي بقيتهُ)

حيلة غرامية

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الفصل الاول

في ذات يوم وقفت مركبة جميلة يجرها فرسان زرقاوان كريمان عند محطة طريق حديدية في مقاطعة جبلية من اواسط المانيا في ظل شجرة كبيرة ملتفة الاغصان قد زينت بملابس الربيع . وكان في المركبة المغطى داخلها بالحرير فتاة لابسة اثوابًا بسيطة تنظر بعينيها الكبيرتين السوداوين الى سلسلة من التلال المتعكفة الجميلة التي كان يظهر ببعدها انها تمس قبة السماء

وبعد ان جلست برهة وهي تنظر اليها امالت راسها الى الوراء قليلاً ثم نهضت واخرجت من جيب في المركبة كتابًا كبيرًا واخذت تصور وهي تنظر بسرعة الى التلال ثم الى ما كانت ترسمهُ . وبعد ان صورت قليلاً لاحت لوائح الجد والاجتهاد على وجهها الذي احمر قليلاً وكان طويلاً قليلاً وقد اضاع بعض الرونق الذي يظهر في بداية الفتوة . وكان فمها جميلاً جدًا فاطبقت شفتيها اطباقًا دل على كدر . والظاهر انها لم ترتضِ بما صورت فعدلت عنهُ واخذت ورقة جديدة وجددت التصوير ثم هزت راسها واطبقت كتاب التصوير . غير انها فتحتهُ بعد برهة وشرعت في التصوير ولاحت على وجهها لوائح تدل على انها قد ارتضت بما كانت تصنع . ورات في تلك التلال الطريق الحديدية المستسهلة واستحسنتها . واشتدت رغبتها في التصوير وشعرت بالحر مع انها كانت في ربيع معتدل الهواء فخلعت برنيطتها الكثيرة الريش فظهر شعرها المرتب ترتيبًا بسيطًا في الجهة الامامية والملتف الذوائب في الجهة الخلفية . وظهرت خطوط قليلة في وسط جبهتها دلت على انها كانت ذات افكار وتاملات حتى انها لم تكن تزول كل الزوال عند الانقطاع عن التامل والتفكر بل تركت اثرًا لا يزول بمرور الزمان

وسمعت تغريدات الطيور في الجو والبلابل في الاشجار ومعها صوت قدوم المركبة النارية فاشغلت بعد ذلك قليلاً بالتصوير ثم اطبقت الكتاب ووضعتهُ في جيب في المركبة وجلست جلسة انتظار . وعند ذلك دنا خادم من سائق المركبة ورفع برنيطتهُ عن راسهِ وقال لتلك الفتاة لقد اقتربت المركبة من هذا المكان ثم فتح الباب واشار اليها بان تخرج فقالت وهي تنظر الى السماء انني لا اريد ان اخرج فاذهب واحضر فراوسن فون كورنلك الى هنا . وكان صوتها يدل على نفوذ سطوتها وعلى كدر قليل كان يخامرها

وكان اسمها لويز مرز وكانت جالسة هناك تنتظر قدوم صديقة كانت قد احبتها وهي في المدرسة حبًا ثابتًا . وكانت لوائح القلق تلوح على وجه لويز المذكورة والظاهر ان سببهُ انتظار قدوم تلك الصديقة فانها كانت تنهض في المركبة ثم تجلس كانها تقول في نفسها الاوفق ان الاقيها الى مكان خروجها من المركبة النارية ثم تعدل عن ذلك . غير انها رات ان مستخدمي الطريق كانوا ينظرون اليها ويدلون بعض الناس عليها . فصممت على ان تبقى في مركبتها وقالت في نفسها انهُ لا ينبغي ان يرى الناس ان لي

صديقة محبة للمزاح والضحك كما الصديقة الاتية ولا ريب في انني اذا قابلتها نظهر من السرور والفرح ما يحمل الناس على ان ينظروا الينا ويسالوا عنا وكان قد تقرر عندها انهُ من الواجب ان تعرف كل البلاد المجاورة فانها قد ابعدت نفسها عن كل لهو وصممت على ان تعيش عيشة جد ورزانة

والتزم سائق المركبة بان يمسك الفرسين براسيهما عند مرور المركبة النارية بسرعتها بالقرب منها وعند مرورها رات لويز مندبلا يلوح من مركبة من مركبات الرتبة الثانية . وبعد برهة قصيرة وقفت المركبات فاعطت الفتاة القادمة بتانيّ الخادم ما كان تقرر في عقول الحاضرين انهُ طفل ملفوف بكل اعتناء . ثم خرجت من المركبة . وكانت لطيفة رقيقة الجسم لابسة ملابس زاهية فاحنت راسها مودعة من كان في المركبة معها ثم احنتهُ مسلمة على صديقتها التي كانت تنتظر قدومها في المركبة في ظل الشجرة . وكانت كل حركاتها سريعة تدل على حبها للحظ . واخرجت صناديقها بسرعة . ثم اخذت ما كانت قد اعطتهُ للخادم وحملتهُ باعتناء وسارت بهِ بسرعة الى صديقتها وتبعها الخادمون حاملين صناديقها حتى ان مدير مخزن البضائع حمل خرجًا من اخراجها فانهُ كان يعرف ان اباها كان رئيسهُ . ولما وصلت الى المركبة التي كانت صديقتها فيها قالت لها بصوت مرتفع يا لويز ماذا تقولين في احضاري طفلاً معي فلما سمعت ذلك تعجبت وقبل ان اجابتها فكت اللفائف فخرج منها كلب صغير فتنفض كانهُ كان في الماء واخذ يقفز يمينًا ويسارًا وينظر الى وجه صاحبتهِ التي لم تنظر اليهِ بل كانت تسمع ضحك الحاضرين وتقول وهي تنظر تارة الى رئيس المخزن وطورًا الى لويز اما هو طفل نشيط لم يبلغ من السن العشر سنين . فان مامور المركبة النارية البعيد اللطف لم يسمح لي بان ادخل الكلب مني والظلم يعلم الناس الحيل . فخيانة وجهالة كطفل وقد احتملت بعض المشقات بسببهِ فان الركاب في المركبات لا يريدون ان يجالسوا امراة معها ولد فكنت ادنو والكلب معي كطفل من المركبة فيقول الناس لي ليس عندنا مكان . وبعد ان ذهبت الى ٣ او ٤ مركبات فرغ صبري ودخلت مركبة على غير ارادة الجالسين فيها . وبعد ان جلست ارادت النساء الجالسات معي فيها ان ينظرن اليهِ وكذلك رجل ارمل جميل التزمت بان اقر لهُ بانني غير متزوجة حتى انهُ كاد يطلب اليَّ ان اتزوج بهِ . ثم نظرت الى رئيس مخزن البضائع وقالت لهُ ان لطفك يمنعك عن الزامي بدفع جزاء نقدي . وكان الكلب ينظر اليها وهي تتكلم كانهُ عالم بانهُ موضوع الحديث فوثب الى صاحبتهِ وهو يحرك ذيلهُ فقالت لهُ انك حاذق بدون ريب وعندك قوة فهم بشري . وكان كل مستخدمي الطريق الحديدية واقفين بالقرب منها فضحكوا لما سمعوا ذلك. حتى ان خادمي قاعة الانتظار دنوا من المركبة والطباخة نظرت من نافذتها لانها لم تقدر ان تخرج من مطبخها بسبب الملابس التي كانت لابستها وعند ذلك غاب الكلب عن نظر صاحبتهِ والقوم . اما لويز فكانت تسمع جميع ذلك وتنظر الى اجتماع القوم بكدر وطلبت الى صديقتها بان تمكنها من الذهاب حالاً ولم تكن تلتذ بمزاح صديقتها السهل . وبعد ذلك وضعت صناديقها واخراجها في المركبة وهموا ان يذهبوا غير انها قالت لهم ان الكلب لا يزال غائبًا فدعتهُ باسمهِ تكرارًا فخرج من المطبخ واثر الاكل في فمهِ ولما دنا من المركبة نظر الى جهة المطبخ ثم قفز وجلس في حضن صاحبتهِ فاخذ الخادمون في ان يضحكوا لانهم عجزوا عن ضبط انفسهم عن الضحك . وسارت المركبة والناس الذين اجتمعوا كانوا ينظرون اليها واخبر رئيس مجلس البضاعة الذين لم يكونوا

يعرفونها باسمها

الفصل الثاني

وقبل ذلك بعشر سنين انتخب ابو لويز نائبًا فانتظم في مجلس عضوية المملكة وانتقل مع بنتهِ لويز المذكورة الى العاصمة وكان صاحب معامل وعلى جانب عظيم من الثروة وقد اختلفت الآراء في سن لويز فمن الناس من قال انها كانت قد ادركت سن ٢٨ ومنهم من قال لا بل ١٨ فقط اي انهُ كانت قد بلغت سن ١٨ قبل حضورها الاقاة صديقتها بنحو عشر سنين وكانت وحيدة ابيها الغني . وكان اديبًا مثقف العقل مستقل الافكار لا ينقد الاشغال ومن مشاهير حزب الحرية وكانوا الاكثرية والوزارة كانت منهم ليس بانتخاب نظامي ولكن الملك كان قد انتخبها . وكانت الاحوال جارية في مجاريها لان الاكثرية والحكومة المذكورة كانت على اتفاق . وكان المارمرز والد لويز المذكورة من الذين لم يضادوا الحكومة وكان ذلك سببًا لقبوله عضوية الجديدة بدون تردد. ولم يكن يحب المقاومات فسر بان يقدر ان يجمع بين المحافظة على مبادئهِ والسلوك في ما فيهِ رضى ملكهِ . واستصعب ترك اشغالهِ في المعامل في يد وكيل ولو كان لا يرتاب في امانتهِ . غير انهُ علق املهُ بان تغيير مكانهِ وانشغالهِ بمهام سياستهِ يحملهُ على ان ينسى مصيبتهُ العظيمة وهي موت زوجتهِ التي كان يحبها حبًا لا مزيد عليهِ فاستاجر بيتًا في العاصمة وسكنهُ هو وحماتهُ و بنتهُ . ولم يكن من الذين كانوا يخطبون في مجلس النواب ولكنهُ كان مجتهدًا جدًا في القيام بالاشغال في لجن ذلك المجلس بالحمية والغيرة فكان كانهُ واضع الاساسات للتقريرات وفي ذلك فضل عظيم لانهُ بدون اساس لا يبنى شيء

وكانت لويز وجدتها كثيرًا ما تصرفان نصف يوم في المجالس التي يجلس فيها اقارب النواب في المجلس . وكان الاعضا كثيرًا ما يرفعون اعينهم لينظروا الى المراة المتعقلة والفتاة الجميلة التي كانت جالسة معها وهما لويز وجدتها وكثيرًا ما كان واحد من معارفها او اكثر ياتي مجلسها عند انقطاع الاشغال او قراءة التفصيلات المملة . اما لويز فكانت تصمت اكثر الزمان . غير ان ما كانت تسمعهُ كان يغرس في عقلها و يوثر في افكارها وسلوكها

وفي الربيع فض المجلس المفرصة فسر الاعضاء وافرابهم بذلك وقالوا لقد تخلصنا من مشقات عظيمة . فرجع مرز وحماتهُ و بنتهُ الى المعمل وشعر وابانهم قد جاءوا الهواء الصافي بعد ان صرفوا زمانًا طويلاً في الهواء الفاسد في العاصمة والمجلس . وسرت لويز بذلك وفي الخريف عادت مع ابيها وجدتها الى العاصمة فترحب بها كثيرون من اعيان اهاليها كما يترحب الناس بالاصدقاء . وجاء نواب اخرون بزوجاتهم و بناتهم وكان بعضهم يعاشر البعض الاخر فيصرفون الزمان بالسرور والفرح . حتى انهم مع بعدهم عن بيوتهم حال كونهم من اعيان انحاء البلاد المختلفة كانوا يصرفون الزمان بالراحة والسرور كانهم في بيت واحد

وفي السنة الثالثة حدث امر جديد بحضور ماري فون كورنك مع ابي لويز الى العاصمة وكانت هذه الفتاة صديقة لويز في المدرسة وابنت حبال الحب في اتصال وكانت صداقتهم في المدرسة من الصداقة التي لا تدوم بعد الخروج منها على ان استمرار العلاقات وتذكر الامور الماضية مكنتها فاصبحت ثابتة فكانتا تتكلمان عن معلماتها ورفيقاتها في المدرسة واحوالهن وغير ذلك . وكان لكل منهما صفات تختلف عن صفات الاخرى . فان ماري كانت سريعة التكلم والخاطر في الاجوبة فلم تكن تردد عينها وكانت تحسب الحيوة حالة تصرف بالحظ والسرور اما لويز فكانت كثيرة التامل لا تعرف ان تمزح ولا

ان تجيب بسرعة بما يضحك و يسرّ. فكانت تصغي للكلام بهدو وكان كلاماها على الدوام في محلهِ مرتبًا كل الترتيب. وكان والداها صديقين و بفوز الوزارة الحرة انتقت صوالحها وقواعدها . اما ماري فدخلت دوائر الحظ في العاصمة في الحال وتعرفت باحذق الراقصين و بالكهول الذين في معاشرتهم لذة. وكان انسين فون بركنستوك من اقاربها الاباعد. وكانت تسمح لهُ بان يدعوها بنت عمهِ وكان يحبها و يطيعها و يظهر حبهُ لاصدقائها وصديقاتها

اما لويز فجذبت في برهة قصيرة الى اسباب الحظ في الشتا وكانت ابواب بيوت الوزراء والاكابر مفتوحة للنواب وعيالهم فكانت تحضر المادب والولائم مع رفيقتها ماري وكم من مرة كانت تنظر اليها اعين بنظارات و بدون نظارات وهما تجولان في القاعات والمماشي و يد احداهما في ذراع الاخرى

وكان الناس يذكرون بعض طالبي الاقتران بلويز غير انها كانت تلاطف الجميع بدون امتياز وكان المتعقلون من الرجال يسرون بمعاشرتها فان براهينها كانت متقنة وكلامها مرتب جدي . و بعد ان حضرت مفاوضات مجلس المناظرات مرات عديدة رات انها كانت تميل تارة الى جهة وطورًا الى جهة اخرى مضادة بحسب براهين المتكلم فرات ان ذلك تقصير في الحكم وانهُ من الواجب ان تعتني بتدريض عقلها بحيث تبيت قادرة على ان تدرك الصواب في الامور الدقيقة . وفتحت احدى المصورات مدرسة لتعليم التصوير فانتظمتا في سلك تلامذتها ورات لويز انهُ قد فتح لها باب حيوة جديدة . واتقنت ماري تصوير الاشخاص غير انها كانت تفضل صور المناظر الطبيعية . وكانت لويز تحب ان تصور الجبال والبراري وغير ذلك. وكانت ماري اكثرها كلامًا وكانت تعرف كل ما كان يجري في العاصمة ولاسيما في

الدوائر العسكرية . وكان الناس يعلمون ان حكم لويز اصوب وادراكها اقوى لانها كانت تسند رايها الى براهين ظاهرة مقنعة والى اسس صحيحة حتى ان الناس لقبوها ببنت المجلس العالي . اما ماري فكانت على جانب عظيم من البشاشة واللطف وسعة الصدر والتاني وكانت تاتي بمعظم ماعندها من ذلك عند الاجتماع بوالد لويز. وكان قد صمم بعد وفاة زوجتهِ على ان يجهد نفسهُ في سبيل خدمة بلادهِ وفي تربية ولدهِ والاعتناء بما يسرها . غير انهُ راى قبيل نهاية فصل الشتاء ان معاشرتها حاطبتهُ وسلبتهُ حتى انهُ كاد يعدل عن تصميمهِ المذكور. وكانت تميل اليهِ وكان ابوها التايمقام العسكري يعتبرا بالويز ويحبهُ ولسان حالهِ يقول مالي اراك جبانًا فان الامر يقرر كما تريد بكلمتين

ومرت اسابيع بدون ان يتامل بالمفاوضات التي كانت تجري في المجلس العالي فانهُ بات مشغولاً بالمفاوضات الجارية في قلبهِ المشتدة جدًّا وكانت تخرج عن سبل الانتظام والاعتدال وتوقعهُ في ارتباك . وسد على عواطفهِ كل باب ونافذة لئلا يرى الناس شيئًا منها على ان حماتهُ رات شيئًا منها . حتى ان الناس كلهم كانوا قد اجمعوا على مدح بشاشة ماري ولطفها ولويز ووالدها كانا يتسابقان الى الثناء عليها خلا حماتهُ فانها كانت تهز راسها الشائب عند ذكر اسمها وتقول وهي غائبة انني اتاسف عليها لانها تصلح ان تكون مشخصة من طبقة اولى

اما المارمرز وهو والد لويز فضبط نفسهُ وقيدها بقولهِ على مسمع من ماري ومن ابيها انهُ قد ابعد عنهُ كل فكر متعلق بتغيير حالتهِ وانهُ متكل كل الاتكال على لويز ابنتهِ . وانهُ علق امالهُ بانها تفوز قريبًا بوجود رجل يعرف قدر قلبها الصافي وعقلها الثاقب وصفاتها الثابتة لتقترن بهِ . وكانت لويز تقر بانها ترغب في

الزواج . غير ان السنين كانت تمر وهي تعاشر احسن رجال البلاد ومع ذلك قالت في بادي الامر على سبيل المزاح ان الظاهر ان المتزوجين من الرجال دون غيرهم هم الذين كانوا يتصرفون في معاشرتها تصرفاً مستقيماً حسناً وان العزاب كانوا يتصرفون بالخداع او تصرفاً ناشئاً عن شدة التاثير في الحاسيات وبعد برهة امست تقول هذا الكلام بجد . وكانت كثيراً ما تقول انهم يظهرون الميل اليها طمعاً بالحصول على ثروتها

وفي الصيف ورد اليها تحرير من ماري مآلهُ ان اباها قد مات وامست بدون معين . فطلبت لويز الى ابيها ان يسمح لها بان تاتي بها الى البيت فامتنع كل الامتناع مع ان ارادتها كانت نافذة عندهُ كل النفوذ . وقال ان هذه المخالطة تجعلها تخسر الاستقلال في التصرف فتكون متوكئة على الدوام على رفيقتها وانهُ لا يوافقها ان تبعد عنها الرغبة في ادارة بيت مخصوص بها . والصحيح انهُ بات يكره ماري بعض الكره لانهُ اكره حاسياتهِ على ترك حبها . وبعد ذلك ببرهة قصيرة كتبت الى لويز بانها صممت على ان تكون رفيقة امراة مسنة في سفر طويل .

وكان الهارمرز يرغب في ان يوجه كل قواه الى الامور السياسية وتقرر في عقلهِ انهُ من واجبات المستقلين بامر معاشهم بان يوجهوا كل اعتنائهم اليها فباع معاملة ورغب في ان يعيش دائماً في العاصمة غير انهُ اصغى الى الحاح لويز وسكن محلاً مختصاً بهِ في الجبال . غير انهُ لم يفز بالانتخاب . فتكدر في بادي الامر غير انهُ تسلى بعد ذلك بقولهِ ان في المجلس كثيرين من الحاذقين الذين يقدرون ان يصونوا صوالح البلاد . وكثيراً ما كان يقول انهُ لا بد للانسان من ان يجيب دعوة بلادهِ واذا لم تدعهُ الى خدمتها فمن الواجب ان يصبر الى حلول الزمان الموافق .

وفي اثناء ذلك حدث تغيير في الامور السياسية وكان من مصلحتهِ ان لا يكون من الحزب المضاد ولم يكن يميل طبعاً الى المقاومات والمضادات فانهُ كان يحب السكينة والراحة ما زال ذلك لا يمس قواعدهُ . ولذلك راى انهُ من الموافق لهُ ان يصبر في فلكهِ بهدو الى ان يزول الطوفان وكانت الجرائد الحمامات التي كانت تاتيهِ بالاخبار عن حالتهِ وكان يقرا باجتهاد ولذة المفارضات التي كانت تجري في مجلس النواب والف خطباً نفيسة مقنعة واوعاها في صدرهِ لانهُ لسوء الحظ لم يكن قادراً ان يخطبها . واعتنى كل الاعتناء بصوالح الجمهور المجاور لهُ غير انهُ كان يرى انهُ في احتياج الى امر وعلق املهُ بالحصول عليهِ وعلى ما يجعل الحيوة ذات لذة عندهُ بواسطة زواج لويز بنتهِ . غير انها كانت قد فاتت الخمس والعشرين سنة وكانت تقول علانية انها قد صممت على ان لا تتزوج وعلى ان تخصص نفسها باعتنائها من المواهب الادبية . وفي غضون ذلك رجعت ماري من سفرها الذي استمر سنين وكانت عائشة مع تلك المراة المسنة في المدينة . وعندما سارت الى بيت الهارمرز بعد رجوعها ووراثة المرة الاولى ونظرت من اضطرابهِ ما نظرت قالت لهُ على انفراد بضحك آه يا هارمرز لماذا لم تتزوجني منذ سنين وقد فاتت الفرصة فانني مخطوبة . قال هل تسمحين لي بان اسالك عن اسم خاطبك . قالت لا فان ذلك مكتوم . ولم ترهُ بعد ذلك ولا عندما دعيت لتصرف اياماً في بيتهِ مع لويز صديقتها قبل ان يسافر الى ايطاليا فاجتمعا في المحطة وحدث ما حدث مما تقدم ذكرهُ

الفصل الثالث

فسارت المركبة بها بسرعة وفي اثناء الطريق قالت ماري للويز ما اسعدك لانك تقدرين ان تقولي ان هذه المركبة هي لك . ولا يخطر لمخلوق ببال ان

التي تقدر ان تركب مركبة كهذه تلوح على وجهها لوائح الكدر كما تلوح على وجهك وكانت لويز تعلم كلام صديقتها المتعلقة بحالتها المالية فاحنت راسها عند ما سمعت كلام ماري لتمكنها من ان تتسلى من جهة حالتها المالية بالمزاح وراعت حاسيات لويز عند ما قالت ان الحيوة باطلة والاوفق ان يقطعها الانسان بالاستخفاف بها فاخذت تقص عليها ببشاشة بعض الحوادث التي طرات عليها وهي في السفر. فقاطعتها لويز بالحديث وسالتها عن حالتها بالنظر الى المراة التي كانت ترافقها. فقالت ماري انها طالما كانت تشكي من الذين رافقوها قبلي ولا بد من ان تشكي مني لمن يخلفني عندها وهي تدعي بالكرامة وتحب ان يحبها الناس بدون ان تصرف ما يستحق الذكر. ومن الواجب ان يصور فوق بابها صورة مكنسة ورقعة لازالة الغبار عن الاثاث فانها تعتني بذلك فوق كل شيء فكانها تعيش للناظرة على الكناسة وازالة الغبار. ولا بد لخادمتها في كل مساء من ان تمزق جريدة قديمة اربا اربا فتاخذ القطع وتبددها في كل مكان وزاوية وتغيب من البيت فيكون زوالها في الصباح برهانا على ان الخادمة كنست كل البيت. فارادت لويز ان تغير الحديث فقالت لها من الواجب ان تسري لانك قد وجدت مصلحة. قالت ما هذه المصلحة لو كان لي دخل سنوي مائة الف ريال لما اوقفت نفسي لك ولكن كنت اتزوج رجلاً اسر به واترك المصالح للاخريات. فلا تذكري المصلحة بفمك بعد الان. ثم اخذت في ان تتكلم بجد والحث على صديقتها بان تقلع عن حكمتها التي تحملها على صد كل من طلب الاقتران بها. فقالت لويز انني قد تركت العالم. قالت ماري هل تركت العالم لماذا لا تقولين انني قد مت ودفنت. اما انت اصغر مني بسنة او لو جاء من يجعلك داجنة. قالت هل انا بربرية. قالت لا لا تخطي بالفهم الك قد تجاوزت حدود الاعتدال في الدجانة اي انك قد اكثرت من التهذيب وترويض الافكار وتثقيف العقل فترين نقائص كل انسان ويخطر لك ببال انه ليس براغب بالاقتران بك الا حباً بمالك. وكل ما ظهر انسان تفحين مفاوضات مجلسية فانك بنت للمجلس. قالت لقد احسنت وقد قلت كل ما ترغبين في ان تقوليه فارجوك ان تنقطعي عن هذا الحديث. وقالت لويز ذلك بجد فسارتا برهة صامتتين فدنتا من بعض الابنية القريبة من بيت لويز فهرت كلاب الحقول فاجابها كلب ماري حالاً فامرته بالصمت فاطاع

ووقفت المركبة عند سلم الدار فبادر الهار مرز الى ملاقاة ماري والترحب بها واحمر وجهه قليلاً مع انه كان قد فاته قليلاً السن المتوسط والظاهر انه لم ينس انه كان يميل الى صديقة بنته التي مازحته عند اجتماعها به فاجابها بلطف. وبعد دخولها البيت ادخلت الى مخدعها غير انها لم تطل الاقامة فيه بل نزلت واخذت تمشي مع الهار مرز امام البيت. فسالته ما هذه الزيادة الغير الكاملة في البنا التي لها نافذة واحدة زجاجية كبيرة. قال انه بناها لتكون مكتبة للويز وستتم في اثناء غيابها في ايطاليا لانها راغبة في ان تعتني كل الاعتنا باتقان فن التصوير. فقالت له بثبات عزم هذا خطا عظيم منك فلا ينبغي ان تقوم به. فتعجب وسالها ايضاح المقال فقالت انه من الواجب ان لا ينشط لويز في ما يأول الى حملها على ترك العالم فان طالبيها يصدون بعد هذا العمل اكثر مما يصدون قبله. فاصر على انه لا بد لها من الزواج وساز وجها اذا اقمت هنا. فمن يا ترى سمع بخبر يخبرها وهي على ما هي عليه من الغنى والجمال وقد تجاوزت سن الست والعشرين سنة فهل تفوضني بان اقوم بما يخطر لي ببال ان اقوم به. قال وماذا تفعلين

(ستاتي بقيتها)

ملح

(من قلم سليم افندي عنحوري)

حسن الجواب

قال بعض الاعراب لحجاب كسرى قولوا لمولاي الملك ان رجلاً من الاعراب يلتمس مواجهتهُ فاستاذنوا له فلما دخل قال له كسرى من انت قال سيد العرب واميرها فقال له ويلك الان قلت انك واحدٌ منها قال نعم قد كان ذلك قبل ان اكلم مولاي فسر كسرى بجوابهِ وامر حاشيتهُ ان احشوا فيهِ درًّا

النفي بالاثبات

اعترضني الشغ (يلفظ القاف كافًا) قائلاً مالي ارى معاني شعرك مسبوقةً فقلتُ

والشغ ذي فضولٍ قال لي سفهًا
رايت معناك مسبوقًا ومطروقا
فقلتُ ليس عجيبًا انهُ ذهبٌ
لذاك تلقاهُ مسبوكًا ومطروقا

بخيلٌ واكال

سال بخيل اكالاً اي شيءٍ احبُّ اليك من الماكولات قال الفالوذج فانهُ لذيذ الطعم سريع الهضم قال اسكت يا احمق فان الطبق من الفالوذج يساوي دينارًا والدينار الذ منهُ واخف على المعدة

كل شيءٍ بحلاوة ظريف

وقف سائل بباب دار فقال لاصحابها هل من حسنة لرجل كفيف العينين اصم الاذنين اشل اليدين اعرج الرجلين ضعيف الجسم قليل العزم قالوا نعم عندنا كفن فهو لمن كان نظيرك لمن احسن الحسنات

البخل

قيل لبخيل لِمَ لا تتزوج قال فتشت فلم اجد فقال له الذي ساله وكيف ذلك والبلد من كثرة البنات في قحطٍ قال وهذا الذي اخافهُ فانني ان تزوجت باحداهن انتقل القحط الى بيتي

الاسم المختصر

اراد رجلٌ ان يرسل امراتهُ الى بعض البلاد فذهب لياخذ لها تذكرة مرورٍ فقال له الكاتب ما اسمها اجابهُ اكتب حضرة السيدة المصونة والجوهرة المكنونة اميرة المخدرات وتاج هام المحصنات الخاتون شمونة قرينة الخواجه طنوس شعنونة من دمشق الفيحاء حرسها الهُ السماء امين. فقال له اذهب وائتني بحجر رحى فانهُ بالكاد يكفي لتوقيع هذا الاسم الشريف

براعة الانشاء

كتب رجلٌ الى بعض اصحابهِ يقول فيهِ بعد الديباجة غب سلام اطول من ذنب حمارتنا الماوردية واعرض من سطح علية داركم الشمالية واهداء اشواقٍ اثقل من جبل صنين في ايام كوانين نبدي انهُ اليوم بعد الظهر وقبل العصر وضعت قرينتنا ام دعيبس غلامًا اكبر من كلب بيت الفضاني بشوية واصغر من بسينة ابنتكم سعدية هذا ومن كون بلغنا ان حرمتكم معشرة فنرجوكم ان تكلفوها عنا ان تولد بنتًا بهذه الليلة وترسلوها لنا بالتلغراف لنقطع صرتها على مولودنا الجديد قبل ان تيبس والسلام على اهل الضيعة كبار وصغار ودام بقاكم (التاريخ) حرر وجرا يوم ولادة المرا بعد الظهر بعلامة ما كانت الشمس نازلة على البير

(الامضا) مستمد دعاكم ابو دعيبس
الغلاييني من قرية
بسناده

جواب بمحلهِ

مر بعض الظرفاء بغلامٍ قبيح المنظر يقرا في الزبور العبارة الاتية وهي لماذا ارتجت الامم. فقال له لا تعجب فانهم راوا وجهك فخافوا

الجنان

الجزء الثامن عشر

في ١٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٦

* البشرى *

تعريب صورة تلغراف سامٍ الى الخديوية الجليلة وعن طريق السويس الى امارة مكة المكرمة وولايات الحجاز واليمن والى عموم ولاة الولايات والمتصرفيات التي ادارتها مستقلة والى مشيري العسكرات والى قومندانية الفرق العسكرية

حيث ان حضرة السلطان مراد خان لم يشفَ من العلة التي بلي بها منذ جلوسه فوجد شرعًا انه مخلوع وبموجب القانون العثماني قد جلس على تخت السلطنة بالارث والاستحقاق حضرة ولي العهد صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان الثاني يوم الخميس حادي عشر شهر شعبان سنة الف ومايتين وثلاث وتسعين فجناب الحق يجعل ذلك باعثًا للخير والسعود بحق كافة التبعة امين . فنوصيكم اخطارًا بان يصير اعلان هذا الجلوس الهمايوني مع اطلاق المدافع بحسب العادة القديمة من المحلات الموجود بها قلاع على مدة ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ بكل وقت من الاوقات الخمسة واحدًا وعشرين مدفعًا وايقاد القناديل ليلاً في الاماكن الميرية ومن طرف الذين يرغبون ذلك مع اجرا الزينة

(الامضا)

محمد رشدي

هذا وان الحوادث المكدرة التي سبقت ولحقت جلوس حضرة السلطان مراد الخامس على تخت السلطنة السنية اثرت فيه تاثيرًا عظيمًا بحيث لم يعد له طاقة على الاهتمام بهام المملكة فاظهر تكرارًا لوكلا الدولة الفخام رغبته في التخلص من المركز الصعب الذي لا تسمح له صحته بان يقوم باعبائه وقد وافق ذلك راي اشهر الاطبا فالجأ الحال والشرع الشريف الى جلوس صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان وله من العمر ٣٤ سنة

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

اذا صحت الرسالات البرقية المتعلقة بسياسة روسيا في الشرق يكون العدل في العلاقات الدولية في اوربا ما لا يرى حتى بالنظارات المكبرة فانه من المقرر ان الذي لا يلقى العقاب بعد ارتكاب الغرور والخطا والاضرار با لانفس والاعمال لا يلبث ان

يعود الى غروره وتعديه ولو صادفت السرب والجبل الاسود في الازمان الماضية الجزا الواجب في اثر العصيان عوضاً عن ان تلاقي مساعدات وترجح حقوقاً سياسية ومدنية لما جلبتا علينا الويلات والرزايا التي بتنا فيها في هذه السنة من جرى محاولتهما توسيع دائرة املاكهما وتقرير حقوق سياسية لم تكن لهما ولم نستغرب ما قراناهُ في الرسالات البرقية من ان روسيا اشترطت بان تكون مداخلتها المتعلقة بانهاء القتال ذات عاقبة سليمة للامارة السربية بحيث لا تفقد شيئاً من حقوقها القديمة واذا سرت السياسة الانكليزية بحسب ما قالته اهم جرائد انكلترا او ما يوافق ميل حزب ذي اقتدار فيها لا تكون السرب معرضة لوقوع تاديب كافٍ فاين ذلك من تصرفات الانكليز في الهند وروسيا في بولونيا عند مجاهرة رعاياها فيها بالعصيان منذ زمان ليس بطويل ولم تكتفيا بامتلاك البلاد وتاديب رؤسا الفتن بل قاصتا بالقتل والنفي والسجن وغير ذلك كثيرين من الذين اشتركوا بالعصيان مع ان الفتنة في البلدين المذكورين لم تضر بروسيا ولا بانكلترا قدر ما اضرت بنا الفتنة الجارية ولا يصعب على كل ذي عينين بان يرى تاثيرات ذلك المضرة بكل شيء عثماني حتى خسر العثمانيون ما كان باقياً عندهم من بقايا ثروتهم الماضية بفقدان الامنية المالية بل الامنية السياسية ووقوف دواليب الاعمال جميعها فطرحتنا ايدي البلايا في ما لا طاقة لنا على احتمالهِ زماناً طويلاً وجرحتنا جراحاً لا تضمد في اقل من خمس سنوات اذا تغيرت الاحوال تغييراً كافياً للفوز بالحصول على السلم الشافي وابعدت قسماً مهماً من اشد رجالنا واصحهم عن مواطنهم واعمالهم وحملت عواتق الامة اثقال مصاريفهم وتركت القلوب في اضطراب وخوف لا مزيد عليهما ومع ذلك تسمعنا السياسة الاوربية ان هذه الاضرار لا تجلب على مسببيها سوء العواقب للاستئمان في الاستقبال فاذا قيل ان سبب ذلك وقوع ظلم قد اقرت بهِ الدولة عند حدوث التغيير المعظم في الاستانة العلية على الثائرين فالانتصار للعدل والانصاف يدعو الى صيانة الثائرين من القصاص نقول ان البولونيين وغيرهم الخاضعين لروسيا كالشركس حتى نفس ايرلاندا الخاضعة للانكليز تتظلم وتحاول اهاجة ثورة تفصلها عن انكلترا وتمكنها من الانتفاع بحقوق طالما ادعت بانهُ يحق لها ان تتمتع بها فهل صادفت تلك البلدان رحمة بل عدلاً في اثر العصيان او في اثر ظهور شروع ما بهيجةٍ وهل كانت السرب مظلومة وليس للدولة العلية دخل في سياستها بل كل امورها في يد اميرها ومجلسها وهل ظلم الجبل الاسود ألم يكفهِ بانهُ يقبض معيناً سنوياً من روسيا انفاذاً لسياستها وغاياتها حتى انها قطعتهُ عنهُ عندما سلك السبل الموافقة للنمسا ثم عاد فدفعت ما كان قد حبس عنهُ دفعة واحدة ألم تكتفيا باهاجة اهالي الهرسك وبوسنه الى القتال واذا سلمنا بان الهرسكيين لم يكونوا حاصلين على ما يحق لهم ان يحصلوا عليهِ فهل نسلم بان البلغاريين الذين كانوا راتعين في بحبوحة من الثروة والراحة حتى فاق فلاحهم كل فلاحي السلطنة كانوا مظلومين حال كونهم امة واحدة منظمة ذات قدر وشان الم تخرب بيوتهم وتسلب اموالهم بل ذاقوا من تعديات الجنود الغير المنظمة ما فاق درجة الاعتدال وجلب عليهم قصاص الدولة ولوم العالم قاطبة لانهم اصغوا لتحريضات وتهييجات اصحاب الغايات ولا سيما السرب والجبل الاسود فضلاً عن الاقوام الاجانب فالامارتان المذكورتان مسئولتان بما جرى جهاراً وقد اختلفت الاراء من جهة الدولة المسئولة ودلت ظواهرها على ان ما نسب اليها تهمة ولئن كانت قد تظاهرت بكل مخابراتها بالميل الى تقرير صالح العصيان كما التفي

بادي الامر الى اكريت واليونان ثم الى البلغار وجاء ذلك بما يدعو كل عثماني الى الفرح والحبور ولسنا في القرون الماضية التي يصفها المورخون بالظلمة او البربرية لنجعل الانتقام محور اعمالنا ولم نرَ من فعل العرب في صدر الاسلام غير ما يدل على مراعاتهم صوالح الذين كانوا يفتحون بلدانهم والعفو عن كل جانٍ وصيانة الاهالي الذين لم يحاربوا والقيام بالعهود ولو افضى بهم ذلك الى الخسران وكفانا شاهدًا ما جرى بين ابي عبيدة وقائد الجيش عند فتح الشام ولذلك لا نرغب في قتل ولا في ثار بل قصارى المرغوب مرافقة الشفقة على الاهالي ولا سيما النساء والعاجزين والاولاد بطلب ما يضمن راحتنا الاستقبالية ويصوننا من خراب اخر لان سلامتنا هذه المرة من الوصول الى الدرجة السفلى ربما كانت لا تبقى معنا في الاستقبال وفضلاً عن ذلك نود الحصول على غرامة ولو كانت قليلة اما الضمانة فقد تكون مادية وقد تكون ادبية فالمادية اولى وهي التي قد ظهر في اوربا ما يضادها وتكون بوضع جنود في قلع وبناء حصون في داخلية البلاد السربية واما الادبية فكالعدم فان السياسة في هذه الايام لا تربط بالكلام من جرى التاويلات والمواربات وغير ذلك ونظن انه عند بداية المخابرات بشان عقد الصلح بداية صعوبات لا تخلو من الخطر ولا بد من ان تنشا الضغائن عنها وهي التي نخافها ما دامت امم اوربا معسكرات ومن الناس في اوربا من يقول ان العصاة قاطبة امة غريبة عن الدولة العثمانية لا ترضى الخضوع لامة من جنسية اخرى ولذلك يحق لها ان تجاهر بالعصيان طالبة الاستقلال والخلاص مما تحسبه ثقلاً لا طاقة لها على احتماله وهذا ودول اوربا كلها والنادر كالعدم سائدة على اقوام بعيدين عنها مركزًا ودينًا وجنسًا وعادات فتحت بلادهم طمعًا وعدوانًا وليس انقيادًا الى طغيان المجاورة وتراها كلها تئن طالبة الاستقلال والتمتع بمراكز سياسية وتجارية ومدنية قد اصبح الفاتحون يتمتعون بها ولا امل بجعلهم جميعًا من جنسية واحدة كما اصبحنا نحن اجمع عثمانيين ونعجب من حالة اوربا ومن دول اذا نفذ فيها مبدا الجنسيات تضمحل فانها مع ذلك لا ترى الا من جهة واحدة فتلومنا وتتددنا وتضادنا لاننا نقاوم عندنا ما تقاومه هي عندها وفي الغالب كتاب الجرائد الاولى سابقون الناس في المعارف ويعدلون بالحكم غير ان قليلين هم الذين قد نهجوا منهج العدل في هذه السنة ولا ريب في ان تعديات الشركس في البلغار قد اضرت بنا ويكون لها تاثير بدون ريب في كيفية عقدنا الصلح ولولا ذلك لكان الربح لنا بدون ريب على ان مبادرة الباب العالي الى قصاص المذنبين يبين ان ذلك جرى على غير قصد ولا يدعو الى منح العصاة جميعًا حقوقًا كسبوها بالسيف لو ربحوا ومحاولة سلب الحقوق التي تربحها الدولة العلية بالسيف حال كونه بموجب القوانين الدولية حقًا يملك كالبيع والشرا بالتراضي التام وهذه الملاحظات مع الخوف من الاستقبال تجعلنا نعلق الامل بان دول اوربا لا تحاول ذلك وان ما نسمعه انما هو مجرد اراجيف او اقوال المقصود من اشاعتها الوصول الى الاعتدال او غير ذلك فاننا ننتظر اراحة بالنا مدة طويلة من الثورة وهذا اقل ما يحق لنا ان ننتظره بعد فوزنا العظيم الذي حملنا اثقالاً كثيرة ليس لان العدو قوي وبلاده متسعة وجنوده منظمة ولكن بالنظر الى ظروف السلطنة الداخلية ونسبة السياسة الاجنبية اليها فثبات العزم من جهتنا ما دام ذلك لا يدعو الى حرب عمومية مما يليق بنا ان نعول عليه للحصول على الراحة ولا نستغرب وقوع السياسة المضادة لنا في فشل تعودته في السنين المتاخرة وقد سرنا ما طالعناه من التقرير الذي قرره موخرًا مستر كايف

في المجلس العالي الانكليزي فانهُ المامور الذي بعثت بهِ الحكومة الانكليزية الى الديار المصرية ليفحص عن الحالة المالية وقد عاد الى الصواب في بعض كلامهِ واظهر ان في البلدان الاجنبية خللاً في بعض الامور يقابل الخلل الذي ينسب الى الشرقيين غير انهُ لا يزال يشور بتسليم المامورياتِ المهمة الى قوم اوربيين بل الى رجال انكليز وهذا خطأ سياسي مبين. فانهُ اذا فرضنا انيانهُ بنفع موقت يسلب من الامة وسائط تعود الادارات المهمة وهو مخالف للميل الطبيعي ولئن كان موافقاً في بعض الظروف لاصحاب الدين والاولى وضع قوانين للضبط والربط مع توجيه بعض الماموريات الحسابية الى قوم من الاجانب مع المحافظة على المامورين من الاهالي ليكتسب من كان منهم محتاجاً الى الاكتساب ومن الموكد ان من غايات الافرنج اكتساب ما يتيسر لهم اكتسابهُ من الشرق وعلة وصولهم اليهِ انما هي طلب الارباح والسعي في سبيل تحصيل معاش الكثيرين الذين تضيق بهم بلادهم او يجنون ذنوباً تدعوهم الى تركها وقد اثنى ذلك المستر على الحضرة الخديوية ثناء يوافق ما طالما قررناهُ في الجنان بشارتِ اصلاحات مصر والمامول انهُ بزوال اسبابهِ وقوف الاشغال التجارية والمالية تظهر اثار ذلك ظهوراً اجلى واوضح وفي ظروف كهذه الظروف تضيق صدور اصحاب الاشغال و يلقون اللوم على عواتق الذين يظنون ان لهم يداً فاعلة بما قد اضربهم على ان الزمان يزيل الوهم ولا ريب في ان الشرقيين في هذه السنة قد جمعوا جميعاً حكاماً ومحكومين اختباراً اعظمها فنوءمل ان لا ننساهُ بزوال صعوباتنا ومشاكلنا فان الانتفاع بهِ يودي بنا الى الفوز والنجاح

تاليف لطيف

ان حضرة مقبل بك رئيس القلم التركي في نظارة الخارجية المصرية هو من اهل اللطف والادب والحذق وقد جمع كتاباً سماهُ الدر الثمين في اسماء البنات والبنين وقد تصفحناهُ وطالعناهُ فوجدناه محتوياً على بابين . فالاول في اسماء البنين و ينقسم الى قسمين الاول منهما في اسماء البنين المفردة و يتضمن الفي اسم للبنين بدون تاريخ والثاني في اسماء البنين المورخة وهو يحتوي على اربعة عشر الفاً واربعمائة اسم مورخ للبنين والتاريخ من سنة ١٢٩٢ هجرية الى سنة ١٣٤٠ فيكون فيهِ اسماء ثماني واربعين سنة ولكل سنة ثلثمائة اسم مورخ . والباب الثاني في اسماء البنات و ينقسم ايضاً الى قسمين فالاول في اسماء البنات المفردة و يحتوي على الفي اسم غير مورخ للبنات والثاني في اسماء البنات المورخة وهو يحتوي على اربعة الاف وثمانمائة اسم مورخ البنات لكل سنة مائة اسم مورخ عن ثماني واربعين سنة ايضاً من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٣٤٠ ومن فوائده تسهيل وجود اسم للمولود بدون مشقة للتفكر واذا شاء الوالدون يقدرون بهِ ان يجعلوا الاسم تاريخ الولادة في المدة المذكورة . ولا يخفى انهُ لم يسبق الى مثلهِ في لغتنا وربما كان لم يسبقهُ الاعاجم اليهِ وعندنا ان كل ذي اهل يجب ان يقتنيهُ لجنى الفوائد التسهيلية منهُ والتمكن من اختيار اسم من الوف من الاسماء المجموعة لديهِ وقد اثنينا على المولف لانهُ لا ريب في احتمالهِ مشقات كثيرة لجمع الاسما المورخة للسنين المذكورة . وقد نشرنا بعض اسماء مورخة للذكور والاناث وهي الاتية وتاريخها سنة ١٢٩٢

اسماء للذكور

ابرهيم محفوظ
اسماعيل فارض
حافظ سرمد
راشد محتشم

رضوان عبد اللطيف
عبد الظاهر عطا
عبد العظيم مكنون
عبد المغني بديع
قاسم منتخب
يونس عبد الغني

اسماء الاناث

آسيه رغيبه
زهيده ناغيه
شريفه تفريج
ظريفه نازلي
مريم حنيظه

فنسال الله ان يوفق حضرتهُ الى اتمام طبعهِ وان يجزيهُ خيرًا وهو السميع المجيب

تقرير مستر كايف

لم ينسَ قرا الجنان تقرير المستر المذكور الذي نشرناهُ في الجنان ونذرنا جملة سياسية طويلة بشانهِ عارضناهُ فيها بما خطر لنا ببال انهُ تعدي بهِ على حقوق بلاد قد اخذت في الانتقال من حال الى حال بسرعة لا مزيد عليها وبحث فيها عن امور لم تتعلق بامور يتهِ المالية واشار بوسائط اصلاحية ربما كانت تعود بالنفع على المالية ولكنها لا تسعف البلاد في قطع السبيل المودي الى الضبط المقصود قطعًا طبيعيًا لابد لكل امة من ان تسلكهُ قبل ادارك الشاو الذي لم تبلغهُ في هذا الزمان غير دولتين او ثلث دول من اوربا حال كونهِ قد اشتهر بانها ينبوع كل انتظام وضبط وتمدن في الزمان الجاري . وقد تكلم المستر الموما اليهِ في المجلس العالي واصلح بعض اغلاطهِ لتبيين فضل الحضرة الخديوية السنية غير انهُ لا يزال يشور بما قد راينا من الصواب لنفع الشرقيين ان نبحث عنهُ في الجملة السياسية في هذا الجزء وهذه ترجمة كلامهِ الذي تظهر منهُ اعتراض المعترض الذي حملهُ على التفوه بهذا الخطاب .

انني نهضت لاتكلم اجابة لدعوة العضو المحترم (هو السار كامبل) وقياما بما اعلم ان المجلس ينتظرهُ مني قبل انفضاض المجلس للفرصة . ولولا ذلك لفضلت الصمت . وقد رايت ان الاهمية التي كانت لماموريتي قد كادت تبيت في خبر كان وان احوال مصر امست في المحل الثاني بالنظر الى الامور الاخرى الجارية في الشرق وهي اهم منها . ولا اصيب اذا اخذت ما قررتهُ في تقريري الاول ولا اذا اشغلت المجلس بالكلام عن متعلقات المامورية المصرية المختلفة . فان تقريري قد نشر في البلاد منذ زمان طويل وقد بحث عن كل ما قلناهُ وفعلناهُ في مصر وقد زيد على ذلك وليس من متعلقاتي اظهار الاصابة بارسال مامورية انكليزية الى مصر فان ذلك مفوض الى الاخرين واظن ان اختلاف الاراء في انكلترا بهذا الشان لم يكن لهُ نظير في البلدان الاجنبية (استحسان) . وقد تقرر عندي انهُ لولا تلك المامورية لما اظهرنا المخاطر التي كانت تحدق بمالية مصر بمباحثنا ولاستمر خديويها ككثيرين غيره في صعوبات تصعو باتهِ سائرًا وقد اطبق جفونهُ فلا يرى مخاطر السبيل الذي يقطعهُ ولكانت العاقبة اسوأ من العاقبة الحالية . وقد اتهمني ذلك العضو المحترم بعضد الامنية المالية المصرية عضدًا غير معتدل على ان ذلك هو غير راي الجناب الخديوي فانهُ تشكى بان المامورية التي اقمت بها لم تسعفهُ على الاستقراض واكبها قفلت عليهِ ابواب اسواق المالية فاذا كان ذلك صحيحًا يكون من اوفق الامور التي نشأت عن تلك المامورية ولو عظمت صعوباتهُ وقتا (استحسان استحسان) . ولا ريب

في انه ربما كانت تلك المامورية مما لم يسبق له مثيل في بلاد مستقلة . وقد عانينا صعوبات كثيرة في سبيل القيام بالاوامر النافذة الينا بدون ان نكدر جهة واحدة حال كوننا نفوز بالحصول على افادات صحيحة . والمامول اننا قد اتممنا بذلك بنجاح معتدل (اسمعوا اسمعوا) . ومن المؤكد عندي ان الحضرة الخديوية تسلم باننا لم نقصر بالقيام بالاعتبار الواجب لمركزها العالي وشانها الرفيع ومن الواجب ان نقول ان حضرتها عاملتنا بكل التفات ومجاملة واظهرت رغبة شديدة في تبليغنا كل الافادات التي كنا طلبها وقد قال ذلك العضو المحترم ان كل الافادات التي حصلنا عليها هي من الحكومة واننا التزمنا بان نعول على ما كان يقدم الينا بدون ان نسال سؤالاً واحداً فهذا صواب في الغالب وليس في الكل فاننا حققنا ما سمحت لنا الفرصة بتحقيقه . ومن يا ترى ينتظر منا ان نحقق كل حسابات المالية ونراجعها في شهرين وهي في العربية . وقد اتكلنا على امر مهم وهو انه ربما كان يسهل خدعنا غير ان الخديوي الذي يرغب في خدعنا لا يطلب ان نبقي عنده رجلاً انكليزياً مختبراً من رجال المالية مدة خمس او عشر سنوات ليطلع على كل حسابات الحكومة ويفحص بدون ريب الافادات التي اعطيت لنا (اسمعوا) . وقد جاءت النتيجة بما يزيد عن انتظاراتي . فانني ظننت ظهور اغلاط كثيرة واخذت في ان اترقب ظهور الحق بمناقضات الافادات . ولكن ماذا جرى . الم يبق التقرير امام الناس اربعة اشهر وقد ترجم الى كل لغة متمدنة وقد عرفت بان الناس قد حكموا بصحته كله خلا بعض تفصيلات ثانوية نشات عن سهو في الكتابة وقد اصبح قاعدة كل مخابرة تابعة له (اسمعوا اسمعوا) . وكنت قد علقت الامل بان اصحاب النقود في هذه البلاد يفعلون تجديد الاستقراض كما

تقرر في التقرير وليس كما توهم العضو المحترم يسعفون مصر عليه . وكما نرى ما حملنا على تعليق الامل بذلك غير انه لسوء الحظ لم تصح الامال وسقط التدبير بادعاءات اصحاب القراطيس المالية الفرنسويين الطويلة العريضة . فالتزمت الحضرة الخديوية مراعاة لضروريات الحال ان تسلم بتلك الادعاءات فهذا مما لا يقع على شيء من مسئوليته . وقد اخبرت الحضرة الخديوية ودونت ما اخبرتها به وهو ان عدم دفع كل مطاليب اصحاب الدين يعد من الافلاس ولا يناسب ذلك المصاريف التي كانت لا تزال جارية وكان قد تقرر عندي انها قادرة على ان تدفع كل تلك المطاليب وعندي ان ذلك لا يزال ممكناً ولئن كان اصعب . لان مجموع الدين في الحال قد فاق مجموعه عند ما كتب التقرير المذكور . والصعوبات الجارية كثيرة وربما كان ذلك على غير ارادتها وناشئاً عن واجباته المتعلقة بالحكومة الناتجة عن مصاريف الحرب وقد تكدرت فعلاً لان اتعابي لم تات باثمار سريعة على ان المامول انها ستاتي بنفع باجراءات من هم احذق واعرف . وبدون ادعاء اقدر ان اقول ان للكيفية التي قررتها نفعاً وهو انها لم تقطع النظر عن مطاليب اصحاب الدين العادلة من جهة واحدة ولا عن تخفيف اثقال الذين يدفعون الاموال الاميرية . ولترقية اسباب نفع هذين الامرين اظهرت بتبيان وجوب ضبطها بضبط جمع الدخل ودفعه وان يسلم ذلك الى دائرة الضبط تحت رياسة الوكيل المالي الذي كانت الحضرة الخديوية ترغب جداً في الحصول عليه من هذه البلاد . فهذا مفتاح الحال كلها . وعندي انه لا بد من ان تكون تلك الدائرة قسماً من التدبيرات التي يقام بها في الاستقبال مهما كانت . ومن الصعوبات التي رافقت التدبيرات المالية الفرنساوية عدم وجود ضمانة تضمن استقلال دائرة الضبط واستمرارها . فهذا

واظن انهُ من المفروض عليَّ أن اقول شيئًا بالاختصار بشأن صفات الجناب الخديوي الذي تعدى البعض عليهِ بالكلام حتى ان بعض الجرائد لم تصدق بالكلام عنه . حتى ان قومًا قالوا انهُ مشابه للمرحوم السلطان عبد العزيز مع انهُ شتان بينهما . لانهُ لا يخفى ان السلطان جعل سقوطهُ مسبوقًا بتركهِ لواجباتهِ الملكية والاعمال المتعلقة بها . وصرف اكثر الاموال الغزيرة التي كان يصرفها في سبيل تبع قوم بدون اهلية وفي سبيل التنعمات والملذات الجسدية . اما الحضرة الخديوية فهي احذق الناس في مصر واشدهم كدًا وجدًا فهو في مركز اشغالهِ باكرًا في الصباح الى نهاية السهرة حتى انهُ ربما كان لا يوجد عمل عام لا يعلم باحوالهِ . ولا يمكن نفسهُ الا من قليل من الراحة . وقال لي ذات مرة ان من احب الامور اليهِ ان يفوز بالراحة بضعة اشهر في المدينة في املاكهِ الخصوصية على انهُ لم يفز بالذهاب اليها منذ ثلث سنوات . وهو كريم جدًا في معاملة الضيف ولا سيما اكابر القوم فيقوم بحق ضيافتهم بما يليق بالملوك ومع ذلك عاداتهُ بسيطة ومعيشتهُ غير تنعمية . ومن المعلوم انهُ يلتزم بان يشتغل بالوسائط التي تناولها من الذين سلفوهُ وان يستخدم بعض الذين لا يركن اليهم حال كونهم يرغبون في جمع الثروة ليستامنوا من افات قصر مدة استخدامهم ولذلك تدلك السبيل الذي سلكهُ كثيرون غيرهُ بادارة كل شيءٍ بنفسهِ مع ان حكامًا كثيرين من الذين يفوقونهُ في قوة الجسم يعجزون عن القيام بذلك . ومعرفتهُ لتفاصيل الاموروا حوالها غريبة عجيبة على انهُ يصعب عليهِ ان يرى ما هو من صالح الاخرين ان يخفى . وهو يميل الى الاستناد الى اقوام من الافرنج الذين ياتونهُ بمشروعات مختلفة فمنها ما هو حسن ومنها ما هو غير موافق . واكثرها لا تتم الا بمصاريف ثقيلة يكتسب قسمًا غير معتدل منها الذين ياتون بها حال كونهم اصحاب علاقة بالذين يعقدون شروط انفاذها وباهل المالية الذين ياتون بالوسائط اللازمة للقيام بها (اسمعوا اسمعوا) . فيعقد قروضًا ذات فائض غير معتدل وتجدد سندات بشروط مضرة .

فهذه قد اخرت كثيرًا بمداخيل مصر . وهو يميل الى القيام بمشروعات جديدة نافعة فتنفذ احيانًا قبل التروي الكافي . وقل ما يبين لهُ من حوله حقيقة الحال فيندر وقوع مضادة لرأيهِ . (ذكر بالتفصيل اسباب المصاريف في الشرق والمشروعات التي لم تكمل) اما اكثر الاوربيين المقيمين في بلاد مصر فلا يهتمون الا بسلب قدر ما يتمكنون من سلبهِ مع التخلص من الرسومات والاموال الاميرية التي يجب ان يقوموا بدفعها . وقد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من الاسكندرية وفيها تشكٍ غريب وهو انهُ لا سبيل الى الحصول على فائض غير معتدل في هذه الايام وانهُ كان يجري بيع الف مد من القمح مثلاً بالانتقال ٣٠ مرة من يد الى يد ويدفع ٣٠٪ سمسرة وتشغيل ٣٠ تاجرًا اما الان فيتم صدور ذلك من البلاد بتاجر واحد يعامل الحكومة راسًا بدفع سمسرة واحدة (اسمعوا) . ومن الزم الامور للبلاد ان يكون فيها مامورون اوربيون من طبقة اولى كالذين عندنا في الهند وقد الححنا بذلك على الحضرة الخديوية . وان يكونوا من القوم الذين يعرفهم العضو المحترم حق المعرفة فانهم تعودوا معاملة الاهالي في الولايات وادارة الامور المحتاجة الى الحذق والامانة وثبات العزم ففي يد اقوام كهولاء يزيد كثيرًا دخل الطرق الحديدية والرسومات ومن شان الذين هم مثلهم صيانة الفلاحين الذين قد ابان العضو المحترم اهتمامهُ باحوالهم ويصونونهم من جمع الاموال الاميرية بدون انتظام ومن السخرة وغير ذلك مما يضعف نشاطهم ويحملهم على صرف المال في سبيل تحسين الاراضي

عوضاً عن اخفائه. فحالة الفلاح غير مرضية غير انني ارتاب في ما يقوله بعض الكتاب عن سوء حالهم لان من عادتهم ان يتظاهروا بالفقر قدر امكانهم وهذا وحده يتضمن معنى عظيماً . على ان الانكليز الذين طالعوا تقريرات العهد الكثيرة المتعلقة بحالة النساء والاولاد الانكليز الذين يشتغلون بالمعادن والمعامل والزراعة يقرون بانه لا يحق لنا بان ننظم بالحكم امة قد خطت خطوة اولى في سبيل التمدن وهي مصر (اسمعوا اسمعوا) اظن انني قد اطلت الحديث على المجلس . هذا وانني اتعذر ان ازيد كلامي كثيراً عن مصر وخديويها . وذلك مما يلذ لي جداً . ومن المفروض عليّ قبل الانقطاع عن الكلام ان اذكر امراً او امرين . فالاول يتعلق بكلامي عن المقابلة في التحرير الذي رافق تقريري . فهذه الفقرة نشرت بالتصادف ومسئولية ذلك عليّ دون غيري . على انني وعدت بان اقول موضحاً ان الجناب الخديوي قد قال انني لم افهم كلامه بشانها فانه لم يقل انه لم يرَ خطا تعديلات اموال الاراضي الا موخراً ولكنه ظن ان ذلك مما لم نلاحظه . والثاني انه ذكر في احدي الجرائد انني اطلعت الحضرة الخديوية على تقريري اولاً ثم غيرته وجعلته اكثر موافقة له . فلا يلزم ان اقول انه ليس في ذلك شبه صحة (اسمعوا اسمعوا) فانني كتبت التقرير وانا راجع الى وطني و بعد وصولي اليه لم يره احد غير مستخدمي مأموريتي قبل ان سلمته الى الحكومة . ولم يبق غير امر واحد احب ان اذكره وذلك بسرور شديد (هنا ثنا كثير على الكولونل استوكس) . ولا يزال قمح في مصر وكثيرون يحاولون ان يحصدوا بدون ان يزرعوا غير ان المأمول انهم يخيبون املاً بعدم نفوذ شرهم وان تلك البلاد المهمة المكرمة المضيف ترى ايام نجاح وتقدم وكذلك اهاليها الذين يحبون السلام والكد حال كونهم اهل رقة ولطف وان ذلك النجاح يكون ثابتاً لتاسسه على قواعد صحيحة . وفي بلاد مصر امنية للانفس والمقتنيات وحرية تامة للاديان حتى ان النساء الاوربيات يقدرون ان يسافرن بامان تام من الاسكندرية الى الشلال الثاني بدون ان يكون معهن غير قوم من الاهالي وهي بلاد يهتم بها كل انكليزي اهتماماً مخصوصاً لانها باب امبراطوريتنا الهندية القادرة

حرب الصرب

قد جاءت الرسالات البرقية بالاخبار المختصرة المتعلقة بفوز الجنود العثمانية فنشرناها في اوقاتها في الجنان غير ان ذلك لا يجعل الاخبار التفصيلية بدون اهمية ولذلك قد ترجمنا رسالة نشرتها جريدة التيمس بهذا الشان وهي من مكاتبها النمساوي وفي مراجعة ما تضمنها وصف احوال يجب كل انسان ان يقف عليها. وهذه هي الترجمة المذكورة

قد نشرت جريدة الباستار لويد النمساوية رسالة واردة اليها من مكاتبها الحربي الموجود في المعسكر العثماني في نيش. وقد فتح كلامه في وصف مواقف الجنود ومراكزها في نيش وجوارها. وقد قال انه بقي تحت قيادة محمد باشا كيش احتياطي ١٢ فرقة (طابوراً) وتمس ١٨ فرقة كما افدتكم. فظهر ان الحمل جرى بجيش نظامي مولف من ٣٦ فرقة من المشاة و ٢٥٠٠ فارس و ٨٨ مدفعاً خلا ستة الاف جندي من الجنود الغير المنظمة من المشاة والفرسان فانقسم الجيش المذكور كله الى ٣ اقسام. فعينت فرقة القائد حسين هوني وفرقة القائد حسين فبري للحمل على كوجا زفانس فحملتا وراءها الحواجز والاخاديد في جانب الجبل في الجهة الشمالية من نيش. وكان معها المشير احمد ايوب باشا وكانت ادارة حركات الجنود في

يده وبيد نجيب باشا رئيس اركان حرب . اما المر عسكر عبد الكريم باشا فبقي مع الجيش الاحتياطي في نيش . وصدر الامر الى الفرقتين المذكورتين بان تذهبا بطريق ماتيفكو لحمل على غرامادا السربية الواقعة عند الحدود وتجعلا المقصود من حملاتهما كوجازفانس على التيموك . اما الفرقة الثالثة فكانت تحت قيادة سليمان باشا وكانت مجتمعة في الطريق بين آكيلانكا وسندبرولو فامرت بان تسير عند سير الفرقتين المذكورتين اولاً قاطعة التلال على جانبي الترجوفيه في تيموك الذي يجري في السرب في باندبرولو وان تجعل قصدها جهة كوجازفانس كالفرقتين طالبة الجهة الجنوبية منه في لان او بونبوروان تنضم الى الفرقتين وجعل صباح ٢١ تموز زمان انضمام الفرقة المذكورة . على ان اقصر المسافات المسافة التي قطعتها فرقة سليمان باشا غير انها منذ عبرت الحدود امست ملزومة بان تقطع طرقاً جبلية فصادفت صعوبات كثيرة في نقل المدافع والمهمات والفرقتان المذكورتان اولاً كانتا تسيران في طرق جيدة حتى الحدود السربية وبعد ذلك وجدتا طريقاً سهلة مودية الى كوجازفانس . ولم يكن عندهم دائرة اخبار وجواسيس ولذلك لم تكن تعلم ادارة اركان الحرب حق العلم قوة العدو ولذلك كانت الجنود السلطانية تسير بتأنٍ وتروٍ . وكانت الطليعة مؤلفة من فرقة حافظ باشا فانتشب القتال بينها وبين العدو في ٢٩ تموز (جوليه) قبل الظهر بساعتين في ظاهر غرامادا وهي قرية سربية في اعلى الجبال التي تحد البلاد . وكان السربيون قد اقاموا على قمة تل مشرف على الطريق اربعة مدافع جبلية واخاديد لجنود البنادق . واقيم مركز اخر للمدافع قبالة ذلك المكان ولكن لم تكن المدافع موضوعة فيه . وكانوا قد انشاوا حواجز واخاديد في تلك القرية واقيم فيها نحو فرقتين (طابورين) . ولما باتت المسافة الفاصلة بين جيش حافظ باشا والسربيين نحو اربعة الاف وخمسمائة ذراع اخذ العثمانيون في اطلاق المدافع عليهم واخذ الجيش في ان يتقدم في صفين والمدافع تحميه وقطع التلال التي تحد الوادي ثم نزلوا من غرامادا حاملين على جناح المراكز السربية . فدافع السربيون ببسالة عن مراكزهم لان العثمانيين لم يقدروا ان يصعدوا على التلال الا بعد ان قاتلوا ٧ ساعات . فعند ذلك بات السربيون لا يقدرون ان يثبتوا في مراكزهم فارجعوا مدافعهم ورجعوا من حواجزهم واخاديدهم بانتظام الى جهة دربند

وفي اثناء القتال وقعت الكرات المحشوة على بيوت القرية واضرمت النار فيها وعند المساء دخلت الجنود القرية فاحرقت الجنود الغير المنتظمة ما كان لا يزال باقياً منها . ومن ليل ٢٩ الشهر المذكور الى ٣٠ منه حل الجيش العثماني بين قريتي مزرودانت وبريكونوغا وراء غرامادا في طريق دربند . وفي الصباح عبرت طليعة الجيش العثماني فرعاً من فروع نهر تيموك اسمه سورليجيكي ووصلت الى دربند الواقعة في وادي تيموك ووراءها جبال مرتفعة مغطاة بالاشجار متفرقة ونباتات كبيرة وكان السربيون متحصنين في تلك الجبال بعد ان اعدوها للدفاع وجعلوا فيها مراكز لتسعة مدافع . فابتدأ العثمانيون في اطلاق المدافع من الجهة المقابلة واستمر ذلك ساعة فاطلق السربيون المدافع عليهم غير انهم رجعوا تاركين مراكزهم عندما راوا ان العثمانيين شرعوا في الاستعداد لاقامة مدافع جديدة . فاحرق الجنود الغير المنتظمة دربند بعد ان سلبوها . والظاهر انه لم يكن يخطر للاهالي السربيين ببال ان تقدم العثمانيين يكون سريعاً لانهم هربوا عند نهاية القتال تاركين في القرية متاعهم فغنمها العسكر الغير المنتظم ولم يخرج جندي من

الجيش المنظم من مراكزه في الصف . وفي ذلك اليوم قطع الجيش العثماني مسافة الى الجهة الشمالية وكانوا يتقدمون من مركز الى مركز بانتظام حربي وكان الجنود الغير المنظمين يطوفون في طليعة الجيش وعلى جوانبه ويجهرون في الاماكن المجاورة وكانوا يبعدون في طلب الغنائم ويحرقون القرى

وصرف العثمانيون ليل ٢٠ الشهر المذكور و ٢١ منه في جبال ترسيبابا وفي الصباح التالي اخذوا في المسير غير انهم لم يقطعوا غير مسافة قصيرة حتى رأوا ما دلهم على تصميم العدو على ان يشدد الدفاع في الجبال العالية في جنوبي كرجازفاتس ولم يكن القائد العثماني عارفاً باحوال السربيين ومراكزهم واعدادهم فاستعد للاقاة قسم مهم من الجيش السربي فانه ظن انه في المكان المذكور او في محل اخر من وادي تيموك وكان قد فاز بالزمان الكافي للتجسس فانه وصل الى المكان المذكور بعد ذلك القتال بيومين . ولم يظهر اثر لاقتراب سليمان باشا بجيشه مع انه كان من الواجب ان يكون قد انضم الى ذلك الجيش في ٢١ الشهر المذكور فاكتفى احمد ايوب باشا باطلاق المدافع على المراكز السربية فاطلقوا مدافعهم ولحقت اضرار بالفريقين بدون أن تتغير مراكزها . ومضى الظهر وما بعده بدون أن يصل سليمان باشا . على ان الشراكسة وصلوا راكبين افراسهم الصغيرة النشيطة عندما خيم الظلام وبشروا باقتراب ذلك الباشا . غير ان قلب الجيش كان لا يزال بعيداً وكان النهار قد زال فلم ينتشب القتال فضلاً عن تعب الجنود فصمم احمد ايوب باشا على ان يمنحهم يوم راحة في اول الجاري

(ورد بالبرق خبر فتح ذلك المكان)

السرب

قالت جريدة التيمس قد انكسر السربيون انكساراً اخر عظيماً فان العثمانيين فخوراً بعد ان فتحوا كوجازيفاتس . وقد اصبح جيش عثمان باشا الجرار في مراكز حربية مهمة جداً وقد تمكن العثمانيون من الوصول الى السبيل العظيم المودي الى قلب السرب بل الى بلغراد عاصمة السرب نفسها ومع ذلك ربما كان لا يزال من الممكن ان يثبت جيش السرب في الدفاع اذا كان ثابت العزم قادراً ان يدافع بالقوة والعناد عن كل قفار وهو تحت قيادة قائد حاذق على اننا لا نرى ما يجعلنا ننتظر ذلك من الجنرال تشرنايف قائد السربيين وجيشه . والصحيح انه قد غلب بحذق القواد العثمانيين وقد انكسر جيشه في معارك تساوت فيها اعداد المقاتلين . وقد بات الناس يتعجبون من رداءة الجيش السربي اكثر مما يتعجبون من تقصيراته في فن الحرب . لان السربيين قاتلوا ببسالة وعناد لامزيد عليهما في حروبهم الطويلة الماضية التي فازوا بها بما عندهم من الاستقلال . اما الان فالظاهر انهم لم يحاربوا بثبات وشجاعة وقد اتهم بعضهم بالجبن الظاهر . والصحيح اننا لا نرى اسباباً مهمة تحملنا على التعجب . فانهم كانوا يقاتلون في الزمان الماضي للحصول على الحرية والنجاة من القتل ويدافعون اسياداً لم كانوا يدعون بانهم ظالموهم . واستمروا مدة طويلة في القتال منفردين ليس من يستندون الى صيانته لانهم كانوا عالمين ان روسيا لا ترضى ان تساعدهم او لا تقدر على ذلك فجاهدوا بشجاعة وثبات واقدام دفع عنهم مرات كثيرة هجمات الجنود العثمانيين وابانوا انهم قادرون ان يحافظوا على استقلالهم قبل ان تداخلت السياسة الاوربية ومنحتهم استقلالاً غير تام . على ان القائد تشرنايف الحالي قد اقام بما هو اصعب كثيراً مما اقام به كراجورج او ميلوش القائدان الماضيان لانه حاول ان يدخل بجيش سربي قليل غير منظم الاراضي العثمانية مهاجماً

جيشاً عظيماً منظماً بالنسبة الى جيشه . مع ان حرب الهجوم تحتاج الى صفات ادبية ومهمات مادية لاتحتاج اليها حرب طلب الاستقلال . ولو فاز بنصر عظيم في بداية القتال لربما كان تمكن من ان يحارب الى ان يصير تذمر البلغاريين ذا نتائج جدية او الى ان تلتزم احدى الدول العظيمة ان تتداخل في الحرب اجابة لتهييج رعاياها . ولكنه لم يفز بذلك والظاهر ان تكرار فوز العثمانيين قد اضعف همة السربيين . واو راوا ان استقلالهم امسى في خطر مبين لحاربوا ببسالة ولو فشلوا . غير انه لا بد من ان يكون قد تقرر في عقولهم ان روسيا والنمسا لا تسمحان بزوال ذلك الاستقلال ولا بحصول الجيش العثماني بامتيازات جيش فاتح ضمن البلاد السربية . فهذا لا يسعفهم على الثبات في النزال ولا يجعل فيهم ما يوازي عصبية الجيش العثماني . وربما كنا نسمع قريباً طلباً صريحاً متضمناً طلب عقد الصلح وربما كانت تستخدم مداخلات دولة محبة لنهي حرب غير نافعة . ولا ريب في ان العثمانيين يحبون ان يوخروا زمان عقد الهدنة ليودبوا السرب التاديب الشديد . غير ان ماجرى في البلغار ربما كان يجعل الدول الضامنة تخشى لئن تحدث مغايرات بدخول الجيش العثماني الى البلاد السربية وستفوز الدول الاجنبية بالحصول على الزمان الكافي للمداخلة بسبب تعسر اسباب النقل فلا يقدر الجيش العثماني ان يتقدم الا شيئاً فشيئاً في بلاد صعبة المسالك كالسرب ولو كان الدفاع ضعيفاً جداً .

وفي اثناء هذه الحوادث ترك البرنس ميلان امير السرب قيادة جيشه وجعل الجنرال تشرنايف بالفعل وبالاسم القائد العام . ولا يخفى ان الامبراطور نابوليون الثالث ترك ظل القيادة العامة الذي كان قد جاء به حدود البلاد الالمانية . ولا ريب في انه انام بذلك ليخفف ثقل المسئولية الشخصية عند وقوع حوادث كهذه فتنجو عائلته المالكة من سوء عواقب الكسر . ولولا ظروفها الغير الاعتيادية لانتفعت بتركه القيادة اكثر مما انتفعت به في الاحوال التي كانت جارية . وربما كان ذلك هو الذي حمل البرنس ميلان على تركها . فان ما صادفه اكثر من واحد من سلفائه ابان له ان كرسي امارة السرب ليس بثابت لاحد . ويحق له ان يخاف من ان يكون الفشل واسطة لتهييج قومه فيطردونه من كرسي الامارة ولا ينسب اليه حب الذات بمحاولة جعل الجنرال تشرنايف متوسطاً بينه وبين غيظ الناس لانه ربما كان قد حذره وزراؤه قائلين بانه من صالح الباب العالي ان تمسي امارة السرب بدون امير في هذه الظروف . ولا ريب في ان الدولة العلية تقول انه قد اضاع حق الامارة بعصيانه وتسر بان تمنح مركزه الى رجل اخر اشد حباً لها . على انها تعلم ان خلع البرنس ميلان اصعب من كسر جنوده وتفرح بان تخلصها العامة في بلغراد من مشاكل المنازعات بشان حقوق البرنس بالامارة

ولا يبلغ الباب العالي نهاية الصعوبات عند ما يطلب امير السرب عقد الصلح لانه لا بد من ان يخابر الدول العظيمة وكل ما عظم فوزه يشتد كرهه المداخلات . هذا ومن المعلوم ان السرب قد اهاجت غيظ الجميع من الجنود والاهالي والماموررن يحبون ان ينهوا المشاكل السربية عند ما تسمح الفرصة بذلك فربما كانوا لا يكتفون بطلب خلع البرنس ميلان بل يطلبون حلول الجنود العثمانية في قلعة بلغراد وغيرها . ويخشى من ان يكون هذا الطلب سبباً لارتباكات تزيد عن ارتباكات حرب السرب لان الدول الضامنة لا تقدر ان تسلم باتساع حدود النفوذ العثماني بحيث يتجاوز حده الحالي . فان اوربا رغبت

بخروج الجيش العثماني من بلغراد فارجاعهم اليها انما هو ادناء النار من مواد قابلة الاحتراق بسرعة . وربما كان ينتظر ان تقول النمسا وروسيا انهما تنصلان من حمل مسئولية تصرفات السرب على تقدم الجيش العثماني . وربما كان الوزراء العثمانيون لا يميلون الى تجديد السطوة بعد ان اهيجت الامة الى ما قد اهيجت اليه . غير انه بالتامل القليل يظهر لدولة كمدحت باشا حكمة سياسة التساهل في ازمان الاخطار فان ذلك الان اقوى عنصر في السياسة العثمانية.

روسيا وانكلترا والشرق

قالت جريدة التيمس ان المخابرات المتعلقة بالدولة العثمانية التي قد صار نشرها كافية لاظهار المجاري التي جرت فيها الحوادث منذ بداية السنة والتصرفات التي تصرفتها انكلترا في اثناء حدوثها . وقد تبين بوضوح يكاد يكون بدون ريب ان السرب والجبل الاسود تعمدتا فتح الحرب منذ بداية شباط الماضي (فبريه) او انهما مقودتين الى فتحها . وفي التحرير الثاني المتعلق بذلك الوارد من قونسلوسنا في بلغراد قد تقرر ان المرجح انه عند حلول فصل الربيع سيبذل الجهد في سبيل توسيع دائرة العصيان بحيث تضاف الى المشاكل الهرسكية مشاكل سربية وان امكن مشاكل بلغارية . وفي تلك المخابرات تقريرات مكررة مآلها ان حكومة النمسا وروسيا قد ابانتا لاميري السرب والجبل الاسود المخاطر التي يعرضان نفسهما لها اذا اتاما بما يضاد اجتهادات الدول الاوربية السلمية . على اننا لم نر ما يبرهن ان الحكومتين المشار اليهما اشارتا بذلك بالحاح يجعل الامارتين المذكورتين تنقادان اليهما قطعيا . وفضلاً عن ذلك قد راينا تقريرات كثيرة فيها ورود المساعدات المادية والادبية بالرجال والمهمات من الحدود النمساوية كما من الحدود السربية . وقد ظهر بوضوح من التحريرات الكثيرة الرسمية المطبوعة وهي ٢٧٦ وجها ان الثورة الهرسكية والبوسنية كان يزداد اضرام نيرانها كل يوم حال كون الحكومات المجاورة كانت غير قادرة على ان تخمدها او ان تمنع ازدياد شبوبها وفي الساعة الاخيرة بعث امبراطور روسيا من امس بافادة قاطعة الى السرب ومآلها انها اذا فتحت حربا تلتزم روسيا بان تمنع عنها المساعدات المادية والادبية على انه من المقرر ان افادة كهذه لم تكن موثرة لانها بلغت الى السرب بعد الزمان الموافق باربعة اشهر . ولم نر في كل المخابرات شيئا يدل على بذل الجهد في سبيل حمل الاماكن العاصية على القبول بتسوية سلمية

ومن الواجب ان نجعل ذلك نصب اعيننا لتفسير بقية المخابرات وتصرفات حكومتنا الانكليزية ومما يسرنا رايناه في نهاية المخابرات من اتفاق الدول على المحافظة على سياسة عدم المداخلة بين الدولة العلية والولايات العاصية . غير انه تحقق ان كل دولة صممت على ذلك مراعاة لاراء تختلف عن الاراء التي حملت دولة اخرى على التصميم عليه . اي ان غاياتها مختلفة في الجانبية . واوضح الخلاف في الراي والداهية الخلاف الجاري بين روسيا وانكلترا . فان روسيا قد اقرت منذ البداية حتى النهاية ان غايتها الكبرى تحسين احوال النصارى وفي كل حال تظهر من الاراء ما يبين عدم ارتضائها من الباب العالي . وقد ظهر ايضا انه منذ نيسان (افريل) كان الباب العالي قد صمم على الحمل على الجبل الاسود فان وزير روسيا الاول يحرض الدول بالحاح على ان تقنع الدولة العلية بالعدول عن ذلك فاجابت طلبه بالرضى . غير انه وردت في تلك الحال افادة رسمية الى وزير خارجية انكلترا فيها ان الباب العالي قد عدل عن ذلك فلم يشر بالعدول

عنهُ لعدم اللزوم. ومع ذلك طلب اليهِ مرات كثيرة بان يبين للباب العالي كدرهُ من ذلك حال كونه ما من داعٍ اليهِ. وقد قال وزير روسيا الاول بوضوح انهُ راغب في ان يمكن العصاة من الاسباب المرقية لصالحهم. والظاهر ان اللورد دربي وزير خارجية انكلترا راغب في ان يمكن الفريقين المتحاربين من الاسباب المرقية للصوالح بالعدل وان يمتنع عن ان يطلب الى الباب العالي القيام بامور لا يطالب الى العصاة ان يقوموا بما يقابلها. وفي ٢٦ نيسان (افريل) قال وزير روسيا الاول لسفير انكلترا في بلادهِ انهُ قد تقرر في عقلهِ انهُ لا سبيل الى القيام بالمخابرات بالاستناد الى الامور التي قبلها الباب العالي اي لائحة وزير النمسا ولا ضمن دائرتها. وقد قال ان الباب العالي لا يقوم بما تعهد بالقيام بهِ وان ذلك ضرب من المحال. فقال لهُ سفير انكلترا ان دول اوربا لا تقدر ان تقول للباب العالي انها قد طلبت اليهِ ان يقوم بما لا يمكن القيام بهِ. فاجاب انهُ لم يكن يظن ان الباب العالي هو في الحالة التي قد ظهر انهُ فيها. وكان اللورد دربي وزير خارجية انكلترا في اثناء ذلك يلح على الدول بان تمنع السرب والجبل الاسود عن الاشتراك في الحرب مقابلة لقبول الباب العالي مشوراتها وعن اهاجة نيران العصيان. ولم نرَ في تحريرات اللورد دربي علامة تدل على انهُ مصمم على عضد السطوة العثمانية غير انهُ رفض في كل حال المداخلة لنفع جهة دون اخرى. فهذا خبر رفض لائحة برلين المشهورة وعندنا ان المساند التي استندت حكومتنا اليها في رفضها بسيطة جداً وعملها موافق لاصحاب الاشغال. وكلم اللورد دربي سفير المانيا في لوندرا قبل ان قررت الحكومة رايها القطعي وقال لهُ اولاً انهُ من الواجب تقرير ضمانة تضمن المحافظة على الهدنة فعلاً. وانهُ من الواجب تحذير السرب والجبل الاسود قبل القيام بمفاوضة مبنية على عقد هدنة. واظهر ارتيابهُ في صحة ما طلب اجراوهُ. وقد تقرر في البند الاول انهُ من الواجب تقديم المواد اللازمة للمهاجرين لترميم كنائسهم وبيوتهم والقيام بمعاشهم مدة. وقد اعترض اللورد دربي على ذلك بقولهِ من اين يأتي بوليني بالمال اللازم للقيام بذلك. وقال بشان البند الثالث انهُ لا يرى وسيلة الى حفظ الراحة بين الاسلام والنصارى في الاماكن التي ثارت اذا جمعت الجنود العثمانية في مركز معلوم. وانهُ اذا عاد العصاة متقلدين السلاح للاجتماع بالاسلام بحسب منطوق اللائحة فربما كان ينشا عن ذلك نزاع. وقال في ختام كلامهِ ان الظاهر من شروط اللائحة الاخيرة ان الخيار كلهُ في يد العصاة. وانها تكاد تكون دعوة اصدرت اليهم بان لا يقبلوا بالتسوية وان يستمروا مجاهرين بالعصيان للحصول على مداخلات اخرى نافعة لهم. فهذه هي الاراء التي اصرت حكومة انكلترا على المحافظة عليها. وقد ظهر جلياً بتقرير السفراء الانكليز وغيرهم من المامورين انهُ عندما ادركها الاجانب اقروا بصوابيتها. اما البرنس بسمارك فقال انهُ مكدر جداً لان انكلترا امتنعت عن القبول بما قبلت بهِ سائر الدول على انهُ قال ايضاً ان تفاصيل اللائحة قابلة للتغيير.

والظاهر بالاراء التي ابانتها انكلترا في نهاية المخابرات انها كالاراء التي ابرزتها في بدائها. واهم التحريرات المنشورة تحريران يظهر بهما المركزان اللذان اتخذهما كل من وزير روسيا ووزير انكلترا فان وزير روسيا كتب الى سفيرهِ في انكلترا قائلاً ان روسيا راغبة في المحافظة على الحالة الجارية في الممالك المحروسة الشاهانية بتحسين حالة النصارى. وانهُ من الممكن الوصول الى ذلك بتقرير اتفاق بين الدول الكبيرة. وكان المقصود من لائحة برلين وضع

الضمانات اللازمة بسطوة الدول العظيمة فرفضت انكلترا القبول بذلك فبادر وزير روسيا بافتخار وادعاء بالقاء مسئولية تقرير اتفاق جديد عليها وانها اذا وجدت سبيلاً لذلك تتامل روسيا فيهِ. فاجاب وزير انكلترا بانهُ لا يعتبر الحرب حرباً جارية بين اهالي اسلام ونصارى ولكنها ذات اهمية سياسية عمومية وانهُ من الواجب اخماد الثورة وارجاع الراحة قبل اجراء اصلاح في ادارة الولايات الثائرة. وانهُ لا يدرك التدبير الذي ترغب روسيا فيهِ حال كونهِ لا يريد ان يقرر تدبيرات لادارة قوم لا يعرف احوالهم حق المعرفة. وهكذا لم تقدر احدى الدولتين على المداخلة فالتزمتا بان تتحايدا. وسياسة انكلترا المتاخرة موسسة على الميل الى عدم المداخلة. غير انهُ يصعب علينا ان نتاكد بان الذي يحمل روسيا على مجانبة المداخلة هو عدم اقتدارها على ان ترى سبيلاً للداخلة بتاثير وبالجملة نقول ان السياسة التي اظهرها وزير خارجية انكلترا في خطابهِ السابق (طبع في الجنان الماضي) هي السياسة التي قد ظهر بنشر تلك التحريرات الرسمية انها المعول عليها في انكلترا

اسبانيا

قالت جريدة التيمس قد عادت الملكة ايزابلا الاسبانيولية الى اسبانيا بعد ان صرفت ثماني سنوات في المنفى. ولاقاها ابنها ووزراوهُ في سانتاندار بكل اكرام واحترام وكان وصولها مرافقاً بالرسوم الدينية التي لا تنفك عن مرافقة اعظم اعمال بوربون اسبانيا واصغرها. ولا ريب في ان مجيئها يوطد امال بعض الناس ويوقع الخوف في قلب البعض الاخر. ومن المعلوم ان حزب خدمة الدين لا يقدر ان ينكر انها حافظت على صداقتهم بالباطن بل بالظاهر ايضاً ولا ان بلاطها مع انهُ لم يكن بحسب المرام كان اشد بلاط في اوربا تمسكاً بالكثلكة وانهُ لم يرتب احد تطاشمسكها الديني وحبها للباباوية وقد سلم بصحة ذلك الد اعدائها وانهُ اذا صدرت اعمال من حكومتها غير موافقة للكنيسة يكون سببها ميل وزرائها الى الحرية. وقد استحقت ما ميزها بهِ حضرة البابا عند خلعها. ولذلك قد اخذ الحزب الديني في ان ينظر اليها بعين الامل لعلمهِ انها عضد له وعون ولا تقدر ان تهمل اصدقاءها في هذه الايام التي حلت عليهم فيها المصائب. ولا تظن انهم كانوا يعلنون املهم برجوعها الى العرش الذي طردت منهُ ولكنهم طالما ظنوا ان رجوعها الى مدريد يكون نفوذ سطوتها في ابنها الملك قدر نفوذ سطوة امها فيها منذ ثلثين سنة. وقد تقرر في عقلهم انها تكون قوة عظيمة غير منظورة قادرة ان تلقي في الفشل اجراءات الوزراء الموسسة على الحرية بدون ان تكون مسئولة نظامياً في ذلك الى المجلس العالي ولا الى الامة. وانما ذلك موافق كل الموافقة لحزب طالما اظهر من الحذق في المداخلات ما اظهر في كل زمان ومكان. ولذلك لم يقدر ملك اسبانيا ابنها ووزراوهُ ان يسمحوا لها بالرجوع في بداية اعادة الملك اليهِ ولو راموا موافقة في ذلك من جهات اخرى

اما الان فقد اجتهدت هي واجتهد الوزراء كلهم في ان يبينوا انها تكاد تكون كزائرة من الغرباء وعوضاً عن ان تذهب حالاً الى مدريد ستصرف خمسة عشر يوماً في الحمامات في اونتبداتم تصرف باقي الفصل في سانتندار ولا تذهب الى عاصمة اسبانيا الا في اواخر شهر ايلول (سبتمبر) ولا تطيل الاقامة فيها مع انهُ يقال انها تحب جداً ان تقطنها. وقد قيل بتاكيد انها تذهب الى اشبيلية بعد ان تقيم مدة قصيرة هنالك فتاتيها اليها اختها دوقة مونتبانسيه وان المنتظر صرفها الشتاء القادم في باريز. فهذا هو ما نشرناهُ في جريدة نقلاً عن رسالة واردة الينا من

مكاتب فرنساوي وقد ثبت ذلك بعض التثبيت بالتحرير الذي بعثت بهِ الى المرشال مكماهون رئيس جمهورية فرنسا وقد قالت فيهِ انها ذاهبة لترى اولادها غير انها ستبقى منزلها في باريز لتصرف ايامها في بلاد مولدها وبلاد منفاها . وقد تمكنت بذلك التحرير من ان تقوم بوعد جليل مآلهُ انهُ ما من شيء ابعد عن افكارها من تكدير راحة البلاد الاسبانيولية وقد قال ذلك المكاتب الفرنسوي ان المقصود من ذهابها الى مدريد تدبير عقد زواج ابنها الملك على قريبتهِ الانفانتا مرسيدس كريمة الدوق مونتابنسيه ومنذ ٣٠ سنة كان رجال سياسة انكلترا يخافون ان تصير سطوة فرنسا نافذة نفوذاً ذا خطر في اسبانيا اذا تزوج الدوق المشار اليهِ شقيقة الملكة الفتية وظن موسيو كيزو الفرنسوي انهُ جاء بعمل سياسي عظيم عند ما تمكن من تزويج البرنس الفرنساوي بتلك البرنسة الاسبانيولية وكان يقال انهُ ينتظر حلول يوم يكون فيهِ حفيد او حفيدة الملك لويس فيليب الفرنسوي ملكاً او ملكة في اسبانيا بواسطة الزواج المذكور . واذا تزوج الملك الفونسو الاسبانيولي بالانفانتا المشار اليها تم بعض امال موسيو كيزو غير انهُ لا يتم شيء سياسي منها لاسباب نشهد ببطلان الامال البشرية . فان الملكية التي كان يحاول نفعها بذلك الزواج قد زالت وقد تغيرت فرنسا التي كان يحاول نفعها واسبانيا التي كان يجتهد في سبيل قيادتها قد امست بعيدة عن تدبيراتهِ النظامية وقد اصبح رجال السياسة في فرنسا وانكلترا في الحال لا يهتمون في جعل اسبانيا ميداناً لحرب سياسية المقصود منها الفوز بالسبق في النفوذ السياسي .

هذا ولا ينتظر ان تبقى الملكة ايزابلا مبتعدة عن السياسة الاسبانيولية ولا تزال ذات نفوذ عظيم فيها فانها محبوبة عند الفلاحين ولم تخسر محبتهم عند وقوع اشد اللوم عليها وعندهم انها لم تنفك عن ان تكون اسبانيولية الميل ولئن كانت تقصيراتها كثيرة وهذا مهم في بلاد لم تقبل بان تثبت الملك اميدو الايطالياني ولو ابان انهُ احذق ملوك الدنيا واقدرهم ولا ينتظر ان يغض حزب خدمة الدين النظر عن الانتفاع بنفوذها المذكور ولا بد من ان يحرك فيها حاسياتها الدينية والسياسية . واهم الحوادث السياسية في اسبانيا تكون في الاستقبال القريب المضادات التي تجري بين المحامين عن منع اطلاق الحرية واهل الحرية ولا ريب في انها تدعى للدفاع عن الكنيسة ويقال لها انهُ من الواجب ان تقطع النظر عن تدبيرات رجال السياسة الوقتية وان تحزب للغايات العالية المقدسة بالدين وان اسبانيا حصن الكثلكة الاخير وان صوالح الجنس البشري تقع في ضرر عظيم اذا انحدت الكنيسة مع ذلك الكفر الذي يستر نفسهُ بستار يسمى بالاحتمال الديني . ويهيجون فيها حب انفاذ السطوة الذي تقوى فيها بالملك فيها سنين كثيرة . ولا نلام كل اللوم اذا دبرت ما جعل تمالك منزل في باريز موافقاً لانفاذ سطوة سياسية في مدريد عاصمة اسبانيا . ومما يستغرب منها ان لا يظهر منها ميل الى ارجاع سطوتها ولا نقول ارجاع تاجها ومادامت شديدة التمسك بالكثلكة لا ينتظر منها ان تسكن عند انتشاب القتال السياسي بين حزب الدين وحزب الحرية في مدريد . وربما كان يقال ان مرارة المنفى قد علمتها اموراً تردعها . غير اننا لا نرى ما يدل على انها البون من سائر بوربون اسبانيا ولو كانت من اللواتي ينتفعن بالاختبار لما خلعت وفي من كان عقلها كعقلها تكون الحكمة اقل تاثيراً فيها من انذارات المنبر وكرسي الاعتراف . اما اقتدارها على انفاذ سطوة ذات خطر فيتوقف على اطالة اقامتها في مدريد وتكرار حضورها اليها وعلى احتياجات رجال السياسة

العسكر يتب . غير ان مشيري الملك الفونسو يرون بسهولة الواجبات المفروضة عليهم . فانهم يعلمون انهم يسوسون بلادًا اكثرها لا يزال اشد اهالي اوربا تمسكًا بالكثلكة وانها قد باتت موثرة جدًّا باراء الحرية ولذلك لا بد لهم في كل حال من افراغ الجهد في سبيل تقرير الموافقات بين الحزبين . فلا يقدرون ان يكونوا متعصبين كحزب خدمة الدين ولا ان ينفذوا ما يرغب فيهِ اهل المدن الكبيرة . فانهُ معلوم عندهم ان اسبانيا قد ضربت في السنين المتاخرة بتجاوز اهل الحرية حدود الاعتدال كما ضربت بتعصب حزب خدمة الدين . وقد كادت تسقط بالثورات المتتابعة ولا تثبت ملكيتها الا بمجانبة كل ما يسوق الى ذلك . وربما كان طرد الملكة ايزابلا في الماضي من الامور التي لا سبيل الى مجانبتها غير انهُ عقبهُ سنين اتعاب كثيرة حتى ان نفس اهل الحرية ربما كانوا يودون ان يبطلوا ما عملوهُ مما جاء بخلعها . والسبيل الوحيد لكل رجل اسبانيولي يستحق ان يسمى برجل سياسة هو ان ياخذ سلاح الحزبين الغير المعتدلين بالتقريرات المعتدلة والامتناع عن التعديات . وبما ان الملكة قد ذهبت الى اسبانيا سياخذ الحكما في التاهب للمداخلات غير انهم سيحاولون تضعيف مخاوف الحزب الكاثوليكي ويظهرون للجميع ان سبيل التعديات سبيل الخراب . واذا فازوا بنجاح قليل لا ينبغي ان يخافوا مجي الملكة ايزابلا الشديدة التمسك بالكثلكة والرغبة في انفاذ السطوة . على ان اسبانيا بلاد مخفية الاحوال فلا نقدر ان نخمن نتائج اعمال الوزراء او نفوذ الملكة ايزابلا

حل لغز جرجس افندي مخائيل نحاس

(من قلم سليم افندي عنحوري)

يا روض علم جرت ازهارهُ فزهت
ازهارهُ ونمى فيهِ الشذا ونفح
بالروح افدي محوقًا انت منيتها
اهدت الينا بصحاف الصحف خير لمح

وقد ورد حلهُ نثرًا من جناب كاتب مجلس دعاوي اللاذقية فنشرنا السابق من الحلين .

لغز

(من قلم عاصي افندي عاصي بحروفها)

افهم يا فهيم لما حدثني زحل صاحب القول والعمل انهُ قد ظفرت اسود الغاب في بنات الوشام سابلين اللثام جالسين على كراس من زان وعلى راس كل منهن اربعة تيجان مكللين باللولو والمرجان هذا وقد جاش الهوا في الجو واسمع يا صاح قد تدافقت الارياح وصار لها ضجيج وصياح وكل عاشق على معشوقهِ قد ناح لما تفتلت بينهم تلك الرماح وكل فارس على خصمهِ قد طبق وصاح وجردوا تلك السيوف الصحاح لما تلاطمت الجيوش بالجيوش على خيولها الحمراء حتى كادت تهبط السماء وقد طال العويل والبكا وصار كلٌّ يطلب الوفاء الوفاء هذا وقد سرى سر النسيم اليهم وبدا ينعطف عليهم ويقول يا سادات العشائر من هيج فيكم هذا الزفير حتى كل عاشق في معشوقهِ كاد يطاير انظروا الماقد حدث وكفوا لان هذا عبث فقد نفذ سر الهوى فغدا يهد القوى وبدا يحرك القلوب في حركتهِ حتى كادت تذوب ولا سيما لما تمايل ولاح وتنهد وصاح اشرعوا في تدوير طاسات الافراح فشرعوا يشربون فيها بنات الحان ويتناشدون تلك الالحان ويتذكرون في حوادث الزمان حتى ذكروا حديثًا معجبًا وامرًا مغربًا وهو انهُ قد والدت بنت من دون اب وام ولا شي لابد ونها

يتم لكنها اذا قطع راسها تصير صبيًا مسكوبيًا يونانيًا
فرنسويًا ايطاليانيًا تركيًا عبرانيًا انكليزيًا رومانيًا
ارمنيًا سريانيًا غسويًا اميركانيًا صينيًا هنديًا عجميًا
كرديًا قبطيًا زنجيًا هرسكيًا سربيًا طبيعيًا مسيحيًا
عربيًا مصريًا كل العالم من يده والحيوان والنبات
من رجله مسكنه السماء والارض وراسه في الشرق
وذنبه في الغرب يده اليمنى في الشمال واليسرى في
القبلة وان ردّ اليها تصير امراة لا زوج لها حيوانية
انسانية روحانية شيطانية جسدانية علانيــة واحدة
موجودة عابدة معبودة فاهمة مفهومة عارفة معروفة
حاسدة محسودة حاكمة محكومة رئيسة مرووسة قوية
ضعيفة ثقيلة خفيفة لطيفة كثيفة عفيفة انيسة عزيزة
حقيرة آكلة ماكولة خائفة مخوفة جارحة مجروحة قاتلة
مقتولة الانسان بخمس حواس وهي بسبع فزاد الله
اثنتين فيها فاذا فارقتاها تموت وتفنى وتتغير
قوافيها وتعدم مبانيها واذا رد اليها ونفخ فيها بروح
العلم باذن الله تحيا وتصير انسانًا اكولاً شروبًا ذا
نفس حية وحروف اسمها المعروفة اربعة غير المحذوفة
انظر تراهُ في الشمس والقمر والنبات والحجر والنار
والهوا والتراب والماء وفي راسك واذنيك وانفك
وعينيك وذوقك وفيك فقلت لها ايتها الكرة اللامعة
والحكمة المجموعة انفعالاته قد اذهلتني هذه السيرة
وطرحتني في بحر الدهشة والحيرة فكيف تولد بنت
من غير اب وام وكل هذه الاشيا بها تتم فقالت سمعت
هذا نثرًا فخذ بعض ما قلته في عشقها نظمًا فانشدت
مغنية تقول

لولا شرابي الخمر من خمراتها
ما زال شوقي في جنى تحلاتها
شمس اذا ما لت على غصن النقا
احييت رميم الوجد من ورداتها
افديتها حتى ترى اني على
عهدي مقيم في هوى جناتها
روحي وعيني في لواحظها غدت
تحكي نجوم العرش في آياتها
ان اسفرت عن وجهها زادت بنا
شوقًا لما يسري الى عطراتها
ما لت ولي في ميلها روح غدت
في عشقها تصلي على جمراتها
اولم يكن حبي لها فخروفي
قلبي خفوق من هوى شاماتها
ما هزني شوقي الى ميل الهوى
حتى ولا استثنيت من لذاتها
زار الهوى نار الحشا فاستقطرت
دمعي دمًا جاريًا على نوناتها
ناقشتها عن جوهرها لت نعم
فرد سرى مني الى ابياتها
حتى خلت عشاقنا من اهلها
قد اعربت سرًّا الى ساداتها
انا أت لياليٍ وصلنا من بعدها
نون وفيها سين من لاماتها
قد غازلتني عن وصال قد مضى
تركية وافت على عاداتها
ما لي وما برد الحشا قد ارسلت
طيف الكرى يختال في روضاتها
اذ قد جنى دمعي عيوني قد سرى
طيفي بها يسطو على بازاتها
من دمعها قد اطفأت زفراتها
دمعاتها سالت على خالاتها
من لم يكن في عشقها يثني على
ذل الهوى لطفًا الى زيناتها
روح غدا نور بدا امر جرى
سرٌّ سري يشفي الى علاتها

هل من راى شمس الضحى قد اولدت

ابنًا بدا يصبو الى لبنانها

قد جيرت ما حيرت في عشقها

بنت وما مالت الى شهواتها

الكل منها ثم فيها قد دعي

عشق وصدٌّ كان من حسنانها

فود الملا في حبها كيف انتهى

حتى طوى نونين في سناتها

ثم قالت خذ هذا الجواب واعرضهُ لذوي الالباب وان كنت عاجزًا فعليك بالجنان معدن حكمة الحكماء وكنز سرائر الفضلاء ومرآة الادباء والاذكياء الذي اسمهُ قد دوخ الامصار وتفرد بالاعصر والادهار وان اتى بالجواب من ذوي الانجاب اعود واقص عليك حديث عطارد الذي هو اعجب العجاب وقد تم الخطاب وودعني وغاب وهو ينشد مترغمًا

يا قارئًا لغزًا فكن متاملا

فيهِ ترى سرًّا بدا متهللا

رفقي ترى روحًا سرى يجلو الى

فكر الورى نورًا اتى متكملا

انظر ترى حقًّا جرى يا فاهمًا

امرًا خفيًّا لم يزل متأولا

عين بها سين فما الف ودا

لٌ افطرت دمعي دمًا متحللا

في شرعها حكمت على جسمي الضنا

في عشقها صب غدا متغزلا

اكفف دموعك واكتفي ما جرى

ان الملا ما لم يزل مترملا

التعليم

(من قلم سليم افندي بستاني)

لا يخفى اننا في احد اجزاء الجنان قد قررنا جملة مطولة بخصوص التعليم واوصلناها الى زمان العرب ووعدنا بتقرير الافادات المتعلقة بما تبع ذلك من الازمان مع تواريخها مستندين الى اصح التواريخ والآراء فنقول ان المسيحيين الاولين لم يكونوا يقدرون ان يقيموا مدارس مخصوصة لتعليم اولادهم ولذلك كانوا يعلمونهم في بيوتهم او يرسلونهم الى مدارس وثنية وبشهرة والدات يوحنا فم الذهب وغريغوريوس واوغسطينوس وغيرهم دليل على اعتناء الامهات المسيحيات بتعليم اولادهن فانهن علمن المذكورين من مشاهير علماء النصرانية وغيرهم منهم . وكانت بناتهن يشتركن في التعليم . ومع ذلك كان الذين يرغبون في الانتظام في سلك العلماء فيهم يدخلون المدارس المختصة بالوثنيين واشهرها في القرن الثالث للميلاد مدرسة الاسكندرية فانهُ اجتمع فيها عدد غفير من الوثنيين والاسرائيليين والنصارى طالبين العلوم معًا . وبجانب تلك المدرسة القديمة شيدت مدرسة لعلم اللاهوت المسيحي سنة ١٨١ في الاسكندرية حتى انهُ صار فيها علمًا منتظمًا مرتبًا . وكان المقصود منها تعليم الشبان الوعظ غير انهم كانوا يعلمونهم مع اللاهوت المنطق والفصاحة والطبيعيات وغيرها من مثقفات العقول وكان اوريجانوس من اشهر رؤسائها فنفي من الاسكندرية سنة ٢٣١ للميلاد فسار الى قيصرية وانشا فيها مدرسة كتلك المدرسة والقديس باسيليوس من تلاميذها . ومن تلاميذ مدرسة انطاكية يوحنا فم الذهب وثيودوروس . وكانت التوراة والانجيل في كل المدارس المسيحية موضوع التعليم الاساسي حتى ان تعلم المعارف بات محصورًا في ما يتعلق منها باللاهوت . اما في الغرب فبقيت المدارس الوثنية الى القرن الخامس للميلاد وذلك في اعظم المدن كرومية وميلان ومرسيليا وليون وغيرها . وبسبب قلة المدارس المسيحية في

ذلك الزمان كان كثيراً ما يجتمع الطلبة الى العلماء ويسمعون التعليم شفاهاً عوضاً عن التعليم بمطالعة كتب مخصوصة . وفي اوائل القرن الخامس اخذت المعارف المسيحية في ان تلتجي الى الاديرة التي اقيمت في الشرق للتنحي عن العالم والعامل . وفي الغرب للراحة والاتحاد في وسط اضطرابات الهيئة الاجتماعية فاصبحت كمركز للذين كانوا يرغبون في ان يعيشوا لينفاوضوا ويتمرنوا معاً . وفي تلك الاديرة دير تور ومرسيليا ولارين وغيرها وكانت مدارس حكمية متعلقة بالدين المسيحي وكثرت فيها المجادلات والمحاورات بخصوص حرية الارادة والقدر والنعمة والخطية الموروثة من آدم عليه السلام . حتى انه تقرر في مدرسة لارين ومدرسة جزيرة هياريس وها ديران تعاليم بيلاجيوس مدة نصف قرن . وهي انه ما من خطية اصلية وان الارادة حرة والثواب للاعمال الجيدة . وفي القرن السادس والسابع للميلاد اصبحت المدارس ذات رتب ثلث وهي مدارس الدائرة الكهنوتية ومدارس الاسقفيات ومدارس الاديرة فكانت الاولى في بيوت الكهنة وتحت مناظرتهم وكان المقصود منها تعليم الذين يقومون بالقراة في الكنائس وكان التعليم فيها يكاد يكون محصوراً في تعليم قراة بعض جمل من التوراة والانجيل . اما التعليم في المدرسة الاسقفية فكان اعلى وكان يجري في الغالب تحت ادارة الاسقف نفسه وكانت لتعليم الكهنة غير انه كان يعلم فيها بعض الفتيان من الامراء واهم دروسها كانت الامور المدنية . اما المدارس الديرية فكانت للاولاد الذين يخصصون انفسهم للعيشة في القيام بخدمة الدين او الذين كانوا يصممون على ان يعيشوا في الدنيا وكانوا يتعلمون فيها القراة ونسخ الكتب وفهم اللاتينية . وكانت كثيرة جداً وتعلم الذكور والاناث وكان نظام اكثر مدارس البنات حسب

قانون القديس بنيدكتوس . وكان في دير ارلس نحو مائتي راهبة تشتغل في نسخ الكتب الدينية واحياناً في نسخ تاليفات القدماء . وكانت اديرة ايرلاندا سابقة كل الاديرة في المحافظة على العلوم فانه جرت فيها سبعة علوم وهي النحو والصرف والفصاحة والحساب والهندسة والفلك والموسيقى وذلك في القرن السادس غير ان العلوم كانت غير مرتبة ولا منظمة مبنية على اوهام كثيرة . وكان القرن السابع زمان ظلام العقول في اوربا ولم تبتدي في ان ترى النور وتتقدم الا في ايام الملك شارلمان في اواخر القرن الثامن فانه دعا اليه الكوين من دير يورك واكليمنطوس من دير ايرلاندا وثيودلفوس من المانيا وارجع المدرسة الغالية حيث كان اولاده يتعلمون ومعهم بعض اولاد الامراء وكانت هذه المدرسة منتقلة بانتقاله فانه لم يدعها تفارقه وسميت بالمدرسة الملكية واعضاؤها سموا انفسهم وهم يتعاطون المطالعة والدرس فيها باسماء ماخوذة من الكتب المقدسة او من التواريخ . فسمي شارلمان فيها باسم داود والكوين هوراس وانجلبرت باوميروس وهكذا . وكان يعلم في هذه المدرسة وبعدها في توروفولدا كل العلوم التي كانت جارية في ذلك الزمان . وانشا ذلك الملك مدارس في كل اسقفية ودير وكان يعلم فيها القراة والترتيل والحساب والصرف والنحو وتعلم المزامير غيباً . وانشا مدرستين في سواسون وميتس لمجرد تعليم الترتيل الكنائسي وجعلها تحت ادارة معلمين من الايطاليان . وبعث باعلانين الى الواعظين الدينيين الكائنين ضمن بلاده والى الاب بانكولف رئيس رهبنته وقال فيها انه لا بد من ان يعلم خدمة الدين علوماً ارفع من علوم العامة ومن تكثير النسخ الصحيحة من التوراة والانجيل والكتب اللاتينية العلمية . وكان ينعم بالرتب العالية والعطايا الجزيلة على الاديرة والرهبان الذين كانوا يفوقون

غيرهم بنسخ كتب نسخاً جميلاً متقناً . وفي ايامهِ صار الرجوع الى تعلم اللغة اليونانية حتى انهُ تقرر في شروط مدرسة اوسنابروك بان يكون فيها على الدوام كتبة عارفون حق المعرفة بتلك اللغة . واراد ان يرقي اسباب تعلم اللغة الالمانية وان يهذبها و ينظمها فجمع الاغاني الالمانية العمومية غير انهُ لم ينجح في ذلك . ولم يشترك خدمة الدين معهُ في هذا الراي لانهم كانوا يقولون ان اللغة الالمانية لغة بربرية من اثار الاديان الوثنية وان الاولى محوها . و بعد الملك شارلمان باقل من قرن اخذ الملك الفراد الانكليزي في اذاعة المعارف في انكلترا بعد ان كادت تمحى بواسطة فتوحات الدانمركيين فيها فانهم نهبوا مكاتب كثيرة غنية جداً من الكنائس والاديرة . ولما تبوأ تخت الملك لم يكن في كل اسكس من يقدر ان يترجم كتاباً لاتينياً فدعا الى بلاطهِ اشهر العلماء وشرع في ان يترجم كتباً لاتينية الى اللغة الانكليزية الساكسونية بيده . وانشا مدارس في جهات مختلفة من مملكتهِ وامر بانهُ من واجبات كل انسان حر ان يعلم اولادهُ اذا كان قادراً على ذلك القراءة والكتابة وان يتعلم الذين يقصدون الدخول في الخدمة الدينية اللاتينية ايضاً . غير ان الاجتهادات التي صرفها في نشر المعارف وانهاض الامة من وهدة الجهل والتاخر المادي والادبي ذهبت سدى بعد موتهِ كاجتهادات شارلمان في فرنسا وحل بعد ذلك ظلام القرن العاشر الذي فيهِ فقد نور كل المعارف من اوربا . غير انهُ كان في المانيا في ذلك العصر عدد ليس بقليل من خدمة الدين الذين كانوا عارفين بالعلوم ومحافظين على الفضائل . فانهُ كان يعلَّم في مدرسة بادربورن العلوم السبعة وكان يسمح بقراءة تاليفات اوميروس وفرجيليوس وكان القوم يعرفون صناعة التصوير و ينظمون الاشعار وكذلك في مدرسة فولدا . ولكن كان التعليم يجري بواسطة اللغة اللاتينية حال كون الاهالي كانوا يجهلونها ولكن لم تكن العامة تفوز بالحصول على شيء منها لتتهذب وتتثقف عقولها وتخرج من ظلام الجهالة . وكان قليلون من الذين ليسوا بكهنة يعرفون فن الكتابة ولذلك كان يسمى بفن خدمة الدين . وكانت القراطيس ذات اثمان مرتفعة جداً والحبر قليلاً جداً حتى بعد ذلك بقرنين افرغ بترارك جهدهُ قبل ان وجد قليلاً منهُ في ليباج

اما رجوع الحكمة والعلوم والشعر والتمدن كلهِ مع متعلقاتهِ الى اوربا فكان ابتداؤهُ في القرن السادس عشر فان البداية التي ظهرت حينئذٍ هي الشرارة التي اتت بالنيران الكثيرة التي انارت بالعلوم والمعارف والمدارس الاقطار الاوربية في القرن الرابع عشر والخامس عشر . ولم ترجع اوربا الى ذلك النجاح من تلقاء نفسها ولكن العرب هم الذين ارجعوا المعارف والتمدن والتهذيب والصنائع اليها وذلك بواسطة ذهاب الافرنج الى مدارس العرب الناجحة في اسبانيا بعد ذهاب جربرتوس الذي صار بابا اليها وتعلموا فيها العلوم العالية ونقلوها من هناك الى فرنسا وانكلترا فان العرب هم الذين مكنوا الافرنج في بادي الامر من الوقوف على كتابات ارسطاطاليس فانهم ترجموها عنهم و بهذه الواسطة فضلوا فصاحة كتاباتهِ على كتابات القديس اوغسطينوس . وتقدم مقاطعة بروفنس من فرنسا انما كان بواسطة اتصاليات اهلها مع العرب في شمالي اسبانيا . فان الابطال الذين كانوا يتعلمون فنون الحرب كان يلزم لهم تربية تهذيبية وجسدية اكثر مما تلزم لهم التربية العقلية . فان اولاد الاعيان كانوا يتعلمون فنون الحرب و يسمون ابطالاً فكانوا يتربون في قلاع الامرا العظام و يقومون بكل ما من شانهِ تقوية الجسد وتنشيطهُ وادارة السلاح و يتعودون التهذيب والطاعة للامير ولمولاتهم الاميرة

فتقوى فيهم عناصر الحمية والهمة والبسالة والاقدام والكرم والحب والافتخار. حتى ان كثيرين من اعظم الابطال واكرمهم كانوا لا يعرفون القراة. فالمعارف التي جرت في ولاية بروفانس الفرنساوية المذكورة كانت مبنية على قواعد البسالة والابطال وكانت دليلاً واضحاً مدهشاً متعلقاً بتهذيب الاخلاق واللغة بدون علوم. ومباحير العقول المنظومات التي كانت جارية في ذلك الزمان في بروفانس وغيرها فانها خالية من المعارف كلها فانهُ لا يذكر فيها شيءٌ من التاريخ ولا عادات اجنبية ولا فنون فهي كلها عبارة عن وصف حاسيات او حب او شجاعة او اقدام او كرم او جمال او غير ذلك مما يشعر بهِ الانسان بالطبع او براهُ حال كونهِ خالياً من المعارف وعالماً باللغة وباصول النظم. ومن القرن الثاني عشر والثالث عشر تأسست ٢٣ مدرسة عالية منها مدرسة باريز ومونتبالبه واكسفورد وكامبروج وبولونا وسالرنو وبادوا ورومية وسالامانكا ولسبون . واشتهرت مدرسة بولونا باذاعة العلوم القانونية والنظامية حتى ان علماءها وطلبتها كانوا ياتون من كل اقطار اوربا الى لومباردي قاصدين المدرسة المذكورة. واشتهرت مدرسة باريز في علم اللاهوت ولم تناظرها مدرسة اخرى فيهِ مناظرة قرينة لها ومدرسة مونتبالبه بالطب فروسلين ووليم من شامبوكانا اول المعلمين في المدارس في ذلك الزمان الذين اشتهروا جداً وتلميذهما ابيلارد كان يجذب الوفاً الى باريز لاستماع خطبهِ فافاد العالم المسيحي ببلاغتهِ وحرك في قلوب الناس شفقة وغيرة . على انهُ جرى جدال بينهُ وبين القديس برناردوس واقيم مجمع ديني لفحص اسباب الخلاف وحكم ببطلان بعض ارائهِ وبارسالهِ الى دير ليقيم فيهِ ومع ذلك تبعهُ تلامذتهُ الى ذلك الدير في البرية وجعلوا للدير اهمية عليه . وبطرس لومباردوس من تلاميذه وهو مولف كتاب الجمل الذي اشتهر امرهُ واي اشتهار . وزاد انتشار المدارس بواسطة انشاءات الرهبنة الدومينيكية والرهبنة الفرنسيسكانية . غير ان البعض من اهل النفوذ كانوا يضادون المدارس ويحاولون ترقية اسباب التقوى دون العلوم واشهرهم القديس برناردوس وتوماس كمبيسيوس ولم ينج تلاميذ المدارس العالية في ذلك الزمان من اللوم والطعن مع ان كثيرين منهم كانوا قد نبغوا في المعارف والعلوم والاداب فانهُ كان يقال انهم كانوا ياتون محلات الاكل طلباً للماكل الفاخرة ومحلات الرقص ويسيرون في الاسواق ليلاً ضاجين ومرتلين . وانهم كانوا يذهبون من مدرسة عالية الى مدرسة ليس لاكتساب العلوم ولكن ليفتخروا انهم درسوا في باريز وبولونا او بافيا وانهم كانوا يجمعون المكاتب الكثيرة الكتب ويلبسون ملابس الحكما ليحصلوا على اعتبار اهل العلم حال كونهم لم يجمعوا في صدورهم شيئاً منهُ . ويقال ان ادارة المدارس الصغيرة كانت بئس الادارة فان الاساقفة لم يكونوا يناظرون حق المناظرة على معلميها . وكان بعض الاولاد من تلاميذ المدارس الابتدائية يقتدون بالفتيان الذين كانوا تلاميذ المدارس العالية بالذهاب اقواماً اقواماً من مدرسة الى مدرسة متسولين وسارقين ومرتلين امام البيوت هذا مع ان المعلمين كانوا يكثرون من استعمال الضرب حتى انهُ كان في اكثر الكتب المدرسية صورة معلم جالس وفي يدهِ عصا تاديب . وجعلوا لها اي للعصا عيداً ينسب اليها وكان الصبيان والبنات يذهبون فيهِ الى البرية ليقطعوا قضباناً وياتوا بها الى المعلم وهم يغنون اغنية فيها وصف التاديب الذي كان يقوم بهِ المعلم بواسطتها

اما المدارس للاناث فاخذت في الانحطاط قبل الزمان الذي اخذت العلوم فيهِ في ان تنتشر . فانهُ لم يكن لهن غير مدارس قليلة في المدن الكبيرة

لتعليم القراءة والراهبات لم يكن يتعلمن غير الصلوات والتطريز والخياطة . وقد قال احد كتاب القرن الثالث عشر ان تعليم البنات ينبغي ان يجعلهن يعرفن ان يصلين الى الله وان يقمن بواجبات محبة الرجل وان يتعلمن الخياطة والحياكة بالايدي . حتى انه من زمان هلواز المنكودة الحظ التي كانت تعلم العلوم اليونانية واللاتينية لراهباتها الى اواخر القرن الخامس عشر لم تشتهر امراة بالمعارف في غربي اوربا الاكريستيانا من بيزا

وعند قرب زمان سقوط الامبراطورية الرومانية الشرقية المنسوبة الى بيزنتيوم وهي القسطنطينية القديمة التجا العلماء اليونانيون الذين حفظوا بعض العلوم القديمة الى ايطاليا حيث كان قد استفاق الناس الى نفع المعارف بواسطة دانتيوس وبترارخوس وغيرهما حتى ان علماء مجتهدين كانوا يصرفون زمانهم في البحث عن الكتب القديمة وترجيع علم اللغة الى ما كان عليه من الاتقان . ومن الذين فاقوا اقرانهم في الاشتهار بالتعليم فيكتور بنو رامبالدوني الذي ولد سنة ١٢٧٨ وادار مدارس بتتابع في بادوا والبندقية ومانتوا فكان ياتيها طلبة من فرنسا والمانيا و بلاد اليونان غير انه لم يدخل مدارسه غير الحاذقين منهم ولم يولف كتباً على ان حذقه في التعليم واقتداره على ادراك صفات الطلبة جعله مشهوراً بفن التدريس قرونًا . وكان قد تقرر في عقله ان اتقان درس الكتب المدرسية كاف للتعليم . ومن الايطاليان الذين كتبوا في التعليم في القرن الخامس عشر فرجري و بوجيو و براسيوليني وفيجي وانياس وسلفيوس ثم البابا بيوس الثاني وانتشر درس الكتب المدرسية بانتظام من ايطاليا في سائر البلدان الاوربية . ووقع جدال ومناظرة بين الذين كانوا يعلمون بواسطة المدارس والذين كانوا يعلمون بدونها ويضادونها فطال امرها وبين الارسطاطاليسيين الذين كان منهم اكثر العلماء من خدمة الدين والافلاطونيين الذين كان منهم اكثر علماء المعاني والبيان وعلوم اخرى تكميلية . فكتب ضد المدارس اكريكولا الالماني وفالا الايطاليانى وعلى الخصوص راموس الفرنساوي . وكان الذين يسمون انفسهم بالمصلحين يضادونها واليسوعيون يعضدونها . اما الذين رقوا اسباب الرياضيات فهم بوربـاخ ورجيومونتانوس ونقولا طاساوس . والذين ارجعوا اهمية التعليم المدرسين هم نقولا دو كلمنجس وغريغوريوس تفرناس في فرنسا وفيفلي وكوالت في انكلترا ولابركسا في اسبانيا وروشلين في المانيا . وكذلك اخوة التقوى في الحيوة العمومية نشروا ذلك نشرًا عامًا واول من اسس مدارسهم جراردوس دوروت في ذفنتار سنة ١٤٠٠ . فانهم انشأوا المدارس في هولاندا والمانيا واشتهروا بالتقوى والعلوم حتى ان الطلبة كانوا ياتون مدارسهم من كل الاقطار حتى من ايطاليا . ومن تلاميذهم توماس كمبس وغيره من الذين تداخلوا في امور دينية وفي سنة ١٤٨٣ وضعت قوانين صارمة جدا بربرية في مدرسة مونتاك العالية حيث التزم التلاميذ بان يجمعوا بين الشغل والصوم واحتمال القصاصات الشديدة جدًا . ومع ذلك خرج منها علما منهم ايراسموس ولويولا وكالفينوس وزمان اشتهار العلوم في البلجيك كان في ايام البرتوس وابرابلا وذلك في الربع الاول من القرن السابع عشر . حتى ان مدرسة لوفان اصبحت مركزًا لعلوم كثيرة وخرج منها تلاميذ كثيرون واشتهر امرها حتى اجتمع فيها سنة ١٥٧٠ ثمانية الاف تلميذ ولما ظهر لوثاروس بالآراء الدينية المضادة لآراء الكنيسة الكاثوليكية في امور كثيرة اعتنى بنشر المعارف ايضًا وسنة ١٥٢٨ ساعده ميلانشون في وضع نظام للتدريس اجري في مدارس المانيا البروتستانتية الى نهاية ذلك القرن . فكانوا يعلمون

الصف الاول القراة وتعلم بعض كتابات غيباً والكتابة والترتيل والابتدا في درس اللغة اللاتينية . والصف الثاني كان يتعلم اللاتيني والصرف والنحو والموسيقى ساعة في النهار والترجمة وحفظ بعض المزامير وغيره غيباً . وكانت تقال جملة لاتينية وجملة المانية على مسمع من التلاميذ عند صرفهم ليلاً وكانوا ملزومين بتسميعها غيباً في الغد . والصف الثالث كان يدرس الشعر اللاتيني ويتمرن في البديع والبيان واللغة وكان يلتزم بان يتكلم باللغة اللاتينية وان يكتب تمريناً بهامرة في الاسبوع وطعن لوثاروس في كيفية التعليم الارسطاطاليسي والمدرسي الذي كان جارياً واشار بانشا مكتبة في كل بلدة . ومن الذين رقوا اسباب نشر المعارف زونجليوس وكالفينوس الذي انشا بناية عظيمة للتعليم في جنيفا واتاها بثمانية مدرسين للعبرانية واليونانية والحكمة واللاهوت . وفي ذلك الزمان اصبحت مدرسة استراسبورج اعظم مدرسة في اوربا وكانت تحت رياسة جوان استورم وكان فيها سنة ١٥٧٨ اكثر من الف تلميذ منهم ثلثمائة من اولاد الملوك والامرا . ومن فوائدها اصلاح الذوق العلمي لان رئيسها المذكور علم فيها اللاتينية واليونانية ليتمكن المتعلم من الانتفاع بها وليس لمجرد تسهيل تعلم اللاهوت . فابطل كل الكتابات التي كانت باللاتينية البربرية وكان يحرض الاولاد من سن السبع سنين بان يتكلموا بالجمل الشيشارونية وجعلهم يحفظون جملاً من الكتب قبل اتقان الصرف والنحو . وكان رئيس تلك المدرسة صديق روجراسشام الانكليزي وكان من اعلم اهل زمانه ومولف كتاب في معلم المدرسة . وكانت مدرسة الرئيس تروتزندورف في كولدبرغ من المدارس التي اصبحت ممتازة باتقان نظامها الذي كان كنظام الجمهورية القديمة الرومانية . فكان هو الرئيس الدائم المطلق وكان تحته في الرتبة فاحص ورئيسان اسمهما قنصلان ومجلس اعضاوه ١٢ ينتخبون من التلاميذ المتقدمين وكانت كل مسئلة مهمة تفحص في ذلك المجلس ويحكم بها فيه . وجدد الاكاليل القديمة لتكون جوائز وكان يعتبر افصح الخطبا كالغالب في العاب اولمبيا

ومن اشهر المعلمين البروتستانت في ذلك الزمان بيوغنهاغن من هامبورغ واسبالاتن في النبورغ وبناندر في نور هوزن وهيدين في نورمبورغ

وكانت اعمال البروتستانت في ذلك العصر من الوسائط التي انهضت همم اهالي اوربا الى التعليم فصمم اليسوعيون على ان يستغنموا سنوح الفرصة الناتجة عن نهوض الهمم للقيام بصالح الكنيسة الكاثوليكية ليضادوا البروتستانت بنفس السلاح الذي ضادوا الكاثوليك به . ولذلك اتقنوا كل الاتقان جميع العلوم واستخدموا العلم في سبيل تقرير الصوالح الكنائسية . اما طريقة تعليمهم فكانت تقوية الذاكرة والتصور وقوة الادراك وتضعيف القوة العقلية المتعلقة بالمفاوضة والبحث . وكانوا يستخدمون اللاتينية والمنطق لاقناع افكار الشبان ولم يعلموا من الكتب القديمة المدرسية غير كتب شيشرون وفرجيليوس واليونانية بكتب يوحنا فم الذهب وغيره من الابا الكنائسيين . وكانت الحكمة من العلوم العالية وكانوا يعلمونها بكتاب ارسطاطاليس بحسب تغيير اكويناسيوس ونجح اليسوعيون في التعليم في ذلك الزمان بواسطة لطف المعلمين والتلاميذ وتهذيبهم الظاهر للعيان والحنو في معاملة الفتيان والاعتنا التام بالتلاميذ المرضى والاحتفالات العظيمة الموثرة والقيام بالتشخيص الذي كان يجعل من التمرينات المدرسية . وكانوا في بادي الامر في كولون وانكولستات وفينا وانتشروا بين سنة ١٥٥٠ و ١٥٦٠ في المانيا وفي فرنسا ضادهم مدارس اللاهوت والمدارس العالية والمجالس العالية ولذلك لم يتمكنوا من انشا مدرستهم الاولى في باريز الا سنة ١٦٦٥ وفي

سنة ١٧٥٠ كانوا قد تمكنوا من ان يكتسبوا نجاح البندكتيين حتى انهُ كان لهم في فرنسا ٦٦٩ مدرسة كان فيها اولاد العائلة الملكية والامرا على انهم لم يكونوا يعتنون بتعليم النسا قدر اعتناء اضدادهم الجانسنيين . وكانت بنات الاعيان يتعلمن علماً دينياً في مدارس راهبات أُرسولا او راهبات انجاليكا او اليزابث

وفي المدة الواقعة بين اواخر القرن السابع عشر ونهاية القرن الثامن عشر للميلاد قررت كيفيات اربع للتعليم في المدارس وكل منها يختلف عن الكيفية الاخرى فالنوع الاول المدارس التقوية واول من اقام بها جنسنيوس في فرنسا وسلز في انكلترا واسباز وفرانك في المانيا . وربما كان كتاب فينلون المسمى بتلياك وكتابهُ الاخر في التعليم النسائي الذي لا يزال نظام المدارس في فرنسا وجبوقد اسسها الذين اقاموا بذلك النوع في انفاذ نظامهم . وكان اسباز معلم فرانك الذي انشا مدرسة في هال للذكور وللاناث ومدرسة اخرى لتعليم المعلمين وذلك لجعل التعليم الديني والادبي اهم فيها من التعليم العقلي بحيث تكون غاية التعليم معرفة الله سبحانهُ وتعالى والايمان بالدين المسيحي الصافي . واقيمت مدارس اخرى مثلها في مدن كثيرة ومن تلاميذها الاولين الكونت زنزندروف . وكان الانجيل الكتاب الوحيد الذي يعلم فيها باليونانية . وكانت اللغة العبرانية من اللغات المهمة فيها وكان يقال ان تغيير قلب التلميذ اسي تطهيره من الشرور والخطايا وادخال الايمان المسيحي فيهِ من الاسباب الاساسية لنجاح التلميذ في العلوم

اما النوع الثاني ويسمى بمدارس اليونانية واللاتينية فكانت قواعده درس اللغات القديمة وعلومها ولا سيما اليونانية واللاتينية لتكون اساس العلم وان تدرس على الدوام الى ان يذهب التلميذ الى المدرسة العالية . وقد حافظت على تلك القواعد محافظة تكاد تكون تامة مدارس ساكسونيا وهولاندا ومدرسة سان توماس في لبسك وفي مدرسة استراسبورغ

وكان كومينوس ولوك وجان جاك روسو من الذين قرروا اراء جديدة بخصوص التعلم . وترجمت بعض تاليفات كومينوس بخصوص التعليم الى لغات اجنبية . وكان قاصداً ان يجعل التعليم بسيطاً وموافقاً للطبع وان يعتني بامر اختلاف الصفات والامتناع عن تعلم ما لا يقدر المتعلم ان يدركهُ وجعل الدرس سهلاً ومقبولاً . اما لوك فاراد ان يجعل التعليم حسياً عوضاً عن ان يكون عقلياً فجعل الاشياء ينبوع التعليم والمعرفة عوضاً عن الكتب . وقرر روسو في كتابهِ اراءهُ الخالية من اختبارهِ . وقد قال ان الابتدا في تعليم الولد منذ نعومة اظفارهِ من الزم الامور ولا يقوم بذلك الا الاب والام . ولا يعطى شيء للتلميذ ما لم يكن قد استعد لان يتصفحهُ بدون صعوبة فيحرز العلم بالتتابع بصعود السلم شيئاً فشيئاً بانتظام وتانٍ فلا يشعر بتعب . وانهُ من اللازم ان لا يكون تعليم الولد للقيام بحرفة او مهنة مخصوصة ولكن من الواجب ان يعلم ليكون رجلاً كاملاً عارفاً حراً في تصرفاتهِ غير مستعبد لعادة من العادات . وان يكون محفوظاً من فساد الهيئة الاجتماعية وغير معرض لفاعيل الطبع والضمير بحيث تتم الصفات عقلياً واجتماعياً وادبياً . وطلب الى الوالدين بان يتعلموا ما يرفع كل تعب وجد واعتنا بامر الابوة . وان يصير التعليم واسطة لهو ولذة والانسان حيواناً مدركاً بدون تكديرات وبدون اميال فاسدة وبدون اجتهادات خالية من النفع . فاخذ باسيدو القواعد التي قررها روسو واراد ان يجريها ونجح في اجراء تغييرات كثيرة في التعليم في المانيا فقال انهُ ستقام مدرسة عظيمة جداً في دسو وتسمى بترجمة محبة الجنس البشري وانهُ سيبقى الولد فيها

الى ان يصير رجلاً . فالاعلان الذي نشره حمل ملوكًا واقاربهم وقضاة ووزرا واشهر علما المانيا وسويسرا على ان يدفعوا اموالاً للقيام بذلك المشروع العظيم لانهم جميعًا اظهروا غيرة عظيمة غير معتد لة في تقرير التعليم الجديد بحيث يقوم الطبع مقام القوانين فانشا المعلم المذكور تلك المدرسة سنة ١٧٧٤ وكان معينة والك غير انها سقطت بعد عظمة موقتة فرجع الى انهاضها سيمون وشوجنهوسار ونجحا اكثر من نجاح الاول حتى انهٔ اقيمت مدارس منظمة كنظامها في اماكن مختلفة في المانيا ولم يبقَ منها غير مدرسة واحدة في اشنبغنثال في قوطة . وهذا هو النوع الثالث من المدارس المذكورة

والنوع الرابع عبارة عن المعلمين الذين لا يتبعون في ارائهم رايًا دون راي ولكنهم حبًا بصالح البشر يعلمون الذين كانوا قد اهملوا . وهذا كان اساس تعليم الصم والبكم الذي اقام بوهانك و بريدور والاب دولاني وسيكارد وتعليم العميان بواسطة فالنتين هاوي وكلن ولنه وانشا مدارس الاحد بواسطة روبرت ربكس واوبرلين وغيرهما . وفتح مدارس اخرى كثيرة للتجارة والزراعة والمعادن والصنائع وغيرها

اما الالمان فاشتغلوا طويلاً بالمفاوضة بخصوص قواعد التعليم منذ اواخر القرن الماضي ومن اشهر المولفين عندهم سولزار وملاروس واهلارز و بوسش وفرار وغيرهم والذي قد اتى التعليم بفوائد تفوق كل فوائد بستالوسي السويسري وقد الف تاليفات كثيرة بهذا الخصوص وقال فيها انهٔ من اللازم ان يكون ابتدا التعليم منذ نعومة اظفار الولد في بيتهِ بعناية والديهِ وحكمتهما . وان يكون القيام بهِ بحسب نواميس الطبيعة اي ان يكون شيئًا فشيئًا و بدون انقطاع وان يحرض المعلم التلميذ على النشاط بدون ان يسعفهٔ اسعافًا تامًا وان يعتني بخصوصياتهِ وينشطهٔ على القيام بها وان التعليم الشفاهي لا ياتي بالفائدة اللازمة ما لم تكن موسسة على اختبارات عقلية سابقة ومحققة بواسطة الحواس . وان التعليم بمجرد الادراك العقلي يضر ولا ياتي بالمطلوب لان الولد لا يقدر ان يدرك شيئًا حتى الادراك الا بعد ان يبحث فيهِ بالفعل و يتعلم ان يميز صفاتهِ وخصوصياتهِ بالكلام وقواعد المعرفة في الاشكال والاعداد واللغة و بهذه القواعد يتروض العقل ويتم التعليم بمعرفتها في العلوم المختلفة . ولذلك الحساب العقلي والهندسة والرسم مهمة في التعليم كدرس اللغات . وانهٔ من الواجب ان تكون المدرسة مكان سرور ونشاط وعمل وان يتمكن التلميذ من ان يظهر قوتهٔ ويستخدمها . وقد اتخذت اراء باستالوسي المذكور في المدارس البروسيانية بعد ان احدثوا فيها تغييرات قليلة وقد قيد اليها المعلمون في انكلترا وامركا وشمالي اوربا اكثر من انقياد معلمين اخرين اليها . وقد ادخل تغييرًا في نظامهِ فلنبرغ في مدرستهِ في هوفول وجاكوتوت في مدرسة لوفان والمنسنيور قليجار اسقف ساجان في المدارس التي انشاها . فاقيم في هوفسل مدرسة زراعية عقلية وعملية ومدرسة ابتدائية للفقرا ومدرسة عالية لاولاد الاعيان ومدرسة متوسطة لاولاد المتوسطي الحال ومدرسة ابتدائية لتعليم معلمي مدارس المقاطعة . وقد اختلف نظام فلنبرغ عن نظام بستالوسي في مجرد تبليغ معارف اقرب للاستعمال ونظام جاكتوت قد عولت بالجكاعليهِ وهو يمرن الذاكرة اكثر من النظامات المذكورة . فانهٔ كان يجعل تلاميذهُ يسمعون غيبًا كل مثاليهم ان كانت متعلقة باللغات او بالعلوم . ونظام ساجات هو جمع نظام باسيدو و بستالوسي ونشر في بوهيميا بامر ماريا تريزا وجرى في النمسا الى سنة ١٨٤٢ . وهو يتعلق بالعلم من جهة الانتفاع بهِ

وبلهو التلميذ في اثناء تعليمهِ لجانبهِ الضجر وتوضيح الدروس والبحث في المجهول بعد البحث في المعروف وكان يقام بهِ بدرس علوم كثيرة بسرعة

· اما جوزف لانكستار الذي مات سنة ١٨٣٩ فهو واضع نظام التعليم الاشتراكي الذي يجعل المتقدمين من التلامذة يعلمون الذين هم دونهم مما سبقوهم بهِ فهذا مما ينفع التلميذ الذي يعلم وقد اقامت بهِ مدارس كثيرة في انكلترا وامركا ولم يترك الالان معارف التلاميذ الذين يعلمون لم تكن كاملة من كل الوجوه ولذلك كانوا يخطئون في امور كثيرة

هذا ولا يخفى ان المانيا واكثر بلدان اواسط اوربا وانكلترا وامركا يختلف التعليم فيها فان التعليم في بروسيا هو كلهُ من الحكومة وصادر من وزير يستند الى الملك · فالمدارس العالية والمتوسطة والابتدائية هي كلها خاضعة فيها لقوانين صادرة من الملك ومن حكومات الولايات · وكل ولد ملزوم بان يتعلم في المدرسة من سن ٧ سنوات الى ١٤ والا فيقاص الوالدون ولذلك قد فازت كل الامة الالمانية بتعلم القراءة ويخرج كثيرون من فحول العلماء من المدارس العالية ومع ان تعليمهم متقن عام لم يتمكن البروسيان من ان يكونوا من الامم التي سارت امام العالم في سبل التمدن · وقد قال هوراس مان ان سبب ذلك انما هو عدم تمكن التلاميذ الذين يتمون دروسهم من استخدام ذلك العلم بحيث يتقدمون فيهِ و يحافظون عليهِ · والتعليم في كل البلدان الالمانية يشابه التعليم في بروسيا · وفي فرنسا المدارس خاضعة لنظام قررهُ موسيو كيزو سنة ١٨٣٣ مع تغييرات حدثت موخرًا وهو تحت ادارة الحكومة غير انهُ يرخص لكل معلم بفتح مدرسة خصوصية اذا اقام بشروط معلومة · وفي انكلترا ما من مدارس للحكومة الا مدارس الفقراء والبحرية والعسكرية والقصاصية · وتعليم الامة هو

تحت ادارة الكنائس وتسعفهم الحكومة باعطا اسعافات عند لزوم المساعدة · اما في امركا فنظام المدارس مختلف فالمدارس تقام بامر الحكومة اي انها تامر بفتح عدد معين منها لعدد معين من الاهالي الذين يديرون كل ما يتعلق بالبنا والمعلمين ونظام التعليم

· فهذا ما جمعناه بهذا الصدد في الجملة الماضية وهذه الجملة لافادة المطالع ولاسيما الذين يتعاطون امر التعليم والذين لهم اولاد و يرغبون في تعليمهم ومن اهم الامور التي تثبت بما تقدم وجوب جعل نظام واحد لتعليم اولاد الامة للمحافظة على مشربها وان اهمية التعليم في ترويض العقل وغرس القواعد الادبية والتهذيبية والوطنية في عقول المتعلمين هي قدر اهمية تحصيل المعارف بل اهم منها لان المعارف بدون تلك القواعد تذهب سدى ولو اردنا ان نطيل الكلام في هذا الصدد ووصف نظام التعليم بالتطويل والتوضيح لضاق بنا المقام وعلى كل حال لا بد من الرجوع الى هذا الموضوع حينًا بعد حين لانهُ مهم في بلادنا حتى ان اهمية مدرسة جامعة عند العقلا الذين يدركون الحقائق بحسب اكتشافات هذا العصر وتحقيقاتهِ عظيمة جدًا و برهان ذلك اشتغال الحكومات بها واهتمام طوائف واقوام بانشا واحدة ذات اهمية وقبل ختام الكلام نعيد ما اشرنا اليهِ من اننا لا ننكر فضل المدارس الاجنبية في امور كثيرة غير اننا نود ان تتسع دائرة التعليم في امور يكون المقصود منها الانتفاع للعاش اكثر من الغايات الدينية

تاريخ فرنسا

يقطع اسباب هذه الارتكابات بيد نشيطة حدثت من الاماكن التي كان لهُ نفوذ فيها · وفي فالاد قد القى القبض على ١٢ قاتلاً من القتلة المشهورين وقتلهم باطلاق الرصاص في الحال

وكتب الى شقيقهِ جوزف بما ياتي من الواجب ان تلقي الخوف منك في قلوب الاهالي ثم تقوم بما يحملهم على حبك . وقد اخذ الناس في ان يطلبوا اليَّ بان اعتذر عن بعض الذين ارتكبوا السرقات والقتل غير انهم قد فرحوا بعدم العفو عنهم وبعد تاديبهم اخذت الامور تجري في مجاريها . فكن ثابت العزم قويًا عادلاً واذا شئت ان تحكم فلا تجعل تفاوتًا بين قوتك وعدالتك . انتهى . وامر بقتل مائة من القتلة في مدريد وكانوا قد حملوا على المستشفيات وقتلوا الجرحى فيها من الجنود الفرنسوية بعذابات شديدة وكانوا قد احرقوا بيوت كثيرين من الاسبانيول وقتلوا كثيرين منهم مدعين بانهم اصدقا الفرنساويين وقد خانوا بلادهم . وصمم نابوليون على ان يلقي الرعب في قلوب المذنبين وحملته كرامة الاخلاق على ان يحمل لوم الذين شانهم الطعن في من ينفذ اجراآت صارمة . وكان ينسب الى اخيهِ كل الاجرا آت التي تعود بالنفع على البلاد وتنشا عن الحلم والشفقة . وفي اول السنة الجديدة كتب اليهِ جوزف تحرير تهنئة قال فيهِ ارجوك ان تسمح لي باظهار مرغوباتي وهي ان تتمكن في اثناء هذه السنة من ان تجعل السلام سائدًا في اوربا باجتهاداتك لتتمكن من انفاذ نواياك الخيرية انتهى . فاجاب نابوليون انني اشكرك على ما قلتهُ بشان السنة الجديدة ولست بعاقد املي بجعل السلام سائدًا في اوربا هذه السنة . ولذلك قد امرت بجمع مائة الف جندي لان غيظ انكلترا وحوادث الاستانة وبالجملة كل شيء تبين انه لم ندرك بعد ساعة الراحة . انتهى

وانكسر الاسبانيول في كل محاربتهم غير ان اقوامًا كثيرين منهم كانوا قد تحصنوا في مدن حصينة واقاموا بالدفاع بنشاط لا مزيد عليهِ . غير ان حذق المهندسين الفرنساويين وبسالة جنود فرنسا فتحا احصنها . وحصر سراغوسة كان من اشد الحصور ويلاً واشهر في التاريخ القديم والحديث . فان الانكليز كانوا قد ملاوا المدينة بالمهمات الحربية وتحصن اربعون الف اسبانيولي تحت قيادة رهبان قد هيجوهم بالتعصبات الدينية الى الثبات في الدفاع في البيوت الحجرية وراء اسوارها وحصونها فحصرها الفرنساويون بثمانية عشر الف جندي فقط . واستمر القتال شهرين بدون شفقة وبدون انقطاع . فهدمت الاسوار بالكرات وآلات الهدم والاديرة بفعل البارود ومع ذلك استمر المحصورون يقاتلون وهم ينتقلون من بيت الى بيت ومن سوق الى سوق وفي النهاية فازت بسالة الفرنساويين المنتظمة على شجاعة الاسبانيول الناشئة عن التعصب وعند ما فتح المرشال لان باحد عشر الف جندي فقط خربات المدينة الصاعد دخانها راى فيها ما لم يرهُ احد في هذا العالم الساقط فان جثث القتلى المنتنة كانت قد ملاتها وكان قد قتل فيها ٥٤٠٥٤ الفًا من الاهالي . وكان صراخ الرجال والنسا والاولاد الذين التهبت جراحاتهم يصعد من كل مسكن وباث ثلث المدينة خرابًا وثلثها لحقت بها اضرار كثيرة وتلطخت بالدم وقد انتشرت فيها الروائح الرديئة المميتة . ولم ينجُ من اربعين الف اسبانيولي الذين قاتلوا ببسالة لا مزيد عليها من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع غير عشرة الاف جندي والفي فارس فاسروا وخرجوا امام المنتصر وقد ظهر من اصفرار وجوههم وحالة اجسادهم ما قاسوهُ من الاتعاب والمشقات . وكانت الابطال الفرنساوية متعودة ويلات الحرب وتاثيرات مناظرها التي تقشعر الابدان منها ومع ذلك حزنوا عند ما راوا من حالة تلك المدينة ما راوا

وبعد ذلك عاد الملك جوزف الى مدريد ودخلها والاجراس تقرع والمدافع تطلق غير ان الاهالي قابلوهُ مقابلة باردة لانهم كانوا يحسبون انفسهم متخلوعين عن الملك . غير ان اعيانهم الذين كانوا

يدركون الامور وقد رأوا سوء حالهم الماضية قابلوهُ بسرور. وكان قد دخل بلادهم شجام اي انهُ تقرر في عقولهم انهُ سبب اعتدال اجراآت شقيقهِ المنتصر. ومع ذلك جذبوا الى نابوليون بما راوهُ من حبهِ للعدل وثبات عزمهِ. هذا مع انهُ كان قد حاول ان يبرر اخاهُ باحتمال مسئولية كل الاعمال الصارمة التي التزم بان يقوم بها ومال الاسبانيول الى ما راوهُ من عظمتهِ اكثر مما مالوا الى ما راوهُ من حلم اخيهِ واتضاعهِ واقام نابوليون خمسة ايام في فالاروليد وهو يبعث بتحريراتهِ الى جميع انحاء اوربا. واقام في الايام الخمسة المذكورة باعمال تشغل عقلاً اعتيادياً سنة كاملة. وكانت جيوشهُ في فرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا مبسوطة امامهُ كانها رسم ارض واضح وكان يدرك كل الامور التي كانت تطرأ عليها. وبعد ان انتهى من كتابة تلك التحريرات ركب فرسهُ وسار مسرعاً الى باريز وقطع ٨٥ ميلاً اي انهُ كان يقطع ١٧ ميلاً في الساعة فادهش الناس بجلدهِ ونشاطهِ. ولم تنسَ المدن التي مر فيها مسيرهُ السريع فانها كانت تراهُ يقطع المسافات الطويلة ركضاً وكان كلما بلغ مركزاً يركب فرساً جديداً ويسير ركضاً. وكانت لوائح السكوت تظهر على وجههِ المصفر غير انهُ كان مطبقاً شفتيهِ وكانت جبهتهُ كانها من حديد وكانت عينهُ اللامعة تنظر الى ما امامهُ وهو منحنٍ قليلاً كانها راغبة في ابتلاع المسافات. ولم يكن احد من اعوانهِ يتلفظ بكلمة بل كانوا جميعاً يتبعونهُ صامتين ولم تقم ابطالة بما اقامت بهِ قبل ذلك. وكان يقيم في كل عشرة اميال تسعة افراس يعتنى بها جداً. وكانت افراس الخدم تحمل اخراجاً فيها اثواب لهُ واوراق وحبر واقلام ورسوم ونظارات مكبرة. وكان غالباً يرتب هذه الامور بنفسهِ سراً. ولما بلغ بايون ركب مركبة وامر جيش الحرس الامبراطوري بان يسير بالسرعة الممكنة الى الرين كما سار قاصداً باريز. وفي ليل ٢٢ كانون الثاني (جانيوري) وصل الى قصر التويلري فتعجب الناس بوصولهِ الغير المنتظر. وكان يسوس الناس بقوة عقلهِ فلم يظهر لهم غير شيء قليل من المؤامرات التي كانت دول اوربا تعقدها لمضادتهِ. ولم يكونوا يعلمون بفساد بلاط اسبانيا السابق وخيانتهِ ولذلك لاموهُ على فتح حرب اسبانيا وقالوا انهُ التزم بان يهرق دماً ويصرف مالاً للقيام بهِ بدون داعٍ حتى انهُ التزم بان يظلم العائلة التي كانت مالكة فيها. وبالنظر الى الامور التي كانت جارية تاسف من اشتغالهِ بالحرب فيها. وكان قد علق املهُ بنفع الامة الاسبانيولية وبحملها على السرور بخلع ملكها الظالم المقصر. ولولا مداخلات انكلترا لتمكن من اصلاحها ويقال انهُ لولا اشتغالهُ بهذه الحرب لما تجاسرت النمسا بان تحمل عليهِ ومن المؤكد ان حكومة اسبانيا السابقة كانت تترقب سنوح فرصة فشلهِ لتوقع بهِ بالحمل على ولايات فرنسا الجنوبية. وقد قال مرات كثيرة انهُ تاسف من جرى قلبهِ لبوربون اسبانيا غير انهُ بات في ظروف بالنظر اليهِ لم يكن لهُ سبيل للتخلص من مخاطرها بتركهم وشانهم او بقلب دولتهم. ولو تركها وشانها لانتشبت فيها حرب اهلية واخربتها بالمناظرات التي كانت جارية بين الدون كارلوس الاب وفرديناند ابنهِ. ولا ريب في ان انكلترا كانت تترقب سنوح الفرصة للتحزب لفرديناند فتمسي البلاد مستعمرة انكليزية. ولو سار بجيشهِ وفتح البلاد بالسيف لخالف قواعدهُ وكان قاصداً تخليص امة جاهلة من مظالم حكامها. وكانت اجتهاداتهُ الشديدة المصروفة في سبيل الدفاع عن نفسهِ مقرونة بالاجتهاد باقامة ملك عادل متنور يحسب ان يقرر نظاماً حراً. فانكلترا جعلت الدم كالطوفان في تلك البلاد لمنع انشا نظامات حرة فيها ولارجاع الامة الى قيود حديدية وعبودية

وكانت قد وردت اليهِ اخبار من كل جهة ما لما ان النمسا كانت تتاهب بجد لا تزيد عليهِ للقيام بحرب جديدة . ووردت اليهِ تفصيلات بهذا الشان من فينا ومونيش ودرسدن وميلان فراى انهُ لا ريب في حلول مخاطر عظيمة . وكانت قد ذهبت سدى كل اجتهاداتهِ المصروفة في سبيل المحافظة على السلام ولم يرَ سبيلاً لتقريرهِ فان انكلترا كانت ترفض ان تخابرهُ وان تسمح لراية المدنة الفرنساوية ان تصل الى سواحلها . وكانت تقول انهُ مختلس جالس على عرش البوربون مع ان خلعهم جرى وهو صبي وبلغ العرش بانتخاب الامة . وكانت النمسا تصرخ قائلة اقلبوا الامبراطور الشعبي وكذلك كانت تقول ام الامبراطور اسكندر الروحي والامرا في بلادهِ . وقالت اوربا وهي متحدة اننا لا نحاربهُ فرنسا ولكن نحارب نابوليون الذي اختلس تاج فرنسا . ومن عاداتهِ في ساعة الصران يتساهل كثيرًا مع اعدائهِ غير انهُ عند اجتماع المخاطر وتكاثر اعدائهِ كان يثبت ونفسهُ المفتخرة لا تبالي بهم . وفي شهرين تمكن من ان يبدد شمل الجيوش الاسبانيولية وطرد الانكليز من اسبانيا وارجع اخاهُ الى مدريد منتصرًا . ومع ذلك لم تبلغ تلك الحرب النهاية . فان الثورات الجديدة كانت قادرة ان تظهر في كل ولاية . وكانت بوارج انكلترا لا تزال كثيرة في ثغورها وثغور البورتوغال محاولة تهييج الشعب وهي تقدم رجالاً ومالاً ومهمات حربية

وقد قلنا ان نابوليون وضح الحال كل التوضيح لسفير النمسا وابان لهُ رغبتهُ الشديدة في المحافظة على السلام . وكان قد قال لهُ اذا كانت النمسا تشتكي من امر يجب ان يسمع تشكيها فيفرغ جهدهُ في سبيل ازالتهِ . وكانت اوربا كلها تعرف بالتجهيزات العظيمة التي اقامت النمسا بها وكانت تعلم المقصود منها غير انها لم تكن قد استعدت للقتال وكان سفيرها لا يزال في باريز . وكان املهُ ضعيفًا جدًا في مجانبة حرب جديدة فطلب الى روسيا ان تشارك فرنسا في ان تضمن لها بقا املاكها الحالية . فلو كانت خائفة فعلاً من تعدي نابوليون على املاكها لارتضت بهذه الضمانة وامتنعت عن الحرب . على انها كانت ترغب في ان تسترجع ما اخذهُ من املاكها في ايطاليا وتمنع انتشار اراء الحرية وان يزيل من اوربا مخاطر وجود امبراطور منتخب حر على عرش عائلة ملكية قديمة مخلوعة وبعد ذلك راى نابوليون ان مقامهُ لا يسمح لهُ بان يحاول اكتساب النمسا وكان يعامل سفيرها باحترام ولكن لم يكن يقربهُ منهُ ولا يطلعهُ على ارائهِ مع انهُ كان يبين اراءهُ بوضوح لسفرا الدول الاخرى وقال لهم بصراحة ان تجهيزات النمسا حملتهُ على الرجوع الى باريز ليقابل تجهيزات بتاهبات ليست باقل منها . وفي ذات يوم قال لقوم اجتمعوا حولهُ الظاهر ان مياه الليث وليس الدانوب كانت تمر بقينا فانهم قد نسوا ما تعلموهُ بالاختبار ويحتاجون الى تعليم جديد فساعلمهم وسيكون تعاليمي هذه المرة مخيفة . فانني لا ارغب في الحرب فانهُ ليس لي صالح بها . وقد رات اوربا قاطبة ان كل اجتهاداتي كانت مصروفة في سبيل ميدان الحرب الذي اختارتهُ انكلترا وهو اسبانيا . فالنمسا التي خلصت الانكليز عند ما كنت مصممًا على ان اقطع المضيق للحمل عليهم قد خلصتهم مرة اخرى فانني كنت مصممًا على ان احمل عليهم في كورونا ولو لم ادع الى هنا بحذاقتها لما نجا واحد من الانكليز ولا بد من ان تحتمل ويلات كثيرة لانها اسعفتهم فلا بد لها من امرين وهما اما صرف جنودها حالاً واما ملاقاة حرب هلاك فاذا صرفت جنودها بحيث يظهر لي فعلاً انها مصممة على المحافظة على السلام اغمد سيفي لانني لا ارغب في ان اجردهُ

(ستاتي بقيتهُ)

حيلة غرامية

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

اذالم افوضك به . قالت اقوم به كانني مفوضة غير ان الاوفق ان اقول ما قد قلت ، فهذا شغلي وساقوم به . وعند ذلك حضرت لويز وذهب ابوها واخذت تتمشى مع رفيقتها في الجنة ووقفت ماري بغتة وقالت احب ان اعلم كيف يمشي الانسان على ارض من ملكه ثم رفعت ثوبها فظهرت رجلها اللطيفة فوضعتها على الارض بثبات ثم اخذت تظهر سعادة الانسان الذي يقدران يقول ان القطعة الفلانية في ملكي . ولم تناقضها لويز لانها كانت تشفق عليها لانها كانت من بنات المرتبة الاولى في العالم وامست بدون بيت ملتزمة بان تاكل خبز الخدمة ولوكان ظاهر الامر انها مرافقة اختيارية . ثم قالت لها انك غنية وعندك ما لا يفرغ من اللطف والبشاشة . فدخلتا مكانا فيه اشجار كثيرة عليها طيور تغرد بفرح فوقفت لويز وقالت لها اما ترغبين ان تخبريني شيئا عن الامر المتعلق بالقلب الذي طالما اشارت اليه في تحريراتها وهي مسافرة . فقالت لها لا اخبرك عنه الان وساقصه عليك بعد برهة فارجوك ان تسالي اكثر من ذلك وعند حلول الزمان الموافق اطلعك على الخبر كله فتساعديني . ثم اخذتا تتكلمان عن السفر الى ايطاليا وابانت لويز كدرها لان ماري لاتقدر ان ترافقها ولا سيما بعد ان سافرت مرة واختبرت البلاد . اما ماري فكانت عالمة بالسبب الذي حمل ابا لويز على ان يمتنع عن اجابة طلب بنته وهو ان يسمح لها بمرافقتها ولويز تخمن السبب . وبعد ذلك سارتا صامتتين الى ان قطعتا الجنة والمشي وعادتا الى البيت وكانت جدة لويز مريضة في النهار غير انها شفيت في السهرة فجلسوا جميعا بحظ وسرور وبعد ان شربوا الشاي بعد العشا اخذ الهارمرز في ان يلعب بالشطرنج مع ماري وكانت حاذقة جدا بلعب الشطرنج فطال زمان لعبهما بدون ان يغلب احدهما الاخر فضجرت لويز وجدتها من الانتظار فخرجتا وبقيت ماري والهارمرز وحدهما في القاعة . وبعد خروجهما ببرهة قصيرة انقطعت ماري عن اللعب وقالت انها ترغب في ان ترجع الى الكلام عن حال لويز . وقالت له اذكر اسماء الذين ستدعوهم الى الوليمة نهار غد من اهل الجيرة وخصص بالذكر الذين ترى بهم موافقة للاقتران بابنتك لويز فانه من النافع ان تمدح لها من يكون كفوا لها ليصير مقبولا عندها وانها علقت املها بان تحملها على القبول بالاقتران بمن يوافقها الاقتران به . فذكر كثيرين ومنهم شاب من اصحاب الاملاك وشاب اخر متقلد منصبا في مركز المقاطعة الذي لايبعد كثيرا عن بيته وقال ان الاثنين في منزلة واحدة عنده . اما ماري فقالت انها ذات امل وطيد بحمل صديقتها لويز على القبول بالاقتران قريبا

الفصل الرابع

وكان هواء اليوم الثاني لطيفا والجو صافيا فاخذ المدعوون الى الوليمة المذكورة في الحضور راكبين مركبات او خيولا . وكانت ماري قد حملت لويز على ان ترتب شعرها ترتيبا جديدا وعلى ان تلبس

ملابس ذات الوان لطيفة فانها لم تكن تلبس غير اثواب بسيطة ذات الوان غير جميلة . فلما راها الذين قدموا من اهل الجيرة على تلك الحال اخذوا ينظرون اليها بتعجب . فسرت ماري بذلك لانها رات لوائح السرور والفتوة تلوح على وجهها خلافاً لجاري عادتها فلما وصل صاحب الاملاك المذكور وصاحب المنصب عرفا بماري فلاطفتهما وعوضاً عن ان تنظر الى الارض عند السلام نظرت اليهما بتفرس نظرة منتقدة ولم ترَ في ظواهرهما ما يميزهما كثيراً عن سائر الشبان . ومن توفيقاتها ان اكثر الذين حضروا اعتباراً كان احد ارفاق ابيها واصدقائه وكان ذلك وسيلة الى حصولها على المركز الاول فاجتمع الناس حولها وافرغت لويز جهدها في جعلها مركز الجاذبية في الاجتماع المذكور

وفي الحال راى صاحب المنصب ان لراي ماري عظيم نفوذ عند لويز فبالغ في ملاطفتها وتكريمها وتعظيمها . وسار معها عند ما اخذ القوم في ان يتمشوا في الجنة وقال في اثناء الحديث معها انه فائد في الحرس الوطني . فراى ان ذلك جاء بفائدة . ورات منه ما ارضاها من منظره الخارجي وتصرفه غير انه ظهر منه حيا طبيعي او تصنعي ولم يكن يركن الى نفسه من جهة تصرفاته وكلامه خوفاً من ان يخطي . فقررت في عقلها انه لا يوافق لويز لان لويز لا تميل الا الى من ترى فيه ما يحملها على الاعتبار . وكان عالماً بتصور الاراضي وبعقتنياته . واطال الكلام عن ذلك مومِلاً ان ماري تقصه كله على صديقتها . فضحكت في نفسها وقالت لقد سبرته وعرفت احواله فمن الواجب ان اقف على احوال صاحب الاراضي الذي كان يلازم المار مرز و يظهر من السلوك ما حسن ومن الحركات ما كان لطيفاً فقالت ماري في نفسها انه يعتبر اباها او يتظاهر باعتباره وهذا مما يرضي لويز لانها تحب اباها محبة شديدة متجاوزة حدود الاعتدال . فالذي

يحبه يفوز بالحصول على ملاطفاتها . ولم يكن يظن كالقايد ان ماري قادرة على ان تسهل له الطريق ولكنه تقرر في عقله انها تعيفه وكان من اهل الرزانة والجد يعتني باملاكه ثم بالامور السياسية . و بعد ان تامل في تصرفات ماري قال في نفسه ان من كانت مثلها ربما كانت تعلم لويز الخفة والطياشة . وتصور ان في مقابلاتهما ما يدل على اختلاف مشاربهما . فسالة لويز هل استحسنت صفات ماري فاجابه في الحال انني استحسنتها كاستحسانك لها واظن انك لا تحبين ان تصرفي حياتك بطولها بمعاشرة فتاة على جانب عظيم من الخفة تحب المزح واللهو . فعارضته لويز في ذلك معارضة قررت في عقله انه لم يخطئ كل الخطا في كلامه وعند ذلك اخذ الامل في ان ينمو في فواده

و بعد ذلك جلس المدعوون ليتناولوا الطعام وصرفوا الزمان بالسرور والحظ . وسارت ماري مع المارفون بوثن صديق ابيها المذكور وكان يظن انه يحق له ان يقول ما يرغب في ان يقوله ففي اثناء الحديث عن سفر المار مرز وابنته في ايطاليا قال قد ابتدا الزمن حيث ينبغي ان تنتهوا . فماذا ترى يحملك على ان تبني مكتبة للويز العزيزة حال كون بناء قاعة لتربية الاطفال اولى . فضحك الحاضرون كلهم فنظرت ماري الى الجميع بعينيها اللامعتين فرات ان هذا الكلام خروجه الفائد حال كونه حمل صاحب الاراضي على ان يضحك مع الضاحكين . ونظر الجميع الى لويز فراوها تنظر امامها كان هذا الكلام لا يتعلق بها . على انها رات انه لا بد من ان تقول شيئاً فقالت لقد سررت لانني كنت موضوعاً لمزح المار فون لوثن . ثم رجعت الى التكلم بحرارة مع رجل جليل كان جالساً بالقرب منها حتى ان امراته التي كانت جالسة بجانب القائد امتنت ذات وجه شديد الاحمرار وزاد بغضها بها اقداحاً كثيرة من النبيذ اجابة لطلب القائد . وبعد ذلك اكتفوا

وخرجوا من قاعة الاكل وجلس الرجال على السطح يدخنون فقال المارفون بوثن بصوت مرتفع عار على الشبان ان تبقى لويز الى الان بدون زواج . اما الفتيان والفتيات فكانوا يتمشون في الجنة . واستمرت لويز مرافقة للرجل الذي كان جالساً بجانبها في قاعة الاكل غير انها انقادت الى الحاح ماري وانضمت الى الفتيان والفتيات . وكان القوم يصرفون الزمان بالحظ والضحك والسرور . وبعد برهة تمكنت ماري من ان تجعل لويز تغني اغنية سو يسرية وهي بين الاشجار الملتفة ولم تكن حاذقة جداً بالغناء غير انها كانت تشوق جميع الحاضرين بالاغاني المذكورة . ولم تكن تحب ان تمكن الناس من ان يروها وهي تغني فدخلت بين الاشجار الملتفة ومع ذلك رفعت صوتها جداً . وبعد ذلك اختلط المتقدمون بالسن بالفتيان والفتيات وصرفوا الزمان بالحظ الى المساء فانصرف المدعوون

وبعد ذلك انفردت الصديقتان فقالت لويز لماري وقد احمر وجهها جداً اه يا ماري انه لا يحتمل ولا اقدر ان ادركه فانني . . . . قالت ماري ما هو هذا وماذا جرى لك . قالت الاوفق ان لا ابين الامر . قالت ماري هل تخفينه عني تكلمي . قالت انك رايت هنا رجالاً من اهل الادب والحذق كفلان وفلان وفلان غير ان الذين استحسنتهم واري من حذقهم ما يرضيني هم . . . . . قالت ماري قاطعة حديثها هم من المتزوجين . قالت لويز نعم ثم غطت وجهها بيديها . فما هو السبب ياترى ولماذا لا اقدر ان اكلم العزاب كما اكلمهم . اجابت الا تعرفين السبب مع انك بنت المجلس العالي وهو ظاهر فانك تسلكين مسلك الحرية معهم ويكلمونك بدون تكلف وبدون ان يضبطوا انفسهم عن اظهار امور خوفاً من ان لا توافقك . وعند اجتماعك بغير المتزوجين من الرجال تظنين على الدوام انهم ذوو مصالح ونوايا متعلقة بك فلا تسلكين السلوك الطبيعي الخالي من التكلف والتصنع قالت لويز لقد احسنت واصبت ثم صمتتا برهة . ثم قالت ماري بغتة وقد لاحت على وجهها لوائح السرور يا لفوز تعالي واجلسي بجانبي فاطلعك على سري . فامسكت يدها وارادت ان تتكلم فترددت . فظنت لويز ان ترددها ناشئ عن الانفعالات الفؤادية مع انها كانت ناشئة عن شيء اخر . ومن عادتها التكلم بسرعة وسهولة غير انها لم تقدر على ذلك بل كانت تتكلم كلاماً متقطعاً ففهمت صديقتها منها انها مخطوبة لشاب اسمه فون بركسشوك من ضباط جيش الفرسان في المدينة المجاورة وانه من اباعد اقاربها غير انها لم تطل الاجتماع به وانها تود ان تجتمع به اكثر من الاول فان ذلك لازم ولذلك تطلب الى ابيها ان يدعوه ليصرف بضعة ايام معها عنده اما نزوله فيكون في بيت الشريك . وانه مصمم على ان يستعفي ويتعاطى اشغالاً زراعية كابيه . فوعدتها لويز بان تسهل ذلك لها فسارت ماري الى مخدعها وبعد برهة قصيرة اتتها لويز بتحرير دعوة مفتوح كتبه ابوها اجابة لطلبها . فاطالت ماري السهرة حتى كتبت تحريراً وبعثته مع رسول الى مركز البريد

الفصل الخامس

وبعد يومين صممت ماري على ان تخرج في مركبة الى محطة الطريق لتلاقي الضابط المذكور فطلبت لويز اليها ان تاخذها معها . فامتنعت عن اجابة طلبها وكانت تسميه خطيبها فقالت ماري انه ليس بخطيب تام ولكنه خطيب بدون القيام باصول الخطبة فلا تسميه خطيباً . وسارت ماري وحدها الى محطة الطريق . غير انها لم تبق جالسة في المركبة كما فعلت صديقتها عندما ذهبت لملاقاتها بل سارت الى محل الانتظار واخذت تمشي فيه وفي الجنة الجديدة وكانت تنظر الى ساعتها حيناً بعد حين . وبعد برهة وصلت

المركبة النازية ووصل فيها شاب تلوح لوائح الجد على وجهه وله شاربان طويلان فنظر من نافذة المركبة واشار اليها فنزل منها وكان لابساً ملابس اعتيادية على انه كان يسهل على كل من كان يراه ان يعلم انه من العسكرية فلما دنا منها قال لها بدون تردد انك لم تدعي الجندي باطلاً فانني قد اتيت طائعاً دعوتك السرية وقد حصلت على رخصة طويلة فاظهري لي الواقع وما هو النصيب الذي ينبغي ان اعرض نفسي له فاين الغول الوحش. فقالت له لا تسال عن شيء الان ولا تكلم اللغة الالمانية. ثم جلسا في المركبة فقال لها هل تذهبين بي الى المكان المقصود بدون ان تربطي عيني لئلا اتعلم الطريق. فتبسمت وقالت لا. ثم استاذنها بان تسمح له بان يدخن فان ذلك مسموح لكل الابطال المتاخرين فسمحت له. وبعد برهة قالت له ماذا تقول اذا اصبحت هذه المركبة وهذان الفرسان مع دار جميلة وبضع مئات الوف من الريالات ملكاً لك. قال ومع ذلك زوجة او بدون زوجة قالت ومعه زوجة قال في انت. قالت لا تمزح. ثم تنفست بسرعة وقالت لماذا اخاف. قال هل تخافين هل للخوف كلمة في قاموسك. قالت قد اصبت فسمعاً انني ساتكاتف معك على القيام بحيلة جميلة لطيفة نافعة ادبية قال الا ترين انني متسلح ومتجهز لكل شيء فانني كبطل في بعض الحكايات ولا سيما لانني حاصل على فضيلة الصمت والطاعة. قالت انني سابين لك الاحوال في برهة وجيزة فهل تتذكر لويز مرتز. قال من ينساها يا ترى هل اتزوجها. قال نعم. قالت انني مستعد فهيا بنا واقرعوا الاجراس وقد بلغت سن الرشاد واليوم بداية الربيع وقد اتيت بملابس كشوف جديدة قالت يا ابن عمي انني اتكلم بجد. قال ان الحبوة موالفة من الاحلام. هل تتذكرني وكيف انني رقصت معها عند الوزير. هل يتذكرني ابوها وهو ذو صفة واحدة جيدة وهي انه يدخن سيكارات جيدة. قالت يا البرت لا تستهزئ بذلك الرجل الفاضل فلا تحصل على لويز ما لم تحترمه. قال لها عندي الان انه معتبر جداً. قالت قل لي لو كانت لويز بدون مال فهل كنت تقترن بها قال لا. قالت قد تكلمت بامانة. قال يا بنت عمي اسمحي لي ان اتم حديثي فان مرادي ان اقول انني لا اقدر ان اتزوجها اذا كانت فقيرة ولكن لو كانت هي فقيرة وانا غني. قالت تتزوج بها. قال لا اتزوجك. فاحمر وجه ماري ومنعته عن ان يتكلم بمثل هذا الكلام مازحاً والا فلا يكون موافقاً للقيام بالواجبات التي تفرض عليه. لانه لا بد من ان يدعي بانه يحبها بل بانه خطيبها. فان لويز ترغب في ذلك. فقال ضاحكاً انني لم افهم المقصود. قالت ماري انه من الواجب ان يرتضي هذا البطل الكريم ان يتظاهر بالتغفل قليلاً. ثم قالت ان لويز كانت تكره كل رجل غير مرتبط بزواج او خطبة وانها كانت تظهر كل صفاتها الجيدة للمتزوجين وللخاطبين وكانت ترى فيهم ما تستحسنه. ولذلك لا بد له من ان يدعي انه خطيبها في بادئ الامر. قال يا ماري ماذا تلعبين الا تعلمين نسبتك الي. قالت ارجوك ان تصمت فانك تعلم. قال احسنت احسنت وحرك يده في الهواء كانه يصور بقلم مصور. فرجعت قليلاً الى الوراء في المركبة ثم جلست وقالت له متبسمة انني اسمح لك بان تعتني بي وتلاطفني بالنسبة القرابية. واوصيك بان تلاطف ابيها وان لا تلعب بالشطرنج. قال كيف اقدر ان اعيش على هذه الحال بدون تدخين وبدون ان العب بالشطرنج. قالت انت تعرف التصوير فصور الاراضي وصف الاشجار وغير ذلك. قال ان هذا لا يصلح انها ستحتقرنا وتصير صديقتك عدوة لنا. فهل تغفر لنا لويز اذا عرفت انا قد احتلنا عليها. قالت لا تستخف بهذه الحيلة وانت تدعي الشجاعة فهل تخاف

امور كهذه فارغ. وبعد ايام قليلة لا بد من ان نتخاصم ونجعل لويز تسمع خصامنا ثم افك قيود الخطبة التي تدعي بانها تقيدنا فتشكرني على ذلك وانت جاث على ركبتيك وتقول لي انني فاضلة ذات سجايا حسنة وتدعي بانك تحب لويز حبًا شديدًا لا دواء له. واوكد لك ان هذا يكون الصحيح فلا تكذب

وبعد ذلك سارا برهة بدون ان يكلم احدهما الاخر والظاهر ان الضابط المذكور كان يتامل في ما كان ينبغي ان يفعل. ثم رجع الى نفسه ووقف واعطى سيكارة لكل من سائق المركبة والخادم فاخذاها شاكرين. وكانا قد اقاما بالخدمة الجندية ويعلمان ان قيام ضابط بذلك مجابرة عظيمة. فاظهرت ماري ارتضاءها بذلك بسرور. وكان اسمه المارفون بركنستوك وكان ذا عادة لطيفة منذ الصغر وهي ان يحفظ تاريخًا لكل اعماله بالاختصار وكان ذلك التاريخ معه فوجد فيه تاريخ اجتماعه بلويز المرة الاولى وتفصيلات اخرى ذكرته باحوالها. فسرت ماري بما سمعته منه بهذا الشان وفحصت له بعض الامور. وهكذا شرعوا في عملهم بنشاط وساروا الى البيت

الفصل السادس

وترحبت لويز بخطيبة صديقها ماري كل الترحاب وعاملته كما تعامل احد اعضاء العائلة. وكانت قد اعتنت بترتيب مخدع لينام فيه في بيت من بيوت الشركاء المجاورة. فشكرها غير انها رات ان صوته المرتجف الناشيء عن اضطرابه ولوائح الحيا التي كانت تلوح على وجهه لم تكن تناسب ما كانت تراه من قوته ونشاطه وفتوته. ففي بادي الامر نظر اليها نظرة متفرس ثم رفع عينيه عنها ونظر الى الارض فتوسلت اليه ان ينظر اليها كما ينظر الى صديقة صادقة. فذكرها باجتماعه بها في عاصمة المملكة وتعجبت عندما رات انه لا يزال يذكر لون الثوب الذي كانت لابسته والزهور التي كانت مزينة راسها بها والكلام الذي جرى بينهما.

وبعد ذلك ببرهة اصبحت مع ماري بدون وجود ثالث فقالت لها يا لويز ماذا تقولين فيه. قالت لويز كيف تقدرين ان تسالي سوالًا كهذا عن رجل قد اعطيته نفسك حياتك بطولها. فاثر هذا الكلام في ماري وارادت ان تعتذر غير انها ترددت برهة قبل ان تمكنت من ان تعتذر اعتذارًا مقبولًا وقالت انها ليست مرتبطة به كل الارتباط وبعد وصوله ببرهة قصيرة توطدت صلات الصداقة بينه وبين والد لويز مع انه كان قد قال ان الاحوال السياسية الجارية لا تهمه كثيرًا. وكان يبحث عن احوال الاراضي ويتكلم عنها كلامًا مختصرًا مفيدًا ناشئًا عن اتضاع فاكتسب في زمان قصير حب والدها الذي ابان ذلك لبنته.

وفي ذات يوم قال الضابط لماري انه كان يقدر ان يكلم لويز بحرية لا يقدر ان يكلم اباها بها وانه كان يجب ان يعلم هل يعلم ابوها حقيقة الحال. فقالت لا تسال وكانت تسر بان ترى ابن عمها غير عالم بالواقع فان ذلك كان يجعله يتصرف بلطف رات انه ذو تاثير نافع. ولم تقرر هل ينبغي ان تطلع المارمرز على السر اما جدة لويز فكانت تعرف ام الضابط فجرت بينه وبينها صلات حسنة جدًا. وكانت غالبًا تجلس بقرب النافذة صامتة. اما بعد مجيئه فكانت تصرف زمانًا طويلًا في التكلم معه وكانت ترى في منظره وحركاته مشابهة عظيمة لمنظرها وحركاتها وهكذا كانت تمر الايام بسرور وحظ. فكانوا يتنزهون راكبين افراسًا او مركبة او ماشين وكانت لويز ترى من تصرفات الضابط ما حملها على ان تهني ماري تكرارًا بالفوز بالحصول على رجل كهذا الرجل. ورات موافقة عظيمة في اقتران ماري المحبة للمزح والحظ والضحك برجل كان ذا صفات جدية وعلى جانب عظيم من الرزانة مع انه كان لا يزال في سن الشبوبية. وكثيرًا

ما كانت ماري تسير مع الهار مرز ولويز مع الضابط فتوطدت الصداقة ولاسيما بعد ان رات انهُ كان يعرف تصوير الاراضي . فكان كل منهما يصور بوجود رفيقهِ ويقابل ما يصورهُ بتصوير الاخر وكانت تشور عليهِ مشورات مفيدة لانهُ كان يقول لها انهُ لم يعتنِ بهذا الفن . وكان سريع الادراك والتعلم فكانت تندهش بسرعة اتقانهِ لما كانت تعلمهُ اياهُ . وكانت ماري في الغالب تخرج من المكان الذي كانت تراها فيهِ . فقال ابوها لها انهُ متعجب من تصرف ماري والضابط فانني لا اراهما يظهران من الوجد ما يظهرهُ الذين يصبحون في ظروفهما . اما لويز فقالت انهما مصيبان ومدحت سجايا القبطان بلطف وحب فاخبر ماري بكلام ابنتهِ فلما سمعت منهُ ذلك طلبت اليهِ ان يذهب معها الى البستان فذهب فاخبرتهُ باسرار الامر فتعجب جدًّا وقال لقد اصابت حماتي بقولها ان ماري تصلح ان تكون مشخصة فانها كيف تقدر ان تقوم بما تقوم بهِ حال كونهِ من الامور المخصوصة بقاعات التشخيص . ولم يكن يعلم ماذا ينبغي ان يقول فصمت برهة ثم قال انني لا اقول الا بعض ما خطر لي ببال وهو ان ما فعلتهِ خطأ فانها لا تقدر ان تنال ما كانت تحاول نوالهُ وانهُ لا يقدر بعد الوقوف على هذا الخبر ان يعامل الضابط كما كان يعاملهُ الا بجهد عظيم وكيف يسوغ ان يشاركها في حيلة كهذه الحيلة

وبعد ذلك شرعت لويز والضابط في تصوير خربات قلعة مجاورة قاصدين ان يتقنا الصورة وان يتقن الضابط صورتهُ بالوان مائية ولويز بالوان زيتية . فاشتغلا النهار بطولهِ في ذلك وكان ابوها وماري مصممين على ان يذهبا اليهما في المساء ليرجعا بهما الى البيت . وفي اثناء الطريق قال الهار مرز لماري انهُ في قلق من جرى الامور المذكورة فانهُ كان يعلم انها لا تاتي بنتيجة وربما كانت تكدر صداقتهما . فقالت لهُ ماري بتبسم انك تعظم هذه الحيلة الصغيرة ولا ريب في ان لويز تبيت متعجبة في بادي الامر بل مغتاظة على انها لدى التامل تسر بالتعرف برجل حاذق كذلك الرجل الذي كانت تقدر ان تخابرهُ بحرية لانها كانت تتوهم بانهُ مرتبط بالخطبة واخبرتهُ عما كانت لويز تقولهُ تكرارًا لها من ان تعرفها حق المعرفة بالمتزوجين او المخطوبين من الرجال فقط هو من سوء حظها وانهُ ربما كانت الحالة الجارية تاتي بنفع . واجادت بالحديث والبراهين حتى انها حملتهُ على الصمت . ووصلا الى المكان الذي كانا يصوران فيهِ واخرجا طعامًا فاخرًا من المركبة واجتمعا بلويز والضابط . اما لويز فكانت لوائح الكدر تلوح على وجهها وكانت كثيرًا ما تغوص في بحر من الهواجس وكانت تقول انها غير مرتضية بتصويرها . وقال القبطان انهُ يقر بانهُ كان ينتظر تصويرة اجمل من التي صورتها فانها كانت متقنة صحيحة جدًّا دقيقة غير انها كانت ناقصة من جهتها الاجمالية وان ذلك ناشئ عن شدة الاعتناء . فنظرت ماري اليهِ متعجبة عندما سمعت بذلك ثم تبسمت فانها علمت ان ابدا الاراء بحرية وبدون تصنع وتكلف مع التنكيت الصحيح ما يرضي لويز ويمكنهُ من امالتها اليهِ

الفصل السابع

واخذوا جميعًا في ان يجولوا في خربات القلعة ولم يركبوا المركبة ليعودوا الى البيت الا بعد ان طلع البدر . ولم يتكلموا كثيرًا في اثناء ذهابهم فنام الهار مرز وتظاهرت ماري بانها نائمة . ولم يبقَ في حالة اليقظة غير لويز والضابط فامسك الضابط يد لويز وشد عليها فارادت ان تخلصها من يدهِ ولكنها لم تقدر فارتجفت فشدد امساكهُ لها فهل اجابتهُ بشد يدها . انها لم تعرف ماذا فعلت فان الدم جرى باردًا في عروقها

(ستاتي بقيتها)

ملح

من قلم سليم افندي عموري وغيره

المبالغة

اتفق اجتماع كتاب مجلات شهيرة واخذوا يتحادثون شاكراً كل منهم المحل الذي هو فيه فافضى بهم الحديث الى الفخر فقال احدهم اتعلمون يا اخوان اننا امرنا من بدء هذه السنة ان نحذف النقط من حرف الياء (اي i) فينشأ المحل عن ذلك وفر قدره ٩٠ الف فرنك في السنة

الحذق

احضر رجل بين يدي المامون كان قد اذنب فقال له انت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم انا ذاك يا امير المومنين الذي اسرف على نفسه واتكل على عفوك

ثقيل ومريض

عاد ثقيل مريضاً فاطال الجلوس وبعد ان كادت تزهق روح المريض قال له لماذا لا تنشرح اخبرني ما الذي تريده لاجريه على الراس ثم العين قال اقسم لي يميناً على ذلك ففعل فقال اريد ان تذهب عني الى حيث لا ارى وجهك ابداً فقام وذهب خجلاً

صاع بصاع

صادف مهذار ظريفاً قادماً من سفر فحياه ثم هناه بسلامته ثم قال له كيف حال = جناب بهي الشيم عني الهمم حميد المزايا رفعتلو بيدروس افندي المحترم اجابه الظريف عن الشوق الوافي الوافر لمشاهدة نور وجهكم الزاهي الزاهر وضياء طلعتكم الباهي الباهر نعرض اولاً السوال عن خاطركم المنيف الشريف والاستفسار عن صحة مزاجكم اللطيف الظريف والثاني من جهة جناب بيدروس افندي المحترم فهو بكمال الصحة فخجل من جوابه وانصرف مخذولاً

مغفل

مرض مغفل فلما اشتد به المرض امر بجمع الطبول والزمور وجميع الات اللهو في البيت الذي هو فيه فلما انكر واعليه ذلك قال فعلته لدفع الموت لانني سمعت ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من الات الملاهي

طفيلي

رافق طفيلي رجلاً في سفر فقال له الرجل امض فاشتر لنا لحماً فقال لا اقدر! فمضى هو واشترى ثم قال له قم فاطبخ قال لا اعرف فطبخ الرجل ثم قال له قم فاثرد قال انا كسلان فثرد ايضاً ثم قال له قم فاغرف قال اخشى ان تنقلب على ثيابي فغرف ثم قال له قم الان فكل قال الطفيلي لقد استحييت من كثرة مخالفتي لك وتقدم ناكل

الظلم يقلل البركة

خرج احد الملوك متنكراً فنزل على رجل فلاح له بقرة تحلب ثلاثة اضعاف فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه باخذها فلما كان الغد حلبت النصف فقال له الملك ما بال حليبها قد نقص ارعت في غير مرعاها فقال لا ولكن اظن ان ملكنا راها او وصله خبرها فهم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه ان لا ياخذها ولا يحسد احداً من الرعية فلما كان من الغد حلبت كعادتها

الجنان

الجزء التاسع عشر

في ٢٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي بستاني)

لايستدل على ما تقرر عليه احوال السرب والجبل الاسود وبوسنه والهرسك قبل ان تنفض الجمعية الدولية التي تعقد لتسوية امورها ولو عقدت شروط صلح ابتدائية متعلقة بالسرب لانه قد اجمع رجال السياسة على ان مجرد الرجوع الى الماضي والانتفاع التام بالغلبة العثمانية لاياتيان بصلح ثابت بل ربما كانا يسوقان بعض الدول الاجنبية الى مداخلة لاترام لا في هذا الزمان ولا في زمان اخر ولذلك لاتكون ثمرات قتالنا وشجاعة جيوشنا وتدبيرات قوادها وماتحملناه بالشكر من الاثقال المالية والاضرار الناشئة عن وقوف دواليب الاشغال كثمرات حروب اعتيادية ولا نتذمر اذا ضمنت سلامة مستقبلنا وفزنا ببعض تعويضات ماليتنا لان قصارى مرغوباتنا التمتع بمجبوحة من الراحة لعلنا نقطع شيئاً مهماً من سبل الاصلاح والترقي وتحول ابصار دول اوربا الى جهة غير حربية فتلافي اسباب الكساد والضيقات العامة فتاخذ الاعمال في الرجوع الى الرواج فنفوز برفع الثقل عن عواتقنا بحرب صغيرة ضيقة الدائرة بعد ان كنا نرى ان انقاءها عنها لايتم الا بحروب عمومية تضطرب لها الارض ولا نرى انصافاً في جمل اثمار القتال بعد ذلك العدوان مفيدة غير ان مراعاة الظروف من اوجب الامور والارتضا بصرف المشكل بالتي هي احسن مع الحصول على تلك الضمانة ربما كان من مصلحتنا وقد صادف جلوس حضرة مولانا السلطان عبد الحميد الاعظم انتصارات مهمة في السرب والجبل الاسود ويجب ان تتفال بالتوفيق والترقي والرفاهية والتخلص من صعوبات مالية طالما اتعبت رجال دولتنا وثقلت على زراعتنا وصناعتنا وبعد ذلك يفاز بالنظر في الاصلاح بالاعتدال والانصاف وابعاد الغايات وكل قاعدة لاتوافق الزمان الجاري وقد جمعنا من الاختبار ما هو كاف لان يسوقنا في الطريق المستقيم واذا لم نستفد به بعد ان جرى ما قد جرى يكون قد انقطع الامل من اقتدارنا على الاكتساب فنعود بخفي حنين بعد ان تقرر في عقولنا بما قرأناهُ ورايناهُ انه لا بد من تغيير الحال في ما يتعلق بالامور الداخلية الادارية والمالية ليصان كل حق ويرقى كل سبب نجاح وتقدم وتتخذ الوسائل الفعالة لاخراج ثروة البلاد من باطنها وانشاء طرق جديدة فيها بالتدريج والتاني لتقريب داخلية كل ولاية من الثغور لانتفاع الاهالي بما يجنونه بكدهم بالتمكن من توصيلهِ الى اسواق البيع والشرا بمصاريف قليلة وكفانا ان نرى في عشر سنين ما نود ان نراه في سنة من ذلك لان للاسراع في الامور اضراراً مالية ربما كانت قريبة من اضرار اهمالها ولا ندعي بان احوال الحرب الجارية والمسائل السياسية قد بلغت درجة تسوغ قطع النظر عنها والاهتمام بما لاتستبدله حال الا بعد نهايتها وتقرير الدين غير اننا قد ذكرنا ذلك تبييناً لما نعلق الامل بان نشاهد اهتماماً به بعد الجلوس الهمايوني المانوس ونهاية الحرب ولذلك لابد من جعل التدبيرات المالية الاوربية ممكنة من المرغوب فان تعيين فائض قليل جداً لنصف المال المطلوب وافراز مبلغ للانشاءات والاصلاحات تحت يد عيدة مخصوصة او غير ذلك من الضوابط انفع للبلاد بل لاصحاب الدين مع

مرور الزمان ولئن استمرت اسعار القراطيس المالية دينية وافضل من الرجوع الى تحصيل البلاد ما لا تقدر ان تحماة الا بالعنا فتزداد ضعفاً وتضعضعاً فيوثر ذلك في الدين فلا يبقى نصف النصف فهذه امور تستحق كل الالتفات والمراعاة لان استقامة امورنا تتوقف على اتحادنا ونهج مناهج اهل الحكمة من رجال السياسة من كل الوجوه فان قوة الدولة بقوة الامة وضعفها بضعفها وبدون اصلاح يزداد الضعف وهذا هو الذي لم يشغل عنه رجال الدولة العلية بعض الانشغال الا بحرب تضمنت كل الخطر واستغرقت اهتمامات رجال السياسة بجملتها ومن الحظ والسعد اقتراب النهاية قبل دخول فصل الشتا لانه لو استمرت الحرب وطالت الى الربيع لشاهدنا في الممالك المحروسة بل في الشرق قاطبة خراب بيوت عامرة وويلات لا يقدر الانسان ان يدرك حقيقتها بمجرد التصور وقد طالما قلنا في السنين السابقة في الجمل السياسية ان احب شيء عند كل متعقل مدرك من جميع العثمانيين ان يحافظ على الحالة الجارية مع نهج مناهج الاصلاح لان انضمام الاجناس الكثيرة العثمانية امة واحدة ذات مركز مهم جداً كالاستانة العلية يجعل الامة قوية ذات شان عند الدول الاوربية التي شانها مد يديها ادبياً او مادياً الى كل ما يتيسر لها ان تمد يديها اليه فتراها تفتح بلداناً بالسيف والبلدان التي يلقي الله تعالى بينها الخلاف بسببها تحاول فتحها بالتجارة لانتفاع اهاليها بسلب اموال الاهالي بجذفهم ببيع محصولاتهم ومنسوجاتهم وسائر مصنوعاتهم وابتياع المحصول ورده مصنوعاً ولا يخفى ما بذلك من الربح فتسقط صناع البلاد في مناظرة صنائعهم وتاخذ النقود في ان تقل عند الحكومة والاهالي حتى تبيت الامة قاطبة في درجة الافلاس وقد ذقنا مرارة هذه الكاس باقل من نصف قرن وقد اخذ اليابانيون في ان يتجرعوها فتري الجرائد الاوربية تمدحهم وتمدح ملكهم وما ذلك الا تحريضاً لهم على الثبات في السبيل الذي تمكنوا من ان يجعلوهم يسلكونه وهو المودي الى اقتباس العادات الاوربية واستخدام مصنوعاتهم ببذل اموالهم فعوضاً عن الابتدا باقتباس الصنائع يبتدئون باقتباس المصنوعات فينالون ما يسمي بالتمدن الظاهري باغلى الاثمان في زمان قصير بدون ان تكون الامة قادرة ان تحمل اثقال ذلك فتبيت فقيرة مضنوكة في مدة قصيرة فانضمامنا امة واحدة ذات جيش جرار وبوارج قادرة يزيد صيانة حقوقنا واهتمام دول عظيمة بشاننا بالنظر الى اهمية مراكزنا يقوينا ويريح افكارنا ولاسيما اذا اخذنا نرتقي سلم الاصلاح ونزيد في ضبط الادارة واذا تقررت الحال واستمرت اوربا متاهبة هذا التاهب فلا ننفك عن انتظار وقوع حروب بين الدول العظيمة فان من الدول من لا تقدر ان تثبت تحت حملها المالي الثقيل الناشي عن جيوشها الجرارة ومنها ما لا تقدر ان تنفك عن القيام بحق الثار فخلل ميزانية اوربا يوقع خللاً في الصلات الجارية بين دولها على ان الظاهر ان انقلاب العيال المالكة بحروب في هذا الزمان قد القى الخوف في قلوب الملوك الذين يعلمون ان النصر لا يكون دايماً للاقوى لانه ربما كان خطا تدبير واحد علة انكسار عظيم وخطب جسيم فلا يتاملون في الحروب العظيمة المقبلة الا بارتعاد الفرائص والقلق والخوف فانقطاعهم عن التاهب يوقعهم تحت خطر الغدر بهم وهم على غفلة فيتاهبون ولا يتجاسرون ان ينفذوا غاياتهم فهذا الجام ناشيء عن الخوف الشديد وهو للشرقيين سور فنسال الله ان يزيد في علاه ومتانته اما انقسامات الانكليز وما يظهر ماثر حزب الحرية للسياسة الشرقية التي عولت انكلترا عليها منذ زمان طويل فما هو الا لمضادة

الحزب المحافظ الجاري ومن المحقق انهُ لو كان زمام الامور في ايديهم لنحوا نفس المنهج الذي نرى الحكومة الانكليزية تنحوهُ مع المحافظة على قواعد عمومية ومجانبة اعمال قد تقرر عند كثيرين من رجال السياسة في العالم انها قد اخطات بها وقد انكرت مساعدتنا لاماديًّا ولا ادبيًّا غير انها تحاول المحافظة على عهود من مصلحتنا المحافظة عليها وما دام امبراطور روسيا محافظًا على الحيادة يكون مخالفا لما امتووم من المقرر ان امبراطورها على جانب من التعقل لعلمهِ ان الحروب ربما كانت تضر بها كثر من اضرارها بالذين يكونون اعداءهُ او قدرهم ولا سيما من الجهة المالية ونظن ان الحرب الاتية التي تنتشب بين الدول ستخرب خزائن الدول التي يعلم ان خزائنها متعبة جدًّا وانها قد بلغت النهاية من تحميل رعاياها اثقالاً مالية ولذلك نود ان نرى الناس في الشرق الفقير يقطعون النظر عن الاوراق المالية ويبحثون في تشغيل ما هو فائض عنهم من المال في سبيل اعمال داخلية تنفعهم وتنفع العموم مع سلامة عواقبها ويتم ذلك بالتامل وبطلب التسهيلات اللازمة ومخابرة بعض اصحاب العقول واذا لم يتم نكون قد ارحنا بالنا من الانشغال بالتامل به وتعليق الامل بالفوز بالنفع فنتقرر لانفسنا اسبابًا اخرى للربح فهذه الامور مما يستحق كل الالتفات وان توجه كل الافكار اليها في الحال لان بمجرد التوجيه لا يتم المرغوب وفي شرقنا لا يتيسر ابتدا ذلك الا في بيروت ولذلك لابد من ان يهتم عقلاوها بامرهم وان يشرعوا في البحث هكذا ماذا نفعل لتشغيل اموالنا بما هو قليل الخطر بعد انغلاق الابواب التي كنا نربح بها وما بعد ذلك غير وجود طريقة موافقة اذا فزنا بالمساعدة التي تقتضيها الاحوال واجتماع الكلمة والاتحاد ينبوع النجاح في امور كهذه فاذا كان الاهالي يرغبون في خير انفسهم فما عليهم الا نبذ اسباب الانقسام والخلاف ولا سيما لانها لا تتعلق بالجوهر من الاعمال ولكنها ناشئة عن امور طفيفة لا طائل تحتها غض النظر عنها مرة او مرتين يزيلها لانهُ ليس بين الاكثرية عداوة بحيث لا يرتضي المنكت او العاتب الا بزوال نعمة من ينكت عليهِ او يعاتبهُ واذا صحت الاخبار البرقية الاخيرة التي صدرت عند كتابة هذه الجملة نحكم ببلوغ الحرب النهاية في السرب ومن الواجب ان لا نقطع النظر عما اظهرهُ الاهالي في اسيا من الالفة والاتحاد والتعقل ولا سيما في الولايات العربية وذلك مما يدعو الى التخصيص بالثناء في جملة مطولة على انهُ من الواجب ان نحرض الناس على ان يقلعوا كل الاقلاع عن كل كلام واعمال ما يدعو الى النفور والغيظ والعتاب في اثناء المخابرات الصلحية لانهُ اذا ثبتت الالفة في ذلك الحين تزداد بعد عقد الصلح فننتفع بها والعاقل من ينتفع بالمصائب وقد راينا كل امم الممالك المحروسة مشتركة في احتمال سوء عواقب الحروب وفي دفع الاعداء بالرجال او بالمال او بهما جميعًا فمن الواجب ان يتقرر عندها كلها ان صالح فيئة منها انما هو صالح سائر الفيئات وان استقامة احوالها فعلاً بالالفة والحب والصداقة والابتعاد عن التعديات التي تلقي على عواتق رجال رجال سياستنا اثقالاً بل ربما كانت تاتي الامة قاطبة باضرار واتعاب فمن يحب دولتهُ وصوالحهُ لا يتعبها ولا يعرضها للخطر بجعلها هدفًا للاعتراض باعمال بعض الافراد وباهمال بعض المامورين واذا سمعنا كلامًا مغايرًا فيكون كلام بعض الجهلاء الذين لا يدركون حقيقة الحال ولا في ايديهم ازمة الامور وقد تقرر امر مهم بالحرب الجارية وهو ان جميع رعايا الدولة العلية في اسيا هم اصدقاؤها مع اختلاف اديانهم وانهم جميعًا يبذلون الجهد في سبيل حفظ الراحة عند ما يرون ان الدولة والبلاد في احتياج شديد اليها فيصير

الذئب منهم كشّاً وديعاً والمأمول ان هذه النجابة والقواعد تحمل رجال دولتنا بخصوصون بالالتفات جهاتنا بالمنافع والاصلاحات ليقووا عناصر لا تكون قوتهم غير قوة لها عند حلول الخطوب

لائحة البرنس كورتشاكوف

اننا كثيراً ما ذكرنا في الكلام عن سياسة الدول الاوربية لائحة البرنس كورتشاكوف وزير دولة روسيا الاول المشهورة التي اشغلت رجال السياسة مدة طويلة وقد نشرنا ملخصها في الجنة والآن ننشر ترجمتها بتمامها نقلاً عن جريدة التيمس ليطلع عليها قراء جرائدنا وهي الاتية

ان الاخبار المقلقة التي ترد من الممالك العثمانية هي ما يحمل الدول على حصر دائرة اتفاقياتها ، وقد ظن الامبراطورون الثلاثة انهم مدعوون للبحث سوية في ما يجب ان يتخذوهُ بمساعدة سائر الدول المسيحية لمداركة الاخطار التي تحيق بالاحوال الحاضرة وقد تقرر لديهم ان حالة البلاد العثمانية الحاضرة تستدعي احتياطات مضاعفة وقد تبين لهم ان اهم الامور الآن ان تجد اوربا الوسائط العمومية التي تمنع تكرار الحوادث التي حدثت في سلانيك والاستانة العلية وازمير وقد قالوا انهُ لاجل الحصول على ذلك يلزم ان تتفق دول اوربا على الوسائط التي يجب ان تتخذها للمحافظة على امنية رعاياها ورعايا الدولة العلية الغير المسلمين في كل المحلات التي يفقد فيها ويظهر انه يمكن الوصول الى المقصود باتفاق عمومي بين الدول على ان يصير ارسال سفن حربية الى المحلات الغير المطمئنة وان تعطى تعليمات مشتركة لروساء هذه السفن بخصوص الطريقة التي يلزم ان يتصرفوا بها عندما يلتجئون بسبب الاخلال بالراحة والسلام العمومي الى التكاتف واشهار السلاح . لكن ذلك لا ياتي بالمقصود تماماً ما لم يصر الاسراع باخماد الفتنة في بوسنه وهرسك التي هي اصل اسباب هذه القلاقل ، وقد اجتمع الامبراطورون العظام بهذا الخصوص بناء على المباداة التي صار اتخاذها في رسالة رقيمة مورخة في ٣٠ كانون الاول وذلك لاجل الحصول على اصلاح حالة اهالي تلك البلاد بدون الحاق ضرر بحالة السياسة الحاضرة . وقد طلبوا من الباب العالي لائحة اصلاحات تاتي بالنتيجة المرغوبة فاجابهم الباب العالي الى طلبهم واظهر عزمهُ الثابت على اخراج هذه الاصلاحات من القوة الى الفعل ، فنتج للدول عن ذلك حق ادبي وهو ان يسهروا على اتمام ذلك . ومع ان كل الدول قبلت بمبادي لائحة الاصلاحات المذكورة صادفت مانعين وهما اولاً طلب العصاة كفالة مادية من الدول الاوربية تتكفل لهم بالحصول على ما ذكر في اللائحة مدعين بان ما تكبدوهُ في الماضي يجعلهم يطلبون ذلك ، ثانياً ادعاء الباب العالي بانهُ طالما العصاة يجولون في بلادهِ متسلحين والمهاجرون يرجعون الى محلاتهم لا يمكنهُ ان يجري الاصلاحات الجديدة في المملكة

ومن اهم الامور ان تحمل الحكومة المذكورة على اتمام المواعيد التي وعدت بها الدول الاوربية وقد اتفق الامبراطورون الثلاثة على ان اول شيء يجب عليهم ان يفعلوهُ في هذا الشان هو ان يستخدموا كل القوة التي يلزم ان تكون لدول متفقة في راي واحد ليحملوا الباب العالي على اعطاء هدنة شهرين . فتكون هذه فرصة كافية يمكن بها امتناع العصاة والمهاجرين باهتمام اوربا واعتنائها بهم وتحريض الرعايا المجاورين للعصاة في عدم احداث موانع للمحاولة دول اوربا من اجراء المصالحة وحمل الباب العالي على تتميم مواعيدهِ وهكذا يفتح باب للبحث راساً بين الباب العالي ووكلاء بوسنه وهرسك على اساس المطاليب التي وضعها العصاة والتي تبين انها تستحق ان تكون موضوع مباحثة . واما المطاليب فهي

اولاً . ان يعطى للمهاجرين الذين يرجعون الى محلاتهم المواد اللازمة لترميم بيوتهم وكنائسهم وان يقدم لهم ما يتكفل بعيشتهم الى ان يصيروا قادرين على المعيشة بشغل ايديهم

ثانياً . انه اذا تسلم امر توزيع المساعدات للمور عنها في يجب ان يتفق على الوسائط التي يلزم اتخاذها مع القومسيون المختلط المذكور في لائحة ٢ كانون الاول (ديسمبر) وذلك للتكفل باجراء الاصلاحات اجراء حقيقياً وان يتكفل باجرائها بدون ريب . وهذا القومسيون يكون تحت رئاسة رجل هرسكي مسيحي واعضاؤه يكونون من نواب يصير انتخابهم بامانة حسب عدد الطائفتين في البلاد . ويجري تشكيله حالما يرفع السلاح بواسطة الهدنة

ثالثاً . لاجل منع حدوث ادنى مقاتلة يقدم رأي في الاستانة العلية بان تجمع الجنود الشاهانية في بعض محلات يصير الاتفاق عليها وذلك الى ان تكون قد راقت افكار الاهالي

رابعاً . يتقلد المسيحيون الاسلحة كالمسلمين

خامساً . ويناظر قناصل او وكلاء الدول على اجراء الاصلاحات عموماً وعلى ما يتعلق برجوع المهاجرين الى محلاتهم خصوصاً

فاذا امكن بمساعدة الدول العظيمة والقلبية والحبية وبواسطة الهدنة احداث اتفاق على هذه الشروط واخراجها حالاً من القوة الى الفعل برجوع المهاجرين الى محلاتهم وتشكيل القومسيون المختلط نكون قد تقدمنا تقدماً عظيماً نحو السلم . ولكن اذا مضت الهدنة بدون نجح الدول في ما عزمت عليه قد رات الدول الثلاث الامبراطورية بانه يلزم حينئذ ان يضيفوا الى اعمالهم السياسية السماح باحداث اتفاقية التي يظهر انها ضرورية لاجل السلام العام ولاجل توقيف الضرر ومنع امتداده

تخمينات سلمية

قالت جريدة التيمس ان حروب سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠ قد جعلت الناس ينتظرون نهاية كل حرب في شهرين وقد تعودوا ذلك حتى باتوا يبدون الضجر من الحروب التي تطول مدتها وعندهم انه من الواجب ان يعلم في نهاية المدة المذكورة الغالب من المغلوب واذا طالت الحرب بعد ذلك يشكون من الضرر وعندهم انه يحق ان يشكى العالم قاطبة . ولم ينشا ذلك عن مجرد سرعة انتصار الالمانيين ولكنه نشا ايضاً عن قصر حروبنا في الحبشة وفي اشانتي وغيرها من الحروب الصغيرة التي تتعاقب في الشرق بسرعة موجبة للكدر فنرى في كل حرب هجوماً شديداً سريعاً ثم تصادم الجيشين فينشا عنه كسر فيئة وانتصار اخرى . ولم يكن ذلك شان الحروب في الازمان السابقة ومن الواجب ان نتامل في الاسباب التي جعلتها على هذه الحال لاننا قد تبين ان الاسباب المذكورة ليست بعمومية وربما كانت غير نافذة في القتال المضطرم النيران الان في الغرب . فنظن ان سر سرعة نهاية الحروب هو في الجيوش المنظمة حق الانتظام فانها تفوز بالنصر السريع . وربما كان جيش من الجيوش المعاصرة غير خاضع لقيادة قواد اعظم من القواد الذين اشتهروا في الازمان السابقة . غير ان الجيوش الحالية الان يقدر قوادها العارفون بتشغيلها ان ينالوا منها شغلاً منظماً جداً فانها انظم جداً من جيوش القرون السابقة . فان تركيبها الكثير الاقسام يجعل فشلها مصيبة عظيمة لا يسهل سترها ويصعب تعويضها . غير انها اذا استمرت منتظمة انتظام تشغيل تكون آلة ذات قوة مخيفة . فانتصارات جنود المانيا الشمالية كانت انتصارات جيش منظم كل التنظيم حال كون جيوش اعدائها كانت غير منظمة الانتظام الواجب فسقطت في ارتباك لا يصلح عند حدوث الصدام . اما انتصاراتنا فكانت انتصارات جيوش

منظمة على جيوش خالية من كل انتظام . ومن المعلوم ان اختبارات هذه السوابق لا تفيد عند البحث عن احوال حرب جارية بين متقاتلين ليسوا بحاصلين على سر النظام العسكري ففي هذه الظروف ينبغي ان نرجع بانفسنا الى احوال حروب قرون ماضية حتى اننا ربما كنا نلتزم ان ننظر الى حرب لا فائدة من اطالتها . ولا يخفى انه من الممكن ان يقطع حيوان من حيوانات الدرجة الاخيرة الى قسمين ويبقى كل قسم حيًّا على حدته . وكذلك الجيوش الغير المنظمة فانه من الممكن تبديد جيش بدون تقريب نهاية الحرب

هذا ولا نزال ننتظر ما ينشا عن الحروب الجارية في ظاهر الكسيناتز (قد اختلفت الروايات في امر فتحها) بامل وصول القتال الى النهاية لان بعد ذلك يبيت الدفاع غير ممكن . والمظنون انه لا بد من احد امرين فالاول انه مهما حدث لا يمكن ان ترجع السرب الى ان تكون ولاية عثمانية . والثاني انه لا يمكن ان يضم اليها ارض من اراضي الممالك المحروسة الشاهانية . وربما كانت تتغير شروط تعلق السرب بالباب العالي غير انه لا ينشا عن ذلك تغيير في الحدود . فاذا اتفقنا على ما تقدم قبل ظهور عواقب القتال في الكسيناتز فهل نصيب اذا انتظرنا نتائجها قبل ان نحاول عقد الصلح بين المتحاربين . وما من سبب يحملنا على الانتظار الا تعليق الامل بان تكون المحاربات في وادي مورافا مما يأول الى ترقية اسباب السلام . ويصعب علينا ان نرى سببًا كافيًا لتقرير الراي المذكور . فاذا انتفع السربيون بذلك القتال فربما كانوا لا يميلون الى الصلح اكثر من ميلهم الحالي فان مجرد تعليق املهم بالنجاح قد قطع كل الكلام المتعلق بعقد الصلح في بلغراد عاصمة السرب ولكن اذا حدث المنتظر وفاز العثمانيون في الكسيناتز يكون من الصعب حمل الباب العالي على قبول شروط الصلح التي قد تقرر بانه لا سبيل الى تقرير سواها . وهذا مما يسهل ادراكه . وعند ذلك يثقل على كل الدول بان تقرر في عقل الباب العالي بانه لا بد من غض النظر عن ترجيع السرب الى ما كانوا عليه من الخضوع العسكري . فكيف نقدر يا ترى بان نقوم بذلك . الجواب ان نقول له ان حاول العساكر في السرب ياتي باضطراب في روسيا فيلتزم امبراطورها بان يتداخل وان الاصرار على اجراء اقتصاص السرب ربما كان يجعل روسيا تفتح حربًا فنكون نحن على الحيادة ومن المعلوم انه مفروض علينا ان نفرغ جهدنا في سبيل منع حدوث ذلك باظهار ميلنا الى المداخلة قبل ان يطلب الباب العالي امورًا لا سبيل الى الحصول عليها . هذا واذا فازت الدولة العلية في المكان المذكور يحق لها ان تطلب ضمانات استقبالية ومن انفع الامور التي ينبغي ان نسعى للحصول عليها تقرير شروط تلك الضمانات . وربما كانت تجرى المفاوضة بشان دفع متاخرات المال المرتب في الحال وبشان زيادة ذلك المرتب السنوي وتقليل القلع وتحديد عدد جيش الحرس الوطني السربي حتى انه ربما كان يقال ان العدول عن حلول الجنود الشاهانية في السرب كان مراعاة لروسيا فمن الواجب ان تكون هي اي روسيا ضامنة بان السرب تحافظ على السلام سنين معلومة واذا تم ذلك يعدل عن تقليل قلعها وتحديد جنودها . فهذه المخابرات وما يشابهها مما ياتي برجوع السلام غير ان ذلك ليس هو الا بعض الواجبات التي قد القيت على عواتق الدول الاوربية بهذا السبب . لانه لا بد من تحديد مركز الجبل الاسود وان تتقرر احوال الهرسك وبوسنه التي نشات الحرب فيها تقريرًا يضمن النظام والسلام . وقد قيل اكثر من مرة ان الباب العالي يقبل بان يمنح ارضًا للجبل الاسود . غير ان صعوبات معاملة الهرسك

و بوسنه لا تزال حيث كانت قبل دخول السرب والجبل الاسود في الحرب. وتحويل ثورة محلية الى حرب متسعة الدائرة قد ابان للدول المتحايدة ان الاوفق استخدام الجسارة عند معاملة الامور في بدايتها وقد تعلمت بذلك ان تتدرع بالجسارة عند التامل في ما ينبغي ان تفعل الان. ولا نسمع الاصرار على حفظ حالة الاراضي العثمانية على ما كانت عليهِ ولذلك يقال انهُ لا بد من فصل الهرسك و بوسنة وجعلها ولايتين تدفعان جزية. واذا كان اختلاف الاديان مما ياتي بموانع لا تغلب من جهة فتح هيئة استقلالية فربما كان بوافق ان يدعي امير من عائلة هابسبورغ النمساوية الى ان يسوسها كما يسوس امير من عائلة هوهنزولرن الفلاخ والبغدان مع منحهِ قوة عسكرية ليتمكن من ضبط الاحوال في السنين الاولى واذا قال الناس ان هذا راي جسور لا يوافق نقول ان استمرار الولايتين المذكورتين على ما كانتا عليهِ لا يجعلنا نعلق الامل بالسلام وان تقرير امرياني الباب العالي بدخول سنوي اوفق من الرجوع الى الحالة الاولى

الذئاب في روسيا

قد قرانا في جريدة التيمس الاخبار الغريبة الاتية وهي قد نشرت كراسة موخرًا في بطرسبورج عاصمة روسيا متضمنة امورًا غريبةً يصبو الناس الى الوقوف عليها وجعلت ملحقًا لجريدة الحكومة الرسمية المسماة برافيتلستينه فياستنك. ومما نشر فيها تعديل الاضرار التي تلحق بالبلاد الروسية بسبب الذئاب وكلام متعلق بعاداتها وصفاتها وكيفية قتلها. ومن الامور المستغربة عظمة الاضرار التي تقع على البلاد الروسية من جرى تعدياتها. فانها في سنة ١٨٧٣ افترست ١٤ الفًا من الماشية الكبيرة كالثيران و٢٠٥ الفًا من الصغيرة كالغنم في ولاية فولوغدا وحدها ومساحتها ٢٥٤ الف فرسنس (هو ثلثة ارباع الميل الانكليزي). وقتلت في ولاية كازان في ارض مساحتها ٥٦ الف فرسنس مربع فقط ٥ الاف من الكبيرة و٢٦ الفًا من الصغيرة ومجموع ثمنها في الولاية المذكورة اخيرًا ٢٥٤ الف ريال مسكوبي حال كون عدد اهاليها مليون و٧١٥ الف نفس فقط. اما في ولاية بطرسبرج فالتعديات اقل ومع ذلك قد افترست فيها ما قيمتهُ ٦٤ الف ريال مسكوبي في سنة واحدة وهذه القيمة مبنية على تعديل معتدل جدًّا فانها ٢٠ ريالًا ثمن كل راس من الماشية الكبيرة و٤ ريالات ثمن الماشية الصغيرة

وقد افترست الذئاب المذكورة في ٤٥ حكومة روسية خلا ولايات البلطيك و بولونيا ٧٤١ الف راس من الماشية في سنة واحدة فنشات عنها خسائر للبلاد تزيد عن سبعة ملايين ونصف مليون ريال مسكوبي اي اكثر من مليون ليرا انكليزية

ومن المعلوم ان اهالي روسيا قليلون بالنسبة الى اراضيها وتزداد غرابة تلك الافادات بنسبتها الى المساحة. وقد ذكر في ذلك التقرير ان افاداتهِ اقل من الواقع وليس اكثر منهُ. وفيهِ اخبار كثيرة لذيذة عن تاريخ الذئاب الطبيعي وفيهِ اخبار عنها فمنها ما هو لاظهار قوتها كالخبر الاتي وهو ان ذئبًا وقع في فخ فانقطعت يدهُ اليمنى فسار الى الغابات على يد ورجلين وامسك خنزيرًا قتلهُ الصيادون وربطوهُ في موخرة مركبتهم. فاطلقوا عليهِ الرصاص فانكسرت رجلهُ اليسرى ومع ذلك ركض ٢ فرسنسًا وقتل برصاصة وهو راكض. وياكل الذئب كثيرًا جدًّا فان اثنين منها ياكلان نصف حصان ثقلهُ ٢٥٠ كيلوغرام مع ان ثقلها لا يزيد عن خمسين كيلوغرام. ومن خصائصها الغريبة تظاهرها بالموت

لغرض . ففي ذات يوم وجد فلاح ذئبًا ميتًا ملقى على الارض فضربهُ بعصا ضخمة فلما تحقق موتهُ وضعهُ في مركبتهِ التي تسير على الثلج وسار بهِ الى بيتهِ لينتفع بجلدهِ . ففي الليل سمع صوتًا فنظروا واذا بالذئب على المائدة فوثب اليهِ وعضَّ عنقهُ فخرجت امرأتهُ صارخة طالبة اسعافًا ورجعت فوجدتهُ مقتولًا

وقد ذكر في الكراسة المذكورة ان عدد الذئاب في البلاد الروسية ليس باقل من ١٧٠ الف ذئب وانها تاكل من الطيور وحدها مائتي مليون طير . وسنة ١٨٧٥ قتلت مائتي شخصًا ولقتلها وسائط كثيرة منها الاجتماع بصيدها ودفع جائزة لكل من يقتل ذئبًا وتسميمها وغير ذلك . وقد قابلت بين الاضرار التي تنشا عن موت المواشي بامراض وبائية والاتلافات النار وبين اتلافات الذئاب فوجد ان نسبة اضرار الوبا الى الذئاب نسبة المائتين الى المائتين والاربعين ومن اللازم ان يعلم ان موت الحيوانات بالمرض يترك لاصحابها الانتفاع بجلودها اما الذئاب فلا تترك شيئًا . واضرار الذئاب تكاد تكون قدر اضرار النار هنا واذا تاملنا ان تلك الاضرار العظيمة تنشا عن جنس واحد من الوحوش التي تلحق اضرارها بفلاحي روسيا نحكم بان الاضرار التي تنشا عن الحيوانات المفترسة في البلاد الروسية هي من المصائب العمومية العظيمة

فرنسا

قالت جريدة التيمس ان الفرنسويين يشتاقون جدًّا الى ترجيع ما اضاعوا من قوتهم العسكرية ولذلك يساقون بالطبع الى تدقيق البحث عن المواد التي تتالف منها الجيوش . وقد نشرنا جملة نقلناها عن جريدة فرنسوية تبين بها انهُ من الواجب ان يكونوا في شاغل من هذا القبيل . لان عدد اهالي فرنسا اخذ في النقصان عوضًا عن ان ياخذ في الازدياد . وكان عددهم سنة ١٨٦٦ ثمانية وثلثين مليونًا فباتوا سنة ١٨٧٢ ستة وثلثين مليونًا . فاذا اضفنا عدد الفرنسويين الذين صاروا الى المانيا بضم الالزاس واللورين الى المانيا وهم اكثر قليلًا من مليون ونصف نرى ان الفرنسويين قد قلوا في ست سنين ٢٧٠ الف نفس مع ان اهالي بريطانيا العظمى اي المملكة الانكليزية في اوربا قد زادوا من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٧١ ثمانية في المائة وثمانية اجزاء . وزاد اهالي بروسيا من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧١ اثنين في المائة و٧٨ جزءًا وزاد السكسون في المدة المذكورة ٥ في المائة و٣٦ جزءًا . وهذه الارقام لا تبين حقيقة الفرق في ازدياد الاهالي في البلدان المذكورة لانهُ يخرج من بريطانيا والمانيا عدد غفير كل سنة من المهاجرين الذين يذهبون الى بلدان اهاليها اقل من اهالي بلدانهم بالنسبة الى مساحة اراضيهم حال كون فرنسا قلما تخسر من ابنائها بسبب المهاجرة . فانهم اشد الامم ميلًا الى الاقامة في بلادهم . وقد ذكر في الجملة التي اشرنا اليها نقلًا عن الاسقف والنكتون الكاثوليكي في نيوزلاند ان المهاجرين الذين ياتون البلاد المذكورة من الانكليز فقط هم ثلاثون الف نفس وقد قال ان المظنون انها لو كانت مستعمرة اوربية لكان الاوربيون فيها ميئات وليس الوفًا . ويقال ايضًا انهُ لا سبيل الى حمل الفرنسويين على ان يقطنوا في احدى الجزائر التي تملكها فرنسا منذ سنة ١٨٤٠ حال كون اهاليها اخذين في ان يقلوا ولذلك ربما كانت تلجى الضرورة الفرنسويين الى هجر الاماكن المذكورة . ولا سبيل الى تعليق الامل بجعلها قسمًا من فرنسا بحلول الفرنسويين فيها بعد ان تبين ان الاهالي اخذون في ان ينقصوا في نفس البلاد الفرنسوية . على انهُ ربما كان هذا النقص موقتًا غير اننا لا نرى في تعديلات نحو

قرن ما يبشر بحدوث تغيير مادي . وقد تعدل ان اهالي انكلترا يتضاعفون في ٦٣ سنة واهالي المانيا في ٩٨ سنة ولا يضاعف عدد اهالي فرنسا في اقل من ٣٣٤ سنة . وقد تقررت تعديلات اخرى تبين منها ان النشاط الفرنسوي الطبيعي قد بات في نقصان لانهُ قيل ان الذين ادركوا منهم سن العشرين سنة ١٨٧٢ كانوا ٣٠٣ الاف و٨١٠ انفس . وسنة ١٨٧٤ مائتين و٩٦ الفا و٢٠٤ انفس وسنة ١٨٧٥ مائتين و٨٣ الفا و١٦٨ نفسا وسنة ١٨٧٦ مائتين و٧٧ الفا فقط (الظاهر انهم قاسوا نصفها الثاني على نصفها الاول الماضي) . فاذا كان ذلك مضبوطا يكون مهما جدًّا

ولا يخفى ان من اسباب ضعف النشاط الطبيعي في الفرنسويين الحروب ولا سيما التي اقيم بها في ايام الامبراطور نابوليون الاول فان القرعة ترسل الى ميادين القتال اشد الفلاحين واقواهم وربما كانت فرنسا لا تزال تشعر باضرار معارك كمعركة بورودينو ومعركة واترلو فانها اهلكت قسمًا عظيمًا من نخبة رجالها . ولو كان نمو الفرنسويين الطبيعي في العدد كنمو الانكليز بالسرعة لما اثر ذلك فيهم عظيم تاثير وكذلك لو عوضت الخسارة بدخول مهاجرين كثيرين على الدوام كما في الولايات المتحدة الامركانية . غير انهُ ليس شيء من ذلك في فرنسا فالضعف الذي اصيبت بهِ بالحروب منذ قرن قد توصل الى اهالي القرن الحالي . هذا وربما كانت بعض عادات الفلاحين اشد تاثيرًا من الحروب فانهم اشد امم اوربا توفيرًا واجتهادًا وكدًّا وبخلهم وجهلهم متساويان لذلك . فان اكثرهم اصحاب حقولهم ويحبون الارباح جدًّا فيكدون من الصباح الى المساء بثبات واستمرار يعدهُ فلاحو انكلترا عبودية وربما كنا لا نبالغ اذا قلنا ان كثيرين منهم يحولون فضيلة الجد والكد الى رذيلة ويجمعون بالتوفير جمعًا لا تقدر الهُ اخرى ان تجمعهُ . وكثيرون منهم على جانب من الثروة وافقرهم ربما كان يفوق في حالتهِ الفاعل الانكليزي فلا يكون في الفقر مثلهُ . على ان كد رجالهم ونسائهم الضعف لا يعضد بعادات صحية ولا باكل موافق . وكثيرون من فلاحي دورسنشاير الانكليز يحتقرون الاكل الذي يعيش بهِ فلاحون فرنسويون هم اغنيا بالنسبة اليهم . ولا نعجب اذ نرى قومًا يكدون ذلك الكد ويرتضون بذلك الاكل على ما هم عليهِ من الضعف . ولذلك عظيم اهمية لان الفلاحين في فرنسا هم اكثر من نصف اهاليها . فربما كانت هذه الاسباب وما يشابهها هي من اسباب نقصان عدد الفرنسويين . فالفلاحون اصحاب الاراضي التي يزرعونها ولا يهاجرون وقلما يدخلون التجارة ويخافون جدًّا على الدوام من ان يسقطوا في فقر فيسهل عليهم ان يدركوا حقيقة حالهم من جهة امالهم الاستقبالية والخاطر التي تحدق بهم . وعندهم انهم يخسرون مركزهم اذا لم يربحوا من الكروم التي ورثوها او اشتروها او حصلوا عليها بواسطة الزواج وقد اضعفت قوتهم الادبية بتقرير قانون قسمة املاكهم بعد موتهم . وتقرر انهم يقدرون ان يهبوا قسمًا منها وانهُ لا بد من ابقاء قسم لارامائهم وان ينقسم قسم بين اولادهم . وهذا القانون موافق جدًّا لرغبة الاهالي حتى انهم قلما يهبون شيئًا فينشا عن ذلك قسمة الارض بالمساواة بين الورثة . ولذلك يبقى البنون عند والديهم ولا ينسى رئيس العائلة المطلوب منهُ فانهُ يرى امامهُ الاقارب الذين لا بد من قيامهِ بمعاشهم ويتقوى على ذلك بروابط عائلية مخصوصة بالفرنسويين . ومن عاداتهم ان يضحوا امورًا يصعب على الانكليز بان يصدقوا انهم يضحونها لمنع بيع قطعة ارض او وقوع العائلة في الفقر . فان البنين والبنات

يبقون في حالة البتولية حياتهم بطولها ليتمكنوا من الاقامة في بيت شقيق متزوج او شقيقة متزوجة حال كونهم يشاركونهم في ملك ارض يحرثونها معًا و يرغبون في ان يجعلوا ورثاءهم اولاد الذين هم في بيوتهم . فهذا مما يقوي جدًّا الاحتياطات الحكمية التي تعب في نشرها مالثوس بيننا ومن شانها تاخير الزواج وتقليل النسل .

وقد وجد في ذلك بعض اصحاب التوفير المنزلي اغنام احب امالهم لان تقليل الذين ياكلون يزيد سبب الراحة . ولا ريب في ان فرنسا متخلصة من النهاية في الثروة والنهاية في الفقر حال كونها كثيرين عندنا . على ان سوء عواقب ما هم عليه سما يوقع الافكار في قلق . وعدم ازدياد عدد الاهالي يجعل فرنسا في احتياج الى جميع اهاليها ولذلك لا تقدر ان تنشي مستعمرات عظيمة ولا ان تبقى مستولية على بلاد كالهند . ومن المصائب التي تستحق الذكر انها ليست بحاصلة على اسباب خروج اصحاب المطامع والقلاقل الذين يطمعون جدًّا في الحصول على السلطة والنفوذ لانهم لا يرتضون بان يكونوا اصحاب مركز إعتيادي . ولذلك يعسون بسهولة من اهل الثورة وعندنا كثيرون من هولاء غير انهم يجدون تشغيلاً لمطامعهم ونشاطهم في المستعمرات وعيشتها الخبيثة او في الهند ولو لم يجد كليف وهيستلنز ميدانًا لانفاذ مطامعهما في الهند وجاءا بالمنافع التي جاءا بها بفتحها لربما كانا القيا القلاقل في وطنهما الانكليزي . ولو كان لفرنسا امبراطورية هندية لاشتغل بها كثيرون من اهل الثورة عن ذنوب مخيفة وتعديات عظيمة اقاموا بها في بلادهم . وفي حالتها الحاضرة تلتزم ان تنشي مستعمرات لقصاص المذنبين عوضًا عن ان تكون لفائدة امتها . ومن اعظم اسباب خسارتها النفوذ العام لان العالم اخذ في ان يتحول بسرعة الى الجهة الانكليزية لان انكلترا اعظم دولة لانشا المستعمرات اما فرنسا فاخذة في ان تخصر . واللغة الانكليزية اخذة في الامتداد والظاهر انها ستكون الواسطة العظمى لانتشار العلوم والتجارة . حال كون اللغة الفرنسوية مع اتقانها العظيم اخذة في ان يقل استعمالها و بالجملة نقول ان فرنسا امست تخسر من نفوذها في الجنس البشري . واهل الدين من الفرنسويين يعلمون ان اقتدار انكلترا على انشا المستعمرات يضعف الدين البروتستانتي في الامتداد اضعافًا يزيد عن اضعاف اصلاحات الزمان المعروف بزمان الاصلاح . ومستقبل النصرانية يكون لاشد الامم امتدادًا وانتشارًا ولذلك قد خسرته فرنسا . واهم ما ينشا عن ذلك في الحال متعلق بالامور الحربية لان اهالي المانيا يزدادون حال كون اهالي فرنسا يقلون وهذا مهم في هذه الايام التي اصبحت ايام جيوش جرارة لا تنفك عن الازدياد

الحزب المضاد لحكومة انكلترا

من العادة الجارية عند الانكليز ان ينشر من رغب في ان ينتخب لعضوية المجلس العالي او غير ذلك جملة في الجرائد وان يخطب خطبًا يبين فيها السياسة التي يعول على انفاذها اذا فاز بالحصول على الانتخاب . وفي البلاد الاوربية حزبان في كل مملكة حزب مع الحكومة وحزب ضدها . فياخذ كل منهما في ان يظهر فضل حزبه وسياسته لان الاحزاب هناك ليست في الغالب الا ناشئة عن اختلاف اراء سياسية وعند ما صار مستر دزرائيلي وزير انكلترا الاول من الامرا خسر مركزه في المجلس العالي العام الذي لا يدخله غير الاهالي فشرع مستر كارنكتون وهو من حزب الحرية المضاد للحكومة الحالية الانكليزية في ان يبين لاهالي الدائرة الذين كانوا ينتخبون مستر

دزرائيلي لينوب عنهم ولوكان وزيرًا اول في ان ينشر ما يبين خطا سياسة الحكومة الحالية في حمل ليجعل الناس ينتخبونهُ ولاظهار ذلك لتعلقهِ بامور خارجية ايضًا قد ترجمنا الجملة التي جعلها قاعدة ارائهِ السياسية وهي الاتية

ايها السادة . ان استعفاء اللورد بيكونزفيلد (اي مستر دزرائيلي) من رياسة حزب في المجلس العالي العام وتصميمهِ على ان يصير من الامرا قد جعلنا مركزهُ فارغًا في المجلس العالي وما لذلك اللورد من الاهلية وامتيازهُ المجلسي وخدمتهِ الطويلة لمنتخبيهِ هي ما لا ينكرها من كان مثلي من عائلة قد طالما تمتعت بصداقتهِ ولكنني لا اقدر ان اوافق الذي يطلب ان يخلفهُ في العضوية على اركانهِ الى الحكومة الانكليزية الحالية فانهُ لابد من ان ننتظر لنرى هل زادت قوة الجيش والبوارج اولا حال كوننا نعلم انهُ لا ريب في انها زادت المصاريف المتعلقة بها

ولا نرى ما يدل على نجاحها في ادارتها في المستعمرات والشواهد الحرب الاخيرة في مالاي وحالة جزائر فيجي وفشل مستر فرود في ماموريتهِ في جنوبي امركا والاضطرابات في باربادوس . وقد اصدرت وزارة الخارجية اعلانين بشان الفاربين من العبيد حملا البلاد على اظهار غيظها منها . وقد نشر اعلان ثالث على انهُ ترك رئيس المركب في ريب من جهة واجباتهِ حال كون الحكومة قد قالت انهُ ليس من الصواب ان يبقى فيهِ . وقد امست الامبراطورية الانكليزية ملجا للمذنبين الفارين من امركا وكذلك قد امست امركا ملجا للفارين من المذنبين الانكليز

اما مامورية مستر كايف المصرية التي لم تطلبها الحضرة الخديوية قد ابانت صعوبات المركز المالي وقد جعلتها تشكي بحق من هذه البلاد وزادت نفوذ اصحاب الرساميل الاجانب في البلاد المصرية

اما في المسئلة الشرقية فربما كانت سياسة الحكومة الانكليزية قد قربت فتح الحرب ومن المؤكد انها لم تنجح في منع وقوع التعديات فيها . وكتم اسباب ارسال البوارج الانكليزية الى خليج بسيكا خدع البلاد وقد نشط الباب العالي الذي ظن ان انكلترا تعضدهُ مهما كانت الوسائل التي تستخدم لاخماد الفتنة وكلام الوزير الاول ووزير الخارجية المتناقض المتعلق بامور خارجية مهمة هو بدون مثيل و يحق للذين يرون من واجباتهم عضد الحكومة في امور اجنبية مهما كانت حاسياتهم . وفي الامور الداخلية لم تقرر غير امور قليلة جدًّا جيدة . ومنها ما كان معلقًا من ايام الحكومة السابقة . ومنها ما غيرهُ الحزب المضاد الحالي وكثير منها لا يجري كالنظام الاستهزاءي الذي ادعي بانهُ اسعاف للزراعين فان اصحاب الاراضي والشركا قد رفضوهُ وقد امتنع عن الخضوع لهُ نفس وزرا الحكومة ودوائرها . وفي المالية قد تجاوزت الحكومة حدودها ولم تقلل الاموال الاميرية غير انها قد زادت المصاريف كثيرًا . وفي مدتي المجلسين الاخيرين لم تحاول ان تتعاطى ما يتعلق بالاموال الاميرية المحلية مع اهميتها واكتفت بطلب تقرير نظام غير موافق للمجنون ثم عدلت عنهُ

هذا والمقرر عندي ان اكثر المنتخبين في هذه الدائرة الانتخابية يعلمون ان احسن حكومة لهذه البلاد هي الحكومة المؤسسة على قواعد حزب التوري وتعديلها بادخال امور جديدة معتدلة لارضاء الغير المعتدلين من محبي التغيير ولذلك لا ينسبون اليَّ الادعا اذا طلبت اليهم ان ينتخبوني حال كوني لا ارى من يطلب اليهم ذلك . فاذا نجحت اجهد نفسي في عضد القواعد الحرة المعتدلة التي امتازت بها عائلتي منذ نصف قرن بتعلقها بهذه البلاد العظيمة التاريخية

(الامضا) زوبرت كارنكتون

خطاب الجنرال شانزي

قد خطب الجنرال شانزي الفرنسوي خطاباً جميلاً عند ما جدد انتخابهُ وتكلم فيهِ عن احوال فرنسا بعد الحرب وما يأتي ترجمة بعض ذلك الخطاب

قد تخلصت فرنسا من مصائبها ولمت شعثها. ونقول ذلك بافتخار يحق لنا ان نظهرهُ . لانها لم تنل ذلك الا لما ضحتهُ بارادتها وثباتها . والامم التي لم تبال بويلاتها قد اصبحت تعدل في الحكم عند ذكر حكمتها واجتهاداتها الكريمة التي اقامت بها للفوز بتلك النتائج . ولا بد لنا من ان نجتمع حول الحكومة التي قد انتخبتها البلاد وقد صممت على ان نحافظ عليها . وان نساعدها في سبيل منع اجراءات الذين يحاولون اخراجها من سبيلها بتبذيراتها والتصريح عن الصراط المستقيم اما ليرجعوا لها حالة ماضية كانت لمامجدها ونجاحها لا سبيل الى ارجاعها واما ليجعلوها تسير بسرعة الى الوهدة المهلكة المحفورة لها بالاميال الخطرة التي لا نعلم بها الاصابة والجلال لانها الخطر بعينهِ . ولا سبيل الى بذل قوتنا في سبيل مساعدة ذلك الا بعضد المرشال ماكماهون الوطني العظيم التي سلمتهُ فرنسا مامورية ترجيعها الى نفوذها وقوتها بتوطيد حكومة جمهورية تتقدم بحكمة واعتدال حال كونها محافظة على الحالة الجارية بدون ريب

فحص المدارس في مصر

قد نشرنا في احد اجزاء السنة الماضية تقريراً مطولاً مفصلاً بشان المدارس الخديوية المصرية وابنا بها الالوف الذين يكتسبون المعارف القديمة والحديثة وكلها بالاحسانات الخديوية والملايين من الغروش التي تصرف في ذلك السبيل وقد جرى فحص بعض تلك المدارس في هذا الاثنا فالمدرسة الاولى التي فحصت مدرسة البنات التي انشاتها حضرة صاحبة الدولة والعصمة جشم افت خانم زوجة الحضرة الخديوية الثالثة المحبة لنشر العلوم والمعارف المتحلية بحلى الفضل والكمال الجامعة بين كمال اللطف والتواضع وهي في قصر متسع منظم جداً فيهِ حدائق ومياه وقاعات وفسحات واثاث فاخر وهذه المدرسة محتوية على ثلثمائة تلميذة وقد جرى فحصهن جهاراً بحضور حضرة صاحب الدولة الامير توفيق باشا ولي عهد الحضرة الخديوية وناظر الداخلية وحضرة صاحب الدولة اخيهِ الافخم حسن باشا وحضرة صاحب السعادة رياض باشا ناظر المعارف وجمهور غفير من الذوات الكرام والعلما الاعلام وكانت التلميذات يجبن فعلاً بكل اتقان مسائل الحساب والجغرافية والعربية والتركية والفرنساوية وابرزن من اشغال اليد والرسم ما يسر ويدهش وهذه المدرسة متقنة الادارة والترتيب بهمة الخاتون الاديبة ذات الهمة والاقدام والمعارف روزا وبالحقيقة انها قد نجحت نجاحاً تاماً في هذا العمل الصعب المفتوح جديداً هنا . وبعد ذلك جرى فحص مدارس الاٰن في ديوان المدارس بحضور حضرة صاحب السعادة رياض باشا ناظر المعارف وهي المدارس الحرة المجانية التي انشاتها يد الحضرة الخديوية في كل ثمن من اثمان المدينة وقد بلغ عدد تلاميذها الالوف وسر الجمهور المجتمع بما راهُ من ذكا التلاميذ مع صغر سنهم وسرعة خاطرهم في الاجوبة في الحساب والجغرافية والعربية واللغات وغير ذلك وجرى ايضاً فحص مدرسة العميان وهي التي انشاها الجناب الخديوي لتعليم اولئك المنكودي الحظ القراة والصنائع للتعيش بها وهي من اثار همة حضرة صاحب السعادة والمعارف والاداب والهمة رياض باشا المشهور بصحة القواعد والمبادي والذكا وحب تخفيف مصائب الجنس البشري بالاحسانات والمساعدات.

ولا يقدر ذو احساس ان يرى ما نالهُ اولئك العميان من الترقي والمساعدات بدون ان يسرّ ويفرح فانهم عارفون القراءة حق المعرفة وقد طبعت لهم كتب مخصوصة ذات احرف ظاهرة يشعر بها باللمس في المطبعة الخديوية ومن صناعتهم نسج الاقمشة وصنع الحصر والجوارب وغير ذلك مما يتكفل بتعيشهم بالراحة فهذا اثر يستحق كل المدح والثنا ولا نروم ان نطيل الشرح بهذا الشان في هذا الان ولذلك نختم الكلام بالتوسل الى الله سبحانهُ وتعالى بان يجازي خيرًا كل من سعى في نشر العلوم ونفع الجنس البشري

خطاب وزير انكلترا الاول

قد جرت مفاوضة طويلة عريضة في مجلس انكلترا العالي بشان احوال الشرق ولام فيها بعض الاعضاء سياسة الحكومة الانكليزية بالنظر الى مساعدتها اديبًا للدولة العلية وادعوا بانها هي وسفيرها في الاستانة العلية قصروا فيما يتعلق بالتعديات في البلغار فرد عليهم وزير انكلترا الاول بالخطاب الاتية ترجمتهُ وهي

ان نائب بول العضو المحترم العالم قد تحدث في هذا المساء بامر مهم ذي لذة على وجه غير منتظم و يحق لنا ان نقول انهُ لم يسبق لهُ مثيل . واذا كان ذلك العضو المحترم العالم قد قرر في عقلهِ فعلاً بان تصرفات حكومة انكلترا بالنظر الى تلك الامور وتصرفات سفيرها في الاستانة العلية مما يستحق اللوم فاظن انهُ كان من الواجب ان يفتح الكلام بطلب تقرير قرار واضح وهو عالم باننا وان كنا قد اقتربنا من زمان فض المجلس للفرصة فانا من الذين يشورون على الملكة بان لا تفضهُ اذا كان راغبًا في ان يعترض على سياستنا . ولو اشار الى الامر في مجلس كهذا المجلس لتيسر الحصول على راي مجلس العموم . واظن انهُ لا يسر من كان كالعضو المحترم العالم الذي استغنم سنوح فرصة مجلسية للاعتراض بان يبرز رايي لوم بالنظر الى مشيري الملكة وتصرف سفرا بعيد بين حال كونهِ يعلم اننا في الحال الحاضر لسنا بقادرين ان نقف على راي المجلس والبلاد من هذه الجهة (اسمعوا اسمعوا) واسمحوا لي ان ابين للمجلس حالاً ما قد تقرر في عقلي انهُ حقيقة الاحوال الجارية التي تهمنا في هذا المسا لانهُ يصعب على الاعضا بعد ان سمعوا ما قد سمعوا من البلاغة الهيرودوسية في هذا المساء ان يروا بوضوح الامر المقصود . فاقول ان سفير انكلترا في الاستانة العلية ذو واجبات دائمة لا يسهل القيام بها فوجد نفسهُ في اواخر نيسان (افريل) والاسابيع الثلثة من اول ايار (مايس) في مركز صعب جدًا وخطر لان احوال الاستانة العلية لم تبت في ظروف اشد خطرًا من الظروف التي باتت فيها في زماننا او في ازمان اخرى . واسى الناس لا يعلمون ماذا يجري . غير انهم كانوا قد تأكدوا بانهُ لا بد من اجرا شيء مما يكدر الصلات الجارية بين الباب العالي ودول اوربا قاطبة حتى انهُ ربما كان ينشا عنهُ انقلاب يشعر بهِ في جميع البلدان البعيدة بدون ريب . والمجلس عالم بالحوادث المتتابعة التي جرت وافرغت جهد سفيرنا وجدهُ الجسدي والعقلي واظن انهُ في تلك الصعوبات ابان من المعرفة والادراك والهمة والاصابة والشجاعة والتاني ما جاء الامور العمومية بنفع عظيم . فالعضو المحترم العالم قد خطب علينا خطابًا بليغًا قويًا جدًا (ضحك) وانني اتكلم بحسب رايي فانهُ عندي من ابلغ خطباء المجلس . وقد افرغ جهدهُ في سبيل التكلم عن مواضيع ليست مناسبة فانهُ قد قال انهُ لم تجرِ مخابرة بين سفير انكلترا في الاستانة العلية ووزير الخارجية الانكليزية بشان التعديات في البلغار واننا

لم نسمع بها الا بعد ان نشرت الجرائد الاخبار وطرحت امام المجلس وقد اسند الى ذلك كل الكلام اللومي الذي اسمعة للحكومة الانكليزية . مع ان الواقع هو مخالف لذلك على خط مستقيم . فانة منذ البداية لم ينقطع السفير عن مخابرة الحكومة كما يستبين من الاوراق الملقاة على المائدة في المجلس ولم ينقطع السفير عن ذكر التعديات في البلغار واعتراضة على ذلك في ايار (مايس) وحزيران (جون) وذكر ذلك في كتاباتهِ وقرر المفاوضات التي جرت بينة وبين الصدر الاعظم وغيرهِ بهذا الشان . وقد قال العضو المحترم العالم انة عندما سئلت عن ذلك في المجلس كنت غير عالم بماذا كان يجرى فهذا هو موضوع الاعتراض الذي ينبغي ان يحكم بهِ . فاقول اننا لم نكن كذلك وهذا هو ما اخصصة بالذكر الان . فاقول اننا في اثناء ذلك كانت ترد الينا افادات متواصلة من سفيرنا فيها اخبار عما كان يجري في البلغار وعما كان يجري لمنع سوء العواقب . وعند تقرير بعض امور في هذا المجلس قلنا اننا كنا نخابر على الدوام سفيرنا وان ما بلغنا لا يثبت ما نشر . وانني اوافق صديقي المحترم مستشار الخارجية فانة تكلم بهذا الشان مرتين بمعرفة وحذق وقال ان اقل التعديات في البلغار كافية لاغاظة الامة والمجلس العالي . غير انة لا يحق لكم ان تقولوا اننا كنا نجهل كل ما كان يجري لاننا اجبنا ان الافادات الواردة الينا لا تثبت الاخبار المنشورة ولذلك من الواجب ان نذكر الافادات التي ذكرت في المجلس واظن انة ذكر خبر جريدة وفيهِ انة ذبح ٣٢ الف نفس وسجن عشرة الاف نفس وبيع الف فتاة عبدات وحرقت ٤٠ فتاة في مذود وان في شوارع البلغار تلالاً من الجماجم . فهذه بعض تلك الافادات وليس كلها وقد اصبت بقولي ان الاخبار التي وردت الى الحكومة لا تثبت تلك الاخبار

ولذلك نحكم بانها مبالغة . فهل ذلك صحيح او كذب الجواب اننا اسمعنا عالميين بالامور المخيفة التي حدثت فهل راينا ان نقبل انة صحيح في بادي الامر . ووافق للصحة فاقول ان ما تقرر في المجلس العالي لم يظهر انة صحيح وفي ١٣ تموز (جوليه) بعث اللورد دربي برسالة برقية الى السار هنري اليوت سفيرنا في الاستانة وطلب اليهِ ان يخبرهُ هل ما تقرر في الديلي نيوز في ذلك اليوم صحيح او لا . فظهر انة كلة غير صحيح . فانة لم تحرق ٤٠ فتاة في مذود . وقد دقق الفحص مستر بارن في ذلك وقد عجبت مما سمعتهُ من ان العضو المحترم قد ذكر تلك الحادثة كانها من الحوادث الصحيحة . وعندي انة لا صحة لما قيل من انهُ بيعت الف فتاة في الشوارع للعبودية فانة لم يرد الينا بعد اثبات بيع فتاة واحدة لا اقول انة لم يجرِ بيع البتة ولكنني اقول انة لم يرد الينا اثبات بيع فتاة . وقد اعترض عليَّ لانني لم اصدق ان عشرة الاف نفس في سجون بلغاريا وقد تاكدت بالاوراق انة لا يمكن ان يكون فيها اكثر من ثلاثة الاف نفس . وقد عرفنا بوقوع تعديات عظيمة وقد تخابرنا نحن وسفيرنا بخصوصها وقد قال بالاستناد الى ما كان يعلمة انة حدثت تعديات افرادية . وقد عرف انة كانت تجرى حرب اهلية في ذلك المكان بتعديات لما سوابق في تلك البلاد وطلب الينا ان نقول هل حصلنا على افادات نقدر ان نثبتها فاجبنا ان مخابراتنا مع سفيرنا يومية وانة يخابر القناصل باتصال وانة لم يرد الينا شي يثبت المبالغات التي بات الجميع لا يصدقونها . وقد لامني العضو المحترم العالم لانني لم ارَ تقرير القونسلوس ريد بسبب كثرة اشغالي . غير انني لا اظن ان كثرتها تعذرني اذا اهملت الاشغال واوكد للمجلس انة لا يرد تحرير الى البلاد ولا يخرج تحرير منها ما لم اقصد ان اراه واقوم بذلك على الدوام . غير انة قد ارسل ذلك

التحرير سهواً الى شخص اخر فنشا عن ذلك تاخر ولم اره الا بعد ان سئلت ذلك السوال بعشرة ايام وقد ادى ذلك العضو المحترم العالم بصحة كل ما ظهر بطلانه كله او بعضه بالفحص وقد قال العضو المحترم العالم اننا قد افنينا اهالي ولاية بسياستنا ومن المعلوم ان قتل ١٢ الف نفس اذا كانوا من المسلمين او من النصارى او من اللصوص او من الفلاحين الابرياء من الحوادث الموثرة المكدرة غير انني اعلم ان عدد البلغار هو ثلثة ملايين وخمسمائة الف نفس وهي بلاد متسعة جداً فهل يسوغ ان يقال ان فقدان هذا العدد هو فناء اهاليها . وقد طعن ذلك العضو المحترم العالم طعناً شديداً في مستشار الخارجية لانه جعل كلام جريدة الليفانت هرالد شاهداً على ما قاله . مع انه قرر عدي ان الليفانت هرالد جريدة ذات نفوذ عظيم وقد امتازت بصحة اخبارها . وكنت اقرا جملها بهذا الشان وارى ان فيها اموراً كثيرة مثبتة بالاوراق الرسمية التي اصبحت بجملتها مطروحة على مائدة المجلس . هذا ويصعب عليّ ان افهم كيف ان الذين يعظمون اهمية اخبار الجرائد ويقولون انها اصح من الاخبار الرسمية كما قال عضوان من الاعضاء الجالسين قبالتنا يدعون بان جريدة الديلي نيوز معصومة بالنظر الى تلك الاخبار ويطعنون في جريدة الليفانت هرالد وينكرون عليها ويستخفون بها . (اسمعوا اسمعوا) انني لا ارى سبباً يحملهم على معاملة الليفانت هرالد تلك المعاملة . فمن الواجب ان يبحث عنها بالانصاف والاعتدال . ومن الواجب ان يتامل الانسان قبل ان يقرر في عقله ما يتقرر فيها على انني لا اقول انها دون الجرائد الاخرى وقد طالما سمعت انها من الجرائد التي يستند اليها فهذا ما كنت اعرفه عنها قبلاً واسمعه في الحال بدون ان اكون عالماً به بنفسي . ولم اسمع شيئاً عن ادارتها واحوالها مما يدعو الى الاستخفاف بها . وعندما ارى في تقريراتها ما يوافق التحريرات الرسمية اقول انها تحملني على ان اصدقها . فلو نشرت جريدة الليفانت هرالد اخباراً موافقة لاراء نائب اوكسفورد العضو المحترم العالم لسمعنا انها جريدة معصومة فلا تجاسر احد ان يعترض على صحة كلامها او ان يكذبها . وقد قال العضو المحترم العالم ان حكومة انكلترا قد حملت مسئولية لم تحملها بلاد اخرى بالنظر الى الصلات الجارية بيننا وبين الدولة العلية وسطوتنا النافذة في تلك البلاد . فاقول اننا لم نحمل مسئولية لم تشاركنا فيها كل الدول التي عقدت معاهدة باريز فانكر وجود تلك المسئولية . وقد قيل لماذا بعثنا بوكيل قونسلوس الى فيلبي ولماذا بعثنا بمامور عسكري الى الجيش العثماني . فالجواب ان ارسالها لا يحملنا مسئولية جديدة . وما ذلك الا من الحقوق التي يحق لحضرة الملكة ان تستخدمها . وليس لذلك علاقة بالمعاهدات ولا بالمسئولية السياسية . فانه يحق لحضرتها ان تبعث وكيل قونسلوس الى حيث ترى لزوماً لارساله ويحق لها ايضاً ان ترسل ماموراً عسكرياً الى الجيوش المتحاربة اذا قبلت الدولة المحاربة ذلك . فاستئذان الباب العالي بارسال الجنرال كامبال الى المعسكر المحارب يشهد انه لم يقع تعدٍ او مداخلة غير معتدلة على حكومة البلاد . وقد سئلت هل ارسلت القونسلوس في تموز (جوليه) الجواب لا ولكننا ارسلناه في ايار (مايس) . فهل يظن احد باننا لو ارسلنا القونسلوس في ايار (مايس) (الظاهر ان اسم الشهر خطا والصواب تموز عوضاً عن ايار وبالعكس) الى فيلبي لمنع التعديات البلغارية فهذا غير ممكن . فما عملناه الان في مكان يكدرني ان اقول انه ليس لنا فيه دلالات تجارية يوتمن وسائط لتحسين الصلات . ولولا مقاومة اهل الحرية في المجلس منذ بضعة سنين للخدمة القونسلوسية لكنا

حاصلين على وسائط مخابرات افعل (ضحكة) وكان ذلك الاعتراض سببًا لتقليل عدد القيس فناصل في ممالك الدولة العلية . وقد قال ذلك العضو المحترم العالم للحكومة الانكليزية قد وقع مشكل لا بد من ان تقابلوهُ فماذا ياترى بجملكم تقاومون تسوية مسئلة عظيمة من مجرد جسدكم لروسيا . فاحب ان اعرف ما هي المسئلة العظيمة التي تقاومها . ومع انهُ قد جاء بخطاب بليغ فصيح قلما اتى بابلغ منهُ وقد افرغ جهدهُ في سبيل تقريرهِ لم يخبرنا ما هي المسئلة المذكورة وعند ما لامنا بغيظ على تاخيرها لم يجددها غير انهُ قال انهُ من واجبات انكلترا الاتحاد مع روسيا على سلب الممالك المحروسة في اوربا (ضحك) . هذا وانني اتعجب جدًّا اذ ارى رجلاً محترمًا عالمًا كان من اعضاء حكومة وكان زينتها وسيكون من اكابر رجال سياستنا (ضحك) ناهضًا في اليوم الاخير من ايام المجلس حال كونهِ عالمًا بان كلامهُ البليغ يوقع البلاد في اضطراب سنة اشهر على الاقل (ضحك) و يشور على حكومة انكلترا بان تتحد مع روسيا على مضادة الدولة العلية في اوربا لاخراجها منها حتى انهُ قد قال ان عدم قبولنا بذلك الامر الغريب قد حمل عضو برادفورد المحترم العالم على ان يقول اننا قد ساعدنا الدولة العثمانية والامة التركية مساعدات ادبية لا مادية . ونعامل على الدوام كاننا متحدون اتحادًا مخصوصًا مع الدولة العثمانية وكاننا اصدقاؤها المخصوصون ونعضدهم ولو فعلوا مهما فعلوا . فما هو البرهان على صحة ذلك ياترى . ومن المعلوم اننا حلفا سلطان العثمانيين وكذلك روسيا والنمسا وفرنسا وغيرها ونحن من الذين قرروا معاهدة قد ضمنّا فيها نحن وفرنسا والنمسا استقلال اراضي الدولة العلية . فهذه تعهداتنا وهي التي نحاول انفاذها وهي التي جددتها اوربا وكررتها منذ اربع سنوات فقط تكمنها فهل يحق للعضو العالم المحترم ان يقول انها باطلة فارغة . واذا قيل لنا ان واجباتنا السياسية هي ان نخرج العثمانيين بالقوة من اوربا تخرج السياسة من مركزها الدقيق وتصير استهزاء وسخرية و يثبت الاوفق ان نجعل مجلس العموم يحول عن مركزهِ التقليدي الصحيح المؤسس على قواعد مقررة و يصير كجمعيات الخصوصية السياسية التي تقرر كل المشاكل السياسية بسهولة تحاكي السهولة التي قررها بها العضو المحترم العالم . هذا واننا امتنعنا عن الاشتراك بلائحة برلين لانهُ تقرر عندنا انهُ لو قبلنا بها لرايتنا في برهة قصيرة مداخلات امبراطورية في تلك البلاد . ولم نرَ ان ضمانات مادية تقرر المسئلة المهمة التي ذكرها العضو المحترم تقريرًا موافقًا للعالم عمومًا ولا لصوالح انكلترا التي ينبغي ان نعتني بها قبل الاعتناء بكل شيء . ولم نخدع حكومة الباب العالي بوجود البوارج الانكليزية في خليج بسيكا فانها كانت تعلم انها ليست لعقد حكومة ولا كان وجودها مصادقة على شيء من التعديات التي جرت . ولا ينبغي ان اضمن نصيب شرقي اوربا ولو كنت ذا افكار متعلقة بذلك لا ارتكب خطا اظهارها في هذا الزمان الغير الموافق . غير انني موكد انهُ ما دامت انكلترا محكومة باحزاب عارفة بالقواعد المؤسسة الامبراطورية الانكليزية عليها ومصممة على حفظها لا يمكن ان يستخف بسطوتنا في تلك الجهة من الدنيا واذا ظهر ان السطوات التي تضبط اكثر تلك الاراضي الجميلة لا تقدر ان تقوم بالمفروض عليها لا تتردد انكلترا ولا الدول العظيمة عن القيام بالواجبات السياسية التي يطلب اليهم ان يقوموا بها . غير انهُ لا ينبغي ياسيدي ان نتوصل الى النتائج بالسرعة الاعتيادية . فانهُ لم يحدث شيء يسوغ لنا ان نتكلم عن الدولة العثمانية كما تكلمنا عنها والاحوال تحتاج الى فحص مدقق وتدبير باعتنا عظيم . غير ان الذين يظنون ان انكلترا تعضد

الدولة العلية في هذا الزمان قاطعة النظر عن مقتضيات الانسانية يخدعون انفسهم فواجباتنا في الحال المحافظة على الامبراطورية الانكليزية ولا نرتضي مطلقًا باجراء ما يلقي تلك الامبراطورية في خطر ولو ظهر انه ياتي بسكينة ونجاح غير صحيح
(صحيح استحسان شديد)

روسيا والمانيا

ان الناس يعلمون ما للاتحاد الجاري بين روسيا والمانيا من الاهمية ولذلك يودون ان يقفوا على مايدل على ميل كل من الامتين الى الامة الاخرى وقد اخذت الجرائد الالمانية في مضادة روسيا في المدة المتاخرة مضادة حملت جريدة الغولوس الروسية المشهورة على نشر الجملة الاتية ترجمتها وهي

من الامور المهمة ما نراه من التنديد الذي يلحق بروسيا بمنشورات بعض الجرائد الالمانية بالنظر الى حالة اوربا الحالية حال كونه قد تقرر في عقول الجميع ان المحافظة على السلام تتوقف في الاكثر على قوة اتحاد الامبراطوريات الثلث الشمالية ومحالفتها ولا ريب في ان التنديدات والتنكيتات المذكورة تحمل الناس في اوربا على ان يرتابوا في صلاتنا الصداقية الالمانية التي قد طالما قراناعنها في المنشورات النصف الرسمية . ولو كان ذلك صادرًا من جرائد غير معتدلة الاراء ليست بذات اهمية سياسية لانها تحب ان تنشر ما يوثر في العقول او من جرائد ثانوية كثيرة الكلام والتهييجات بدون تروٍ وتانٍ لما اتعبنا انفسنا بذكرها . على اننا نرى ان اهم الجرائد الالمانية واكثرها نفوذًا ومعرفة تحارب روسيا محاربة شديدة ولا تنفك عن لومها وتنديدها حال كونها لا تدعي صداقة العثمانيين وليست من الجرائد النمساوية المجرية ولكنها قوات نافذة ذات اهمية سياسية . ولا نرى في انكلترا ولا في بلاد اخرى من الجمل الشديدة الطعن في روسيا ما نراهُ في المانيا في هذه الايام . ولا ينبغي ان نغض الطرف عن ذلك لئلا يقال ان صمتنا برهان عجز دفع التهمات التي تلقى علينا . بل ربما كان يقال ان الصمت دليل احتياجنا الشديد الى جارتنا الالمانية حتى اننا احتملنا بالصبر اشد التهمات واردأها وابعدها عن العدل حتى اننا قبلنا بالخضوع اشد الاضرار مجانبة لوقوع النفور . وهذا ما يساق الناس طبعًا اليهِ في هذه الايام لان الجرائد الروسية عولت في هذا الزمان على ان تتكلم بما يظهر حبها لالمانيا واشتراكها معها بالحاسيات وقد اطنبت بمدح سياستها وصداقتها لروسيا . وقد حاولت بعض الجرائد الالمانية ان تجعلنا في مركز ثانٍ وهذا مما لا نقدر ان نحتملهُ لانهُ عكس الصلات الصحيحة الجارية بيننا وبين جارتنا المشار اليها وحليفتنا . ولا يتوهم الحاق الضرر بروسيا بعدم نفوذ لائحة برلين غير الذين لا يدركون حقائق الامور السياسية وكذلك الذين يظنون بوقوعهِ علينا بالحوادث الجارية الان في البلكان من السلطنة العثمانية . ومن المقرر عند المتعقلين انهُ اذا وقعت روسيا في صعوبات في ميدان الحرب لا تنتظر الحصول على مساعدة المانيا ما لم ترَ المانيا نفعًا لها من مساعدتها . فاذا فرضنا اننا بتنا في احتياج الى هذه المساعدة ورأينا انهُ لا سبيل الى الحصول عليها الا بشروط لا توافقنا فالاصابة تكون في التظاهر بانخفاض الجانب والانقياد بالنظر الى ادعاءات محبي وطنهم من الالمان . وقد اثرت انتصارات الالمان في عقولهم خلا عقول قليلين من رجال سياستهم المتعقلين لانهم لم يفوزوا بمثلها فاصبحوا لا يقدرون ان يدركوا سياستهم الخارجية الموافقة ومن تاثيرات تلك الانتصارات الغير المنتظرة الخطرة في صالحهم ورفاهيتهم انهم امسوا لا يقدروا ان يعرفوا

حقيقة مركزهم ومركز الدول الاخرى . وقد سكروا باوهام الاقتدار الحربي الغير المحدود والاسبقية السياسية حتى انهم يتوهمون ان العالم يرتجف امامهم ويظنون ان ميل روسيا الى السلام وتساهلها الناشئ عن سعة صدرها ناشئ عن خوفها

فالجرائد الالمانية التي تحارب روسيا في الحال هي مستقلة ومع ذلك تمكن الحكومة من ان تقودها فتعضد على الدوام سياستها الخارجية وهي متعلقة بصداقة عظيمة بجرائد برلين الاولية . فحدوث ذلك عند المقابلات الصداقية التي جرت بين الامبراطورين امرمستغرب غير انه لابد من ان تترك تلك المقابلات اثرًا في عقول اهالي اوربا . ولا بد من ان تؤثر تلك الكتابات في اراء الناس بالنظر الى الصلات الجارية بين روسيا والمانيا . وقد ذكرنا اجتهادات جريدة الكولون كازت الالمانية المصروفة في ذلك السبيل مع انها تستقي من برلين راسًا وفي المدة المتاخرة بتنا غرضًا لجريدة اخرى ذات مركز مطبوعة في برلين . ولا نقدر ان نقطع النظر بعد ذلك عما يجري في الدوائر السياسية المتعلقة بتلك الجريدة . اما جريدة الجنجنغازت فقد نشرت جملة من جملها الاولية الصادرة عن التروي والتاني التي طالما راينا مثلها من اقلام اشهر الكتاب واحذقهم غير انها مشحونة با لطعن في سياسة روسيا وحكومتها وامتها وهي جريدة اسبوعية تنشر اراء مهمة صحيحة وهي ذات شهرة عظيمة بالنظر الى حذقها السياسي وارائها الصيبة . وهي تعضد الحكومة الالمانية عضدًا ناشئًا عن حب الوطن وتسند اتحاد المانيا تحت سيادة بروسيا . وميلها الصريح الى بروسيا يجعل المضادة التي اقامت بها ضد روسيا ذات اهمية فانها صديقة المانيا ولكن صداقتها لبروسيا ودادية ومبنية على اسس حبية

اما اهم مواضيع جملة جريدة الجنجنازت المذكورة فتقرر ما يدعى به من حكمة انكلترا التي امتنعت عن قبول لائحة برلين . وقد جعلت عمل مستر دزرائيلي وزير انكلترا الاول المتعلق بذلك السياسة الوحيدة الموافقة لصوالح انكلترا المهمة وقالت انه من واجبات انكلترا ان تحافظ على ناموسها بمضادة عدوتها الالداء وهي روسيا الى ان قالت انه ما دامت انكلترا راغبة في المحافظة على امبراطوريتها الآسية وان لاترى بوارج روسيا تملا البحر المتوسط تكون ملزومة بان تقوم بما قد اقامت به فهذه السياسة ثابتة غير متغيرة لانهـا موسسة على الضروريات الحالية والعدول عنها يجعل البلاد عرضة لمخاطر عظيمة . ولا ريب في ان رجال سياسة انكلترا يرغبون في ان يوخروا تقرير مسئلة ربما كانت تاتي بحرب عمومية وهذا هو الذي يجعلنا نراهم احيانًا في تردد . على انه اذا حل الخطب لايتاخرون عن استخدام الوسائل الفعالة الجبرية حيث يرون كل شيء في خطر . ومصر عند انكلترا في المحل الثاني ولئن كانت لا ترغب في ان ترى نفوذ فرنسا فيها غير انها لا بد من ان تتحذر من تمكن روسيا من ان تحاول هدم الحائط المشيد بينها وبين ترعة السويس . وهذا الحائط هو السلطنة العثمانية ولذلك لا بد من المحافظة عليها ولا سيا بعد ان امست روسيا غير منقطعة عن اوربا ببولونيا وتحب ان توسع املاكها في جهة البحر المتوسط وربما كنا نتاسف على الحالة الجارية في ذلك الحائط الذي يصون ارضنا من رمال الفساد المضرة وربما كان يصوننا ثمن من تعديات مضرة . غير انه لا ينبغي ان نستغني عنه الا بعد تشييد حائط اخر . اما بولونيا فالتزمت روسيا ان تفتحها وتستولي عليها لانها كانت المانع الاعظم لسياستها في اوربا (انتهى كلام الجريدة الالمانية وما ياتي من كلام الجريدة الروسية التي ترد عليها) وقد ذكرنا هذا الكلام المتعلق ببولونيا لنبين

خطا الالمان عندما يتكلمون وهم في هيجان من خوفهم من روسيا . ولا ريب في ان الذين يرغبون في اظهار حبهم لوطنهم الالماني والبروسياني باظهار تاسفهم من جرى الحاق بولونيا بروسيا يقطعون النظر عن كل الظروف والاحوال . ولا نقدر ان ندرك كيف يجري طبع امور كهذه في برلين حال كون حكومتها تقوم بما هو عبارة عن عدوان بالنظر الى بولونيا حتى انها ظلمتهم عند حلول الفرص الموافقة وبدون حلولهـا وكفانا الاشارة الى احوال الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فيها والى مسئلة لغة البولونيين والادارة المحلية . على ان التحزبات السياسية تنسي اصحابها كل شيء . فما هذا البغض الروسي في بروسيا . وما تقوله الجرائد الالمانية عن بولونيا يذكرنا بالخطب التي باتت في زوايا النسيان وهي خطب الفرنسويين عند اثارة العصيان في بولونيا . وكان الفرنسويون يقولون ان البلاد المذكورة هي السور العظيم الاوربي المانع روسيا عن اوربا والالمان من الذين قد اشتهروا بالتقصير في اختراع الكلام وبالتقليد ولذلك قد سموا الدولة العلية بالاسم نفسه وقالوا انها الحائط او السور الذي يمنع امتداد البربرية الروسية

هذا ومن المعلوم ان الجرائد المجرية والنمساوية المحبة للعثمانيين قد طالما جعلت موضوع كلامها مضادات روسيا لانكلترا وقالت انها مصممة على ان تضعف قوة انكلترا بضم خانية بعد خانية الى ان تطارق ابواب الهند وجعلت شانها تحريض انكلترا على ان تضعف روسيا وتضادها غير انه لم يجر شيء من هذا الكلام قبل الان في المانيا . ومن المستغرب ان نسمع في برلين وبالانجاء الى سياسة الحكومة الالمانية ثناء على جسارة حكومة انكلترا بالنظر الى رفض لائحة برلين . ومن المعلوم ان اللائحة كتبت بيد روسية غير ان الحكومة الالمانية قررتها ونشرت في

الدنيا تحت اسم روسيا وبروسيا . فهل يجهل رجال سياسة المانيا فعلاً بان روسيا عند ما قررت ما قررته روسيا في برلين قررته مراعاة لصوالح اوربا اكثر من مراعاة صالحها . فان كل ما ينشا عنه تسوية احوال الدولة العلية باجراء يجعل روسيا مجبورة بان تقوم بما تكره ان تقوم به وهو صد السرب والجبل الاسود لا يقدر رجال سياسة المانيا ان يروا ان سياسة روسيا الاوربية اصبحت اقل تقيدًا ولا سيما بالنظر الى المانيا . فان كل روسيا شعرت بفرح عند ما رات ان ابناء دينها قد شهروا الحرب ضد الدولة العلية للتخلص من تبعيتها ولمضادة ما جرى في البلغار . وكانت روسيا تضحي صوالحها مراعاة للسلام العام في اوربا في اثناء تلك المخابرات السياسية على ان الامة الروسية امست لا ترتضي بان تسمح باستمرار ذلك ولا سيما بعد ان رات ان غربي اوربا لم ينظر بعين الاعتبار الى ما كانت تضحيه . ولا ريب في ان حكومتنا نظرت بعين الاعتبار الى ميل الامة الروسية من هذا القبيل . واذا كنا ممن يشترك بالحاسيات مع السلاف العثمانيين فلسنا براغبين في فتح بلاد عثمانية في البالكان . ولو كانت روسيا راغبة في ضم الاراضي اليها لجرت كل سياستها الاوربية ولا سيما سياستهـا المتعلقة بالمانيا في مجار اخرى . ومن الواجب ان يعلم هذه الامور الذين يحبون اوطانهم من الالمان اكثر مما يعلمها الاخرون . انتهى

وقد نشرت جريدة الغوارس المذكورة ستة بنود جديدة متعلقة بالسياسة الروسية وبالامة السلافية وهي الاتية ترجمتها

اولاً . ان روسيا لا ترغب فعلاً ان تضم الى بلادها بلادًا من البالكان

ثانيًا . ان روسيا تشترك بالحاسيات مع السلافيين الجنوبيين وعندها ان مصلحتهم مصلحتها وان صالحها

المهم متعلق بخلاصهم

ثالثاً . انها لا تقدر ان تسمح بان يشك بصوابية مطالب السربيين التي قررت في مخابرات اخيرة . فاجابة تلك المطاليب الطريقة الوحيدة لتسوية المسئلة الشرقية بالسلام . واذا مس ناموسها ربما كانت تفرغ جهة حبها للسلام

رابعاً . ان الظروف تمنع روسيا في الحال عن ان تفتح حرباً مساعدة للسلافيين الجنوبيين . وربما كان تجريد السيف في هذا الحال لاسعافهم يضر بهم اكثر مما ينفعهم . غير انها طالما ناظرت عليهم ولا تنفك عن ذلك . ومن المعلوم ان الجيش الروسي في الحال ممنوع عن القتال موقتاً فمن الواجب ان تبادر الامة الروسية الى مساعدتهم بالمال

خامساً اذا فاز السلافيون الخاضعون لحكومات غير سلافية بحكومة وطنية يصبح السلافيون في مركز مهم سياسي لانهم اكثر الامم عدداً في اوربا

سادساً . من المعلوم ان البلدان السلافية الثانوية الاهمية تنجذب بالضرورة الى جهة روسيا التي تدافع عنهم حال كونها اقدر مساعدة للسلاف في العالم . وربما كانوا يصيرون مملكة متحدة تحت مناظرة روسيا ويجعل قواتهم تحت يد روسيا يزيدون اقتدار تلك الدولة التي قد بلغت من الاقتدار مبلغاً عظيماً

خطاب ملكة انكلترا

ياسادتي الامراء والسادة . قد سررت باقتداري بان اخلصكم من الاقامة في المجلس

ان الصلات الجارية بيني وبين كل الدول الاجنبية في صلات صداقة وانتظر باركان المحافظة على الاتفاق الجيد الجاري

اما الاجتهادات التي صرفتها بالاشتراك مع دول اخرى لتسوية الخلاف الواقع لسوء الحظ بين الباب العالي ورعاياه النصارى في بوسنه والهرسك لم تفز بالنجاح وقد امتدت الحرب التي كانت جارية فيهما الى السرب والجبل الاسود . واذا سنحت فرصة مناسبة اكون مستعدة لان اشترك مع حلفاءى للمداخلة بين المتحاربين مع مراعاة الواجبات التي تفرضها عليّ المعاهدات والسياسة والانسانية

وقد وقع خلاف بين حكومتي وحكومة الولايات المتحدة من جهة تغيير بند من المعاهدة المورخة في ٩ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٤٢ المتعلقة بتسليم البلدين المتهمين بارتكابات معينة . ولا يخفى ان الانقطاع عن تسليم المذنبين الفارين يأتي البلدين باضرار كثيرة ظاهرة . والمأمول تقرير اتفاق جديد لتسوية هذا الامر تسوية مرضية

انني اشكر الله كل الشكر لان ابني العزيز البرنس دي غال قد عاد متمتعاً بكمال الصحة من سفره الطويل في الهند . وذهابه الى تلك الجهات من املاكي قد جاء باظهار حاسيات صداقة وامانة لعرشي وعندي ان ذلك ذو اهمية عظمى

وبالاستناد الى السلطان المعطى لي قد اتخذت لقب امبراطورة الهند بارادة ملكية فباضافة هذا اللقب بالنظر الى الهند الى القاب تاجي القديمة قد رغبت في ان اقرر في فرصة مهمة عندي اهتمامي الشديد القلبي بسعادة شعبي الهندي

وانني اومل ان السلام والنظام قد تقرر في بلاد ما لاي وان حكام البلدان من الاهالي يقبلون بسرور مشورات ماموريّ ومساعداتهم لتحسين حكومة بلدانهم

وحضور رئيس بلاد اورانج الحرة الى هذه البلاد قد جاء بتسوية مرضية للاختلاف الطويل الذي كان جارياً بشان ولاية كريكوالاند وهكذا قد تقدمنا تقدماً مهماً الى جهة الاتفاق الصداقي الحبي اللازم لصوالح امركا الجنوبية

اما الجمعية المتعلقة باءمور افريقية الجنوبية فآخذة في الاجتماع الان في لوندرا ولا بد من ان تاتي بتسوية امور مهمة مختلفة وقد وضعت اوراق بهذا الشان امامكم في المجلس

يا سادتي اعضا مجلس العموم

انني اشكركم على المبالغ الكافية الكثيرة التي قررتموها للقيام بالادارة العمومية وقد التزمت بان اطلب اليكم ان تزيدوا الاموال الاميرية بسبب ازدياد المصاريف اللازمة لجعل جيشي وبوارجي في حالة جيدة بسبب تاخر المداخيل الماضي عن وقوف دواليب التجارة . وارغب في ان اشكركم على المبادرة الى اجابة ذلك الطلب وان اوكد لكم انه سيفرغ الجهد في سبيل حفظ مصاريف البلاد ضمن الدائرة المعتدلة

هذا وانني انظر بعين السرور الى ازدياد اهتمامكم في مسائل المالية المحلية وازدياد اهتمامكم بملاحظة مصاريف الخدمة التي تزيد اهمية كل يوم . ومن اللازم ان لا تنفصل بالاهمية عن المصاريف العمومية

يا ايها الامرا و يا سادتي المامول ان النظام الذي قررتموه لاصلاح القوانين المتعلقة بالمراكب التجارية يرقي اسباب سلامة مراكبنا وملاحينا بدون ان ياتي بتحديدات غير لازمة تضيق القيام بخدمة تتوقف عليها صوالحنا العمومية من اوجه كثيرة

ومن الامور المهمة جدًّا تقرير ما يرقي اسباب المعارف الابتدائية وسيتم بذلك العمل الذي اشتغلت به مجالس متوالية سنين كثيرة بجعل الاولاد الذين قرر ذلك لاجلهم يحضرون الى المدارس في الاوقات المعينة لانه قد صار توسيع اسباب نشر المعارف لنفعهم

وقد قررت نظامًا جديدًا لتسهيل ضبط الفسحات العمومية وتحسينها ولاصلاح نظارة تلك الاماكن بحيث تحفظ الفسحات في جوار المدن الكبيرة لترقية اسباب صحة شعبي وراحتهم

اما الخسار العظيمة الناشئة عن الاقذار في الانهر فقد طالما امست موضوعًا لتشكيات عمومية وقد سررت بتقريركم ما يمنع ذلك فيصلح حالة البلاد الصحية

وقد سررت جدًّا بما قررتموه لحفظ مجلس الاستئناف النهائي وزيادة اهليته . وسيكون ذلك وسيلة لتقوية عمدة مجلسي الخصوصي النظامي ومجلسي الاستئنافي المتوسط

وانتظر الحصول على اهم النتائج من النظام الذي قررتموه لصيانة الحيوانات من وقوع اوجاع الظالم عليها

هذا وانني متاسفة لان ازدياد الاشغال قد منع اتمام امور كثيرة مهمة جدًّا . وقد لاحظ بالخصوص بينها نظام المدارس العالية في اوكسفورد وكامبرج وادارة السجون والنظام المتعلق بالاتفاقيات البحرية على ان المامول ان اهتمامكم بها في هذه الجلسة يكون واسطة لتسهيل تقريرها في الجلسة القادمة

فاودعكم طالبة الى الله سبحانه وتعالى ان يبارك اعمالكم و يعينكم في القيام بكل واجباتكم

اصلاح

قد وقعت بعض اغلاط في طبع لغز عاصي افندي عاصي المدرج في الجزء ١٨ من الجنان

وجه	عمود	سطر	غلط	صوابه
٦٢٨	٢	١٢	تدافقت	تدافعت
٦٢٩	١	٢٨	مازال	مازاد
٦٢٩	٢	١١	ما استثنيت	ما استغثت
٦٢٩	٢	١٢	زار	زاد
٦٢٩	٢	٢٥	بها	لها
٦٣٠	١	٨	سناها	سوناتها
٦٣٠	١	١٨	رفق	دقق

لغز

(من قلم حنا افندي عرقجي)

مررت يوماً ببستان . ذي انهار وافنان . وازهار ورياحين . واطيار تغرد في كل حين . فدخلت فيه لاطرح عن قلبي الهم وانفيه . فرايت نوعاً من نباته . كانه من مخدرات بناته . يميل تيهاً اذا مسهُ نسيم الصبا . و يرمق بعينيه لكل من نظر اليه وصبا . فاعجبني طرفهُ الناعس . وقدهُ المائس . انما تحيرت هنالك حيث لم اعرف ذلك . واذا بحمامة على الاراك غردت . وما ادري ابكت ام انشدت . فما انها بلسان الشاعر . لاعرف ما انطوت عليه من السرائر

احمامة الوادي بمنعرج اللوى
بحياة من ابكاك ما ابكاكِ
اما انا فبكيت من الم الجوى
وفراق من اهوى أأنتِ كذاكِ

فقالت منذ كنفت عن الهوى . كفيت هم الجوى والنوى . وانت ما الذي اشغل بالك . وهيج بلبالك فقلت لها رايت نباتاً في هذا الجنان . يكاد سناه حسنهِ يذهب بالجنان . فعشقت واستلطفت رسمه . من غيران اعرف اسمهُ . فانشدتكِ بحق الوداد . ان ترشديني الى سبيل الرشاد . ومن جوف نون التفكر انبذيني . ومن يم هذا التحير انقذيني . اذ انني رجل غريب . عسى ان يكون لي من معرفتهِ نصيب . فنظرت اليَّ شذراً . كاني جئت شيئاً نكراً . وقالت كانك لست زهري المشرب . ولا لك في ينابيع المعاني من مشرب . اعلم ان هذا النبات رباعي الحروف ومسماه عند جميع الناس معروف فان حذفت ثاني حروفهِ تجده من صفات المشركين . وان عكستهُ بعد الحذف كان ماوى للمجرمين . وان اسقطت ثالثهُ واعتبرت اخره الثاني . انباك عن اسم ذي ثلثة معاني . الاول عند علماء الهيئة مشهور . والثاني معدود من زمرة الطيور . والثالث ماعبد في المعابد . واجتمع لديهِ كل راكع وساجد . وان قدمت في مبانيهِ واخرت و بعض اجزائهِ ابقيت والبعض حذفت . رايت ما يقاربهُ بعض الحيوان . او ما يوجد في جميع البلدان لما فيهِ من المنافع . الناتجة من المزارع . او ما يستعمل في المنازل بسمعهُ كل طالع ونازل . او ما لا ينبغي انشاؤهُ ولا التصريح عداه او ما يخوف بهِ الصغار . وكثيراً ما تتوهم منهُ الكبار . او ما يسمع لهُ طنين . ودوي ورنين . فهذا هو فحواهُ وما اشتمل عليهِ وحواه . ولا حاجة لشرح باقي المباني اذ ما ذكرتهُ لك غاني . فان عجزت عن معرفة ما اوردتهُ وتشكل عليك حل ما عقدتهُ . فاقرا سلامي على العندليب واسالهُ حل هذا التركيب علهُ ان ينبئك عن اصلهِ . و يرشدك على حلهِ فلما تلوت ذلك على الهزار . قال لي دع عنك هذه الافكار . وعليك بمن لثمار المعاني . من جنان العلم جاني . وحينئذ انتظر الجواب من ذوي الدراية بفصل الخطاب

لغز

(من قلم بولس افندي ناصر الحداد)

ما اسم ثلاثي الحروف . وعلم عند الكل معروف فضلهُ على جميع الناس . ولا يخفى من رجال الحرب والباس . تارة يكون فوقك واخرى يكون تحتك . نادراً تجده في البلدان . مع انهُ موجود في كل مكان . اذا ضربتهُ خطيتهُ واذا نظرك ابهجك يسلك ولا تمسهُ وانت جالس في وسطهِ . يوجد في هندستان وامركا ولندن ولا يوجد في رومية ومصر وقبرص . اذا اعتبرت اول حروفهِ ظهرت لك اشارتهُ واذا قطعت راسهُ لالا لك جوهرهُ واذا حذفت ربعهُ الثاني اسقاك بماءهِ اللذيذ الهاني واذا حذفت ربعهُ الثالث

هل لك و بشر فاكرم بالجواب . تنال الاجر والثواب

لغز

(من قلم محمد افندي حمدي)

اي شيء على الدوام حيران . لا يستطيع الثبات في مكان . يطوي المراحل . و يقطع المنازل . يحب تحريك الفتن . ما ظهر منها وما بطن . هاروت وماروت يخافان من غدره . وسقراط وبقراط يتوقيان من شره . يتحلى من الالوان بالاحمر . وتارة يميل الى الاصفر . قد عبد في الهياكل . وخضع له كل حكيم فاضل . كم تقربوا اليه بالقرابين . واستعاذوا منه في كل حين . ومن مسماه ما يستعمل للسنك وشن الغارات والفتك . طالما استعملوه في الحروب ورمي به كل غالب ومغلوب . وهو مبني على التربيع يدل على قدرة البديع الرفيع . فلا تكن عن نصفه الاول في مريه . ولا يريبنك معناه كالذي مر على قريه . فان حققته في نفس الامر . تجده اسم وفعل ماضي وامر ونصفه الثاني . يخبرك عما في الماء من المعاني . طرد طرفيه ثابت لا يتحرك وان تحرك هلك واهلك وان حذفت اخره باهاب . تراه ظاهرا في الاسطرلاب . وان اسقطت ثالثه وامعنت اليه النظر انباك عن اسم نوع من الشجر . وان قدمت ثالثه على ثانيه بعد بتر القدم . كان ما هو عند العساكر اشهر من علم اذ انه من جملة المراتب وصفة لارباب المناصب وعكس الاول والثالث كثرت فيه الروايات والمباحث . قد نصر اقواما واباد اخرين . كما نص في القران المبين . وان حذفت اوله وقلبته . جعل الله لك نصيبا من خير ما فعلته . واذا بدأت منه بالمنتهى وازلت فائه يا ذا النهى . ارشدك النديم الى شيء مشتهر . ودلك على ما فيه مزدجر . وان استبدلت اوله بحرف التاء . صار ما يعول عليه عند الالباء . وفي كل وادي . يستعمل للختام والمبادي . فقد عدلنا عن التحريف . وكثرة التفريع والتصحيف . لان الاطالة تورث الملال . وتوجب السآمة والكلال . كما في الاشارة . عند الاذكياء غنية عن العبارة . وهذه غاية ما عقدناه . ونهاية ما اردناه

لغز اخر له

خبروني ايها الافاضل عن منزل كثير الزلازل كل من دخل فيه بكى وان وناح واشتكى فمن ثم لا يدخله عاقل الا من كان بحقائق الاشيا جاهل ومع ذلك لا بد خلونه الا قسرا ولا يخرجون منه الا قهرا تراه موضوعا على اعمدة او مرفوعا باوصال ممددة وهو ثلاثي الحروف . عند ذوي اليسار معروف فان حذفت منه الوسط كان ما يشاهد في البحار بلا شطط وعكس طرفيه كالفلك الدائر . وان سكن اسكن المقابر وان عكسته بعد حذف الاخر . كان ما يوثر في السرائر . مع انه كمين في النفس وان اشتد ربما يودي الى الرمس وهو في القران مذكور وفي سر يوسف وزليخا مشهور . فمن قرا سورة مريم في القران اتى بالجواب وصريح البيان

تاريخ فرنسا

الا في اسبانيا ضد الانكليز واذا استمرت تتاهب اشهر عليها حربا قصيرة قاطعة بحيث لا يبقى للانكليز حلفاء في اواسط اوربا وقد قال موسيو تيرس في تاريخه ان كلام الامبراطور اثر في السامعين التاثيرات المطلوبة لانه ابان الصحيح لانه لم يكن يرغب في فتح الحرب وانه اذا التزم بان يفتحها تكون شديدة جدا

وفي ذات يوم قال لسافاري لا بد من ان تكون النمسا قد اقامت بامور لا ازال اجهلها . لان فتح

الحرب عليَّ جنون وقد توهم الاعداء بانني مت ويسرون بموتي ولا بد من ان يقال انني لا اقدر ان اسكن وانني ذو مطامع غير ان حماقتهم تحملني على المحاربة بالالزام ولا اظن انهُ يخطر لهم ببال ان يحاربوني وحدهم . وتراني انتظر رسولاً من روسيا فاذا جاءني بخبر يبين ان الاحوال فيها بحسب رغبتي اقوم بما يلائمهم في وبل . انتهى . وكانت الحرب من الضروريات التي لم يكن نابوليون يستغني عنها فان قبولهُ لعرش فرنسا الثائرة جعل دول اوربا تتحد على مقاومتهِ وكان لا بد لهُ من ان يقبل بالخضوع المذل لدول ظالمة او القيام بحروب شديدة لصيانة حقوق امتهِ

وقال لسفير روسيا لو سمع امبراطوركم مشورتي في ارفورت لبدأنا في ظروف اخرى . لاننا بدلاً من النصائح كنا استعملنا التهديد الشديد وكانت النمسا قد القت السلاح لكننا عمدنا الى مجرد الكلام بدلاً من العمل وربما صرنا الان الى الحرب الا انني في كل حال متكل على قول امبراطوركم فانهُ وعد بان يجدني بجيش من عساكرهِ اذا افضى الامر بحكومة النمسا الى التعدي اما انا فساحشر عند الدانوب (الطونه) والبو ٢٠٠٠٠٠ جندي فرنسوي و١٠٠٠٠٠ جندي من الالمان وربما كان وجودهم هناك كافياً لاكراه النمسا على تركنا وشاننا وانني لافضل ذلك رغبة في خيركم وخيري فاذا لم يغنِ ذلك عن الحرب واضطرنا الحال الى اعمال القوة فاننا نبيد الى الابد تلك القوة التي تصدت لمقاومة مقاصدنا المشتركة . ثم كتب في الحال الى حلفائهِ وهم ملوك بافار يا وسكسونيا وورتمبرغ ووستفاليا وامراء بادن وهس وورتزبرغ فقال لهم انني لم اكن راغباً في ان اعرضكم الى نفقات في غير محلها ولكن بما انني قد انذرت بالحرب انذاراً شديداً فلا بد ان تتاهبوا للحمل وقد عزمت على جمع قوات من شانها ان تمنع وقوع الحرب او تجعلها فاصلة . ولقلة اركانهِ الى بروسيا اعلمها بانها اذا زادت قوتها الحربية عن العدد المقرر في المعاهدة المبرمة بينها وبين فرنسا وقدرهُ ٤٢ الف جندي يشهر عليها الحرب فباتت فرنسا والحالة هذه في اضطراب وكان نابوليون يرسل افكارهُ العظيمة الى كل الولايات ويحرك النشاط في ١٠ الاف رجل استخدمهم لنفاذ ما ربهِ وكان يوزع الاوامر على كل الجهات واضعف قوى كتابهِ لانهُ كان يشغلهم ليلاً ونهاراً بكتابة تحارير بشتى الى الجنرالية والامراء والمهندسين والملوك والامراء وحشد عساكر جديدة واقام مخازن كبيرة واشغل المعامل بصب المدافع وكانت التريتخانات تدوي بالمراكم فيها من الالات الحربية وكتائب من الرجال المسلحين تسير في الطرقات على اختلافها وظواهرهم تدل على عدم نظامهم واضطرابهم الا انهم كانوا مرتبين احسن ترتيب بافكار رئيسهم الثاقبة وصدر امر نابوليون بمشترى ٢ الف حصان لجر المدافع وتعبئتها حالاً ولما كان عالماً بوقائع الحرب ومدركاً لدقائقها واسرارها جهز ٥٦ الف الة للحفر وتقرر ارسالها باربتال المدافع بعد مسير العساكر وقد كانت هذه الالات مما ساعدهُ مساعدة عظيمة على النجاح الذي فاز بهِ بعد ذلك . واضاف الى جيشهِ الخاص ١٢٠٠ نوتي من بولونيا لعلمهِ ان مجرى نهر الطونة العريض سيكون لهُ دخل عظيم في الحرب ومع انهُ كان يتجنب الخصام كل التجنب اظهر للنمسا جلياً ناهباتهِ العظيمة وجعل جيوشهُ في مركز يتضح منهُ استعدادهُ التام لمصادمة كل قوة تجردها عليهِ ولم يكن لنابوليون صالح في الحرب لكنهُ كان يرجو ان ما اجتمع عندهُ من القوات يحمل النمسا على التروي . قال تيرس في تاريخهِ . ان هذه التجهيزات النشيطة الثابتة دلالة على ان نابوليون كان يعتني في منع الحرب قدر

اعتنائهِ في اثارتها ومن المعلوم ان تلك التجهيزات تستغرق مبالغ وافرة من النقود لكن نابوليون كان عالمًا في امور المالية قدر علمهِ في ابواب الحرب فاضطر والحالة هذه ان يضيف الى مصاريف سنة ١٨٠٩ مبلغًا قدرهُ ١٧٨ مليون ريال وعلى اهل الانسانية ان يندبوا تلك المبالغ الجسيمة التي انفقت في زيادة الخراب والويل لانها لو صرفت في تحسين اودية اوربا وجبالها لباتت من الراس الشمالي الى البحر المتوسط نظير جنة عدن . وكانت النمسا قد تظاهرت تظاهرًا تامًا بالعدوان فامتنع عليها العدول عنهُ وبذلت جل مقدرتها في تحريك حماسة الامة النمساوية واخذت تشيع ان انكلترا واسبانيا قد اوقعتا بنابوليون في شبه الجزيرة الاسبانيولية واضعفتا قواهُ فلم يبقَ في وسعهِ ان يسترجع العساكر الفرنسوية التي اجتازت جبال ابريني وانهُ من الواجب مهاجمة مراكزهِ الغير المنيعة وان خلفاءهُ الالمان ينفصلون عنهُ حالما يحل في اول رزءٍ وان بروسيا ستنهض عن اخرها بحماسة تامة لتاخذ بثارها وان الامبراطور اسكندر الروسي قد نهج سياسة تضادها امة والاشراف ولذلك سيضطر الى العدول عن مواطاة تتهددهُ بالخطر والثبوروان في عزم نابوليون ان يعامل النمسا كما عامل اسبانيا وان يخلع كل العيال الملكية القديمة ويقيم مكانها عيالًا جديدة وشاهد ذلك ما قالهُ في خطابهِ الى الاسبانيول داخل اسوار مدريد وهو انكم اذا كنتم غير قابلين بان يكون جوزف ملكًا عليكم فلا اكرهكم على ذلك فان عندي تختًا ملكيًا اخر انصبهُ فيهِ اما انتم فاعاملكم معاملة امة مغلوبة . انتهى . فالتخت الذي اشار اليهِ هو تخت النمسا وكان لانكلترا مامورون في فينا يعملون على تحريك الامة النمساوية الى نقل السلاح وعرضوا على النمسا اتحاد الاساطيل الانكليزية باساطيلها ووعدوها بان يمدوها بالرجال والسلاح فاثر

ذلك في الامة وبلغت منها الحماسة مبلغًا عظيمًا وكانت فرق من جيوش المدافع والمشاة تجتاز كل يوم اسواق فينا مصحوبة بالرايات والنيران والشعب يتلقاهم باصوات الفرح اما عدد العساكر التي كانت تتمرن في النمسا في ابواب الحرب فكان ٥٠٠ الف مقاتل ونادت حكومة المجر بقومة عمومية في بلادها لتجمع عنها من العساكر ما يصعب حصرهُ وارسل مامور الى الدولة العلية ليظهر للباب العالي ان فرنسا وروسيا عاملتان على تقسيم السلطنة العثمانية وطلبت اوستريا الى الباب العالي ان يغض الطرف عن الاساءة التي نالتهُ بسبب مرور اسطول انكليزي في الدردنيل وان تتحد معها ومع انكلترا على مقاومة العدو فتحركت في الاهالي النخوة ومع انهم كانوا منذ سنة يميلون كل الميل الى فرنسا ويطردون الانكليز من اسواقهم ويرمونهم بكرات منسوجة محترقة تغيرت افكارهم وانشرحت صدورهم للانكليز وكان كل من ظهر من الفرنسويين في اسواق الاستانة يعرض نفسهُ للاهانة وارسلت انكلترا في الحال بارجة حربية الى القسطنطينية وانضم الباب العالي الى الاتحاد الجديد الذي تالف ضد فرنسا . اما الامبراطور اسكندر الروسي فاظهر في اعمالهِ وحركاتهِ ما دل على فتور همتهِ وتقاعدهِ فان رباطات الالفة بينهُ وبين نابوليون كانت وطيدة لكنهُ خاف كثيرًا من نتائج اتحادها وكانت الاستانة مطمحًا لانظارهِ فلم يكن يطمع في غيرها وكان دائمًا يتوق الى الحصول عليها الا ان نابوليون لم يسمح لهُ بذلك فاضطر نابوليون اخيرًا الى ان يصرح لروسيا بانهُ يعدل عن المداخلة في امر الولايات الواقعة عند نهر الطونة اذا ارادت ان تلحقها ببلادها الا ان الولايات المذكورة لم تكن في حوزة الامبراطور اسكندر ولم يكن الحصول عليها ممكنًا الا باعمال السلاح وكانت اقامة الحرب على النمسا مما ينشا عنهُ اتحاد بينها وبين

انكلترا والباب العالي وذلك من اكبر الصعوبات التي تحول دون الحاق ولايات الطونة فاثرت هذه الاسباب في افكار الامبراطور الروسي وكانت مع ما ناله من اللوم من اهل بيته داعيًا الى فتور صداقته وتحببه لنابوليون وعلمت النمسا بالارتباكات التي تشغل بال القيصر الروسي فطمعت في استمالته اليها فارسلت موسيو شوارتزنبرغ بهذه المامورية الى بلاط روسيا في بطرسبرج فتلقاه اعيانها واشرافها بكامل الترحاب وعلق امله بالحصول على المرام ووجد كل الناس في العاصمة اضدادًا لفرنسا حتى رجال العائلة الملكية كانوا مخالفين لها وللماثل لدى الامبراطور قال له بحرية ان النمسا كانت سائرة في سبيل الخداع والمخاتلة لما اعلنت ميلها الى السلام لانها ما فترت عن التاهب للحرب اما انا فاني مرتبط بفرنسا برباطات يصعب حلها واني عازم قيامًا بقولي ان احافظ عليها فاذا افضى الجنون بالنمسا الى تخديش السلام ينقض عليها نابوليون ويوقع بها وتحمل روسيا على ضم عساكرها الى عساكر فرنسا وتمكن انكلترا من تاخير وقت السلام مع ان اوربا في شديد احتياج اليه وكل من جد في اعاقة السلام واثارة الفتن يحسب عندي عدوًا . لا جرم ان هذا كلام لا يعاب ولكن من امعن به النظر يرى ان ظاهره مخالف لباطنه وذلك اذ نرى ان الامبراطور اسكندر كان غالبًا في مسالة النمسا لان اشهاره عليها الحرب يضر بنواياه من جهة الدولة العلية وكان دائم الرغبة في تجريد السيف لالحاق بعض ولايات عثمانية ببلاده فحل الياس بسفير النمسا لما سمع هذا الكلام وارسل الى دولته تحريرات تؤذن بذلك وخاطب امبراطور روسيا موسيو كولنكور سفير نابوليون بالحرية تلقيها فقال من اصعب الامور لديه ان يحارب حليفة اشترك معها بالقتال في اوسترليتز واكد له ان انهزام النمسا منا يوقع في اشد الارتباك

والحيرة لانه ينظر بعين الاسف الى انحطاطها والى ازدياد قوة فرنسا الذي يتلو ذلك لا محالة ولذلك كان يرغب في بذل كل ما في وسعه لمنع الحرب ولم يكن الامبراطور راغبًا في الاتكال على وزيري فرنسا والنمسا في تلك المسالة المهمة الا انه عزم على ان يحقق بنفسه للنمسا عدم حصول مواطاة عليها وان ينذرها بالاهوال والويلات التي تجرها على نفسها باشهار حرب جديدة وقال مرة ان وزراءنا لا يحاولون هذا المشكل فاتركوني وشاني اقوم بالكلام والعمل فان امكني مجانبة الحرب اجانبها والا فانني اقوم بالاعمال حرة مستقيمة وكانت اميال اسكندر الدلمية موافقة كل الموافقة لاميال نابوليون لان امبراطور الفرنسويين كان يحب الابتعاد عن الحرب بهذا المقدار ويخاف من شبوبها حتى انه فوض الامبراطور اسكندر بان يعد النمسا بان روسيا وفرنسا معًا تضمنان استقلال املاكها واخراج العساكر الفرنسوية من الاراضي المعروفة باتحاد الرين ولا يبقى منهم في المانيا نفر البتة . لكن اعداء نابوليون المتحدين احسوا حينئذ بالقوة والنشاط وحسبوا جده في حفظ السلام ضعفًا منه واخذوا ينظمون جيوشهم بنشاط جديد فجمعوا الكتائب وساروا بها الى القتال اما نابوليون فلبث في باريس قرير الخاطر ينتظر المهاجمة وما علم الجهة التي ينبعث بها عليه العدو منها لكن افكاره كانت مصروفة الى الوفر من المصالح وتاهب لكل الحوادث واستظهرت قواه العقلية على المصاريف الباهظة التي كان ينفقها في اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا ولم يعهد قط انسان قبل نابوليون اقام بما اقام به من الاجراءات الخطيرة وانقطع الامل من الصلح والمسالمة فكان نابوليون ينفذ الاوامر بتشديد ونشاط لا مزيد عليهما واراد ملك بافاريا ان يجعل جيشه تحت امرة ابنه وهو فتى نشيط لكنه لم يختبر مواقع الحرب فلم يصادق نابوليون على ذلك

وكتب الى الملك المشار اليهِ ان جيشكم سيقاتل في هذه الحرب قتالاً شديداً وذلك لحفظ وزيادة ما حصلت عليهِ بافاريا وربما اصلح ولدكم للقيادة بعد ان يشترك معنا في ست او سبع مواقع ومع ذلك دعهُ ياتي اليَّ فينال من الاعتبار ما يستوجبهُ ويتعلم بتجارتنا في الحروب وسلم نابوليون الى ذلك البرنس الشاب قيادة فرقة من الجيش البافاري وجرد ملك ورتمبرغ ١٢ الف مقاتل لمساعدة نابوليون ففوض قيادتها الى الجنرال فندام لكن ملك ورتمبرغ عارضهُ في ذلك فكتب اليهِ نابوليون ما ياتي . انني اعلم بنقائص الجنرال فندام لكنهُ صادق النية ثابت العزم وفي ظروف مستصعبة كالظروف الحالية ينبغي غض النظر عن تقصير الانسان في بلوغ سامي المزايا واتام نابوليون فرقاً من عساكرهِ في جوار استسبورغ فكانت ١٠٠ الف مقاتل ومدّ سلك برقي من اقاصي حدود بافاريا الى قصر التويلري وعينت خيول مخصوصة لركوب الامبراطور اذا شاء ان ياتي بسرعة عظيمة من باريس الى حدود الطونة ولما انتهت التاهبات على هذا المنوال اخذ نابوليون يراقب حركات النمسا وبين وكان يود ان يبقى في باريس بقدر الامكان ليدبر بنفسهِ صوالح امبراطوريتهِ المتسعة والحد الفاصل بين النمسا وبافاريا من جهة الشرق هو نهر إن وكان النمساويون قد جمعوا عند ضفتهِ ٢٠٠ الف مقاتل وكان اشهار الحرب موقوفاً على اجتيازهم النهر المذكور وعبورهم حدود بافاريا الآن نابوليون كان قد تعلم بالاختبار ان لا ينتظر اشهار الحرب ولذلك تهيأ لها قبل ان صرحت بها النمسا وفي صباح العاشر من شهر نيسان (افريل) سنة ١٨٠٩ اجتاز الارشيدوق شارل نهر إن بقواتهِ الكثيرة وسار قاصداً مونيخ عاصمة بافاريا وفي الوقت نفسهِ بعث بتحرير الى ملكها بانهُ قد صدرت لهُ الاوامر بان يتقدم وينفذ

المانيا من ظالميها وان كل العساكر التي تمانعهُ في مسيرهِ يحسبها عدوة فهذا هو التحرير الوحيد الذي اشهرت فيهِ الحرب على فرنسا وحلفائها . وكان كثير من اشراف النمسا يضادون الهجوم على نابوليون وكتب الكونت لويس فون وهو على فراش الموت تحريراً الى الامبراطور فرنسيس . اودعهُ ما ياتي ان الصلح الذي ابرمت في بورسبورغ ينبغي ان تحمل جلالتكم على ان تعتبروا نفسكم من اهل الحظ بالنظر الى المركز الذي جعلتكم فيهِ نعم انكم في المحل الثاني بين دول اوربا لكنهُ هو نفس المحل الذي كان لسلفائكم فعليكم ان تجتنبوا حرباً لا شيء يدعوكم اليها فانها ستكون سبباً لخرابكم وفتح نابوليون بلادكم ويحق لهُ حينئذٍ ان يتشدد في قصاصكم . وتمكن ستفردبني من مقابلة الامبراطور فرنسيس فقال لهُ بجسارة ان الحرب ستجلب الخراب على النمسا فقال الامبراطور ما ابعد هذا الكلام عن الصواب فان نابوليون لا يقدر ان يقوم بعمل الآن لان جنودهُ كلها في اسبانيا ولما سار الامبراطور المشار اليهِ للاجتماع بالعساكر النمساوية قال الكونت والسيس هذا هو داريوس ذاهب لمقابلة الاسكندر وسيلاقي ما لقي ذاك لا محالة اما نهر ان فهو على مسافة نحو ٣٠٠ ميل من باريس وعند الساعة العاشرة من الليل وصلت الى نابوليون رسالة برقية موذنة بابتداء القتال فقال وهو يقرأها حسن هو وسندخل فينا مرة ثانية ولكن ماذا يريدون منا الآن وماذا اصاب امبراطور النمسا هل لدغتهُ العقرب وبما انهم يكرهونني الى الحرب ساتيرها عليهم عوائماً وافق خواطرهم بذلك وعند انتصاف الليل ركب مركبتهُ واركب جوزفين معهُ وسار قاصداً ستراسبورج وارسلت انكلترا اساطيلها وعساكرها لمساعدة النمساويين فنهض واسرع المخالفون في المسير وقد لوحظ ان صدورهم اكثر من الاول على بونابرت الذي كانوا يسلبونهُ الى سعادة

الطمع والتعطش الى اراقة الدماء ابانابوليون فلم نحتفل بذلك ونعهد الى التاريخ ان يحكم على تصرفاته وتاهب للقتال لانه كان متحققاً ان جيش الظالم عاجز عن ان تشوه وجه تلك الحوادث التي سيبنى عليها حكم الناس بعده

الفصل السادس والاربعون

وكانت النمسا قد جهزت ٥٠٠ الف مقاتل للفتك بمن كان يدافع و يناضل عن الحقوق الديموقراطية واجتاز الارشيدوق شارل نهر ان بمائتي الف مقاتل واذ كان نابوليون مشتغلاً بحرب اسبانيا لم يتمكن من مقابلة هذه القوات بقوات مثلها الا انه نظراً لتدبيراته الناشئة عن الحذق كان شديد الثقة بقدرته على مقاومة العدو ولما كان في سان كلود وصلته الاخبار بحلول العساكر النمساوية اراضي حلفائه البافاريين وذلك بعد انتصاف الليل فتاهب للمسير وفي اقل من ساعة ركب مركبة وجعل جوزفين الى جانبه وسار ليلاً ونهاراً حتى وصل الى ستراسبورج فابقى جوزفين هناك ثم عبر نهر الرين واخذ في السير الى معسكره وفي سفره هذا تناول الطعام مساء عند رجل اقامه ملك ورتمبرغ لاقية حرش يصطاد فيه وكان من عادة نابوليون اذا نزل في بيت ان يجعل دابه سؤال صاحبه فسال الرجل المذكور سؤالات شتى بخصوص عائلته فعلم منه ان له ابنة وحيدة قد بلغت سن الزواج الا انه لم يكن له ما ينفقه في جهازها فتكرم عليها الامبراطور بما يلزمها لذلك ثم ركب حصانه وسار في طريقه تاركاً حسب عادته سلواناً في البيت الذي نزل فيه ووصل نابوليون الى ديلنجن من دون حراس واعوان وامتعة بعد ان انهزم جانب من الليل وكان ملك بافاريا مقيماً في قصره هناك لانه هرب من مونيش عاصمة مملكته عند قدوم العدو ولم يكن ينتظر حضور الامبراطور فدخل غرفته ونام ولما علم بوصول نابوليون نهض لملاقاته وبشاشة في حديث متواصل فقال الامبراطور للملك بافاريا في ١٥ يوماً اخرج العدو من بلادك وارجعك الى كرسي ملكك ومن امعن النظر في ذلك الوعد يرى انه كان عظيماً لانه لم يكن في وسع نابوليون ان يجمع اكثر من ٢٠٠ الف جندي لدفع ٥٠٠ الف رجل حشدت لمقاتلته وبعد تلك المقابلة القصيرة رجع ملك بافاريا الى فراشه وعلا نابوليون ظهر حصانه واطلق له العنان فاجتاز ٤٠ ميلاً الى ان وصل الى دونورث فجمع ضباطه في الحال والقى عليهم سؤالات علم منها في الحال مركز كل من الجيشين المتحاربين وتعجب كل التعجب من الخطر الذي احدق بعساكره وكان عارفاً حق المعرفة بزيادة عساكر العدو فعلم ان رجاله اذا قصدوا وقع بهم النمساويون لا محالة نظراً لكثرة عددهم فاوعز الى برتيه ان يجمع كل القوات في راتيسبون او في دونورث عند اول حركة هجومية تبدو من العدو لكنه تعجب كل التعجب لما راى ان برتيه قد وزع العساكر في كل الجهات على غير تروٍ وذلك لتوقيف النمساويين عن التقدم ولو كان للارشيدوق شارل من النشاط والهمة عشر ما كان لنابوليون لكان تمكن من ان يفتك بالفرنسويين دفعة واحدة فساد نابوليون باهتياله وفي الحال انفذ ضباطاً الى كل الاماكن وامرهم اسرع خطوطهم ونقض كل الاوامر الصادرة من برتيه وامر كل الفرق ان تبذل ما في وسعها للانضمام بعضها الى بعض وكان كل من دافوست وماسينا مبتعداً عن الآخر مسافة مائة ميل . ثم كتب الى برتيه يقول له . قد ظهر لي من الغرابة في ما فعلته ما كدت احسبه خيانة منك لولا ثقتي بمحبتك وصداقتك وقد بات دافوست في الحال في حوزة الارشيدوق

(ستاتي بقيته)

حيلة غرامية

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

وقالت في نفسها هل احب رجلاً هو لغيري لالا . ثم حاولت اخراج يدها من يده وصرخت بصوت مرتفع قائلة يا ابي . فاستيقظ وقال لها ابيك قالت اه هل دعوتك . قال نعم . قالت انني لا اتذكر ذلك . ثم قالت ارغب في ان اخرج من المركبة . فامرت سائقها ان يقف فوقف فخرجت وطلبت الى ابيها ان يخرج فخرج ولم تسمح لماري والضابط ان يخرجا ولكنها امرت السائق بان يسير بهما فسار . وعند ذلك اعتنقت اباها وقالت وااسفاه وا اسفاه انني شريرة جدًّا منكودة الحظ فاسعفني . فمنعها النحيب عن الكلام . ثم القت راسها على صدره وبكت بكاء شديدًا تفتت له الصخور ثم قالت يا ابتِ اخاف ان اكون قد احببت خاطب ماري وانه يحبني . قال وماذا تفعلين اذا كان غير مرتبط بماري . قالت يا ابي لا تقل هذا فانصعت وتحير واية حيرة لانه لم يكن يعلم كيف ينبغي ان يوضح لها الامر . ولم يكن يوافق ان يخبرها بانه عالم بالحيلة لانه كان يعلم ان ذلك يخدش سطوته . فصمم على ان يتركها تحارب غرامها الابتدائي المتعلق برجل اراد ان يقوم بحيلة لعلمها غيته وتتخلص من شركه فسارا الى الى ان وصلا الى البيت صامتين ودخلت لويز بسرعة الى مخدعها واخبرت اهل البيت بانها لا ترغب في ان ترى احدًا في تلك السهرة وجلست على المقعد بكدر لا مزيد عليه من شدة لومها لنفسها . ولم تدخل فراشها الا عند نصف الليل غير انها لم تقدر ان تنام فنهضت ودعت اباها اليها . فنهض من فراشه واتاها فتوسلت اليه بان يخلصها قبل فوات الفرصة . فلم يرَ ابوها غير وسيلة واحدة وهي ان يخبرها بان الضابط ربما كان لا يزال غير مرتبط . ولكنها لم تسمح له بان يتكلم بل كانت تقول لالا لا اكون بدون ناموس فطلبت اليه ان يشرع في الحال في السفر في تلك الليلة لانها لم تكن تقدر ان ترى ماري ولا خاطبها فحاول ان يسكن روعها على انها قالت لا بد من الخروج من البيت في الليل وانها تتيه في الدنيا اذا لم يقم ابوها بما طلبت اليه ان يقوم به . ولم يرَ بنته قبل ذلك على حال كتلك الحال من القلق والاضطراب ولا سيما بعد ان قالت انها تقطع الرباطات التي تربطها باهل العالم فاجابها الى ذلك فكتبت الى ماري وقالت لها انه لا بد من مرور بضعة اشهر بدون ان تسمع منها خبرًا وكتبت ايضاً الى جدتها وعند الفجر سارت هي وابوها وكانت ماري لا تزال نائمة . وكان الضابط في مخدعه غير انه لم يذق طعم النوم بل كان واقفاً في نافذة مخدعه وظن انه في حلم لما رأى المركبة سائرة وفيها لويز وابوها وصناديق كثيرة

الفصل الثامن

وفي الصباح خرجت ماري من مخدعها وجاءت الى قاعة الاكل في الجنة وفي تلك الساعة كان الماركيز وابنته قد ابتعدا جدًّا وكانت لويز جالسة في زاوية من المركبة مضطجعة مغمضة جفنيها لا تتحرك تعبت جدًّا المارات القاعة فارغة مع انها كانت تعلم ان

المارمرز كان ياتيها باكرافاتاها مدير البيت بتحريرين احدهما من باريز والاخركان بدون عنوان وهو تحرير لويز ففصت ختامة متحيرة غيرانها رات انها لا تقدران تقراه كالواجب فوضعت يدها على راسها مرات كثيرة ثم جلست وغاصت في بحار من التفكر ·

وعند ذلك دخل الضابط فخباءت ماري التحريرين ورات من وجهه انه كان قد صرف الليل بطوله بدون نوم · وقال لماري انه عالم بانه لم يزل غير قادر على القيام بامور مهمة كهذه الامور وتكلم ممازحا غير ان كلامه كان مختلطا بالجد بسبب المركز الذي اصبح فيه

ثم قال انه يوجد ابنتين كل منهما اهل لان يجد في الحصول عليها ومن اللازم ان تكون احداها خطيئة والاخرى قرينة فمركزه بالنظر اليها غير صحيح وذلك امر لا يمكن ان يدوم فكانت ماري تصغي الى هذا الحديث بصبر واطبقت شفتيها اطباقا محكما فقال لها الضابط قد رايت لويز ووالدها مسافرين باكرا فهل كان ما رايته حقيقة او اضغاث احلام فدفعت اليه التحرير الذي تركته صديقتها وتجنبت كل العجب لما رات لوائح السرور قد لاحت على محياه وقال لها انني قد سررت جدا بما كان فانني قد اعتنيت بها ومن اجلها وكنت عاملا على خدع نفسي نعم انني كنت جادا في الحصول عليها لكننا لا نناسب بعضنا وعندي ان عيشة زواج حقيقية لا يمكن ان تبنى على هذا المنوال وانقطع بسرعة عن الحديث فقالت ماري ان لويز واباها لم يطردا نامن بيتهما بل اخلياه لنا فنادت الضابط متمايلا اما ماري فلم تنقطع عن الحديث فقالت على انه كان من الواجب ان اخفي المسئلة عن المارمرز فنظر اليها الضابط وقد صبغ الاحمرار وجهه ولمعت عيناه وقال وهل كلمتيه بهذا الشان لا جرم ان ذلك جنون وتريني الان حرا وسارا بما حدث فانني تخلصت منها وعندي بدلا منها من هي اشبه بالملاك في اللطف والدعة وقد انتهت والحمد لله تلك الحيلة وسيرى الاغنياء المتكبرون انها سخرناهم فهل توافقينني في ذلك · قالت ماري انني لا افهم معنى كلامك قال لي الضابط يا ماري قد رايت انه لا يناسبني من النساء الا انت فقولي لي من دون رياء اذا كنت تودين ان اكون لك قرينا والحق يقال اننا لسنا من اهل الثروة لكن كلا منا يكون غنيا بحصوله على الاخر ولسنا من القوم الذين يهتمون بانفسهم كل الاهتمام وانا نشيط وشجاع وساجد واكد في طريقي فهل لك في موافقتي فوضعت ماري يدها في جيبها وعزمت على اخراج التحرير الذي ورد لها من باريز لكنها اخرجتها فارغة ومدتها الى ابن عمها وقالت له لا تحوجني الان الى الكلام فانني لا اعلم اذا كان يختلج صدري شيء لا مهم وان يكن ذلك مما يسمى حسدا الا انني ارجو ان لا تحملني على ما ذكرت فثق بي فان ذلك كل ما اعتبره فانا قد خرجنا من سن الطفولية وليس لنا من يفتكر بصوالحنا فارجوك ان تنصرف عني ولا تعلل نفسك بامال فارغة واذكر انني لم اقل شيئا فاذهب بسلام ومتى حان الوقت تسمع مني ما ينبغي ان تسمعه واذكرك ثانية بانني لم اعدك بشيء فقال الضابط اما انا فلا احيد عنك وارجو ان اقيدك بسلاسل الحب ثم ضمها الى صدره وقبلها وهي مرتجفة وكانت قد تمنعت في البدء لكنها قبلته بعد التمنع قبلة تؤذن بالغيظ ثم تملصت منه وخرجت من الغرفة وعيناه شاخصتان اليها اما هو فذهب الى البيت الذي كان نازلا فيه ولبس ثوبه الرسمي وسار قاصدا مكان مأموريته وسافرت ماري في المساء وفي هذه المرة لم تخف كثيرا حذرا من القوانين لان ناظر السكة الحديدية سمح لها بان تاخذه في المركبة على مراى من الركاب ولبثت مدة صامتة ساكنة والكلب ينظر اليها متعجبا

لانالم يرها قبلاً على هذه الحالة لا تكلمه ولا تنظر اليه وبعد ذلك اخرجت مكتوب لويز من جيبها واعادت قراته بسرعة ثم مزقته واخذت تنثر قطعة شيئاً فشيئاً من نافذة المركبة بحيث كان جمعها ثانية ضرباً من المحال ثم اخرجت المكتوب الاخر وهزت راسها ونظرت الى الصورة التي كانت فيه ثم اخذت تقرأ ما تضمنه واذا بوما ياتي : لا بد من ان تقولي عند ما تنظر عيناك اللامعتان الى هذه الصورة صورة من هذه ياترى ولا شك ان ظاهري قد طرأ عليه تغيير عظيم ولكن لو امكن ان يصور قلبي لما كنت ترين فيه تغييراً البتة . فاين انت الان وكيف معيشتك وهل لم يزل لي حق ان اكلمك بهذا الكلام وهل انت حرة الى الان وغير مرتبطة برباط يمنعك من ان تكوني لي حليلة فارجو ان تعذريني في هذا السوال واقول لك قولاً صحيحاً ان الاماني التي اغنتك اياها ونحن في السفينة قد حصلت عليها وبت الان في منصب جليل فيمكنني والحالة هذه ان ارتب لك ولنفسي بيتاً جميلاً مكملاً ولا تحتاجين الى الاعتناء به وساذهب اليك حيث تشائين واقول لك شيئاً عن صدق نية وطيب سريرة وهو انك اذا رايتيني خلافاً لما اقول فانت في خيار تام من جهتي وقد راجعت تحريري هذا واني كتبته وقريحتي مضطربة فانا افكاري خلابية وان كنت لا اقدر ان اعرب عنها بطريقة اخرى . فوادي يخفق الان كما كان يخفق لما رايتك تجتازين نهر الرين واوكد لك انني متجمع وعظيم الثقة بك وما زلت حياً فانني لك الخ . . .

فلما انتهت ماري الى الامضاء مزقته وكان في عزمها ان تمزق التحرير كله لكنها توقفت عن ذلك وقالت في نفسها انه يقول انك في خيار وذلك ليكون حراً و يتمكن من ان يحاول ثانية ما حاوله اولاً ولا جرم انه صادق حسن الطوية بعيد عن المكر والخداع فهذا هو ما عهدته منه فهل هو باق ياترى على حاله ثم اطالت النظر الى الصورة وبعد ذلك وضعتها مع التحرير في جيبها و بقيت المركبة تسير بها حتى وصلت الى البيت فوجدت المراة الطاعنة في السن مشتغلة حسب عادتها في نثر الاوراق في زوايا الغرفة

الفصل التاسع

ومضى على ذلك اشهر وفي ذات يوم وصل الى فاغولين الواقعة على بحيرة فوركنتون مركبة من ايطاليا ومعها الهارمرز وابنته تخرجها منها وكانت الشمس قد اثرت فيها فصبغت وجهيها بالاحمرار وكان في ذلك الوقت سفينة عازمة على الاقلاع من تلك المينا فركبها الهارمرز وابنته بعد ان نقلا اليها امتعتهما اما سائق المركبة فانصرف بعد ان ادى له فروض الشكر بوقار لا مزيد عليه وكان الركاب في السفينة مختلفي الاجناس واللغات وكانت ابصارهم شاخصة الى الشاطي والبيوت المبنية هناك بين الصخور وكانت مناظر البحر من تلك البحيرة توثر في كل ناظر اليها بحسب حالته وكان حديث الركاب في السفينة اشبه بحديث قوم يسمعون انغاماً موسيقية فيصغون اليها بدون ان يشعروا بذلك وكانوا ينتقلون من حديث الى اخر وعقولهم مشغلة بالمناظر المحدقة بهم وكثيراً ما عرضوا بذكرها على غير رضى منهم حتى كان يفضي بهم الامر احياناً الى قطع الحديث . وكانت لويز واقفة بالقرب من صاري السفينة منفردة تنظر الى الشاطي وهي لا تبالي بالانظار المتجهة اليها ولا بما كان يتفق لها ان تسمعه من كلام القوم فمن الناس من كان يظنها ارملة قد تركت الحداد ومنهم من ظنها مقترنة حديثاً بالشيخ الذي كان مرافقاً لها . واما ابوها الهارمرز فكان واقفاً في الجانب الاخر من السفينة هو ورجل من النواب السابقين من حزبه السياسي يتباحثان في المصالح العمومية ومع انهما كانا كلاهما من دون مامورية كانا

لم يزالا يميلان كعادتهما الى السياسة وفي اثناء الحديث قال ذلك النائب للهارمرزان الفتاة التي كانت مخطوبة في العاصمة في البنة الاول الذي صرفناه هناك قد تزوجت ولها الان ثلاثة اولاد وانه في الغد سيقابل ابنته الصغيرة المتزوجة في لوسرن فانها كانت في ايطاليا في عرس دعيت اليه وان له خمس بنات وكلهن متزوجات فالصغرى منهن قد اقترنت بصاحب معمل واما ازواج الباقيات فضباط من الملكية والعسكرية ثم اخذ يمدح شبان الوقت الحاضر فقال انهم يختلفون عن كثيرين من شبان وقتنا الماضي فتراهم لا يعشقون كما عشقنا نحن وهم اعقل منا واشد حماسة ثم سال الهارمرز بعض سؤالات عن لويز واراد ان يعرف كيف بقيت الى ذلك الوقت بدون زواج وكان كلامه في هذا الباب بكل دقة وحرص فاجابه الهارمرزان فقد قرينته وارتباك احوال حياته حيلاه على منع ابنته عن الزواج ولذة المعيشة الاقترانية فعند ذلك ذهب النائب واتى بضابط هو اخو صهره زوج ابنته وكان قد صادفه في السفينة على غير ميعاد فعرفه بالهارمرز وبابنته وكانت السفينة تسير في البحيرة ولويز تسير فيها كاسفة البال خائفة من ان يضطرها الحال الى ان تصرف السهرة وغيرها من الاوقات مع الرجلين المذكورين فان الانفراد كان احب اليها من معاشرتهما ولكن لحسن حظها لم يحضرا الا قليل حتى دنوا من جون في شاطئ البحيرة وكان هناك بيت جميل امامه بستان جديد يدعو اليه النواظر وتقر به الخواطر فعلمت لويز ان ذلك منزل للمسافرين فطلبت الى والدها ان يخرج بها اليه ويحق ان يقال ان منظر ذلك المكان كان جميلا فنا الا انه لم يكن وقت لاطالة النظر فيه عن ظهر السفينة فان جرس السفينة قرع في الحال تنبيهًا للركاب الذين يريدون الخروج الى البر فاخذت لويز خرجها واشارت الى والدها ان يحمل خرجه ومدت الالواح من السفينة الى اليابسة فاجتازا عليها ونقلت اليهما امتعتهما بعد ذلك ولما وصل الهارمرز الى الشاطئ ودع اصحابه الذين شيعوه الى هناك واحنت لويز راسها اشارة الى توديعهم ايضًا وهم ينظرون اليها بتعجب ثم عادوا الى السفينة فقالت لويز لوالدها يا ابت انني اشكرك على ما فعلت معي من الجميل بانزالك اياي هذا المكان (فامتد هذا وتنهدت تنهدًا مستطيلًا) ولا ادري ما حببه الي ولكن يخال لي انني رايته في حلم على ما هو عليه تمامًا امامه بحيرة مياهها تتلالا نظير مياه هذه البحيرة وفيه ينبوع يتفجر ماؤه متدفقًا في الارض ويشتمل على هذا الشكل والجرس يقرع كالجرس الذي يقرع الان في القرية ولا ريب انه من دواعي الحظ والسرور ان يعلم الانسان الاماكن الجميلة الموجودة في العالم. فاتت صاحبة المنزل وترحبت بالهارمرز وابنته بالفرنسوية وقالت مشيرة الى البيت ان الغرفتين اللتين امامها الماشي في زاوية البيت قد اخليتا في هذا النهار وهما يشرفان على الاماكن المجاورة ومنظرها منهما جميل جدًا واتى الخادم وعلى راسه برنيطة قد كتب عليها اسم المنزل واشار الى سيدته باعتبار الضيفين الجديدين لانه راى رجلًا حاملًا علامات الشرف في صدره يسلم عليهما من السفينة بعد ان نزلا منها الى البر وذلك دليل على انهما من اهل الوجاهة ثم اتى كلب المنزل وابدى من الحركات ما دل ايضًا على ترحيبه بلويز ووالدها وجلس امامها واخذ ينظر اليها ويطبق عينيه كلما كانت تلتفت اليه فاشارت اليه صاحبة المنزل بالانصراف فانصرف الا ان لويز قالت انها تحب الحيوانات ودعته اليها فما ابطا ثم عاد نحو سيدته مفتخرًا بالالتفات الذي حصل عليه من لويز ولسان حاله يقول كل من راني يحبني. اما لويز فاخذت بيد ابيها وسارا قاصدين البيت وكان هناك ولدان يلعبان

على ارح من خشب فكان على الطرف الواحد منهُ ولد يضرب الرمل بنصيب كانهُ يجذف في قارب وكان لابسًا سترة حمراء وعلى ساقيهِ جوربان من بوطان يسر والهُ وفي رجليهِ حذاء اصفر وكان في الجانب الآخر ابنة لابسة مثل اهل تلك البلاد وهي جالسة على كرسي وكلاهما يحسبان انهما في قارب سائر في وسط المياه فطلبت الابنة الى رفيقها ان يسمح لها بان تشرب من البحيرة فاجاب بالقبول فاحنت راسها الى الرمل كانها تشرب فلما رات لويز الولدين المذكورين سرت بهما غاية السرور وقالت لوالدها يا ابتِ ما احلى هذا المنظر ثم دنت منهما وكلتهما بالفرنسوية فاجابا باللغة نفسها وكان في كلامهما من العذوبة والحلاوة ما يصبو اليهِ السمع ثم سار الهار وابنته الى الغرفتين المعدتين لهما فوجداها على غاية ما يرام ولم تعتنِ لويز بشيء حالتئذ بل تركت ذلك الى والدها فسال عن الموجودين في ذلك المنزل فقيل لهُ جماعة لا يثقلون عليكم لانهم اهل صنائع يصرفون النهار بطولهِ في الجبال ووقفت لويز على المشي فكانت تارة تضم يديها الى صدرها وطورًا تفتح ذراعيها كانها تود ان تطير وقالت لوالدها احس بانني في سعادة تامة ولم اعرف قبل الآن انهُ يوجد في العالم راحة كالراحة التي انا حاصلة عليها او هواء رطب صافٍ كالهواء الذي تتنسمهُ الآن قال ستصادفين اسبابًا كثيرة للحظ في هذا المكان فانهُ يوجد في هذا المنزل خمسة من المصورين الفرنسويين مع نسائهم واولادهم

الفصل العاشر

ان المناظر من مكان ثابت تروق الناظر كثيرًا بعد ان يكون قد صرف مدة في مشاهدة الاماكن من مركبة متحركة او من ظهر سفينة فجلس كل من لويز وابيها في المشي ينظران الى البحيرة والجبال المجاورة ولم يكن يسمع صوت الا خرير الماء في البستان واحيانًا

اصوات الاولاد الذين كانوا يلعبون على شاطئ البحيرة وقاربت الشمس الزوال فارسلت اشعتها الى البحيرة فلونتها الوانًا شتى مبهجة وارخى الليل سدولهُ فقرعت نواقيس القرية وعاد الاولاد الى البيت وكان الولد اللابس السترة الحمراء لا يسمح لاحد سواه بقرع ناقوس البيت ليدعو السياح الى مناولة الطعام . فدخل الهار مرز وابنته قاعة الاكل فشخصت اليهما كل النواظر برهة ثم عاد القوم الى الحديث وكان كلامهم باللغة الفرنسوية فجلست لويز وابوها حسب العادة عند طرف المائدة الاسفل وكان في الصدر رجل ظهر من ثوبهِ انهُ ضابط وهو طاعن في السن واشيب قد بيض شاربيهِ وشعر راسهِ فنظر الى اثنتين من الخوانين احداهن الى يمينهِ والاخرى الى شمالهِ وابدى لها اشارة اراد بها اظهار سرورهِ بقدوم الهار مرز وابنتهِ لويز اما لويز وابوها فانهما علما عند دخولهما قاعة الاكل ان القوم الموجودين هناك ليسوا باجانب عنهم فان عاداتهم واحدة وكانا ينتظران نتيجة التاثير الذي يحدث من قدومهما وكان جالسًا تجاه لويز شاب لا يفوه بكلمة فلم تعلم أ كان ذلك لان الحاضرين يانفون من معاشرتهِ ومسامرتهِ ام لانهُ يرغب في الانفراد والصمت وقبل ان فرغوا من الطعام ترك قاعة الاكل كانهُ مغتاظ ولم يبدِ حركة توذن بالسلام حسب العادة المالوفة ولما قامت الجماعة عن الطعام دنت لويز من الولدين اللذين صادفتهما على الشاطئ عند وصولها واحنت راسها ابتدانا بالسلام عليهما فتقدمت اليها والدتهما بلطف ورقة وقالت لها انك تحبين الاولاد فالظاهر انك قد تركت اولادك في البيت فاجابتها لويز سلبًا وعلا وجهها الاحمرار وتفرق القوم فمنهم من ذهب الى القاعة التي يطالعون فيها الكتب والجرائد ومنهم من ذهب الى قاعة الموسيقى وذهبت لويز معهم وسار جماعة الى قاعة التدخين فتبعهم الهار مرز ولكن

لم يباحثه احد بالكلام فانسل من بينهم الى البستان ثم توجه نحو شاطي البحيرة فاتى اليه الرجل الذي كان جالسًا على صدر المائدة في صدر القوم فحياهُ وقال له انه ضابط من سويسرا الفرنسوية وانه اقدم النازلين في ذلك المنزل واكثرهم ترددًا اليه واطنب في مديح المنزل المذكور نظرًا لرغد المعيشة فيه وقال ايضًا ان الذين ياتونه لايجدونه في الخارج وان يكن صاحبه اهلاً للثناء والتقدم وذلك لانهم يخشون ان مديحهم يجلب اليه الناس فتزدحم فيه الاقدام فيزول ما يلاقونه هناك من الراحة والانشراح ولم تمكث لويز مدة طويلة في القاعة التي ذهبت اليها حتى اتت الى والدها ولما وصلت اليه عرفها بالضابط فسالته عن الشاب الذي كان جالسًا قبالتها على المائدة لانها استغربت كدرهُ فقال الضابط انه طبيب الماني مرافق مريضًا قد بلي بالسويداء وهو دائمًا في غرفته لايخرج منها والظاهر ان معاشرته قد اثرت في الشاب المذكور لانه لايطيق مفارقته ابدًا فضلاً عن ان عدم معرفته اللغة الفرنسوية مما يزيد كدرهُ لانه يرى نفسه مفرزًا عن الجماعة النازلين في البيت . وقالت صاحبة المنزل للويز ان البدر سيشرق متلالئًا فوق الجبال نحو الساعة الحادية عشرة وانه من اللازم ان لا يفوتها منظرهُ البهج فرغبت لويز في انتظاره لان التعب كان قد انزفها وفي والدها فذهب كل منهما الى غرفته طلبًا للراحة ولم يلبثا ان استغرقا في النوم الا ان لويز فتحت عينيها لما ارسل البدر اشعته اللامعة فنهضت من سريرها ووقفت في الشباك واخذت تنظر الى محاسن المحلات المجاورة والى البحيرة التي كانت تكسر النور الساطع الواقع عليها وكان قارب اتيًا على ظهر البحيرة يشق مياهها النورية الساطعة وفيه رجل يغني بصوت رائق قوي وكلما كان القارب يدنو من الشاطي كان الصوت يزيد ارتفاعًا ثم فتحت نوافذ البيت واخذ من هناك من الرجال والنساء يصرخون هذا موسيو ادغار فجاوبهم من البحيرة صوت اشبه بهدار وبخ مرسل في الجو فاسرع كل من صاحب المنزل وصاحبته والخادم الى الشاطي وكل منهم يقول للاخر الهار ادغار آت وكان الكلب ينبح . ولما دنا القارب من اليابسة برز فيه رجل طويل القامة ولما خرج منه الى الشاطي رفع برنيطته تحيا اهل المنزل والذين كانوا واقفين في النوافذ وقال لهم بصوت عالٍ انه لما كان لا ياتي ذلك المكان ليلاً سفينة بخارية وكان لم يشا ان يلبث في المحل الذي كان فيه الى الغد استاجر قاربًا وساقه بنفسه بالمجذاف حتى وصل اليهم وسمعت لويز صاحبة المنزل تقول ان الغرفة التي عند الزاوية قد اشغلت الان لان فتاة قد نزلت فيها في هذا النهار مع والدها والمظنون انهما لا يلبثان مدة طويلة اما الضيف فدخل البيت واتي بامتعته بعدهُ وعادت السكينة الى ما كانت عليه لكن لويز احست بخفقان في فؤادها وقالت في نفسها ماذا ارى ياترى اني كل يوم اصادف من الحوادث الجديدة ما نسمعه في الحكايات والقصص القديمة وكانت مياه النبع في البستان تتدفق وتخرير في صوت خريرها ما يدل على انها علمت بالصراخ الذي دوت له ضواحي المنزل وهو قولهم موسيو ادغار . موسيو ادغار . ثم رجعت لويز الى سريرها ولم يمض الا قليل حتى استغرقت في النوم

الفصل الحادي عشر

ولم تستفق لويز من رقادها في الصباح الا لما سمعت صوت الجرس يدعو الناس لمناولة الطعام فقال لها والدها انه قد طاف صباحًا في جوار البيت بقصد التنزه وانه اجابة الى طلبها ارسل رسالة برقية الى لوسرن يطلب بها ارسال الخابرات الواردة باسمه مع صحيفة يومية الى ذلك المكان وكانت لويز قد

نعيمى انها طابت ذلك من ابيها فجلست في سريرها وجدت في جمع افكارها المشتتة ولم تعلم اهي في يقظة ام في نوم . ثم قالت لابيها ان ينتظرها في غرفتها الى ان تكون لبست ثيابها فاجاب الى ما طلبت وكان بين غرفتها وغرفته باب مقفول فسالته اذا كان قد سمع شيئاً عن موسيو ادغار الذي وصل الى المنزل ليلاً . قال نعم ولماذا تسالين وكل من هنا قد سر بقدومه فارادت ان تقول له انها شاهدته حين خرج من البحيرة وان تسأله اذا كان قد رآه لكنها عدلت عن ذلك وبعد ان فرغت من اللبس ذهبت مع ابيها الى قاعة الاكل وكان الطعام قد بسط على موائد مستديرة وكان جماعة جالسين على مائدة وجوههم شاخصون الى رجل واحد جالس بينهم وهم يكلمونه دون غيره وكان على ركبتيه الولد اللابس السترة الحمراء والابنة المار ذكرهما وكانت الابنة لابسة حينئذ ثوباً ابيض اما الرجل المذكور فهو طويل القامة غير حليق المحيا شعره كثيف ولحيته سوداء وصوته رنان وفي هيئته ما يدل على حسن الطوية فاخذ نظارته وشخص الى المارمرز وابنته برهة ثم سأل ام الولدين بصوت منخفض سؤالات لاشك انها كانت تتجه اليهما لان الجواب كان بصوت منخفض ايضاً فانصرفت الانظار كلها الى لويز وابيها وبعد دقيقة خرج القوم من قاعة الاكل ولم يبق فيها الا المار المذكور وابنته وتوجهوا الى البستان فشرع موسيو ادغار الضيف الجديد يتمشى مع الولدين المقدم ذكرهما ماسكاً كلاً منهما بيد اما المارمرز فالتفت الى لويز وقال انه من الغريب ان الفرنسويين الذين يعتبرون الحرية والمساواة بدرجة واحدة يتظاهرون بمحبة النياشين فيلبسونها وقت السفر ولا سيما في بلاد سويسرا حيث لا نياشين ولا علامات شرف قالت ربما كانوا يفتخرون بذلك او انهم يرون من اللازم ان يجعلوه علامة مميزة لهم عن الناس الذين هم دونهم في المقام وقد لاح لي بعض غرابة في هذا الرجل. قال المار سيف من قالت في موسيو ادغار فانني رأيته ليلة امس لم يخل لي مطلقاً انه يلبس في النهار نيشاناً كالنيشان المعلق بصدره وهو في وسط حبال كل ما فيها حقير ثم قصت على والدها ما جرى امس وقالت في ضوء النهار تنجلي حقائق الامور وبينما في هذا الحديث دخلت صاحبة البيت وقالت من دون ان يسألها سائل ان موسيو ادغار محبوب كثيراً من الجميع وانه من عادته ان يتردد عليهم في فصل الصيف وقد اقام اخر مرة عندهم مدة خمسة اشهر وصور تلك البلاد بغاية الاتقان قال المارمرز هل المرأة قرينة موسيو ادغار والولدان ولداه قالت صاحبة البيت انه غير متزوج ولا يسأل عن الخواتين لكنه يحب الاطفال كثيراً فقالت لها لويز هل يمكن ان نشاهد من هنا المكان الذي يقف فيه المصورون حين يشتغلون في التصوير فهزت صاحبة البيت كتفيها وقالت ان المصورين كالعصافير لا يقر لهم قرار فاذا رجعوا من الاماكن التي يصورون فيها عدلوا عن الطريق المستقيم لئلا يعرف الناس اين كانوا وهم حريصون على الانفراد لا يودون ان يقاطعهم احد في شغلهم ولكن اذا اتفق لاحد ان يفاجئهم وهم مشغولون تبطل عندهم كل حيلة . وكان الرجال قد خرجوا جميعاً من قاعة الاكل حتى صاحب البيت والخادم ايضاً وكانت ام الولدين جالسة مع باقي النساء في ظل البيت يشتغلن بالخياطة وما شاكلها من اشغال اليد وكانت لويز تود ان تجلس معهن الا انها لم تدع الى ذلك فسارت في سبيلها وكانت السكينة عامة في البيت والبستان لا يسمع فيها حركة الا ان الولدين كانا يلعبان على شاطئ البحيرة مع الكلب الذي رأى من فرضه ان يلاطف الضيوف ويقوم بما يرضيهم

(ستأتي بقيتها)

ملح

من فلم من ارجوان يتكرم بالافادة عن
اسمو لانها وردت من دون امضا

كل وشانة

كان فلاح قد بلي بداء الطرش هو وزوجتة وابنتة فحاك يوماً عمامة لنفسهِ واعطاها لامرأتهِ فخيطتها لهُ والبستهُ اياها فذهب ثاني الايام ليشتغل في حقلهِ وكان على قارعة الطريق فكان كل من نظرهُ يقول له يعطيك العافية فيجيب حالاً انا حكتها وامراتي خاطتها وبقي على ذلك طول النهار وهو يظن ان الجميع يسالونه عن عمامتهِ ولما رجع الى بيتهِ كانت امراتهُ تطبخ شوربة عدس فقال لها اعلمي ان الناس في كل هذا النهار يسالون عن عمامتي وانا اقسم لهم انها شغلي وشغلك فظنت انهُ يشكرها على شوربة العدس فاجابتهُ وليس هذه فقط ولكن كل ما تشتهيهِ نفسك من ارز ولحم وكبة وغير ذلك اقدر ان اطبخهُ جيدًا فظنت الابنة انهما يتكلمان عنها فقالت ماهذا الكلام انا لا ادع احدًا يحكم عليَّ ولا اتزوج الا من يحبهُ قلبي

البساطة

اراد احد الناس ان يعلم بدويًا الصلوة الربانية فلم يقدر ان يحفظها غبيًا فسمى لهُ كل شاة بكلمة من تلك الصلوة وبهذه الواسطة تعلمها وصار في كل وقت يصليها وهو يدل على غنمهِ ففي بعض الايام افترس ذئب الغنمة المسماة سموات فذارهُ الذي علمهُ وقال لهُ هل لم تزل تعرف الصلوة فقال نعم فاخذ يشير باصبعهِ الى الغنم وقال ابانا الذي في ليتقدس اسمك فقال لماذا تركت السموات قال لم اتركها وانما افترسها الذئب غصبًا عني

المكافاة

ترافق رجلان في سفر وكان احدهما فقيرًا والاخر غنيًا بخيلاً وكان الفقير ماشيًا والغني راكبًا ومعهُ امتعة وصندوق زجاج كبير وفيما هما في الطريق نزل الغني عن فرسهِ واكل ورفيقهُ ينظر اليهِ ولم يدعهُ . ثم ركب وبعد ان سار قليلاً قال للفقير كل من قال لك الشبعان مثل الجوعان فلا تصدقهُ فاجابهُ نعم وبعد ان سارا مدة طويلة وقد كل الفقير من السير قال لهُ رفيقهُ كل من قال لك الراكب مثل الماشي فلا تصدقهُ فاجابهُ نعم ولم يزالا كذلك حتى بلغا المكان المقصود فنزل الغني وقال لرفيقهِ هل تريد ان تساعدني في حمل الصندوق الى الخان فحمل الفقير الصندوق وصعد بهِ حتى وصل الى راس السلم وطرحهُ الى اسفل فانكسر هو وما فيهِ ثم نظر الى رفيقهِ وقال لهُ كل من قال لك انهُ بقي شيء من هذا الزجاج فلا تصدقهُ

الحذق

شكا قوم الى بعض القضاة غريمًا لهم عليهِ دراهم فاقر فامرهُ القاضي بان يدفع لكل ذي حق حقهُ فقال يامولاي ان لي ربعًا وقد حان استغلالهُ فان راوا ان يوجلوني اياما حتى استغلهُ فادفع لهم حقوقهم فسالهم القاضي فقالوا من اين لهُ هذا ونحن نعلم انهُ لا يملك على شيء اصلاً فقال القاضي للغريم اذهب فقد اقر غرماوءك بافلاسك

النباهة

وقف رجل بين يدي المامون وقد جنى جناية فقال لهُ والله لاقتلنك فقال الرجل يا امير المومنين تانَّ عليَّ فان الرفق نصف العفو قال كيف وقد حلفت لاقتلنك قال يا امير المومنين خير لك ان تلقى الله حانثًا من ان تلقاهُ قاتلاً فخلى سبيلهُ

الجنان

الجزء العشرون

في ١٥ تشرين الاول (نوفمبر) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

قد اتضح ان اطالة زمان الحرب علة ازدياد صعوبات عقد الصلح وان ما كان يمكن اجراؤه منذ اربعة اشهر بات خارج حيز الامكان في الحال فان للسياسة درجات تنحط او ترتفع بها بدون ان يتيسر ارجاعها الى ما كانت فيه ولذلك نقول انه قد مضى زمان اللوائح وارسال المامورين لتحريض العصاة على الرجوع الى ربقة الانقياد وجاءت التعديات البلغارية بانتقال عظيم مهم ربما كان اثره في الحال تاثيرًا اشد من تاثيرات العصيان نفسه وجعل الانكليز يرون انه لابد لهم من ان ينهجوا منهجًا ربما كانوا لا يرتضون بان ينهجوه لو لم يروا من الحزب الانكليزي المضاد للحكومة الحالية بل من نفس حزبهم ما ابان لهم باجلى بيان انه لابد من تقرير امور مقابلة لتعديات اولئك الذين ظنوا انهم كانوا يانون الامة والوطن بمنافع جمة بالخروج عن اصول المحاربات ولا تنحصر صعوبة المركز بذلك فان الامة الروسية قد اظهرت من الغيظ والهيجان ما لم يعهد فيها على ان تعليق الامل بصرف المشكل بدون اتساع دائرة الحرب باجتهادات دول اوربا قاطبة وبما يقال من ميل نفس امبراطور الروسيين الى المحافظة على السلام على رغم انف رعاياه لانه ليس كالانكليز من جهة ضرورة مجاراة امته فان ارادته الناموس النافذ وامره القانون المطاع ولا ريب في ان اضرار الصديق الجاهل اشد من اضرار العدو العاقل ولذلك نرى من سوء عواقب تعديات العسكر الغير المنظم في البغاريين اكثر مما نرى من عواقب ثورة الهرسك وبوسنة بل من نفس حرب الصرب والجبل الاسود وقد قفلت ابواب تسوية كانت سهلة بالنسبة الى ما ترومه اوربا في الحال غير ان اختلافها على امور جوهرية في الحال كما في الماضي يعود علينا بالنفع غير ان ذلك الخلاف ياتي بفوائد محصورة بعد تلك الحوادث ولا يناسب التفصيل هذا المقام ومع ذلك ينبغي ان نعلم نحن الذين نحب خير الوطن والدولة ان كل ما يؤول الى الاضطراب والتعديات وتجاوز حدود الاعتدال في التعصبات يضر بالدولة والامة عظيم ضرر ويبعد عنا اشد اصدقائنا اخلاصًا وحمية وغيرة ويعود علينا بالوبال والهوان ويجعل استقبالنا مظلمًا جدًا مكدرًا خاليًا من اسباب السعادة الناشئة عن الالفة والاتحاد حتى انه ربما كان نزاع صغير في قرية او بلدة يلقي على عواتقنا اتعابًا واثقالًا بل يضر باستقبالنا ويصعب اسباب التخلص من مشاكلنا واعظم اسباب انشغال البال في الحال ما تقرر في عقول اهالي اوربا من جهة التعديات البلغارية مع ان ما شاع عندهم لا يخلو من مبالغات عظيمة تقررت في العقول باجتهادات اعدائنا وباجتهادات الحزب الانكليزي المضاد لحكومة انكلترا الحالية الذي يحاول في كل حال اضعاف ضده فان تكدير الخواطر عليه يضعف ميل الامة اليه فتسقط الحكومة وتخلفها التي كانت سببًا لسقوطها بلومها واظهار عيوبها وجعل ما هو قدر البعوضة من خطائها جملًا عظيمًا والانكليز من الامم التي متى قبلت شيئًا يصعب تغيير عزمها بل يقال ان ذلك قد يكون ضربًا من المحال وهذه هي المصيبة العمياء ولا اظن ان روسيا تخدع بما يظهر

من ميل الامة الانكليزية الى مساعدة البلغاريين والبوسنيين والهرسكيين حتى قالوا انه لابد من جعل بلدانهم امارات فانها تعلم ان الحكومة الانكليزية كثيرًا ما كانت تضاد ميل الامة برهة وبعد تقرير الحال وسكون الهيجان وزوال المخاوف تعظم اعمالها في اعين الامة وتعضدها الجرائد المتحزبة لها فينشا عن ذلك رد فعل لان العنيد يغلب بالتظاهر بمجارات عناده مع ان ذلك لا يكون غير الهجوم عليه من جهة اخرى لنوال المقصود نفسه. وفي ما سمعناهُ عن ميل الحضرة الشاهانية الى تخفيض شروط الصلح والتساهل لاخماد نيران الفتن والحروب باب فرج عظيم ومع ذلك نرى صعوبات كثيرة ومخاطر لا تنكر على اننا نسال الله سبحانه وتعالى ان يزيل ذلك اجمع ويبدل الصعب بالهين قبل نشر هذه الجملة التي لا تظهر الا بعد انتهاء مدة المدنة المعقودة وقصر مدتها دليل شدة الاحتياج الى تقرير الامر قبل فوات الفرصة ولا نستغرب اطالتها بحيث تصير عشرين يومًا او اكثر عوضًا عن عشرة ايام وقبول الدول بها دليل ميلها الى تقرير السلام ومن الموكد عندنا ان الشروط التي تقرر الان اقل موافقة لنا من الشروط التي كان يمكن الحصول عليها في المدة الماضية وما قلناهُ في الجنة منذ نحو ثلثة اشهر او اكثر من ان رفض انكلترا للائحة برلين وارسال بوارجها الى خليج بسكاي ارسالًا راى العالم فيه مضادة مهينة لروسيا حال كون الحكومة الانكليزية انكرت ذلك قد اوغر صدور الروسيين واطال زمان الحرب ورد حكومة انكلترا على ذلك محصور بقولها انها لم تقبل بها لانها علمت بانها يما لا سبيل الى اجرائه والجواب على ذلك ان الدول قبلت بان تجعل تلك اللائحة موضوعًا للمفاوضة والتغيير ولكن الوزارة الانكليزية رفضتها رفضًا يدل على انها مغتاظة لكونها لم تشترك في تقريرها مع

الامبراطوريات الثلث والمرجح عندنا بل نود ان تقرر في عقولنا انهُ المرجح ان اجتماع جيوش روسية في الجنوب هو لمقابلة اجتماع بوارج انكليزية في ذلك الخليج ولعضد روسيا في سياستها لان في هذا الزمان قوة الكلمة ونفوذ الراي بقوة السلاح التي تظهر وراء المتكلم فان العدل هو السيف في الامور العمومية وعند الدول المتمدنة العدل هو العدل بعينهِ في الامور الافرادية وما احسن ما قيل نقلًا عن الحضرة الشاهانية وهو انهُ في الصعوبات الحالية من الضرورة ان يكون لنا اصدقاء وان تكون الصلات الجارية بيننا وبين جيراننا احسن صلات انتهى . فهذه السياسة المصيبة فارتضا دول اوروبا وليس رعاياها المقيمة في الشرق بسلوك طرق الاصلاح والتقدم الصحيح ونبذ التعصبات الدينية كلها مجاراة لضروريات الاحوال والتظاهر بالالفة التامة والصداقة الوطنية ومجانبة الاختلافات والمقاومات المحلية ولو طفيفة غير مهمة توثر في اوربا تاثيرًا حسنًا وتعود علينا بالنفع العميم وكل من يظن ان انشقاقاتنا المحلية وتلك التعصبات التي نراها صغيرة لا تبلغ اوربا وتضربنا يخطي وهو اول من حمل سوء عاقبة خطائهِ لان قصارى مرغوب الدول التي هي صديقة فعلية لنا او التي تود ان تكون كذلك ان ترى الانتظام والالفة والنجاح والصداقة جارية على قدم وساق في ديارنا كما ان قصارى مرغوب الدول الباطنية العداوة اضرام نيران الشقاق والخلاف لابعادنا عن اولئك الاصدقاء فكل من يضرم التعصبات بالكتابة او الكلام ومن يفعل ما يؤول الى تكدير الصداقة والالفة جندي العدو وعدو الصديق اما عن جهل واما عن تفضيل الصالح الخصوصي بالانتفاع بجهل الذين لا يدركون حقيقة الامور ويتملقون بل يعضدون من يجاري جهلهم. فهوذا السم الناقع والبلسم الشافي وقد عرفنا ما يضر منها وما ينفع

بالتجارب التي نشأت عنهـا ويلات وصعوبات وخسائر وهرق دما واتلاف مقتنيات واملاك واضطراب قلوب وانشغال بال فهل نشتري الاختبار باغلى الاثمان وندوسة غير مبالين به ليرجع الينا الويل ويفوتنا سنوح فرصة لانزال الخاطر تحدق بها وعندنا انة من الواجب ان نشارك اهالي شمالي المملكة بما ربما كان ينشأ من المنافع من هذه الحرب كما شاركناهم باضرارها حتى امسينا عراة جياعاً ونفعنا يكون في القيام بما سبق الكلام عنة بالاجتهاد قاطعين النظر عن كل خداع يزيد فينا اضرام نيران التعصب وهذا مما يقدر الاهالي عليه من تلقاء انفسهم. وربما كانت تجهيزات اوربا العظيمة التي لابد من ان تاتي بحرب بعد زمان قصير او طويل ما لم تعرف الجنود سبباً لحفظ السلام في الحال خوفاً من صعوبات حرب شعوبية ومشقاتها واضرارها بالناس والدول لعدم امكانية نهيها في برهة قصيرة كحروب هذا الزمان ومما يجعلنا نرجح صرف المشاكل الحالية بالحب ما قراناه في بعض الجرائد المهمة العارفة بالاحوال من ان حضرة امبراطور روسيا رغب في بادي الامر في تسوية الحال وكرر استخدام الوسائل الموصلة الى المرغوب بتقرير لائحة النمسا ثم ارسال مامورثم لائحة برلين وغير ذلك فاذا قلنا ان حضرته كان يميل باطناً الى اتساع دائرة الحرب بامل فوز العصاة والجبل الاسود والسرب ولم يقل لهم ان مسئولية الحرب تقع عليهم نقول انة ما دامت بعض الدول القوية تضادهُ لا يميل الى ان يشهر حرباً ومالية احتاجت منذ برهة قصيرة الى الاستقراض ولم تاتِ بالمرغوب لا في انكلترا ولا في فرنسا ولا يسمح بوقوعها الا اذا راى انة لا سبيل الى مجانبتها اما الامة الروسية وبعض المامورين فيبدون ريبهم راغبون في انتشاب الحروب ودخول متطوعين روسيين صفوف الاعداء بدون انقطاع يدل على ذلك ومن المستغرب اننا نسمع بالشروط المتعلقة بالسرب بدون ان نسمع عما يتعلق بالجبل الاسود والهرسك وبوسنه مع انة اذا تقررت الاحوال سلمياً لابد من ان تجرى المخابرات بشان المشكلة كلها. ولو صار الابتداء بالسرب وقصارى المرغوب ان لاتكون التسوية مما يجعل العالم يرى اسباب الخوف من اعادة الخطب بعد مدة ليست بطويلة والناس في كل الدنيا في ضنك وشدة وقد اشتدت ضيقاتهم منذ انتشبت الحرب في الشرق وبات العالم في قلق وخوف من اتساع دائرتها وحدوث الحرب العمومية المنتظرة بسببها ومن الناس من يقول ان حدوث ذلك الان اوفق من تاجيلهِ لانة ما بعد بلوغ الحال النهاية من الشدة الا الفرج ولولا الخوف من اطالة زمان القتال من جرى العوائق الشتوية لكان ذلك مما يستحق التامل اذا كان لامفر من فتح تلك الحرب ولاامل بصرف اكثر الجنود والانقطاع عن التجهيزات التي لالزوم لها للقيام بالمحافظة الداخلية ولذلك لابد من ان تكون للهجوم او للدفاع الخارجيين وخوف كل من دول اوربا من دولة اخرى او من اكثر من دولة واحدة واذا راجعنا كلام البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول نرى انة قد قال لموسيو تيرس ان تسوية الفتنة في الهرسك وبوسنه تكون بمنحها بعض الاستقلال كان روسيا ترغب في ان تندرج في ما يتعلق بانشاء مملكة سلافية غيران النمسا عائق عظيم فكل هذه الامور تحملنا على ترجيح ثبوت السلام وصرف المشاكل ونظن انة بعد كتابة هذه الجملة ببضعة ايام وهو زمان نهاية المدنة تنجلي الحال وما احسن النهاية السلمية فنسال الله ان يمن علينا بها.

شروط الصلح

قد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها

من مكانيها النمساوي وترجمتها . لم يصدر بعد جواب الباب العالي صدوراً نهائياً فانهُ بعد ان تهيأ جرى ما قد اخر صدورهُ . والمسموع ان تاخيرهُ جرى بامر حضرة السلطان عبد الحميد الاعظم . ولا يخفى كم ان الدول وفي مقدمتهم انكلترا اشارت على الباب العالي بان يعيد التبصر في القرار الصلحي الذي قررهُ المجلس العالي المجتمع وقد جرى ذلك . ولم يحدث تغيير الا في امر واحد من القرار المذكور هذا اذا كان ما بلغني صحة . فالتغيير وقع في البند المتعلق بنفس البرنس ميلان امير السرب فانهُ كان قد كتب في الشروط الاولى انهُ من الواجب ان ياتي الاستانة العلية ليمثل لدى الحضرة الشاهانية فبدل بالاكتفاء بتجديد توجيه الامارة الى البرنس . ولم يتغير شي٭ من البند المتعلق بطلب وضع جنود عثمانية في القلع السربية وانشاء طريق حديدية بين نيش وبلغراد انما يتعلق بنظام الجنود السربية وتوضح في القرار الثاني بان يصير ابطال النظام العسكري العام الجاري ويبقى فقط في السرب جيش منظم كامل عددهُ عشرة الاف رجل وبضعة ستة صفوف من المدافع . وقد ذكر فيهِ ايضاً وجوب منع السرب عن انشاء قلع جديدة بالاستناد الى فرمان قديم بهذا الشان . وان يصير المرتب السنوي خمسين الف ليرا وقد تعدل ان ذلك يكون كافياً للدفع فانتقص قدرهُ ثلاثة في المائة على المبلغ الذي صرفتهُ الدولة العلية في السرب . ولم يذكر شي عن الجبل الاسود ولا بوسنه ولا الهرسك ويستدل من ذلك على صحة ما اخبرتكم يومئذ برهة قصيرة وهو ان الباب العالي راغب في ان يبطل الاتحاد الجاري بين السرب والجبل الاسود وان يخابر كلاً منهما بشان الصلح على حدة . فعرض القرار المذكور للاعتساب الشاهانية وقد بلغني ما لا اضمن صحتهُ وهو انهُ قال ان الشروط صعبة وامر باجتماع مجلس عالٍ يكون فيهِ اعضاء مجلس الوزراء واعضاء مجلس الشورى وغيرهم من اكابر المامورين وربما كان عددهم جميعاً ثمانين ذاتاً . وصار التصميم على ان يبلغ قرارهم الى سفراء الدول الاجنبية اذا تشرف بصدور الارادة السنية بشانهِ . والذي سمع بما تفوهت بهِ الحضرة السلطانية بعد الجلوس المانوس لايعجب من عدم قبولها بذلك القرار فانهُ يقال انها تكلمت بالكلام الدري الاتي . انني قد لاحظت جريان الاحوال منذ مدة باعتناء عظيم فلم ارَ فيها ما يرضيني على انني عالم بان الصعوبات غير اعتيادية وان العصيان والحرب قد غيرا كل شيء ولكن لااظن ان الذين استلموا زمام الامور في الماضي قدروا ان يقوموا بالامور الواجبة . ففي الصعوبات الحالية من الضرورة ان يكون لنا اصدقاء وان تكون الصلات الجارية بيننا وبين جيراننا احسن صلات وعوضاً عن ذلك بانت الدولة العلية وحدها حتى ان اعظم اصدقائها تركوها . فالتعديات البلغارية جعلت راي الانكليز ضد العثمانيين . ولا ريب ان في تلك الاخبار مبالغة . فالطريقة الموصلة الى ترجيعهم الى ما كانوا عليهِ هي اتخاذ الوسائل اللازمة للتقرير في عقول الانكليز بان لاتصير اعادة امور كهذه . والصلات الجارية بيننا وبين جيراننا الذين يشعر بالاحتياج اليهم في اوقات كهذه الاوقات . فمن ارادتي انقطاع هذه الحرب بالسرعة الممكنة وبشروط معتدلة بحيث يصير ترجيع الصلات الجيدة

حل لغزي حنا افندي عرقجي الوارد في الجزء ١٩ من جنان سنة ٧٦

(من قلم الشيخ اسطفانوس البيطار بتروني)

ملتُ بذات يومٍ مع زمرةٍ من الاصحاب الى التنزه في بعض البساتين والهضاب واخذنا نجد السير

والسرى ونطوف المداين والقرى الى ان بلغنا الى روضة فيها ما راق من النبات والريحان ضوان وغير ضوان فاخذ كل منا يقلب طرفه في هذا النبات حامدًا خالق الارض والسماوات حيث نسبي نظر من قصدها وحضر واذا برائحة قد فاحت كانها نشر الخزام او الورد في الكمام فاخذت اتفحص عن ذلك من احد الخلان فقال لاغرو اذ ان ذلك من زهور الجنان ملغزًا فيه العالم الجليل والشهم النبيل عرقجي افندي فعند ذلك اخذت امعن في مغانيه وادقق في اصوله ومبانيه فساعدني لسان الحال وعليه قد اجابه وقال قول من قال ☆ استمطرت لولوًا من نرجس وسقت ☆ وردًا وعضت على العناب بالبرد ☆ ثم اني بعد ذلك حذفت ثاني حروفه فجاء لجسًا وهو من صفات المشركين وعكسته بعد الحذف فوجدته سجنًا مأوى للمجرمين ثم اسقطت ثالثه واعتبرت اخره الثاني وجدته اسمًا ذا ثلاثة معانٍ وهو النسر هذا مستعمل بعلم الهيئة في هذا الزمان واما معنياه الاخران قد دخلا في خبر كان ثم قدمت في مبانيه واخرت وبعض اجزائه ابقيت والبعض حذفت وجدته طبقًا بلا حواه وحلى لي السر لا سواه . ثم اني جددت النظر فوجدت لغزًا اخر فشكوت من قصر الزمان فقلت من بعد ما قرأته مستعيرًا ما قيل

يبشرني الهلالُ بقصرِ عمري
وافرحُ كلما هلَّ الهلالُ

حل لغز جناب محمد افندي حمدي الوارد في الجزء ١٩ من جنان سنة ٧٦

من قلم جناب يوسف افندي سعد كاتب اول مصارفات لبنان

اطلعت على ثاني اللغزين المدرج بالجزء ١٩ من جنان سنة ٧٦ لجناب محمد افندي حمدي وهو ما جاء بالقران الشريف في سورة آل عمران (ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) فهو مهد لما يعتريه غالبًا من الانزلزل فان حذفت وسطه كان مما يعتري البحر بحالة المد وان قلبته وهو على هذه الحالة جاء دم لدورانه بالجسم كالفلك فان سكن اسكن الرمس وان قلبته بعد حذف الاخر كان هم وهو مما يوثر بالسرائر وان زاد ادى الى المقابر وهو ما جاء بصورة مريم (كيف نكلم من كان في المهد صبيًا)

الاسرائيليون في الفلاخ والبغدان

قالت جريدة الهوم نيوز الانكليزية قد وردت افادات مكدرة جدًا من الفلاخ والبغدان . لانه منذ قيام وزارة براتيسانو ارسلت الاوامر الى الولاة والمتصرفين في البلاد بانفاذ القوانين المتعلقة بالاسرائيليين مع انها كانت غير نافذة . فارسلت اوامر الى قرى مختلفة بان يخرج منها الاسرائيليون اصحاب الخانات والذين يبيعون المسكرات . وبعد ذلك القي الحجز على مركبة خباز اسمه برونم وتر ويقال انه تساوي وعلى افراسه وكل الخبز الذي كان قد بعث به للبيع في قرية مجاورة وجرى ذلك بالادعاء بانه لا يحق له ان يتاجر . وانتدت الحكومة هذا الادعاء . وكان في كايبيسكو رجل اسرائيلي اسمه ساعون وكان يصنع الاجر منذ عشرين سنة وقد فاز بالحصول على مركز ذي اعتبار بين جيرانه فقفل معمله وأُمر بان يخرج من القرية وقد صدر الامر الى عيالٍ كثيرة اسرائيلية بان تخرج من تلك المقاطعات . وقد أُشيع بان الاسرائيليين جميعًا سيلتزمون بان يخرجوا من القرى ليحلوا في المدن وهم يخافون ان تنفذ فيهم القوانين القرى المتعلقة بهم في المدن . ان المأمول ان في هذه الايام الجارية فيها المعاهدات التجارية لا تسمح دولة اوربية كبيرة كانت او صغيرة بان يعرض

رعاياها الاسرائيليون للقوانين الموضوعة للاوباش حال كون ذلك ربما كان يعرضهم لاشد الضيقات

روسيا والسرب

قد نشرت جريدة الديلي تلغراف الرسالة الاتية من مكاتبها المخصوص وهي صادرة من بودا بست وهي ان اشتغال اهالي انكلترا بامر التعديات البلغارية انساهم ان السرب لم تفتح حربًا للحصول على الاستقلال وبالحقيقة ما من حرب ابعد عن العدل من الحرب التي قد اقام السربيون بها بالحمل على الاراضي العثمانية . حال كونه لم يبقَ من اثار خضوعها للمالك المحروسة العثمانية غير دفع غرامة سنوية قدرها ٢٠ الف ليرا ولم تدفع ذلك . وابتدا الحرب بحيل جاءت بنفس التعديات التي بتنا نتاسف من جرى حدوثها وقد اقرّت السرب بانها اقامت بها طمعًا بضم بلاد الى بلادها . وقد جعلت نفسها قاعدة المسئلة السلافية ومحور دوران دولاب الاعمال المتعلقة بتلك الجنسية وقد تحقق بانها لا تقدر ان تقوم بذلك . وقد جاست بين السربيين شهرين ولاحظت عاداتهم واحوالهم في المدن والحقول وفحصت الاساسات التي قد جعلوها قاعدةً لتلك الادعاءات الطويلة العريضة فتقررت في عقلي امور كثيرة . ولم ارَ جنسًا من الاجناس التي تهتم بالمسئلة السلافية افضل من البلغاريين المحتقرين المضطهدين . ويتهمون بالجبن . غير انه لا يوافق ان نسمع السربيين يتهمون غيرهم هذه التهمة . ولا ريب في حرصهم وجدهم وكدهم واقدامهم . واود ان اسمع احد اصدقاء السرب يبين بوضوح الامور التي يستند اليها بقوله انه سيكون للسربيين مستقبل عظيم . وقد بحثت عن ذلك ولم ارَ شيئًا منه الا في عقولهم ولم يظهر بهذه الحرب اقتدارهم على القيام باعباء السياسة وقد امسوا بها وهم مغتاظون وغير قادرين على ان يدافعوا تحت اقدام روسيا . فهذا هو نجاح سياسة السرب الاقدامية التي اقام بها موسيو رستكس وذلك القائد المشهور الذي كان قد ازمع على ان يدفع العثمانيين ويطردهم . وقد باتت البلاد في الحال في يد روسيا واعظم دليل على تعقل الاهالي سكوتهم في الحالة الجارية الصعبة وشانهم الاستشاطة غضبًا والتذمر ولكنهم يتجلدون لانه لا ريب في ان بلغراد كانت قد امست في يد العثمانيين لو لم يبادر الروسيون الى مساعدتهم . وقد اخبرتكم بالبرق امس ان الفًا وثماني رجل او الفان وخمسمائة رجل من المتطوعين الروسيين اشتركوا في المحاربات الاخيرة في ظاهر الكسيناتز وليس في هذا العدد مبالغة فانني قد عرفت من مصدر عارف لا ارتياب فيه انه في هذا الاسبوع قد دخل السرب خمسمائة من المتطوعين الروسيين والمنتظر وصول ثلثمائة غيرهم . وقد راينا لسجانن القائد السربي الباسل يحاول قتل نفسه لان قائده الروسي عزله بدون عدل . ولا بد من ان يتذكر قرّاء جريدتكم ان جنديًا سربيًا اطلق الرصاص على القائد سيشا ابوف الروسي المستخدم في السرب . وهكذا نرى ان السربيين يبغضون حلفاءهم الاجنبيين ويكرهونهم ايضًا بسبب طول ادعائهم وعرضه ولا سيما الجنود السربية لان القواد الروسيين يضربونهم اذا اظهروا اقل تردد بل يقتلونهم باطلاق الرصاص . ومع ذلك نراهم قادرين على ان يثبتوا في مراكزهم في السرب . لان الجنود انفسهم يعلمون انه لا غنى لهم عنهم ويحترمون بسالتهم وشجاعتهم . اما اهالي بلغراد الذين لا يعرفون شيئًا مما يجري في الحدود ولا يرون من ضيوفهم الروسيين غير كل ما يرضي ويسر فينظرون الى كل روسي كانه مخلص ويسرون بان يروا كلاً منهم ينال النياشين والرتب . غير انه ماذا يجري ياترى فان معدل الذين يدخلون السرب من المتطوعين الروسيين

هو ١٥٠٠ رجلاً كل يوم فانهُ وصل ٧٠ منهم امس بعد الظهر وكان قد وصل ٧٧ غيرهم في الليل فلا يمضي زمان طويل قبل ان يصير منهم جيش في الحرب ، ومن المحقق ان بعض المتطوعين آخذون في الخروج من البلاد بالهرب عابرين نهر الدانوب بقوارب صغيرة على ان الذين يأتون اكثر كثيرًا من الذين يخرجون وهكذا نرى انهُ سيجتمع لروسيا جيش في السرب يلقي الرعب في قلوب اهلها بدون ان تتعدى على حدٍّ ولا تتجاوز اصول الحيادة . فهذا الفوز الذي حصلت عليهِ سياسة موسيو رستكس الوطنية غير ان دائرتها اكثر اتساعًا الا انهُ لا يخطر لمخلوق ببال بان قواد الحرس الوطني يقدرون ان يحصلوا على فرصة في هذه الايام بدون استشارة من الحكومة المركزية . ونحن نعلم حال روسيا ولا بد من ان يكون القواد الاولون عالمين بقصد الجنود الذين يستاذنونهم بالخروج من العسكرية ثلثة اشهر . وهكذا نرى روسيا تجعل حليفتها الصغيرة طعامًا للمدافع فانهُ يقال انها تحرضها على القتال والنفع يكون لروسيا . فهذه هي الامة السرية التي يقال لنا ان اصلاح بلاد الدانوب متعلق بها . ومن امثلة السرب ان نير العثمانيين من خشب ولكن نير روسيا من حديد

وقد اجتمعت مليًا بالجنرال كلابكا ورايتهُ ذا اهمية بالنظر الى الاحوال الجارية لانهُ صديق للقواد العثمانيين العظام معان تاريخ حياته يبين بانهُ من احب الناس للحرية . وقد اخبرتكم بالبرق بملخص ارائهِ غير ان بعضها مما لا يسلم براحة بال الى خدمة تلغرافية ولم اسالهُ عن سبب ذهابهِ الى الاستانة العلية غير ان التاخر الحربي القليل الذي جرى في مورافا حمل مشيري الباب العالي على ان يدعوا مشيرًا طالما اعتبروا مشورتهُ وراوا ان اهمال انفاذ رايهِ بالحروب موقع في الصعوبات قد ارينهُ تقريري المتعلق بالحديث الذي جرى بيننا و فقال انهُ كما رايتهُ . وقد اخبرني عن مامورية الحالية . وقد تقرر في عقلهِ مما سمع في الاستانة وما عرفهُ من الحدود ان الحالة الجارية لا تثبت على ما هي عليهِ . وهو ذاهب الى فينا ليجتمع بالكونت اندراسي . ومرور الروسيين بالبلاد النمساوية من الامور التي لم يرها العالم قبلاً . فاذا سمح للروسيين بان يتطوعوا اقوامًا اقوامًا لمساعدة السربيين فكيف يتيسر منع المجريين عن التطوع لمساعدة العثمانيين . وقد كتب اليهِ اكثر من مائة ضابط من الجيش العامل بان يدخلهم في المعسكر العثماني ليحاربوا معهُ وقد استشاروهُ بذلك فلم يشر عليهم بهِ . على انهُ قد تقرر في عقول المجر كما لتقريرات الدينية ان عظمة السرب خراب لهم وبغضهم للروسيين يشتد كل يوم . واذا صمم الكونت اندراسي على ان يسمح بدوام دخول الروسيين الى السرب على هذه الطريقة المستترة يطلب المجريون ان تمنح لهم الحرية بنفسها ليتحد عشرون الفًا منهم مع العثمانيين ليصدوا اعداءهم الموروثين وهم الروسيون والسربيون . فهذه هي الحالة الجارية وقد سالت ذلك الجنرال عن سبب بغض المجريين للسربيين فاجاب بذكر حوادث تاريخية . ملخصها انهُ منذ ظهر السلافيون على ضفة الدانوب اليسرى وذلك عند ابتداء المجر بطلب الحرية اخذوا في ان يخدموا بكل قوتهم النمساويين في مضادة المجر . فحرقوا واخربوا ونهبوا وقتلوا كل ما سمحت لهم انفاذًا لاوامر فينا وقد طالما ابغضهم اخوانهم القاطنون في الضفة اليمنى . وسنة ١٨٤٨ ميلادية اقام اثنا عشر الفًا منهم بتعديات عظيمة على المجر . فهذا ما لا ينستر . فهيجان المجر شديد والوف من المتطوعين يستعدون للقتال . وقد قال ذلك الجنرال انهُ لا يخطئ اذا قال ان عشرين الفًا يصيرون في شهر متاهبين للاتحاد مع العثمانيين . وانهُ قد تقرر في عقلهِ ان روسيا مصممة على حرب عمومية

ولا سيما لانها عرفت ان في السنة القادمة تزاد كثيرًا الطرق الحديدية العثمانية والنمساوية . وترغب ان تقوم بالحرب قبل ان تتم تلك المشروعات لانها تعلم ان غاياتها لا تنفذ عند ما يتمدن الشعب . والطرق الحديدية عدوة لروسيا لانها تزيد صوالح الشعوب التجارية وبالتالي يزداد حبها للسلام وفضلاً عن ذلك تكون الخطوط الخمس التي صمم على انشائها من اعظم التسهيلات الحربية وعنده ان السلافيين يفرغون جهدهم في الحصول على غاياتهم قبل انفاذ ذلك (كتبت هذه الرسالة قبل الهدنة ولذلك لا بد من فرض تغيير افكار روسيا بالظروف او فرض خطا اسرار ذلك الجنرال من جهتها بسبب بغضه الجنسي لها)

البُرد الانكليزية

ان البُرد الانكليزية من الاعمال العظيمة القوية التي تستحق التامل ويلتذ الانسان بالاطلاع عليها ولا سيما اذا كان شرقيًا لانه لا يرى في وطنه شيئًا قريبًا منها لا من جهة الاهمية ولا من جهة الضبط والنفع ولذلك قد ترجمنا الجملة الآتية عن جريدة الديلي تلغراف

ان البرد (البوسطات) من اعظم علامات التمدن الانكليزي واذا قلنا ان ضبط الاعمال في دائرة عظيمة كتلك الدائرة دليل وصول الامة الى درجة ممتازة نحكم بان انكلترا قد فاقت كل البلدان . ولم تات مشروعات اخرى من مشروعات الحكومة بالبركات التي قد جاءت بها الخدمة البردية من جهة التسهيلات العظيمة التي ينالها الناس بها من كل الرتب ومن جهة نشرها المعارف والعلوم . وهي آلة سريعة المسير تنشر الاخبار الردية كما انها آلة تشدد الآمال وتنفي الهموم عن القلوب بسرعة تبليغ الاخبار فالسرور الذي يشاعها يزيد عن الحزن الذي تبلغه . وبلوغ الخبر المكدر يخرج من توقعه ولذة الخبر المفرح بسرعة وصوله . وقد جرت البرد بحسب الناموس الشوفيري العظيم الذي قبله جميع اصحاب العقول وهو ان ازدياد التسهيلات لسد احتياجات عمومية يأتي بحصول رخيص وبازدياد في المقطوعية ووجود وسائط سهلة للمكاتبات لنفع الامور التحريرية في الدوائر التجارية وبين الاصدقا ومن سوء الحظ نرى صندوق البريد مفتوحًا للكتابات اهل الامانة الذين يرقون اسباب المنافع ولكتابات الاشرار الذين يلفون الفخاخ للناس ويحاولون ايقاع الضرر بهم . على ان اكثر اعمال البرد تاول الى النفع بحمل اسباب ترويج الاشغال ونشر المعارف وغير ذلك من اقاصي الارض الى اقاصيها . وقد اشار الى هذه الامور رئيس البرد الانكليزية في تقريره الثاني والعشرين وهو كتاب ليس كالكتاب الازرق السياسي ولكنه كالروايات ويبين احوال متعلقة بالمعيشة الخصوصية يلتذ بها العارف والجاهل . ولا بد لنا من ان نفتخر اذا قابلنا بردنا السابقة عند ما كانت تحمل فوق طرق موحلة وعرة سائرة بطيئًا ومصاريفها الكثيرة تحجب منافعها عن الفقرا ببردنا الحالية السريعة الرخيصة التي يحق لنا ان نقول انها مجد تقدمنا في ممالكنا

وسنة ١٨٧٥ دخل البرد الانكليزية مليار وثمانية ملايين و٢٩٢ الفًا ومائة تحرير وهذا العدد يزيد اكثر من اربع في المائة عن عدد تحريرات سنة ١٨٧٤ . وكثيرون لا يحبون ان يستخدموا اوراق البرد التي يكتب عليها ما يرام كتابته من الامور الغير السرية ويرسل مفتوحًا ومع ذلك قد زاد عددها اكثر من ١٠ في المائة عن السنة الماضية وزادت الرزم والتحريرات والجرائد ٨ في المائة . ومعدل المكاتيب المضمونة (المسوكرة) في بريطانيا العظمى وايرلاندا هو تحرير مضمون من كل ٢٣٤ تحريرًا

ومن الامور المستغربة التحريرات الكثيرة التي ترجع لنقص في تصديرها او غير ذلك فانهُ رجع تحرير من كل ٢٢٢ تحريرًا لنقص العنوان او من السهو عن ذكر محل الارسال او من عدم اقتدار السعاة على وجود محل تصديرها التحرير لانتقال الذين وردت التحريرات باسمهم الى محلات جديدة . ومع الصعوبات التي يصادفها مامورو هذه الدائرة من البرد قد تمكنوا في الغالب من ان يرجعوا التحارير المذكورة الى اربابها او ان يصدروا ثانية تسعة اعشار التحارير . وقد ظهر ان المكاتيب التي رجعت سنة ١٨٧٥ زادت ٢٠ الف تحرير عن التي رجعت في السنة السابقة . ومن الامور المستغربة السهو الكثير الذي يجرى بوضع التحارير بدون عنوان فانهُ ورد الى البريد في سنة ٣٥ الف تحرير بدون عنوان منها ١٦٤ تحريرًا فيها حوالات واوراق بنكات قيمتها كلها نحو ١٧ الاف ليرا انكليزية . ومن عدم الاعتناء وجد في مراكز البرد ٦٥ الف طابعة اي ورقة بوسطة منفصلة وتعسر وصول ١٢ الفا و٦٤٨ قطعة من مواد مختلفة الى محلاتها لوضعها في ظروف ضعيفة فتمزقت من جرى الانتقال . وقد استخدم بعض الناس في المدة المتاخرة البرد لنقل اشيا لم يكن يخطر لواضعي قوانينها ببال انها ستستخدم في نقلها . ولا ريب في ان الناس يتعجبون عندما يسمعون ان صندوق التحارير بات في خطر من ان يختلط بمركبات البضائع هذا بالنظر الى ما يفعلهُ بعض الناس سرًّا . فانهُ قد ظهر انهم وضعوا في صندوق البرد في السنة المذكورة ما ياتي ذكرهُ تهريبًا وهو دود حرير ودود اخر وزهور واثمار وخضرة وطيور مخنوقة وملابس ومعلق وبصاق وبعض ورست غير ان بيضا وثعابين وسمكة وكلب . ولم نطلق خبر وضع الكلب في البريد لنقلهِ الا بعد ان كتب لنا ذلك رئيس البريد . ووصف كيفية وضعهِ بقولهِ انهُ وضع في مركز البريد في لومبارد استريت ووضع في الصندوق المعلق بصندوق المكاتيب ولم يظهر الا بعد اخراج الاشيا في مركز مارتنز لاكراند .

وهذه الاعمال التي جعلت بعض الناس يحولون البريد الى فلك سيدنا نوح بالتنقيل عليهِ انما هي برهان اركانهم الى ضبطهِ وربما كان يستدل من ذلك على امكانية وجود خدمة نافعة لا تزال غير مكشوفة . ومن الناس من يعميهم الجهل عن معرفة واجباتهم بالنظر الى خدمة البريد وما ياتي هو صورة عنوان احد التحريرات التي وردت الى لفربول وهو هذا التحرير هو للخانون م وهي قاطنة في احدى احياء لفربول وهو من ابيها جون . . الخياط من — فيشكر رئيس البريد في ليفربول اذا وجدها . انتهى . ولا يشبه هذا العنوان الا فعل بنت جاءت مدينة كلاسكو وقرعت على باب المدينة قائلة اهذه كلاسكو فقيل لها نعم . فقالت هل شقيقتي ماري هنا

ومن الامور المستغربة الخرافات التي لا تزال جارية في جزيرة ايل اوف سينتس حتى انها اخرت نجاح البريد فيها . ففي غربي ايرلاندا طلب البعض اقامة مركز بريد ولكن لم يكن يرتضي احد من الاهالي بان ينتظم في خدمتهِ لانهُ كان قد تقرر في عقول الاهالي ان في ذلك المكان روحًا بربرية تسير بهيئة ديك حبشي ابيض بدون راس

اما الخدمة البرقية في انكلترا فنقول انها متزحمة باشغالها في السنة المذكورة اقل اتساعًا من اشغالها في السنين السابقة مع ان عدد رسالاتها فيها يزيد عن عدد رسالات سنة ١٨٧٤ بنحو مليون و٦٥٠ الف رسالة ويزاد اشغال الجرائد فيها عن اشغالها في كل السنين السابقة . وبكساد التجارة ظهر جليًّا بنقصان اشغال الشركات البرقية غير انهُ زاد عدد الاسلاك التي تستاجرها الجرائد لورود الاخبار بها اليها وقد تاخرت

احوال الاسلاك البرقية المالية بالدعاوي التي اقامتها عليها الطرق الحديدية فالزمتها بان تدفع لها تضمينات وافرة

ومن الامور المسرة التي تدل على تقدم الصنف الذي يشتغل رواج اشغال بنكات البُرُد التوفيرية فانهُ فاق رواج كل المدات السابقة . والظاهر ان عامة الناس تفضل وضع ما توفرهُ في محلات مامونة ولو كان فائضة قليلاً فعوّلت على وضع المال في البنكات المذكورة . واختيارهم الحكومة ليومنوها على مالهم دليل تقدمهم بالحكمة والتدبير . وقد تبين انهُ منذ صار انشاء بنكات البُرُد التوفيرية وذلك منذ ١٤ سنة قلّت البنكات القديمة التوفيرية فامست ٤٧٣ بعد ان كانت ٦٣٨ . وسنة ١٨٧٥ زاد عدد الذين وضعوا مالاً في البنكات البردية ١٠٨ آلاف و٤٨٠ شخصاً فاصبح مجموع الذين لهم اموال فيها مليوناً و٧٧٧ الفاً و١٠٣ والمبلغ المختص بهم ٢٥ مليوناً و١٨٧ الفاً و٢٤٥ ليرا انكليزية وهو يزيد عن السنة الماضية مليونين و٢٩ الفاً و٨٧٦ ليرا . فاذا جعلنا هذه البنكات دليل توفير الامم في بريطانيا العظمى تكون الاكثرية لاهل الشغل من اهالي انكلترا والمانيا فان الموفر منهم هو واحد من كل ١٤ نفساً ثم اسكوتلاندا والموفر واحد من كل ٦٩ ثم ايرلاندا والموفر واحد من كل ٨٩

معركة الكسيناتز

قد نشرنا في جزء سابق من الجنان تفاصيل احدى المعارك السربية ولا ريب في ان قراء الجنان يشتاقون الى الوقوف على اخبار معركة اخرى بالتفصيل ولا سيما بمعركة الكسيناتز الكثيرة الاهمية التي قطعت حبال امل السربيين وجعلت الفوز في يد الجنود الشاهانية . وقد نقلنا الاخبار الاتية ترجمتها عن محرر بعثت بهِ مكاتب التيمس المخصوص الذي كان مع الجنود السربية وسبق كل الكتاب الى تقرير الاخبار المذكورة ومن مجرد مطالعة ما كتبهُ يتضح انهُ قد قرر الخبر بالانصاف وخلو الغرض وما ياتي هو ترجمة كلامهِ المذكور

ان القتال جرى عشر ساعات ونصف ساعة بدون انقطاع في ارض حصنها السربيون تحصيناً لم يُرَ في مكان اخر من بلادها . وكان القتال القاطع الذي طالما انتظرهُ الناس وجرت الحرب تجري ظهر بهِ انها من المعارك التي لم ينقصها شيء من المعظمة المخيفة المبذولة في سبيل تثبيت السيادة من جهة واحدة والدفاع من الوجود السياسي من الجهة الاخرى . ووصلنا الى المكان المذكور قبل الظهر بثلث ساعات ونصف ساعة من اليوم الاول من شهر ايلول (سبتمبر) وكان قد جرى اطلاق الطلق الاول على مراى منا عندمرورنا بربوفستا وهي قرية صغيرة في الجهة التي كنا فيها من الكسيناتز وصدر من صف من المدافع اقامهُ العثمانيون في التلال بالقرب من كروس في الجهة الجنوبية الغربية من الكسيناتز واطلقت مدافع اخرى من الصف المذكور كل نصف دقيقة طلقاً وكذلك من صف اخر اقيم في مكان يبعد نصف ميل عن المكان المذكور في الجهة الشمالية . وعرفنا من الجهة التي كانت تطلق المدافع عليها ان العثمانيين كانوا قد شرعوا في ان يقطعوا جناح جيش تشرنايف القائد من الجهة اليمنى ليتمكنوا من قطع المواصلات الجارية بين المكان المذكور وبلغراد . ولا يخفى ان ذلك من الحركات الناشئة عن الجسارة وعرفنا ان عبد الكريم باشا هو الذي كان قد اقامها . وكان يحاول ادراك غاية اخرى بالحركة المذكورة وهي حملة ظفرت في اخر النهار على كل المراكز في الكسيناتز . وعند وصولنا اليها في الساعة المذكورة وجدنا الشارع الاعظم وكل الشوارع المجاورة محاطة

بالجنود السربية المنظمة الغير المنتظمة الحركة وأركان الحرب والجاهيرا التي تتبع الجنود في كل حرب . وبعد ذلك ذهبت انا والكولونل لويد لندسي الى اركان حرب الجنرال تشرنايف القائد السربي الروسي ووجدنا فرسهُ مسرجًا وواقفًا امام الباب ينتظر خروجهُ ليذهب بهِ الى ساحة القتال وحولهُ جمع من الحراس فاخبرناهُ بما رأينا ومما استنتجناه من توجيه نيران العدو فقال انهُ كان قد خمن مقاصد القائد العثماني ولا ريب في انهُ قد اصاب . فانهُ مصمم على ان يحمل حملات شديدة على مراكز المدينة المذكورة ووسايط المواصلات الجارية بينها وبين دليغراد . وكانت فرق الجيش العثماني قد اقامت بحركات جمعية مهمة نشأت عن تقهقر جناحهِ الايمن عندما حمل بسرعة حملة شديدة محاولاً كسر جناح السربيين الايسر . وكان قواد العثمانيين الثلاثة وهم عبد الكريم باشا وايوب باشا واظن ان ثالثهم سعيد باشا قد تمكنوا من ان يجعلوا كل جيشهم في ضفة نهر مورافا اليسرى . وللوصول الى ذلك جمعوا كل رجالهم الذين كانوا في شرقي الكسيناتز وفي شمالها الشرقي . فامسى القائد السربي ملزومًا بان يدفع هجمات ستين او سبعين الفًا من العثمانيين وربما كان يضاف غيرهم اليهم من الجنود التي كانت في نواحي كورجوز بغانس . وتأكد ان مقصد العثمانيين قطع جناح جيشهِ الايمن وتقرر في عقلهِ انهُ اذا فاز بدفعهم ومنعهم عن انفاذ غايتهم يخلص الكسيناتز لانهُ لم يكن يخطر لهُ ببال انهم يرجعون الى الحمل عليها بعد ان يدفعوا عنها وانهُ اذا لم يفز بدفعهم يبيت في مركز ذي خطر مبين

وبعد ذلك خرجت انا ورفيقي من منزل القائد السربي وسرنا الى مركز اشار علينا بالذهاب اليهِ لنرى منهُ ماذا يجري في ميدان القتال وكان هذا المركز قريبًا من صف من صفوف المدافع السربية في تل فوق ضفة نهر مورافا اليمنى فبلغناهُ قبل الظهر بساعتين ونصف ساعة . وكان السربيون في ظاهر المدينة المذكورة في المراكز الآتي ذكرها وفي جناحهم الايمن ممتد قليلاً الى جنوبي قرية ستكوفاتس وغربها ومن ثم الى شمالها حتى برسلوفيتس وهي قرية اخرى . وكانوا حالين ايضًا في مرسل في جوار الطريق في ضفة نهر مورافا اليسرى وضفه نهر بلجا وهي مبنية على تل . وامتد جناح السربيين الايسر في الجنوب الغربي من بلجا الى مركز الكسيناتز في جهة شمالية شرقية . اما جناح العثمانيين الايمن فكان في مكان منخفض في جوار بسيكا بالقرب من الطريق المارة ببرسل وستكوفاتز ولكن في جنوبها . ومن ثم كانت صفوفهم ممتدة شمالاً مارة بدربنوفات ثم في جهة تكاد تكون شمالية ايضًا من دربنوفات وسوبليبنا . وكانوا حالين في تلال قليلة الارتفاع حال كون بعض جناحهم الايسر كان في جوانب الجبال فوق جاكوفيت . وكاد ينحصر القتال ساعات في اطلاق المدافع وابتدأ باطلاق ثلثة صفوف مدافع أُتي بها من دربنوفات وفي بادي الامر قابل السربيون طلقاتها بطلقات صفين من المدافع فقط . وتقدم العثمانيون قليلاً في جهة شمالية شرقية وصفا المدافع السربية الموجودة في بلجا تصادمانهم صدامًا ثابتًا شديدًا منتظمًا . ولتسهيل ادراك مراكز المتقاتلين من الواجب ان يتصور المطالع نفسهُ جالسًا على تل منفصل عن ميدان القتال والقرى التي ذكرتها بنهر صغير . فيصبح ناظرًا الى الجهة الشرقية وفي يسارهِ مدينة الكسيناتز ويرى الجنود التي تخرج منها وهي تعبر جسر بونتون فوق نهر مورافا المذكور . وفي يمينهِ في عبر النهر قرية برسيلوفتش . وقرية ستكوفاتز امامهُ وكذلك بلجا غير انها تميل قليلاً الى يسارهِ . وفي شرقي هذه القرى ميدان حرب المدافع

وفي هذا الميدان تلال كثيرة صغيرة متناسقة ووراءها منتصفه تل صغير منفرز وفي جانبيه مكانان يرى الناظر منهما الوادي بين سلسلتي التلال الصغيرة والجبال الواقعة وراءها وان ذلك التل المنفرز ذو اهمية بالنظر الى القتال الذي كان منتشبا . لانه لا سبيل الى انفاذ مقصد عبد الكريم باشا الناشيء عن البسالة ما لم يجتمع جناح جيشه الايسر كله في الوادي والمكانان المذكوران يجعلانه معرّضًا لصفوف مدافع السربيين وهذا هو سبب انحصار اكثر القتال في بادي الامر في المدافع . والصفوف المدفعية الثلاثة العثمانية ليست بكافية لاخماد نيران الصفين السربيين المقامين في الجهة الشمالية من المكانين المذكورين . واستمرت المدافع العثمانية تحاول ذلك ساعتين ونصف ساعة بدون ان تفوز فيئة على فيئة اخرى . حال كون عدد مدافع العثمانيين يزيد عن عدد مدافع السربيين غير ان مراكز هولاء اوفق . ولما طالت تلك الحال زاد العثمانيون صفوف مدافعهم فاصبحت ستة بعد ان كانت ثلاثة وتقدموا بعد ذلك نحو نصف ميل . وبعد ذلك اشتدت نيرانهم وصبت مدافعهم الويل والهوان وكان بعض صفوف مدافعهم بعيدًا عن البعض الاخر بل بعض مدافع كل صف بعيدًا عن المدافع الاخرى على ان نيرانهم كانت موجهة توجيهًا مجتمعًا حتى ان كراتهم كانت تصب على صفيّ مدافع السربيين صبًا محكمًا وحققوا المسافة حتى اصابت كراتهم الصفين المذكورين فجُرح عشرة من جنود المدافع السربية ونُقلوا من ساحة القتال وذلك منذ شرع العثمانيون في اطلاق المدافع من ستة صفوف . وتم ذلك في نصف ساعة فقط . ومن العدل ان نثني على شجاعة جنود المدافع السربيين وبسالتهم وثباتهم وهم من الجنود المنظمة ولا سيما بعد ان اظهر الجنود السربيون المشاة في تلك المعركة ما اظهروا من الجبن وضعف العزم . لانه ما من شيء يشهد بشجاعة اولئك كوقوف الجنود منهم والفواد عند مدافعهم . ومن المستغرب ان السربيين في تلك الظروف عطلوا بعض مدافعهم حال كونهم في احتياج شديد اليها لان مدافع العثمانيين كانت اكثر منها . وكان للسربيين صف مدافع ثالث على ذلك التل المنفرز بين المكانين المذكورين وبالنظر الى اهمية مركزه وجه صفان عثمانيان في الجنوب وصف في الجبل كراتها اليه فثبت ساعتين على امر القتال وجنوده يطلقون المدافع اطلاقًا يفتخر بمثله جنود المدافع الانكليزية وتمكن من ان يصد المدافع العثمانية . غير ان العثمانيين كانوا يتقدمون شيئًا فشيئًا بثبات الى الجهة الشمالية والشرقية . حال كون الجنود المشاة كانوا يقاتلون في غابة صغيرة وراء سلسلة التلال . وقبل الظهر بثلث ساعة سمعنا طلق البنادق الاول . وتقدم المشاة العثمانيون الى المكان المذكور غير انهم لم يظهروا في نهاية المكانين المذكورين لان المدافع السربية كانت لا تزال قريبة منهم ولم يبق عليهم الا تعطيل صف مدافع السربيين المذكورين ليتعمم القتال لان كراته كانت تصدهم وفي اثناء ذلك كانت المشاة والفرسان السربيون يخرجون مسرعين من الكسيناتز قاطعين الجسور ليدفعوا العدو الحامل حال كون الجنرال تشرنايف وحوله اركان حربه يجول من مكان الى مكان ليستكشف عن احوال مراكزه . اما المشاة السربيون فحلّوا في الوادي في شمالي التل المنفرز وكنا كل نحو ربع ساعة نسمع طلقات بنادق كثيرة في وسط دمدمة نحو اثني عشر صفًا من المدافع . وعند ذلك راجت اسواق المنايا واشتدت الخطوب وتصادمت الجيوش وبعد الظهر بساعة ونصف اخذ الدخان الكثيف يصعد من الوادي امامنا بالقرب من المكان الشمالي ووميض نيران البارود يضيء وظلام دخان الويل

بانصال ضياء ترقص له الفراتص لتضيء رسل الهلاك والبلايا وفي وسط ذلك الضياء ارتفع لهيب مخيف حتى كاد نوره يبذق نور الشمس في رابعة النهار وكان ذلك اللهيب لهيب بيوت سوتناس الشمالية فان الكرات العثمانية كانت تطلق عليها مع تقدم المدافع فسقطت على البيوت ومخازن الغلال فاحرقتها. فتقهقر السربيون مع اغيرانهم كانوا لا يزالون يدافعون حق الدفاع. وكان العثمانيون يتقدمون ومدافعهم تسترهم وكانوا يقومون تارة بهوشات خفيفة وطورًا بحملات شديدة. واخذ السربيون في ان يتقهقروا ولكن بدون ان يقطعوا الامل من الفوز واستمر المشاة يدافعون غيران الخلل وقع في صفوفهم التي اخذت في ان تقل وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانت المدافع السربية ترجع غيران العثمانيين كانوا لا يزالون يصبون كراتهم على مراكز العدو

اما المشاة فكانت اصوات بنادقهم تسمع من جهة شمالية عند اطلاقها وكان تقدمها يزداد على الدوام وسمعنا ما دلنا على ان اصوات بنادق العدو السربي كانت تضعف وقل اطلاق المدافع من الجهتين واذا باللهيب قد ارتفع فان قرية ادروفاتز باتت محترقة وهي قريبة جدًا من ستكوفاتز وكانت سوتنا لا تزال تحترق وقد اجتمع الدخان كثيفًا في الهواء وارتفع اللهيب فيه واي ارتفاع حال كون رعود المدافع واصوات البنادق كانت بدون انقطاع. واخذت الكرات في ان تصب على سينكوناتز واستمر ذلك ساعات بدون ان تحترق. غيران برسلوفتز كانت قد اخذت في الاحتراق. ولما راى السربيون ان العثمانيين يتقدمون بثبات وبسالة وقع الرعب في قلوبهم واخذت فرق كاملة منهم في الاركان الى الفرار. وكان قائد روسي قائدًا فرقتين منهم يصيح بهم بان يتقدموا مع انه كان مجروحًا. غير انه لم يقدر ان يجمع من الفرقتين

٢٠٧١ رجلاً فان ارفاقهم كانوا قد فروا ومع ذلك استمرت بعض الفرق السربية من المشاة وكل جنود المدافع تقوم بواجباتها ومع ذلك تمكنت الجنود العثمانية من ان تتقدم في ساعتين نصف ميل فانطر انها تقدمت في كل الجهات وبلغ جناح جيش عبد الكريم باشا اليساري كردبتين في شمالي ادرو فاتز المحترقة وعند الساعة الرابعة بعد الظهر اصبح جناحه الايمن وراءها. وعند ذلك قتل كثيرون من الفريقين. ونزلت بعد ذلك من المكان المرتفع الذي راقبت فيه القتال ساعات كثيرة فرايت اقدام الجرحى مزدحمة في اعظم شوارع الكسيفاتز وهم يسيرون بايد وارجل تقطر دمًا او قد باتوا مطروحين في مركبات. ولم تتغير مراكز المتحاربين تغييرًا مهمًا قبل الساعة السادسة بعد الظهر مع ان القتال لم ينقطع لحظة واحدة وتحقق حينئذ ان جناح الجيش العثماني اليساري اجتازوا المدينة وضواحيها وبلغوا ترانسن وباغار بدون ان يعبروا النهر ليبلغوا الضفة التي عليها القريتان المذكورتان. اما في الجهة الجنوبية فاستولوا على المراكز التي كان جناح جيش السرب فيها في الصباح. فيا هو يا ترى الذي جعل السربيين يمتنعون عن اطلاق صنوف مدافعهم الكائنة حيث كنا واتنين النهار بطوله. وماذا يا ترى يجعل مئات من الجنود السربية يجلسون في الغلال بدون عمل ومئات منهم يجولون كسالى في شوارع مدينة اصبح العدو عند ابوابها حال كون الزمان ذا خطر ويضاد تقدرنا بستون او سبعون الفًا من الجنود العثمانية المنظمة حق الانتظام. انني لست بقادر على ان اجيب على هذا السؤال وتقدر رته فليحله غيري.

وفي السرب يخيم الظلام بعد غياب الشمس برهة قصيرة. وقبل ان خيم الظلام قلنا ان العثمانيين يكنوننا من ان نرتاح ليلة في الكسيفاتز بعد ان

احتملنا مشقات ذلك النهار العظيمة فنزلنا عن التل لا نابتنا الا نرى شيئاً منه ودخلنا المدينة فبلغنا حضيض التل الداخلة الساعة بعد الظهر. ورأينا في مكان يبعد نحو ٢٦ ذراعاً عن جسر مورافا الخشبي وهو اعظم شارع في المدينة اربعة مدافع عظيمة قد فكت افراسها فمسسناها واذا بها حارة من الاطلاق. واخذ السربيون في ان يضرموا نيراناً عظيمة على التل وكذلك العثمانيون في مراكزهم التي كانت امامنا. واخذ الجنود في ادخال الجرحى وقد القوهم على محامل فكنا نرى آثار الويل والالم في وجوههم بنور تلك النيران. فقلنا في نفسنا هل فقدت مدنية هل تصبح الفرقتان وكلاً من القتال بعد ان حاربوا عشر ساعات. وكان ارتفاع المدافع وغير ذلك يدل على انهم باتوا على تلك الحال. على انه خاب املنا فان اطلاق مدافع العثمانيين كان يزلزل المدينة والتلال المجاورة لها فانهم اقاموها في مكان لا يبعد ميلاً عن المكان الذي كنا فيه واخذوا في ان يطلقوا رسل الهلاك منها. فاخذنا ننظر الى تلك الجهة بكبرانا فرأينا ما لم يكد يعلم به احد من اهالي المدينة في تل غير مرتفع فيه اشجار وهو انوار مدافع تدفع من تحته وحضيضه وما في هذه الانوار الجواب انها ادلة اذ باب كرات من المدافع العثمانية على مراكز السربيين اسفل. ومن الواجب ان لا نستخف بالرجال الذين ثبتوا تحت تلك النيران واطلقوا اسلحتهم فان نار الحضيض نارهم ولا اعلم اسم الفرقة التي افاست بذلك. غير انها كانت تضعف بسرعة وكذلك نيرانها. هذا وكنا نعلم انه ما من شيء يصد تقدم العثمانيين السريع

المدار على الرجال

قد نشرت جريدة الرائد التونسي في عدد ٣٠ منها جملة عنوانها المدار على الرجال يقال انها من قلم حضرة الوزير الخطير من جمع بين السيف والقلم وشهد بفضله وبراعته العرب والعجم صاحب المعارف خير الدين باشا صاحب التآليف المشهورة ولا ماله المأثورة نفع الله تعالى الامة والوطن بما آتونه وامالته واطال وجوده الشريف وبلغه من الدارين امانيه والجملة هي الآتية

ان الله تعالى لما شرع الشرائع وخاطب المكلفين بها بكتبه المنزلة على رسله اناط اجراءها في كل امة بقسم منها ليحافظوا عليها فدل هذا التكليف على سجية في اصل التكوين البشر وهو ان الوازع النفساني وحده غير كاف في الجري على مقتضى الشرائع سواء كانت سماوية او عقلية ولهذا اناط شرعنا القويم امضاء الشريعة باولي الامر والنهي من الامة وجعل اعمالهم في انفسهم منضبطة بقواعد واصول مدارها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل الاحتساب على هؤلاء في اعمالهم لجميع الامة غير ان المباشرين لذلك هم اهل الحل والعقد على ما هو مبسوط في كتب الشريعة فهاته الاصول وان كانت مقررة معلومة لكنها متوقفة على قيام كل من انيط بعهدته شيء منها بما كلف به فانجر حينئذ اعتبار الرجال المناط ذلك بهم اذ ليس كل رجل اتصف بصفات اهل الحل والعقد قادراً على الوفاء بما هو المطلوب منه وبيانه ان الرجال (اعني الافراد الكاملين الذين ينصرف اليهم اللفظ عند الاطلاق على ما هو معهود في كتب البيان) ينقسمون الى ثلاثة اقسام الاول القادر على عمل الفكر وعلى اجرائه في الخارج الثاني القادر على عمل الفكر فقط ويعجز عن الاجراء في الخارج الثالث القادر على اجراء افكار غيره اما افكاره فقاصرة عن التدبير بقي من الصور العقلية قسم رابع وهو مقابل الاول اعني العاجز عن الفكر والاجراء معاً فهذا لم نذكره لانه لا

يدخل في تعريف الرجال بالمعنى الذي ذكرناهُ ولا اشكال ان القسم الاول له التقدم على القسمين الباقيين وهما يليانه لتوقف كل منها على الآخر اعني ان الديانة والامانة تلجيء صاحب الراي ان يسلم العمل لصاحب الاجراء كما ان صاحب الاجراء ان يسلم تدبير عمله لصاحب الراي فظهر بهذا ان ملاك الأمر كله هو اتحاد التدبير مع العمل وان رقم الافكار في القرطاس لا يغني عن الحق شيئًا وانما المدار على الرجال العاملين فبثاقب تدبيرهم يكشفون ويشخصون علات الادواء التي هي منشأ الاخطار فيرشون لها من الاصلاحات ما تندفع به اضرارها ويقودون رؤوس الامة الى الانقياد لتلك الاصلاحات عن خلوص طوية وصدق نية اذ مثابة اولئك الرجال بالنسبة للمملكة مثابة الروح الانساني من الجسد فاذا افصح الروح عما الم بجسده من الامراض للطبيب الذي هو في موضوعنا رؤوس الامة اهتدى هذا الطبيب للدواء وصادف الحق بخلاف ما اذا زور المريض على الطبيب فانه يصيره يخبط خبط عشواء وحينئذ يعوض ان يكون دواؤهُ نافعًا يكون مهلكًا ويتضح هذا المعنى بما وقع في مجلس الامة بالاستانة العلية على ما ذكرناه في العدد السابق ويزيدهُ وضوحًا ما ورد بالصحيفة الرسمية لمدينة تريستا من ممالك النمسا المورخة في ٢ اغسطس مما صدر من رجال الدولة العلية الآن من زيادة البيان والتوضيح والافصاح عن حقائق الامور في كل من جهتي الاختلالات والاصلاحات التي تفاوض فيها المجلس المشار اليه حتى كشف الحال ان الدرجة التي بلغ اليها اولئك الرجال لم تصل الى نيلها الا افراد من رجال الدول المتمدنة المتمتعة بالحرية منذ قرون فان المجلس بعد ان انعقد تحت رئاسة الصدر الاعظم للمفاوضة في الاصلاحات المزمع عليها وتاخر الاشتغال بها بسبب الحرب الحاضرة افتتحه ذلك الصدر بالقائه على اهل المجلس حكاية صورة الحال بما اتضح به ان الحالة الراهنة كئيبة للغاية وانه لم يكترث بما في كلامه من الامور المكدرة في حق همة البلاد واتضح بان البلاد على شفا خطر عظيم وذكر نازلة تجهيز دولة النمسا دخول السفن العثمانية لمرسى كليك وبغض كثير من من اهالي السلطنة العثمانية غير المسلمين للدولة ونازلة الحرب الواقعة الان وعدم اكتراث الدول الاوروباوية بمصر الدولة الحالي بل ربما فرحوا له وذكر ايضًا الاضطراب الموجود في الاحوال المالية والحاصل انه لم يترك ذكر شيء من الاحوال التي مآلها الايقاع بالسلطنة واستنتج من ذلك كله انه لا بد من لزوم تبديل كيفية تصرف الدولة الموجود الآن تبديلاً كليًا دفعًا للاحوال المفجعة وان هذا التبديل يلزم اجراؤهُ من غير ادنى تعطيل واجراؤه اليوم احسن من اجرائه غدًا ان كان ذلك ممكنًا اذ يجب علينا ان ننتقل لحالة جديدة ولا بد هكذا قال حضرة الصدر الاعظم واظهر ندمه في هاته المقالة بمثابة جديد قدمه عن طول وجوده في تلك البلاد بان ترك سيرة الوزراء المتقدمين عليه من المماطلة والاهمال واظهر ان في عزمه انقاذ بلاده من حالها ولو بعظيم تكلف ولذلك استحلف اهل المجلس بمحبتهم للوطن ان يعينوه على هاته المصلحة التي من شانها احياء بلادهم ولو كانت صعبة جدًا ثم كلف جنابه سعادة مدحت باشا رئيس مجلس الشورى بان يشرح لاهل المجلس الاصول التي تضمنتها لائحة القانون التي كلفته الوزارة بتحريرها فقام مدحت باشا بالمجلس خطيبًا وتكلم بفصاحة سحبانية وبغاية البيان والتبيان وكشف عن الاسرار المفسدة لكيفية الادارة الحالية وعن جميع ما هنالك من الاخطار في ابداع التصرف المطلق الاستبدادي بيد الامراء ذلك هو اساس جميع تلك الامور الجورية التي اوصلت البلاد

هاته المملكة العظيمة وتشدد في بيان لزوم تمكين الاهالي من حريتهم حتى تكون لهم يد في ادارة مصالح بلادهم وفيما قال ان السلطنة العثمانية امكنها ان تغر بنفسها وان تغر غيرها مدة من الزمان ولكن تحت هذا الاطمئنان الظاهري تراكمت غلطاتها حتى اسرعت في انحطاطها وهيأت لنفسها طريق الذل والخراب ورأى المذكور ان لا ملجأ للبلاد الا التراتيب القانونية ان وقع اجراؤها بحكمة ووقعت لدى الجميع موقع الاستحسان بصدق ونية سالمة وبذلك تتمكن البلاد من النشاط اللازم لتنجي نفسها من الاخطار الحالية والظاهر ان لفظ التراتيب القانونية الذي صرح به جناب رئيس مجلس الشورى ثقل ساعة لدى البعض من اهل المجلس حتى انه قبل ان ينتهي جناب مدحت باشا من كلامه سال احد الحاضرين هل ان المصلحة التي حملت الدول الاجنبية على اعانة الدولة العثمانية في حرب القريم زالت الان ولذا تلك الدول اشهرت عدم الاكتراث الان المشاق الحالة بالسلطنة في هذا الحال فانتهز الصدر الاعظم الجواب على هذا السوال بنفسه وكان جوابه بوجه قاطع لا يمكن رده ويلزم ذكره هنا فقال جنابه ان في مدة حرب القريم كنا وعدنا باننا نحسن احوالنا وننتظم على شكل دولة اوروباوية حسنة الانتظام (يعني بسلوكها على نهج العدل والتمدن والسيرة المرضية الجارية على ما لا يخالف الديانة) فكان ذلك هو الغرض الذي قصدته الدول الاجنبية ولاجله هرقت دم الوف من اولادها وصرفت الاف الملايين في المدافعة عنا ولكن ماذا فعلنا نحن في مدة العشرين سنة المذكورة في مقابلة احسان تلك الدول معنا لنحصل على الرتبة التي هواولنا بينهم (اي لتبقى الدولة محترزة وتتداخل في السياسات العامة كسائر الدول العظام في نفوذ الكلمة) فها انا سنعرفكم سيرتنا في تلك السنين فاننا بذلنا غاية جهدنا في البقاء على ما كنا عليه من الخلل في السيرة وعدم الانتظام وزيادة على ذلك فاننا حملنا تلك الدول على ان تقرضنا مائتي مليون ليرا (اي خمسة الاف مليون فرنك) صرفناها فيما لا يعني والان اجبناهم بان ليس في وسعنا ان نرجع لهم لا الفائدة ولا راس المال فهذا هو السبب الذي الزم دول اوربا ان تتخلى عنا ولكن لعله يتيسر لنا الان نستجلب محبة تلك الدول مرة اخرى ان اتخذنا طريقة جديدة مستحسنة بغاية الصدق ومن غير اعوجاج ثم بعد ذلك نهض احد العلماء من الحاضرين وقال اني بمقتضى رايي ارى ان الشريعة الاسلامية لا تنافي التراتيب القانونية وقال بعده ضيا بك وهو احد الاعيان الذين اوجبهم الحال لمهاجرة بلادهم بسبب آرائهم السياسية انه زيادة على كون الشريعة لا تنافي ذلك فان اصولها وقواعدها تحض على التمسك بوسائل حفظ البيضة لاسيما الشورى التي هي ملاك الامر ثم قال احمد توفيق افندي الذي كان سفير الدولة سابقا وتولى ايضا احدى الوزارات اطلب ان يعد من الخائنين كل من يعرض بالقول او بالفعل لما ظهر الان انه ضروري لنجاة بلادنا في الحال وفي الاستقبال واستحسن ذلك جميع الحاضرين ثم بعد ذلك قرر سيادة مدحت باشا خلاصة ما وقع بالجلسة المذكورة واخبر بان لائحة القانون ستطبع وتوزع منها نسخ على الحاضرين ليتامل فيها كل واحد بانفراده لتتبع المباحثة والمفاوضة فيها بالجلسة الاتية

فلعمري ان هذا الكلام الحر الصادر عن نصح صادق وحرارة فواد بالغيرة عن الوطن طافح من هولاء الرجال الذين اجهدتهم الحمية عن الدين والوطن حتى كشفوا للحاضرين دسائس الامور ولاشت في انظارهم الزخارف الفارغة المصادمة للتصريح بحقائق ما عليه بلادهم وما يلزمها من التدارك لجدير

وان يلاحظ بعين الاستبصار وتنتبه له المسلمون في سائر الاقطار اما كلام ضبابك فالوا بوءُ ما اصدق قولة فاي مانع من الشريعة يقتضي ان لا تحتسب الامة على امورها وادارة مصالحها وقد قدمنا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو اساس اجراء الشريعة وان مباشرة الاحتساب عليه هي لاهل الحل والعقد فاذا اتفقت الامة على تعيين افراد منها متصفين بصفات الكمال من الامانة والمعارف والحزم والعزم وقدموهم وكلاء عليهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب على من يباشر اجراءهُ كيف يقال ان شيئاً من فروع الشريعة ينافيه فضلاً عن اصولها بل الحق ان يقال ان الشريعة امرة به طالحة كتبها بالعمل على مقتضاهُ اذ لا خلاف في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه واجب كفاءي على كل من له قدرة عليه فاذا بقي الامر على ما هو عليه الان تجد كل فرد يقول اني لم تتوفر فيَّ شروطه فيبقى الواجب مهملاً ولا شك ان قصد الشارع في التشريع هو العمل بمقتضاه لا مجرد العلم بالحكم فتعين اذاً ذلك الوجه الوحيد الذي به يمكن العمل وتنفذ به كلمة الامر بالمعروف حتى يصير الواجب في حقهم عينياً لانحصار الشروط فيه وبذلك نومل من فضل الله تعالى الحصول على صلاح مركز الخلافة الاسلامية وسلامتها من الاخطار الناشئة عن سوء التصرف السابق وان تستمر على العز والسعادة الدائمة وما حصل هذا الا بالرجال فعلى عموم الامة ان تلاحظ هذا الاصل بعين الاعتبار وتحافظ على التمسك برجالها في سائر الاعصار والامصار

امالي فلكية

(من قلم ناصر افندي الخوري)

قد نشرناها بحروفها للتوفيق بين بيانها ومعانيها ومحافظة على اصلها ومراعاة لمقصد منشيها وفي غريبة في بابها ولذلك صار نشرها على طلابها

بسم الله الرحمن الرحيم واجد الوجود
الحي المعبود القادر

رسالة شروق الانوار الفلكية من فجر الاشعار المشرقية القادمة المفيدة لاكتساب العلوم الفريدة

قال المولف لما من الحنان المنان عليَّ بحب العلوم محبة غريزية ليست تكليفية وكانت اسباب التوفيق غير ناجحة من جهة دخولي للمدارس لاجل تلقين العلوم بحسب اصول المدارس والانتقال من مقام الى اخر بدرجات ترقي صعود مراتب العلم حيث كنت يتيماً وليس من اهل الثروة ومن هذه الحيثية كنت من الجهة الواحدة متمسكاً باحتياج اكتساب المعاش باول الامر بالصناعة الحريرية اي صنعة العقادين وبعدهُ بتجارة الحرير ثم بالتجارة والامانات ثم بتجارة الاغلال ومن الجهة الثانية كنت مداوماً على دراسة الكتب واول ذلك الكتب الدينية بمذهبي المولود به وهو مذهب الكنيسة الشرقية اليونانية وبعدهُ بكتب الاسلام وبعدهُ بكتب كامل فروع الملل على اختلاف اجناسها وحينئذ اتسع معي المجال وانكشف لي ميدان واسع المجال بالاطلاع على جملة مجلدات بالعلوم المختلفة القديمة والحديثة حتى اضطرني الامر بفرط الحب الى المهاجرة اولاً الى كامل بلاد سورية التي هي وطني الاصلي وبعدهُ الى الروملي ومن ثم الى مصر وبعده الى اليونان واخيراً الى كامل اوربا حتى انكلترا والاندلس اي اسبانيا وكان هذا سنة ١٨٦٧ حينما كانت مملكة فرنسا تممت المعرض العام في مدة الويس نابوليون الثالث وبواسطة كل هذه السياحات واطلاعي على مئات من كتب العلوم كان اطلاعات على ما لا يحصى من الاثار القديمة وملازمتي للبحث على حقائق العلوم فقد صار عندي الالمام الكافي ان يكون

عندي من كل علم فن خصوصاً العلوم القديمة على اختلاف انواعها غير انهُ لا استحي ان اقول انني كنت بين اقراني الاول في علم الخطيط القديم مع الحديث ايضاً كما و بالتاريخ ايضاً اما علم اللغات فلم يكن لي فيهِ باع و بالمداومة حصلت على جانب من معرفة اللغة اليونانية وقليلاً من اللغة التركية غير انهُ من المزاولات التي تحققتها بمحبة العلوم القديمة قد تمسكت بمذهب القدماء الفلكي وآل امري بسبب الرغبة الى ان اكون فلكياً نديماً موجوداً بهذا العصر حتى بمجرد النظر كنت باول وهلة حينما انظر الفلك ونظرا لنجوم ان اعرف المنازل القمرية والابراج الشمسية ومن غير حساب ولا اصطرلاب بل بمجرد النظر كنت اقول هذه المنزلة كذا الظاهرة وها القمر الان بالمنزلة كذا وان الشمس الان بمنزلة كذا من البرج الفلاني خصوصاً بالليالي في نجم الخطيط المنعكس السير الذي الفلكيون الحديثون قليلاً ما يتكلموا عنهُ وكان مذهبي الفلكي على راي هذا الزمان بالدوران الارضي حتى انهُ اول من قال في بلدي عكا بان الارض تدور هو انا غير انهُ باحد الايام بينما كنت في بلاد حوران سائحاً للاكتشاف على الاثارات القديمة وقد كنت باحد الليالي نائماً عند العرب على رابية عالية تحت الفضاء وكنت ارقاً وطال بي السهر وكانت تلك الليلة صافية خريفية وسماها رائقة ونجومها منورة وكواكبها متلالئة وفرقدها بالحاق وساعد على ذلك ان افكاري كلها كانت بتلك الليلة السيمية اسطرونومية و بينما كنت ارصد نجم يغيب وانظر نجم يظهر ولي حين غفلة قد نظرت امر وحادث عجيب انكشف لي بالمصادفة والاتفاق وهو كما ياتي

انني باول الليل كنت نظرت منطقة البروج المعروفة عند العالم بدرب التبانة وعند فلكية هذا الزمان المجرة اصلها الاول بالشمال الشرقي وراسها الثاني بالجنوب الغربي وكانت النجوم السبعة المعروفة ببنات نعش وهذه صورتهم حينما يكونوا طالعات من الشمالي * * * * * * * وحينما يهبطوا الى المغرب الشمالي هكذا * * * * * * *

وكانت السبعة نجوم الموجودين بباطن المجرة من جهة الشمال واعلاهم الجبار او المرجون وقتئذ بالشرق الشمالي وبنات نعش بالغرب الشمالي كما تقدم وكانت نجمة القطب الشمالية المعروفة عند العامة بمسمار الفلك التي هي والثلاثة نجوم الكبار الذي هم قريبين لها اشبه ما يكون برقاص الساعة وهذه صورتهم باول الخريف حين اول ظهور النجوم بعد المغرب هكذا * * * و باول الصيف هكذا * * * * وباول الربيع هكذا * * * * وباول الخريف هكذا * * * ودائماً هولاء الثلاثة نجوم التي نجمة القطب الشمالي هي الوسطانية منهم يكونوا موجودين دائماً في المنتصف فيما بين بنات نعش والجبار ولنرجع الى مرصدنا الاول ونقول اننا لما نظرنا بتلك الليلة راس المجرة بالغرب الجنوبي وبنات نعش المقابلة الى برج الاسد من الجهة الشمالية كانوا في جهة الغرب الشمالي والجبار في الشرقي وكانت نجمة القطب بهذه الصورة * * * * في الساعة الثانية من الليل وكنت اتامل كل ساعة بعد اخرى فانظر الى بنات نعش يتقدم سيرهم الى الشمال وبقدر تقدمهم الى الشمالي يتقدم الجبار الى الجنوب والمجرة كذلك تتجه براسها شمالاً والقطبة النجمية يظهر فيها الدوران المحسوس حتى انهُ باخر الليل وعند الفجر تكون بنات نعش في عين المشرق والجبار في عين المغرب وراس المجرة في عين الشمال ونجمة القطب يكون منظرها هكذا * * * *

غير انهُ كان في اول الليل هكذا * * * * *

اي النجمتين اللتين كانتا تحت نجمة القطبية والنجمة المنفردة من فوق فصباحاً صارتا النجمتين من فوق والمنفردة من تحت وهذا الدوران يكون رويداً رويداً بالتتابع حتى احتطانا قرار الفكر بان الدورة اليومية الحقيقية والدورة السنوية الحقيقية ليست هي الا من خصوصيات دوران النجمة القطبية وليس للشمس بذلك ولا مزية وان للشمس فقط مادة التبيين وان دوران الفلك كما هو الظاهر من شكل هذا الرصد الجديد ليس هو دوران شرقي وغربي بل المدبر بان نجمة القطب هي نصف السما من جهة النظر الاعلى وان كل النجوم مربوطون فيها القريب بحسب قربه والبعيد بحسب بعده وان الدوران الفلكي هو من كل الجهات اي شرقاً وجنوباً وغرباً وشمالاً فكون ان قارة ارضنا موضوعها من الاكوان بالجهة الجنوبية من الفلك دائماً ننظر الجنوب ويغيب عنا الشمال اما السيارات فهي من جهة الشروق والغروب مربوطة بالنواميس المربوطة بها الثوابت مع نجمة القطب واما من جهة سيرها بافلاكها فانها تسير من الغرب الى الجنوب الى الشرق الى الشمال وكل منهم يقطع الفلك بمدة معلومة بالتقريب فلازحل يقطع الفلك في ثلثين سنة المشتري في اثنتي عشرة سنة المريخ في سنة ونصف والشمس في سنة واحدة والزهرة في ثلثمائة وثمانية واربعين يوماً وعطارد في ثلثمائة واربعة وعشرين يوم والقمر في ثمانية وعشرين يوم واحياناً في ثلثين يوم واحياناً في تسعة وعشرين يوم اما سيرهم بالفلك فزحل يقطع كل يوم دقيقتين والمشتري خمساً والمريخ بكل يوم ثمانية وعشرين دقيقة والشمس بكل يوم درجة والزهرة بالتقريب كذلك وعطارد كذلك والقمر يقطع كل يوم اثنتي عشرة درجة وكل ثلاثين درجة برج والابراج اثنا عشر وكل الفلك مقسوم اثنا عشر برج والدرجة ستين دقيقة والدقيقة ستين ثانية والثانية ستين ثالثة والثالثة ستين رابعة والرابعة ستين خامسة ومن بعد الخامسة ينتهي التقسيم وهذا براي الاقدما اما المحدثون فقد اصطلحوا على خلاف ذلك ولا تخرج النجوم السيارات بدورانها من دايرة البروج المربوطين فيها الى الجنوب لا يتخطوا برج الجدي وبالمشرق لا يتخطوا الحمل وبالشمال لا يتخطوا السرطان وبالمغرب لا يتخطوا الميزان وان مغيب النجوم عنا كما هو الظاهر انهم حينما ننظرهم ظاهرين من المشرق كانهم طالعين من تحت الارض بل هم بمحلهم الاول لاننا كما نظرناهم كانهم خارجين من تحت الارض حين ظهورهم بعد ستة ساعات ننظرهم بمحلهم الاول بانما حال كون محلهم الذين ظهروا منه وغابوا فيه هو واحد غير ان اختلاف النظر بذلك هو ناتج من جهة البعد الابعد عنا ننظرهم كانهم طلعوا من تحت الارض حين الطلوع وننظرهم نزلوا تحت الارض حين الغروب اما هذا النظر ليس هو الا من اجل بعد الكواكب المذكورة عن نجمة القطب الشمالية التي هي محور كل النجوم ومركزها الاصلي والبرهان على ذلك الذي لا يقبل رد هو ان كل النجوم التي بالقرب من نجمة القطب الشمالية لا تغيب عنا ابداً كما وان بنات نعش والجبار ايضاً الذي هذه صورته حين ظهوره من الشرق الشمالي هكذا

* *
* *
*
*
*

وحين غيابه في الشرق الشمالي هكذا * * *
* *
* *

كما وان جملة نجوم صغار اذا رصدهم الراصد يحقق دورانهم من غير غياب منهم بين بنات نعش والجبار ثلاثة نجوم ومنظرهم هكذا . . . فهولاء دائماً يدورون حوالي نجمة القطب بدون غياب حتى ان نجمة القطب بذاتها ترتفع مقدار قدم حينما يصيرا النجمتين من فوق وتنزل مقدار قدم حينما تكون النجمة الواحدة من فوق هكذا

*
*
* *

وهكذا نكون * * حيث ترطافدم نقدر نشبه الفلك
*
بشمسية كبيرة . ومركز الشمسية هي نجمة القطب وان كل النجوم التي هي بالقرب من المركز تدور حوالي المركز ولا تغيب وان كل النجوم التي في فضا الشمسية وبعيدين عن المركز بواسطة الدوران فالذين هم في البعد الابعد ننظرهم يظهروا في الجنوب الشرقي ويغيبوا في الجنوب الغربي والذين هم اقرب منهم ننظرهم يظهروا في عين الشرق ويغيبوا في عين الغرب ومن هذا ايضا الشمس حينما تكون في ابراج الربيع فانها تكون تظهر من المشرق وتغيب في المغرب كذلك في الخريف حينما تكون في ابراج الخريف وجملة نجوم على هذا النسق وكون الارض كروية الشكل فالخط الذي تغيب عنه الشمس من جهة شروقها تظهر على خط اخر من جهة غروبها وكون ان الدورة الفلكية اليومية هي اربعة وعشرين ساعة الا دقيقتين حينما تكون الشمس في الجنوب فمن هذا السبب كانت الشمس تتاخر كل يوم دقيقتين حينما تكون في الهبوط للجنوب اي حينما تدخل في الابراج الخريفية وحينما تقارب الصعود اي حينما تدخل في الابراج الربيعيات تزيد كل يوم دقيقتين وحينما تكون بالابراج المعتدلة الربيعية والخريفية يتساوى الليل مع النهار وكل هذا ناتج عن الدورة النجمية القطبية التي حينما نجتهد اهالي الهيئة بالرصد الى هذه الحيثية تتحقق لهم اكتشاف جديد فلكي ولا نقول جديد الا من جهة احتراق الكتب القديمة التي كانت موجودة بالمكتبة المصرية والمكتبة الكسيروية حينما اخذت هذين المكتبتين على حين غفلة بالفتوحات الاسلامية التي كانت بالربع الثاني من القرن السابع من الميلاد حيث ان علما المصريين وعلما السريانيين وعلما اليونانيين الذين كل علومهم كانت محصورة بتلك الكتب فلا نقدر نقول انه غبي عليهم هذا الامر الظاهر للعيان بل نقول ان اراء كل العلما القدما مؤسسة على هذا الاساس وهو الدوران الفلكي ومن هذا قد اخذنا جملة نتائج بانا نرفض الراي العام عند علما هذا الزمان من القول بان الارض هي التي تدور ونأتي بالبرهان قائلين ان عموم العلما القدما من كل الاجناس قد حكموا بدوران الفلك ولم احد منهم قد خطر بباله ان يتفوه بكلمة قط بالدوران الارضي ومن هذا قد اخذت كل العلما الشرعيين من كل المذاهب بالقول على الدوران الفلكي الذي اخذوهُ عن اراء فلاسفة المتقدمين وهذا اول برهان وهو انه الراي العمومي الذي تتفق عليه كل علما الاجناس الفلكية وتصادق عليه كل علما الاديان الشرعية من كل الاجناس فهذا من غير شك لا يقبل عليه رد ومن الفروض التسليم به ثانيًا لو فرضنا بالدوران الارضي انه صحيح لكان لسان الحال يكذبنا بهذا البرهان الاتي

ان ارضنا هذه ما احتوت عليه من الجبال والابحار والجزائر التي عند القدما يلزم السائح فيها جملة سنين حتى يقطعها وعند المتاخرين بان احاطتها على خط مستقيم سبعة وعشرين الف ميل فهذا الجسم الكبير اذا قدرنا دورانه على نفسه بكل اربعة وعشرين ساعة مرة واحدة فتكون سرعة مسيره اعظم من سير سكة الحديد بعشرين مرة واعظم من سرعة سير الرصاصة من البارودة مرات ومع عظم هذه السرعة وكبرها فلا بد ان ينتج من ذلك هواء قوي جدًا وان هذا الهوا لا يقبل التغيير بل يكون سيره مع سير الارض والواقع بخلاف وايضًا ان الطيور اذا ارادت ان نطير مع دوران الارض فلا نقدر ان تقطع ولو طول شبر واحد اذا داومت الطيران جملة سنين حيث مهما كان سيرها سريعًا فلا يلحق سرعة سيران الارض كذلك اذا شاءت ان نطير عكس سير الارض

فلا يلزم لها ان تطير بل انها تعلي عن الارض وتقف برهة والارض تسير من تحتها والمحل الذي تريده تنزل عليه كما وان شاءت تطير الى شمال وجنوب فلا تقدر تحصل محلها المطلوب فانها تضيع حيث بمجرد طيرانها وسير الارض السريع لا يتاتى لها ان تدرك محلها المطلوب والواقع بخلاف وايضًا اذا رمينا سهمًا على خط عمودي بالعلا لكان لا يقع في محله بل من سبب السيران يكون واجب وقوعه بعيدًا عن الجهة التي ارتفع منها والواقع بخلاف كذلك يوجد بعض الطيور الذي يستقيم جملة ثواني او قليل دقائق واقفًا بالعلا واخيرًا ينزل بالنقطة التي كان واقف بها مع انه من الواجب ان ينزل بمحل خلاف محله الذي كان واقف به والواقع بخلاف وايضًا ان السائر الى جهة الغرب من المسافرين او الى الجهة المضادة التي تسير تجاه الارض لكان النهار يطول معه وان مشى تجاه الارض فان النهار يقصر معه وان كان مشيه في الليل كذلك والواقع بخلاف وان قال قائل كما يزعم بعض الجهال من ان الهوا ايضًا الذي حائط للارض من كل جهاتها هو مربوط بقوة الجذب مع الارض فلاجل هذه جميعها يكون مربوط مع الهوا فنجاوب على هذا قائلين ان هذا الحقيق اذا كان صحيح غير انه لا يصح ان نسلم به من جهة الهوا الناتج من سبب الدوران الارضي كما انه يوجد حل اخر لهذا وهو ان الهوا جسم لطيف شفاف ويقدر ان يطير بقوته الاجسام الكثيفة ولكن اذا لم يكن هوا فلا يقدر يمنع الاجسام عن الحركة الارادية ولو كانت له هذه القوة المجهولة لنا لكان يمنعنا ايضًا عن الحركة كلية كانت او جزئية والواقع بخلاف وايضًا الطيارة الهوائية المعروفة الان بالبالون حينما تطير الى مسافة بعيدة في الجو ويضعف العنصر الهوائي لدرجة التناهي وتقف بذلك المحل جملة ساعات فلو كانت الارض هي التي تدور لكان الواجب البالون الذي صعد من باريز واستقام في الجو ست ساعات ينزل في الهند الغربي او في جزائر الخالدات والواقع بخلاف واخر البراهين الارضية نقول لو فرضنا المستحيل بالدوران الارضي فمن سرعة هذا الدوران ما كان يعيش حيوان بالكرة الارضية من سرعة سيرها ولنقدم البراهين السموية على ذلك قائلين

قد تقرر عند اهل الهيئة حديثًا بان الارض بالنسبة الى النجوم ليست بشيء لا بل يوجد نجم واحد هو اكبر من الارض بملايين مرات وان النجوم كما هو معلوم بالجملة لا عدد لها فاذا كان ذلك صحيح فيكون من الواجب العلمي والهندسي العقلي باننا في سيرنا الارضي اليومي لا ننظر سوى النجم الذي نكون تحته في ظاو والواقع بخلاف وايضًا لو كانت الارض هي الدائرة لكنا دائمًا ننظر المجرة السموية بشكل واحد او ممتدة من الشمال للجنوب او من الشرق للغرب والواقع اننا ننظر المجرة التي هي اشبه ما يكون بسهم المحصرة او سهم الناعورة مستقيم اصلها بالبعد الابعد الشمالي من الفلك ممتد طرفها الثاني الى البعد الابعد من الجنوب الفلكي وهي تتم دورتها على فلكها في مدة اربعة وعشرين ساعة الا دقيقة حينما تكون الشمس اخذة بالنزول من الغرب الى الجنوب بسيرها الفلكي وحينما تصعد من الجنوب الى الشمال تزيد دقيقة . وليس بعيدًا عنها نجمة القطب الشمالي الذي تقدم البيان عنها التي هي اشبه ما يكون بعروس الناعورة المستقيمة بمحلها مع انها دائرة والمجرة في مدة دورتها يراها الناظر تدور كل الفلك على استدارة بكل الجهات فلو كانت الارض هي الدائرة لما كنا على صغرها نظرنا بمدة هذه الدورة اليومية كل النجوم والافلاك وقطعنا كل الفراغ الانهائي الذي لا له حد ولا اخر كما ولا كنا بمدة الاربعة وعشرين

ساعة نظرنا كل الفلك بل كنا ننظر نقطة فلكنا وهذا هو عين المستحيل والتمسك بالمستحيل مستحيل وايضاً لو كانت الارض هي التي تدور لم كنا نظرنا بالمشاهدة التي تشبهها الهندسة دوران نجمة القطبة مع النجوم التي يحوطوها مع نجوم بنات نعش والجبار المشاهد دورانهم من دون غياب ولو كنا نحن الدائرين كانت مشاهدتنا لهم لا تتغير بشكل واحد وان الذي هو شرقنا لما نكون بالمغرب يكون غربنا لما نكون بالمشرق وان الذي يكون شمالنا لما نكون بالجنوب يكون جنوبنا لما نكون بالشمال وان نجمة القطبة المار ذكرها التي هي اشبه ما يكون تركيبها بحسب النظر مع الثلاثة نجوم التي يحوطوها برقاص الساعة وكان لا يتغير منظرهم لنا بل حيثما نكون باي جهة من حيز الفراغ ننظر تلك النجوم راكزة بمحلها من دون تغيير بل الواجب فقط ننظر حالنا شمال تلك النجوم وغربها وشرقها وفوق وتحت والواقع خلاف ذلك جميعه غير انه لاتمام حقيقة هذا العلم الجليل العالي يلزم احد المجتهدين غب انه برصد نجمة القطب الشمالية يتوجه يرصد نجمة القطب الجنوبية من جنوب اميركا بناحية ارض النار ومن هناك يتضح له كمال الهيئة الفلكية على التمام ويقدر يعطي الايضاحات على ذلك بحسب الحقائق التي يطلع عليها التي كنت اتمنى ذلك لو كان يساعدني الزمان والامكان كذلك بما ادعوهُ المحدثين بكبر الاجرام السماوية بطريق المبالغة التي لا يقبلها العقل فلو كان صحيح كما يزعموا كنا نظرنا الفلك جميعه نجم واحد او قطعة نور لا تتجزا ولا كان ظهر جد بين نجم واخر وان قال معترض اذا كان هذا القول والاعتراض صحيح وانها ليست بكبيرة فمن اين كنا نقدر ننظرها مع هذا البعد عنا فنجيب بان الناس اندروا ان يصنعوا نظارات يكبر والشي بقدره خمسماية مرة فليس بعجيب ان قدرة الله جعلت هذه المسافة الشفافة اشبه ما يكون بنظارة مكبرة تريناً النجوم على مسافة هذا البعد ومع ذلك نحن لا ننكر كبرها غير انه ننكر المبالغة بالتحقيق على هذا الكبر مع تحديد المسافة تحت تعديل الكبر والقياس كما اننا بهذه البراهين ننكر الدوران الارضي وهذا ليس ناشي منا على سبيل العناد والمجادلة بل على طلب كشف الحقائق والتمسك بالاصول الصادقة وارجو من اهل العلم المحبين للحق بان لا يغضوا النظر عن البحث عن هذه الشروحات ولو كانت عند الغير فاهمين انها اضحوكة بل يتاملوا ما قد حررته بعين الفحص والاجتهاد فان وجدوا الصحة ما اقول فليجتهد وابشي اخر يضيفوهُ على هذا النص مثل حاشية وان ارادوا من غير فحص بل اتكالاً على الكلام المنقول يعتمدوا من خلافه برفض ما قد حررته فيكونوا مغبونين قد صدقوا ما سمعوا او كذبوا ما نظروا لاننا اذا تاملنا قول من قال اولاً عن هذا المذهب اي دوران الارض فاننا نراهُ قال قول ظني تخميني وليس كان قوله ببراهين واضحة جلية وما ظهر هذا المذهب الا بعد موت صاحب هذا المذهب بمدة وافرة ولما نظر تلاميذ هذا المذهب عدم المضادة وحتى يجعلوا لهم اسماً بالتواريخ ويُعدوا من فحول عصرهم اجتهدوا لانتصار رايهم كما اجتهدت اهالي اوربا على طلب الصنائع والمتجر فحصل لهم النجاح اما اهالي المشرق من جهة الظلم الذي استحوذ عليهم من سبب تغيير سياستهم والخراب العمومي الذي نالهم باسباب الحروب المتواترة المتوالية واحتراق كتبهم او عدمها الذي كمل على ذلك غزوات الصليبيين وخراب القسطنطينية وختام هذا اخذ نابوليون الاول مكتبة مصر العباسية فقد تم بهذا اكسوف شمس المشرق العلمية وظهور شمس المغرب الخارقة للعادة التي هي المحور الذي عليه المعول لاتمام نبوة النبية التي قالت باخر الكلام تخرج الشمس من المغرب وتحرق الارض بالنار التي هي نار

المترليوز والشاصبو واذا اردنا تمسك بصحة هذا القول فنقدر نقول بان الدور والزمان قد كملا وصرنا باخر دور وزمان وداخلين لدور وزمان وعلى اهل هذا الدور والزمان المعول بالفحص والاجتهاد لاجل الحصول على الشرف والعلم والثروة الذين كانوا مستقرين بالمشرق والان هم مفقودين منه لا وبل ان اهاله هم اول كسلا ولولا ذلك لما كانوا محتاجين الى جيل خلافهم حتى لاخذ الابرة والكشتبان وناهيك عن البضايع الجمة المتنوعة اصنافها التي اصلها من بلادنا نبيعها بالاثمان البخسة ونشتريها بالاثمان الجملة واشبه ما يكون مثالنا كمثال رجل جاهل يلعب القمار مع رجل قمار فالقمار يعطيه القليل ويرجع ياخذ منه الكثير لا وبل اعظم من ذلك لان القمار الجاهل مرة على مرة يفطن لغفلته واما نحن لا نفطن لان فقرانا قد صاروا نصف الاهالي و بدوروا على التسائل ولم لهم حرفة يستروا بها فلو كانت حكومتنا او تجارنا يفتحوا ابواب الصنائع من جهة و يسدوا باب متجر الغربا من جهة ثانية فكم وكم كنا نحصل من الخيرات حيث يصير نصف الناس تعيش من الاملاك والنصف الاخر من الصنائع و يكون القرش الحجر يبقى في البلاد ولا تتضايق العباد ولو كنا خرجنا من مقصدنا الفلكي فنطلب السماح من الناظرين ولنرجع الى الصدد الاول قائلين بانه اول من قال من الافرنج بدوران الارض قد كان قوله بطريق الظن والتخمين وليس فيه برهان كافي و يتضح لناصحة ذلك من مبادي كلامه حيث يقول هكذا

اننا ننظر الشمس تشرق من المشرق وتغيب في المغرب وهذا ناتج عن سببين الاول كما قالت الاقدمين من دوران الفلك والثاني من الدوران الارضي فلننظر الاقرب للعقل من هذين الرايين ونتمسك به وصار ياخذ المبادي الصحيحة من كتب الاقدمين و يبني عليها مسائل اختراعية منه وصار يخالط الحق بالباطل و يولف اقاويل يغربها السامعين ومن قلة من يوجد يرد عليه كثرت تلامذته وانتصرت مذهبه حتى عم اوربا واميركا والان قد دخل الى آسيا وافريقيا لا وبل هو متسلطن على جزائر المحيط ايضًا فلاجل ذلك غيرتي او جهلي جعلاني ان اتجاسر بتاليف هذه الرسالة وطرحها لدى كل اهل العلوم الفلكية من اوربا راجيًا ان نحسن بذوقهم السليم الخالي من روح التعصب والغرض بان غب مطالعتهم هذه النبذة وشبعهم ضحكًا عليّ بان باقل المراتب يلاحظوا رصد المجرة مع نجمة القطب الشمالية مع بنات نعش وفيها بعد ان شاوا يضحكوا وان شاوا يصغوا لاكثر من هذا كذلك اراجع قولي بشان الثلاثة نجوم الذين هم حوالي نجمة القطبة ليس هم ثلاثة لان النجوم الصغار التي بجوارها يبلغوا الحد العشرة غير ان الذي جعلنا نجعلهم ثلاثة حيث انه باول الغروب حينما تظهر النجوم يظهر ثلاثة نجوم و باخر الفجر حينما تغيب النجوم يبقى ظاهر ثلاثة نجوم وهم من العظم الاول من الثوابت اثنين منهم من تحت النجمة وواحدة من فوق النجمة وكل اربعة وعشرين ساعة الا دقيقتين تتم دورتهم و بتمام دورتهم تتم دورة كل النجوم اليومية وهكذا الامل وطيد ان اتشرف على الجواب سلبًا او ايجابًا عن يد الخواجا بستاني في بيروت المعلم الاول لوطن سوريا والحامي على حقوق العلم الذي رسالتنا هذه متشرفة لديه الكريمة ملتمسين شريف خاطره بقبولها وتفسيرها بالقلم الفرنساوي وارسالها الى جهات اوربا حيث انها اشبه ما تكون بخاطره علمية هزلية حتى العالم يكتسب منها علمًا هزليًا او حقيقيًا والجاهل يسمع اخبارًا جديدة غريبة وبكل الامور نظرًا للوقت الحاضر المشوب بالتقلبات السياسية المكدرة من جهة الحروب الثائرة من عصاة الهرسك على الدولة فلا بد ان السمع

يتسلى من سمعه اخبار تغير اخبار الحروب التي قد اضرت بعموم الرعايا والمتجر وتساله تعالى تحسين الاحوال بما يشا ويريد ويمضي باللطف المقدور ويرحم الاطفال والايتام والارامل كوننا نحن الكبار لم لنا رحمة نظرًا لما هو عندنا من الفسخن والظنون وهو على كل شي قدير

تاريخ فرنسا

اكثر مما هو في حوزتي وقد قال عن ذلك ما ترجمته انك لا تقدر ان تتصور الحالة التي وجدت الجيش فيها عند وصولي وما هي المصائب التي كانت مزمعة ان تحل بنا لو كان عدونا ذا اقدام . وكان الجنرال مسينا في اوكسبورج فكتب اليه اترك كل المرضى مع فرقتين وانزل الى جهة الدانوب بكل سرعة فانني لم احتج قبل الان الى حميتك وغيرتك وهمتك كاحتياجي اليها الان . وكتب الى دافوست اخرج من راتسبون حالاً واترك فرقة للدفاع عن المدينة واصعد على الدانوب بجيشك واهدم الجسر في راتسبون بحيث لا يمكن ترميمه وتقدم بتيقظ وثبات بين النهر والنمساويين واحذر من ان تعرض جنودك لخاطر محاربة العدو قبل ان تنضم اليَّ في ظواهر النسبرج

وفي برهة قصيرة اصبح جيش فرنسا كله في حركة وحدثت مقاتلة دموية فكان نابوليون يدير الامور كانه موجود في كل مكان وانتصر في كل جهة . فبهذه الحركات التي تمكن نابوليون من ان يجمع جيشه بها في وسط جيوش جرارة من الاعداء مراكزها اوفق من مراكزه لا تزال معتبرة من اهم اخبار الحروب وحوادثه وفي ثلثة ايام جمع تسعين الفًا من الرجال . وفي اثناء تلك الايام الثلثة حدثت مقاتلات شديدة فخسر النمساويون عشرون الفًا من القتلى والجرحى والاسرى . فالارشيدوق شارل تكدر جدًا من هذه التاخرات وتمكن من جمع مائة الف جندي في اكموهل ولذلك كان لا بد من حدوث قتال شديد . وخطب نابوليون على جنوده الخطاب الاتي وهو

يا ايها الجنود قد وقع تعدٍّ على اراضي اتحاد الرين وقد ظن القائد النمساوي اننا نركن الى الفرار عند ما نرى راياته تاركين حلفاءنا في يده وقد وصلت اليكم بسرعة البرق . يا ايها الجنود انني كنت محاطًا بينادقكم عند ما وصل امبراطور النمسا الى مكان نزوتي في مورافيا وسمعتموه يلتمس صلحي ويحلف بانه يكون صديقي الى الابد . يا ايها الفاتحون في ثلثة حروب ان كل ما في النمسا عليه ناشي عن كرامة اخلاقنا . وقد حنثت يمينها ثلث مرات ونجاحنا السابق ضمانة فوزنا المستقبل فلنسر وليعرف العدو المنتصرين عليه عند ما يرانا

وفي ليل ١٩ نيسان (افريل) اخبر سافاري نابوليون بان دافوست وصل مع جيشه سالمًا فوجد الامبراطور في مخدع غير منظم وقد مد رجليه على مجلس من خشب وادناهما من نار مشبوبة واخذ يفحص بتدقيق خارطة البلاد . فسره خبر قدوم دافوست سرورًا عظيمًا حتى انه نهض بسرعة وركب فرسه واخذ يطوف بسرعة حول الجنود وكان برفقته ولي عهد ملك بافاريا والبعض من جنرالاته . فسر نابوليون بالنشاط والاقدام اللذين اظهرها ولي عهد ملك بافاريا فضربه بلطافة على كتفه قائلاً احسنت ايها الامير واذا كنت تداوم السلوك على هذا الاسلوب يكون لك عندما تدعى للحكم على هولاء القوم هيبة وجلال ملك بافاري لا يفارقانك كل مدة حكمك ولكنك اذا كنت تبقى داخل قصرك وبلادك يفتقدون جميعًا بك فتكون حينئذٍ قد اتت الساعة التي فيها يجب عليك ان تودع الملك والمجد

وفي ١٨ نيسان (افريل) كتب نابوليون الى مسينا انه من الامور الضرورية جدًا ان يسير ادرينو

بجيشه وفرقك الثلث الاخرى وجنودك المدرعة وفرسانك بسرعة طلبًا للقيام غدًا في ابنافهنوهفن والجنود الذين في موخرة الجيش يجب ان يبذلوا جهدهم ليصلوا الى اشتا او على الاقل ليتقدموا على قدر الامكان في الطريق بين اكسبورغ واشتا فان البرنس شارل قد سار من الاندشت في ٨٠ الف جندي ودخل البارح راتسبون وقد اشتغل البافاريون النهار بطوله بمقاتلة مقدمة جيشه . وقد ارسلت الاوامر الى دافوست ليسير في ٦٠ الف جندي نحو نيوستاد حيث يمكنه الانضمام الى البافاريين . وكل الجنود التي يمكن جمعها في ابنافهنوهفن مع الورتمبرغيين وفرقة من من المدرعين وكل جندي يمكنه ضمه اليهم يجب ان تكون مستعدة للهجوم على موخرة جيش البرنس شارل . ويجب ان تعلم اننا لم نوجد قط في ظروف تستدعي السرعة والهمة كالظروف التي نحن فيها الان وبالحقيقة يمكن دافوست ان يقاتل البرنس شارل بجيش مولف من ٦٠ الف جندي فاني عالم ان جيش البرنس شارل سيفشل ويتبدد بدون ان يكون لارجاله بالحصول على مدد او مساعدة اذا تمكنت انت واودينو من الهجوم على موخرته في ١٩ من الشهر المذكور قبل بزوغ الفجر مثيرين الجنود ومحركين فيهم الشجاعة والبسالة التي لا بد منها في ظروف كهذه وكهذا تنتهي امور كل جرمانيا في ١٨ و١٩ او ٢٠ منه انتهى . ثم كتب الى مسينا في النهار التالي عند الظهر بما ياتي . ان البرنس شارل كان في هذا الصباح مع كل جيشه على مسيرة نهار من راتسبون . وقد اخلى دافوست راتسبون وسار نحو نيوستاد . ولذلك بت منتظرًا في كل دقيقة حدوث معركة . سينتهي اليوم كل شيء ان الدقائق ثمينة . ويجب ان تعد الساعات ولا يلزم لتبديد ١٢ او ١٥ الفًا من الصعاليك الذين انتصرت اجدادهم في هذا الصباح اكثر من ٦ الاف من رجالنا

ثم نام نابوليون بضع ساعات في كرسيه وقبل بزوغ الفجر ركب جواده واخذ ينظم جنوده لاجل القتال والسهول التي كانت مغطاة حينئذ بضباب كثيف كانت مزمعة ان تغطى بدماء مئات من اولئك الجنود الابطال الذين صرفوا الليل فيها . وكان مئة الف من جنود الاعداء نيامًا في سهل اكموهل بطمانينة غير عارفين بالخطر الذي حاق بهم فان حذاقة نابوليون ومعرفته الغريبة في التدبيرات العسكرية مكنتاه من ان يجعل ٩٠ الف جندي ثائرين بحمرة الانتصار يسيرون نحوهم من جهات مختلفة فاشرقت شمس لطيفة حارة على تلك الهضاب الجميلة وبددت الابخرة التي كانت مظللة لها وكان النهار صافيًا جدًا وكان ذلك الوادي الاخضر من ابهج المناظر الطبيعية فكانت فيه المروج الخضرا والينابيع الرائقة والجنات والقرى والمزارع وبيوت الفلاحين الخاطئة بالاشجار وكانت الاثمار تتلاعب في النسيم اللطيف بدون ان تكدر السكينة السائدة في ذلك المكان وكان السهل مغطى بمضارب النساويين البيضاء وكان لمعان الاسلحة ينكسر على مياه الينابيع الجميلة والغياض اللطيفة محيطة بمجاري المياه تحفظها من المكدرات الخارجية والافراس الكثيرة العدد ترعى الاعشاب الخضراء الطرية وتستقي بالندى اللطيف الذي كان يعلوها فكان كل ذلك من ابهج المناظر السلمية المبهجة لكن شيطان الحرب كان سائدًا فيها وزمعًا ان يحولها الى اقبح المناظر واكثرها ويلًا وتعاسة ويحول سكينتها الفردوسية الى حركة جهنمية ومياهها الباردة الى دماء حارة ومروجها الخضراء الى بقاع حمراء ملطخة بالدماء

فعندما كانت تصل فرق الجنود الفرنسوية الى الهضاب المطلة على ذلك السهل كانت تتوقف عن المسير لتتنزه ابصارها بتلك المناظر العجيبة . فامتلا الجو بصليل الاسلحة وحركات الجنود الدالة على

قرب انشاب نيران القتال فكانت الطبول تضرب والالات العسكرية تصدح بانغامها المهيجة واخذ الطوبجية والفرسان والمشاة في الانتظام لمقابلة العدو وامتلات التلال بجماهير الفرسان لكنه لم يطلق مدفع ولا بارودة قبل الظهر بل كان الفريقان يشتغلان في اتخاذ مراكزهم بهدو كانهم كانوا يقومون معًا بافراح عيد عمومي وكانت الشمس في الهاجرة عند خروج اول طلق من تلك الصفوف الكثيفة وكان ذلك الطلق دلالة على قرب اشتباك حرب دموية نادرة المثيل في الحروب القديمة والحديثة . وكانت تلك المناظر توثر في قلوب اكثر اولئك الجنود الذين تعودوا خوض المنايا واظهر نابوليون في ذلك النهار من الحذاقة العسكرية ما لم يظهره في غيره وكانت فرق جيوشه المختلفة تسير لمقابلة العدو بنظام وترتيب لانه علم معرفتها حركات العسكرية وتانيها في الامور وعدم مبالاتها بالمخاطر التي كانت تتهددها واعتبارها الحرب كاحد الالعاب الاعتيادية . فدام القتال مدة ٥ ساعات ولما مالت الشمس الى الافول اخذ العدو في التاخر الى الوراء . وكان نابوليون قد ابقى فرسان الحرس الامبراطوري خارج ساحة القتال الى حين الحاجة وكانوا ينتظرون بفروغ صبر صدور الامر اليهم لينصبوا على العدو انصباب الاسود . وكان اولئك الابطال مدرعين بدروع من الفولاذ اللامع وراكبين افراسًا ذات قوة عظيمة وكانت قلوبهم اصلب من الجلمود فكانت كل هجماتهم مكللة بالفوز والانتصار . فصعدوا الى الهضاب ثم انصبوا على السهل حيث كان اخوانهم مشتغلين بمقاتلة العدو وكانوا يسيرون الهوينا الى ان صاروا بمراى من العدو وكان الفرنسويون الذين يعدون الحرس الامبراطوري يد نابوليون اليمنى منتظرين هجومهم على العدو ليهولوا بهم تلك المعركة المهولة . فصرخ فرسان الحرس عند دنوهم من العدو صراخًا ارتجت له الجبال وعلا على رعود جلبة القتال اما الفرسان المدرعون النمساويون وكانوا كثيري العدد مسلحين باسلحة ثقيلة كاعدائهم ومهيبين بشجاعة تحاكي شجاعتهم ومستعدين لصد ضربات العدو بذراع قوية . وكانت دروعهم واسلحتهم تلمع في اشعة الشمس الافلة فانصبوا على صفوف اعدائهم الكثيفة في ميدان الحرب الواسع . فوكز الفرنسويون افراسهم واندفعوا على النمساويين بشجاعة عجيبة فضربت الطبول انغام الهجوم فهجموا وكان السهل يرتج تحت اقدام افراسهم النشيطة . وكان صليل الاسلحة واصطكاك السيوف مما يزيدهم باسًا واقدامًا فالتقى الفريقان في ميدان الحرب صارخين صراخ الجان ومقتحمين الموت كالاسود الكاسرة وابقنت الجيوش المتحاربة بحدوث مذبحة مهولة بعد ذلك الصدام الهائل حتى ان الجميع وضعوا اسلحتهم واخذوا يراقبون تلك الفرسان الجهنمية منتظرين نتيجة تلك الحرب الدموية فكانت المدافع والبنادق طلقاتها وانكا الجنود على بنادقهم والطوبجية الذين كانوا قد اعيوا من التعب انكاوا على مدافعهم وحولوا انظارهم جميعًا نحو ذلك المنظر المهيج والمحزن . فكانت نتيجة تلك المعركة مهولة جدًّا . فان مئات من الفرسان والافراس كانوا يتساقطون الى الارض فتدوسهم الافراس بارجلها ثم هب نسيم بارد فبدد دخان نيران المدافع والبنادق فانكشف عن شمس لامعة بزغت اشعتها المحرقة على ميدان حرب متسع الدائرة وكان الجيشان محافظين على هدو تام تاركين الحكم بالفوز والغلبة لفرسان الحرس الفرنسوي والنمساوي ولم يكن يسمع الا صوت ضرب الطبول واصطكاك الاسلحة وجلبة الفرسان وتنهدات الجرحى وصهيل الخيل فغابت الشمس قبل انتهاء تلك المعركة واخذ ظلام الليل في الهجوم وكانت النجوم تظهر واحدة فواحدة في

الفلك الرائق وطلع القمر والتي نورهُ الساطع على تلك المعركة المهولة وسواعد تلك الفرسان لم تكل من الطعن والضرب . فكنت ترى الفرسان تتساقط مع افراسها امام حد السيف كسقوط السنابل امام مناجل الحصادين والصفوف ترجع الى الوراء ثم تتقدم الى قدام حتى غطت جثث القتلى ساحة القتال فضعف عزم حرس النمسويين بعد ان خسروا نحو ثلثي رجالهم وحاولوا الثبات امام العدو فلم يقدروا فتقهقروا الى الوراء وركنوا الى الفرار فصرخ الفرسان الفرنسويون باصوات مرتفعة فليحيَ الامبراطور وتبعوا اثرهم واخذوا يوقعون بهم حتى غطت قتلاهم وجرحاهم تلك السهول . فلما راى الجيش النمساوي انكسار حرس الامبراطوري اخذ حالاً في التقهقر الى الوراء واما الفرنسويون فضجوا باصوات الفرح عند ما سمعوا اصوات اخوانهم المنتصرين وساروا بحمية جديدة متتبعين اثر اعدائهم المنكسرين فتجدد شبوب نيران الحرب وملأت المدافع تلك السهول باصواتها المرعبة وكانت ترمي العدو بكراتها حتى ملأ الدخان الفلك الرائق وحجب نور القمر والنجوم فكان ذلك من المناظر التي يقصر عن وصفها القلم ويكل عن تعداد ويلاتها اللسان . فامر نابوليون حالاً الجيوش ان تتوقف عن تتبع العدو رغماً عن الحاحات لان . فالقى الجنود انفسهم على الارض الملطخة بالدماء لشدة التعب الذي تكبدوهُ في النهار واستغرقوا حالاً في نوم ثقيل واما النمساويون فجدوا المسير نحو راتسبون ليعبروا الدانوب ويتخلصوا من باس اعدائهم وفتكهم

وعند ما اصدر نابوليون امره بهجوم فرسان

(ستاتي بقيتهُ)

حيلة غرامية

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

وعند ذلك دخل رجل مريض فسلمت لويز وابوها عليهِ فاشار اليهما معتذراً افساراً بدون ان يجالسانه وبعد ذلك سارت لويز الى مخدعها لتهيي ادوات التصوير ووجدت مكاناً موافقاً لتصور منهُ غير انها ترددت فان المكان المذكور كان موضوعاً لتصوير احذق المصورين . وسارت مع ابيها الى القرية وصعدا على تلة صغيرة مشهورة بجمال المنظر . وفاز ابوها بوجود رجل كان يصرف فصل الصيف في القرية وكان جالساً وامامهُ جرائد كثيرة قريبة التاريخ . فتعرف احدهما بالآخر بسهولة وقال لهُ انهُ يرسل اليهِ الجرائد اليومية . وكان هذا الرجل من اكابر اعضاء الاتحاد السويسري وفي برهة قصيرة جرت بينهما مفاوضات سياسية لذيذة جداً ودعاهُ ودعا ابنتهُ ليدخلا مخدعهُ الصغير فانهُ كان قد وضع فيهِ بعض اسباب الراحة وكان قد زوج كل اولادهِ فاصبح فيهِ وحدهُ مع زوجتهِ فسرا جداً بما راياهُ من ادلة راحة هذه المعيشة والظاهر خرجا من البيت فقال ابوها لما اننا لنغض النظر عن المال الذي نقدر ان نفوز بهِ بالراحة التامة والسعادة . قالت يا ابي ان ما يملكاهُ ليس بقليل فان

راحتها بدون مكدر ودخلها كاف لمعيشتها . قال لقد اصبت لو كانت امك لا تزال في قيد الحيوة وكنت انت متزوجة لربما كنت انا وامك اخترنا مكانًا صغيرًا كهذا المكان الجميل . ولكن لومن الكلام الذي ينبغي نفيه

ولما وصلا الى البيت كان القوم اخذين في الجلوس عند الموائد لمناولة الطعام . وكانوا مشغولين في الكلام عن تغيير في مجالسهم فان موسيو ادكار لم يكن يريد ان يغير الترتيب السابق وامتنع عن ان يجلس في الجهة العليا من المائدة بين اصدقائهِ . ولم يقل غير رجل واحد انهُ مصيب فجلس قبالة لويز بالقرب من الطبيب الذي نظر اليهِ نظرة متكدر . ولم يجرِ حديث في هذه الجهة من المائدة وبعد ان انتهى من الاكل خرج . وبعد الظهر اجتمعت لويز بالنساء اللواتي بقين في البيت وسار ابوها مع بعض معارفهِ ليزور معمل حرير قريب من المنزل وعند رجوعهِ الى ورين مساء عرفت لويز بهم وبموسيو ادكار . وبعد ان شربوا الشاي اجتمعوا في قاعة الموسيقى ورتلت ام الولدين بعض اغاني فرنساوية جميلة وهي تضرب البيانو وشقيقتها تضرب القيثار بعد ان الحوا عليها بذلك وكان منظرها وحركاتها جميلة جدًّا فنظر موسيو ادكار اليها متفرسًا . اما لويز فجلست بجانب ابيها فهمست في اذنهِ هذه الكلمات اما تظن ان التي تضرب القيثار مشابهة لماري . فاحنى راسهُ وعند ذلك جلس موسيو ادكار في كرسي فارغ بجانب لويز وطلب اليها ان ترتل او ان تضرب البيانو . فقالت انها ليست بذات حذق موسيقي ورأى من كلامها انها صادقة ولا تتصنع او تتغنج فاكتفى بجوابها . فشكرتهُ على الارتضاء منها بذلك غير انها تعجبت لما رات ان هذا الرجل عرف باطنها مع انهُ لم يرها غير برهة قصيرة جدًّا . وكادت تسالهُ ماذا حملهُ على ان يقرر في عقلهِ صدقها غير انها

امتنعت ظانة ان هذا نوع جديد من الالطافات الفرنسوية وكان قد قال لها انهُ عرف من صوتها انها تقدر ان تغني فقالت لهُ تعلمت الترتيل في الصغر غير ان صوتي كان من طبقة واطية فعدلت عنهُ . ولم ينقطع عن الحديث معها وقال لها ان الموسيقى في صناعة واحدة لان امما مختلفة الاجناس واللغات تضرب بموسيقى واحدة . ثم قال ممازحًا لو عرف اهل بابل الغنا لما تبلبلت السنتهم . وكان يتكلم ببساطة كلامًا موثرًا ان جديًا وان مزحيًا فانها كانت ترى فيهِ حذقًا وادراكًا وتاملاً في الامور حتى انها سرت بهِ . غير انهُ بعد عنها بعد برهة قصيرة وجلس بجانب التي كانت تضرب القيثار ثم سار الى الجنة مع اصدقائهِ . ثم سارت اليها لويز والنساء واخذ القوم في ان يمزحوا ويضحكوا على شاطئ البحيرة في ضوء القمر فاستانست لويز بهولاء القوم وعندما انفردت بابيها هنأتهُ وهنأت نفسها بالمجيء الى هذا المكان

وفي صباح الغد جاء النائب السابق الذي كان ساكنًا في القرية بقاربهِ الى قبالة البيت وبعث بالملاح الى الماركيز ليدعوهُ ليذهب معهُ للتنزه في البحيرة وصيد السمك وكان معهُ قسيس القرية وكان من المحبين للمزح فحملت لويز كتاب تصوير صغير خبأتهُ تحت ثوبها وسارت على شاطئ البحيرة ثم صعدت على تلة ونظرت حولها فلم ترَ احدًا فشرعت في التصوير وعادت الظهر مسرورة جدًّا ووجدت القوم في سرور تام فان اباها ورفيقيهِ اصطادوا سمكًا كثيرًا وكان صيدهم من الطعام . وعند ذلك غطت الغيوم الجو غير ان المصورين لم يتاخروا عن القيام بالتصوير وكان الخادم كاسبار يدعي بانهُ يعرف بتغييرات الجو فقال للقوم ان الانوا القادمة شديدة . وعند شروعهم في شرب الشاي في السهرة اخذت السماء ترعد وتبرق من كل الجوانب بتواصل

ولم يذهب الى قاعة الموسيقى غير النساء على انهن لم يضربن وترًا خوفًا من الرعود القاصفة . وخرج المصورون من البيت ليروا وميض البرق المتواصل ولم يدخلوهُ الا عندما هطل مطر غزير

الفصل الثاني عشر

وفي الصباح زالت الغيوم واضات الشمس ولمعت الاشجار بالمياه التي كانت لا تزال عليها وظهرت الارض ظهورًا واضحًا بعد ان غطتها الغيوم الكثيفة . فسارت لويز وسار معها ولد حاملاً مواد التصوير وسارت متوكئة على عصاة وصعدت على تل ليس بعيد عن البيت . وكثرت مياه ساقية جارية عند حضيض التل بمياه المطر وكانت تسمع خريرها او كانت قد ظنت انها تجدها اغزر من ذلك وكانت تزداد شجاعة بازدياد طول المسافة التي قطعتها . وكانت كثيرًا ما تقف وتنظر الى البحيرة وقلبها يكاد يطير فرحًا . ووقفت على مكان مشرف كانت ترى الماء الجاري منهُ . فوقفت فيهِ ووضعت يدها على خديها واخذت تغني لنفسها بسرور وطرب . واذا بصوت قد اجابها من مكان قريب . فقالت في نفسها اما هذا صوت موسيو ادكار اما هي الاغنية التي غناها ونحن على شاطي البحيرة في ضوء القمر . ثم غنت مرة اخرى . فاجابها الصوت المذكور . ثم سمعت صوتًا يقول تعالي اليَّ يا ايها الولد المطرب اين انت . فقالت من هذا هل هو الماراد كار هل يتكلم اللغة الالمانية . وبعد ذلك تقدمت وكانت واقفة على صخر مشرف والمار ادكار ناداها من اسفل . ثم قال لها اليك عن التقدم فان موقفك ذو خطر لانها ربما كانت تقع الى اسفل . وعند ذلك وضعت عصاها في شق من الصخر وانحنت ونظرت الى الساقية فرات المار ادكار ملفوفًا بثوب طويل وفي رجليهِ حذاء خشبي كبير وامامهُ مائدة التصوير . فصرخ باضطراب قائلاً لها ارجعي وسيري الى الجهة اليسرى لتاتي هذا المكان فانني ادلك على الطريق فاصبري لحظة الى ان اخلص نفسي من ملابسي هل انت وحدك . فقال الولد الذي معها انني معها ايضًا . وفي برهة قصيرة اتاها موسيو ادكار وسار بها الى الساقية والتزمت بان تتمسك بالنباتات في جوانب التل لئلا تسقط الى ان وصلت الى جانب الجسر غير انها لم تكن تقدر ان تصعد عليهِ لانها كانت ملتزمة بان تعبر جزءا من الساقية . فاعتذر موسيو ادكار اليها لانهُ لم ياتها قبل ذلك لسبب الملابس التي كان لابسها . ثم اشار الى سلم ملقى على صخر فجاء الولد بهِ ووضعهُ على الجسر فقال لها انزلي عليهِ خلفنا فنزلت الى ان وصلت الى حجارة غير ثابتة فقال لها موسيو ادكار لا تتقدمي لان الجسر لا يحمل اثنين في وقت واحد . ثم قال مازحًا ان الجسر الذي بنيتهُ لنفسي لاعبر عليهِ فوق نهر الحبوة الطامي لا يحمل غيري . ولم تقدر ان تجيب . ثم قال لها انني لم ادل احدًا على هذا المكان غير انهُ لما كانت قد اكتشفتهُ لا يمنعها عن ان تنظر اليهِ ثم قال الاوفق ان تلبسي عباتي لان الهواء بارد في هذا المكان ولا احب ان تبلي بمرض في المفاصل بليت بهِ في السنة الماضية في هذا المكان . ثم قال لها انت المانية وتعرفين غنا الجبال فلما سمعتك ظننت انك من اولاد الجبل . ثم سار على الجسر بعنف فاهتز بهِ فقال اظن انهُ يحملك ويحملني فانزلي فمد يدهُ الى لويز وكانت واقفة بالقرب منهُ ثم نظرت الى الصورة ثم الى الصخور ثم الى الماء الجاري وما حولهُ . وكان المنظر جميلاً جدًا وكان الماء يصعد على صخر وينقسم الى قسمين ويجري بقرب مكان مشرف فيهِ تينة ووقفت لويز تنظر الى الصورة صامتة فقال لها ماذا تقولين قالت افضل الصمت واقول ان الصورة متقنة . والناظر اليها يرى انك تصور حبًا بالتصوير لان

النور والفلك والا لوان تبين ذلك . قال اشكرك لانك لم تفنيي حديثنا مجلسيًا كما تفعل كثير من النسا الالمانيات عند التفرج على صورة او غير ذلك من المصنوعات الجميلة فيسالن ما المقصود من هذا ومن اين اتيت بذلك . وكيف اخفيت ما يظهر من تقصير الصناعة عن ادراك الطبيعة

فاضطربت لانها لم تكن تعلم ماذا حمل المصور على ان يكلمها بمثل هذا الكلام حال كونها كانت تدعى بنت المجلس العالي . ثم قال اه يافراولني ما من شيء مكدر اكثر من المفاوضة بشان صورة او غير ذلك مما هو من المصنوعات اللطيفة . ولو امكن الانسان ان يبين بالكلام ما يتبين بالصورة لما لزم التصوير . فاثر هذا الكلام تاثيرًا اضر بها لانه اسمعها ما كانت قد قررته في عقلها في ايطاليا بالاختبار . فقالت اظن انني قد ادركت ما تقدر الصناعة ان تاتي به فان منظر سلاسل الجبال البعيدة يسر الذي يحب الامور الطبيعية ولكن . . . قال ماذا . قالت اعذرني لانني قد تكلمت بما اعلم انني اقدر ان اصف حاسياتي . قال لا تنقطعي عن الحديث فانك قد اصبت راما تصورين قالت انني صورت قليلاً ولكنني لا احاول التصوير بعد الان . قال قد اصبت بالاستثناء لانه ما من افتقار الى جبال عالية ومنظر بعيد للحصول على تاثير جوي فان اشجارًا قليلة وتلة مع الجو تكفي للاتيان بالمقصود . فانقطعت عن الحديث وطلبت اليه ان لا ينقطع عن التصوير لانها تحب ان تراهُ يشتغل بالصورة . فاجابها الى ذلك وشرع يصور وقال لها ان سعادة حياته ناشئة عن تعرفه بهذا المكان . ثم طلب اليها ان تميل قليلاً عن مكان وقوفها لان النظر الى ذلك المكان لم يكن سهلاً وقال لها انه كان قد صور في ذلك المكان نيشان اللوجيهون دونور وانه شرع في تصويرها مرة اخرى وانه سمى الصخرة بصخرة اللوجيهون دونور لانه اشتهر بالصورة التي صورها في السنة الماضية وعلامة الامتياز الخارجية التي كان لابسها وهي مما لا يستخف به ما دامت الدنيا على ما هي عليه . وكان يتكلم كمن لا يرتاب في اصابة ارائه بدون ان ينظر اليها وكان ينظر تارة الى الصخور وطورًا الى الصورة . ثم نظر اليها وسالها عن المكان الذي تعيش فيه من ايطاليا . فاخبرته فقال انه قد استفاد كثيرًا في ذلك المكان وصور صورًا ليست بقليلة وقال لها هل تعرفين حراس المدينة . قالت نعم . قال وهل تعرفين ماري بنت المرحوم فون كورنك الضابط . قالت كيف لا انها صديقتي القديمة وكانت في بيتنا منذ برهة قصيرة مع خطيبها . فعند ذلك تزلزل جسر الساقية الصغير وصرخ المصور وهو يسقط وكذلك لويز ولكنها امسكت الصورة وهي ساقطة ورفعتها . ثم نهض وقد رأت ثيابه وراها ماسكة الصورة لترفعها عن الماء وقالت خذها فاني لا اقدر ان امسكها فانها تكاد تسقط من يدي . فبادر الى اجابة طلبها ووضعها على صخر وامسك لويز وحملها الى الشاطي وهو يقول هل لحق بك ضرر . قالت لا غير انني لا اقدر ان اقف على رجلي فدعا الولد وارسله الى المنزل فعاد ومعه ابوها وكرسي فجلست فيه وحملت اليه والمار ادكار حامل الصورة وسائر ورائها

الفصل الثالث عشر

واضطرب الناس في البيت عندما سمعوا بمصيبة لويز وسروا بوجود طبيب بينهم واصبح الرجل الذي كان صامتًا لا يعتني به حق الاعتناء مركز الالتفات والامل ووجد بالفحص انها قد صدعت رجلها صدعًا شديدًا . وكان كاسبار الخادم حافظًا عندهُ دواء لكل هذه الامور فاتي باناء فيه دوا وقال انه وجد وهو في خدمة الجنود البابا ويه ان ذلك الدوا نافع جدًا وسر جدًا باستعمال الطبيب دواءهُ وبعد ان ربطت

رجلها طلبت الى القوم ان يسمحوا لها بان تبقى وحدها واخذت تتأمل في ما رأتهُ من التأثير في ذلك الرجل عند ما سمع بخطيب ماري غير انها لم تقدر ان تجد سبباً. ثم اخذت في ان تتأمل في ما يقولهُ الذين في البيت عما حدث وعن سقوطها بانهدام الجسر غير انها لم تقدر ان تخمن تخميناً مقبولاً عندها فتغلب النوم عليها وخلصها من التأملات والافكار. واستيقظت قبل الغياب وسرت جداً عند ما رأت الصورة موضوعة امامها فدعت اليها اباها والهارادكار فقال لها انهُ لم يخطر لها قط ببال ان بين ماري وبينهُ اقل علاقة ولم تسمع قبل الان ان الضابط الذي كان معها ادعى بانهُ خطيبها وهو عندنا فقط لا تعرف بوحق المعرفة واقرب به مني. وعند ذلك سترت وجهها بيدها فقال قد اخطأت بما فعلت ولا سيما بعد ان تكون مخطوبة وما ذلك الا من اعمالها الغير المرتبة. وكانت لويز منتبهة للدفاع عن ماري ولم تقدر ان تمنع نفسها عن ان تذكر ما قالتهُ جدتها من ان ماري اهل لان تكون مخلصة

وعند ذلك نظر المصور اليها وسألها ان تسمح لهُ بان يخبرها عن كيفية تعرفهِ بماري ونسبة كل منهما الى الآخر. فتنهدت لويز وجلست فوضع ابوها يدهُ على جبينها وطلب الى المصور ان يؤخر ذلك الى اليوم الثاني. فلم تضاد لويز ذلك وخرج المصور تاركاً لويز واباها وحدهما. فسألتهُ عن صحة تظاهر الضابط بانهُ خطب ماري وهو في بيتهِ. فأجاب ان ذلك صحيح. وفي السهرة اصيبت بالحمى فسقاها الطبيب دواء ولم يسمع صوت في البيت حتى ان كسبار سد العين لقطع خرير الماء. ونهضت في الصباح مستريحة فطلب الهارادكار ان يراها فاجابتهُ وقص عليها وعلى ابيها الخبر الآتي

يا هارمز: انك اخبرتني امس مساء باهتمامك الشديد في ما يؤول الى صالح الوطن ولا ريب في انك قد اصبت بما قلتهُ من ان الزام كل الفتيان في هذا الزمان بان يخدموا في العسكرية لا يخلو من عنصر بربري. ولا ريب في ان تبذير الثروة والقوة مغاير لروح هذا العصر. وربما كنت لم تر ما رايتهُ من ان كثيرين من احذق الرجال واقواهم يبيتون بدون مركز ولا استعدادات موافقة لهذه الحيوة بسبب النظام العسكري. وهذا هو الواقع فانني ابن جندي وامسيت يتيماً وانا صغير ولبست ثوب جندي عند ما بلغت سن السبع سنين. وكانت امي فقيرة وملتزمة بان تشتغل لتحصيل معاشها وصرفت ١٤ سنة في القرى تدبر بيت احد الاغنيا في مكان لا يبعد كثيراً عن منزلهم فيها. وتكدرت جداً عند ما رأت انني تركت مهنة الجندي وتعلقت بفن التصوير الذي اميل اليهِ طبعاً ولا تقدر ان تتصور مقدار كدر امي فانها كانت تتذمر وتقول انني سابقيت بدون عمل ولا افوز بلبس نيشان على صدري كما فاز ابي بذلك. فلا ألبس علامة النيشان حباً بالافتخار الباطل ولكن اتماماً لارادة امي فاعذراني فانني قد خرجت عن الموضوع وقد احتملت ضيقات كثيرة غير اننا نشكر الله الذي خلقنا بحيث ننسى مصائبنا الماضية فانني اشعر انها اصابت غيري. ومنذ اربع سنوات فزت بامر مهم. وهو ان تاجراً من اسكوتلاندا اشترى اراضي كثيرة في البلاد المذكورة وبنى قصراً جميلاً بالقرب من بيابريغ فرغب في ان يزين قاعة الجلوس فيهِ بصور محلات مختلفة من اسكوتلاندا. وكان قد رأى احدى صوري عند بايع صور فاستحسنها وطلب اليَّ ان اصور لهُ مطلوبهُ. فاعطاني مالاً كافياً لان اسافر الصيف بطولهِ في تلك البلاد فرجعت واخذت في ان اشتغل بسرور لا مزيد عليهِ. وكان لزوجة ذلك التاجر الغني شقيقة قد فاتت سن الفتوة فكانت تعتني بي واقول انهُ لم

يحبني احد في الدنيا بعد امي كحبها لي واسمها فرو اغاثا . وهذه حالة جيدة فانني فزت باصدقاء يعتبرونني و يحبونني وتمكنت من ان احمل والدتي على ترك خدمتها والمعيشة مع شقيقة لي . وكنت مسرورًا جدًّا وفي نصف الليل جاءت صديقة المراة المذكورة لزيارتها ومعها ماري وكثيرًا ما كن يأتين البيت الذي كنت فيه ولم تكن المراة الشيخة تحب التصوير ولم تكن تدعي بانها تعرف شيئًا من ذلك الفن . اما ماري فكانت تسر جدًّا بتصويري وفي ذات مرة كنت واقفًا بعد الغروب بزمن قصير في الجنة اتامل في الاستقبال وانظر الى ما امامي من البلاد الجميلة المنظر فسمعت صديقتي تقول لشقيقتها زوجة التاجر الغني وهما تتمشيان اذا رغبت في ان ازوج ادكار ازوجه ماري . فاثر فيَّ هذا الكلام ولا سيما بعد ان كنت اسرّ بما اراه من بشاشتها ولين عريكتها واتساع طبعها غير انه لم يخطر لي ببال قبل ذلك ان اكتسبها بحيث ابيت احسبها لنفسي فانني اخاف الفقر جدًّا فانني شعرت باشده فانني طالما قلت في نفسي انني لا اوسس عائلة بتعليق املي بامور مستقبلة ومناقضة طبعي وقد بلغت الثلثين ولا ازال مصرًّا على ان لا امتع نفسي بسعادة العائلة ما لم اكن قادرًا ان استند الى شيء راهن فهذا شاني ولو قال البعض انه ناشي عن جبن . قال ابو لويز لا . ثم قال الماراد كار وكثيرًا ما بحثت نفسي على ذلك غير انني كنت اعلم ان سبب رفض ذلك هو كوني خارجًا عن دائرة الاشغال التي يقام بها بمجرد نوال المعيشة فانني توجهت ميلي في المهنة التي تعاطيتها وقد رايت كثيرين من ارفاقي في التصوير لا يتبعون ذوقهم واميال عقولهم لانهم كانوا ملتزمين بان يصوروا ما يوافق ذوق الجمهور للقيام بمعاش نسائهم واولادهم وكان احد اصدقائي المصورين يصور في كل صورة فتاتين احداهما بيضا والاخرى سمرا اذا كان مركزهما فيها موافقًا او غير موافق . وكان يلبس احداهما ثوبًا من المخمل والاخرى ثوبًا من الحرير . وكان يبيع صوره باثمان غالية غير انها لم تكن موافقة للذوق الصحيح . ولذلك صممت على ان اكون حرًّا في شغلي قدر امكاني فانني لست بملزوم بان اهتم الا بنفسي و بوالدتي ورايت انه لا يحق لي ان اجعل عائلة عرضة لنتائج اميالي التي لا اعلم هل تاتي بالتوفيق او بعكسه

وفي لحظة واحدة غيرت كل هذه الافكار ولمت نفسي على تصرفي وتخرت بخوفي من الفقر وقلت من الواجب ان يكتسب الانسان مركزًا في الحيوة وان ينجح في انواع مختلفة . وكانت علاقات الصداقة تتوطد كل يوم بيني و بين ماري . وكانت تزداد بشاشة فالسرور جدد في الامال . غير انه كان يخطر لي ببال حينًا بعد حين ان الشروع في القيام بمعاش شخص اخر لا يخلو من الخطر ما لم يكن للانسان ما يقدر ان يستند اليه غير ان مجرد النظر اليها واستماع صوتها كان يزيل كل هذه المخاوف من افكاري . وكنا كلينا ولدي ضابطين وشاهدنا مرارة التظاهر بحسن الحال . وكنت احسب نفسي اسعد منها لانها كانت ملتزمة بان تعيش بالخدمة خاضعة اميالها الفتية الى ارادة امراة ليست من صاحبات العقول السخيفة ولكنها امراة ذات صفات غير اعتيادية وقد استحسنت ما رايت فيها من الجمع بين معاشرتها والبشاشة الطبيعية التي تزينها . ومع ذلك لم اتجاسر ان اظهر لها حبي وكثيرًا ما قلت في نفسي انه لولا كلام فرو اغاثا لما خطر لي ببال ان اتزوج بماري . ثم جاء فصل الخريف وجرت بيني و بينها صلات غير محدودة ولا ظاهرة وجاء زمان سفرهم فرافقت فرو اغاثا المذكورة الى بياريتز لاودع اصدقائي فظهرت على ماري لوائح الاضطراب فوقفنا في نافذة ونظرنا الى النهر فقلت لها ان السفر

من حظك ولكنهُ من تعاستي . فتفرست فيَّ برهة بدون ان تجيب بشيء فظهر لي انني اظهرت عواطفي الباطنية على غير قصد فقلت اعطيني يدك واسمحي لي ان اودعك هنا فانني لا احب الوداع في الفرضة ولنقل ان اجتماعنا سعد بل هو من الثروة في الحيوة لاننا نقدر ان نحفظ ذكرى جميلة الحيوة بطولها . واذا رافق السعد احدنا يكون متيقناً بان الآخر يسر لسروره عن بعد وقد طالما خطر لي ببالي ان اعطيكِ تذكارا ولكنني لم اقدر ان اختارهُ فالاوفق ان لا اقوم بذلك وليس عندك غير تذكار اجتماع في سياحة هذا العالم وانا اتمنى لك من كل قلبي التوفيق في سياحتك

وانقطع المار ادكار عن الكلام برهة ليست بقصيرة ثم قال اعذراني لانني اخبرتكما بجميع التفاصيل ولا اعلم ماذا حملني على ذلك والاوفق ان لا ابين كل هذه التفاصيل

ورجع الى قص خبره وقال وبعد ذلك سمعنا الناس يقولون لقد ظهر المركب فحملت الصناديق والامتعة الى الفرضة وذهبت الخاتون التي كانت تهتم بي اليهِ لتشيعها قاصدة ان ترافقها في النهر فودعنا في البيت ولم اسمع كلمة اخرى من ماري غير انني رايت الدموع في عينيها ودارت الدموع في عيني ورايت ارتجافها . وبعد خروجها مع الخاتون رايت البيت فارغاً كانهُ مسلوب الامتعة غير انني تصبرت وقلت ان الاوفق لي صرف هذه الامور على ما هي عليهِ وان لا ارابط شخصاً آخر بنفسي . ثم رايت على مائدتها ردنين من المنسوج اللطيف فحملتها وذهبت ركضاً الى الشاطي فوصلت عند شروع الملاحين في الابتعاد بالسفينة فاردت ان اعطيها اياها غير ان رئيس السفينة ظن انني احاول ركوبها فامسك بيدي وانزلني اليها فسارت بنا فنظرت الخاتون الشيخة التي ترافقها ماري اليَّ بتعجب غير ان فرو اغاتا وهي الخاتون التي كانت تهتم بي ففرحت وهزت يدي وماري ارتجفت فمررنا صامتين برهة ثم قلت انهُ لا بد من ان ننفصل بعد برهة قصيرة وذلك في والرف . فقالت ماري ان مجيئك من الحنو وكانت نغمة صوتها اللطيفة الدالة على حب واسطة لازالة كل افكار الحكمة التي كانت تخطر لي ببال وجرى الدم بارداً في كل عروقي . فقلت لها لا بد من ان ننفصل بعد دقائق قليلة فاسمعي كلامي انهُ لا يحق لي ان اربطك بي حياتك بطولها ولذلك قد صممت على ان لا اكون مانعاً لسعادتك اذا فتحت لك ابواب السعادة . فاسمحي لي بثلث سنوات اي انك تكونين حرة اذا لم اكتب اليك في ثلث سنوات وساجتهد في الحصول على ما يضمن لنا راحة المعيشة فاذا لم انجح تكونين حرة . فاتوسل اليك ان لا ترتبطي بي بالعهد ارتباطاً لا يحل فهل تعدين بذلك . اجابت نعم . فهذه نهاية خبري ولذ برح من بالي ان اقول ان كلا منا افرلرفيقهِ بحبهِ لهُ . فقرع جرس النزول الى البر فودعتها وداع الاحباب على مرأى من الخاتونين وعند ذلك انقطع عن الحديث . ولم يكن ينظر الى لوبز بل الى الارض مع انهُ يجب ان يعلم كيف كانت تنظر اليهِ ثم قال وامسيت في حالة غريبة فان حاسياتي كانت مختلفة فانني كنت احسب نفسي تارة مقيداً وطوراً حراً فانني لم اقيد فعلاً . وانتهى شغلي في بيت التاجر وكنت قد جمعت ما جعل امي قادرة ان تعيش وحدها سنين كثيرة فدخلت العالم نشيطاً آخراً غير مبالٍ بشيء . واتيت ايطاليا وماري فيها غير انني لم اعلم بذلك الا بعد ان عادت الى المانيا . واتيت هذا المكان وصورت صورة كهذه الصورة فنلت في باريز اعظم امتياز ولا احفل بالنيشان الا اكراماً لوالدتي واجابت تحريري الذي اخبرتها بنوالهِ بتحرير لطيف جميل وقد اصبحت ذا شهرة عظيمة وطلب اليَّ اعمال تكفيني سنين كثيرة . وقد كتبت اليها

بالامر وانيت هذا المكان لاصور صورة اخرى كالاولى ولكن اصغر منها فانه قد طلب الي ان اقوم بذلك ولا ازال انتظر ورود الاخبار منها الي وربما كانت تاتي هذا المكان بنفسها ثم صمت برهة وقال هكذا قد اخبرتكما بالحال والماضي . فصمتوا جميعًا برهة ثم قالت لو يز انني اشكرك يا مهار ادكار . وعند ذلك نهض ادكار وخرج من المخدع وبقي المهار مرز ابوها معها برهة ثم خرج وجاء المهار ادكار وقال له هل تدخن معي سيكارة فجلسا ودخنا صامتين ثم رجع ابوها اليها

الفصل الرابع عشر

لا يخفى ان الايام تمر بسرعة فشفيت لويز وكانت تنقل جالسة في كرسي الى الخارج وكان الاولاد يلعبون حولها . وكانت الخواتين يجلسن معها وكذلك الطبيب الذي ظهر انه تخلص من ارتباك عظيم اذ راى ان ادكار كان المانيا يميل الى مصادقته وكذلك والد لويز . وظهر انه مهذب مثقف عاقل متعلم وكان الجميع ياتون مخدع لويز حتى الرجل المريض بالسوداء الذي كان الطبيب يطببه في ذلك المكان وكان اول من قال لها انه من الموافق ان تقترن بالمهار ادكار لان كلاً منهما يليق بالاخر . فلما سمعت لويز هذا الكلام ارتجفت واخذ كل من الحاضرين ينظر الى الاخر بتعجب ثم نظروا الى الارض ولا يخفى ان هذا المريض كان يكاد يشفى واعرب بكلامه عن افكار الجميع . وكان القوم في ذلك ينتظرون تحريرات وكان كلما جاء كاسبار الخادم بكيس التحريرات كانت ترتجف وكانت تسال عن الاخبار التي تاتي من ماري وتقول في نفسها هل تاتي هي بنفسها يا ترى فطلبت الى ابيها ان يخرج بها من ذلك المكان على ان الطبيب لم يقبل فالتزمت ان تبقى . وكانت مفاوضاتها اليومية مع المهار ادكار

وسيلة لظهور تعقله وصفاء باطنه وحرية افكاره غير انه سدل بين علاقاتهما ستار ولم يرتض احد منهما بان يزيحه . وبعد ذلك باسبوع ورد تحرير الى ادكار عنوانه بخط ماري ورات لويزا التحرير ورات اصفرار وجه ادكار وهو يقرا عنوانه فامسكه بيده بدون ان يفض ختامه وكانت قد وردت تحريرات ايضًا الى كل من الموجودين فاخذ كلٌ منهم تحريراته وانفرد ليقراها . والمهار مرز حمل تحريراته وجرائده ودخل بها المخدع . اما ادكار فوقف بدون ان يتحرك والتحرير بيده ثم دنا من لويز وقال لها . يا لويزا انني اطلعك على فكري وتصميمي مهما كان في هذا التحرير انني لا اقدر ان اقول ان ماري لي لان قلبي هو لغيرها واظن ان نكث العهود مرة اقل ضررًا وشرًا من ان يخون الانسان حاسياته حياته بطولها . فما اتى الحاضرة وما اعلمه من استمراري على هذه الحال يحملني على ان اقول انني لا اقدر ان اجعل ماري سعيدة . وكدت اطرح التحرير في البحيرة بدون ان اقراه ونظرك الي ينتهرني فهل ترغبين في ان تفتحيه . قالت انا . قال نعم فانني لا اخفي عنك شيئًا من متعلقات حياتي ومن اعمالي . فبادرت لويز الى فتح التحرير فتعجبت لانها لم ترَ فيه غير ورقة مطبوعة عليها الكلمات الاتية وهي قد خطب البرت فون بركنستوك ضابط فرسان ماري فون كورنك . فاخذ ادكار الورقة المطبوعة وفتحها ظانًا ان فيها سطرًا من ماري فلم يرَ شيئًا منها . فعند ذلك امسك يد لويز قائلاً انه يسوغ لي الان ان اقول ما اروم ان اقوله هل اقول انني الك نهل تشاركيني في نصيبي الوضيع . فقالت لويز ليس الان ليس الان ولا هنا فانها كانت تعلم ان اناسًا كانوا ينظرون اليهما من شرفة البيت . ثم قالت انني داخلة الى البيت . فدعت كاسبار ولم تجد غيره فحملها هو وادكار في الكرسي الى البيت

فهرولوا بابيها وكان غائصًا في قراءة الجرائد فقال لها يا لو بزقد انتخبت لأكون موضوعًا للانتخاب مرة اخرى فسنصرف الشتاء القادم في العاصمة . فهزت راسها . فقال اما تصدقين انني سانتخب . قالت هذا ليس بالسبب ولكنه وقوع الانتخاب عليَّ وانا انتخبت . فارجوك يا اذكار ان تتكلم . ولم يكن يقدر ان يتكلم فدنا ابوها منه وقبله ثم قبل بنته وجلسوا معًا في حظ وسرور وقال اذكار انني اقدر ان اقدم لها معينًا ثابتًا معتدلاً . فتبسم ابوها ووصف له منزله الجميل الذي يليق بمصور حاذق فعند ذلك وقفت بدون ان تشعر بالم فامر الطبيب بربطها برباط واحد اما وكيل الاتحاد وامراته فكانا قد امتنعا عن ان يجعلا اتصالاً بينهما وبين الغرباء الذين كانوا ياتون البيت المذكور لانهما كانا مكتفيين ببنيهما وجمال الطبيعة الذي كان محيطًا بهما غير انهما كانا قد جعلا اعظم اتصال بينهما وبين الهارمرز وكانا يحتفلان به وكان صاحب البيت وصاحبته يقابلانه بكل ترحاب واعتبار وكان يشكرهما ويمدحهما حتى ان الخادم كاسبار كان يتنوز بالتفاتهما . فدخل مخدع الهارمرز وقال له انك من عائلة كريمة فليس من شانك ولا شان كريمتك ان تقوما باحتفال خطبة في هذا المكان وزوجتي قد طلبت اليَّ ان اطلب اليكما ان تقوما به في بيتنا . فقبلا دعوته بسرور واقيم الاحتفال في بيته تحت مناظرة زوجته وعنايته . ولبست لو بزخاتم الخطبة واول شيء اقامت به باليد التي كان فيها كتابة تحرير باسم ام اذكار . ثم وضعت يدها بيده وسارا الى البيت عند شاطئ البحيرة وهذه الخطبة جعلت كل القوم في سرور والمريض بالسوداء سبق الجميع الى تقديم التهاني والتبريك وكان يتقدم الى الشفاء بالتدريج بمعاشرة قوم شانهم الضحك والسرور . ثم جاء الاولاد حاملين الزهور واشترك بتلك الافراح زوجات المصورين وسائر المقيمين في البيت . اما كاسبار الخادم فجر مدفعًا صغيرًا الى مكان في التل فوق الصخرة التي سماها اذكار صخرة نيشان اللوجيون دونور وقال لصاحبة البيت ان تخبر النساء لئلا يخفن عند استماع صوت اطلاقه . وذهبت لو بزوخطيبها الى الجنة وتحدثا عن الزمان الذي صرفاه قبل الخطبة في ذلك المكان . وفي الليل ركبا قاربًا وسارا به في ضوء القمر الى داخل البحيرة ورتلا هناك فسمعهما كل الذين في البيت وقالوا ما اشد فرح قلبيهما بانفرادهما

وبعد ذلك برهة رجع الهارمرز ابوها الى بيته فلاقاه سائق مركبته الى محطة الطريق وعند وصول المركبة النارية اليها فتح باب مركبة اهل الرتبة الاولى وترحب بسيده قائلاً له اهنئك بوقوع الانتخاب عليك غير انني ارجوك ان تعذرني بتاخير التبريك بزواج الخاتون لو بزكريمتك فاسمح لي ان اسالك هل ترجع مع زوجها الى هنا او لا . اجاب كيف لا انها ستعود معه في الربيع فانهما الان في باريز . وعند خروج الهارمرز من المركبة شعر بالبرد فان هواء الشمال ليس كهواء الجنوب . فقال له رئيس المحطة لا تتعب نفسك بالصناديق فانني ساعتني بها واذهب لئلا يضر بك البرد . فلم يجبه الى ذلك بل قال له ان بين الصناديق صندوقًا لا بد من ان اعتني به بنفسي . فقال له رئيس المحطة انك لم تفعل كما فعلت ماري صديقة بنتك فانها ادخلت المركبة كلبًا ملفوفًا كانه ولد . قال لا ولكن فيه صورة بن تصوير صهري فزرني لاريك اياها . قال ما هي يا ترى هل هي مون روزا او مكان اخر . قال لا انها مكان مشرف فوق بحيرة الكانتون الاربعة ولا يعرفها احد غيرنا وكان اسمها صخرة نيشان اللوجيون دونور اما الان فاسمها صخرة الحب

(انتهت)

ملح

من قلم عيسى افندي الخوري وكذلك ملح الجزء الماضي وبعض ملح الجزء الذي قبله وهي من نامو

ان امطرت وان لم تمطر

رجل له ابنتان في قرية تبعد قليلاً عن قريتهِ وكانت احداهما متزوجة بفلاح والثانية بفاخوري ففي بعض الايام قصد زيارتها وبينما كان عند الاولى سالها عن حالها فقالت بئس الحال فان كل ما لنا تحت الارض والمطر قد تاخر وبعد قليل ان لم تمطر نمسي فقرا ويذهب كل تعبنا وكدنا باطلاً . فتكدر جدًّا وطلب الى الله متوسلاً ان ينزل المطر وتحسن حال ابنتهِ ثم تركها وسار الى الثانية ولما استقر سالها عن حالها فقالت اننا قد جبلنا آنية كثيرة كبيرة وصغيرة ووضعناها في الشمس لتجف وعلى ما يظهر ان الافق قد تكاثفت فيهِ الغيوم فان امطرت يذهب تعبنا سدًى ويفوتنا البيع في الموسم ونصير من افقر الناس فتكدر ايضاً من حالة ابنتهِ الثانية وحار في ما يقول ولما رجع الى بيتهِ سالتهُ امراتهُ عن احوال ابنتيها فاجابها ان امطرت وان لم تمطر يا لسوء حظك وتعاستك

حبل الكذب قصير

ادعى مصري بزيارة مكة المشرفة فسار الى الشام واقام بها مدة ثم عاد الى وطنهِ فزارهُ احد اصدقائهِ وبث لهُ شوقهُ وسرورهُ برجوعهِ بالسلامة وفي اثناء الحديث سالهُ قائلاً كيف زمزم فاجابهُ انهُ رجل لطيف ومعتبر وملقاهُ حسن ضفناهُ وبتنا ليلة عندهُ فقال ما تقول ان زمزم بئر مشهورة وليس رجل فاجابهُ صدقت لكن حفروها بعد ما فارقنا ذلك المقام

مغفل

سال مغفل عن قمر الدين هل هو حياكة ام دلك فقيل لهُ حياكة فقال قبح الله المسدي والقتال والصانع فانهم ياكلونهُ ولا يبقون ربعهُ

اعتذار جميل

كان لابرهيم بن طهمان معاش من بيت المال فسئل عن مسالة في مجلس الخليفة فقال لا ادري فقالوا لهُ تاخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تدري اجابة مسئلة فقال آخذ على ما ادري ولو اخذت على ما لا ادري لفرغ بيت المال ولا فرغ ما لا ادري فاعجب الخليفة جوابهُ وامر لهُ بجائزة فاخرة وزاد لهُ في معيشتهِ

جواب مقنع

حبلت امراة رجل قبيح الصورة جدًّا فقالت لهُ الويل لك ان كان المولود يشبهك فقال والويل لكِ ان لم يشبهني

الطاهرة

اعطت امراة جاريتها درهماً وقالت اشتري لنا بهِ هريسة فذهبت ثم رجعت وقالت ياسيدتي سقط الدرهم مني فقالت ياردية الا تخشين بان تكلميني بكل فمك وتقولي ضاع الدرهم فامسكت الجارية نصف فمها بيدها وقالت بالنصف الاخر وانكسرت ياسيدتي الزبدية

من قلم غيرهِ

اتفق ان رجلين كانا سائرين معًا وهما يتكلمان عن الامور السياسية فقال احدهما ان العصاة طالبون المدنة فاجابهُ الاخر فسروا كيف يعطيهم المدنة وهي تكاد تكون بقدر استنبول

الجنان

الجزء الحادي والعشرون
في ٢١ تشرين الاول (نوفمبر) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

ان اختلاف الدول علة اتفاقهم وصالحنا في ذلك الاختلاف ما دام الاتفاق ناشئاً عنهُ وقبل الوقوع في الياس لا يخطر لنا ببال ان نرقي اسباب ذلك الخلاف ليصير شقاقاً يجعل الدول تتقاضى الى السلاح لانهُ مهما كانت ارباحنا من الحروب لا توازي خسائرها وعاقبة القتال مجهولة في الغالب بل دائماً الا انها لا تكون كذلك عندنا فان حلفاءنا متى ما ثبتوا لا يثبتون الى ان يغلبوا لترجح ما يزيد عن الارباح التي نعلق الامل بالحصول عليها الان ومن المقرر عندنا ان قصر زمان الحرب ربح لنا وطولهُ خسارة فما كان يكتفى بهِ قبل دخول السرب والجبل الاسود لم يكتف بهِ بعد ان اشهرتا الحرب وما كان يرضي العدو وعاضديهِ قبل التعديات البلغارية بات لا يرضيهم الان ولذلك نرى الاصابة في المبادرة الى وضع قواعد ينشأ عنها انقطاع الحروب ومع ان الدول الست التي تتعاطى صرف المشاكل ذات قوة واقتدار قد امست بالنظر الى الصعوبات الجارية ضعيفة جداً فان صوالح بعضها في الشرق قد امست اغلالاً لايدي البعض الاخر وقد تعاقبت اجراءاتها بهذا الشان وذهبت سدى قبل ان انفذت بل قبل ان خرجت من القوة الى الفعل فلائحة الكونت اندراسي ولائحة روسيا البرلينية ولائحة الباب العالي ولائحة انكلترا قد ظهرت وتوارت في غايات السياسة الملتفة بدون ان تاتي بالمقصود وعقبها طلب روسيا حلول جنودها وجنود النمسا في البلغار بدون ان تاتي بتغيير في الاحوال وهذا دليل اهمية صوالح الدول الضامنة في الشرق فما يوافق احداها لا يوافق الاخرى وقد تقرر في عقول الناس اجمع بكلام رجال السياسة ان صعوبة صرف المشكل يرافقها الخوف من وقوع حرب اوربية ناشئة عن مباينة صوالح الدول وقد قلنا في صدر هذه الجملة اننا لا نرى لانفسنا خيراً في انتشاب نيران الحروب الاوربية ولئن اعطى الله النصر لحلفائنا فان ما يجعل واسطة لعقد الصلح بعد ان ترجح كفة النصر لهم لا يكون بعيداً عما قد تقرر عندنا اكثرية الدول انهُ الواسطة الحالية لصرف المشكل وتقرير هدنة طويلة بعد امتناع حكومتنا عن قبول هدنة قصيرة دليل رغبة الدول في قطع المحاربات بامل بلوغ تسوية تبعد مخاطر الحروب ولا ريب في ان تاخير التسوية الى اخر المدة المذكورة او مرورها بدون الوصول الى الصلح يضر بالمتحاربين وبالعالم قاطبة وربما كان يجعلنا ننتهي حيث ابتدانا ووضوح ذلك يجعلنا نقول انهُ لو لم ترَ الدول الراغبة في التخلص من المخاطر المحدقة بها ادلة صريحة على امكانية

صرف المشكل بما يكون اكثر موافقة للصوالح العامة في اثناء هذه المدة لما ارتضت بهذه المدنة وصدور طلب عندها من روسيا لا يحملنا على ان نرى فيها ضررًا محضًا ولا على ان نقول اننا لا نرى الضرر ولكن لا بد من ان يكون مستترًا فان ما لاحظناه من سياسة روسيا في بادي التعديات الا كتفا بمنح اهل الفتنة ما هو اقل جدًا مما قد ارتضت الدول حتى النمسا بان تمنحهم اياه ولو كانت روسيا راغبة في المجاهرة في العدوان او قادرت على ان تجاهر به بدون خوف من مقاومة دول كالمانيا نفسها والنمسا وغيرها لما اضاعت سنوح الفرص الكثيرة الماضية وانتظرت فصل الشتاء وحملت السرب والجبل الاسود من الضيق والخسائر مع قلتهما واقلالهما ما لا بد لهما من ان تحملاه ما دامت المدنة مقررة فان كان في طولها ضرر لنا ففيه لهما اضرار فان جيوشنا في ميدان الحرب بدون ان تتوقف اشغالنا الزراعية والصناعية مع ان جيوشهما قد حملتهما على توقيف الاشغال وتقفل المدارس فان كان عدد جيشنا ثلثة اضعاف عدد جيشهم مع الجنود العاملة لا تخسر الاعمال غير جزء قليل جدًا من اكثر من مائة جزء مع ان حربهم قد جعلت في ميدان الحرب اكثر من ثلث رجالهم فامست بلادهم كلها كانها ميدان لها ونحن لا نشعر بها لولا تاثيراتها المالية وبالتالي التجارية وقلقنا الدائم الناشي عن ظلمات الاستقبال وماليتها لا تذكر بالنسبة الى ماليتنا ما دامت الخزينة لا تدفع فائض الدين والبلاد متسعة قادرة على حمل ملايين قليلة من النقود الورقية ما من خوف من الافتقار الشديد الى النقود وتهماورد الى المحاربين من احسانات السلاف لا يكون ذلك كافيًا لمصاريفهم الحربية ولم نقرر ما قررناهُ عن غرض بل مراعاة للواقع وكل من يعرف اقل معرفة حالة البلدين يرى ان هذا هو الصحيح

والمرجح ان عقد هذه المدنة الطويلة انما هو لتمكن الدول الضامنة من زمان كافٍ لفض اختلافاتهم بالمخابرات او بعقد جمعيات دولية او بهما جميعًا واحتياجها الى زمان طويل ناشي عن كثرة اسباب الاختلاف واقتدار الدولة العلية والسرب والجبل الاسود على تاخير التسوية بالامتناع من قبول كل ما يقرر لان الدول متفقة لدفع الاختلاف على حصر مداخلاتها في الكلام اي بدون الاستناد الى قوة السلاح فلا يخشى المتحاربون سوء عاقبة عدم الانقياد وقد قرانا في خبر برقي ان انكلترا قد اخبرت السرب بانها قد حرمتها منفعة حمايتها ولا نظن ان هذا صحيح لان الدولة العلية هي التي امتنعت موخرًا عن قبول قرار انكلترا والدول وقررت الاصلاحات التي نشرناها في الجنة في وقتها واعظم تباين في الصالح بين روسيا والنمسا فان الاولى ترغب في توسيع دائرة حقوق السلاف وتمنحهم من الاستقلال ما يعود عليهم بنفع عميم لتقويتهم في الاستقبال والنمسا تخشى سوء عاقبة ذلك لان في بلادها ملايين من السلاف فحصولهم على حقوق استقلالية داخلية في الممالك المحروسة يهيج قومها الى ذلك بل يكون سندًا للسلاف عندها اذا عصوا كما ان السرب والجبل الاسود اصبحا سندًا عظيمًا لعصاة بوسنه والهرسك والبلغار فصالح النمسا صالحنا من هذا القبيل وانكلترا صالحها في ان تصون الحدود العثمانية بحيث لا يقع شيء من بلادنا في يد دولة اجنبية وان تصلح احوالنا اصطلاحًا يحمينا في الاستقبال من الفتن الداخلية التي ينشا عنها ضرر داخلي وخطر خارجي ولمجاراة روسيا وميل قسم مهم من الامة لا تمتنع عن منح حقوق داخلية لتلك الولايات مفضلة الصالح الحالي على الاستقبال خوفًا من خسارتها جميعها ونظن ان الفوز يكون لمشوراتها المستندة الى

مساعدات فرنسا القلبية التي لها صوالح عظيمة في المشرق سياسية ومهمة جدًا ذات خديعة ومصالح تجارية على ان غاية ما تتمناهُ في الحال لسكون الحرب الاوربية وتاجيلها مراعاة لسياستها الالمانية ولا ينبغي ان يخطر لاحد ببال ان المانيا ولئن كانت تجاري روسيا لا تقدر ان تجاريها بما يعطلها في الشرق لان نهر الدانوب يهمها وانساع املاك روسيا في شرقي اوربا وجنوبها يجعلها في المحل الثاني ولا يوافقها مهما توسعت في اواسط اوربا ولا نرى في نسبة بعض الدول الى البعض الاخر اتفاقًا يزيد عن اتفاقها في حرب القرم ولكننا لا نعرر باختلافها الان ما دام يمنع الاتفاق لنهي الحرب وقد اضطربت الافكار بما شاع خطأ من تنحي امبراطور روسيا وجلوس نجله على عرشه وقال الناس ان ذلك توطئة لحروب وغير ذلك فلا ينبغي ان نكتفي بتكذيب الخبر لانهُ طالما شاع ذلك ولا يبعد حدوثهُ بعد زمان قصير او طويل وتغيير الوزارات في البلدان المنظمة دليل فشل سياسة او تغيير سياسة على ان تنحي والد لولده لا يدل على ذلك فان ما لا يرضاهُ الاب لنفسه لا يرضاهُ لابنه وما لا يفعلهُ هو مراعاةً لصوالح او خوفًا من موانع لا يعرض ابنهُ لفعله وليس من عادات روسيا مراعاة ميل العامة لانها جاهلة وربما كانت لا تميل الى جهة دون اخرى الا بارادة الدولة بواسطة الجرائد وقد راينا حضرة امبراطور روسيا يصرف زمانًا طويلاً من كل سنة خارج عاصمته مراعاةً لصحته فان تنحي يكون لذلك ولا نستغرب ان نسمع بعد برهة من الجرائد الروسية ان الامبراطور المشار اليه ابعد الان عن التنحي مما كان قبل حدوث الصعوبات الجارية ومضادة المجر للسلافيين اشد من مقاومة كل الامم وخطاب وزيرها الاول يريح الافكار من جهة المحافظة على السلام كخطاب وزير

خارجية انكلترا وفيه ان تشكيات النمسا والمجر جعلت امبراطور روسيا يامر بالامتناع عن الترخيص لضباط روسيا وجنودها بالخروج من الخدمة العاملة موقتًا والمقصود انهُ لا يمكنهم ان يتطوعوا بعد الان لمساعدة الصرب لانهم بدون الرخصة المذكورة لا يتيسر لهم ان يبارحوا صفوفهم ومامن احد ينكر ان في الدنيا اخطارًا على ان الخوف من عظمتها وسوء عواقبها حصنها الحالي وكنا نود ان تكون المدنة اقصر لقرب ظهور النتيجة على انها مع طولها اوفق كثيرًا من الحرب واذا كان لا بد من الصلح لا يتاخر ظهور ما يدل عليه وامتناع الدولة العلية عن قبول لائحة انكلترا انما هو لتخفيض الشروط ولا بد من ان تعود انكلترا الى الالحاح بقبولها ونومل ان تخفض كما اننا نخاف ان يزاد باطالة زمان الحرب او بحدوث مغايرات جديدة ولا نظن ان التشكيات العظيمة المهمة التي قدمها غبطة بطريرك الارمن الى الباب العالي هي لمقصد سياسي لان الارمن من اشد الناس محافظة على صداقة الدولة العلية وقد قال البطريرك انهُ قد قدمها لاظهار لزوم اصلاح الادارة فانهُ في نحو عشرين سنة قتل منهم نحو الف بدون اظهار القاتلين وقد ادعى بامور كثيرة منها ما يذكرنا بما قراناهُ في الفرمانات العالية الاخيرة وكتابات الوزرا العظام وخطبهم عن سوء الادارة وما نشأ عنها من سوء الحال للدولة والرعايا وذكرنا ايضًا بجمل كثيرة مطولة ادرجناها في اكثر من اربعين جزءًا من الجنان حتى مللناها فانها ولئن كانت متفرعة لها تاثيرات واحدة وهي الضعف والفقر وبالتالي الخراب وقد اجمع الناس على انهُ لا تكون لنا سلامة استقبالية ثابتة ما لم تصر كل امم الدولة العلية امة واحدة عثمانية في الصالح والحقوق ووطنها مكان راحة ورغد وعدل ورفاهية وذلك كما تقرر في فرمان حضرة مولانا الاعظم

وقد طالما ابنا المنافع التي تنشاعن اتضمامنا امة ذات مركز مهم كالاستانة وعن اضرار انشقاقنا فالاوفق ان نوجه تاملاتنا الى ذلك في اثناء المخابرات الصلحية لنكون على استعداد عند ما تقرر الامور الجارية

الدول والمسئلة الشرقية

قالت جريدة التيمس ان مركز المسئلة الشرقية قد بات في الايام الاخيرة ظاهرًا اكثر مما كان في الماضي وقد فاز الناس بالحصول على براهين لا يمكن يخطئ الانسان معها في ادراك حقيقة الحال ومن الموكد انه من اللازم ان ننظر الى ما ورا قصاص الذين تعدوا في البلغار واجرا ما يمنع تكرار حدوث تعديات مثلها وان حكومتنا امست في وسط صعوبات تدعوها الى افراغ الجهد في تدقيق النظر والثبات التام . ولا ريب في ان روسيا تحب ان تساعد البلغار بين على انهُ لا يصعب علينا ان نخمن جواب البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول اذا قالت انكلترا انهُ من الموافق ان تحل جنودها في البلغار كما قال السار هنري هافلوك . وقد سبقها الروسيون الى طلب ارسال جنودهم الى بلاد الدولة العلية ليحلوا في الاراضي التي طالما اشتهوا ان يحلوا فيها . على انهُ قد ظهر انهُ اذا حلت روسيا فيها تبادر النمسا الى محاربتها . وقد اتضح ذلك بالجواب الاخير الذي بعث بهِ امبراطور النمسا الى امبراطور روسيا ويقال ان انكلترا قد سلكت مسالك الحكمة وقالت انهُ اذا جرى ذلك تحفظ لنفسها حرية الاجراء . فاذا امست جنود روسيا والنمسا يراقب بعضها البعض الاخر في الولايات الثائرة والباب العالي يجمع جيشًا مهيجًا من المسلمين ليدافع عن نفسهِ يمسي العالم ينظر الى ما يخيف . ولا نقول ان ذلك مما يترصد حدوثهُ ولكنهُ مما يمكن حدوثهُ ويجب ان ننتفع من ذلك بالاكتفاء بالانتظار بالصبر الجميل ما ينشا عن المخابرات المصرية المتتابعة . فاذا اجردت روسيا والنمسا السيف تفتح ابواب معارك ربما كانت تفوق كل المعارك التي جرت منذ بداية هذا القرن ومن الواجب ان تعتني الحكومة بامر واحد وهو تسوية المشاكل بدون تكدير السلام وينبغي ان نحصل على مسا يتيسر الحصول عليهِ مكتفين بذلك ومفضلينهُ على كل شيء اخر

المرحوم يوسف شكور

من ادارة الجنان في مصر

ان النازلة التي المت بآل شكور منذ ايام قليلة عظيمة فان المنية قد خطفت من بينهم المرحوم النبيه الحاذق الخواجا يوسف شكور الذي قد اشتهر فضله بمصر بين الخاص والعام هذا خلا ما كان لهُ من الشهرة بعمل الخير ومحبة الغربا والايادي البيضاء في كثير من البلاد وقد بكى عليهِ كثيرون من اصدقائهِ ومعارفهِ والذين كان يحسن اليهم وجميع من راى ما كان عندهُ من الخلوص وحب الخير العام فانهُ طالما افاد كثيرين بارشاداتهِ وتعاليمهِ واكتسب محبة الجمهور مدة مناظرتهِ على المدارس الخيرية الانكليزية في مصر التي اسستها حضرة مسس هويتلي المشهورة بعمل الخير وكان قد سبقهُ الى هذا العمل المبرور المرحوم اخوهُ منصور شكور وترك ذكرًا حسنًا وقدوةً صالحة لا تمحى بمرور الايام وهذا افضل ما يقدر ان يتركهُ الانسان بعد موتهِ (الصيت الحسن) ولما كانت شهرة المرحوم المبرور افضل ما يقدر ان يشرحها الكاتب اكتفينا بهذا القدر طالبين الى الله سبحانهُ وتعالى ان يعزي جناب والدهِ وجناب اخيهِ علم افندي اللطيف الحاذق ويعزينا جميعًا على فقد صديق يعد فقدهُ من الخسائر العمومية

خطاب ثانٍ لوزير خارجية انكلترا

ان في الخطاب المذكور كلاماً يريح الافكار من جهة حالة اوربا لتبيينه ثبوت السلام فيها بالترجيح التام وهو جواب على خطاب القيت على مسامع ذلك الوزير عندما اجتمع اليه قوم من الاهالي المضادين للدولة العلية وفيه محاباة وتوضيحات تستحق تدقيق النظر

قد ذكرتم ثلثة امور وهي رغبة البلاد الانكليزية العامة العادلة في ايقاع قصاص كافٍ بالذين تعدوا في البلغار (لالا) وفي القيام بالتعويضات التي يتيسر القيام بها ارضاء للذين قد وقع عليهم تعدي المتعدين وقد ذكرتم ايضاً بلسان الخطيب الاخير وبالعرض الذي قدمتموه الى حضرة الملكة الذي ارسل اليَّ مع القرارات بانكم راغبون في ان تجمعوا المجلس العالي في فصل الخريف . وقد دخلتم طبعاً في امور سياسية اعم واوسع تبييناً لارادتكم المتعلقة بالسياسة التي تودون ان تقوم بها الحكومة الانكليزية بالنظر الى الشرق . فياسادتي المامول انه لا يخطر لاحد من الذين تكلموا هنا ببال انني مقصر في احترامه لانني لا ابحث عن الامور التي ذكرتها عهدتكم بالافراد . واظن انه يسهل عليَّ ان اوضح كلامي الذي اعترض عليه مستر مورلي ولئن كنت لا اتذكر الزمان الذي تفوهت به وليس عندي ما قلت لاراجعه . واظن ايضاً ان احد المتكلمين لم يعدل بالتاويل الذي نسبه الى الكلام الذي تكلمه الوزير الاول في الاسبوع الماضي على ان هذه امور طفيفة (قال قوم لا) . وعندي ان الاهم الوقوف على اراء الحكومة والسياسة التي عولت على انفاذها بالنظر الى هذه المسئلة الاوربية العظيمة وليس الاعتراض على كلام جرى في وقت سابق (اسمعوا اسمعوا) . ولا يلزم ان اطيل الجواب على الموضوع الذي ذكرتموه اولاً لانني اظن اننا على اتفاق من جهة القواعد العامة المتعلقة بما ينبغي ان نفعل لانه امر بسيط متعلق بانفاذ العدل ولا يتضمن صعوبات واختلافات ذات ارتباكات . ومما يحملني على ان لا اطيل الكلام بشانه ما اعلمه من انني بعد ايام قليلة اتمكن من نشر تحرير رسمي ارسل الى سفيرنا في الاستانة العلية وسترون فيه التفاصيل التي تدل على اراء الحكومة بهذا الشان وما طلبته مما يتعلق بالتعديات البلغارية . فان السفير المومأ اليه قد أُمر بان يطلب المثول لدى الحضرة الشاهانية ليبين لها الواقع بالتفصيل والتصريح واظهار اسماء الذين قد قرر مستر بارن بانهم علة التعديات المذكورة وان يطلب قصاصهم و يبين ضرورة المبادرة الى اتخاذ الوسائل اللازمة لتخليص الذين وقع التعدي عليهم من ضيقاتهم . وان يعتني بالخصوص بما يدعى به من سلب نساء واخاف ان يكون قد حدث كثير من ذلك . ولا بد من البحث عنهن وايجادهن اذا امكن وارجاعهن الى بيوتهن (اسمعوا) . واحب ان انشر ذلك التحرير في الحال . على ان كثيرين منكم يعلمون انه ليس من العادة ولا من الموافق ان تنشر تحريرات كهذه التحريرات في البلاد قبل ان ترد الى السفير وقبل ان يتمكن من ان يقوم بالاجراآت اللازمة (اسمعوا اسمعوا) . وعند ما يبلغني ان السفير قد مثل لدى الحضرة الشاهانية ابادر الى نشر التحرير المذكور في الجرائد . واطلب اليكم ان تؤخروا حكمكم الى ان ينشر . ولا يلزم ان يطول زمان انتظاركم ولا اظن انه يقع خلاف بيننا او بيننا و بين قوم اخر من الانكليز . واقول بالنظر الى كلام تفوه به احد الذين خطبوا من رجال هذه العمدة انه ليس من متعلقات الذين عليهم مسئولية ادارة المهام العمومية ولا سيما الذين يديرون الامور الاجنبية ان يتكلموا في

الاجتماعات العمومية كلاماً ربما كان يقدر ان يتفوه به بدون ضرر الذين ليسوا بمسئولين مثلهم (اسمعوا اسمعوا) فان الذين اعمالهم محصورة بالكلام يقدرون ان يتكلموا بما يخطر لهم ببال ان يتكلموا به (ضحك) على ان المسئولين بالعمل هم في مركز يختلف عن مركز اولئك ويحكم عليهم ليس باقوالهم ولكن باعمالهم (اسمعوا اسمعوا) فيا سادتي انني على همة التكلم عن موضوع اشار اليه الخطيب الاخير وقد سررت بذكره له لانه موضوع مهم جداً اعني به طلب اجتماع المجلس العالي قبل احلول زمن اجتماعه. ومن المعلوم عندكم انني لا اتكفل الا بتبليغ الوزارة ما قلتموه بهذا الشان. ولا يحق لي ان ابدي رأياً خصوصياً عن ذلك. فان تقرير ذلك متعلق بالوزير الاول والوزارة وليس بي وحدي. على انه ربما كانت تخطر لكم امور بدون ان اذكرها ولذلك ساشير اليها فاقول ان جمع المجلس قبل عيد الميلاد غير اعتيادي وبعمب كثيرين. واظن انه لم يجر ذلك غير مرتين في عشرين سنة. وجمع فيهما لانه طلب تقرير امور محتاجة الى تقريره ولذلك لم يكن سبيل الى التاجيل. وجمع في شتاء سنة ١٨٥٤ عندما دخلنا حرب القرم ومست الحاجة الى تقرير امور كثيرة مختلفة متعلقة بالقيام بالحرب. وجمع مرة ثانية سنة ١٨٦٧ عندما وقعنا بسوء الحظ في حرب الحبشة وظهر ذلك في فرصة المجلس فجمع قبل حلول اجل اجتماعه ليقرر المصاريف اللازمة. اما الان فلسنا في حرب ولا نرى اقل شيء يدل على اننا سنشتبك بحرب (اسمعوا اسمعوا). فلا يلزم ان نطلب تقرير مصاريف ولسنا بمعولين على ان نطلب الى المجلس تقرير امور مهمة لا يمكن تاجيلها (صاح قوم آه) فاكرر ما قلته من انه ما من شيء مهم ليقرر. واظن انه لم يخطر لكم ببال ان تسوية امور الشرق تكون بتقديم نظام الى المجلس العالي ليقرره (ضحك) فما من سبب لجمعه غير سببين احدهما ان يكون له نفوذ في المخابرات الجارية (اسمعوا اسمعوا) والاخر ان يحكم حكماً موافقاً او غير موافق بهذه المخابرات عند اتمامها. ففي الامر الاخير لا ارى سبباً لتقريب زمان جمعه. فانه اذا كان الامر محصوراً بتقرير صوابية ما جرى من المخابرات او خطائه بعدان يتم فيمكن ان يجري ذلك في كانون الثاني (جنيوري) او شباط (فبريه) كما يجري في تشرين الثاني (نوفمبر) واقول مع اعتبار حكم الاخرين بهذا الشان. ولكن اذا كان المقصود انفاذ سطوة المجلس العالي في المخابرات الجارية (اسمعوا اسمعوا) فاطلب اليكم ان تعذروني اذا قلت انهما اسرعتم في جمعه فربما كنتم تتاخرون عن جمعه في الزمان الموافق لذلك (ضحك). ومن المعلوم انني لا اقدر ان اخمن عواقب المخابرات الجارية ولكن اذا جرت بهدو كالمامول فمن الممكن ان تقرر كل الامور الجوهرية بين الدول قبل ان يتكمن المجلس العالي من الاجتماع. ولا ريب في انه ضمن دائرة الامكان حدوث احوال مهمة ذات خطر على اوربا حتى انه يحق للعموم ان يطلبوا جمع المجلس العالي والحكومة نفسها ترغب في ذلك لتقوية يديها. وذلك مما هو ضمن دائرة الامكان وليس مما قد حدث. ومن واجباتي ان اقول لكم انني لا ارى ان ذلك مما يحدث. واذا اظهرت ارائي ترون انني لا اظن انه يقع تكدير في سلام اوربا ولا سقوط هيئة السلطنة العثمانية (صاح قوم آه). وعندي انه ما من سبب يحملنا على القيام بامر لم نقم به الا في زمان حرب او حدوث امر وطني مهم حال كون السلام سائداً في اوربا والراحة عامة في كل الامور الداخلية وكان حرب امركا وحرب فرنسا والمانيا اهم كثيراً من الامور الجارية الان (قال القوم لا). بل كانت

أم من جهة اتساع الدائرة وعدد القتلى واهمية العواقب بالنظر الى احوال الدنيا . وكانت الآراء مختلفة حينئذ كما هي مختلفة الآن بشأن السياسة التي ينبغي ان تعول حكومتنا عليها . ومع ذلك لم يرَ لزوم لجمع المجلس العالي قبل حلول زمان اجتماعهِ للبحث عن متعلقات تلك الحروب . فهذه امور اكلمكم بها لتتاملوا فيها واكرر ما قلتهُ من ان الاحوال الجارية ليست مما يمكن الحكم بهِ في الحال ولا اقدر وحدي ان اتعاطاها واعيد ما قلت من انهُ مما اعرضهُ للوزارة . فلنتكلم عما يتحتم الكلام عنهُ وهو اوسع دائرة لانهُ متعلق بالسياسة العامة . ولا بد لي من ان اقول بتصريح تحبونهُ انني لا اقدر ان اوافقكم على امر قررتموهُ في الخطاب الذي قدمتموهُ للملكة وهو ان اساءة معاملة النصارى في الشرق ناشئة عن عضد الحكومة الانكليزية للباب العالي . وانا انظر الى هذا الامر من جهة معاكسة كل المعاكسة للجهة التي تنظرون اليهِ منها . ولما كان يظن في اوربا منذ قرون انهُ من الواجبات الدينية محاربة الاتراك كانت الامم المسيحية الخاضعة لهم طبعاً تنتظر سوء المعاملة . وعدم الاحتمال الديني ليس بمحصور في امة او طائفة واذا اظهرنا قليلاً منهُ نتقوى في مضادتهِ في جهات اخرى بدون ان نعرض انفسنا لتوبيخات ضمائرنا (اسمعوا اسمعوا) . وهذه ملاحظة قد ابديتها بالعرض . ولو كانت ظروف هذا الاجتماع موافقة للبحث عن هذه الامور لابنا بسهولة انهُ لم تمضِ دقيقة منذ حرب القرم بدون ان تبذل سطوة انكلترا لاظهار سوء ادارة او الاشارة اليها . وانا انكر ما نسب الينا من اننا تحزبنا للاتراك لمضادة النصارى (صرخ قوم ما هذا ما هذا) ولكننا طالما اجتهدنا في المحافظة على استقلال اراضي السلطنة العثمانية . وقد قلت في اجتماع سابق في هذا المكان لقوم غير المجتمعين الآن ان ذلك هو غير ما نسب الينا . ولا ريب في ان الاحوال قد زادت ارتباكاً في اثناء السنة الماضية ولا ينبغي ان تنظروا الى اماكن بعيدة لتروا الاسباب التي جاءت بهذه النتائج . ولا نبالغ اذا قلنا ان السنة الماضية امست سنة اضطراب في الادارة العثمانية حتى باتت اكثر دوائرها غير جارية في مجراها ولا نستغرب ذلك بعد ان نرى ان السلطان الاسبق كان غير صحيح العقل والخزينة فارغة والحرب الاهلية المنتشبة ذات عضد خارجي والوزراء والمامورون يرسلون من مامورية الى مامورية ظرف يوم . والامر الصحيح هو ان تبينوا لنا ماذا ترغبون ان نفعل (اسمعوا اسمعوا) . وانني اشكر جداً الذين يقولون انهم لا يرغبون في ان يجعلوا ايدي الحكومة مرتبطة ويبتعدون عن ان يشوروا علينا بالسياسة التي يجب ان نقوم بها واقول مع المحافظة على ملاطفتهم انهم اذا حاولوا ان يشوروا علينا بتفاصيل السياسة التي ينبغي ان نتبعها اوجدوا ان ذلك اصعب كثيراً من اظهار ما جرى من سوء الادارة والتعدي . وقد طرح امام الناس اسباب مختلفة ومنها ما اشار بهِ مستر لو وعضدهُ في خطاب خطبهُ موخراً في كرويدون وهو ان نغسل ايدينا من العمل كلهِ تاركين السلطنة العثمانية تذهب حيث تشا . وكفانا ان نرد على ذلك بقولنا انهُ اذا اجريناهُ وحدثت تعديات وحروب وارتكابات هاجت الحاسيات في الامة الانكليزية كما هاجت في هذه المدة الاخيرة بحيث نمسي غير قادرين على ان نستمر محافظين على تلك السياسة المبنية على التنحي (اسمعوا اسمعوا) . ولا اقول شيئاً عما ربما كان يحدث في الاستانة العلية فانني عالم انهُ اذا تكلم وزير انكليزي في الحال عن المصالح الانكليزية المتعلقة بالامور الشرقية يتكلم عن امر غير مقبول عند الامة ومن الشروط الاولية في السياسة ان تكون مما يمكن اجراؤهُ وترك المسئلة الشرقية لتساوي نفسها في

الظروف الحالية ليس من الامور التي يرغب فيها ويمكن اجراؤها (اسمعوا اسمعوا) . وقد اشير بامر اخر وقد اصبح مقبولاً عند كثيرين من اهل هذه البلاد حتى ان بعض مشاهير رجالنا قد عضدوه بهمة والحاح وهو ان لا يترك الاتراك حاكمين في اوربا بل ان تترك لهم سيادة اسمية وجزية معينة وليس اكثر من ذلك (اسمعوا اسمعوا) . واظن انكم تصبرون الى ان اعترض على ذلك من وجه او وجهين . فاقول اولاً اذا كانت تلك السياسة سياسة صحيحة لا ارى ماذا يجعلكم تحصرون انفاذها في البلاد التي حصرتموها فيها . فاذا كان لما يقال صحة من ان حكومة الباب العالي اذا اصلحت او تغيرت اصولها تكون ردية جداً فاذا كان هذا رايكم لا اعلم الاسباب التي تجعلكم تغضون النظر عن الملايين الكثيرة من المسيحيين الذين يقطنون الولايات العثمانية في اسيا . ولا اعلم ماذا يجعل الاستانة حد مداخلاتكم ولم اسمع بان احداً اشار بما ياول الى نفع اولئك الاقوام . وانتم عقلاء عادلون لا يخطر لكم ببال ان حكومة الباب العالي تقتل نفسها سياسياً ولا انها ترتضي بان تخرج من اوربا بارادتها (اسمعوا) ولذلك لا بد من استخدام القوة (اسمعوا وقال احد الحاضرين اننا لا نعترض على استخدام القوة) . انكم لا تعترضون على ذلك (صرخ قوم لا لا وقال رجل اننا لا نريد ان تحدث حرب) انكم لا تعترضون على ذلك ولكن من يقوم به (قال رجل روسيا) فمن يا ترى يكون معكم . انني اخبركم بالذين يكونون ضدكم . واقول انه لا ريب في ان دولة واحدة اوربية على الاقل تضاد انشاء مملكة سلافية عوضاً عن سلطنة عثمانية بقوة السلاح ففرنسا والمانيا وايطاليا تحافظ على الحيادة والان عندما قلت من يا ترى يسعفكم قال احد الحاضرين روسيا . فاجيب ان روسيا لم تشرط بتغيير عظيم كهذا التغيير . ومن المعلوم ان من الصعب اللطيف تخمين سياسة حكومة في ظروف لم تقع ومع ذلك اقول انني اظن ان ذلك التغيير ليس مما يوافق روسيا . ومن اللازم ان تعلموا اننا مهما كنا ليس رجال السياسة الاجانب والوزارات الاجنبية ذات تحرك شديد . وليس من الممكن ان يساقوا الى عمل كذلك العمل ما لم يروا منافع وطنية ربما كانت تصدر عنها . ففي هذه الظروف اذا راعينا الامور التي تميلون اليها نبيت بدون حليف ولنا على الاقل دولة واحدة اوربية مضادة ويكون عملنا ان نخرب ما عملناه في عشرين سنة وتمسي اوربا كلها متحيرة من سرعة تغييرنا حتى انه ربما كان كل من رجال السياسة في اوربا ينسب الينا اغراضاً غير ظاهرة تاول الى توسيع املاكنا وتعظيمنا (اسمعوا اسمعوا) . ولا اذكر الصعوبات الاخرى التي تنشا عن الحسد الطبيعي وتضاد الاجناس . وانا اعلم ان العموم في انكلترا يظنون ان كل مسيحيي الدولة العثمانية في اوربا واحد وان بعضهم يتفق مع البعض الآخر على ان هذا بعيد جداً عن الواقع . فالكاثوليك وهم كثيرون بعيدون جداً عن الروم . وبين الامم السلافية والروم اشد الحسد . وفي السلطنة العثمانية في اوربا اقلية من المسلمين ولكنها ثابتة العزم فماذا يا ترى تكون نتائج حرب اهلية منتشبة بين هولاء الاقوام وما هي يا ترى المقاتل والتعديات والارتكابات التي تنشا عنها قبل بلوغكم المرام (اسمعوا اسمعوا) . هذا وانني اتكلم عن اجراء التغييرات التي نتكلم عنها بوسائط جبرية لانه من الموكد انه اذا لم يجر ذلك بالقوة لا يجري في ايامنا . فهذه الاسباب مع صعوبات القاء الاتفاق بين اقوام في حالة نصف تمدنية حال كونهم من مذاهب مختلفة ولا يعرفون واجبات الادارة تحملني على الاقرار بان منح الاستقلال التام

اي انشاء دول امارات جديدة. تدفع مالاًما لا يمكن اجراؤهُ في الدائرة السياسية (صاح قوم لا لا) وما من حكومة في اوربا قد اشارت بذلك ولا خطر لها ببال ومن المقرر عندي اننا اذا اشرنا به نبيت وحدنا (قال احد الحاضرين فلنبقَ وحدنا) وساذكر ملاحظة سمعتها من صديق معتبر من اصدقائي بهذا الشان وكان يميل الى منح الاستقلال التام اي ان يكون الاستقلال فعليًا تامًا في شمالي البلكان. غير انهُ لم يتجاوز ذلك الحد فاقول عن نفس ما قلتهُ عن مسيحيي البلاد العثمانية في اوربا اذا لم ينتبه الى النصارى في اسيا. فلا ارى سببًا يحملكم على ان تجعلوا ذلك المكان الحد اذا عولتم على اجراء تلك السياسة. فيا سادتي اسمحوا لي بان اقول لكم ان بين قولي انني ارفض ذلك الراي لانهُ لا يتيسر اجراؤهُ وقولي ان الاحوال ينبغي ان تبقى على ما كانت عليهِ بونًا عظيمًا. فانهُ من الممكن ان نرفض منح الاستقلال السياسي وان نقبل بالاستقلال الاداري والمحلي (لا لا) انني لا احب هذه العبارة وهي ليست بانكليزية فانها مبهمة وقابلة لتاويلات كثيرة وافضل العبارة الانكليزية ومعناها قيام الاهالي بحكومة نفسهم المحلية (اسمعوا اسمعوا). على انني قد نقلت الكلمة نقلاً واظن اننا نقدر ان نجد تسوية بهذا النوع (لا لا واسمعوا اسمعوا). ولا يخفى انهُ من المفروض على كل بلاد ان تجعل موافقة بين السطوة المركزية والنظامات المحلية. واظن ان اعقل العثمانيين انفسهم قد عرفوا ان حصرهم الامور في المركز حصرًا عظيمًا غير معتدل (وقد بلغ النهاية موخرًا وهو منقول عندهم عن اوربا) من الخطا الذي قد اضر بهم. ولا اخفي عنكم ولا عن نفسي ان القيام بالاصلاحات بالمعنى الذي اشرت اليهِ من الاعمال الصعبة واجراؤها بعد تقريرها اصعب من اخراجها من القوة الى الفعل (ضحك). ومن المقرر عندي ان اجرا ذلك من الممكن ومن الواجب ان يجرب. وقد ذكرت في اوقات سابقة الحكومات المحلية ونوع النظام المحلي الممنوح لاكريت ولبنان. على انني لم اقل انهُ ينبغي ان يكون النظام المذكور عنهُ كنظامها تامًا ولكنني قد ذكرت ذلك لايين انهُ قد جرى ذلك بنجاح. وانا عالم بانني قد كلمتكم كلامًا مبهمًا عامًا. ولا اقدر ان ارضيكم بتقرير اكثر تفصيلاً. وينبغي ان تعلموا انهُ لا بد من ان تحمل ست حكومات على التعاون والاتفاق. ولا بد من ان تتحد في العمل لانهُ بدون الاتحاد يبطل العمل (اسمعوا اسمعوا) ولسوء الحظ انا في مركز لا اقدر وانا فيهِ ان اتكلم بدون ان يراقب كلامي ويوزن وانتم تعلمون انهُ لا بد لي من ان ادقق النظر بحيث لا احمل الناس على انتظار امور على غير قصد حال كونني ارى انني لا اقدر ان احصل عليها (اسمعوا اسمعوا). اما الامور التي نجد في سبيل الحصول عليها وهي مما يتيسر اجراؤهُ فهي معاملة المسلم والنصراني بالمساواة واصلاح الادارة للفريقين وامنية الانفس والاملاك والضمانات الفعلية (ضحك شديد) تضمن عدم اعادة التعديات التي قد كدرت اوربا كل التكدير (اسمعوا اسمعوا) ولا ارغب في ان استر الواقع وهو ان ما حدث في البلغار قد غير بعض التغيير مركز حكومتنا بل مركز كل حكومة اوربية بالنظر الى الدولة العلية وشرقي اوربا. اما السرب والجبل الاسود فلا اظن انهُ موافق او لازم ان اوضح آرائي من جهة الحرب التي اضرمت نارها فيها. وعند التقاضي الى السلاح كثيرًا اما تكون العاقبة غير ناشئة عن اسباب الحرب. وبالنظر الى المراكز الحربية اظن انهُ لم تفز احدى الفئتين بنصر قاطع (قال احد الحاضرين ان الوزير الاول قد قال ان السرب قد امست مدوسة) ويقدر

كل من الحزبين ان يحسب الحرب حرب سجال وان يعود الى ما كان عليهِ . ولا نقدر ان نطلب الى الباب العالي ان يمنح منحاً لاعداء قد انكسروا وانا متأكد ان احكم سياسة للباب العالي واكرمها والدول التي لها دخل معهُ الامتناع عن طلب قصاص من عدوّ غير ناجح (اسمعوا اسمعوا) . ولا اقدر ان اقول لكم ان السلام قد تقرر نهائياً ولكنني اخبركم بان اميال الجميع موافقة . وانا اومل بل وقد تقرر عندي كل التقرير اننا سنرى هذا الخلاف منتهياً بدون هرق دماء بعد الآن . فيا سادتي اظن انني قد ابنت آرائي بالتوضيح الممكن بهذا الشان واختم كلامي بملاحظة واحدة وهي لا تظنوا انكم تقدرون ان تقرروا هذه المسئلة الشرقية بمجرّد قولكم انكم تودون ان تقوموا بذلك فان الصعوبة ليست في ما ترغبون ان تفعلوهُ بل في ما يمكن ان يجري في الظروف الجارية

معاتبة تحبيبية ومداعبة ادبية

ذكر في روضة الاخبار ما نصهُ

او تصحيح غلط او نسيان وقع في صحيفة الجنان

ليس من عادتنا ان نتورك على ما قد يوجد في بعض الصحائف الخبرية العصرية من الاعاجيب او نستدرك على ما يشحن في الاوراق النشرية من الاكاذيب ولا يحملنا الحسد على ان ننتقد على احد ولا نجحد فضل فاضل او نضيع عمل عامل (قل كل يعمل على شاكلته) ولكل راحل ان يحمل ما يشاء على راحلته

وهل اثبت الانسان في الناس فضلة
بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

غير اننا اطلعنا في هذه الدفعة بالجزء التاسع عشر من الصحيفة البيروتية المكرمة المشهورة باسم (الجنان) في ضمن فصل ترجم لهُ محرره بعنوان (فحص المدارس في مصر) عند الكلام على مدرسة العميان على قولهِ فيها (وقد طبعت لهم كتب مخصوصة ذات احرف ظاهرة يشعر بها باللمس في المطبعة الخديوية) (اه) فتاسفنا كل الاسف حيث رأينا محرر هذا القول لم ينصف ولم يتحرّ الصواب فيما حرر بهذا الكتاب ولم يسعنا الا اننا لمصلحة احقاق الحق وتحري الصدق ومراعاة جانب تحرير الحوادث التاريخية العصرية على حسب ما هي عليهِ في الواقع ونفس الامر ننبه هنا على تقويم انحراف هذا الفكر ويا ليت حضرة محرر هذا الفصل اهتدى بدلاً عن قولهِ بالمطبعة الخديوية لان عدل الى قولهِ مثلاً بمطبعة وادي النيل المصرية المنشاة في ظل الحضرة الخديوية بهذه الحقبة العصرية حيث كان بذلك يصادف الصواب ويودي ما وجب حسب الايجاب ويجتنب ما يوجب العتاب

ولقد كان يومل ايضاً من فضلهِ وافضالهِ وينتظر من صفة كمالهِ وشهرة عدلهِ واعتدالهِ ايضاً ان ينوه بذكر منشيء هذه الحروف الجديدة بمطبعتهِ وينبه على اسم موسس هذه المدرسة الخيرية وناظرها بمساعدة الذات الخديوية وبيادي همتهِ كما هو معلوم وكما نص حضرة محرر الجنان المعتبرة في ذلك الفصل بعينهِ قبل ما ذكر ببعض اسطر فيما يتعلق بمدرسة البنات بالسيوفية حيث اثنى على السنت اللبيبة والناظرة الاريبة (مادامواز بلب روزه) ناظرة هذه المدرسة البديعة المصرية بما هي اهلهُ واطال فقال وهذه المدرسة متقنة الادارة والترتيب بهمة الخاتون الادبية ذات الهمة والاقدام والمعارف (روزا) (اه) نعم اصل الفخر في ذلك كلهِ يقتضي ان يرجع للحضرة الخديوية وسواه انما هو آلة عمل يستحق مع ذلك ان يذكر بالتبعية ويا ليت شعري افلم يكن ناظر مدرسة العميان المخترع لحروفها والموسس لها يحسن ادارتهِ فضلاً عن نسبة طبع كتبها لغير مطبعتهِ يستحق كذلك بعض التفات

وتنويه بذكري من كرم ذلك الجناب الادبي العالي الشان وعسى ان يكون ذلك بغير قصد بل من قبيل مجرد السهو والنسيان والا فيا هل ترى لاي سند معتمد اسند هذا القول الخطا وهل اعتمد فيه على بعض مكاتبيه بمصر القاهرة او تلقفه من افواه بعض المتقولين ببعض النوادي العلية والميادين العمومية او الدواوين الميرية حين كان مشرفًا في هذه الايام الاخيرة بهذه الحاضرة وهل لا فتح بعض تلك الكتب المطبوعة فقرأ باول صفحة منها في اي مطبعة طبعت وباشر اي قريحة ابتدعت واخترعت وباي فكرة صحيحة تالفت وجمعت ولعل حضرة محرر صحيفة الجنان لم يتيسر له لغاية الان ان يطلع على ما نشر بهذا الخصوص مرارًا متكررة في اكثر الجرائد المحلية العربية والاوربية ولا سيما في (روضة الاخبار) المصرية عدد ٢٣ المنشور بتاريخ ١٩ شعبان الماضي

ألم ياتيك والانباء تاتي بما لاقت لبون بني زيادِ

واذا كان لم يقرا في القرآن الشريف (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) فلا بد بالقليل من انه قرأ في مقدس الانجيل (ردوا لقيصر ما هو حق قيصر ولله ما هو حق الله) وكما قيل ولكن الاولى بنا ان نلتمس له في ذلك عذرًا حيث كنا نحن بذلك احرى وصاحب الدار ادرى والغريب اعمى ولو كان من ابصر البصراء او كان من احذق الادباء واشعر الشعراء واخر دعوانا شعر

اذا ما اتت من خلة لك زلة

فكن انت محتالًا لزلته عذرا

ملخص خطاب وزير خارجية انكلترا

لا يخفى ان الحزب الانكليزي المضاد للحكومة الانكليزية الحالية المحافظة على الحالة الجارية قد اوسع الطعن في سياسة مستر ديزرائيلي (قد صار اللورد بيكونزفيلد) وزير انكلترا الاول واللورد دربي وزير خارجيتها بل في سياسة الحكومة كلها وقد تقررت بعض اعتراضاتهم واجوبتهم وفي المدة المتاخرة اجتمع قوم من اعيان الاهالي بالنيابة عن الناس وساروا الى اللورد دربي طالبين اجراءات متعلقة بحوادث البلغار وغير ذلك فبعد ان خاطبه بعضهم اجابت مدافعًا عن اعمال الحكومة الانكليزية وعن الدولة العلية واظهر مبادي سياسية ذات اهمية غير انها كانت لا تزال افكارًا ولا يعلم هل تخرج من القوة الى الفعل بعد عقد المشورات الاوربية وظهور ارادة الباب العالي وما ياتي ترجمة ملخص ذلك الخطاب الطويل

لا يلزم ان اقول انني اصغيت الى الملاحظات التي اسمعتموني اياها باعتناء وانتباه بل قد اصغيت اليها بلذة عظيمة لانني عرفت صفات هذه العهدة ومن الواجب ان اثني عليكم لانكم تكلمتم كلامًا عادلًا لطيفًا بالنظر الى الحكومة الانكليزية . وقد قبلت بالرضى تاكيدكم التي يشهد بها كلام خطبكم وهي انكم لم تاتوني بغرض حزب ولكنكم قد حضرتم لتبلغوا اراءكم لرئيس الحكومة الاجرائية في النظارة الخارجية بالنظر الى المشاكل الجارية . ولذلك لا تنتظرون مني اضاعة زمانكم وزماني في المحاماة عن نفسي وعن شركائي في الوزارة ورفع التهمات التي اتهمنا كثيرون من الكتاب والخطباء بها وهم في اضطراب ناشىء عن ذلك الزمان وقد تكررت كثيرًا واظن ان المستر المحترم الذي خاطبني اخيرًا بحضوركم قد اثبتها ببعض الاثبات . وقد تكررت عموميًا على مسمع الجمهور ولا تسمح له فرص كثيرة بمخاطبتهم فاظن انكم لا تقولون انني اضيع زمانكم اذا تعرضت لذلك (اسمعوا اسمعوا) . وليس المقصود التشكي مما سمعت ولو كان غير معتدل . لانه من الطبع غيظ الانسان بالاستماع بحوادث كالحوادث المكدرة التي جرت

وعند اخذ ذلك الغنيظة كل مأخذ يحتاج الى افراغ جعبة غيظو على جهة واحدة قادرة على حمل المسئولية فمن الطبع ان يفرغها على الوزارة التي تدير المهام وقد قيل لنا اننا لم نبال بتلك الارتباكات العظيمة التي اهاجت الامة الانكليزية فامسينا مسئولين كاننا شركا المذنبين . ومن المعلوم اننا لم نسمع بها الا بعد حدوثها فلا اقدر ان افهم معنى تلك التهمة . و بقطع النظر عن كل الامور الاخرى اقول ان الوزراء الانكليز لا بد من ان يبالوا بحوادث كالمذكورة (اسمعوا اسمعوا) . ولا ريب في ان تلك الحوادث قد زادت المشاكل الجارية ارتباكًا مع انها كانت في ارتباك كاف . ومن المقرر عند كل الناس ان الحكومة الانكليزية ترغب كل الرغبة في تقرير الاضطرابات الشرقية تقريرًا سلميًا مرضيًا وان حوادث البلغار قد جاءت بصعوبات جديدة فاذا قيل اننا لا نبالي بهذه الامور هو كما لو قيل لنا انكم لا تبالون ان فزتم او فشلتم ولا ان امست اوربا في خطر مبين من تكدير السلام العام فيها . وقد قيل ايضًا اننا مسئولون بذلك لانه لولا عضدنا واشتراكنا في الحاسيات لما جرى ما قد جرى . وفهمت من ذلك ان المقصود ان يقال اننا قد اسعفنا الحكومة العثمانية في مضادة تقريرات موضوعة فارسلنا بوارج في خليج بسيكاي فاسعفنا ادبيًا وماديًا الدولة العلية ولذلك مسئولية اعمال تعصبية اقام الاهالي بها تلقى على عواتقنا . فاطلب الى الذين يتكلمون بمثل ذلك ان يتعبوا انفسهم بالبحث قليلاً ليروا بتواريخ تلك الحوادث انه لا صحة لتهمتهم . ولا يخفى اننا اتفقنا في الشتا مع النمسا على اجراء اللائحة التي قررها وزيرها مع انها لم تكن مما كان يجب الباب العالي ان يجربه . اما امتناعنا عن قبول لائحة البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول البرلينية فلم ينشر الا في ١٦ ايار (مايس) وساذكر سبب مقاومتها ولم

يقرر عنها سفيرنا في الاستانة العلية الا في ١٩ من الشهر المذكور اما البوارج التي طلبها ذلك السفير بالاتفاق مع سفرا الدول الاخرى الذين طلبوا بوارج برسالات برقية لصيانة الاهالي الغير المتسلحين من التعديات فلم يبتدا بارسالها الا في ٢٦ من الشهر المذكور . ولم تصل في ذلك التاريخ غير بارجتين او ثلث بوارج ثم تبعتها البوارج الاخرى . اما اعظم التعديات البلغارية فحدثت في اوائل الشهر المذكور واواسطه اي قبل ان طلبت البوارج الانكليزية ببضعة ايام وقبل ان عرف احد بطلبها و برفضنا اللائحة البرلينية . فاطلب اليكم ان تحكموا هل يقدر قوم من الاوباش الجهلاء ان يعلموا الصلات الجارية بين انكلترا والباب العالي بحيث يكون لها تاثير في اعمالهم حال كونهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولا يطالعون جريدة فاذا كان من المقرر عند الباب العالي بانه حاصل على مساعدات دولة اوربية او على منافع حيادتها فهل يسمح بفعل ما يسلب منه ذلك النفع . وقد قلت تكرارًا ان ما تقرر في العقول من ان انكلترا ترغب في ان ترى حربًا عادلة جارية منع صيرورة الحرب عمومية غير منتظمة وصان الناس من ويلات كثيرة . وقد قال احد الذين تكلموا الان انا مسئولون بالخصوص بما يتعلق بالدولة العلية حتى اصبحنا كاننا ضمانة . فلم ادرك اساس هذا القول فاننا لم نحارب وحلفنا في القرم ولكننا حاربنا مع فرنسا ولا ريب في ان الامة الانكليزية كانت قد استحسنت فتحها على ان كل الناس يعلمون ان الدولة التي ابتدات بالحرب هي الدولة الفرنسوية . ولا اظن ان ذلك مهم غير انني اقيم الحجة بالوكالة عن الحكومة الانكليزية على ما يقال من ان مركزنا بالنسبة الى الدولة العلية مركز مخصوص وان ذلك نشا عن تلك الحرب . وقد سمعت البعض يقولون لماذا حدثت

التعديات في البلغار. وما هو سبب عدم وجود قونسلوس لكم ليقرر بحيث تقدرون ان تقوموا بالاجراآت اللازمة قبل فوات الفرصة المناسبة. فاجيب بان من التصادف حدوث التعديات في تلك الولايات وربما كانت قد حدثت في مكان اخر اذا انتشبت ثورة فيه. ولا نقدر ان نقيم قنسلوسًا انكليزيًا في كل بلدة عثمانية ومن المحقق انهُ ليس لانكلترا صوالح ولا رعايا فيها. واقول بدون ان اقصد الطعن الحزبي انهُ كان لانكلترا قونسلوس في فيلبي فابطلت الحكومة السالفة مأموريتهُ راغبة في التوفير. وحدثت تلك التعديات والاستانة العلية في اضطراب عظيم من الخلل الذي طرا على اعمال السلطان عبد العزيز وكانت قد كثرت التغييرات في المأموريات كلها من اعلاها الى ادناها فاضطربت الاحوال. ومن المؤكد عندي ان سفيرنا في الاستانة كان يقرر عن اعتراضاتهِ على تلك الحال مرة مع انهُ يكون قد اعترض ٢ امرة. واما ان مخاطر استخدام الباشيبزوق غير انهُ امست البلاد بدون حاكم اول مسئول في تلك الظروف الغير الاعتيادية. ولم اعلم من تقرير او افادة او غير ذلك شيئًا يدل على ان احدًا في الاستانة سمح بذلك او حرَّض عليهِ اقل تحريض. فانني عالم بان اهل المناصب يعرفون ان ذلك يضر جدًّا بصالحهم ولا ريب في انهم افرغوا جهدهم في سبيل منع تلك الحوادث. واظن انهُ لا ينبغي ان استغرق من وقتكم اكثر مما استغرقت التكلم عن حوادث ماضية وبالنظر اليها اقول اننا لا ناتي المجلس العالي بكلام يناقض كلامنا الماضي ولا نرى ما يجعلنا متاسفين من جرى ما قد اجريناهُ. ومن الامور الثلاثة المهمة المتعلقة بالشرق وهي قبول لائحة النمسا ورفض مذكرة برلين وجمع البوارج ببسيكاي قد اجمعت البلاد على قبول ما قد جرى. وقد تركنا امام المجلس اوراق تلك الاجراآت المتضمنة التوضيحات اللازمة فقبلهُ كل الاعضاء خلا قليلين منهم. ولا ارى ان صوابية الاعمال المتعلقة باحد الامور الثلاثة قد مست بظهور حوادث لا علاقة لنا بها حال كوننا كنا غير عالمين بحدوثها واكرر ما قلت من ان تلك الاعمال المكدرة نشات عن ضعف وليس عن تعمد ومن الواجب ان اعتذر اليكم عن اطالة الكلام بهذا الشان غير انكم لو عرفتم غزارة التحريرات التي ترد اليَّ عن ذلك مع الكلام الذي يجري في الاجتماعات العمومية لتقرر في عقولكم ما قد تقرر عندي وهو ان كثيرين من انكلترا يظنون ان وزيرنا الاول هو السلطان واني انا الصدر الاعظم. مع ان حقنا في المداخلة في امور كهذه متعلقة بادارة البلاد العثمانية الداخلية هو كحق الدول الاخرى العظمى. ولا اعلم هل شرع الفرنسويون والالمانيون والايطاليانيون وغيرهم في ان يتذمروا من حكوماتهم تاهيبها بالاشتراك بتلك التعديات. فلا ذكرتكم بتصرف الحكومة الانكليزية الحالية بالنظر الى المسالة العثمانية وهو التصرف الذي سبقنا اليهِ سلافنا. وعندي ان الناس قد خلطوا امرين. احدهما استقلال الاراضي العثمانية. والثاني الصلات الجارية بين الباب العالي والامم المختلفة الاجناس المولفة السلطنة منها (اسمعوا) وكثيرون من الموجودين هنا قد اصابوا بامتناعي عن التكلم بهذا الشان ولكن كثيرون قد اشاروا علينا بالعدول عن السياسة التي عولنا عليها منذ خمسين او ستين سنة وان نغسل ايدينا علامة التخلي تاركين استقلال الاراضي العثمانية ان يعتني بنفسهِ. ومن المفروض عليَّ ان اقول لكم ان ذلك يكون خطا اليوم كما لو كان قد جرى في الايام الماضية. فان الاسباب التي تحملنا على صيانة ذلك الاستقلال هي ثابتة غير متغيرة. فانهُ ما من دولة عظيمة ترتضي بان ترى ذلك المركز في يد دولة اخرى عظيمة ولا يتغير

ذلك بخلل في اعمال سلطان ولا بسوء ادارة حكومة ولا بتعديات قوم حربيين . فمحاولة الاخلال بذلك يكون في الارجح دليل حرب اوربية . ولذلك قد تقرر عندي ان الاصابة في السياسية تكون كما كانت منذ عشرين سنة بالمحافظة على الاستقلالية الارضية الحالية . وربما كان الكلام الجاري عندنا يقرر في عقول رجال السياسة والحكومات الاجنبية بان انكلترا غيرت افكارها بهذا الشان . وعندي ان حدوث ذلك التغيير ويل لنا وللعالم قاطبة . اما نسبة الاجناس المختلفة في السلطنة العثمانية الى الحكومة فهي غير الاستقلال الارضي . فان تلك النسبة قد باتت تكرارًا في تغيير في السنين الاخيرة القليلة ومن الممكن احداث تغيير جديد . فان لمصر نظامات مخصوصة وكذلك في لبنان واكريت حقوق الادارة محلية اظن انها جارية كالواجب . ولا يلزم ان اذكر السرب والجبل الاسود فانكم عالمون باحوالها ولكنني اقول ان ذلك جميعهُ قد تقرر باتفاق الدول الضامنة . ومن المؤكد عندي انكم لا تجدون في كلامي ولا في كلام شركائي في المامورية ما يتضمن مضادة لتوسيع دائرة تلك التغييرات بحسب اقتضا الاحوال . واظن ان التغيير الاخير جرى سنة ١٨٦٧ وهو ترك الباب العالي حق اقامة جنود في بلغراد . وتم ذلك باتفاق الدول بتلك السنة . وكانت حكومة تلك البلاد من الحكومات التي قبلت بي واقمت بالمخابرات المتعلقة بذلك وانا في المامورية الحالية ولم نعترض على ما ذكر من احداث تغيير يزيد على ذلك . على انني لا ارتكب خطا وضع اسمي في تقرير قد تقرر في عقلي انهُ لا يجري وذلك مراعاة لظواهر الجهيلة . فهذا ما رغبت في ان ابينهُ من جهة نسبة حكومتنا الحالية الى الامم النصرانية في الشرق . وقبل انتشاب هذه الحرب سئلت في المجلس العالي عن السياسة التي ننهجها بالنظر الى الدولة العثمانية والسرب . فاجبت بانها تكون كسياستنا المتعلقة بالعصاة اي المحافظة على الحياد التامة في اثنا الحرب الى ان تسمح الفرصة بالمداخلة . فهذه سياستنا في بوسنه والهرسك . ومنذ ايام قليلة قبل فض المجلس العالي سألني احد السفراء الاجانب عن راي انكلترا بشان انشاء ما سماهُ بالاستقلالية الادارية في الولايتين المذكورتين . فاجبته وجوابي مطبوع في الكتاب الازرق ومعناهُ ان الحكومة الانكليزية لا ترى ما يمنع ذلك بالنظر الى قواعدها وسياستها على انني اخبرته انها تعرض دون الامر صعوبات محلية كثيرة لا يتيسر الامر بدون ازالتها ولا سيما انني عالم بان اعرف الناس باحوال الشرق يجعلون لها اعظم اهمية وقبل التغلب على تلك الموانع لا نرتضي بان نقرر الامر . واذا قيل ان سياستنا الجارية بين الشعوب النصرانية في السلطنة وبين حكومتهم كانت مضادة لتقرير اتفاق بين تلك الشعوب اطلب الاتيان ببرهان على ذلك القول من كلامي او كلام شركائي في المامورية (اسمعوا اسمعوا) . اما اعمالنا المتعلقة بالاستقبال فهي صرف كل الجهد والقوة في سبيل تقرير هدنة وسلام في اقرب وقت واظن ان كل الدول الاوربية متحدة معنا في ذلك اما التقريرات التي تجري فلا بد من ان نتوقف على اتفاق فيها اوربا ولذلك لا اقدر ان اصفها في الحاضر اما البلغاريون المنكودو الحظ فالتعديات التي وقعت عليهم تجعل لهم بدون ريب حق التعويض ومن حقوقهم الصريحة ايضًا قصاص الذين تعدوا عليهم بصرامة وعندي انهُ يحق لهم ايضًا ان يطلبوا اجراء ما يمنع اعادة ذلك (اسمعوا) وبالنظر الى الامر عموميًا اقول انهُ اذا كانت الانسانية فضيلة العدل فضيلة ايضًا . ولا ريب عندي في انكم تحكمون بانهُ

ليس من العدل والانصاف فضلاً عن مراعاة اصول الحكمة الطعن في جنس تام اي الذين هم من دين واحد اعني المسلمين في السلطنة العثمانية ولا الحاق الاتعاب بهم لان قليلين الذين ارتكبوا الذنوب فمن اعظم الظلم ان نساق بالتعصب الى ان نظهر الغيظ من كل المسلمين في الممالك العثمانية ونزيد البغض بين اصحاب الدينين من جرى غيظنا من التعديات البلغارية . فان قلتم مهما قلتم ضد المذنبين لا تتجاوزون حدود الاعتدال في لومهم وتنديدهم ولكن لا ينبغي ان نخلط الابرياء بالمذنبين . ولا نظنوا اننا اذا نظرنا الى هذه المسائل بالاكثر او بالكلية بعين حب الجنس البشري تكون كل الدول الاجنبية ورجال السياسة الاجنبيين ناظرين اليها بتلك العين . فاقول لكم لا تكلفوا حكومتكم فعل ما لا يمكن فعله فان ذلك يجعلنا غير قادرين على فعل شيء فيا سادتي اظن انني تكلمت عن كل المواضيع التي ذكرتموها ولم يبقَ عليَّ الا ان اعتذر اليكم عن استغراق ما قد استغرقت من وقتكم

خطاب وزير انكلترا الاول.

قد نشرنا في الجنة ترجمة ملخص كلام التيمس المتعلق بالخطاب المذكور وما يأتي هو ترجمة الخطاب

ان الاطباء ابانوا لي ان صحتي لا تسمح بان ابقى في عضوية المجلس العام العالي نائباً عنكم لاقوم بالخدمة العامة فيه قياماً يرضي ولية نعمتي الملكة وابناء بلادي . فان اطالة الاجتماعات ليلاً في ذلك المجلس تضر بصحة رجل قد طعن في السن منذ خاطب اهالي مقاطعة بكس منذ ٤٣ سنة (ضجيج استحسان) فهذه اسرار يرغب الانسان في ان لا يفشيها على انها مما لا يمكن كتمه لظهوره مع طول الزمان (ضحك) . فصممت على امر واحد في بداية السنة الجارية وهو ان اعرض بكل احترام لولية نعمتي الملكة انه لا ينبغي ان تنتظر مني خدامات بعد فض المجلس العالي . وقلت في نفسي ان ذلك يكون نهاية اعمالي السياسية . وقد تقرر عندي ان من شركائي في الوزارة من يقدر ان يقوم بالاهلية بمهام منصبي . على ان حضرة الملكة تكرمت بان تنظر الى الامر من جهة اخرى . وقالت انها راغبة في ان ابقى في مركزي مع تخفيض واجبات العضوية في ذلك المجلس بالانتقال الى مجلس الامراء (ضجيج استحسان) . ولولا اجماع اراء شركائي في الوزارة لما اقمت به (ضجيج استحسان) . وقد رايت في الظروف الجارية ما يراه كل انكليزي وهو ان واجباتي المتعلقة بخدمة مليكتي تدعوني الى ان ابقى فيها ما دامت ترى انني قادر على ان اخدمها خدمة نافعة ولذلك لا ازال في منصب الوزارة الاولى (ضجيج استحسان) . ولو لم يبلغني بلسان بعض اهل النفوذ عند دخولي هذه القاعة ان المنتظر اظهاري بعض اراء الحكومة المتعلقة بالمشاكل السياسية الجارية لعدت الى مجلسي منقطعاً عن الكلام مرتضياً بالاجتماع بكثيرين من الذين كانت حياتهم وصوالحهم كحياتي وصوالحي بعد البحث عن امور متعلقة بالبلاد وبعض ما هو ذو اهمية محلية (ضجيج استحسان) . فارجوكم ان تتأكدوا بانني لست براغب في اظهار اراء الحكومة . فانني لا احب ان ابدي رأياً عن امور عمومية ولا احب ان امتنع عن ذلك اذ قد تقرر في العقول انه من واجباتي ان لا امتنع عنه . فالحكم بذلك مفوّض اليكم (ضجيج استحسان شديد) . وقد اتيتكم اليوم مصمماً على ان احافظ على النظام المتعلق بكم وهو الذي ذكره رئيس هذا الاجتماع . غير انه لا ينبغي ان يقال انني امتنعت عن ان ابرز افكاراً متعلقة بالامور العمومية في زمان كهذا الزمان بحضور جمهور غفير من ابناء وطني . وقد استنتجت من كلامكم بانكم لا ترغبون في ان اصمت . وقد طالما تقرر عندي

انهُ من الممكن ان يخطب خطاب سياسي بدون ان يكون تحزبياً . وقد شرفتموني بشرب سري كرئيس الوزارة الانكليزية . فاقول بالتصريح انهُ لم تصادف وزارة انكليزية مشاكل صعبة كالمشاكل التي صادفتها الوزارة الحالية (اسمعوا اسمعوا) . فاللورد المحترم الكريم وزير الخارجية الذي يقوم بالمخابرات في الحال ملزوم بان يقوم بامرين صعبين جدًّا للوصول الى غايتين مهمتين جدًّا . فانهُ يقوم بما يصون الصوالح الانكليزية المهمة جدًّا ويصون السلام في اوربا . فيا ايها السادة ان الوزير الانكليزي اعتيادياً يتعزى بما يعلم من ان الامة تعضدهُ مهما كانت صعوباتهُ فلا ادعي غير الواقع بقولي ان الامة الانكليزية لا تعضد حكومتها في الحال . فانهُ لا ريب في ان حزباً عظيماً وقسماً غفيراً من الانكليز قد اشغلا عن عضد صوالح البلاد المهمة وعن حفظ السلام واهتما بامور اخرى فهذه الامور تدعو الحكومة الى تدقيق النظر فيها وافراغ الجهد في سبيل اجراء ايجابها . على انهُ لسوء الحظ قد سيق قسم عظيم من اهالي هذه البلاد الى امور اجنبية قررت في عقلهِ ما لا يجري ما لم يضر بصوالح انكلترا الدائمة المهمة وينشأ عنهُ ما يكدر السلام في اوربا . وقد تذكرت بانني قلت منذ سنين كثيرة في هذه المدينة او في هذه المقاطعة ما كررتهُ على مسامعكم وهو ان اهالي انكلترا اشد الناس غيرة وحمية ومن المحقق ان في العالم اممًا اشد تهيجًا منهم غير انهُ ما من امة اشد غيرة وحمية (اسمعوا) فيا ايها السادة انهُ عندما تكون الحمية ناشئة عن امر صوابي قد ادركت حقيقتهُ البلاد بحيث نقدر ان توجه قواها الى جهة اجرائية تكون انفع عضد يمكن ان تفوز الوزارة بهِ (اسمعوا) . على انها ربما كانت تظهر بدون مسوغ كافٍ وتوجه قواها الى ما يشك في نفعهِ ومع ذلك قد يكون لها نفع نسبي او مطلق لانها دليل قوة عنصر الحيوة في الامة ومن شانها رفع شان البلاد لانها تنفذ في الامة وئن كانت مخلة بالسياسة وموسسة على خطاءٍ وتحاول بلوغ غايات ناشئة عن كرامة الاخلاق . وفي ظروف كهذه مخاطر تنشأ عن اجراءات رجال سياسة اصحاب غايات فيستغنمون سنوح الفرصة عند ظهور تلك الحمية الناشئة عن كرامة الاخلاق ليرقوا اسباب غاياتهم الردية . واظن انهُ من الواجب ان يلقى اشد اللوم على عواتق الذين ينهجون ذلك المنهج . فان الذي يستحق اشد اللوم والتنديد هو الذي يستخدم تلك الحمية النافذة للحصول على غاياتهِ الخصوصية فيشور بما يعلم انهُ يضر صوالح بلادهِ ولا ينفع الجنس البشري . فانهُ يتعدى على قواعد حب الوطن وهو روح الامم الحرة بل ينفذ سطوة مضرة جدًّا في صوالح الناس عموماً . ومن واجبات اهالي انكلترا ان يصدوا بغيظٍ كل من يسلك ذلك السبيل في الوقت الحاضر (اسمعوا اسمعوا) لانهُ ياتي بارتباك وخراب عائبين لا نخطي اذا قلنا بانهما اردأ من التعديات البلغارية التي اشغلت الناس . فيا ايها السادة الظاهر انكم ترغبون في ان تقفوا على الحالة الجارية السياسية (اسمعوا اسمعوا) فليس عندي ما ارغب في كتمهِ وساخبركم بما يلذ لكم بالتصريح . واقول بالنيابة عن الحكومة الانكليزية انني لا ارغب في اظهار حقيقة مركز انكلترا بالنظر الى تلك الامور فاخبركم بما يهمكم ان تقفوا عليهِ من املنا حتى الدقيقة الاخيرة المتعلق بحفظ السلام وبصيانة ما ليس باقل اهمية وهو صوالح هذه البلاد المهمة . (اسمعوا اسمعوا) فمن اللازم ان تتذكروا ما جرى في اوائل هذه السنة عندما رات الحكومة الانكليزية انهُ من واجباتها ان ترفض اللائحة المعروفة بلائحة برلين . فبعد رفضها خابرنا بصراحة وحرية الدول الخمس . وقيل في ذلك الزمان بحذق ان انكلترا قد رفضت اللائحة المذكورة

التي قررتها الدول فمن الواجب ان تقرر لائحة لتقوم مقامها (اسمعوا اسمعوا) . فقررنا لائحة . فصديقي المحترم وزير الخارجية الذي تقع عليه اكثر مشقات هذه الامور العظيمة بالطبع مع ان الجرائد كل يوم تقول انه الوزير الذي لا يفعل شيئاً ولا يشور بشيء بادر الى تقرير القواعد التي راي انها تاتي بتسكين الاضطراب في شرقي اوربا . اي انه وضع القواعد التي خطر له انه من الواجب ان تضبط النسبة الجارية بين الباب العالي ورعاياه المسيحيين . فجرت هذه المخابرات بدون انقطاع بين حكومة انكلترا والدول الاخرى الخمس

وفي اثناء ذلك اخترع الناس خبراً غريباً جداً واشاعوه وهو انه كان يجري بيننا وبين روسيا ماهو كحرب حتى اننا اصبحنا نقاوم كل ما كانت تشور به وكذلك هي كانت تقاوم كل ما كنا نشور به . والواقع مخالف لتلك الاشاعة كل المخالفة فاننا منذ رفضنا تلك اللائحة وابنا اسباب رفضها اخذت كل الدول في اجهاد نفسها بصداقة لموافقتنا على كل ما ياتي بتسوية مرضية . وكانت روسيا اشدها ميلاً الى ذلك فاذا طلبتم الي ان اخبركم باجمال ما كان موضوعاً لمخابراتنا اليومية اقول لكم انه قد تقرر عندي انه كان قد تيسر تقرير الصلح في نهاية فصل الربيع هذه السنة تقريراً مبنياً على قواعد يرتضي بها كل رجل حكيم جيد . على انه جرى ما لم يكن منتظراً . فان السرب فتحت الحرب على الدولة العثمانية اي ان جمعيات اوربا السرية فتحت الحرب عليها . فاقول لكم بتاكيد انه في محاولة ادارة احوال العالم الان ينبغي ان نراعي عناصر لم يكن سلفاؤنا ملتزمين بان يراعوها . فان معاملاتنا ليست محصورة بالامبراطورين والامرا والوزرا . فان في الدنيا جمعيات سرية لابد من مراعاتها وربما كانت تفوز بان تجعل تدبيراتنا تذهب سدى في الدقيقة الاخيرة . وهي ذات وكلا منظمين في كل مكان يسلمون بالقتل وياتون بالمذابح اذا مست الحاجة الى ذلك . فبلغت مخابراتنا النهاية والدول العظيمة متفقة اتفاقاً ناشئاً عن مخابرات ربما كان لا يقال انها كانت قد بلغت النهاية . فالحرب التي انتشبت نيرانها بين السرب والدولة العلية جعلت انفاذ الاراء التي كنا قد اشرنا بها ضرباً من المحال ولم تقرر تلك الاراء نهائياً رسمياً على ان حلفاءنا قبلوها بصداقة وكانت موضوعاً لتغييرات واصلاحات كثيرة كنا مصممين على قبولها فينشا عن ذلك تسوية موافقة للمشاكل العظيمة الصعبة التي كنا نحاول صرفها . وقد استمرت تلك الحرب وهي حرب عدوان وشر فانها ابعد الحروب التي فتحت في الدنيا عن العدل والصواب وهي حرب فتحتها السرب . فاذا فرضنا ان للباب العالي عشرة الاف خطا ولا اقول عشرة الاف ذنب وان هذا الخطا يتحول الى ذنب بالضعف واسباب اخرى اقول بالنظر الى الصلات التي كانت جارية بين الباب العالي والسرب انه لا ريب في ان السرب تعدت افظع تعد على جميع قواعد القوانين الدولية والاداب العمومية وعلى كل مبادي الناموس والشرف فانه كان ما لكنا اهم قلع السرب بدون معارض فاخلاها لان السرب خابرت بالحاح الدول بهذا الشان فاقامت السرب بما يكاد يكون تعهد شرف للدولة العلية بانها اذا اخلت بلغراد والقلاع الاخرى لا تكدرها مطلقاً . فهذه هي الواسطة المقررة التي مكنت السرب من ان تقوم بالحرب الجارية . واذا قطعنا النظر عن كل امر ادبي وسياسي نقول ان حرب السرب خطا مبين . فماذا يا ترى فعلت حكومة انكلترا بعد انتشاب نيرانها . الجواب اننا عند ما عرفنا ان السرب انكسرت وامست في ضياع وحالة ياس عظيم شرعنا في مخابرة حكومتها وقلنا اننا لا نقدر

ان نطلب المداخلة خوفًا من سوء المفهومية فيقال بعد الان ان مداخلتنا منعتك عن ان تقومي بالدفاع الذي تقدرين عليهِ . ولكن اذا وجدت ان حالتك وصلت الى درجة الياس فخابري انكلترا فتمنحك كل المساعدات الحبية التي نقدر ان نقوم بها . فماذا جرى يا ترى الجواب انهُ بعد ذلك ببرهة قصيرة جاءت السرب انكلترا قائلة ساعدينا بما تقدرين عليهِ . فساعدناها قدر طاقتنا . فاللورد دربي وزير الخارجية الذي يتهم بالاهمال اقام بمداخلات ناجحة في ظروف صعبة جدًّا (اسمعوا اسمعوا) اما الفوز فكان للدولة العلية فانها كسرت اوليك الرعايا المنكودي الحظ . وفاز اللورد دربي بحمل كل الدول على ان تتوسط الامر معهُ وحصل على اصعب شيء في العالم وهو هدنة (اسمعوا) لان رجال الدولة العلية قالوا طبعًا انهُ حمل علينا بعدوان شديد فدافعنا عن انفسنا بنشاط واقدام ونجاح فاصبحنا الفائزين . فاذا طلبتم اليئان نمنح هدنة حال كون الذين يعدهم عصاة يبادرون في نهايتها الى الحمل علينا بقوة متجددة تضادون قواعد التمدن الذي طالما افتخرتم بهِ وتخالفون اختباراتهِ . فمن ياترى ينكر ان ذلك وسيلة للحصول على الاصغاء باحترام. ثم قالوا اننا نعلم الصعوبات التي باتت كل دول اوربا مشغلة بها ولاسيما بعد ان اصبح الراي العام مضادًّا لنا فنحن نرتضي بان نمنح السرب صلحًا سهلاً ناشئًا عن كرامة الاخلاق بل نمنحها الشروط التي تشيرون بها فنطلب ان يكون طلب الهدنة مرافقًا بذكر قواعد ذلك الصلح . فعند ذلك وقعت صعوبات كثيرة . فان الانسان لا يقدر ان يجري على الدوام ما هو عدل وحق بل ينبغي ان يجري ما يعلم انهُ يعود على اوربا بالنفع بل يفسد طبع الانسانية . وقد انفذ اللورد دربي سطوة انكلترا في ذلك السبيل وقد حمل الباب العالي على ان يقبل الهدنة

اي ان يمتنع عن القتال بدون ان يعين للامتناع زمان وان يفوض تقرير شروط الصلح الى قرار الدول الست . فهذه هي اعمال الوزير الذي يتهم بانهُ لا يفعل شيئًا . فاحب ان اعلم من من الوزراء الاوربيين قد اقام بما اقام بهِ باتقان ونفع (اسمعوا اسمعوا) . وقد اجهدت نفسي لابين لكم حقيقة الحال وقد حصلنا على مداخلة ناجحة وهدنة موثرة . فماذا ياترى ينبغي ان نفعل بعد ذلك . الجواب انهُ من واجبات اللورد دربي ان ينوب عن الوزارة بالعود الى الحالة التي كان عليها قبل فتح حرب السرب . فما هي تلك الحالة ياترى . الجواب انها كانت محاولة تقرير تمويه باتفاق الدول لوضع قواعد للصلات الاستقبالية التي ينبغي ان تجرى بين الباب العالي ورعاياه النصارى . فلماذا ياترى نقاوم ونبيت عرضة للطعن ما دام ذلك غايتنا ونهاية مطلوبنا . فالبلاد قد تجاوزت حدود الاعتدال في بعض تظاهراتها حتى انهُ يقال انهُ ما من شيء يرضي المقاومين غير اخراج العثمانيين من اوربا وانشاء حكومات سلافية امبراطورية او ملكية او جمهورية على اني لا اعلم ايها المقصود . فحكومة انكلترا وكل حكومة تعلم اننا اذا حاولنا انفاذ شيء من ذلك نبيت في حرب اوربية ليست بقصيرة المدة . هذا وانني اقطع النظر موقتًا عن جميع الامور المبنية على حب خير الناس والاداب واقول انهُ مقرر عند حكومة انكلترا وكل الحكومات الاوربية ان ذلك غير ممكن ولا ينشا عنهُ غير حرب عظيمة فهل يا ترى يرغب احد الحاضرين او غيرهم من اهل الادراك في ان ننهج ذلك المنهج . وهل نقدر ان نجعل اعمالنا تزيد عن الاتفاق مع الدول على الاجراء بحسب المبادي التي قررها اللورد دربي . اي ان نبادر الى تقرير صلات مرضية لتجري بين الباب العالي ورعاياه المسيحيين .

الا نكون احكم اذا جعلنا الحكومة بان تتقدم وتجري الامور فهذا ما ينبغي ان تحوت انكلترا عنه . (اسمعوا اسمعوا) . واقول لكم ايضاً انني قد رايت ما حملني على ان احكم بان كل الدول في الحال راغبة من ضميم القلب في ان تقرر التسوية بدون ان يذهب الزمان سدى وعندي ان القواعد التي وضعتها انكلترا هي المقبولة عند سائر الدول . فماذا يعوزنا بانرى بعد ذلك . ومن واجبات اولئك المضادين الذين يشورون بامور غريبة وهي اخراج امة كثيرة من اوربا وانشاء حكومات مستقلة ان يقتدوا برجل عظيم لاعماله وارائه نفوذ في الجميع اعني مستر كلادستون (اسمعوا اسمعوا) وفي ذات يوم كتب هذا المستر كراسة . ولا اقول انه سياتي زمان يتاسف فيه لانه كتبها فانني انا قد كتبت كرار بس وقد تاسفت من جرى ذلك . وقد طعن فيه طعناً شديداً في الاتراك وقال انهم ليسوا بمعودين هواءنا ومن الواجب اخراجهم من اوربا . على انه بعد ذلك بيومين او ثلثة ايام تامل في ما جرى سالكاً مسلك رجال السياسة الذين يجعلون قاعدتهم مراعاة حقوق الانسانية وشانهم الاجرا قبل التامل فراى انه قد اخطا فاعتذر بقوله انه لم يقصد اخراج الاتراك بل اخراج الوزراء . ولا ريب عندي في انه لم يقصد ان يقول اخراج الاتراك . اما اخراج الوزرا فلا اظن ان الذين يرغب في اخراجهم هم اتراك . فليسر الاخرون في سبيل مستر كلادستون ويرجعوا عن غيهم وما خطر لهم من امكانية اخراج العثمانيين من اوربا . فاخراج مليون من العرب والاسرائيليين من اسبانيا منذ سنين كثيرة اضعف الامة الاسبانيولية حتى انها لم تعوض قط خسارتها ولو باقصر من ذلك حتى الان ومن المقرر عندي انه بعد ان تامل مستر كلادستون في الامر ابعد ذلك الراي عنه . فلو ذهب الى المجلس العام واشار على اعضائه بان يذهبوا الى تل كربنو يش ويطرحوا بانفسهم الى اسفله لما اشار بما يعد اغرب من مشورته باخراج الاتراك بغتة من اوربا (ضحك شديد) . فياسادتي من الواجب ان اعتذر اليكم عشرة الاف مرة لانني قد اطلت الكلام (لا لا) انني لم اقل نصف ما اقدر ان اقوله ولست بقاصد المحاماة عن الحكومة ولكنني راغب في ان اصلح اراء الجمهور ومن واجبات كل ذي منصب ان يقوم بذلك . انكم انتم مسئولون للبلاد بهذا الخطاب

باسمك اللهم

حكاية ملك جليل ولص نبيل

من قلم يسى افندي عبد الشهيد مترجم بمحافظة مصر

حكى هيرودوتس المؤرخ الشهير . من لم يسبقه في مضمار التاريخ نظير * كما روى الكهنة المصريين القدماء . الذين فضلوا على كثير من العلماء * قال ان دامنست هو اول ملك من العائلة العشرين التي تبوأت سدة الملك على الديار المصرية . وكان ذا مال كثير وكنوز قيصرية * فخطر يوماً بباله . ان يشيد حصناً لصون ماله * واذ ذاك فدعا مهندساً له ماهراً . حاذقاً نبيهاً باهراً * فلما مثل بين يديه . وقبل الارض موطىء قدميه * وقام منتصباً خاضعاً . صاغراً خاشعاً . فقال لبيك . هانذا بين يديك * فاجابه الملك وقال . بافصح قول ومقال * اريد ان تشيد لي عمارة حصينة . من حجارة صلدة متينة * فبادر بالحال الى طلبه . حسب رسمه واربه * وشرع في انشائها . وفي اثناء بنائها * تخلق المهندس ببراعة فنه . وحذاقة ذهنه * امر لم يسبق اليه . ولا عثر احد من العالم من قبله عليه * وهو انه ركب في جدرانها

الخارجية . حجرًا بطريقة هندسيـة . بدقة وفكرة نطاسية * حتى يمكن بهذه الوسيلة لشخص او شخصين رفعة . و يسهل جدًّا تركيبة ووضعة * وكان ذلك لمقاصد ردية . ومطامع غير مرضية * كما ستعلمة في اثنا ما اقول . مما يستحق ملاحظات العقول * وهو انه لما انتهت هذه العمارة المطلوبة . والخزينة المرغوبة * وجاءت وفقًا لقصد الملك واربه . احضر فيها ذخائرهُ مع نشبه * ومن بعد ذلك بمدة وجيزة الناظر المهندس بان شمسة قاربت الغياب . واجلة وصل الى الباب * دعا ولديه اليه . واستوقفهما بين يديه * وقال لهما انني عنكما اليوم راحل . وسفينتي رست على مواخر الساحل * اما قبل هذا الفراق . الذي ليس بعدهُ من تلاق * اريد ان ادلكما على خلاق . تكونان به في عيش رغيد . بينة وبين عيشكما الحاضر بونٌ بعيد * فقالا انا الى ما تامرنا سامعان . ولاقوالك الابوية . مطيعان فخب حينئذٍ بلسان طليق . وبيان منطيق * وقال انه في غضون بناء عمارة الملك الموجودة فيها ذخائرهُ . وكنوزهُ وجواهرهُ * كنت صنعت احبولة عظيمة المنفعة . مسدلة الاقبال واسعة السعة * وهو اني ركبت بحائطها الخارجي حجرًا بحيلة فائقة . وصنعة مدققة . وفكرة رائقة * واوضح لهما عن موضعه ومقامه باقصح تعبير . واجلى تفسير ولح عليهما بالنصائح والاقوال . فيما يجرونة من الاعمال * قائلاً اذا حفظتما ما قلتة لكما . وفعلتما ما تفوهت به بينكما * فتصيران عما قليل . اصحاب هذا الكنز الجزيل *

فلما انطوى عمر المهندس المنوه عنة . شد ولداهُ الساعد لاتمام ما سمعاه منة * وتوجها لصرح الملك ليلاً . وشرعا فيما اوصاهما به ليبلغا نيلاً * فوجدا الحجر المقصود في محلهِ المعهود . فرفعاه بقلب اقسى من الجلمود * وبغاية السهولة . بما ان طريقتة عندهما كانت غير مجهولة * واخذا نقودًا وافرة . واموالاً متكاثرة * واستمرا على ذلك برهة . وهما في ارغد عيش ونزهة * غير انهُ حدث ذات يوم ان الملك دخل كنزه المعهود . ليفتقد ما عندهُ من الذخائر والنقود * فراى بان اواني المال . مغيرة الوضع والاشكال * فضاقت انفاسه . وضاعت احساسة * ومكث يتامل مليًا . ويجهد قواهُ العقلية ليعرف هذه الاحدوثة جليًا * وما امكنهُ ان يتهم احدًا . لانهُ لم يجد لذلك دليلاً ابدًا * اذ نظر ان الاختام على حالها . والابواب على اقفالها * فلكي يقف على هذا المصاب الادهم . والبلاء المبرم * والباقعة التي ليس لها قرار اخذ يتفقد كنزهُ مرتين او ثلاث مرات في كل نهار * فوجد بان اللصوص لم يزالوا يترددون على ذات الحال . وانهُ عن قليل يسلبون كل المال * فغادرتهُ الافكار حائرًا بائرًا . واصبح عقلهُ لاقتراح حيلة ساهرًا * فراى انهُ من الاصوب نصب شرك حول الاموال . ليقتنص به من يقع مجترئًا على هذه الاعمال فاصدر امره بتوضيبه . ونصبه وتركيبه * ومن بعد ذلك حدث انهُ في ليلة مظلمة . حالكة الجلباب مدلهمة * توجه الاخوان للكنز قاصدين . ولسلب اموال الملك راغبين مجتهدين * فولج احدهما مباشرة نحو الاواني . بدون فكر مما يعاني * فقبض عليه هذا الفخ المنصوب . والشرك الخيف المرهوب * فلما وجد نفسة في حالة شنيعة . وتهلكة مهولة فظيعة * شرع يبكي بكاءً مرًّا وينوح . حينما عرف ان فخ الموت يعمق فيه الجروح * فدعا اخاه في الحال . وقال له بادر واقطع راسي بدون مقال * حذرًا من ان يعرفوني من سمتي . فينشا من ذلك حين عائلتي * فاسرع طائعًا . وشج راسة قاطعًا * ووضع الحجر في محله . وآب ماسحًا دمع ويلهِ وذلهِ

فلما اضاء النهار . ورفعت عن الظلمة الاستار *

ولاح ابن ذكا ، والحف الجو با لضيا * قصد الملك الاثيل ، افتقاد كنزه الجزيل * ليقف على ما تم من ذلك الشرك ، وهل اللص تملص منه او هلك * فنظر شخصاً بدون راس ، واقعاً في الشرك عديم الاحساس * ولم يرَ ادنى نقب في العمارة ، حتى يكون له منه علم او اشارة * فازداد عجبه . وضاق قلبه * واصدر امرهُ بتعليق الجثة على سور القصر . قاصداً معرفة من وقع منه هذا المكر ، الذي لم يسبق له نظير في اي عصر . ورتب خفراء ، ومحتفظين وحرساء * منبهاً عليهم ان يحضروا لديه من وصل الى جانب الجثة وجلس او بكى ، او صرخ واشتكى * او زفر متنهداً ، او توجع متردداً * فلما عرفت والدته ، بحال ما تعلقت جثته * قالت لابنها ان يبذل غاية جهده ، ويشمر عن ساعد جده * ليخلص جثة اخيه الميت ، ويحضرها الى البيت * وهددته قائلة ، والدموع سائلة * اذ لم تحسر عن ساقك ويدك ، وتسعى لاتمام طلبي باوسع جهدك * لذهبت الى الملك واخبرته بهذه الفعلة الذميمة ، والاحدوثة المليمة * فعندها لبث الولد يقدم لها الاعذار ، فاظهرت له عدم القبول بكثرة الاكدار * فلما نظر نفسه في حيص بيص ، ولم يجد له من محيص * اضطرب من الوسواس ، وهو يضرب اخماساً لاسداس * حتى اقترح حيلة تفوق ادراك الحجى ، وتعلو عن الافهام ولم تات ولو في الرجا * ليتخلص بها من الورطة الصعبة المسالك ، والمصيبة الكثيرة المهالك * وهي انه بعقل بصير حمل قرباً مملوءة من النبيذ * على جملة حمير ، وساقها امامه وهو لا يستعيذ * بدون شريك ولا مساعد ، ولا رفيق ولا معاضد * فلما قرب من مكان الخفرا الذين يحرسون جثة اخيه ، فك سراً فم قربتين او ثلاث وهو في غاية التنبيه * بخفة عجيبة ، وظرافة غريبة * واذ اهرق النبيذ على الثرى ، فناح ولطم ولساعدته نادى الورى * واظهر قصر باعه في توقيف الحمير ، مائلاً الى اي طريق يسير * فوثب الخفراء مسرعين ، وليشربوا النبيذ المهراق مهرعين * حينئذٍ اظهر اللص غضباً كثيراً ، وغيظاً وتكديراً * وبدا يلعنهم باقوال السفاهة ، ويغلبهم بالفاظ الوقاحة والتفاهة ، بيد انه كان يهدي رويداً رويداً روعه ، وانزعاجه وفزعه * حتى تبين سكون انفعاله ، وتغيير حاله * وجمع حميره من الشعاب ، وربط افواه قربه بغاية الثبات * ولبث يتحدث مع الحراس ، ويسامرهم بالاستئناس * ففرحوا بمداناته ، لا بمنادمته * فوهبهم احدى قربه الملانة ، ليرشفوا بسهوة ما في الكنانة * فاخذوها منه فرحين ، وانصبوا على الشرب مرحين * وصاروا في محلهم لابثين ، وبالجثة غير مكترثين * والزموهُ ان يجالسهم ، ويحادثهم ويوانسهم . فاجابهم لقصدهم ، ومرغوبهم وصمدهم ، وقدم لهم قربة اخرى غير مفتكر بالخمر بالاخرى . فلما هجم عليهم جيش السكر ، وتقهقر جند العقل والفكر ، اذ ثملوا من كثرة شرب المدام ، وهدر عليهم ملك المنام . شمر ذلك الفتى عن ساقه وقدم ، حينما نظر ان الليل قد تقدم ، واقترب نحو الخفراء ، وحلق لحية كل واحد من الجهة اليمنى ، تاركاً له اليسرى ، ونحى نحو جثة اخيه ، وفكها بدون تكاسل ولا تمويه وحملها على احد حميره ورجع في مسيره ، وقدمها لامه متمماً بذلك قصدها ، ومآربها وحردها ، فلما سمع الملك باخذ جثة اللص بهذه الحيلة ، وكيف كانت تلك الوسيلة ، استشاط غيظاً ، واحترق قيظاً ، انما لاجل ان يكون لهذا الامر خبيراً ، ومن فعل هذه النكاية عليماً وبصيراً ، دعا احد وزرائه الكرام ، ورجال دولته الفخام ، فلما مثل بين يديه ، منتظراً الامر الذي يصدر منه اليه * قال له اريد منك ان تتوجه متخفياً لاحد جهات المدينة القريبة ، وتذيع خبراً

بمكافأة كل من يقص لك حكاية غريبة * فقام الوزير من ساعته . لاتمام ماموريته * واذ علم اللص بهذه الدسائس . وما تحتها من الوساوس * اخذ يفكر في تعاطي اسباب الخلاص . وكيفية الجد لايجاد المناص * فخطرت في فكره حيلة دلت على ما عنده من الفراسة . وثبات القلب والحماسة * وهي انه توجه نحو القبور . بدون فتور * وقطع ذراع رجل ميت عن جديد . وقصد محل الوزير بقلب شديد * واضعاً الذراع تحت ردن عباته مخفية عن عين الوزير . واخذ مجلسه وهو في غاية الاحتراس والتعذير * حينئذٍ ساله الوزير ان يقص عليه طريفة . او ما عنده من الروايات الظريفة * فلم يكن اللص الا كضوء شرارة . او وحي اشارة * حتى سرد له هذه الحكاية باسلوب عجيب . واجلى له غوامضها بتعبير اريب * وكشف له مخبآت ما فعله من الامور الدالة على نباهته . والمشيرة الى نجابته * فبعد انتهاء ايضاحها . واتمام بسطها وافصاحها * رغب الوزير ان يلقي اليد عليه . ولا يجعله ان يهرب من بين يديه * انما حيث كانا في محل مظلم . وظلام الليل عليهما مقدم * قدم له اللص يد الميت بحيلة ثعلبية . فقبض عليها الوزير قبضة قوية * وفي اسرع من لمح البصر فرّ اللص هارباً . وللنجاة طالباً * فتوجه الوزير حينئذٍ الى الملك واخبره كيف ان اللص منه تملص وباية حيلة تخلص * فاخذ الملك الانذهال . وتعجب مما عند اللص من الحيل بالرجال * واذ وجد ان كل الوسائط انفصمت . وحبال حيله تصرمت * ونفذ منه النداجي . وضبط الراجي * اصدر اوامره العلية . للاقطار الخاضعة لحكومته السنية * باشهار الامن والامان . واسدال النعم والاحسان * وسكب العفو والافضال . لمن حضر لديه من فعل هذه الفعال * فلما سمع اللص بهذه المواعيد اعتمد على قول الملك بدون ترديد * وقصد صرحه بقلب صنديد * فلما جثا بين يديه وقبل الارض . ووقف امامه وقرف العرض * نظر اليه الملك نظر متعجب . وتفرس فيه تفرس مستغرب * وقابله باحسن مقابلة . واسدل عليه من الرفد اوفر نافلة * وعقد له على ابنته . وقلده منصباً عالياً واخذه لخدمته

الشرق والغرب

(من قلم سليم افندي بستاني)

انفع الكتابات ما كشف القناع عن وجوه غادة الحقائق المميل عن السبل المعوجة اذا ظهر اعوجاج وللاستمرار في طرق الصواب اذا ظهرت استقامة الاحوال فالغريب يعذرنا في ذلك وابنا الوطن يثنون علينا وشاننا في التقريرات افراغ الجهد في سبيل تقرير الواقع بدون ادعا اصابة الراي ولا سلامة الوصف وصحة النقل ولذلك ربما كان اختلاف الاخبار بين الناس في الشرق مع تباين اسباب التربية يجعل اختلافاً في الحكم فمن المطالعين من يستصوب الكل ومنهم من يستصوب البعض وبالعكس وقصارى المطلوب وصف الحال لعل ازاحة الستار تاتي بانتباه تجتنى منه الثمار بعد سنين . ولا ريب في ان الشرق قد انتقل من حال الى حال في برهة قصيرة بالنسبة الى الازمان اللازمة لاحداث تغييرات كالتغييرات التي نراها في ربوعنا وجاء ذلك بانقلاب عظيم في الافكار والعادات والاحكام والمشارب والمعارف والتجارة والمالية فلو جاءنا رجل من اهل الزمان الماضي بدون ان يكون قد شاركنا في الانتقال بتدريج لما ادرك شيئاً مما نحن عليه ولا عرف ان يقوم بعمل من اعمالنا . ولم يتم انتقالنا بحسب ناموس انتقال الامم من درجة منحطة الى درجة عليا او بالعكس ولكنه تم بانتصارات قوات مجاورة فتحت بلادنا بقوتها الغالبة واستولت علينا استيلاء جبرياً واختياريا بسنا

وللفتوحات نواميس لا بد من نفوذها فان كان المغلوب اضعف من الغالب ادبيًّا وماديًّا يزداد ضعفهُ بالنسبة الى التفاوت في القوة واذا كانت القوة متساوية لا تاتي الغلبة المادية بغلبة ادبية ما لم يكن شانها الظلم والاعتساف. والشرق في هذا العصر اضعف من الغرب ولما ضاق باهلهِ وتحركت في قلوبهم المطامع وجهوا افكارهم وقواهم الى البلاد الشرقية ورغبوا في احراز ثروتها ومشاركة اهاليها في ما قد جمعوا بل في نفس محصولات بلدانهم فركبوا المخاطر وشنوا الغارات والقوا الشقاق بين الشعوب الشرقية وجدلوا وكدوا الى ان سمح الله لهم بفتح بلدانهم اما بالسيف واما بالتجارة فاستولوا على الهند وعلى اواسط اسيا وعلى جزائر بحرية وحلوا فيها وفي اماكن اخرى ذات اهمية تجارية وانفذوا فيها نظاماتهم وقوانينهم وسلبوا الحكم من ايدي اهاليها واستولوا على عروشهم ونقلوا كنوز امرائهم وملوكهم وشرعوا في ان يسوسوهم سياسة جديدة مكروهة عندهم ولئن كانت لا تخلو من الفائدة في بعض الاماكن. اما فتوحاتهم التجارية فعمت القارة الشرقية ودخلت كل بلاد من بلدانهم واحدثت في عاداتها وسياستها وثروتها وتجارتها تغييرات ظاهرة قد اختلفت الاراء من جهة نفعها وضررها في الحال والاستقبال. وليس المقصود التنكيت ولا التنديد واللوم ولكن اظهار الواقع حال كوننا نقر بان حذق الاوربيين واقتدارهم ومعارفهم وعلو هممهم قد مهدت لهم وعورنا وسهلت جبالنا فعبروها وحلوا في ربوعنا ولا يلامون على ذلك كما انهُ لا يحق لهم ان يلوموا اسلافنا الشرقيين الذين كانوا مصباح العالم في القرون المتوسطة ففتحوا بالسيف وبالتجارة ونفذت سطوتهم في البلدان المحيطة بالبحر المتوسط وامتدت في الغرب الى الداخلية وفي افريقية استولت على السواحل الشرقية والجنوبية

وجهزت في داخلية مجهولة حتى ان اثارها لا تزال تدل عليها. فمجاري الامم الطبيعية تسوقها الى التوسع والتمدد طبعًا كما ان المجاري الطبيعية في البشر تجعل الجسم يشغل حيزًا اعظم من الحيز الذي يشغله عند الولادة وتوقيف ذلك ينشا عن عوارض تمنع جري الطبيعة في مجراها. ففوز الاوربيين يحملنا على الثناء عليهم اذا كنا قد انتفعنا بهِ او لم ننتفع على ان ذلك لا يمنعنا عن البحث في تاثيراتهِ فينا ماديًّا وادبيًّا. ومن ينظر الى الظواهر ويدخل الشرق بافكار اوربية ويقابل بين ماضيهِ وحاضرهِ لا يتردد عن ان يحكم قطعيًّا بان الشرق قد تقدم تقدمًا عظيمًا وهذه هي الافة الكبرى التي تجعل كتابات كثيرة خالية من الفوائد الصحيحة فان الانسان الغريب او المحلي لا يقدران يقف على حقيقة احوال امة بالبحث عن حال اقلية ساكنة في بعض المدن او عن حالة فيئة دون فيئة اخرى. ولا يخفى ان الملابس والبيوت والماكل لا تدل على التقدم الصحيح ولا يكتفي بها للتفاؤل بالخير او للتشاؤم بالشر في الاستقبال فانها قد تكون للامة كالدم على المبرد الذي كان يلحسهُ الهر. فالتقدم الصحيح عبارة عن وصول اسباب القوة المستندة الى المعارف الى الكمال الذي يتيسر ادراكهُ في عصرها فيصبح شانها الربح من كل عمل مع استمرار ازدياد الاتقان وابتعاد الافكار عن مكدرات الهيئة الاجتماعية كالتعصبات الدينية والانشقاقات الناشئة عنها او عن امور اخرى تاول الى تضعيف الاجراءات وتاخر الاشغال التي تنشا عن اجتماع الكلمة والتكاتف بنشر القواعد الصحيحة بالتعليم الصحيح والتربية المنزهة عن كل ما يضيق العقل ويجعل الانسان علة ضرر وشر عوضًا عن ان يكون ينبوع خير ونفع. فالزمان الماضي عندنا كان مكدرًا بالتعصب الشديد الاعمى الظاهر الذي تيسر مجانبة قسم عظيم من اضرارهِ

بوسائط كثيرة لا لزوم لذكرها و بالانشقاق ايضاً و بالاستبداد ونفوذ كلمة السائد وكان ذلك الخلل نظاماً والتعصب حقاً كما كانا في اوربا منذ قرون ليست بطويلة غيران البلاد كانت تكتفي نفسها بصناعتها ومحصولاتها وتجارتها ومالها . وكان مقرراً في عقول الاهالي ان ذلك الظلم هو العدل النافذ فيهم فلم يكونوا يعرفون الحقوق الانسانية ولا يدركون قواعد الحرية فترفهوا بما كانت يعد سعادة عندهم واستأمنوا بمجانبة اسباب الاضرار وارتضوا بحالهم لانهم لم يكونوا عالمين بحالة اسعد منها وكانوا يطوون الايام على تلك الحال بالهدو والسكينة . ولا ريب ان كل من عدل في الحكم يرى ان هذا الزمان مفضل على الزمان الماضي القريب من بعض الجهات ولتوضيح ذلك ينبغي ان نبحث عن كيفية دخول ما قد دخل ربوعنا من الغرب وعن تاثيره فينا فتسهل المقابلة جداً وتظهر الحقيقة . ولا يخفى ان الاوربيين جاءونا في بادي الامر بقوتين وهما قوة تجارية وقوة دينية اي ان تجارهم حملوا الينا مصنوعاتهم ومحصولاتهم والقسوس جاءونا بتعاليمهم الدينية وانتشر الفريقان بيننا واجهدوا انفسهم في تغيير عاداتنا وقواتهم السياسية في مركز البلاد والويلات تعضدهم وتسعفهم لتصونهم من عواقب كرهنا لهم وليروجوا اشغالهم بنفع ممالكهم بالارباح الناشئة عن تجارتهم فغيروا العادات حتى راجت اسواق وارداتهم وانحصرت اعمالهم الدينية في فيئة دينية قليلة جداً بدون ان تمتد الى الداخل امتداداً يستحق الذكر واستخدموا نشر المعارف ولكنها انحصرت ايضاً في الاقلية فكان التقدم الادبي الناشئ عن الاختلاط بهم تقدماً ضيق الدائرة لا ياتي بمعاش مع ان مصنوعاتهم اخربت مصنوعات البلاد عموماً وامسى القليلون الذين انتفعوا بعض الانتفاع من قربهم ومعاملتهم والكثيرون الذين لم يجنوا اقل نفع منهم يصرفون اموالهم في سبيل الحصول على مقتنيات كانوا في غنى عنها او كانوا يحصلون عليها باعمالهم الصناعية التي باتت في خبر كان فنشا عن ذلك فقر عظيم ودخلت عوائد مفسدة مضيعة للاموال ومضرة بالابدان ربوعنا الشرقية فتعلمنا المضر الذي يميل الانسان اليه طبعاً لسهولة المأخذ وشدة الميل وقصرنا عن تعلم الامور النافعة لانهم جاءوا بها بدون ان ياتوا بوسائط تعلمها فان مقاعد مدارسهم دينية وقل ما علمت ما يقوم باسباب المعاش الا باستخدام لغة اجنبية او بتعليم ما تعلمه الانسان مما لا ياتي باتقان صناعة ولا بعول بضاعة ولم يامد ذلك بتضعيف التعصب ولا ازال الشقاق ولكنه كثره وقد انتفعت الاقلية التجارية انتفاعاً موقتاً لا يوازي جزءاً واحداً من مائة جزء من اضرار اخراج المال فكنا ننسج حريرنا ونلبسه وكذلك صوفنا وقطننا اما الان فارباح نسيجه تخرج من بلادنا وكذلك آلاتنا الحديدية كانت من صناعتنا فكانت احتياجاتنا قليلة ولكنها كافية لحالتنا البسيطة . ولا نقول اننا نفضل البقاء على تلك الحال على اقتباس تمدن الاوربيين . ولا يتمنى ذلك غير كل من يجهل اسباب التقدم الحقيقي ويفضل الظلمة على النور غير اننا قد جعلنا مقابلة بين الحالين لنبين انهما غير موافقتين لنا فنبحث عن الحالة الموافقة لعلنا نفوز بالوصول اليها ونتخلص من آفة قد سلبت اموالنا حتى ان اقل تاخر او شدة تطرحنا في جوع ومن المقرر ان النمو الذي نراه ظاهراً هو نمو غير طبيعي وهو مضر بل قتال فاننا بلغنا في بعض امور ونحن في الطفولية مبلغ الرجال فلا نقدر ان نحمل حملهم والشاهد سقوطنا الحالي في الفقر ووجود اكثرنا في ظلمة الجهل المدلهمة فلا ترى في معيشتهم تحسيناً ولا في معارفهم تقدماً ولا في معيشتهم تاخراً عظيماً حتى

ان محل سنة يلقيهم في جوع شديد بل نراهم بدون محل يمرضون بالحميات وامراض اخرى من ردائة المعاش لان نسبتنا الى اوربا ونسبة حكومتنا قد كانت سبباً لاخراج اموالنا من ابواب كثيرة ويا حبذا لو رأينا سوء حالتنا قبل هذا الزمان اي قبل ان بتنا في خراب وتأخر وكان اولى بنا ان نمنع عن ادخال اسباب مصاريف اوربا قبل ان تدخل اسباب المداخيل التي نقدر ان نقوم بها واتمام ذلك يكون بزمان طويل . وكنا نصدق ما كنا نقرأه في الكتابات الافرنجية عن اجتهادنا الشديد في سبيل التمدن ونسر بالمدح الذي نقرأه حال كونه تحريضاً على فعل ما يخربنا ويضر بنا ادبياً ومادياً وقد فرغت جعبتنا فوجهت اوربا اجتهاداتها الى الشرق الاقصى فنرى الجرائد تمدح اليابان وتثني على امبراطورها وتقول انه محب للتقدم وانه من اهل روح هذا العصر وقد حرضته على مداومة ذلك وعلى استقراض مال من اوربا لتلحقها بمن قد سبقها وكل ذلك من حذق الاوربيين ومن علم تبصرنا في العواقب وقبول عاداتهم بسرعة و بقطع النظر عن موافقتها لحالتنا وبلادنا او عدم موافقتها لذلك ودخول لغاتهم الى بلادنا قد افادنا من اوجه ونشر بيننا افكاراً لا طاقة لنا على احتمالها وهي الاراء التي تضر باشد البلدان تمدناً ما لم تكن نظاماتها موافقة لها فكيف لا تضر بنا وتزيد شقاقنا وقد رأينا في اتصالنا باوربا اضراراً اخرى كثيرة ومنافع ايضاً على ان العاقبة ردية ما لم نستيقظ ونجعل لجاماً لميلنا ونسعى وراء ما هو مقدم فعلاً . وما من شيء يكدرنا اكثر من ان نسمع الاوربيين يقولون انهم قد احسنوا الينا مع ان صولجانهم من كل الوجوه هي التي تسوقهم الينا ومنهم من يحسن عندنا كما يحسن في بلدان اخرى فان الله قد جعل حب الاحسان مطبوعاً في بعضهم وهولاء الافراد هم الذين نراهم في الحروب يعتنون بالجرحى ويطعمون الجياع في كل مكان وهولاء ليسوا الذين جعلوا الصلات الجارية تجري بين بلداننا الشرقية وبلدانهم وقد احسنا نحن ايضاً في اوربا على جرحى وجياع بقدر طاقتنا فاعمال البر العمومية هي غير الاعمال التي توثر في الامم عموماً وتاتي بتغيير مهم في احوالها . اما العادات المضرة التي دخلت البلدان الشرقية وتعممت فيها فهي كثيرة جداً وقد جاءت بفساد عظيم في الاخلاق واضرار شديدة بالابدان وما دمنا على ما نحن عليه لا نقدر ان نربح ربحاً صحيحاً ولا ان نتقدم تقدماً حقيقياً فان الخسائر لا تنفك عنا ومن مرغوباتنا ان نمكنهم من القيام بالاشغال التي لا نقدر ان نقوم بها وحدنا لفقرنا وجهلنا ولو علمونا ما يرقي اسباب صناعتنا ويمكننا من معرفة هذه الامور في مدارسهم حال كونهم قادرين على ان يعلمونا لما خطر لنا ببال انهم يودون ان يقوموا بما يحملنا على اقتباس عاداتهم بدون ان يعلمونا ما يمكننا من الاستغناء عنهم . فبعد ان عرفنا حالتنا فالقرب منهم انفع من الابتعاد ولا سيما اذا جاءوا صانعين وحارثين للتعيش وتمكنا من ان نتعلم منهم كما كانوا يتعلمون من سلفائنا في اسبانيا وغيرها واحب علينا ان نرى بعض معادننا مفتوحة باموالهم فقبل ان يطول زمان اقامتهم عندنا نتعلم منهم فنفتح معادن اخرى ونود ان يقوموا بما يجمع بين خيرنا وخيرهم وفي مصر قد انتفعوا من البلاد وجمعوا منها ثروة عظيمة حتى ان الذين جاءوها لا يملكون بارة يعدون الان ذهبهم بالملايين وقد طالما افرغوا جهدهم في سبيل القيام بمشروعات مع قطع النظر عن منافعها ولا يزالون يفرغون الجهد في سبيل الحصول على ذلك حتى ان اختبار البلاد قد قلل ارباحهم واقل خسارة تقع على اعظم منتفع من الشرق تحمله على اللوم والتنديد والطعن . ولما كان روح العصر

يدعو الى اختلاط الامم ومبادلة الاشغال والقيام بالصلات التجارية وكان التقدم بدون ذلك ضربًا من المحال بعد ان صارت الدنيا كأنها عائلة واحدة كثيرة الاعضاء كان لا بد لنا من ان نجد الوسائط اللازمة لنصون انفسنا من اضرار الاختلاط لننتفع به كما تنتفع سائر الامم فنبيعهم ما هو اوفر عندنا مما هو عندهم ونشتري ما هو اوفر عندهم فنربح منهم ويربحون منا ولا نكون نحن النبع وهم الحوض الذي تجري مياهنا اليه فتجتمع فيه . ولا يتم ذلك الا باجتهاد الاهالي ومساعدات الحكومة والاوقات الجارية ليست بموافقة للبحث عن التفاصيل ولذلك قد حررنا هذه التمهيدات اظهارًا للواقع مؤملين ان رواق الاحوال ليس ببعيد فناخذ في تقرير التفصيلات بالاستناد الى هذه القواعد العامة التي يحتاج الشرق بجملته الى الانتباه اليها والا فتبقى بلاده معدن الذهب واهاليه الفعلة الذين يحفرون فيها والغرب السادة الذين ياخذون الذهب المجموع وهم بعيدون لا يعرضون انفسهم لاتعاب الجمع ومشقاته ولا للهلاك والضعف اللذين ينشأن عن رداءة الهواء ***

تاريخ فرنسا

جرسي كان الجنرال سرفوني حاملاً خارطة البلاد ومشغولاً بالتمعن فيها فاصابته كرة مدفع ثقيلة خطفته على نظر الامبراطور فلم يجد الجنود الا قطعًا من جسده متبددة . ثم اتى احد اركان حربه اليه ليخبره عن استيلاء العدو على احد المراكز وبينما كان مشغولاً بتوضيح الكيفية اشار بيده اليمنى الى احد المواضع فمرت رصاصة بالقرب من راس الامبراطور واصابت يد ذلك القائد فقطعتها . واظهر نابوليون حنوًا عظيمًا نحو ذلك الضابط المجروح لكنه لم يبد اقل حركة ليغير مركزه ذا الخطر حتى ان الضباط الذين كانوا هناك لاموه لومًا شديدًا لتعريضه نفسه للخطر وعدم مبالاته فاجابهم بلطف ماذا افعل لا بد لي من ان ارى كيف تجري الامور

فنام نابوليون بضع ساعات بعد ان كان قد صرف ٤ ايام بلياليها بدون ان يسمح لنفسه بذلك وقبل بزوغ الفجر نهض واخذ يعرض جنوده على مطاردة العدو الهارب . وكان مركز الارشيدوق (البرنس شارل) ذا خطر عظيم فان نابوليون اخذ يجد السير وراءه بجيش منتصر وكان نهر الدانوب الواسع الجري امامه لا يمكنه اجتيازه الا على جسر راتسبون واصبح جيشه في حالة تعيسة جدًا حتى انه لم يكن يلتقي بعد ذلك بجيش نابوليون الا ويذوق منه اشد الويلات . وبلغت خسارة البرنس شارل من قتلى وجرحى في معركة اكموهل ٦ الاف نفر واستولى الفرنسويون على نحو ٢٠ الف اسير وراية وكمية وافرة من المهمات الحربية . وقد ذهب البعض الى ان خسائر الفرنسويين كانت اكثر من ذلك او اقل منها وعلى كل حال لا يمكن معرفة الخسارة بالتحقيق في معارك عظيمة كهذه

فعزم البرنس شارل في تلك الظروف ان يعبر نهر الدانوب بقدر ما يمكن من السرعة ويلتجي بجيوشه الى براري بوهيميا وكان يؤمل انه يتمكن حالاً من الانضمام الى فرق من الجنود النمساوية السائرة لنجدته . فترك نيرانًا عظيمة في المحل الذي كان قد عسكر فيه لتشتعل الليل بطوله ليخفي قصده عن الفرنساويين وسار بسرعة نحو الدانوب وانشا حالاً جسرًا من القوارب على ذلك النهر فصرف الجيش الليل بطوله في قطع النهر على جسر من القوارب وجسر راتسبون . فسار نابوليون باكرًا في الصباح بفرسانه للهجوم على موخرة النمساويين التي كانت مصطفة امام راتسبون لوقاية الجنود وعند

عبورهم النهر وبعد مناوشة قليلة انكسرت الموخرة والتجات الى داخل اسوار المدينة وقفلت الابواب وصفت المشاة في الحصون . فنظم نابوليون مدافعة بسرعة عظيمة واطلق على الجماهير التي كانت قد ملات اسواق المدينة والجنود التي كانت لا تزال مشغلة بعبور النهر على كمية وافرة من الكرات والرصاص وقطع الحديد والنحاس وتمكن من ثقب اسوار المدينة فدخل الفرنسويون الى المدينة فالتقى الفرنسويون والنمساويون معًا في محل واحد واخذوا في المصارعة والمضاربة يدًا بيد فحدثت مقتلة مريعة داخل اسوار المدينة

وفيما كان نابوليون مشغلاً بتدبير الجنود في تلك الهجمة اصابت رجله رصاصة جرحتها جرحًا بليغًا من دون ان تعطبهُ وسببت لهُ المًا شديدًا . فقال لقد اصبت . انتهى . ونزل عن جواده وضمد جرحهُ حالاً فشاع خبر ذلك بين الجنود . فاسرع اليه جنود الفرق القريبة منهُ واجتمعوا حول قائدهم المحبوب وكان عددهم نحو ١٥ الف رجل وكانت لوائح الكدر الشديد تلوح على وجوههم . وكان نابوليون ينظر اليهم بحنو متبسمًا ويمازح كل الذين تمكنوا من الوصول اليهِ واكد لهم ان جرحهُ غير بليغ ولاجل راحة بالهم ركب جوادهُ وطاف بين الصفوف مع ان الم جرحهِ كان شديدًا جدًا فحياه الجنود باصوات الفرح الصاعد من صميم الفواد والناشي عن محبة خالصة لم يكتسبها بشر قبلهُ فاشتد عليهِ الالم حتى الجاه الامر الى الذهاب الى كوخ احد الفلاحين ولما وصل اليهِ اغمي عليهِ ولما استفاق ركب جوادهُ واخذ يدبر الحركات في تلك المعركة المهولة وكان الاصفرار يعلو وجههُ وكان قد اعياه التعب

ولما دخل الفرنسويون من ثقب السور الى مدينة راتسبون كان اكثر النمساويين قد عبروا النهر . واختفت الجنود الهاربة عن اعين الفرنساويين في هضاب بوهيميا والتلال المكسوة بالاشجار . فبعد ان اخرج نابوليون العدو من اراضي حليفهِ ملك بافار بالتركهِ بين جبال بوهيميا وعسكر في راتسبون فاعمال كهذه تحاكي التصورات الوهمية فان نابوليون كان قد خرج من باريز منذ ١٢ يومًا فقط . فقطع في ٦ ايام المسافة الطويلة بين السين الذي يمر في باريز ونهر الدانوب وفي ٤٨ ساعة جمع جنودهُ المتفرقة في محلات بعيدة مختلفة مع انهُ كان في الوقت نفسهِ مشغلاً بمحاربة متواصلة كان طالع النصر يرافقهُ فيها كلها . وتمكن بواسطة اكثر التدبيرات من مهاجمة عدو اكثر منهُ عددًا في سهل اكموهل واجبارهِ اياه ان يعبر الدانوب ويركن الى الفرار فانهُ منذ ١٥ يومًا كان ٢٠٠ الف من الاعداء الذين كانوا قد ثملوا بكاس الانتصارات وايقنوا بمرافقة مساعد الفوز لهم وعدم غلبتهم امام العدو قد اشغلوا اراضي بافار باواما الان فاصبحوا مفشولين ومقهورين واخذوا في الالتجا من ضربات العدو الشديدة الى هضاب بوهيميا المقفرة وبلغت خسارة النمساويين في الستة الايام الاخيرة ٦٠ الفا من قتلى وجرحى واسرى وسقط ٤٠ الفًا منهم تحت ضربات سيوف الفرسان ونيران المشاة وتركوا ايضًا ٦٠٠ عربة من المهمات و٤٠ راية واكثر من ١٠٠ مدفع وكمية عظيمة جدًا من الاثاث ومن ادوات الجسور

واظهر الامبراطور نابوليون في هذه الحرب الغير الاعتيادية من القوة العقلية والنشاط ما لا يمكن تصديقهُ لو لم يكن مثبتًا ببراهين راهنة . وكانت المسافة بين باريز ومعسكرات الدانوب نحو ٦٠٠ ميل فقطع هذه المسافة في مركبة ولم يكن برتاح خارجها وكان يلتزم ان يقف في محلات كثيرة لفحص الحصون ولكتابة الاوامر للالوف من الوكلاء في فرنسا واسبانيا

وايطاليا وجرمانيا . وعند ما وصل الى جيشه صرف الخمسة ايام الاولى بلياليها بغض اشغال عجيبة . وكان عند نصف الليل يتكي على كرسيه بدون ان يرفع برنيطته او حذاءه وينام ساعة ثم يستيقظ وياخذ في تكميل كتابته بنشاط جديد او يركب جواده وياخذ في التطواف غير مبال بالظلام والعواصف والوحل من موقف الجنود الى موقف اخر . واصدر الى ضباطه في تلك الايام الخمسة من التحارير ما يملا مجلدا عظيماً . وبعد ان يطوف راكباً مدة ١٥ ساعة كان ياخذ في املاء الرسالات نصف الليل بنشاط كانه لم يتكبد اقل مشقة ولا تعب

الفصل السابع

حروب واعمال اخرى

ان الانكليز اخذوا المركبة التي كان يسافر نابوليون فيها في معركة واترلو وهي الان في المعرض في لوندرا . وهي مصنوعة صنعاً موافقاً لاحتياجات الامبراطور واشغاله المستمرة . فانها بسيطة الصنعة قليلة التزيينات غير ان فيها كل اسباب الاشتغال بالراحة . ففيها لوح مسطح قليلاً ليكون مائدة للكتابة وكيس في جانبها فيه اوراق ومغلفات واقلام وغير ذلك من اسباب الكتابة وفي جدرانها صناديق كثيرة مختلفة الاشكال فيها كتب ورسوم وتحريرات وجرائد . وفيها مصباح في الجهة الخلفية ليتمكن من ان يقرأ ويكتب في الليل ايضاً وفيها مقعد يقدر ان يتكئ قليلاً فيه وهو يقرا وفيه وسادات لمنع الاهتزاز الشديد الذي ينشا عن مسير المركبة . وكان يسير وهو يفحص تقريرات المهندسين الحربيين والمدنيين وتقريرات رجال السياسة والقواد الاولين والثانويين حتى قواد الفرق الصغيرة التي ينقص عددها عن الالف . وكان يمزق كل تقرير بعد قراءته ويرميه من نافذة المركبة ويحفظ ما له في ذاكرته العجيبة . ومن اوامره ان يرسل البوكل تا ليف باريزي اذا كان علميا او لغويا او دينيا فكان يطالع شيئا قليلاً من الكتاب فان وجده مستحقاً الالتفات كان يطالعه كله والا فيطرحه من النافذة ولذلك كانت قطع الاوراق والجرائد والكتب ملقاة على جوانب الطرق التي كان يمرّ بها . وكان على الدوام يعلق امامه رسم البلاد التي يسافر فيها . وكان كل ما يقف في مكان في الطريق يقام به بترتيب بيته فيختار احسن مخدع مكتبة له للقيام بالاشغال وتوضع رسوم البلدان التي فيها جيشه على مائدة في وسطه ويعين مركز كل جيش وفرقة وكل طريق وجسر واسباب الاتصال . وكان يميز مراكز العدو واجناس الجنود بدبابيس قد سترت رووسها بشمع مختلف الالوان . وكان يتم ذلك جميعه بسرعة عجيبة وانتظام بحسب اعوائده حتى انه لم يكن يذهب الزمان سدى بالانتظار اينما حل . وكان يقام في كل زاوية من زوايا المخدع المذكور الاربع مائدة لكتابه . فكان يمليه عليهم وهم يكتبون . وكان قادراً على امر غريب وهو ان يحكم بامور كثيرة ويقررها في عقله في وقت واحد . فكان في الغالب يمشي في المخدع لابساً برنيطته ويداه وراء ظهره وكان يصدر اوامره او يوضح اراءه بعبارات مختصرة كثيرة الفائدة . فكان يمليه على كاتب اوامر بشان حركات جيش . ثم يلتفت الى كاتب اخر ويبدي رايا على امر مالي مهم او على امر سياسي . والثالث يبلغه اجوبة على تحريرات سفرائه في بلدان اجنبية . وكثيراً ما كان يسلم الرابع تحريراته الخصوصية وبعد ان يصرف بضع ساعات على هذه الحال كان يمسك القلم ويكتب اسطراً قليلة مختصرة العبارات بليغة لزوجته جوزفين الامينة ثم يركب مركبته او فرسه ويسير مسرعاً . وفي وسط تلك الاعمال العظيمة كتب الى جوزفين ما ترجمته

من دونوورث في ١٨ نيسان (افريل) سنة ١٨٠٩

امس وصلت الى هنا الساعة الرابعة صباحًا وساذهب حالاً. وكل شيء في حركة والاعمال الحربية في اقدام عظيم. لم يحدث شيء جديد الى الان. ان صحتي جيدة. كلي لك نابوليون

ولم يكن نابوليون يتجنب احتمال المشقات التي كان يعرض جيشه اليها ولم يكن احد منهم يعرض نفسه لمشقات جسدية كالمشقات التي كان يعرض نفسه اليها. وخطب على الجيش في راتسبون بما ترجمته

يا ايها الجنود لقد اقمتم بما كنت انتظر منكم القيام به. وقد جعلتم الشجاعة تقوم مقام العدد وابنتم الفرق بين جيوش قيصر ورجال كسرى المسلحين الغير المنتظمين. وفي ايام قليلة فزنا في معركة تاون وانيسبرغ واكموهل وبيسنك ولاندشت وراتسبون ومن الثمار سرعة مسيركم وبسالتكم اغتنام مائة مدفع واربعين راية وثلثة الاف مركبة مهمات مع افراسها وخزائن كل الفرق واسر خمسين الف اسير. والظاهر ان العدو المخدوع باكاذيب الوزارة قد نسي افعالكم فذكرتموه بها بسرعة عظيمة فانكم كنتم افتك مما كنتم قبلاً. ومنذ برهة قصيرة عبر نهر الان وحمل على ارض حلفائنا ولم يكن عن شيء اقل من الدخول بالحروب الى قلب بلادنا. اما الان فقد انكسر وتبدد شمله ففر خائفاً مذعوراً. وطليعة جيشي قد عبرت الان وفي شهر تكون في فينا. انتهى

وقد قال نابوليون عن هذه الحروب ان اعظم الحروب التي اقمت بها واثني على نفسي بسببها حروب اكموهل فانها اعظم جداً من معارك مارنجو ومن سائر اعمالي. انتهى. وفي اليوم الثاني عرض قسم من الجيش للامبراطور في راتسبون وجرى دفن كل الموتى وغسلت الدما التي كانت جافة في الشوارع وكان الجرحى الذين قطعت بعض اعضاء اجسادهم وكسرت عظامهم او سحقت مطروحين ضمن المستشفيات يئنون من الالم والويل على انه لم يظهر غير احتفالات النصر وعظمته وافراحه. فكان ريش الزينة والرايات والافراس الكريمة والاسلحة اللامعة تكسر اشعة الشمس. وكانت كل فرقة تمر امام نابوليون وحدها فيسال قائدها عن الذين يستحقون المكافاة من جنودها. وكان كثيراً ما يكافي جنديًا مكافاة ينتظرها قائده. وفي ذات مرة كان مشغولاً في وضع علامة نيشان اللوجيون دونور في صدر احد الابطال فسالة ذلك البطل هل عرفتني فقال لا كيف اقدر على ذلك. فقال الجندي اني انا هو الذي اعطاك في صحراء سورية قسمًا من زادي. فقال هذا هو الصحيح وقد عرفتك ورقيتك درجة اخرى وعينت لك معاشاً سنويًا قدره الف فرنك. فاعتاد نابوليون مكافاة كل بطل امتاز وكل من عمل عملاً اجابة لدواعي الانسانية والمروة كان يجعل الجنود الفرنساوية في حالة غير اعتيادية

اما راتسبون فاحرق قسم عظيم منها. وكانت للملك بافاريا حليف نابوليون فكان النمساويون يفرون من الشوارع المحترقة وينظرون اليها بسرور اما نابوليون فبادر الى ترميمها من ماله. وقد قال اليسون المورخ الانكليزي ان نابوليون صرف من صباح ١٩ الشهر عند ابتداء معركة اينسبرغ الى ليل ٢٢ منه عند نهاية معركة راتسبون وهو راكب او يملي تحريرات مدة ١٨ ساعة كل يوم وكان كل الذين حوله يكادون يسقطون من التعب وعند ذلك شرع في قراءة تحريرات واملا اجوبة وجلس الى نصف الليل يسمع تقريرات القواد ويصدر الاوامر للغد

(ستاتي بقيته)

حكاية الغرام

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

في ذات يوم من ايام شهر ايار (مايس) عند الظهر جلست فتاتان جميلتان بالقرب من آلة تطريز بدون ان تشتغلا بها . وكان الهواء لطيفًا منعشًا واشعة الشمس داخلة من نوافذ قلعة قديمة تضيء القاعة المدهونة بلون مشرب سوادًا والمزينة بما كان يزين به امراء الالمان قاعاتهم في القرن الثاني عشر. وكان فيها من الكراسي والموائد والخزائن ما هو منقوش ومزين . واثاثها من المنسوجات الفاخرة الجميلة اللون . وكان فيها ايضًا بعض آنية فضية وصور ابطال متسلحين باسلحة ذلك الزمان ومتدرعين بدروعه وصور نساء قد لبسن الجواهر والحُلى وما كان يُعدُّ جميلًا . غير انه لم يكن فيها شيء من الاسلحة القديمة ولا من اثار حروب ماضية ولا من آلات الصيد والقنص . وكان فيها ايضًا مزاهر في بعضها زهور جميلة وثلثة كتب المانية قديمة موضوعة على مائدة . اما التطريز الذي كانت الفتاتان جالستين امام آلته فكان صورة انتخاب الملك فردريك الملقب بالبارباروسا ليتبوأ عرش الامبراطورية الالمانية . ولم تكونا تشتغلان به بل كانتا جالستين وبايديهما ابرتان وخيطان صوفية وقد أشغلتا بحديث كان يلذ لهما . وكان اسمها ادليد بنت صاحب ماركريف من فوهبرغ وجيلا صديقتها التي كانت ذات وظيفة كانت تسمّى بما ترجمته السيدة الرفيقة . وكانت جيلا بنت رئيس غابات مملكة والد ادليد وكانت قد تربت منذ الطفولية معها . وكانتا فتيتين غير ان ادليد كانت اكبر من تلك سنًّا بنحو سنة او سنتين وكانتا جميلتين ولكن جيلا اجملهما . وكان الناظر الى ادليد يرى الجلال في منظرها وحركاتها فانها كانت عالمة بان دمًا ملكيًا كان يجري في عروقها فكان منظرها ينبيء عن علو مركزها . وكانت ذات قدٍ طويل جميل وعينين لامعة كبيرة ترسل سهامًا تشق القلوب قبل الجلود وفمٍ لطيف بسام صغير لشفتيه حمرة نقية لامعة كان دم شفتي يسيل منهما وما من دمٍ مائل وجبهةٍ متسعة مرتفعة لامعة نقية يقرا الناظر عليها دليل التعقل والفطنة وكان لونها يضرب قليلًا الى السمرة الصافية الرائقة . اما جيلا فكان اللطف سائدًا فيها والرقة ظاهرة في كل اعمالها وحركاتها واقوالها وبين اعضاء جسدها تناسب هندسي تام فلا ترى عضوًا منها غير مناسب لسائر الاعضاء . ولم يكن لجمالها البديع قوة التسلط بل قوة الجذب . وكانت ذات عينين زرقاوين وجفون صافية لطيفة الانطباق والانفتاح وشعر ناعم اشقر . ولم تكن ذات جلالٍ كادليد البرنسس ولكنها كانت ذات هيئة تجعل الذين يعاشرونها يقومون بالاحترام الواجب لها . وكانت لجمالها حلاوة تامة وتاثير بيّن . فكان الخالق سبحانه وتعالى خصص

البرنسس بالحصول على استحسان الناظرين اليها حتى ان كل من كان يراها المرة الاولى كان يقول ما اعظم جلالها وامجدها وخصص جيلا بالحصول على محبتهم فكان من يراها يقول هوذا احلى المخلوقات والطفها

وكانت اديليد تحب كثيرًا التطريز المذكور غير انها أُشغلت عنهُ بالتكلم وكان موضوع كلامها مما لا يسمح لها بالاشتغال بامر اخر. فانهُ كان الحب الذي يهتم بهِ الفتيان والفتيات اعظم اهتمام وكانت جيلا تقص على اديليد خبر حبها المفرد

ومن يا ترى لا يقول سقى الله اياماً كانت فيها عواطف القلب الشديدة الفتية قصارى مطلوبات حياتنا وكل صوالحنا وهي الايام التي لا تكون دروسنا فيها كتب الحكمة ولكن المناظر اللطيفة والحركات الجميلة حتى نصبح عارفين حق المعرفة بلسان حال كل حركة وتغيير في الوجوه وهي الايام التي نحترز فيها على زهرة الحديث لنا كما نحترز على كنز ونحسب لذة ساعة اجتماع قدر لذة حيوة. فهي الايام التي نتعلم فيها اسباب السعادة والحظ والسرور في الفتوة فنعيش في عالم تلذ لنا المعيشة فيهِ. فما اسهل اسباب جلب الحظ وما اشد كرامة اخلاقنا فيها وصفا الباطن. فان القلب فيها يقود العقل فما اعظم الفرق بينها وبين ايام الرجولية والكهولة والشيخوخة التي يقاد فيها القلب للعقل وهو العقل المتأني العاثر وربما كانت قيادتهُ اسلم عاقبة من قيادة القلب الحارة الناشئة عن العواطف غير انها ابعد منها عن الحب والاحسان ومراعاة الصداقة والمحبة. ومن لا يشفق علينا اذا كان لنا قلب الفتوة ونحن في احدى الاسنان المذكورة عندما يصبح شاننا التأني وننهج مناهج الحكمة وهي الحكمة التي تجعلنا نفتخر بما كان علة سعادتنا في الماضي حتى نقول عن عواطفنا الحنونة الفتية ليست الا نتائج الحماقة ونقول عن الآثار التي كانت عزيزة عندنا ان هي الا آثار لا تستحق الحفظ وهي الايام التي تكوينا الدنيا فيها باهتماماتها المقلقة وهمومها المضعفة ومشوراتها التي لا تنشا عن القلب واختباراتها الجافة فنمسي في خسران من جهة ملذاتنا فنظن باننا قد خسرنا من الحكمة ما لم نكن قد حزناهُ غير اننا نخسر نصف سعادتنا وحظنا ونخسر نصف جودتنا وكرامتنا

اما اديليد وجيلا فكانتا في سن الفتوة وقد ابتدأت تلك العواطف في الظهور فيهما. وكانت احداهما تظهر اسرار قلبها للاخرى حال كونها ممن يركن اليهن وكانت تصغي الى الخبر باهتمام وتعقل. وكان ابتداء الحديث عند جلوسهما للابتداء في التطريز فشرعت جيلا في الكلام وقد احمر وجهها وخفق فؤادها واخذت تنظر الى الارض وتتكلم بتردد. وكانت عازمة على ان تخبرها بامر كان ضميرها يوبخها على ما كان يخطر لها ببال من جهة كتمهِ. فكانت تعاني صعوبات كثيرة قبل ان تمكنت من ان تظهرهُ لفتاة كانت ولية نعمتها وصديقتها وكانت تعلم ان من واجباتها ان تقر لها بالامر. وقبل هذا الاجتماع بخمسة عشر يوماً خرجت للتنزه في مكان ذي هواء طيب في مساء قد زال برد هوائهِ فسارت الى مكان محبوب جداً كانت البرنسس اديليد عالمة بهِ وهو في ظاهر غابة مجاورة وفيهِ ينبوع صغير ذو ماء صاف يجري جرياً لطيفاً. فجلست في ظل شجرة وبعد ان اقامت فيهِ مدة لا تعلم مقدارها سمعت صوت مشي في الغابة وصوت حفيف الاوراق بشاب مارّ بين الاشجار وغناء منخفض منقطع. ثم ظهر لها رجل لابس ملابس صياد ووراءهُ كلب قوي واخذ في ان يدنو من الينبوع فظنت في بادي الامر بانهُ من الذين يشتغلون في الغابات على انها رأت بتحقيق النظر انهُ

غريب وانه فتى جميل الصورة ذو هيبة ووقار · ولما دنا منها ازاح برنيطتة باحترام ولطف وسار الى الينبوع ليشرب · فرات انه قد هم ان يشرب بكفه فقالت في نفسها انه من الواجب ان اريه مكان كاس الشرب الخشبي والا فاكون خالية من اللطف فارته اياهُ فشكرها بلغة مهذبة صحيحة ليست كلغة الفلاحين فقالت في نفسها لا ريب في انه مهذب حنون لانه لم ينس كابة ولكنه سقاهُ ايضًا ثم سالها عن البلاد سوالات غريب وسالها عن خصبها وجمالها والامرا وقلعهم ومدنهم والفلاحين وقراهم · وعن حالة الاهالي والاموال المطلوب اليهم تاديتها وقيام الحكومة باحتياجاتهم فرات من كلامه انه يفوق جميع الذين كانت قد راتهم · ثم قالت بتردد انني وجدت انه يفوق الامراء الذين كانوا ياتون قلعة والد اديليد وانها متاكدة انه من الابطال المذعورين وانه كان على جانب عظيم من الجمال والجسارة وكانت عيناه زرقاوين كبيرتين لامعتين وجبهته متسعة مرتفعة وانفه غير صغير ولكنه مناسب كل المناسبة لقده ووجهه وفم جميل يناسب الرجال ولكنه مزين بتبسم دائم جميل فيه حلاوة ورقة لامزيد عليها · وانه ذهب عنها ولم تعلم الى اين · على انها صادفته في نفس ذلك المكان في اليوم الثاني قبل الغروب بدون ضرب موعد ولا اشارة الى ذلك ثم صادفته في غد ذلك اليوم وفي غد الغد ايضًا · واقرت عند ذلك انه كان يجري ذلك الالتقاء بعد تكراره بقصد ناشىء عن مجرد الميل فانه لم يجرِ بينهما كلام متعلق بذلك ثم اقرت بانهما كانا يطيلان الاقامة معًا · فاخبرها عن بلدان اجنبية وكان يغني لها اغاني العصر وشرع في ان يكلمها عن الحب والغرام · وان كلامه كان لطيفًا غامضًا حتى توهمت ان لسان الحال هو المبلغ وان منظره وكلامه وصوته اثرت في فوادها اعظم تاثير

ورسخت في ذاكرتها رسوخًا تم تمثله في ماضي الزمان وصرفا اوقاتًا كثيرة بالقرب من ذلك الينبوع يتكلمان كلامًا خارجًا من صميم الفواد او يصمتان صمتًا لسان حاله يعرب عن شدة الحب وعن عواطف القلب واميالهِ فكان افصح من الكلام واشد تاثيرًا منهُ

فبعد ان سمعت اديليد هذا الخبر قالت لها يا جيلا لا ريب في انكما محبان وقد تعلمتما اسرار الغرام العجيبة فان الاوقات التي صرفتماها صامتين لم تذهب سدى فانها اوقات نمو الحب وتقرير عواطف القلوب وهي التي تقرب القلوب بعضها من بعض اكثر مايقربها ابلغ الكلام وافصح الحديث والانسان يجب ان يطيل التامل في اوقات الصمت في تلك الظروف فانها افضل من اوقات عقد اصرح العهود واعظم الوعود · فمن هو يا ترى ذلك الغريب فانه لاريب عندي في انه قد اخبرك باسمه واطلعك على امره منذ زمان طويل · فلما سمعت هذا السوال اطرقت الى الارض واحمر وجهها وقالت مترددة لا تلوموني فانني لا اعرف شيئًا عنه وهذا هو الصدق · فقالت ما اشد حماقتك هل تبذلين سعادتك بل صيتك الطيب في حب رجل لا تعرفينه اما تعلمين بانه ربما كان ليس بكفوء لك فما ادراك من هو لعله من المذنبين او زوج امراة · فاجابت بحرارة لا اسمعي كلامي انني افرغت جهدي للوقوف على اسمه وحسبه ونسبه ولكنه امتنع عن ان يخبرني بلطف واصرار · وقد قال ان الزمان سيظهر ذلك لي فارى انه ليس من الذين تخجل الفتيات بحبهم وان ذلك الزمان لم يحلّ بعد · ومن الموكد عندي انه ليس من الذين لا يستحقون حب افضل الفتيات لان صفاء الباطن وطيب الاصل ظاهران على جبهته وبصفاء عينيه ولا تظهر فيها لوائح تدل على هم

وخوف ففي مسيره ما يدل على حريته وطيب اصله واظن انه بطال اذا لم يكن ذا شهرة سيفوز بالشهرة في زمان ليس بطويل

فقالت لها ادليد اه يا جيلا ان ذلك ليس بموافق فان الحب الخالص الصحيح يبتدي بين المحبين الطاهرين بتقرير الاركان التام بينهما . ولا ريب عندي في انك قد اطلعتِه على خبرك كله وخبر اجدادك وجداتك فضلاً عن اخبار اصدقائك واحوالك ولا اركن اقل اركان الى هذا الرجل الذي يحاول ان يملك قلبك بدون ان يخبرك باسم ما لكه . والحب لا ياتي بالاركان فقطيل كثيراً ما ياتي بما يعد تجاوز الحدود في ذلك الاركان . ولولا اهمية كتمان امره لحملته سطوة الحب على ارضائك باخبارك باسمه على انه لم يخبرك بما يمكنك من معرفة اسمه . فقالت جيلا لقد طاب الي ان ادعوه هرمان فلما لفظت اسمه جرى الدم بارداً في عروقها فانها كانت قد حصلت عليه لحفظه لنفسها كما يحصل البخيل على المال . فقالت ادليد وما هو انبه . قالت لا اعلم غير انني عالمة بانني لم ارَ مثله ولم اسمع صوتاً اجمل من صوته فانه في اذني كالموسيقى ولن اسمع مثله . فلما سمعت البرنسس ادليد ذلك منها تنهدت فانها كانت تخاف ان تمسي جيلا في ويل ولم تنتظر خيراً لجيلا من حب ذلك الرجل الذي اخفى عنها امره وبالنظر الى خرافات ذلك الزمان لا يبعد ان يظن انه من جن الجبال التي تتزيا بزي الصيادين عند غياب الشمس لتغرير بتلك الفتاة الطيبة الباطن . واطالت ادليد الكلام مع رفيقتها في الالعاب في سن الصبوة وفي سن الفتوة وحذرتها من ان تملك عواطفها لرجل ربما كان يتركها في ويل وهوان . وقالت لها انها تعتمد يدها بسطوتها لتخلصها من مخالبه فامرتها بان تمنع ذلك الرجل عن الاجتماع بها وان تخرج جيلة من قلبها ما لم يرتض بان يخبرها باسمه ويطلعها على احواله . فاتفقتا على ان تذهب الى الينبوع لتراه في ذلك اليوم عند الغروب وان تقول له ان ذلك الاجتماع هو الاخير ما لم تقف على احواله . لانه لا يوافقها ان تكون محبوبة رجل مجهول حال كونها فتاة طاهرة جميلة لطيفة . فقالت جيلا في نفسها ان سيدتها البرنسس قد عدلت بالحكم وامرت بالصواب وتغلبت واجباتها على عواطف قلبها الحار الحنون فصممت على ان تخسر لذة غرامها للقيام بتلك الواجبات .

وبعد ان قررتا ذلك صمتتا برهة ثم قالت ادليد لا تظني انني باردة القلب قاسية وانني لا اشاركك في حاسياتك القلبية . على ان اركانك الي يستحق ان يقابل باركان مثله فاقر لك بدخول الغرام فوادي وقد اخبرتك بذلك بدون ان يحمر وجهي خجلاً او ان يكدر كلامي بالتردد فشاني غير شانك في ذلك لان محبي من اهل المراتب العالية والافتخار والحسب فاظهره للعالم بدون ان اخجل به . وقد كتمت غرامه ليس لانني اخجل باظهاره فان ذلك لا يوافق غرام من كان مثلي ولكنني كتمته حباً بان اتنعم بلذة كتمانه وحدي بدون ان اصادف تكديراً فيا جيلا انني لا احب برنساً يدفع جزية ولا اميراً خاضعاً لامر غيره ولكنني قد ملكت قلبي افردريك باربا روسا وهو الامبراطور الغني المجيد العظيم واقول بافتخار انه ابن عمي . فنظرت جيلا اليها بتعجب . فقالت ادليد انني احب فردريك الامبراطور . فلا احبه لجماله البارع ولا احبه لانه بطال غضنفر وصياد حاذق ولكنني قد همت به لما رايت ما رايت من حذقه السياسي واعماله الحربية وجسارته وتعقله وميله الى فتح الممالك واقتداره على سياستها . وكنت في فرنكفورت عندما دعا الامبراطور كونراد

الممالك والامارات وجعلها تنتخب للامبراطورية فردريك دوق سوابيا وهو محبي ونسيبه وقد فضله على ابنه لانه كان اعظم امراء الالمان واحذقهم. فهل من دليل على اهليته اعظم من ذلك فرايت ذلك الرجل الذي تقررت عظمته عند الجميع واحببته حبًّا ليس كحب الفتيات الاعمى عند ما يهيمون برجل بدون تفكر وتامل فيحبونه شخصيًّا. وقد همت به بالنظر الى ما كان عليه و بالنظر الى ما قد فاز بالحصول عليه باهليته واقيمت احتفالات وولائم بعد ذلك الانتخاب وكثيرًا ما كان يجلس بجانبي. وكان يركب ويسير معي في الاحتفالات ويلبس علامتي واخذ جائزة السبق من يدي. واجتمعنا اجتماعات عالية ذات افتخار وتقرر في عقلي ان قلبه يكلم قلبي وانه قد راى انني احرضه على سلوك سبل المجد والفخر مع احترامي لتعقله وحذقه حتى انني مستعدة لان انسى نفسي لاهتم بشهرته وان غاية وجودي انما هي ان يكتب على قبري انني كنت بالاهلية زوجة الامبراطور فردريك. آه يا جيلا وقد ظننت في تلك الايام السعيدة انه كان يحبني ولا ازال اظن انه يحبني فانه تقرر في عقلي انه ما من فتاة من الفتيات الجميلات اللواتي كن مجتمعات هناك تستحقه غيري ولا ريب في ان ذلك قد تقرر في عقله ايضًا. ولا ازال متأكدة بانه كان يهيم بي وانه سيحبني بعد الان. لان اهتمامات السياسة ربما كانت قد جعلته ينساني ولكن ذلك لا يدوم فيتذكرني وسياتيني طالبًا الحصول عليَّ. فانظري الى التطاير الذي نشتغل به اما هو صورة انتخاب الامبراطور فردريك ولا التذ بصورة اخرى. وترين انني عائشة في حلم ذي اهتمام فارى الامبراطوريات والامم المحروسة بالحكمة الحاصلة على السعادة والرفاهية والمشورات المصيبة والحروب العادلة والانتصارات

العظيمة. فيحق لي بحق الولادة ان احلم بذلك والحصول على المامول ينشأ عن اقدامي وعلو همتي. وما يعظم فضلي ويرفع درجة شيمي ما اشعر باقتداري على القيام به من ترك حبه وقطع النظر عنه ولو كنت قد فزت بالمقصود بالحب ونلت ما اطمع بنواله في وسط الافراح والافتخار والسعادة والمجد اذا رايت ان سعادته وصوالحه تدعوني الى ذلك ولئن كان قد تقرر في عقلي انني اقدر ان ازيد مجده في الخارج وسعادته في الداخل. فاذهبي يا جيلا واجتمعي بحبيبك وليكن هذا الاجتماع اجتماعًا اخيرًا اذا كان لا سبيل الى الحصول على المرغوب وكوني مثلي من جهة عدم التردد عن تضحية الحب في سبيل الناموس. فانه لا يطالب الى الذين هم في درجة عالية بالولادة القيام بما يوافق الناموس والشرف دون غيرهم ولكنه من واجبات كل امراة مهما كانت درجتها ان تكون بتصرفاتها المتعلقة بنفسها كبرنسس وكافضل النساء. والا فلا تصان من السقوط المذل الا بعدم الحصول على اسباب الطغيان. فاذهبي واذا وجدت انه لا بد لك من ترك حبك فاعلمي ان قيامك بالواجبات التي يدعوك الناموس الى القيام بها يجب ان يكون احب اليك من نفس ذلك الحب

قد هبت جيلا الى الينبوع المذكور عند غياب الشمس وقد ارسلت اشعتها الجميلة وغطت بها المكان المجاور له وكان في الارض الواقعة وراءه اشجار ملتفة. وكان الهواء ساكنًا فلم يدل غصن ولا سمع لاوراقها حفيف. اما في الجهة الامامية منه فلم تكن الاشجار ملتفة كما في الجهة الخلفية فكانت تظهر الاعشاب الجميلة النابتة في الارض بينها. وفي الجهة اليمنى كانت الارض مرتفعة كثيرة الصخور وكانت تكللها اشجار الصنوبر القديمة. وكانت المياه تخرج من بين الصنوبر وتجري كانها فضة سائلة بين شقوق قد

كستها الاعشاب الخضراء ثم تسقط من مكان مرتفع قليلاً الى حوض قد بني بحجارة غير منحوتة حتى الجحت ومن ثم كانت تجري بطيئاً بين زهور وحجارة الى ان تصب في نهر كنبزغ التي كانت مياهه تلمع عن بعد . وكان وراء ذلك الينبوع مقعد من حجر وبجانبه مقاعد اخرى من حجارة غير منحوتة وفوقها اشجار تظللها باغصانها وتحتها زهور وورد ونسرين قد ازهرت وحملت الهواء اطيابها ليتم انتعاش الذين يأتونه . فجلست بالقرب منه كانها حورية من حور الجنان . غير ان افكارها كانت مشغولة بما تشتغل به افكار فتيات العالم وكانت تطرز على انها امست غير قادرة على ان تقوم بالتطريز فكان ينقطع الخيط تارة وتقع الابرة من يدها اخرى لانها كانت تنظر الى جهة الغابة التي كان يأتيها منها حبيبها . وبعد ان جلست برهة سمعت صوت مشي فيها فخفق فؤادها وجرى الدم بارداً في عروقها ثم احمر وجهها وارتعدت فرائصها ثم سمعت صوتاً جميلاً يغني وبعد ذلك بدقيقة ظهر محبها المسمى بهرمان من بين الاشجار يسير سيراً لطيفاً والجلال يسير في خدمته ولوائح الشوق تلوح على وجهه . وكانت ترى في فيه مع صغر سنه ادلة العظمة المرتبية حتى كان كل من يراه من الفلاحين يرفع برنيطته عن راسه احتراماً له فجاء الينبوع وامسك يد جيلا بيده فجرت التحيات بينهما بالصمت . ثم جاء ذلك الينبوع الجميل وشرب منه وصب بعض الماء على الارض وهو يقول يا جيلا اني هذه تقدماتي للمكان الذي صادفتك فيه . وفي اثنا ذلك دنا كلبه منها واخذ يظهر ما كان يدل على انه كان قد تعرف بها . فجلس بجانبها على حجر وصرفا برهة صامتين . وكانت جيلا تحاول ان تستر اضطرابها وتخفي احمرار وجهها بملاعبة الكلب وكان هرمان محبها ينظر اليها مستحسناً جمالها ولطفها . ومن المعلوم انه كثيراً ما ينتقل الانسان من حالة الصمت الى حالة التكلم بكلام لا يدعو المقام اليه وكذلك جيلا انتقلت الى حالة التكلم بالتفوه بالا فائدة فيه في تلك الظروف فقالت ما اجمل هذا المكان وما احلى هذه الساعة . فقال وهو ينظر اليها وليس الى المكان ما اجملها ما اجملها والساعة حلوة كالشهد والمنظر جميل فهذا ما يوافق ولادة الحب الذي لا يولد في اماكن اعتيادية . فمن يا ترى يتصور انه يولد في شوارع موحلة وازقة ذات غبار . وربما كان يوجد فيها لانه يعيش في كل مكان على ان مهده ينبغي ان يكون في الاماكن الجميلة التي تستحق وصف الشاعر وعناية المصور . وقد يظهر الحب بل اخوه او عمه في الاماكن المذكورة ولكنه لا يظهر بنفسه فيكون فيها قبولاً او تصوراً او تفضيلاً . فلما سمعت جيلا هذا الكلام شعرت بان طرفاً من الغيرة قد دخل قلبها فقالت اخشى ان تكون قد بلغت درجة قصوى من الحذق في فن الحب . فاجاب المعنى من كلامك ان حبي لك ليس بحب صحيح طاهر وانني حاولت امتلاك قلوب فتيات كثيرات قبلك فاسمعي كلامي وصدقيني انني ربما كنت قد عاشرت الجميلات واستحسنت بعضهن وفضلت فتاة على فتاة غير انني لم اعشق قبل ان عشقتك فلم اجثُ امام مذبح غرام الا غرام حورية الغابة أما تصدقين ذلك . قالت كيف اصدق بدون برهان . قال اطلبي برهاناً . قالت وقد اطرقت الى الارض انني اطلب برهاناً صغيراً وهو اخبرني باسمك . فقال يا جيلا يا مهجتي اشفقي على نفسي وعلى نفسك ولا تسالي هذا السوال الان فساخبرك فيه في وقت اخر . فقالت وقد شفت جيوبا واحسرتاه . قال ان كتمي ذلك ليس عن سبب تخجل به وسياتي زمان تفتخرين فيه بحبك ولم اكتم اسمي الا لتتعودي امري واملي ان الحب

(ستاتي بقيتها)

ملح

من قلم سليم افندي غنخوري

زيجة بالوكالة

قالت امراة بسيطة لابنة لها ذات مبادي حسنة وقواعد صحيحة افرحي يا ابنتي فان فلانا الشهير باللطف وكثرة المجون يطلب ان يقترن بك وينبغي ان لا ترددي عن قبوله لان ذلك مما يضاد ارادتي وستكونون معه على ماتريدين فاجابتها ابنتها لا يكون عندك ريب يا اماه في انني ساسر بهذا الاقتران الذي ساكون به نائبة عن والدتي المحبوبة لان توقيف زواجي على ارادتها دون ارادتي دلالة على انها هي التي ستتزوج لا انا

جواب بحلو

اجتمع احمقان فقال الواحد للاخر متى يا اخي يزرعون اللوز بعسل اجابه حين تمطر السما كبابا تجيبا يا بليد

تاريخ جديد

قيل لرجل متى يكون حصاد الشعير قال متى تلد عنزة جارتنا ام مليم

فارس ماهر

قيل لرجل اتحسن ركوب الخيل قال نعم ولكن فوق السطوح

اب وابنة

سال شاب مغفل اباه لماذا لا تلد الارامل اولادا يا ابي اجابه خوفا من ان ياتين بولد يكون بليدا مثلك يا ابني

تفسير شاعر

اطلعت بعض المتشاعرين على قصيدة كنت نظمتها معرضا بها بذكر الريح الاصفر الذي ظهر في العام الماضي ومستطردا منه الى ذكر بعض امور اخرى فلما انتهى الى قولي باخرها

سيعلم آلهـا يوما باني … فتى لم يرتكب في الحب عارا
واني لم اكن مطواع نفس … عن الاهوا لا تثني ازدجارا
ولكني متى علقت خودا … اتيح لها مدى الدهر الفخارا
اذا لم يغنني علمي وعقلي … فحسبك ان لي شرفا يلرى
واني لا احوص رداء امري … بايد لا تنصلة افتكارا
دعاهم هائمين بكل واد … عميق لا يرون له سرارا
يضلون السرى حتى اذا ما … بدا صبح الهدى والليل هارا
قضى امر به تستثنياني … وحصحص حقنا والبطل بارا

فقال وهل بظهور الريح الاصفر ظهر الحق وهلك البطل لعمري انك لفاسد الافكار قلت صدقت والبرهان على ذلك عرضي اياها على من كان نظير جنابك

سياسي وجغرافي معا

فيما كان بعض المغفلين يطالع عددا من اعداد الجنة ساله رجل ماذا قرات من الحوادث عن السرب اجابه ان الحوادث عنها كثيرة ونتيجتها ان البرنس بلغراد سيدخل ميلان ليجهز جيوشه بقصد الايقاع في روسيا فان تم ذلك لا شك في ان عاقبتنا وخيمة فقال له ذاك ضاحكا كيف ذلك اجابه الا تعلم ان فتوح السرب للاراضي الروسية يمهد لهم سبيلا للوصول الينا عن طريق كورتشاكوف

عالم ديني

قيل لبعض المغفلين متى يكون صيام الرسل فقال انه يكون باول المرافع

بليد وظريف

سال بليد ظريفا كيف حال المرحوم المبرور اخيكم المحترم اجابه هو يسال عن حال الهالك الروح والدكم الذي لم يمت الا بعد ان نجس الناس بهذه الذرية القذرة

الجنان
الجزء الثاني والعشرون
في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٦

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

لولا فوائد الاخبار لابينا تكدير انفسنا بذكر ما قد مضى علينا وصعوبات الحال وظلمات الاستقبال فجعلنا نلتفت الى الماجريات الغابرة مجانبة للوقوع في ما هو اشد اشكالاً وارداً عاقبة مما قد وصل بنا الى المشاكل الجارية ولولا ذلك لما رأينا فائدة للاقرار بالتقصير ولا لاظهار مضار التاخير والعود في الغد الى ما كنا عليه في امسنا بالنظر الى احوالنا الداخلية واثقالنا المالي وسبق اوربا لنا في الفنون الحربية لم نبت في حال اشد ضيقاً من هذه الحال واذا ساقتنا غايات حلفاء دولتنا او تقصيراتهم عن ادراك ما يترتب على من بات في ظروفنا من اتساع الخرق بمرور الزمان الى خسران سنوح فرص يتيسر استغنامها لتسوية الامور نصادف قبل مرور زمان طويل خطوباً جديدة يتعسر بها بلوغ عاقبة سلمية في اوربا وانشقاقاتنا الداخلية ومواراتنا التحزبية ليست غير اسباب ازدياد التعقيد وسلب الامنية والقاء الامة في صعوبات لا تقدر ان تتخلص منها الا بظهور امارات الاتحاد والتعاون على اجراء كل اصلاح والقبول بكل شرط تدعو اليه ضروريات الاحوال فالمشاغبون في الاستانة العلية قد ابانوا اننا نحن في الولايات اكثر تعقلاً منهم ونعلم ان انقياد الامة الى الحكومة بالرضى والشكر والسلطنة مشغلة بالثورات الداخلية والمخابرات المهمة الخارجية اعانة عظيمة لها وسبيل بلوغ العواقب السليمة ولذلك قد ترتب على كل عثماني محب لوطنه ودولته وحافظ الراحة والسلام بين الامم الكثيرة الاقلاع عن اسباب الشقاق والمشاغبات والاعتراض ونهج مناهج الالفة وتاجيل كل راي تبدو اصابته لصاحبه وكل تدبير لسد خلل وتكميل نقص الى ان يصفو جونا وقد قلنا في جمل ماضية في الجنان والجنة ان الانكليز قد ساقونا على غير قصد الى ما قد بتنا فيه وقد قال قوم من اضدادهم بل عن قصد فان لهم في تزايد الخطب واضرام نيران حروب صوالح تبدو في اوقاتها وقد ظلموهم بنهاتهم فانهم اشد الناس رغبة في انهاء الحرب وبقاء السلم غير انهم ربما كانوا قد تجاوزوا حدود الاعتدال في محاولة منع مداخلات الدول الاوربية في امورنا واغاظوا بعضها فاتسع الخرق ولا نستشهد على صحة ذلك اعداءهم فان في نفس كتابات وزير خارجيتهم التي القيت على مائدة مجلسهم العالي ما يغني عن كل برهان ويبين ان الحكومة الانكليزية كانت سبباً للتاخير كلما فتح باب لتسوية الخلاف ففي بادي الامر بادرت الامبراطوريات الثلث الشمالية الى ان تشور على الدول الست بان ترسل قناصلها للمخابرة ورؤساء العصاة ويشوروا عليهم بالكف عن الحرب وكان ذلك في آب (اوغسطوس) من السنة الماضية ومن ماموريهم ايضاً ان يجعلوهم يعرضون تشكياتهم لقومسيون عثماني فبادرت فرنسا وايطاليا الى قبول ذلك بدون اعتراض وكانت الدولة العلية راغبة جداً في انفاذ ذلك فخابر حضرة الصدر الاعظم سفير الانكليز والح عليه بان لا تمتنع انكلترا عن مشاركة سائر الدول فيه لانه مهم جداً وفيه

عظيم صالح للدولة العلية فخابر السفير وزير الخارجية وابان له صالح الباب العالي غير ان الظاهر انه كان قد صمم على ان يمتنع عن المداخلة فاجاب بما ترجمته ان الحكومة الانكليزية قد قبلت بذلك بتردد لانها مرتابة في صوابية مداخلة القناصل الاجانب وهذه المداخلة ليست بموافقة لنفوذ الباب العالي المستقل في بلاده وتجعل الثورات واسطة لطلب مساعدات اجنبية لمضادة التسلط العثماني وربما كان يفتح بابًا لمداخلات اخرى سياسية على انه لما كان الباب العالي قد طلب الى سعادتك راجيًا الاشتراك بذلك كان لا بد من ان تجيب الحكومة الانكليزية طلبه ولكنها ترغب في ان يعلم الباب العالي ان ذلك كان اجابة لطلبه وانه مقرر عندها ان الاصوب ان تعامل الدولة العلية العصاة بدون مداخلة اجنبية . انتهى .

وفي ايلول (سبتمبر) ظهر عدم نجاح مامورية القناصل ويقال ان سببها هجوم الجنود الشاهانية على العصاة قبل ان تمت المخابرات ويقال غير ذلك .

وفي اوائل كانون الاول (ديسمبر) بادرت النمسا الى اظهار سوء الاحوال وطلبت بالحاح اجراء ما يقطع اسباب العصيان بتقرير اصلاحات لا تمس ناموس الباب العالي فهيأت الدول الثلث الشمالية اللائحة المعروفة بلائحة الكونت اندراسي او النمسا وتقرر فيها منح الحرية الدينية وابطال تلزيم الاعشار وانشا قومسيون مخصوص للمناظرة على اجرائها وتحسين حالة الولايات وتخصيص قسم من الدخل للقيام بامور نافعة وكان ذلك بدون خسارة ارض ولا منح استقلال اداري وكان من اللازم ان يبرم هذا الامر بسرعة فاجمعت الدول على قبولها خلا انكلترا فانها امتنعت عن ذلك الى ان طلب الباب العالي اليها بالحاح بان تتفق مع سائر الدول ولم يتم ذلك الا بعد ثلثة اسابيع فذهبت سدى وتقررت لائحة برلين وشروطها هدنة شهرين وترميم بيوت المصابين وكنائسهم واعطاؤهم ما يعيشون به وانشا قومسيون مختلط وجمع الجنود العثمانية وان يبقى السلاح في يد المسلمين والنصارى من الاهالي وان يناظر قناصل الدول الست على الاصلاحات في تلك الاماكن فقبلت فرنسا وايطاليا بها ولكن انكلترا رفضتها وارسلت بوارجها الى مركز مهم واغاظت روسيا مع ان سفيرها في بطرسبرج كان قد كتب اليها انه مقرر عندي ان امبراطور روسيا راغب في السلام وان سياسته في الشرق بدون صالح وان غايته القصوى في اخماد الثورة وعضد الدولة العثمانية . انتهى . فتبع رفض لائحة برلين حرب السرب والجبل الاسود واتساع دائرة الثورة وطول مدتها يصعبان شروط الصلح كما ظهر مما اوردناه اعلاه فشتان بين ما طلب عند مداخلات القناصل الاولى وما طلب بلائحة برلين وما نسمع بانه قد بات اساسًا للمخابرات الحالية فواجبات كل عثماني ان يفرغ جهده في ترقية اسباب الصرف حالاً بما يتيسر لانه ما دامت الامور محصورة في شمالي السلطنة لا تكون اهميتها قدر نصف اهمية امتدادها وفي السنة الماضية في كانون الاول (ديسمبر) كانت الاحوال على ما قد اصبحت الان عليه والفرق شهر فان لائحة النمسا قررت حينئذٍ وتبعتها لائحة برلين والسرب والجبل الاسود متاهبتان تنتظران العاقبة فلم يوت بالمرغوب فشهرتا الحرب وساقنا الزمان الى ما قد ساقنا اليه فلا ينبغي والحالة هذه ان نلقي موانع في سبيل الصرف ولا ان نتردد ولا ان نمطل فان الاخبار الاخيرة تدل على ان اليونان والفلاخ والبغدان على استعداد فاذا كانت نواياهم ردية يدفع شرها بتسوية سريعة فان

الخوف من حرب اجنبية بين الدول العظيمة اقل كثيرًا من ان تعاد اسباب ترسيع دائرة الثورات في الفلاخ والبغدان والولايات المجاورة لليونان على ان الظاهر من الحالة الجارية ان الدول قاطبة ولا سيا النمسا وفرنسا وانكلترا راغبة في نهي الحرب وان روسيا لا تومل لولا ترغب في اكتساب شيء مادي لها ولا سيما بعد ان تقرر في عقلها ان المانيا تجاريها وتواطئها ما دامت لا تفعل ما يضر كثيرًا بالنمسا ويزيد سطوتها ونفوذها فالسلام ارجح وهذا ما قلناهُ مؤاور با مضطربة من جرى ترقب فتح حرب روسية وامتناع روسيا عن القبول بهدنة سنة لشهر يدل على انها ترغب في القيام بمايأتي بتسوية فقبل ان تسمح بتوسيع دائرة الحرب ففزرت هدنة شهرين للرجوع الى القتال في فصل الشتاء اذا لا سمح الله لم يتيسر فض الخلاف وقد خالفنا افكار الناس عمومًا في الشرق في الجزء الماضي من الجنان بقولنا في الجملة السياسية عند ورود رسالة برقية بان المدنة لستة اشهر ان ذلك اوفق لنا لاننا اقدر كثيرًا على التربص وقد ابنا الاسباب في تلك الجملة وهكذا قد ظهر باجلى بيان ان صالحنا حفظ الراحة الداخلية والميل الى ما يستصوبهُ الباب العالي لانهُ ادرى من الجميع بما يتيسر وهو اشد الناس غيرة طبعًا على صيانة حقوق الامة وناموس الحكومة فكل من نهج منهج الذين افاءوا بالمؤامرة في الاستانة او الذين يتعدون على ابناء بلادهم يزيد مشاكل الدولة ويضر بصوالح الامة وبالتالي بصالح نفسهِ فعلينا ان نتربص كما ان على وكلاء السلطنة السنية ان يستغنموا ستوح فرصة هذه الهدنة لتسوية الامور التي هي احسن فان حافظنا نحن على الراحة الداخلية واقمنا بالمساعدات التي تطلبها حكومتنا بالسكون واستغنمت الفرصة الحالية بالحكمة وبدون التفات الى وساوس اصحاب الغايات او الذين لا يدركون الحقائق السياسية فلا يمضي الشهران الا ينتهي الامر وعند ذلك نهتم بما هو مهم لداخليتنا وباصلاح احوالنا اذا امكن اتفاقنا واتحادنا لنخرج من الاحوال الردية المضرة التي وصفت بخطوط هما يونية وتحريرات سامية ونحاول الابتدا بما هو اصلح واضبط ومن يقابل حالة ايطاليا الجارية بحالتها الماضية لا يقول ان بلوغ طرف من الاصلاح في مدة كافية من المحال

فرنسا

قالت جريدة التيمس ان نجاح فرنسا المالي في الاشهر التسعة الاخيرة موطد جدًّا للامال ويحق لالمانيا المنتصرة ان تحسد علامات النجاح التي ابانتها مكاتبنا الباريزي . والاموال الاميرية قد جاءت باكثر من مليوني ليرا فوق التعديل وذلك من المال الذي يوخذ راسًا من الاهالي والاموال الاخرى زادت اكثر من اربعة ملايين ليرا انكليزية . ومن المعلوم انهُ يسهل تكثير الزيادة بتقليل التعديل . على انهُ قد ظهر ان النجاح هو فعلي . فان الاموال الاميرية قد جاءت باكثر مما جاءت به في تسعة اشهر من السنة الماضية والزيادة مليون و٧٨٧ الف ليرا انكليزية . فهذه المداخيل ليست التي تبين اقتدار فرنسا على احتمال اموال اميرية تخرب بلدانًا اخرى خلا بلادنا . فلا بد من الرجوع الى زمان الامبراطورية لنرى الزيادة التي القيت على عاتق الامة بدون ان توقعها في ارتباك . وكانت الامبراطورية اشد الدول التي راتها فرنسا تبذيرًا . وفي ١٧ سنة زادت الدين ٢٠ مليون ليرا انكليزية وفي السنة الاخيرة من وجودها كان الدخل ٧٥ مليون ليرا على ان حرب المانيا والكمون استغرقت ٢٧ مليون ليرا فالتزمت الحكومات التابعة لها بان تزيد الاموال الاميرية . وفي السنة الماضية كان دخلها ١٠٢ ملايين

وهكذا تكون قد زادت الاموال الاميرية في ست سنين ٢٨ مليون ليرا . ولا ريب في ان هذه الزيادة ضرر عظيم . ولا بد من ان تكثر التعاسة في المدن العظيمة وتجعل الجد والكد لحصول على المعاش همّاً وثقلاً عظيماً عند الذين ليسوا بمستقلين في المعاش ومع ذلك لا نسمع الشكي الذي نسمعه في ظروف كهذه الظروف ولا الذي سمعناهُ عندما كانت الاموال الاميرية قدر نصف الاموال الحالية . وفي هذه الايام تدفع الامة الفرنسوية اكثر من مائة مليون بدون تشكٍ وبدون ان يظهر غير شيء قليل من اثار الثقل . ولا بد من ان نسمع اخباراً مختلفة عن هذا الخبر اذا امحل الكرم سنة او سنتين متتابعتين او اذا عرضت نفسها لخاطر حرب اخرى . اما الان فنجاحها مدهش محير

والالمان لا يسترون تعجبهم من نجاح بلاد دفعت لهم مائتي مليون ليرا بعد الحرب ومع ذلك تفوقهم الان كثيراً في الثروة وحسن الحال وقد طالما ظهر علاة التوفير السياسي سرعة تخلص الامم من عواقب حروب مخربة . ومن المصائب يتولد التوفير . وقبل الحرب تبذر الامم قسماً عظيماً من دخلها في ما يدعى بمصروف لا باتي بثمرة اي في سبيل التنعم والتزيين . وهكذا تنمو عليها امور كثيرة ماصة تمتص دمها بدون ان تزيد في ثروتها الحقيقية . وكل هيئة اجتماعية متمدنة كل التمدن تقدر ان تقلل مصاريفها بدون ان تضر باسباب مداخيلها . وبعد زمان تخريب يصرف قسم عظيم مما يبذر في زمان نجاح في سبيل ضروريات الحيوة . والهيئة الاجتماعية تتكدر من الخسائر وتهيج الى كد جديد بقوة تكاد تكون غير بشرية خوفاً من الخراب . فالتوفير والكد يمكنان الامة من ان تتخلص بسرعة من خراب ولو كان عظيماً كالخراب الذي حل في فرنسا سنة ١٨٧٠ .

اما ارباح الحرب فحركت المانيا الى التبذير . فانهُ ظهر في البلاد طوفان من المال فالوف من العيال حادوا عن توفيراتهم المعاشية ليعوموا في بحار المعاملات وصارت برلين على ما كانت عليه باريز فراجت اسواق التجارة بسبب خارجي فظن الناس انهُ طبيعي وصرفوا ما يوازي انتظاراتهم . وفي برهة قصيرة شعر الفعلة بالضيق ولو لم يكن نظام المانيا الحربي اشد النظامات استغراقاً للمال مع ان ظاهرهُ يدل على انهُ ارخصها لرجعت المانيا الى نجاحها القديم . وفيها آلة عظيمة فاخرة للحرب مولفة من احسن شبانها ولكنها تصرف عليها بتقليل مداخيلها بحرم البلاد منفعة اشغالهم . ولا ريب في ان فرنسا تفعل كذلك على ان المانيا قد فاقتها فيهِ ولا نقول انهما تقدران ان تغيرا اعمالهما في حالة اوربا الحالية المضطربة . على ان فرنسا اقدر من المانيا على احتمال المصاريف المذكورة . فان خصب اراضيها عجيب وتوفيرات اهاليها ليست باقل اهمية . وليس عند المانيا ما عندها من راس المال ولا تقدر ان تعوض خسائرها كما تقدر فرنسا على تعويضها . وفرنسا تخطي كثيراً اذا ظنت انها تقدر ان تحتمل اثقال حرب اخرى

الغولوس ووزير انكلترا

قد نشرنا في الجنة ان جريدة الغولوس طعنت طعناً شديداً في وزير انكلترا الاول وقد نشرت جريدة التيمس جملة بشانها وهي الاتية ترجمتها

ان مكاتبنا البروسياني قد بعث الينا بكتابة تتضمن الترجمة وهي جملة طويلة نشرتها جريدة الغولوس الروسية التي تحب وطنها . وهي اشهر جريدة روسية تخص الراي العام الروسي ويطالعها الذين يظنون انهُ يحق لهم ان يدعوا الادراك واصابة الحكم وليست كجريدة الروسكي مير وهي جريدة البانسلافيين المتعصبين . ومن ادعا انها انها لا تساق

يا لتهييجات الحالية . وكلامها في الغالب حربي ومكدر على انها كثيرًا ما ادهشت قراءها باعندالها وكثيرًا اما تسمح للجرائد الاخرى ان تسبقها في المطاليب الحربية لتسر بادراكها ثم سبقها فيها . ولها سطوة مستمرة بمجانبة خطا الجرائد الروسية فتاتي باراء جديدة فلايعل المطالعون منها . وهي تشغل بامر الامور الجارية و بالحرب عند الدانوب وهو الطونه وهي تتكلم بانتعاش وحذق . ولا ريب في ما قاله مكاتبنا من انها اشهر جريدة يطالعها اهل النفوذ والمعارف .

ولذلك نقدر ان ندرك المركز الادبي الذي بلغة المتعلمون في روسيا . ولا ينشر طعن طويل شديد ما لم يكن مما يصدقه الذين ينشر عليهم . وربما كان قد صدر ونما في نفس تلك الهيئة الاجتماعية ونشا عن الاحاديث التي جرت بدون الاستناد الى اساس

ولا ريب في ان الانكليز يدهشون عند ما يسمعون بما نشرته الغولوس و يحكمون بشدة ميل اهالي بطرسبرج الى تصديق الاخبار والاركان اليها اكثر مما يحكمون باقتدارهم على اختلاقها . وقد قالت ان كل عمل من اعمال الحكومة الانكليزية المهمة ناشي عن اشتراك الوزير الاول والسار فيليب روز والبارون ارلانجار لربح المال . ومن تلك الاعمال التي اقام بها ليربح نقودًا سفر ولي عهد الملكة الى الهند وانتقال الفضة اليهاثم خروجها منها وتلقيب الملكة بامبراطورة الهند ورفض لائحة برلين الروسية . وقد قالت تلك الجريدة ان ذلك جميعه لجمع ملايين من الذهب وان الاضرار في هذه الاعمال تلحق بروسيا المنكودة الحظ فان الوزير الذي هو علة تلك الاعمال هو عدو امبراطور روسيا وامبراطوريته ويستغنم سنوح الفرص لينتقم ويملا جيبه بالذهب . وانه ما دامت الحكومة المحافظة على الحالة الجارية موجودة لانهاية للمشاكل الجارية التي تاتي ذلك الاتحاد المثلث المالي السياسي بارباح عظيمة حال كون اعنة امور انكلترا في يده وانه لابد من استمرار اضطرابات اوربا ما لم تنهض روسيا بقومها وتدك اعداءها . ولا ريب في ان اظهار بطلان ذلك الطعن يفرغ صبر القرا الانكليز ويبين وزيرنا الاول والذاتين اللذين طعن فيهما عدوانًا وتعديًا . فجهل كاتب تلك الجملة لاحوال السياسة الانكليزية يبين انه مهما كانت معارف الروسيين الذين هم مثلة من جهة تمدن الغريب الخارجي لا يعرفون حق المعرفة نظام انكلترا السياسي ولا نسبة بعض الوزراء الانكليز الى البعض الاخر ولا نسبتهم الى المجلس العالي ولا الى الامة . وربما كانت تلك الجريدة لا تقدر ان تدرك انه لا يمكن ان تجرى اتصاليات مالية كتلك الاتصاليات بين وزير واصحاب الاعمال المالية . فانها ربما كانت لا تقدر ان توجد من المؤكد انها لا تدوم . فانها مغايرة لعادات رجال السياسة عندنا ولارائهم ونظامهم وطبائعهم ولا يمكن القيام بها في نظامنا . لانه ليس عندنا وزرا مستقلون لا يخابر بعضهم البعض الاخر غير قليل او لا يتخابرون وكل منهم مستقل فعلاً في وزارته . فان كلاً من الوزراء يشعر بانه مسئول بكل ما تجريه الوزارة وتجري مفاوضات في الامور المهمة ويحق لكل وزير ان يطلب الافادات ويبدي رايه فالاشغال التي نسبتها جريدة الغولوس الى الوزير الاول وحده هي اشغال ١٢ رجلاً وكل منهم يعرف سبب ذلك الاجراء . فهذه المغايرات الغير الممكنة في انكلترا ربما كانت لا تحمل على التعجب العظيم في بلاد اخرى . وفي الغالب نرى ان الطعن وسرعة تصديق الاخبار الردية المتعلقة بالاخرين هو شان الذين ليسوا غير متعلقين باعمال ردية كالتي ينسبونها الى الناس . وفي الغالب يعيشون في الشر . فقومهم ومعارفهم من

الذي يرتاب في امانتهم وصدقهم واذا عاش الانسان بين الذين لا يهتمون بالمحافظة على اصول نهج المناهج الصحيحة وسمع كلامهم ورأى اعمالهم يفقد رشده لا يقدر ان يؤمن بوجود المطامع الشريفة والخدمات الخالية من الانتفاع الذاتي التي لا تجازى الا بالشهرة ونفع الناس

مشاكل الشرق

قالت جريدة التيمس ان صعوبات الاحوال في الشرق قد تزايدت كثيراً بما نراه في كل مكان من علم الاركان فكل انسان لا يركن الى صفاء باطن الذين يعاملهم . وكثيرون من رجال السياسة يعجزون عن ضبط انفسهم عند ما يحاولون ان يحيطوا علماً بالنوايا المغطاة العميقة التي تسترها روسيا بالكلام المعتدل . وانتظار البرنس بسمارك سر اعظم من سر روسيا فان الذين يقدرون ان يخبرونا بالضبط بماذا تترقب روسيا في المستقبل القريب والبعيد يقرون بانهم لا يعرفون حق المعرفة مقاصد السياسة الالمانية . وقد رجعت النمسا الى ترقب الساعة التي يكون فيها اصلاح حدودها الغير الموافقة لها جزء المداخلة . ويقال ان ايطاليا ذات اعتدال عظيم فانها اكفت مطامعها باودية في جنوبي برنار . والدول التي هي اصغر من هذه لها مطامع غير انه لا يحتفل بها غير قليل . لانه قد تقرر في العقول ان مطامع الدول العظيمة تتغلب عليها بادعاءات او بدونها . وان الفلاخ والبغدان قد علقت املها بالحصول على ارض في الجهة الجنوبية من الدلتة الدانوبية وذلك مكافاة لها لسماحها المتطوعين الروسيين بان يمروا فيها . على انه ربما كانت لا تحصل على المكافاة عند حلول اجلها . فانها لا تميل الى روسيا واعطاؤها كل مصبات الدانوب وسواحل عند البحر الاسود فضلاً عن سواحلها انما هو عبارة عن جعل الفاصل بين روسيا ومقصدها مضاعفاً . وربما كان ذلك ايضاً مما يجعل روسيا تقطع النظر عن تمكين السرب من الحصول على امالها واذا طفيت بلاد اليونان الى الاجراء الذي طالما امتنعت عنه تقاد بجواذب كاذبة . ومن الواجب ان نقول اننا لا نحاول ان نبحث لنقف على خفايا الدول المتخابرة التي لا تخفى على الباحثين المدققين وان كانت خفية . ولم نسمع بنسبة نوايا طمعية الى فرنسا . على انه قد تقرر عند رجال السياسة في الجهة الجنوبية الشرقية انهم يعرفون نوايا انكلترا المكنونة الظاهرة برغبتها الشديدة في المحافظة على الاحوال الحاضرة . ويبرهنون على صحة ظنونهم بالبراهين التي يأتي بها من كان مثلهم . وقد قالوا انه لا يمكن ان تبقى الاحوال على حالها . والانكليز يعرفون ذلك فلا يمكن ان نسلم بانهم يطالبون محالاً . ونواياهم لا بد من ان تظهر بمرور الزمان فيتبين ان ايديهم ليست بانظف من ايدي جيرانهم

ومن حسن الحظ نرى ان الذين في ايديهم عنان السياسة فعلاً كالوزراء الاولين ووزراء الخارجية والسفراء الذين ينوبون عن الدول العظيمة قد ارتفع اكثرهم عن دائرة اساءة الظنون الدنية وبات الذين هم اصغر منهم من رجال السياسة غائصين في مياهها وكل ما عظم الانسان يبعد عنها . والذين شانهم الاشتغال في اظهار خبايا ميل الدول يبين انه من درجة دنية في مهنته فاذا كانت كل تهمات الرياء صحيحة فماذا يكون تاثيرها في ضمير الرجل العادل . فلنبحث في ما هو جار الان . فانه يقال ان الجنرال اغناتيف قد قدم مذكرة الى الباب العالي . فلنفرض ان فيها شروط الصلح المهمة اي هدنة ستة

اسابيع ومنح استقلال اداري للولايات المضطربة والقيام بضمانة تضمن اجراهذه المنحة بادخال قوة اجنبية لتناظر على اجراء الاصلاحات في تلك الولايات . فالذين شانهم اساة الظن يقولون ان كل هذه الشروط ظاهرية لا اهمية للبحث عنها او قطع النظر عنها ٠ لان روسيا مصممة على ان تحارب الدولة العثمانية ولئن قبلت بها ٠حتى انها تقدر ان تجد واسطة اخرى لاستمرار الخلاف بحيث تفوز بالجائزة التي تطمع بها . فاذا فرضنا ان هذه التهمات صحيحة فهل من الصواب الامتناع عن التامل بما تشترطة روسيا . فالجواب واضح فان الارتياب في صدورها من باطن ذي صفاء يدعو الى تدقيق البحث عنها والتامل فيها . فان نشاعن ذلك رفضها تستمر الامور على حالها ٠ واذا فتحت المخابرات لقبولها تبيت روسيا في مركز صعب جدًّا لتجد سببًا لعدم المحافظة على ما قال سفيرها انهُ الشروط المقبولة عندها . ومن الاصابة عند معاملة رجل سياسي شديد الاقتدار على التخلص الاعتنا بمضايقتهِ وتبيين خطائهِ بعدم تمكينهِ من الخروج من المركز الذي يعينهُ لنفسهِ . اما نحن فنقول انهُ قد تقرر عندنا ان مذكرة روسيا ناشئة عن رغبتها الصحيحة في صرف المشكل وانها تامة وقد حكم الامبراطور بانهاء مايكن قبولهُ لتسوية الخلاف اذا قبلت الدول بها في الحال . ومراعاة الزمان مهمة ولا بد من ان تراعيهُ عند مقابلة مطاليب الدول المتخابرة وكلامها . فمنذ سنة كانت تسوية الثورة في البوسنة والهرسك من الامور البسيطة . على انهُ بمرور الزمان اتسعت دائرة الثورة والذين كانوا مكتفين بالاشتراك بالحاسيات مع العصاة صاروا من المحاربين والذين كانوا مكتفين بالحيادة صاروا مشتركين معهم بالحاسيات . ولا بد من تغيير شروط الصلح بتغيير احوال الحرب. وتهديات البلغار قد منعت وزارتنا عن القيام بسياسة كانت قادرة على القيام بها برضى الامة . وامبراطور روسيا لا يقدر ان يقطع النظر عن اميال امتهِ . فتقديم الجنرال اغناتيف سفير روسيا الشروط الى الباب العالي لابد من ان يفهم من كلامهِ ان هذه الشروط هي ما يقدر الامبراطور في هذا الوقت ان ينشرها على امتهِ وينفذها في امارات سلافية واقوام يميلون الى السلاف واذا قبل بها الباب العالي يقبل الامبراطور بها وبعدها كفية . فاذا كانت هذه المذكرة ناشئة عن رغبة روسيا في تقريرها او لاً من الصواب ان نبحث عنها ونتامل فيها ونقبلها اذا كانت مما يكن قبولهُ . واشد الناس ميلاً الى العثمانيين قد قالوا انهُ من الواجب ان يصير قبول المذكرة الروسية اذا كانت مما يركن اليهِ اقل الاركان ٠ ولا بد لهم من ان يروا بعد التامل ان الارتياب فيها ما يدعو الى سرعة قبولها . فالقرار الحالي ربما كان ياتي بتاثير مهم في تحديد حلول الجنود الاجنبية التي يقال انها تحل لصيانة القومسيون الدولي الذي يعين للمناظرة على اجراء الاستقلال الاداري في الولايات الثائرة . ومن المعلوم ان هذا الشرط يفسر تفسيرات مختلفة . فمن الناس من يقول ان الجنود التي تحل لنصون ذلك القومسيون لا يكون لحلولها اهمية اكثر من اهمية حلول الجنود الفرنسوية قبلاً في سورية . ومنهم من يقول انهُ ربما كان ارتقا الدرجة الاولى لاخراج الولايات من اليد العثمانية

ونظن ان سفيرنا في روسيا قد وصل الى ليفاديا والمامول ان مخابرتهُ لحضرة امبراطور روسيا تاتي باتفاق صريح من جهة حدود الجيش الحارس وصفاتهِ . وقد سمعنا باشاعة لا يركن اليها وهي ان ايطاليا تدعو لارسال الجنود الى بوسنه والهرسك . ولا يكن القيام بذلك بدون رضى النمسا . واذا كانت النمسا والمجر لا تحسب حسابًا لنوايا ايطاليا المتعلقة

باها لي دلماسيا الذين يتكلمون الايطاليانية لايقدر احد ان يعترض على حلول الجنود الايطاليانية فيها . ونحن لانرى ما يمنع استخدام الجنود التي استخدمت في سورية وتسرقنسا اذا طلب اليها ان ترسل جنوداً للمحافظة على السلام. ويكفي لذلك جيش قليل جداً ولاسيا اذا ابتدي بتقرير اصلح يجمع سلاح المسلمين والنصارى لانه بدون ذلك يصعب القيام بالاستقلال الاداري . واصعب من ذلك التصميم على الجنود التي تحل في البلغار لحفظ السلام وتنظيمها . وربما كانت جنود من الفلاخ والبغدان كافية لذلك والاوفق ان تكون الجنود من بلاد لا تتهم بالميل الى ضم البلغار اليها . ومن الواجب ان يكون سفير انكلترا الموجود الان في ليفاديا قادراً على تسوية كيفية اجرا مذكرة روسيا وازالة الصعوبة الاخيرة التي تقدر ان تجعل المخابرات الاخيرة تذهب سدى

آمال استقبالية

قالت جريدة التيمس قد ظهرت امور تدل على ان مشاكل الشرق قد زال ما كان لها من المخاطر الشديدة وانما نحن الانكليز اخذنا كثيراً من الاضطراب الاخير بتلك الدول التي يهمها ذلك اكثر من غيرها بان نقوم بما هو من متعلقاتها . ومن واجباتنا اذ اننا دولة من الدول التي امضت معاهدة باريز ان نجهد انفسنا بما نقدر عليه لنقرر مفهومية موافقة بين الباب العالي وسائر حلفائنا . على انه عند ما ذهبت اجتهاداتنا سدى بامتناع فريق عن اجابة طلبنا ثم بامتناع الفريق الاخر راينا انه لابد من ان تنتهي تاركين الدول المختلفة للقيام بالتسوية التي يتيسر لهم ان يقوموا بها . ومن الموافق ان يبين مركز انكلترا بالنظر الى ذلك تبييناً ظاهراً . ولم يشترك اشتراكاً عظيماً في المشاكل المتاخرة مراعاة لصوالح مهمة لنا في ولايات الدولة العثمانية في اوربا . ولم نتفرد بما خطر لنا ببال منذ اكثر من عشرين سنة من ان تصرف روسيا كان يتهدد سلام اوربا العام بالتكدير . فتبع ذلك تعدٍ على صوالحنا . واتفقنا نحن والدول الاخرى على عقد معاهدة لتقرير السلام العام في اوربا وعضد تدبيرات معينة في السلطنة العثمانية . ولا يخفى ان من الاصابات الناشئة عن الحكمة تقرير اتفاق بانه لا تتفرد دولة في العمل لان ذلك يسوق الى حرب عمومية نقع نحن ايضاً فيها . وغايتنا الماضية والاستقبالية مجانبة الحرب بكل الوسائل التي نقدر على استخدامها . وهذه هي غايتنا الحالية ايضاً ومما يمكننا في هذه السياسة ما نعلمه من ان الحرب لا تاتي الا باردا تسوية . ونحن نفضل تسوية حبية على انها ليست بضرورية للمحافظة على صوالحنا الثابتة . لاننا قادرون على ان نصون كل ما هو لازم لمركزنا في الشرق بدون ان نقع في الارتباك الذي ينشا عن اتحادنا مع الدولة العثمانية او جيرانها ونحن اقدر الدول على ان نجعل الحوادث تجري في مجراها وتصون صوالحنا بالاجراآت المستقلة

. والظاهر ان ما اظهرنا من استقلال مركزنا قد اثر في الدول الشرقية تاثيراً حسناً . وقد قيل لنا ان القوم في الاستانة قد تكدر واجداً بما تاكدوه من انه لا سبيل الى الاستناد الى مساعدة انكلترا . ولهذا الكدر اسباب اخرى وهي المؤامرة التي ظهرت فيها . ويقال ان قوماً من اكابر الدولات قد اشتركوا فيها . وانها لمقاومة الوزراء الذين قد شرعوا في الاشتغال في الاصطلاحات . وفي الاستانة رجال سياسة حاذقون فيعرفون ان امل حفظ نفوذ الحكومة العثمانية في الولايات الاوربية متعلق باجراء تلك

الاصلاحات وعندهم من الجسارة مايكفي لاجرائها ومن اهم الامور المتعلقة بذلك ان يعرفوا هل يقدرون ان يستندوا الى الجيش لحفظ الراحة . فاذا كان ذلك ممكنًا يقدرون ان يزيلوا ريب اوربا باصلاحات سريعة . ولكن اذا لم يتيسر لهم ذلك و باتوا ملتزمين بان يجعلوا نفريراتهم موثرة في الدول الاجنبية وفارغة في حقيقة الامر تقوم اوربا بطلب مداخلة جبرية و يصعب رفض ذلك ولا ريب في ان الاحوال تجري الى جهة القيام بضمانة من هذا النوع . ونرى اموراً كثيرة مقررة عندنا صفا نوايا الباب العالي . ولا بد من ان تسوقة صوالحة التي ربما كان يدركها كما تدركها دول اوربا الى ان يسلم لها ماديًا بعطا ليبها على ان الصعوبة في كيفية انفاذ نواياهُ ومقتضيات صوالحو . ومن المسلم ان روسيا مهتمة بهذا الامر اكثر من سائر الامور . ولا نقدر ان ننسي ان الاختبار الماضي يدل على لزوم المداخلة الاجنبية لارجاع الراحة بعد وقوع الشقاق بين اجناس واديان في الولايات العثمانية في اوربا . ومجانبة ذلك اوفق . والدولة العلية هي التي تقدر ان تتخذ وسائل سريعة موثرة فعالة لتبين امكانية الاستغنا عنها . وللان لم تتخذ تلك الوسائل .

واذا كانت الدولة العثمانية تدرك واجباتها باظهار المركز الذي تلتزم انكلترا بان تبيت فيهِ اخيرًا لا يبعد ان تدرك الدول الاخرى ما ادركتهُ هي . وكثيرًا ما يصر الانسان على امر ما دامت المقاومة جارية ولكن اذا انقطعت وترك وشانة بالنظر الى عواقب اعمالو يتردد حالاً ويرجع . والظاهر ان روسيا باتت على تلك الحال فانها لم ترتض ان تعامل الدولة العثمانية وحدها ولا سيما عندما رات انهُ لا بد من ان تحسب لقوات النمسا والمانيا حسابًا لانها لا تزال غير ثابتة العزم من جهة اجرائها . وبالنسبة الى دول اخرى نحن بعدها غير انهُ اذا لحق ضرر مهم بالسلطنة وآل الى التقسيم لا بد من ان تقوم بما يعنينا القيام بهِ . ولكن المانيا والنمسا تهتمان جدًا بتقدم روسيا ولم نرجع الى الوراء حتى ظهرت مسئوليتهما وواجباتهما واذا لاحظنا الجرائد الالمانية نرى ان الالمان قد شرعوا في ان يشعروا بان صوالحهم اعظم الصوالح بالنظر الى ما يجري عند الدانوب . وربما كان البرنس بسمارك يرغب جدًا في ان تبادر النمسا او انكلترا او فرنسا الى ان تخفف عنهُ النظر الى تلك الاحوال المتعبة . ولكن اذا امتنع عن ان يجعل نفوذهُ واسطة لتسوية موافقة لم يفت اوانها يلتزم ان يلاقي الصعوبات بنفسو . واذا جعل مشوراتهِ الحاحية على روسيا والدولة العلية والسرب موافقة يسعف اوربا في المحافظة على الصلح اسعافًا عظيمًا . واذا امتنع عن ذلك لا تكون انكلترا اشد الدول تشكيًا . لان عواقب تكدير السلام لا تقع علينا قبل الجميع . وربما كانت اظهر ادلة الاسباب التي تخمد الهيجان في الخارج ما يظهر من اهتمام وكالات روسيا باظهار ضيق دائرة مداخلاتها و بالحصول على هدنة . واذا صحت الاخبار الواردة يكون سفير روسيا في الاستانة مفرغًا جهدهُ للحصول على هدنة بدون شروط قبل كل شيء . وهذا ما طالما اشرنا بهِ في جريدتنا . ومن المقاصد الاولى في مشاكل كالجارية الحصول على زمان للمفاوضات صحيحة بشان شروط الصلح الثابت . ولا ريب في ان الضيقات المالية في روسيا تجعل حكومتها تميل الى السلم . وقد سررنا بما بلغنا من مكاتبنا في السرب ان عدد المتطوعين الروسيين الذين انضموا الى الجيش السربي هو اقل جدًا من عدد الذين طلبوا التطوع . وقد ظهر من ذلك ان دخول الروسيين الى السرب هو بالاكثر باجرالت

المهيجين السلافيين الذين يتعبون الحكومة الروسية نفسها . والظاهر ان الجيش السربي مع المتطوعين ليس بقادر على دفع العثمانيين وربما كانت روسيا تخاف من مصيبة تجعلها في مركز صعب . فهدنة سريعة ربما كانت تاتي بتسوية الصعوبة سلمًا والمظنون ان الزمان الجاري هو الزمان الموافق لعقدها

الدول والمسالة الشرقية

من اغرب الامور الجارية في اوربا بالنظر الى المسالة الشرقية ازدياد اهتمام بعض امم اواسط اوربا بما تفعلهُ حكومات البعض الاخر . والتخمينات اليومية المتعلقة بالاستقبال الذي تهيأهُ كل منها . ومن المستغرب جدًّا عند الانكليز ان المنتقدين من تلك الامم لا ينتقدون اعمال حكوماتهم . وكل ما يقال في كل بلاد عن واجباتها مبهم عمومي . ولا تسمع بتحريض شديد ولا بمقاومة عظيمة . والجرائد الحرة في المانيا مضادة كل المضادة لروسيا وقد ملأت عمدها بتحريض العالم المتمدن على استئصال التعدي الحربي وتقدم اسباب الجهل والخرافات . ومن يقرأ ذلك فيها ينتظر ان يطالع ايضًا طلبًا ثابتًا موجهًا الى البرنس بسمارك ليجعل سياستهُ موافقة لصوالح البلاد الالمانية فيقول للروسيين بصراحة انهُ لا ينبغي ان يزيدوا في التقدم . على اننا نقرأ افصح الاعتراضات واحكم الكتابات بدون ان يكون لها خاتمة مهمة . فكأن الكاتب لا يعلم ان براهينهُ تلقي على عاتقهِ وعلى عاتق ابناء وطنهِ اثقل المسئولية . فيختم كلامهُ بقولهِ ان نوايا الحكومة الالمانية غير ظاهرة وان البرنس بسمارك لا يزال مصرًّا على الصمت وانهُ لا يزال في فارزن ولكن عند مجيئهِ الى برلين ربما كانت تعرف اخبار اخرى . وفي البلاد النمساوية والمجرية نرى الكتاب يكتبون عن هذه الامور ككتاب المانيا . على ان اختلاف الاجناس والصوالح فيها يجعل السياسة اقل انتظامًا . ويحذرون العالم قاطبة من نوايا روسيا على انهم يقولون ان ما يتعلق بالامبراطورية النمساوية متوقف على بلاط الامبراطورية

ونحن نرى ان كل امة لا تلوم حكومتها غير لوم ضعيف او لا تلومها ابدًا على ان كلًّا منها امست موضوع انتقاد المنتقدين الاجانب واذا رغبت في ان تستفيد تقدر على جنى الفائدة من اراء جيرانها . فنسمع جرائد النمسا والمجر تبلغ البرنس بسمارك بصراحة ما يشير الالمان اليهِ بكلام عام غير واضح والحكومة النمساوية باتت في الحال موضوع التامل الخارجي وابراز المشورات . وسبب ذلك ان ما يجري في الدانوب يهم النمسا اكثر مما يهم الدول وقد اصبح لها في الحال اشد النفوذ بهذا الشان . ولو اتحدت روسيا والنمسا لتمكنت روسيا من انفاذ كل غاياتها في شمالي البلكان فتجعل الولايات امارات او ممالك او تجعل بينها وبينها النسبة التي توافقها . ولكن اذا نفذت غايات المجريين واستمرت الامبراطورية واقفة متحدة بكل قوتها لدفع التعديات المسكوبية لا يتيسر للروسيين ان يفوزوا بالنجاح الا بعد جهدٍ عظيم حربي من الموكد انها لا تعرض نفسها لهُ . والحيادة سبيل متوسط ينشا عن الاتفاق على ان لا تحدث تغييرات ثورية في الاراضي التي باتت موضوعًا للبحث . على انهُ يقال ان ذلك يوافق روسيا موافقة غير معتد لهُ . لان الفرق الذي يميز اعمالها يمكنها من ان تتجنب انفاذ الشروط وان تبقى جنودها مالكة حيث دخلت بشروط . والذين يلاحظون الاحوال في هذا الزمان يقولون ان كلًّا

من هذه الامور مما يمكن حدوثهُ · ولا ريب في ان المجريين يودون ان يسوقوا الامبراطورية النمساوية الى المجاهرة بعدوان روسيا · ومهما قال الناس عن الكونت اندراسي قد تقرر عند المجريين انهُ قد تجاوز حدود الاعتدال بالتروي والتيقظ. والالمان في الامبراطورية النمساوية يميلون الى ما يميل المجريون اليهِ ولئن كانت مخاوفهم اضعف وحميتهم اقل اتقادًا ولا يحيد عن محجة الصواب الذين ينتظرون ان يروا النمسا تضاد روسيا · على ان ما تمكنا من الوقوف عليهِ من اراء الناس في اواسط اوروبا يبين انهُ قد تقرر عندهم ان النمسا تميل الى الجهة الاخرى · ومن المستغرب ان يتقرر عند احد ان النمسا تميل الى الفتوحات وانها قررت ما يؤول الى تقسيم السلطنة العثمانية ومع ذلك نرى البعض يقولون ان ذلك قد رسخ في عقول بعض رجال السياسة الاولين في النمسا والبلاط النمساوي يرقي اسبابهُ

فهذا موضوع المفاوضات في الجرائد في الايام القليلة المتاخرة حتى ان جريدة الدبيا الفرنساوية البعيدة عن التهيج قد حذرت الحكومة النمساوية من القيام بسياسة ذات خطر كتلك السياسة · ولا بد من ان ينتبه الناس الى تحذيراتها لانها قد تكلمت منذ زمان ليس بقصير عن امور متعلقة بالحكومة النمساوية كلامًا يدل على انها ذات نفوذ وقد حامت بثبات عن سياسة الكونت اندراسي · وكلامها موافق لما يظهر في عبر الرين (المانيا) ويستدل من ذلك انهُ قد تقرر عند اهل الحرية في اوربا ان مركز الكونت اندراسي بات غير ثابت والنمسا قد اخذت في ان تسلك طريقًا غير موافقة . على اننا اذا فحصنا كل ما يقال ودققنا البحث عنهُ وعن الاميال الموصوفة ذات الخطر لا نرى ما يثبت اسباب المخاوف الجارية · ومن الممكن ان يكون نفوذ البلاط النمساوي والقواد والاهالي السلافيين الحربيين قويًا وقادرًا ان يوازن الميل المضاد لروسيا · على ان مركز النمسا بعيد عن ذلك لانهُ عبارة عن حيادة مشترطة واتفاق على سلب السلطنة العثمانية على مرأى من اوربا ؛ ولا بد من ان نقول ان الذين يخافون اتحاد روسيا والنمسا من ارباب السياسة قد اضعفوا املهم من جهة احوال الدول الاوربية وجسارتها · ولا ريب في ان لروسيا المحل الاول في الاجراءات الكائنة موضوعًا للمضادة · على ان الدول الاخرى الكبيرة والصغيرة تطلب غاياتها · فالمانيا متحدة سرًا مع روسيا والبرنس بسمارك والبرنس كورتشاكوف يعرف احدهم نوايا الاخر فقال لنا ان برهان ذلك تجهيزات الفلاخ والبغدان · لانهُ كيف يمكن ان يقوم برنس من عائلة هوهانزولرن بسياسة لم تقبل الحكومة الالمانية بها · وايطاليا تميل الى الاتفاق مع روسيا منتظرة المكافاة بتوسيع اراضيها وربما كان ذلك بخسارة النمسا ولا ريب في ان المقصود ان يكون بخسارة الدولة العثمانية وقد بادر ملك اليونان الى الرجوع الى اتينا وشعبهُ قد استعد ليطلب نصيبهُ ويلقي اشد اللوم على عواتقنا فيقال ان انكلترا قد جعلت استقلال الدولة العثمانية موسسًا على قاعدة مطلقة سياسية · غير انها قد بادرت بغتة الى نهج منهجهم تاركة عاداتها الطويلة مبتعدة عن الدفاع عن السلطنة المشار اليها وقد جهزت بوارجها للحلول في الاستانة العلية · فهذه الاقوال الدالة على طمع النصرانية عمومًا لا تمكننا من ان نحكم بما يتعلق بالنمسا وحدها وقد تجاوز اصحاب تلك الاقوال حدود الاعتدال في اعتبار الجرائد السلافية والدينية وحادوا عن الصواب والاصح ان النمسا بدون ان تتحرك حربيًا حركة قاطعة تمنع بسياستها ما لا يوافق

من مشورات روسيا . ولا ريب في ان مضادة شديدة تتهدد الكونت اندراسي وزير النمسا الاول على ان ميل الامبراطورية العام لا يغير مهما جرى . وبعد برهة قصيرة نعرف كل ما هو مهم عن سياسته وقد بلغنا انهُ عقد مجلس وزراء تحت رياسته . وذلك لكتابة الجواب الذي ينبغي ان يرد به على الذين صمموا على الاعتراض عليه في المجلس العالي بشان المسالة الشرقية . والمنتظر جري مفاوضات مهمة وربما تظهر بها توضيحات تامة . وعند ذلك نعرف فعلاً سياسة الكونت اندراسي وزير النمسا والمجر . وما يسمى بالحزب الحربي يبين اراءهُ ومرغوباته . وعندما يسمى الناس ملزومين بان يحددوا سياسة يتانون كثيرًا لوقوع المسئولية عليهم . ولذلك ربما كان الخلاف اقل من المظنون . ولا ريب في ماهو الميل العام . فان النمساويين والالمان تشتد مضادتهم لروسيا اذا راوا انهُ من الممكن اتساع اراضيها . وما يجعل الاهالي فيها في رواق ما تقرر عندهم من انهُ لا خوف من اتساع املاكها وانهُ اذا وقع خطر من الممكن دفعهُ . وبالنظر الى هذه الظروف لا نرى سبيلاً لنجاح الحزب الذي يرغب في موافقة روسيا ما لم تبادر الى اظهار ما يشهد باعتدال مطاليبها

المانيا

قالت جريدة التيمس ان البرنس بسمارك قد رجح اكثر من مرة الحكم بامر تقرير السلام في اوربا او اضرام نيران الحروب . ولا نظن انهُ اضحى قبل الان ذا سطوة عظيمة من جهة اقتداره على اجراء الخير او الشر كسطوته الحالية . والظاهر ان روسيا والنمسا والدولة العثمانية تسير الى جهة المحاربات التي طالما اقلقت اهل السياسة في قرن . فاذا كدر السلام وربما كان نصف العالم يبيت مقاتلاً . وما من دولة عظيمة تعلم ماذا يسلم من تلك العاصفة النارية . وربما كانت نظامات قليلة تسلم من التزلزل بعد ان تكون قد سكنت الاضطرابات . ونرى في عمل اقامت به بروسيا ما يشابه الاعمال الجارية وقد اثر في احوالها والملك الذي اقام به يشبه بالصفات صفات البرنس بسمارك وهو الملك فردريك الذي استولى على سيليزيا وقد قال كاتب مشهور عن ذلك ان العالم قاطبة وثب وتقلد سلاحهُ . وفردريك علة سفك كل الدماء التي سفكت في حرب اضرمت نيرانها سنين كثيرة في كل جهة من الكرة الارضية . فهو هارق دماء رجال فرقة فونتينو ودماء اهل الجبل الباسلين الذين ذُبحوا في كولون واضرار شروره اثرت في بلاد لم تكن تعرف اسم بروسيا وللتمكن من سلب ما هو لجاره حال كونهِ وعدهُ بالدفاع عنهُ جرى قتال بين السودان في سواحل كورومندن وبين الحمر عند بحيرات امركا الشمالية العظيمة . انتهى . اما مركز البرنس بسمارك فيختلف كثيرًا عن مركز فردريك الكبير المذكور فانهُ بريءٌ من محاولة تكدير سلام اوربا . على انهُ ربما كان وحدهُ من غير المحاربين قادرًا على ان يبعد بلايا عظيمة كالموصوفة في الكلام المذكور . ويخاف ان يكون العثمانيون قد صمموا على ان لا يسلموا باكثر مما قد سلموا به . وربما كان بلاط روسيا يبيت بعد برهة قصيرة آلة في يد الانواء التي تداهجها . على انهُ لم تفت الفرصة الموافقة لارجاع روسيا . والمانيا هي الدولة القادرة ان تخلص العالم من حرب مخيفة وقوتها كافية لالزام القوم بان يقبلوا الهدنة والبرنس بسمارك هو الذي ينفذها او يمتنع عن انفاذها . واذا تفوه بكلمة واحدة يوقف روسيا ولو كانت على حافة الوهدة التي تمسي فيها اذا شعرت بالحاح قليل . فلنقل ان المانيا لا تسمح لروسيا بان تنزل في الدانوب فيجد امبراطور روسيا

في قوتهِ المطلقة النافذة واسطة لمنع الهيجان السلاسي الذي يسوقهُ و يسوق العالم قاطبة الى الحرب . ثم تكلم البرنس بسمارك فنزع نهاية تصبيات روسيا على الدخول الى البلغار

ولا يلزم ان يكلم روسيا بكلام مهين . فان بين بلاط برلين و بطرسبرج علاقات صداقة كثيرة فيقدر امبراطور المانيا ان يشور على امبراطور روسيا بما يدرك فوائدهُ ومعناه بدون ان يكون تامرًا . ومشورة من اكبرهما سنًّا حال كونهما اقرب بين تعد من المشورات العائلية . ونظن ان امبراطورًا راغبًا جدًّا في المحافظة على السلام كالامبراطور الروسي يسر بالحاح يمكنهُ من ان يقطع النظر عن التحريضات الحربية في بلادهِ ومن المحقق ان المانيا ترغب في مجانبة الاضطراب . ولكن افضل واسطة لمجانبة الحرب ملاشاة ما ربما كانت تنشأ عنهُ . ولا تقدر المانيا ان تقطع النظر عن امكانية سوقها الى حرب على غير ارادتها وهذا مما يخيف ويزعج القرائص منهُ . وهي في خطر واحد ربما كنا نقدر اذا ذكرناهُ لانها قد ذكرتهُ مرات كثيرة وهو ان رجال العسكرية فيها تجاوزوا حدود الاعتدال في ارائهم خوفًا من ان فرنسا تصبح بعد برهة قصيرة قوية محبة للتعدي كما في الماضي . و بالنظر الى الاحوال الاعتيادية قد تقرر عندنا ان رجال السياسة يقدرون ان يقطعوا النظر عنهُ زمانًا طويلًا فان فرنسا لم ترغب قبل الان في المحافظة على السلام قدر رغبتها الحالية . وقد اظهرت ما يكاد يكون خوفًا مفرطًا من حدوث حرب على انهُ اذا تزلزلت اواسط اوربا بحرب عظيمة ومست صوالحها قدرعند فرنسا وظهر انها تستعجل ميزانية القوى في كفة جديدة مهمة وجاءت فرنسا بطلب اتحاد عظيم ربما كانت تقتضي امورًا كثيرة لترد الولايتين الماخوذتين منها . وما من دولة تعلم سرعة استعداد الحرب اكثر من فرنسا واذا قطع النظر

عن الخوف من عدوانها تبقى صوالح المانيا المهمة في خطر اذا عبرت روسيا الدانوب . والظاهر ان العثمانيين لا يرضون بان يتركوا البلغار بدون قتال وروسيا تعلم انهم يقاتلون اشد القتال وهو وراء الحواجز فشواطي الدانوب وجوانب تلال البلغار فيها ميادين حرب كثيرة قديمة لم تخرج منها روسيا كل مرة بفوز عظيم . ولا ريب في ان الحزب الروسي العسكري لا يقنع بالحلول في ولاية فقط بدون ان يحل فيها بشدائد الحرب . وقد ظهر في اواسط اسيا ان ذلك الحزب يعلم كيف ان ينفذ ارادتهُ . فاذا حلت روسيا في البلغار تصير ولاية روسية وربما كانت تكون تحت رياسة امير بالاسم . وقد اظهرت افلاخ بالغدان ان مركزها كمركز البلغار ولئن كان اميرها المانيًّا . والصرب امست في قبضة روسيا كما او كان اهلها من القوساق . فحلول روسيا في البلغار يجعل الدانوب نهرًا روسيًّا من مصبهِ الى بلغراد . والمحافظة على حرية المسير فيهِ ضرورية للمانيا كالنمسا . واذا سمح البرنس بسمارك بان تمسي اعظم طريق مائية في اوربا في يد دولة ربما كانت تصير عدوة للمانيا يظهر تساهلًا لم يظهر قبلًا في اعمالهِ . وربما كان يدخل بعد ان تفرغ قوة بعض الشبان بين و يكون ذلك سياسة مفهومة اذا كان مائلًا الى الحرب على ان اعظم احتياجات بلادهِ هو السلام لتعويض خسائر حرب فرنسا وترجع التجارة الى حالتها الاولى و يصبح الاتحاد الوطني الالماني بعيدًا عن اخطار الحركات الداخلية . وما من دولة لها صوالح معرضة للخطر كالمانيا . فان انشاب حرب بين روسيا والنمسا يضر بتجارتها كما يضر بتجارة الدولتين المتحاربتين . ونظن انها ترى لزومًا للدخول لانهاء المحاربة بعد ان تكون قد تكبدت تلك الخسائر وتكون مداخلتها كاطلاق سبيل مياه قوية . ومن الممكن ان نستريح الافكار من جميع ذلك اذا قال

البرنس بسمارك لبلاط روسيا بكلام صداقة ثابت ان المانيا لا تسمح بان يصير الدانوب نهرًا روسيًا . فتتقوى النمسا وفرنسا وانكلترا وغيرها بحيث تتأكد المحافظة على السلام

ومن كان ذا حذق سياسي كالبرنس بسمارك يعلم انهُ لا يتم جعل السلام ثابتًا الا بعد اجراء ما يزيد كثيرًا عن ذلك . ولا سبيل الى تقرير سلام دائم ومنع وقوع محاربات عظيمة ما لم يتخلص المسيحيون من كل تعدٍ . ولا نملّ من ان نكرر كلامنا الماضي وهو انهُ اذا تخلصنا من المخاطر الحالية يكون خطر سلام اوربا من اساءة السياسة في البلاد العثمانية . وهذا كلام انكلترا كما هو كلام روسيا . واذا اوضح الروسيون انهم لا يسترون مطامع بادعاءات حب خير البشر نتحد معهم قلبيًا لاصلاح الادارة في البلاد العثمانية . على ان ذلك لا يتم في وسط تجهيزات حربية . فاذا حفظ البرنس بسمارك سيف روسيا مغمودًا يسعف كل من المانيا وانكلترا الاخرى في حمل الباب العالي على القبول بالشروط اللازمة . وهذه البلاد تقدر ان تتكلم بحرية لان صوالحها اقل من صوالح دول اخرى . ولا تخاف كثيرًا ولو صار الدانوب نهرًا روسيًا واعظم دولة حربية في العالم لا تخاف على الاستانة العلية . ورغبة انكلترا الشديدة في تقرير السلام وترغب في ذلك مراعاة لصوالح اوربا عمومًا اكثر من صالحها . واشد صون للصلح اولا ثبات عزم دولة حربية عظيمة كالمانيا ثم اتحاد صداقي بينها وبين انكلترا لاجراء التغييرات اللازمة في البلاد العثمانية . ونقر بان اجراء تلك الاصلاحات صعب جدًا وربما كان يلزم ان تبقى بدون اتمام برهة على انهُ ربما كان يسهل منع روسيا عن ان تلتمس نفعًا في الحرب فحذق البرنس بسمارك السياسي وفوز بلاده الحربي قد جعلاهُ ذا نفوذ ليس اعظم منهُ غير نفوذ الامبراطور نابوليون الاول في صباح معركة اوسترليتز وحينما فبكلمة واحدة يقدر ان يخلص اوربا من مصائب حرب طائفية بالنسبة اليها . والمسئولية الملقاة عليهِ عظيمة كقوتهِ

معرض امركا

قد كتب الينا احد ابناء وطننا الموجودين في المعرض بما ياتي

لا ريب في ان اهل الوطن يصبون الى الوقوف على بعض اخبار عن معرض امركا فنقول انهُ في ٢٨ ايلول (سبتمبر) يوم عيد ولاية بنسلفانيا ومنها مدينة فيلادلفيا المقام فيها المعرض لانها تمتاز بامور كثيرة عن سائر البلاد . وقبل ذلك اليوم شرع في التاهبات اللازمة وارسلت الدعوات الى ماموري البلاد المدنيين والعسكريين في الولاية المذكورة ففي الساعة ٨ افرنجية اجتمع على باب المعرض الوف قد اتوا من جهات مختلفة وكان عدد الداخلين بعد الظهر بساعة ١٢٠٠٠٠ نفس وبعده باربع ساعات ٢٠٠ الف وبعده بخمس ساعات ٢٣٠ الفًا وفي اخر النهار ٢٥١٤٦٣ نسمة . فهذه اعداد رسمية لان رسم الدخول نصف ريال يدفع لخزينة المعرض ويضاف اليهم نحو ١٨٥٣٧ انفسًا من الغير الدافعين كالمامورين الاجانب والعارضين والمستخدمين فالمجموع ٢٧٠ الف نفس من الامركان الذين دخلوا في يوم واحد . ومن المعلوم ان معرض فينا بل معرض باريز لم يدخلهُ في ايام الاحد اكثر من مائة وسبعين الفًا في يوم واحد مع ان رسم الدخول كان نصف فرنك فقط وباريز تبعد يومًا فقط عن بلاد الانكليز والنمسا وايطاليا . وفي اليوم المذكور لم يجر بيع لانهُ يوم عيد الولاية فلهذا اغتنمنا الفرصة للتفرج . فرايناها في بناية الولاية الحاكم واقفًا يخاطب

الاهالي الكثيرين الذين حولهُ كاتب عن الحروب الطويلة الشديدة التي اقامت امركا بها للحصول على الاستقلال وبانَّ لهم كثرة الذين قتلوا من اباء السامعين واجدادهم لترقية اسباب سعادة البلاد وتقدمها ماديًّا وادبيًّا ثم جلس واشار الى حضرة رئيس المعرض فوقف وخطب وذكر الصعوبات التي صادفها منذ ثلث سنين عند الابتدا باشغال المعرض الذي دُعي اليهِ اهالي البلاد المتمدنة كافةً وانهُ بحولهِ تعالى وهمة الاهالي قد فازوا بالنجاح بدليل الابنية العظيمة التي شيدت للمعرض وهي اكثر من ماية . وقال مدير مالية المعرض انهُ يسر الاهالي ان يعلموا ان ما اخذ صرفوه من المال لاتمام عمل عظيم كهذا المعرض يرد اليهم من دخلهِ وان المعارض ذات نفع عظيم وواسطة لازدياد الالفة بين الامم . ولنتمكن من التفرج على بستان فيرمونت المبني فيهِ المعرض وداخله ذلك الجمهور صعدت على برج يرتفونه بآلة بخارية فشاهدت ما لم ارَ مثلهُ لان الشوارع العريضة جدًّا والبنايات ومنازل المسافرين والقهاوي ملآنة من الناس واحوالهم بانتظام عظيم فانهُ لم يلحق ضرر باحد ولا بدا كدر على وجه احد بل كانت لوائح السرور تلوح على اوجه الامركان المستعدين في يوم مثل هذا قلنا امركان لانهُ لم يكن فيهِ من الاوربيين المتفرجين اكثر من مائة . وفي الليل اقيمت العاب نارية مدهشة صرف في سبيلها عشرة آلاف ريال فازداد المنظر بهجةً ورونقًا . وامس وُزِّعت الجوائز على العارضين في القاعة العمومية بالمعرض التي تزينت بحضور موكب حافل حضرهُ سفراء الدول ومأمورو المعرض الاجانب الامركان وحكام البلاد والنظار والاعيان ومن بعد الاستقبال وتبادل السلام وقف رئيس المعرض وخطب مبينًا صعوبة ارضا الوف من العارضين انما افاد ان القضاة الذين تعينوا للمعاينة الا صنف ذات الاستحقاق لجائزة القبول وأُرسلوا من اوربا بمعرفة حكوماتهم وابتدي بتوزيعها على مأموري حكومات الاجانب بحسب ترتيب الاحرف الهجائية والموسيقى كانت تصدح بانغام البلاد التي تنال الجائزة فاستلم سعادة قارستاركي بك عن الدولة العلية الجائزة وبهذا يجب علينا نحن تجار سورية ان نثني على همة حضرتهِ وشمولنا بنظرهِ ومساعدتهِ ايانا باحتياجاتنا ثم ان جناب ادورد افندي الياس استلم جائزة مصر وكذلك باقي المأمورين . ولا يخفى عليكم ان الجوائز منافع في الصنائع كما هي في المدارس

تحريرًا في فيلادلفيا في ٦ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٨٧٦

اختلاف الاراء السياسية

ربما كانت لا تصدر الجملة الاتية من المطبعة الا بعد فوات زمانها وظهور الحقيقة . على انهُ لا يخفى اننا قلنا منذ سنة وسنتين تكرارًا في الجمل السياسية ان رجال السياسة انفسهم لا يدرون الى اين يساقون بمجاري الاحوال . والجدول للتاريخ كما هو للاراء السياسية الجارية ولذلك قد ترجمنا عن التيمس الرسالة الاتية ترجمتها وهي من مكاتبها المقيم في باريز وموضوعها وصف الاراء السياسية المتعلقة بالامور الشرقية لاظهار اختلافها حتى عند الذين هم في مراكز تمكنهم من الوقوف على حقائق الامور وهذه هي الترجمة المذكورة

من اصعب الامور محاولة وصف الاراء العامة الان . فان الاخبار المحققة القاطعة غير موجودة والاشاعات التي لا يركن اليها جارية بل ربما كان اصحاب الغايات يذيعونها فامست الاراء العمومية فعلاً في اضطراب وارتباك . فترى الناس تارةً في

قلق وطوراً في راحة بال بحسب ما يسمعون . ومما يستحق التامل ان كل الذين لهم علاقة مع روسيا من المامورين السياسيين وكتاب الجرائد والجواسيس والوكلاء السريين قد اخذوا في اذاعة اخبار وآراء سلمية منذ فتحت روسيا باب الحرب برفض الشروط التي طلبتها الدولة العلية . ولم يجر ذلك هذه المرة فقط . فانه منذ انتشاب الحروب قد اذاعوا خبرين الاول ان حضرة امبراطور روسيا يميل كل الميل الى السلام ولا يرتضي بفتح الحرب لاية علة كانت ويفضل النزول عن عرشه على ان يصرح بهرق دم روسي . والثاني ان البرنس بسمارك لا يهتم ابداً بالمسئلة الشرقية . فالخبران المذكوران المنتشران بلسان وكلاء روسيا والمانيا ولا سيما وكلاء روسيا هما اللذان قادا اوربا الى ما امست عليه من شدة القلق والاضطراب . ولا يزال الوكلاء الروسيون يخادعون الراي العام وما يستدل عليه من قرائن الاحوال ويحاولون ان يبينوا ان نوايا روسيا هي من اشد الاميال الى السلم مع خلوها من كل صالح خصوصي . واغرب من ذلك ان بعض الذين يحسبون من ابعد الناس عن تصديق الاخبار لا يزالون يرددون ادعاءات روسيا السلمية . فبهذه الاعمال المستترة قد جاءت روسيا برايين احدهما يخالف الآخر . وقد استغنمت سنوح الفرصة الناشئة عن ذلك وعن اشتغال اوربا في مضادات شديدة بشان نوايا روسيا الصحيحة واخذت في انفاذ ما تروم في انفاذه بدون تردد . ولا نرى توضيحاً لاراء العامة الا في ذلك وقد اجتمعت برجلين لارائهما اهمية ونفوذ وابان لي كل منهما راية على حدة وهو يخالف للآخر فكتبتهما لاظهار حالة الراي العام . وهذا كلام الاول

الظاهر ان الحالة الجارية تعد بصلح فان روسيا ليست بمستعدة لان تحارب فانه ليس عندها ما يلزم لذلك من المال والرجال . وقد اقامت بالمخابرات السياسية بحذق واصابة ففي بداية المخابرات الاخيرة فهمت السرب انها قد باتت في ضياع فطرحت بنفسها عند اقدام الدول وتوسلت اليها بان تحصل هدنة وتعقد صلحاً يمكنها من الرجوع الى ما كانت عليه . ومن المؤكد ايضاً ان السرب قبلت عند ذلك بان تحل جنود عثمانية موقتاً في احدى قلاعها . واخذت الدول في ان تطلب بتردد اصلاحات لبوسنه والهرسك والبلغار وترك الجبل الاسود ليتخلص من هذه الامور كما يتيسر له ان تخلص منها . وقد ابتعدنا كثيراً عن تلك الشروط المعتدلة فانه لا يذكر في الحال ابقاء السرب على ما كانت عليه قبل الحرب ولا ان تعطى الولايات اصلاحات ادارية وان تحدث بعض تغييرات في السلطنة ولا شيئاً مثل ذلك . فاذا عقدت جمعية دولية في الحال تطلب روسيا المنكية للبرنس ميلان امير السرب بالاستقلال الاداري والسياسي للولايات رتغراً مع ارض للجبل الاسود وتقرير سيادة البوسفور والدردانيل وربما كانت تطلب ارجاع ارض ضيقة من ولاية بسارابيا وربما كانت الدولة العلية والدول الاوربية تقبل بذلك مفضلة اياه على حدوث حرب عظيمة مخيفة فمن يا ترى جاء بذلك اجمع . الجواب حذق البرنس كورتشاكوف وزير روسيا الاول وحكمته واقدامه . فروسيا هي التي تنال مرامها فانها بدون مال وجنود وبدون حرب للدفاع عن السرب المكسورة تدحملت العالم على ان يسلم لها بشروط لم يكن يتجاسر ان يذكرها منذ برهة قصيرة . ولذلك اظن ان روسيا ترتضي بهذا الفوز العظيم وانها تعتني بان لا تاتي بحرب لا تعرف ماذا ينشا عنها . ولذلك سابيع كل ما عندي لاشتري اوراقاً مالية . انتهى

وبعد ان اتم حديثه سار مسرعًا وربما كان قد قرر ارادة في عقلي لو لم ار رجلاً اخر ذا اهمية قادرًا على الوقوف على الحقائق اوقعني في اضطراب شديد لانه لا بد من النظر بعين الاعتبار الى ارائهِ وقد قال انني لا اخدع نفسي. فان روسيا قد رفضت هدنة ستة اشهر وتطلب هدنة ستة اسابيع واذا صار قبول الستة اسابيع ترفضها مدعية بانهُ لا يتم عقد صلح في ستة اسابيع ما لم يسبق تقرير الشروط عمومًا بحيث تنحصر المفاوضات بعد المدنة في البحث عن التفاصيل. وتدعي ايضًا ان الولايات تطلب اكثر وان ما ظهر من بسالة السرب وحب الاهالي للوطن يستحق مكافاة. وانهُ لا ينبغي ان يركن الى الوعود العثمانية. فلابد من الحصول على ضمانات جديدة مهمة. وبالجملة اقول انهُ ولئن اذاع وكلاء روسيا اخبار الصلح لا بد من ان ينتقم ليعوض ما يحسبهُ الكسارهُ السياسي ولا يرغب في ان يموت بدون ان يقرر المسئلة الشرقية. ولا سيما في هذا الزمان لانهُ ربما كانت تلتزم الدولة العلية ان تضاد روسيا وحدها فيتم ما قالهُ الانبراطور غليوم من انهُ اذا انتشبت حروب يكون انتشابها في اسيا وقوقاف وارمينية وليس في الجهة الاوربية. ولا يمكن ان ترتضي روسيا بوعود الدولة العلية واصلاحاتها. وهي ترغب في ان تنهي الامر لان الفرصة موافقة وفي حال يمكن الحصول فيها على مال ورجال لارتكاب ذلك الاثم العظيم وهو الحرب. انتهى

هذا وقد قلت انهُ قبل استماع هذا الكلام باقل من ساعة سمعت ما هو نقيضهُ وانهُ قال لي انا ذهب ابيع كل شيءٍ لاشتري اوراق مالية فقال لي الذي تكلم اخيرًا عن المتكلم الاول ان مخبرك هو ممن يصدق الاراء التي يسمعها من قوم لهم غايات. اما انا فافعل عكس ما يفعلهُ فانني سابيع اوراق المالية التي عندي واشتري بها خرجًا للسفر

النمسا والجبل الاسود

قد اتضح لدى الخاص والعام ان اختلافات الدول الناشئة عن تباين الصوالح من اعظم اسباب تاخر صرف المشاكل الجارية وحدوث الارتباكات السياسية وقد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من راكوزا عن النمسا والجبل الاسود وقد ترجمناها لتبيين الحال واظهار تباين الصوالح النمساوية والروسية وهي

قد ازدادت الارتباكات في هذه الجهة من البلكان بسبب الخادعات السياسية والريب في عواقب الحروب. فاكاد اقطع الامل من ان ارى المشكل مصروفًا. والظاهر انهُ لا بد من سل السيف لفصل الخلاف. وقد طالما ابت الاراء الناشئة عن ملاحظة تاثيرات المداخلات السياسية. وقد تبين لي انها حتى هذا اليوم قد جاءت بالاضرار التي تقدر ان تاتي بها بالنظر الى الهرسك وبوسنه. فان استمرت النار لتمكنها من الامتداد بدون ان يظهر امتدادها واخرت تسوية كل ارتباكات الاحوال حتى تجتمع وتمسي تسويتها من الامور الغير الممكنة. وفي بادي الامر ظننت انا وغيري من اصدقاء امارة الجبل الاسود ان الميل الشديد الذي اظهرتهُ روسيا مما يعود بالنفع على تلك الامارة وان ما ظهر من الاتفاق من جهة الحرب يكون بداية سياسة نافعة لها مصدرها النمسا على انهُ عند ما بات الامير في ميدان الحرب اخذ ذاك الميل في ان يضعف. ولما بلغ نيغيزن قيل لهُ انهُ لا يسمح لهُ بان يستولي على موستار وانهُ اذا حاول ذلك ومست الحاجة الى مضادته تبادر الجنود النمساوية الى طرده. وبعد ذلك دعي الى اخلاء الهرسك فان النمسا قالت لهُ انهُ لا يسمح لاجتهاداتهِ فيها ان تاتي بثمرة. فلو اظهرت لهُ ذلك اجمع قبل ان شهر

الحرب لكانت تصرفت تصرف صديقة لان ذلك مما يجعل ضياع الزمان سدى مع الهيئة ولم يعرف بالحدود التي عينها الذين تسودوا عليه بقوتهم الا بعد ان حارب في بيشينا فالتزم بان يرجع الى باشجاني وما من سطوة كالتي تدعو اليها ضروريات الاحوال والجبل الاسود اسير النمسا بالنظر الى مركزه الجغرافي . فانه لا سبيل الى دخول كيس طين ولا بضائع اليه بدون رضاها . وفي المدة المتاخرة قد اخذت الصداقة بينهما في ان تقل وتتحول الى تسلط الامبراطورية على الامارة وقد انتهت غايتها فيها حتى حرمتها حرية العمل فخسرت كل المنافع التي نالتها باعتدال تصرفات الدول الغربية . فالنمسا هي التي الزمتها بان تقبل بادخال الزاد الى القلع العثمانية المحصورة مضادة بذلك مشورة الدول التي هي اشد صداقة . ومنعتها عن ان تقوم باحاطة جيش مختار باشا ومنعها عن مركزاعاها باطالة زمان المدنة فاقام الامير الحجة على ذلك واطالتها مكنته من ان يحمل على اخاديد جيوشها وحواجزهم وهم على غير انتظار . وفي نهاية الامر عند ظهور التسوية تظاهرت النمسا بمضادة تحسين احوال الجبل فترتضي بضم كونشي اليه ولكنها لا تسمح بضم نكسك ولا انبوز ولا بعضها اي انها لا تمكنها من ضم ما يزيد ثروتة ويجعلها في غنى عنها فلا تمكنه من الوصول الى البحر ولا الى السهل بل ترغب في ان تبقيه مسجونا بنسبة اراضيه الى اراضي النمسا . وهذا هو الذي يجعل الامارة تطرح نفسها في ايدي روسيا بامل نوال المآرب والتخلص من اسر جارتها القوية . انتهى ملخصاً

لغز

(من قلم سليم افندي عنحوري)

هل من عارف فارع علم العلم قدسه وعالم عامل حبر الخبير نلمه وبارع اعربت عن معجمات الالغاز براعته وحازم زاحم اهل المراء فاحمهم عبارته ينبئني عن

لغز احاك بلا غزل ولا غزل
حاكى لجيناً خلت من خلة الزغل

لغز بديع معان قد حوى حللاً
صيغت بالفاظ بديع رائق جزل

لغز كريح الصبا اعتلت وقد سلمت
اقوال تعليله معناه من علل

لغز تثلث في لفظ تربع في
دست المعاني فبادى اعظم الدول

كم جاء في غرر كم جاء في درر
كم لاح في حال كم حل في حلل

تجنست فيه انواع الجناس وكم
تجنست يراع الهاذر الهزل

فالذيل زين في العذري معذرتي
والهام لام فقالوا هام بالعذل

في جوفه غين من غالتة هاجرة ال
شبران مذ غاب عن عين الوصال حلي

اذا تقلب في لفظ رايت له
شعراً يصيد غزال الانس بالغزل

ان تحذف الذيل بعد القلب منه ترى
غلاً برجل اسير الاعين النجل

وان ترم فده هام قد علا شرفاً
تغزوك منه قدود الغيد بالاسل

هذي عروسة جاءتك منشدة
في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

تقنعت في قناع الرمز طلعتها
كالشمس يحجبها ستر من الطفل

تلبست في شعار الشعر والتبست
بالنظم الا على ذي العلم والعمل

فاطلق فديتك افراسًا مروضةً
في حلبة الحل لا تشكو من المللِ
وازجِ ركاب التأني في الجواب ولا
تعجل فقد خُلِقَ الانسانُ من عَجَلِ

وان رمت الزيادة لتتميم الافادة . قلت هو فنٌ عند الادباء معروف . ومن الانباء موصوف . قلَّ ما تمنطق به ذو شنب . وتقرطقت به ذات شنب . حوى التمر والهالة . والمصباح والذبالة . والغزال والغزالة . والشمل والثمالة . والدرّ والدُرَر . والسمر والسمر والحور والحَوَر . والصدر والصَدَر . والغَزَل والنسيب . والغريب والنسيب . والاصل والفرع . والفرق والفرع . والزهور والاكمام . والذبول والاكمام . والقديم والحديث . والمحروث والحديث . والطالع والرطب . واليابس والرطب . والهزل والجدّ والحفيد والجدّ . والسمط والعقد . والحل والعقد . والكاتب والقاري . والضيف والقاري . والملاك والخطيب . والمحراب والخطيب . والصاد والعين . والموق والعين . والسهم والكنانة والزوراء والكنانة . والورقاء واليمامة . والصحراء واليمامة . والكاتم والكليم . والصامت والكليم . والارض والسماء والصبح والمساء . والكاعب والعانس . والارق والناعس . والملك والجندي . والغوري والنجدي . والاخدود والجلمود والجاند والجاود الى غير ذلك من بلد فيحاء وروضة غناء وكاعب نهداء وقامة هيفا وغرة غرا وجبهة وضحا ومقلة حورا ووجنة حمرا وشفة لعسا ولثة شنبا وما شاكل ذلك من عود واوتار وكاس وعقار ورنـد وبهار ونار وعمار ودف وطنبور وقماري وشحرور ونديم ومتعبد ومقيم وهازج ومازج ولاهٍ وهائج وما لم يشا كلة من جنة خضرا وفضة بيضا وياقوتة حمرا وحليـة صفرا وحلة زرقا وبردة سودا وصعدة سمرا مما دون احصائه خرط القتاد واقتياد الجوزاء فما قولك في من حوى كلما ذكرتهُ وغيره مما دبّ ودرج وعرج وع ج وما سردتهُ وخلافهُ من قعيد وناطح وسانح وبارح مع انهُ فارغٌ

لا درٌّ فيه ولا دارٌ ولا دررٌ
ولا درار ولا ديرٌ ولا دارة
ولا اغان ولا مغنٍ لغانية
ولا اثرٌ ولا غناء غيداره
لم يحوِ شيئًا من الاشياء قاطبة
سوى حروف بها الالغاز سياره

هذا آخر ما في الجراب فهاكهُ وذلك اول ما في الوطاب فهاته فان المكايلة صاع بصاع وان كان الاول من سقط المتاع

الهواء

(من قلم سليم افندي البستاني)

جميع الناس يعلمون انهُ اذا انقطع تنفس الحيوان يموت وان ذلك التنفس هو عبارة عن دخول شيء يسمى بالهواء الى الباطن بالفم والانف كما انهم يعلمون انهُ اذا اخرج السمك من الماء يموت لاحتياجه اليه . ومن ينظر الى ما فوق سطح الارض بدون ان يكون عالمًا بالطبيعيات اوسامعًا بما يتعلق بالهواء منها يظن ان الاشجار مرتفعة في فراغ وكذلك البيوت والجبال وان الحيوانات تسير في فراغ ايضًا . واذا قيل لمن لا يعرف شيئًا من ذلك انك محاط بجسم وتسير في جسم وفرقك جسم وبين اصابعك وفي اذنيك وانفك وفمك وعينك بل في جوفك يدهش بل لا يفهم المقصود فان الجسم اذا احاط بالانسان يعيقهُ عن التحرك . ولا يخطر للغير المتعلم ببال ان الهواء الذي نشعر به باردًا وحارًا ويحرك الاغصان وما ينشر من الثياب لتنشف

وسطح الماء واحياناً يهدم البيوت ويستأصل الاشجار ويكسر الاغصان والمراكب هو جسم كما ان الحجر هو جسم وانه محيط بنا وفي اذاننا واعيننا وبدونه لا نعيش . وبالاحقة حالة الاسماك وهي في الماء توضح ذلك فان الناس في الهواء كما ان الاسماك في الماء وهو يحيط بها ويدخل اعينها وفمها وغير ذلك غير ان الماء يرى ولونه لون الاناء الذي يكون فيه او لون الجلد الذي فوقه على ان الهواء لا يرى قريباً وقليلاً . اي اذا نظر الانسان الى ما يراه فارغاً في مخدع هو لا يرى شيئاً مع ان الهواء موجود فيظن انه ما من شيء في المخدع غير ما يراه . وهو ذو لون ازرق اذكن فاذا نظرنا الى الجلد وهو صافٍ نرى زرقته وما هو الا الهواء الذي لا يظهر لونه ما لم نر كمية وافرة منه وسياق الكلام بهذا الشان . فالانسان وكل الحيوانات في الهواء كالاسماك في الماء والماء جسم والهواء جسم مهم جداً لا حيوة حيوانية ولا نباتية بدونه فمن اهم الامور ان نبحث عنه بالتطويل بكلام بسيط يفهمه من يعرف الطبيعيات ومن لا يعرفها . وقبل الكلام عن خصائص الهواء واوصافه ينبغي ان نبين بانه علة الحيوة الحيوانية فاننا بالتنفس ندخله الى الرئتين ثم نخرجه منهما غير اننا لا نخرج نفس ما ندخل فانه عند ما يدخل يكون على حالته الطبيعية فياخذ الدم منه الاكسجين وهو غاز فيه منه كمية وافرة وهو عنصر الحرارة فيرد هذا الاكسجين الدم فياخذ منه ما يلزم لقيام الحيوة وباخراجه نخرج الكربون الذي تجدد في الدم فبادخال الاكسجين واخراج الكربون بالتنفس يبقى الدم احمر بعد ان يكون قد اسود بتجديد الكربون فيه فاذا وضعنا خمسين رجلاً في مخدع صغير محكم القفل لا يتجدد هواؤه ياخذون في ان يتنفسوا بادخال الاكسجين واخراج الكربون الى ان يفرغ الاكسجين ويبقى الكربون وحده موجوداً فيتنفسونه ويموتون لانه سم للاجسام تخرجه لضرره وتاخذ الاكسجين لتقوم الحيوة . ولا ينبغي ان يرتبك فكر المطالع بهذه الاسماء الغريبة كالاكسجين والنتروجين والكربون وغيرها لانه لا يعرفها بل ينبغي ان يعلم ان هذه اسماء لغازات اي لاجسام موجودة في الدنيا ولا سيما في الهواء لانه يتركب منها كما يتركب في الظاهر شراب الورد من عصير الورد والسكر والماء . وهو عنصر بسيط كالرصاص والفضة ولكنه اقل كثافة منه فلا نراه كما نرى الرصاص والذهب فانه كالهواء والعنصر البسيط هو كالذهب فانك مهما فعلت فيه من طرق وتذويب وخلط يبقى ذهباً ولا يتحول الى معدن اخر واذا فصلته عما تخلطه به تجد الذهب بخلاف الحطب مثلاً فانك اذا احرقته يتحول الى مواد اخرى ولا يبقى شيء منه والهواء لازم لنمو النبات لانه يتصه بتنفسه وياخذ منه الكربون لينمو به ويعيش ويطرد الاكسجين الذي يعيش به الحيوان . وهذا تبادل لطيف بين الحيوانات والنباتات فالحيوان يمص ما يفرزه النبات والنبات ما يفرزه الحيوان فيبقى الغازان معتدلين ولذلك من المضر ان تكثر الاشجار وان تقل لئلا يختل التبادل . ومن الامور المضرة ايضاً ان ينام الانسان في مخدع فيه زهور ونباتات لانها تفرز في الليل من الكربون فتضر جداً . وقد عرفنا الان ان الهواء الذي نعيش فيه ونتنفسه جسم ولتسهيل الفهم كتبنا التمهيد السابق فلنرجع الى الكلام عن الهوائيات او الجلد فنقول

ان الهوائيات من فنون الطبيعيات وتبحث عن حركة الهواء وضغطه وعن مواد هوائية او غازية اخرى . والهواء الجلدي يركب من اكسجين ونتروجين مختلط بعضه بالبعض الاخر وفيه ٨٩ جزءاً من النتروجين وواحد وعشرين جزءاً من الاكسجين

اي نحو اربعة اخماسهِ من الاول وخمس واحد من الثاني واختلاطها بسيط غير كيمي . وفي الهواء فضلاً عن الغازين المذكورين حامض الكربونيك وبخار الماء ولاتكون كميتهما فيهِ واحدة بل تختلف باختلاف الظروف وفيهِ ايضاً اطياب زهرية وغيرها من المواد. ونسبة الاكسجين فيهِ الى النتروجين لا تختلف باختلاف الاماكن من جهة الكمية بل تكون واحدة في قمم الجبال وفوق الآجام والصحاري . ومن النواميس الطبيعية الغريبة انهُ اذا اختلط غازان من كثافة مختلفة او ثقل نوعي مختلف لا يبقى احدهما منفصلاً عن الاخر كالسوائل فاذا خاطنا زيتاً بماء مثلاً ينفصل الزيت عن الماء ويعلوهُ لانهُ اقل كثافة او اخف والغازات تختلط فعلاً في المكان الذي تنتشر فيهِ اختلاطاً منتظماً . وهذا هو سبب انتشار البخار الذي يتصاعد وينتشر برُمتهِ ويختلط بما يجاورهُ من الهواء الى ان يضعف بشدة انتشاره بحيث لا يشعر بهِ . وهذا هو سبب تضوع الاطياب فنشمها عن بعد بانتشار اجزائها الصغيرة في الهواء وكذلك الروائح الخبيثة

وتنقسم الاجسام الهوائية او الغازية الى قسمين وهما الغازات الدائمة اي التي تبقى في حالة غازية في جميع الظروف اذا اشتد البرد او الحر او الضغط كالهواء . والابخرة التي تتكاثف بالضغط اوتناقص الحرارة تصير سوائل

والجلد او الهواء سائل لطيف شفاف يحيط بالارض على ارتفاع غير قليل وتعيش بهِ كل الحيوانات والنباتات . والهواء ليس مما لا يُرى ويخطي من يظن انهُ لا يُنظَر . فاننا اذا نظرنا الى كمية وافرة منهُ كما اذا نظرنا الى فوق في يوم صفاء نرى لوناً ازرق داكناً . والجبال البعيدة ترى زرقاء . فهذا هو لون الهواء الذي ننظر الى كمية وافرة منهُ . اما سبب عدم مشاهدة هذا اللون اذا نظرنا الى كمية قليلة من الهواء كما لو نظرنا اليهِ في مخدع فهو ان ما يعكس منهُ الى العين ليس بكافٍ لان يؤثر في الباصرة تاثيراً يجعل القوة المميزة قادرة على ادراكهِ . وتكاد تكون كل الاجسام الشفافة قليلاً كالهواء من هذا القبيل . والشاهد اذا ملأنا انبوباً صغيراً زجاجياً بخمر الكرز او بخمر اخرى ذات لون لطيف كلونها نراهُ في الانبوب كلون الماء اي بدون لون وهو ما تسميهِ العامة بلون ابيض ولكن اذا نظرنا الى الانبوب طولياً نرى لون الخمر . واذا نظرنا الى البحر نراهُ اخضر واذا اخذنا كمية قليلة من مائهِ نراها بدون لون لان لون الهواء لا يتكسر فيها

والهواء كسائر المواد ذو خصائص مادية تامة كعدم التداخل والاستمرار والثقل . فعدم التداخل هو ان لا يجتمع جسمان في حيز جسم واحد في وقت واحد اي اننا لا نقدر ان نضع في اناء يسع اوقية من الماء اوقية منهُ مع اوقية زيت والشاهد على عدم تداخل الهواء غمس قدح من زجاج فارغ في الماء بالقلب اي ان يكون اعلاها الى اسفل فنرى ان الماء لا يملاه لان الهواء الذي يكون فيهِ وهو ما في كل مكان نراهُ فارغاً يضغط بضغط الماء ويجتمع في قعرهِ فلا يصعد الماء عاليهِ لوجود الهواء . والاستمرار هو ان يستمر الجسم على حالهِ ان سكوناً وان حركة فان المركب الساكن لا يتحرك بدون محرك والمتحرك لا يسكن الا باصطكاك الماء وصدم قوات اخرى . فدفع الهواء لما يحرك فيهِ دليل استمراره . فاذا فتحنا مظلة وجعلنا اعلاها امامنا وسرنا نشعر بدفع الهواء شعوراً ظاهراً ولولا الهواء لما قدر الطير ان يطير اذا فرضنا انهُ يقدر ان يعيش بدونهِ فان الاستمرار اي دفع اجزاء الهواء لاجنحتهِ عندما يحركها هو الذي يمكنهُ من الارتفاع والهواء قابل جداً للضغط ومرن جداً . وبهاتين

الصفتين يمتاز الهواء وجميع الغازات عن السوائل التي لا تدفع الضغط وليس لها غير قليل من المرونة. فاذا وضعنا هواء في حوصلة اوكيس من الصمغ وضغطناه نحصر الهواء الذي كان يملأه في جهة صغيرة جدًّا منه ولا يعرف لقابليتهِ للضغط حد فانهُ بازدياد القوة الضاغطة تزداد قابليتهِ لذلك. وكذلك الهوا من هذا القبيل. ولا نقدر ان نقول ان للهواء حجمًا فانهُ يميل على الدوام الى الانتشار. فاذا اخرجنا بعض الهواء من اناء ما يبقى فيهِ منهُ ينتشر او يتمدد ويملأهُ كانهُ لم ينتقص. فاذا اخرجنا تسعة اعشاره العشر الباقي كاف ليملأ المكان الذي كانت التسعة اعشار تملأهُ. فميل الهواء الى التمدد او الانتشار اي الى ان يفخم ويزيد حجمًا يجعله يضغط على كل اناء يوضع فيهِ واذا لم يكن ضغط خارجي يوازي الضغط الداخلي ينفجر الاناء ما لم يكن متينًا جدًّا. فاذا ملأنا حوصلة بهواء واحكمنا ربطها ثم وضعناها تحت آلة تفريغ الهوا وقللنا الهوا الخارجي تنفجر بامتداد الهواء الداخلي. ولذلك اذا انقطع ضغط الهواء الخارجي عن البيوت وبقي الداخلي محصورًا فيها يميل الى التمدد تهدم. واذا افرغناها من الهواء واستمر ضغط الهواء الخارجي عليها تهدم من ثقلهِ بدون وجود ما يوازيهِ

والهواء ذو ثقل وكذلك كل الغازات والابخرة ودليل ثقلهِ ان تزين اناء موافقًا فيهِ هواء اي فارغ ثم تزينهُ بعد اخراج الهواء منهُ بالآلة فالفرق هو ثقل الهواء وثقل مائة قيراط مكعب من الهواء نحو ٣١ قمحة

اما سبب مرونة الهواء او شدة تمدده فهو فعل القوات الفاعلة بين اجزائهِ وهي خلاف القوات الفاعلة بين اجزاء جسم جامد او سائل. ففي الجوامد جاذبية داخلية بين اجزاء حجر مثلاً تجعل بعض اجزا الحجر ملتصقًا بالبعض الآخر وهي اضعف في السائل منها في الجامد فتقدر بعض الاجزا ان تتحرك على البعض الآخر بسهولة. ولكن في الغازيات تلك القوة تفعل بعكس الجذب اي بالطرد فتعمد الاجزا الى ان يبعد بعضها عن البعض الآخر حتى انهُ ما من شيء يمنعها عن استمرار الانتشار غير الموانع الخارجية ولا يخفى انهُ ينشأ عن ذلك اعتراض وهو اذا كان الهوا يميل طبعًا الى الانتشار كما مر بك وما من حد لانتشاره ما لم يمنع بمانع فماذا يا ترى يمنع هواءنا عن ان يبتعد عن الارض وينتشر في الفضاء بدون حد.

الجواب ان المانع فعل الجاذبية فان لاجزاء الهواء ثقلاً فتجذب الى الارض. فهذا الميل الى الانجذاب الى الارض يوازن خاصة الانتشار فكل من القوتين المذكورتين يوازن القوة الاخرى. والهواء عند سطح الارض اكثف منهُ في الاعالي. ولذلك سببان وهما ضغط الهوا العالي على المنخفض وضعف قوة الجاذبية في ما هو مرتفع منهُ. فالهواء الملامس للارض اكثف الهواء كما ان التبن الموجود اسفل يكون اكثف من الموضوع اعلاهُ

اما الهواء فيتلطف بالتمدد اي انهُ يكون اقل كثافة من الهواء القريب من سطح الارض. وبضغطهِ تزداد قوة مرونتهِ حتى انهُ يستخدم لاطلاق الرصاص من البنادق. ولم يكن الناس منذ نحو قرنين يعلمون انهُ ذو ثقل ولذلك لهُ قوة ضاغطة. وكان العلماء القدماء يعلمون انهُ مادة وانهُ بازالة جامد او سائل من مكان يدخل ليملأهُ. على انهم لم يكونوا يعرفون حقيقة الاسباب فقالوا ان الطبيعة تكره الفراغ.

اما الفراغ فهو مكان خالٍ من المادة والمقصود منهُ في الغالب المكان الخالي من الهواء. ولا يمكن ان يفرغ مكان حق الافراغ بواسطة آلية. على انهُ يتيسر اخراجهِ من اماكن محصورة بحيث يتيسر القيام بالتجارب ولا نعلم بوجود فراغ في العالم على اننا لا نعلم ماذا

يملأ المسافات الواقعة بين السيارات

واذا غمسنا اناء في حوض وملاناهُ بماء ينشا عن الحوض ثقب قدر الاناء المغموس وعند اخراجهِ يملاهُ الماء حالاً . وهكذا الهواء يملاء الاماكن الفارغة بضغط ثقلهِ. واذا وضعنا انبوبة دقيقة او قشة فارغة الجوف في الماء ومصصناها من الطرف الاخر يصعد السائل فيها فيقال انا جعلناهُ يصعد فيها بالامتصاص والصحيح اننا نخرج بالامتصاص الهواء الموجود فيها وندخلهُ الفم فيمسي ضغط الهواء على سطح الماء المغموس فيهِ طرفها غير موازن بمرونة الهواء الذي كان فيها فيصعد الماء بضغط الهواء الخارجي . واذا كانت الانبوبة او القشة طويلة جداً لا يصعد الماء الى طرفها بل يرتفع الى حد ويقف . اي اذا كان طولها ٣٤ قدماً لا نقدر ان نجعل الماء يصعد الى طرفها ولو اتينا باقوى الات الامتصاص لاخراج الهواء عوضاً عن الفم . وصعود الماء في رافعة المياه المسماة بالطلمبة يكون بالطريقة نفسها . غير انهُ لا يرتفع فيها اكثر من ٣٣ او ٣٤ قدماً فوق سطح الماء . وكان ذلك من مهدات اختراع ميزان الهواء وسنتكلم عنهُ في جملة مخصوصة لاهميتهِ ولزوم توضيحهِ بالتطويل ليدركهُ من لا يعلم الطبيعيات

اما نهاية ارتفاع الهواء فوق سطح الارض فهي غير معلومة بالضبط على اننا نظن انهُ لا يرتفع اكثر من خمسين ميلاً . فنسبة هذا الهوا الى الكرة كلها هو كنسبة الماء الذي يلتصق بليمونة غمست بهِ . والمظنون ان نصف كمية الهواء موجودة في مسافة ميلين او ٣ او ٤ اميال فوق سطح الارض والنصف الاخر منتشر في ما فوق ذلك لقلة الضغط الواقع عليهِ . اما الماء فهو ٨٤٠ مرة اثقل من الهواء اي اذا وزنا ذراعاً مربعة من الماء وذراعاً مربعة من الهواء تكون ذراع الماء ٨٤٠ مرة اثقل من ذراع الهوا . وقد خمن ثقل الهوا

المحيط بالارض كثقل كرة رصاصية محورها ستون ميلاً . واذا ضغط الهواء بحيث لا يملأ ما ثقلهُ قدر الماء الا قدر كميتهِ من الماء من ثقلهِ يكون ارتفاعهُ فوق سطح الارض ٣٤ قدماً فقط

فالهوائيات او الغازات كالسائلات تضغط الى كل الجوانب اي اذا وضعت ماء في اناء لا يكون ضغطهُ الى اسفل فقط كما لو وضعت فيهِ حجراً بل يضغط الى تحت وفوق والجوانب الاربعة ضغطاً متساوياً بالقوة . وضغط الهواء او ثقلهُ على ما يساوي سطح البحر هو قدر ثقل ١٥ ليبرا على كل قيراط مربع ومعدل سطح جسم الانسان نحو الفي قيراط مربع فيكون الثقل الذي يحملهُ الانسان من الهواء ثلثين الف ليبرا . وكان من الواجب ان نسقط تحت هذا الحمل الثقيل على ان الهواء يضغط علينا بتساوٍ من كل الجوانب كما لو غصنا في الماء ست اذرع فلو حمل الانسان على راسهِ وكتفيهِ ست اذرع من الماء لا يقدر ان يقف ولكنهُ يقدر على ذلك وهو تحت الماء لانهُ يضغط عليهِ من كل الجوانب بقوة واحدة . وفي جوفهِ سوائل تقدر ان تحتمل الضغط وفيهِ هواء ايضاً فالثقل الخارجي يقابل بضغط داخلي الى الخارج يوازن ضغط الهوا . واذا رفعنا ضغطهُ عن الانسان ياخذ الدم وكل السوائل الكائنة داخل الجسم في التمدد والانتشار فتنفجر الاوعية الجسدية . وقد صعد البعض على جبال عالية جداً او ارتفعوا في المركبات الهوائية مسافة غير معتدلة فعانوا آلاماً كثيرة بنقصان ضغط الهواء لانهُ في الاماكن المرتفعة لا يثقل على الجسم تثقيلاً كافياً . فانهُ بتقليل الضغط او الثقل عن خارج الجسم يتمدد الهواء الموجود داخلهُ فتتالم الاعين والاذان حتى ان عروق الجسم الصغيرة تنفجر . وقد راى بعض السياح الذين صعدوا على جبال امركا الجنوبية العالية الدم خارجاً من مسام

الجسم كانة عرق وراوا الجلد يتفجر. والحجامة تدل على ذلك فانة بوضع الكاسات على سطح الجسم بعد اخراج الهواء منها بالنار او غير ذلك يزول ضغط الهواء عن المكان الذي توضع عليهِ حال كونهِ يضغط على سائر الجسم فيرتفع الجلد في تلك الكاسات. واذا وضع الانسان شفتيهِ على يده وسحب الهواء الى داخل بحيث يصير في الفم بعض الفراغ يرتفع الجلد قليلاً ويدخل الفم ليس من قوة فيهِ او في الشفتين ولكن من رفع ضغط الهواء الاعتيادي الذي يجعل الجلد منبسطًا فوق اللحم وما نشعر بهِ من الضيق عند هبوب الرياح الحارة ينشا عن نقصان ضغط الهواء بتلطيفهِ بالحرارة فانة يتمدد بها ويخف ضغطه. ومن ادلة ضغط الهواء وضع قطعة من الجلد المبلول وضعًا محكمًا على جسم ثقيل كالحجر او معدن تلتصق بهِ واذا علقنا بها خيطًا وكان الجسم معتدلاً في الثقل نقدر ان نرفعهُ بالخيط المعلق بالجلدة مع انها ليست متصلة بهِ. والسبب ازالة الهواء من بين الجلدة والحجر فيقع ثقل الهواء عليها ويجعلها ملتصقة بهِ وكان يظن ان اقتدار الذباب وغيرهِ من الهوام على المسير على سطوح ملسا كالزجاج ناشي في الغالب عن اقتدار ارجلها على القيام بما هو كالجلدة المذكورة تاثيرًا على انهُ بعد البحث والتدقيق ظهر ان ذلك ناشي عن فعل شعيرات صغيرة نابتة في ارجلها وهي انبوبية تفرز سائلاً غرويًا. وقد اُخترعت الات كثيرة مختلفة الانواع لافراغ الهواء وزيادة كثافتهِ وغير ذلك. ومن ادلة حفظ الهواء املا كاس ماء حتى الاملاء ووضع ورقة سميكة عليها ثم قلبها بحيث تصير الورقة من اسفل فلا تقع ولا يصب الماء لان ضغط الهواء تحتها من اسفل الى فوق يبقيها في مكانها وكذلك اذا ملأنا اناء بماء وقلبناهُ على سطح ماء اخر لا يصب ماؤهُ بل يبقى في الاناء بضغط الماء الذي تحتهُ الناشي عن ضغط الهواء عليهِ. ومن المقرران خروج سائل من اناء مسدود لا يستمر اذا ثقبناهُ في جهة واحدة فيلزم ان يثقب في اعلاهُ ثقبًا اخر ليضغط الهواء على السائل من الثقب الاعلى ويدفعهُ ليخرج من الثقب الثاني بالتغلب على فعل الهواء الذي يضغط عليهِ من اسفل. والتوضيح نقول اذا ملأنا ابريق عرق لا يصب العرق او الماء منهُ ما لم نفتحهُ من فوق لان الهواء الواقع عند انبوب الصب يضغط على العرق او الماء فلا يخرج الا بضغط الهواء عليهِ من فوق. واذا صببنا ماء من جرة بقلب اعلاها دفعة واحدة الى اسفل نسمع للماء خريرًا ناشئًا عن دفع الهواء الماء المصبوب الى فوق ليردهُ الى الجرة ولكن اذا صببناهُ منها شيئًا فشيئًا يخرج الماء من بعض الفم والهواء الدافع يدخل من بعضهِ الاخر. ومن السوائل ما يندفع الى فوق ويطوف بفتح القنينة الذي يكون فيها كالبيرا وسبب ذلك انهُ عند سدها ينضغط الهواء بين صامها اي سدادها والسائل ويضغط على سطحهِ بقوة تزيد عن قوة ضغط الهواء الخارجي فهذا يحفظ الغاز او الهواء الموجود في السائل في مكانهِ واذا خرج منه غاز او هواء بعد سد القنينة يزداد الضغط فعند فتحها ينقطع الضغط المذكور الشديد فيندفع السائل بعنف كما ترى عند فتح قنينة من المشروب المسمى بيرا والمسمى شامبانيا واحيانًا يزيد ضغط الهواء المحصور في القنينة مع الغازات عن اقتدار القنينة فتنفجر من جنبها

هذا وللهواء احكام اخرى وفوائد كثيرة لم نذكرها الان لضيق المقام وسنجعلها موضوعًا لجملة اخرى ان شاء الله

تاريخ فرنسا

وكان نهر الدانوب يجري بين نابوليون واعدائهِ الكثيرين. وكان قد فاز بفتح الطريق المودية الى

فينا عاصمة النمسا فانها مبنية على الجهة التي كان جيش فرنسا مقيماً فيها ومن راتسبون اليها مسافة نحو مائتي ميل. وكان لا بد من عبر انهر كثيرة وفتح مضيقات عديدة كان النمساويون قد حصنوها للوصول الى تلك العاصمة. ومع ذلك صمم على ان يحمل عليها ليساوي فيها صعوباته الكثيرة التي نشأت عن خيانة وزارة هجمت عليه وهي تدّعي صداقته. فزحفت الجنود الفرنسوية غير مبالية بالموانع قاطعة وديان نهر الدانوب. وكان النمساويون ينهزمون ويقيمون صفوف مدافعهم في كل ضفة نهر مقابلة للضفة التي كان الفرنسويون يحلون بها بعد ان يهدموا الجسور ويكسروا القوارب. وكانوا يثبتون في كل مضيق ويدافعون عنه بثبات وبسالة. ولا يخفى ان نابوليون كان قد اقام بكل ما يقدر بشرٌ ان يقوم بمجانبة انتشاب نيران هذه الحرب ولما رأى انه لا سبيل الى مجانبتها وجه كل قواه العقلية العظيمة وهمته العالية بثبات واقدام ليتمها. وكان يشيد جسوراً جديدة تحت نيران اسلحة النمساويين المدافعين مذكّراً ابطاله بمعركتي لودي وأركولا فكانوا يثبتون قبالة آلات الهلاك والويل. اما النمساويون فباتوا يُحاولون ان يطلبوا عقد الصلح بعد ان كانوا قد فتحوا تلك الحرب بدون مسوغ. على ان الارشيدوق شارل كان يضاد فتحها منذ البداية فكتب الى اخيه الامبراطور فرنسيس واخبره بتفاصيل كسراتهم وويلاتهم. فارتعدت فرائصه خوفاً واضطرب هو ورجال دولته فسمح لاخيه الارشيدوق بان يكتب الى نابوليون بالتحرير الآتية ترجمته وهي ان جلالتكم قد اظهرتم وصولكم باطلاق المدافع فلم اتمكن من الفرصة اللازمة لاجيب عليها. ومع انني لم اكن متأكداً وصولكم عرفت به بالخسائر التي لحقت بجيشي وقد اسرت كثيرين منه وقد اسرت بعض جنودك في المحلات التي لم تكن فيها فاطلب الى حضرتك ان تبدلهم رجلاً برجل بحسب ماموريّاتهم. فاذا قبلت بذلك عيّن المكان الذي يجري فيه. فيا سيدي انني افتخر اذ ارى انني احارب اعظم قائد في هذا العصر على انني اكون اسعد اذا سمح لي الله بان اقرر لبلادي صلحاً ثابتاً. وارجوك ان تتأكد مهما كانت حوادث الحرب او اسباب الضيافات ان مرغوباتي تفوت درجة ارادتك وانني أُشرَّف بملاقاة جلالتك وبيدك السيف او غصن الزيتون علامة للسلام. انتهى.

ولم يصل هذا التحرير الاعتذاري الى نابوليون الا بعد ان كان قد تقدم كثيراً في وادي نهر الدانوب ولم يبقَ مانع يمنع وصوله بالفوز الى فينا العاصمة. فصمم على ان يجيب عليه وهو في قصر اشونبرون وهو القصر الامبراطوري فيها. ودنت الجيوش الفرنسوية من نهر تروان وهو من فروع نهر الدانوب فصمم على ان يجعل جيشه يعبر من محلات كثيرة يبعد بعضها عن البعض الآخر مسافة بضعة اميال. فدنا القائد مسينا بسبعة آلاف رجل من المكان المقابل لامبرسبرغ فجرى فيه عمل من اعظم الاعمال الشجاعية وقتل عدد غفير جداً. فان النهر كان عريضاً جداً وفوقه جسر ضيق طوله ١٢٠٠ قدم. وكان في طرفه مرتفع عليه المدينة المذكورة وفيها قلعة حصينة فيها مدافع كثيرة وصف امام الجسر جيش عدده اربعون الفاً. وكان في طرفه الغربي بيوت كثيرة دخلها جنود كثيرون ببنادقهم وصفت مدافع كثيرة في التلال المقابلة امام الجسر بطوله. وكان من خشب ويسهل حرقه. وكان قد تقرر عند النمساويين انه لا سبيل الى عبره بالنظر الى اسباب الدفاع المذكورة حتى انه لم يخطر لهم ببال ان الفرنسويين يحاولون ذلك. على ان مسينا البطل لم يتردد دقيقة عن

عبره . فامر جيشهُ بالهجوم حالاً خوفاً من ان أتاخر يمكّن النمساويين من هدمه . وكان الجنرال كوهورن الفرنسوي معتدل القامة غير انهُ كان من اشجع الابطال واقلهم خوفاً من الموت فسار في مقدمة فرقتهِ وحمل على الجسر بسرعة فحدث عند ذلك ما لم نرَ مثلهُ في الاخبار التاريخية . فان الدخان غطّى اولئك الجنود في لحظة وصبت عليهم الكرات والرصاص والحديد كانها بَرَد غزير ساقط من السماء فانزل بهم الهلاك الاحمر وويلاً تقشعر منهُ الابدان . واحترقت مركبتان او ثلاث مركبات من المهمات في وسطهم واهلكت جميع الذين كانوا حولها . فلما راى مسينا ان القتلى والجرحى يكادون يسدون الجسر راى انهُ لا بد لهُ من ان يتقدم بالجنود التي كانت لا تزال معهُ لتطرح القتلى والجرحى المنكودي الحظ في النهر الكثير المياه فالذين اقاموا بذلك ذاقوا كاس الموت ايضاً ببرهة قصيرة فطرحهم في النهر الذين كانوا يتبعونهم لتبقى طريق النهر مفتوحة . ولم يكن يرى بدّاً من ذلك خوفاً من ان يكون الهلاك اعظم اذا باتت الجنود غير قادرة ان تمر من جرى اجتماع جثث القتلى والجرحى فتهلك عن آخرها . وكان اولئك الابطال الذين كانوا يفعلون افعالاً لا تقدر البشر ان تقوم بمثلها يسيرون غير مبالين بالدخان وكرات الموت ورصاص الويل والهلاك الاحمر . وكانوا يدوسون جثثاً واعضاء اجساد قد انفصلت وهم يطرحون الى النهر الجرحى والذين كانوا يتوسلون اليهم بان يبقوا عليهم . وقد اصاب الدوق اوف والنكتون بما قال وهو أن الرجل الملطفة حاسياتهُ بمبادي النصرانية لا يصلح ان يكون جندياً . انتهى . واستمر الفرنسويون حاملين في وسط ذلك الهوان المصبوب الى ان وصلوا الى الطرف الاخر من الجسر . فعند ذلك هلك الصف الاول كلهُ على ان الذين كانوا وراءهم هجموا دائسين ارفاقهم وكسروا الابواب وكسروا اعداءهم فتبعثروا في المدينة وهم يحرقونها ويدافعون بثبات عن كل قيراط من الارض . على ان الفرنسويين استمروا حاملين دائسين القتلى والجرحى من الجيشين فاشتد القتال في الشوارع الملتهبة . وفي النهاية استولى الفرنسويون على ابرسبرغ بعد ان تركها النمساويون خراباً يتصاعد منهُ لهيب ودخان حتى انهُ لم يكن يتيسر اخراج الجرحى من الاماكن المحترقة . فكانت الاخشاب المحترقة تسقط على اولئك المنكودي الحظ وهم يئنون المًا فان النار كانت تحرق بالتدريج اعضاء اجسادهم المثخنة جراحاً فكان صراخهم المفتت للاكباد يمزج بضوضاء القتال المخيف . فانتشرت روائح احتراق الاجساد بتصاعد دخان ذلك الخراب . ومع ذلك لم يتوقف الفرنسويون بل كانوا يحملون في الشوارع المحترقة دائسين قِطَعَ الاجساد البشرية المسودة بالنار بارجلهم وحوافر خيولهم ودواليب مركبات مدافعهم ومهماتهم التي كانت تسحق بقايا اللحوم البشرية والعظام والوحول المختلطة بالدماء فجعلتها كلها كمادة واحدة لا يقدر القلم ان يقوم بحق وصفها . فاندهش النمساويون لما راوا من شجاعة اعدائهم الغير البشرية ما راوا فاركنوا الى الفرار برعدة تاركين ستة الاف من قتلاهم . وكان نابوليون بعيداً عن ذلك المكان فسمع اصوات المدافع فسار ركضاً الى ميدان القتال واقشعر بدنهُ لما راى تلك الحال مع انهُ كان متعوداً الحروب وراى من ويلاتها ما لم يرَهُ احد . فاثنى على شجاعة مسينا على انهُ لم يكن يقدر ان يمتنع عن اظهار كدره من الهلاك الذي راهُ وقال انهُ ربما كانت تتيسر مجانبتهُ بانتظار هجوم فرقة لانز على جناح العدو فانهُ كان قد عبر النهر في مكان يبعد بضعة اميال عن الجسر المذكور

وقد قال نابوليون لاوميارا عن القائد مسينا

ما ترجمته ان معينا من اصحاب الحذق والاقتدار . على انه كان في الغالب يقوم بتدبيرات غير مصيبة قبل انتشاب القتال . على انه كان يجري التدبيرات المصيبة التي كان ينبغي ان يجريها قبل القتال بعد انتشاب الحرب عند سقوط القتلى حواليه . ففي وسط القتلى والجرحى وانصباب الكرات على الذين يحيطون به كان يفعل ما يليق به فيصدر اوامره ويدبر حركات القتال باصابة عظيمة وتان مدهش . فهذ دليل حذق عظيم . وقد اصاب الذين قد قالوا انه لم يكن يبتدي بالتدبير باصابة الا بعد ان يظهر ان الدائرة ستدور عليه . غير انه كان لصًا فكان يشارك الذين كانوا يقدمون الزاد والمهمات للجيش في خدع الحكومة لاكتساب المال . وقد قلت له تكرارًا انه اذا اقلع عن ذلك اعطيه ثمانماية الف فرنك او مليون فرنك . على انه كان قد تعود السرقة حتى انه بات لا يقدر ان يغير عادته . ولذلك كان الجنود يكرهونه فعصوا عليه ثلث مرات او اربع مرات . ولكن بالنظر الى الاحوال التي كانت جارية كان يعد ذا نفع عظيم ولو لم يكن متجسًا بذلك الاثم لكان من عظماء الرجال انتهى .

ودخل نابوليون ومعه سافاري المدينة المحترقة فوجد اثنين او ثلثة من الجرحى في قيد الحيوة فانهم كانوا قد زحفوا الى فسحة لم تدركها النيران . وقد قال سافاري انه ما من منظر تقشعر الابدان منه اكثر من منظر رجال ماتوا حرقًا ثم سحقوا بحوافر الخيل ثم بدواليب المركبات . ولم يكن سبيل الى الدخول الى المدينة الا بالمسير في وسط تل من اللحوم البشرية التي كانت قد خبزت بالنار وكانت تتصاعد منها نتنة لا يقدر الناس ان يتحملوها . فالتزم الفرنسويون ان ياتوا بمجارف لجمعها ودفنها كلها وحول مجتمعة في الشوارع فجاء الامبراطور ذلك المكان وقال وهو مار فيه من النافع ان يرى كل الذين يهيجون الحروب منظرًا كهذا المنظر الحزن فيرون الويلات التي تحل بالبشر بسبب المشروعات التي يشرعون فيها . ثم كلم الجنرال كوهورن كلامًا لطيفًا مادحًا اياه على ما اظهر من الشجاعة والبسالة . ثم قال له انه لولا حمية شجاعته وسرعة انفاذ الاوامر لانتظر الجنود التي كانت اتية وتخلص الجيش من تلك الخسائر العظيمة

وبعد ذلك اخذ نابوليون في ان يسير بسرعة الى فينا ولم يكن بعد ذلك مانع عظيم يصده . وكان من الذين يشتاقون جدًا الى جمع المعارف فجاء برجل واركبه بجانبه ليدله على كل ما كان يراه وهو سائر مما يستحق الالتفات وفي ذات يوم راى عن بعد على تل ابراج دارستين القوطية وهو المكان الذي اسر فيه رشارد ذو القلب الاسدي . فاوقف فرسه برهة وصرف بضع دقائق في التامل في تلك الابراج المقابلة له ثم قال لبرثيه ولانزي ان رشارد كان من الابطال الذين حاربوا في سورية وفلسطين وصادف حظًا في عكا لم نصادفه نحن . غير انه يالانزي الشجاع لم يكن اشجع منك . فانه فاز على صلاح الدين العظيم على انه بعد ان عاد الى اوربا ببرهة قصيرة وقع في ايدي قوم ليسوا من قومه . فان دوق اوستريا باعه الى امبراطور المانيا الذي لم يذكر الا بسبب هذا العمل . ولم يحافظ على خدمته بامانة الا بلونول من اخص رجال بلاطه . غير ان الامة لم تضحي شيئًا لتخليصه . ثم صمت برهة وهو ينظر الى الابراج ثم قال ان تلك الازمان كانت ازمان بربرية ومع ذلك يساق الناس بالحماقة ويقولون انها ازمان اعمال عظيمة جدًا مع ان الاب كان يضحي اولاده والمراة زوجها والرعية ملكها والجندي قائده بدون خجل وبدون محاولة ستر الاعمال . فما اعظم الفرق بين تلك

الايام والايام الجارية . وقد رايتم ملوكاً وامبراطورين في قبضة يدي ورايتم عواصم ممالكهم ولم اجبرهم على دفع فدية ولا على تضحية ناموسهم . وقد راى العالم معاملتي لامبراطور النمسا مع انني كنت قادراً على ان اسجنهُ . وخلف ليو بولد وهنري الذي يكاد يبيت في يدنا لا يعامل معاملة اردا من تلك هذه المرة مع انهُ قد هجم علينا بعدوان عظيم

وفي ١٠ ايار (مايس) اصبح نابوليون بجيشهِ امام اسوار فينا وذلك بعد ان عبر النمسا وبورن نهر الان بشهر واحد فقط . وكانت قد وردت نجدة عظيمة الى الارشيدوق شارل القائد النمساوي الاول فسار بها بسرعة في الضفة المقابلة ليخلص العاصمة . اما المدينة فمبنية على ذراع صغير من الدانوب تبعد نحو ميلين عن نفس النهر . فالمدينة المتوسطة مستديرة ومحيطها نحو ثلثة اميال وكان فيها مائة الف نفس وهي محاطة بسور قديم من الاجر . وحول المدينة فسحة جميلة عرضها نحو ربع ميل وفيها اشجار وطرق جميلة عمومية . وخارج هذه الفسحة المدينة العظيمة وفيها مائتا الف نفس . اما محيط ضواحيها فهو نحو عشرة اميال . وكان نابوليون راغباً جداً في تخليص المدينة من ويلات اطلاق المدافع فبعث اليها في الحال برايـة سلام فهجم على حاملها وجرحه خادم جزار فاركبوهُ على فرسهِ وطافوا بهِ الاسواق فرحين . فبادر نابوليون الى حصر المدينة من كل جهاتها وطلب الى الاهالي ان يسلموا . واتى بعمدة من اهالي الضواحي ليطلبوا الى المدينة ان تسلم

وفي اثناء ذلك كتب بارثيه الفرنسوي بامر نابوليون تحريراً الى الارشدوق ماكسيمليان الذي كان يدبر المدافعة عن المدينة وهذه ترجمتهُ

سيدي . ان الدوق دي مونتيبلو ارسل في هذا الصباح الى سموكم ضابطاً ومعهُ راية سلام وبوق . ولم يرجع بعد . فاطلب اليك ان تخبرني اي متى ترجعوهُ . فالاجراءات الغير الاعتيادية التي اقيم بها هذه المرة قد حملتني على ان اجعل مخابراتي معك بواسطة اهالي هذه المدينة . اما جلالة مولاي الامبراطور والملك نابوليون فقد وصل الى فينا بحوادث الحرب وهو راغب في ان يخلص الاهالي الكثيري العدد المستحقين الالتفات من المصائب التي تتهددهم وقد امرني بان اخبر سموكم بانكم باصراركم على الدفاع عن المدينة تسببون خراب مدينة من اجمل مدن اوربا وتعرضون لويلات الحرب جمهوراً من الناس من الواجب صيانتهم مراعاة لاحوالهم واسنانهم وجنسهم . وقد طالما اظهر مولاي الامبراطور في كل بلاد سيق اليها بحوادث الحرب رغبة شديدة في تخليص الاهالي الغير المتسلحين من افات القتال . ولا ريب في انهُ يتقرر في عقل سموكم ان جلالتهُ مكدر جداً اذ يرى قرب خراب تلك المدينة العظيمة حال كونهِ يفتخر بانهُ خلصها مرة سابقة . ومع ذلك قد خالفتم سموكم العادة الجارية في كل مدينة محصنة واطلقتم المدافع على ضواحيها وربما كانت كراتها قد قتلت زوجة آمن رعايا امبراطوركم وولده وليس عدوه . واشرف نفسي بان اعرض لسموكم بان الامبراطور قد منع الجنود عن الدخول الى الضواحي النهار بطولهِ واكتفى باقامة جنود عند الابواب وارسال اقوام للتطواف وحفظ الراحة . غير انكم اذا اصررتم على الدفاع يلتزم بان يستعد للهجوم وفي ٣٦ ساعة تخرب العاصمة بكرات مدافعنا حال كونهِ لا بد من خرب المدينة الخارجية بكرات مدافعكم . وقد تقرر عند جلالتهِ ان هذه الامور لا بد من ان توثر فيكم وتحملكم على العدول عما لا يوخر فتح المدينة غير دقائق قليلة . فارجوكم ان تخبرونا بتصميماتكم الاخيرة (الامضا) بارثيه

(ستاتي بقيتهُ)

حكاية الغرام

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الشديد الجاري بيننا يمنعك عن ان تبتعدي عني. قالت يا ويلاهُ هل ابتعد عنك اذا عرفت اسمك. قال نعم اذا عرفتهِ قبل ان املك قلبكِ حق الامتلاك فعند ما ترين انك تحبينني الى الابد وتتعهدين بذلك اخبرك باسمي. فلما سمعت ذلك انتبهت الى واجباتها وقالت انهُ لا يوافق فتاة ذات ناموس ان تعد رجلاً غريباً ذلك الوعد بامل ظهوره فانت غريب عندي وقد اصررت على ان تكون غريباً بالنسبة اليَّ فانفصل عنك وانت غريب عني

فلما سمع منها ذلك تكدر وقال بصوت دل على مرارة قلبهِ انني عرفت ان اللعنة التي ورثتها بنات امنا حوا منها لمعرفة الامور تطغيك فتجعلك تطلبين اكل ثمرة شجرة معرفة الخير والشر فتخسرين مثلها فردوسك لتعرفي شيئاً ستعرفينهُ. فقالت لا تتهمني بذلك حال كونني افعلهُ مراعاةً للناموس فلتبحث عنهُ واذا كنت تحبني لا تعاملني الا بالعدل فوضعت يدها على يدهِ وتكلمت كلاماً خارجاً من صميم الفوآد لطيفاً حلواً. فاخبرتهُ بانها ملتزمة بان تخضع للبرنسس ادليد وانها انفذت فيها سطوتها العادلة وامرتها بان تمتنع عن معاشرة رجل مجهول وابانت لهُ حاسياتها وان ذلك متعلق بناموسها وتوسلت اليهِ حباً بناموسها ان يجيب طلبها الى ان قالت هل يكون لحبي قيمة عندك اذا حصلت عليهِ حصولاً لا يليق بالفتيات. وكان كلامها جامعاً بين اللطف وقوة البرهان والعزم حتى راى انهُ لا بد من ان يجيب طلبها. فقال لها انني اخشى ان اخسرك اذا اخبرتك باسمي غير انهُ لا ريب في خسارتك اذا اصررت على كتمهِ فاذا كان لا بد من اظهار الامر فاظهرهُ فتعرفين محبك فتاملي برهة واسمحي لي بان اتامل لحظة واعلمي ان السر رفيق الحب. قالت ربما كان يرافقهُ بالنسبة الى الغرباء عنهُ ولكنهُ لا دخل لهُ بين المحب والمحبوب. وقد طالما تقرر في عقلي ان مجد الغرام انما هو شدة الاركان حتى يصبح المحب والحبيب واحداً في كل شيء. فتنهد هرمان وصمت. فنهضت جيلا قاصدة الذهاب وقالت لهُ استودعك الله يا هرمان فاننا التقينا هنا وفراقنا يكون حيث التقينا. ولا ريب في انك ستقطع سبل حياتك مهما كانت قطعاً اكثر اشغالاً من حياتي وتنظر احياناً وانت في الخطر والكد الذي تدعي اليهِ بهمتك الى هذه الساعات القليلة الاخيرة الغروبية وتتذكرها بلذة اما انا فلا بد لي من ان احسبها حلماً. فنهض هرمان ومشى قليلاً غائصاً في بحر من التامل وجيلا لا تزال واقفة بتردد. ثم نظر اليها وقال يا جيلا هل سمعت خبر سيبل. قالت كيف لا وقد اشتغلت صورتهُ انا والبرنسس بالتطريز وقرأت الخبر عليَّ

عند ما شرعنا في الشغل . اما هذا هو الخبر ان جوبيتر احب سميل سرًّا ولكنها رغبت في ان تراهُ وهو في مجده . قال هرمان بلى وعند ما ظهر بمجده اجابةً لطلبها احرقت النيران السماوية التي كانت تحيط به سميل القليلة الحكمة . فضحكت جيلا ظانة انهُ قد تجاوز حدود الاعتدال بالافتخار ليجذبها اليه فقالت ان الاوفق ان يغاص في مياه هذا الينبوع للتخلص من آفة ظهور مجدك . ثم قالت غير مازحة لو كانت سميل متعقلة حاذقة لحملت طلاسم تخلصها من النيران المحرقة فانا اطلب اليك ان تظهر لي نفسك . قال لا يا جيلا ان هذا لا يكون هنا بل ساظهرهُ نهار غد في مثل هذه الساعة . وقد حلفت انك لا تجتمعين بي هنا حال كونك لا تعرفينني فلا بد من ان تاتي مرة اخرى حال كوني الاقيك واظهر لك نفسي ثم سار الى شجرة وفيها نباتات فجمع اجمل الخضرة المستطيلة وجعلها اكليلاً ورجع الى جيلا وقال لها يا جيلاي يا مهجتي ويا حبيبتي خذي هذا الاكليل وهو الهبة الوحيدة التي يقدر هرمان الغير الظاهر الامر ان يهبك اياها وسياتي زمان اقدر فيه ان اهبك ما يليق بك انت وبي . فاكتفي بهذا الان والبسيه على راسك في مثل هذه الساعة نهار غد . فاظن انهُ كالطلاسم وعندما نلتقي مرة اخرى نذكرك بالمكان المحبوب الذي قطف فيه والساعات السعيدة التي صرفناها معًا ولذة حب الذي وهبك اياهُ . فربما كانت هذه الذكرى تؤثر في قلبك فتثبتين في محبتي وتحبينني كما ينبغي ان تحبي هرمان . فتناولت الاكليل واشارت بالسمع والطاعة وقد ملأت الدموع عينيها حتى انها رات انها لا تقدر ان تتكلم من فعل الحزن والغرام . فلمسك يدها وجثا على ركبتيه امامها وقبلها قبلة واحدة غير انها طويلة عريضة فلم تمنعهُ لانها قالت في نفسها هذا هو الاجتماع الاخير . ثم وثب ناهضًا وسار مسرعًا الى ان توارى عنها في الغابة فرجعت حزينة الى القلعة وهي تسير سيرًا زميلاً

وفي الغد اضاءت شمس الظهر قاعة البرنسس اديليد الملكيسة وهي مجتمعة مع جيلا وبجانبها آلة التطريز غير انهما لم تشتغلا بها . فاخبرتها جيلا بان محبها وعدها باظهار نفسه عند الغروب على انها لم تكن تعلم كيفية ظهوره وظروفها . ولم تخبرها الا بذلك فكتمت عنها مادة الاكليل وخبر سميل ولم تكتم ذلك لقلة الاركان بل مراعاةً لحاسياتها . فاخذت اديليد البرنسس في ان تتامل في ذلك باهتمام لا مزيد عليه . وقالت لها يا جيلا انه رجل غريب . فهل ياتي بغتة قاعة هذه القلعة راكبًا فرسًا ذات اجنحة كسحرة الغرام او ياتي بطلاً مسلحًا مستترًا ويامرنا بان نعرف اسمهُ وحسبهُ بعلامة مجده وخوذته . فاطلب الى الله ان يكون كفوًا لك . على انني اراك حزينة يا جيلا لكن قد صممت على ان لا تتبسم بعد الان . وفي تلك الساعة دخل خادم واعطى البرنسس تحريرًا بالاحترام الواجب فقطعت المنسوج الحريري الذي كان مربوطًا به واخذت تقراهُ وعيناها لامعتان وقد احمرّ وجهها ثم وثبت واقفة ثم جلست على كرسيها بسرور واظهرت لوائح الفرح وقالت هو آتٍ يا جيلا هو آتٍ ما اسعدني لقد اصبت فانني استحققته وقد تذكرني مع انهُ مشغول بتدبير امبراطورية . هو آتٍ ولا ريب في ان مجيئهُ هو اكرام لي ما اسعدني لماذا لا تشاركينني في فرحي . فارتبكت جيلا وقالت بحيرة من هو يا ترى قالت هو الامبراطور نفسهُ بل اقول بافتخار هو ابن عمي واظن انني اقول بعد برهة قصيرة انهُ فردريكي . فلا بد من ان ارجع الى نفسي واتكلم بالصواب ان هذا التحرير هو من البرنس والدي الموجود الان في بلاطه الموقت في موهلبرغ وهو يقول لي مسلمًا ان الامبراطور قال بغتة انهُ راغب في ان يزور قلعتنا

وانه في هذا اليوم السعيد ياتينا مع والدي ومعه حشم قليل . ان فكري قد تنور . ألم يعدك هرمان باظهار نفسه في هذا اليوم عند الغروب انه من البلاط وسياتينا مع الامبراطور فلا بد من ان يكون من اهل الشرف وبتحققك فانتهى كل منا الاخرى فاننا سنعيش معاً بسعادة . ثم امسكت بجنوّ يد جيلا التي كانت واقفة ترتجف صفرا لان امال ادبليد كانت واسعة واما ل جيلا قليلة ومخاوفها تزيد عن امالها . ثم افترقتا فان البرنس اشغلت باصدار الاوامر اللازمة للاحتفال بالامبراطور ودخلت جيلا مخدعها لتتامل في الحوادث المقبلة . وكانت تكاد تتاكد بانها سترى محبها بين رجال الامبراطور غير انها كانت تخاف من ان يكون علو مركزه مانعاً لاقترانها به . ثم تذكرت بخوف ان البرنس ارنبرغ الفتى من انسبا برنس قوهبرغ كان ذا مركز صيدي في الاماكن المجاورة وانه كان من رجال بلاط الامبراطور وانه ربما كان قد اتى مجيئاً غير رسمي فصادفها عند الينبوع فيرغب في ان يسترجبة المصروف في غير محله . فيكون حبها قد ذهب سدى . وخطر لها ببال ما تكتسب من عداوة العيال الشهيرة كعائلة قوهبرغ وارنبرغ وتحويل صداقة ادبليد الى كره واحتقار والخاطر التي يعرض ابوها الوديع اليها من غضب اولئك الامرا الاقويا . وتقرر عندها انه لا بد من ان ترقض الى الابد محبها وصممت على ان تخفي الامر عن البرنس مهاجرى لئلا تحتقر قريبها على حبه لمن هي دونه . وتذكرت خبر سميل متنهدة وقالت ربما يكون نصيبها كنصيبها

وعند غياب الشمس من ذلك النهار كان القوم خارج القلعة وداخلها يستعدون لان يحتفلوا بالامبراطور وفرشت قاعة العرش بالفخر المفروشات وزينت بالسلاح القديم واثار الحروب والصيد والرايات ومصابيح فضية ومنسوجات مطرزة بالفخر تطريز وكراسي عظيمة ووسادات قرمزية ومزاهر رخامية وفضية فيها زهور جميلة . وفي صدر تلك القاعة العظيمة مكان مرتفع فيه مائدة لبسط الطعام وانيتها من الفضة الخالصة . وفي وسط القاعة مجلس كالعرش ذو قبة ارجوانية ليجلس الامبراطور عليها وعلى جانبيها كرسيان اوطى منها للبرنس ولابنته ادبليد . وفي وسط القاعة مائدة لرجال بلاط الامبراطور واعوانه ولرجال بلاط البرنس الاولين . واصطف الخدم والحشم على جانبي القاعة وفي المكان المرتفع البرنس وجيلا وثلث نساء معينات . ولبست ادبليد ثوباً ملكياً احمر مطرز بالذهب وزينت عنقها وذراعيها الجميلة جداً بالفخر الجواهر واكليل لامع ظاهر بين شعرها الجميل . اما جيلا فلبست ثوباً ابيض بسيطاً وفي عنقها عقد ذهبي فيه صليب وهو من هبات ادبليد والاكليل الاخضر الذي وهبها اياه محبها المجهول كان محيطاً بشعرها الذهبي السادل . وكانت تاثيرات ظروفها قد بدلت احمرار وجهها بالاصفرار ومع ذلك كان جمالها ظاهراً ظهوراً بديعاً جداً

وعند الغروب سمع الذي داخل القلعة صوت تنزيل جسر المرور وصوت الابواق والطبول ووقوع حوافر افراس كثيرة ثم سمع صوت مشي وفتح الباب ودخله جمهور غفير فبا ولهم الامبراطور اللابس الفخر الاثواب . وفي يده برنيطة الصغيرة المخملية وفيها ريشة سودا معلقة بجوهرة وسيفه معلق ببند جميل ثمين . ودخل عن يساره ووراءه قليلاً البرنس الشيخ والد ادبليد ووراءهما عدد غفير من الامراء والقواد . فدنا الامبراطور من المكان المرتفع فنظرت جيلا اليه على انها اجفلت ثم احمر وجهها جداً ثم نظرت مرة اخرى وقالت بصوت يكاد يكون مرتفعاً ياهرمان . ولحسن الحظ لم يسمعها احد . فلن محبها المجهول كان

نفس امبراطور المانيا فردريك باربار وسا المشهور. ورأي هو محبوبتهُ الوديعة وراء البرنسس ونظر اليها نظرة سريعة دلت على انهُ عرفها ثم حول ابصارهُ عنها ولم ترَ شيئًا بعد نظرتها الثانية لانها اطرقت الى الارض حالًا وقع نظرهُ على نظرها. ولم تسمع شيئًا من التحيات اللطيفة التي حيا البرنسس بها ولا من تقديم البرنس رجال الامبراطور لابنتهِ ولا الكلام الكثير اللطيف الذي جرى بينها وبين الامبراطور. وكان الاكليل الاخضر يثقل على تلك الفتاة المنكودة الحظ كانهُ اكليل حديدي للعذاب وتاكدت بانها احبت لتخسر وتتعذب. وكانت واقفة كواحدة من الحشم للقيام بخدمة محبها بدون ان يعتني احد بها وقد نسيتها صديقتها البرنسس بانشغالها باسباب سرورها ولم يلتفت محبها اليها فانهُ اشتغل بالبرنسس التي كان قد تقرر عند جيلا انهُ من الواجب ان تكون نظيرتها وان يكون الفوز لها. وعرفت ان من الصواب ان لا يظهر امرها بالالتفات اليها في تلك الظروف وكان ذلك يمزق قلبها. فامست كانها في حلم مضطرب مولم واستمرت على تلك الحال الى ان حدثت حركة واخذ الناس في ان يجلسوا بحسب مراتبهم لتناول الطعام. وعند ذلك اغتنمت اديليدا الفرصة وهمست في اذنها قائلة هل محبك بين رجال البلاط. ففرحت جيلا اذ تمكنت من ان تقول بدون كذب انهُ ليس بينهم. فقالت انني اشفق عليك انك صفرا كالموتى واظن انك مريضة ولا اعجب من ذلك فلا اعذبك بابقائك هنا بل اذن لك بالذهاب. فسرت بهذا الاذن وخرجت وكان الامبراطور ينظر اليها باهتمام وشعر بان كل الجمال وكل ما يهمهُ خرج من القاعة بخروجها

فلما اصبحت وحدها انفرجت قليلًا غير انها كانت لا تزال تشعر بضيقات كثيرة فان الحب

كان متمكنًا في قلبها ولما تحققت حالة محبها وقعت في الياس فاجتمع الحب والياس. فانهُ ما من شيءٍ كان يقدر ان يخلصها من موانع الفرق في المركز والولاية. وكانت تخاف من ان يقف المذال على حبها وتخجل لانها جذبت الى الحب بمقاصد مخلة بالناموس فانهُ ماذا ياترى حمل الامبراطور على ان يحبها. ودخل قلبها لوم البرنسس سيدتها لانها كانت قد اظهرت لها انها تحب ان تفوز بالحصول على قلبهِ. على انهُ كان في وسط تلك المرارة حلاوة واحدة طالما تحلت بها مرارة النساء في تلك الظروف وهي انها كانت متحققة انها كانت محبوبة. ثم خلعت حلاها وهي الاكليل الاخضر والعقد الذهبي فانهما كانت تشعر بثقلهما وكانا هبة محبها وصديقتها اللذين كان ينبغي ان يتزوج احدهما الاخر على انها كانت مانعة لذلك فصممت على امر ثابت ناشىء عن كرامة الاخلاق بدون ان تظهرهُ لاحد

وفي غد ذلك اليوم عند الغروب جلست بالقرب من الينبوع المذكور. وكانت قد عزمت على ان لا تقابل محبها المجهول مرة اخرى. على انها كانت قد عرفتهُ حق المعرفة وصممت على ان تقابلهُ مرة اخيرة. واصابت بما خطر لها ببال من انهُ سيوافيها اليهِ. فبعد ان جلست برهة قصيرة سمعت صوت مسيرهِ في الغابة بدون ان تسمع الاغنية التي كانت تسمعهُ يغنيها فخرج من بين الاشجار ووقف بجانبها لابسًا ملابس الصياد البسيطة. على انهما ارتبكا عند الاجتماع ارتباكًا لم يرتبكا مثلهُ قبل ذلك. فقال الامبراطور لها يا جيلا انك تعرفينني الان واخاف ان تكوني قد عرفتني قبل حلول الزمان الموافق. غير انني اطلب اليك ان لا تفعلي ما اخاف ان تفعليهِ. لماذا ينبغي ان ننفصل لانني لم اولد في مركز ادنى من المركز الذي ولدت فيهِ. لماذا ينبغي ان نفترق لانني امبراطور قادر ان اضع الكنوز والشرف عند قدميك. فقالت

جيلا بتوبيخ الشرف الينا عن الشرف واسمع كلامي يامولاي. فقال لا تقولي يامولاي بل قولي يافردريك بل هرمان كجاري العادة. فانني لا احب ان اسمع منك كلاماً بارداً فقالت يامولاي انهُ من حقوقك وادعوك كذا لاذكر كلامنا بواجباتهِ فيامولاي لابد من ان تتركني الى الابد فحبي لا يوافق فخرك وحبك لي لا يوافق فخري . وجرى بينهما حديث بليغ طويل لا يلزم ان نعيدهُ فكان يتوسل اليها بفصاحة الغرام بان تحبهُ وكان يحرك بكلامهِ عواطفها وحاول تحريك المطامع فيها ووعدها بالثروة وعلو المنصب لها ولابيها ووعدها بان يستر امرها الى الابد ليخلص اسمها من اللوم . ولكنها لم تجب طلبهُ فانها كانت كريمة اديبة لا تخون نفسها . ثم قالت لهُ يامولاي انني جارية كاحقر جواريك على انني اميرة عند نفسي ولا ارتضي ابداً بان اجلب العار على حسبي فانني افتخر بطهارة اجدادي وامانتهم فلا تكلمني عن ستر الامر عن الناس فان عالمي هو في قلبي . فقال ياجيلا لو احببتني لارتضيت بان تضحي بعض امور حباً بي فان ذلك برهان الحب فقالت لست من اسلب التقدمات الواجبة فهلا تقيها على مذبح صنم . فراى فردريك انهُ لم يكن يكتسب شيئاً منها وان جيلا لا تكون لهُ الاما كانت لهُ حينئذٍ . على انهُ كان يحبها محبة صحيحة حتى ان صحبتها اخذت تظهر حرارتها واشتد حبهُ لها بما راهُ من انها اهل للحب . الصحيح . واخذ في ان يرى انهُ يقدر ان يكتفي بان تحبهُ محبة اخ وحاول ان يجعلها ترتضي بان تراهُ حيناً بعد حين وان تمكنهُ من ان يصرف معها ساعة بالطهارة والسعادة الاخوية ليتعلم اموراً مقدسة معزية بصوتها الحلو المعزي ويجمع كنوزاً ليتذكرها في الاستقبال . فقبلت ان تراهُ حيناً بعد حين لان ذلك كان لازماً لانفاذ مقصدها على انها لم تكن ترتضي ان تجتمع بهِ وهي وحدها بالقرب من الينبوع . فقالت لهُ انظر

الى ذلك المكان البعيد الى تلك الكنيسة القديمة الصغيرة على ضفة النهر المفتوحة على الدوام للذين يرغبون في ان يصلوا امام مذبحها . فاراك فيها فنكون مصونين من عذل الذين يسيئون الظنون . وقبل ان افترقا قال لها انهُ كان قد صرف برهةً مع بعض اعوانهِ في موهلبرغ . على انهُ يجب ان يتمتع بالانفراد وبالتخلص من اهتمامات الاحكام فكثيراً ما كان يركب الى مكان صيد صغير يبعد اميالاً قليلة عن الينبوع وكان ذلك سبب اجتماعهِ بها وانهُ كان قد كتم امرهُ عنها ليفوز بالحصول على اركانها . على انهُ لما راى انها اصرت على معرفة حالهِ اراد ان يبينها تبييناً موثراً فيها بحيث تفتخر بحبها وقال على انني قد اخطات اليك لانك لست من الذين يحيدون عن السبيل المستقيم بالمجد والتمليق وعلو المراتب . لم اتمكن في ذلك اليوم من الخروج من قلعة البرنس لاجتمع بك حيث حدثني قلبي بوجودك الا بعد معاناة تعاب وانني مصمم على الرجوع الى موهلبرغ فاتي الكنيسة ثلث مرات في الاسبوع لاراك فيها ما دمت في موهلبرغ

اما الكنيسة المذكورة فلم تكن من الاماكن الفاخرة التي تليق بوبل كانت ذات مذبح خشبي بسيط عليهِ مصابيح نحاسية ولم يكن فيها من اسباب الزينة غير صور قديمة قليلة . وكان فيها مجالس خشبية غير متقنة وكراسي قديمة ايضاً وكانت اشعة الشمس تدخلها من نوافذ ضيقة مرتفعة واجتمعت بالامبراطور بحبها مرات كثيرة فيها وكانا يجلسان ساعات على سلم المذبح وكانت تجلس معها شقيقتها الصغيرة الحائزة من اللطف والجمال ما كانت جيلا حائزة اياهُ على انها كانت خرساء صماء وكانت تصلي جالسة اوراكعة ولوائح التقوى تلوح على وجهها ولسان حالها يقول انني كملاك حارس احرسها واصلي طالبة توفيقها

اما مقصود جيلا من الاجتماع بذلك الحب الذي كانت تحبهُ شبهة شديدة جداً فكان محاولة حمله على الاقتران بسيدتها البرنسس الجميلة المحبوبة فكانت تجعلها اغاثا لبًّا موضوع الكلام . فكانت تطنب بمدح جمالها وفضائلها وكرامة اخلاقها وصحة عواطفها التي كانت تؤهلها لان تكون زوجة اعظم الابطال وارفع الملوك . وابانت لهُ انها تقدر ان تزيد مجدهُ وفخرهُ وتجعل حياتهُ الخصوصية سعيدة وكانت تظهر لهُ من صفاتها وحاسياتها وميلها اليهِ ما كان يوافق الحال . ولما رات انهُ قد مال اليها ابانت لهُ محبتها وقالت ان كل عواطفها متعلقة بهِ وعند ذلك زاد رغبة في استماع الاحاديث المتعلقة بها واصبح يتكلم عنها بحب ولذة لان احب الامور الى الطبع البشري ما يأول الى ازدياد الافتخار والمجد

على ان قلبهُ كان لا يزال متعلقاً بحب جيلا بدون ان يكون لهُ امل بالحصول عليها فكان يستصعب اظهار الحب لغيرها فاستمر مبتعداً عن قلعة البرنسس ومثابراً على الحضور الى الكنيسة . على ان مركزهُ لم يكن يسمح لهُ بان يطيل الاقامة متنحياً عن الاشغال فان رعاياهُ الايطاليان في ميلان جاهروا بالعصيان فدعي الى عاصمة امبراطوريتهِ ليجتمع بمشيريهِ القدماء الامناء . وقبل ذهابهِ بيوم اجتمع بجيلا في تلك الكنيسة ولما تحقق ان ذلك اجتماع اخير شعر بشدة الغرام ومرارة الحب فكان يشعر ان قلبهُ في لهيب فلم يرتضِ ان يسمع اسم اديليد وقال لها ان حبي لكِ صحيح شديد ثابت فما دمت في قيد الحيوة لا اقدر ان احب سواكِ وما دمتِ لا تقدرين ان تكوني لي لا يدخل حب غيرك قلبي فساعيش بتولاً حراً فاحبك بدون معارض بامانة ويأس . فلما سمعت جيلا هذا الكلام منهُ امتلأ قلبها سروراً لانها رات ان حبها قد اخذ منهُ كل ماخذ . على انها بعد التامل برهة جعلت اظهارها

الصحيحة على ان تنكدر من ذلك . ثم افترقا وهي تتذكر كلامهُ وهو انهُ لا يحب غيرها ما دامت في قيد الحيوة فرات ان من واجباتها ان تقوم بما هو اهم مما اقامت بهِ واصعب منهُ

واخذت الايام في ان تمر الى ان تمكن الامبراطور من ان يستريح برهة من مهام امبراطوريتهِ فدخل تلك الكنيسة مسرعاً بقلب خفوق غير انهُ لم يرَ جيلا بل راى اختها المذكورة تصلي فيها كجاري عادتها . فاضطرب فؤادهُ وخفق قلبهُ وقال في نفسهِ هل ماتت يا ترى فاقترب من تلك الفتاة وارقفها عن الصلوة فنظرت اليهِ وعرفتهُ فوثبت واقفة وتفرست فيهِ تفرس حزن فراى من لسان حالها انها باتت منفردة . فاشتد اضطرابهُ فكلمها بالاشارات . فاشارت اليهِ بان يتبعها وسارت امامهُ مسرعة . فخفق فؤادهُ وارتعدت فرائصهُ خوفاً من ان تذهب بهِ الى قبرها على انها لم تقف في المقبرة بل مرة بها وخرجت منها وسارت الى دير صغير بالقرب من النهر فقرعت الباب فنظرت البوابة من النافذة فاشارت اليها بان تفتح ففتحتهُ فدخل قاعة الجلوس متحيراً فراى في نافذة تفتح اليها جيلا واقفة لابسة ملابس راهبة . فاضطرب واي اضطراب وتفرس فيها برهة متحيراً ثم صاح قائلاً يا جيلا لماذا فعلتِ هذا الفعل . فقالت لامكنك من السعادة التي اود ان تفوز بها ولاردك الى سبيل واجباتك فلن امبراطوريتك تدعوك الى الزواج ولك عروس كريمة موافقة على انك قد اضعت زمانك ووجهت قواك الحبية الى حيث لا يليق بك وقد قلت انك لا تتزوج ما دمت في قيد الحيوة فيا مولاي قد صرت كالموتى فجيلا غير موجودة فاسمي في الرهبنة الاخت اغاثا وعند دخولي هذا السلك مت بالنسبة الى العالم فقد دفنت جيلا فلا بد من ان تنساها ولا بد لك من ان تتزوج مراعاة لسعادتك ولصالح

امبراطور بنتك ومراعاة لعواطف بنت عمك المشهورة التي قد ملكت قلبها على غير ارادتها . فتذكر شيئاً واحداً وهو انني احببتك حتى فعلت ما قد فعلت وتذكرني لتنفذ مرغوباتي . فصاح قائلاً اه ياجيلاي اه ياجيلاي هذا كثير فقد عاملتني وعاملت نفسك بالقساوة . فقالت بصوت لطيف منخفض لا تشفق عليّ فان مجد المراة وافتخارها بان تضحي صوالحها هل تظن ان الاعمال العظيمة محصورة في الرجال . ان اعمالنا العظيمة اكثر من اعمال الرجال واهم منها لان العالم لا يكافيها ولا يهتم بها . فالرجال يضحون صوالحهم في سبيل خدمة العالم ويطلبون المكافاة منه ونحن النساء نضحي صوالحنا على مذابح قلوبنا الغير المنظومة فانتم تضحون قسماً من صوالحكم ونحن نضحيها كلها . وعندكم تضحية الصالح هم عظيم ولكننا نحن نشكر الله الذي منحنا ما نقدر ان نضحيه . وكنت قادرة على ان اعيش في الدنيا متمتعة بالسعادة التي يقدر البشران يتمتعوا بها لانني كنت احب الطبيعة الجميلة واصدقائي واقاربي وقد تركت ذلك جميعه لاحبس نفسي ضمن هذه الحيطان مراعاة لسعادتك ومجدك . فيامولاي هل تعاملني بالقساوة وتجعل تضحيتي تذهب سدى

من المعلوم ان قلوباً كثيرة تقع في شرك الحب بعد ان تقع في الياس فتمكنت اديليد من ان تتملك قلب الامبراطور بعد ان راى انه لاسبيل الى الحصول على جيلا . واجتمع فيها ملياً وجرى بينهما حديث مقلق محزن وتركها وهو يشعر بعواطف مهلكة . ولما راى انه قد انقطع حبل الامل ورفض حبه ومنع عن ان يجعل بينه وبينها صلات صداقية شعر قلبه بفروغ مولم لا طاقة له على احتماله فصمم على ان يملاه فراى ان اديليد اشد الناس اهلية لذلك وكانت محبة وكان زواجها من مرغوبات جيلا بل كان علة انقطاعها عن العالم وانحباسها في دير . فقال في نفسه هل اكون اضعف من جيلا واقل كرامة منها . فالاوفق ان احاول ان اكون كريم الاخلاق كمحبوبتي

وسرت اديليد سروراً لا مزيد عليه وافتخرت واي افتخار عند ما سمعت من ابيها ان الامبراطور فردريك طلب الاقتران بها رسمياً . وبعد ان فرحت وسرت سارت مسرعة الى الدير لتخبر صديقتها جيلا التي لم تنسها قط بذلك لتشاركها في فرحها ولم تكن اديليد تعجب مما اجرته رفيقتها لانها كانت تظن انه ناشئ عن كدرها من خيبة املها بالحب لانها كانت تظن ان محبها المجهول لم يظهر لها نفسه . فابانتها بعواطف لم تعرف سببها على انها لم تطلعها على حقيقة الامر خوفاً من ان تكدرها . ولم تكن تقدر ان تخبر سيدتها الفرحة المفتخرة ان كرامة اخلاقها سبب حصولها على الامبراطور

وتزوج الامبراطور اديليد وابان لجيلا انه مطيع لها وصمم على ان يبني ما يذكرها بشرفها وطهارتها . وكان ديرها مبنياً في جزيرة الكنزغ في واد جميل حوله غابات وتلال ومياه . فبنى قصراً عظيماً فيها بجانب الدير ولا يزال السياح يذهبون اليه ليتفرجوا على اثاره وبنى ايضاً مدينة في تلك الجزيرة وفي الوادي وسماها جيلاهوزن اي مدينة جيلا وقد حرفوها الان ويدعونها جلنهوزن وذلك لقيام تذكار ابدي لطهارة تلك الفتاة وكرامة اخلاقها . اما اديليد فلم تغر من ذلك ولكنها ارادت في اعتبارها واحترامها لحصولها على حب الامبراطور . وبعد ان قص على زوجته خبر حبه لها وابان لها اعمالها وتحريضاتها قالت له ان بناء مدينة تذكار يليق بان يشير الى اعتبار امبراطور وجيلا تستحق ان يحفظ لها ذكر في اخبار بناء جلنهوزن

وكان الزمان يمر وقد حازت اديليد البركات

التي كانت تتمناها على ان البشر لا يفوزون بسعادة تامة في هذا العالم. وكذلك اديليد لم تغزبها كلها فان الله لم يهبها اولادًا واخذ رعايا الامبراطور في ان يظهروا رغبتهم في حصول مولاهم على ذرية . وبات في موكز ذي صعوبة فان اهالي ميلان عصوا عليهِ والتزم بان يتداخل بين روجار ملك صقلية ورعاياه المظلومين. ووقع خلاف بينهُ و بين حضرة البابا وكان مضطرًا الى الحصول على حلفا واتصا ليات قوية . وبالاختصار نقول ان زوجتهُ اديليد الحاذقة المدركة الكريمة الاخلاق رات بعين الحب والغيرة ان من صوالح زوجها المحبوب التخلص منها ليتزوج بفتاة من عائلة نافذة الكلمة ليحصل على وريث و يتقوى واجهدت نفسها في سبيل تركه والانفصال عنهُ وهي متمتعة بحبهِ الشديد وفي وسط عظمة وافتخار ومجد وسعادة. فطلبت اليهِ ان يطلقها مع ان قلبهُ مان يحبها كما كان قلبها يحبهُ فاخذت تبين لهُ لزوم ذلك فتردد على انها فازت بالالحاح بالمرغوب وجعلا علة الطلاق قرابتهما فصارت اديليد بنت عمهِ كما كانت قبلاً

وبعد ذلك زارت جيلا وهي في الدير المشهور الامر الذي صار جميلاً فاخرًا بمساعدات الامبراطور. وكانت قد اتتهُ وهي عروس سعيدة فزارتهُ هذه المرة وهي كارملة منقطعة فابانت لجيلا اسرار قلبها الحزين واخبرتها بالضيقات التي ترافق انفصالها الى الابد عن زوجها البطل الامبراطور. وقالت لها ياجيلا انت تقدرين ان تدركي حقيقة حاسياتي فانك قد ذقت مرارة الانفصال عنهُ على انك لم تذوقي ما ذقت فانهُ لم يكن لكِ ما كان لي وحقًا اقول انهُ لولا الاقتدا بكرامة اخلاقك لما قدرت ان افعل ما قد فعلت. وبعد الانفصال صارت سلوة اديليد في زيارة جيلا في الدير كل ما غاب الامبراطور عن المدينة . وكانت تتمشى معها في جنة الدير وتتكلمان عن ازدياد مجد الامبراطور وعظمتهِ وتغنيان ما يذكرهما بحياتهما الماضية

وسنة ١١٥٦ ميلادية بلغ فردريك الامبراطور سن الخمس وثلثين سنة فتزوج بياتركس وريثة بلاد بوركوندي وضم تلك البلاد المهمة الى املاكهِ . ولا يخفى ان سعادتهُ توقفت مرتين على ضحية عظيمة اقامت بها فتاتان فانهُ تزوج اديليد بكرامة اخلاق جيلا و بياتركس بكرامة اخلاق اديليد . على ان ذلك ليس من المستغربات فان الرجال كثيرًا ما يمسون مديونين للنساء باعمال ناشئة عن شدة حبهن وكرامة اخلاقهن على ان كبرياءهم وغرضهم لا يسمح لهم بان يقروا بذلك . وولدت بياتركس بنين و بنات واصبحت شريكة امبراطور عظيم . وكثيرًا ما كانت تذهب هي وفردريك الى قصر جلنهوزن فانهُ كان يحب ان يتنفس الهواء الذي كانت جيلا تتنفسهُ فانهُ كان لا يزال يحبها لانهُ كان يحترمها وكان يحب ان يقوم باعمال عظيمة احسانية على مراى منها

هذا وقد لخصت خبر حب جيلا وتاريخ بنا جلنهوزن من كلمات التاريخ لانها مخالفة كل المخالفة لما نسمعهُ عن اللواتي كثيرًا ما يحببن الملوك . فاننا كثيرًا ما نقرا عن نساء قد بعن ناموسهن للحصول على شرف دنيوي وكن يخرجن بين الناس متقلدات بكل الجواهر خلا جوهرة واحدة وهي جوهرة الفضيلة والناموس وطالما انفذن سطوتهن في بلاط الملوك وحسبن الشر مما يعذر اذا استتر بالعظمة فمن لا يسر اذ يرى ان في التاريخ خبر فتاة جميلة لطيفة اصبحت محبوبة امبراطور ولكنها حافظت على طهارتها وودا عتها واقامت بما يفتخر بهِ كل الافتخار وقد ماتت على ان ذكرها لا يموت

(انتهت)

الجنان

الجزء الثالث والعشرون
في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٦

تنبيه

قد علمنا ان مشتركي بغداد متهاملون بدفع قيمة اشتراكهم مع انهم كانوا دائمًا يبادرون بكل سرعة الى دفع ما هو مستحق والمامول انهم قد دفعوا المطلوب منهم لوكيلنا اتباعًا لعوائدهم الحميدة السابقة

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

لا يزال الرجحان في ميزان العالم تارة لكفة الصلح وطورًا لكفة الحرب ولولم نرَ في كلام امبراطور المانيا ما يدل على ميل شديد الى توطيد اركان السلام وتقوية دعائمهِ عمومًا وعلى الخصوص بين روسيا والنمسا وفي كلام النمسا ما يبين التصميم على بذل غاية المقدرة في سبيل الصلح وفي سياسة فرنسا وانكلترا ادلة واضحة على تفضيل السلام لما جعلنا الترجيح لفض المشاكل الاوربية بالمخابرات الدولية ولهذا الترجيح مساند اخرى اخصها ما تقرر ترجيحًا في عقول وزراء الدول من ان اجتهاداتهم السلمية لا تذهب سدى ولولا ذلك لرجحنا اضرام نيران القتال فانهُ قل ما تتصل التجهيزات الى ماقد اتصلت اليهِ وتتعاقب الاختلافات تعاقبها الماضي مع تباين الصوالح وغور الضغائن بدون ان يصير التقاضي الى الصوارم ويبرز الحكم في وجه المغلوب للغالب ولا نخاف ان تكون عواقبنا سيئة جدًّا بعد ان تقرر عندنا ان حلفاء دولتنا من الدول المسيحية ليسوا من الذين يستخف بهم لعدم اقتدارهم على انكاء العدو ودفع اضرارهِ عن جنوبي الدانوب وهو الطونه اذا لم يدفعوها عن شماليهِ ايضًا ومن المقرران رجحنا في هذه الحرب ما يتيسر اجراؤهُ من الاصلاحات ولا يزاح النقاب عن وجهها بمجرد ظهور نظامات المجلس العالي المسمى بمجلس الاعيان ومجلس المبعوثين ولكن بخروجها من حيز القوة الى حيز الفعل وقبول كل الدول بالجمعية الدولية ومبادرة مجلس الشورى الى تعيين حضرة مدحت باشا وصفوت باشا نائبين عثمانيين مفوضين تمهيد للسلام على انهُ لا يزيل كل مخاطر الحرب لانهُ قد تكون المطالب الروسية غير موافقة لصوالح الدول وفي كذلك ان سلمنا بصحة الاخبار البرقية الاخيرة فان ما تضمنته الرسالة المؤرخة في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من جمع اسلحة كل الاهالي في البلغار وصرف الجنود العثمانية الغير المنتظمة وارجاع المهاجرين منهم الشركس الى اسيا واصلاح الانتخابات والمامورات والاموال الاميرية

وتوزيعها بالموازنة وصرف بعضها في سبيل مشروعات نافعة وجعل لغة كل بلاد اللغة الرسمية الحالية وتوجيه الولايات الى النصارى ليس مما يضر ولو اقتصرت روسيا على طلب ذلك وتاكدنا صدق الرسالات البرقية لوطدنا امالنا بعقد الصلح بعد مدة قصيرة ولا نرى عظيم امر في ختام هذه الرسالة وهو طلبها تعيين مجلس من القناصل ليلاحظ اجرا الاصلاحات لانه ما يمكن تخفيضه بحيث يبيت لا يمس الاستقلال بجعل الملاحظات غير محلية مقصورة على التقرير الى السفارات او غير ذلك مما يشبه التحريضات الاجنبية التي كانت تجري لاجرا الخطوط الهمايونية الصادرة بعد حرب القرم ولكننا نرى في رسالة اخرى مورخة في ١٩ منه ما يكون علة للخلاف وهو في الاخبار البرقية الروسية ان ادخال جنود اجنبية الى البلغار هو الضمانة الوحيدة لاجراء الاصلاحات وفي رسالة اخرى من باريز في تاريخها يقال ان روسيا تطلب في بداية الجمعية الدولية دخول جنود اجنبية الى الولايات العثمانية (الشمالية) فاذا تم ذلك فربما كان يدخل عسكر انكليزي للقيام بالحراسة في الاستانة العلية . انتهى وقد قال وزير انكلترا الاول في خطاب ينشر في الجنة انه لا يمكن التسليم بحلول جنود روسية في ولايات عثمانية لان ذلك تعدٍّ على استقلال الدولة العثمانية ولا نظن ان ذلك هو المانع الصحيح فان جنودًا فرنسوية حلت في سورية منذ سنين غير كثيرة بدون ان ينشا عنها ضرر ولكن الخوف من التعلل بالخروج بعد الحلول بالاستناد الى اسباب ربما كان لا يصعب ايجادها والمرجح عندنا ان الاقرب الرجوع الى حرب قد ظهر من كلام وزير انكلترا انها لا تجنبها قبل السماح بحلول جنود روسية ولعل حكمة الدولة تجد سبيلاً للاستغناء عن ذلك او لحصر ذلك الحلول في دولة لا يخشى منها وبعد ان عادت الامة الانكليزية الى الصواب من جهة صالحها وعولت على المدافعة عن حقوق دولتنا كما النمسا اصبح وزيرها يتوعد بقوله وسياسة انكلترا هي السلام ومع ذلك ما من بلاد اشد استعدادًا منها للحرب . انتهى . فتجهيزاتها كتجهيزات روسيا باتصال واجتهاد وهذا مما يريح الافكار العثمانية ولا يحمل الان الا على سبيل التهديد لتسهيل المخابرات واعظم خطا خطأ الذين يظنون انه اذا انتشبت حرب روسية تبادر انكلترا الى الاستيلاء على قسم من البلاد العثمانية حتى انه وردت رسالة برقية من كالكوتا رقم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) فيها قد قالت جريدة بيوز ان والي الهند اخذ يجهز الجنود لارسالها الى مصر اذا فتحت حرب . انتهى . وكان الاولى ان يقول لارسالها الى اواسط اسيا لتنضم الى جنود الخانيات واشغال روسيا هناك لان الانكليز يدافعون عن معاهدة باريز وهي صيانة الاملاك العثمانية فكيف تكون هي الثانية في تقسيمها الا يعلم الناس ان دون ذلك اهوالاً وان فرنسا اغتاظت من ابتياعها اسهم ترعة السويس فكيف تسمح هي او غيرها من الدول بذلك وللتوضيح نقول ان الحرب اذا لا سمح الله انتشبت تنحصر في الشمال ولا يظهر فيها اقل طمع رومي خصوصي ما لم تبادر دول اوربا كلها او اكثرها الى صدها وما على العثمانيين في جنوبي الطونه الا الاسكنان والمبادرة الى اسعاف حكومتهم بما يقدرون عليه بعد ان باتوا في ما قد باتوا فيه من الفقر والضيق ولكن الاحوال متجهة الى السلم وتظاهر الانكليز مع النمسا بمضادة المشروعات الروسية وبالتصميم على اجرا العدل ولعله يكون تقريرًا ما تضمنته لائحة الكونت اندراسي المقبولة في الباب العالي بعد توسيع قليل وما نعلمه من تاريخ الانكليز انهم لا يشرعون في مضادة عظيمة برية كهذه الا بعد الاتفاق مع دولة اخرى برية على التعاون او ان

يتأكدوا انهم يحصلون على مساعدة عندما تمس الحاجة فكل ما عظمت المضادة لروسيا يعظم امل الصلح وهذا هوالذي يحملنا على ترجيح التخلص من بلايا الحروب ما لم تظهر امور جديدة ليس لها حساب في الحال

وصية الامبراطور بطرس الاكبر الروسي

من الامور المشهورة في الدنيا ان للامبراطور بطرس الاكبر وصية اوصى بها سنة ١٦٨٢ ميلادية وقد نشرت جريدة الرائد التونسي ترجمتها الاتية وقد ظهر منها انه اوصى بما ظن انه يبلغه ملك نصف العالم على ان روسيا تنكرها فان كانت صحيحة او غير صحيحة فمن المهم الوقوف عليها وهذا نص ترجمة الرائد

وهاته الوصية وان كانت الروسيا تنكر وجودها لكن السيرة السياسية الموجودة في الخارج من تاريخها الى الان تصدق وجودها اذ هي مطابقة لها مطابقة النعل للرجل واول من اشهر هاته الوصية في اوربا هو فريدريك اسكياردي سنة ١٨٢٦ وقد اطلعنا عليها منشورة في صحيفة لافنير دوسردانيا في ٧ يونيه سنة ١٨٧٦ ونصها

من بطرس الاول الخ الى كل من يخلفني على تخت الروسيا السلام فان الله سبحانه لم يزل منذ بداية الابد في اعانتنا واسدل فضله علينا بما حملني على الاعتقاد بان الامة الموسكوبية تتسلط ان شاء الله على سائر الممالك الاورباوية (لاقدر الله) والدليل على ذلك ان الامم الاورباوية قد هرم اكثرهم واخذ البعض منهم في التلاشي فان ادركت الروسية تمام قوتها لاشك انها تتغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الصغر وعندي ان هجوم الامم الشمالية على اوربا من احكام القدرة الالهية التي لابد من نفوذها كما وقع سابقا عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحيتها بعد اضمحلالها وانا وجدت الروسيا جدولا صغيرا فتركتها نهرا فارجو ان باعتناء من يخلفني تصير بحرا عظيما يغطي بمياهه اوربا باسرها ولا يتعرض لسيلانه عرمرم فحملني هذا الاعتقاد على ان اقرر هنا الاصول التي لابد من اتباعها نظرا الى ادراك هذا المقصد المعتبر وهي

اولا · على ملوك الروسية ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائما على حال الرياضة والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شان المالية وجبر ما نقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالحرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظرا الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانيا

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب واما مدة الصلح فعليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنتفع الروسيا بما للامم الاخرى من دون خسارة مالها طبيعة

ثالثا

عليهم التداخل في سائر احوال الممالك الاورباوية وخصوصا المانيا لقربها الينا

رابعا

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لاينتخب الا المحب لروسيا وادخال جيوشنا بها لحماية هولاء الملوك الى ان يتيسر التسلط على البلاد راسا فان تعرضت الدول الاخرى تجب الاجابة الى مطالبهم الى ان نقدر على استرجاع ما سلمناه

خامسا

ناخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونجعل بينهم وبين الدانمرك عدوانا دائما

سادساً

لا يتزوج اهل بيتنا الا بنات ملوك المانيا لتأكيد المحبة بين الروسيا والالمانيا وتكثير وسائل المواصلة بينهما

سابعاً

يجب الاعتنا بمحالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى اتجار بسفننا ولما نستفيده منها نظراً الى اصلاح شأن اسطولنا فضلاً عن فائدة تبديل ما لنا من الخشب وغيره من النتائج بذهب انكلترة وما ينشأ منه من كثرة المواصلة بين تجارنا وتجارها

ثامناً

نمتد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطي البالتيك كما يجب السعي بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطي البحر الاسود

تاسعاً

نقرب القسطنطينية والهنود بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانات بشواطي البلتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ما قصدناه ونسعى ايضاً في تعجيل ما اخذت فيه مملكة الفرس من الاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت سابقاً بين الشام وجبل قاف فنتقدم الى الهنود التي هي مخازن الدنيا وان تحصلنا على ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشراً

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا باسعافها ظاهراً على ما قصدته من التسلط على المانيا مع اننا نحرض عليها ملوك المانيا سراً

حادي عشر

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية واظهرت دولة النمسا شيئاً من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول اوربا على محاربتها او نسلم لها جانباً مما حصلنا عليه ونسترجعه في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق الذين ببولونيا وبممالك النمسا ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا احباء ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضة السرية مع فرنسا او دولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذٍ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم اوربا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليهما وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي بتحريض احداهما على الاخرى فنتربص الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على فرنسا فبعد قهر فرنسا والمانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوربا . انتهى

فمن طالع هذه الوصية وطبق اجرا سياسة الروسيا في الخارج عليها لم يبق له ريب فيما قلناه وعلى ذلك فيجب على ساير رجال السياسة عموماً التيقظ لهاته الضمائر الخفية ويجب على رؤساء الامة الاسلامية خصوصاً اعمال غاية الاحتراس من غوائلها لان الامة الاسلامية هي المقصد الاول فيها ولا احتراس الا بالاتحاد

أما ل ماضية واستقبا لية

قا لت جريدة الليتانت هرالد ان انتظار عقد جمعية دولية لا يرجح ضرورة با ل العثمانيين . و با لاختبار نقول انهم لا ينظرون اليها بدون ان يخامرهم بعض القلق . وعند الذين يسوسون السلطنة العثمانية الجمعية لا تنفك عن مرافقة الاراء التي تنشا عنها الخ حال كونها لا تدرك غاياتها ولا عن ان تاتي بنتيجة امور ربما كانت تجيي بتسكين موقت سياسي ولكنها لا تكون غير علة لتشديد صراخ الطالبين منحًا جديدة فضلاً عن المنح التي تكون قد تقررت . وكان من الواجب ان تكون السرب قد ارتضت بنتيجة جمعية سنة ١٨٦٦ التي حصرت العثمانيين في القلاع فيها . على انه في سنة ١٨٦٧ تبع جنود القلاع الذين سبقوهم من المسلمين ولم يكن اخلاؤها غير سبيل لانتشاب نيران الحرب الحا لية . والباب العالي يرى طبعًا ان ماموري الدول ومعتمديها الذين ربما كانوا يجتمعون في الاستانة يكونون عبارة عن مجلس للحكم على اعما له ويرى ايضًا ان هذه الجمعية مهما كانت متساهلة لا تقدر ان تعطي الدولة العثمانية شيئًا حا ل كونها قادرة على ان تاخذ منها ما تحسبة من الامتيازات الحاصلة عليها اليوم . وان الدولة العلية تقوم باسباب الاجرا ودول اوربا هي التي تقوم به . وانها وحدها عرضة للخسارة وان ما ربما كان طفيفًا بالنسبة الى الاخرين قد يكون لها علة عضا ل . وستكون في الجمعية على مراى اوربا وليس في يدها غير بقايا معاهدة باريز . وقد امست ضعيفة لان الاتفاقيات المعينة فيها المتعلقة بالادارة الداخلية لم تنفذ انفاذًا تامًا . ولذلك اهمية مزدوجة مضعفة لان الراي في الجمعية يميل الى ان يقول لو اجري الخط الهمايوني حق الاجراء لما حدثت الامور التي سببت عقد الجمعية . فابطا ل البند المتعلق با لبحر الاسود وهو الذي ابطلتة روسيا سنة ١٨٢٠ لا يقابل فعل ذلك الراي . لان روسيا قد حافظت على شروط البند الثامن المذكور . وتخلصت منها بقرار جمعية دولية . ولا ريب في انها تعدت على الشروط غير انها لم تتعدَّ الا بالاصول المقررة . والاسعافات المادية التي اعطتها روسيا للعصاة في السنة الماضية جهاريًا مما تقدر الدولة الروسية ان تقول انة لا علاقة لها بها عند ما ترى لزومًا لذلك . ولا تكون دعوى ظاهرة تجعل الدولة العلية في اسوة لها من هذا القبيل .

ولا نرى ما يضمن بان الدول ستجعل معاهدة باريز اساس مفاوضاتها . فانها بالاتفاق تقدر ان تجعلها في خبر كان وان تجعل لتقريراتها اساسًا جديدًا يترك الدولة العثمانية بدون شيء تستند اليه خلا ما يسمى بقانون اوربا العمومي وهو قانون مبهم متغير . فهذه الامور مما يجعل الباب العالي ينظر بارتياب الى الجمعية . ولا ريب في انها من ادق الامور والطفها وتحمل الباب العالي على الاهتمام وتلقيه في قلق با لنظر الى احوالها الجارية . ومع ذلك تقدر ان تاتيه بامور نافعة له لا يمكن اهمالها وهي الاتية

اولاً ان الحق لها في الحال با لنظر الى حرب السرب وحرب الجبل الاسود . لانهما لم تبتدئ بالعدوان واصبحت فائزة . فهذا مما لا تقطع الدول عنه النظر . لان الجبل الاسود لم يقدر ان يتشكى . وقد منحت السرب كل المنح التي تمكنها من الوصول الى حربها التامة . حتى انة صار اخلاء القلاع التي كانت تكدرها وما ادعت به من الاشتراك بالحاسيات مع اخوتها المدعية بانهم مظلومون في البوسنه قد ظهر بطلانه بالاتفاق المشهور الذي تقرر بين البرنس ميلان وروسيا . وحقوق الدولة العثمانية بالنظر الى الحرب

ظاهرة جدًّا حتى انهُ ليس من صوالح الدول نفسها انكارها. ومن صوالح كل دولة مهما كانت المحافظة على القوانين الدولية وكلها خلا التي هيجت السرب حتى فعلمت ما هو عدوان متعلق بسلام او ربما تميل في الجمعية الى الدولة العلية وتضاد عدوان الامارتين

وربما كان لا يستحسن تشديد اللوم على السرب من جرى ما جلبتهُ على نفسها باعمالها لانها ستبقى موجودة. ومراعاة للراحة في الاستقبال ينبغي ان تكون في ظروف تمكنها من ان تعيش عيشة محتملة. اما الجبل الاسود فقد ظهر بالجرب انهُ سينال ما يوافقهُ. اي ما يوافقهُ كما يوافق الدولة العثمانية باحداث تغيير قليل في حدوده بحيث يوصي اميره باعطا ضمانات تضمن حسن تصرفهِ الاستقبالي ويشار باعطائهِ جائزة صغيرة بتوسيع اراضيهِ قليلاً بضم ارض صغيرة من جهة نكسك. ولذلك نقول بالنظر الى الحرب انهُ يكون مركز الدولة العثمانية في الجمعية الدولية مما يلقي حكومتها في قلق. ونقول ايضًا انها تنتقل من دائرة هذه الامور الى امور الولايات وهي اصعب برنج لا تهملهُ الدول

وبعد البحث عما يتعلق بالامارتين نشرع في الكلام عن الامر الثاني وهو الولايات العاصية. فنقول اولاً ان الخط الهمايوني لم ينفذ. ثانيًا ان الولايات قد جاهرت بالعصيان. ومن المعلوم ان الدولة العثمانية تقدران تظهران العصيان لم ينشا عن عدم اجرا ما تعهدت بهِ ولكنهُ نشا عن حيل اجنبية. ويرد على ذلك بانهُ لولا التاخر في اجراء ذلك لما كان للحيل الاجنبية غير تاثير ضعيف فسوء الادارة كان عضدًا لها. ومامن دولة من التي يكون معتمدها في الجمعية ترى لنفسها صالحًا في تجاوز الحدود الطبيعية المختصة بهذه المسالة خلا دولة واحدة. فان روسيا شرعت في انشاء امارات ذات استقلال اداري فعضدتها انكلترا في ذلك عضدًا موقتًا ناشئًا عن الخطا. حتى انها رجعت عن عضدها في ذلك حال كون النمسا انفردت في بادي الامر بالامتناع عن قبولهِ. وليس للدولتين المشار اليهما غير غاية واحدة وهي تقرير الراحة. ومن اسباب تقرير الراحة ادراك غاية اخرى ناشئة عن مراعاة حقوق الانسانية وهي منح اهالي الولايات ادارة مصلحة. فان احداهما تعضد الاخرى ولا تنفك عنها. وقد عرفت الدولتان المشار اليهما ان الولايات التي طلبت روسيا لها الاستقلال الاداري غير قادرة على احتمال الاصلاح الروسي. والحصول عليهِ يكون بدون ريب سبب منع الوصول الى الغاية. وان روسيا لم تشرع في ذلك الا مراعاةً لغاياتها الخصوصية. وليس لفرنسا غرض في اسناد المقاصد الروسية ولا في شيء مهما يأول الى تقسيم السلطنة العثمانية. اما المانيا فربما كانت تجعل اساس سياستها لائحة الكونت اندراسي. وايطاليا لا تسمح بان تقاد بالحوادث التي اباتها روسيا لها في جهة التيرول بحيث تقوم بسياسة لا تسندها المانيا. ولذلك نقول اننا لا نرى في الجمعية الدولية عناصر ترغب في انفاذ السياسة الروسية المتعلقة بانشا امارات ذات استقلال داخلي واذا اصرَّت روسيا على ذلك تصر عليهِ وحدها. اما ادارة الولايات التي ستفحص الدول احوالها لان تلك الحالة هي التي جعلت سلام اوربا في كدر سنة ونصف سنة فلا تتعدد الاراء بشأنها. فيقال للدولة العلية انهُ لا يسمح بادارة كالادارة التي جرت منذ سنة ١٨٧١ في اوربا فمن الواجب ان تبادر الى القيام بنظام اصلح بدون تاخر البتة. وليس في هذا الكلام شيء يدعو الى القلق لانهُ قد تقرر في عقل الباب العالي انهُ بدون اصلاح الادارة تنقسم السلطنة. ومن الموكد ان الانسان لا

يجب ان يبيت موعوظًا في بينه وربما كان الوعظ في هذه المرة اشد تاثيرًا لان العثمانيين قد راوا انه في محله. واذا نظرنا الى هذه الحال نظرًا وطنيًا لا تضر الدولة العلية اذا كانت اراء الدول كارائها من جهة لزوم الاصلاحات الداخلية. ولا ريب في ان هذه الاراء اوفق من ان يتقرر عند الدول ان اتساع السلطنة مصعب للادارة. وعند اجتماعها بالدول في الجمعية وقد وافقتها على ما يتعلق بلزوم اصلاح الادارة يقدر الباب العالي ان يبين الموانع التي حالت دون انفاذ الخط الهمايوني وان يبين ايضًا انها قد زالت او لا تزال على حالها واذا قرر بانها باقية يبادر الى طلب الاسعافات التي تقتضيها الاحوال. والباب العالي لا يابي المساعدات لانها ترضي الاهالي وتثبت السلطنة. وربما كان يكدر الانسان ان يقول ان اصحاب الادارة ليسوا بحاصلين على جميع الصفات اللازمة على انه ينبغي ان نعلم ان الحوادث نفسها قد جاءت بالتحذيرات اللازمة ولا تنكر ولا تمنع عن ان تاخذ مجراها لان العالم قاطبة قد سمعها. والحضرة الشاهانية راغبة في ان تجعل الادارة ناشئة عن اهتمام يظهر به ان تخليص السلطنة ينشا عنه. والاهالي قد ابانوا شدة ظمإهم الى الاصلاحات. وكل الدول خلا دولة واحدة ترغب في ان تكون التتمية ما يؤتي به باصلاح الادارة. ولا يفرض ان الباب العالي والذين في ايديهم الادارة عندهم اميال ناشئة عن حب الذات بحيث يقدرون ان يهملوا انفاذ الارادة السنية والاهالي والدول. ولذلك نقول ان الجمعية الدولية تاتي بانفاذ مرغوبات جميع الذين لهم صالح صحيح في الحال الجارية. ومن الواجب ان ننتظر طبعًا ان نرى روسيا تفرغ جهدها في سبيل مضادة كل ما لا يوافق مشروعاتها. على ان الحكومة الانكليزية هي السبب الاول لاجتماع الجمعية فلا تشترك فيه الابعد تقرير اتفاق واضح متعلق بومخرج كل المفاوضات التي يمكن جعلها واسطة لانتفاع روسيا وحدها بها. فالجمعية التي اشارت انكلترا بها ليس فيها صالح مخصوص بدولة دون غيرها ولكن صالحها عام لاوربا اجمع وهو الصالح الذي ينشا عن ارجاع الراحة الى السلطنة العثمانية وعن حكومتها المستقبلة المصطلحة. واختبار انكلترا الاداري عظيم فلا نظن ان مشروعًا روسيًا موضوعًا سلفًا يقدر ان يتصل الى غايته. وقد عرفت انكلترا بالاختبار الذي تم تحصل عليه بلاد اخرى ان الانتظام الاداري ليس هو عمل يوم ولا نتيجة ارادة ملكية واحدة. ومن الواجب ان نتاكد ان انكلترا من اقدم اصدقاء الباب العالي وحليفته الحالية فتصر على ادخال اصلاحات بدون تاخر وانفاذها كلها. ومن المؤكد ايضًا انها لا تسمح بتقسيم السلطنة مدعية بان ذلك لتحسين ادارتها. واذا سلك الوزرا العثمانيون مسلك الخلوص وقاموا بواجباتهم المتعلقة بلوازم الاعظم ووطنهم فلا تخاف الدولة العثمانية شيئًا. فلنفرض سلفًا ان ذلك هو شان الوزرا مع ابتعادهم عن كل اسباب حب الذات والتحزب فيتبين انه لا ينبغي ان يخشى الباب العالي تقريرات الجمعية. فانها لا تضر السلطنة ولا الاهالي. وستاتي بتغييرات في الادارة لا يقوم المديرون بها بدون معاناة صعوبات ولكن ذلك ليس بمهم بالنسبة الى الفوائد التي تاتي التغييرات بها الدولة قاطبة

المدنة وما يتبعها

قالت جريدة التيمس لقد قبلت المدنة وستنقطع الحروب بين الدولة العثمانية والسرب مدة شهرين. فهذا موكد وما بقي فهو تخمين. واسباب ما قد حدث غير موكدة كمجاري الحرب في الاستقبال اذا صار الرجوع اليها. فماذا يا ترى جعل الباب العالي يقبل

بعقد المدنة التي افرغ جهده في سبيل مجانبتها، وقد قال قوم من الذين يدعون اظهار حقائق الامور ان الجنود العثمانية قد فازت فوزًا عظيمًا ففتحت ادجونس وحلت في الكسيناتز واستولت على دلغراد . وقد دفعت الدولة العثمانية عن نفسها ما يمس ناموسها الحربي بانتصاراتها ولذلك تقدر الحضرة الشاهانية والوكلاء ان يعاملوا العدو بما تدعو اليه كرامة الاخلاق . فهذا كلام يسر على انه غير مطابق لما نعلمه عن الطبيعة البشرية . وقد رأينا ان شروط المانيا عند انتصارها على فرنسا كانت تزداد بطول الزمان فكل ما كانت تدافع فرنسا اسبوعًا كانت تزداد احمالها . اما الان فنرى شروط المنتصر بن تخف بمرور الايام وتأكيد اهميتها فوزهم . ومن المعلوم ان ذكر ما يحدث يومًا فيومًا يزول بسرعة من الذهن . غير اننا لانزال نتذكر الشروط التي طلبها الباب العالي عند ما طلب اليه عقد الصلح في بادي الامر . ومنها ان تدفع السرب غرامة ولم يكن ريب في ذلك . وان يزداد المال المرتب عليها وان يبادر البرنس ميلان اميرها الى اظهار خضوعه باجراء يصير الاتفاق على القيام به في الاستانة العلية . وان يصير التعهد بانشاء طريق حديدية لعسب الجيوش العثمانية في الامارة عند ما تمس الحاجة . وان تحل الجيوش الشاهانية في بعض حصونها حتى انه كان يظن انها ستحل في بلغراد نفسها . فهذه هي الشروط التي طلبها الباب العالي في بداية انكسار السرب ليمتنع عن تشديد تاديب رعيته فاين هذه الشروط يا ترى . ولا نظهر هذا الحال لنبين تقصير بعض رجال السياسة عن ادراك الاستقبال ولكننا نرغب في ان نمكن الذين لايتاملون في الامور من ان ينظروا تحت ظواهر الامور ليروا الامور الجارية . فشروط الصلح العثمانية قد توارت . فماذا جعلها تتوارى يا ترى ان الرجل الذي لسياستو حد وهذا الحد اسبوع ينبغي ان يبين علة هذا الانقلاب الغريب . هل حدث ما يجعل مطاليب الباب العالي اكثر اعتدالا . الجواب بالنظر الى الحرب لم يحدث شيء بل كانت الحوادث المتتابعة مما يجعلها اصعب فان العثمانيين فازوا ببطء وثبات . فانهم فتحوا حصنًا بعد حصن حتى انه يقال ان السرب باتت مفتوحة لجنودهم . فما اغرب ذلك . ومن يا ترى لايعجب منه بعد ان يرى العدو مكسورًا بل بات لايقدر ان يثبت ولا يدافع وشروط المنتصر تضعف وتسهل ويرتضي بان يعقد هدنة كان يحق له ان يقبل بها لو لم يفز قط . فعوضًا عن ان يزيد مطاليبه يعدل عنها . وعندما يطلب اليه ان يقبل بهدنة او يرفضها في ٤٨ ساعة يبادر الى قبولها . ولا ينبغي ان تخفى سبب ذلك حال كوننا نعلم ان القوات المتصادمة في اكثر من القوات المتظاهرة بالصدام . فاننا لم نشاهد قتالاً جاريًا بين الدولة العثمانية والسرب ولا بين تلك الدولة وبين البانسلاف اجمع . لانه بالتحقيق نرى اننا لانقدر ان نحافظ على الحيادة بالنظر الى هذه الحال وانه من واجباتنا للحصول على تسوية ثابتة ان نشير على الباب العالي واو كان كل النصر له بما يأول الى وضع حد لقوته . فربما كنا نكره ذلك او لا نكرهه غير ان الوقائع لاتكون بحسب مرغوباتنا . ومنذ اثني عشر شهرًا كان الباب العالي سيد السرب وكانت البلغار خاضعة راسًا له . فماذا يا ترى جرى . الجواب ان سيادته الحربية قد تقررت تقريرًا ثابتًا مع انه قد خامر سياسته فيها ضرر عظيم . وقد اظهر السربيون من الضعف ما يرغب مبغضيهم ان ينسبه اليهم فانهم انكسروا في جميع المواقع وشرعوا في الصراخ قبل ان بات انكسارهم تامًا . ومع ذلك قد لحق ضرر بسيادة الباب العالي في السرب وجرحت

جرحًا لا يشفى وعند عقد الصلح يكون مركزها بعد الحرب غير مركزها قبلهُ . ولا نحاول ان نمنع هذا التغيير . وكل اجتهاداتنا مصروفة في سبيل ازالة الصعوبات التي نأتي بتقريرها . فهل يتيسر الوقوف على برهان اعظم من ذلك يثبت في عقولنا ما امسينا جميعًا ندركهُ ولئن كان بعضنا يتجاهلهُ وهو ان اعمالنا ليست متعلقة بثورة منفردة ولكنها بتغيير عظيم لا نقدر ان نمنعهُ وان كنا قادرين ان نغير الحال التي تتصل اليهِ

ولا نلتفت الى الماضي الا لنتعلم منهُ ما يفيد في الاستقبال فقد تقررت هدنة شهرين . ونحن الانكليز نقدر ان نجعلها تمهيدًا للسلام او توطئة لحرب متسعة الدائرة

خطاب امبراطور المانيا

قالت جريدة التيمس لا ريب في انهُ قد خابت آمال الذين كانوا ينتظرون ان يسمعوا بخطاب الامبراطور المشار اليهِ بامور مهمة . وربما كانوا قد علقوا امالهم بما لا يحق لهم ان يعلقوها بهِ . وليس من العادة الجارية اظهار امور مهمة بالاحتفالات العمومية لان ذلك لا يوافق المصالح السياسية . ولذلك لم ننتظر ان نرى في خطاب امبراطوري في برلين عند فتح المجلس العالي الالماني اكثر مما نرى اعتياديًا في خطاب ملكتنا عند فتح مجلسنا العالي . ولم نرَ غير فوائد قليلة في كل ما قيل بالنيابة عن ذلك الامبراطور . والصلات الجارية بينهُ وبين دول اجنبية سلية كسياستهِ وصعوبات هذا الزمان الموقتة لا تؤثر في مركز المانيا . فان الحكومة الامبراطورية متجنبة صعوبات الجهة الجنوبية الشرقية من اوربا . وقد قبل نواب الامة بهذه السياسة كل القبول والدليل انهُ عند اجتماع المجلس بعد تلاوة ذلك الخطاب لم يجتمع منهم عدد كافٍ للمفاوضة الاعتيادية . ولم يخالف في الراي ذلك الخطاب غير قليلين بل ربما كان لم يخالفهُ احد . والاكثرية لم تر لزومًا لاجتماعها لاظهار قبولها بهِ . ونحن نعلم ان الاراء في فينا تختلف كثيرًا عنها في بودابوست ففي عاصمة النمسا لم ينقطع اعضاء المجلس العالي النمساوي عن الاعتراض على الحكومة والاستعلام وجواباتها وتوضيحاتها لم تزل الاضطرابات . فالامم الكثيرة الجنسيات تميل الى القيام بسياسة ذات اضطراب والحكومة التي تحاول ارضاء الجميع لا تقدر ان ترضي احدًا . اما الاميال العامة في شمالي المانيا فهي واحدة . فان القوم فيها يوملون بان لا تفوز دولة اجنبية بربح شيء مهما جرى ويخافون من ان تلحق الاضرار باكثر من دولة واحدة اذا انشبت حروب . لانهُ لا يترتب في الحروب دائمًا ربح فيئة بخسارة فيئة اخرى . فانهُ ربما كانت الفيئتان تضعفان بالنسبة الى الذين يتفرجون عليها . ولذلك قد فوض الى الحكومة الامبراطورية بان ترتب الامور وتنتظر مجاراة الامناء الذين لا يتداخلون في منازعات العالم . ولا نقول اننا نصف سياسة عن كرامة الاخلاق بوصف سياسة المانيا الشمالية على اننا نظن ان ذلك الوصف هو الصحيح

فخطاب حضرة الامبراطور يذكر صعوبات الشرق بسرعة ويتركها . وربما كانت فيهِ عبارة تستحق الاعتناء المخصوص . وليست ما قال فيهِ من ان دم اولاد المانيا لا يهرق الا للدفاع على ناموسها او صوالحها . ولولا ادلة اخرى على ميل المانيا الى السلم لما ارتاح بالنا بهذا الكلام . لانهُ مما يقال في كل حال لان كل ما يحدث يمكن ان يضمن فيهِ . فان الملك لويس الرابع عشر الفرنسوي لم يفتح حربًا قط الا لصيانة ناموس فرنسا وصوالحها . والامبراطور نابوليون الثالث ادعى بذلك عندما حمل على المانيا سنة ١٨٧٠ . اما النواب فضجوا عندما سمعوا ذلك على انهُ ينبغي ان نصرف النظر عنهُ لانهُ قليل الفائدة . واهم

عبارات ذلك الخطاب ما قيل فيها ان الامبراطور يجهد نفسهُ خصوصياً في سبيل حفظ السلام والصداقة الجارية بين الدول المرتبطة بالمانيا برباطات الجيرة والتاريخ . لحفظ السلام بينها عندما يقع في خطر . ولا ريب في ان حكومة المانيا ترغب في ان تحافظ على السلام وان ترى كل الدول محافظة عليهِ على انها لا تجهد نفسها في حفظهِ الا لصيانة صوالح جيرانها وبالنظر الى ذلك ينبغي ان نسأل عن جيرانها لنعرفهم . وهم بحسب المالوف الذين اراضيهم ملاصقة لاراضيها . وفرنسا ودانمرك منهم ونحن الانكليز لسنا منهم . والظاهر ان لهذه العبارة معنى اخر . فان كاتبها قصد بها النمسا وروسيا وهما الدولتان المرتبطتان جيرة وتاريخياً بها ولذلك ترغب في مسالمتهما وتفرغ جهدها في سبيل حفظ السلام بينهما . ولا نتعجب من ذلك . ولا نتكدر منهُ . فان المانيا تحافظ على اتحادهما وتروم ان توطد السلام بين روسيا والنمسا ولذلك نقول ان سياسة المانيا موجهة قواها الى صيانة السلم الجاري بين الامبراطوريات الثلث . واذا ظهر انهُ لا سبيل الى قيامها كلها بسياسة واحدة لا ينبغي ان تجاهر الدول المختلفة بالعدوان . فهذه السياسة هي نفس السياسة التي اقامت بها بروسيا في اثناء حرب القرم . على انهُ اذا خابت آمالنا وجاءَت الحوادث بالاجراء لا تغل ايدي المانيا بحيث تبيت ملتزمة بان تحيد عن السياسة المذكورة . ولا نظن ان الامبراطور غليوم الحالي يبيت غرضاً للاعتراضات التي باتت الملك فردريك وليم عرضة لها لانهُ امتنع عن الاشتراك بخصامها . ومن المهم ان نعلم ان المانيا قد ابانت لنا انها ستحافظ على اتحادها الروسي . على انها ستفرغ جهدها في سبيل صيانة الصداقة الجارية بينها وبين كل الدول على انها تكون اشد اتحاداً مع روسيا . فمهما حدث لا نقدر ان نقول انهُ لم يكن يخطر لنا ببال ان تلك الصداقة ستبقى وطيدة

الاسكندرية

ان هذه المدينة قد اضحت بعناية الحضرة الخديوية الاسماعيلية من اجمل مدن الشرق بترتيبها وتنظيمها وابنيتها وشوارعها فقد اكتسبت شهرة تنظيمية في هذا الزمان فضلاً عن شهرتها التاريخية ونسبتها الى ملك من اعظم ملوك الارض وابسل ابطالها . وقد طلب الينا بعض المشتركين في الجنان كتابة جملة عنها للافادة الذين لم يطالعوا تاريخها والذين لم يتمكنوا من الذهاب اليها في هذا الزمان فنقول ان بانيها اسكندر العظيم المكدوني في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد بعد ان اخرب صور واسسها بين البحر وبحيرة وهندسها دنوكراتس . وجعل فيها شارعين عظيمين وشُيدت منارة في الجزيرة ووُصلت بالبر . وفي ايام البطالسة اصبحت مركز تجارة الشرق والغرب وصار عدد اهاليها ثلثمائة الف نفس من الاحرار واجناس مختلفة واصبحت ايضاً مركزاً للعلوم والمعارف وفيها نبغت المدارس اليونانية الفلسفية ولاسيما الافلاطونية وكانت فيها مكتبة ومعرض ومقام للاولاد فكانوا يتربون فيهِ بمال الخزينة العمومية . وانتشرت النصرانية فيها في بادي امرها ونشأت عنها المخاصمات والانشقاقات المشهورة . وجرت فيها منازعات سياسية وحروب عظيمة ولاسيما حروب كليوبترا واخيها بطليموس . وسنة ٣٠ قبل الميلاد استولى الرومانيون عليها . وسنة ٦٤٠ للميلاد استولى عليها العرب واخذت في ان تنحط بنقل مركز الحكومة الى القاهرة واكتشاف طريق الهند في جنوبي راس الرجا الصالح

اما الاسكندرية الحالية فمبنية على الطريق التي كانت تصل البر بالجزيرة فانها صارت قطعة صغيرة مستطيلة باجتماع الرمال والمواد . ولها فرضتان احداهما في غربي الجزيرة تقدر المراكب العظيمة ان

تدخلها والثانية في الفرضة المتاخرة وهي واقعة في الجهة الغربية من الجزيرة . وجفت مياه البحيرة باجتماع الرمال فيها غير ان الانكليز فتحوا مجرى في الارض الضيقة التي كانت تفصلها عن بحيرة ابي قير فدخلها البحر وذلك سنة ١٨٠١ . وفي الزمان المتاخر اخذت في الرجوع الى شهرتها القديمة وقد اقتبس اهلها عادات كثيرة اوربية وتنظيماتها متقنة جدًا وفيها شوارع متسعة مبلطة منورة بالغاز ليلاً وابنيتها الجميلة كثيرة جدًا . وفيها فسحة جميلة اسمها المنشية تجري فيها الاشغال . وسنة ١٨٧٠ عدل عدد اهاليها بمائتين وثمانية وثلثين الفًا و٨٨٨ نفسًا من العرب والقبط والترك والعجم والارمن والافرنج وغيرهم فمنهم ٢٠ الفًا من الاسرائيليين وعشرون الفًا من الايطاليان وخمسة عشر الفًا من الفرنسويين واثنا عشر الفًا من المالطية و١٢ الفًا من السوريين وغيرهم وثمانية الاف من الالمان واهالي سويسرا و٨ الاف من اجناس اخرى اجنبية . وطرقها الحديدية متصلة بالقاهرة وسائر الارياف وبالاسماعيلية ورملة وغيرها . وتاتيها مراكب كثيرة فيها مسافرون كثيرون يمرون بالبلاد وهم ذاهبون الى الشرق الاقصى وراجعون منهُ فهذا كلهُ مما يزيد ثروة المدينة وفي سنة ١٨٦٩ اتاها ستة وخمسون الف سائح في الفي مركب شراعي دخلت ميناها وثمانون الف مسافرًا في الف مركب بخاري دخلوها خلا الذين اتوها في المراكب الحربية

ولا تزال الحكومة الخديوية معتنية بها فتصرف الاموال في سبيل تحسينها ففي هذه السنة شرعت في تتميم تبليط شارعين مهمين من شوارعها وهي تعتني على الدوام في جعل حكومتها في ضبط تام وتبذل لضبط احوالها وفض مشاكلها بالحكمة والعدل حتى انها جعلت فيها محافظًا ذاتًا توصلت الى تقلد نظارة ماليتها وهو عمر باشا وهو على جانب عظيم من الذكاء وتوقد الذهن وادراك داني الامور وقاصيها وفض المشاكل ولا عجب فانهُ قد تقلب في المناصب وحنكه الزمان فانهُ سنة ١٢٦٣ صار مساعدًا في قلم التركي في مجلس الحقانية . وسنة ١٢٦٤ الحق بالمدارس الحربية وسنة ١٢٦٦ رقي في المدرسة الى رتبة قيادة المائة وسنة ١٢٦٨ رقي الى رتبة قيادة الالف في البياده . وسنة ١٢٧٠ صار قايمقامًا في العسكرية وفي اواخر السنة المذكورة ذهب الى الحرب في القرم . وسنة ١٢٧٢ ارجع الى مصر القاهرة ووجهت اليه مامورية انشا طريق السويس الحديدية وسنة ١٢٧٧ صار محافظ السويس مع نظارة الطريق الحديدية بينها وبين القاهرة . وسنة ١٢٧٩ رقي الى رتبة امير الاي . وسنة ١٢٨٢ رقي الى رتبة متمايز . وسنة ١٢٨٥ لوا . وسنة ١٢٨٨ روملي بكلربك . وسنة ١٢٨٨ وجهت اليهِ محافظة مصر ومديرية عموم الطرق الحديدية المصرية . وسنة ١٢٨٩ صار ناظرًا للمالية . وسنة ١٢٩٠ صار رئيس مجلس الاحكام العدلية . وسنة ١٢٩١ صار مفتش عموم اقاليم قبلي

وعندهُ مبادي العدل والصدق وحرية الافكار وحب الفقرا فيدخل مركزهُ افقر الناس واجهلهم ويعرضون حاجاتهم بالحرية والجسارة ويستفهم منهم بالتاني والبشاشة ويامر بترويج الاشغال ويندد من يوخر التحريرات ويعطل في الاعمال ويلومهم والحاصل ان اهمية الاسكندرية قد حملت الجناب الخديوي على توجيه محافظتها على ذات كالمشار اليها

واهم الاثار القديمة الباقية في نفس المدينة الابار التي كانت تجمع فيها المياه اما الان فاستغني عنها بالماء الذي جلبتهُ شركة انكليزية من ترعة المحمودية بالالات البخارية بعد ان تصفى بالمصافي الاعتيادية وهي تباع لحساب الحكومة كما سترى في ذيلهِ ولا يخفى ان

المال في الاسكندرية اقل قيمة من المال هنا والفرق نحو النصف وما يوخذ منه هو بقدر الاحتياج بدون ميزان . وكانت احوال هذه المصلحة الثانية غير منتظمة كل التنظيم الى ان تقلد ادارتها جناب رفعتلو محمد نشئت بك نجل حضرة صاحب السعادة محمد حافظ باشا ولم نتعرض لذكره الا لما توسمناهُ فيه من القواعد التي نحب ان تنتشر في الشرق بين الشبان لانهُ بدونها تبقى احوالنا جميعاً في ضياع من جهة الاركان والصدق والامانة والتاني والابتعاد عن الريا ومدحهُ باظهار صفاته واجب ليكون قدوة لكثيرين من الشبان الذين لو سلكوا مسلكهُ لجاءوا وطنهم بفوائد كثيرة فانهُ رائق الافكار طويل البال مبتعد عن الحدة والادعا والطيش والكذب ولو بالجزئيات يظهر في ادارته حقيقة ما يقدر عليه وما ينواهُ . بعيد عن كل التعصبات منزه عن النقائص التي تشين الفتيان ولاسيا في الشرق . ولذلك نقول انهُ يكون ذا مستقبل حسن في بلاد تعامل الناس بحسب اهليتهم . وكانت ولادتهُ سنة ١٢٦٥ وتعلم في المدارس الحساب والخط والرسم بالصباغ والفحم ونبغ في الرسم الهندسي وبعد خروجه من المدرسة انتظم في دائرة القلم التركي في المعية السنية ورقي حالاً ثم تزوج خانوناً من المتبنيات في حرم السعيد الذكر المرحوم ابرهيم باشا ثم تعين في الخارجية ثم عين في قومسيون المعرض في فينا وساح في اوربا والمامول ان الذين يطالعون خبرهُ من ابناء الوطن وغيرهم يجتهدون في ان ينهجوا منهجهُ لينالوا ما نالهُ من الشهرة . اما المياه فسعرها ١٠ فرنكات شهرياً اذا كان في البيت نفراً الى ٥ انفار وما يزيد عن الخمسة عن كل نفر فرنكان ويوخذ الماء على قدر اللزوم . وعن كل فرس ٤ و٤ عن المركبة بدون خيلها و٢ عن الحمار واذا كثرت الانفار والخيول ينقص هذا الثمن تخفيضاً مهماً وكذلك للفقراء والجنائن اتفاق مخصوص . فهذا في الاسكندرية قدر نصف قيمته هنا بسبب الغلاء ورخص النقود

ومجتمع التجار في الاسكندرية المسمى بالبورصة مما يستحق الذكر في الشرق وهو مسهل جداً للاشغال والاجتماعات فالاكثرية تاتيه كل يوم ولا سيما في اوقات الاشغال وترى فيه الجرائد واسباب التسلي وكل ما يتمناهُ الانسان عند الاجتماع بمعارفه ومن العادات الغريبة الجارية فيه المقامرة بمبالغ قليلة على سبيل التسلية وقد اختلفت الاراء من جهة صوابيتها واجمع معلمو الدين على حرمتها

وفيها البُرُد والطرق الحديدية باتصال ذهاباً واياباً غير انها في احتياج الى مكان متقن للتشخيص العربي والافرنجي وقد راينا في السوريين ميلاً شديداً الى الحصول على مشخصين باللغة العربية ونظن انهُ من الصواب ان يتفق مشخصو الروايات الخديوية التي لم يتيسر بعد وصولهم الى مصر مع مشخصين من الافرنج على استئجار المكان المعد لذلك فيها ويكون التشخيص ليلة للعرب وليلة للافرنج فتخف المصاريف : واهالي الاسكندرية على جانب من الرقة واللطف والحذق والمعارف وعاداتهم متناهية كثيراً والافات المالية والتجارة تداثرت فيها عظيم تاثير غير ان مركزها يجعل التعويض سهلاً فالاصلاح المالي المصري يعود بها الى رونقها ويجعل اهاليها يسلون احوالهم الماضية

الحرب والصلح

قالت جريدة التيمس لا ريب في ان الباب العالي قد منح هدنة اجابة لطلب روسيا وان السرب صرحت بقبولها بها قبل ان منحها الباب العالي ولذلك لا بد من ان تنقطع المحاربة في كل مكان . وقد اجفل الناس بالحوادث الاخيرة . فان الجنرال اغناتيف سفير روسيا كان مشغلاً بمفاوضات السفراء واظهار

ما يطلب الى الباب العالي ان يقوم به وبالاستعداد لمقابلة الحضرة الشاهانية حال كون الوكلا العثمانيين كانوا يحرضون الجنود الشاهانية على القيام بحملات سريعة قاطعة . فنفذ امرهم . وكانت قد وردت نجدة الى الجنود العثمانية مولفة من بضعة الوف وكان القائد قادراً على سرعة الحمل وعارفاً باهمية الفوز في تلك الظروف . فحملوا وفازوا بالانتصار العظيم الذي جعلهم حربياً سادة السرب . واستولوا على حصون ادجونس عنوةً ونشا عن ذلك الاستيلا على الكنيناتز ثم حلولهم في دليغراد . ومع انهم يأسلون مدبرون لا يقدرون ان ينالوا فوزاً عظيماً على العضد العظيم الواقف وراء السرب . فانتبهت الحكومة الروسية بغتة الى المخاطر التي باتت تتهدد اصدقاءها وطرق اذنيها صراخ الاستنجاد الصادر من بلغراد عاصمة السرب ورات فساد الحرس السربي وهلاك المتطوعة الروسية فتقرر عندها انه لابد من توقيف تقدم العثمانيين في السرب مهما عقب ذلك . ولا بد لامبراطور روسيا من السلوك في سبيل واحد اذا حلت الجنود العثمانية منتصرة في كل البلاد التي عرضت للحرب بتحريضات اقوام روسية وهو مراعاة ما يقتضيه ناموس حكومته بالمداخلة وامة المضطربة الهيجية تدعوه الى ذلك . فهذه الامور حملت روسيا على تقديم الشروط القطعية واقلقت بها العالم مع انه كانت قد انتهت المخابرات بشان المدنة وتقررت الشروط وانتظر القوم التوقيع عليها في ساعات قليلة . على انها كانت لا تزال بدون امضاء وكان العثمانيون يقدرون ان يجدوا علةً لتاخيرها الى ان يفوزوا فوزاً جديداً اقطع واشد ضرراً . فبادرت الحكومة الروسية الى ابلاغ تلك الشروط بوجه السرعة

وجاءت هذه الامور بمخاطر عظيمة لانه ربما كان الباب العالي يساق الى رفض اجابة طلب الدولة الروسية في ظروف كهذه الظروف . فان ما طلبته روسيا كان غير معتدل لا في المطالب ولا في اللغة وورد في زمان لا يستغرب رفض العثمانيين له فيه بعد ان نالوا من الفوز ما كانوا قد نالوا وراوا انه يحق لهم ان يطلبوا شروطاً وليس ان يطلب اليهم القيام بشروط على ان الظاهر ان الاصابة مع صحة ادراك الحال حملاهم على ان يعملوا ما يوافق . والطلب الصادر من دولة واقفة في ظلمة وستار وراء السلافيين ربما كان يمس حاسيات دولة منتصرة . ومما يدعو الى الانتباه والتامل اذا كان فوز تلك الدولة مما ياتي في مخاطر جديدة واذا فرضنا ان لتشكيات سفير روسيا من محاولة الباب العالي المطل لمنع الدول عن نوال مقاصدها صحة نقول انه لا ريب ان الدولة العثمانية عالمة انه لا بد من حلول زمان نهاية سياسة المطل . ولكن اذا كانت الدولة العثمانية امست مسلمة بطلب روسيا قبل تقديم الشروط القاطعة ولم تقدمها روسيا الا لاخماد التعصب الروسي لا يكون قبول المدنة الروسية واسطة لاحداث اختلاف فعلي في مجاري الحوادث . وان فرضنا ان الشروط الروسية او اسباباً اخرى جاءت بانقطاع القتال كله ورجع العثمانيون والسربيون واهالي الجبل الاسود الى ضمن حدودهم مدة ستة اسابيع او شهرين فماذا يا ترى ينشا عن ذلك . الجواب ان الحال لا يدل على حسن الاستقبال من بعض جهات لانه اذا فازت الدول بمجانبة الحرب تكون قد حصلت على امر غير اعتيادي يكاد يكون فوزاً سياسياً ادبياً شاذاً ابان ان الميل الى السلم اقوى من الميل الى الحرب . لاننا لم نسمع بثبوت السلام بعد ان طالت المضادات والمخابرات واستمرت كالمخابرات الجارية . فان الاستمرار الذي نشا عن مهيجات اتخذ منه دائماً في اشهر كثيرة يصعب توقيف الامم المتداخلة

واذا لاحظنا الامر من جهة اخرى نرى انهُ ربما كان القتال الذي جرى سنة ونصف سنة قد اكفى المرغوبات فان ذلك لا يكون كدولتين اوربيتين منعتا عن القتال الى ان شهرت الحرب رسميًا فاصبحت احداها واقفة قبالة الاخرى كانها غيم كثيف قد انحصرت رعودهُ وبروقهُ. ولما طرد الالمان النمساويين من المانيا وتغلبوا على الفرنسويين كانت الحروب مصادمات متسعة جدًّا وقعت بغتةً بعد ان استمرت المناظرات السياسية زمانًا طويلاً وتراكمت في القلوب ضغائن الحسد والبغض القديم. فان الصلح الذي سبقها كان قد حصر قوة الامة المحاربة واجبرها على السكون وجعلها تجهل كل احوال القتال المقبل فهذا الذي جعل الحرب قريبًا اما الحرب الحالية فتختلف عن تلك بما يوافق السلم لان صفات حرب سلافية طلبًا للحرية معلومة وقد وصفنا الاسباب التي تجعل نيران الثورة دائمة الشبوب في نجاد الهرسك بسالة اقوام محبين لوطنهم يسعفهم الذين يشتركون معهم بالحاسيات حال كونهم وراء الحدود النمساوية. وقد ظهر من بسالة اهالي الجبل الاسود العجيبة ما جاء ببراهين جديدة تثبت ما كان ينسب اليهم من الشجاعة والثبات. وقد تبين ايضًا ان الاصابة باراضيهم باعطائهم بعض منح. وقد عرفنا ايضًا ما آلت اليهِ الحرب في السرب. ولا بد من ان يقدر بالجنود الجديدة الغير المجربة الغير المسلحة بالسلاح الكافي اذا التزمت بان تحارب جنودًا منظمة مسلحة بسلاح ليس عندها مثلهُ. على ان السربيين قد اوقعوا اصدقاءهم في خيبة الامل. والزمان لا يكفي لنقل قوم مكسورين قد وقعوا في ياس من جراء انهم الجزئية الى حال ابطال باسلين بتجديد تنظيمهم وترتيبهم. وقد تقرر عند الروسيين انهم اذا حاربوا يلتزمون بان يعيدوا الشغل من بدايتهِ حال كون الحسد قد داخل قلوب السربيين وجعلهم يكرهونهم. ولا يخطئ من يقول ان الروسيين ربما كانوا يستولون على السربيين لغايات حربية ويصرفون ما فيها في سبيلها ويقعون في ما هو اسوأ عاقبة وهو الزامهم بالانتظام في سلك العسكرية المحاربة بالقرعة المضبوطة. ولا ريب في ان هذه الحال تجعل اهالي الامارة ينظرون بتشوق واسف الى ما فقدوهُ من ملذات الاستقلال وسعادتهِ ولا ريب في ان ذلك يضعف عزمهم من جهة توسيع امارتهم وتخليص ابناء جنسهم السلافيين

وقد ظهر من هذه الامور ان الغيوم التي تُرى احيانًا كانها منقشة بالوان جميلة وتستر عواقب الحروب قد زال اكثرها وان الفريقين يريان العواقب بدون ان تكون مختلطة باوهام كثيرة. ولا ريب في ان العثمانيين يعلمون انهم يقاتلون بدون ان تسمح اوربا لهم بان يجنوا ثمار الانتصار. وروسيا ربما كانت ترغب في ان تستولي على الولايات العثمانية نفسها غير مبالية باوربا المغتاظة منها او ان تنيم ولايات بعضها مرتبط بالبعض الاخر ببعض الرباطات حال كونها ربما كانت تخافها خوفًا شديدًا يمنعها عن ان تخلص لها الوداد. وقد زال رونق المشروع السلافي. وربما كانت قد زالت اوهام كثيرة من الاوهام التي كانت تخامر الجمعيات السلافية المسماة بالجمعيات السرية. ففي هذه الظروف يشتد امل الذين قد القيت على عواتقهم واجبات التسوية النهائية. فزوال تلك الامال الوطيدة المتسعة تجعل الناس يميلون الى مراعاة الممكن ويصغون الى تسوية كانت امالهم الابتدائية تستهزئ بها. وقد راى الباب العالي ان ضدهُ قوي فلا يُغلب وشديد العزم فلا يخدع بالتدبير. فالتنظيمات والاوامر المشابهة للقديمة باتت لا تنفع ولا بد من المنح التي تحكم الدول بانها ترضي الرعايا وتجعل الادارة عادلة في الولايات

الغير المرتضية . و روسيا ربما كانت اشد ميلاً من الاول الى تعديل مطاليبها اكثر من تعديلها عند بداية الحرب . فاذا ضبط كل من الفريقين نفسه وارتضى بالعدل فلا تحول صعوبات دون التسوية . والاحوال الجارية تجعلنا نرجح الفوز بالحصول عليها

مسألة تاريخية

وردت الينا رسالة من دمشق الشام بتاريخ ١٠ الجاري وهذه صورتها بعد الترجمة

لقد تصفحنا المجلد الاول من دائرة المعارف باللذة ومما يزيده قبولاً عندنا ما ادرجتموه من الشروح والفوائد المتعلقة بالاعلام الجغرافية والتاريخية وغيرها الواردة في التوراة وهي مما لا يتوصل اليه بغيره في هذه البلاد غير انه وجد من اعترض على ما ذكرتموه في اسرحدون من ان سردانابال ابنه قد خلفه في الملك وقالوا ان الذي خانه انما هو تغلث فلاسر لا سردانا بال والحال ان تغلث فلاسر كان قبل اسرحدون بزمان مديد فانه ورد في سفر الملوك الثاني ذكر الملوك الاتية على التوالي فانه يذكر هكذا اولاً فول ثم تغلث فلاسر ثم شلمناصر ثم سنحاريب ثم اسرحدون فكيف يمكن ان يكون تغلث فلاسر خليفة اسرحدون كما زعم المعترض فنرجو ان تحققوا على ذلك ولا باس من ادراج جوابكم لنا في الجنة لكي توفروا علينا مشقة الاخذ والرد عن ذلك ونرجوكم ان تنشروا ايضاً اصطلاحكم في القدم والميل واقبلوا تشكراتنا الفؤادية على هذا الكنز الثمين الذي انتم عازمون على اتحاف اللغة العربية به ونسأل الله ان ينجح مساعيكم الداعي

(الامضا) سلمون ليفي

اسلامبولي

فجاوبنا عليها في ١١ الجاري وهذه صورة

الجواب بعد الترجمة

انه بهذا النهار وردت الينا مشرفتكم المورخة في ١٠ الجاري وسرنا جداً ما تضمنته من العبارات اللطيفة عن دائرة المعارف جزاكم الله خيراً وما ذكرتموه من ان سردانابال خلف اسرحدون كما ذكرنا في الدائرة لا تغلث فلاسر هو الصواب لان قول المعترضين الذين ذهبوا الى ان الذي خلف اسرحدون هو تغلث فلاسر لا سردانابال وذلك لان قول المعترضين يضاد نص التوراة وكلام العلما من متاخرين ومتقدمين فان جميع العلما قد اجمع رايهم على ان سردانابال هو الذي خلف اسرحدون الذي تبوأ تخت الملك في اواخر القرن السابع قبل المسيح كما ذكرنا في الدائرة وكلامهم في ذلك صريح ينفي كل شبهة وليس احد من العلماء يذكر ملكاً باسم تغلث فلاسر بعد اسرحدون المذكور ولا ذكروا رجلاً غير هذا باسم اسرحدون وانما ذكروا اكثر من واحد باسم تغلث فلاسر وذلك قبل اسرحدون واخر ما ذكروا هو المذكور في التوراة قبل شلمناصر فيكون بينه وبين اسرحدون عدة ملوك وقد ذكر العلامة رولنسون المشهور في تاريخه للدول القديمة اسماء ملوك الاشوريين وذكر من المتاخرين منهم سبعة مبيناً سني ملكهم وهم الاتون

ملك	من سنة	الى سنة ق م
تغلث فلاسر الثاني	٧٤٥	٧٢٧
شلمناصر الرابع	٧٢٧	٧٢٢
سرغون	٧٢٢	٧٠٥
سنحاريب ابنه	٧٠٥	٦٨١
اسرحدون ابنه	٦٨١	٦٦٨
اشوربانيبال (سردانابال) ابنه	٦٦٨	٦٢٦
اشوراميديلين	٦٢٦	٦٢٥

ومن ذلك يتضح ان بين غلث فلاسر واسرحدون ثلثة ملوك وقد اجمع العلماء مع رولنسون ان سردانابال هو اسم لاشوربانيبال عند اليونانيين واما التوراة فلم تذكر من هولاء الا الذين ذكرناهم في تحريركم ومن اراد الوقوف على التفاصيل فليراجع كتاب رولنسون الذي عنوانه الدول القديمة لرولنسون (مجلد ٢ وجه ٤٩ و٥٢ وغيرها) والانسكلوبيذيا الانكليزية الامركانية القديمة والحديثة المطبوعة سنة ١٨٧٥ و٧٦ في مادة اشور (Assyria) والانسكلوبيذيا الفرنسوية الحديثة المعروفة بانسكلو بيذيا القرن التاسع عشر المطبوعة سنة ١٨٧٢ في المادة نفسها (Assyria) وكتاب العلامة المحقق وليم سمث المعروف بقاموس التوراة في مادة اشور واسرحدون (Esarhaddon) وتاريخ العلامة فيليب سمث العمومي (مجلد ١ وجه ٢٣٤) ولا حاجة الى ذكر غير هولاء وكل الذين اعتمدنا عليهم واستشهدنا بهم هم من العلماء الذين يعول عليهم ويوثق بكلامهم واما الذين لا يعرفون اللغة الانكليزية ولا الفرنسوية فليراجعوا ذلك في سفر الملوك الثاني (ص ١٥ و١٧ و١٨ و١٩) وكتاب مرشد الطالبين للعلامة سمعان كلهون الامركاني المطبوع ثانيةً في مطبعة الامركان في بيروت (وجه ٣٦٦) وفي هذا القدر كفاية والكلام عن ذلك كله مبسوط في دائرة المعارف عند الكلام عن اشور ولا يخفى على جنابكم ان كتب مكتبة الدائرة هي من احدث الكتب ومولفيها هم من اشهر المولفين ولذلك يعول عليها في ما تدرجه من الموادّ والمباحث واما اصطلاحنا على القدم والميل فقد اتبعنا فيه اصطلاح الانكليز الذي لا يخفى على جنابكم وسنوضح اصطلاحنا في ذلك وفي باقي القياسات وفي الموزونات والمكيلات وهلمّ جراً في الدائرة كلاًّ في مكانه . واما امر ادراج الجواب في الجنة فمنتبصر فيه واذا لم نجد مانع ذلك فسندرجه طبقاً لمرغوب جنابكم لان في ادراجه فائدة للناس عموماً ولنا خصوصاً الداعي

(الامضاء) بطرس البستاني

جملة فلكية

(انما لم ننشر الجملة الفلكية في الجزء العشرين من الجنان الا اظهاراً للاراء الفلكية القديمة لانها قد افسدت بالالات والفحص والتدقيق وما يعرفه الانسان في سن العشرين لا يعرفه وهو في سن التسع عشرة سنة ولا سيما اذا داوم التدريس وقد نشرنا هذه الجملة بحروفها لئلا ترسخ الجملة الاولى في عقول الذين لا يعرفون هذا الفن اذا استمرت بدون رد . وكما اننا تمنينا عند نشر تلك ان تكون خالية من تثبيتات كاتبها لها وتصديقه اياها تمنينا ان تكون هذه الجملة خالية من الطعن الشخصي لانه لا يقوي البرهان ولكن دون تمنّاتنا هذا والواقع حرط القتاد)

رد على جملة ناصر افندي الخوري الفلكية المدرجة في الجزء العشرين من جنان سنة ١٨٧٦ بحروفها

(من قلم الخواجا قسطنطين يوسف من اللاذقية)

انني بينما كنت ذات يوم اقلب صفحات الجزء العشرين من جنان سنة ١٨٧٦ واذ قد عثرت على جملة فلكية قد دعاها مولفها امالي فلكية ففرحت في اول الامر ظاناً اني اجد فيها بعض اشياء تفيد المطالعين ويلتذ بها القارئ فاخذت في تلاوتها واذا هي مشحونة بالجمل الركيكة والافكار الطفلية والاعتراضات البليدة التي ربما يضحك عليها اجهل تلامذة المدارس نظراً لما فيها من التعليلات الباطلة

والبراهين الضعيفة المردودة ولا اعلم ما الذي حثهُ على ادراج هذه الجملة التعيسة في صفحات الجنان السعيد . فلله درهُ من فلكيّ عظيم قد خربت امام افكاره السامية الفريدة افكار نيوطون وهرشل ولابلاس وما بدلر القاصرة الضعيفة . و بالحقيقة ان لسان براعتي يعجز عن تقريظ هكذا جملة مفيدة لم يقدر ان ياتي بمثلها فطاحل الفلاسفة اذ هي وحدها قد اكسبت القرن التاسع عشر فخرًا وشرفًا ابديين حيث انها بالحقيقة خريدة فريدة قد سطعت في جبين هذا العصر الذي قبل ظهورها كان مفتقرًا غاية الافتقار الى مثلها واذعانًا لامر منشيها اللبيب الفلكي البعيد الصيت قد ازمعت ان انرجها الى اللغة الفرنساوية ولو كلف حضرة العالم بطرس افندي البستاني لحمل هذه الثقلة لكي ارسلها الى جهات اوربا وانا متاكد انهُ من حين بزوغ شعاع شمسها في اقطار اوربا المظلمة يخرج الامر القاطع من كل منها لكها بمحض اراء كل فلكييها الجهلة الذين لا يعرفون شيئًا والذين في كل مدة حياتهم لم يرصدوا النجوم مثل جنابهِ على رابية ظريفة فلكية لما كان في تلك الليلة الفلكية قد اخذتهُ الافكار الفلكية فنتج عنها ذلك الارق الفلكي وكانت عيناهُ الفلكيتان اللتان تغنيان جنابهُ عن الاستعانة بزجاجة التليسكوب ترصدان مسير النجوم والافلاك وتخترقان طبقات الفضا الواسعة فتكشفانهِ على اسرارها الغامضة بنوع عجيب لا يعرفهُ احد من الناس سواهُ لكن اخاف ان تعدمهُ اوربا وطنهُ العزيز لانهُ لا شك في انها ستحضرهُ اليها لكي يصلح مراصدها وينزع منها النظارات المكبرة التي لا نفع لها حيث جنابهُ قال ان مسافة الهوا الشفافة هي تليسكوب ويتراس على جميع علما الفلك فيها ويبرز حينئذٍ اراءهُ الجديدة ويحرق كتبهم التي ليس فيها سوى خرافات وتصبح حينئذٍ اوربا في ايام معلمها الجديد باش اوربا وانا من هنا قد احرقت كتبي الفلكية سلفًا وانا اوكد لكم ايها الاصحاب انهُ ما اطمع صاحبنا في ابراز هذه الافكار الجديدة وادراجها في الجنان الا المثل القائل ان كل جديد لهُ لذة اذ افتكر ان الناس يلتذون بكل جديد ولم يعلم ان بعض الجديد لا يتنازل الناس الى ان يتغلوا عليهِ وانما قلت هذه الافكار جديدة لانها انتسخت في القرون الاخيرة وانتست حتى اصبحت كانها لم توجد قطعًا فاذا ظهرت اليوم من عالم خبير نظيرهُ تكون جديدة نعم انهُ خبير وحاذق ايضًا ومن يتجرا على انكار ذلك اذ هو شهد لذاتهِ بانهُ كان بين اقرانهِ الاول وقال انهُ لا يستحي من قولهِ ذلك وهذا اكيد لانهُ لو كان يخجل لما اخرج من كنز عقلهِ هذه الافكار الجليلة وادرج هذا الكلام الذي لا طائل تحتهُ ولا تطيق اذان العلما والادبا سماعهُ فخير منهُ لو لم يتفوه بكلمة منها . واذا قال لي هل فقدت الحرية من العالم كل انسان لهُ الحرية ان يكتب ويشهر ما يريد فاجيبهُ حينئذٍ بان الحرية لم تفقد من العالم لكن الجهل كاد ان يضمحل ويزول وعارٌ على رجل مدعي بالعلم ان ينشر هكذا افكار ذميمة قد اقصاها عصر التمدن .

قال انهُ تمسك بمذهب الفلكيين القدما وآل امرهُ بسبب الرغبة الى ان يكون فلكيًا قديمًا موجودًا في هذا العصر وقد طالع كتبًا كثيرة من تاليف القدما فمن ذلك قد اتضح لي ان النحلة الصغيرة هي اعظم حكمةً منهُ لان النحلة تختبر اصنافًا كثيرة من الزهور ولا تمص الا من الحلو منها اما حضرتهُ فمن كل مولفات القدما التي طالعها لم يقبل الا الاراء الفاسدة لانهُ قبل اراء البعض منهم نظير ابراتوستانيس و بتولاماوس وانا كساغوراس ورفض راي الفيلسوف الشهير فيثاغوراس الذي لتوغلهِ في العلوم الطبيعية

والفلكية اكثر من غيره استنار عقله بنور الحقيقة وعرف ان الشمس ثابتة في مركز عالمنا وان الارض هي التي تدور حولها وكان هو يعتقد هذا الاعتقاد مع كل تباعهِ وتلامذتهِ الذين يدعون بيثاغوريين ولا احد يقدر ان ينكر تقدم فيثاغوراس على سواهُ من باقي الفلاسفة لانهُ هو وحدهُ عرف في ذلك الوقت حقيقة وجود النور وقال ان النور حاصل من التهاب ذرات الاثير الدقيقة في الفضا مع ان هذا الشيء الاكيد لم يطرا على بال احد من الفلاسفة المعاصرين له لولا الذين كانوا قبلهُ ففضلهُ مشهور وراثهُ واضح مثل النور. كذلك اريستارخوس الفيلسوف كان يعتقد هذا الاعتقاد عينهُ وقد قال عنهُ بلوتارخوس المؤلف اليوناني الشهير ان اريستارخوس يعتقد ان الشمس ثابتة مثل باقي الثوابت وان الارض تدور حولها في دائرة محدودة (كتاب ٢ فصل ٢٤) كيف قال انهُ طالع الكتب القديمة وعرف اراء الفلاسفة القدما مع انهُ يجهل اشهرها معتقدًا ان الارض هي مركز العالم وانها ثابتة وعظيمة بهذا المقدار وانهُ لا توجد عوالم غيرها الم يعلم ان ارسطوطاليس قال في الباب الثاني في الفصل الرابع عشر من كتابهِ الفلكي ان الارض ليست فقط كروية الشكل بل ليست ايضًا عظيمة بالنسبة الى عظم الكواكب الم يعلم ان الفلاسفة اناكسيمينس وكسينوفانيس ولفكيبوس وديموكريتوس وابيكوروس قالوا انها توجد عوالم كثيرة في الكون وهي التي نراها مشعشعة فوق روسنا ليلاً الم يطالع ما قالهُ ميترودوروس الفيلسوف وهو ان من يعتقد بوجود عالم واحد في الكون كمن يعتقد بوجود سنبلة واحدة في ارض زرعت قمحًا. قال انهُ يعرف اللغة اليونانية فهلا طالع في كتبها ما ذكرتهُ له هنا قد ذكرنا انهُ قال عن نفسهِ انهُ يعرف مذاهب القدما الفلكية وانهُ فلكي قديم مشرف هذا العصر فليفدنا ماذا قال فيثاغوراس عن مركز العالم الاصلي فاذا افادنا في الجنان فنصدق حينئذ انهُ يعرف مذاهب القدما الفلكية وان لم يفدنا فيكون عويلمًا مدعيًا ادعاء عارًا وجاهلاً عاريًا من المعارف القديمة والحديثة والذي جعلني اشك في معرفتهِ لمذاهب القدما قولهُ ان اراء كل العلما القدما موسسة على مذهبهِ حال كون كثيرين منهم ذهبوا المذهب الصحيح وبما ان العلما القدما الذين اطلع جنابهُ على مولفاتهم لم يكونوا يعرفون نظام الكون الحقيقي قد اضطررت ان اشرح هنا شرحًا مختصرًا عن هذا النظام نفسهِ لكي اذا ما تمعن جيدًا بعقلهِ الفريد يعرف هل هو على هُدًى ام في ضلال مبين

ان الكون العظيم هو مجموع الاجرام العديدة المنثورة في وسط الفضاء الواسع الذي لا حد لهُ ولا نهاية له. وهذه الاجرام بعضها بقدر الارض وبعضها اعظم منه بمرات كثيرة ولا يجعلنا نراها في هذا الحجم الصغير الا كونها تبعد عنا بعدًا لا يقدر ان يحدهُ العقل البشري وكلها متسلسلة بقوة التجاذب التي هي ناموسها الطبيعي الحافظ نظامها. وكل ما نراهُ من الكواكب الثابتة وما لا نراهُ يعتبر شموسًا ومراكز لثانويات اي سيارات عديدة تدور حولها وتقتبس منها حركةً ونورًا وحرارةً ولكي يفهم كلٌّ عظم هذه الاجرام اقول اننا اذا طيرنا احدى المركبات الهوائية المعروفة بالبالون ولو كانت بقدر اعظم القاعات نراها مثل البيضة اذا بعدت عنا عشرين ميلاً فقط حال كونها اكبر من البيضة بالوف الوف مرات واذا فرضنا اننا طيرنا بالونًا بقدر مدينة عكا وبعد عنا نحو مئة ميل لا نعود نراه بالكلية مع انهُ عظيم بهذا المقدار كذلك اذا طيرنا بالونًا اعظم من هذا بمئة مرة او اكثر وبعد عنا نحو الف ميل فباطلاً يطلب

نظرنا ان نجده في الجو حال كونه اكبر من الجبل الكبير وعلى هذا القياس اقول اذا فرضنا انه طار با لون في الهواء اعظم من ذالك بمليوني مرة اي بقدر الارض وبعد عنا نحو ثلاثين الف الف من الاميال لكنا نستعين بالتيلسكوب لكي نشاهد جرمة في الفضا فكيف يكون عظم جرم يبعد عنا نحو ستة وثلاثين الف الف ميل ونراهُ بقدر الطبق الصغير وبواسطة سير النور وقياسات هندسية فلكية قد عُرف ان الشمس تبعد عنا نحو ستة وثلثين مليونًا من الاميال ولا يسعني الوقت ان اذكر الان عن كيفية ذلك تفصيلاً . فاذ نظرنا الى الشمس التي تعد من جملة الكواكب الثابتة نرى انها تنير نجومًا سيارة عديدة تدور حولها مثل الارض و بعض هذه السيارات مثل بوسيدون او نبتون يبعد عن الشمس نحو الف ومائة وخمسين مليونًا من الاميال . ومع ذلك ياخذ منها نورًا وحرارةً وقوة ولا شك في ان باقي السيارات كلها تدور حول مركزها الشمس التي هي اصل حياتها كما ان كل خبير في هذا الفن يعرف ذلك فكم يكون كبر هذا الجرم العظيم الذي يضيء على مئات من الكواكب التي تبعد عنه الوف ملايين من الاميال ولربما ان الشمس تنير وتحيي الارض وكواكب اخر كثيرة غيرها بعيدة جدًا وكل هذه الكواكب تدور حولها فمن الواجب أن تكون اعظم من الارض بالوف مرات واكبر من كل باقي الكواكب السيارة حيث ان فعلها عظيم بهذا المقدار وحسب الناموس الطبيعي الاصغر يدور حول الاكبر ويقتبس منه كل ما يفتقر اليه . واقتباس السيارات نورها من الشمس نظير القمر شيء اكيد واضح حيث انه شوهد لبعضها خسوفات ونحن نرى ايضًا ان الارض تاخذ نورًا وحرارة وانتعاشًا من الشمس فمن هنا ينتج ان الارض هي مثل باقي السيارات فكيف اذًا تلك السيارات العديدة المضيئة بواسطة الشمس تدور حولها والارض لا تدور هذا الدوران (خذوا الجواب من صاحبنا)

ثم اذا نظرنا الى السيارات نرى نورها ضعيفًا غير مشعشع ولا براقًا نظير الثوابت المستديم اللمعان فمن هنا يتضح ان نورها عرضي اي طارئ عليها من جرم عظيم قوي النور والحرارة وان الثوابت نورها اصلي مثل الشمس ولا بد من وجود عوالم سيارة حول كل منها ولا يجعلها صغيرة في اعيننا بهذا المقدار سوى بعدها الاقصى والذي يؤكد لنا هذا البعد الاقصى هو انه اذا نظرنا بالتيلسكوب الى السيارات نرى جرمها اكبر مما كانت بمرات لكن اذا نظرنا الى الثوابت ولو باعظم نظارات العالم نظير نظارة مستر روس التي يبلغ وزنها اكثر من خمسة عشر الف كيلوغرام وتكبر الاشياء اكثر مما تبان بستة الاف مرة نراها في حجمها كما كانت فعلى اي شيء يدل عدم تغيرها خلافًا للسيارات سوى على بعد عظيم لا تحصيه الارقام وهذا البعد دليل على عظم جرمها الذي ليست الارض بالنسبة اليه سوى ذرة من الرمل لا بل اصغر . وفي عددها العظيم غير المحدود بينات جلية على اتساع الخليقة وعظم قدرة الله الخالقة العجيبة . ولعمري قد اضحكني جدًا قوله (فليس عجيبًا ان قدرة الله جعلت هذه المسافة الشفافة اشبه ما يكون بنظارة مكبرة ترينا النجوم من مسافة هذا البعد) فلو كانت تشبه بالنظارة المكبرة لما كانت الاشيا تصغر اذا بعدت عنا مع ان الواقع بخلاف الامر كذلك لو كانت مثل النظارة وترينا النجوم من مسافة هذا البعد لكانت ترينا كل نجوم الفضا مع اننا لا نرى منها سوى عدد لا يستحق ان يذكر واذا تطلعنا بالتيلسكوب الى السما نعرف حقيقة ذلك . فمن كلامه هذا خذ لك دليلاً على ذكا عقله واتساع دائرة افكاره . والذي اضحكني

اكثر قولة ان يلاحظ اهل العلوم الفلكية في اوربا رصد المجرة مع نجمة القطب الشمالية مع بنات نعش الخ. فاي بليد في العالم يقدر ان يحمل ثقل هذا الكلام. جنابة الان يحث علما اوربا الفلكيين على رصد الكواكب الا يعلم هذا المسكين انه يوجد في قارة اوربا الوف من المراصد والوف من النظارات الكبيرة التي لا يتركها علما الفلك راصدين بها في كل وقت سير النجوم في الفضا. اولئك هم علما حقيقيون لا يستحق هو ان يجل سيور احذيتهم لانهم يرصدون الافلاك دائمًا يعرفون حقيقة سير الكواكب ويحددونه ويكتشفون على الدوام اشيا جديدة هم يعرفون بالتدقيق سير الكواكب الكثيرة الموجودة في الفضا والسيارات العديدة اماهو فلم يقدر ان يفهم سير الكوكب الصغير الذي هو على سطحه. وعلما اوربا من زمان مديد يرصدون الافلاك بمساعدة عين التيلسكوب الجبارية والقياسات الهندسية الاكيدة ويبحثون في ذلك بحثًا مدققًا باجتهاد لا مزيد عليه ففي كل هذه المدة المستطيلة لم يقدروا ان يفهموا ما فهمه صاحبنا في تلك الليلة على تلك الرابية اذ كانت افكارهُ اسطرونومية (لو كان للاسطرونوميا[1] لسان لكانت تصرخ بصوت عالٍ جدًّا انصفوني من هذا المخلوق المغبون الذي غير نواميسي واهان نظامي) سقيًا له من فيلسوف شهير يستحق ان يوجد تمثال له في كل مجامع العلما

وقد تحقق لنا اولاً اتساع الكون العظيم الذي لا يقدر ان تدركه الاوهام لكني سابرهن هنا عن عظم هذا الاتساع بهذه الجملة التالية فاقول. اين هي حدود هذا الفضا الواسع الغير المتناهي الذي ندعوه سماء. اين هو قرار هذه اللجة غير المحدودة التي نسميها خاوية انه توجد حقائق تخضع امامها اعظم العقول البشرية ولا تقدر ان توجه نحوها الافكار الا بجزع ورعب وهذه الحقائق هي عدم احصاء العوالم وعدم تحديد الكون وابدية الدوام فحقًا انها مذهلة ولا يمكن حدها بما اننا لا نقدر ان نستعمل فيها تحديدًا حقيقيًا لكنها عرضت على العقل البشري وهي تسود عليهِ. باطلاً نبذل كل جهدٍ في ايضاحها باطلاً نستعمل كل قياس لكي نضع حدًّا للاوقيانوس السوي وقرارًا للجج الاثير. لكن ولو ان حظنا يكون كحظ من يجتهد في املاء وعاء لا اسفل له لكننا مع ذلك نتجاسر في برهة ما ان نكشف ستر الكون الحاجب ونجتهد ان نتوغل بقدر الامكان في اعماق الطبيعة. فاقول وبالله التوفيق

ان سرعة سير الكرة الملتهبة المقذوفة من فم المدفع هي عظيمة في حد ذاتها لانها تعدل اربعمائة ذراع (متر) في كل ثانية لكن هذه السرعة بطيئة جدًّا وغير موافقة لاجل قطع مسافة الاثير الذي نحن مزمعون ان نسير فيهِ بالافتراض لانها في مدة ساعة لا تسير سوى مسافة ثلثمئة وستين غلوة (الغلوة اربعة الاف ذراع) فهذه المسافة نظرًا لصغرها لا تصلح ان تكون مقياسًا لمفازة الفضا الواسعة. لكن يوجد في الطبيعة سرعة اعظم من تلك مما لا يقاس وهي سرعة النور التي تسير في كل ثانية سبعين الف فرسخ. فلنقف على اجنحة شعاع من اشعة النور بالافتراض ولنطر في الفضا قاصدين السياحة فيهِ بالوهم. وبعد ثانيتين فقط نكون قطعنا مسافة مئة واربعين الف فرسخ وبعد دقيقة واحدة مسافة اربعة ملايين ومئتي الف فرسخ. تامل هذه المسافة الطويلة التي عبرناها في هذه المدة القصيرة. لكن لنداوم على سيرنا مدة

(١) الاسطرونوميا معناها علم الفلك والهيئة وهي كلمة يونانية مركبة من اسطرون نجم ونوموس ناموس فيكون معناها الاصلي ناموس النجوم او نظامها.

يرم مدة جمعة مدة شهر مدة سنة وحينئذ نرى ان المسافة التي قطعناها تخيف الانسان لكبرها المفرط واذا تطلعنا حينئذ الى الارض يكون حظنا كحظ من يطلب ان يشاهد حبة رمل راسبة في اعمق لجج الاوقيانوس . لكن لا نتوقف عن سيرنا بل فلناخذ في السير ايضاً جايزين طبقات الفضا على جوادنا السريع بين تلك العوالم الكونية العديدة الغريبة ولا نقف الا بعد مرور جيل تام ۰ اين نحن . قد قطعنا كل الاجرام التي تنظر من الارض ووصلنا الى ابعد العوالم التي بصعوبة كلية تشاهدها من سطح ارضنا السيارة عين التلسكوب العظيمة . فها نحن من الفضا في مهامه غريبة وعوالم لم تخطر لنا ببال وهناك ننظر امامنا ايضاً عوالم اخر بعيدة عنا بهذا المقدار حتى انا او قصدنا السير اليها لكنا نفضل الرجوع الى الارض عن قطع تلك المسافة العظيمة التي لو ضربت ملايين الملايين بملايين الملايين لما قدرت ان توضح جزءاً صغيراً منها مع ذلك فلنتقدم في مسيرنا ايضاً ولنذهب الى الابد يميناً وشمالاً وفوق وتحت قاصدين الوصول الى النهاية لكنا لا نرى امامنا سوى الفضا الواسع الممتد الذي لا حد له ولا انتهاء مملوءاً اجراماً ومحيطاً بنا من كل الجهات . فلا قبة زجاجية ولا ماء متجلداً ولا شيئاً اخر يحصر او يحد امتداد الفضا الكوني . وكل تلك المسافة التي قطعناها لا تعادل قدماً واحداً بالنسبة الى بطن الفضا غير المتناهي فمن هنا قد اتضح لنا ان الكلام في جهات المسافة هو نسبي اي بالنسبة الى شيء مثلاً اذا قلنا الصعود الى السماء والنزول تحت الارض فهذا الكلام باعتبار الحقيقة كاذب لانه بما اننا موجودون في وسط الفضا الذي لا نهاية له ولا حد لا نقدر ان نصعد ولا ان ننزل ولا يوجد فوق ولا تحت وانما اذا قلنا ذلك فيكون بالنسبة الى سطح الكوكب السيار الذي نحن ساكنون فيه وليس بالنسبة الى جميع الكون فلا نقدر نحن ما دمنا لا نعرف اين هي حدود الكون ان نقول اننا من الكون في الجهة الثلاثية كما قال صاحبنا العزيز بيض الله وجهه (ان قارة ارضنا موضوعها من الاكوان بالجهة الجنوبية من الفلك) فقد جعل بهذه الجملة المسافة التي من الارض الى الشمال اعظم من التي هي من الارض الى الجنوب مع ان هذا الامر لا يعرفه الا الذي خلق اجرام الشمال والجنوب وحدد بطن الفضا الذي لا حد له وعرف له شمالاً وجنوباً . واعطى برهاناً على ذلك بقوله ننظر الجنوب ويغيب عنا الشمال مع ان الامر بالعكس اي اننا ننظر نجوم الشمال نظراً لقربنا من القطبة الشمالية ولا نقدر ان نرى نجوم الجنوب لكوننا بعيدين من القطبة الجنوبية فتمنعنا كروية الارض عن مشاهدتها وبعكس ذلك الذين هم قريبون من القطبة الجنوبية فانهم يرون نجومها ولا يمكنهم مشاهدة نجوم الشمالي . فمن هنا ايضاً خذ لك دليلاً على توغل صاحبنا في علم الهيئة . اما هو الذي اراد ان الوف وملايين تلك الاجرام العظيمة التي لا عدد لها تقطع في مدة اربع وعشرين ساعة تلك المسافة التي لو ملأت سطح الارض ارقاماً حسابية لما قامت بحقها ولم يرد ان تدور الارض الصغيرة التي تقطعها سكة الحديد في اقل من شهر في تلك المدة نفسها دورة واحدة على محورها خوفاً على حياته وخوفاً على ذاته اللطيفة من ان تقع عن سطحها . وقد قال عن نظم النجوم انه لو كان ذلك صحيحاً لكان من الواجب الا ننظر في سيرنا اليومي الارضي سوى النجم الذي تكون تحته وقال ايضاً في هذا المعنى لو كان ذلك صحيحاً كما يزعمون لكنا نظرنا في الفلك جميعه نجماً واحداً او قطعة نور لا تتجزا ولا كان ظهر حد بين نجم واخر . فمن فهم اتساع الفضا

الذي لا تدركه الاوهام يعرف غي صاحبنا وضلالة في هذه الجهلة وعلى اتساع الفضا يكفي دليلاً ما قد سبق شرحه . ونحن بما اننا على سطح الارض وهي ممتدة امامنا على مسافة بعيدة يخدعنا نظرنا ويرينا ان الارض هي سفل السما جميعها وانها بقدر السماء وبقدر كل تلك الاجرام التي تظهر جميعها انها فوقها فمن الواجب اذا ثابت الارض ودارت على محورها من الغرب الى الشرق ان نرى كل تلك الاجرام التي يرينا نظرنا انها كلها فوق جسم الارض تسير بعكس ذلك اي من الشرق الى الغرب ولا يجب كما قال صاحبنا ان نبقى تحت جرم واحد وهذا الجواب واضح البيان والحقيقة لدى عقول الاولاد . وسير الارض اليومي دون اجرام الفلك يوكده هذا البرهان الواضح وهو ان المسافرين في البحر من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال يرون نجوم الجهة التي هم سائرون نحوها تعلو فوق الافق وتتقدم نحو سمت الراس وينظرون نجوماً اخر لم يكونوا يقدرون ان يروها قبلاً خلافاً لنجوم الجهة التي وراءهم فانها تهبط نحو الافق لكي تختفي فيه . فاذا كان يصعب على عقله تصديق ذلك فليسال عنه اهل الخبرة نظير قواد السفن البحارية ومن بعد السوال عن ذلك واخذ الجواب الايجابي اسالوا صاحبنا هل النجوم سارت ام السفينة التي في البحر . فمن هذا البرهان قد اتضح لدى العموم انهُ بواسطة دوران الارض على محورها تظهر النجوم العظيمة والعديدة انها تسير تلك المسافة الخيفة . ولعمري هذا برهان مفحم يسد فاه ولا يدعه ينطق بكلمة . وايضاً اريد ان اساله اتوجد قوة الجاذبية بين الاجرام ام لا . لاشك في انهُ سيجيبني بالايجاب لانهُ كيف تتعلق الاجرام في الفضا لولا قوة الجاذبية . فلو كانت الارض ثابتة اما كانت تجذبها الشمس العظيمة او غيرها من الاجرام بقوة الجذب السموية اني في وحدها حافظة نظام عالم الاكوان . ماذا يمنعها عن ذلك سوى قوة الدوران الدافعة . ثم اساله هل يعتقد بكروية الارض نظير سواها من الاجرام ام لا فيقول انهُ يعتقد بذلك (لانهُ لا يقدر ان ينكرهُ ولو كان عنده برهان ضعيف يساعدهُ على انكاره لانكرهُ لاسحا له حيث كثيرون من اصحابه القدماء قالوا ان الارض مسطحة) فهل ممكن الا يدور جسم كروي داخل في قوة الجذب (مثلاً اذا ربطنا كرة صغيرة بخيط وجذبناها نحونا ماذا يتولد حينئذٍ منها الا تظهر منا حركتان وهما تقدمها نحونا ودورانها على ذاتها) ومن هذا المثل يفهم ابسط الناس دوران الارض على محورها وحول الشمس . ثم اساله ما الذي جعل كرة الارض مسطحة من ناحيتي قطبيتها ومنتفخة اي مرتفعة عند خط الاستوا (اريد ان اساله قبلاً هل يعرف ذلك) سوى دورانها على محورها . وعلى ذلك اتقدم له هذا المثل البسيط وهو اذا خرقنا كرة من عجين من طرف الى اخر بعود ودورناها على ذلك العود الذي هو محورها لارتفع وسطها وتسطحت قطبتاها . واذا قال لي هل الارض هي لينة مثل العجين فاقول له انهُ موكد عند علماء الجيولوجيا والفيسيولوجيا ان الارض كانت كلها لينة وسائلة والى الان لا يوجد فيها صلب سوى القشر الخارجي فهي تحكي بطيخة حمراء صلبة القشر لينة الجوف ويشهد على ذلك المواد السيالة المتدفقة من افواه البراكين والحرارة التي كلما تعمقنا في جوف الارض نراها تقوى وتزداد . وقد عرف بواسطة النظارات المكبرة التي اكسبت هذا العالم فائدة كبرى ان السيارات مسطحة القطبين مثل الارض بسبب دورانها على محورها . هذا التسطيح قليل في السيارات البطيئة الدوران وكثير في السيارات السريعة

الدوران وهذا برهان قوي ايضاً على ان تسطيح قطبي الارض ناتج عن دورانها . والشمس العظيمة ذاتها تدور على محورها في كل خمسة وعشرين يوماً دورة واحدة وقد عرف ذلك من الاكلاف التي فيها فان الفلكيين راوا كلفاً في وسط الشمس وبعد بضعة ايام راوا هذا الكلف نفسهُ في طرفها وبعد بضعة ايام ايضاً لم يروهُ اذ صار في الجهة الغير المنظورة لكن بعد ايام قليلة ظهر في الطرف الاخر ولم يزل يتقدم الى ان صار في مكانهِ الاول فعلى اي شيء يدل انتقال الكلف هذا الا على دوران الشمس حول ذاتها . فالشمس المائلة تدور والسيارات العديدة تدور والارض لا تدور اذ صاحبنا لا يريد ذلك لخوفهِ منهُ

وقد قال ايضاً ان نجمة القطب هي نصف السما من جهة العلو الاعلى (هيهات) وان كل النجوم مربوطة بها القريب بحسب قربهِ والبعيد بحسب بعدهِ . ثم قال ايضاً ان نجمة القطب الشمالية هي محور كل النجوم ومركزها الاصلي والبرهان على ذلك الذي لا يقبل ردّاً هو ان كل النجوم التي بالقرب من نجمة القطب الشمالية لا تغيب عنا ابداً . هذا هو برهانهُ الذي لا يقبل ردّاً . هذا هو نورهُ الذي سار فيهِ . فاذا كان نورهُ ظلاماً فظلامهُ كم يكون . كيف تجاسر هذا الغبيون ان يقول ان برهانهُ ليس عليهِ ردٌّ مع انهُ اوهن من بيت العنكبوت . الا يعلم ان اصغر تلامذة المدارس الذين يدرسون هذا الفن قادر ان يريهُ ضلالهُ جليّاً ويدوس على براهينهِ الحقيرة ويطاطي انفهُ الشامخ المتعجرف . وراى نجمة القطب لا تدور فظن انها مركز السما ومحور النجوم لكونهِ غير قادر على فهم سبب عدم دورانها . فلنوضح اذاً سبب ذلك لهُ ولجميع الذين هم مثلهُ : ان الارض بما ان شكلها كروي وتدور حول محورها بسرعة متساوية الزمان فينتج عن هذا الدوران اختلاف

في سرعة الحركة الدورانية بحسب اختلاف جهات سطحها وسبب ذلك كون الارض مرتفعة في وسطها اي عند خط الاستواء ويصغر جرمها بالتدريج من خط الاستواء فنازلاً اي الى القطبين . فاذاً الحركة تظهر قوية عند خط الاستواء نظراً لكبر خطوط العرض وتقل بالتدريج من خط الاستواء فنازلاً اي نحو القطبين حتى انها عند القطبين تبان قليلة جداً نظراً لصغر خطوط العرض ومن اجل ذلك كانت كل النجوم الموجودة فوق خطوط القطبين بطيئة الحركة جداً والتي في مركز القطب لا تظهر لها حركة حيث مركز القطب لا يتحرك خلافاً للنجوم التي بقرب خط الاستوا فانها تبان سائرة سيراً سريعاً نظراً لكبر خطوط العرض والدليل على ذلك هو كون الشمس في القطب لا تشرق ولا تغرب بل تبقى دائرة حول الافق مدة ستة اشهر بحركة بطيئة فصاحبنا بمالهُ لم يقدر ان يفهم هذا الشيء الاكيد ربط جميع الكون الكبير الهائل وكل الاجرام العظيمة التي لا حد ولا عدد لها بنجم واحد بسيط نظير باقي النجوم . ولكي اوضح لدى الملا فساد رايهِ اقول ان هذا النجم صديقهُ الذي ربط بذنبهِ جميع الكون وجعلهُ مركزاً ومحوراً لجميع النجوم لم يكن في البدء مركز القطبية الشمالية في الايام التي كان اليونان القدما يدعونهُ كينوس اورا اي ذنب الكلب وفي وقت بنا اهرام مصر حتى وبعد ذلك ايضاً بحينما باشر ابرخسوس اليوناني بتاليف كتابهِ الفلكي كما يعلم ذلك من نص هذا العالم لم يكن هذا النجم في محلهِ الحالي لكن كان في موضعهِ هذا احد نجوم ذنب الدراكون اي التنين الموجود الان بقرب راس الدب الاصغر واليوم ايضاً لا يعتبر الفلكيون الناجحون هذا النجم ذاتهُ مركزاً للقطبية الشمالية بل النجم الصغير الذي عن يسارهِ والظاهر انهُ انحرف قليلاً عن مركز القطب

اذ صارت تظهر فيه حركة قليلة جدًّا . و بناء على ذلك قد قال علماء هذا العصر المشهورون الذين لا يزالون يرصدون الفلك ليلاً ونهارًا باجتهاد زائد وبحث مدقق والذين لا يلزم لنباهتهم حث من صاحبنا المغفل ان نجم القطب الذي نعرفه الان بعد نحو ثلثة الاف سنة او اقل ينتقل من هذا المركز و يبعد عنه و يكون نجم آخر عوضه مركزًا للقطب الشمالي كما هو صار عرض نجم اخر كان قبله في ذلك المركز. فكيف اذًا ربط صاحبنا جميع اجرام الكون بهذا النجم المنتقل الذي بعد سنين سيدور مثل باقي نجوم القطب (الان اظن انه زعل وتكدر خاطره اذ راى ذاته ضالاً و براهينه مفسودة ورايه مقلوبًا) وساتكلم عن هذا الانتقال وعن سير الثوابت الاصلي وعن المجرة في جملة خصوصية اذ ذاك يلزمه شرح طويل . واذا اراد برهانًا اخر ايضًا عدا البراهين المذكورة على دوران الارض فاقول له انه يمكنه ان يتحقق ذلك من سير القمر . فاذا راه الان مثلاً في وسط السما يراه قد تقدم نحو الغرب لكي يغيب مثل باقي الكواكب لكن في اليوم الثاني اذا نظر اليه في الوقت ذاته يراه قد تقدم نحو الشرق مسافة اربعين دقيقة من سيره وهذه المسافة هي اكثر من احد عشر الف ميل فحينئذٍ واجب ان يعلم ان هذه المسافة فقط هي التي قطعها القمر في مدة الاربع وعشرين ساعة وان تقدمه نحو المغرب في تلك الليلة وغيابه ليسا ناتجين الا عن دوران الارض اليومي حول محورها فلو كان القمر هو الذي يسير كل هذه المسافة في يوم واحد لكنا نراه كل يوم عند الوقت المعين في محله الذي كان فيه واذا سالني هل يدور القمر حول الارض فاجيبه حينئذٍ نعم هذا هو وحده الذي يدور حول الارض بما انه اصغر منها بخمسين مرة ولو كان لا يدور حولها لكانت تجذبه اليها بقوة الجاذبية العامة الكون باسره.

وقال مبرهنًا على ثبات الارض (ان الطيور اذا ارادت ان تطير مع دوران الارض فلا تقدر ان تقطع ولا طول شبر واحد اذا داومت الطيران جملة سنين كذلك اذا اردت ان تطير عكس سير الارض فلا يلزم لها ان تطير بل ان تقف في الجوّ برهة والارض تسير من تحتها وايضًا اذا رمينا سهمًا على خط عمودي بالعلا لكان لا يقع في محله الخ من الكلام الذي دونه قبوله خرط القتاد . فعلى هذا الاعتراض اجيبه بان الكرة الجوية اي الهواء تدور مع الارض فاذا علا السهم تسير الارض ويسير هو معها في الهواء فلا يتغير مكانه . وهذا الهواء يدور كله مع الارض من اعلاه اي الطبقة الى اسفله اي اكثفه فاذا طار البالون ولو اتصل الى العنصر اللطيف يدور مع الارض ما دام ضمن الهواء . ثم اقول ان المسافر الى جهة الغرب اذا كان في سكة الحديد وسار سيرًا سريعًا جدًّا طول النهار يطول معه النهار بعض دقائق كما ان الذي يقاوم الارض في سرعة السير يكون في نهار دائم اذا سار نهارًا وفي ليل دائم اذا سار ليلاً . وربما يثقل على طبعه هذا الكلام في الاول بما انه غير متعود على سماع هكذا اشيا لكنه متعود على بساطة بعض اصحابه القدما . يا صاح اذا رايت الكواكب تسير والارض ثابتة فاعلم حينئذٍ ان نظرك قد خدعك لانه ربما خدعك نظرك باشياء قريبة منك جدًّا . مثلاً اذا خرجت من المينا في احد القوارب ومررت بين بعض المراكب ترى تلك المراكب سائرة وقاربك ثابتًا مع ان الامر بالعكس . واذا قلت كيف كل فلاسفة القدماء لم يفتكروا في دوران الارض كما احتججت بذلك في جملتك المطبوعة فاقول لك انت رجل قليل المطالعة لا تعرف كل اراء الفلاسفة القدماء حيث كثيرون منهم قد افتكروا في ذلك وذكروه في مولفاتهم كما

اوضحت لك ذلك في الابتداء وبينت لك جلاءه . ومع ذلك فلاسفة هذا العصر قد فاقوا اولئك بكثير نظرًا للتجاريب وتقدم الزمان . اذ من من القدماء عمل سفينة تسير بقوة البخار مضادة للارياح . ومن منهم جعل القوة الكهربائية تسير على سلك معدني لكي يرسل معها اخباره . ومن منهم عمل نظارة مكبرة عظيمة مثل النظارات التي توجد الان لكي تساعده على اكتشاف الكواكب البعيدة التي لا تقدر أن تشاهدها باصرتنا الطبيعية . ومن منهم افتكر بقوة الاوديكوس العجيبة التي عرفها بعض علماء هذا العصر المدققين البحث في الطبيعة . والتي يجتهد في اكتشافها الان البارون كارلوس رايخنباش . واذا احتججت احتجاجًا ضعيفًا بقولك انه ربما كان ذلك معروفًا عندهم في مكتبة الاسكندرية التي احترقت فاجيبك بانه لو كانت هذه الاختراعات معروفة عندهم لكانوا استعملوها في ايامهم وبقيت الى الان وثم لم نر شيئًا منها بين الاثار القديمة التي اكتشفها الناس داخل الارض وفوقها . ثم اقول لك ان اكثر اصحابك القدما الفلكيين كانوا منجمين وليس فلكيين لانهم كانوا يعتقدون بعلم التنجيم الذي ليس سوى خرافات واراجيف يضحك عليها اصغر متمدني هذا الزمان وكانوا يظنون ان حوادث الارض المستقبلة مكتوبة في الفلك والنجوم التي هي عوالم نظير عالمنا . اي فرق عظيم يوجد بين اهل هذا العصر الذين قد انارهم نور التمدن والعلوم واهل الاعصر القديمة الذين كانوا يموتون رعبًا اذا راوا الشمس مكسوفة او القمر مخسوفًا وخصوصًا اذا راوا نجمًا ذا ذنب في السماء فانهم كانوا يقدرون لظهوره عجائب وغرائب حال كون اصغر تلامذة المدارس في هذا العصر يقدر ان يعطي صاحبنا شرحًا اكيدًا عن سبب الخسوفات والكسوفات وعن كيفية حصولها وعن النجوم ذوات الاذناب ويعرف انه لا ينجم اقل ضرر عن ظهور هذه النجوم لانها مثل باقي السيارات التي تدور حول الشمس . فها قد اتضح لدى الجميع الفرق الكائن بين هذا العصر والاعصر القديمة التي كان العلم فيها طفلاً وانا اظن ان صاحبنا لم ينشر جملته الفلكية الا لكونه تامل ان يكتسب شهرة بين الناس فهو بالحقيقة قد شابه ايروسطراطوس اليوناني ذاك التعيس الحظ الذي لكونه لم يقدر ان يجد واسطة حميدة يشهر بها ذاته بين الناس ذهب وحرق هيكل ارطاميس العظيم في مدينة افسس من اعمال ايونيا في ٩ اتموز سنة ٣٥٦ ق م يوم ولادة الملك اسكندر المكدوني

فيابني ادم لا يغرنكم بسطاء كلام الجهلة المغبونين الذين يريدون ان يبدوا اراءهم الفاسدة بكلام ضعيف باطل . اطلبوا دائمًا الحقيقة التي ما ظهرت الا بعد مرور اجيال عديدة وانزعوا الخرافات التي قد انصاها عصر التمدن . نحن في زمان قد اشرق كوكبه في جلد التمدن والعلوم الحقيقية التي هي وحدها سبب التقدم والنجاح ومنبع الفنون والاختراعات . الانسان قد خلق نظره موجهًا الى العلا وليس نحو الارض مثل باقي الحيوانات غير الناطقة وذلك لكي ينظر الى عوالم الكون غير المحدود ويعرف انه حقير لكونه محصورًا ضمن دائرة الهوا الضيق اعظيم لكونه قادرًا على فهم حقائق عظيمة بهذا المقدار . وفي هذا القدر كفاية لذوي الالباب

تاريخ فرنسا

ولما وصل الوفد الى القائد النمساوي ضاعف اطلاق المدافع حتى ان كثيرين منهم قتلوا بكرات ابناء وطنهم . ففرغ صبر نابوليون ومع ذلك صمم على ان يقاتل ويلاشي المدينة على قدر امكانه .

وقابلون من الفاتحين لا يستغنمون سنوح فرصة كهذه لاغتنام ما في بيوت اعدائهم . فسار ومعهُ مسينا راكبًا حول حصون المدينة الجنوبية واختار لوضع صفوف مدافعو اماكن لاتكون واسطة لوقوع كرات العدو الصادرة من المدينة الا في اماكن بيوتها غير كثيرة . وانشا فيهِ حواجز واخاديد وخنادق كثيرة ضيقة و بعد الظهر بتسع ساعات اتم اقامة الات الخراب والهلاك التي كانت مستعدة لان تصب نار الويل والدمار على تلك المدينة المنكودة الحظ. غير انهُ قبل ان شرع في اطلاق المدافع عليها كرر طلب التسليم فاجيب بمداومة اطلاق المدافع . وعند ذلك شرع في اطلاق مدافعهِ اطلاقًا مخيفًا وكانت انوا الخراب تهب على المدينة بدون انقطاع لحظة واحدة واستمر ذلك عشر ساعات واطلق عليها ثلثة الاف كرة . وكانت الكرة المهلكة تمر في وسط ظلام نصف الليل كانها شهبٌ ذات بروق ورعود . واخذ اللهيب في ان يرتفع من جهات مختلفة من المدينة والدخان يتصاعد منها كانهُ دخان جبال نار مضطربة . وفي وسط تلك الحوادث المخيفة وكبد السماء يكاد ينشق من اصوات المدافع واصوات الابنية الساقطة وصراخ الجرحى وضوضا مائتي الف مقاتل واللهيب ينير الفلك كانهُ لهيب مائة جهنم تنقذف بدخانها وازرقاقهِ فتحت ابواب المدينة وخرج من السهل رجل براية سلام فسير بحاملها الى اركان حرب الامبراطور . فاخبرهُ ان في القصر الامبراطوري قبالة صفوف مدافع الفرنسويين ابنة الامبراطور فرنسيس الفتية مطروحة على فراش المرض . فانهُ لما دنا نابوليون من العاصمة اركبت العائلة المالكة الى الفرار فالتزمت بان تترك بنتها المريضة في المدينة . فلما سمع نابوليون بذلك امر حالاً بان يتغير توجيه كل المدافع التي ربما كانت تضر بها . فهذه هي برنتس فتية تخلصت بحنو نابوليون واسمها الارشيدوقة ماري لويزا فينبغي ان لا ينسى لان لها اهمية في هذا التاريخ . وهذه استمرت مستامنة في القصر ورسل الموت والخراب تمر حولها

فخاف الارشيدوق مكسيمليان من اللهيب الذي كان يحيط بالمدينة ومن ان يسي ماسورًا فاركن الى الفرار بجيشهِ قاطعين جسر طابور العظيم وهدمهُ بعد ان عبرهُ . وترك في المدينة رجلاً تابعًا لهُ ففي الحال طلب الى نابوليون ان ينقطع عن المحاربة فلم يطلب نابوليون شروطًا صعبة وغنم كل مخازن المهمات ومحل صنع الاسلحة وفيهِ اربعمائة مدفعًا من انفس المدافع ومهمات عظيمة وامن كل الاهالي وصان املاكهم ومقتنياتهم . وبعد ان خرج نابوليون من قصر التويلري في باريز بشهر دخل منتصرًا ابواب فينا . وكتب وهو في قصر امبراطور النمسا الاعلان الاتية ترجمتهُ

بعد ان عبر العدو الان بشهر دخلنا فينا في نفس اليوم ونفس الساعة . وقد سقط امامكم في الحال جيشهم وجنود حزبهم وحصونهم التي انشاها غريظ عائلة لوران . وقد خرج برنس تلك العائلة بجيشهِ من عاصمتهِ ليس كجنود شرف الذين يخضعون للاهوال ولمصائب الحرب ولكن كمذنبين يعذبون بتوبيخات ضمائرهم . فبهربهم من فينا ودعوا الاهالي بالقتل واللهيب . وقد فعلوا فعلاً معيبًا وقتلوا اولادهم بايديهم . يا ايها الجنود ان اهالي فينا الذين قاست العمدة عنهم انهم تركوا نساءهم يكونون موضوع التفاتكم وانا قد جعلت اهاليها الجياد تحت حمايتي المخصوصة اما اهل التعدي والقلاقل فيعاملون بما هو رسم العدل . فيا ايها الجنود عاملوا الفلاحين المساكين بالحنو . واولئك الاهالي الجياد الذين يحق لهم ان ينالوا اعتباركم فعاملوهم كذلك فلا ينبغي ان نفتخر بشجاعتنا .

وانا فيهِ برهان العدل الالهي الذي يقاصُّ الكنود والكاذب . انتهى

وصار الجنرال اندريوسي حاكم فينا وكان سفير فرنسا في النمسا وكان اهاليها يحترمونهُ جدًّا واراد نابوليون ان يبين لهم بذلك صداقتهُ ومحبتهُ لهم وافرغ جهدهُ في ان يخفف اثقال ذلهم . فعوضًا عن ان يستخدم جيشهُ ليحافظ على الراحة في المدينة جمع ستة الاف من النمساويين منهم الف وخمساية فارس للقيام بالضبط والحراسة . واخذت المآكل في ان تقل كل يوم من جرى كثرة الناس فامر بالاتيان بقطعان من الماشية من المجر مع كميات وافرة من الغلال لئلا يلتزم الاهالي بان يدفعوا اثمانًا باهظة . وادنياء القوم عين لهم اشغالاً وكان يدفع لهم اجرة عادلة وكثيرًا ما كان يستخدمهم في تزيين عاصمة عدوهِ وقد قال موسيو تييرس بهذا الشان ان ذلك لئلا يكون خبزهم مرًّا جدًّا . وكان نابوليون ظافرًا غير انهُ كان في ظروف صعبة فان جيوش النمسا كانت لا تزال اكثر من جيشهِ فانها كانت ثلثة اضعافهِ وكانت كل قوات انكلترا والنمسا واسبانيا مجتمعة عليهِ . فليتامل المطالع في الصعوبات والمشاكل المنسعة التي امسى في وسطها . وكان قد خلص قسمًا من بولونيا من رق بروسيا وجعلها تحت حماية مملكة ساكسونيا وجعل وارسو عاصمتها . وكان الارشيدوق فرديناند شقيق الامبراطور فرنسيس ومعهُ اربعون الف مقاتل يخرب اراضي حليف فرنسا المذكور . وارسل امبراطور روسيا جيشًا الى ساكسونيا بعد فوات الفرصة مدعيًا بانهُ لمساعدة نابوليون . وبعد ان انكسر جيش ساكسونيا انكسارًا عظيمًا بهجمات جيش النمسا اسر رسول نمساوي فوجد معهُ تحرير من القائد الروسي باسم الارشيدوق فرديناند يهنئهُ على انتصارهِ ويقول فيهِ ان المامول ان جيش روسيا يفوز بالاذن اللازم ليتحد مع جيش النمسا لمحاربة فرنسا بعد برهة قصيرة . ففي الحال بعث نابوليون ذلك التحرير الى الامبراطور اسكندر الروسي بدون ملاحظات ولا عتاب . فارتبك اذ عرف ارادة امهِ والامر فقرأ التحرير صامتًا واكتفى بعزل القائد

ولم يضع نابوليون زمانًا في التاسف الذي لا يجدي نفعًا ولكنهُ تكدر جدًّا لانهُ ادرك حق الادراك الصعوبات التي كانت تحدق بامبراطور روسيا وكان عالمًا ان محالفتهُ الغير الوطيدة ربما كانت تتحول الى عدوان في زمان قصير . ولما راى امبراطور روسيا ان كل اوربا كانت تقاوم الامبراطور الجمهوري الفرنسوي وتكدر من جرى توبيخات امهِ وامرائهِ المتواصلة اخذ في ان يتاسف لانهُ اتحد مع نابوليون حال كونهِ حصن الحقوق العامة وروسيا حصن الحكومة المطلقة . ولم يحمل الامبراطور الروسي على ان يبتعد عن حلفائهِ الطبيعيين المضادين لفرنسا الا بحذق نابوليون وصفاتهِ التي ميزتهُ عن جميع اهل زمانهِ

وفي ذات يوم كان نابوليون راكبًا وبجانبهِ سافاري فصمت برهة وهو غائص في بحر من التاملات ثم قال نابوليون الظاهر ان امبراطور روسيا قد ارسل خمسين الف مقاتل الى بولونيا ليسعفني وهذا اسعاف وثني كنت معتمدًا الان ارى منهُ مساعدة اهم

فقال سافاري ان روسيا لا تفعل غير شيء قليل فان النمساويين ربما كانوا لا ينقطعون عن التاهب والحرب عند حلول خمسين الفًا عليهم . وعندي انهُ اذا لم تزد روسيا عدد جيشها لا تحمل بالجيش المذكور على النمساويين ولا اعجب اذا ظهر لي ان ذلك من التدبيرات التي صار الاتفاق عليها . فان هذه المساعدة مما نعجب منهُ اذا تاملنا في ان روسيا

اسعفت النمسا بما تي الف لمحاربتنا في القتال الماضي فقال نابوليون بهدو وتامل فمن الواجب ان استند الى قوتي وليس الى مساعدتها . وفي اثناء ذلك صدر الامر الى اميربوارج روسيا في الادرياتيك بان يذهب ببوارجه الى انكونا لينقل جيوش مارمون الفرنسوية الى دالماسيا الى ايطاليا فامتنع مدعيًا ان بوارجه لا توافق للسير . على انه قال لحاكم تريستة النمساوي انها تصلح لنقل الجيوش اذا كانت نمساوية لمقاتلة بالفرنسويين . ثم قال نابوليون لسافاري بهذا الشان انني اصبت بعدم الاركان الى حلفاء مثل هؤلاء . فلو لم احالف روسيا لما حدث ما هو اردا مما قد جرى . فاذا رجعت بانري بمخالفتها . ولولا مراعاة بعض المعاهدة المعقودة لشهرت عليّ الحرب . فلا ينبغي ان نخادع انفسنا . فان كل الدول قد تعاهدت بان تلتقي عند قبري غير انها تخاف ان تذهب اليه جهارًا . ومن المقرر انه لا سبيل الى اركاني الى الاتحاد معها . وربما كان امبراطور روسيا يظن انه يشعرني بجميله بالامتناع عن فتح الحرب عليّ ولو اشتبهت في صدق مخالفته قبل فتحي الحرب الاسبانيولية لما سالت عنه . ومع ذلك ربما كانوا يقولون انني لا اقوم بتعهداتي ولا اقدر ان احافظ على السلام

ولا يخفى ان بروسيا كانت قد تعهدت بمعاهدة تلست بان لا تحارب نابوليون . غير ان الوزارة البروسيانية كانت قد امست في ذل لا مزيد عليه بالغلبة العظيمة فكانت تشتاق جدًا الى تجديد الحرب ومن المعلوم ان روسيا والنمسا وبروسيا كانت قد اشتركت في تقسيم بلاد بولونيا فكان بعضها مرتبطًا بالبعض الآخر برباطات الاشتراك بهذا التعدي السياسي العظيم . فعقدت مؤامرات كثيرة لتهييج بروسيا الى الحرب . الى ان خرج الكولونل شيل البروسياني من برلين في جيش لمحاربة فرنسا وكان من القواد الباسلين الشديدي الحمية . وكان يعلن في كل مكان ان ملك بروسيا عم على الاتحاد مع الدول المحاربة لفرنسا بكل جيشه . فاهيجت الامة وجاء كثيرون من رجالها اليه

وكان قد تقرر في معاهدة برسبورغ ضم التيرول من املاك النمسا القديمة الى بافاريا . وكان لخدمة الدين فيها نفوذ عظيم ليس مثله في كل اوربا . وكان نابوليون قد جعل ملك بافاريا يقطع النظر عن كل الاختلافات والامتيازات الدينية . وكان الدين الكاثوليكي الدين السياسي فيها غير ان البروتستانت كانوا يقومون بفروض مذهبهم بدون معارضة وكانوا يدخلون المناصب كالكاثوليك . وفي بروسيا البروتستانتية اجهد نابوليون نفسه في سبيل منح نفس تلك الحقوق للكاثوليك فيها . ومع ان التعصب كان سائدًا في ذلك الزمان كان يفرغ جهده حيث كان لكلمته نفوذ في سبيل تخليص الاسرائيليين من ضيقاتهم وكان لا ينفك عن ترقية اسباب قواعده المحبوبة عنده الموجهة الى ابطال جميع الامتيازات الدينية في اوربا ومنح حرية الاديان . وكان ذلك سببًا لوقوع مضادة خدمة الدين الكاثوليك عليه . ولذلك اتسعت دائرة الثورة التي اهاجها وكلاء النمسا في التيرول . فعينت علامة لحمل الثائرين فيها عند هيبر النمساويين للان وذلك باضرام نيران فاضرمت في كل مركز في تلك البلاد وقرعت اجراس جميع الاديرة . وكان الاهالي في ظلمة من الجهل فلم يمتنعوا عن محاربة مخلصهم ودوس حقوقهم بارجلهم . وكانت حكومة بافاريا قد قصرت في انفاذ سياسة نابوليون المؤسسة على المساواة في البلاد المذكورة . وكان نابوليون يقول ان البافاريين لم يكونوا

يعلمون ان يسوسوا التيرول ولذلك لم يكونوا يستحقون ان يملكوا تلك البلاد الكريمة . وحدثت حروب فيها بربرية تقشعر الابدان منها حتى انهُ في اربعة ايام طاردت كل الجنود الفرنسوية والنمساوية

وفي اثناء ذلك كانت انكلترا تتاهب سرًّا للهجم على انتوارب معمل فرنسا الحربي البحري العظيم وكان حراسها الف جندي فقط من المصابين بالجراح ولم يكونوا كافيين للدفاع عن ذلك المكان المتسع المهم . ولم يكن نابوليون يقدر ان يرسل جيشًا كافيًا للدفاع عنها مع انشغالهِ في حرب النمسا وحرب اسبانيا . وكانت حملة الانكليز مولفة من ٧٥ امركبًا حربيًا خلا مراكب النقل الكثيرة . وكان فيها من الجنود والملاحين مائة الف جندي . وكانت من اتقن الجيوش التي تاهبت في الزمان المتاخر . وكان لتلك الحملة اهمية عظيمة لان نجاحها يخرب اهم ينابيع قوة الفرنسويين البحرية ويقوي شمالي المانيا بدخول جيش جرار قوي الى بلادهم لمساعدتهم واشغال قسم عظيم من جنود الجيش الفرنسوي العام وسلمت قيادتها الى اللورد اتشام

اما في ايطاليا فكان الارشدوق جون النمساوي في ثمانين الف من النمساويين يطارد البرنس اوجين الفرنسوي الذي لم يكن يقدر ان يحاربهُ الا بخمسين الفًا . وفضلاً عن ذلك عرض نفسهُ لقتال غير موافق فانكسر واي انكسار حتى انهُ خاف ان يظهر الواقع لنابوليون فكتب اليهِ قائلاً يا ابي انني مفتقر الى عفوك فانني خشيت لومك اذا تقهقرت فحاربت وانكسرت . انتهى . فاضطرب نابوليون جدًّا فانهُ لم يكن يعلم مقدار خسارة جيش اوجين ابن زوجته جوزفين في ايطاليا ولا المخاطر التي امست تتهدد جناح جيشهِ الايمن . فتكدر من اوجين ليس لانهُ انكسر ولكن لانهُ لم يخبرهُ بالتفاصيل فكتب اليهِ قد انكسرت فلا باس

فانهُ كان من الواجب ان اعلم ماذا ينشا عن تعيين شاب غير مختبر الحروب لقيادة جيش وساعوض خسائرك فانني اعلم كيف ان اسلب من العدو ما ربحهُ منك . على انني لا اقدر ان اقوم بذلك بدون ان اقف على التفاصيل جميعها . اما الان فلا اعلم شيئًا . فارى نفسي مجبورًا بان ابحث في الاخبار الاجنبية عن الامور التي كان من الواجب ان تخبرني بها . وقد شرعت في ان افعل ما لم افعلهُ قبلاً ولا بد من ان يفعلهُ القائد الحكيم . فانني اسير بجيشي بدون ان اكون عالمًا بما قد جرى على جناحيهِ . على ان حسن الحظ يمكنني من ان لا ابالي بالخاطر فانني قد اوقعت العدو في خسران عظيم . ومع ذلك قد بت في قلق شديد لانني اجهل الواقع . فالحرب عمل مهم جدًّا ذو خطر عظيم فانها تعرض للخطر المبين صيت الانسان وجنودهُ وبلادهُ فمن الواجب ان يتامل الانسان في حالهِ وان يبحث عن اقتدارهِ ليعلم هل هو اهل بالطبع لادارة الحرب او لا . وانا عالم بانكم في ايطاليا تتظاهرون باحتقار مسينا فلو ارسلتهُ اليكم لما جرى ما قد جرى . فانهُ ذو معارف حربية من الواجب ان تخضعوا لها جميعكم واذا كان ذا نقائص لا بد من غض النظر عنها لان لكل انسان نقائص . وقد اخطات بتسليمك قيادة جيشي الايطاليانى . فكان من الواجب ان ارسل مسينا واجعلك قائد الفرسان تحت امرهِ . وبرنس بافاريا ابن الملك يقود باتقان عظيم جيشًا تحت امرة دوق دانزغ . واظن انهُ اذا مست الحاجة من الواجب ان تكتب الى ملك نابولي مرات بان ينضم الى الجيش ومن اللازم ان تسلمهُ القيادة وتخضع لاوامرهِ . فمن المقرر ان يكون اختبارك في الحرب اقل من اختبار رجل قد اشتغل بها ١٨ سنة . انتهى .

(ستاتي بقيتهُ)

زوجة جون كارفار

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الفصل الاول

في ذات يوم قال رجل اسمهُ جون كارفار لزوجتهِ كاترين ان الهواء موافق للسفر وقوي ولا يوافق ان نجعلهُ يذهب سدى كما ذهبت الاهوية السابقة . فانا ذاهب الى محل الصراف لأكلم جونز بهذا الشان فانهُ قد اساء معاملتنا بهذا التاخير . فهل تخافين ان تبقي هنا نصف ساعة ويكون زوجار وادار حارسك والبزابث تلي رفيقتك . قالت لا فاذهب في سبيلك وسنصرف الزمان في التمشي في هذا المكان فان الهوا شديد ولا يوافق ان نجلس فيهِ . فقال لها ان كان شديدًا باردًا يامهجتي فلاتبقي فيهِ . وكانت لوائح الجد والرزانة تلوح على وجههِ وقد بلغ من العمر وسطهُ وكان لابسًا ملابس الطائفة المسماة بالبورتيان اي الذين يحافظون على اسباب الطهارة ولا يلبسون الاثواب الفاخرة وتكلم وهو ينظر باشتغال فكر الى وجه امرأتهِ الفتية اللطيفة الحائزة من الجمال ما يستدل بهِ انها انكليزية واللابسة الملابس التي تلبسها نساء الذين هم من طائفة زوجها الذي كان من اكابرها . ولو لبست افخر ملابس النساء الجميلات المدللات اللواتي يتظاهرن بما هو جميل واجملها لما لبقت بها كما لبقت الملابس البسيطة التي كانت لابستها . وكان لون وجهها صافيًا لطيفًا مائلاً الى الاصفرار مع تموج احمرار لطيف فيهِ وكانت تلوح عليهِ لوائح الهدو والسكينة والتاني وكل ما يجعلهُ كوجه حورية قد لبست من اللطف حلة حلية وجمعت من الرقة كل معني وكان يظهر بعض عنقها الطويل الابيض كبياض العاج الفاخر . وكان الهواء يهب ويظهر من رجلها ويدها ما هو لطيف جميل . ومن عجب ياترى من الذين يقراون عن جمالها اذا راوا ان مجرد نظر زوجها الى وجهها الجميل كان يلطف منظرهُ ويجعلهُ على ان يتبسم مستعسنًا الدرة اليتيمة التي كان حاصلاً عليها . وقد قلنا انهُ قال لها ان كان الهواء شديدًا باردًا لاتبقين فيهِ . فاجابتهُ بسرعة قائلة انني قد قلت انهُ ليس ببارد وقد ضجرت من الاقامة في البيت فسامشي انا والبزابث بامان الى ان ترجع ويكون حارسنا زوجار ولدار . ثم قالت لرفيقتها المذكورة هيا بنا ووضعت يدها في ذراعها واخذت تتمشى معها . وكانت رفيقتها المذكورة فتاة طويلة لم تتجاوز السبع عشرة سنة وكانت غضة جميلة كالربيع . فسارت بها الى جهة طرف الفرضة الاخرى وزوجها رجع قاصدًا المدينة قبل ان انقطع عن التبسم .

وعندما دنتا من طرف الفرضة قالت اليزابث

المذكورة بغتة هوذا الفتى . فقالت لها كاربن اي رجل باتري قالت هو الفتى الذي تكلمت عنهُ امس مساء وقلت انهُ ظهر لي من لوائحهِ انهُ في ياس وكانهُ يكاد يطرح بنفسهِ الى البحر . وانظري اليهِ فانهُ جالس اليوم حيث كان جالساً في الامس ينظر تارة الى الماء عند اقدامهِ وطوراً الى المركب الذي قد ازمعنا على السفر فيهِ . وربما كان يرغب في ان يسافر معنا . قالت اذا كان راغباً في ذلك من الواجب ان يطلب الى مستر برادفور داو مستر كارفار او الرئيس استاندش ان يسهلوا السفر لهُ . وقد اصبت بقولك انهُ في ياس لان ظواهره تدل على ذلك . ومما يحزن ما يظهر من انهُ قد بات ضعيفاً فلا يجهد نفسهُ طلباً لتحسين احوالهِ . فياليت زوجي هنا لعلهُ يكلمهُ ويفرجهُ . غير ان التصادف قد ياتي بما لا ياتي بهِ القصد فان الهواء كان عاصفاً فاخرجت زوجة كارفار منديلاً من جيبها فحملهُ الهواء ولولا ذلك الفتى لالقاهُ في البحر . فانهُ مر بالقرب منهُ فامسكهُ ونهض واخذ يقترب منها بفرح دل على انهُ قد سر بسنوح تلك الفرصة ورات ذلك فيهِ الفتاة فقالت بصوت منخفض صديقي ياسيدتي انهُ قد سر بهذه الواسطة التي مكنتهُ من ان يكلمنا . فقالت لها صه ياصديقتي . وبعد ذلك بلحظة حياها تحية لطف وتهذيب وهي تقول لهُ ياسيدي انني ممنونة شاكرة . قال ان هذا لا يستحق الذكر فاسمحي لي بان اقول انني مديون لك على خدمتك وان كانت هذه الخدمة لا تستحق الذكر . قالت اشكرك واودعك . قال اعتذر اليك ياسيدتي اذا كنت تكدرتِ بكلامي فانني لم اظهر غير احساساتي . قالت يافتى انني لم اتكدر ولكنني انا وزوجي ورفيقتي هذه من الذين يسافرون في هذا المركب وربما كنت تعلم اننا لسنا من الذين يكثرون المجاملات التي قد ظهر لي انك قد تعودتها

اما الفتاة فنظرت الى اثوابهِ بقصد او بدون قصد فرات انها ليست من التي يلبسها اهل الرتبة المعتبرة مع انها سمعت من كلامهِ ما دل على تهذيبهِ وتثقيف عقلهِ . فاجاب على كلام زوجة كارفار بقولهِ انني قد تربيت لامور لم احصلها ومع انني لم اتجاوز سن الخمس وعشرين سنة قد خسرت كل ما لي واصدقائي فمع ان ثوبي ثوب الفقر ايكفيني الى نهاية حياتي ويكون كفناً موافقاً . اما العبارة الاخيرة فخفض صوتهُ عند ما تفوه بها لانهُ لم يكن قاصداً ان يسمعها اياها على انها سمعتها وقالت بصوت مرتفع ما هذا الكلام كيف تتفوه بهِ وقد بلغت مبلغ الرجال وقد منحك الله صحة جيدة ومكنك من الحصول على التهذيب وتثقيف العقل . فلا بد من ان تظهر لي المقصود من كلامك واذا كنت لا اقدر ان اساعدك او لا اعرف ان انفعك فربما كنت اعرف من يقدر على ذلك . فما هو القلق المهلك الذي تبين لي انهُ مستولٍ عليك

فلما سمع كلامها اللطيف الذي لم يخل مما يدل على نفوذ كلمة صاحبتهِ التفت اليها ونظر اليها وقال ياسيدتي انك المراة الاولى التي كلمتني بما يعود علي بالنفع منذ ماتت والدتي . قالت لقد شفقت عليك فهل اقدر ان انفعك اذا قصيت علي خبرك وانني لا ارغب في ان اتداخل في ما لا يعنيني على انني ربما كنت اقدر ان اساعدك واحمل من هو لي على اسعافك . قال انني اقص عليك خبري بسرور ولكنني اظن ان الفرج بعيد . قالت لا تقل كذا . فلو كنا نحن البوريتيان من الذين يقعون في ياس وضعف بسهولة لما كنت هنا اسمع خبرك . ثم جلست على مقعد بجانب بضاعة واشارت الى البرايت بان تجلس بجانبها . ثم قالت يا ايتها الفتى الا تعلم اننا خرجنا من

البلدان الواطية منذ نحو شهرين . واننا منذ ودعنا الاوطان والاصدقاء قد ضللنا مرتين عن الطريق الجهولة التي لا بد لنا من سلوكها فاتينا مرة دار تموث وبتنا الان في بليموث حيث التزمنا بان نترك مركبا من مراكبنا ونفارق ارفاقنا . على اننا عازمون على ان نسير بما لا يزال باقيا ولئن كنا ذاهبين الى حيث لا ندري ولا نعلم مسيرنا . ومن ارفاقنا من هم عاجزون من التقدم بالسن وصغار ونساء لم يهبهن الله القوة التي يرغبن في الحصول عليها . ومع ذلك لا نخاف ولا نرتضي بان نرجع . فهل عندك من ثبات العزم ما عندنا . فقص عليّ خبرك فانهُ بعد برهة ياتي زوجي ليذهب بنا الى المركب

قال ياسيدتي ان اسمي جون هولاند وانا من عائلة كريمة في اسكس . وقد مات ابي وامي واستولى اخي البكر على املاكها فاخذت حصتي القليلة لانني الاصغر وبت منذ زمان طويل غريبا عن البيت الذي ولدت فيهِ . ومنذ ثلث سنوات صرفت البارة الاخيرة التي كانت باقية من ميراثي واستحي ان ابين كيف صرفتهُ ولا يليق ان اقص عليك خبره . وكان اخي ينظر اليَّ بدون اهتمام وانا ابذرهُ وسد اذنيهِ عن استماع كلامي عندما ذهبت اليهِ نادما وقلت لهُ انني راغب في ان اتعاطى شغلاً يليق بي لتحصيل معاشي . فلما رايت الفضائل عابسة لا تصغى لي رجعت الى الرزائل التي كانت تتبسم مترحبة بي ورقصت في ميدانها حتى امسيت لا اقدر ان ادفع اجرة الذي كان يزمرلي . ولا اعلم كيف عشت بعد ذلك غير انني عالم بانني لم اشحذ ولا سرقت ولا فعلت ما يجلب عارًا عليَّ . وقد صرفت الاسبوع الماضي بمراقبة مركبكم هذا واقول في نفسي هل يقبل الذين قد صمموا على السفر فيهِ ان يسافر معهم من بات في ما بت فيهِ من الياس . وليس عندي مال ولا من يوصي بي . وقد حجز المركب الثاني المسمى اسبيدول وركب راكبوهُ هذا المركب المسمى ميفلوار فازدحمت اقدام المسافرين فيهِ فلا اتجاسر ان اطلب اليكم ان تاخذوني معكم

فقالت اليزابث بصوت منخفض يازوجة كارفار قد قلت انهُ راغب في السفر . وعند ذلك نظر اليها جون هولاند النظرة الاولى . وقال بلطف هل قلت كذلك ياسيدتي . فاحمر وجهها وقالت بصوت منخفض نعم . فقالت زوجة كارفار بتانٍ ان اقدام المسافرين مزدحمة في هذا المركب على انهُ الظاهر ان الاعتناء بك يكون واسطة لتخليص جسدك ونفسك . هوذا زوجي فياليزابث اذهبي بروجار الى نهاية الفرضة واذا شاء جون ان يرافقك فليذهب ايضا الى ان اكلم زوجي بهذا الشان . ونهضت وقد صبغ وجهها باحمرار لطيف وسارت لتلاقي زوجها فقابلها متعجبا واصغى الى خبرها باركان قليل في بادي الامر بشفقة وحنو في اخره . الى ان قالت يازوجي جون اذا اخذتهُ خادما لك وصرفت عليهِ الى ان نصل الى فرجينيا يكافيك بخدمتهِ ولا ريب عندي في ذلك . فتبسم زوجها وقال لو كان شفيعك لما توسطني امره بغيرة تزيد عن هذه الغيرة فكيف تقدرين ان تركني الى غريب لا تعرفينهُ . قالت لا اعلم ولكنني مصممة على ان اخاصمهُ من وباءِ وانت لا تحرمني مساعدتك وتبسمت تبسما لطيفا ناشئا عن دلال حمل زوجها على ان يتبسم لتبسمها وقال لا احرمك مساعدتي فانك مدللة نافذة الكلمة فلا اتجاسر ان اخالفك . فقالت بفرح لقد احسنت وفعلت ما يجب ان تفعل فادعهُ اليك واتفق معهُ فانني ذاهبة لاتكلم مع اليزابث .

وتم الامر بحسب مرادها فان رئيس المركب جونز اجاب المسافرين الى طلبهم بالتصميم على السفر

من بليموث في انكلترا قاصدًا المكان الذي سمي بعد ذلك بليموث في نيوانكلند في امركا . وقيد اسم جون هولاند في دفتر المسافرين في ذلك المركب كخادم لمستر جون كارفار

الفصل الثاني

ان اخبار تلك السفرة قد بلغتنا ومع انها بسيطة في كل صحيفة منها ما يدل على شدة بأس المسافرين وصبرهم العظيم على صعاب الامور وثبوت عزمهم فانه لم يفقهم احد في ذلك الا كولمبوس الذي سبق الجميع الى السفر الى تلك القارة لاكتشافها . وقد تقرر في قصة وليم برادفورد خبر يتعلق بتلك السفرة وهذه هي عبارته بقلم وليم المذكور وقد صادفنا انواء كثيرة وامواجًا هائلة مخيفة حتى ان المركب امسى لا يقدر ان ينشر شراعًا واحدًا بل التزم بان يبقى اياما في وسط البحر بدون رفع اصغر شراعاته . وفي ذات مرة كنا في نوء شديد والمركب بدون شراعاته فدنا شاب من جنبيه فمال المركب ودفعه الى البحر على ان الله مكنه من ان يمسك بحبل شراع فغاص تحت المياه كثيرًا وهو ماسك به الى ان رفع به الى سطح الماء وارجع الى المركب بقارب ووسائط اخرى فنجا من الهلاك . فمرض قليلًا على انه شفي وصار من الاعضاء النافعين في الكنيسة وفي الهيئة الاجتماعية

وقبل ان وصل المسافرون الى الجزيرة المشهورة التي صارت مركزًا للعالم الجديد انتخب مستر جون كارفار رسميًا حاكمًا للمهاجرين الذين كانوا مصممين على انشاء مستعمرة . وقبل المنصب تابعًا الوصية المشهورة وهي من يكون فيكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا وان الذي يرغب في ان يكون رئيس قوم يجب ان يكون اشدهم اشتغالًا بما يؤول الى صالحهم وسعادتهم فلم يشتغل احد المسافرين قدر اشتغاله في اخراج الشحن من المركب وتنزيل الركاب وقطع الاشجار ونشر الاخشاب وبنا البيت الاول العام ليسكنه الذين سبقوا الجميع الى النزول الى البر ثم بنا مخادع صغيرة لمسكن العيال . وتقرر ان العيال الصغيرة ينبغي ان تسكن معها رجلين او ثلثة رجال من العزبان وكانوا كثيرين . فانقسم المائة نفس ونفس الذين تالفت المستعمرة منهم الى ١٩ عائلة . اما الحاكم فاعتبارًا لمركزه ومراعاة لكثرة عائلته سكن مخدعه وحده وكان عدد تابعيه الساكنين معه سبعة انفس وهم زوجته ودزاير منتار وخادمة اخرى وجون هولاند وروجار والدار وفتى خادم اسمه وليم وولد صغير كان قد تبناه اسمه جاسبار مور وبعد بنايه بزمان قصير اخذت اسباب التمدن في ان تدخله ومنها بعض الاثاث المتقن الذي جاء به الحاكم من بيته الاصلي ومنها كرسي كبير منقوش لا يزال موجودًا في قاعة في بليموث من ولاية ماستيوسنس حيث قد اقيم بما يخلد ذكر هذا الحاكم الاول الامين . على ان الاثاث المذكور لم يكن علة امتياز مخدع الحاكم عن كل المخادع بل وجود زوجته فان الحنو واللطف كانا برافقانها ويضبطان اعمالها وحبها لكل ما كان لطيفًا مرتبًا متقنًا . وكانت اليزابث كثيرًا ما تاتيه لتزور زوجة كارفار وتتخلص من اضطراب بيت ابيها وعدم ترتيبه وكانت تقول لها متنهدة يا عزيزتي زوجة كارفار ماذا يجعل هذا البيت مرتبًا مريحًا مستكنًا . فانه لا ريب في انني انا وامي نشتغل النهار بطوله لنرتب بيتنا وقد اتينا باثاث قليل من بلادنا على انه لا سبيل الى ترتيبه وتنظيمه . فكانت تجيب احيانًا انني لا اعلم السبب وما اعلمه هو ان جون كارفار زوجي يسكن هذا البيت وليس بيتكم . على ان ذلك لم يرضها فانها كانت تعلم ان السبب هو غير ذلك . وفي ذات يوم

انتظر جون هولاند الى ان خرجت زوجة كارفار من البيت وقال للفتاة كاثرين لانهُ كدري لانك لاتقدرين ان تكوني كزوجة الحاكم ولا ان تجعلي بيتك كبيتها . هل ييبس النبات لانهُ ليس كالقمر الذي ينير عليهِ . فزوجتهُ تفوق كل النساء . قالت اليزابث بحدة هل قد تقرر عندك ان زوجة الحاكم تفوق النساء كما يفوق القمر النبات . قال لها نعم واكثر فانها محبوبة محترمة يتبعها الانسان باتضاع وهيبة فهي نور فوق سبيل الرجل الشرير فكانها مصباح لرجليهِ ودليل لعينيهِ المتعبتين . قالت ولوائح الغيظ تلوح على وجهها من حظك انك لم تتكلم هذا الكلام على مسمع من المرشد بروستار فانهُ لا يعفو عنك بل يوبخك لانك قد نسبت الى مخلوق ما لا ينسب الا الى ما هو فوقهُ . فاجاب بكدر قليل انني كنت اظن انك تحبين زوجة كارفار محبة قلبية شديدة . قالت انني احبها ومن يقول انني لا احبها . على ان ذلك هو غير المقصود فاستودعك الله يا جون هولاند . وخرجت من البيت مسرعة وقد احمر وجهها واخذت في ان تذرف الدموع من عينيها واخذ جون في ان ينظر اليها وهي سائرة بتعجب وحيرة وقال في نفسهِ حقًّا ان اعمال النساء تفوق ادراك الرجال فانني قد اغظتها بمدح سيدتي ومولاتنا

وبعد برهة قصيرة بليت تلك المستعمرة بالطاعون ومات بهِ نصف اهلها على قلتهم فلم يبقَ منهم غير خمسين نفسًا . وكان جون كارفار الحاكم يخرج كل يوم مع معاونيهِ ويشتغل النهار بطولهِ في خدمة المرضى وكانوا يرجعون الى البيت ويقصون خبرًا جديدًا على زوجة كارفار متعلقًا بموت البعض . وكانت تخرج ودموعها تنصب غزيرة تاركة اعمالها في بيتها لتخدم المرضى من الجيران بما تقدر عليهِ بالنظر الى ضعف جسمها الى ان طعنت . وفي ذات ليلة عاد زوجها ووجدها هي وديزاير منتار مطروحين على فراشها يئنان من شدة الالم وفي مخدع بجانب مخدعهما روجاولدار وجاسبار الصغير قد ماتا والصبي وليم والخادمة في حالة ردية . فقال الحاكم لجون بحزن وكدر هذا شغل لنا في البيت وهو يكفينا فيا حبذا لو تيسر لنا الحصول على مساعدة امرأة . فوضع جون هولاند يدهُ على الباب وقال ان جون تلي وزوجتهُ ماتا امس واخوهُ ادوارد وزوجتهُ ماتا اليوم وهنري سامصون وهوماتي كوبار متقدمان الى الصحة وليس لاليزابث ما تفعل غير النوح فاذا شئت ندعوها الى هنا . فقال لهُ اذهب وادعها حالاً وكان ينظر الى وجه زوجتهِ المحبوبة المضطرب . اما اليزابث فمسحت دموع النوح على ابوَيها وجاءت اجابة لطلب جون هولاند واخذا في ان يخدما زوجة كارفار وجميع المصابين وخدما كارفار الحاكم نفسهُ فانهُ طُعن . وفي نهاية الامر لم يبقَ غير سبعة انفس قادرين على خدمة المرضى والموتى والذين هم في حالة النزع

وفي الربيع جاء تغيير فانقطع الوباء والذين كانوا لا يزالون احياء خرجوا مصفرّي الوجوه ضعفي الاجسام طالبين الاستدفاء في الشمس . وبعد ان تقووا قليلاً شرعوا في بناء بيوت في تلك البرية لانفسهم ولاولادهم . وكان كارفار الحاكم من الذين كانوا قد ضعفوا جدًّا من شدة المرض وطولهِ وانشغال بالهِ عند مرض زوجتهِ المحبوبة عندهُ جدًّا ومع ذلك لم يملك من الصحة غير بعضها حتى اصبح يذهب في مقدمة الفعلة تحت قيادة اسكوانتو الهندي الذي كان قد تخلص من الطاعون الذي كان قد افنى اهالي تلك الاقطار وكان لا يزال يتردد على وطنهِ . فكان اهل المستعمرة ينتفعون بهِ كثيرًا . وهو الذي علم اصدقاءهُ الذين كان

قد علا الاصفرار وجوههم زمان زرع الحنطة والذرة وزرعوا قليلاً منها . ودلهم على مكان صيد السمك وغير ذلك من الاعمال التي كان اجداده البرابرة يعرفونها ويقومون بها في تلك السواحل قبل ان اكتشف كولومبوس تلك القارة بقرون كثيرة . وهو الذي جاء برئيس القبيلة التي كان قد انضم اليها بعد انقراض قبيلته ماساسوات ليعقد معاهدة بينه وبين البيض وبعد ذلك حذرهم من تصميم قبيلة النارا غانست وغيرها على الحمل عليهم ولم يخنهم قط ولا غفل عن نفعهم . واسكوانتو هو الذي فتح باب مخدع الحاكم وعائلته ليتناول الطعام صباحاً فدخل وقال باللغة الانكليزية المغلوطة التي كان قد تعلمها بسرعة هل نزرع قمحاً اليوم قال نعم يا اسكوانتو نعم لا بد من النهوض للشغل قبل حلول الليل . وقبل ان انهى الحاكم عبارته وقف في وسط المخدع ساكتاً ناظراً الى زوجته نظرة غريبة فلاحظت ذلك ونهضت ودنت منه وقالت بلطف وحنو ياجون لا ينبغي ان تشتغل اليوم باجتهاد لانك لم تشفَ بعد من اثر ذلك المرض وقد تجاوزت حدود الاعتدال في الشغل نهار امس . فقال لها يامهجتي لا غنى لي ومن واجباتي ان اكون قدوة صالحة لاخوتي والله يسعفني . ثم قال هلمّ ياجون هولاند ان اسكوانتو قد خرج . فلم يخرج جون حالاً بل تاخر بجانب زوجة الحاكم وهمس في اذنها قائلاً ياسيدتي انني ابقى بجانبه واخفف احماله . ومع انه مصفر اللون ضعيف لا يزال فيه قوة اثنين . قالت اشكرك ياجون واسأله اليك لنفعل كل ما يمكنك من فعله على انني اخشى سوء عاقبة شدة حميته التي تقوده الى ان يشتغل باكثر مما يوافق قوته . . فقال لها جون بحزن انني سافرغ جهدي في هذا السبيل . ثم خرج في اثر سيده الى الحقل . وكانت اليزابث تنظر اليهما وهما يتكلمان فعضت على شفتها واحمر وجهها ثم اصفر وخرجت من المخدع وهي تقول بصوت منخفض انني لا اعلم ما المقصود من هذه المخابرات انني لا اعلم

الفصل الثالث

وكانت ايام نيسان (افريل) تصبح جميلة لطيفة الهواء غير ان الحر كان يشتد بسرعة حتى يبلغ اشده عند الظهر . وكان القوم يشتغلون في يوم شديد الحر من نيسان في الحقل فقال القبطان المغضوب وهو يحرث الارض بعوله الثقيل ان كان هذا الحر حر الربيع فماذا يكون حر الصيف . وكان يشتغل بجانبه ونسلو وكارفار وبالقرب من بين الحاكم كارفار وجون هولاند . وكانوا جميعاً قد تربوا برفاهية وتنعم وغير متعودين الاشغال الشاقة . على انه لم يكن احد العشرين او الثلاثين الذين كانوا يشتغلون في الحقول يقومون بالاشغال بهمة وحمية مثلهم . فان الفرس الضخم العظم والجثة ليس بالفرس الذي تتاجج نار الحمية في احشائه بل الفرس الكريم المربى احسن تربية الذي ليس عضلاته اللطيفة ولا اعصابه البرقية غير اسلاك متصلة بين عناصر كرامة الاصل فيه واعماله العجيبة . والعظام في الدنيا ليسوا الذين يكتفون بالقيام باعمالهم ولكن الذين يرون في واجباتهم اساس التقدم والترقي

والظهر وقف بعض الذين كانوا يشتغلون عن الشغل ونظروا الى ساعاتهم وكان جون هولاند يهم ان يطلب الى سيده بان يقتدي بهم واذا بوجهه قد اصفر كاصفرار الموت ثم احمر احمرار اسود وعيناه اخذتا في ان تجولا ورفع يداه بدون انتباه الى راسه ثم رفعهما باضطراب في الهواء . فامسكه جون بيديه ولما راى ونسلو حالة رفيقه الحاكم انقطع شعوره بدوران المرض واخذ في ان يعتني به فقال احد

(ستاتي بقيتها)

ملح

الفهم بالاشارة

ان السلطان محمود الغزنوي الكبير كان ابن احد الموالي . فلذلك بعد ان اقام بالفتوحات العظيمة في الهند والتتر في اوائل القرن الحادي عشر واكتسب شهرة وقتاً ما ارسل الى الخليفة القادر بالله يطلب اليهِ لقباً يليق بمقامهِ وشانهِ . فنظراً لكونهِ ليس من الاشراف امتنع الخليفة عن اجابة طلبهِ في الحال وطلب فرصة مدة ١٢ شهراً ليعطي جواباً عن ذلك لكن السفير الذي ارسلهُ محمود الغزنوي الح بطلب سرعة الجواب من الخليفة فانعم عليهِ الخليفة بلقب ولي المبسم (فانهُ ياتي بمعنى امير وصاحب وهبد) ففهم محمود معنى الخليفة وارسل لهُ في الحال ١٠٠ الف قطعة من الذهب وطلب اليهِ ان يوضح لهُ اذا كان لم يترك حرفاً سهواً ففطن الخليفة لوقتهِ وكتب اليهِ بلقب وال

التخلص من الخصام

لما كان الحجاج قادماً الى العراق قال الغضبان الشيباني لاهل العراق ان عبد الملك بن مروان مرسل اليكم من لا يقبل محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم فالاوفق ان تتغذوا بهِ في الطريق وتتغدوا بهِ قبل ان يتعشى بكم . فبلغ الحجاج ما قالهُ الغضبان عنهُ فاحضرهُ اليهِ وقال لهُ انت القائل لاهل العراق ان يتغدوا بي قبل ان اتعشى بهم فقال الغضبان اصلح الله الامير فما نفعت من قيلت لهُ ولا اضرت من قيلت بهِ . فغضب الحجاج لذلك وامر بقتلهِ وقال اذهب الى نار لا تطفأ فقال الغضبان لو علمت ان ذهابي الى النار بيدك لما اتخذت الهاً سواك . فاعجبت الحجاج فطانتهُ وعفا عنهُ

الكرم

حكي عن معن بن زائدة وهو عامل على العراق في ايام المهدي انهُ اتاهُ سائلٌ ولم يجب اليهِ سبيلاً . فخرج يوماً معن الى البستان فكتب ذلك الشاعر بيتاً على خشبة والقاها في الماء الذي يجري في البستان وكان معن جالساً بالقرب منهُ فرأى الخشبة في الماء فاخذها ووجد عليها البيت الآتي

باجود معن ناج معناً بحاجتي
فليس الى معن سواك رسولُ

فامر باحضاره وسالهُ عن البيت فانشدهُ فامر لهُ بالفي درهم فانشد

يقولون معنٌ لا زكوة لمالهِ فكيف يزكي المال من هو باذلهُ
اذا حال حول لم تجد في دياره
من المال الا ذكرهُ وجمايله
تراهُ اذا ما جئتهُ متهللاً
كانك تعطيهِ الذي انت نائله
تعوّد بسط الكف حتى اذا لها
اراد انقباضاً لم تجبهُ انامله
ولو لم يكن في كفهِ غير نفسهِ
لجاد بها فليتق الله سائله

سرعة الخاطر

ذكر المسعودي دخل معنٌ يوماً على الرشيد وهو يتخطا بمشيتهِ . فقال الرشيد كبرت يا معن . قال في طاعتك يا امير المومنين . قال الرشيد وانما فيك على ذلك بقية . قال انما هي لك يا امير المومنين . قال الرشيد واني اراك جلداً . قال على اعدائك يا امير المومنين . قال الامير انني قد اعددتك لامر كبير . فقال معن وانني قد اعددت قلباً معقوداً لنصحك ويداً مبسوطة لطاعتك . وسيفاً مشهوراً على اعدائك فقل مهما شئت . فاعجبهُ الرشيد لحسن جوابهِ ولم يزل في مرتبة عظيمة عندهُ الى ان مات

الجنان

الجزء الرابع والعشرون

في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦

تنبيه

ان استلام جزء واحد من الجنان بعد نهاية مدة الاشتراك تجديده على سنة كاملة

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

قبل ما تتقابل الصفوف لخلاف بين الامم بدون ان تتقاضى الى السيوف فلبيان حال الجيوش الجرارة المجتمعة عند الحدود يغني عن الاسهاب فان ميزان السياسة قد انتصب لا محالة وكفة السلم على غير ثبات ولو كانت الصوالح روسية محضة والدول معولة على سياستها الحالية لكان الامل بالصلح اضعف كثيراً من خطر الحرب والعاقل من يزن بارودة ويعد رجالة ويقيس معارفة ويبحث عن خسارة القتال وخسارة السلم ليرجح احداهما على الاخرى قبل ان يخطو تلك الخطوة التي كثيراً ما قلبت الممالك ودرست الامم وامل ثبوت الصلح بين دولتنا وروسيا بعد ان جرى ما قد جرى صادر عن ذلك فانهما لا تريان ربحاً يوازي الخسارة التي لابد من تكبدها باصطلاء نار الوغى فان روسيا التي ادعت منذ البداية بانتشاب القتال على غير رضاها ليست بطالبة نفعاً خصوصياً حالياً ليس لكراهة او قناعة ولكن لما قد تقرر عندها بشواهد التاريخ ونور ادراك بواطن سياسة الامم الاوربية الموصية على مراعاة صوالحها ومنعها عن الامتداد جنوباً خوفاً من قوتها التي لم تبلغ ربع ما تبلغه بعد ان تتعمم المعارف في بلادها وتكثر الثروة فيها وتنهض الى درجات الامم المتمدنة ومطالبها مقصورة على منافع امم من جنسها اكثرهم من ابناء ملتها ايضاً حالة كونها لا تعلم ماذا تكافي في الاستقبال وربما كان الذي تعلمه الرماية يشتد ساعده فيرميها والسلافيون العثمانيون في ارتياب دائم من جهة نواياها روسيا المستقبلة ففي الحال لا ريب في انها تروم ان تجعل لهم صالحاً ليجنوا منفعة من ثورتهم تجعلهم يعلقون الامل بجني منافع اعظم عندما يثورون بعد ان يتقووا ويلموا شعثهم وتسنح لهم فرصة اخرى كالفرصة الجارية الناشئة عن وقوع خلل في ميزانية القوة في اوربا بعد حرب فرنسا والمانيا على ان تواريخ الامم ولاسيما وهي في حالة النمو تبين ان الذين تحالفهم دولة نامية للاستعانة بهم على اتمام نموها ترجع اليهم بعد نوال المراد وتبتلعهم واحوال روسيا والمانيا تشير الى ان صداقتهما لابد من ان تبدل بالمناظرة والعدوان بعد زمان

طويل او قصير وبالنظر الى ذلك لاتكون صوالح روسيا في عضد العصاة كالصوالح المتعلقة بها كل التعلق والدولة العلية ذات صالح عظيم غير ان الاصابة بالتسليم بما هو معتدل لان الحرب مهما كانت عواقبها هي لدفع عدوان ولا ينشا ربح عنها للبلاد ولو كان الفوز عظيماً ونرى في تجهيزات اليونان والفلاخ والبغدان ما يدل على انها للداخلة اذا جرى القتال بين الدولتين المشار اليها والانكليز ما داموا لا يرون لانفسهم حلفاء لايخافون الشقاقات الداخلية كالنمسا والمجر ولا يمكنونهم من ان يصدوا روسيا التي تناظرهم في اواسط اسيا وشرقي اوربا صداً حاكي حرب القرم بحيث تتمكن عشرين سنة مشغلة بلم الشعث وان الحرب قليلة الجدوى بالنظر الى صوالحهم الانكليزية يجتهدون في مجانبتها ولو تضاينت حليفاتها والمانيا في الحال لاتجاهر بعدوان روسيا ولا تثقل على عواتق جيشها بدفع ما يعظم جارتها ويقويها تقوية ترجع عليها بالوبال فالحيادة والانتظار شان سياستها لان روسيا قد ابانت لها بواطنها وهي على ما يرى بنور الحوادث محصورة باصلاح شوون العصاة الذين يقال انهم نهضوا بتحريضاتها او بالاستناد الى ما يتيقنونه من مساعدتها لدى الاقتضا بدون ان تنتفع مادياً او تضر بامارة الفلاخ والبغدان فمركز المانيا يجعلها قادرة على ان تمكن روسيا مما لاتروم انكلترا ان تمكنها منه والنمسا اقل الدول اقتداراً على السماح بذلك غير انه ربما كانت تقاد الى مجاراة تلك الدول لمجانبة الحرب كما قيدت الى تقوية العناصر السلافية وموافقة الامبراطوريتين على ما ينافي صالحها فهذه الامور هي ينبوع امل توطيد السلام ولئن كانت لاتنفي الخوف من الحرب لان كل دولة مقيدة بدولة او دول اخرى لا ترجع لنفسها شيئاً ولا بد من ان

تكون خسارة الحرب عليها اعظم من خسارة التساهل والقبول بتسوية معتدلة ولا تخفى اهمية ما قاله امبراطور روسيا لسفير انكلترا حتى انه حلف بناموسه المقدس بانه ليس براغب في اشهارها وكلام قاطع صريح ككلامه لايستخف به ولا يرتاب في صدقه ولو تذكرنا خزائن الامبراطور نابوليون الثالث المملوءة بالسلام التي جاءت بالحرب قبل ان احولت فان ما تقدم من الامالي برهان قاطع على انه ليس له منفعة فيها على انه لم يقيد نفسه بل ترك ابوابا مفتوحة تمكنه من ان يطلب ما لايمكن ان يسلم به تمهيداً للحرب ولو لم يكن قد صرح بمطالبه لوقعنا في الحيرة والريب من هذا القبيل على ان مطالبه ظاهرة وهي ثقيلة ولكنها مما يقبل التخفيف والتعديل وطلب حلول جنود اجنبية في الولايات المضطربة لم يجعل من نفس لائحة المطالب بل ألحق بها بلسان الجريدة واذا ظهرت امور في الولايات المذكورة تدعو الى المحافظة فربما كانت الدولة العلية نفسها تطلب الامداد من احدى حليفاتها ولا نظن ان ذلك يلجئ الى النزال ولا يكتفى بما تقدم وان كان مما يبين جلياً انه ما من صالح لاحد في الحرب لان ما ظهر هو ما يبنى عليه والباطن لايعلم ولاسيما في ايام ياتيك فيها الزمان بما لم تنتظر وياتيك بالاخبار من لم تزود ومما يقشع الغيوم لظهور ما ربما كان لم يظهر بذلك التامل في اعمال الدول من جهة القاء الموانع في سبيل صرف المشاكل لاطالة زمان الحرب وحبط اجراءات المتوسطين ولعل في اعمال الحكومة الانكليزية ما يوقع الريب وقد ارتاب بعض رجال السياسة في نواياها وفي اعمالها ما يدل على انها فضلت استمرار الحرب على المداخلة في بادي الامر وفضلت مراعاة صالح ادبي خاص ناشئ عن تقرير لائحة برلين على التكاتف مع الامبراطوريات الثلث بقبولها على ما

هي عليها و بعد تغييرها او تقديم ما يقوم مقامها ما يبطل ادعاءها بانها غير موافقة ومع ذلك لا يخطر لنا بال بان الانكليز لا يرومون فض المشكل والاولى ان يقال انهم ضادّوا ما لم يروا فيه موافقة للدولة العلية ولا سيما قبل ان تبين ان اكثر الدول منعكفة على تقرير صالح للعصاة مع صيانة حقوق الدولة الملكية اي ان لا تستولي دولة اجنبية على قسم من املاكها وان تكون السيادة لها على الامارتين والولايات التي تمنح الادارة المحلية المستقلة او انهم ضادّوا ذلك باملِ ظهور من يجاريهم و يسعفهم فيصدون روسيا ولولا التعديات البلغارية ومجاهرة حزب قوي من الانكليز بمضادة سياسة الحكومة لما طال زمان المخابرات الدولية وعظمت مطالب روسيا ومع ذلك فقد قال قوم ان الانكليز يرومون الحرب بامل الاستيلاء على قسم من البلاد العثمانية وهذا خطا مبين وسياسة روسيا اقل ظهورًا من سياسة الانكليز لانهُ قد تقرر في عقول الناس انها كانت قادرة على ان تحمل المحاربين على القبول بشروط عادلة والعدول عن الحرب ولا نكذب ذلك ولكن لا ينبغي ان يبرح من بالنا ان روسيا لا تشور عليهم بما ليس فيه صالح لهم وانها انعكفت على كل ما اشير به مما يؤول الى التسوية وقبلت به فاعترض عليه من جهة اخرى فالدولة العلية امتنعت مرارًا عن قبول ما طلبتهُ الدول حتى التزمت انكلترا بان تامر سفيرها بالخروج من الاستانة اذا لم يجب الباب العالي طلبها والتمسا كانت سبب تاخير ليس بقليل وهذا ما يبين ان لكل دولة من الدول المشار اليها يدًا في تاخير التسوية ولا يخطر لاحد ببال ان ذلك ناشئ عن ميل كل منها الى الحرب ولكن يستدل منهُ على ان لكل منها صوالح تحاول مراعاتها قدر الامكان ما دامت لا تدعوها الى الحرب وذلك ما يدعو الى ترجيح رغبة الدول في مجانبة القتال والمانيا لا تزال مستكنة كما قلنا والاخبار الاخيرة مبهمة وما نسب الى البرنس بسمارك وزيرها الاول من الكلام عند مقابلته لمعتمد انكلترا لا يصدق لانهُ مخالف لاصول المخابرات السياسية ما دامت الدولة محافظة على الحيادة فاجتمع في تلك الرسالة طرفا نقيض اي التصريح بالحيادة والميل وقد ابنا ذلك في الجنة والمانيا تحافظ بدون ريب على هيئة النمسا وما ينسب اليها من الرغبة في حلها بضم الالمانيين اليها خطا عظيم لان سيادة بروسيا نافذة بالاكثرية البروتستانتية فضم ثمانية ملايين من الكاثوليك يجعل ذلك في خطر ولاسيما قبل انتهاء المشاكل الدينية عندها وهذه التخمينات مبنية على حوادث كما لا يخفى ومع ذلك يخطئ كل من يظن ان الدنيا ليست في خطر عظيم من انتشاب الحروب ولذلك قد طالما قلنا ان المرجح ثبوت السلام ما لم يطرا طارئ جديد ليس لهُ حساب في الحال لعدم ظهور ما يدل عليهِ ودليل امكانيةٍ وجود امور باطنية استعدادات كل الدول حال كون كل منها يصرح بانهُ سلمي الميل والرغبة فليس من المحال ان ياخذ بعض المعتدين في طلب ما لا تعلم به الدولة العلية والدول الاخرى تعترض عليهِ اعتراضًا غير قطعي فترى دولتنا ان لها حليفات تمكنها من صد روسيا بتكبد خسائر فترتاح من اهل الشمال برهة طويلة فتستغنم روسيا هذه الفرصة لاظهار الغيظ والاهانات وقطع المخابرات بعد القاء مسؤولية الحرب على الدولة المتمنعة لان في هذا العصر ما يجعل الدول تمتنع عن المحاربة لمجرد الفتح ولا بد من سبب صحيح او مدعي بهِ يسوغ اشهارها ولما كان قد تقرر عند الدول الاجنبية باقرار رجال دولتنا وملاحظة احوالنا انهُ لا بد من الاصلاح في الادارة وانّنا لم نصرف العشرين

سنة الماضية في سبيل اصلاح شوونا وتحسين ادارتنا وترقية اسباب كل ما يقدم ويرقي عندنا وكانوا قد عولوا على وضع نظام جديد كان لا بد لنا من ان نخشى ان لا تكون ادعاءات الحلفاء بالداخلة وتوابعها اقل من ادعاءات اوربا الحالية فهذا مع ما تقدم من اننا لا نربح بالحرب لاننا مدافعون في ظروف غير اعتيادية فعندنا الاصوب التساهل ومع الامور الجديدة الممكنة الحدوث ظهور اتفاقيات باطنية بين روسيا والمانيا عند ما تمس الحاجة الى ذلك فنقول ان كل الامور الظاهرة والمخابرات المنشورة والخطب ولا سيا خطاب امبراطور روسيا وخلو الدول من صوالح ذاتية مهمة تحملنا على تكرار ما قلناهُ من ان المرجح ثبوت السلام ما لم يحدث ما لم يحسب له حساب

نجاح الجمعية الدولية

ذكر في التيمس الظاهر انهُ قد اشتد الامل بنجاح الجمعية الدولية واهم اسباب ذلك دخول انكلترا اليها بمطالب المرجح ان كل الدول تقبل بها بدون استثناء المانيا. فانها تصون بقدر الامكان حقوق السيادة التي للباب العالي وتضمن ما يكفي لتحسين حالة النصارى تحسينًا ماديًا مهمًا وتفتح لروسيا بابًا موافقًا سهلاً يمكنها من الرجوع عن مطالبها بدون ان يمس ناموسها. وقد تقرر في العقول اذا اتفقت كل الدول فربما كانت تحمل روسيا على مجانبة مطالبها كلها . فهذا ما يخمن في هذه الايام (اواخر تشرين الثاني نوفمبر) . والاجتماع الاول في الاستانة يبين هل في هذه التخمينات اصابة او لا .

ولا يخفى ان تعيين معتمدين مخصوصين من قبل بعض الدول ليتنوبوا عنها في جمعية الاستانة قد كدر بعض السفراء ولاسيما بعد ان راوا ان بعض الدول قد اكتفت بسفرائها . وقد كتب وزير خارجية انكلترا الى سفيره في الاستانة العلية بهذا الشان في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ما ترجمتهُ

ان حكومة انكلترا راغبة جدًّا في ان تفهمكم بانهُ ما من شيء في تعيين معتمد مخصوص للجمعية يوثر في اركانها اليكم في القيام بواجبات وكيل حضرة الملكة . واقول فضلاً عن ذلك ان المعتمد المخصوص يعين موقتًا ليحضر الجمعية وتحضرونها معهُ ولا يتداخل في شيء من واجباتكم السفارية الاعتيادية. انتهى

والظاهر ان الذي حمل الدول على ذلك هو ارضاء كل الاحزاب في بلادها وارسال معتمد ليست اراؤهُ بموثرة بالمناظرات المحلية السفارية وليس بينهُ وبين سائر السفراء مكدرات ظاهرة او باطنية ناشئة عن المناظرة الدائمة التي تجري في مكان كالاستانة بين سفراء الدول

خطاب امبراطور روسيا وخطاب وزير انكلترا الاول

قد نشرت جريدة الليفانت هرالد رسالة واردة اليها من مكاتبها في فينا وترجمة بعضها من الامور الغريبة ان جميع الجرائد في اواسط اوربا قد اخطات بظنها ان خطاب امبراطور روسيا المشهور الذي خطبهُ في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) هو رد على الخطاب الذي خطبهُ وزير انكلترا الاول . مع انهُ لم يخطب الوزير الا قبيل ان خطب الامبراطور بساعات قليلة . على انهُ بامعان النظر بالتواريخ يتبين

ان ذلك يكاد يكون محالاً . فان الولجة في لوندرا جرت في اخر السهرة في ٩ من الشهر المذكور وفي اليوم الثاني خطب الامبراطور على الامراء والاعيان في موسكو. واذا فرضنا انهُ ورد الى الامبراطور ملخص خطاب الوزير بالبرق فلا نظن انهُ يجعل الملخص اساساً لخطابهِ ولا سيما في جمعية صار التصميم على عقدها قبلاً . ولا نظن ان كدرهُ الحالي يحملهُ على ان يتفوه بكلام حربي . والناس هنا عولوا على اراء الجرائد فلم يظنوا ان الامبراطور يهدد مصمماً على انفاذ تهديداتهِ ولكنهم تأكدوا ذلك بعد صدور اعلان البرنس كورتشاكوف وزيره الاول عند ما اعلن بان روسيا بادرت الى جمع بعض جيشها . والان قد باتوا في خوف شديد من الحرب لان السلام معلق بخيط تقدر روسيا ان تقطعهُ بسهولة متى شاءت . وميلها الى الحرب يجعل الناس يرتابون في نجاح الجمعية الدولية . وقد قالوا ان تأخيرهُ ناشئ عن رغبة بعض الدول في اجرا ما يوافق امبراطور روسيا . ويظن ان الحرب ربما كانت تبتدي بين العثمانيين والروسيين ولكنهُ لا بد من حدوث براز عظيم بين روسيا وانكلترا . وما من دولة متأكدة بانها لا تلتزم بان تتداخل لاسعاف احداهما . اما اتحاد الامبراطور يات الثلث فربما كان لا يزال غير مبني على ان خطاب موسكو بعد الشروط الروسية القاطعة ضربتان مميتتان لهُ حتى ان الجرائد الرسمية لا تحاول الدفاع عنهُ . فان امبراطور روسيا قد قال انهُ يجري ما تدعوهُ الى اجرائهِ صوالح روسيا بالاستقلال . وهذه الصوالح مضادة على الدوام لصوالح النمسا . فجعلت روسيا تلتفت الى جهة اخرى لايجاد حليفة وربما كانت ايطاليا وقد مالت النمسا الى انكلترا . ويقال ان هذا الاتحاد كاف لصد روسيا

دائرة المعارف

ذكر في روضة الاخبار ما نصهُ

مطبوعات جديدة وتاليفات مفيدة كتاب دائرة المعارف تاليف المعلم بطرس البستاني ناشر الجنة والجنان المجلد الاول من اول حرف الالف الى ابو الاملاك

ظهر المجلد الاول من هذا التاليف الجديد الاجل الاكمل والتصنيف المفيد الانفس الافضل عن كل ما ظهر وطبع ونشر في معناه بالعربية من مجموع العلوم البشرية لغاية الان على شرطهِ المنشور بهِ صورة الاعلان من قبل بظهر صحيفة الجنان وفقهُ الله تعالى لحسن تمامهِ ومنع المشتركين فيهِ بمسك ختامهِ وهو قاموس عام لكل فن ومطلب من سائر العلوم والمعارف التي يتشاوق للاطلاع عليها كل ذي نفس عالية ويرغب ولقد صدق فيهِ قول بعض واصفيهِ كما هو على متن اول صفحة منهُ قد طبع ونشر شعر

هذا كتاب قد اتى في عصرنا
بمعارف مثل البحار الزاخره
عمت فوائدهُ فكان بهِ الغنى
اذ كل شيء صار ضمن الدائره

ولم ترد الينا نسخةً وانما شاهدنا طلعتهُ في يد بعض افاضل كتاب المعية الخديوية السنية في جملة من توزع عليهم من افاضل الديار المصرية فنظرنا فيهِ وتصفحناه ومتعنا بصرنا فيهِ وتاملناه فابتهجنا بهِ ولهجنا بمدحهِ والثناء عليهِ كما هو اهلهُ واجدر بهِ ورأينا من الواجب علينا ان ننوه بذكرهِ وننبه في جداول صحيفتنا هذه الضعيفة على باكورة ظهوره ونشره ككوكب علم نافع وموكب ادب جامع ساطع اشرق على افق سائر بلاد المشرق وكما هو من وظائف الصحائف الخبرية وواجبات الاوراق النشرية العصرية وغاية

ما نومل من فضل حضرة مولفه الفاضل وكرمه الداهل ان يقابلنا بوجه المصطنع الشكور وان كان سعينا هذا قد حصل من بعد ظهور الكتاب بعدة شهور فلا يقول لنا الا كقول القائل (شعر)

جزاك الله عن ذا السعي خيرًا

ولكن جئت في الزمن الاخيرِ

مصر

صورة افتتاح مجلس شورى النواب المصرية ونص المقالة الخديوية الافتتاحية حسبما ذكرت في نسخة الوقايع المصرية الرسمية المنشورة اخيرًا بعدد ٦٧٥

في يوم الخميس الماضي سابع هذا الشهر افتتح على العادة مجلس شورى النواب الذي في القلعة العامرة في محلو المخصوص للتذاكر في بعض المسائل المهمة اللازمة للحكومة السنية فاجتمع فيو بالملابس الرسمية حضرات الانجال الخديوية دولتلو محمد توفيق باشا ناظر الداخلية ودولتلو حسين كامل باشا ناظر المالية ودولتلو حسن باشا ناظر الجهادية ودولتلو شريف باشا ناظر الخارجية والحقانية وسعادتلو عبد الله عزت باشا رئيسهُ وسعادتلو خيري باشا مهردار الجناب الخديوي الاعظم و بعض الذوات الفخام واعضاء هذا المجلس الكرام وفي نحو الساعة السادسة من هذا اليوم شرفهُ حضرة الجناب الافخم رسميًا حيث كان الجميع في انتظاره فاطلقت المدافع اعلانًا بقدومهِ الشريف ولاطف من حضر فيهِ بانواع الملاطفات وكامل الالتفافات والقى عليهم مقالة عربية تتعلق بالمقام فتلقوها بغاية القبول و بختامها اطلقت المدافع ثانيًا على العادة الحسنة الجارية في كل سنة وعند الاستحصال على ردها من الاعضاء نبادر بذكرهِ على احسن حال واتم منوال

وهذه صورة المقالة الفريدة بجواهر الفاظها المفيدة

بعد ما ابدي لكم ممنونيتنا من اجتماعكم لبعض مسائل مهمة نقول اولاً انهُ كما هو معلوم لديكم ان الدكريتو الصادر ابتداء في ٧ مايو سنة ٧٦ كان موسسًا على اتفاق ما بين الحكومة وجمعية بانكيرات الا انهُ نظرًا لاحوال معلومة استوجب الامر بعض تعديلات فيو لاجراء مقتضاه وبما انهُ من بعد صدور الدكريتو الثاني عنهُ كانت افكار الجميع مخالفة لما هو منصوص بهِ من جهة ابطال المقابلة قد صار اجتماعكم بطنطا وحصلت المذاكرة في هذا الخصوص واعطي القرار منكم بابقاء المقابلة ولكونهِ في هذه المدة تعين من طرف الديانة الانكليزيين وكيل مفوض عنهم وهو جناب المحترم موسيو جوشن ومن طرف الديانة الفرنسويين جناب موسيو جوبير فقد حصل الاتفاق معهم على ما يتعلق بتسوية الديون بالكيفية التي يتقدم لكم جميع تفصيلاتها وما يليها من طرف نظارة المالية بحسب طلب المجلس وهي مبنية على قراركم المبين بهِ وجهان احدهما ابقا المقابلة والاخر بيان ما هو محقق لكم من ابلاغ الايراد بعد مدة المقابلة الى ثمانية ملايين ونصف تقريبًا ولاجل امكان موازنة ماليه الحكومة بعد المقابلة بالمبلغ المذكور وهو الثمانية ملايين ونصف تقريبًا الزمت الضرورة جعل الايراد في مدة المقابلة ثابتًا سنويًا وبهذا ما امكن خصم الامتياز سنويًا كما كان جاريًا بل انتهى الامر فيهِ على انهُ لا يخصم في المدة المذكورة نظير انتفاع اربابهِ بالمائة خمسة عليهِ في كل سنة وبانتهاء مدة المقابلة بالطبع يجرى خصم ذلك الامتياز بتمامهِ وهذا هو بناء على افكاركم واصابتكم بابقاء المقابلة على اي وجه امكن فالذي امكن هو الذي تقدم الايضاح عنهُ بانضمام افكاركم والثاني النظر في عمليات الوجه البحري التي تتقدم لطرفكم

من نظارة الاشغال والله الموفق لكل خير انتهى بحروفهِ نقلاً عن الوقايع المصرية

مكدرات الصلح

لا يخفى انهُ منذ نحو عشرة ايام وقعت اوربا في اضطراب شديد خوفاً من انتشاب الحروب وقد نشرت جريدة الليفانت هرالد رسالة واردة اليها من مكاتب مقيم في برلين عاصمة المانيا فيها ذكر اسباب ذلك وترجمتها

قد زالت بغتةً كل الامال المتعلقة بحفظ السلام بعد ان كانت موطدة عند جميع اهل الدوائر السياسية والمالية في هذا المكان بورود خبر قبول الدولة العلية بعقد هدنة شهرين لان الخطاب الذي خطبهُ وزير انكلترا الاول في وليمة حاكم لوندرا وخطاب حضرة امبراطور روسيا في موسكو قد اضعفا اركان الناس الى ارجاع السلام. وكانوا في بادي الامر يميلون الى ان لا يفسروا كلام ذلك الوزير تفسيراً تهديديا. على ان نشر التحرير الذي بعث بهِ اللورد دربي وزير خارجية انكلترا الى سفيرها في بطرسبرج في ٣٠ تشرين الثاني (اوكتوبر) قد بين ان بين مقاصد روسيا ومقاصد انكلترا بوناً عظيماً. وما من وزير تجرا على ان يتفوه بما قد تفوه بهِ وزير انكلترا بدون اسباب موجبة مهمة الجانية الى ان يجعل الامة الانكليزية مستعدة لملاقاة الحوادث القادمة. ولم يتعجب الناس من خطاب امبراطور روسيا لانهم عالمون برغبة روسيا في الحرب وبان السطوة البانسلافية امست نافذة في حضرتهِ. وبعد ان ظهر ذلك الخطاب اخذت دوائر الحكومة الرسمية في ان تقول بانهُ ليس بمهم وانهُ لتغطية رجوع وزارة روسيا عن طلبها. اما الدوائر المالية فتيقظت كثيراً منهم فانها اعتبرتهُ حربياً فهبطت الاسعار. وظهر في اليوم الثاني ان الاصابة كانت لعالم المالية فانهُ وردت افادات من بطرسبرج بصدور الامر بجمع ستة جيوش روسية لاقامة جيش جرار عند البروث. وقد عدلت روسيا عن ان تجعل حربها على الدولة العثمانية بواسطة السرب وعولت على ان تنفذ ارادتها بقوة السلاح. ولذلك ما من احد يخمن للجمعية الدولية نجاحاً وقد استحسن الجميع انعكاف الباب العالي على القيام باعظم التاهبات ليكون متاهباً عندما تمس الحاجة

خطاب امبراطور روسيا

ذكر في الليفانت هرالد عن رسالة واردة من برلين قد خصص القوم بالتامل امرين من خطاب امبراطور روسيا. وقد تعجبوا اذ سمعوا منهُ الاطناب بمدح الجبل الاسود والثنا على بسالتهِ ولوم السربيين لوماً شديداً. ولذلك قد تقرر في العقول انهُ سيكافي الجبل بطلب ضم ارض متسعة الى اراضيهِ عند التئام الجمعية والسرب التي لم تات بما كان ينتظر منها ان تاتي بهِ ستترك وشانها. فهذه المعاملة اللاحقة ببلاد قد خربت بالطغيان خراباً يوثر في تقدمها السياسي والتجاري سنين كثيرة قد اغاظت القوم في عاصمة السرب جداً. وربما كان ذلك الغيظ يبين للسرب اين تجد صديقة صحيحة تصونها. وربما كانت هذه الحوادث تقلل ازكان الفلاخ والبغدان فهذا هو الامر الاول في ذلك الخطاب والثاني ما ابانهُ من التصميم على انفاذ مقاصدهِ مع قطع النظر عن الدول الاخرى اذا تمنعت الدولة العثمانية عن اجابة طلبهِ. فهذا تصريح بان روسيا ليست بقاصدة المحافظة على الاتحاد مع الامبراطوريتين ولكنها قد اصبحت منفردة في سياستها. وقد قال الروسيون انهُ لم يبق للنمسا مكان في ذلك الاتحاد. وقد مدح الناس الكونت اندراسي لانهُ ضاد غايات روسيا وانضم الى انكلترا لصيانة معاهدة باريز

الترميمات في البلغار

ذكر في الليفانت هرالد ان سعد الله بك رئيس قومسيون الفحص والاسعاف الذي ارسله الباب العالي الى البلغار قد بعث برسالة برقية مآلها انهُ قد رمم في القرى المهدومة في متصرفية فيلبي وتتر بازارجك ٩٥٧ بيتاً و ١٠٨ بيوت لا يزال ترميمها جارياً . وقد صار الانقطاع عن اتمام هذه الاعمال الآن بسبب الامطار . وانهُ قد اعطيت البسط والاغطية والزاد الى جميع المحتاجين والاعتناء بالمرضى جارٍ بدون انقطاع وقد قرر للحكومة بانهُ سيرسل بعد برهة قصيرة دفتراً مفصلاً فيهِ عدد البيوت التي صار ترميمها والمرضى الذين اعتني بهم ونالوا الشفاء وبيان الاثاث الذين اعطي للمصابين والات الحراثة والمال الذي دفع للفلاحين قرضاً . وقد طلب مستر استوني مامور جمعية الاحسان في الاستانة العلية تحت رياسة سفير انكلترا بواسطة فيس قونسلوس انكلترا في فيلبي بان يصير السماح بقطع الاخشاب اللازمة لترميم البيوت من غابات الحكومة . فصدرت الاوامر من الحكومة المحلية الى مديرها بان يسهل ذلك . فعند اجتماع مجلس الوكلا طرحت هذه الافادات امامهُ فامر بان ترسل رسالة برقية الى سعد الله بك الموجود في فيلبي يطلب افادات اخرى متعلقة بالبيوت التي توقف ترميمها بسبب الامطار

الجوع في سوري حصار

ذكر في الليفانت هرالد ان مكاتباً عالماً باحوال المكان الذي يكتب عنهُ قد بعث الينا بالتحرير الآتي المستحق التمعن

ان مدينة سوري حصار والمقاطعة المسماة باسمها من ولاية انقره حلت بها ضيقات كثيرة منذ سنتين من المجاعة التي امتدت في قسم كبير من اسيا الصغرى . وفي هذه السنة احترق قسم غير قليل من المدينة وقد انتظم عدد ليس بقليل من الرجال في سلك العسكرية فخسرت الاماكن المجاورة منافع اشغالهم وكذلك زوجاتهم واولادهم . فهذه المصائب المتراكمة قد تركت عدداً غفيراً من النساء والاولاد عند ابواب الشتاء في حالة قريبة من الجوع في غياب الذين يحصلون اسباب معاشهم

فهولاء المنكودو الحظ هم في خطر الموت جوعاً حال كونني عالماً بان في المدينة عشرة الاف كيلة من الحنطة من الاعشار وبسبب مصاريف النقل لا يمكن اخراجها . وهي بالفعل في مخازن الحكومة مرطبة مسوسة والجرذان تاكلها . فبالمقابلة نرى نساء واولاداً جياعاً وازواجهن واباءهم في القتال وزاداً كثيراً . فهذه المقابلة تبين ما يلزم ان يجرى . فاذا بعثت الحكومة السنية برسالة برقية حالاً بان يوزع شيء من ذلك على المحتاجين يتخلص البعض من الموت جوعاً . وقد عاشت املي مع بعض الاصدقاء بانها لا تسمح بذهاب يوم سدى . انتهى

فقالت جريدة الليفانت هرالد من المؤكد عندنا ان الحكومة تجعل التفضيل في حصة كافية اذا لم يكن في كل الحنطة للنساء والاولاد على الجرذان وتبعث برسالة برقية الى الحكومة المحلية بهذا الشان بوجه السرعة

الجمعية الدولية

قالت جريدة التيمس قد تم الامر الاول من الامور المنتظرة الحدوث التي قد قال قوم انهُ لا يمكن اتمامها . فان الدولة العثمانية قد قبلت بالجمعية الدولية بدون شروط . وربما كان كلاهما اشد ادراكاً لحقيقة الاحوال من الذين قد قالوا ان الباب العالي لا يقبل ولن يقبل بان يحضر مفاوضات المقصود منها

ايجاد طريقة لصيانة اهالي بعض ولايات من سوء الادارة . ولا ريب انهم اعرف من اولئك بسياسة حكومتنا الانكليزية . وتوضحت الامور في الاستانة . وعندما تقرر عند الباب العالي انه قد انتهى زمان الادعاآت المطلية صمم على ما ينبغي ان يفعل بسرعة تصميم دول اخرى ولولم يقبل بالجمعية لربما كان قد أُنفذ طلب روسيا بالتئام جمعية بدون حضور معتمد عثماني . ولا ريب في ان الوكلاء العثمانيين نهجوا مناهج الحكمة لان الاصوب ان يكون لهم راي في الجمعية . فان ذلك يمكنهم من ان يقولوا كل ما يرغبون في ان يقولوه في وقت موافق . واذا فرضنا ما لا ينتظر حدوثه من رفضهم المداخلة في الجمعية فمن الممكن ان يعدل عنها . فلو جرى ذلك لكانت امال العثمانيين في حال غير موافقة . فان رفضها لذلك يجعل الدول تتركها وحدها فتمسي منتظرة مرور شهري الهدنة لتبيت منفردة في ملاقاة روسيا في ميدان القتال . ودول اوربا واقفة منتظرة باهتمام ماجرياته وهي تحاول جعل توسطاتها حلة نهيه نهيا عادلاً . وبالنظر الى ذلك قد اصاب الباب العالي كل الاصابة في القبول بما قد قيل ان قبوله غير ممكن

ونقول الان ان الجمعية ستلتئم ومرور معتمد انكلترا بباريز وبرلين وفينا قبل عقد الجمعية ربما كان ما يجعل اتفاقًا قبل الاجتماع فتسهل التسوية . والمظنون ان كلام البرنس بسمارك يكون حسب عادته ناشئًا عن اظهار الباطن وييسر بسنوح فرصة لاظهار آرائه بتصريح وتبيان بشان العواصف السياسية الهابة حوله . وربما كان اللورد سالسبوري معتمد انكلترا يخرج بدون ان يكون مرتابًا اقل ارتياب في مقاصد المانيا فيرى بسهولة ما هو قابل التغيير من مطالب روسيا وما لا يقبله . وننتظر الفوز بما يوافق باجتماعها لان معتمدنا حاذق فطن والبرنس اول رجل سياسي في اواسط اوربا . وضرورة فهم المركز الذي يختص منه غيرنا المطالب قد حملنا على التامل فيها فاكتشفنا على معنى جديد . ولذلك قد اصلحنا حكمنا باهميته وجعلنا تاملاتنا مصروفة في جهة كنا قد قطعنا النظر عنها . ولا نزال نتذكر كيف ان اللورد روسل عاد من فينا وقد استحسن اجراآت كان قد أُرسل ليضادها . فلا ننتظر تغييرًا كهذا الان . ليس لان اللورد سالسبوري احذق من اللورد روسل واقدر على المحافظة على ما تقرر في عقله ولكن لانه لم يقرر ما قد عول على اجرائه قطعيًا وبدون تغيير . ولا يمكن ان لا يشعر بالتغيير الذي جرى في الاراء بدون اضطراب حتى ان الناس قد افرطوا في هذه الايام الاخيرة ان طالبهم سفير روسيا قواعد موافقة للمفاوضة في الجمعية . وهذا من اوفق الحوادث الحالية . فان صدى الخطب الحربية قد انقطع . وقد تحقق القوم اكثر مما في الماضي انه لا بد من تسوية المسالة الشرقية باتفاق روسيا وانكلترا سياسيًا وليس بانتشاب الحروب بينهما . وكم من مرة بتنا على حافة وهدة الحروب بدون لزوم واليوم لا ندرك اسبابها . وسنة ١٨٤٠ اضطربت كل البلاد خوفًا من انتشاب حرب بيننا وبين فرنسا وعقدت جمعيات في مدن كثيرة من المملكة الانكليزية لتهديد التهييج الحربي الذي سبقت الامة اليه . وكذلك فرنسا كانت مهيجة . ومع ان الملك لويس فيليب عزل وزارة لانها حربية واقام وزارة اخرى اقل ميلاً الى الحرب منها فتح المجلس العالي بخطاب قال فيه بافتخار ان فرنسا مستعدة لملاقاة الزمان وقال انه يستند الى مساعدة المجلس اذا مس ناموس فرنسا . وماذا يا ترى كان سبب ذلك . الجواب انه اختلاف في الاراء بشان الصلاة التي ينبغي ان تكون جارية بين الباب العالي وحكومة مصر . فاننا كنا نريد ان نزيد في

اخضاع محمد علي له . وفرنسا كانت تود ان تجعله يستوي في المركز الذي يقدر ان يناله . فتداخلنا وفرنسا لم تتداخل . ولم ترجع فرنسا عن الحرب الا بميل ملكها الى السلام . ولكن من منا يأتي لا ينظر الى الاحوال المذكورة بتعجب اذ يرى ان فرنسا وانكلترا امستا منقادتين لاشهار الحرب بسبب سياسة كهذه السياسة . فميل فرنسا الى مصر جعل لها نفوذًا عظيمًا في وادي النيل وعادتنا في المضادة الحرت فتح ترعة السويس . على انه قد تقرر في عقول الناس ان الاستقلال الذي منح للخديوي نفع للعالم . وعندنا انه بعد ٢٥ سنة يقرأ الانكليز اخبار هذه الايام متعجبين بما يرون من ميل ابائهم وتحزبهم ويسرون اذ يرون ان الحكمة غلبت عليها

وعقد الجمعية الدولية بشارة ربما كانت قد جعلتنا نتجاوز حدود الاعتدال في اعتبار السلام موكدًا . ومن الامور التي يصعب تقريرها في العقل ان اجتماع عشرة رجال لكل منهم صالح في حفظ السلام لا يكون واسطة لصيانته . فلا بد لهم من ان يتتبعوا اخطار الحرب الى مصادرها وعند الوقوف على العلة لا بد من الاتفاق على الدواء والصعوبات الجارية قد نشات عن سوء ادارة في بوسنه والهرسك والبلغار . والذين يسيئون الظن بصفاء باطن روسيا لا بد لهم من ان يقروا بانه لولا اساءة الادارة لما وجدت روسيا سببًا للمداخلة . وقد حاول البعض بضعف ان يتخلصوا من هذه الحقيقة بقولهم ان اضطراب تلك الولايات نشا عن حيل روسية . على انه من يدعي يا ترى ان شفقت باشا والجنود الغير المنظمة التي كانت تحت امرته كانوا يقبضون معاشهم من روسيا و ينفذوا غاياتها عندما اقاموا بالتعديات البلغارية . فالسبب الاول للاضطرابات اساءة الادارة او نقص الادارة . واذا كنا لا نكتفي بالتخلص من الضيقات الحالية ونفرغ جهدنا في سبيل منع اعادتها فلا بد من ان نفرغه في سبيل الحصول على حكومة جيدة موسسة على اساسات ثابتة متينة لتكون بدلًا عن اساءة الادارة . فهذه هي السياسة الصحيحة التي ينبغي ان نتبعها اذا اركنا الى رومي او لم نركن اليها . وقد نشرنا تحريرًا من مستر هو بارد الذي قد عرف احوال روسيا منذ سنة ١٨٢٩ وفيه تحريض للانكليز على ان يتيقنوا بان مقاصد سياسة روسيا انما هي تحسين حالة اهالي دينها والامم القريبة من امتها . وربما كان يقال انه تاجر روسيا كما قيل عن خطاب مستر بارن المملو بالحكم والاعتدال بشان حرب امركا بان صاحبه ذو اشغال متسعة في الولايات الشمالية . على انه لا بد من ان نقر بان الذي يتاجر نصف قرن مع قوم لا بد من ان يعرف شيئًا عنهم ولا نظن بانه قد نسي بانه انكليزي . ولا نقدر ان نقطع النظر عن شهادات الذين يعرفون باحوال البلاد حال كونها مهمة وبما يركن اليه . وقد سمعنا رجلًا انكليزيًا يقول انه تاجر في روسيا منذ سنة ١٨٢٩ و وجد الروسيين امناء واخر انه ذهب الى روسيا تكرارًا وراى ان الامبراطور واكثر الاهالي يميلون الى تقدم بلادهم بالسلام . وقال رجل ثالث انه سافر في هذه السنة في روسيا وراى بكل وضوح ان ميل الامة الروسية الى ابناء جنسهم شديد وهو بدون مصلحة شخصية . فهذه الشواهد مما لا يقطع النظر عنه

الجمعية الدولية

قالت جريدة التيمس بعد ان انتشبت الحروب في الولايات سنة ونصف سنة وصلنا الى الجمعية الدولية التي يكون فيها معتمدو الدول الاوربية لتسوية الصعوبات الشرقية وما من امل

بمجانبة الحرب الا بها . وقد تبعت تلك الحرب تهديدات القت الناس في خوف من اضرام نيران قتال عظيم ورافقتها تدبيرات ومطال لب ذهبت كلها سدى وتخاوف وتهمات قد جعلت الاشغال في اوربا في وقوف . و بعد ذلك اجمع قد صار التصميم على جمع سفرا الدول حول مائدة حال كونها كلها تدعي حب السلام وسيطلب كل منها ما يوافقه و يسمع مطالب الدول الاخرى التي قد مهدت سبلها اختبارات هذا الزمان . ولا ريب في ان الصعوبات الحالية اعظم من الصعوبات الماضية لو عزمت الدول على عقد جمعية منذ سنة . فان مواضيع المفاوضات قد ازدادت بالعدد والاهمية فضلاً عن التهيج الجاري المشتد جداً ل شديد استمر اشهراً . وكل دولة تشك في صفاء باطن الدول الاخرى والتي مس فخرها تاتي بقواعد مباحثات غير معتدلة بدون ان ترتضي بان تعدل عنها . وصعوبات الجمعية في غوء خطا ماض ومن واجبات المعتمدين ان ينظموا و يرتبوا كل ما بات في ارتباك من جري عناد المخابرات الماضية وادعائها ونقص انتظامها . وقد اتضح جلياً ان ادعاءات الامبراطوريات الثلث بصرف المسئلة الشرقية وحدها جاءت اوربا باضرار عظيمة . وان ما ادعوه من وجوب قبول كل ما قررته كانه ناشئ عن حكمة وقوة معصومتين . ولا نبالغ اذا قلنا لو دنت روسيا وحليفتاها من الحكومة الانكليزية بخلوص منذ سنة لتم ما يرام اجراؤه في الولايات العثمانية منذ زمان طويل واصبح العالم متمتعاً بالراحة . وقد نشاعن ابتعادها وعما قد تقدم حرب مضرة لا تاتي بنفع وتعديات فظيعة . ولا بد من ان تشرع الجمعية في المفاوضات وظل تلك التعديات ملقى عليها

ولا تنكر الدول الاوربية المتحايدة ومنها حكومتنا الانكليزية انه لو جرت مداخلات جديدة قبل الان لجات بما يخفف المشاكل الحالية . وتصرفات الحكومة النمساوية لا تفسر بما تفسر به القواعد التي جرت قبلاً في الامم ولا يمكن ان يشدد اللوم على الكونت اندراسي وزيرها الاول من جرى ضعفه السياسي الذي جعله شريك سياسة ومحامياً عنها وقد تبين الان انه كان يخافها باطنياً هو وحزبه . وخطا حكومتنا الاهمال الناشي عما تقرر عندها من ان الصعوبات ستفض نفسها . وان العثمانيين ينهون بسرعة الاتعاب التي جاء بها رعاياهم المقلقون . والظاهر ان وزراءنا لم يدركوا اهمية القوات التي اخذت في الظهور ولا ظنوا ان روسيا ستظهر شجاعة واقدام . ومراقبة هذه الامور ليست من الباطل فانها تنفع وتذكر رجال السياسة بتقصيراتهم وخطائهم ولو كانوا حاصلين على اضبط الاخبار والمساعدات الحبية من كل الجوانب . فارسال اللورد سالسبوري الى الجمعية الدولية دليل تصميم حكومتنا على عدم التقصير في ما يؤول الى ترقية اسباب السلام وعدم الاستخفاف باحوال الشرق الصحيحة والتامل فيها . والمظنون ان معتمد انكلترا قد شرع في اعماله وسيكون تصرفها هنا كتصرف مضاديها مبنياً على التيقظ ومجانبة اظهار الضمائر . ومن حسن الحظ انتهاء زمان الجمعيات العمومية هنا ولا تقام عندنا ولا تلتئم قبل عيد الميلاد . وربما يجعل الحكومة اشد حرية واستقلالاً واقوى في الاجراءات كتم الوزراء ضمائرهم وسكوتهم فانهم اشد الناس مسئولية بادارة العلاقات الجارية بيننا وبين الامم ومن اسهل الامور الادعاء بالقوة ولا ريب في ان الناس يستحسنونه . ولكنه لا يظهر قوة صحيحة للناظر ولا عزماً حقيقاً ونهايته في الغالب تلقي المدعي في ارتباك (هذه اشارة الى خطاب وزير انكلترا الاول الذي ادعى فيه بالقوة) فكل امة تعلم مداخل

دولتنا وقوتها. والاولى ان نكتفي بما يعلم ها ولا يوافق ان نفوه بكلام حربي مبهم. وينشا عن ذلك ضرر وهو كاف لان يحملنا على مجانبته لان الحكم المدعي يخدع العثمانيين انفسهم. فانه اذا قصد اظهار شيء يفسرون كلامه بما لم يخطر له ببال. ويكون المقصود الدفاع عن مركزهم من الاراضي العثمانية لصيانة صوالحنا فيفهمون انه عقد اتحاد كالذي كان جاريًا منذ عشرين سنة. وراي رجالنا الحربيين المتعلق بمساعدة العثمانيين يكدرهم اكثر من الانقياد الى روسيا. وقد اصروا على عسر فهم المقصود. فكل ما نقوله عن المداخلة العسكرية يفسرونه بالحصول على زيادة في قوتهم ويكون ذلك سببًا لتقوية عزمهم. فلا ينبغي ان نحمل مسؤولية جذبهم الى ما يضر بهم

وقد اصبحت مطالب روسيا امام العالم. وهي متضمنة ملخص المطالب الروسية الماخوذة من امور اشار اليها سفيرها على مجمع من سفراء الدول. وهي مؤلفة من ١١ امرًا بينها تفاوت في الاهمية. ولا ريب في انه يعسر على انفاذ بعضها مهما نشأ عن ذلك وبعضها ما يمكن العدول عنه او بد لا بما تطلبه الدول المحايدة. ولا نرى فيها ما يجعلها غير موافقة لتكون قاعدة للمفاوضة لعدم هذا لتها. فانها لا تمس الامرين الجوهريين اللذين لا بد للدول من المحافظة عليهما. وهما صيانة املاك السلطنة الصيانة المفهومة الان ومنع روسيا عن الحصول على نفوذ سطوة غير معتدلة بتقرير الاصلاحات وادارة البلاد بعد ذلك. ولا ريب في ان امورًا كثيرة هي مما لا يسلم به او لا يوافق بالنظر الى المطاليب التي قررها مكاتبنا.

وجمع سلاح المسلمين والمسيحيين في بوسنه والهرسك والبلغار من الاحتياطات التي يكون انفاذهما ذا نفع في اثناء التسوية. على ان الطلب التالي متعلق بانشاء حرس وطني وضابطة محلية يدخلها المسيحيون ايضًا ويكون عدد كل ملة فيها بحسب عدد اهاليها. فكل من الطلبين يبطل الطلب الاخر ما لم يكن جمع السلاح موقتًا. ولا ريب ان في البلاد اقوامًا يكدرون الراحة كالبلغاريين الذين اقاموا بالتعديات البلغارية ومن الواجب ان يجمع سلاحهم. اما الباقون فلا ينبغي ان يعاملوا تلك المعاملة وربما كان اعطا السلاح للنصارى باصول مقررة وجعلهم قوة منظمة مما يكفي لمنع وقوع التعدي. وتسوية المشكل لا يكون باذلال الفيئة السائدة بل بانهاض الفيئة المذلولة. واذا تم الاصلاح العظيم الذي طالما حرضت الدول الباب العالي عليه وهو ادخال النصارى بالتدريج او دفعة واحدة الى الخدمة العسكرية تزول المسالة الفرقية من تلقاء نفسها. والقيام بهذا الاصلاح ياتي بالتاثير الجيد ويحمل المسلم على اعتبار المسيحي اذ يراه قادرًا على ان يدافع عن نفسه حال كونه من العسكرية

اما اخراج الذين ليسوا من الاهالي من المامورية وجعل اللغة المحلية اللغة الرسمية فاصلاحات نافعة ويتيسر اجراؤها. ومن الصواب ان تصان الولايات من المامورين المختلفي الرتب الذين يتبعون كل حاكم ويحاولون ان يربحوا ما يتيسر ربحه من الاهالي في اقصر الاوقات. على انه ربما كان جعل الحاكم اجنبيًا مما ينفع وان يكون ذا اهلية منتخبًا حيثما يتيسر وجوده برضى الدول وذلك اهم من ان يكون من اهالي الولاية التي يديرها. ولا يعترض بشيء على جعل اللغة المحلية لغة رسمية. ومن الواجب ان يعمم ذلك ولو كان اهالي بعض الولايات يعرفون التركية حق المعرفة كاهالي الاماكن التي جرت فيها التعديات الاخيرة. والغا تلازم الاعشار من تلك الشروط وتحويلها تدريجيًا الى رسم منظم وان يكون تعيينها مفوضًا الى

الذين يقومون بدفعها · وهذا الاصلاح يشابه ماطلب عند تعيين القومسيون القونسلوسي لادخال العصاة ضمن ربقة الطاعة · وتسوية الادارة المالية تكون من اهم اشغال الجمعية الدولية . والطلب الاخير في الامور التي نذكرها الان انشاء قومسيون قونسلوسي للمناظرة على انفاذ الامور المذكورة · ولا بد من ان يكون ذلك من باب اتحاد الدول لصيانة الاملاك العثمانية وقد اجمع الناس المحبون للعثمانيين والمضادون لهم ان ثبوت الراحة في تلك الولايات يتوقف على انتباه اوربا بالمناظرة فهذه هي مطالب روسيا وهي تمس حقوق الباب العالي غير انها كلها تصلح لان تكون موضوعاً للبحث . واذا كانت روسيا راغبة في ان تخلص العالم من بلايا الحرب بتيسر الوصول الى قواعد التسوية المهمة

روسيا وانكلترا

ان ما ياتي هو ترجمة تحريرات صدرت من وزارة خارجية انكلترا ووردت اليها وفيها اظهار ميل حضرة امبراطور روسيا الى السلام واجتهاده بان يقرر ذلك في عقول الانكليز وقد حررت جريدة التيمس جملة سياسية جليلة بشانها ولامت فيها الوزير الاول على خطابه الحربي الذي نشرناه في جنة ماضية . فهذه ترجمة التحريرات المذكورة وما بعدها ترجمة جملة التيمس ولم تنشر في الجنة

في اوائل الماضي قابل سفير انكلترا في روسيا حضرة الامبراطور الروسي في اثناء المفاوضات المتعلقة بالسلام والهدنة . وفي اثناء الكلام قال للسفير ما ترجمته نقلاً عن تحرير نشرته حكومة انكلترا رقم ٣ الماضي

ان حضرة الامبراطور خصص كلامه بعلاقاته مع انكلترا . وقال انه يتاسف اذ يرى انه لا يزال في انكلترا ارتياب شديد ثابت في السياسة الروسية وخوف دائم من تعديات روسيا وفتوحاتها · وقد قلت بتاكيد جدي جداً انني لست براغب في الفتوحات وانني لست بطالب التوسيع ولا ارغب اقل رغبة في الحصول على الاستانة ولست بقاصد ذلك · وكل ما قد قيل وكتب عن وصية بطرس الاكبر وغايات كاترين الثانية وهم وتخيلات ليس لها وجود صحيح . وعندي ان الاستيلا على الاستانة يكون مصيبة لروسيا · ولم تجر المباحثة بشانها ولا خطرت لك المرحوم والدي بالمال وقد برهن على انه ليس براغب فيها سنة ١٨٢٨ عند ما اصبح جيشه الفائز في مكان يبعد عنها مسافة اربعة ايام · فاقول بشرفي المقدس والجد التام انني لست براغب في الاستيلاء على الاستانة العلية واذا ساقتني ضرورة الاحوال الى ان اجعل جنودي تحل في قسم من البلغار يكون حلولها فيها موقتاً الى ان يصان السلام وسلامة النصارى · اما ما طلب الى انكلترا مما يتعلق بحلول جنود نمساوية في بوسنه وروسية في البلغار و بالقيام بتظاهر بحري في الاستانة حيث يكون المركز الاول لبوارج انكلترا فينبغي ان يكون برهاناً على ان روسيا لا تقصد ان تحل فيها · ولا اعلم ماذا يمنع وقوع الاتفاق التام بيني وبين انكلترا حال كون مقاصدنا جميعاً واحدة وهي المحافظة على السلام وتحسين حالة المسيحيين ولا سيما بعد ان جئت بكل برهان لا يرد بانني لست بقاصد التوسيع ولا الفتوحات . و يكون ذلك الاتفاق مبنياً على سياسة سلام تنفع صوالحنا جميعاً وصوالح اوربا قاطبة . وقد قيل ان روسيا مصممة في الاستقبال على فتح الهند والاستيلا على الاستانة . مع انه ما من شيء اغرب من هذه التهمة · فان فتح الهند محال فعلاً · ولا ارغب في الاستيلاء على الاستانة ولا ارغب في ذلك

واكرر ذلك باقطع التاكيدات وقد تاسفت جدًّا مما اراهُ في انكلترا من عدم الاركان اليَّ وما نشا عنهُ من التاثيرات الردية فاطلب اليك بالحاح بان تفرغ جهدك في ازالة غيوم هذه التهمات وعدم الاركان الى روسيا وان تبلغ حكومتك التاكيدات الجدية التي اسمعتك اياها . انتهى .

وفي ٣ من الشهر المذكور كتب وزير خارجية انكلترا الى سفيرها في روسيا جوابًا على هذه التاكيدات ما ترجمتهُ

قد سرت حكومة انكلترا جدًّا بالتاكيدات التي ابلغكم اياها الامبراطور عن رغبتهِ الشديدة في تقرير اتفاق بينهُ وبين انكلترا والتكاتف في العمل وتاكيدهِ الجدّي بناموسهِ بانهُ ليس يقاصد الاستانة ولا الفتوحات . انتهى

وبعد ورود هذه التاكيدات وصدور الجواب لم تنشر انكلترا كلام الامبراطور على الامة الانكليزية بل خطب وزيرها الاول الخطاب الذي نشرناه في جنة سابقة في وليمة حاكم لوندرا وكدر الروسيين . فطلبت روسيا نشر كلام الامبراطور لتظهر عدم لزوم تهديدات الوزير وغير ذلك فاجاب وزير خارجية انكلترا بتحرير رقم ٢١ الماضي باسم سفيرها في روسيا وترجمتهُ

قد زارني سفير روسيا وقال انهُ قد وردت اليهِ اوامر من حكومتهِ ليطلب طبع تقرير سعادتكم المتضمن كلام الامبراطور لان فيهِ تاكيدات تريح افكار الناس . فاجبت انهُ ليس من العادة عندنا نشر تحريرات كهذه متعلقة بما لاتزال المخابرة جارية بشانهِ على اني بالنظر الى الحالة الجارية لا اقدر ان اتردد عن نشرهِ وتيسيرهِ حالاً . وخطر لي ان نشرهُ ربما يكون في محلهِ لان الابلاغ الاخيرة قد جاءتنا بافادات جمع قوة روسية عظيمة وعقد قرض جديد قدرهُ مائة مليون ريال مسكوبي

وهذه ترجمة كلام التيمس المذكور اعلاهُ

كل ما تمعن الانسان في التحريرات التي نشرتها الحكومة الانكليزية تعظم عندهُ اهميتها . ولا بد من ان نرجع بانفسنا بضعة اسابيع لنتمكن من ان نتراها في الظروف التي تحررت فيها فندرك المقصود منها ونتذكر الاحوال التي جاءت بها وكيف ان اوربا قاطبةً باتت مضطربة خوفًا من اضرام نيران حرب في الحال . ففي اول الماضي (تشرين الثاني) (نوفمبر) وصل اللورد اوغسطوس لوفتوس سفيرنا في روسيا الى بلتا من البلاد المذكورة وعين لهُ في اليوم الثاني وقت للتشرف بمقابلة حضرة الامبراطور اسكندر . وكان ذلك بعد ان ارسل ابلاغ روسيا النهائي او شروطها القاطعة الى الدولة العثمانية وقبل ان ورد جوابها . وكنا في الثماني واربعين ساعة في ذلك القلق الشديد نسمع الذين لم يكونوا يرغبون في ان يقبله الباب العالي يقولون انهُ لايمكن قبولهُ . ومن الامور الغريبة التي تستحق التامل ان سفير المانيا وصل الى المكان المذكور بوصول سفيرنا اليهِ وقال لهُ ان المامول ان الباب العالي يقبل بالهدنة اذا لم يضادها السار هنري اليوت سفير انكلترا في الاستانة العلية . ولا نظن انهُ خطر للسفير المشار اليهِ ببالٍ ان يضاد الهدنة . غير انهُ لو لم يكن قد تقرر في عقول الناس اثبت تقرير انهُ تحزب اشد التحزب للعثمانيين لما تفوه سفير المانيا بمثل ذلك وهو يكلم سفير انكلترا في روسيا . وقد استغربنا ان يظهر هذا الامر على تلك الصورة الى سفير انكليزي . والاهم من ذلك اظهار الاضرار التي لا بد من ان تكون قد وقعت من جرى ما تقرر في عقول الناس من تحزبات سفيرنا في الاستانة ومضاداتهِ وان تكون قد اثرت كثيرًا في كل مخابرة ومفاوضة جرت في الاستانة .

وكانت الامور على تلك الحال في اليوم الذي قابل فيهِ سفيرنا في روسيا امبراطورها واخذ في ان يتكلم بتاكيدٍ وتكرارٍ كلاماً قلبياً يدل على شدة رغبتهِ في السلام، وقد صدقهُ الناس في كل مكان وتقرر عندهم انهُ لم يكن راغباً في الفتوحات وتوسيع البلاد وان اشد رغبتهِ الفوز بالاتفاق مع انكلترا لتحسين حالة رعايا الباب العالي النصارى وارجاع السلام. فاذا كان كل كلامهِ وتاكيداتهِ كذباً بل لو خطر لامبراطور روسيا ببال انهُ يلتزم بان ينقض شيئاً منهُ بعد مرور ايام لحق به لوم اهل السياسة ولو كانت سياستهم من النوع الدني الذي كان جارياً في القرن الماضي. فانهُ لا يقدر ان يجد لنفسهِ عذراً بل يلتزم ان يقر بانهُ كذب حباً بالكذب. على ان في كلامهِ ما يدل على انهُ خارج من قلبهِ. فما هو يا ترى سبب مقابلتهِ لسفيرنا. ان لذلك سببين. فالاول وهو اهمها افراغ الجهد في سبيل اخراج الريب والشك من عقول كثيرين من الانكليز لانها قطعاً كل امل متعلق بالتكاتف على تقرير السلام. والثاني اقرب نفوذاً وهو الالحاح على حكومتنا بان تعقد جمعية دولية بالسرعة الممكنة. فقال للسفير بصدق تام انهُ قد قبل بكل ما طلب اليهِ ان يقبل بهِ للوصول الى تسوية ولو كان قد تقرر عندهُ انهُ اقل مما تقتضيهِ الاحوال وانهُ راغب جداً في ان لا ينفصل عن الاتحاد الاوربي. وانهُ قد سنح الزمان بفرصة جديدة. لانهُ كان يكاد يتاكد بان الباب العالي يقبل بالمدنة التي طلبها فمن اللازم التئام جمعية دولية في الحال لتجعل المطاليب الانكليزية قاعدتها. فقال بجد والحاح انهُ راغب في ان تلتئم الجمعية بالسرعة وان تبادر الدول الى ارسال اوامر الى سفرائها ليتفاوضوا حالاً في ما يتعلق بالسلام ابتدائياً وان يجعلوا قاعدتهم ما طلبتهُ حكومة انكلترا. فلو لم يكن راغباً في السلام لما الح بهذا الطلب. وابان بانهُ لا يرضى بان تمضي ساعة بعد قبول المدنة سدى. فطلب قبل ان صرح العثمانيون بقبولها بالحاح الى سفيرنا ان يصير الاهتمام بعقد جمعية للمفاوضة بموجب المطاليب الانكليزية وابان لهُ لزوم ذلك. ومن المعلوم عندنا ان ملخص كلام الامبراطور ارسل بالبرق حالاً الى اللورد دربي وزير خارجيتنا. وفي اليوم الثاني اخبرهُ بوصول تحريرهِ. وجرى ذلك في ٢ من الشهر المذكور وفي الرابع منهُ عقد مجلس وزاري وفي مساء ذلك اليوم ارسل تحرير الى سفير انكلترا في الاستانة فيهِ ان حكومة انكلترا قد صممت على ان تجدد الطلب الذي ابرزتهُ في ٥ الماضي وهو ان تلتئم جمعية دولية في الاستانة وقد تقرر عند الجميع ان انعقاد هذه الجمعية من اعظم الاجتهادات المصروفة في سبيل ارجاع السلام. وقد اثنى الناس علينا بسببها وتنظر الى الاستقبال بامل. ولكن اذا احببنا بان ننال الثنا فعلينا بسلوك طرق صفاء الباطن والخلوص بدعوة الدول الضامنة والباب العالي الى الجمعية. فكيف نقدر ان نحرم امبراطور روسيا من ذلك الثناء حال كونهِ سبقنا والح علينا بطلبهِ والفضل الاول لهُ. ولا ينبغي ان نشتغل هنا بالادعاءات بل بالاعمال. فاننا نحن وامبراطور روسيا في مركز واحد. فاذا كنا نومل بان يصدقنا الناس من الواجب ان نصدقهُ. واذا كنا نقر باننا نرتاب كل الريب في امانتهِ وصدقهِ فمن الواجب ان نعلم اننا نحن نتهم بالخيانة والكذب. وهذه كانت حالة الامور عندما اقيمت وليمة حاكم لوندرا منذ نحو خمسة عشر يوماً. ولو عرفنا حينئذٍ اما لنا وعلينا لوجدناها مختلفة كثيراً عما هي عليهِ الان. ولا نحب ان نطيل الكلام عن الطغيان الشديد المخيف الذي يتعلق بالحسد بين الامم وكدر الباطن عندما يقومون مقام التحريضات الصداقية

والاركان . ولا نرى لذة في التشكوت على اعمال دول اجنبية ظاهرة . ولا نقدر ان نصف الكدر الشديد الذي يلم بنا عند ما نرى ما يفتح بابًا لتشكوت الاخرين علينا

ومن الامور الموجبة الاسف ان نسمع كلامًا يبطل ما كان قد تقرر و يضعف اسباب السلم ووسائطه بعد ان ورد ملخص التحرير المورخ في ٣ من ذلك الشهر المتضمن كلام امبراطور روسيا و بعد ان طلب بالحاح عقد جمعية دولية تتفاوض بشروط انكليزية والقبول بذلك . ولا نقدر ان نمنع انفسنا عن الشعور بالاسف لانه لم ينشر كلام الامبراطور . فهذه الحوادث مهما يلقي صعوبات حال كوننا جميعًا راغبين في ازالتها فاذا كانت قد كدرت القوم في بطرسبرج كابقال لنا فهل نقدر ان نقول ان ذلك الكدر هو بدون سبب . ولا نبالغ اذا قلنا انه من الواجب في ادارة الامور السياسية الاجنبية ان نعتني على الاقل بان لا نكدر الاخرين كما نرغب في ان يعتني الاخرون بان لا يكدرونا . ولسوء الحظ قد راينا في التحرير الاخر الذي نشر يوم الثلاثاء عبارة يمكن ان يكون لها تاويلات ولا بد من ان تكون قد دخلته بالتصادف . فان اللورد دربي وزير خارجيتنا يقول فيه لسفيرنا في بطرسبرج انه قد قبل باجابة طلب روسيا المتعلق بنشر كلام امبراطور روسيا وقال بعد ذلك وخطر لي انه ربما كان نشرها نافعًا لان الايام الاخيرة قد جاءتنا بخبر تجهيز جيش روسي غير قليل واصدار قرض جديد قدره مائة مليون ريال مسكوبي . فما هو المقصود من هذه الزيادة في ذلك التحرير فتفسر بان اللورد دربي قد قال ان نشر كلام امبراطور روسيا نافع لان الحوادث الاخيرة قد ابانت بانه لا يستحق الاركان . وقد اشاع هذا التفسير الذين شانهم القاء الفساد لالقاء الشقاق والتفسير الثاني انه قد قال انه نافع لانه يرجح الافكار من جهة التاهبات الاخيرة لان الناس قد غلطوا في ما نسبوه اليها . وما من وزير خارجية ولا سيما اللورد دربي يرتضي بان يكتب توبيخًا بدون لزوم . ولا ريب في ان التفسير الثاني هو المقصود من كلام اللورد دربي . على انه اول من يقر بان سوء الحظ قد ادخل تلك العبارة المزدوجة المعنى . فهذه الامور الطفيفة ربما كانت تمس راحة العالم عند ما يكون ميزان الاستقبال في اضطراب . على ان المامول ان المعتمدين في هذه الحال يدخلون الجمعية الدولية في الاستانة تاركين ذكرى الاغلاط الماضية والخطا خارج ابواب قاعة الاجتماع .

آراء وتجهيزات

قد نشرت جريدة التيمس رسالة واردة اليها من مكاتبها النمساوي مورخة في اواخر الماضي وما ياتي ترجمتها

قد بلغت روسيا الدول مطاليبها المتعلقة بالاصلاحات التي قد امرت سفيرها في الاستانة بان يلقيها امام الجمعية الدولية . وهي بحسب الاحد عشر بندًا التي بعثت بها اليكم امس (قد نشرناها في الجنة) ومما يرجح الافكار ما نسمعه من ان روسيا لم تطلب فيها حلول جنود اجنبية في الولايات العثمانية الثلاث الشمالية لتاكيد جمع سلاح كل الاهالي . على انه موكد انه قد تقرر في عقول الروسيين انه لا سبيل الى جمع اسلحة المسلمين بدون حلول جنود اجنبية فيها . والظاهر ان سفير روسيا في لوندرا قد صرح بذلك وقال ان الجنود الفرنسوية حلت في سورية سنة ١٨٦٠ وانه ربما كان يوافق ان يطلب الى فرنسا ان ترسل جنودها هذه المرة ايضًا اذا مست الحاجة الى ذلك . والظاهر ان حكومة فرنسا قد رفضت

هذه المامورية . ويقابل ما تقرر عند الروسيين من لزوم حلول الجنود تصميم الباب العالي على مخالفته وقد امر سفراءه بان يبينوا ان الحضرة الشاهانية لا تقدران تسمح بحلول جنود اجنبية ولو كانوا من جنود اصدقاء الحلفا ولا تريد ان تسمح بهوان ما سمح بجريه في ولاية في اطراف السلطنة كسورية لا يجري في قلبها . وكل التحارير الواردة من روسيا والبلاد العثمانية والفلاخ والبغدان وغيرها مشحونة بذكر التجهيزات والاهبات . ومن العادة ان تفرغ الدول المتاهبة جهدها في ستر تجهيزاتها بل كان بعضها ينكرهـا او ينسبها الى اسباب ظاهرة او غير ظاهرة . اما الان فالظاهر ان كل فئة ترغب في اشهار تاهباتها . وربما كان ذلك مما يرجح الافكار لانه ربما كان المقصود منها القا الخوف في قلب الضد بالتجهيز ما لم يكن الاختبار قد ابان ان التجهيز منها كانت اسبابه من مسهلات الحروب

اما في روسيا فمركز التاهبات في بساربيا واودسا فالمكان الاول مركز الجيش الذي سيكون شغلة في البروث والثاني مركز الدفاع عن سواحل البحر الاسود . وللدفاع عن السواحل المذكورة قد صار الابتدا بتجهيز جيشين عددهما من ٥٠ الى ٦٠ الفا تحت قيادة الجنرال تودلبن المفوض اليه الدفاع عن جميع شواطي البحر الاسود وبحر الازرق . ولا نعلم هل الجيشان المذكوران من الجيوش الستة التي صدر الامر بتاهبها او منفردة عنها . على انة قد جاءت فرقة مشاة من ولنا وهي من المقاطعات التي جمعت جنودها وحلت في اودسا حلولاً يدل على انها ستطيل الاقامة فيها وهذا يرجح كون الجيشين المذكورين هما من الجيوش الستة التي صدر الامر بجمعها . ومع ذلك قد رجح الاهالي المحليون ان روسيا قد شرعت في جمع اكثر من العدد الذي امرت رسميا بجمعه . والاستعداد في المهات كاف لاكثر من الجيوش المذكورة . وقد جال الجنرال تودلبن البحث عن احوال الاماكن التي سلمت اليه ليعين اماكن انشا الحصون والاخاديد والحواجز وصفوف المدافع . واكثر الاماكن المعرضة قد جعلت ضمن خط الدفاع ومنها او باتوريا او انكرمان المشهورة في حرب القرم . وقد افرغت جهدها منذ حرب القرم في سبيل انشا طرق حديدية تامة للاجراءات العسكرية دفاعيا وهجوميا . وقد ظهر الان في بادي الامر نقص واحد وهو طريق حديدية تصل اماكن السواحل من اودسا الى تاغروق وذلك ينفع للدفاع عن السواحل . فان الطرق العظيمة الثلثة الممتدة من الشمال الى الجنوب وفروعها الغربية الى جهة البروث والدنستر والشرقية الى القوقاسوس والاورال بعضها متصل بالبعض الاخر بطرق عرضية ولكنها كلها الى الداخل حتى انة لا سبيل الى نقل الجنود والمهات عند الشواطي الا بقطع طريق طويلة . اما الجيش الجنوبي الذي عليه الاجرا فالمظنون انة يحل في البروث في اول كانون الاول (ديسمبر)

وبعد اجتماع الجنود المنتظر ان تعرض بحضور الامبراطور وولي عهده . فجنود الرديف والذين هم غايبون بالرخصة ياتون ادراكا بالاوقات المعينة واعداد كثيرة فيجمعون ويحلون ويلبسون ويرسلون الى الاماكن المقصودة بالطرق الحديدية . وفي كل يوم يخرج من اودسا وحدها ١٥ رتلاً بخاريا . وفي السنة الماضية انشات عمدة لنقل الجنود والمهات تحت رياسة رئيس اركان الحرب وعين لها مستخدمون من وزارات الحرب والداخلية والنافعة خلا المعاونين . وللاجرا مامور من اركان الحرب وكل الادارة في يده . وفي كل طريق حديدية مستخدمون ليعاونوه . ومنذ بضع سنين جعلت روسيا قرعة على الافراس

وقد انفذت في كل مكان جرى فيه جمع الجيش . والظاهر انها جارية بضبط وسرعة . لانه فرض على اهالي بسارابيا ١٤ الف فرس فقد اعطوا عشرة الاف فرس . وقد ظهر من تلك الاستعدادات ان مقصود روسيا ان تجعل الخدمة التي تقوم بالنقل ذات ضبط عظيم وغير موثرة بما ربما كان يجري في البلغار . وقد اتى بمركبات كثيرة كبيرة ذات دولابين الى بسارابيا وترسل منها الى البروث . وبالنظر الى الموانع الكثيرة التي تنشا عن نهر الطونه في البلاد العثمانيـــة وتمنع الهجوم لاتكون تلك الاستعدادات عظيمة . وقد اعتنت روسيا اعتناء كليًّا بالمدافع وسيكون للجيش الجنوبي منها زيادة عن العدد القانوني . وقد قيل ان مواد مدافع ساحة القتال جيدة جدًّا بخلاف اسلحة المشاة فان بعضهم مسلح ببندقية بصدن والبعض الاخر حامل بندقية كركا وليست بجيدة

وترافق هذه التجهيزات محاولة جعل هيجان الامة الروسية يبلغ الدرجة القصوى . فالجرائد الروسية الخاضعة لضبط شديد تنشر كل يوم جملاً طويلة حربية . وقد وردت خطب وتحريرات من كل الجهات فيها وصف سرور الناس بما فاه الامبراطور به في موسكو وتبين اركانهم اليه وحبهم له . مع اظهار استعدادهم للتضحية ما تلزم تضحيته في سبيل نوال المرام المقدس عندهم . وقد اشتهر امر الامراء ونواب المدن في موسكو بذلك على ان اهالي الاماكن المعرضة للقتال كاودسا اخذوا يهتمون في ما يتعلق براحتهم وامنيتهم . فتراهم يبيعون اوراقهم المالية الروسية واسهم الطريق الحديدية ويستعدون لان يتوغلوا في الداخل

ونسمع ايضًا عن تجهيزات عظيمة جارية في الجهة العثمـــانية . وقد نشرت جريدة البولتيكش كوريسبوند ابز رسالة واردة اليها من روستجق رقيم ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) مالها انه قد صار تجهيز ٦٠ طابورًا من النظام و٢٤ من الرديف و١٨ من الجنود الغير المنظمة وانها كلها جاءت ولاية الطونه منذ اول الشهر المذكور . ولا يزال الجمع جاريًا حتى ان المنتظر اجتماع مائة وخمسين الف جندي في ١٥ يومًا في شملا . وسيجمع جيش فرسان لا يكون عدده اقل من عشرين الفًا . ويقال ايضًا انه قد صار معه ٢٤ مدفعًا من مدافع ميدان الحرب . وقد صار الاسراع بالتجهيز حتى انه يقال ان العثمانيين يبادرون الى الحرب اذا مست الحاجة اليها مبتدئين بالهجوم ذاهبين الى الفلاخ والبغدان عوضًا عن أن ينتظروا حمل الروسيين عليهم وجمع مركبات نهرية كثيرة لنقل المهمات مما يجعل سبيلاً لتصديق ذلك غير انه ربما كان سبب ذلك كثرة انهار البلغار . وقد جمع من الصنف الاول والثاني من الرديف ٥٠ الف رجل وسيجمع الثالث ايضًا اذا لزم ويقال ان عدده مائتا الف جندي . ويقال ان الصنف الثالث يجعل بدل النظام الموجود في الولايات وبعضه يكون حرسًا في الاستانة . وسيبدل الحرس السلطاني في نيش بخمسين طابورًا فقط فانه يقال ان ذلك كاف لدفع السربيين اذا انتشب القتال في تلك الجهة

تحرير اللورد دربي

قد نشرت جريدة التيمس صورة التحرير الذي بعث به اللورد دربي وزير خارجية انكلترا الى سفيرها في عاصمة روسيا بشان المسالة الشرقية ليبلغـــه الى الحكومة الروسية . وقد نشرناه ليكون تاريخًا للمخابرات وسبيلاً لازالة الاوهام من جهة اميال الدول وهذه ترجمته

من وزارة خارجية انكلترا في ٣٠ تشرين

الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٦

ياسيدي . قد حل الزمان الذي ربما كان في تاييد اجتهادات حكومة انكلترا المصروفة في سبيل المحافظة على السلام في شرقي اوربا فائدة . لتبين بضبط المركز الذي اتخذته لنفسها في اثناء المخابرات . ولما رات ان مداخلات الدول التوسطية مما تقبل به السرب والجبل الاسود اخبرت مستر ويت وكيلها السياسي وقنصلوسها الجنرال في بلغراد في ١٤ اب (اوغسطوس) انها لا تعرض توسطها قبل ان يطلب اليها ان تتوسط الامور ومع ذلك فوضته ان يخبر البرنس ميلان بانه اذا طلب الى الدول ان تتوسط امره تصغي انكلترا بقبول الى طلبه . وفي ١٤ اب (اوغسطوس) وردت رسالة برقية من مستر ويت وفيها ان البرنس ميلان طلب الى وكلاء الدول الست ان يبلغوا دولهم انه طالب عقد الصلح بين الباب العالي والسرب والانقطاع حالاً عن القتال للوصول الى ذلك . وانه يرى موافقة في ان تكون التسوية شاملة للجبل الاسود . فسرت حكومة الانكليز بورود هذا الطلب وبادرت الى تبليغه الى الدول وقالت لسفيرها في الاستانة ان يبين للباب العالي عظم اهمية عدم اضاعة هذه الفرصة الممكنة من عقد الصلح . لانه اذا استمرت المقاتلات فربما كانت تتداخل بعض الدول فتضر بالدولة العثمانية ضرراً مبيناً . ومضت مدة قبل ان قبل امير الجبل الاسود بموافقة السرب على طلبها وتقرر قبول الدول بذلك . وجرى هذا لمنع حصول مشكل بسبب كيفية المخابرات لان النمسا اعترضت على ارسال تحرير من كل الدول . وفي اول ايلول (سبتمبر) ابتدات حكومة انكلترا بارسال اوامرها الى سفيرها في الاستانة بان يطالب الى الحكومة العثمانية عقد هدنة لا تكون اقل من شهر المفاوضة حالاً بشروط السلام . وان تكون الهدنة شاملة لجميع المتحاربين . وعضد سفراء سائر الدول سفير انكلترا بهذا الطلب . على ان الباب العالي امتنع عن قبول هدنة مع ان سفير انكلترا كان قد بالغ في الالحاحات التي أُمر بان يبالغ فيها . وفي ١٤ ايلول (سبتمبر) وردت المذكرة العثمانية جواباً على مطاليب المتوسطين . وفيها الشروط التي يقبل بان يجعلها الباب العالي قاعدة لعقد الصلح وهي

اولاً انه من الواجب ان ياتي امير السرب الى العاصمة ليقوم بواجبات الخضوع للحضرة الشاهانية

ثانياً ان القلاع الاربع التي سلمت حراستها بموجب فرمان سنة ١٢٨٣ الى امير السرب حال كونها كانت بيد الجنود العثمانية ينبغي ان ترجع الى الجنود الشاهانية . وتصير المحافظة بالنظر الى ذلك على مآل الاتفاق المورخ في ٨ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٦٢

ثالثاً ان تبطل السرب عسكر الجرس . وان لا يكون عدد الجنود اللازمة لحفظ الراحة الداخلية في الامارة اكثر من عشرة الاف رجل ومن صنفين من المدافع

رابعاً ان يصير انفاذ مآل فرمان سنة ١٢٤٩ بارسال السرب اهالي الاماكن المجاورة الى بلدانهم التي هاجروا منها . وان تهدم كل القلاع الجديدة بحيث لا يبقى غير القديمة

خامساً اذا عجزت السرب عن دفع الغرامة التي تعين فتصير زيادة المرتب السنوي بقدر فائض الغرامة

سادساً ان يتقرر للحكومة العثمانية حق انشاء طريق حديدية وتشغيلها بوكلائها او بشركة لوصل بلغراد بنيش

وذكر في هذه المذكرة ان الحكومة العثمانية جعلت هذه الشروط خاضعة لحكم الدول المتوسطة

ومن جهة الجبل الاسود ارادت ان ترجعهُ الى حالتهِ السابقة للحرب . وانهُ عند ابراز الدول رايها بشان هذه الشروط يصدر امر الباب العالي بالانقطاع عن القتال في ٢٤ ساعة وبارجاع الصلات الصداقية .

واخبر في اثناء ذلك تراجمين السفارات بان الباب العالي لا ينتظر حكم الدول ولكنهُ تدصم على ارسال اوامر في ذلك المساء او في الصباح بتوقيف القتال . وانهُ لما كان قد انفذ طلب الدول قد علق الامل بانها تحتمل الاميرين على ارسال اوامر كهذه الاوامر

ولما سمعت حكومة انكلترا بذلك سرت وارسلت اوامر الى مستر ويت باب يلح على امير السرب بارسالها اذا مست الحاجة الى الالحاح . وتخبرنا بانهُ ينبغي ان يفهم ان الحاح انكلترا لا يدل على انها قد ارتضت بالشروط التي طلبها الباب العالي لانها رات ان بعضها ما لا يسلم بهِ . وفي ١٧ ايلول (سبتمبر) قرر السار يوزكتان ان الباب العالي قد قرر كتابة بالانقطاع عن القتال الى اليوم الخامس والعشرين من ذلك الشهر . وفي ١٨ منهُ أُمر سفير انكلترا في الاستانة بان يخبر الباب العالي بان حكومة انكلترا قبلت بان يكون الانقطاع عن القتال كهدنة موملة بانها تطال لدى الاقتضاء . وانها قد رات من كلام سفير روسيا ان حكومتهُ توافق انكلترا على رايها

وفي اثناء ذلك وجدت حكومة انكلترا ان الباب العالي اعترض على المدنة غير انهُ مستعد للمفاوضة بشان شروط الصلح فخابرت الدول بشان ما يوافق ان يكون قاعدة للتسوية وارسلتها الى سفير روسيا في بادي الامر وهي الاتية

ارجاع السرب والجبل الاسود الى ما كانتا عليه هذا بدون ان يكون ارجاعها الى نفس تلك الحالة وانشا اصلاحات ادارية في بوسنه والهرسك باعطاء استقلال اداري لها

اعطا ضمانات من ذلك النوع (اي استقلال اداري) لمنع اساة الادارة في البلغار . وان تصير المفاوضة بما يتعلق بتفاصيل هذه الامور

واضيف الى ذلك ان الامور التي لا يسمح بها هي احداث تغيير في معاهدة باريز لا يوافق السرب واعادة حق الدولة العثمانية بوضع الحراس في القلاع السربية وعزل البرنس ميلان

والحكومة النمساوية اعترضت على منح الاستقلال الاداري الى الولايات العاصية . فقيل ان المقصود من استقلال الادارة المحلية في بوسنه والهرسك انما هو انشاء نظام محلي يجعل للاهالي يدًا في ادارة امورهم المحلية وضمانات تضمن انفاذ السطوة المطلقة . وانهُ لم يقصد انشا امارة تحت سيادة الباب العالي . ولما وردت هذه التوضيحات الى الحكومة النمساوية قالت انها تقبل بقاعدة هذه الشروط وقالت انها تود ان يقرر رسميًا ان الاصلاحات التي طلب الى الباب العالي ان يمنحها وقبل بمنحها بموجب لائحة الكونت اندراسي ينبغي ان تكون قاعدة الاستقلال المحلي

فاجمعت الدول على رفض مطاليب الباب العالي وعلى ان ترتضي بان تشور بانفاذ القواعد التي طلبتها الحكومة الانكليزية . ولذلك صدرت الاوامر الى سفيرنا في الاستانة العلية بان يبلغ الباب العالي رسميًا ان الشروط الاتية هي ما ظهر للحكومة الانكليزية بانها ما يوافق ليكون قواعد للتسوية وهي

اولاً المحافظة على الحالة السابقة في السرب والجبل الاسود مع احداث تغيير قليل

ثانيًا ان يتعهد الباب العالي في صك (بروتوكول) يمضى في الاستانة العلية مع سفراء الدول المتوسطة

بان يمنح بوسنة والهرسك استقلالاً محلياً ادارياً اي نظاماً محلياً يجعل للاهالي يداً في ضبط امورهم المحلية وضمانات تضمن انفاذ السطوة المطلقة . وان لا يكون لذلك تعلق بانشاء امارة وان تقوم بضمانات كتلك الضمانات لمنع سوء الادارة في البلغار . وان تصير المفاوضات بتفاصيل الاصلاحات البلغارية فيما بعد . وامر سعادة السفير المشار اليه بان يخبر الباب العالي فضلاً عن ذلك ان الاصلاحات التي قد قبل الباب العالي بها بتحرير بعث به الى سفراء الدول في ١٣ شباط (فبرايه) الماضي يكون متضمناً في التدبيرات الادارية في بوسنة والهرسك وفي البلغار على قدر ما تختص بها . وان استمرار القتال في اثناء المفاوضة بشروط الصلح بين الدول والباب العالي مما لا يوافق فينبغي ان يقرر اتفاق حالاً لعقد هدنة رسمية

وبعد ان شاور السفير سائر السفراء بلغ الاوامر المعطاة له . وفي ٢٥ ايلول (سبتمبر) بلغ شروط الصلح التي طلبت حكومة انكلترا تقريرها . وبعد تبليغها بايام قليلة عضدها سفراء الدول كلهم ومنهم روسيا . وفي ٢٤ منه قرر ان الباب العالي لم يقبل بعقد هدنة رسمية ولكنه كان مرتضياً بان يطيل متاركة القتال الى ٢ تشرين الاول (اوكتوبر) على ان امير السرب رفض ذلك واظهر استعداده لعقد هدنة اصولية وليس متاركة كالماضية وقال انها غير موافقة . فاجابت حكومة انكلترا بانها متعجبة من تصرف السرب لانها بعد ان طلبت مداخلة الدول استنسبت رفض اطالة زمان انقطاع القتال الذي عرضته الدولة العثمانية بدون ان تشاور الدول حال كون الاجتهادات مصروفة في تحصيل شروط موافقة لما ليس لها حق فيها بحسب نتيجة الحرب . واستحسنت ان تقول ان محاولة قواد السرب الرجوع الى القتال يجعل السرب مسئولة في العواقب ويخسرها عضد انكلترا . ومع ذلك رجعت الى القتال وقد اوضح لي سفير روسيا هنا تصرف حكومته قائلاً انها اشارت على السرب بعدم الرجوع الى القتال غير انها لم تلح بذلك لانها طلبت منذ البداية عقد هدنة اصولية وفي اثناء ذلك ظهر ان الباب العالي يضاد جداً امضاء الصك المذكور بالتعهد باصلاحات في الولايات العاصية وقال ان ذلك يضر بسطوة الباب العالي ونفوذه في كل السلطنة ويضاد تسمية تلك الاصلاحات بالاستقلال المحلي الاداري

وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) بلغني الكونت شوالوف سفير روسيا هنا ان حكومته تطلب حلول جنود نمساوية في بوسنه وروسية في البلغار اذا رفض الباب العالي شروط السلام وان تدخل بوارج الدول المتحدة البوسفور . وان روسيا ترتضي بان تكتفي بدخول البوارج اذا رات انكلترا ان تظاهراً حربياً يكون كافياً . وبعد ذلك وصل الجنرال سوماروكوف الروسي الى فينا عاصمة النمسا طالباً ذلك الطلب . وفي ٢ تشرين الاول (اوكتوبر) طلب الي سفير روسيا هنا بان ترجع الدول الى طلبها الابتدائي وهو عقد هدنة اذا لم يجب الباب العالي جواباً موافقاً متعلقاً بما طلب اليه ان يقوم به . فقال السفير انه يبلغ ذلك حالاً الى ليفاديا . وفي اليوم الثاني اتاني وقرا علي رسالة برقية من البرنس كورتشاكوف كانت قد وردت اليه على انه لم يكن عارفاً بها كيف انها كانت جواب تبليغه المذكور . وهذا مآل رسالة البرنس

انه لم يصر عقد هدنة اصولية كافية بالنظر الى طولها وقد صادفت مخابرات السلام صعوبات غير منتظرة في الاستانة ولذلك قد صار الرجوع الى القتال في وادي مورافيا . والحكومة الروسية لا تقدر ان تغض النظر عن هرق الدماء الناشي عن ذلك

وقد طلب الامبراطور الى الدول الضامنة بان تحجب الدما وان تحمل الدولة العثمانية ومحاربيها على قبول هدنة ستة اسابيع لتحصل الدول المتوسطة على الزمان الكافي للتبصر في المشاكل الجارية . انتهى

ولم ارَ صعوبة في تبليغ هذا الطلب الى ارفاقي في الوزارة واخبرت سفير روسيا بان الحكومة الانكليزية قد صممت على عضد عقد هدنة لا تكون اقل من شهر وان يكون ذلك تابعاً لرفض الباب العالي الشروط التي جعلت اساساً للسلام . على انها لا تقدر ان توافق روسيا على حلول جنود اجنبية ودخول بوارج الدول المتحدة الى البوسفور اجابة لطلب البرنس كورتشاكوف . فصدرت الاوامر الى سفيرنا في الاستانة في ٥ من الشهر المذكور بانه اذا رفضت شروط الصلح التي طلبها الدول يلح على الباب العالي بان يمنح هدنة لا تكون اقل من شهر عوضاً عن ذلك وان يخبره بانه عند عقد الهدنة قد طلب عقد جمعية . وان يخبر الباب العالي بانه اذا رفض الهدنة قد أُمر (السفير) بان يخرج من الاستانة لانه يكون قد ظهر ان استمرار اجتهاد انكلترا المصروفة في سبيل تخليص الباب العالي تذهب سدى . وبادرت حكومة انكلترا الى ابلاغ الدول طلب الهدنة المذكورة وانه قد تقرر عندها (انكلترا) انه من الواجب ان تتبع جمعية دولية عقد الهدنة

فاجمعت الدول على تعهد بطلب عقد هدنة على انه وقعت بعض اعتراضات واستفسارات على عقد جمعية دولية . فحكومة النمسا بعثت بتحرير الى سفيرها في لوندرا رقم ٩ تشرين الاول (اوكتوبر) وقد بلغني ملخصه ذلك السفير ومآله ان الحكومة النمساوية لا ترغب في ان تضاد ابداً انكلترا غير انها طلبت ايضاح الامور الآتية وهي

اولاً هل يكون للباب العالي دخل في الجمعية الدولية

ثانياً اين تجتمع الجمعية المذكورة

ثالثاً هل تؤلف الجمعية من سفراء الدول الاجنبية او يرسل اليها معتمدون

رابعاً ما هي القواعد التي تكون اساساً لمفاوضاتها

وقالت الحكومة النمساوية ان الاجوبة التي تصدر عن هذه السؤالات تجعلها ترى هل تقدر ان تقطع النظر عن اعتراضاتها على الجمعية او لا . وكان قد تقرر عندها ان قوسبوناً في الاستانة كالذي طلب عقده أوفق من الجمعية ويصرف زمان الهدنة بما يكون انفع . ولم يطلب سفير النمسا جواباً حالياً على سؤالاته فقلت له لا بد من ان امتنع عن ابراز رائي بشان السؤال الاول وهو هل يكون للباب العالي معتمد في الجمعية . فانه يلزم ان اقف على اراء الدول الاخرى فانني لا ازال اجهلها . وكذلك لا ابرز رائيي المتعلق بالسؤال الثاني . على انني اميل الى ان اقول شخصياً ان الاستانة اوفق الاماكن لاسباب مختلفة . اما السؤال الثالث فاقول ان حضور السفراء في جمعية ربما كان يطول زمانها مما لا يوافق من اوجه كثيرة . واقول عن السؤال الرابع انني اوافق الكونت اندراسي على ان جمعية بدون قواعد ربما كانت لا تاتي بنتائج جيدة . وعندي الاوفق ان يسبق الاجتماع اتفاق محدود او غير محدود . على ان شروطه مهما تزيده دقة في التقرير ولا اقول الا انه من الواجب ان تعرض للدول اصولياً

اما الحكومة الروسية فالظاهر انها كانت ترغب في ان تقرر عدم دخول معتمد عثماني الى الجمعية كلها او الى مفاوضاتها الابتدائية . وهذا ما يجعل عقدها في الاستانة مما لا يرغب فيه

وفي تحرير بعثت به الى سفادتلك (سفير انكلترا في روسيا) في ١١ تشرين الاول (اوكتوبر) ذكرت

تقاطر المتطوعة الروسية الى السرب وكنت قد تحدثت انا وسفير روسيا هنا بشانه ·وذكرت وقوع حكومة الفلاخ والبغدان في ارتباك من جرى مرورها في اراضيها وقلت انه تقرر عند حكومة انكلترا انه يحق لحكومة امير الفلاخ والبغدان ان تشكي لان اجتهادها الذي المصروف في سبيل المحافظة على الحيادة ذهب سدى·وقلت ايضاً ان حكومة انكلترا تكون اخر الحكومات التي تشور بمنع اظهار الاشتراك بالحاسيات مع قوم يحاولون ادراك امر عام ما دام ذلك لا يتجاوز الحدود المقررة في القوانين الدولية ·على ان دخول ضباط وجنود روسيين في الجيش السربي قد كثر حتى انه يكاد يبلغ درجة المساعدة الوطنية· وانه لو كان امبراطور روسيا راغباً قلبياً في الوصول الى نهاية الحرب سلمياً بمدة قصيرة كما تقرر عند الحكومة الانكليزية لما قدر ان يغض النظر عن الموانع التي تلقى في سبيل التسوية بذلك التطوع · فالمساعدة التي تعطى للسرب جهاراً لا بد من ان تهيج افكار الوزراء العثمانيين وتقلقها وان تعظم امال الحكومة السربية وتضعف ميلها الى شروط عادلة · وفضلاً عن ذلك ينشا خطر عن وجود عناصر اجنبية عظيمة في الجيش السربي لانها وبما كانت تسوق الى العصيان على الاوامر وتجعل قوادها روسا حربيين غير خاضعين لحكومة البرنس ميلان وغير طائعين له ·ورغبت الحكومة الانكليزية في ان تبلغ هذه الامور الى حضرة الامبراطور ومشيريه تبليغاً موثراً وصدرت اليك الاوامر باستغنام فرصة لتبليغ ذلك الى الحكومة الروسية·

وفي ١٣ تشرين الاول (١٠ اكتوبر) ارسلت الحكومة العثمانية الى سفرا الدول المتوسطة في الاستانة تحريراً قالت فيه انها فهمت مطاليب الدول المتعلقة بارجاع السلام الى السرب والجبل الاسود بالاستناد الى ارجاعهما الى ما كانتا عليه وانها مستعدة لان تقبل بحكم الدول المتعلق باطالتها وبعقد هدنة اصولية ·على انها رات لزوماً لجعلها ستة اشهر من اول تشرين الاول (اكتوبر) الى ٣١ اذار (مارس)· وطلبت الى الدول تعيين معتمدين لتقرير شروط الهدنة في مكان الحرب وقالت انها مستعدة لاصدار الاوامر الحالية الى قواد الجيوش بان يصدروا الاوامر اللازمة الى جنودهم · وبعد ذلك يعقد اتفاق بين معتمدي الدول وقواد الجيوش المتحاربة بشان تفاصيل الهدنة وعدم تمكين السربيين من الحلول في المراكز التي استولت عليها الجنود العثمانية · وان الباب العالي يومل بان الدول تتخذ الوسائل اللازمة لمنع دخول السلاح ومهمات الحرب الى الامارتين ومنع تقاطر المتطوعة وانه متاكد ان الدول تلح على الامارتين بالمحافظة بضبط على شروط الهدنة وبالامتناع عن تحريض اهالي الولايات المجاورة على المجاهرة بالعصيان وعن امداد العصاة ·

وفي ذلك اليوم نشرت نظامات اصلاحية عمومية للسلطنة العثمانية وبلغت ملخصاً في ٢٠ من الشهر المذكور بواسطة السفير العثماني · وهي منحصرة انشا مجلس اعيان ومجلس مبعوثين ليتفاوضا بشان المالية والاموال الاميرية وتنظيم تلك الاموال والادارة في الولايات واجرا كل نظاماتها وتوسيع نظام الانتخابات وغير ذلك من الاصلاحات ومنها الامور الاجرائية التي طلب ادخالها الى بوسنه والهرسك ·

وعند ما بلغني بالبرق من سفيرنا في الاستانة ان الباب العالي مصمم على منح هدنة ستة اشهر الححت على سفيري روسيا وسفير النمسا هناك بان يحملا حكومتيهما على حمل السرب على قبولها نظراً لاهميتها · والححت

بذلك بواسطة سفارا تنا في بار يز و برلين و بطرسبرج ورومة وارسلت اوامر بهذا الشان الى بلغراد والجبل الاسود. فقال سفير روسيا انه يرتاب في قبول الهدنة في ليفاديا . فرايت من الصواب ان احذر سعادته بقولي له انه مهما كان غيظ الامة الانكليزية من التعديات القاسية التي جرت يبدل بها يخالفه كثيراً اذا تقرر في عقلها ان الاستانة العلية امست مهددة . وقلت ان رفض روسيا لما طلبت الدولة العثمانية اجراءه يدل على تصميمها على المحاربة اذا كان ذلك صوابًا او خطا . ورجوته بان لا يترك شيئًا من جهده ليفهم حكومته اراء الامة الانكليزية بهذا الشان

وفي ١٢ منه بلغني من سفيرنا في باريز ان الحكومة الفرنسوية ستبادر الى ارسال اوامر الى وكيلها في بلغراد للالحاح على الحكومة السربية بقبول الهدنة . وفي ١٢ منه اخبرني سفير النمسا ان حكومته قبلت بهدنة ستة اشهر وستفرغ جهدها في حمل الدول الاخرى على قبولها وفي تقريرها في السرب والجبل الاسود . وقالت انها لا تقدر ان تقرر سياستها المختلفة بجمعية دولية قبل ان تعلم قواعدها . وان عدم قبول معتمد عثماني يضاد معاهدة باريز . وعلمت انها تجعل امر الهدنة وامر الجمعية امرين منفصلين وان تعقد الهدنة بدون ان تلقي في ارتباك بالمفاوضة بامور استقبالية . وفي ١٢ منه ضاد وكيل سفير روسيا في الاستانة عقد هدنة طويلة . فقال له سفيرنا انه منذ برهة قصيرة طلبت حكومته هدنة ثلثة اشهر . فاجاب ان الاحوال قد تغيرت وانه لا يظن ان حكومته ترتضي بالهدنة الطويلة

وفي ١٦ منه بلغني الكونت شوالوف سفير روسيا هنا رسالة برقية واردة اليوم من البرنس كورتشاكوف رقم ١٤ منه في ليفاديا وترجمتها اننا لا نظن ان هدنة ستة اشهر لازمة ولا موافقة لتقرير سلام ثابت فقد رشحنا فيو . ولا نقدر ان نلح على السرب ولا الجبل الاسود بان يقبلا باطالة صعوباتهم الحالية بدون ان تكون العاقبة موكدة . وعندنا ان حالة اوربا كلها المالية والتجارية الردية تقضي ايضًا بهذا التاخير فلا بد من ان نصر على هدنة شهر او ستة اسابيع وهي التي طلبتها انكلترا في بادي الامر وان تطال اذا ظهر لزوم لاطالتها بجرى المفاوضات انتهت . فقلت له انني قد تكدرت من هذا وان طلب انكلترا عقد هدنة لا تكون اقل من شهر فلا نعترض على هدنة اطول . والحكومة الايطاليانية ترددت عن قبولها

وبالنظر الى هذه الظروف استحسنت حكومة انكلترا ان تستنجد حكومة المانيا التي لم تظهر اراءها مع فريق من الفريقين فطلبت الى سفير المانيا ان يطرح الامر امام الوزارة الالمانية وان يسالها هل ترى فرصة لافراغ نفوذها في سبيل الوصول الى تسوية تبعد الخطر الذي كانت كل الظواهر تدل على انه سيقع بخلاف ظاهري بين روسيا والعثمانيين . وفي ١٦ منه بلغني جواب البرنس بسمارك وهو ان الحكومة الالمانية رات ان هدنة ستة اشهر مما يقبل . وكانت ترغب في ان تقبلها روسيا ولكن بالنظر الى المركز الذي اتخذته لنفسها لم ترَ من الاصابة ان تلح على دول اخرى بقبول ما ترفضه . وانه ربما كانت هدنة ستة اسابيع مما ياتي بالتسوية

ولما رات الحكومة الانكليزية بالاحوال التي كانت جارية ان الحكومة الروسية منعت بتصرفها حمل السرب والجبل الاسود على قبول هدنة ستة اشهر رات ان اجتهاداتها تذهب سدى . ولذلك اخبرت سفير روسيا ان انكلترا قبلت بهدنة ستة اشهر فلا تمنع ولا تشور بامور جديدة وانها لا تعترض اذا ارتضى الباب العالي بمدة اقصر على انها لا تلح

علمي بقبولها

وبعد ذلك اخبرني سفيرنا في الاستانة العلية بان الباب العالي اخبر حكومة روسيا انه يقبل بهدنة ستة اسابيع بشرط تجديدها بعد انتهائها اذا لم تنتهِ المخابرات بنهايتها واطالتها شهرين بعد ذلك اذا لم تنتهِ بنهاية المدة الثانية

ففي الملخص المذكور اعلاه قد ابنت مجاري المخابرات والاجراءات التي اقامت بها حكومة انكلترا لتلقي الاتفاق بين الدول . ففي بادي الامر طلبت السرب اليها المتوسط فحصلت على عقد كل الدول لتطلب الى الباب العالي عقد هدنة لا تكون اقل من شهر وعندما قدم الباب العالي شروط صلح مقابلة لذلك قدمت الحكومة الانكليزية لروسيا في بادي الامر ثم الى سائر الدول اموراً تقرر عندها انها تصلح لان تكون قواعد للتسوية فقبلتها الدول بها . وبعد ذلك وقعت صعوبة ناشئة عن تمنع الباب العالي عن قبول هذه الشروط فطلبت انكلترا بالاتفاق مع روسيا الرجوع الى الهدنة والحث على الباب العالي بقبولها بافعل الوسائط التي تسمح بها اصول السياسة الخارجية . واشارت بانشاء جمعية دولية وقد رات بما جرى انها تكون مقبولة عند روسيا . وحدوث الموانع التي جعلت نوايا الحكومة الانكليزية تذهب سدى لم ينشأ بتقصيرها عن ملافاة الاعتراضات بالرقة وحب السلام . والمقصود من ذلك اجمع انما هو الوصول الى تسوية ثابتة سريعة . وقد رات ان استمرار الحرب الحالية التي ابتدي بها بدون المبالاة بمضادات روسيا وسائر الدول العمومية مما يوجب الاسف لانها غير لازمة . لانه ليست لها غايات ظاهرة يطلب بلوغها حال كونها لاتدرك بالمفاوضات السلمية . فانه قد ظهر منذ زمان طويل ان اجراءات السرب والجبل الاسود بدون اسعاف لاناتي بنتيجة متعلقة بتحسين حالة الولايات الثائرة العثمانية ورعايا الدولة العثمانية الغير المسلمة . وانه منذ وقوع هذا الامر في ايدي الدول المتوسطة لم يكن هرق الدماء الا لازدياد ضيق الاهالي وتعاستهم.

وقد افرغت حكومة انكلترا كل جهدها في سبيل انقطاع الحرب وعقد الصلح وهما ما طلبت اليها السرب والجبل الاسود المتوسط لدى وقد تقرر عندها ان ذلك يدرك بهدنة طويلة ولذلك عضدت طلب الهدنة الطويلة فانها عرفت انها عبارة عن الصلح . ولم تر ان تلك المدة مما لا يحق طلبه . لان المفاوضات التي جرت سنة ١٨٦١ لوضع نظام لبنان استمرت من ٢٢ كانون الثاني (جانيوري) الى ٩ حزيران (جون) . وقد تاسفت اذ رات ان النفوذ كان لمشورات اخرى فاستمرت الاحوال المرتبكة مع الضيق التجاري والزراعي الذي لابد من ان ينشأ عنها في السرب والجبل الاسود والاماكن المجاورة لهما . ولاترى في استمرار امكانية انتشاب الحروب غير خراب لكل البلدان التي لها علاقة بها فتترغب بكل ما ياول الى نهي اضطراب كهذا الاضطراب على انها لاترى ان القيام بمطاليب جديدة متعلق بها . وهي ترغب جداً في ان توافق الدول الاخرى على كل اسباب التسوية التي تتفق عليها وتمتنع من ان تتعهد بشيء من شانه تقييد حرية اعمالها في الاستقبال اذا مُست حقوق انكلترا وصوالحها

فاطلب الى سعادتك (سفير انكلترا في روسيا) ان تقرأ هذا التحرير على البرنس كورتشاكوف وان تعطيه صورة منه وقل له انه موكد عند حكومة انكلترا انه يرى فيه برهاناً واضحاً يثبت رغبتها الشديدة في موافقة الدولة الروسية والمحافظة على الصلات الجيدة الجارية بين انكلترا وروسيا (الامضا) دربي

تاريخ فرنسا

فهذه هي المشاكل التي كانت تحدق به والمخاطر التي امسى محاطاً بها وهو في وسط نصر عظيم فان الاعداء الذين كانوا يضادونه كانوا اقوياء جداً

ولما كان في فينا حدث امرٌ صغير ظهرت به كرامة اخلاقه المشهورة. فان احد الضباط كان حالاً في ضواحي المدينة في بيت امرأة شيخة كريمة الاصل. ففي ذات يوم تجاوز حدود الاعتدال في شرب الخمر فكتب اليها تحريراً غير لائق. فشكته الى الجنرال اندريوسي وطلبت حمايته وبعثت اليه بالتحرير. فبعث بتحريرها وتحرير الضابط المذكور الى نابوليون. فبعث حالاً بامر اليه بان يحضر عند فحص الجنود في الصباح. وفي الساعة المعينة انحدر نابوليون من قصره ولوائح الغيظ الشديد تلوح على وجهه وبدون ان يكلم احداً دنا من الصفوف وفي يديه التحريران. فقال فليدنُ الضابط الفلاني مني. فدنا فمد الامبراطور يده اليه وفيها التحرير وقال له هل كتبت ذلك التحرير المعيب. قال العفو يامولاي فانني كنت سكران ولم اعلم ماذا فعلتُ. قال له يا تعيس كيف تهين خانوناً تستحق الاعتبار وقد انحطت بمصائب الحرب انني لا اقبل عذرك انني احط شانك واسلب منك النيشان فانك لا تستحق ان تحمل تلك العلامة المعتبرة. فيا جنرال درزون انفذ هذه الاوامر. كيف تهين امرأة متقدمة بالسن انا اعتبرها كانت عجوزاً كانها امي

وانتشرت اخبار انتصار نابوليون العجيب في اكموهل وحملوا على فينا بسرعة عجيبة فسمعت بها اوربا كلها فانفرحت قلوب اصدقائه ووقعت اعداؤه في يأس. ثم طارد شارل وبدد شمل جيشه. فالتزم الارشيدوق فرديناند الذي كان يحارب في ساكسونيا وفي وارسو بان يتقهقر بسرعة لينجد الارشيدوق شارل. ولم يكن النمساويون يقدرون ان يبعثوا بمساعدات الى التيرولز فاخمدت الثورة الدموية حالاً. اما في ايطاليا فكان اوجين الفرنساوي يتقهقر امام الارشيدوق جون النمساوي الفائز. وفي نهاية الامر صمم على ان يقاتله مرة اخرى وهو في ما يكاد يكون يأساً فجمع جيشه بالقرب من فيرونا. وكان النمساويون منتصرين ويزيدون كثيراً عن عدد اعدائهم فحملوا راكضين فوق الجبال متاكدين بفوز سهل. على ان الجيشين سمعوا بغتة عن بعد اطلاق مدافع شديدة لم يعرفوا مصدرها. وتقرر في عقول النمساويين انه صوت مدافع فرقة نمساوية قد شرعت في الهجوم. والايطاليان تحت قيادة اوجين خافوا ان يكون ذلك كذلك. على انه بعد ذلك ببرهة قصيرة بشر اوجين بان المدافع هي من فيرونا وانها لاحتفال انتصار عظيم فاز به نابوليون وانه بدد شمل الجيش النمساوي كاملاً في اكموهل وانه كان يسير حاملاً على فينا. وفي تلك الدقيقة ورد رسول الى الارشيدوق جون واخبره بالبلايا التي حلت على الجيش النمساوي في الدانوب. وأُمر بان يعود بالسرعة الممكنة الى فينا ليدافع عنها. فبات النمساويون في قلق عظيم. وضج الايطاليان ضجيج فرح. فركب اوجين مع احد ضباطه الى مكان مرتفع ليرى منه المكان الذي كانت فيه الجنود النمساوية. فرآها في مكان بعيد جداً آخذاً طريقاً من المركبات الحربية تسير الى جهة الشمال. فامسك اوجين يد الضابط مسروراً وقال له قد شرع النمساويون في الرجوع فامر جيشه بان ياخذ حالاً في الحمل على العدو المتقهقر

وهكذا كانت جنود نابوليون الفائزة تسير في وادي الدانوب تدفع امامها كل الموانع وكان الارشيدوق شارل يجمع جيشه في بوهيميا ويسير

سريعًا الى ضفة النهر اليسارية . والارشيدوق فرديناند خرج من بولونيا واخذ يسير سريعًا من الشمال بجيش منتصر ليدافع عن العاصمة . وكذلك الجيوش النمساوية في التيرول وجيش الارشيدوق جون الغائز كانت تسير مسرعة لتلاقي ذلك العدو الفاتك الذي تجاسر ان يلقي بنفسه بدون ان تظهر منه اقل مبالاة الى وسط اعدائهِ الكثيرين . ولذلك تقرر عند اوربا ان نابوليون المنتصر بات في هوان لان اعداءهُ كانوا قد احاطوا بهِ . وكان يسير بجسارة قاصدًا فينا وخمسمائة الف جندي متواردة من كل الجهات تهجم عليهِ . ولم يخطر لاحد ببال انهُ يقدر ان يتخلص نفسهُ من حملات تلك الجيوش الجرارة . حتى ان باريز امست في قلق عندما رأت ما رأت من البلايا التي كانت تحدق بهِ واخذ الملكيون في عقد مؤامرات جديدة لارجاع البوربون

وكان نابوليون يحارب الاتحاد السابع الذي اقامت بهِ دول اوربا لمضادة الجمهورية الفرنسوية . فالاتحاد الاول عقد بين النمسا وبروسيا لصد امتداد الجمهورية الفرنسوية في ٧ شباط (ففريه) سنة ١٧٩٣ . والاتحاد الثاني كان سنة ١٧٩٣ عندما اشهرت المانيا عليها الحرب وحالفتها البورتوغال ونابولي وتسقانيا واملاك حضرة البابا . وعقد الاتحاد الثالث في بطرسبرج بين انكلترا وروسيا والنمسا وذلك في ٢٨ ايلول (سبتمبر) سنة ١٧٩٥ . وكان نابوليون اذ ذاك في سن الشبوبية فطرد الانكليز من طولون ودفع النمساويين الحاملين وقلقل الاتحاد بالانتصارات العظيمة التي فاز بها في ايطاليا في حروبهِ الاولى فيها . اما انكلترا فاستمرت تحارب وهي في جزيرتها التي لا سبيل الى الوصول اليها وعقدت اتحادًا رابعًا لمضادة فرنسا في ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٧٩٨ فاتحدت روسيا والنمسا ونابولي والدولة العلية . فقطع رباطات اتحادها بسيفهِ في معركة مارنجو وتقرر السلام المحبوب في اوربا فمحت نابوليون كانة مخاصميها . على انهُ لم تمض سنة واحدة حتى فتحت انكلترا الحرب ثانية وعقد الاتحاد الخامس في ١٨ نيسان (افريل) سنة ١٨٠٢ بين انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا . فكسر اعداءهُ في معركة اولم واوسترليتز وغيرها والزم المتحدين بان يغمدوا السيف . غير انهُ قبل ان يجف دم سلّ للقتال عند اتحاد سادس بين انكلترا وروسيا وبروسيا وساكسونيا وغيرها من الدول الصغيرة فسارت جيوشها حاملة على فرنسا فلاقاهم في جينا واورستاد وايلو وفرولاند والزمهم بان ينكفوا . وفي ٩ تموز سنة ١٨٠٧ عقد صلح تلست . على انهُ لم يمر عليهِ سنتان حتى عقدت انكلترا اتحادًا سابعًا مع عصاة اسبانيا والبورتوغال والنمسا . فاخرجها نابوليون من ذلك الاتحاد بمعركة واغرام والمعركة المذكورة من الحروب الجاري وصفها .

الفصل السابع والاربعون

حروب

وكان مع نابوليون في ذلك الوقت في فينا نحو تسعين الف رجل . وكان الارشيدوق شارل قد جمع جيشهُ في بوهيميا وسار في ضفة الدانوب اليسارية وحل قبالة فينا العاصمة بمائة الف رجل . وكانت النمسا تجمع من سائر جهاتها المتسعة جنودًا لتضمها الى ذلك الجيش . والدانوب قبالة فينا نهر عظيم عرضهُ هناك اكثر من الف وثلثمائة ذراع . وكان طافحًا بذوبان ثلوج الجبال . فكيف يمكن قطع هذا النهر بجيش عظيم وقبالتهُ جيش جرار معهُ كل آلات الهلاك المخيفة ليمنعهُ عن المرور . وكان ذلك من المشاكل التي التزم نابوليون بان يحلها . وكان النهر تحت فينا بمسافة قصيرة منبسطًا تتخلج فيهِ جزائر

صغيرة كثيرة والماء هناك لم يكن عميقاً ولا جريه عنيفاً. وكان فيه جزيرة اسمها لوبو وكانت تشطره. وكانت تبعد عن فينا ستة اميال وطولها اربعة اميال ونصف ميل وعرضها ثلاثة اميال. وكان بينها وبين الضفتين مجريان احدهما اوسع من الآخر. وكان يجري فيهما ماء قليل في مكانين عند طوفان الماء. وكانت جيوش نابوليون في الضفة اليمنى ولم يكن سبيل الى وصولها اليها الا بعبور نهر عرضه نحو الف ومائتي ذراع. وبعبور نهر صغير بعد الوصول اليها عرضه نحو ١٨٠ قدماً يتصل الى الضفة المقابلة. وكان جري الماء شديداً على انه كان من الممكن انشاء جسر من الضفة اليمنى الى الجزيرة وكانت الجزيرة مع اتساعها ذات اشجار كثيرة تستر الجيش من كرات العدو وتحجبه عن انظارهم. غير انه كان لا بد من انشاء جسر في الجهة اليسرى والجنود معرضة لنيران النمساويين وكان نابوليون محتاجاً الى قوارب كثيرة ومهمات عظيمة للقيام بذلك وكان النمساويون قد كسروا اكثرها. وكانت الاخشاب كثيرة على ان الحبال كانت قليلة. ولم يكن سبيل للحصول على مراسٍ. فبعد الاجتهاد تمكن من الحصول على تسعين قارباً باخراج بعضها من قاع النهر فان النمساويين دائماً قد اغرقوها فيه وبالاتيان بالبعض الآخر من محلات بعيدة. وعوض عن المراسي بالمدافع الثقيلة وصناديق كرات. فتهيأ ذلك باعتناء عظيم خارج النهر بحيث تيسر انزاله اليه بسرعة وجيزة

وقبل نصف الليل بساعتين في ١٩ ايار (مايس) شرع في عبور النهر للذهاب الى جزيرة لوبو. وكانت الاستعدادات تجري بالسر والضبط حتى ان النمساويين لم يكونوا ينتظرون الوقوع في خطر في تلك الجهة. وسار القارب الاول في الظلام في مكان يبعد قليلاً عن المكان الذي كان قد صار التصميم على انشاء الجسر فيه. وكان الملاحون الذين جاء نابوليون بهم من بولونيا يقومون بخدمة نافعة جداً. واتي بسبعين قارباً كبيراً لتوضع عليها اطراف الجسر وصادف الفرنسويون صعوبات كثيرة في ذلك لان الماء الجاري كان يدفع القوارب ويخرجها من اماكنها. غير انه بعد افراغ الجهد شيد الجسر. واخذ الجيش الفرنسوي في ان يقطعه. وكان في الجزيرة جنود قليلة نمساوية ففرق شملهم بلحظة. فالفرق التي وصلت الى الجزيرة اولاً شرعت حالاً في انشاء جسر للوصول الى الضفة المقابلة فالمهندسون الحاذقون انشأوه بمدة قصيرة. واقيم ذلك بهمة وحذق حتى ان الجسر تم في اليوم الثاني الظهر ومهدت طريق في وسط الجزيرة وبعد الظهر اخذت الجنود في ان تسير واستمرت الى الليل الثاني. وكان الامبراطور يعتني بكل شيء بنفسه حتى انه وقف عند الطريق ليفحص كل شيء بنفسه ويناظر على جميع الاعمال ويسمع اكثر الجنود المارة هتافاً مشجعاً. ومن المعلوم انه لا يتيسر لجيش جرار ان يعبر النهر بجسر واحد ضيق بمدافعه ومركباته وافراسه الا في زمان طويل. ومع ذلك اصبح في فجر ٢٠ من الشهر المذكور عشرون الفاً من الفرنسويين في ضفة الدانوب الشمالية واقفين للحرب. وكان قد عبر النهر اقل من نصف الجيش فبات نابوليون في مركز ذي خطر مبين. وكان الارشيدوق شارل بجيش عدده مائة الف جندي قريباً منه. وكان اعظم الخطر من حمل الجيش المذكور على تلك الفرق القليلة واهلاكها قبل ان يتيسر انجادها وكانت الامطار المتأخرة تزيد ارتفاع ماء النهر حتى ان الماء حمل بعد الظهر بعض قوارب الجسر الكبير. وكان ذلك في اثناء سير فرقة فرسان فامسى نصفها في جهة البر والنصف الآخر يندفع الى الجزيرة. غير انه صار اصلاحه في الليل ورجع الجيش الى العبور

واستولت الجنود التي عبرت على قرية اسبرن وقرية اسلن وكل منها يبعد ميلاً عن الاخر وهما في طرف سهل مارشفلد المتسع وحل نابوليون بجنود الحرس قبالة الجرش وفي الليل ارسل ضباطاً ليتجسسوا الاحوال . وكانت نيران جيش النمساويين ظاهرة في الافق . وهي حالة في قسم بسامبرغ . وفي اليوم الثاني الظهر راى نابوليون بنظارته من مكان مرتفع غباراً كثيفة . وكان الهواء يزيلها حيناً بعد حين فتاخذ البنادق والخوذ في ان تلمع باشعة الشمس . وكان ذلك جيش الارشيدوق زاحفاً الى السهل المذكور . فلم يخف نابوليون ولكنه سر قائلاً اننا سنفوز الآن بالفرصة الموافقة لكسر الجيش النمساوي والتخلص منه . وعند ذلك أخبر بان الجسر الكبير انقطع مرة ثانية بسبب ازدياد المياه كل ساعة وان جميع القوارب آخذة في ان تضعف رباطاتها . وكان ذلك من الامور المخيفة لانه لم يكن عنده في العبر غير ٣٢ الف جندي وليس معهم غير قليل من المدافع والمهمات ومائة الف رجل من الاعداء حاملين عليهم في خمسة صفوف . واخذ نابوليون يتامل في ما ينبغي ان يفعل فكان يقول تارة الاوفق الرجوع الى الجزيرة وطوراً بل الاوفق ان اقاتل الجيش وجنودي وراء بيوت القريتين المذكورتين المبنيتين بحجارة . وقبل ان صمم على احد الامرين وردت اليه افادة بانه صار اصلاح الجسر وان مركبات المهمات اخذت في العبور بسرعة وبعد الظهر بثلث ساعات انتشب القتال واندفعت الكرات على ذلك الجيش الصغير من ثلثمائة مدفع نمساوي وحمل ٢٦ الف رجل على قرية اسبرن وليس فيها للدفاع الاسبعة الاف فرنسوي . واستمر القتال شديداً خمس ساعات وكان يتوجه النصر تارة للفرنسويين واخرى للنمساويين وهما يتقدمان ويتاخران في شوارع القرية في اضطراب عظيم . وبات اكثر من نصف الفرنسويين فيها قتلى او جرحى . وعند ذلك جاءها مسبنا في فرقة جديدة كانت قد عبرت النهر وطرد النمساويين منها . وفي اثناء هذه المقاتلة كانت مقاتلة اخرى مثلها من جهة كثرة النمساويين وقلة الفرنسويين جارية في قرية اسلن . وكان الجنرال لانز يدافع عنها ببسالته المشهورة وعناده العظيم . وامست القريتان خراباً والمتقاتلون في وسط خرباتهما ولهيبها ودخانها يتقاتلون . وكان فرسان الجيش يتقاتلون في سهل مارشفلد وعدد النمساويين يفوق كثيراً عدد الفرنسويين

وكان نابوليون متأكداً بان الفوز يكون لهُ اذا ثبت الى ان يعبر النهر عشرون الفاً من جنوده فضلاً عن الذين كانوا قد عبروهُ . وكان يعلم ان العاقبة متوقفة على اعمال تلك الساعات الخيفة فكان يجول بين الغبار بين معرضاً نفسه كل التعريض لنيران المدافع والبنادق التي كانت قد غطت الارض بالقتلى والجرحى . وكانت مياه النهر لا تزال ترتفع وتصدم الجسر بعنف فبات في خطر دائم من الانقطاع . وكان النمساويون يحاولون قطعه فارسلوا قوارب كثيرة فيها حجارة ضخمة ورحى وكانوا يتركونها لتجري بجرى المياه لتصدم الجسر واضرموا النار في بعضها بعد ان ملأُوها بمواد قابلة الاحتراق وكانت كثيراً ما تكسرهُ في بعض جهاته . وكانت اثقال المدافع تجعل بعض قوارب الجسر تغوص في المياه . وكان الملاحون الفرنسويون يركبون القوارب ليبعدوا تلك القوارب الصادمة معرضين انفسهم لكرات العدو التي كانت تسقط عليهم وهم في المياه كانها برد وبالظلام انقطع القتال على ان نيران الجيوش الكثيرة والقوارب المشتعلة في النهر كانت تضيء البلاد

(يتلى بقية)

زوجة جون كارفار

(من قلم سليم افندي بستاني ترجمة)

الحاضرين هذا رجوع المرض . قال اخر لا إن هذا فيضان دم على الدماغ . اما جون هولاند فقال ان هذا من تاثير الشمس فان جسمهُ ضعيف ولا يقدر ان يحتملهُ فلنذهب بهِ الى بيتهِ . ومن ياترى يخبر زوجتهُ بالمصيبة العظيمة التي حلت بها هي و بنا . هذا من واجباتك يامرشد ونسلو وكان راكعًا بجانب جسم كارفار وكان اعظم اصدقائهِ فقال ياجون انني لا اقدر على ذلك لا اقدر عليهِ فان هذه المصيبة الجديدة اعظم المصائب ولا اقدر ان احملها آه ياصديقي ياصديقي يامن كان اعز من اخي . ان الله قد ثقل ضرباتهِ اليوم . فقال جون هولاند بحزن وكدر مني اللازم ان ابلغها الخبر فاصبر واهنا قليلاً ثم اذهبوا بهِ الى البيت وانا ذاهب الان لاهيئ زوجتهُ لاستماع . . . ومنعهُ البكاء عن ان يلفظ الكلمة الاخيرة ثم سار مسرعًا الى ملاقاتها كان يخافهُ قدر الموت كانهُ ذاهب الى وليمة افراح . ودخل البيت وقد بسط الطعام البسيط واليزابث دائمة تزين المائدة بالتزيينات التي تعلمت ان تزينها بها . ولما سمعت صوت مشيهِ وقفت ولكنها منعت نفسها عن ان تحييهِ بتحية سرور عند ما رات لوائح الكدر والاضطراب تلوح على وجههِ واخذ لون وجهها الاحمر القاني في ان يتبدل بالاصفرار ثم قالت اه ياجون ماذا جرى اخبرني . قال اين مولاتي زوجة كارفار لا بد من ان اراها الان . انها ذهبت لتنام فانها امست متعبة جدًا فاخبرني بما جرى هل جرى شيء . وفي تلك الدقيقة فتح باب المخدع الداخلي بغتة وخرجت كاثرين زوجة كارفار ووقفت امامهما باسمة وقالت انني فعلاً من الكسالى . فدنا منها جون هولاند وامسك يدها بلطف وذهب بها الى كرسي كبيرة واجلسها فيها وهو يقول انني رسول سوء يامولاتي العزيزة فاطلب اليك بان لا توقعي في ياس لان الله يعتني بالجميع . قالت هل . . . زوجي قال لها يامولاتي الشفوقة لا لا انهُ لا يزال في قيد الحيوة ولكنهُ مريض جدًا فانهُ اصيب بمرض هذه الدقيقة بجانبي . قالت انك وعدت بان تحرسهُ وتخلصهُ فياصديقًا خائنًا وخادمًا غير معتنٍ من ياترى لم ينتظر ذلك الم احذره . خلصهُ . قالت اليزابث ياسيدتي من ياترى يعرف بمقاصد الله ومن يقدر ان يهرب من قضائهِ وكانت لوائح الغيظ تلوح على وجهها . فنظر اليها جون هولاند نظرة حملتها على الصمت والتفت الى تلك المراة المنكودة الحظ الواقعة في ياس وهي تحاول النهوض من الكرسي وهي تنظر اليهِ نظرة احتقار وغيظ ثم سارت الى جهة الباب . فعارضها جون وقال يامولاتي المحبوبة لا تذهبي لملاقاتهِ فان ارجل الذين يحملونهُ قريبة من الملعب . فياسيدتي العزيزة جدًا لا تخافي واستنجدي بالصبر والقوة . وتدرعي بالجسارة التي طالما ظهرت بيننا . اه يامولاتي العزيزة انهُ مريض جدًا . قالت اصدقني بالخبر هل مات وسارت قاصدة الباب . قال لا ولكنهُ قد اصيب بمرض شديد جدًا . قد اتوا بهِ يااليزابث اين نلقيهِ ياسيدتي اجلسي على هذه الكرسي وغطي عينيك

واطلبي الى الله ان يقويك فانك بدون ريب في احتياج الى القوة . فقالت زوجته القوة على فراشه على فراش عرسه وهو الفراش الذي اموت انا ارملة عليه . وكانت تتكلم وجسمها كله يرتجف فاجلسها على الكرسي عند ما دخل الذين كانوا حاملين زوجها في مخدعها ثم دخلوا والحزن قد اخذ منهم كل ماخذ والقوة على فراشه . ثم نهضت زوجته وابعدت عنها الذين كانوا يودون ان يمنعوها عن الدنو منه وهي تقول اني زوجته وهو حقي واخذت هي واليزابث في ان تخدمه بكل قدرتها . وكانت اليزابث المذكورة تنوح وترتجف وزوجته مستكنة على انه كان في سكونها ونظر وجهها ما يخيف الذين كانوا ينظرون اليها . وكان رجل اسمه استاندش اعرف الحاضرين بالطب فقال انه لا يعيش وربما كان لا يبقى حيًّا الى الغد . فسمع جون هولاند كلامه فهز راسه ونظر بحزن وكدر الى امراته التي كانت واقفة مصفرة الوجه وهي ماسكة احدى يديه الباردتين بيديها . وكانت تتفرس بانكسار وحزن في وجهه الذي كان كوجه الموتى . وكان القبطان الشجاع اللطيف ينظر اليها وهي على تلك الحال فدنا منها وامسك احدى يديها وقال يا اختي انك عزيتني بكلام مؤثر لطيف عند ما ماتت روزا استاندش منذ ثلثة اشهر فنا لي فيه الان فانني لا اقدر ان اتكلم بحكمة ولطف كما تتكلمين . على انها لم تزح عينيها عن وجه زوجها ولا تحركت بل قالت بصوت منخفض انني زوجته . قال وروز كانت زوجتي فتوفاها الله فامرتني ان اخضع لحكمته وقلت انها قد اصبحت في امان وسعادة . قالت يا صديقي ارجوك ان تصمت ولا تكدر اذني بكلام لا افهم معناه . اه اتركوني جميعًا اتركوني مع زوجي وازوجاه . ثم صرخت شديدًا وجثت على ركبتيها بعنف وغطت وجهها لحظة . ثم سمعت تنهدًا ضعيفًا من زوجها المريض فنهضت وانحنت بسكون وقد انقطعت عن التنفس لئلا تكدر ما كان لا يزال باقيًا فيه من الحيوة واستمر على تلك الحال ثلثة ايام وفي نهايتها مات بعد ان تالم كثيرًا وكان المرشد بروستار واقفًا بجانب فراشه فقال ان اخانا قد رقد ثم نظر الى زوجته كاثرين واضعًا يده على ذراعها قائلاً تعالي يا ابنتي قد انتهى شغلك تعالي واطلبي تعزية من ذلك الذي لا يقدر سواه على ان يمنحك اياها . فتملصت منه كانها اصيبت بجنون وصرخت صرخة حزن وويل لا تسمع بدون ان تجرح الفؤاد وترتعد منها الفرائص ثم سقطت على الفراش على وجهها وراسها على قلب ذلك الميت الذي احبها وعاملها بحنو في ايام زواجها القصيرة اللذيذة ولم يقابلها يومًا واحدًا بضجر او بكدر . وصاحت قائلة وازوجاه واكدراه واملكاه يا بهجتي ويا حياتي وغابت عن الصواب وهي متمسكة بشدة حتى ظن القوم انها قد ماتت وبعد ان صبروا ساعات بضجر وقلق مفرغين جهدهم في استخدام ما يرجع بها الى الصواب راوا في ان عينيها اخذت في ان تفتح وفي بادي الامر ادلة حزن شديد فيها لواعج ويل شديد ثم شدائد اليأس والالم . فابتدا جون هولاند بالكلام قائلاً يا سيدتي نحمد الله لانه ارجعك الينا ولولا ذلك لبتنا كاولاد ضالين خسرانين عناية والد وحب والدة . فلم تجب بل تنهدت وادارت وجهها على الوسادة حيث بقي ساعات باردًا مصفرًا ساكنًا كوجه زوجها الذي كان نظروه ميتًا على فراش عرسه

الفصل الرابع

وبعد ان دفنوه جاء الارملة وليم براد فورد ليعزيها ويزورها وكان قد شرع القوم في ان يقولوا انه من الواجب ان يختاروا حاكمًا للادارة امور المستعمرة

العمومية والخصوصية . وخرج بعد ان كلمها كلام حنو وتعزية وحكمة وحرضها على ان تسلم امرها الى الله وكان كلاماً موافقاً غير انه كان مما لا طاقة لها على احتماله بال بسبب ضعف جسمها . وقبل خروجه قال لها كيف ترغبين ان تعيشي هل تبقين هنا مع جون هولاند واليزابث او تفضلين الانضمام الى بقايا عائلة اخرى كما جرى مع غيرك . قالت ابقى هنا في البيت الذي شيده ومات فيه واذا قبلا بان يتبناني . . . . فقال جون هولاند انني قابل بان ابقى معك ياسيدتي وقد نظر بعينيه ولوائح الامانة تلوح عليها الى وجهها اللطيف المصفر الحزين . فنظر وليم برادفورد بتامل في ذلك الفتى ثم قطب جبهته كانه يحاول ستر ما خطر له ببال . وكان المركب المسمى ميفلاور قد سافر قاصداً انكلترا قبل ذلك بشهرين حاملا تحريراً من وليم برادفورد الى الس سوثورث محبوبته الاولى يخبرها به انه ترمل ويطلب اليها ان تاتيه ليقترن بها وذلك قبل ان مر على موت زوجته التي ماتت غرقاً اربعة اشهر ولذلك لم يكن يستغرب ان يسمع بان زوجة كارفار عقدت لنفسها زواجاً اخر في برهة قصيرة

اما كاثرين فقالت لجون هولاند المذكور بلطف اشكرك ياصديقي انني لا اطيل حبسك مانعة اياك عن معاشرة من لا يكدرهم حزن شيء . فقال جون ارجوك ياسيدتي . . . ثم انقطع عن الحديث . فقال برادفورد لا تتكلمي بهذا الكلام فانه عصيان على اوامر الله ويدل على ضعف وجبن فانه لا ريب في انك تعيشين الزمان المعين لك حتى انه ربما كان الحزن الذي يذيب فؤادك الان يمسي بمرور الزمان من الامور المحصورة بالذاكرة فتبنين عليه حيوة جديدة لذيذة . ولم تجب بشيء على هذه العبارة . وبعد ان تكلم قليلا نهض ليذهب . فخرج جون هولاند معه وقال المرشد له وهما سائران عند المياه انه مفروض علينا نحن الرجال بان نسعف ونحمي النساء الموجودين معنا لانهن اضعف منا ومن واجباتك الخصوصية ان تعتني باختنا المنكودة الحظ الحزينة . واذا انتهى ذلك بعقد زواج بينكما اسر جداً واظن انه يكون من اوفق الامور ومن مصلحة المستعمرة ان يكون كل من اعضائها ذا عائلة ليخلفه اولاده في املاكه واشغاله واذ تتزوج النساء اللواتي يخسرن مسعفيهن بالحصول على من يقوم مقامهم . ولا يلزم ان نطيل الكلام بهذا الشان الان وانت تعلم المقصود من تكلمي معك . اجابه نعم انك اظننت ان ذلك لا يخطر لي ببال لعلو مركزها فامنع قلبي عن ان يتعلق بحب امراة هي مولاتي لانقطاع الامل من نوالها . فقال انه ليس احد الموجودين في هذا القفر ارفع درجة من الاخر . الم نترك كل من كان عندنا سهل وعزيز خلا انفسنا وانفس نسائنا واولادنا ولاقينا الف ميتة لنبتعد عن اباطيل حكومة العالم القديم البعيدة عن سبل الله تعالى . فكل رجل وكل امراة يقف هنا الان كما يقف يوم الدينونة ليجيب عن نفسه فقط واعتبار كل منا ومركزه متوقفان على اعماله واجتهاداته . فهذا كلام رئيس الجمهورية وهي في الطفولية ساقطة كالبلوطة على سواحل العالم الجديد وهي البلوطة التي ارسلت اصولاً الى الارض لتنمو وتعظم

وعاد جون هولاند قاصداً البيت فلاقى اليزابث في الطريق وكانت حاضرة عندما زار برادفورد زوجة كارفار الارملة على انها لم تفوه بكلمة . فلما راته وقفت فوقف مع انه كان مصمماً على ان يداوم المسير . فقالت له انك لم تطل الاقامة عند الشاطئ . قال لا اننا ذهبنا لنرى ماذا اصطاد القوم من السمك في هذا الصباح وقد اصطادوا كثيراً .

قالت هل سمعت عن العرس المقبل . فاجفل واصفر لونهُ وكانت تدقق النظر فيهِ فرفعت راسها وعضت على شفتها وقالت قبل ان اجاب لا اعلم ماذا يحملك تضطرب فان العروس مسز اناويت الذي مات زوجها منذ شهرين ومستر ادوارد ونسلو مقترن بها مع انهُ دفن زوجتهُ منذ اقل من اربعة اسابيع . والظاهر انهُ من عادة اهل هذه المستعمرة ان يدفن ذكر الميت بدفنهِ . ولا اعتبر الارامل اللواتي يرتضين بذلك ولو جرى هذه بواسطة مستر برادفورد . فقال لها لا يناسب ان نلقي اللوم على اخوتنا . وقال ذلك بصوت مرتجف . فاستغنمت سنوح الفرصة وقالت لئلا نقرر لانفسنا قانوناً مضاداً لاميالنا . وسارت بدون ان تنتظر الجواب تاركةً جون هولاند ليصعد على التل وحدهُ ويدخل البيت حيث وجد زوجة كارفار الارملة جالسة حيث كان قد تركها في الكرسي الكبيرة التي كانت لزوجها الحاكم ووجهها المصفر مكلل بدموعها الغزيرة . فوقف برهة ليتفرس فيها ثم دنا منها ببطء ووقف بجانبها بدون ان يمسها وقال لها يامولاتي العزيزة ان حزنك يحزن قلبي فيا حبذا لو امكن تعزيتك . ولو عرفتِ ان رجلاً واحداً من الموجودين يضحي كل شيء ليسرك و يعيد الراحة اليك و . . . . قالت اشكرك بل لساني يقصر عن شكرك وانا عالمة بانك تستخف بكل الاتعاب اذا كانت مما يأول الى تخفيف حزني وهمومي . ولكن ياجون قد خسرت حياتي بانكسار قلبي . فما هو البلسم الذي يقدر ان يشفيني انك لا تقدر عليهِ ولو افرغت جهدك حياتك بطولها بحب اخوي . فابقَ معي الى النهاية وعزني وانا في فراش الموت كما عزيت زوجي فانك لا تقدر على اكثر من ذلك . قال لها يا كاثرين انني لا اتركك مادمت انا وانتِ في قيد الحيوة . و بعد هذا الكلام صمتا واسكن كل ما كان حولها خلا البحر فان صوت امواجهِ كان يكدر ذلك السكون وصوت الساعة التي كانت تبين لها انها اخذان في الدنو من الابدية

الفصل الخامس

فمر شهر وقارب شهر حزيران (جون) من الحلول وفيهِ لاقى الحاكم برادفورد جون هولاند في مكان يبعد قليلاً عن البلدة وقال لهُ كيف حال زوجة كارفار المنكودة الحظ الان وكيف حالك بالنظر الى رغبتك في الاقتران بها . قال ياسيدي انها في اسوء حال ولم اتجاسر ان اطلب اليها وهي غائصة في حزنها التزوج برجل اخر . وتغير لونهُ وهو يتكلم تغييراً لاحظهُ الحاكم وقال لهُ الظاهر انك قد تاملت في ذلك واستحسنتهُ جداً وقد علقت قلبك بهِ قال لا انكر الحقيقة ولكن . . . . قال لهُ اليك عن لكن واتركها مع ياليت واذهب الى البيت وأبن مرادك للارملة فانك شاب ولا تعرف احوال النسا كالذين هم اكبر سناً منك فانهنَّ يحببنَ الالحاح والالتماس ولو كان ذلك ضد اوامرهنَّ الصريحة . وكثيرون هم الذين اضاعوا نصيبهم بجبنهم وترددهم كما اضاع قبطاننا الباسل نصيبهُ المتعلق ببرسيلا مولينوس فاذهب الى البيت واجعل ارملة كارفار تعدك بان تصير زوجة جون هولاند بعد برهة فترى ان الورد يرجع الى خديها وينشف دمع عينيها . وانا راغب في تقرير هذا الامر . ثم سار متظاهراً بالجلال ليعوض ما خسرهُ بالمداخلة بهذه الامور واخذ يمشي عند الشاطي ليختار مكاناً لتفريغ شحن مركب زاد وامتعة كان ينتظرهُ بفروغ صبر . اما جون هولاند فسار في سبيلهِ متاملاً ثم قال في نفسهِ انهُ لا امل بالفوز بها غير ان طلبي الاقتران بها ربما كان يقلل حزنها . فلما دخل البيت وجدها وحدها جالسة كعادتها وواضعة يديها امامها وهي تنظر اليها بعينيها

الحزينتين وعلامة الكدر واليأس ظاهرة في وجهها فجلس بجانبها وقال يا سيدتي العزيزة اودّ ان ارى حزنك اقل . فنظرت اليهِ باسمة بتكلف وقالت يا جون ان حزني الآن اقل من حزني الماضي . قال نحمد الله لانهُ خفف احزانك . قالت نحمد الله لانهُ قد اجاب طلبي . قال قد طلبت اليهِ ان يعزيك . قالت لا بل ان يسمح لي بان ابرح الذي سبقني . فاصفرّ لونهُ عند استماع كلامها وقال ليس المقصود انك تحبين الموت . فاجابت بتبسم لطيف فغطى وجههُ بيديهِ وتنهد واي تنهد قالت هل تحزن لانني سافوز بمعادة قد خسرتها بعد ان احتملت ما قد احتملت من الاثقال والآلام . قال يا سيدتي حياتي وقلبي انني احزن لانني احبك بكل قوتي واحببتك منذ اليوم الذي رايتك فيهِ وكنت انتظر ذهابك لالقي بنفسي بالبحر وانت قد خلصتني وجعلتني رجلاً واتيت بي الى هنا واحببتك حب صداقة روحي بدون ان يخطر لي ببال شيء دنيوي الا بعد ان رايتك وحدك في العالم وانا اظن انني اقدر ان اتعرض بينك وبين الالم والاحتياج . فآه يا كاترين اذا كنت من اللواتي يوثر فيهن كل الحب الذي يقدر ان يملأ قلب انسان وتعلمين انك تقربين من السماء كل يوم . . . . . . فقاطعتهُ في الحديث وقالت صه صه ما اشد قساوتك وخيانتك كيف تتجاسر ان تهين حاسياتي وواجباتي وكيف تتجاسر ان تكلمني الا كانني زوجة جون كارفار الامينة الذي فرقها الله عنهُ برهة بسبب خطاياها وسلتقي بهِ الى الابد . اه يا جون هولاند قد خاب املي فيك فانني طالما ظننت انك تكون لي صديقاً امينًا واخاً محبًا والان . . . . . . فقاطعها في الحديث وقال بمرارة والآن ماذا يا ترى هل ابغضك واحتقرك وتغني عني محبتك وارتكانك . قالت يا جون كيف خطر ذلك لك ببال وقال يجب ان يخطر ببالك . وقد طالما ظننت انني ازوجك بالبزابث قبل ان اموت . قال البزابث . قالت نعم البزابث التي تحبك وقد احبتك منذ اشهر كثيرة بدون ان تعلم بحبها . قال ان ذلك لم يخطر لي ببال . ثم صمت ولوائح الكدر تلوح على وجههِ وكانت تنظر اليهِ وقد سكن غيظها وتلطفت حاسياتها فبعد ان تفرست فيهِ برهة قالت جون لا تطيل التامل بتوبيخاتي وكان الواجب ان اجيب بلطف لانك لم تقصد اهانتي . ولست من الحاصلات على محبين كثيرين لادوس حب قلب امين ولئن كنت ارى انني لا اقدر ان اقبل حبة . فيا جون من المحقق انني ساتركك بعد برهة قصيرة واحب ان ارى احب الناس عندي سعيدين قبل موتي وقد قلت انك ترتضي ان تفعل كثيرًا لارضائي . فقال متنهدًا ان الله اعلم . قالت هل تتزوج البزابث . قال اه يا سيدتي الا ترتضين باقل من ذلك . قالت ما من شيء يسرني قدر ذلك ويجعلني ابتهج بان الحق نفسي بزوجي وصمت برهة طويلة بعد ذلك ثم القى يده الباردة المرتجفة على ركبتها وقال يا سيدتي انني كلي لك فافعلي بي ما يسرك . فقالت اشكرك يا صديقي العزيز فهل اكلم البزابث بالنيابة عنك . قال كما تريدين ولكن لا ينبغي ان تقولي لها انني احبها او احب غيرها الا كصديقة وشقيقة قالت اسمح لي بان اطالب اليها ان تفعل ذلك كما طلبت اليك اكثر من ١٠ مرات امرأة قد قاربت الموت وانتما عندها اعز الناس في الارض

وامسى ذلك الشاب في اضطراب شديد وقلق لا مزيد عليهِ يصرف ساعاتهِ الطويلة في محاربة قلبهِ الذي كان لا يطيع لهُ امرًا ويندب سوء حظهِ وخيبة امله . وبعد ذلك باربعة اسابيع دعت البزابث خاطبها جون الذي كان قد ارتضى بها الى جانب

فراش سيدته المحبوبة وكان قد تقرر في عقول الجميع انها كانت قد قاربت الموت . فحدت اليه بدها الحارّة النحيفة ونظرت الى وجهه متبسمة بحنو وحب وقالت له يا صديقي العزيز لا تحزن وتضطرب اذ ترى قرب يوم خلاصي من متاعب الدنيا . هل تبكي اذا رايت اختًا محبوبة مخطوبة لمن تحب فانني ذاهبة لالاقي زوجي الذي هو اعز عندي من كل رجل . واعلم ان اهتمامات الحيوة ترافقنا الى باب القبر . وانا اهتم بك وبالبزابث واحب ان اراها في سعادة تزيد عن سعادتها الحالية . وانت لا تحبها كالواجب فقال يا سيدتي العزيزة اللطيفة انني افرغ جهدي في سبيل ملاطفتها وطلبت اليك في بادي الامر ان تقولي لها انني لست بعاشق . قالت يا جون هذه عبارة عن حفظ وعدك بالحرف وليس بالمعنى وانا ارغب في ان اراك تحبها وان تعاملها بالحنو واللطف قال اه يا سيدتي قد عاملتني بالقساوة وضايقتني واية مضايقة وانت تعلمين ان امرك ناموس لي ولا تشفقين بل تظلمينني ظلمًا يحاكي مظالم القبر . قالت يا جون . قال اتدريني فانني قد تكلمت كبر بري وانت على هذه الحال فيا مولاتي لو امرتني بان اموت في حبك لكان ذلك اسهل . قالت صدقت يا عزيزي فان الموت اسهل الامور اذا دُعي الانسان اليه ليستشهدهُ على حب صادق . وحبك اشد من كل حب صادق ولذلك رغبت في ان تستشهد بما هو اعظم من الموت فطلبت اليك ان تحيا لاجلي وان تكون سعيدًا وان تجعل غيرك سعيدًا ايضًا وذلك كلهُ لاجل حب اختك المنكودة الحظ المنكسرة القلب التي لا تقدر ان تنفعك بشيء . فيا جون هل توهمت ان حبك اعظم مما هو فعلاً . فقال لها يا سيدتي العزيزة اذا كانت الارواح الطاهرة تنظر الى هذه الارض بعد الموت فروحك سترى

اليزابث زوجة سعيدة محترمة بل محبوبة بعد مرور زمان كافٍ ان كان الحب مما ينمو بالعناء والاجتهاد . قالت انني احب ان ارى البداية هنا اذا امكن ذلك . الا تريد ان تقترن بها هذا اليوم فانني لا اظن انني ارى نور يوم اخر . فلما سمع ذلك منها رفع يدها الضعيفة الى شفتيه وقبلها باحترام وكان ذلك العلامة الاولى التي ابانها للمراة التي كان يحبها حبًّا غير معتدل وكان ختام حبه الذي منع عنه . ثم قال سأتكلم بهذا الشان مع اليزابث والحاكم واقرر الامر بحسب ارادتك . واذهب الان ولكن . . فعرفت ما يرغب في ان يقوله وقالت انني لا اموت قبل ان تعود فنظر اليها بكدر ومرارة وحزن والحب ذو نار تاجج في فؤاده وهو الحب الذي قالت سيدته انهُ اشد من حب الذي يموت لاجل صديقه ثم خرج لينفذ امرها . ولما رجع راى اليزابث صامتة صفراء اللون جالسة بالقرب من الفراش وكانت ارملة كارفار في الفراش قد اطبقت عينيها بدون ان تنام وعندما دخل قالت بلطف هل جاء مستر ونسلو . قال جون نعم انهُ منتظر في المخدع الخارجي . قالت هل تهيا كل شيء قال نعم . قالت وانت يا جون . قال كذلك . قالت اسرع فان الزمان قصير فدعا الحاكم وبعد ذلك بدقائق قليلة صار زوج اليزابث وكانت صفراء ضعيفة مثل زوجها ولم يظهر انهما عروسان . فبعد نهاية عقد الزواج خرج الحاكم فدعت الاثنين الى جانب فراشها وامسكت يد كل منهما باحدى يديها وشكرتهما بكلام قليل ثم اغمضت جفونها وانتقلت من هذا العالم الى الابدية بامل ملاقاة زوجها المحبوب جدًّا

وبعد ان دُفنت رجع الجميع خلا جون هولاند وزوجته فانهما جلسا عند قبرها وكانت تبكي وكان هو ساكنًا ضابطًا نفسهُ فنظرت اليه وقالت انك

احبتها اكثر مما تحبني . وقد تزوجتني ارضاء لها . فصمت برهة ثم وضع ذراعه حول خصرها وقال بهدو كنت انا وانت نحبها وهي احبتنا فيا اليزابث من الوجب ان يكون ذلك الحب رباطا مقدسا بيننا عن حبوة حب وسعادة فاسعفيني في ترقية اسباب ذلك . قالت اليزابث هل تفعل ذلك اجع حبا بها . قال انها من اهل الابدية الاطهار وانت زوجتي وليس لي سواك على الارض لاحب ولست بموضوع حب غيرك . فيا اليزابث هل تحبينني وتسعفيني في ان نحيي حبوة سعادة من هذا الحزن . فوضعت يدها صامتة في يده . ونزلا وحدهما من تل المقبرة ثم دخلا البيت . (انتهت)

ملح

النباهة

قال ابو جرير الطبري في تاريخه دخلت على هارون الرشيد يوما امراة من نساء البرامكة وقالت له يا امير المومنين اقر الله عينيك وفرحك بما اعطاك لقد حكمت فاقسطت زادك الله رفعة . فقال لها من تكوني ايتها الامراة قالت له من آل برمك الذين قتلت رجالهم واخذت اموالهم . قال اما الرجال فقد نفذ بهم امر الله واما المال فمردود عليك . وامر برد مالها . وقال لجلسائه انها دعت علينا دعاء عظيما . قالوا وما هو يا امير المومنين . قال فمن قولها اقر الله عينيك اي اسكن حركتهما واذا سكنت العين من الحركة فتكون عميت . ومن قولها فرحك الله بما اعطاك اخذته من قول القران اذ يقول به اذا فرحوا بما أُوتوا اخذناهم بغتة . وقولها احكمت فاقسطت اخذته من قوله تعالى اما القاسطون كانوا من آل جهنم . وقولها زادك الله رفعة اي بعد الرفعة يكون الهبوط

السرقة

ذكر الطبري في تاريخه ان المامون كان رضي الاخلاق حسن الطباع . وصنع ذات يوم نوروزا وجلس هو ووجوه مملكته على الموائد . ولما فرغ الطعام وتقدمت انية المدام سرق بعض الجلاس جاما وقد نظر اليه المامون حين وضعه تحت ردائه . ثم ذهب ذلك الرجل فكسر الجام وصاغ به حلية سيف ومنطقة وجدد كسوته . ثم قدم ذات يوم على المامون وحين نظره تبسم وقال له فهذه من ذاك فخجل الرجل وقال نعم وقبل الارض . فقال المامون لا باس عليك

الحلم

حكى عبد الله بن طاهر عن المامون قال كنت واقفا يوما فنادى المامون بالخادم ياغلام . فدخل الغلام وهو يقول ما ينبغي للغلام ان ياكل ولا يشرب كل ما خرجنا يصيح ياغلام . فسكت المامون فاشككت الا انه يامر بضرب رقبته . فقال لي يا عبد الله انظر ان الرجل اذا احسن اخلاقه فساءت اخلاق خدمه ولا نستطيع ان نسيء اخلاقنا لتحسن اخلاق خدامنا . قلت نعم يا امير المومنين ان الله خصك باخلاق الانبياء ادامك الله بها

الظرف

حكي عن المامون قال كنت نائما ذات ليلة عند المامون فعطش وامتنع ان يصيح في الغلام ليسقيه خوفا ان يوقظني . فقام يمشي على اطراف اصابعه الى ان بلغ الى مكان الماء فشرب ورجع قليلا قليلا كانه خائف ان انتبه الى ان بلغ وسادته . ثم رايته في اخر الليل يجول في فرشته فنهضت ولما شعر بي قال يا عبد الله كيف كان مبيتك . فقلت نعم مبيتا في حضرة مولانا امير المومنين . قال لقد استيقظت للصلاة وما اردت ان اصيح في الخدم لئلا ازعجك . فقلت يا امير المومنين لقد خصك الله بكمال الظرف وادام عليك ما اعطاك من النعمة

